عجائب الآثار

الجبرتي

To PDF: www.al-mostafa.com

الجزء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القديم الأول الذي لا يزول ملكه ولا يتحول خالق الخلائق وعالم الذرات بالحقائق، مفنى الأمم ومحيي الرمم ومعيد النعم ومبيد النقم وكاشف الغمم وصاحب الجود والكرم، لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه، له الحكم وإليه ترجعون، وأشهد أن لا إله إلا الله تعالى عما يشركون، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله إلى الخلق أجمعين، المترل عليه نبا القرون الأولين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ما تعاقبت الليالي والأيام وتداولت السنين والأعوام.

وبعد، فيقول الفقير عبد الرحمن بن حسن الجبرتي الحنفي غفر الله له ولوالديه وأحسن إليهما وإليه: إني كنت سودت أوراقاً في حوادث آخر القرن الثاني عشر وما يليه من أوائل الثالث عشر الذي نحن فيه جمعت فيها بعض الوقائع إجمالية وأخرى محققة تفصيلية، وغالبها محن أدركناها وأمور شاهدناها واستطردت في ضمن ذلك سوابق سمعتها ومن أفواه الشيخة تلقيتها، وبعض تراجم الأعيان المشهورين من العلماء والأمراء المعتبرين وذكر لمع من أخبارهم وأحوالهم وبعض تواريخ مواليدهم ووفياهم.

فأحببت جمع شملها وتقييد شواردها في أوراق متسقة النظام مرتبة على السنين والأعوام ليسهل على الطالب النبيه المراجعة ويستفيد ما يرومه من المنفعة ويعتبر المطلع على الخطوب الماضية، فيتأسى إذا لحقه مصاب ويتذكر بحوادث الدهر إنما يتذكر أولوا الألباب. فأنها حوادث غريبة في بابها متنوعة في عجائبها وسميته عجائب الآثار في التراجم والأخبار وأنا لنرجو ممن أطلع عليه وحل بمحل القبول لديه أن لا ينسانا من صالح دعواته وأن يغضي عما عثر عليه من هفواته. أعلم أن التاريخ علم يبحث فيه عن معرفة أحوال الطوائف وبلدانهم ورسومهم وعاداتهم وصنائعهم وأنسابهم ووفياتهم، وموضوعه أحوال الأشخاص الماضية من الأنبياء والأولياء والعلماء والحكماء والشعراء والملوك والسلاطين وغيرهم، والغرض منه الوقوف على الأحوال الماضية من حيث هي وكيف كانت، وفائدته العبرة بتلك الأحوال والتنصح بها وحصول ملكة التجارب بالوقوف على تغلبات الزمن ليحترز العاقل عن مثل أحوال الهالكين من الأمم المذكورة السالفين، ويستجلب خيار أفعالهم ويجتنب سوء أقوالهم ويزهد في الفاني ويجتهد في طلب الباقي، وأول واضع له في الإسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه وذلك حين كتب أبو موسى الأشعري إلى عمر أنه يأتينا من قبل أمير المؤمنين كتب لا ندري على أيها نعمل فقد قرأ،ا صكا محله شعبان فما ندري أي الشعبانين أهو الماضي أم القابل وقيل رفع لعمر صك محله شعبان، فقال أي شعبان هذا هو الذي نحن فيه أو الذي هو آت ثم جمع وجوه الصحابة رضي الله عنهم وقال: أن الأموال قد كثرت وما قسمناه غير مؤقت فكيف التوصل إلى ما يضبط به ذلك. فقال له الهرمزان، وهو ملك الأهواز وقد أسر عند فتوح فارس وحمل إلى عمر وأسلم على يديه: أن للعجم حسابا يسمونه ماه روز ويسندونه إلى من غلب عليهم الأكاسرة فعربوا لفظة ماه روز بمورخ ومصدره التاريخ واستعملوه في وجوه التصريف، ثم شرح لهم الهرمزان كيفية استعمال ذلك فقال لهم عمر ضعوا للناس تاريخا يتعاملون عليه وتصير أوقاتهم فيما يتعاطونه من المعاملات مضبوطة. فقال له بعض من حضر من مسلمي اليهود: أن لنا حسابا مثله مسنداً إلى الإسكندر فما

ارتضاه الآخرون لما فيه من الطول. وقال قوم: نكتب على تاريخ الفرس. قيل أن تواريخهم غير مسندة إلى مبدأ معين بل كلما قام منهم ملك ابتدأوا التاريخ من لدن قيامه وطرحوا ما قبله. فاتفقوا على أن يجعلوا تاريخ دولة الإسلام من لدن هجرة النبي صلى الله عليه وسلم، لأن وقت الهجرة لم يختلف فيه أحد بخلاف وقت ولادته ووقت مبعثه صلى الله عليه وسلم.
وكان للعرب في القديم من الزمان بأرض اليمن والحجاز تواريخ يتعارفونها خلفا عن سلف إلى زمن الهجرة. فلما هاجر صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة وظهر الإسلام وغلت كلمة الله تعالى اتخذت هجرته مبدأ لتاريخها وسميت كل سنة باسم الحادثة التي وقعت فيها.

وتدرج ذلك إلى سنة سبع عشرة من الهجرة في زمن عمر فكان اسم السنة الأولى سنة الأذن بالرحيل من مكة إلى المدينة والثانية سنة الأمر أي بالقتال إلى آخره. وقال أصحاب التواريخ أن العرب في الجاهلية كانت تستعمل شهور الآلهة وتقصد مكة للحج، وكان حجهم وقت عاشر الحجة كما رسمه سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، لكان لما كان لا يقع في فصل واحد من فصول السنة بل يختلف موقعه منها بسبب تفاضل ما بين السنة الشمسية والقمرية ووقوع أيام الحج في الصيف تارة وفي الشتاء أخرى، وكذا في الفصلين الآخرين، أرادوا أن يقع حجهم في زمان واحد لا يتغير وهو وقت إدراك الفواكه والغلال واعتدال الزمن في الحر والبرد، ليسهل عليهم السفر ويتجروا بما معهم من البضائع والأرزاق مع قضاء مناسكهم. فشكوا ذلك إلى أميرهم وخطيبهم فقام في الموسم عند إقبال العرب من كل مكان، فخطب ثم قال: أنا أنشأت لكم في هذه السنة شهراً أزيده فتكون السنة ثلاثة عشر شهراً، وكذلك أفعل في كل ثلاث سنين أو أقل حسبما يقتضيه حساب وضعته، ليأتي حجكم وقت أدراك الفواكه والغلال،فتقصدونا بما معكم منها. فوافقت العرب على ذلك ومضت إلى سبيلها فنسأ المحرم وجعله كبيساً وأخره إلى صفر وصفر إلى ربيع الأول وهكذا، فوقع الحج في السنة الثانية في عاشر المحرم وهو ذو الحجة عندهم. وبعد انقضاء سنتين أو ثلاثة وانتهاء نوبة الكبيس أي الشهر الذي كان يقع فيه الحج وانتقاله إلى الشهر الذي بعده قام فيهم خطيباً وتكلم بما أراد ثم قال: أنا جعلنا الشهر الفلاني من السنة الفلانية الداخلة للشهر الذي بعده. ولهذا فسر النسئ بالتأخير كما فسر بالزيادة. وكانوا يديرون النسئ على جميع شهور السنة بالنوبة، حتى يكون لهم مثلا في سنة محرمان وفي أخرى صفران، ومثل هذا بقية الشهور، فإذا آلت النوبة إلى الشهر المحرم قام لهم خطيبا فينبئهم أن هذه السنة قد تكرر فيها اسم الشهر الحرام فيحرم عليهم واحدا منها بحسب رأيه على مقتضى مصلحتهم فلما انتهت النوبة في أيام النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذي الحجة وتم دور النسئ على جميع الشهور، حج صلى الله عليه وسلم في تلك السنة حجة الوداع وهي السنة العاشرة من الهجرة، لموافقة الحج فيها عاشر الحجة، ولهذا لم يحج صلى الله عليه وسلم في السنة التاسعة حين حج أبو بكر الصديق رضي الله عنه بالناس لوقوعه في عاشر ذي القعدة. فلما حج صلى الله عليه وسلم حجة الوداع خطب وأمر الناس بما شاء الله تعالى. ومن جملته: إلا أن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، يعني رجوع الحج إلى الموضع الأول كما كان في زمن سيدنا إبراهيم صلوات الله تعالى عليه، ثم تلا قوله تعالى أن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم، فلا تظلموا فيهن أنفسكم، وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة، واعملوا إن الله مع المتقين، إنما زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم

الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين. و منع العرب من هذا الحساب وأمر بقطعه والاستمرار بوقوع الحج في أي زمان أتى من فصول السنة الشمسية، فصارت سنوهم دائرة في الفصول الأربع والحج واقع في كل زمان منها كما كان في زمن إبراهيم الخليل عليه السلام. ثم كون حجة الصديق واقعة في القعدة، فهو قول طائفة من العلماء. وقال آخرون بل وقعت حجته أيضا في ميقاتها من ذي الحجة وقد روي في السنة ما يدل على ذلك والله أعلم بالحقائق.

ولما كان علم التاريخ علما شريفا فيه العظة والاعتبار وبه يقيس العاقل نفسه على من مضى من أمثاله في هذه الدار، وقد قص الله تعالى أخبار الأمم السالفة في أم الكتاب فقال تعالى لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب. وجاء من أحاديث سيد المرسلين كثير من أخبار الأمم الماضين كحديثه عن بني إسرائيل وما غيروه من التوراة والإنجيل وغير ذلك من أخبار العجم والعرب مما يفضي بمتأمله إلى العجب. وقد قال الشافعي رضي الله عنه: من علم التاريخ زاد عقله.

و لم تزل الأمم الماضية من حين أوجد الله هذا النوع الإنساني تعتني بتدوينه سلفاً عن سلف وخلفاً من بعد خلف إلى أن نبذه أهل عصرنا وأغفلوه وتركوه وأهملوه وعدوه من شغل البظالين وأساطير الأولين، ولعمري أنهم لمعذورون وبالأهم مشتغلون ولا يرضون لأقلامهم المتعبة في مثل هذه المنقبة، فإن الزمان قد انعكست أحواله وتقلصت ظلاله وانخرمت قواعده في الحساب فلا تضبط وقائعه في دفتر ولا كتاب. وأشغال الوقت في غير فائدة ضياع وما مضى وفات ليس له استرجاع إلا أن يكون مثل الحقير متزويا في زوايا الخمول والإهمال، منجمعاً عما شغلوا به من الأشغال فيشغل نفسه في أوقات من خلواته ويسلي وحدته بعد سيئات الدهر وحسناته. وفن التاريخ علم يندرج فيه علوم كثيرة لولاه ما ثبتت أصولها ولا تشعبت فروعها منها طبقات القراء والمفسرين والمحدثين وسير الصحابة والتابعين وطبقات المجتهدين وطبقات النحاة والحكماء والأطباء وأخبار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وأخبار المغازي وحكايات الصالحين ومسامرة الملوك من القصص والأخبار والمواعظ والعبر والأمثال وغرائب الأقاليم وعجائب البلدان. ومنها كتب المحاضرات ومفاكهة الخلفاء وسلوان المطاع ومحاضرات الراغب. وأما الكتب المصنفة فيه فكثيرة جدا ذكر منها في مفتاح السعادة ألفاً وثلاثمائة كتاب، قال في ترتيب العلوم وهذا بحسب إدراكه واستقصائه، وألا فهي تزيد على ذلك لأنه ما ألف في فن من الفنون مثل ما ألف في التواريخ وذلك لانجذاب الطبع إليها والتطلع على أمور المغيبات، ولكثرة رغبة السلاطين لزيادة اعتنائهم بحسب التطلع على سير من تقدمهم من الملوك مع ما لهم من الأحوال والسياسات، وغير ذلك فمن الكتب المصنفة فيه تاريخ ابن كثير في عدة مجلدات وهو القائل شعراً:

تمر بنا الأيام تترى وإنما ... نساق إلى الآجال والعين تنظر

فلا عائد صفو الشباب الذي مضى ... ولا زائل هذا المشيب المكدر

وتاريخ الطبرى وهو أبو جعفر محمد بن جرير الطبري مات سنة عشر وثلاثمائة ببغداد، وتاريخ ابن الأثير الجزري المسمى بالكامل ابتدأ فيه من أول الزمان إلى أواخر سنة ثمان وعشرين وستمائة، وله كتاب أخبار الصحابة في ست مجلدات. وتاريخ ابن الجوزي وله المنتظم في تواريخ الأمم ومرآة الزمان لسبط ابن الجوزي في أربعين مجلداً، وتاريخ ابن خلكان المسمى بوفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، وتواريخ المسعودي أخبار الزمان والأوسط ومروج الذهب. ومن أجل التواريخ تواريخ الذهبي الكبير والأوسط المسمى بالعبر، والصغير المسمى دول الإسلام، وتواريخ السمعاني منها ذيل تاريخ بغداد لأبي بكر بن الخطيب

نحو خمسة عشر مجلداُ، وتاريخ مرو يزيد على عشرين مجلداً والأنساب في نحو ثمان مجلدات، وتواريخ العلامة ابن حجر العسقلاني وتاريخ الصفدي، وتواريخ السيوطي، وتاريخ الحافظ ابن عساكر في سبعة وخمسين مجلداُ، وتاريخ اليافعي وبستان التواريخ ست مجلدات، وتواريخ بغداد وتواريخ حلب، وتواريخ أصبهان للحافظ أبي نعيم، وتاريخ بلخ، وتاريخ الأندلس، والإحاطة في أخبار غرناطة وتاريخ اليمن، وتاريخ مكة، وتواريخ الشام، وتاريخ المدينة المنورة وتواريخ الحافظ المقريزي وهي الخطط والآثار، و غير ذلك، ونقل في مؤلفاته أسماء تواريخ لم نسمع بأسمائها في غير كتبه، مثل تاريخ ابن أبي طي والمسيحي وأبن المأمون وأبن زولاق والقضاعي. ومن التواريخ تاريخ العلامة العيني كي أربعين مجلداً رأيت منها بعض مجلدات بخطه وهي ضخمة في قالب الكامل، ومنها تاريخ الحافظ السخاوي والضوء اللامع في أهل القرن التاسع، رتبه على حروف المعجم في عدة مجلدات، وتاريخ العلامة ابن خلدون في ثمان مجلدات ضخام، ومقدمته مجلد على حدة، من أطلع عليها رأى بحراً متلاطما بالعلوم مشحونا بنفائس جواهر المنطوق والمفهوم، وتاريخ ابن دقاق. وكتب التواريخ أكثر من أن تحصى، وذكر المسعودي جملة كبيرة منها وتاريخه لغاية سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة فما ظنك بما بعد ذلك.

قلت: وهذه صارت أسماء من غير مسميات فأنا لم نر من ذلك كله ألا بعض أجزاء بقيت في بعض خزائن كتب الأوقاف بالمدارس مما تداولته أيدي الصحافيين وباعها القومة والمباشرون ونقلت إلى بلاد المغرب والسودان ثم ذهبت بقايا البقايا في الفتن والحروب، وأخذ الفرنسيس ما وجدوه إلى بلادهم. ولما عزمت على جمع ما كنت سودته أردت أن أوصله بشيء قبله فلم أجد بعد البحث والتفتيش ألا بعض كراريس سودها بعض العامة من الأجناد ركيكة التركيب مختلة التهذيب والترتيب وقد اعتراها النقص من مواضع في خلال بعض الوقائع. وكنت ظفرت بتاريخ من تلك الفروع لكنه على نسق في الجملة مطبوع لشخص يقال له أحمد حلبي بن عبد الغني مبتدئا فيه من وقت تملك بني عثمان للديار المصرية، وينتهي كغيره ممن ذكرناه إلى خمسين ومائة وألف هجرية.

ثم أن ذلك الكتاب استعاره بعض الأصحاب وزلت به القدم ووقع في صندوق العدم. ومن ذلك الوقت إلى وقتنا هذا لم يتقيد أحد بتقييد و لم يسطر في هذا الشأن شيئا يفيد، فرجعنا إلى النقل من أفواه الشيخة المسنين وصكوك دفاتر الكتبة والمباشرين، وما انتقش على أحجار ترب المقبورين وذلك من أول القرن إلى السبعين وما بعدها إلى التسعين، أمور شاهدناها ثم نسيناها وتذكرناها ومنها إلى وقتنا أمور تعقلناها وقيدناها وسطرناها إلى أن تم ما قصدنا بأي وجه كان وانتظم ما أردنا استطراده من وقتنا إلى ذلك الأوان. وسنورد أن شاء الله تعالى ما ندركه من الوقائع بحسب الإمكان والخلو من الموانع إلى أن يأتي أمر الله، وأن مردنا إلى الله و لم أقصد بجمعه خدمة ذي جاه كبير أو طاعة وزير أو أمير، و لم أداهن فيه دولة بنفاق أو مدح أو ذم مباين للأخلاق لميل نفساني أو غرض جسماني، وأنا استغفر الله من وصفي طريقا لم أسلكه وتجارتي برأس مال لم املكه.

المقدمة

أعلم أن الله تعالى لما خلق الأرض ودحاها وأخرج منها ماءها ومرعاها، وبث فيها من كل دابة وقدر أقواتها أحوج بعض الناس إلى بعض في ترتيب معايشهم ومآكلهم وتحصيل ملابسهم ومساكنهم، لأنهم ليسوا كسائر الحيوانات التي تحصل ما تحتاج إليه بغير صنعة. فإن الله تعالى خلق الإنسان ضعيفا لا يستقل وحده بأمر معاشه لاحتياجه إلى غذاء ومسكن ولباس وسلاح، فجعلهم الله تعالى يتعاضدون يتعاونون في تحصيلها وترتيبها بان يزرع هذا لذاك ويخبز ذاك لهذا وعلى هذا القياس تتم سائر أمورهم ومصالحهم، وركز في نفوسهم الظلم والعدل. ثم مست الحاجة بينهم ميزانا للعدالة وقانونا لسياسة توزن به حركاتهم وسكناتهم وترجع إليه طاعاتهم ومعاملاتهم، فانزل الله كتابه بالحق وميزانه بالعدل كما قال تعالى: الله الذي انزل الكتاب بالحق والميزان.

قال علماء التفسير المراد بالكتاب والميزان العلم والعدل وكانت مباشرة هذا الأمر من الله بنفسه من غير واسطة وسبب على خلاف ترتيب المملكة وقانون الحكمة، فاستخلف فيها من الآدميين خلائف ووضع في قلوبهم العلم والعدل ليحكموا بهما بين الناس حتى يصدر تدبيرهم عن دين مشروع وتجتمع كلمتهم على رأي متبوع، ولو تنازعوا في وضع الشريعة لفسد نظامهم واختل معاشهم. فمعنى الخلافة هو أن ينوب أحد مناب آخر في التصرف واقفا على حدود أوامره ونواهيه، وأما معنى العدالة فهي خلق في النفس أو صفة في الذات تقتضي المساواة لأنها أكمل الفضائل لشمول أثرها وعموم منفعتها كل شيء، وإنما يسمى الإنسان عادلا لما وهبه الله قسطا من عدله وجعله سببا وواسطة لإيصال فيض فضله واستخلفه في أرضه بهذه الصفة حتى يحكم بين الناس بالحق والعدل، كما قال تعالى: يا داود أنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق.

وخلائف الله هم القائمون بالقسط والعدالة في طريق الاستقامة ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه، والعدالة تابعة للعلم بأوساط الأمور المعبر عنها في الشريعة بالصراط المستقيم. وقوله تعالى: أن ربي على صراط مستقيم، إشارة إلى أن العدالة الحقيقية ليست ألا لله تعالى فهو العادل الحقيقي الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، ووضع كل شيء على مقتضى علمه الكامل وعدله الشامل. وقوله صلى الله عليه وسلم: بالعدل قامت السموات والأرض، إشارة إلى عدل الله تعالى الذي جعل لكل شيء قدراً لو فرض فارض زائداً عليه أو ناقصاً عنه لم ينتظم الوجود على هذا النظام بهذا التمام والكمال.

أصناف العدل من الخلائق خمسة

ورفع الله بعضهم فوق بعض درجات كما قال تعالى: وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات:

الأول الأنبياء- عليهم الصلاة والسلام

فهم أدلاء الأمة وعمد الدين ومعادن حكم الكتاب وأمناء الله في خلقه، هم السراج المنيرة على سبيل الهدى وحملة الأمانة عن الله إلى خلقه، بالهداية بعثهم الله رسلا إلى قومهم وأنزل معهم الكتاب والميزان ولا يتعدون حدود ما أنزل الله إليهم من الأوامر والزواجر إرشاداً وهداية لهم حتى يقوم الناس بالقسط والحق، ويخرجونهم من ظلمات الكفر والطغيان إلى نور اليقظة والأيمان، وهم سبب نجاتهم من دركات جهنم إلى درجات الجنان. وميزان عدالة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الدين المشروع الذي وصاهم الله بإقامته في قوله تعالى: شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً. فكل أمر من أمور الخلائق دنيا وآخرة عاجلاً وآجلاً قولاً وفعلاً حركة وسكوناً جار على نهج العدالة ما دام موزوناً بهذا الميزان، ومنحرف عنها بقدر انحرافه عنه، ولا تصح الإقامة بالعدالة ألا بالعلم وهو أتباع أحكام الكتاب والسنة.

الثاني العلماء- الذين هم ورثة الأنبياء

فهم فهموا مقامات القدوة من الأنبياء وأن لم يعطوا درجاتهم واقتدوا بهداهم واقتفوا آثارهم إذ هم أحباب الله وصفوته من خلقه ومشرق نور حكمته، فصدقوا بما أتوا به وساروا على سبيلهم وأيدوا دعوتهم ونشروا حكمتهم كشفاً وفهماً وذوقاً وتحقيقاً، أيماناً وعلماً بكمال المتابعة لهم ظاهراً وباطناً. فلا يزالون مواظبين على تمهيد قواعد العدل وإظهار الحق برفع منار الشرع وإقامة أعلام الهدى والإسلام وأحكام مباني التقوى برعاية الأحوط في الفتوى تزهداً للرخص لأنهم أمناء الله في العالم وخلاصة بني آدم مخلصون في مقام العبودية مجتهدون في أتباع أحكام الشريعة، عن باب الحبيب لا يبرحون ومن خشية ربهم مشفقون، مقبلون على الله تعالى بطهارة الأسرار وطائرون إليه بأجنحة العلم والأنوار، هم أبطال ميادين العظمة وبلابل بساتين العلم والمكالمة. أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون، وتلذذوا بنعيم المشاهدة، ولهم عند ربهم ما يشتهون. وما ظهر في هذا الزمان من الاختلال في حال البعض من حب الجاه والمال والرياسة والمنصب والحسد والحقد لا يقدح في حال الجميع لأنه لا يخلو الزمان من محقيهم وأن كثر المبطلون، ولكنهم أخفياء مستورون تحت قباب الخمول لا تكشف عن حالهم يد الغيرة الإلهية والحكمة الأزلية. وهم آحاد الأكوان وأفراد الزمان وخلفاء الرحمن، وهم مصابيح الغيوب مفاتيح أقفال القلوب، وهم خلاصة خاصة الله من خلقه، وما برحوا أبداً في مقعد صدقه، بهم يهتدي كل حيران ويرتوي كل ظمآن، وذلك أن مطلع شمس مشارق أنوارهم مقتبس من مشكاة النبوة المصطفوية، ومعدن شجرة أسرارهم مؤيد بالكتاب والسنة لا أحصي ثناء عليهم، أفض اللهم علينا مما لديهم.

الثالث الملوك وولاة الأمور

يراعون العدل والأنصاف بين الناس والرعايا توصلا إلى نظام المملكة وتوسلاً إلى قوام السلطنة لسلامة الناس في أموالهم وأبدانهم وعمارة بلدانهم، ولولا قهرهم وسطوهم لتسلط القوي على الضعيف والدنيء على الشريف. فرأس المملكة وأركانها وثبات أحوال الأمة وبنيانها العدل والأنصاف، سواء كانت الدولة إسلامية أو غير إسلامية فهما أس كل مملكة وبنيان كل سعادة ومكرمة. فإن الله تعالى أمر بالعدل، و لم تكتف به حتى أضاف إليه الإحسان، فقال تعالى: أن الله يأمر بالعدل والإحسان، لأن بالعدل ثبات الأشياء ودوامها وبالجور والظلم خرابها وزوالها، فإن الطباع البشرية مجبولة على حب الانتصاف من الخصوم وعدم الأنصاف لهم والظلم والجور كامن في النفوس لا يظهر ألا بالقدرة كما قيل:

والظلم من شيم النفوس فإن تجد ... ذا عفة فلعلة لا يظلم

فلولا قانون السياسة وميزان العدالة لم يقدر مصل على صلاته ولا عالم على نشر علمه ولا تاجر على سفره، فإن قيل: فما حد الملك العادل؟ قلنا: هو ما قال العلماء بالله من عدل بين العباد وتحذر عن الجور والفساد، حسبما ذكره رضى الصوفي في كتابه المسمى بقلادة الأرواح وسعادة الأفراح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة قيام ليلها وصيام نهارها. وفي حديث آخر: والذي نفس محمد بيده أنه ليرفع للملك العادل إلى السماء مثل عمل الرعية وكل صلاة يصليها تعدل سبعين ألف صلاة، وكأن الملك العادل قد عبد الله بعبادة كل عابد وقام له بشكر كل شاكر، فمن لم يعرف قدر هذه النعمة الكبرى والسعادة العظمى واشتغل بظلمه وهواه يخاف عليه بان يجعله الله من جملة أعدائه، وتعرض إلى أشد العذاب، كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: أن أبغض الناس إلى الله تعالى وأشدهم عذابا يوم القيامة إمام جائر. فمن عدل في حكمه وكف عن ظلمه نصره الحق وأطاعه الخلق وصفت له النعمى وأقبلت عليه الدنيا، فتهنأ بالعيش واستغنى عن الجيش، وملك القلوب وأمن الحروب، وصارت طاعته فرضا وظلت رعيته جنداً لأن الله تعالى ما خلق شيئا أحلى مذاقا من العدل ولا أروح إلى القلوب من الأنصاف ولا أمر من الجور ولا أشنع من الظلم. فالواجب على الملك وعلى ولاة الأمور أن لا يقطع في باب العدل ألا بالكتاب والسنة، لأنه يتصرف في ملك الله وعباد الله بشريعة نبيه ورسوله نيابة عن تلك الحضرة ومستخلفا عن ذلك الجناب المقدس، ولا يأمن من سطوات ربه وقهره فيما يخالف أمره فينبغي أن يحترز عن الجور والمخالفة والظلم والجهل، فانه أحوج الناس إلى معرفة العلم وأتباع الكتاب والسنة وحفظ قانون الشرع والعدالة، فإنه منتصب لمصالح العباد وإصلاح البلاد وملتزم بفصل خصوماهم وقطع التراع بينهم، وهو حامي الشريعة بالإسلام، فلا بد من معرفة أحكامها والعلم بحلالها وحرامها ليتوصل بذلك إلى إبراء ذمته وضبط مملكته وحفظ رعيته، فيجتمع له مصلحة دينه ودنياه وتمتلئ القلوب بمحبته والدعاء له، فيكون ذلك أقوم لعمود ملكه وأدوم لبقائه وأبلغ الأشياء في حفظ المملكة العدل والأنصاف على الرعية.

وقيل لحكيم: أيهما أفضل العدل أم الشجاعة؟ فقال: من عدل استغنى عن الشجاعة لأن العدل أقوى جيش وأهنأ عيش.

وقال الفضيل بن عياض: النظر إلى وجه الإمام العادل عبادة، وأن المقسطين عند الله على منابر من نور يوم القيامة عن يمين

الرحمن. قال: سفيان الثوري: صنفان إذا صلحا صلحت الأمة وإذا فسدا فسدت الأمة: الملوك والعلماء. والملك العادل هو الذي يقضي بكتاب الله عز وجل ويشفق على الرعية شفقة الرجل على أهله.

روى ابن يسار عن أبيه أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أيما وال ولي من أمر أمتي شيئا فلم ينصح لهم ويجتهد كنصيحته وجهده لنفسه كبه الله على وجهه يوم القيامة في النار.

الرابع أوساط الناس

يراعون العدل في معاملاتهم وأروش جناياتهم بالأنصاف، فهم يكافؤون الحسنة بالحسنة والسيئة بمثلها.

الخامس القائمون بسياسة نفوسهم

وتعديل قواهم وضبط جوارحهم وانخراطهم في سلك العدول، لأن كل فرد من أفراد الإنسان مسؤول عن رعايا رعيته التي هي جوارحه وقواه كما ورد: كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، كما قيل: صاحب الدار مسؤول عن أهل بيته وحاشيته.

ولا تؤثر عدالة الشخص في غيره ما لم تؤثر أولاً في نفسه إذ التأثير في البعيد قبل القريب بعيد. وقوله تعالى: أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم، دليل على ذلك، والإنسان متصف بالخلافة لقوله تعالى: ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون. ولا تصح خلافا الله ألا بطهارة النفس كما أن أشرف العبادات لا تصح ألا بطهارة الجسم، فما اقبح بالمرء أن يكون حسن جسمه باعتبار قبيح نفسه، كما قال حكيم لجاهل صبيح الوجه: أما البيت فحسن وأما ساكنه فقبيح. وطهارة النفس شرط في صحة الخلافة وكمال العبادة، ولا يصح نجس النفس لخلافة الله تعالى ولا يكمل لعبادته وعمارة أرضه ألا من كان طاهر النفس قد أزيل رجسه ونجسه. فللنفس نجاسة كما أن للبدن نجاسة، فنجاسة البدن يمكن إدراكها بالبصر ونجاسة النفس لا تدرك ألا بالبصيرة، كما أشار له بقوله تعالى: إنما المشركون نجس. فإن الخلافة هي الطاعة والاقتدار على قدر طاقة الإنسان في اكتساب الكمالات النفسية والاجتهاد بالإخلاص في العبودية والتخلق بأخلاق الربوبية، ومن لم يكن طاهر النفس لم يكن طاهر الفعل. فكل أناء بالذي فيه ينضح. ولهذا قيل: من طابت نفسه طاب عمله ومن خبثت نفسه خبث عمله. وقيل في قوله عليه الصلاة والسلام: لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب، أنه أشار بالبيت إلى القلب وبالكلب إلى النفس الإمارة بالسوء أو إلى الغضب والحرص والحسد وغيرها من الصفات الذميمة الراسخة في النفس، ونبه بان نور الله لا يدخل القلب إذا كان فيه ذلك الكلب. وإلى الطهارتين أشار بقوله تعالى: وثيابك فطهر والرجز فاهجر. وأما الذي تطهر به النفس حتى تصلح للخلافة وتستحق به ثوابه فهو العلم والعبادة الموظفة اللذان هما سبب الحياة.

توضيح

أعلم أن الإنسان من حيث الصورة التخطيطية كصورة في جدار وإنما فضيلته بالنطق والعلم. ولهذا قيل: ما الإنسان لولا اللسان ألا بهمة مهملة أو صورة، فبقوة العلم والنطق والفهم يضارع الملك، وبقوة الأكل والشرب والشهوة والنكاح والغضب يشبه

الحيوان. فمن صرف همته كلها إلى تربية القوة الفكرية بالعلم والعمل فقد لحق بأفق الملك فيسمى ملكا وربانيا كما قال تعالى: أن هذا ألا ملك كريم. ومن صرف همته كله إلى تربية القوة الشهوانية باتباع اللذات البدنية يأكل كما تأكل الأنعام فحقيق أن يلحق بالبهائم أما غمراً كثور أو شرهاً كخترير أو عقوراً ككلب أو حقوداً كجمل أو متكبراً كنمر أو ذا حيلة ومكر كثعلب أو يجمع ذلك كله فيصير كشيطان مريد، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت. وقد يكون كثير من الناس من صورته صورة إنسان وليس هو في الحقيقة ألا كبعض الحيوان. قال الله تعالى: أن هم ألا كالأنعام بل هم أضل:

مثل لبهائم جهلا جل خالقهم — لهم تصاوير لم يقرن بهن حجا

من نصائح الرشاد لمصالح العباد

اعلم أن سبب هلاك الملوك اطراح ذوي الفضائل، واصطناع ذوي الرذائل، والاستفاف بعظة الناصح، والاغترار بتزكية المادح، من نظر في العواقب سلم من النوائب، وزوال الدول اصطناع السفل، ومن استغنى بعقله ضل ومن اكتفى برأيه زل، ومن أستشار ذوي الألباب سلك سبيل الصواب، ومن استعان بذوي العقول فاز بدرك المأمول، من عدل في سلطانه استغنى عن أعوانه، عدل السلطان أنفع للرعية من خصب الرمان، الملك يبقى على الكفر والعدل لا يبقى على الجور والأيمان. ويقال: حق على من ملكه الله على عباده وحكمه في بلاده أن يكون لنفسه مالكاً وللهوى تاركاً وللغيظ كاظماً وللظلم هاضماً وللعدل في حالتي الرضى والغضب مظهراً وللحق في السر والعلانية مؤثراً، وإذا كان كذلك الزم النفوس طاعته والقلوب محبته وأشرق بنور عدله زمانه وكثر على عدوه أنصاره وأعوانه. ولقد صدق من قال:

يا أيها الملك الذي — بصلاحه صلح الجميع
أنت الزمان فإن عدلت — فكله أبدا ربيع

وقال عمرو بن العاص: ملك عادل خير من مطر وابل، من كثر ظلمه واعتداؤه قرب هلاكه وفناؤه.

موعظة: كل محنة إلى زوال وكل نعمة إلى انتقال:

رأيت الدهر مختلفا يدور — فلا حزن يدوم ولا سرور
وشيدت الملوك به قصوراً — فما بقي الملوك ولا القصور

وقال المأمون:

يبقى الثناء وتنفذ الأموال — ولكل وقت دولة ورجال

من كبرت همته كثرت قيمته. لا تثق بالدولة فإنها ظل زائل ولا تعتمد على النعمة فأنها ضيف راحل. فإن الدنيا لا تصفو لشارب ولا تفي لصاحب.

كتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن البصري: انصحني، فكتب إليه: أن الذي يصحبك لا ينصحك والذي ينصحك لا

يصحبك،وسأل معاوية الأحنف بن قيس وقال له: كيف الزمان؟ فقال أنت الزمان أن صلحت صلح الزمان وأن فسدت فسد الزمان. آفة الملوك سوء السيرة وآفة الوزراء خبث السريرة، وآفة الجند مخالفة القادة وآفة الرعية مخالفة السادة، وآفة الرؤساء ضعف السياسة وآفة العلماء حب الرياسة، وآفة القضاة شدة الطمع وآفة العدول قلة الورع، وآفة القوي استضعاف الخصم وآفة الجريء إضاعة الحزم، وآفة المنعم قبح المن وآفة المذنب حسن الظن، والخلافة لا يصلحها ألا التقوى، والرعية لا يصلحها ألا العدل، فمن جارت قضيته ضاعت رعيته، ومن ضعفت سياسته بطلت رياسته. ويقال: شيئان إذا صلح أحدهما صلح الآخر: السلطان والرعية.

ومن كلام بعض البلغاء: خير الملوك من كفى وكف وعفا وعف.

قال وهب بن منبه: إذا هم الوالي بالجور أو عمل به أدخل الله النقص في أهل مملكته، حتى في التجارات والزراعات وفي كل شيء، وإذا هم بالخير أو عمل به أدخل الله البركة على أهل مملكته حتى في التجارات والزراعات وفي كل شيء، ويعم البلاد والعباد. ولنقبض عنان العبارات والنقلية في أرض الإشارات العقلية المقتطفة من نظم السلوك في مسامرة الملوك وغرر الخصائص وغرر النقائص، وهو باب واسع كثير المنافع وملاك الأمر في ذلك حسن القابلية وأن تكون مرآة القلب غير صدية، كما قيل:

إذا كان الطباع طباع سوء   فليس بنافع أدب الأديب

وقيل: إن الأخلاق وأن كانت غريزية فإنه يمكن تطبعها بالرياضة والتدريب والعادة، والفرق بين الطبع والتطبع أن الطبع جاذب مفتعل والتطبع مجذوب منفعل، تتفق نتائجهما مع التكلف ويفترق تأثيرهما مع الاسترسال. وقد يكون في الناس من لا يقبل طبعه العادة الحسنة ولا الأخلاق الجميلة، ونفسه مع ذلك تتشوق إلى المنقبة وتتأنف من المثلبة. لكن سلطان طبعه يأبى عليه ويستعصي عن تكليف ما ندب إليه، يختار العطل منها على التحلي ويستبدل الحزن على فواتها بالتسلي، فلا ينفعه التأنيب ولا يردعه التأديب، وسبب ذلك ما قرره المتكلمون في الأخلاق من أن الطبع المطبوع أملك للنفس التي هي محله لاستيطانه إياها وكثرة أعانته لها.

وأما الذي يجمع الفضائل والرذائل فهو الذي تكون نفسه الناطقة متوسطة الحال بين اللؤم والكرم، وقد تكتسب الأخلاق من معاشرة الإخلاء أما بالصالح أو بالفساد، فرب طبع كريم أفسدته معاشرة الأشرار وطبع لئيم أصلحته مصاحبة الأخيار. وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل. وقال علي رضي الله عنه لولده الحسن: الأخ رقعة في ثوبك فانظر بمن ترقعه. وقال بعض الحكماء في وصيته لولده: يا بني أحذر مقارنة ذوي الطباع المزدولة لئلا تسرق طباعك طباعهم وأنت لا تشعر وأما إذا كان الخليل كريم الأخلاق شريف الأعراق، حسن السيرة طاهر السريرة فبه في محاسن الشيم يقتدي وبنجم رشده في طريق المكارم يهتدي، وإذا كان سيئ الأعمال خبيث الأقوال كان المغتبط به كذلك، ومع هذا فواجب على العاقل اللبيب والفطن الأريب أن يجهد نفسه حتى يحوز الكمال بتهذيب خلائقه ويكتسي حلل الجمال بدماثة شمائله وحميد طرائقه. وقال عمرو بن العاص المرء حيث يجعل نفسه أن رفعها ارتفعت وأن وضعها اتضعت.

وقال بعض الحكماء: النفس عروف عزوف ونفور الوف، متى ردعتها ارتدعت ومتى حملتها حملت، وأن أصلحتها صلحت وأن أفسدتها فسدت. وقال الشاعر:

وما النفس إلا حيث يجعلها الفتى   فإن أطعمت تاقت وإلا تسلت

وقالوا: من فاته حسب نفسه لم ينفعه حسب أبيه، والمنهج القويم الموصل إلى الثناء الجميل أن يستعمل الإنسان فكره وتميزه فيما ينتج عن الأخلاق المحمودة والمذمومة منه ومن غيره، فيأخذ نفسه بما استحسن منها واستملح ويصرفها عما استهجن منها واستقبح. فقد قيل: كفاك تأديبا ترك ما كرهه الناس من غيرك.

اللهم بحرمة سيد الأنام يسر لنا حسن الختام واصرف عنا سوء القضاء وانظر لنا بعين الرضاء وهذا أوان انشقاق كمائم طلع الشماريخ عن زهر مجمل التاريخ.

أول خليفة في الأرض

أول خليفة جعل في الأرض آدم عليه الصلاة والسلام بمصداق قوله تعالى: أني جاعل في الأرض خليفة. ثم توالت الرسل بعده لكنها لم تكن عامة الرسالة بل كل رسول أرسل إلى فرقة، فهؤلاء الرسل عليهم السلام مقررون شرائع الله بين عباده وملزموهم بتوحيد وامتثال أوامره ونواهيه، ليترتب على ذلك انتظام أمور معاشهم في الدنيا وفوزهم بالنعيم السرمدي إذا امتثلوا في الآخرة، إلى أن جاء ختامهم الرسول الأكرم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، أرسله الله بالهدي ودين الحق ليظهره على الدين كله وأمره بالصدع والإعلان والتطهير من عبادة الأوثان. وآمن به من آمن من الصحابة رضوان الله عليهم وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه أولئك هم المفلحون. و لم يزل هذا الدين القويم من حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم يزيد وينمو ويتعالى ويسمو حتى تم ميقاته وقربت من النبي وفاته. وأنزل الله عليه اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا.

ولما قبض صلى الله عليه وسلم قام بالأمر بعده أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ثم عمر رضي الله عنه، ثم عثمان رضي الله عنه، ثم علي كرم الله وجهه، و لم تصف له الخلافة بمغالبة معاوية رضوان الله عليهم أجمعين في الأمر وبموت علي رضي الله عنه تمت مدة الخلافة التي نص عليها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً عضوضاً، وبخلافة معاوية كان ابتداء دولة الأمويين، وانقرضت بظهور أبي مسلم الخراساني وإظهاره دولة بني العباس. كان أولهم السفاح وظهرت دولتهم الظهور التام وبلغت القوة الزائدة والضخامة العظيمة، ثم أخذت في الانحطاط بتغلب الأتراك والديلم و لم تزل منحطة، وليس للخلفاء في آخر الأمر إلا الاسم فقط حتى ظهرت فتنة التتار التي أبادت العالم وخرج هولاكو خان وملك بغداد وقتل الخليفة المعتصم وهو آخر خلفاء بني العباس ببغداد

ملوك مصر بعد ضعف الخلافة العباسية

وفي خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه افتتحت الديار المصرية والبلاد الشامية على يد عمر بن العاص، و لم تزل في النيابة أيام الخلفاء الراشدين ودولة بني أمية وبني العباس إلى أن ضعفت الخلافة العباسية بعد قتل المتوكل بن المعتصم بن الرشيد سنة سبع وأربعين ومائتين.

وتغلب على النواحي كل متملك لها فانفرد أحمد بن طولون بمملكة مصر والشام ثم دولة الاخشيد وبعده كافور أبو المسك. ولما مات قدم جوهر القائد من قبل المعز الفاطمي من المغرب فملكها من غير ممانع وأسس القاهرة وذلك في سنة إحدى وستين وثلاثمائة. وقدم المعز إلى مصر بجنوده وأمواله ومعه رمم آبائه وأجداده محمولة في توابيت، وسكن بالقصرين وأدعى الخلافة لنفسه دون العباسيين. وأول ظهور أمرهم في سنة سبعين ومائتين فظهر عبد الله بن عبيد الملقب بالمهدي وهو جد بني عبيد الخلفاء المصريين العبيديين الروافض باليمن، وأقام على ذلك إلى سنة ثمان وسبعين فحج تلك السنة وأجتمع بقبيلة من كنانة فأعجبهم حاله فصحبهم إلى مصر، ورأى منهم طاعة وقوة فصحبهم إلى المغرب فنما شأنه وشأن أولاده من بعده إلى أن حضر المعز لدين الله أبو تميم معد بن اسمعيل بن القائم ابن المهدي إلى مصر وهو أولهم، فملكوا نيفا ومائتين من السنين، إلى أن ضعف أمرهم في أيام العاضد وسوء سياسة وزيره شاور فتملكت الإفرنج بلاد السواحل الشامية وظهر بالشام نور الدين محمود بن زنكي، فاجتهد في قتال الإفرنج واستخلص ما استولوا عليه من بلاد المسلمين، وجهز أسد الدين شيركوه بعساكر لأخذ مصر، فحاصرها نحو شهرين، فاستنجد العاضد بالإفرنج فحضروا من دمياط فرحل أسد الدين إلى الصعيد فجبى خراجه ورجع إلى الشام. وقصد الإفرنج الديار المصرية في جيش عظيم وملكوا بلبيس، وكانت إذ ذاك مدينة حصينة ووقعت حروب بين الفريقين فكانت الغلبة فيها على المصريين، وأحاطوا بالإقليم براً وبحراً وضربوا على أهله الضرائب.

ثم أن الوزير شاور أشار بحرق الفسطاط فأمر الناس بالجلاء عنها وأرسل عبيده بالشعل والنفوط فأوقدوا فيها النار فاحترقت عن آخرها واستمرت النار بها أربعة وخمسين يوما، وأرسل الخليفة العاضد يستنجد نور الدين وبعث إليه بشعور نسائه فأرسل إليه جنداً كثيفاً وعليهم أسد الدين شيركوه وأبن أخيه صلاح الدين يوسف، فارتحل الإفرنج عن البلاد وقبض أسد الدين على الوزير شاور الذي أشار بحرق المدينة، وصلبه وخلع العاضد على أسد الدين الوزارة فلم يلبث أن مات بعد خمسة وستين يوما، فولى العاضد مكانه ابن أخيه صلاح الدين وقلده الأمور ولقبه الملك الناصر، فبذل لله همته وأعمل حيلته وأخذ في إظهار السنة وإخفاء البدعة. فثقل أمره على الخليفة العاضد، فابطن له فتنة أثارها في جنده ليتوصل بها إلى هزيمة الأكراد وإخراجهم من بلاده، فتفاقم الأمر وانشقت العصا ووقعت حروب بين الفريقين أبلى فيها الناصر يوسف وأخوه شمس الدولة بلاء حسنا، وانجلت الحروب عن نصرهما فعند ذلك ملك الناصر القصر وضيق على الخليفة وحبس أقاربه وقتل أعيان دولته واحتوى على ما في القصور من الذخائر والأموال والنفائس، بحيث استمر البيع فيه عشر سنين غير ما اصطفاه صلاح الدين لنفسه.

وخطب للمستضيئ العباسي بمصر وسير البشارة بذلك إلى بغداد ومات العاضد قهراً، وأظهر الناصر يوسف الشريعة المحمدية

وطهر الإقليم من البدع والتشييع والعقائد الفاسدة، وأظهر عقائد أهل السنة والجماعة وهي عقائد الأشاعرة والماتريدية، و بعث إليه أبو حامد الغزالي بكتاب ألفه له في العقائد، فحمل الناس على العمل بما فيه ومحا من الإقليم مستنكرات الشرع وأظهر الهدي ولما توفي نور الدين الشهيد انضم إليه ملك الشام وواصل الجهاد وأخذ في استخلاص ما تغلب عليه الكفار من السواحل وبيت المقدس بعد ما أقام بيد الإفرنج نيفاً وإحدى وتسعين سنة، وأزال ما أحدثه الإفرنج من الآثار والكنائس.

و لم يهدم القيامة اقتداء بعمر رضي الله عنه، وافتتح الفتوحات الكثيرة واتسع ملكه و لم يزل على ذلك إلى أن توفي سنة تسع وثمانين وخمسمائة، و لم يترك إلا أربعين درهما وهو الذي أنشأ قلعة الجبل وسور القاهرة العظيم. وكان المشد على عمائره بهاء الدين قراقوش، ثم استمر الأمر في أولاده وأولاد أخيه الملك العادل وحضر الإفرنج أيضاً إلى مصر في أيام الملك الكامل بن العادل وملكوا دمياط وهدموها، فحاربهم شهوراً حتى أجلاهم وعمرت بعد ذلك دمياط هذه الموجودة في غير مكانها، وكانت تسمى بالمنشية، والكامل هذا هو الذي أنشأ قبة الشافعي رضي الله عنه عندما دفن بجواره موتاهم، وأنشأ المدرسة الكاملية بين القصرين المعروفة بدار الحديث.

الملوك الأيوبية

وفي أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل حضر الإفرنج وملكوا دمياط وزحفوا إلى فارسكور، واستمر الملك الصالح يحاربهم أربعة عشر شهراً وهو مريض، وانحصر جهة الشرق وأنشأ المدينة المعروفة بالمنصورة، ومات بها سنة سبع وأربعين وستمائة والحرب قائمة، وأخفت زوجته شجرة الدر موته ودبرت الأمور حتى حضر أبنه توران شاه من حصن كيفا وانهزمت الإفرنج وأسر ملكهم ريدا وكانوا طائفة الفرنسيس والملك الصالح هذا هو أول من اشترى المماليك واتخذ منهم جنداً كثيفاً وبنى لهم قلعة الروضة وأسكنهم بها وسماهم البحرية، ومقدمهم الفارس اقطاي. والملك الصالح هو الذي بنى المدارس الصالحية بين القصرين ودفن بقبة بنيت له بجانب المدرستين.

ولما أنهزم الإفرنج ومات الصالح وتملك ابنه توران شاه استوحش من مماليك أبيه واستوحشوا منه، فتعصبوا عليه وقتلوه بفارسكور، و قلدوا في السلطنة شجرة الدر ثلاثة أشهر ثم خلعت، وهي آخر الدولة الأيوبية ومدة ولايتهم إحدى وثمانون سنة.

الملوك التركية

ثم تولى سلطنة مصر عز الدين أيبك التركماني الصالحي سنة ثمان وأربعين وستمائة، وهو أول الدولة التركية بمصر. ولما قتل ولوا أبنه المظفر علي، فلما وقعت حادثة التتار العظمى خلع المظفر لصغره وتولى الملك المظفر قطز، وخرج بالعساكر المصرية لمحاربة التتار، فظهر عليهم وهزمهم و لم تقم لهم قائمة بعد ذلك بعد أن كانوا ملكوا معظم المعمور من الأرض وقهروا الملوك وقتلوا العباد وخربوا البلاد.

وفي سنة أربع وخمسين وستمائة ملكوا سائر بلاد الروم بالسيف وفي البحر. فلما فرغوا من ذلك صنيعه نزل هولاكو خان وهو ابن طولون بن جنكيز خان على بغداد، وذلك سنة ست وخمسين وهي إذ ذاك كرسي مملكة الإسلام ودار الخلافة فملكها،

وقتلوا ونهبوا وأسروا من بها من جمهور المسلمين والفقهاء والعلماء والأئمة والقراء والمحدثين وأكابر الأولياء والصالحين، وفيها خليفة رب العالمين وأمام المسلمين وأبن عم سيد المرسلين، فقتلوه وأهله وأكابر دولته، وجرى في بغداد ما لم يسمع بمثله في الآفاق. ثم أن هولاكو خان أمر بعد القتلى فبلغوا ألف ألف وثمانمائة ألف وزيادة، ثم تقدم التتار إلى بلاد الجزيرة واستولوا على حران والرها وديار بكر في سنة سبع وخمسين، ثم جاوزوا الفرات ونزلوا على حلب في سنة ثمان وخمسين وستمائة واستولوا عليها، وأحرقوا المساجد وجرت الدماء في الأزقة وفعلوا ما لم يتقدم مثله.

ثم وصلوا إلى دمشق وسلطانها الناصر يوسف بن أيوب فخرج هاربا وخرج معه أهل القدرة ودخل التتار إلى دمشق وتسلموها بالأمان، ثم غدروا بهم وتعدوها فوصلوا إلى نابلس ثم إلى الكرك وبيت المقدس، فخرج سلطان مصر بجيش الترك الذين تهابهم الأسود وتقل في أعينهم أعداد الجنود فالتقاهم عند عين جالوت، فكسرهم وشردهم وولوا الأدبار، وطمع الناس فيهم يتخطوهم. ووصلت البشائر بالنصر فطار الناس فرحاً.

ودخل المظفر إلى دمشق مؤيداً منصوراً وأحبه الخلق محبة عظيمة وساق بيبرس خلف التتار إلى بلاد حلب وطردهم وكان السلطان وعد بحلب ثم رجع عن ذلك. فتأثر بيبرس وأضمر له الغدر وكذلك السلطان، وأسر ذلك إلى بعض خواصه فأطلع بيبرس فساروا إلى مصر وكل منهما محترس من صاحبة، فاتفق بيبرس مع جماعة من الأمراء على قتل المظفر فقتلوه في الطريق.

الملك بيبرس

ودخل بيبرس مصر سلطاناً وتلقب بالملك الظاهر، وذلك سنة ثمان وخمسين وستمائة، وهو السلطان ركن الدين أبو الفتح بيبرس البندقداري الصالحي النجمي أحد المماليك البحرية، وعندما استقر بالقلعة أبطل المظالم والمكوس وجميع المنكرات وجهز الحج بعد انقطاعه اثنتي عشرة سنة بسبب فتنة التتار، وقتل الخليفة، ومنافقة أمير مكة مع التتار. فلما وصلوا إلى مكة منعوهم من دخول المحمل ومن كسوة الكعبة، فقال أمير المحمل لأمير مكة: أما تخاف من الملك الظاهر بيبرس؟ فقال: دعه يأتيني على الخيل البلق. فلما رجع أمير المحمل وأخبر السلطان بما قاله أمير مكة، جمع له في السنة الثانية أربعة عشر ألف فرس أبلق، وجهزهم صحبة أمير الحج وخرج بعدهم على ثلاث نوق عشاريات، فوافاهم عند دخولهم مكة وقد منعهم التتار وأمير مكة، فحاربوهم فنصرهم الله عليهم، وقتل ملك التتار وأمير مكة طعنه السلطان بالرمح وقال له: أنا الملك الظاهر جئتك على الخيل البلق. فوقع إلى الأرض وركب السلطان فرسه ودخل إلى مكة وكسا البيت وعاد إلى مصر واستقر ملكه حتى مات بدمشق سابع عشري المحرم سنة ست وسبعين وستمائة، ومدته سبع عشرة سنة وشهران واثنا عشر يوما، وحج سنة سبع وستين وستمائة.

ولذلك خبر طويل ذكره العلامة المقريزي في ترجمته في تواريخه وفي الذهب المسبوك، فيمن حج من الخلفاء والملوك، وكان من أعظم الملوك شهامة وصرامة وانقياداً للشرع، وله فتوحات وعمارات مشهورة ومآثر حميدة ومنها رد الخلافة لبني العباس، وذلك أنه لما جرى على بغداد وقتل الخليفة وبقيت ممالك الإسلام بلا خلافة ثلاث سنوات، حضر شخص من أولاد الخلفاء الفارين في الواقعة إلى عرب العراق ومعه عشرة من بني مهارش، فركب الظاهر للقائه ومعه القضاة وأهل الدولة فأثبت نسبه

على يد قاضي القضاة تاج الدين بن بنت الأعز، ثم بويع بالخلافة فبايعه السلطان وقاضي القضاة والشيخ عز الدين بن عبد السلام ثم الكبار على مراتبهم، ولقب بالمستنصر وركب يوم الجمعة وعليه السواد إلى جامع القلعة وخطب خطبة بليغة ذكر فيها شرف بني العباس، ودعا فيها للسلطان وللمسلمين، ثم صلى بالناس ورسم بعمل خلعة خليفة إلى السلطان وكتب له تقليدا، وقرأ بظاهر القاهرة بحضرة الجمع وألبس الخليفة السلطان الخلعة بيده وفوض إليه الأمور وركب السلطان بالخلعة والتقليد محمول على رأسه، ودخل من باب النصر وزينت القاهرة والأمراء مشاة بين يديه ورتب له اتابكياً واستاداراً وخازنداراً وحاجباً وشرابياً وكاتباً وعين له خزانة وجملة مماليك ومائة فرس وثلاثين بغلاً وعشر قطارات جمال إلى أمثال ذلك.
ثم أنه عزم على التوجه إلى العراق فخرج معه السلطان وشيعه إلى دمشق وجهز معه ملوك الشرق صاحب الموصل وصاحب سنجار والجزيرة، وغرم عليه وعليهم ألف ألف دينار وستين ألف دينار وسافروا حتى تجاوزوا هيت فلاقاهم التتار فحاربوهم فعدم الخليفة و لم يعلم له خبر.
وبعد أيام حضر شخص آخر من بني العباس وكان أيضا مختفيا عند بني خفاجة، فتوصل مع العرب إلى دمشق وأقام عند الأمير عيسى بن مهنا فأخبر به صاحب دمشق فطلبه وكاتب السلطان في شأنه، فأرسل يستدعيه فأرسله مع جماعة من أمراء العرب فلما وصل إلى القاهرة وجد المستنصر قد سبقه بثلاثة أيام فلم ير أن يدخل إليها فرجع إلى حلب، فبايعه صاحبها ورؤساؤها، ومنهم عبد الحليم بن تيمية، وجمع خلقاً كثيراً وقصد عانة ولقب بالحاكم. فلما خرج المستنصر وافاه بعانة فانقاد له هذا ودخل تحت طاعته وخاصته، فلما قدم المستنصر قصد الحاكم الرحبة وجاء إلى عيسى ابن مهنا فكاتب الملك الظاهر فيه، فطلبه فقدم إلى القاهرة ومعه ولده وجماعته فأكرمه الملك الظاهر وبايعوه بالخلافة كما سبق للمستنصر، وأنزله بالبرج الكبير بالقلعة.
واستمرت الخلافة بمصر وأقام الحاكم فيها نيفا وأربعين سنة وهذه من مناقب الملك الظاهر.
ولما مات الملك الظاهر تولى بعده ابنه الملك السعيد ثم أخوه الملك العادل، وكان صغيراً والأمر لقلاوون، فخلعه واستبد بالملك ولقب بالملك المنصور قلاوون الألفي الصالحي النجمي جد الملوك القلاوونية، وهو صاحب الخيرات والبيمارستان المنصوري والمدرسة والقبة التي دفن بها، وله فتوحات بسواحل البحر الرومي ومصافات مع التتار وغير ذلك. تولى سنة ثمان وسبعين وستمائة ومات أواخر مدته إحدى عشر سنة.

وتولى بعده ابنه الملك الأشرف خليل بن قلاوون وكان بطلاً شجاعاً ذا همة علية ورياسة مرضية، خانه أمراؤه وغدروه وقتلوه بترانة جهة البحيرة سنة ثلاث وتسعين وستمائة، ونقل لتربته التي أنشأها بالقرب من المشهد النفيسي بجانب مدرسة أخيه الصالح علي بن قلاوون. مات في حياة أبيه وكان هو أكبر أولاده مرشحاً للسلطنة.
ولما مات الأشرف تولى بعده أخوه الملك الناصر محمد بن قلاوون الألفي الصالحي النجمي. أقيم في السلطنة وعمره تسع سنين، فأقام سنة وخلع بمملوك أبيه زين الدين "كتبغا" الملك العادل، فثار الأمير حسام الدين لاجين المنصوري نائب السلطنة على العادل وتسلطن عوضه، ثم ثار عليه طغى وكبرى فقتلاه وقتلا أيضا. واستدعى الناصر من الكرك فقدم وأعيد إلى السلطنة مرة ثانية، فأقام عشر سنين وخمسة أشهر محجورا عليه، والقائم بتدبير الدولة الأميران بيبرس الجاشنكير وسلار نائب السلطنة، فدبر لنفسه في سنة ثمان وسبعمائة وأظهر أنه يريد الحج بعياله فوافقه الأميران على ذلك وشرعا في تجهيزه وكتب إلى دمشق

والكرك برمي الإقامات، وألزم عرب الشرقية بحمل الشعير فلما تهيأ لذلك احضر الأمراء تقاد معهم الخيل والجمال، ثم ركب إلى بركة الحاج، وتعين معه للسفر جماعة من الأمراء. وعاد بيبرس وسلار من غير أن يترجلا له عند نزوله بالبركة فرحل من ليلته وخرج إلى الصالحية، وعيد بها، وتوجه إلى الكرك فقدمها في عاشر شوال ونزل بقلعتها وصرح بأنه قد ثنى عزمه عن الحج، واختار الإقامة بالكرك وترك السلطنة ليستريح، وكتب إلى الأمراء بذلك وسأل أن ينعم عليه بالكرك والشوبك وأعاد من كان معه من الأمراء وسلمهم الهجن وعدتها خمسمائة هجين والمال والجمال وجميع التقادم، وأمر نائب الكرك بالمسير عنه وتسلطن بيبرس الجاشنكير، وتلقب بالملك المظفر وكتب للناصر تقليداً بنيابة الكرك. فعندما وصله التقليد مع آل ملك، اظهر البشر وخطب باسم المظفر على منبر الكرك وأنعم على البريد الحاج آل ملك وأعاده، فلم يتركه المظفر وأخذ يناكده ويطلب منه من معه من المماليك الذين اختارهم للإقامة عنده والخيول التي أخذها من القلعة والمال الذي أخذه من الكرك. وهدده فحنق لذلك وكتب إلى نواب الشام يشكو ما هو فيه، فحثوه على القيام لأخذ ملكه ووعدوه بالنصرة فتحرك لذلك، وسار إلى دمشق واتت النواب إليه: وقدم إلى مصر، وفر بيبرس وطلع الناصر إلى القلعة يوم عيد الفطر سنة تسع وسبعمائة، فأقام في الملك اثنتين وثلاثين سنة وثلاثة أشهر، ومات في ليلة الخميس حادي عشري ذي الحجة سنة إحدى وأربعين وسبعمائة، وعمره سبع وخمسون سنة وكسور، ومدة سلطنته ثلاث وأربعون سنة وثمانية أشهر وتسعة أيام.

وكان ملكاً عظيماً جليلاً كفوءاً للسلطنة ذا دهاء محباً للعدل والعمارة، وطابت مدته وشاع ذكره وطار صيته في الآفاق وهابته الأسود وخطب له في بلاد بعيدة.

ومن محاسنه أنه لما أستبد بالملك أسقط جميع المكوس من أعمال الممالك المصرية والشامية، وراك البلاد وهو الروك الناصري المشهود، وأبطل الرشوة وعاقب عليها فلا يتقلد المناصب إلا مستحقها بعد التروي والامتحان واتفاق الرأي، ولا يقضي إلا بالحق. فكانت أيامه سعيدة وأفعاله حميدة.

وفي أيامه كثرت العمائر، حتى يقال أن مصر والقاهرة زادا في أيامه أكثر من النصف، وكذلك القرى بحيث صارت كل بلدة من القرى القبلية والبحرية مدينة على انفرادها، وله ولأمرائه مساجد ومدارس وتكايا مشهورة وحضر في أوائل دولته القان غازات بجنود التتار فخرج إليهم بعساكر مصر وهزمهم مرتين. وبعض مناقبه تحتاج إلى طول ونحن لا نذكر إلا لمعاً فمن أراد الإطلاع عليها فعليه بالمطولات. وفي السيرة الناصرية مؤلف مخصوص مجلدان ضخمان ينقل عنه المؤرخون وللصفي الحلي فيه مرثية رائية بليغة نحو ستين بيتا.

ولما مات دفن على والده بالقبة المنصورية بين القصرين. وتولى من أولاده وأولاد أولاده اثنا عشر سلطانا، منهم السلطان حسن صاحب الجامع بسوق الخيل بالرميلة، ومن شاهده عرف علو همته بين الملوك، هو الذي ألف باسمه الشيخ بن أبي حجلة التلمساني كتبه العشرة، والتي منها ديوان الصبابة والسكردان وطوق الحمامة وحاطب ليل وقرع سن.

ومنهم الملك الأشرف شعبان بن حسين بن الملك الناصر محمد، وهو الذي أمر الأشراف بوضع العلامة الخضراء في عمائمهم وفي ذلك يقول بعضهم:

جعلوا لأبناء النبي علامة   أن العلامة شأن من لم يشهر

وفي أيام الأشرف هذا قدمت الإفرنج إلى الإسكندرية على حين غفلة ونهبوا أموالها وأسروا نساءها، ووصل الخبر إلى مصر فتجهز الأشرف وسار بعساكره، فوجدهم قد ارتحلوا عنها وتركوها. ولهذه الواقعة تاريخ أطلعت عليه في مجلدين، ويقال أن الفرنساوي الذي يكون في أذنه قرط أمه أصلها من النساء المأسورات في تلك الواقعة.

وفي أيامه كثر عبث المماليك الأجلاب فأمر بإخراجهم من مصر فتجمعوا وعصوا فحاربهم وقاتلهم فانهزموا فقبض على كثير منهم، فقتل منهم طائفة وغرق منهم طائفة ونفى منهم طائفة، وبقي منهم بمصر طائفة التجئوا إلى بعض الأمراء، وهؤلاء المماليك كانوا من مماليك يلبغا العمري مملوك السلطان حسن، ومنهم صرغتمش واسند مروآجاي اليوسفي، وهم كثيرون مختلفي الأجناس، ومنهم من جنس الجركس فلم يزالوا في اختلاف ومقت وهياج وحقد للدولة إلى أن تحيلوا وتراجعوا وتدخلوا في الدولة فاستقر أمرهم على أن طائفة منهم سكنوا بالطباق، ودخلوا في مماليك الأسياد أي أولاد السلطان، ومنهم من بقي أمير عشرة لا غير، ومنهم من انضم إلى المماليك السلطانية ومماليك الأمراء، وكانوا أرذل مذكور في الإقليم المصري. فلما عزم الأشرف على الحج وأخذ في أسباب ذلك، انتهزوا عند ذلك الفرصة وكتموا أمرهم ومكروا مكرهم، وتواعدوا مع أصحابهم الذين بصحبة السلطان أنهم يثيرون الفتنة مع السلطان في العقبة، وكذلك المقيمون بمصر يفعلون فعلهم حتى ينقضوا نظام الدولة ويزيلوا السلطان والأمراء.

ولما خرج السلطان من مصر خرج في أبهة عظيمة وتجمل زائد، بعد أن رتب الأمور وأستخلف بمصر وثغورها من يثق به، وأخذ بصحبته من لا يظن فيه الخيانة، ومنهم جملة من الجلبان وأبقى منهم ومن غيرهم بمصر كذلك، ولا ينفع الحذر من القدر.

فلما خرج السلطان وبعد عن مصر أثاروا الفتنة بعد أن استمالوا طائفة من المماليك السلطانية، وفعلوا ما فعلوه ونادوا بموت السلطان وولوا أبنه، ووقفوا مستعدين منتظرين فعل أصحابهم الغائبين مع السلطان وثار أيضا أصحابهم على السلطان في العقبة فانهزم بعد أمور طالا المجيء إلى مصر، وصحبته الأمراء الكبار وبعض المماليك، ونهبت الخزينة والحج، وذهب البعض إلى الشام والبعض إلى الحجاز والبعض إلى مصر صحبة حريم السلطان، وجرى ما هو مسطر في الكتاب من ذبح الأمراء واختفاء السلطان وخنقه، وتمكن هؤلاء الأجلاب من الدولة، ونهبوا بيوت الأموال وذخائر السلطان واقتسموا محاظيه، وكذلك الأمراء، ووصل كل صعلوك منهم لمراتع الملوك وأزالوا عز الدولة القلاوونية، وأخذوا لأنفسهم الأمريات والمناصب، وأصبح الذين كانوا بالأمس أسفل الناس ملوك الأرض يجبى إليهم ثمرات كل شيء.

الجراكسة

ثم وقعت فيهم حوادث وحروب أسفرت عن ظهور برقوق الجركسي أحد مماليك يلبغا العمري واستقراره أميراً كبيراً. وكان غاية في الدهاء والمكر فلم يزل يدبر لنفسه حتى عزل بن الأشرف وأخذ السلطنة لنفسه وهو أول ملوك الجراكسة بمصر.

وبالأشرف شعبان هذا وأولاده زالت دولة القلاوونية وظهرت دولة الجراكسة.

أولهم برقوق وبعده أبنه فرج وأستمر الملك فيهم وفي أولادهم إلى الأشرف قانصوه الغوري، وابتداء دولتهم سنة أربع وثمانين وسبعمائة، وانقضاؤها سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة فتكون مدة دولتهم مائة سنة وتسعة وثلاثين سنة. وسبب انقضائها فتنة السلطان سليم شاه ابن عثمان وقدومه إلى الديار المصرية، فخرج إليه سلطان مصر قانصوه الغوري فلاقاه عند مرج دابق بحلب وخامر عليه أمراؤه خير بك والغزالي، فخذلوه وفقدوه و لم يزل حتى تملك السلطان سليم الديار المصرية والبلاد الشامية. وأقام خير بك نائبا بها كما هو مسطر ومفصل في تواريخ المتأخرين، مثل مرج الزهور لابن إياس وتاريخ القرماني وابن زتبل وغيرهم. وعادت مصر إلى النيابة كما كانت في صدر الإسلام، ولما خلص له أمر مصر عفا عمن بقي من الجراكسة وأبنائهم، و لم يتعرض لأوقاف السلاطين المصرية، بل قرر مرتبات الأوقاف والخيرات والعلوفات وغلال الحرمين والأنبار ورتب للأيتام والمشايخ والمتقاعدين ومصارف القلاع والمرابطين، وأبطل المظالم والمكوس والمغارم. ثم رجع إلى بلاده وأخذ معه الخليفة العباسي، وانقطعت الخلافة والمبايعة واخذ صحبته ما انتقاه من أرباب الصنائع التي لم توجد في بلاده بحيث أنه فقد من مصر نيف وخمسون صنعة.

ولما توفي تولى بعد ابنه المغازي السلطان سليمان عليه الرحمة والرضوان، فأسس القواعد وتمم المقاصد نظم الممالك وأنار الحوالك ورفع منار الدين وأخمد نيران الكافرين، وسيرته الجميلة أغنت عن التعريف، وتراجمه مشحونة بها التصانيف. و لم تزل البلاد منتظمة في سلكهم ومنقادة تحت حكمهم، من ذلك الأوان الذي استولوا عليها فيه إلى هذا الوقت الذي نحن فيه، وولاة مصر نوابهم وحكامهم أمراؤهم.

وكانوا في صدر دولتهم من خير من تقلد أمور الأمة بعد الخلفاء المهديين، وأشد من ذب عن الدين وأعظم من جاهد في المشركين. فلذلك اتسعت ممالكهم بما فتحه الله على أيديهم وأيدي نوابهم، وملكوا أحسن المعمور من الأرض ودانت لهم الممالك في الطول والعرض. هذا مع عدم إغفالهم الأمر وحفظ النواحي والثغور وإقامة الشعائر الإسلامية والسنن المحمدية، وتعظيم العلماء وأهل الدين وخدمة الحرمين الشريفين والتمسك في الأحكام والوقائع بالقوانين والشرائع. فتحصنت دولتهم وطالت مدتهم وهابتهم الملوك وانقاد لهم المالك والمملوك.

ومما يحسن إيراده هنا ما حكاه الأسحاقي في تاريخه، أنه لما تولى السلطان سليم ابن السلطان سليمان المذكور كان لوالده مصاحب يدعى شمسي باشا العجمي، ولا يخفى ما بين آل عثمان والعجم من العداوة المحكمة الأساس، فأقر السلطان سليم شمسي باشا العجمي مصاحباً على ما كان عليه أيام والده، وكان شمسي باشا المذكور له مداخل عجيبة وحيل غريبة يلقيها في قالب مرض ومصاحبة يسحر بها العقول، فقصد أن يدخل شيئا منكراً يكون سبباً لخلخلة دولة آل عثمان، وهو قبول الرشاوي من أرباب الولاة والعمال. فلما تمكن من مصاحبة السلطان قال له على سبيل العرض: عبدكم فلان المعزول من منصب كذا وليس بيده منصب الأن قصده من فيض إنعامكم عليه المنصب الفلاني ويدفع إلى الخزينة كذا وكذا. فلما سمع السلطان سليم ما أبداه شمسي باشا علم أنها مكيدة منه وقصده إدخال السوء بيت آل عثمان، فتغير مزاجه وقال له: يا رافضي تريد أن تدخل الرشوة بيت السلطنة حتى يكون ذلك سببا لأزالتها.وأمر بقتله فتلطف به وقال له: يا باشا لا تعجل هذه وصية والدك لي فإنه قال لي أن السلطان سليم صغير السن وربما يكون عنده ميل للدنيا، فاعرض عليه هذا الأمر فإن جنح إليه فامنعه بلطف فإن أمتنع فقل له هذه وصية والدك فدم عليها، ودعا له بالثبات وخلص من القتل.

فانظر يا أخي وتأمل فيما تضمنته هذه الحكاية من المعاني. وأقول بعد ذلك يضيق صدري ولا ينطلق لساني وليس الحال لمجهول حتى يفصح عنه اللسان بالقول وقد أخرسني العجز أن أفتح فما أفغير الله أبتغي حكماً. وفي أثناء الدولة العثمانية ونوابهم وأمرائهم المصرية، ظهر في عسكر مصر سنة جاهلية وبدعة شيطانية زرعت فيهم النفاق وأسست فيما بينهم الشقاق، ووافقوا فيها أهل الحرف اللئام في قولهم سعد وحرام، وهو أن الجند بأجمعهم اقتسموا قسمين و احتزبوا بأسرهم حزبين: فرقة يقال لها فقارية وأخرى تدعى قاسمية، ولذلك أصل مذكور وفي بعض سير المتأخرين مسطور لا بأس بإيراده في المسامرة تتميما للغرض في مناسبة المذاكرة، وهو أن السلطان سليم شاه لما بلغ من ملك الديار المصرية مناه وقتل من قتل من الجراكسة وسامهم في سوق المواكسة، قال يوماً لبعض جلسائه وخاصته وأصدقائه: يا هل ترى هل بقي أحد من الجراكسة نراه، وسؤال من جنس ذلك ومعناه. فقال له خير بك: نعم أيها الملك العظيم هنا رجل قديم يسمى سودون الأمير طاعن في السن كبير، رزقه الله تعالى بولدين شهمين بطلين لا يضاهيهما أحد في الميدان ولا يناظرهما فارس من الفرسان. فلما حصلت هذه القضية تنحى عن المفارشة بالكلية وحبس ولديه بالدار وسد أبوابه بالأحجار، وخالف العادة واعتكف على العبادة. وهو إلى الآن مستمر على حالته مقيم في بيته وراحته. فقال السلطان: هذا والله رجل عاقل خبير كامل ينبغي لنا أن نذهب لزيارته ونقتبس من بركته وإشارته، قوموا بنا جملة نذهب إليه على غفلة لكي أتحقق المقال وأشاهده على أي حالة هو من الأحوال. ثم ركب في الحال ببعض الرجال إلى أن توصل إليه ودخل عليه ، فوجده جالسا على مسطبة الإيوان وبين يديه المصحف وهو يقرأ القرآن، وعنده خدم واتباع وعبيد ومماليك أنواع، فعندما عرف أنه السلطان بادر لمقابلته بغير توان وسلم عليه ومثل بين يديه، فأمره بالجلوس ولاطفه بالكلام المأنوس إلى أن اطمأن خاطره وسكنت ضمائره، فسأله عن سبب عزلته وامتناعه عن خلطته بعشيرته، فأجابه أنه لما رأى في دولتهم اختلال الأمور وترادف الظلم والجور وأن سلطانهم مستقل برأيه فلم يصغ إلى وزير ولا عاقل مشير، وأقصى كبار دولته وقتل أكثرهم بما أمكنه من حيلته وقلد مماليكه الصغار مناصب الأمراء الكبار ورخص لهم فيما يفعلون وتركهم وما يفترون، فسعوا بالفساد وظلموا العباد وتعدوا على الرعية حتى في المواريث الشرعية، فانحرفت عنه القلوب وابتهلوا إلى علام الغيوب، فعلمت أن أمره في أدبار ولابد لدولته من الدمار، فتنحيت عن حال الغرور وتباعدت عن نار الشرور، ومنعت ولدي من التداخل في الأهوال وحبستهما عن مباشرة القتال خوفاً عليهما، لما أعلمه فيهما من الأقدام، فيصيبهما كغيرهما من البلاء العام. فإن عموم البلاء منصوص واتقاء الفتن بالرحمة مخصوص. ثم أحضر ولديه المشار إليهما وأخرجهما من محبسهما، فنظر إليهما السلطان فرأى فيهما مخايل الفرسان الشجعان وخاطبهما فأجاباه بعبارة رقيقة وألفاظ رشيقة، و لم يخطئا في كل ما سألهما فيه و لم يتعديا في الجواب فضل التشبيه والتنبيه، ثم أحضروا ما يناسب المقام من موائد الطعام، فأكل وشرب ولذ وطاب، وحصل له مزيد الانشراح وكمال الارتياح. وقدم الأمير سودون إلى السلطان تقادم وهدايا وتفضل عليه الخان أيضا بالأنعام والعطايا، وأمر بالتوقيع لهم حسب مطالبهم. ورفع درجة منازلهم ومراتبهم، ولما فرغ من تكرمه وإحسانه ركب عائداً إلى مكانه وأصبح ثاني يوم ركب السلطان مع القوم، وخرج إلى الخلا بجمع من الملا، وجلس ببعض القصور ونبه على جميع أصناف العساكر بالحضور، فلم يتأخر منهم أمير ولا كبير ولا صغير، فطلب الأمير سودون وولديه، فحضرا بين يديه فقال لهم: أتدرون لم طلبتكم وفي هذا المكان جمعتكم. فقالوا: لا يعلم ما في القلوب إلا علام الغيوب

فقال: أريد أن يركب قاسم وأخوه ذو الفقار ويترامحا ويتسابقا بالخيل في هذا النهار. فامتثلا أمره المطاع لأنهما صارا من الجند والأتباع فنزلا وركبا ورمحا ولعبا واظهرا من أنواع الفروسية الفنون، حتى شخصت فيهما العيون، وتعجب منهما الأتراك لأنهم ليس لهم في ذلك الوقت أدراك. ثم أشار إليهما فنزلا عن فرسيهما وصعدا إلى أعلى المكان فخلع عليهما السلطان وقلدهما أمارتان، ونوه بذكرهما بين الأقران

وتقيدا بالركاب ولازما في الذهاب والإياب. ثم خرج في اليوم الثاني وحضر الأمراء والعسكر المتواني، فأمرهم أن ينقسموا بأجمعهم قسمين وينحازوا بأسرهم فريقين، قسم يكون رئيسهم ذو الفقار والثاني أخوه قاسم الكرار. وأضاف إلى ذو الفقار أكثر فرسان العثمانيين وإلى قاسم أكثر الشجعان المصريين، وميز الفقارية بلبس الأبيض من الثياب وأمر القاسمية أن يتميزوا بالأحمر في الملبس والركاب. وأمرهم أن يركبوا في الميدان على هيئة المتحاربين وصورة المتنابذين المتخاصمين، فأذعنوا بالانقياد وعلوا على ظهور الجياد وساروا بالخيل وانحدروا كالسيل، وانعطفوا متسابقين ورمحوا متلاحقين، وتناوبوا في النزال واندفعوا كالجبال، وساقوا في الفجاج وأثاروا العجاج، ولعبوا بالرماح وتقابلوا بالصفاح، وارتفعت الأصوات وكثرت الصيحات، وزادت الهيازع وكثرت الزعازع، وكاد الخرق يتسع على الراقع وقرب أن يقع القتل والقتال فنودي فيهم عند ذلك بالانفصال. فمن ذلك اليوم افترق أمراء مصر وعساكرها فرقتين واقتسموا بهذا اللعبة حزبين. واستمر كل منهم على محبة اللون الذي ظهر فيه وكره اللون الآخر في كل ما يتقلبون فيه، حتى أواني المتناولات والمأكولات والمشروبات والفقارية يميلون إلى نصف سعد والعثمانيين، والقاسمية لا يألفون النصف حرام والمصريين. وصار فيهم قاعدة لا يتطرقها اختلال ولا يمكن الانحراف عنها بحال من الأحوال، ولم يزل الأمر يفشو ويزيد ويتوارثه السادة والعبيد حتى تجسم ونما واهريقت فيه الدماء. فكم خربت بلاد وقتلت أمجاد وهدمت دور وأحرقت قصور وسبيت أحرار وقهرت أخيار.

وقيل غير ذلك وأن أصل القاسمية ينسبون إلى قاسم بك الدفتردار تابع مصطفى بك، والفقارية نسبة إلى ذي الفقار بك الكبير، وأول ظهور ذلك من سنة خمسين وألف والله أعلم بالحقائق. وأتفق أن قاسم بك المذكور انشأ في بيته قاعة جلوس وتأنق في تحسينها وعمل فيها ضيافة لذي الفقار بك أمير الحاج المذكور، فأتى عنده وتغدى عنده بطائفة قليلة ثم قال له ذو الفقار بك: وأنت أيضا تضيفني في غد، وجمع ذو الفقار مماليكه في ذلك اليوم صناجق وأمراء واختيارية في الوجاقات وحضر قاسم بك بعشرة من طائفته واثنين خواسك خلفه والسعاة والسراج، فدخل عنده في البيت وأوصى ذو الفقار أن لا أحد يدخل عليهما إلا بطلب، إلى أن فرشوا السماط وجلس صحبته على السماط. فقال قاسم بك: حتى يقعد الصناجق والاختيارية. فقال ذو الفقار: أنهم يأكلون بعدنا هؤلاء جميعهم مماليكي عندما أموت يترحمون علي ويدعون لي وأنت قاعتك تدعو لك بالرحمة لكونك ضيعت المال في الماء والطين. فعند ذلك تنبه قاسم بك وشرع ينشئ إشراقات، كذلك وكانت الفقارية موصوفة بالكثرة والكرم، والقاسمية بكثرة المال والبخل. وكان الذي يتميز به أحد الفريقين من الآخر إذا ركبوا في المواكب أن يكون بيرق الفقاري أبيض ومزاريقه برمانة، وبيرق القاسمية أحمر ومزاريقه بجلبة. ولم يزل الحال على ذلك.

واستهل القرن الثاني عشر، وأمراء مصر فقارية وقاسمية: فالفقارية ذو الفقار بك وإبراهيم بك أمير الحاج ودرويش بك واسمعيل بك ومصطفى بك قزلار وأحمد بك قزلار بجدة ويوسف بك القرد وسليمان بك بارم ذيله ومرجان جوزبك كان أصله

قهوجي السلطان محمد قلدوه صنجقا فقاريا بمصر، الجميع تسعة وأمير الحاج منهم، والقاسمية مراد بك الدفتر دار ومملوكه ايواظ بك وإبراهيم بك أبو شنب وقانصوه بك وأحمد بك منوفيه وعبد الله بك. ونواب مصر من طرف السلطان سليمان بن عثمان في أوائل القرن، حسن باشا السلحدار سنة تسع وتسعين وألف وسنة مائة وواحد بعد الألف والسلطان في ذلك الوقت السلطان سليمان بن إبراهيم خان وتقلد إبراهيم بك أبو شنب إمارة الحاج واسمعيل بك الدفتردار وذلك سنة تسع وتسعين.

وفي أواخر الحجة سنة تسع وتسعين وألف حصلت واقعة عظيمة بين إبراهيم بك ابن ذي الفقار وبين العرب الحجازيين خلف جبل الجيوشي وقتلوا كثيراً من العرب ونهبوا أرزاقهم ومواشيهم، وأحضر منهم أسرى كثيرة ووقفت العرب في طريق الحج تلك السنة بالشرفة فقتلوا من الحاج خلقاً كثيراً وأخذوا نحو ألف جمل بأحمالها، وقتلوا خليل كتخدا الحج فعين عليهم خمسة أمراء من الصناجق فوصلوا إلى العقبة وهرب العربان. وفي أيامه سافر ألفاً شخص من العسكر وألبسوا عليهم مصطفى بك طكوز جلان وسافروا إلى ادرنه في غرة جمادى الأولى سنة مائة وألف. وفي رابع جمادى الثانية خنق الباشا كتخدا بعد أن أرسله إلى دير الطين على أنه يتوجه إلى جرجا لتحصيل الغلال وذلك لذنب نقمه عليه.

وفي شعبان نقب المحابيس العرقانة وهرب المسجونون منها.

وفي أيامه غلت الأسعار مع زيادة النيل وطلوعه في أوانه على العادة ثم عزل حسن باشا ونزل إلى بيت محمد بك حاكم جرجا المقتول وتولى قيطاس بك قائمقام فكانت مدته هذه المرة سنة واحدة وتسعة أشهر. ثم تولى أحمد باشا وكان سابقا كتخدا إبراهيم باشا الذي مات بمصر وحضر أحمد باشا من طريق البر وطلع إلى القلعة في سادس عشر المحرم سنة مائة وإحدى وألف، ووصل آغا بطلب ألفي عسكري وعليهم صنجق يكون عليهم سر دار فعينوا مصطفى بك حاكم جرجا سابقاً، وسافر في منتصف جمادى الآخرة.

وفي هذا التاريخ سافرت تجريدة عظيمة إلى ولاية البحيرة والبهنسا وعليهم صنجقان، وتوجهوا في ثاني عشر جمادى الآخرة وسافر أيضا خلفهم اسمعيل بك وجميع الكشاف وكتخدا الباشا وأغوات البلكات وكتخدا الجاويشية وبعض اختيارية، وحاربوا ابن وافي وعربانه مراراً ثم وقعت بينهم وقعة كبيرة فهزم فيها الأحزاب وولوا منهزمين نحو الغرق، وأما قيطاس بك وحسن آغا بلغيا وكتخدا الباشا فأنهم صادفوا جمعاً من العرب في طريقهم فأخذوهم ونهبوا مالهم وقطعوا منهم رؤوساً، ثم حضر والي مصر. وفي أنامهم كانت وقعة ابن غالب شريف مكة ومحاربته بها مع محمد بك حاكم جدة فكانت الهزيمة على الشريف.

وتولى السيد محسن بن حسين بن زيد إمارة مكة ونودي بالأمان بعد حروب كثيرة، وزينت مكة ثلاثة أيام بلياليها، وذلك في منتصف رجب، ومرض أحمد باشا وتوفي ثاني عشر جمادى الآخرة سنة اثنتين ومائة وألف، ودفن بالقرافة فكانت مدته سنة واحدة وستة أشهر. ومن مآثره ترميم الجامع المؤيدي وقد كان تداعى إلى السقوط فأمر بالكشف عليه وعمره ورمه. وفي رابع عشر رجب توفي قيطاس بك الدفتر دار. وفي ثاني يوم حضر قانصوه بك تابع المتوفى من سفره بالخزينة مكان كتخدا الباشا المتولي قائمقام، بعد موت سيده، فألبس قانصوه بك دفتردار ثم ورد مرسوم بولاية علي كتخدا الباشا قائمقام، وأذن بالتصرف إلى آخر مسرى فكانت مدة تصرفه أربعة وتسعين يوماً، ثم تولى علي باشا وحضر من البحر إلى القلعة في ثاني عشر رمضان

سنة اثنتين ومائة وألف، وحضر صحبته تترخان وأقام بمصر إلى أن توجه إلى الحج ورجع على طريق الشام. وفي ثاني عشر القعدة حضر قرا سليمان من الديار الرومية ومعه مرسوم مضمونه الخبر بجلوس السلطان أحمد بن السلطان إبراهيم، فزينت مصر ثلاثة أيام وضربت مدافع من القلعة. وفي ثالث عشر صفر سنة ثلاث ومائة وألف ورد نجاب من مكة وأخبر بان الشريف سعد تغلب على محسن وتولى إمارة مكة فأرسل الباشا عرضاً إلى السلطنة بذلك. وفي ثامن ربيع أول ورد مرسوم مضمونه ولاية نظر الدشابش والحرمين لأربعة من الصناجق، فتولى إبراهيم بك ابن ذي الفقار أمير الحج حالاً عوضاً عن اغات مستحفظان ومراد بك الدفتردار على المحمدية عوضاً عن كتخدا مستحفظان، وعبد الله بك على وقف الخاصكية عوضاً عن كتخدا العزب، واسمعيل بك على أوقاف الحرمين عوضاً عن باش جاويش مستحفظان. فألبسهم علي باشا قفاطين على ذلك. وفي مستهل رمضان من السنة حضر من الديار الرومية الشريف سعد بن زيد بولاية مكة وتوجه إلى الحجاز. وفي شهر شوال سافر علي كتخدا أحمد باشا المنوفي إلى الروم. وفي تاريخه تقلد اسمعيل بك الدفتردارية عوضا عن مراد بك. وفي ثالث عشر شوال قتل جلب خليل كتخدا مستحفظان ببابهم وحصلت في بابهم فتنة أثارها كحك محمد وأخرجوا سليم أفندي من بلكهم ورجب كتخدا والبسوهما الصنجقية في ثالث عشرينه، وأبطل كجك محمد الحمايات من مصر باتفاق السبع بلكات، وأبطلوا جميع ما يتعلق بالعزب والإنكشارية من الحمايات بالثغور وغيرها. وكتب بذلك بيورلدي ونادوا به في الشوارع.

وفي غرة القعدة قبض الباشا على سليم أفندي وخنقه بالقلعة و نزل إلى بيته محمولاً في تابوت، وتغيب رجب كتخدا ثم استعفى من الصنجقية فرفعوها عنه وسافر إلى المدينة. وفي ثامن عشر ربيع الأول ورد مرسوم بتزيين الأسواق بمصر وضواحيها بمولودين توأمين رزقهما السلطان أحمد سمي أحدهما سليمان والآخر إبراهيم. وفي ثاني عشر شعبان سافر حسين بك أبو يدك بألف نفر من العسكر لاحقاً بإبراهيم بك أبي شنب وقد كان سافر في أواخر ربيع الأول لقلعة كريد. وفي ثاني عشر رمضان سنة خمس ومائة وألف الموافق الحادي عشر بشنس، هبت ريح شديدة وتراب أظلم منه الجو وكان الناس في صلاة الجمعة فظن الناس أنها القيامة وسقطت المركب التي على منارة جامع طولون وهدمت دوركثيرة.

سنة ست ومائة وألف

وقصر مد النيل تلك السنة وهبط بسرعة فشرقت الأراضي ووقع الغلاء والفناء. وفي شهر الحجة سافر أناس من مكة إلى دار السلطنة وشكوا من ظلم الشريف سعد، فعين إليه محمد بك نائب جدة واسمعيل باشا نائب الشام فوردا بصحبة الحاج، فتحاربوا معه ونزعوه ونهب العسكر منزله وولوا الشريف عبد الله بن هاشم على مكة، ثم بعد عود الحاج رجع سعد وتغلب وطرد عبد الله بن هاشم. وفي هذه السنة وقعت مصالحات في المال الميري بسبب الري والشراقى. وفي ثاني عشر جمادى الآخرة حضر الشريف أحمد بن غالب أمير مكة مطروداً من الشريف سعد. وفي ثامن عشر رجب سنة ألف ومائة وستة ورد الخبر بجلوس السلطان مصطفى بن محمد. وفي ثاني عشر شعبان طلع أحمد بك بموكب مسافر اباش على ألف عسكري إلى انكروس، وطلع بعده أيضا في سابع عشرينه اسمعيل بك بألف عسكري، لمحافظة رودس بموكب إلى بولاق، فأقام بها ثلاثة أيام ثم سافر إلى الإسكندرية.

وفي رابع شعبان ورد مرسوم بضبط أموال نذير آغا واسمعيل آغا الطواشيين فسجنوهما بباب مستحفظان وضبطوا أموالهما وختموها.

وفي خامس شوال أنهى أرباب الأوقاف والعلماء والمجاورون بالأزهر إلى علي باشا امتناع الملتزمين من دفع خراج الأوقاف وخراج الرزق المرصدة على المساجد، وما يلزم من تعطيل الشعائر، فأمر الملتزمين بدفع ما عليهم من غير توقف فامتثلوا.

وفي شوال أرسل الباشا إلى مراد بك الدفتردار بعمل جمعية في بيته بسبب غلال الانبار، فاجتمعوا وتشاوروا في ذلك، فوقع التوافق أن البلاد الشرقي تبقى غلالها إلى العام المقبل، وأما الري فيدفع ملتزموها ما عليهم. وأخذوا أوراقا بيعت بالثمن اشتراها الملتزمون من أرباب الاستحقاق عن الجراية مائة وخمسون نصفاً، وغلق الملتزمون ما عليهم بشراء الوصولات.

وفي ثاني عشر شوال ورد الخبر من منفلوط بان الشريف فارس بن اسمعيل التيتلاوي قتل عبد الله بن وافي شيخ عرب المغاربة.

وفي حادي عشر القعدة ورد آغا بمرسوم بمبيع متاع نذير آغا واسمعيل آغا المعتقلين وضبط أثمانها، ما عدا الجواهر والذخائر التي اختلسوها من السرايا فأنها تبقى بأعيانها وأن يفحص عن أموالهما وأماناتهما وأن يسجنا في قلعة الينكجرية، ففعل بهم ذلك، وبلغ أثمان المبيعات ألفا وأربعمائة كيس، خلاف الجواهر والذخائر فأنها جهزت مع الأموال صحبة الخزينة على يد سليمان بك كاشف ولاية المنوفية.

سنة سبع ومائة وألف

وفي منتصف المحرم

أجتمع الفقراء والشحاذون رجالاً ونساءً وصبياناً وطلعوا إلى القلعة ووقفوا بحوش الديوان وصاحوا من الجوع، فلم يجبهم أحد، فرجموا بالأحجار. فركب الوالي وطردهم، فترلوا إلى الرميلة ونهبوا حواصل الغلة التي بها ووكالة القمح وحاصل كتخدا الباشا وكان ملآناً بالشعير والفول، وكانت هذه الحادثة ابتداء الغلاء حتى بيع الاردب القمح بستمائة نصف فضة، والشعير بثلاثمائة، والفول بأربعمائة وخمسين، والأرز بثمانمائة نصف فضة، وأما العدس فلا يوجد. وحصل شدة عظيمة بمصر وأقاليمها وحضرت أهالي القرى والأرياف حتى امتلأت منهم الأزقة واشتد الكرب حتى أكل الناس الجيف ومات الكثير من الجوع، وخلت القرى من أهاليها، وخطف الفقراء الخبز من الأسواق ومن الأفران ومن على رؤوس الخبازين. ويذهب الرجلان والثلاثة مع طبق الخبز يحرسونه من الخطيف وبأيديهم العصي حتى يخبزوه بالفرن ثم يعودون به. واستمر الأمر على ذلك إلى أن عزل علي باشا في ثامن عشر المحرم سنة سبع ومائة ألف.

وورد مسلم اسمعيل باشا من الشام وجعل إبراهيم بك أبا شنب قائمقام، ونزل علي باشا إلى مترل أحمد كتخدا العزب المطل على بركة الفيل، فكانت مدته أربع سنوات وثلاثة أشهر وأياماً، ثم تولى اسمعيل باشا وحضر من البر وطلع إلى القلعة بالموكب على العادة في يوم الخميس سابع عشر صفر، فلما استقر في الولاية ورأى ما فيه الناس من الكرب والغلاء، أمر بجميع الفقراء والشحاذين بقراميدان، فلما اجتمعوا أمر بتوزيعهم على الأمراء والأعيان، كل إنسان على قدر حاله وقدرته، وأخذ لنفسه جانبا ولأعيان دولته جانباً، وعين لهم ما يكفيهم من الخبز والطعام صباحاً ومساءً، إلى أن انقضى الغلاء وأعقب ذلك وباء عظيم، فأمر الباشا بيت المال أن يكفن الفقراء والغرباء فصاروا يحملون الموتى من الطرقات ويذهبون بهم إلى مغسل السلطان عند سبيل المؤمن، إلى أن انقضى أمر الوباء، وذلك خلاف من كفنه الأغنياء وأهل الخير من الأمراء والتجار وغيرهم، وانقضى ذلك في آخر شوال. وتوفي فيه الشيخ زين العابدين البكري، وإبراهيم بك ابن ذي الفقار أمير الحاج وغيرهما.

ولما انقضى ذلك عمل الباشا مهما عظيما لختان ولده إبراهيم بك، وختن معه ألفين وثلاثمائة وستة وثلاثين غلاما من أولاد الفقراء، ورسم لكل غلام بكسوة كاملة ودينار.

وورد مرسوم بمحاسبة علي باشا المنفصل فحوسب، فطلع عليه ستمائة كيس، فختموا مترله وباعوا موجوداته حتى غلق ذلك.

وورد أمر بالزينة بسبب نصره فزينت المدينة وضواحيها ثلاثة أيام.

وفي رجب ورد مرسوم بطلب ألفين من العسكر وأميرهم مراد بك فلبس الخلع هو وأرباب المناصب وسافروا في حادي عشر شعبان. وفي سابع عشر رجب سنة سبع ومائة وألف تقلد قيطاس بك تابع أمير الحاج ذي الفقار بك الصنجقية عوضا عن ابن سيده إبراهيم بك، وورد الإفراج عن نذير آغا ورتب له خمسمائة عثماني وخمس جرايات وعشر علائف في ديوان مصر، واستمر رفيقه اسمعيل آغا في السجن. وفي رابع رجب ورد أحمد بك من السفر وفي سابعه تقلد أيوب بك إمارة الحج. وفي ثاني شعبان ورد اسمعيل راجعا من السفر

سنة ثمان ومائة وألف

وفي ثالث عشر ربيع الأول

ورد أمر بتزيين أسواق مصر سروراً بمولود للسلطان وسمي محموداً. وورد أيضا الخبر باستشهاد مراد بك.

قتل ياسف اليهودي

وفي ثالث عشر رمضان من السنة قامت العساكر على ياسف اليهودي. قتلوه وجروه من رجله وطرحوه في الرميلة، و قامت الرعايا فجمعوا حطباً وأحرقوه، وذلك يوم الجمعة بعد الصلاة. وسبب ذلك أنه كان ملتزماً بدار الضرب في دولة علي باشا المنفصل، ثم طلب إلى اسلامبول وسئل عن أحوال مصر فأملى أموراً والتزم بتحصيل الخزينة زيادة عن المعتاد، وحسن بمكره أحداث محدثات، ولما حضر مصر تلقته اليهود من بولاق واطلعوه إلى الديوان وقرأت الأوامر التي حضر بها ووافقه الباشا على أجرائها وتنفيذها. وأشهر النداء بذلك في شوارع مصر فاغتنم الناس وتوجه التجار وأعيان البلد إلى الأمراء وراجعوهم في ذلك فركب الأمراء والصناجق وطلعوا إلى القلعة، وفاوضوا الباشا فجادلهم بما لا يرضيهم فقاموا عليه قومة واحدة، وسألوه أن يسلمهم اليهودي فامتنع من تسليمه، فاغلظوا عليه وصمموا على أخذه منه فأمرهم بوضعه في العرقانة ولا يشوشوا عليه حتى ينظروا في أمره، ففعلوا به كما أمرهم، فقامت الجند على الباشا وطلبوا أن يسلمهم اليهودي المذكور ليقتلوه فامتنع، فمضوا إلى السجن وأخرجوه وفعلوا به ما ذكر.

وفي تاريخه، أحضر الباشا الشيخ محمد الزرقاني أحد شهود المحكمة بسبب أنه كتب حجة وقف مترل آل إلى بيت المال، فأمر بحلق لحيته وتشهيره على جمل في الأسواق، والمنادي ينادي عليه: هذا جزاء من يكتب الحجج الزور. ثم أمر بنفيه إلى جزيرة الطينة.

وفي صفر وردت سكة دينار عليها طرة، فجمع الباشا الأمراء وأحضر أمين الضربخانة وسلمها له، وأمره أن يطبع بها وأن يكون عيار الذهب اثنين وعشرين قيراطا، والوزن كل مائة شريفي مائة وخمسة عشر درهما، وسعر أبي طرة مائة وخمسة عشر نصفاً.

وفي ذلك الشهر لبس عبد الرحمن بك على ولاية جرجا وتوجه إليها. وفي ثاني عشر ربيع الأول قامت العسكر المصرية وعزلوا الباشا، فكانت مدة اسمعيل باشا سنتين، وتقلد مصطفى بك قائمقام مصر إلى أن حضر حسين باشا من صيدا وطلع إلى القلعة في موكب عظيم

سنة تسع ومائة وألف

في منتصف رجب

ورد مرسوم بطلب تجهيز ألفي نفر من العسكر وعليهم يوسف بك المسلماني، فقضى أشغاله وسافر في تاسع عشر رمضان. وفي منتصف شهر ذي الحجة خرج اسمعيل باشا إلى العادلية ليسافر. وكان قد حاسبه حسين باشا، فتأخر عليه خمسون ألف اردب دفع عنها خمسين كيساً، وباع منزله وبلاد البدرشين التي كان قد وقفها، وتوجه إلى بغداد.

وفي سنة عشر ومائة وألف

أخذ أرباب الاستحقاقات الجراية والعلائف بثمن عن كل أردب قمح خمسة وعشرون نصفاً فضة، وكل رادب شعير ستة عشر نصفاً.

وفي آخر جمادى الثانية ظهر رجل من أهل الفيوم يدعى بالعليمي قدم إلى القاهرة وأقام بظهر القهوة المواجه لسبيل المؤمن فاجتمع عليه كثير من العوام وادعوا فيه الولاية، وأقبلت عليه الناس من كل جهة، واختلط النساء بالرجال، وكاد يحصل بسببه مفاسد عظيمة. فقامت عليه العسكر وقتلوه بالقلعة ودفن بناحية مشهد السيدة نفيسة رضي الله عنها.

وفي رابع عشر شوال كانت واقعة المغاربة من أهل تونس وفاس، وذلك أن من عادتهم أن يحملوا كسوة الكعبة التي تحمل كل سنة للبيت الحرام ويمرون بها في وسط القاهرة، وتحمل المغاربة جانباً منها للتبرك بها، ويضربون كل من رأوه يشرب الدخان في طريق مرورهم. فرأوا رجلاً من اتباع مصطفى كتخدا القازدغلي، فكسروا إنبوبته وتشاجروا معه وشجوا رأسه، وكان في مقدمتهم طائفة منهم متسلحون وزاد التشاجر واتسعت القضية وقام عليهم أهل السوق. وحضر أوده باشة البوابة فقبض على أكثرهم ووضعهم في الحديد وطلع بهم إلى الباشا، وأخبروه بالقضية، فأمر بسجنهم بالعرقانة. فاستمروا حتى سافر الحج من مصر ومات منهم جماعة في السجن ثم أفرج عن باقيهم.

ثم تولى قره محمد باشا، وحضر إلى مصر منتصف ربيع الثاني سنة إحدى عشرة ومائة وألف، وهو كتخدا اسمعيل باشا المتقدم ذكره. وفي أيامه سنة أربع عشرة حصلت حادثة الفضة المقصوصة والتسعيرة، وسيأتي خبر ذلك في ترجمة علي آغا مستحفظان.

وفي سنة خمس عشرة وردت الأخبار بوفاة السلطان مصطفى وجلوس السلطان أحمد بن محمد خان في سابع عشر ربيع الآخر منها، وأمر الباشا بقطع سقائف الدكاكين لأجل توسعة الطرق والأسواق، ففعل ذلك، ثم أمر بقطع الأرض وتمهيدها، فحفروا نحو ذراع أو أكثر من الأسواق ففعل ذلك. ثم أمر بقطع الأرض إلى أن كشفت الجدران. ومكث محمد باشا والياً بمصر خمس سنوات إلى أن عزل في شهر رجب سنة ست عشرة ومائة وألف. ومن مآثره تعمير الأربعين الذي بجوار باب قراميدان وأنشأ فيه جامعاً بخطبة وتكية لفقراء الخلواتية من الاروام، وأسكنهم بها وأنشأ تجاهها مطبخاً ودار ضيافة للفقراء وفي علوها مكتبا للأطفال يقرؤون فيه القرآن، ورتب لهم ما يكفيهم. وأنشأ فيما بينها وبين البستان المعروف بالغوري حماماً فسيحاً مفروشاً بالرخام الملون، وجدد بستان الغوري وغرس فيه الأشجار، ورمم قاعة الغوري التي بالبستان وعمر بجوار المترل سكن أميراخور، وبنى مسطبة عظيمة برسم إلباس القفاطين وتسليم المحمل لأمير الحج وأرباب المناصب، وعمر مسطبة يرمى عليها النشاب، وأنشأ الحمام البديع بقراميدان، ونقل إليه من القلعة حوض رخام صحن قطعة واحدة أنزلوه من السبع حدارات وعملوا به فسقية في وسط المسلخ، وعمر بالقرافة مقام سيدي عيسى بن سيدي عبد القادر الجيلاني، وجعل به فقراء مجاورين، ورتب لهم ما يكفيهم وأنشأ صهريجاً بداخل القلعة بجوار نوبة الجاويشية، ورتب فيها خمسة عشر نفراً يقرؤون القرآن كل يوم

بعد الشمس، وهو الذي تسبب في قتل عبد الرحمن بك حاكم جرجا لحزازة معه من أجل مخدومه اسمعيل باشا، وسيأتي تتمة ذلك في خبره عند ذكر ترجمته.

وتولى رامي محمد باشا وكان تولى الوزارة في زمن السلطان مصطفى وانفصل عنها وجعل محافظاً بجزيرة قبرص ثم حضر منها والياً على مصر، فطلع إلى القلعة في يوم الاثنين سادس شعبان سنة ست عشرة ومائة وألف. وفي سبع عشرة تقلد قيطاس بك إمارة الحج عوضاً عن أيوب بك. وفي تلك السنة توقف النيل عن الزيادة فضج الناس وابتهلوا بالدعاء وطلب الاستسقاء، واجتمعوا على جبل الجيوشي وغيره من الأماكن المعروفة بإجابة الدعاء، فاستجاب الله لهم في حادي عشر توت وشذ ذلك من النوازل، فروى بعض البلاد، وهبط سريعاً فحصل الغلاء وبلغ سعر الاردب القمح مائتين وأربعين فضة، والفول كذلك والعدس مائتي نصف فضة، والشعير مائة نصف فضة، والأرز أربعمائة نصف فضة الاردب وبيع اللحم الضاني كل رطل بثلاثة أنصاف فضة والجاموسي والبقري بنصفي فضة، والسمن القنطار بستمائة نصف فضة، والزيت بثلاثمائة وخمسين، والدجاجة بثمانية أنصاف. وعلى هذا فقس والبيض كل ثلاث بيضات بنصف والرطل الشمع الدهن بثمانية أنصاف، وكثر الشحاذون في الأزقة وفي سنة ثمان عشرة لم يأت من اليمن ولا من الهند مراكب فشح القماش الهندي، وغلا البن حتى بلغ القنطار ألفين وسبعمائة وخمسين نصفاً، وغلا الشاش فبيع الفرحات خان بأربعمائة نصف فضة، والخنكاري بسبعمائة نصف.

وفي سادس رجب عزل محمد باشا وحضر مسلم علي باشا.

وفي تاسعه نزل محمد باشا من القلعة في موكب عظيم وسكن بمترل أحمد كتخدا العزب سابقاً المطل على بركة الفيل بالقرب من حمام السكران. ووصل علي باشا من طريق البحر وذهبت إليه الملاقاة على العادة، وأرسى بساحل بولاق يوم الاثنين تاسع شعبان، وهو في نحو ألف ومائتي نفس خلاف الأتباع.

وفي ثاني عشر شعبان سنة ثمان عشرة ركب بالموكب وطلع إلى القلعة وضربوا المدافع لقدومه.

وفي أواخر هذا الشهر وقعت فتنة بين العزب والمتفرقة، وسببها إن شخصاً من تلك العزب يسمى محمد أفندي كاتب صغير سابقاً ثم بعد عزله تولى خليفة في ديوان المقابلة، وحصل له تهمة عزل بها من المقابلة، ثم عمل سردار بالإسكندرية على طائفة العرب، وعمل كتخدا القبودان وركب في المراكب، وأشيع أنه غرق في البحر، فحلوا اسمه وماله من التعلقات في بابه وغيره. وبعد مدة حضر إلى مصر وطلع إلى الديوان وصحح اسمه الذي في العزب وجراياته وتعلقاته، وبقي له بعض تعلقات لم يقدر على خلاصها و لم يساعده أهل بابه وأهملوا أمره، فتغير خاطره منهم وذهب إلى بلك المتفرقة وانضم إليهم وسألهم أن يخرجوه من العزب ويدخلوه فيهم، وجعل يركب معهم كل يوم للديوان ويمر على باب العزب. فبينما هو ذات يوم طالع إلى الديوان إذ وقف له جماعة من العزب وقبضوا على لجام فرسه وأنزلوه من على فرسه وحبسوه في بابهم. وبلغ الخبر المتفرقة وهم في الديوان وحضر محمد أمين بيت المال في العزب، وكان في ذلك اليوم نائباً عن باش جاويش لتمرضه. فعاتبه جماعة المتفرقة على ما فعله جماعته فاغلظ عليهم في الجواب، فقبضوا عليه من أطواقه وأرادوا ضربه، فدخل بينهم المصلحون وخلصوه من أيديهم. فترل إلى باب العزب وأخبرهم بما فعله المتفرقة فاجتمعت طائفة العزب ووقفوا على بابهم، فلما مر عليهم اثنان من جماعة المتفرقة نازلين إلى منازلهم، وهما محمد الابدال وصاري علي، فلما حاذياهم هجم عليهما طائفة العزب هجمة واحدة

وضربوهما ضرباً مؤلماً وأنزلوهما عن الخيل وشجوهما، ونهبوا ما على الخيل من العدد، واخذوا ما عليهما من الملبوس. فلما وصل الخبر للمتفرقة اجتمعوا مع بقية الوجاقات وقعدوا في باب الينكجرية وأنهوا أمرهم إلى الأغوات والصناجق وأهل الحل والعقد، واستمروا على ذلك ثلاثة أيام إلى أن وقع التوافق على إخراج أربعة أنفار الذين كانوا سبباً لإشعال نار الفتنة، ونفيهم من مصر، وهم أحمد كتخدا العزب ومحمد أمين بيت المال، والشريف محمد باش أوده باشه، ومحمد أفندي قاضي أوغلي الذي كان الباعث على ذلك، فوافق على ذلك الجميع وصمموا عليه فسفروهم إلى جهة الصعيد.

وفي ثاني شهر الحجة عزل علي آغا مستحفظان وتولى عوضه رضوان آغا كتخدا الجاوشية سابقاً، وركب بالشعار المعلوم وقطع ووصل وأمر أهل الأسواق أن يدفعوا الأرطال في دار الضرب بالدمغة السلطانية. وجعلوا على كل دمغة نصف فضة فتحصل من ذلك مال له صورة.

وفي سابع عشر المحرم سنة تسع عشرة ومائة وألف توفي اسمعيل بك الدفتردار وولي أيوب بك عوضه وهو الذي كان أمير الحاج سابقاً.

وفي سادس صفر ورد مرسوم من السلطان أحمد بأن يكون عيار الذهب اثنين وعشرين قيراطاً، وكانوا يقطعونه على ستة عشر.

وفي يوم الخميس ورد أمر بحبس محمد باشا الرامي وبيع كامل ما يملكه من متاع ملبوس وغيره، فحبس بقصر يوسف صلاح الدين وأبطال والي البحر الذي يتولى من باب العزب. وفيه وصل الحجاج وقد تأخروا إلى نصف صفر بسبب دخول مراكب الهند وشراء ما بها من الأقمشة. وفي شهر ربيع حبس جماعة من أتباع الباشا وهو الكتخدا والخازندار وغيرهم من أرباب الكلمة.

وفي ثامن عشر جمادى الآخرة تقلد إبراهيم بك الدفتردارية عوضاً عن أيوب بك بموجب مرسوم سلطاني، وفيه عزل رضوان آغا مستحفظان وتولى أحمد آغا ابن بكير أفندي عوضاً عنه. وفيه ورد أمر بأبطال نوبة محمد باشا ونفيه إلى جزيرة رودس، فنزل من يومه إلى بولاق وأقام بها إلى أن سافر.

وفي أوائل رجب ورد أمر بعزل علي باشا وحبسه في قصر يوسف واستخلاص ما عليه من الديون إلى تجار اسلامبول، وجعل إبراهيم بك قائمقام، وحبس علي باشا وبيعت موجوداته، وفيها وقعت فتنة بباب الينكجرية، فعزلوا إفرنج أحمد باشا أوده باشا وحسين أوده باشا ثم نفوهم إلى الطينة بدمياط.

ووردت الأخبار بولاية حسين باشا على مصر وقدومه إلى الإسكندرية فقدم إلى مصر في ثالث عشري شعبان سنة تسع عشرة. وفيه سافر الشريف يحيى بن بركات إلى مكة بمرسوم سلطاني. وفيه فر إفرنج أحمد أوده باشا وحسين آغا من حبس الطينة ودخلا مصر ليلاً فاختبآ عند آغات الجراكسة والتجأ حسين إلى باب التفكجية.

وفي خامس عشرينه طلع حسين باشا إلى القلعة بالموكب المعتاد على العادة.

وفي سادس عشرينه أجتمع الينكجرية بالباب بأسلحتهم لما بلغهم قدوم إفرنج أحمد إلى مصر، وقالوا لابد من نفيه ورجوعه إلى الطينة فعاند في ذلك طائفة الجراكسة وامتنعوا من التسليم فيه، وقالوا: لابد من نقله من وجاقكم. وساعدهم بقية البلكات،

و لم يوافق الينكجرية على ذلك، ومكثوا ببابهم يومين وليلتين، وكذلك فعل كل بلك ببابه. فاجتمع كل العلماء والمشايخ على الصناجق والأعيان وخاطبوهم في حسم الفتنة، فوقع الاتفاق على أن يجعلوه صاحب طبلخانة، وأرسلوا له القفاطين مع كتخدا الباشا وأرباب الدرك، وأحضروه إلى مجلس الآغا وقرؤوا عليه فرمان الصنجقية وأن خالف يكون عليه بخلاف ذلك، فامتثل الأمر ولبس الصنجقية، وطلع من مترل آغات الجراكسة بموكب عظيم إلى مترله ونزل له الصنجق السلطاني والطبلخانة في غايته.

ومن الحوادث أنه حضر كتخدا حسين باشا المذكور من طريق البحر بأوامر منها تحرير عيار الذهب على ثلاثة وعشرين قيراطاً، وأن يضربوا الزلاطة والعثامنة التي يقال لها الاخشاءة بدار الضرب، واحضر معه سكة لذلك، فامتنع المصريون من ذلك ووافقوا على تصحيح عيار الذهب فقط. وفي شهر شوال حضر آغا بمرسوم ببيع موجودات علي باشا المسجون فباعوها بالمزاد بالديوان.

وفي شهر الحجة ورد آغا بطلب خازندار إبراهيم بك الدفتردار وسببه أنه أنهى إلى السلطان أن خليل الخازندار المذكور أتاه رجل دلال بقوس فصار يجذبها ويتصرف فيها، وكان بجانبه رجل من العثمانيين، فأخذ القوس من يد خليل المذكور وأراد جذبها فلم يستطع، فتعجب من قوة خليل المذكور وأخذ منه القوس وسافر بها إلى الديار الرومية ليمتحن بها أهل ذلك الفن، فلم يقدر أحد على جذبها وأتصل خبرها بالسلطان فطلبها لجذبها فلم يستطع، فتعجب من صعوبتها فقال له الرجل أن بمصر مملوكاً عند إبراهيم بك أوترها وصار يجذبها حتى تجمع طرفاها، وعنده أيضاً مكحلة ثلاثون درهماً يرمي بها الهدف، وهو رامح على ظهر الحصان، فأمر السلطان بإحضاره فجهزه إبراهيم بك وأرسله.

سنة عشرين ومائة وألف

ورد قبودان يسمى جانم خوجه رئيس المراكب، وطلع إلى الديوان ومعه بقية الرؤساء، فلما أجتمع بالباشا أبرز له مرسوماً بتجهيز علي باشا إلى الديار الرومية، فجهز في ثامن عشرينه، ونزل بموكب فيه حسين باشا والصناجق والآغوات وأتباعهم، ونزل في السفائن وسافر في أوائل ربيع الأول.

وفي ثامن عشر شوال أجتمع عسكر بالديوان وأنهوا إلى الباشا أن محمد بك حاكم جرجا أنزل عربان المغاربة وأمنهم، وهذا يؤدي إلى الفساد، فعزلوه وولوا آخر اسمه محمد من أتباع قيطاس بك جعلوه صنجقاً وألبسوه على جرجا وهو الذي عرف بقطامش وستأتي أخباره.

وفي تاسع عشر شوال ورد محسن زاده أخو كتخدا الوزير أدخله حسين باشا بموكب حفل وطلع إلى القلعة،وأبرز مرسوماً بعزل ايواز بك وتولية محمد باشا محسن زاده في منصبه، فأنزله في غيط قراميدان إلى أن سافر صحبة الحاج الشريف.

ومن الحوادث أن في يوم الاثنين رابع عشر القعدة سنة عشرين ومائة وألف وقف مملوك لرجل يسمى محمد آغا الحلبي على دكان قصاب بباب زويلة ليشتري منه لحماً، فتشاجر مع حمار عثمان أوده باش البوابة، فأعلم عثمان بذلك فأرسل أعوانه وقبضوا على ذلك المملوك وأحضروه إليه. فأمر بحبسه في سجن الشرطة، فلما بلغ محمد جاويش سجن مملوكه حضر هو وأولاده وأتباعه إلى باب صاحب الشرطة لخلاص، مملوكه فتفاوضا في الكلام وحصل بينهما مشاجرة، فقبض عثمان أوده باشا على محمد جاويش المذكور وأودعه في السجن وركب إلى باش أوده باشا، وهو إذ ذاك سليمان ابن عبد الله، وطلع إلى كتخدا مستحفظان وعرض القصة، فلم يرضوا له بذلك وأمروه بإطلاقه، فرجع وأخرج محمد جاويش ومملوكه من السجن، وركب، ففي ثاني يوم الحادثة اجتمعت طائفة الجاويشية مع طائفة المتفرقة والثلاث بلكات الاسباهية والأمراء والصناجق والآغوات في الديوان، وطلبوا نفي عثمان أوده باشا المذكور، فلم توافقهم الينكجرية على ذلك، فطلعوا إلى الديوان وطلبوا عثمان المذكور للدعوى عليه، فحضر وأقيمت الدعوى بحضرة الباشا والقاضي. فأمر القاضي بحبس عثمان كما حبس محمد جاويش، فلم يرض الأخصام بذلك، وقالوا ألا بد من عزله ونفيه، فلم توافقهم الينكجرية فطلب العسكر من الباشا أمراً بنفيه، فتوقف في ذلك فتزلوا مغضبين واجتمعوا بمترل كتخدا الجاويشية، وأنزلوا مطبخهم من نوبة خاناه إلى مترل كتخدا الجاويشية صالح آغا وأقاموا به ثلاثة أيام ليلاً ونهاراً، وامتنعوا من التوجه إلى الديوان، ثم أجتمع أهل البلكات وتحالفوا أنهم على قلب رجل واحد، واتفقوا على نفي عثمان أوده باشا ثم اجتمعوا على الصناجق واتفقوا أن يكونوا معهم على طائفة الينكجرية لأنهم لم يعتبروهم. وأرسل الاسباهية مكاتبات لأنفارهم المحافظين مع الكشاف بالولايات يأمروهم بالحضور. وفي ذلك اليوم عزل أوده باش البوابة وولي خلافه.

وفي يوم الجمعة ثامن عشري الشهر حضر إلى طائفة الينكجرية من أخبرهم أن العسكر يريدون قتالهم، فأرسلوا القابجية إلى أنفارهم ليحضروا إلى الباب بآلة الحرب، فاجتمعوا وانزعج أهل الأسواق وقفل غالبهم دكاكينهم، ثم اطمأنوا بعد ذلك

وجلسوا في دكاكينهم. واستمر أهل الوجاقات الستة يجتمعون ويتشاورون في أبوابهم وفي مترل محمد آغا المعروف بالشاطر ومترل إبراهيم بك الدفتردار، و أما الينكجرية فأنهم كانوا يجتمعون بالباشا فقط.
وفي يوم الأحد رابع عشر ذي الحجة قدم محمد بك الذي كان بالصعيد في جند كثيف وأتباع كثيرة وطلع إلى ديوان مصر على عادة حكام الصعيد المعزولين ولبس الخلع السلطانية ونزل إلى بيته بالصليبة.
ثم أن أهل الوجاقات الست اجتمعوا واتفقوا على أبطال المظالم المتجددة بمصر وضواحيها وكتبوا ذلك في قائمة، واتفقوا أيضاً أن من كان له وظيفة بدار الضرب والانبار والتعريف بالبحرين أو المذبح لا يكون له جامكية في الديوان ولا ينتسب لوجاق من الوجاقات، وأن لا يحتمي أحد من أهل الأسواق في الوجاقات، وأن ينظر المحتسب في أمورهم ويحرر موازينهم على العادة، وأن يركب معه نائب من باب القاضي مباشرا معه وأن لا يتعرض أحد للمراكب التي ببحر النيل التي تحمل غلال الانبار، وأن يحمل الغلال المذكورة جميع المراكب التي ببحر النيل. ولا تختص مركب منها بباب من أبواب الوجاقات، وأن كل ما يدخل مصر من بلاد الأمناء باسم الأكل لا يؤخذ عليه عشر، وأن لا يباع شيء من قسم الحيوانات والقهوة إلى جنس الإفرنج، وأن لا يباع الرطل البن بأزيد من سبعة عشر نصفاً فضة. وأرسلوا القائمة المكتتبة إلى الباشا ليأخذوا عليها بيورلدي وينادي به في الأسواق. فتوقف الباشا في إعطاء البيورلدي، ولما بلغ الإنكشارية ما فعل هؤلاء اجتمعوا ببابهم وكتبوا قائمة نظير تلك القائمة بمظالم الخردة ومظالم اسباهية الولايات وغيرها، وأرسلوها إلى الباشا، فعرضها على أهل الوجاقات، فلم يعتبروها، وقالوا لابد من أجراء قائمتنا وأبطال ما يجب أبطال منها من المظالم.

وفي يوم الأحد حادي عشري الحجة اجتمع أهل الوجاقات ومعهم الصناجق بباب الغرب وقاضي العسكر ونقيب الأشراف بالديوان عند الباشا، وأرسلوا إلى الباشا أن يكتب لهم بيورلدي بأبطال ما سألوه فيه والمناداة به، وأن لم يفعل ذلك أنزلوه ونصبوا عوضه حاكماً منهم. وعرضوا ذلك على الدولة فلما تحقق الباشا منهم ذلك كتب لهم ما سألوه وكتب لهم القاضي أيضاً حجة على موجبة، ونزل بهما المحتسب وصاحب الشرطة ونائب القاضي وآغا من أتباع الباشا، ونادوا بذلك في الشوارع. وفي غاية الحجة سنة عشرين، كسف جرم الشمس في الساعة الثامنة واستمر سبع عشرة درجة ثم انجلت.

سنة إحدى وعشرين ومائة وألف

وفي يوم السبت رابع محرم سنة إحدى وعشرين ومائة وألف، أجتمع الينكجرية عند آغاتهم وتحالفوا أنهم على قلب رجل واحد، واجتمع أنفارهم جميعاً بالغيط المعروف بخمسين كتخدا وتحالفوا كذلك.

وفي سابعه أجتمع أهل الوجاقات بمترل إبراهيم بك الدفتردار وتصالحوا، على أن يكونوا كما كانوا عليه من المصافاة والمحبة بشرط أن ينفذوا جميع ما كتب في القائمة ونودي به ولا يتعرضوا في شيء منه، فلم يستمر ذلك الصلح.

وفي ليلة السبت حادي عشرة وقع في الجامع الأزهر فتنة بعد موت الشيخ النشرتي، وسيأتي ذكرها في ترجمة الشيخ عبد الله الشبراوي، ثم أن الينكجرية قالوا لا نوافق على نقل دار الضرب إلى الديوان حتى تكتبوا لنا حجة بأن ذلك لم يكن لخيانة صدرت منا ولا تخوف عليها، فامتنع أخصامهم من إعطاء حجة بذلك ثم توافق أهل البلكات الست على أن يعرضوا في شأن ذلك إلى باب الدولة، فإن أقرها في مكانها رضوا به وأن أمر بنقلها نقلت، فاجتمعوا هم ونقيب الأشراف ومشايخ السجاجيد وكتبوا العرض المذكور، ووضعوا عليه ختومهم، ما عدا الينكجرية، فإنهم امتنعوا من الختم، ثم أمضوه من القاضي وأرسلوه مع أنفار من البلكات وآغا من طرف الباشا في سادس عشري المحرم سنة إحدى وعشرين ومائة وألف. وأما الينكجرية فأنهم اجتمعوا ببابهم وكتبوا عرضاً من عند أنفسهم إلى أرباب الحل والعقد من أهل وجاقهم بالديار الرومية، وعينوا للسفرية علي أفندي كاتب مستحفظان سابقاً وأحمد جربجي وجهزوهم للسفر، فسافروا في يوم الاثنين سابع عشرينه.

وفي ثالث عشر ربيع الأول تقلد إمارة الحاج قيطاس بك مقرراً على العادة في صبيحة المولد النبوي في كل سنة، وكان أشيع أن بعض الأمراء سعى على منصب إمارة الحج فلما بلغ الينكجرية ذلك، اجتمعوا ببابهم لابسين سلاحهم وجلسوا خارج الباب الكبير على طريق الديوان، بناء على أنه أن لبس شخص إمارة الحج خلاف قيطاس بك لا يمكنوه من ذلك. فلما رأى الصناجق والأمراء ذلك منهم خافوهم، وقالوا هذه أيام تحصيل الخزينة ونخشى وقوع أمره من هؤلاء الجماعة إلى تعطيل المال، فاجتمع رأي الصناجق وأهل الوجاقات الست على نفي ستة أشخاص من الينكجرية الذين بيدهم الحل والعقد ويخرجونهم من مصر إلى بلاد التزامهم تسكيناً للفتنة، حتى يأتي جواب العرض. فلما بلغ الينكجرية ما دبروه، اجتمعوا في بابهم في عددهم وعددهم، فلم يلتفتوا إلى فعلهم، وقالوا: لابد من نفيهم أو محاربتهم. واجتمعوا كذلك في أبوابهم، واستعد الينكجرية في بابهم وشحنوه بالأسلحة والذخيرة والمدافع، فحصل لأهل البلد خوف وانزعاج وأغلقوا الدكاكين، وذلك سابع عشر ربيع الأول ونقل الجاويشية مطبخهم من القلعة من النوبة إلى مترل كتخدا الجاويشية، وأقام طائفة الينكجرية منهم طوائف محافظين على أبواب القلعة وباب الميدان والسحراء الذي بالمطبخ الموصل إلى القرافة، خوفاً من أن العسكر يستميلون الباشا ويترلونه الميدان، لأنهم كانوا أرسلوا له كتخدا الجاويشية وطلبوا منه الترول إلى قراميدان ليتداعوا مع الينكجرية على يد قاضي العسكر، فلم تمكنهم الينكجرية من ذلك وحصل لكتخدا الجاويشية ومن معه مشقة في ذلك اليوم من المذكورين عند عودهم من عند الباشا، وما خلصوا إلا بعد جهد عظيم.

وفي يوم الخميس عشري ربيع الأول أجتمع الصناجق والعسكر واختاروا محمد بك الذي كان بالصعيد لحصار القلعة من جهة

القرافة على جبل الجيوشي بالمدافع والعسكر، ففعل ما أمروا به وخافت العسكر وقوع نهب بالمدينة فعينوا مصطفى آغا أغات الجراكسة يطوف في أسواق البلد وشوارعها. كما كان يفعل في زمن عزل الباشا.

وفي يوم السبت ثاني عشرينه أجتمع الأمراء الصناجق والاسباهية بالرميلة وعينوا أحمد بك المعروف بإفرنج أحمد آغات التفكجية ليحاصروا طائفة الينكجرية من باهم المتوصل منه إلى المحجر وباب الوزير ويمنعوا من يصل إليهم بالإمداد. وأما الينكجرية الذين كانوا بالقاهرة فاجتمعوا بباب الشرطة واتفقوا على أن يدهموا العسكر المحافظين بالباب ويكشفوهم ويدخلوا إلى باب الينكجرية. فلما بلغ الصناجق ذلك والعسكر، عينوا إبراهيم الشهير بالوالي ومصطفى آغات الجبجية في طائفة من الاسباهية، فنزلوا إلى باب زويلة، ولما بلغ خبرهم الينكجرية الذين كانوا تجمعوا في باب الشرشة تفرقوا، فجلس مصطفى آغا محل جلوس الاوده باشا وإبراهيم بك في محل جلوس العسس، وانتشرت طوائفهم في نواحي باب زويلة و الخرق، واستمروا ليلة الأحد على هذا المنوال، فطلع في صبحها نقيب الأشراف والعلماء وقاضي العسكر وأرباب الاشاير واجتمعوا بالشيخونيتين بالصليبة وكتبوا فتوى بأن الينكجرية إن لم يسلموا في نفي المطلوبين وإلا جاز محاربتهم، وأرسلوا الفتوى صحبة جوخدار من طرف القاضي إلى باب الينكجرية، فلما قرأت عليهم تراخت عزائمهم وفشلوا عن المحاربة وسلموا في نفي المطلوبين بشرط ضمانهم من القتل، فضمنهم الأمراء الصناجق وكتبوا لهم حجة بذلك، فلما وصلتهم الحجة انزلوا الأنفار الثمانية المطلوبين إلى أمير اللواء ايواز بك ورضوان آغا، فتوجها بهم إلى بولاق، ومن هناك سافروا إلى بلاد الريف.
وفي يوم تاسع عشر ربيع الأخر ورد أمير اخوز صغير من الديار الرومية وطلع إلى القلعة وأبرز مرسومين قرئا بالديوان بمحضر الجميع أحدهما بأبطال المظالم والحمايات بموجب القائمة المعروضة من العسكر ونفي عطاء الله المعروف ببولاق وأحمدجلبي بن يوسف آغا، وأن يحاسبوا تجارة القهوة على مرابحة العشرة اثني عشر بعد رأس المال والمصاريف، والأمر الثاني بنقل دار الضرب من قلعة الينكجرية إلى حوش الديوان، وبناء قنطرة اللاهون بالفيوم وأن يحسب ما يصرف عليهما من مال الخزينة العامرة. وفي يوم تاريخه برز أمر من الباشا برفع صنجقية أحمد بك الشهير بإفرنج أحمد بك وإلحاقه بوجاق الجملية. وفي يوم السبت أجتمع أعيان مستحفظان بمنزل أحمد كتخدا المعروف بشهر اغلان وأرسلوا خلف إفرنج أحمد وتصالحوا معه وتعاهدوا على الصدق، وأن لا يغدرهم ولا يغدروه. ومضوا معه إلى الباب الجملي وأخذوا عرضه وركب الحمار في يوم الأحد وطلع إلى باب مستحفظان في جم غفير من الأوده باشية، وتقرر باش أوده باشا كما كان سابقاً وعاد إلى منزله.
وفي غاية الشهر رجع الأنفار الثمانية المنفيون وأخرجوهم من وجاق الينكجرية ووزعوهم على أهل الوجاقات باطلاع الأمراء الصناجق والآغوات.
وفي أوائل جمادى الأولى أرسل القاضي فأحضر مشايخ الحرف، وعرفهم أنه ورد أمر يتضمن أن لا يكون لأحد من أرباب الحرف والصنائع علاقة ولا نسبة في أحد الوجاقات السبع، فأجابوه بأن غالبهم عسكري وابن عسكري وقاموا على غير امتثال، ثم بلغ القاضي أنهم أجمعوا على إيقاع مكروه به، فخافهم وترك ذلك وتغافل عنه و لم يذكره بعد.
وفي هذه السنة أبطل الينكجرية ما كانوا يفعلونه من الاجتماع بالمقياس وعمل الاسمطة والجمعيات وغيرها عند تنظيفه.
وفي منتصف جمادى الثانية تم بناء دار الضرب التي أحدثوها بحوش الديوان وضرب بها السكة، وكان محلها قبل ذلك معمل

البارود، ونقل معمل البارود إلى محل بجوارها. وفيه لبس إبراهيم بك أبو شنب أميراً على الحج عوضاً عن قيطاس بك، وتولى قيطاس بك دفتردارية مصر عوضاً عن إبراهيم بك بموجب مرسوم بذلك من الأعتاب.

وفي تاسع عشر رمضان ورد الخبر بعزل حسين باشا وولاية إبراهيم باشا القبودان، ووردت منه مكاتبة بأن يكون حسين باشا نائباً عنه إلى حين حضوره، ولم يفوض أمر النيابة إلى أحد من صناجق مصر كما هو المعتاد وفي شهر شوال الموافق لكيهك القبطي ترادفت الأمطار وسالت الأودية حتى زاد بحر النيل بمقدار خمسة أذرع وتغير لونه لكثرة ممازجة الطفل للماء في الأودية، واستمرت الأمطار تترل وتسكب إلى غاية الشهر وكان ابتداؤها من غرة رمضان.

وفي منتصف ذي القعدة نزل حسين باشا من القلعة بموكب عظيم وأمامه الصناجق والآغوات إلى مترل الأمير يوسف آغا دار السعادة بسويقة عصفور، ووصل إبراهيم باشا القبو دان وطلع إلى القلعة في منتصف الحجة.

سنة اثنتين وعشرين ومائة وألف

وفي منتصف محرم سنة اثنين وعشرين ومائة وألف، أجتمع أهل البلكات السبعة بسبيل علي باشا بجوار الإمام الشافعي واتفقوا على نفي ثلاثة أنفار من بينهم، فنفوا في يوم الخميس من اختيارية الجاويشية قاسم آغا وعلي أفندي كاتب الحوالة، ومن وجاق المتفرقة علي أفندي المحاسبجي، وسببه أنهم اتهموا بأنهم يجتمعون بالباشا في كل وقت ويعرفونه بالأحوال، وأنهم أغروه بقطع الجوامك المكتتبة بأسماء أولاد وعيال المحلول عنهم، وأن العسكر راجعوه في ذلك فلم يوافقهم على ذلك، وأيضاً راجعه الاختيارية المرة بعد المرة، فقال لا أسلم إلا الوجاقات السبعة، فمن نقل اسمه فأني لا أعارضه،فرضوا بذلك وأخذوا منه فرماناً، فورد بعد ذلك سلحدار الوزير وعلى يده أوامر بأبطال المرتبات وأن من عاند في ذلك يؤدبه الحاكم، فأذعنوا بالطاعة، فأراد الباشا نفي الثلاثة أنفار من اختيارية العزب فلم توافق العسكر، ثم اتفق العسكر على كتابة عرض بالاستعطاف بإبقاء ذلك، وسافر به سبعة أنفار من الأبواب السبعة.

وفي يوم الخميس غاية ربيع الأول تقلد الأمير ايواز بك إمارة الحج عوضاً عن إبراهيم بك لضعف مزاجه ووهن قوته.

وفي أوائل جمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين ومائة وألف، ورد من الديار الرومية مرسوم قرئ بالديون مضمونه أن وزن الفضة المصرية زائد في الوزن عن وزن اسلامبول، والأمر بقطع الزائد، وأن تضرب سكة الجترلي ظاهرة ويحرر عياره على ثلاثة وعشرين قيراطاً.

وفي ثاني رجب حصلت زلزلة في الساعة الثامنة. وفيه ورد مرسوم بإبقاء المرتبات التي عرض في شأنها كما كانت ولكن لا يكتب بعد اليوم في التذاكر أولاد وعيال ولا ترتب على جهة وقف.

وفي خامس عشرة ورد عزل إبراهيم باشا وولاية خليل باشا وإقامة أيوب بك قائمقام، ونزل إبراهيم باشا من القلعة إلى منزل عباس آغا ببركة الفيل فكانت مدته ثمانية أشهر، ووصل خليل باشا الكوسنج وكان بصيدا من أعمال الشام، فقدم بالبر يوم الثلاثاء عاشر شعبان سنة اثنتين وعشرين ومائة ألف.

وفي ثاني عشر ذي القعدة ورد أمر بطلب ثلاثة آلاف من العسكر المصري وعليهم صنجق لسفر الموسقو، و كانت النوبة على محمد بك حاكم جاجاحالا فتعذر سفره، فأقيم بدله اسمعيل بك تابع ذي الفقار بك، فقلدوه الصنجقية وأمده محمد بك بأربعين كيساً مصرية، وجعله بدلاً عنه وألبس القفطان ثاني عشر الحجة.

سنة ثلاثة وعشرين ومائة وألف

ودخلت سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف، واستهل المحرم بيوم الخميس الموافق الرابع عشر أمشير القبطي، سابع شباط الرومي، وفي ذلك اليوم انتقلت الشمس لبرج الحوت. وفيه نزل اسمعيل بك بموكب وشق في وسط القاهرة إلى بولاق وسافر بالعسكر في منتصف المحرم.

وفي يوم الجمعة سادس عشرة أجتمع طائفة مصطفى كتخدا القازدغلي ومعه من أعيان الينكجرية خمسة عشر نفراً، واتفقوا أهم لا يرضون إفرنج أحمد باش اوده باشا، فإما يلبس الضلمة أو يكون جربجياً في الوجاق، وإن لم يرض بأحد الأمرين يخرج المذكورون من الوجاق ويذهبون إلى أي وجاق شاؤوا. وكان الاجتماع بباب العزب وساعدهم على ذلك أرباب البلكات الستة وصمموا أيضاً على رجوع الثمانية أنفار الذين كانوا أخرجوهم من باب الينكجرية، ومشت الصناجق بينهم والاختيارية، وصاروا يجتمعون تارة بمترل قيطاس بك الدفتردار وتارة بمترل إبراهيم بك أمير الحج سابقاً، ثم اجمع رأي الجميع على نقل الثمانية أنفار المذكورين ومن أنضم إليهم من الوجاقات إلى باب العزب، وأن يخرجوا أنفاراً كثيرة من مصر منفيين منهم ثلاثة من الكتخدائية وعشرة من الجربجية والباقي ممن الينكجرية وعرضوا في شأن ذلك للباشا، فاتفق الأمر على أن من كان منهم مكتوباً لسفر الموسقو فليذهب مع المسافرين، ومن لم يكن مكتوباً فيعطى عرضه ويذهب إلى باب العزب. وحضر كاتب العزب والينكجرية في المقابلة واخرجوا من كان اسمه في السفر، وما عداهم أعطوهم عرضهم وتفرقوا عن ذلك. ووقع الحث على سفر من خرج اسمه في المسافرين وعدم إقامتهم بمصر وان يلحقوا بالمسافرين بثغر الإسكندرية.

وفي ثالث عشر صفر قدم ركب الحاج صحبة أمير الحاج ايواز بك. وفيه اجتمع حسن جاويش القزدغلي الذي كان سردار القطار والأمير سليمان جربجي تابع القزدغلي سردار الصرة وإبراهيم جربجي سردار جداوي، وطلبوا عرضهم من باب مستحفظان فذهب إليهم اختيارية باهم واستعطفوهم فلم يوافقوهم، ثم طلب موسى جربجي تابع بن الأمير مرزا أن يخرج أيضاً من الوجاق وينقلوا اسمه من الجملية فلم يوافقه رضوان آغا، فذهب موسى جربجي إلى إبراهيم بك وايواز بك وقيطاس بك وسألهم أن يتشفعوا له في ذلك، فلم يوافق رضوان آغا فاتفق رأيهم أن يعرضوا للباشا بأن يعزل رضوان آغا المذكور ويتولى علي آغات الينكجرية سابقاً، وأن يعزل سليمان كتخدا الجاويشية ويولي عوضه اسمعيل آغا تابع إبراهيم بك، فامتنع الباشا من ذلك وكان اختيارية الجملية توافقوا مع الأمراء الصناجق على عزل رضوان آغا، فلما رأوا امتناع الباشا أخذوا الصندوق من مترل رضوان آغا واجتمعوا بمترل باشجاويش، واجتمع أهل كل وجاق ببابهم واستمروا على ذلك أياماً. وأما الينكجرية الذين انتقلوا إلى العزب فأهم اجتمعوا بباب العزب وقطعوا الطريق الموصلة إلى القلعة ومنعوا من يريد الطلوع إلى باب الينكجرية من العسكر والأتباع ، ولم يبق في الطريق الموصلة إلى القلعة إلا باب المطبخ، ثم توجهوا للسواقي لأجل منع الماء عن القلعة، فمنعهم العسكر من الوصول إليها، فكسروا كشب السواقي التي بعرب اليسار وقطعوا الأحبال والقواديس، ثم إن نفراً من أنفار الينكجرية أراد الطلوع من طريق المحجر فضربوه وشجوا رأسه ومنعوه، فمضى من طريق الجبل ودخل من باب المطبخ

واجتمع بإفرنج احمد وبقية الينكجرية وعرفهم حاله، فأخذه جماعة منهم وعرضوا أمره على خليل باشا وقاضي العسكر، فقال هؤلاء صاروا بغاة خارجين عن الطاعة حيث فعلوا ذلك ومنعونا الماء والزاد وأخافوا الناس وسلبوهم، فقد جاز لنا قتالهم ومحاربتهم وذلك سابع عشر صفر، ثم أن احمد أوده باشا استأذن الباشا في محاربة باب العزب وضربهم بالمدافع والمكاحل فأذن له في ذلك.

ومن ذلك الوقت تعوق القاضي عن الترول وأخافوه واستمر مع الباشا إلى انقضاء الفتنة مدة سبعين يوماً، ورجع إفرنج احمد وشرع في المحاربة وضرب على باب العزب بالمدافع، وذلك من بعد الزوال إلى بعد العشاء، وقتل من طائفة العزب أربعة أنفار بالمحجر.ثم في صبيحة ذلك اليوم اجتمع من الأمراء الصناجق الأمير ايواز بك أمير الحج والأمير إبراهيم أبو شنب وقانصوه بك ومحمود بك ومحمد بك تابع قيطاس بك الدفتردار، واتفقوا على أن يلبسوا آلة الحرب ويذهبوا إلى الرميلة معونة للعزب على الينكجرية، فأخبروا أن أيوب بك ركب مدافع على طريق المارين على مترله وعلى قلعة الكبش وربما أنهم إذا طلعوا إلى الرميلة يذهب أيوب بك وينهب منازلهم، فامتنعوا من الركوب وجلسوا في منازلهم بسلاحهم خوفاً من طارئ. واستمر إفرنج احمد يحارب ثلاثة أيام بلياليها، وأجتمع على رضوان آغا طائفة من نفره وتذاكروا فيمن كان سبباً لإثارة الفتنة. فقالوا سليم جربجي ومحمد أفندي بن طلق ويوسف أفندي واحمد جربجي توالى، فقالوا لا نرضى هؤلاء الأربعة بعد اليوم أن يكونوا اختيارية علينا، ثم ركبوا وتوجهوا إلى مترل قيطاس بك وأرسلوا من كل بلك اثنين من الاختيارية إلى مترل أيوب بك يطلبون رضوان آغا فاركبوه في موكب عظيم وكتبوا تذاكر للأربع الاختيارية المذكورين بأنهم يلزمون بيوتهم ولا يركبون لأحد ولا يجتمع بهم أحد. ثم ركب رضوان آغا إلى مترل أيوب بك وتذاكروا في الصلح وكتبوا تذكرة لاحمد أوده باشا بأبطال الحرب، فأبى من الصلح فكتبوا عرضاً إلى الباشا عن لسان الصناجق وآغوات الوجاقات الخمس رفع المحاربة، فأرسل الباشا إلى الينكجرية فامتثلوا أمره وأبطلوا الحرب وضرب المدافع، ثم أن الصناجق والآغوات أرسلوا يطلبون جماعة من اختيارية الينكجرية ليتكلموا معهم في الصلح، فأجابوا إلى الحضور غير أنهم تعللوا إلى الحضور بانقطاع الطريق من العسكر المقيمين بالمحجر، فأرسلوا إلى حسن كتخدا العزب فأرسل إليهم من أحضرهم وخلت الطريق، فأجتمع رأي الينكجرية على إرسال حسن كتخدا سابقاً وأحمد بن مقز كتخدا سابقاً أيضاً فاجتمعوا بالعسكر والصناجق بمترل اسمعيل بك، وحضر معهم جميع أهل الحل والعقد، وتشاوروا في إخماد هذه الفتنة وأرسلوا إلى باب الينكجرية فقالوا نحن لا نأبى الصلح بشرط أن هؤلاء الثمانية الذين كانوا سبباً لإثارة هذه الفتنة لا يكونون في باب العزب بل يذهبون إلى وجاقاتهم الأصلية، ولا يقيمون فيه، وأن يسلوا الأمير الاخميمي للباشا يفعل فيه رأيه فأبى أهل باب العزب ذلك و لم يرضوه، فأرسل الأمراء الصناجق كتخداتهم إلى إفرنج أحمد ومعهم اختيارية الوجاقات الخمسة يشفعون عنده بأن الأنفار والثمانية يرجعون كما ذكرتم إلى وجاقاتهم، ويعفون من النفي ومن طلب الأمير حسن، فلم يوافق إفرنج أحمد على ذلك، وقال أن لم يرضوا بشرطي وإلا حاربتهم ليلاً ونهاراً إلى أن أخفى آثار ديار العزب فتفرقوا على غير صلح، ثم أجتمع الأمراء الصناجق والآغوات في رابع شهر ربيع بمترل إبراهيم بك بقناطر السباع، وتذاكروا في إجراء الصلح على كل حال، وكتبوا حجة على أن من صدر منه بعد اليوم ما يخالف رضا الجماعة يكون خصم الجماعة المذكورين جميعاً. وكلموا أيوب بك أن يرسل إلى إفرنج أحمد بصورة الحال وأن يمنع المحاربة إلى تمام الأمر المشروع،

فبطل الحرب نحو خمسة عشر يوماً، وأخذ إفرنج أحمد مدة هذه الأيام في تحصين جوانب القلعة وعمل متاريس ونصب مدافع وتعبية ذخيرة وجبخانة، ملأوا الصهاريج، وحضر في أثناء ذلك محمد بك حاكم الصعيد ونزل بالبساتين، فأقام ثلاثة أيام، ودخل في اليوم الرابع ومعه السواد الأعظم من العرب والمغاربة والهوارة ونزل ببيت آق بردى بالرميلة وحارب من جامع السلطان حسن من متزل يوسف آغات الجراكسة سابقاً، فلم يظفر وقتل من جماعته نحو ثلاثين نفراً، وظهر عليه محمد بك المعروف بالصغير تابع قيطاس بك مع من أنضم إليه من أتباع إبراهيم بك وايواز بك ومماليكه، وكانوا تترسوا في ناحية سوق السلاح ووضعوا المتاريس في شبابيك الجامع، وانتقل من محله وذهب إلى طولون وتترس هناك، وهجم على طائفة العزب الذين كانوا بسبيل المؤمن على حين غفلة وصحبته ذو الفقار تابع أيوب بك، فوقع بينهم مقتلة عظيمة من الفريقين، فلم يطق العزب المقاومة فتركوا السبيل وذهبوا إلى باب

العزب ، وربط محمد بك جماعة من عسكره في مكانهم.ثم أن الشيخ الخليفي طلع إلى باب الينكجرية وتكلم مع أحمد أوده باشا والاختيارية في أمر الصلح، فقام عليه إفرنج أحمد وأسمعه ما لا يليق، وأرسل إلى الطبجية وأمرهم بضرب المدافع على حين غفلة، فانزعج الناس وقاموا وقام الشيخ ومضى، وأما سكان باب العزب فانهم أخذوا ما أمكنهم من أمتعتهم وتركوا منازلهم ونزلوا المدينة وتفرقوا في حارات القاهرة. وحصل عند الناس خوف شديد وأغلقوا الوكائل والخانات والأسواق، ورحل غالب السكان القريبين من القلعة، مثل جهة الرميلة والحطابة والمحجر، خوفاً من هدم المنازل عليهم، وكان الأمر كما ظنوه فإن غالبهم هدم من المدافع واحترق، والذي سلم منها حرقه عسكر طوائف الينكجرية بالنار، ولم يصب باب العزب شيء من ذلك ما عدا مجلس الكتخدا فإنه انهدم منهم جانب وكذلك موضع الآغا لا غير، ثم أن إفرنج أحمد توافق مع أيوب بك وعينوا عمر آغا جراكسة وأحمد تفكجيان ورضوان آغا جمليان، فقعدوا بمن أنضم إليهم بالمدرسة بقوصون وجامع مزدادة بسويقة العزى وجامع قجماس بالدرب الأحمر ليقطعوا الطريق على العزب، واختار إفرنج أحمد نحو تسعين نفراً من الينكجرية وأعطى كل شخص ديناراً طرلي وأرسلهم بعد الغروب إلى الأماكن المذكورة، فأما رضوان آغا فإنه تعلل واعتذر عن الركوب، وأما أحمد آغا فإنه توجه إلى المحل الذي عين له فتحارب مع طائفة من الصناجق والعزب في الجنابكية وأما الذين ربطوا بجامع مزداة فلم يأتهم أحد إلى الصباح فأخذوا الفطور من الذاهبين به إلى باب العزب.

وفي أثناء ذلك نزل رجل أوده باشا من العزب من السلطان حسن يريد متزله، فقبض عليه طائفة من الأخصام وسلبوه ثيابه وتركوه بالقميص وأرسلوه إلى إفرنج أحمد، فلما بلغ العزب ذلك أرسلوا طائفة منهم إلى المقيمين بجامع مزدادة فدخلوا من بيت الشريف يحيي بن بركات ونقبوا متزل عمر كتخدا مستحفظان إذ ذاك وما بجواره من المنازل، إلى أن وصلوا متزل مراد كتخدا. فبمجرد ما رآهم العسكر الذين بجامع مزدادة فروا وأما عمر آغات جراكسة المقيم بجامع قجماس فإنه وزع أتباعه جهة باب زويلة وجهة التبانة، فحصل لأهل تلك الخطة خوف شديد خصوصاً من كان بيته بالشارع، فأرسلت العزب صالح جربجي الرزاز بجملة من عسكر العزب ومن أنضم إليهم من الينكجرية الذين انقلبوا إلى العزب كأتباع الأمير حسن
باشجاويش سابقاً والأمير حسن جاويش تابع القزدغلي والأمير حسن جلب كتخدا وجماعة محمد جاويش كدك، فحاربوا مع من بجامع قجماس واستولى صالح جربجي عليه وعلى المتاريس التي بشبابيكه، وملك الأمير حسن جاويش تابع القزدغلي جامع

المرداني وأقام به وحسن جاويش جلب أقام بجامع مع أصلم، وانتشرت طوائفهم بتلك الاخطاط والأماكن فاطمأن الساكنون بها، وأما عمر آغا الجراكسة فإنه لما فر من جامع قجماس ذهب إلى جامع المؤيد داخل باب زويلة، ثم أن محمد بك أرسل بطلبه فركب ومر على أحمد آغا التفكجية فأركبه معه وذهبا إلى محمد بك الصعيدي بالصليبية، وحصل لأهل خط قوصون خوف عظيم بسبب إقامة أحمد آغا بالسلمانية، ورحل غالبهم من المنازل، فلما رحل عنهم اطمأنوا وتراجعوا وحضرت طائفة من المتفرقة إلى محل أحمد آغا التفكجية وعملوا متاريس على رأس عطفة الحطب، ونكثوا هناك أياماً قلائل ثم رحلوا عنها. فأتى علي كتخدا الساكن بالداودية بطائفة من العزب، فتملكوا ذلك الموضع وجلسوا به ثم أن طائفة من المتفرقة والاسباهية هجموا على منزل الأمير قرا اسمعيل كتخدا مستحفظان، فدخلوا من بيت مصطفى بك بن ايواز ونقبوا الحائط بينه وبين منزل قرا اسمعيل كتخدا، فلما وصل الخبر إلى العزب عينوا له بيرقاً من عسكر العزب ورئيسهم أحمد جربجي تابع ظالم علي كتخدا فلم يمكنه الدخول من جهة الباب، فخرق صدر دكان وتوصل منه إلى منزل أحمد أفندي كاتب الجراكسة سابقاً، ثم نقبوا منه محلاً توصلوا منه إلى منزل اسمعيل كتخدا ودخلوا على طائفة البغاة فوجدوهم مشغولين في نهب أثاث المنزل المذكور، فهجموا عليهم هجمة واحدة فألقوا ما بأيديهم من السلب ورجعوا القهقرى إلى المحل الذي دخلوا منه من بيت مصطفى بك، فتبعوهم وتقاتل الفريقان إلى أن كانت الدائرة على المتفرقة والاسباهية ونهب العزب منزل مصطفى بك لكونه مكن البغاة من الدخول إلى منزله ولكونه كان مصادقاً لأيوب بك. ثم أن أحمد جربجي المذكور أنتقل بمن معه من العسكر إلى قوصون ودخل جامع الماس وتحصن به. وكان محمد بك حاكم جرجا يمر من هناك ويمضي إلى الصليبة، فانتهز أحمد جربجي فرصة هو أنه وجد منزل حسين كتخدا الجزايرلي خالياً فدخل فيه فرأى داخله قصراً متصلاً بمنزل محمد كتخدا عزبان المعرف بالبيرقدار بعلو دهليز منزله وطبقاته تشرف على الشارع، فكمن فيه هو وطائفة ممن معه ليغتال محمد بك إذا مر به، وإذا بمحمد بك قد خرج من عطفة الحطب ماراً إلى جهة الصليبة، فضربوه بالبندق فأصيب أربعة من طائفته، فقتلوا فظن أن الرصاص أتاه من منزل محمد كتخدا البيرقدار، فوقف على بابه وأضرم النار فيه فاحترق أكثر المنزل ونهبوا ما فيه من أثاث ومتاع. ثم أن النار اتصلت بالأماكن المجاورة له والمواجهة فاحترقت البيوت والرباع والدكاكين التي هناك من الجهتين من جامع ألماس إلى تربة المظفر يميناً وشمالاً وأفسدت ما بها من الأمتعة، والذي لم يحترق نهبته البغاة، وخرجت النساء حواسر مكشفات الوجوه، فاستولى أحمد جربجي على جامع ألماس، وعلي كتخدا الساكن بالداودية أقام بالمدرسة السليمانية، وأما أطراف القاهرة وطرقها فإنها تعطلت من المارة وعلى الخصوص طريق بولاق ومصر العتيقة والقرافة، لكون أيوب بك أرسل إلى حبيب الدجوى يستعين به، فحضر منهم طائفة وكذلك أخلاط الهوارة الذين حضروا من الصعيد صحبة محمد بك، فاحتاطوا بالأطراف يسلبون الخلق واستاقوا جمال السقائين حتى كاد أهل مصر يموتون عطشاً، وصار العسكر فرقتين ايواز بك وقيطاس بك الدفتردار

وإبراهيم بك أمير الحج سابقاً ومحمد بك وقانصوه بك وعثمان بك بن سليمان بك ومحمود بك وبلكات الاسباهية الثلاثة والجاويشية والعزب عصبة واحدة، وأيوب بك ومحمد الكبير وآغوات الاسباهية من غير الأنفار ومحمد آغا متفرقة باشا وأهل بلكه وسليمان آغا كتخدا الجاويشية وبلك الينكجرية المقيمين بالقلعة صحبة إفرنج أحمد والباشا وقاضي العسكر الجميع عصبة واحدة، وأخذوا عندهم نقيب الأشراف بحيلة و احتبسوه عندهم وأغلقوا جميع أبواب القلعة ما عدا باب الجبل، وامتنع الناس من النزول من القلعة والطلوع إليها إلا من الباب المذكور، واستمر إفرنج أحمد ومن معه يضربون المدافع على باب العزب ليلاً

ونهاراً، وبباب العزب خلق كثيرون منتشرون حوله وما قاربه من الحارات ورتبوا لهم جوامك تصرف عليهم كل يوم، فلما طال الأمر أجتمع الأمراء الصناجق بجامع بشتك بدرب الجماميز واتفقوا على عزل الباشا وإقامة قائمقام من الأمراء، فأقاموا قانصوه بك قائمقام نائباً وولوا آغوات البلكات وهو الاسباهية الثلاثة، فولوا على الجملية صالح آغا وعلى الجراكسة مصطفى آغا وعلى التفكجية محمد آغا بن ذي الفقار بك واسمعيل آغا جعلوه كتخدا الجاويشية وعبد الرحمن آغا متفرقة باشا، وقلدوا الزعامة الأمير حسن الذي كان زعيماً، وعزله الباشا بعبد الله آغا فلما أحكموا ذلك بلغ الخبر طائفة الينكجرية الذين بالقلعة توجهوا إلى خليل باشا وأخبروه بالصورة فكتب لآغوات البلكات الثلاث ومتفرقة باشا يأمرهم بمحاربة الصناجق ومن معهم لكونهم بغاة خارجين على نائب السلطان. ثم اتفق مع إفرنج أحمد على اتخاذ عسكر جديد يقال لهم سردن كجدي، ويعطى لكل من كتب اسمه خمسة دنانير وخمسة عثامنة، فكتبوا ثمانمائة شخص، وعلى كل مائة بيرقدار و رئيس يقال له آغات السردن كجدي. ثم أن محمد بك الصعيدي أتفق مع إفرنج احمد بأن يهجم على طائفة العزب من طريق قراميدان ويكسر باب العزب المتوصل منه إلى قراميدان ويهجم على العزب. ووصل خبر ذلك إلى العزب فاستعدوا له وكمنوا قريباً من الباب المذكور فلما كان بعد العشاء الأخيرة هجموا على الباب المذكور، وكان العزب أحضروا شيئا كثيراً من حطب القرطم وطلوه بالزيت والقار والكبريت، فلما تكامل عسكر محمد بك أوقدوا النار في ذلك الحطب فأضاء لهم قراميدان وصار كالنهار، ثم ضربوهم بالبندق ففروا، فصار كل من ظهر لهم ضربوه فقتلوا منهم طائفة كثيرة وولوا منهزمين، ثم أن قانصوه بك صار يكتب بيورلديات وأوامر يرسلها إلى محمد بك الصعيدي يأمره بالتوجه إلى ولايته آمناً على نفسه وتحصيل ما عليه من الأموال السلطانية، فأرعد وأبرق، ثم أن جماعة من العزب أخذوا حسن الوالي المولى من طرف قائمقام مصر وذهبوا وصحبتهم جماعة من أتباع الأمراء الصناجق إلى باب الوالي ليملكوه، فلما بلغ الخبر عبد الله آغا الوالي أخذ فرشه وفر إلى بيت أيوب بك وفر الأود باشا أيضاً، فلما لم تجد العزب أحداً في بيت الوالي توجهوا لمترل عبد الله الوالي لينهبوه، فقام عليهم جماعة من أتباع سليمان كتخدا الجاويشية ومن بجوارهم من الجند فهزموا العزب وقتلوا منم رجلاً، فأقام حسن الوالي بباب قيطاس بك الدفتردار، فلما اتسع الخرق أرسل الباشا إلى إبراهيم بك وايواظ بك وقيطاس بك يطلبهم إلى الديوان، ليتداعوا مع الينكجرية، فلما حضر تابع الباشا وقرأ عليهم الفرمان، أجابوا بالسمع والطاعة واعتذروا عن الطلوع بانقطاع الطرق من الينكجرية وترتيب المدافع، ولولا ذلك لتوجهنا إليه. فلما يئس الباشا منهم أتفق مع أيوب بك ومن انضم إليه من العسكر على محاربتهم وبرز الجميع إلى خارج البلد.

فلما كان يوم الأحد ثالث ربيع الأول أرسلوا أيوب بك ومحمد بك إلى العزبان ليأخذوا مال السقائين وحميرهم ومنع الماء عن البلد، فأخذوا جميع ما وجدوه، فعز الماء ووصل ثمن القربة خمسة أنصاف فضة فأمر الأمراء الآخرون طائفة من العسكر أن يركبوا إلى جهة قصر العيني ويستخلصوا الجمال ممن نهبهم، فتوجهوا وجلسوا بالمساطب ينتظرون من يمر عليهم بالجمال. فلما بلغ محمد بك حضورهم هناك لمع طائفة هوارة وهجموا عليهم وهم غير مستعدين فاندهشوا ودافعوا عن أنفسهم ساعة ثم فروا، وتأخر عنهم جماعة لم يجدوا خيلهم لكون سواسهم أخذوها وفروا فقتلهم محمد بك وأرسل رؤوسهم للباشا فانسر سروراً عظيماً وأعطى ذهباً كثيراً.

فلما رجع المنهزمون إلى منزل قانصوه بك وايواظ بك لم يسهل عليهم ذلك واتفقوا على البروز إليهم، فركبوا في يوم الاثنين رابع عشر ربيع الثاني وخرج الفريقان إلى جهة قصر العيني والروضة، فتلاقيا وتحاربا وتقاتلا قتالاً عظيماً تجندلت فيه الأبطال وقتل من الجند خاصة زيادة عن الأربعمائة نفر من الفريقين خلاف العربان والهوارة وغيرهم. وقصد ايواظ بك ومحمد بك الصعيدي فأهزم إلى جهة المجراة فساق خلفه، وكان الصعيدي قد أجلس أنفاراً فوق المجراة مكيدة وحذراً، فضربوا على ايواظ بك بالرصاص ليردوه فأصيب برصاصة في صدره فسقط عن جواده وتفرقت جموعه، وأخذ الأخصام رأسه. وبينما القوم في المعركة إذ ورد عليهم الخبر بموت ايواظ بك فانكسرت نفوسهم، وذهبوا في طلبه فوجدوه مقتولاً مقطوع الرأس، فحمله أتباعه ورجع القوم إلى منازلهم. ولما قطعوا رأس ايواظ بك وذهبوا بها إلى محمد بك قال: هذه رأس من قالوا رأس قليدهم ايواظ بك فأخذها وذهب بها عند أيوب بك ورضوان. فقال أيوب بك: هذه رأس من قال رأس قليدهم. فبكى أيوب بك وقال : حرم علينا عيش مصر.

قال محمد بك: هذا رأس قليدهم وراحت عليهم. قال أيوب بك : أنت ربيت في أين أما تعلم أن ايواظ بك وراءه رجال وأولاد ومال. وهذه الدعوة ليس للقاسمية فيها جناية والآن جرى الدم فيطلبون ثأرهم ويصرفون مالاً ولا يكون إلا ما يريده الله ولما ذهبوا بالرأس إلى الباشا فرح فرحاً شديداً وظن تمام الأمر له ولمن معه، وأعطى ذهباً وبقاشيش ودفنوا ايواظ بك وطلبوا من أيوب بك الرأس فأرسلها لهم بعد ما سلخها الباشا فدفنوها مع جثته. ثم أن أيوب بك كتب تذكرة وأرسلها إلى إبراهيم أبو شنب يعزيه في أيواظ بك ويقول له: أن شاء الله تعالى بعد ثلاثة أيام نأخذ خاطر الباشا ويقع الصلح. وأرادوا بذلك التثبيط حتى يأخذوا من الباشا دراهم يصرفونها ويرتبوا أمرهم.

وأما ما كان من أمر أتباع ايواظ بك فركب يوسف الجزار وأخذ معه اسمعيل بن ايواظ بك المتوفى وأحمد كاشف وذهبوا عند قانصوه بك فوجدوا عنده إبراهيم بك وأحمد بك مملوكه وقيطاس بك وعثمان بك بارم ذيله ومحمد بك الصغير المعروف بقطامش جالسين، وفيهم الحزن والكآبة. فلما استقر بهم الجلوس بكى قيطاس بك، فقال له يوسف الجزار: وما فائدة البكاء دبروا أمركم. قالوا : كيف العمل؟. قال يوسف الجزار: هذه الواقعة ليس لنا فيها علاقة أنتم فقارية في بعضكم وأننا الآن إنجرحنا ومات منا واحد خلف ألفاً وخلف مالاً اعملوني صنجقاً وأمير حاج وسر عسكر وأعملوا ابن سيدي اسمعيل صنجقاً يفتح بيت أبيه وفيه البركة، وأعطوني فرماناً من الذي جعلتموه قائمقام وحجة من نائب الشرع الذي أقمتموه أيضاً على أن الذي سقطت عدالته يسقط عنه حلوان البلاد، ونحن نصرف الحلوان على العسكر، والله يعطي النصر لمن يشاء من عباده.

ففعلوا ذلك، وراضوا أمورهم في الثلاثة أيام وتهيأ الفريقان للمبارزة، وخرجوا يوم السبت تاسع عشر ربيع الثاني وكان أيوب بك حصن منزله، فاتفق رأيهم على محاربة العسكر المجتمعة أولاً ثم محاصرة المنزل، فخرج أيوب بك على جهة طولون ووقعت حروب وأمور ثم رجعوا إلى منازلهم، فلما رأى طائفة العزب تطاول الأمر وعدم التوصل إلى القلعة وامتناع من فيها وضرب المدافع عليهم ليلاً ونهاراً، أجمع رأيهم على أن يولوا كتخدا على الينكجرية ويجلسوه بباب الوالي بطائفة من العسكر وينادوا في الشوارع بإن كل من كانت له علوفة في وجاقات مستحفظان يأتي تحت البيرق بالبوابة، ومن لم يأت بعد ثلاثة أيام ينهب بيته. ففعلوا ذلك وعملوا حسن جاويش قريب المرحوم جلب خليل كتخدا لكونها نوبته، وألبسه قانصوه بك قائمقام قفطاناً وركب

وأمامه الوالي والبيرق والعسكر والمنادي أمامه ينادي بما ذكر إلى أن نزل بيت الوالي وأحضروا الأوده باشا المتولي إذ ذاك وأجلسوه محله وطاف البلد بطائفته وكذلك العسكر.

وفي يوم الخميس هجمت الينكجرية من البذرم على باب العزب ومعهم محمد بك الكبير وكتخدا الباشا وإفرنج أحمد، فعندما نزل أولهم من البذرم وكان العزب قد أعدوا في الزاوية التي تحت قصر يوسف مدفعين ملآنين بالرش والفلوس الجدد، فضربوا عليهم فوقع محمد آغا سر كدك والبيرقدار وأنفار منهم فولوا منهزمين يطأ بعضهم بعضاً. فأخذت العزب رؤوس المقتولين فأرسلوها إلى قانصوه بك. ثم أن قائمقام والصناجق اتفقوا على تولية علي آغا مستحفظان لضبطه واهتمامه، فلما أرسلوا له أبى أن يقبل ذلك فتغيب من منزله، فركب يوسف بك الجزار ومحمد بك الصغير وعثمان بك في عدة كبيرة ودخلوا على منزل علي آغا لم يجدوه، وأخبروا بالمكان الذي هو فيه فطلبوه، فأتى بعد امتناع وتخويف، وتوجه معهم إلى قائمقام فالبسه قفطان الآغاوية يوم الخميس رابع عشري ربيع الثاني، وعاد إلى منزله بالقفطان يقدمه العسكر مشاة بالسلاح والملازمون معلنين بالتكبير وبلفظ الجلالة، كما هي عادتهم في المواكب. وفي صبيحة ذلك اليوم عين قائمقام بمعرفة حسن كتخدا مستحفظان طائفة من العسكر إلى بولاق صحبة أحمد جربجي ليجلسوه في التكية، وصحبته والي بولاق وآغا من المتفرقة عوضاً عن آغات الرسالة الذي بها من جانب الباشا. فأجلسوه في منزله ونهبوا ما وجدوه لأغات الرسالة الأول من فرش وأمتعة وخيل وغير ذلك.

وفي صبيحة يوم السبت سادس عشريه خرج الفريقان إلى خارج القاهرة من باب قناطر السباع، واجتمعوا بالقرب من قصر العيني ومعهم المدافع وآلات الحرب فتحارب الفريقان من ضحوة النهار إلى العصر، وقتل من الفريقين من دنا أجله، وأيوب بك ومحمد بك بالقصر. ثم تراجع الفريقان إلى داخل البلد وتأخرت طائفة من العزب، فأتى إليهم محمد بك الصعيدي وأحتاط بهم وحاصرهم وبلغ الخبر قانصوه بك فأرسل إليهم يوسف بك ومحمد بك وعثمان بك فتقاتلوا مع محمد بك الصعيدي وهزموه وتبعوه إلى قنطرة السد، وقد كان أيوب بك داخل التكية المجاورة لقصر العيني، فلما رأى الحرب ركب جواده ونجا بنفسه، فبلغ يوسف بك أنه بالتكية فقصدوه واحتاطوا بالقصر، فاخبرهم الدراويش بذهابه، فلم يصدقوهم، ونهبوا القصر وأخربوه وأحرقوه وعادوا إلى منازلهم.

وفي صبيحة يوم الأحد ذهب يوسف بك الجزار ونهب غيط إفرنج احمد الذي بطريق بولاق، ثم اجتمعوا في محل الحرب وتحاربوا، ولم يزالوا على ذلك وفي كل يوم يقتل منهم ناس كثير وفي ثاني جمادى الأولى أجتمع الأمراء الصناجق بمنزل قائمقام وتنازعوا بسبب تطاول الحرب وامتداد الأيام، ثم اتفقوا على أن ينادوا في المدينة بأن من له اسم في وجاق من الوجاقات السبعة ولم يحضر إلى بيت آغاته نهب ماله وقتل. وأمهلوهم ثلاثة أيام، ونودي بذلك في عصريتها، وكتب قائمقام بيورلدي إلى من في القلعة من طائفة الينكجرية والكتخدائية والجربجية والاوده باشية والنفر بأننا أمهلناكم ثلاثة أيام، فمن لم ينزل منكم بعدها ولم يمتثل نهبنا داره وهدمناها وقتلنا من ظفرنا به ومن فر رفعنا اسمه من الدفتر، فتلاشى أمرهم واختلفت كلمتهم.

وفي رابعة خرج الأمراء والآغوات إلى محل الحرب وأرسلوا طائفة كبيرة من العسكر المشاة لمحاصرة منزل أيوب بك، فتحارب

الفرسان إلى آخر النهار، وأما الرجالة فأهم تسلقوا من مترل إبراهيم بك وتوصلوا إلىمترل عمر آغا الجراكسة فتحاربوا مع من فيه إلى أن أخلوه ودخلوا فيه، وشرعوا ليلاً في نقب الربع المبني على علو مترل أيوب بك فنقبوه وكمنوا فيه. فلما كان صبيحة يوم الأحد خامس عشرة حملوا حملة واحدة على مترل أيوب بك وضربوا البنادق، فلم يجدوا من يمنعهم بل فر كل من فيه، وركب أيوب بك وخرج هارباً من باب الجبل فلم يعلم أين توجه، فملوا مترله وهبوه مع كونه كان مستعدا، وركب في أعالي مترله المدافع وفي قلعة الكبش، فأرسل له إفرنج أحمد بيرقاً وعساكر فلم يفده ذلك شيئاً، وهبوا أيضا مترل احمد آغا التفكجية بعدما قتلوه ببيت قائمقام، ولحق من لحق بأيوب بك وفر الجميع إلى جهة الشام، وفر محمد بك إلى جهة الصعيد، ووقع النهب في بيوت من كان في حزهم، وهبوا بيت يوسف آغا ناظر الكسوة سابقاً وبيت محمد آغا متفرقة باشا وبيت محمد بك الكبير وأحرقوه وبيت احمد جربجي القونيلي، وأحرقوا بيت أيوب بك وما لاصقه من الربع والدكاكين. فلما حصل ذلك واجتمع العساكر بمترل قائمقام بالأسلحة وآلات الحرب، وذلك سادس جمادى الأولى، فأرسلوا طائفة إلى جبل الجيوشي فركبوا مدافع على محل الباشا ومدافع على قلعة المستحفظان وأحاطوا بالقلعة من أسفل، وضربوا ستة مدافع على الباشا، ورموا بنادق. فنصب الباشا بيرقاً أبيض يطلب الأمان وفر من كان داخل القلعة من العسكر. فبعضهم نزل بالحبال من السور وبعضهم خرج من باب المطبخ، فعند ذلك هجمت العساكر الخارجة على الباب ودخلوا الديوان فأرسل الباشا القاضي ونقيب الأشراف يأخذان له أمانا من الصناجق والعسكر فتلقوهما وأكرموهما وسألوهما عن قصدهما، فقالا لهم: أن الباشا يقرئكم السلام ويقول لك آنا كنا اغترنا هؤلاء الشياطين وقد فروا، المراد أن تعلمونا بمطلوبكم فلا نخالفكم. فقالوا لهما: اعلموه أن الصناجق والأمراء والأغوات والعسكر قد اتفقوا على عزله، وان قانصوه بك قائمقام وأما الباشا فانه يترل ويسكن في المدينة إلى أن نعرض الأمر على الدولة ويأتينا جواهم. فأرسل القاضي نائبه إلى الباشا يعرفه عن ذلك فأجابه بالطاعة، واستأمنهم علىنفسه وماله وأتباعه، وركب من ساعته في خوصه يقدمه قائمقام وآغات مستحفظان عن يمينه وآغات المتفرقة عن شماله واختيارية الوجاقات من خلفه وأمامه، ونزل من باب الميدان وشق من الرميلة على الصليبة والعامة قد اصطفت يشافهونه بالسب واللعن، إلى أن دخل بيت علي آغا الخازندار بجوار المظفر، وهجم العسكر على باب مستحفظان فملكوه، وهبوا بعض أسباب حسين آغا مستحفظان. وخرج حسين آغا من المطبخ، فلما رآه يوسف بك أشار إلى العسكر فقطعوه وقطعوا اسمعيل أفندي بالمحجر وكذلك عمر آغات الجراكسة بحضرة اسمعيل بن ايواظ وخازنداره ذو الفقار وقع في عرض بلدية علي خازندار وحسن كتخدا الجلفي فحمياه من القتل، وذو الفقار هذا هو الذي قتل اسمعيل بك بن ايواظ، وصار أميراً كما يأتي ذكر ذلك في موضعه، فقتلوه بباب العزب ونزل إفرنج أحمد وكجك أحمد أوده باشا إلى المحجر متنكرين فعرفهما الجالسون بالمحجر فقبضوا عليهما وذهبوا هما إلى باب العزب وقطعوا رؤوسهما، وذهبوا هما إلى بيت ايواز بك. وطلع علي آغا إلى محل حكمه وطلع حسن كتخدا من باب الوالي وأمامه العساكر بالأسلحة إلى باب مستحفظان والبيرق أمامه. ونزل جاويش إلى أحمد كتخدا برمقس فوجده في بيت اسمعيل كتخدا عزبان فأخذه وطلع به إلى الباب فخنقوه وأخذوه إلى مترله في تابوت. وركب علي آغا وأمامه الملازمون بالبيرشان فطاف البلد وأمر بتنظيف الأتربة وأحجار المتاريس وبناء النقوب، وألبس قائمقام آغوات البلكات السبع قفاطين، وطلع الذين كانوا بباب العزب من الينكجرية إلى باهم وعدهم ستمائة إنسان.

وفي حادي عشر جمادى الأولى، لبس يوسف بك الجزار على إمارة الحاج ومحمود بك على السويس وعين يوسف بك

المذكور مصطفى آغات الجراكسة للتجريدة على الشرقية.

وفي رابع عشره لبس محمد بك الصغير على ولاية الصعيد وخرج من بيته بموكب إلى الأثر وصحبته الطوائف الذين عينوا معه من السبع بلكات بسر دارياتهم وبيارقهم، وعدتهم خمسمائة نفر منهم مائتان من الينكجرية والعزب وثلاثمائة نفر من الخمس بلكات، أعطوا كل نفر من المائتين ألف نصف فضة ترحيلة ولكل شخص من الثلاثمائة ألف وخمسمائة نصف فضة، وسافروا رابع جمادى الآخرة وكان محمد بك الكبير خرج مقبلاً وصحبته الهوارة فخرج وراءه يوسف بك الجزار وعثمان بك بارم ذيله ومحمد بك قطامش فوصلوا دير الطين، فلاقاهم شيخ الترابين فأخبرهم أنه مر من ناحية التبين نصف الليل فرجعوا إلى منازلهم، وبلغهم في حال رجوعهم أن خازندار رضوان آغا تخلف عند الدراويش بالتكية فقبضوا عليه وقطعوا دماغه، ولم يزل محمد بك الصعيدي حتى وصل اخميم وصحبته الهوارة وقبل ما بها من الشكاف ونهب البلاد وفعل أفعالاً قبيحة. ثم ذهب إلى أسيوط وأرسل إلى قائمقام جرجا، فتصرف في جميع تعلقاته وأرسلها إليه نقوداً ونزل مختفياً إلى بحري ومر من أنيابة نصف الليل، ولم يزل سائراً إلى دمياط، ونزل في مركب إفرنجي وطلع إلى حلب ووصل خبره إلى السردار، فجمع السردارة والعسكر ولحقوه على البرج فلم يدركوه، ثم أنه ركب من حلب وذهب إلى دار السلطنة من البر وكان أيوب بك ومحمد آغا متفرقة وكتخدا الجاويشة سليمان آغا وحسن الوالي وصلوا قبله وقابلوا الوزير وأعلموه بقصتهم وعرضوا عليه الفتوى، وعرض الباشا والقاضي فأكرمهم وأنزلهم في مكان ورتب لهم تعييناً. ثم أتاهم محمد بك وقابل معهم الوزير أيضاً فخلع عليه وولاه منصباً. وأما رضوان آغا فإنه تخلف ببلاد الشام ومحمد آغا الكور صحبته.

وفي تاسع عشر جمادى الأولى رجع يوسف بك ومصطفى آغا من الشرقية.

وفي سابع جمادى الآخرة تقلد محمد بك ابن اسمعيل بك ابن ايواظ بك الصنجقية، ثم أنهم اجتمعوا في بيت قائمقام وكتبوا عرضحال بصورة ما وقع وطلبوا إرسال باشا والياً على مصر، وذكروا فيه أن الخزنة تصل صحبة محمد بك الدالي وانقضت الفتنة وما حصل بها من الوقائع التي لخصنا بعضها وذكرناه على سبيل الاختصار، واستمر خليل باشا بمصر حتى حضر والي باشا وحاسبوه، وسافر في ثامن عشر جمادى الأولى سنة أربع وعشرين ومائة وألف، وكانت أيام فتن وحروب وشرور.

تولية والي باشا على مصر

ثم تولى على مصر والي باشا فوصل إلى مصر وطلع إلى القلعة في أواخر رجب سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف.

وفي شوال قلدوا أحمد بك الأعسر تابع إبراهيم بك صنجقية وزادوه كشوفية البحيرة، وكان قانصوه بك قائمقام قبل وصول الباشا رسم بإخراج تجريدة إلى هوارة المفسدين الذين أتوا إلى مصر صحبة محمد بك الصعيدي ورجعوا صحبته، وأخربوا أخميم وقتلوا الكشاف وأمير التجريدة محمد بك قطامش وصحبته ألف عسكري، وأعطوا كل عسكري ثلاثة آلاف نصف فضة من مال البهار سنة تاريخه، وأن يكون محمد بك حاكم جرجا عن سنة ثلاثة وعشرين وأربعة وعشرين، وقضى أشغاله وبرز خيامه إلى الآثار ثم طلب الوجه البلي إلى أن وصل إلى اسيوط، فقبض على كل من وجده من طرف محمد بك الصعيدي وقتله، ومنهم حسين أوده باشا ابن دقماق، ثم انتقل إلى منفلوط وهربت طوائف الهوارة بأهلها إلى الجبل الغربي واتت إليه هوارة

بحري صحبة الأمير حسن، فأخبروه بما وقع لهم وساروا صحبته إلى جرجا فترل بالصيوان وأبرز فرمانا قرئ بحضرة الجميع باهراق دم هوارة قبلي، وأمر بالركوب عليهم إلى أسنا وتسلط عليهم هوارة بحري ونهبوا مواشيهم وأغنامهم ومتاعهم وطواحينهم، واشتفوا منهم وكل من وجدوه منهم قتلوه و لم يزل في سيره حتى وصل قنا وقوص، وثم رجع إلى جرجا ثم أن هوارة قبلي التجئوا إلى إبراهيم بك أبو شنب والتمسوا منه أن يأخذ لهم مكتوبا من قيطاس بك بالأمان، ومكتوباً إلى حاكم الصعيد كذلك، وفرمانا من الباشا بموجب ذلك، فأرسل إلى قيطاس بك تذكرة صحبة احمد بك الأعسر يترجى عنده، فأجاب إلى ذلك وأرسلوا به محمد كاشف كتخدا، وبرجوع التجريدة والعفو عن الهوارة. ورجع محمد كاشف والتجريدة وصحبته التقادم والهدايا، وأرسلوا إلى إبراهيم بك مركب غلال وخيول مثمنة وأغناماً.

وفي أواخر شوال ورد آغا من الدولة وعلى يده مرسومات، منها محاسبة خليل باشا واستعجال الخزينة وبيع بلاد من قتل في أيام الفتنة وكذلك أملاكهم.

وفي شهر رمضان قبل ذلك جلس بجامع المؤيد، فكثر عليه الجمع وأزدحم المسجد وأكثرهم أتراك، ثم أنتقل من الوعظ وذكر ما يفعله أهل مصر بضرايح الأولياء وإيقاد الشموع والقناديل على قبور الأولياء وتقبيل أعتابهم، وفعل ذلك كفر يجب على الناس تركه، وعلى ولاة الأمور السعي في أبطال ذلك. وذكر أيضاً قول الشعراني في طبقاته أن بعض الأولياء أطلع على اللوح المحفوظ أنه لا يجوز ذلك ولا تطلع الأنبياء فضلاً عن الأولياء على اللوح المحفوظ، وأنه لا يجوز ذلك ولا تطلع الأنبياء فضلاً عن والتكايا، ويجب هدم ذلك. وذكر أيضا وقوف الفقراء بباب زويلة في ليالي رمضان. فلما سمع حزبه ذلك خرجوا بعد صلاة التراويح ووقفوا بالنبابيت والأسلحة، فهرب الذين يقفون بالباب، فقطعوا الجوخ والاكر المعلقة وهم يقولون: أين الأولياء. فذهب بعض الناس إلى العلماء بالأزهر وأخبروهم بقول ذلك الواعظ وكتبوا فتوى وأجاب عليها الشيخ أحمد النفراوي والشيخ أحمد الخليفي بأن كرامات الأولياء لا تنقطع بالموت، وأن إنكاره على اطلاع الأولياء على اللوح المحفوظ لا يجوز، ويجب على الحاكم زجره عن ذلك. وأخذ بعض الناس تلك الفتوى ودفعها للواعظ وهو في مجلس وعظه، فلما قرأها غضب وقال: يا أيها الناس أن علماء بلدكم أفتوا بخلاف ما ذكرت لكم، وأني أريد أن أتكلم معهم وأباحثهم في مجلس قاضي العسكر، فهل منكم من يساعدني على ذلك وينصر الحق؟. فقال له الجماعة: نحن معك لا نفارقك. فترل عن الكرسي وأجتمع عليه من العامة زيادة عن ألف نفس ومر بهم من وسط القاهرة إلى أن دخل بيت القاضي قريب العصر، فانزعج القاضي وسألهم عن مرادهم فقدموا له الفتوى وطلب منه إحضار المفتيين والتحدث معهما. فقال القاضي: اصرفوا هؤلاء الجموع ثم نحضرهم ونسمع دعواكم. فقالوا: ما بقول في هذه الفتوى؟ قال: باطلة. فطلبوا منه أن يكتب لهم حجة ببطلانها. فقال: أن الوقت قد ضاق والشهود ذهبوا إلى منازلهم وخرج الترجمان. فقال لهم ذلك فضربوه واختفى القاضي بحريمه. فما وسع النائب إلا أنه كتب لهم حجة حسب مرادهم، ثم اجتمع الناس في يوم الثلاثاء عشرينه وقت الظهر بالمؤيد لسماع الوعظ على عادتهم، فلم يحضر لهم الواعظ فأخذوا يسألون عن المانع من حضوره. فقال بعضهم: أظن أن القاضي منعه من الوعظ. فقام رجل منهم وقال: أيها الناس من أراد أن ينصر الحق فليقم معي. فتبعه الجم الغفير، فمضى بهم إلى مجلس القاضي، فلما رآهم القاضي ومن في المحكمة طارت عقولهم من الخوف، وفر من بها من الشهود، و لم يبق إلا القاضي فدخلوا عليه وقالوا له: أين شيخنا؟ فقال:

لا أدري. فقالوا له: قم واركب معنا إلى الديوان ونكلم الباشا في هذا الأمر ونسأله أن يحضر لنا أخصامنا الذي أفتوا بقتل شيخنا، ونتباحث معهم، فإن اثبتوا دعواهم نجوا من أيدينا وإلا قتلناهم، فركب القاضي معهم مكرها وتبعوه من خلفه وأمامه إلى أن طلعوا إلى الديوان، فسأله الباشا عن سبب حضوره في غير وقته. فقال: أنظر إلى هؤلاء الذين ملئوا الديوان والحوش فهم الذين أتوا بي، وعرفه قصتهم وما وقع منهم بالأمس واليوم، وأنهم ضربوا الترجمان وأخذوا مني حجة قهرا، وأتوا اليوم وأركبوني قهراً. فأرسل الباشا إلى كتخدا الينكجرية وكتخدا العزب وقال لهما: اسألوا هؤلاء عن مرادهم. فقالوا: نريد إحضار النفراوي والخليفي ليبحثا مع شيخنا فيما أفتيا به عليه، فأعطاهم الباشا بيورلديا على مرادهم ونزلوا إلى المؤيد وأتوا بالواعظ وأصعدوه إلى الكرسي، فصار يعظهم ويحرضهم على اجتماعهم في غد بالمؤيد، ويذهبون بجمعيتهم إلى القاضي وحضهم على الإنتصار للدين وقمع الدجالين. وافترقوا على ذلك، وأما الباشا أنه لما أعطاهم البيورلدي أرسل بيورلديا إلى إبراهيم بك وقيطاس بك يعرفهم ما حصل وما فعله العامة من سؤ الأدب وقصدهم تحريك الفتن وتحقيرنا نحن والقاضي، وقد عزمت أنا والقاضي على السفر من البلد. فلما قرأ الأمراء ذلك لم يقر لهم قرار وجمعوا الصناجق والآغوات ببيت الدفتردار وأجمعوا رأيهم على أن ينظروا هذه العصبة من أي وجاق ويخرجوا من حقهم وينفي ذلك الواعظ من البلد. وأمروا الآغا أن يركب ومن رآه منهم قبض عليه، وأن يدخل جامع المؤيد ويطرد من يسكنه من السفط. فلما كان صبيحة ذلك اليوم ركب الآغا وأرسل الجاويشية إلى جامع المؤيد فلم يجدوا منهم أحدا، وجعل يفحص
ويفتش على أفراد المتعصبين فمن ظفر به أرسله إلى باب آغاته فضربوا بعضهم ونفوا بعضهم وسكنت الفتنة.

سنة أربع وعشرين ومائة وألف

وفي ثالث المحرم سنة أربع وعشرين ومائة وألف، ورد مرسوم سلطاني بطلب ثلاثة آلاف من العساكر المصرية إلى الغزو.
وفي ثامنه تشاجر رجل شريف مع تركي في سوق البندقانيين فضرب التركي الشريف فقتله، و لم يعلم أين ذهب. فوضع الأشراف المقتول في تابوت وطلعوا به إلى الديوان واثبتوا القتل على القاتل. فلما كان يوم عاشرة قامت الأشراف وقفلوا أسواق القاهرة وصاروا يرجمون أصحاب الدكاكين بالحجارة ويأمروهم بقفل الدكاكين، وكل من لقوه من الرعية أو من أمير يضربونه. ومكثوا على ذلك يومهم وأصبحوا كذلك يوم الجمعة، وأرسلوا خبراً للأشراف القاطنين بقرى مصر ليحضروا واجتمعوا بالمشهد الحسيني ثم خرجوا وأمامهم بيرق وذهبوا إلى مترل قيطاس بك الدفتردار، فخرج عليهم أتباعه بالسلاح فطردوهم وهزموهم، فلما تفاقم أمرهم تحركت عليهم العساكر وركب آغوات الاسباهية الثلاث وآغات الينكجرية في عددهم وعددهم وطافوا البلد. فعند ذلك تفرقت الجمعية ورجع كل إلى مكانه ونادوا بالأمن والأمان، وفتحت الدكاكين ثم أجتمع رأي الأمراء على نفي طائفة من أكابر الأشراف، فتشفع فيهم المشايخ والعلماء فعفوا عنهم.
وفي هذا الشهر وقع ثلج بقريتي سرسنة وعشما من بلاد المنوفية كل قطعة منه مقدار نصف رطل وأقل وأكثر، ثم نزلت صاعقة أحرقت مقداراً عظيماً من زرع الناحية وقتلت أناساً.
وفي يوم الخميس ثامن ربيع الأول سافر مصطفى بك تابع يوسف آغا من بولاق بالعسكر صحبة المعينين للغزو، وحضرت العساكر الذين كانوا في سفر الموسقو صحبة سر دارهم اسمعيل بك، ولما عادوا إلى اسلامبول بالنصر وضعوا لهم على رؤوسهم ريشا في عمائمهم سمة لهم. ومات أميرهم اسمعيل بك باسلامبول ودخلوا مصر وعلى رؤوسهم تلك الريش المسماة بالشلنجات.
وفي ثاني عشرينة قبل الغروب خرجت فرتينة بريح عاصف أظلم منها الجو وسقط منها بعض المنازل.
وفي غرة ربيع الثاني ورد آغا ومعه مرسوم مضمونه حصول الصلح بين السلطنة والموسقو ورجوع العسكر المصري، ولما رجعوا أخذوا منهم ثلثي النفقة وتركوا لهم الثلث، وكذلك التراقي من الجوامك التي تعطى للسردارية وأصحاب الدركات.
وفي ثامن عشره ورد قابجي باشا وعلى يده مرسوم بتقليد قيطاس بك الدفتردار أميراً على الحاج عوضا عن يوسف بك الجزار وأن يكون إبراهيم بك بشناق المعروف بأبي شنب دفتردار. فامتثلوا ذلك ولبسوا الخلع، ومرسوم آخر بإنشاء سفينتين ببحر القلزم لحمل غلال الحرمين، وأن يجهزوا إلى مكة مائة وخمسين كيسا من الأموال السلطانية برسم عمارة العين على يد محمد بك ابن حسين باشا.ثم أن قيطاس بك اجتمع بالأمراء وشكا إليهم احتياجه لدراهم يستعين بها على لوازم الحاج ومهماته، فعرضوا ذلك على الباشا وطلبوا منه أن يمده بخمسين كيسا من مال الخزينة ويعرض في شأنها بعد تسليمها إلى الدولة، وأن لم يمضوا ذلك يحصلوها من الوجاقات بدلا عنها.وفي يوم الأربعاء وصل من طريق الشام باشا معين لمحافظة جدة يسمى خليل باشا، فدخل القاهرة في كبكبة عظيمة وعساكر رومية كثيرة يقال لهم سارجه سليمان وجمال محملة بالأثقال يقدمهم ثلاثة بيارق، وخرج لملاقاته الباشا وقيطاس بك أمير الحاج في طائفة عظيمة من الأمراء والآغوات والصناجق، وقابلوه وأنزلوه بالغيط

المعروف بحسن بك ومدوا هناك سماطاً عظيماً حافلاً وقدموا له خيولا وساروا معه إلى أن دخلوا إلى المدينة في موكب عظيم، إلى أن أنزلوه بمترل المرحوم اسمعيل بك المتوفى في سفر الموسقو بجوار الحنفي، فلم يزل هناك حتى سافر في أوائل رجب سنة تاريخه وخرج بموكب عظيم أيضاً؟ وفي منتصف شعبان تقلد احمد بك الأعسر على ولاية جرجا عوضاً عن محمد بك الصغير المعروف بقطامش، ثم ورد أمر بتقليد إمارة الحج لمحمد بك قطامش عوضاً عن سيده، وطلع بالحج سنة أربع وعشرين ورجع سنة خمس وعشرين،وذلك من فعل قيطاس بك سراً وتقلد ولاية جرجا مصطفى بك مزلار.

وفي يوم الخميس عشرينه تقلد محمد بك المعروف بجركس تابع إبراهيم بك أبي شنب الصنجقية وكذلك قيطاس تابع قيطاس بك أمير الحج.

وفي عاشر شوال ورد عبد الباقي أفندي وتولى كتخدائية والي باشا ومعه بقرير للباشا على ولاية مصر.

وفي ثالث عشر ذي القعدة ورد أيضاً مرسوم صحبة آغا معين بطلب ثلاثة آلاف من العسكر المصري لسفر الوسقو لنقضهم المهادنة، وقرئ ذلك بالديوان بحضرة الجميع فألبسوا حسين بك المعروف بشلاق سردار عوضاً عن عثمان بك ابن سليمان بك بارم ذيله وقضى أشغاله وسافر في أوائل المحرم.

سنة خمس وعشرين ومائة وألف

ورد أيضا آغا باستعجال الخزينة ورجع الحجاج في شهر صفر صحبة محمد بك قطامش، وانتهت رياسة مصر إلى قيطاس بك ومحمد بك وحسن كتخدا النجدلي وكور عبد الله وإبراهيم الصابونجي. فسولت لقيطاس بك نفسه قطع بيت القاسمية وأخذ يدبر في ذلك وأغرى سالم بن حبيب فهجم على خيول اسمعيل بك ابن ايواز بك في الربيع وجم أذناب الخيول ومعارفها ما عدا الخيول الخاص، فإنها كانت بدوار الوسية، وذهب و لم يأخذ منها شيئا وحضر في صبحها أمير أخور فاخبروه وكان عنده يوسف بك الجزار فلاطفه وسكن حدته وأشار عليه بتقليد حسن أبي دفية قائمقام الناحية، ففعل ذلك وجرت له مع ابن حبيب أمور ستذكر في ترجمة ابن حبيب فيما يأتي. ثم أنه كتب عرضحال أيضا على لسان الأمير منصور الخبيري يذكر فيه أن عرب الضعفاء أخربوا الوادي وقطعوا درب الفيوم.وأرسل ذلك العرضحال صحبة قاصد يأمنه فختمه منصور وأرسله إلى الباشا صحبة البكاري خفير القرافة. فلما طلع قيطاس بك في صبحها إلى الباشا وأجتمع باقي الأمراء، وكان قيطاس بك رتب مع الباشا أمراً سراً وأغراه وأطمعه في القاسمية وما يؤول إليه من حلوان بلاد إبراهيم بك ويوسف بك وابن ايواظ بك وأتباعهم، فلما استقر مجلسهم دخل البكاري بالعرضحال فأخذه كاتب الديوان وقرأه على أسماع الحاضرين، فأظهر الباشا الحدة وقال: أنا أذهب لهؤلاء المفاسيد الذين يخربون بلاد السلطان ويقطعون الطريق. فقال إبراهيم بك أقل ما فينا يخرج من حقهم، وانحط الكلام على ذهاب إبراهيم بك واسمعيل بك ويوسف بك وقيطاس بك وعثمان بك ومحمد بك قطامش. وكان قانصوه بك في بني سويف في الكشوفية وأحمد بك الأعسر في إقليم البحيرة فلما وقع الاتفاق على ذلك خلع عليهم الباشا قفاطين ونزلوا فأرسلوا خيامهم ومطابخهم إلى تحت أم خنان ببر الجيزة وعدوا بعد العصر ونزلوا بخيلهم. واتفق قيطاس بك مع عثمان بك أنهم يعدون خلفهم بعد المغرب ويكونون أكلوا العشاء وعلوا على الخيول، وعندما يترلون إلى الصيوان يتركون الخيول ملجمة والمماليك والطوائل بأسلحتها. فإذا أتى إلينا الثلاثة صناجق نقتلهم ثم نركب على طوائفهم وخيولهم مربوطة فنقتل كل من وقع ونخلص ثار الفقارية الذين قتلهم خال إبراهيم بك في الطرانة. فلما فعلوا ذلك وعدوا وأوقدوا المشاعل وذلك وقت العشاء، ونزلوا بالصيوان، قال إبراهيم بك ليوسف بك واسمعيل بك: قوموا بنا نذهب عند قيطاس بك. قالا له: أنت فيك الكفاية. فذهب إبراهيم بك وهو ماش و لم يخطر بباله شيء من الخيانة. فلما دخل عندهم وسلم وجلس سأله قيطاس بك عن رفقائه. فقال: أنهم جالسون محلهم فلم يتم ما أرادوه فيهم من الخيانة. فعند ذلك قام محمد بك وعثمان بك إلى خيامهما وقلعا سلاحهما وخلعا لجامات الخيل وعلقا مخالي التبن ورجعا إليهما، فقال قيطاس بك لإبراهيم بك: أركبوا أنتم الثلاثة في غد وانصبوا عند وسيم ونحن نذهب إلى جهة سقارة فنطرد العرب فيأتون إلى جهتكم، فأركبوا عليهم. فأجابه إلى ذلك. ثم قام وذهب إلى رفقائه فأخبرهم بذلك وباتوا إلى الصباح. وفي الصباح حملوا وساروا إلى جهة وسيم كما أشار إليهم قيطاس بك، فترلت إليهم الزيدية بالفطور فسألوهم عن العرب فقالوا لهم الوادي في أمن وأمان بحمد الله لا عرب ولا حرب ولا شر. وأما قيطاس بك ومن معه فإنه رجع إلى مصر وأرسل إلى ابن حبيب بأن يجمع نصف سعد وعرب بلي ويرسلهم مع أبنه سالم يدهمون الجماعة بناحية وسيم ويقتلوهم، فتلكأ ابن حبيب في جمع العربان لصداقة قديمة بينه وبين إبراهيم بك وحضر

لهم رجل من الأجناد كان تخلف عنهم لعذر حصل له، فأخبرهم برجوع قيطاس بك ومن معه إلى مصر فركب إبراهيم بك ويوسف بك واسمعيل بك ونزلوا بالجيزة عند أبي هريرة وصحبتهم خيالة الزيدية، وباتوا هناك وعدوا في الصباح إلى منازلهم سالمين.

وفي هذه السنة حصل طاعون وكان ابتداؤه في القاهرة في غرة ربيع الأول، وتناقص في أواخر جمادى الآخرة. ووصل عابدين باشا إلى الإسكندرية وتقلد يوسف بك الجزار قائمقام وخلع على ابن سيده اسمعيل بك، ولما حضر الباشا إلى الحلي وطلع إلى العادلية وأحضر الأمراء تقادمهم، وقدم له اسمعيل بك تقدمة عظيمة وأحبه الباشا وأختص به ومال قلبه إلى فرقة القاسمية فقلدهم المناصب والكشوفيات. وحضر مرسوم بإمارة الحج لاسمعيل بك ابن ايواظ بك، وعابدين باشا هذا هو الذي قتل قيطاس بك بقراميدان كما يأتي خبر ذلك في ترجمة قيطاس بك. وهرب محمد بك قطامش تابعه بعد قتل سيده إلى بلاد الروم وأقام هناك مدة ثم عاد إلى مصر، وسيأتي خبر ذلك في ترجمته. وفي ولايته تقلد عبد الله كاشف وصاري علي وعلي الأرمني واسمعيل كاشف صناجق الأربعة ايواظية، وتقلد منهم أيضا عبد الرحمن آغا ولجه آغات جمليه واسمعيل آغا كتخدا وايواظ بك كتخدا الجاويشية ومن أتباع إبراهيم بك أبي شنب قاسم الكبير وإبراهيم فارسكور وقاسم الغير ومحمد جلبي بن إبراهيم بك أبي شنب وجركس محمد الصغير خمستهم صناجق، واستقر الحال وطلع بالحج الأمير اسمعيل بك ابن أيواظ سنة سبع وعشرين وسنة ثمان وعشرين في أمن وأمان وسخاء ورخاء.

سنة ثمان وعشرين

وفي سنة ثمان وعشرين ورد آغا من اسلامبول وعلى يده مرسوم بطلب ثلاثة آلاف من العسكر المصري وعليهم أمير فادر، وكانت النوبة على محمد بك جركس الكبير فلما اجتمعوا بالديوان وقرئ المرسوم، خلع الباشا على محمد بك جركس القفطان ونزل إلى داره فطوى القفطان وأرسله إلى سيده إبراهيم بك، ويقول له: عندك خلافي صناجق كثيرة فأني قشلان. فتكدر خاطره ثم أرسل إليه صحبة أحمد بك الأعسر عشرين كيسا فاستقلها، فأعطاه أيضا وصولا بعشرة أكياس على الطرانه فجهز حاله وركب إلى قصر الحلي بالموكب وأحضر عنده الحريم، فأقام أياماً في حظه وصفائه والآغا المعين يستعجل السفر، وفي كل يوم يأتيه فرمان من الباشا بالاستعجال والذهاب، وهو لا يبالي بذلك. ثم أن الباشا تكلم مع إبراهيم بك في شأن ذلك، فلما نزل إلى بيته أرسل إليه أحمد بك الأعسر وقاسم بك الكبير فأخبراه بتقريظ الباشا والاستعجال، فقال في جوابه: جلوسي هنا أحسن من إقامتي تحت الطرانة حتى يدفعوا لي العشرة أكياس، فلا أرتحل حتى تأتيني العشرة أكياس. ورمى لهم الوصول، فرجع أحمد بك إلى إبراهيم بك وأخبره بمقالته ورد إليه الوصول، فما وسعه إلا أنه دفع ذلك القدر إليه نقداً، وقال: سوف يخرب هذا بيتي بعناده. فلما وصله ذلك نزل إلى المراكب وسافر. ثم ورد مسلم علي باشا وأخبر بولايته مصر.

سنة تسع وعشرين ومائة وألف

فاجتمعوا بالديوان وتقلد إبراهيم بك أبو شنب قائمقام، ونزل إلى بيته وخلع على أحمد بك الأعسر، وجعله أمين السماط.ونزل عابدين باشا من القلعة عندما وصل الخبر بوصول علي باشا إلى إسكندرية، وسافرت إليه أرباب الخدم والعكاكيز وسافر عابدين باشا قبل حضور علي باشا بمصر. وحضر علي باشا وطلع إلى القلعة على الرسم المعتاد واستقر في ولاية مصر والأمور صالحة والفتن ساكنة ورياسة مصر للأمير إبراهيم بك أبي شنب الكبير، والأمير اسمعيل بك ابن ايواظ بك ومحمد كتخدا جدك مستحفظان، وإبراهيم جربجي الصابونجي عزبان، وأتباع حسن جاويش القازدغلي وهم عثمان اوده باشا وسليمان أوده باشا تابع مصطفى كتخدا وخلافهم من رؤساء باب العزب وباقي البلكات، ومات الأمير إبراهيم بك الكبير سنة ثلاثين فاستقل بالرياسة اسمعيل بك ابن ايواظ بك وسكن محمد بك ابن إبراهيم بك بمترل أبيه، وفي نفسه ما فيها من الغيرة والحسد لاسمعيل بك ابن حشداش أبيه.

وفي أواخر سنة تسع وعشرين، ورد قابجي وعلى يده مرسوم بطلب ثلاثة آلاف من عسكر مصر وعليهم أمير لسفر الجهاد، وكان الدور على محمد بك ابن ايواظ أخي اسمعيل بك، فعلم أخوه أنه خفيف العقل فلا يستر نفسه في السفر، فقلد أحمد كاشف صنجقية وجعله أمير العسكر وجعل مملوكه علي الهندي كتخداء إليه وقضوا أشغالهم.وركب الأمير والسدادرة بالموكب ونزلوا إلى بولاق وسافروا بعد ثلاثة أيام، وأدركوا عسكر الأروام وسافروا صحبتهم.

سنة ثلاثين

وحضر محمد جركس من السفر في سنة ثلاثين فوجد سيده إبراهيم بك توفي، وأمير مصر اسمعيل بك، فتاقت نفسه للرياسة فضم إليه جماعة من الفقارية مثل حسين أبو يدك وذي الفقار تابع عمر آغا وأصلان وقيلان ومن يلوذ بهم من أمثالهم، واتخذ لهم سراجاً قبيحاً يقال له الصيفي، وكان الدفتردار في ذلك الوقت أحمد بك الأعسر تابع إبراهيم بك أبي شنب، وكلما رأى تحرك محمد بك جركس لإثارة الفتن يهدي عليه ويلاطفه ويطفئ ناريته. وكان ذو الفقار لما قتل سيده عمر آغا وأراد اسمعيل بك قتله أيضا في ذلك اليوم، فوقع على خازندار حسن كتخدا الجلفي وحماه من القتل وأخرج له حسن كتخدا حصة في قمن العروس بالمحلول عن سيده وهي شركة اسمعيل بك ابن ايواظ و لم يقدر حسن كتخدا أن يذاكر اسمعيل بك في قائظها لعلمه بكراهته لذي الفقار ويريد قتله. فلما مات حسن كتخدا الجلفي وحضر محمد بك جركس من السفر، انضم إليه ذو الفقار المذكور وخاطب في شأنه اسمعيل بك، فلم يفد و لم يرض أن يعطيه شيئا من فائظه وتكرر هذا مراراً حتى ضاق خناق ذي الفقار من الفشل، فدخل على محمد بك جركس في وقت خلوة وشكا إليه حاله وفاوضه في اغتيال اسمعيل بك. فقال له: أفعل ما تريد. فأخذ معه في ثاني يوم أصلان وقيلان وجماعة خيالة من الفقارية ووقفوا لاسمعيل بك في طريق الرميلة عند سوق الغلة وهو طالع إلى الديوان، فمر اسمعيل بك وصحبته يوسف بك الجزار واسمعيل بك جرجا وصاري علي بك فرموا عليهم بالرصاص، فلم يصب منهم إلا رجل قواس، ورمح اسمعيل بك ومن بصحبته إلى باب القلعة ونزل هناك وكتب عرضحال ملخصه الشكوى من محمد بك جركس، وأنه قد جمع عنده المفسدين ويريد إثارة الفتن في البلد، وأرسله إلى الباشا صحبة يوسف بك. فأمر علي باشا بكتابة فرمان خطاباً للوجاقات بإحضار محمد بك جركس، وإن أبى فحاربوه واقتلوه. فلما وصل الخبر إلى جركس ركب مع المنضمين إليه فقارية وقاسمية ووصل إلى الرميلة، فصادف الموجهين إليه فحاربهم وحاربوه، وقتل حسين بك أبو يدك آخرون وانهزم جركس وتفرق من حوله و لم يتمكن من الوصول إلى داره. فذهب على طريق الناصرية و لم يزل سائرا حتى وصل إلى شبرا و لم يبق صحبته سوى مملوكين. فلاقاه جماعة من عرب الجزيرة فقبضوا عليهم واخذوا سلاحهم وأتوا بهم إلى بيت اسمعيل بك ابن ايواظ بك وكان عند أحمد كتخدا أمين البحرين والصابونجي، فأشارا عليه بقتله فلم يرض وقال أنه دخل بيتي وخلع عليه فروة سمور وأعطاه كسوة وذهبا ونفاه إلى جزيرة قبرص. ورجع العسكر الذين كانوا بالسفر واستشهد أمير العسكر أحمد بك فقلدت الدولة علي كتخدا الهندي صنجقاً عوضاً عن مخدومه أحمد بك، وأعطوه نظر الخاصكية قيد الحياة، وأطلقوا له بلاده من غير حلوان. فلما وصلوا إلى مصر عمل له يوسف بك الجزار سماطاً بالحلي، ثم ركب وطلع إلى القلعة وخلع الباشا على علي بك الهندي خلعة السلامة، ونزل إلى بيت اسمعيل بك وأنعم عليه بتقاسيط بلاد فائظها اثنا عشر كيسا. واستمر صنجقا وناظرا على الخاصكية.

وفي هذه السنة أعني سنة ثلاثين حصلت حادث ببولاق، وهو أن سكان حارة الجوابر تشاجروا مع بعض الجمالة ابتاع أوسية أمير الحاج، فحضر اليهم أمير اخور فضربوه ووصل الخبر إلى الأمير اسمعيل بك، فأرسل إليهم آغات الينكجرية والوالي

فضربوهم فركب الصنجق بطائفته وقتلوا منهم جماعة وهرب باقيهم وأخرجوا النساء بمتاعهن وسمروا الدرب من الجهتين وكانت حادثة مهولة، واستمر الدرب مقفولا مسمرا نحو سنتين.

وفيها كان موسم سفر الخزينة وأميرها محمد بك ابن إبراهيم بك أبو شنب. وكان وصل إليه الدور وخرج بالموكب وأرباب المناصب والسدارة ولما وصل إلى اسلامبول واجتمع بالوزير ورجال الدولة أوشى إليهم في حق اسمعيل بك ابن ايواظ وعرفهم أنه أن استمر أمره بمصر أدعى السلطنة بها وطرد النواب، فإن الأمراء وكبار الوجاقات والدفتردار وكتخدا الجاويشية صاروا كلهم اتباعه ومماليكه ومماليك أبيه.وعلي باشا المتولي لا يخرج عن مراده في كل شيء، ونفى وأبعد كل من كان ناصحاً في خدمة الدولة مثل جركس ومن يلوذ به، وعمل للدولة أربعة آلاف كيس على إزالة اسمعيل بك والباشا وتولية وال آخر يكون صاحب شهامة. فأجابوه إلى ذلك. وكان قبل خروجه من مصر أوصى قاسم بك الكبير على إحضار محمد بك جركس فأرسل إليه وأحضره خفية واختفى عنده.ثم أن أهل الدولة عينوا رجب باشا أمير الحاج الشامي ورسموا له عند حضوره إلى مصر أن يقبض على علي باشا ويحاسبه ويقتله ثم يحتال على قتل اسمعيل بك أن ايواظ وعشيرته ما عدا بك الهندي . ورجع محمد بك ابن أبي شنب إلى مصر وعمل دفتر دار، وحضر مسلم رجب باشا ومعه الأمر بحبس علي باشا بقصر يوسف وقائمقامية إلى أحمد بك الأعسر. وبعد أيام وصل الخبر بوصول رجب باشا إلى العريش، وسافرت له الملاقاة وتقلد إبراهيم بك فارسكور أمين السماط وطلع اسمعيل بك أميراً بالحج.

سنة إحدى وثلاثين

وهي سنة إحدى وثلاثون ومائة وألف، وذلك عند وصول رجب باشا إلى العريش، ثم حضر رجب باشا إلى مصر وعملوا له الشنك والموكب على العادة، فلما اسقر بالقلعة أحضر إليه ابن علي باشا وخازنداره وكاتب خزينته والروزنامجي وأمره بعمل حسابه ثم قطع رأسه ظلماً وسلخها وأرسلها إلى الباب ودفن علي باشا بمقام أبي جعفر الطحاوي بالقرافة، ويعرف إلى الأن قبره بعلي باشا المظلوم، وأمر بضبطجميع مخلفاته ثم أحضر له جركس خفية وأمر الآغا والوالي بالمناداة عليه وكل من آواه يشنق على باب داره. ثم اختلى به وقال له: كيف العمل والتدبير في قتل ابن ايواظ بك وجماعته، فقال له: الرأي في ذلك أن ترسل إلى العرب يقفون في طريق الوشاوشة فأنهم يرسلون يعرفونكم بذلك، فأرسلوا لهم عبد الله بك وبعد عشرة أيام أرسلوا يوسف بك الجزار ومحمد بك ابن ايواظ بك واسمعيل بك جرجا وعبد الرحمن آغا ولجه آغات الجملية، فعندما يرتحلون من البركة يقتل اسمعيل بك الدفتردار كتخدا الجاويشية، عند ذلك أنا أظهر ونقلد إمارة الحج إلى محمد بك ابن اسمعيل بك، ونرسله بتجريدة إلى ابن ايواظ بك يقتلونه مع جماعته وهذا هو الرأي والتدبير. ففعلوا ذلك و لم يتم، بل اختفى اسمعيل بك ودخل إلى مصر ثم ظهر بعد أن دبر أموره وعزل رجب باشا وأنزلوه إلى بيت مصطفى كتخدا عزبان وفسد تدبيره، وكتبوا عرضحال بصورة الواقع وأرسلوه إلى اسلامبول. وسيأتي تتمة خبر ذلك في ترجمة اسمعيل بك. وكان رجب باشا أخذ من مال دار الضرب مائة وعشرين كيسا صرفها على التجريدة.

سنة ثلاث وثلاثين

وصل محمد باشا النشانجي سنة ثلاث وثلاثين. فعندما استقر بالقلعة طلب من رجب باشا المائة وعشرين كيسا وقلد إمارة الحج لمحمد بك، فطلع بالحج سنة ثلاث وسنة أربع وثلاثين ثم حضر مرسوم والعفو لاسمعيل بك ابن ايواظ بك وقرئ بالديوان وساف رجب باشا وسكن الحال مع التنافر والحقد الباطني الكامن في نفس محمد بك جركس وابن أستاذه محمد بك أبي شنب لاسمعيل بك ابن ايواظ وهو يسامح لهم ويتغافل عن أفعالهم وقبائحهم ويسوس أموره معهم، وكل عقدة عقدوها بمكرهم حلها بحسن رأيه وسياسته وجودة رأيه. وجرت بينه وبينهم أمور ووقائع ومخاصمات وجمعيات ومصالحات يطول شرحها ذكرها أحمد جلبي عبد الغني في تاريخه الذي ضاع مني. و لم يزل اسمعيل بك ظاهرا عليهم حتى خانوه واغتالوه وقتلوه بالقلعة على حين غفلة على يد ذي الفقار تابع عمر آغا وأصلان وقيلان ومن معهم، وقتلوا وقتلوا معه اسمعيل بك جرجا وعبد الله آغا كتخدا الجاويشية ثم تحيلوا على قتل عبد الله بك ومحمد بك ابن ايواظ وإبراهيم بك ابن الجزار، وذلك في سنة ست وثلاثين ومائة وألف في أيام ولاية محمد باشا المذكور. وسيأتي تتمة ذلك في ذكر تراجمهم وقلدوا ذا الفقار قاتل اسمعيل بك الصنجقية وكشوفية المنوفية،وأنضم إليه من كان خاملاً من الفقارية وبدأ أمرهم في الظهور. فممن انضم إليه مصطفى بك يلفيه ومحمد بك أمير الحاج وهو ابن اسمعيل بك الكبير الفقاري واسمعيل بك الدالي وقيطاس بك الأعور واسمعيل بك ابن سيده ومصطفى بك فزلار وخلافهم اختيارية وآغوات من الوجاقلية، ونظم أموره وقضى لوازمه وأشغاله وجعل مصطفى أفندي الدمياطي كاتب تركي، وعزم على السفر إلى المنوفية، وركب في موكب حافر وصحبته من ذكر من الفقارية. وكان رجب كتخدا ومحمد جاويش الداودية متوجهين إلى بيت محمد بك جركس، وكانا خصيصين به وبيدهما باب الينكجرية مع الاقواسي، ولهما الكلمة بالباب دون القازدغلية. فصادف موكب ذي الفقار فوقفا ونظرا إلى الراكبين معه من الفقارية، فتغير خاطرهم على جركس وتكدر مزاجهما وترحما على اسمعيل بك ابن ايواظ. ولما دخلا على جركس نظر إليهما فرآهما منفعلين فسألهما عن سبب انفعالهما فأخبراه بما رأياه. وقالا ان دام هذا الحال قتلنا الفقارية، فقال: يكون خيراً. ثم أمر الصيفي بقتل أصلان وقيلان فوظب معه سراجا يثق به وأمره أن يقف في سلالم المقعد، فعندما علم بحضورهما أحدث الصيفي مشاجرة مع ذلك السراج وفزع عليه بالطبنجة، فهرب السراج من أمامه فجرى الصيفي خلفه فاخرج ذلك السراج طبنجته أيضا ورفع زنادها، فقال له أصلان: عيب فأفرغها فيه وفرغ أيضا الصيفي طبنجته في قيلان وذلك بسلالم المقعد ببيت جركس، ومسح الخدم الدم وأخذوا خيولهما وأرسلوا المقتولين إلى بيوتهما في تابوتين. ثم أن محمد بك جركس طلع إلى القلعة وطلب من الباشا فرمانا بتجريدة يرسلها إلى ذي الفقار ومن معه من الفقارية فامتنع الباشا، وقال: رجل خاطر بنفسه بمعرفتكم واطلاعكم كيف أني أعطيكم بعد ذلك فرمانا بقتله. فقام جركس ونزل إلى بيته و لم يطلع بعد ذلك إلى الديوان، وأهملوا الدواوين والباشا. فلما ضاق خناق الباشا أبرز مرسوما رفع صنجقية جركس وكتب فرمانا للمشايخ والوجاقلية بذلك ويمنعهم من الذهاب إليه، وبلغ إلى جركس فتدارك الأمر وعمل جمعيات ورتب أمورا، واجتمعوا بالرميلة وحوالي القلعة وعزلوا الباشا وأنزلوه وأسكنوه في

بيت ابن الدالي وكان ذلك في أواخر سنة سبع وثلاثين، فكانت مدته في هذه المدة أربع سنوات وأرسلوا له محمد بك ابن أبي شنب فخلع عليه وجعلوه قائمقام وأخذوا منه فرمانا بالتجريدة على ذي الفقار، وجعلوا إبراهيم بك فارسكور أمير العسكر وكاشف المنوفية.ووصل الخبر إلى ذي الفقار بك بما حصل من مصطفى بك بلغيه فوزع طوائفه في البلاد ودخل إلى مصر خفية إلى بيت أحمد أوده باشا مطر باز. فلما سافر إبراهيم بك بالتجريدة فلم يجده فضبط موجوداته وتحقق من المخبرين أنه دخل إلى مصر وأرسل الخبر بذلك لجركس، فأمر لهلوبة الوالي والصيفي بالفحص والتفتيش عليه وأرسلوا عرضحال محضراً بما نمقوه وبترول الباشا.وكان محمد باشا أرسل قبل ذلك مكاتبات لرجال الدولة بما حصل بالتفصيل، فلما وصل عرض المصريين عينوا علي باشا واليا جديداً إلى مصر بتدبير ومكيدة وصحبته قبودان وقابجي بطلب الأربعة آلاف كيس التي جعلها محمد بك ابن أبي شنب حلواناً على بلاد الشواربية.

بعض الحوادث في تلك السنة

من الحوادث في أيام محمد باشا أن في أول الخماسين، طلع الناس على جري العادة في ذلك لاستنشاق النسيم في نواحي الخلاء، وخرج سرب من النساء إلى الأزبكية وذهب منهن طائفة إلى غيط الأعجام تجاه قنطرة الدكة، فحضر اليهن جماعة سراجون وبأيديهم السيوف من جهة الخليج وهم سكارى وهجموا عليهن وأخذوا ثيابهن وما عليهن من الحلي والحلل.

ثم أن الخفراء وأوده باشة القنطرة حضروا إليهن بعد ذهاب أولئك السراجين فأخذوا ما بقي وكملوا بقية النهب وجميع من كان هناك من النساء من الأكابر، ومن جملة ما ضاع حزام جوهر وبشت جوهر قالوا أن الحزام قيمته تسعة أكياس والبشت خمسة أكياس. ومن جملة من أن هناك آمنة الجنكية وصحبتها امرأة من الأكابر فعروهما وأخذوا ما عليهما، وكان لها ولد صغير وعلى رأسه طاقية عليها جواهر وبنادقة وزوجا أساور جوهر وخلخال ذهب بندقي قديم وزنه أربعمائة مثقال. ومن جملة ما أخذوا لباس شبيكة من الحرير الأصفر والقصب الأصفر وفي كل عين من الشبيكة لؤلؤة شريط مخيش، والدكة كذلك واخذوا أزرهن وفرجياتهن وأرسلن إلى بيوتهن فتاتين بثياب يستترن بها وذهبن. وكانت هذه الحادثة من أشنع الحوادث. ثم أن في ثاني يوم قدموا عرضحال إلى الباشا وأخذوا على موجبة فرمانا إلى آغات الينكجرية على أنه يتوجه وصحبته الوالي واوده باشة البوابة، فذهبوا إلى محل الواقعة، وأحضروا أهل الخطة فشهدوا على أن هذه الفعلة من الخفراء بيد أوده باشة مركز القنطرة وهو الذي أرسل السراجين والحمارة، فقبضوا على الخفراء والاوده باشا وسئلوا فأنكروا فحبس الاوده باشا في بابة والخفراء في العرقانة، وأمر الباشا الوالي بعقابهم فلما رأوا آلة العذاب اقروا أن ذلك من فعل الاودة باشا. فاخذوا منه مالا كثيرا ونفوه إلى أبي قير ونادى الآغا والوالي على النساء لا يذهبن إلى الغيطان بعد اليوم ولا يركبن الحمير.

ومنها أنه ورد آغا من الديار الرومية في سابع عشر ربيع الآخرة سنة خمس وثلاثين، وعلى يده مرسوم بدفع ستين كيسا إلى باشة جدة ليشتروا بها مركبا هنديا لحمل غلال الحرمين، عوضا عن مركب غرقت قبل هذا التاريخ. وحضر صحبة ذلك الآغا تاجر عظيم من تجار الشوام ومعه أتباعه، ووصل الجميع على خيل البريد إلى أن وصلوا إلى بركة الحاج. فترلوا يأخذوا لهم راحة لكونهم وصلوا أرض الأمان، وفارقهم الآغا، فترل عليهم سالم بن حبيب فعراهم، وأخذ ما معهم وكذلك كل من صادفه في الطريق. ومن جملة ذلك سبعون جملا لعبد الرحمن بك محملة ذخيرة من الولجة إلى مترله، وكذلك جمال عبد الله بك

وجمال السقائين، وحصل منهم ما لا خير فيه، وكان صحبة سالم عرب الجزيرة ومغاربة. وسبب ذلك أنه لما طرد من دجوة وذهب إلى الصعيد فنزل إلي قيحاس بك وجمع عليه عربان القبائل وحاربه وقتل أولاده، فرجع من خلف الجبل وقعد بالبركة وقطع الطريق. فلما وصل الخبر بذلك إلى مصر نزل إليه أمير الحاج وكاشف القليوبية حمزة بك تابع ابن ايواظ وعينوا صحبتهم عرب الصوالحة وهم نصف حرام، فنزل أمير الحلي بالمسبك وجلس هناك وابن حبيب نازل في المساطب التي بعد البركة، وناصب صيوان كاشف شرق اطفيح وكان نهبه وهو متوجه إلى قبلي، فإن الكاشف لما أقبل عليه سالم رمح عليه وكان في قلة فهزمه سالم واخذ صيوانه ونهب الوطاق والجمال وأخذ النقاقير، ونزل البركة وربط خيوله هو ومن معه في الغيطان. فأكلوا ستة وثلاثين فدان برسيم في ليلة واحدة. ثم أن الباشا أرسل إلى أمير الحاج بالرجوع وعينوا عبد الله بك وحمزة بك وخليل آغا وأرسل اسمعيل بك صحبتهم خمسمائة جندي من أتباعه ومن البلكات، ومعهم فرمان لجميع العرب بالتعمير في أوطانهم، ما عدا سالم بن حبيب وأخوته ومن يلوذ به وسافرت لهم التجريدة، وارتحل ابن حبيب وسار إلى جهة غزة. ونهبت التجريدة ما في طريقها من البلاد، وأرسل إليهم الباشا فرمانا بالعود فرجعوا من غير طائل.

ومنها أنه ورد شاهقتان وهما مركبان من أرض حوران مملوءتان قمح حنطة، في كل واحدة عشرة آلاف اردب، بيعتا في دمياط، وكان سعر الغلة غاليا بمصر لقصور النيل في العام الماضي، وتسامعت البلاد بذلك، فهذا هو السبب في ورود هذين المركبين.

وفي شهر ذي القعدة سنة خمس وثلاثين ومائة وألف تقلدا الصنجقية علي آغا الأرمني الذي عرف بأبي العزب وكذلك علي آغا صنجقية وأمين العنبر وحاكم جرجا وكمل بذلك صناجق مصر أربعة وعشرين صنجقاً.

وكانوا في المعتاد القديم اثنين وعشرين وكتخدا الباشا وقبطان الإسكندرية فتكرم الباشا بصنجقية كتخداه لعلى بك الأرمني إكراماً لاسمعيل بك ابن ايواظ بك، فكمل بذلك عشرة من أتباع اسمعيلبك وهم اسمعيل بك الدفتردار وعبد الله بك وأخوه محمد وحمزة بك وعلي بك الهندي وصاري علي بك وإبراهيم بك خازندار الجزار وعبد الرحمن بك ولجه وعلي بك هذا المعروف بأبي العزب، وهو عاشرهم، ومن بيت أبي شنب محمد بك ابنه وجركس الكبير ومملوكه جركس الصغير وقاسم الكبير وقاسم الصغير والأعسر وإبراهيم بك فارسكور وذو الفقار تابع قانصوه ومصطفى بك القزلار وقيطاس بك تابع قيطاس بك الكبير وابن اسمعيل بك الدفتر دار وهو محمد بك وأحمد بك المسلماني ومرجان جور وإبراهيم الوالي تتمة أربعة عشرة. وتقلد كشوفية الغربية محمد بن اسمعيل بك والبحيرة أحمد بك الأعسر وبني سويف قاسم بك الصغير والجيزة محمد بك أبي شنب الدفتر دار والشرقية عبد الرحمن بك. ولبس علي القليوبية خليل آغا بعد عزله من آغاوية الجراكسة وتقلد قيطاس بك كشوفية المنوفية بعد عزله من آغاوية التفكجية، وتقلد حسين آغا ابن محمد آغا تابع البكري كشوفية الفيوم وإبراهيم بك الوالي على الخزينة وألبس اسمعيل بك محمد آغا ابن أشرف علي آغاوية الجملية على ما هو عليه. وكان أراد محمد بك تلبيس مصطفى آغا بلغيه فحصل بين بك ابن أبي شنب وبين اسمعيل بك ابن ايواظ بك غم وكلام في الديوان، فلما رأى مصطفى آغا ذلك ما وسعه إلا النزول من باب الميدان، وتركهم وألبس عبد الغفار أفندي آغاوية الجراكسة ومصطفى آغا تابع عبد الرحمن بك آغات متفرقة. وركب اسمعيل بك بطائفته ونزل بن أبي شنب والأعسر وقاسم بك وهم مملوءون من الغيظ.

وفي رجب قبل ذلك ورد آغا من الديار الرومية وعلى يده مرسوم وسيف وقفطان للشريف يحيي شريف مكة، وتقرير للباشا على السنة، وآغاوية المتفرقة لعبد الغفار أفندي، لم يسبق نظير ذلك. وأن آغاوية المتفرقة تأتي من الديار الرومية، وسبب ذلك أن حسن أفندي والد عبد الغفار أفندي كان عنده طواشي أهداه إلى السلطنة فأرسل ذلك الآغا آغاوية المتفرقة إلى ابن سيده فالبسه الباشا القفطان على ذلك، فحصل بسبب ذلك فتنة في الوجاق. وسبب ذلك أن وجاقهم فرقتان ظاهرتان بخلاف غيره، والظاهر منهما ستة أشخاص من الاختيارية، وهم سليمان آغا الشاطر وعلي آغا وعبد الرحمن آغا القاشقجي وخليل آغا وإبراهيم كاتب المتفرقة سابقاً وكبيرهم محمد آغا السنبلاوين، وهم من طرف محمد بك جركس: لكن لما ظهر اسمعيل بك انحطت كلمتهم وظهرت كلمة الذين من طرف اسمعيل بك، وهم اسمعيل آغا ابن الدالي وأحمد حلبي بن حسين آغا أستاذ الطالبية وأيوب جلبي. فلما تولى عبد الغفار آغاوية لحق أولئك الحقد والحسد وتناجوا فيما بينهم على أن يملكوا الباب، فاجتمعوا بأنفارهم وملكوا الباب، فهرب عبد الغفار آغا إلى بيت اسمعيل بك وكان عنده الجماعة الآخرون. فدخل عليهم عبد الغفار آغا وأخبرهم بما حصل، فأشار عليهم اسمعيل بك أن يذهبوا إلى بيت أحمد جلبي ويجعلوه محل الحكم. وأرسل أولئك الطرف، فطلبوا محمد آغا أبطال وباكير آغا تابع اسمعيل بك الكبير ومصطفى أغا وكانوا منفيين من بابهم إلى العزب، وكانوا كبراءهم، وخرجوا منهم في واقعة جركس المتقدمة، فآبوا من الحضور إليهم. فلما أبوا عليهم عملوا القاشقجي باش اختيار عوضاً عن أبطال وعزلوا وولوا على مرادهم، وطلع في صبحها اسمعيل بك إلى الديوان وصحبته علي بك وأمير الحاج وأخبروا الباشا بما حصل فأرسل اثنين آغوات ومن كل وجاق اثنين اختيارية لينظروا الخبر، ففزعوا عليهم فرجعوا وأخبروا الباشا والأمراء، فأرسل لهم فرمانا بنفيهم إلى الكشيدة، فأبوا وصمموا على عدم ذهابهم إلى الكشيدة. وأقام الأمراء عند الباشا إلى الغروب ثم أنهم نزلوا ووعدوا الباشا أنهم في غد يفصلون هذا الأمر، وأن لم يمتثلوا حاربناهم. فلما كان في ثاني يوم عملوا جمعية واتفقوا على توزيع الستة أنفار على الست وجاقات، وكتبوا من الباشا ست فرمانات لك فرد منهم فرمان، فكان كذلك وتفرقوا في الوجاقات.

ونزل اسمعيل بك ابن ايواظ ثالث عشر رجب سنة خمس وثلاثين إلى بيته بعد أقامته في باب العزب ثلاثة أيام في طائفته ومماليكه وصناجقه، بحيث أن أوائل الطائفة دخلوا إلى البيت قبل ركوبه من باب العزب، وكان خلفه نحو المائتين بالطرابيش الكشف، وتمم الأمر على مراده. ثم تحقق الخبر فظهر له أن أصل هذه الفتنة من اسمعيل آغا ابن الدالي فطلع في ثاني يوم إلى الديوان، وألبس اسمعيل آغا آغاوية العزب وأحضر محمد آغا أبطال باش اختياراً.

وفي ذلك اليوم حضر عبد الله بك وحمزة بك المتوجهان إلى العزب ومعهما أربعمائة وخمسون رأسا وسبعة من القادم بالحياة، فأرسل إليهما اسمعيل بك بأن يرميا الرؤوس في الخانقاة ويقتلا الذين بالحياة، ويدخلا إلى مصر بالليل ففعلا ذلك، والله أعلم بغرضه في ذلك.

وفي أيامه أيضاً في شعبان سنة خمس وثلاثين ورد عرضحال من مكة بان يحيى الشريف وعلي باشا والي جدة وعسكر مصر الذين عينوا صحبة أحمد بك المسلماني وأهل مكة تحاربوا مع الشريف مبارك شريف مكة سابقاً وكان معه سبعة آلاف من العرب اليمانية، ووقع بينهم مقتلة عظيمة وسقط علي باشا من على ظهر جواده، إلا أن أحمد بك أدركه وأنقذه بجواده

الجنيب، فخلع على أحمد بك خلعة سمور وسردارية مستحفظان.

وكان ذلك في عرفات وقتل من العرب زيادة عن ألفين وخمسمائة ومن العسكر نحو الخمسين ومن ابتاع الباشا كذلك. ومات علي آغا سردار جمليان، وكان الباشا قتل من الأشراف أثني عشر شخصاً وكانوا في جيرة الشريف يحيى، وقد أبطل الجيرة ثم أنهم رجعوا بعد المعركة إلى جدة، وأنهم مجتهدون في جمع اللموم وقادمون علينا بمكة، والقصد الاهتمام والتعجيل بإرسال قدر ألف وخمسمائة عسكري وعليهم صنجق، لأن الذين عندنا عندما ينقضي الحج يذهبون إلى بلادهم وتصير مكة خالية. وقد أخبرناكم وأرسلنا بمثل ذلك إلى الديار الرومية صحبة الشيخ جلال الدين ومفتي مكة، فكتب الباشا والأمراء بذلك أيضا وانتظروا الجواب. ثم ورد الساعي وأخبر بوصول على باشا إلى سكندرية في غليون البليك وحضر بعد يومين الملم بقائم مقامية لمحمد بك جركس فخلع عليه فروة سمور وأنزله بمكان شهر حواله ورتب له تعيينات. وسافرت الملاقاة وأرباب الخدم والجاويشية والملازمون. وقلد محمد بك خازنداره رضوان صنجقية وجعله أمين السماط، وأخذ الخاصكية من علي بك الهندي وأعطاها لرضوان المذكور وأبطل الخط الشريف الذي بيده بالخاصكية قيد حياته.

سنة ثمان وثلاثين

ووصل الباشا في منتصف ربيع أول سنة 1138 وركب إلى العادلية وخلع خلع القدوم، وقدموا له التقادم، وطلع إلى القلعة بالموكب المعتاد، وضربوا له المدافع والشنك، وسكن الحال.. ثم أن محمد باشا المنفصل أرسل تذكرة على لسان كتخداه خطابا لمصطفى بك بلغيه وعثمان جاويش القازدغلي مضمونها أن حضرة الباشا يسلم عليكم ويقول كلم: لا بد من التدبير في ظهور ذي الفقار وقطع بيت أبي شنب حكم الأمر السلطاني، وتحصيل الأربعة آلاف كيس الحلوان المعين بها القابجي. فلما وصلت التذكرة إلى مصطفى بك أحضر عثمان جاويش وعرضها عليه فقال: هذا يحتاج أولاً إلى بيت مفتوح تجتمع فيه الناس. فاتفقا على ضم علي بك الهندي إليهما وهو يجمع طوائف الصناجق المقتولين ومماليكهم ثم يدبرون تدبيرهم بعد ذلك. فاعتذر بخلويدة فقالوا له: نحن نساعدك وكل ما تريده يحضر إليك. وأحضر أحمد أوده باشا المطرباز ذا الفقار عند علي بك الهندي أحضر مصطفى جلبي بن ايواظ فاحضر كامل طوائف أخيه وجماعة الأمراء المقتولين وبلغ محمد بك جركس أن علي بك الهندي عنده لموم وناس. فأرسل له رجب كتخدا ومحمد جاويش يأمره بتفريق الجمعية ووعده برد نظر الخاشكية إليه. فلما وصلا إليه وجدا كثرة الناس والازدحام وأكلا وشربا فقال له رجب : كتخدا إيش هذا الحال وأنت خالي وجمع الناس يحتاج إلى مال. فقال له وكيف أفعل؟ قال: أطردهم. قال: وكيف أطردهم وهم ما بين ابن أستاذي وخشداشي وابن خشداشي حتى أني رهنت بلدا. فقال: أقعد مع عائلتك وخدمك ونرد لك نظر الخاصكية وأخلص لك البلد المرهونة. قال: يكون خيراً. وانصرفا من عنده ودخل علي بك فاخبر ذا الفقار بذلك فقال له: أرسل إلي سليمان آغا أبي دفية يوسف جربجي البركاوي. فأرسل إليهما وأحضرهما وأدخلهما إليه وتشاوروا فيما يفعلونه. فاتفقوا على قتل إبراهيم أفندي كتخدا العزب، وبقتله يملكون باب العزب. وعند ذلك يتم غرضنا. فأصبحوا بعدما دبروا أمرهم مع الباشا المعزول والفقارية والشواربية وفرقوا الدراهم. فركب أبو دفية بعد الفجر وأخذ في طريقه يوسف جربجي البركاوي ودخلا على إبراهيم كتخدا عزبان فركب معهم إلى الباب. وتطليس ذو الفقار وأخذ صحبته سليمان كاشف ويوسف زوج هانم بنت ايواظ بك ويوسف الشرايبي ومحمد بن الجزار، وأتوا إلى الرميلة ينتظرونهم بعدما ربطوا المحلات والجهات. فعندما وصل إبراهيم كتخدا إلى الرميلة تقدم إليه سليمان كاشف ليسلم عليه وتبعه خازنداره ابن ايواظ وضربه فسقط إلى الأرض، ورمحوا إلى الباب فطردوا البكجية وملكوه. وركب في الحال محمد باشا وحضر إلى جامع المحمودية، ونزل علي باشا إلى باب العزب واجتمعت كامل صناجق نصف سعد وقسموا المناصب مثل الحال القديم: أمير الحلي من الفقارية والدفتر دار من القاسمية ومتفرقة باشا من الفقارية وكتخدا الجاويشية من القاسمية ونحو ذلك. وقرأوا فاتحة على ذلك، وأغات الينكجرية أبو دفية. ومصطفى فندي الدمياطي زعيم وكان القبودان أتى من الإسكندرية ونزل في قصر عثمان جاويش القازدغلي بعسكره، فأتى بهم وملك السلطان حسن وكرنك به مع ذي الفقار بك. وخلع محمد باشا على علي بك الهندي دفتر دار وعلى ذي الفقار صنجقيته كما كان، وعلى علي كاشف قطامش صنجقية وعلى سليمان كاشف صنجقية وحاكم جرجا وعلى مصطفى جلبي ابن ايواظ صنجقية وعلى يوسف آغا

زوج هانم صنجقية وعلى يسف الشرايبي صنجقية وسليمان أبي دفية أغات مستحفظان ومصطفى الدمياطي والي. وحضر إليهم محمد بك أمير الحاج سابقاً ومصطفى بك بلغيه واسمعيل بك الدالي وقيطاس بك الكور واسمعيل بك ابن قيطاس وأقاموا في المحمودية.

هذا ما كان من هؤلاء، وأما محمد بك جركس فانه أستعد أيضاً وأرسل إلى بيت قاسم بك عدة كبيرة من الأجناد ومدافع وعملوا متاريس عند درب الحمام وجامع الحصرية، وهجمت عساكرهم على من بسبيل المؤمن بالبنادق والرصاص حتى أجلوهم وهزموهم وهربوا إلى جهة القلعة وسوق السلاح وأكثرهم لم يدرك حصانه. فلما وقع ذلك عملوا متاريسهم في الحال عند مذبح الجمال ورموا على من بالمحمودية وهرب المجتمعون بالرميلة، وبنى طائفة جركس في الحال متاريس عند وكالة الاشكنية وأرتبك أمر الفرقة الأخرى.

ثم أن يوسف جرجي البركاوي وكان حين ذاك من الخاملين القشلانين وتقدم له الطلوع بالسفر سردار بيرق رمى نفسه في الهلاك وتسلق من باب العزب ونط الحائط والرصاص نازل، وطلع عند محمد باشا والصناجق بالمحمودية وطلب منهم فرمانا لكتخدا العزب يعطيه بيرق سردن جشتي ومائة نفر، وضمن لهم طرد الذين بسبيل المؤمن وملك بيت قاسم بك، وعند ذلك يسير البيارق على بيت جركس. وشرط عليهم أن يجعلوه بعد ذلك كتخدا العزب، فكعلوا ذلك ونزل بمن معه من باب الميدان وسار بهم من جانب تكية اسمعيل باشا وهناك باب ينفذ على تربة الرميلة، فوقف بهم هناك وطوى البيرق وهجم بمن معه على سبيل المؤمن بطلق رصاص متتبع وهو مهللون على حين غفلة. فأجلوهم وفروا من مكانهم إلى درب الحصرية وهم في أقفيتهم حتى جاوزوا متاريسهم وملكوها منهم، ودخلوا بيت قاسم بك وأداروا المدافع على بيت قاسم بك وصعدوا منارة جامع الحصرية، ورموا بالبنادق على بيت قاسم بك. فعند ذلك نزلت البيارق من الأبواب وساروا إلى جهة الصليبة وطلع القبو دان إلى قصر يوسف ورتب مدفعاً على بيت جركس على الرحيل والفرار، فخرج معه أحمد بك الأعسر ومحمد بك جركس على الرحيل والفرار، فخرج معه أحمد بك الأعسر ومحمد بك جركس الصغير وأركب خمسة من مماليكه على خمسة من الهجن المحملة بالمال، وذهبوا إلى جهة مصر القديمة، وعدوا إلى البر الآخر وساروا، وتخلف منهم بمصر محمد بك ابن أبي شنب وعمر بك أمير الحاج ورضوان بك وعلي بك وإبراهيم بك فارسكور. وطلع محمد باشا إلى القلعة ثانياً ونزل علي باشا وسافر إلى منصبه بكريد. وترأس ذو الفقار بك وقلد عثمان بك كاشف مملوكه منجقية وهو عثمان بك الشهير الذي يأتي ذكره، وأرسلوه صحبة يوسف بك زوج هانم بنت ايواظ خلف محمد بك جركس ومعهم عساكر وآغات البلكات، فصاروا كل من وجدوه من أتباع جركس بالجيزة أو خلافها يقتلونه. ووقعوا بأحمد أفندي الروزنامجي فأرسلوه إلى محمد باشا فسجنه مع المعلم داود صاحب العيار بالعرقانة، ثم قتلوهما وقتلوا عمر بك أمير الحاج ومحمد بك ابن أبي شنب وجدوه ميتا بالجامع الأزهر، وعملوا رجب كتخدا سردار جداوي والاقواسي يمق. وخرجا إلى بركة الحاج ليذهبا إلى السويس فأرسلوا من قتلهما أتى برؤوسهما ونهبوا بيوت المقتولين والهربانين وبيت جركس الكبير ومن معه.

وبعد أيام رجع عثمان بك ويوسف بك والتجريدة فأخبروا ذا الفقار بك وعلي بك الهندي أنهم وصلوا حوش ابن عيسى سألوا العرب عن محمد بك جركس ومن معه فأخبروهم أنهم باتوا هناك. ثم أخذوا معهم دليلاً أوصلهم إلى الجبل الأخضر

وركبوا من هناك إلى درنة.

وكان هروب جركس وخروجه من مصر يوم السبت سابع جمادى الآخرة سنة ثمان وثلاثين ومائة وألف. ثم أنهم عملوا جمعية وكتبوا عرضحال بما حصل وأعطوه للقابجي وسلموه ألف كيس من أصل حلوان بلاد اسمعيل بك ابن ايواظ أمرائه وبلاد أبي شنب وأبنه وأمرأته أيضاً وذلك خلاف بلاد محمد بك قطامش ورضوان آغا وكور محمد آغا كتخدا قيطاس بك، وكتبوا أيضا مكاتبة إلى الوزير الأعظم بطلب محمد بك قطامش تابع قيطاس بك الذي تقدم ذكره وهروبه إلى الروم بعد قتل سيده، وختم عليه جميع الأمراء الصناجق والآغوات، وأعطاه الباشا إلى قابجي باشا، فلما وصل إلى الدولة طلب الوزير محمد بك فلما حضر بين يديه قال له أهل مصر: أرسلوا يطلبونك إليهم بمصر.فاعتذر بقلة ذات يديه وأنه مديون فأنعموا عليه بالدفتردارية والذهاب إلى مصر وكتبوا فرمانات لسائر الجهات بإهدار دم محمد بك جركس أينما وجد، لأنه عاص ومفسد وأهل شر، وذلك حسب طلب المصريين. ثم أن محمد باشا والي مصر خلع على جماعة وقلدهم أمريات فقلد مصطفى بن ايواظ صنجقية وحسن آغات الجملية سابقاً صنجقية واسمعيل بن الدالي صنجقية ومحم جلبي بن يوسف بك الجزار صنجقية وسليمان كاشف القلاقي صنجقية وذلك خلاف الوجاقات والبلكات والسدادرة وغيرهم. وسكن الحال وانتهت الرياسة بمصر إلى ذي الفقار بك وعلي بك الهندي. وحضر محمد بك إلى مصر من الديار الرومية فلم يتمكن من الدفتردارية، لأن علي بك الهندي تقلدها بموجب الشرط السابق، وكل قليل يذاكر محمد بك ذا الفقار بك فيقول له: طول روحك. فاتفق أن علي بك المعروف بأبي العذب ومصطفى بك بن ايواظ ويوسف بك الخائن ويوسف بك الشرايبي وعبد الله آغا كتخدا الجاويشية وسليمان آغا ابادفية والكل من فرقة القاسمية كانوا يجتمعون في كل ليلة عند واحد منهم يعملون حظا ويشربون شراباً. فاجتمعوا في ليلة عند علي بك أبي العذاب فلما أخذ الشراب من عقولهم تأوه مصطفى بك ابن ايواظ وقال: يموت العزيز أخي الكبير والصغير ويصير الهندي مملوكنا سلطان مصر ونأكل من تحت يده والباشا في قبضته. وكان النيل قريب الوفاء فقال علي بك: أنا أقتل الباشا يوم جبر البحر. وقال أبو دفية: وأنا أقتل ذا الفقار. وقال مصطفى بك: وأنا أقتل الهندي . وكل واحد من الجماعة ألتزم بقتل واحد وقرؤوا الفاتحة وكان معهم مملوك أصله من مماليك عبد الله بك، ولما قتل سيده هرب إلى الهند وأقام في خدمته أياماً، فلما تقلد مصطفى بك الصنجقية أخذه من علي بك الهندي. فلما سمع منهم ذلك القول ذهب إلى علي بك الهندي وأخبره. فأرسله إلى ذي الفقار فأخبره أيضاً. فبعثه إلى الباشا فأخبره، فلما كان يوم الديوان وطلع علي بك أبو العذب قبض عليه الباشا وقتله تحت ديوان قايتباي، وأحاط بداره ونهب ما فيها وكان شيئاً كثيراً، وأرسل في الوقت فرماناً إلى الآغا بالقبض على باقي الجماعة، فقبضوا على مصطفى بك ابن ايواظ وأركبوه حماراً وصحبته مقدمه وأحضروه إلى الباشا فأمر بقتله وقتل مقدمه أيضاً، واختفى الباقون. وأخذ ذو الفقار فرمانا ينفي هانم بنت ايواظ بك وأم محمد بك ابن أبي شنب ومحظيته علي بك، فمانع عثمان جاويش القازدغلي في ذلك واستقبحه وضمن غائلتهن وألزمهن أن لا يخرجن من بيوتهن ورتب لهن كفايتهن. فلما حصل ذلك ضعف جانب القاسمية وانفرد علي بك الهندي، وكان ذو الفقار أرسل إلى الشام فأحضر رضوان آغا ومحمد آغا الكور فجعلوا رضوان آغا آغات الجملية ومحمد بك الجزار غائب بإقليم المنوفية. فعند ذلك اغتنموا الفرصة وتحرك محمد بك قطامش في طلب الدفتردارية فدبروا أمرهم مع يوسف جربجي عزبان البركاوي ورضوان آغا وعثمان جاويش القازدغلي، وقتلوا علي بك

الهندي وذا الفقار قانصوه وأرسلوا إلى محمد بك الجزار تجريدة وأميرها اسمعيل بك قيطاس، وهو بإقليم المنوفية، وقلدوا مصطفى أفندي الدمياطي صنجقية وجعلوه حاكم جرجا. وقبضوا على سليمان بك أبي شنب، وقضى اسمعيل بك أشغاله وسافر بالتجريدة إلى المنوفية، وأخذ صحبته عربان نصف سعد وساروا إلى محمد بك الجزار. وأن لما وصله الخبر أخذ ما يعز عليه وترك الوطاق وأرتحل إلى جسر سديمة فلحقوه هناك وحاربوه وحاربهم، وقتل بينهم أجناد وعر وحمى نفسه إلى الليل. ثم أخذ معه مملوكين وبعض احتياجات وزل في مركب وسار إلى رشيد، وترك أربع وعشرين مملوكاً، فاخذوا الهجن وساروا ليلاً

مبحرين حتى جاوزوا وطاق اسمعيل بك وتخلف عنهم مملوك ماشي، فذهب إلى وطاق اسمعيل بك قيطاس وعرفه بمكانهم فأرسل إليهم كتخداه بطائفة فردوهم وأخذهم عنده فأقاموا في خدمته. و لم يزل محمد بك في سيره حتى دخل إلى رشيد واختفى في وكالة، ووصل خبره إلى حسين جربجي الخشاب فقبض عليه وقتله بع أن أستأذن في ذلك، وتقلد في نظير ذلك الصنجقية وكشوفية البحيرة.

سنة أربعين ومائة وألف

ونزل بعد ذلك إلى البحيرة ثم حضر محمد بك جركس عن غيبته ببلاد الإفرنج وطلع على درنه وأرسل مركبه التي وصل فيها إلى الإسكندرية وحضر إليه أمراؤه الذين تركهم قبل جهة قبلي، فركب معهم ونزل إلى البحيرة ليصل الإسكندرية. فصادف حسين بك الخشاب ففر منه وغنم جركس خيامه وخيوله وجماله. ثم رجع إلى الفيوم ونزل على بني سويف، ثم ذهب إلى القطيعة قرب جرجا واجتمع عليه القاسمية المشردون فحاربه حسين بك حاكم جرجا والسدادرة، وقتل حسن بك وطائفته واستولى على وطاقهم وعازفهم. ووصلت أخباره إلى مصر فجمع ذو الفقار بك جمعية وأخرج فرماناً بسفر تجريدة، فسافر إليه عثمان بك وعلي بك قطامش وعساكر، فتلاقوا معه بوادي البهنسا. فكانت الهزيمة على التجريدة واستولى محمد بك جركس ومن معه على عرضيهم وخيامهم وحال بينهم الليل، ورجع المهزومون إلى مصر. فجمع ذو الفقار الأمراء واتفقوا على التشهيل وإخراج تجريدة أخرى، فاحتاجوا إلى مصروف فطلبوا فرماناً من الباشا بمبلغ ثلاثمائة كيس من الميري عن السنة القابلة، فامتنع عليهم فركبوا عليه وأنزلوه وقلدوا محمد بك قطامش قائمقام وأخذوا منه فرماناً بمطلوبهم، وجهزوا أمر التجريدة واعتموا فيها اهتماماً زائد ورتبوا أشغالهم. وخرجوا وجرت أمور وحروب وقتل من جماعة جركس سليمان بك، ثم وقعت الهزيمة على جركس.

تولية باكير باشا وعزله

ووصل إلى مصر باكير باشا وذلك في سنة اثنتين وأربعين ومائة وألف، وطلع إلى القلعة فمكث أشهراً، وعزله العساكر في أواخر السنة وحصل بمصر في أيام هذه التجار يدضنك عظيم، وثار جماعة القاسمية المختفون بالمدينة ودبروا مكرهم، ورئيسهم في ذلك سليمان أغا أبو دفية. ودخل منهم طائفة على ذي الفقار بك وقت العشاء في رمضان وقتلوه. وكان محمد بك جركس جهة الشرق ينتظر موعدهم معه، فقضى الله بموت جركس خارج مصر وموت ذي الفقار داخلها. و لم يشعر أحدهما بموت الآخر وكان بينهما خمسة أيام وثارت أتباع ذي الفقار بالقاسمية وظهروا عليهم وقتلوهم وشردوهم ولي يقم منهم قائم بعد ذلك إلى يومنا هذا. وانقرضت دولة القاسمية من الديار المصرية وظهرت دولة الفقارية، وتفرع منها طائفة القازدغلية وسيأتي تتمة الأخبار عند ذكر تراجمهم في وفياتهم. وقد جعلت هذا فضلا مستقلاً من أول القرن إلى سنة اثنتين وأربعين ومائة وألف التي هي آخر دولة قاسمية.

ذكر من مات في هذه السنين

من العلماء والأعاظم على سبيل الإجمال بحسب الإمكان، فإني لم أعثر على شيء من تراجم المتقدمين من أهل هذا القرن و لم أجد شيئا مدوناً في ذلك إلا ما حصلته وفياتهم فقط، وما وعيته في ذهني واستنبطته من بعض أسانيدهم وإجازات أشياخهم على حسب الطاقة وذلك من أول القرن إلى آخر سنة اثنتين وأربعين ومائة وألف، وهي أول دولة السلطان محمود بن عثمان.

وأولهم الإمام العلامة والحبر الفهامة شيخ السلام والمسلمين وارث علوم سيد المرسلين الشيخ محمد الخرشي المالكي شارح خليل وغيره، ويروى عن والده الشيخ عبد الله الخرشي وعن العلامة الشيخ إبراهيم اللقاني كلاهما عن الشيخ سالم السنهوري المالكي عن النجم الغيطي عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري عن الحافظ بن حجر العسقلاني بسنده إلى الإمام البخاري في سنة إحدى ومائة وألف.

ومات الشيخ الإمام شمس الدين محمد بن داود بن سليمان العناني نزيل الجنبلاطية أخذ عن علي الحلي صاحب السيرة والشهاب الغزي والشمس البابلي والشهاب الخفاجي والبرهان اللقاني وغيرهم. حدث عنه حسن بن علي البرهاني والخليفي والبديري وغيرهم توفي سنة ثمان وتسعين وألف.
ومات إمام المحققين وعمدة المدققين صاحب التآليف العديدة والتصانيف المفيدة السيد أحمد الحموي الحنفي، ومن تصانيفه شرح الكتر وحاشية الدرر والغرر والرسائل، وغير ذلك. توفي أيضا في تلك السنة رحمه الله، ومن شيوخه الشيخ علي الأجهوري والشيخ محمد ابن علان والشيخ منصور الطوخي والشيخ أحمد البشبيشي والشيخ خليل اللغاني وغيرهم كالشيخ عبد الله بن عيسى العلم الغزي.
ومات علامة الفنون الشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن محمد ابن أحمد بن أمير الدين محمد الضرير بن شرف الدين حسين الحسيني الشهير بالشرنبابلي شيخ مشايخ الأزهر في عصره، كذا ذكر نسبه شيخنا السيد مرتضى نقلا عن سبطه العلامة محمد بدر الدين، أخذ عن شيوخ عدة كالشيخ سلطان المزاحي والشيخ علي الشبراماسي، وأجازه البابلي وأخذ عنه اليليدي والملوي والجوهري والشبراوي بواسطة الشيخ عبد ربه الديوي، توفي سنة اثنتين ومائة وألف.
ومات الشريف المعمر أبو الجمال محمد بن عبد الكريم الجزائري روى عن أبي عثمان سعيد قدورة وأبي البركات عبد القادر وأبي الوقاء الحسن ابن مسعود البوسي وأبي الغيث القشاشي، وأجازه البابلي والأجهوري ومحمد الزرقاني وعبد العزيز بن محمد الزمزمي والشبراملسي والشهاب القليوبي والغنيمي والشهاب الشلبي وحمد حجازي الواعظ ومفتي تعز محمد الحبشي والتجم الغزي والقشاشي والشهاب السبكي والمزاحي، توفي سنة اثنتين ومائة وألف.
ومات الإمام العلامة أبو الأمداد خليل بن إبراهيم اللقاني المالكي، أخذ عن والده وعن أخويه عبد السلام ومحمد اللقانيين والنور الأجهوري والشبراملسي والشيخ عبد الله الخرشي والشمس البابلي وسلطان المزاحي والشيخ عامر الشبراوي والشهاب القليوبي والشمس الشوبري الشافعي وأحمد الشوبري الحنفي وعبد الجواد الجنبلاطي ويس العليمي الشامي وأحمد الدواخلي وعلي النبتيتي، وعقد دروساً بالمسجد الحراس وأخذ بها عن محمد بن علان الصديقي، والقاضي تاج الدين المالكي، وبالمدينة عن الوجيه الخياري وغرس الدين الخليلي وأجازوه، توفي سنة خمس ومائة وألف.
ومات الإمام أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي المغربي الإمام الرحالة، قرأ بالمغرب على شيوخ منهم أخوه الأكبر عبد الكريم ابن محمد والعلامة أبو بكر بن يوسف الكتاني وأمام المغرب سيدي عبد القادر الفاسي والعلامة أحمد بن موسى الابار، ورحل إلى المشرق، فقرأ بمصر على النور الأجهوري والشهاب الخفاجي وإبراهيم المأموني وعلى الشبراملسي والشمس البابلي وسلطان المزاحي وعبد الجواد الطريني المالكي، وجاور بالحرمين عدة سنين فأخذ عن زين العابدين الطبري وعبد الله بن

سعيد باقشير وعلي بن الجمال وعبد العزيز الزمزمي وعيسى الثعالبي والشيخ إبراهيم الكردي، وأجازوه ورجع إلى بلاده وأقام بها إلى أن توفي سنة تسعين وألف، وله رحلة مجلدات وذكر فيها أنه أجتمع بالشيخ حسن العجمي وأجاز كل صاحبه، ومات الإمام الحجة عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن محمد بن علوان الزرقاني المالكي الوفائي، ولد سنة عشرين وألف بمصر ولازم النور الاجهوري مدة، وأخذ عن الشيخ يس الحمصي والنور الشبراملسي، وحضر في دروس الشمس البابلي الحديثية، وأجازه جل شيوخه وتلقى الذكر من أبي الإكرام بن وفي سنة خمس وأربعين وألف، وتصدر للإقراء بالأزهر وله مؤلفات منها شرح مختصر خليل وغيره توفي في رابع عشرين رمضان سنة تسع وتسعين وألف، وصلى عليه إماماً بالناس الشيخ محمد قوشي.

ومات عالم القدس الشيخ عبد الرحيم بن أبي اللطف الحسيني الحنفي المقدسي، قرأ بمكة على الإمام زين العابدين بن عبد القادر الطبري وبمصر على الشيخ الشبراملسي والشمس البابلي والشمس الشوبري والفقه على الشهاب الشوبري الحنفي وحسن الشرنبلالي وعبد الكريم الحموي الطرابلسي، وبدمشق على السيد محمد بن علي بن محمد الحسيني المقدسي الدمشقي توفي غريباً بأدرنة سنة أربع ومائة وألف.

ومات الإمام العلامة شمس الدين محمد بن قاسم بن اسمعيل البقري المقرئ الشافعي الصوفي الشناوي أخذ علم القراءات عن الشيخ عبد الرحمن اليمني والحديث عن البابلي والفقه عن المزاحي والزيادي والشوبري ومحمد المنياوي والحديث أيضا عن النور الحلبي والبرهان اللقاني والطريقة عن عمه الشيخ موسى بن اسمعيل البقري والشيخ عبد الرحمن الحلبي الأحمدي وغالب علماء مصر، أما تلميذه أو تلميذ تلميذه، وألف وأجاد وانفرد ومولده سنة ثماني عشرة وألف وتوفي في رابع عشرى جمادى الثانية سنة إحدى عشرة ومائة وألف عن ثلاث وتسعين سنة.

ومات الأديب الفاضل الشاعر أبو بكر بن محمود بن أبي بكر بن أبي الفضل العمري الدمشقي الشافعي الشهير بالصفوري ولد بدمشق وبها نشأ ورحل إلى مصر وتوطنها وأخذ بها عن الشمس البابلي، ونظم سيرة الحلبي و لم يتمه، وجمع ديوان شعره باسم الأستاذ محمد بن زين العابدين البكري وكان من الملازمين، له توفي سنة اثنتين ومائة وألف، ودفن بتربة الشيخ فرج خارج بولاق عند قصر الأستاذ البكري.

ومات السيد عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن محمد كريشه بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن عبد الرحمن السقاف، ترجمة صاحب المشرع فقال ولد بمكة وتربى في حجر والده وأدرك شيخ الإسلام عمر ابن عبد الرحيم البصري، وصحب الشيخ محمد بن علوي وألبسه الخرقة، وكذا أبو بكر بن حسين العيدروس الضرير وزوجه أبنته وأخذ عنه العلوم الشرعية، وزار جده وعاد إلى مكة وبها توفي ليلة الجمعة سنة أربع ومائة وألف.

ومات الأستاذ زين العابدين محمد بن محمد بن محمد ابن الشيخ أبي المكارم محمد أبيض الوجه البكري الصديقي ولد سنة ستين وألف وكان تاريخ ولادته أشرق الأفق بزين العابدين توفي سنة سبع ومائة وألف في الفصل ودفن عند أسلافه بجوار الإمام الشافعي رضي الله عنه.

ومات السند شيخ الشيوخ برهان الدين إبراهيم بن حسن بن شهاب الدين الكوراني المدني ولد بشهر ان في شوال سنة خمس وعشرين وألف وأخذ العلم عن محمد شريف الكوراني الصديقي، ثم أرتحل إلى بغداد وأقام بها مدة، ثم دخل دمشق ثم إلى مصر

ثم إلى الحرمين وألقى عصا تسياره بالمدينة المنورة ولازم الصيفي القشاشي وبه تخرج وأجازه الشهاب الخفاجي والشيخ سلطان والشمس البابلي وعبد الله بن سعيد اللاهوري وأبو الحسين علي بن مطير الحكمي، وقد أجاز لمن أدرك عصره ووفي ثامن عشرين جمادى الأولى سنة إحدى ومائة وألف.

ومات الإمام العلامة برهان الدين إبراهيم بن مرعي الشبرخيتي المالكي تفقه على الشيخ الاجهوري والشيخ يوسف الفيشي، وله مؤلفات منها شرح مختصر خليل في مجلدات، وشرح علي العشماوي وشرح على الأربعين النووية وشرح على ألفية السيرة للعراقي مات غريقا بالنيل وهو متوجه إلى رشيد سنة ست ومائة وألف.

ومات الأستاذ أبو السعود بن صلاح الدين الدنجيهي الدمياطي المولد والمنشأ الشافعي الفال البارع ولد سنة ألف وستين وجود القرآن على العلامة بن المسعودي أبي النور الدمياطي ثم قدم مصر ولازم دروس الشهاب البشبيشي وجد في الأشغال وقدم مكة وتوفي وهو راجع من الحج بالمدينة في أوائل المحرم سنة تسع ومائة وألف.

ومات الإمام العلامة مفتي المسلمين الشيخ حسن بن علي بن محمد ابن عبد الرحمن الجيرتي الحنفي وهو جد الشيخ الوالد أخذ عن أشياخ عصره من أهل القرن الحادي عشر كالبابلي والاجهوري والزرقاني وسلطان المزاحي والشبراملسي والشهاب الشويري، وتفقه على الشيخ حسن الشرنبلالي الكبير ولازمه ملازمة كلية، وكتب تقاريره على نسخ الكتب التي حضرها عليه ومنها كتاب الأشباه والنظائر للعلامة بن نجيم وكتاب الدرر شرح الغرر لملاخسرو وكلا النسختين بخطه الأصلي وما عليهما من الهوامش، ثم جرد ما عليهما فصارا تأليفين مستقلين وهما الحاشيتان المشهورتان على الدرر والأشباه للعلامة الشرنبلالي وكلتا النسختين وما عليهما من الهوامش موجودتان عندي إلى الآن بخط المترجم، ومن تآليفه رسالة على البسملة. ولما توفي الأستاذ الشرنبلالي في سنة تسع ستين وألف تصدر بعده للإفادة والتدريس والإفتاء وأقرأ ولده الشيخ حسن وتقيد به حتى ترعرع وتمهر وتوفي المترجم في سنة ست وتسعين وألف، وترك الجد إبراهيم صغيراً فربته والدته الحاجة مريم بنت المرحوم الشيخ محمد المترلي حتى بلغ رشده، فزوجته ببنت عبد الوهاب أفندي الدلجي، وعقد عقده عليها بحضرة كل من الشيخ جمال الدين يوسف أبي الإرشاد ابن وفي والشيخ عبد الحي الشرنبلالي الحنفي وشهاب الدين أحمد المرحومي والشيخ شهاب الدين أحمد البرماوي والشيخ زين الدين أبي السعود الدنجيهي الشافعي الدمياطي شيخ المدرسة المتبولية والشيخ شمس الدين محمد الارمناوي وغيرهم المثبتة أسماؤهم في حجة العقد في كاغد كبير رومي محرر ومسطر بالذهب وعليه لوحة مموهة بالذهب مؤرخة بغاية شعبان سنة ثمان ومائة وألف وهي محفوظة عندي إلى الآن بإمضاء موسى أفندي بمحكمة الصالحية النجمية وبني بها في ربيع أول وحملت منه بالمرحوم الوالد وفات الحد بعد ولادة الوالد بشهر واحد وذلك في سنة عشر ومائة وألف وعمره ست عشرة سنة لا غير.

وماتت الإمام العلامة نور الدين حسن بن أحمد بن العباس بن أحمد ابن العباس بن أبي سعيد المكناسي ولد بها سنة ألف واثنتين وخمسين وقر الفاسي وكثيرين، وقدم مصر سنة أربع وسبعين وألف وحضر دروس على محمد بن أحمد الفاسي نزيل مكناس وحضر دروس سيدي عبد القادر الشبراملسي ومنصور الطوخي وأحمد البشبيشي ويحيى الشهاوي، وحج وأجتمع على السيد عبد الرحمن المحجوب المكناسي وكانت له مشاركة في سائر العلوم مات بمصر سنة إحدى ومائة وألف.

ومات الشيخ الإمام العلامة إبراهيم ابن محمد بن شهاب الدين بن خالد البرماوي الأزهري الشافعي الأنصاري الأحمدي شيخ الجامع الأزهر، قرأ على الشمس الشوبري والمزاحي والبالبلي والشبراملسي ثم لازم دروس الشهاب القليوبي وأختص به، وتصدر بعده بالتدريس في محله، توفي سنة ست ومائة وألف، روى عنه محمد بن خليل العجلوني وعلي ابن علي المرحومي نزيل مخا، ورافقه المليحي في دروس القليوبي وترجمه وأثنى عليه وله تآليف عديدة.

ومات عالم المغرب الشيخ الإمام نور الدين حسن بن مسعود اليوسي قدم مكة حاجا سنة اثنتين ومائة وألف وله مؤلفات عديدة مشهورة، توفي بالمغرب سنة إحدى عشرة ومائة وألف.

ومات الإمام العلامة شيخ الشيوخ الشيخ شاهين بن منصور بن عامر ابن حسن الارمناوي الحنفي ولد ببلده سنة ثلاثين وألف وحفظ القرآن والكتر والألفية والشاطبية والرجبية وغيرها ورحل إلى الأزهر فقرأ بالروايات على العلامة المقرئ عبد الرحمن اليمني الشافعي، ولازم في الفقه العلامة أحمد الشوبري وأحمد المنشاوي الحنفيين وأحمد الرفاعي ويس الحمصي ومحمد المترلاوي وعمر الدفري والشهاب القليوبي عبد السلام اللقاني وإبراهيم الميموني الشافعي وحسن الشرنبلالي الحنفي، وفي العلوم العقلية شيخ الإسلام محمد الشهير بسيبويه تلميذ أحمد بن قاسم العبادي ولازمه كثيراً وبشره بأشياء حصلت له، وأخذ عن العلامة سري الدين الدروري والشيخ علي الشبراملسي والشمس البابلي وسلطان المزاحي، وأجازه جل شيوخه وتصدر للإقراء في الأزهر في فنون عديدة وعنه أخذ جمع من الأعيان كمحمد ابن حسن الملا والسيد علي الحنفي وغيرهما، توفي سنة إحدى ومائة وألف.

ومات العلامة الشيخ أحمد بن حسن البشتكي أخذ عن البناء وعن الشيخ محمد الشرنبابلي وتوفي سنة عشر ومائة وألف.

ومات السيد الشريف عبد الله بن أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه التريمي الإمام الفقيه المحدث أخذ عن مصطفى بن زين العابدين العبدروس والسيد محمد سعيد وعنه ولده عبد الرحمن والسد شيخ بن مصطفى العيدروس وأخواه زين العابدين وجعفر توفي ببندر الشحر في آخر جمادى سنة أربع ومائة وألف.

ومات خاتمة المحدثين بمصر شمس السنة محمد بن منصور الآطفيحي الوفائي الشافعي ولد سنة اثنتين وأربعين وألف، وأخذ عن أبي الضياء علي الشبراملسي وعن الشمس البابلي والشيخ سلطان المزاحي والشمس محمد عمر الشوبري والصوفي والسهاب أحمد القليوبي، توفي سنة خمس عشرة ومائة وألف تاسع عشر شوال.

ومات إمام المحققين الشيخ عبد الحي بن عبد الحق بن عبد الشافي الشرنبلالي الحنفي علامة المتأخرين وقدوة المحققين، ولد ببلده ونشأ بها ثم أرتحل إلى القاهرة واشتغل بالعلوم، وأخذ عن الشيخ حسن الشرنبلالي والشهاب أحمد الشوبري وسلطان المزاحي والشمس البابلي وعلى الشبراملسي والشمس محمد العناني والسري محمد بن إبراهيم الدروري والسراج عمر بن عمر الزهري المعروف بالدفري، وتفقه بهم ولازم فضلاء عصره في الحديث والمعقول، وأخذ أيضاً عن الشيخ العلامة يس بن زين الدين العليمي الحمصي والشيخ عبد المعطي البصير والشيخ حسن النماوي وابن خفاجي وأجتهد وحصل واشتهر بالفضيلة والتحقيق وبرع في الفقه والحديث وأكب عليهما آخراً واشتهر بهما، وشارك في النحو والأصول والمعاني والصرف والفرائض مشاركة تامة وقصدته الفضلاء وانتفعوا به وانتهت إليه رياسة مصر. توفي سنة سبع عشرة ومائة وألف ودفن عند معبد السيدة نفيسة.

ومات الشيخ الإمام الفقيه الفرضي الحيسوب صالح بن حسن بن أحمد بن علي البهوتي الحنبلي أخذ عن أشياخ وقته، وكان عمدة في مذهبه وفي المعقول والمنقول والحديث، وله عدة تصانيف وحواش وتعليقات وتقييدات مفيدة متداولة بأيدي الطلبة، أخذ عن الشيخ منصور البهوتي الحنبلي ومحمد الخلوتي وأخذ الفرائض عن الشيخ سلطان المزاحي ومحمد الدلجموني وهو من مشايخ الشيخ عبد الله الشبراوي، ولازم عمه الشمس الخاوثي وأخذ الحديث عن الشيخ عامر الشبراوي وله ألفية في الفقه وألفية في الفرائض ونظم الكافي. توفي يوم الجمعة ثامن عشرين ربيع الأول سنة إحدى وعشرين ومائة وألف.

ومات الإمام العلامة محمد فارس التونسي من ذرية سيدي حسن الششتري الأندلسي هو والد الشيخ محمد ابن محمد فارس من أكابر الصوفية، كان يحفظ غالب ديوان جده أقام بدمياط مدة ثم رجع إلى مصر ومات بها سنة أربع عشرة ومائة وألف.

ومات الإمام العلامة الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف ابن أحمد بن علوان الزرقاني المالكي خاتمة المحدثين مع كمال المشاركة وفصاحة العبارة في باقي العلوم، ولد بمصر سنة خمس وخمسين وألف وأخذ عن النور الشبراملسي وعن حافظ العصر البابلي وعن والده، وحدث عنه العلامة السيد محمد بن محمد ابن محمد الأندلسي وعبد الله الشبراوي والملوي والجوهري والسيد زين الدين عبد الحي ابن زين العابدين بن الحسن البهنسي وعمر بن يحيى بن مصطفى المالكي والبدر البرهاني، وله المؤلفات النافعة كشرح الموطأ وشرح المواهب، واختصر المقاصد الحسنة للسخاوي، ثم اختصر هذا المختصر في نحو كراسين بإشارة والده وعم نفعها، وكان معيداً لدروس الشبراملسي، وكان يعتني بشأنه كثيراً وكان إذا غاب يسأل عنه ولا يفتتح درسه إلا إذا حضر مع أنه أصغر الطلبة، فكان محسوداً لذلك في جماعته، وكان الشيخ يعتذر عن ذلك ويقول أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصاني به. توفي سنة اثنتين وعشرين ومائة وألف.

ومات الشيخ رضوان إمام الجامع الأزهر في غرة رمضان سنة خمس عشرة ومائة وألف.

ومات الشيخ المجذوب أحمد أبو شوشة خفير باب زويلة، وكانت كراماته ظاهرة وكان يضع في فمه نحو المائة إبرة ويأكل ويشرب وهي في فمه لا تعوقه عن الأكل والشرب والكلام، مات في يوم الثلاثاء سابع عشري جمادى الآخرة خمس عشرة ومائة وألف.

ومات السند العمدة الشيخ حسن أبو البقاء بن علي ابن يحيى بن عمر العجمي المكي الحنفي صاحب الفنون، ولد سنة تسع وأربعين وألف كما وجدته بخط والده بمكة وبها نشأ وحفظ القرآن وعدة متون، وأخذ عن الشيخ زين العابدين الطبري وعلي بن الجمال وعبد الله بن سعيد باقشير والسيد محمد صادق وحنيف الدين المرشدي والشمس البابلي، وبالمدينة علي القشاشي ولبس منه الخرقة وأخذ عن جمع من الوافدين كعيسى الجعفري ومحمد بن محمد العيثاوي الدمشقي وعبد القادر بن أحمد الفضي الغزي وعبد الله بن أبي بكر العياشي، وأجازه جل شيوخه وكتب إليه بالإجازة غلب مشايخ الأقطار كالشيخ أحمد العجلي وهو من المعمرين والشيخ علي الشبراملسي وعبد القادر الصفوري الدمشقي والسيد محمد بن كمال الدين بن حمزة الدمشقي والشيخ عبد القادر الفاسي، واعتنى بأسانيد الشيوخ بالحرم وأفاد وانتفع به جماعة من الأعلام كالشيخ عبد الخالق الزجاجي الحنفي المكي وأحمد بن محمد بن علي المدرس المدني وتاج الدين الدهان الحنفي المكي ومحمد بن الطيب بن محمد الفاسي والشيخ مصطفى بن فتح الله الحموي، توفي ظهر يوم الجمعة ثالث شوال سنة ثلاث عشرة ومائة وألف بالطائف،

ودفن بالقرب من ابن عباس.
ومات السيد عبد الله الإمام الشيخ أحمد المرحومي الشافعي وذلك سنة اثنتي عشرة ومائة وألف.
ومات الأستاذ المعظم والملاذ المفخم صاحب النفحات والإشارات الشيخ يوسف بن عبد الوهاب أبو الإرشاد الوفائي وهو الرابع عشر من خلفائهم تولى النجادة يوم وفاة والده في ثاني رجب سنة ثمان وتسعين وألف وسار سيراً حسناً بكرم نفس وحشمة زائدة ومعروف وديانة إلى أن توفي في حادي عشر المحرم سنة ثلاث عشرة ومائة وألف ودفن بحوطة أسلافه رضي الله عنهم.
ومات الفقيه محمد بن سالم الحضرمي العوفي أخذ عن سليمان بن أحمد النجار وعنه محمد بن عبد الرحمن بن محمد العيدروس، توفي بالهند سنة إحدى عشرة ومائة وألف.
ومات الإمام العلامة المفيد الشيخ أحمد بن محمد المنفلوطي الأصل القاهري الأزهري المعروف بابن الفقي الشافعي، ولد سنة أربع وستين وألف وأخذ القراءات عن الشمس البقري والعربية عن الشهاب السندوبي وبه تفقه والشهاب البشبيشي ولازمه لسنين العديدة في علوم شتى، وكذا أخذ عن النور الشبراملسي وحضر دروس الشهاب المرحومي وكان إماماً عالماً بارعاً ذكياً حلو التقرير رقيق العبارة جيد الحافظة يقرر العلوم الدقيقة بدون مطالعة مع طلاقة الوجه والبشاشة وطرح التكلف، ومن تآليفه حاشية علي الأشموني لم تكمل وأخرى على شرح أبي شجاع للخطيب ورسالة في بيان السنن والهيئات هل هي داخلة في الماهية أو خارجة عنها وأخرى في أشراط الساعة وشرح البدور السافرة، ومات قبل تبييضه فاختلسه بعض الناس وبيضه ونسبه لنفسه وكتمه. توفي فجأة قيل مسموماً صبيحة يوم الاثنين سابع عشري شوال سنة ثمان عشرة ومائة وألف.
ومات الإمام العالم العلامة الشيخ محمد النشرتي المالكي وهو كان وصياً على المرحوم الشيخ الوالد بعد موت الجد توفي يوم الأحد بعد الظهر وأخر دفنه إلى صبيحة يوم الاثنين، وصلي عليه بالأزهر بمشهد حافل وحضر جنازته الصناجق والأمراء والأعيان وكان يوماً مشهوداً وذلك سنة عشرين ومائة وألف.
ومات السيد أبو عبد الله أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن علي بن محمد بن أحمد ابن الفقيه المقدم ولد بتريم وأخذ عن أحمد بن عمر البيتي والفقيه عبد الرحمن بن علو بلفقيه وأبي بكر بن عبد الرحمن ابن شهاب العيدروس والقاضي أحمد بن الحسين بلفقيه وأحمد بن عمر عبديد وغيرهم، وأجازوه وتميز في العلوم وتمهر ودرس وصنفذ في الفقه والفرائض وممن روى عنه شيخ وجعفر وزين العابدين أولاد مصطفى بن زين العابدين بن العيدروس ومصطفى بن شيخ مصطفى العيدروس وغيرهم توفي بالشحر سنة ثمان عشرة ومائة وألف.
ومات الأديب الأريب الشيخ أحمد الدلنجاوي شاعر وقته، له ديوان في مجلد.
ومات الشيخ العلامة المفيد سليمان الجتروري الأزهري، توفي سنة أربع وعشرين ومائة وألف.

ومات الإمام المحدث الإخباري مصطفى بن فتح الله الحموي الحنفي المكي أخذ عن العجمي والبابلي والنخلي والثعالبي والبصري والشبراملسي والمزاحي ومحمد الشلبي وإبراهيم الكوراني وشاهين الأرمناوي والشهاب أحمد البشبيشي وأكثر عن الشاميين، وله رحلة إلى اليمن توسع فيها في الأخذ عن أهلها وألف كتاباً في وفيات الأعيان سماه فوائد الإرتحال ونتايج السفر

في أخبار أهل القرن الحادي عشر، توفي سنة أربع وعشرين ومائة وألف، حدث عنه السيد عمر بن عقيل العلوي.

ومات السيد السند صاحب الكرامات والإشارات السيد عبد الرحمن السقاف باعلوى نزيل المدينة. قال الشيخ العيدروس في ذيل المشرع: ولد بالديار الحضرمية ورحل إلى الهند فأخذ بها الطريقة النقشبندية عن الأكابر العارفين واشتغل بها حتى لاحت عليه أنوارها، وورد الحرمين فقطن بالمدينة المنورة وبها تزوج الشريفة العلوية العيدروسية من ذرية السيد عبد الله صاحب الرهط، وممن أخذ عليه بها الطريقة الشيخ محمد حياة السندي بإشارة بعض الصالحين وكان المترجم يخبر عن نفسه أنه لم يبق بيني وبين رسول الله صلى الله وسلم حجاب وأنه لم يعط الطريقة النقشبندرية لأحد إلا بإذن رسول الله صلى الله فيه وسلم وأنه أعطى سيف أبي بكر بن العيدروس الأكبر الذي يشير إليه بقوله:

وسيفي في غمده لدفع الشدائد معدود

وقوله:

بسيفي يلاقي المهند وقائع تشيب الولود

و لم يزل على طريقة حميدة حتى توفي بها سنة أربع وعشرين ومائة وألف.

ومات الإمام الهمام عمدة المسلمين والإسلام الشيخ عبد ربه بن أحمد الديوي الضرير الشافعي أحد العلماء مصابيح الإسلام، ولد ببلده ونشأ بها ثم ارتحل إلى دمياط وجاور بالمدرسة المتبولية فحفظ القرآن وعدة متون منها البهجة الوردية، واشتغل هناك على أفاضلها كالشمس ابن أبي النور ولازمه في الفنون وتفقه به وقرأ عليه القرآن بالروايات وأخذ عنه الطريق وتهذب به، ثم ارتحل إلى القاهرة فحضر عند الشهاب البشبيشي قليلاً، ثم لازم الشمس الشرنبابلي في فنون، إلى إن توجه إلى الحج، فأمره بالجلوس موضعه والتقييد بجماعته فتصدى لذلك وعم النفع وبرعت طلبته وقصدته الفضلاء من الآفاق وكان إماماً فاضلاً فقيهاً نحوياً فرضياً حيسوباً وعروضياً تحريراً ماهراً كثير الاستحضار غريب الحافظة صافي السريرة مشتغل الباطن بالله جميل الظاهر بالعلم، توفي يوم السبت ثالث عشر ربيع الآخرة ودفن يوم الأحد بعد الصلاة عليه بالأزهر بمشهد حافل عظيم اجتمع فيه الخاص والعام وذلك سنة ست وعشرين ومائة وألف.

ومات الشيخ الإمام والعمدة الهمام عبد الباقي القليوبي سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف.

ومات الشيخ العلامة أبو المواهب محمد بن الشيخ تقي الدين عبد الباقي ابن عبدالقادر الحنبلي البعلي الدمشقي مفتي السادة الحنابلة بدمشق، ولد بها وأخذ عن والده وعمن شاركه ثم رحل إلى مصر وقرأ بالروايات على مقرئها الشيخ البقري والفقه على الشيخ محمد البهوتي الخوتي والحديث على الشمس البابلي والفنون على المزاحي والشبراملسي والعناني، توفي في شوال سنة ست وعشرين ومائة وألف عن ثلاث وثمانين سنة، حدث عنه الشيخ أبو العباس أحمد بن علي بن عمر الدمشقي كتابه وهو عال والشيخ محمد بن أحمد الحنبلي والسيد مصطفى بن كمال الدين الصديقي وغيرهم.

ومات الإمام العلامة المحقق المعمر الشيخ سليمان بن أحمد بن خضر الخربتاوي البرهاني المالكي هو والد الشيخ داود الخربتاوي الآتي ذكر ترجمته، توفي سنة خمس وعشرين ومائة وألف عن مائة وست عشرة سنة.

ومات الشيخ الإمام العالم العلامة الشيخ أحمد بن غنيم بن سالم بن مهنا النفراوي شارح الرسالة وغيرها، ولد ببلده نفرة ونشأ بها ثم حضر إلى القاهرة فتفقه في مبادئ أمره بالشهاب اللقاني ثم لازم العلامة عبد الباقي الزرقاني والشمس محمد بن عبد الله

الخرشي وتفقه بهما وأخذ الحديث عنهما ولازم الشيخ عبد المعطي البصير وأخذ العربية والمعقول عن الشيخ منصور الطوخي والشهاب البشبيشي، واجتهد وتصدر وانتهت إليه الرياسة في مذهبه مع كمال المعرفة والإتقان للعلوم العقلية لا سيما النحو، وأخذ الأعيان وانتفعوا به، ومن مؤلفاته شرح الرسالة وشرح النورية وشرح الآجرومية، توفي سنة خمس وعشرين ومائة وألف عن اثنتين وثمانين سنة.

ومات الإمام العلامة الشهير الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد بن عطية ابن عامر بن نوار بن أبي الخير الموساوي الشهير بالخليفي الضرير أصله من الشرق، وقدم جده أبو الخير وكان صالحاً معتقداً وأقام بمنية موسى من أعمال المنوفية فحصل له بها الإقبال ورزق الذرية الصالحة واستمر بها، وولد الشيخ بها ونشأ بها وحفظ القرآن ثم ارتحل إلى القاهرة واشتغل بالعلوم على فضلاء عصره فتفقه على الشمس العناني والشيخ منصور الطوخي وهو الذي سماه بالخليفي لما ثقل عليه نسبة الموسوي، فسأله عن أشهر أهل بلده فقال: أشهرها من أولياء الله تعالى سيدي عثمان الخليفي. فنسبه إليه، ولازم الشهاب البشبيشي وأخذ عنه فنوناً وحضر دروس الشهاب السندوبي والشمس الشرنبابلي وغيرهما وأجازه الشيخ العجمي واجتهد وبرع وحصل وأتقن وتفنن وكان محدثاً فقيهاً أصولياً نحوياً بيانياً متكلماً عروضياً منطقياً آية في الذكاء وحسن التعبير مع البشاشة وسعة الصدر وعدم الملل والسآمة وحلاوة المنطق وعذوبة الألفاظ، انتفع به كثير من المشايخ. توفي في عصر يوم الأربعاء خامس عشر صفر ودفن صبيحة يوم الخميس سادس عشره بالمجاورين سنة سبع وعشرين ومائة وألف عن ستة وستين سنة.

ومات الإمام العمدة الفهامة الشيخ أحمد التونسي المعروف بالدقدوسي الحنفي توفي فجأة بعد صلاة العشاء ليلة الأحد سادس عشر المحرم سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف.

ومات في تلك السنة أيضاً الشيخ العلامة أحمد الشرفي المغربي المالكي.

ومات الشيخ العلامة شيخ الجامع الأزهر الشيخ محمد شنن المالكي وكان مليئاً متمولاً أغنى أهل زمانه بين أقرانه، وجعل الشيخ محمد الجداوي وصياً على ولده سيدي موسى، فلما بلغ رشده سلمه ماله فكان من صنف الذهب البندقي أربعون ألفاً خلاف الجنزلالي والطرلي وأنواع الفضة والأملاك والضياع والوظائف والجماكي والرزق والأطيان، وغير ذلك بدده جميعه ولده موسى وبنى له داراً عظيمة بشاطئ النيل ببولاق، أنفق عليها أموالاً عظيمة و لم يزل حتى مات مديوناً في سنة اثنتين وتسعين ومائة وألف، وترك ولداً مات بعده بقليل وكان للمترجم مماليك وعبيد وجوار ومن مماليكه أحمد بك شنن الآتي ذكره، توفي المترجم سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف عن سبع وسبعين سنة.

ومات العمدة العالم الشيخ أحمد الوسيمي توفي سنة إحدى وثلاثين ومائة وألف.

ومات الجناب المكرم السيد حسن أفندي نقيب السادة الأشراف وكانت لأبيه وجده وعمه من قبله، وبموته انقرضت دولتهم. وأقيم في منصب النقابة عوضه السيد مصطفى بن سيدي أحمد الرفاعي قائمقام إلى حين ورود الأمر، توفي يوم الجمعة تاسع عشر رجب سنة إحدى وعشرين ومائة وألف، ثم ورد في شهر جمادى سنة اثنتين وعشرين ومائة وألف السيد عبد القادر نقيباً ونزل ببولاق بمترل أحمد جاويش الخشاب وهو إذ ذاك باشجاويش الأشراف وبات هناك فوجد في صبحها مذبوحاً في فراشه، وحبس باشجاويش بسبب ذلك بالقلعة و لم يظهر قاتله، وتقلد النقابة محمد كتخدا عزبان سابقاً لامتناع السيد مصطفى

الرفاعي عن ذلك ووافق تاريخه ذبح عبد القادر.

ومات العلامة الفقيه المحدث الشيخ منصور بن علي بن زين العابدين المنوفي البصير الشافعي ولد بمنف ونشأ بها يتيماً في حجر والدته وكان باراً بها فكانت تدعو له، فحفظ القرآن وعدة متون ثم ارتحل إلى القاهرة وجاور بالأزهر وتفقه بالشهابيين البشبيشي والسندوبي والشمس الشرنبابلي والزين منصور الطوخي ولازم النور الشبراملسي في العلوم وأخذ عنه الحديث وجد واجتهد وتفنن وبرع في العلوم العقلية والنقلية، وكان إليه المنتهى في الحذق والذكاء وقوة الاستحضار لدقائق العلوم، سريع الإدراك لعويصات المسائل على وجه الحق، نظم الموجهات وشرحها وانتفع به الفضلاء وتخرج به النبلاء وافتخرت بالأخذ عنه الأبناء على الآباء. توفي حادي عشرين جمادى الأولى سنة خمس وثلاثين ومائة وألف وقد جاوز التسعين.

ومات الإمام العلامة شيخ الشيوخ الشيخ محمد الصغير المغربي سلخ رجب سنة ثمان وثلاثين ومائة وألف.

ومات الأجل الفاضل العمدة العلامة رضوان أفندي الفلكي صاحب الزيج الرضواني الذي حرره على طريق الدر اليتيم لابن المجدي على أصول الرصد الجديد السمرقندي صاحب كتاب أسنى المواهب وغير ذلك تآليف وحسابيات وتحقيقات لا يمكن ضبطها لكثرتها وكتب بخطه ما ينوف عن حمل بعير مسودات وجداول حسابيات وغير ذلك، وكان بسكن بولاق منجمعا عن خلطة الناس مقبلاً على شأنه، وكان في أيامه حسن أفندي الروزنامجي وله رغبة ومحبة في الفن، فالتمس منه بعض آلات وكرات فأحضر الصناع وسبك عدة كرات من النحاس الأصفر ونقش عليها الكواكب المرصودة وصورها ودوائر العروض والميول وكتب عليها أسماءها بالعربي، ثم طلاها بالذهب وصرف عليها أموالاً كثيرة، وذلك في سنة اثنتي عشرة أو ثلاث عشرة ومائة وألف. واشتغل عليه الجمالي يوسف مملوك حسن أفندي المذكور وكلارجيه، وتفرغ لذلك حتى أنجب وتمهر وصار من المحققين في الفن واشتهر فضله في حياة شيخه وبعده، وألف كتاباً عظيماً في المحرفات جمع فيه ما تفرق من تحقيقات المتقدمين وأظهر ما في مكنون دقائق الأوضاع والرسومات والأشكال من القوة إلى الفعل، وهو كتاب حافل نافع نادر الوجود وله غير ذلك كثير، ومن تآليف رضوان أفندي المترجم النتيجة الكبرى والصغرى وهما مشهورتان متداولتان بأيدي الطلبة بآفاق الأرض وطراز الدرر في رؤية الأهلة والعمل بالقمر وغير ذلك. توفي يوم السبت ثالث عشري جمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين ومائة وألف.

ومات الشيخ الصالح قطب الوقت المشهور بالكرامات معتقد أرباب الولايات الشيخ عبد الله النكاري الشافعي الشهير بالشرقاوي من قرية بالشرقية يقال لها النكارية، أخذ عن الشيخ عبد القادر المغربي وكان يحكي عنه كرامات غريبة وأحوال عجيبة. وممن كان يعتقده الشيخ الحفني والشيخ عيسى البراوي والشيخ علي الصعيدي، وقد خص كل واحد بإشارة نالها كما قال له وشملتهم بركته، وأنه تولى القبطانية وكان بينه وبين الشيخ محمد كشك مودة ومؤاخاة. توفي سنة أربع وعشرين ومائة وألف.

ومات الشيخ العمدة المنتقد الفاضل الشاعر البليغ الصالح العفيف حسن البدري الحجازي الأزهري وكان عالماً فصيحاً مفوها متكلماً منتقداً على أهل عصره وأبناء مصره، سمعت من الشيخ الوالد قال رأيته ملازماً لقراءة الكتب الستة تحت الدكة القديمة منجمعاً عن خلطة الناس معتكفاً على شأنه قانعاً بحاله، وله في الشعر طريقة بديعة وسليقة منيعة على غيره رفيعة، وقلما تجد في

نظمه حشواً أوتكملة. وله أرجوزة في التصوف نحو ألف وخمسمائة بيت على طريق الصادح والباغم ضمنها أمثالاً ونوادر وحكايات، وديوان على حروف المعجم سماه باسمين تنبيه الأفكار للنافع والضار وأجماع الإياس من الوثوق بالناس، شرح فيه حقيقة شرار الخليقة من الناس المنحرفة طباعهم عن طريقة قويم القياس، استشهد بكثير من كلامه في هذا المجموع بحسب المناسبة وفي بعض الوقائع والتراجم وله مزدوجة سماها الدرة السنية في الأشكال المنطقية، ونظم رسالة الوضع للعلامة العضد ونظم لقطة العجلان في تعريف النقيضين والضدين والخلافين والمثلين، وفي حكم المضارع صحيحاً كان أو معتلاً ورموز الجامع الصغير وختم ديوانه بأراجيز بديعة ضمنها نصايح ونوادر وأمثالاً واستغاثات وتوسلات للقبول موصلات. ومن كلامه في قافية الباء:

كن جار كلب وجار الشرة اجتنب ... ولو أخالك من أم يرى وأب
وجانب الدار أن ضاقت مرافقها ... والمرأة السوء لو معروفة النسب
ومركبا شرس الأخلاق لا سيما ... أن كان ذا قصر أو أبتر الذنب

وله غير ذلك كثير اقتصرنا منه على هذا البعض. توفي سنة إحدى وثلاثين ومائة وألف رحمه الله.

ومات الشيخ الإمام خاتمة المحدثين الشيخ عبد الله بن سالم بن عيسى البصري منشئاً المكي مولداً الشافعي مذهباً، ولد يوم الأربعاء رابع شعبان سنة ثمان وأربعين ومائة وألف كما ذكره الحموي وحفظ القرآن وأخذ عن علي بن الجمال وعبد الله بن سعيد باقشير وعيسى الجعفري ومحمد بن محمد بن سليمان والشمس البابلي والشهاب البشبيشي ويحيى الشاوي وعلي بن عبد القادر الطبري والشمس محمد الشنبابلي والبرهان إبراهيم ابن حسن الكوراني ومحدث الشام محمد بن علي الكاملي ولبس الخرقة من يد السيد عبد الغني الدمياطي. وتوفي يوم الاثنين رابع رجب سنة أربع وثلاثين ومائة وألف عن أربع وثمانين سنة ودفن بالمعلاة بمقام الولي سيدي عمر العرابي قدس سره، حدث عن شيوخ العصر ابن أخته السيد العلامة عمر بن أحمد بن عقيل العلوي والشهاب أحمد الملوي والجوهري وعلاء الدين بن عبد الباقي المزجاجي الزبيدي والسيد عبد الرحمن بن السيد عبد الرحمن بن السيد أسلم الحسيني والشبراوي والشيخ الوالد حسن الجبرتي، وعندي سنده وإجازته له بخطه والسيد المجدد محمد بن اسمعيل الصنعاني المعروف بابن الأمير ذي الشرفين كتابة من صنعاء والسيد العلامة حسن بن عبد الرحمن باعيديد العلوي كتابة من المخنا والشيخ المعمر صبغة الله بن الهداد الحنفي كتابة من خير آباد ومحمد بن حسن ابن همان الدمشقي كتابة من القسطنطينية والشهاب بن أحمد بن عمر بن علي الحنفي كتابة من دمشق كلهم عنه، وحدث عنه أيضاً شيوخ المشايخ الشيخ المعمر محمد بن حيوة السندي مزيل المدينة المنورة والشيخ محمد طاهر الكوراني والشيخ محمد ابن أحمد بن سعيد المكي والشيخ العلامة اسمعيل بن محمد بن عبد الهادي بن عبد الغني العجلوني الدمشقي والشيخ عيد بن علي النمرسي الشافعي والشيخ عبد الوهاب الطندتائي والشيخ أحمد باعنتر نزيل الطائف والشهاب أحمد بن مصطفى بن أحمد الإسكندرية وغيرهم، كذا في المربي الكابلي فيمن روى عن البابلي. ومات الرجل الصالح المجذوب الصاحي أحد صلحاء فقراء السادة الأحمدية بدمياط الشيخ ربيع الشيال، كان صالحاً ورعاً ناسكاً حافظاً لأوقاته مداوماً على الصلوات والعبادات والأذكار، دائم الإقبال على الله لا يرى إلا في طاعة إذا أحرم في الصلاة يصفر لونه وتأخذه رعدة، فإذا نطق بالتكبير يخيل لك بأن كبده قد تمزق،

وكان يتكسب بحمل الأمتعة للناس بالأجرة مع صرفه جميع جوارحه وأعضائه لما خلق لأجله. توفي سنة إحدى وعشرين ومائة وألف.

ومات الشيخ المقري الصوفي محمد ابن سلامة بن عبد الجواد الشافعي ابن العارف بالله تعالى الشيخ نور الدين ساكن الصخرية من أعمال فارسكور الصخري الدمياطي المعروف بأبي السعود بن أبي النور أستاذ من جمع بين طريقي أهل الباطن والظاهر من أهل عصره، ولد بدمياط ونشأ بها بين صلحائها وفضلائها فحفظ القرآن واشتغل بالعلوم فتفقه بالشيخ حلال الدين الفارسكوري وتلقى المنهج تسع مرات في تسع سنين عن العلامة مصطفى التلباني وأخذ الطريق عن جمع من أكمل العارفين، ثم ارتحل إلى القاهرة فلازم الضياء المزاحي فتفقه به وأخذ عنه فنوناً وقرأ القراءات السبع والعشر عليه وأخذ عن العلامة يس الحمصي فنوناً واجتهد ودأب وأتقن وألف في القراءات وغيرها، وعم النفع به وأخذ عنه جمع من الأفاضل. توفي سنة سبع عشرة ومائة وألف.

ومات أحد الأئمة المشاهير الإمام العلامة شهاب الدين أحمد بن محمد النخلي الشافعي المكي ولد بمكة وبها نشأ وأخذ عن علي بن الجمال وعبد الله بن سعيد باقشير وعيسى الثعالبي ومحمد بن سليمان والشمس البابلي وسليمان بن أحمد الضيلي القرشي والسيد عبد الكريم الكوراني الحسيني والشمس الميداني والشهاب أحمد المفلجى الوفائي والشيخ شرف الدين موسى الدمشقي والشيخ إبراهيم الحلبي الصابوني والشيخ عبد الرحمن العمادي ومحمد بن علان البكري والصفي القشاشى والشيخ خير الدين الرملى وأبي الحسن البازوري. توفي بمكة سنة ثلاثين ومائة وألف عن تسعين سنة. روى عنه السيد عمر بن أحمد والسيد عبد الرحمن ابن أسلم الحسيني والسيد عبد الله بن إبراهيم بن حسن الحنفي والشهاب أحمد بن عمر بن علي الدمشقي والملوي والجوهري والشبراوي والحفني وحسن الجبرتي والسيد سليمان بن يحيى بن عمر الزبيدي والسيد عبد الله ابن علي الغرابي واسمعيل بن عبد الله الإسكنداري والشهاب أحمد بن مصطفى الصباغ.

ومات الشيخ الإمام أبو العز محمد بن شهاب أحمد بن أحمد بن محمد ابن العجمي الوفائي القاهري خاتمة المسندين بمصر، سمع على الشمس البابلي المسلسل بالأولية وثلاثيات البخاري وجملة من الصحيح والجامع الصغير وغير ذلك، وذلك بعد عوده من مكة المشرفة كما رأيت ذلك بخط والده الشهاب في نص إجازته لنادرة العصر محمد بن سليمان المغربي. حدث عنه العلامة محمد بن أحمد بن حجازي العشماوي والشيخ أحمد بن الحسن الخالدي وأبو العباس الملوي وأبو علي المنطاوي وولده المعمر أبو العز أحمد.

ومات أبو عبد الله العلامة محمد بن علي الكاملي الدمشقي الشافعي والواعظ انتهى إليه الوعظ بدمشق وكان فصيحاً، روى عن الشبراملسي وعبد العزيز بن محمد الزمزمي والمزاحي والبابلي والقشاشي وخير الدين الرملي. توفي في خامس عشر ذي القعدة سنة إحدى وثلاثين ومائة وألف عن سبع وقيل عن تسع وثمانين، روى عنه أبو العباس أحمد بن علي بن عمر العدوى وهو عال والشيخ محمد بن أحمد الحنبلي.

ومات العلامة صاحب الفنون أبو الحسن بن عبد الهادي السندي الأثري شارح المسند والكتب الستة وشارح الهداية ولد بالسند وبها نشأ وارتحل إلى الحرمين، فسمع الحديث على البابلي وغيره من الواردين. وتوفي بالمدينة سنة ست وثلاثين ومائة

وألف.
ومات الأجل العمدة بقية السلف الشيخ عبد العظيم بن شرف الدين بن زين العابدين بن محيي الدين بن ولي الدين أبي زرعة أحمد بن يوسف بن زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري الشافعي الأزهري من بيت العلم والرياسة، جده زكريا شيخ الإسلام عمر فوق المائة وولده يوسف الجمال روى عن أبيه والحافظ السخاوي والسيوطي والقلقشندي، وحفيده محيي الدين روى عن جده وحفيده شرف الدين، والد المترجم روى عن أبيه وعنه الأئمة أبو حامد البديري وغيره، نشأ المترجم في عفاف وتقوى وصلاح معظماً عند الأكابر وكان كثير الإجتماع بالشيخ أحمد بن عبد المنعم البكري ومن الملازمين له على طريقة صالحة وتجارة رابحة حتى مات سنة ست وثلاثين ومائة وألف، وصلي عليه بالأزهر ودفن عند آبائه ومات الشيخ العلامة حسن بن حسن بن عمار الشرنبلالي الحنفي أبو محفوظ حفيد أبي الإخلاص شيخ الجماعة ووالد الشيخ عبد الرحمن الآتي ترجمته في محله، كان فقيهاً فاضلاً محققاً ذا تؤدة في البحث عارفاً بالأصول والفروع. توفي سنة تسع وثلاثين ومائة وألف.
ومات العمدة الفاضل السيد محمد النبتيتي السقاف باعلوي وهو والد السيد جعفر الآتي ذكره أحد السادة الأفراد أعجوبة زمانه ولد باليمن ودخل الحرمين وبها أخذ عن السيد عبد الله باحسين السقاف وكان يأخذه الحال فيطعن نفسه بالسلاح فلا يؤثر فيه وكان يلبس الثياب الفاخرة ويتزيا بزي أشراف مكة. توفي بمكة سنة خمس وعشرين ومائة وألف.

ومات الأجل الأوحد السيد سالم بن عبد الله بن شيخ بن عمر بن شيخ ابن عبد الله بن عبد الرحمن السقاف، ولد بجدة سنة إحدى وثلاثين وألف تقريباً، ثم رحل به والده إلى المدينة وبها حفظ القرآن وغيره ثم إلى مكة وبها سكن، واشتغل على علي بن الجمال وعلى محمد بن أبي بكر الشلبي في سنة اثنتين وسبعين وألف إلى وقت تأليف الكتاب، وجد في تحصيل المكارم والفضائل حتى بلغ الغايات ولبس الخرقة عن والده وعن المحبوب ولازمه وصحبه مدة وله نظم حسن. توفي سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف. ومات الحسيب النسيب السيد محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد ابن عبد الله بن شيخ بن عبد الله بن شيخ العيدروس ولد بتريم وبها نشأ وأخذ عن السيد عبد الله بافقيه وعن والده وعنه أخذ السيد شيخ العيدروس وغيره. توفي ثامن عشر شوال سنة سنة إحدى وثلاثين ومائة وألف.
ومات الشيخ الإمام العالم العلامة محمد بن عبد الرحمن المغربي ناظم كتاب الشفا والمنظومة المسماة درة التيجان ولقطة اللؤلؤ والمرجان. توفي سنة إحدى وأربعين ومائة وألف.
ومات الإمام العلامة والنحرير الفهامة الشيخ علي العقدي الحنفي ولد سنة سبع وخمسين وألف، أدرك الشمس البابلي وشملته إجازته وأخذ الفقه عن السيد الحموي وشاهين الامناوي وعثمان النحراوي والمعقول عن الشيخ سلطان المزاحي وعلي الشبراملسي ومحمد الحبار وعبد القادر الصفوري ولازم عمه العلامة عيسى بن علي العقدي وتفقه به وبالبرهان الوسيمي والشرف يحيى الشهاوي وعبد الحي الشرنبلالي، ولازمه في الحديث والعلوم العقلية أكابر عصره كالشهاب أحمد بن عبد اللطيف اليشبيشي، والشمس محمد بن محمد الشنبابلي والشهاب أحمد بن علي السندوبي، وأخذ عنه الشمائل وغيرها واجتهد وبرع، وأتقن وتفنن واشتهر بالعلم والفضائل، وقصدته الطلبة من الأقطار وانتفعوا به وكان كثير التلاوة للقرآن، وبالجملة فكان من حسنات الدهر ونادرة من نوادر العصر. توفي في شهر ربيع الآخر سنة أربع وثلاثين ومائة وألف عن ست وسبعين

سنة وأشهر.
ومات الإمام العلامة الشيخ محمد الحماقي الشافعي، ولد سنة ثلاث وسبعين وألف وتوفي بنخل وهو متوجه إلى الحج في شهر القعدة سنة أربع وثلاثين ومائة وألف.
ومات الإمام المحدث العلامة والبحر الفهامة الشيخ إبراهيم بن موسى الفيومي المالكي شيخ الجامع الأزهر، تفقه على الشيخ محمد بن عبد الله الخرشي، قرأ عليه الرسالة وشرحها وكان معيداً له فهيماً وتلبس بالمشيخة بعد موت الشيخ محمد شنن ومولده سنة اثنتين وستين وألف، أخذ عن الشبراملسي والزرقاني والشهاب أحمد البشبيشي وغيرهم كالشيخ الغرقاوي وعلي الجزايرلي الحنفي وأخذ الحديث عن يحيى الشاوي وعبد القادر الواطي وعبد الرحمن الأجهوري والشيخ إبراهيم البرماوي والشيخ محمد الشرنبابلي وآخرين وله شرح على العزية في مجلدين. توفي سنة سبع وثلاثين ومائة وألف عن خمس وسبعين سنة.

ومات الجناب المكرم والملاذ المفخم محمد الدادة الشرايبي وكان إنساناً كريم الأخلاق طيب الأعراق جميل السمات حسن الصفات يسعى في قضاء حوايج الناس ويؤاسي الفقراء، ولما ثقل في المرض قسم ماله بين أولاده وبين الخواجا عبد الله بن الخواجا محمد الكبير وبين ابن أحمد أخي عبد الله كما فعل الخواجا الكبير، فإنه قسم المال بين الدادة وبين عبد الله وأخيه أحمد، وكان المال ستمائة كيس، والمال الذي قسمه الدادة بين أولاده وبين عبد الله وابن أخيه وهم قاسم وأحمد ومحمد جربجي وعبد الرحمن والطيب وهؤلاء أولاده لصلبه وعبد الله بن الخواجا الكبير وابن أخيه الذي يقال له ابن المرحوم ألف وأربعمائة وثمانون كيساً خلاف خان الحمزاوي وغيره من الأملاك وخلاف الرهن الذي تحت يده من البلاد وفائظها ستون كيساً والبلاد المختصة به أربعون كيساً وذلك خلاف الجامكية والوكائل والحمامات وثلاث مراكب في بحر القلزم، وكل ذلك أحداث الدادة وأصل المال الذي استلمه الدادة في الأصل من الخواجا محمد الكبير سنة إحدى عشرة ومائة وألف تسعون كيساً لما عجز عن البيع والشراء، ولما فعل ذلك وقسم المال بين الدادة وبين عبد الله وأخيه بالثلث غضب عبد الله وقال هو أخ لنا ثالث فقال أبو عبد الله: والله لا يقسم المال إلا مناصفة له النصف ولك ولأخيك النصف وهذا الموجود كله لسعد الدادة ومكسبه فإني لما سلمته المال كان تسعين كيساً وها هو الآن ستمائة كيس خلاف ما حدث من البلاد والحصص والرهن. فكان كما قال وكان جاعلاً لعبد الله مرتباً في كل يوم ألف نصف فضة برسم الشبرقة خلاف المصروف والكساوي له ولأولده ولعياله إلى أن مات يوم السبت سادس عشر رجب سنة سبع وثلاثين ومائة وألف، وحضر جنازته جميع الأمراء والعلماء وأرباب السجاجيد والوجاقات السبعة والتجار وأولاد البلد، وكان مشهده عظيماً حافلاً بحيث أن أول المشهد داخل إلى الجامع ونعشه عند العتبة الزرقاء، وكان ذكياً فهيماً دراكاً سعيد الحركات وعلى قدر سعة حاله وكثرة إيراده ومصرفه لم يتخذ كاتباً، ويكتب ويحسب لنفسه.

ومات الشيخ الإمام العالم العلامة مفرد الزمان ووحيد الأوان محمد ابن محمد بن محمد بن الولي شهاب الدين أحمد بن العلامة حسن بن العارف بالله تعالى علي بن الولي الصالح سلامة بن الولي الصالح العارف بدير بن محمد بن يوسف شمس الدين أبو حامد البديري الحسيني الشافعي الدمياطي، مات جده بدير بن محمد سنة ستمائة وخمسين في وادي النسور وحفيده حسن ممن

أخذ عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، أخذ أبو حامد المترجم عن الشيخ الفقيه العلامة زين الدين السلسلي إمام جامع البدري بالثغر وهو أول شيوخه قبل المجاورة ثم رحل إلى الأزهر فأخذ عن النور أبي الضياء علي بن محمد الشبراملسي الشافعي والشمس محمد بن داود العناني الشافعي قراءة على الثاني بالجنبلاطية خارج مصر القاهرة وأمام شرف الدين بن زين العابدين بن محي الدين بن ولي الدين بن يوسف جمال الدين بن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري والمحدث المقري شمس الدين محمد بن قاسم البقري شيخ القراء والحديث بصحن الجامع الأزهر والشيخ عبد المعطي الضرير المالكي وشمس الدين محمد الخرشي والشيخ عطية القهوقي المالكي والشيخ المحدث منصور بن عبد الرزاق الطوخي الشافعي إمام الجامع الأزهر والشيخ المحدث العلامة شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي الشافعي النقشبندي والمحقق شهاب الدين أحمد بن عبد اللطيف البشبيشي الشافعي وحيسوب زمانه محمود بن عبد الجواد بن العلامة الشيخ عبد القادر المحلي والعلامة الشيخ سلامة الشبيني والعلامة المهندس الحيسوب الفلكي رضوان أفندي ابن عبد الله نزيل بولاق، ثم رحل إلى الحرمين فأخذ بهما عن الإمام أبي العرفان إبراهيم بن حسن بن شهاب الدين الكوراني في سنة إحدى وتسعين وألف والسيدة قريش وأختها بنت الإمام عبد القادر الطبري في سنة اثنتين وتسعين وألف، روى وحدث وأفاد وأجاد، أخذ عن الشيخ محمد الخفني وبه تخرج وأخوه الجمال يوسف والشيخ العارف بالله تعالى السيد مصطفى بن كمال الدين البكري وهو من أقرانه والفقيه النحوي الأصولي محمد بن يوسف الدنجيهي الشافعي والعلامة عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن البشبيشي الشافعي الدمياطي ومصطفى بن عبد السلام المترلي. توفي المترجم أبو حامد بالثغر سنة أربعين ومائة وألف.

ومات العلامة الهمام محمد بن أحمد بن عمر الأسقاطي الأزهري نزيل إدلب كان جل تحصيله بمصر على والده وبه تخرج وتفنن وصار له قدم راسخ وله مشايخ آخرون أزهريون، فلما نزل إدلب تلقاه شيخ العلماء بها أحمد ابن حسين الكاملي فأنزله عنده وأكرمه غاية الإكرام وأرشد الطلبة إليه فانتفعوا به جداً، و لم يزل مفيداً على أكمل الحالات حتى مات سنة تسع وثلاثين ومائة وألف.

ومات الشيخ العلامة الزاهد الياس بن إبراهيم الكوراني الشافعي، ولد بكوران سنة إحدى وثلاثين وألف وأخذ العلم بها عن عدة مشايخ، وحج ودخل مصر والشام وألقى بها عصا التسيار عاكفاً على إقراء العلوم العقلية والنقلية، وكان على غاية من الزهد، وروى عنه شيوخ العصر كالشيخ أحمد الملوي والشهاب أحمد بن علي المنيني وله المؤلفات والحواشي. توفي بدمشق بمدرسة جامع العراس بعد العصر من يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة بقين من شعبان سنة ثمان وثلاثين ومائة وألف ودفن بمقبرة باب الصغير بالقرب من قبر الشيخ نصر المقدسي رحمه الله.

ومات الإمام العالم العلامة المحدث أبو عبد الله محمد بن علي المعمر الكاملي الدمشقي الشافعي، ولد سنة أربع وأربعين وألف وأخذ العلم عن جماعة كثيرين، وروى وحدث وانتهى إليه الوعظ بدمشق وكان فصيحاً وإذا عقد مجلس الوعظ تحت قبة النسر غصت أركانها الأربعة بالناس، وكان يحضره في دروس الجامع الصغير كثير من الأفاضل وتزدحم عليه الناس العوام لعذوبة تقريره، روى عنه ولده عبد السلام ومحمد بن أحمد الطرطوسي والشيخ أبو العباس أحمد المنيني. توفي في منتصف القعدة سنة إحدى وثلاثين ومائة وألف.

ومات الأستاذ بقية السلف الشيخ مصلح الدين بن أبي الصلاح عبد الحليم بن يحيي بن عبد الرحمن بن القطب سيدي عبد الوهاب الشعراني قدس سره، جلس على سجادة أبيه وجده وكان رجلاً صالحاً مهيباً مجذوباً. توفي يوم الثلاثاء تاسع ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة وألف، ولم يعقب إلا ابنته وابن عمة له وهو سيدي عبد الرحمن استخلف بعده وابن أخت له من إبراهيم جربجي باشجاويش الجاويشية جعلوا لكل منهم الثلث في الوقف وحرر الفائظ اثني عشر كيساً.

ومات الأستاذ المجذوب الصاحي الشيخ أحمد بن عبد الرزاق الروحي الضماطي الشناوي الجمال، كان والده جمالاً من أتباع المشايخ الشناوية وحفظ القرآن واشتغل بالذكر والعبادة إلى أن حصل له جذبة وربما اعتراه استغراق، وكان من أكابر الأولياء أصحاب الكرامات. توفي في رمضان سنة أربع وعشرين ومائة وألف.

ومات الأستاذ العلامة أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطي الشافعي الشهير بالبناء خاتمة من قام بأعباء الطريقة النقشبندية بالديار المصرية ورئيس من قصد لرواية الأحاديث النبوية، ولد بدمياط ونشأ بها وحفظ القرآن واشتغل بالعلوم على علماء عصره، ثم ارتحل إلى القاهرة فلازم الشيخ سلطان المزاحي والنور الشبراملسيي فأخذ عنهما القراءات وتفقه بهما وسمع عليهما الحديث وعلى النور الأجهوري والشمس الشوبري والشهاب القليوبي والشمس البابلي والبرهان الميوموني وجماعة آخرين، واشتغل بالفنون وبلغ من الدقة والتحقيق غاية قل أن يدركها أحد من أمثاله. ثم ارتحل إلى الحجاز فأخذ الحديث عن البرهان الكوراني ورجع إلى دمياط وصنف كتاباً في القراءات سماه إتحاف البشر بالقراءات الأربعة عشر أبان فيه عن سعة اطلاعه وزيادة اقتداره، حتى أن الشيخ أبو النصر المترلي يشهد بأنه أدق من ابن قاسم العبادي، واختصر السيرة الحلبيبة في مجلد وألف كتاباً في اشراط الساعة سماه الذخائر المهمات فيما يجب الإيمان به من المسموعات، وارتحل أيضاً إلى الحجاز وحج، وذهب إلى اليمن فاجتمع بسيدي أحمد بن عجيل ببيت الفقيه فأخذ عنه حديث المصافحة من طريق المعمرين وتلقن منه الذكر علىطريق النقشبندية وحل عليه أكسير نظره ولم يزل ملازماً لخدمته إلى أن بلغ مبلغ الكمال من الرجال، فأجازه وأمره بالرجوع إلى بلده والتصدي للتسليك وتلقين الذكر فرجع وأقام مرابطاً بقرية قريبة من البحر المالح تسمى بعزبة البرج، واشتغل بالله وتصدى للإرشاد والتسليك وقصد للزيارة والتبرك والأخذ والرواية وعم النفع به لا سيما في الطريقة النقشبندية، وكثرت تلامذته وظهرت بركته عليهم إلى أن صاروا أئمة يقتدى بهم ويتبرك برؤيتهم. ولم يزل في إقبال على الله تعالى وازدياد من الخير إلى أن ارتحل إلى الديار الحجازية فحج ورجع إلى المدينة المنورة فأدركته المنية بعد شيل الحج بثلاثة أيام في المحرم سنة سبع عشرة ومائة وألف ودفن بالبقيع مساء رحمه الله.

وأما من مات في هذه الأعوام من الأمراء المشاهير فلنقتصر على ذكر بعض المشهورين مما يحسن إيراده في التبيين إذ الأمر أعظم مما يحيط به المجيد، فلنقتصر من الحلي على ما حسن بالجيد ما وصل علمه إلي وثبت خبره لدي، إذ التفصيل في أحوالهم متعذر والدواء من غير حمية غير متيسر، ولم أخترع شيئاً من تلقاء نفسي والله مطلع على أمري وحدسي.

مات الأمير ذو الفقار بك تابع الأمير حسن بك الفقاري، تولى الصنجقية وإمارة الحج في يوم واحد وطلع بالحج إحدى عشرة مرة وتوفي سنة اثنتين ومائة وألف.

ومات أبنه الأمير إبراهيم بك، تولى الإمارة بعد أبيه وطلع أميراً على الحج سنة ثلاث ومائة وألف، وتحارب مع العرب تلك

السنة في مضيق الشرفة فكانت معركة عظيمة، وامتنع العرب من حمل غلال الحرمين، فركب عليهم هو ودرويش بك وكبس عليهم آخر الليل عند الجبل الأحمر، وساقوا منهم نحو ألف بعير، ونهب بيوتهم وأحضر الجمال إلى قراميدان، وأحضر أيضاً بدنة أخرى شالوا معهم الغلال والقافلة. وولى من طرفه إبراهيم آغا الصعيدي زعيم مصر أخاف الناس وصار له سمعة وهيبة وطلع بالحج بعد ذلك ثلاث مرار في أمن وأمان. وتاقت نفسه الرئاسة ولا يتم له ذلك إلا بملك باب مستحفظان، وكان بيد القاسمية فأعمل حيلة بمعضدة حسن آغا بلغيه وإغراء علي باشا والي مصر حين ذاك، فقلد رجب كتخدا مستحفظان وسليم أفندي صناجق، ثم عملوا دعوة على سليم بك المذكور انحط فيها الأمر على حبسه وقتله. فلما رأى رجب بك ذلك ذهب إلى إبراهيم بك واستعفى من الإمارة فقلده سردار جداوي وسافر من القلزم، وتوفي بمكة وخلف ولد اسمه باكير حضر إلى مصر بعد ذلك، ولما قتل سليم بك المذكور لا عن وارث، ضبط مخلفاته الباشا لبيت المال وأخذوا جميع ما في بيته الذي بالأزبكية المجاور لبيت الدادة أبي قاسم الشرايبي، وهو الذي اشتراه القاضي مواهب أبو مدين جربجي عزبان في سنة أربع ومائة وألف. وقتلوا أيضاً خليل كتخدا المعروف بالجلب، وقلدوا كجك محمد باشا أوده باشا وصار له كلمة وسمعة، ونفى مصطفى كتخدا القازدغلي إلى أرض الحجاز. وصفا الوقت لإبراهيم بك وكجك محمد من طرفة في باب مستحفظان، فعزم على قطع بيت القاسمية فأخرج ايواظ بك إلى إقليم البحيرة وقاسم بك إلى جهة بني سويف وأحمد بك إلى المنوفية. وخلا له الجو وانفرد بالكلمة في مصر وصار منزله بدرب الجماميز مفتوحاً ليلاً ونهاراً لقضاء الحوايج مع مشاركة الأمير حسن آغا بلغيه، ثم أنه عزم على قتل إبراهيم بك أبي شنب واتفق مع الباشا على ذلك بحجة المال والغلال التي عليه، فلم يتم ذلك و لم يزل المترجم أميراً على الحج إلى أن مات في فصل الشحاتين سنة ستع ومائة وألف وطلع بالحج خمس مرات.

ومات الأمير اسمعيل بك الكبير الفقاري تابع حسن بك الفقاري وصهر حسن آغا بلغيه تولى الدفتردارية ثلاث سنين وسبعة أشهر، ثم عزل وسافر أميراً على عسكر السفر إلى الروم، ورجع إلى مصر وأعيد إلى الدفتردارية ثانياً و لم يزل حتى مات سنة تسع عشرة ومائة وألف فجأة ليلة السبت تاسع عشري المحرم، وكانت جنازته حافلة، وخلف ولده محمد بك تولى بعده الإمارة وطلع بالحج سنة سبع وثلاثين ومائة وألف.

ومات الأمير حسن آغا بلغيه الفقاري آغات ككللويان وأصله رومي الجنس تابع محمد جاويش فياله تولى أغاوية العزب سنة خمس وثمانين وألف، ثم عمل متفرقة باشا سنة تسع وثمانين وألف، ثم عزل عنها وتقلد أغات ككللويان سنة ثلاث وتسعين وألف، وكان أميراً جليلاً ذا دهاء ورأي وكلمة مسموعة نافذة بأرض مصر، صاحب سطوة وشهامة وحسن تدبير، ولا يكاد يتم أمر من الأمور الكلية والجزئية إلا بعد مراجعته ومشورته، وكل من انفرد بالكلمة في مصر يكون مشاركاً له، وتزوج بابنة اسمعيل بك الكبير المذكورآنفاً وولد له منها ابنه محمد بك الآتي ذكره الذي تولى إمارة الحج في سنة سبع وثلاثين ومائة وألف ومصطفى كتخدا القازدغلي جد القازدغلية كان أصله سراجاً عنده وهو الذي رقاه حتى صار إلى ما صار إليه. وتفرعت عنه شجرة القازدغلية، وغالب أمراء مصر وحكامها يرجعون في النسبة إلى أحد البيتين وهم بيت بلغيه وبيت رضوان بك صاحب العمارة المتوفى سنة خمس وستين وألف. و لم يترك أولاداً بل ترك حسن بك أمير الحاج المتقدم ذكره ولاجين بك حاكم الغربية وهو صاحب السويقة المنسوبة إليه وأحمد بك أباظه وشعبان بك أبا سنة وقيطاس بك جركس وقانصوه بك وعلي بك الصغير

وحمزة بك، هؤلاء قتلوا بعده في فتنه القاسمية بالطرانة. وأما أمراؤه الذين يقتلوا واستمروا أمراء بمصر مدة طويلة فهم محمد بك حاكم جرجا وذو الفقار بك الماحي الكبير، وكان رضوان بك هذا وافر الحرمة مسموع الكلمة، تولى إمارة الحج عدة سنين وكان رجلاً صالحاً ملازماً للصوم والعبادة والذكر، وهو الذي عمر القصبة المعروفة به خارج باب زويلة عند بيته، ووقف وقفاً على عتقائه وعلى جهات بر وخيرات، وكان من الفقارية. وأما رضوان بك أبو الشوارب القاسمي وهو سيد ايواظ بك فظهر بعد موت رضوان بك المذكور وانفرد بالكلمة بمصر مع مشاركة قاسم بك جركس وأحمد بك بشناق الذي كان بقناش السباع وهو قاتل الفقارية بالطراثة وهو أيضاً عم إبراهيم بك بشيناق المعروف بأبي شنب سيد محمد جركس الآتي ذكره.

ومات قاسم بك هذا سنة اثنتين وسبعين وألف وهو دفتردار بعد عزله من إمارة الحج وانفرد بعد رضوان بك أبي الشوارب أحمد بك. ثم مات رضوان بك عن ولده أزبك بك وانفرد أحمد بك بشناق بإمارة مصر نحو سبعة أشهر، فطلع يوم عرفه يهني شيطان إبراهيم باشا باليد فغدره وقتلوه بالخناجر أواخر سنة اثنتين وسبعين وألف، و لم يزل حسن آغا لغيه المترجم حتى توفي سنة خمس عشرة ومائة وألف على فراشه وعمره نحو تسعين سنة. ولما مات حسن آغا انفرد بالكلمة بعده صهره اسمعيل بك وخضعت له الرقاب مشاركة إبراهيم بك أبي شنب بضعف.

ومات الأمير مصطفى كتخدا القازدغلي تابع الأمير حسن آغا بلغيه أصله رومي الجنس، حضر إلى مصر وخدم عند حسن أغا المذكور ورقاه و لم يزل حتى تقلد كتخدا مستحفظان، فلما حصل ما تقدم وتقلد كجك محمد باش أوده باشا بالباب خمل ذكر مصطفى كتخدا وخمدت شهرته ثم نفاه كجك محمد إلى الحجاز، فأقام سنتين إلى أن ترجى حسن آغا عند إبراهيم بك أمير الحاج وكجك محمد في رجوعه فردوه إلى مصر، فأقام مع كجك محمد خاملاً فأغرى به رجلاً سجماني كان عنده بناحية طلخا يضرب نشاباً فضرب كجك محمد من شباك الجامع بالمحجر، فأصابه وملك مصطفى كتخدا باب مستحفظان ذلك اليوم ونفى وقتل وفرق من يخشى طرفه، وصفا له الوقت إلى أن مات على فراشه سنة خمس عشرة ومائة وألف.

ومات كجك محمد المذكور باش أوده باشا وكان له سمعة وشهرة وحسن سياسة. ولما قصر مد النيل في سنة ست ومائة وألف وشرقت البلاد وكان القمح بستين نصفاً فضة الاردب فزاد سعره وبيع باثنتين وسبعين فضة، نزل كجك محمد إلى بولاق وجلس بالتكية وأحضر الأمناء ومنعهم من الزيادة عن الستين وخوفهم وحذرهم وأجلس بالحملة اثنين من القابجية ويرسل حماره كل يومين أو ثلاثة مع الحمار يمشي به جهة الساحل ويرجع فيظنون أن كجك محمد ببولاق فلا يمكنهم زيادة في ثمن الغلة. فلما قتل كما ذكر بيع القمح في ذلك اليوم بمائة نصف فضة، و لم يزل يزيد حتى بلغ ستمائة نصف فضة. ومما اتفق له أن بعض التجار بسوق الصاغة أراد الحج فجمع ما عنده من الذهبيات والفضيات واللؤلؤ والجواهر ومصاغ حريمه ووضعه في صندوق وأودعه عند صاحب له بسوق مرجوس، يسمى الخواجا علي الفيومي بموجب قائمة أخذها معه مع مفتاح الصندوق، وسافر إلى الحجاز، وجاور هناك سنة ورجع مع الحجاج وحضر إليه أحبابه وأصحابه للسلام عليه. وانتظر صاحبه الحاج علي الفيومي فلم يأته فسأل عنه فقيل له أنه طيب بخير فأخذ شيئاً من التمر واللبان والليف ووضعه في منديل وذهب إليه ودخل عليه ووضع بين يديه ذلك المنديل، فقال له: من أنت فإني لا أعرفك قبل اليوم حتى تهاديني. فقال له: أنا فلان صاحب الصندوق الأمانة، فجحد معرفته وأنكر ذلك بالكلية و لم يكن بينه وبينه بينة تشهد بذلك، فطار عقل الجوهري وتحير في أمره

وضاق صدره، فأخبر بعض أصحابه، فقال له: اذهب إلى كجك محمد أوده باشه. فذهب إليه وأخبره بالفضة فأمره أن يدخل إلى المكان الداخل ولا يأتي إليه حتى يطلبه وأرسل إلى علي الفيومي. فلما حضر إليه بش في وجهه ورحب به وآنسه بالكلام الحلو ورأى في يده سبحة مرجان، فأخذها من يده يقلبها ويلعب بها ثم قام كأنه يزيل ضرورة وأعطاها لخادمه وقال له: خذ خادم الخواجا صحبتك واترك دابته هنا عند بعض الخدم واذهب صحبة الخادم إلى بيته وقف عند باب الحريم وأعطهم السبحة إمارة وقل لهم أنه اعترف بالصندوق والأمانة. كلما رأوا الإمارة والخادم لم يشكوا في صحة ذلك وعندما رجع كجك محمد إلى مجلسه قال للخواجا: بلغني أن رجلاً جواهرجي أودع عندك صندوقاً أمانة ثم طلبه فأنكرته. فقال: لا وحياة رأسك ليس له أصل وكأني اشتبهت عليه أو أنه خرفان وذهلان ولا أعرفه قبل ذلك ولا يعرفني. ثم سكتوا وإذا بتابع الأوده والخادم داخلين بالصندوق على حمار فوضعوه بين أيديهما فامتقع وجه الفيومي وأسفر لونه فطلب الأوده باشه صاحب الصندوق، فحضر فقال له: هذا صندوقك؟ قال له: نعم. قال له: عندك قائمة بما فيه؟ قال: معي. وأخرجها من جيبه مع المفتاح، فتناولها الكاتب وفتحوا الصندوق وقابلوا ما فيه على موجب القائمة فوجده بالتمام. فقال به: خذ متاعك واذهب. فأخذه وذهب إلى داره وهو يدعو له، ثم التفت إلى الخواجا علي الفيومي وهو ميت في جلده ينتظر ما يفعل به، فقال له صاحبالأمانة: أخذها وأيش جلوسك فقام وهو ينفض غبار الموت وذهب. واتفق أن أحمد البغدادي أقام مدة يرصد المترجم يمر من عطفة النقيب ليضربه ويقتله إلى أن صادفه فضربه بالبندقية من الشباك فلم تصبه، وكسرت زاوية حجر وأخبروه أنها من يد البغدادلي فأعرض عن ذلك وقال: الرصاص مرصود والحي ماله قاتل. وتقلد باش أوده باشه سنة خمس وثمانين وألف فتحركت عليه طائفته وأرادوا قتله، فخرج من وجاقه إلى وجاق آخر وعمل شغله في قتل كبار المتعصبين عليه وهم ذو الفقار كتخدا وشريف أحمد

باشجاويش باتفاق مع عابدي باشا المتولي إذ ذاك خفية فقتل الباشا الشريف أحمد جاويش في يوم الخميس خامس الحجة سنة تسع وثمانين وألف، وهرب ذو الفقار إلى طندتا فأرسلوا خلفه فرماناً خطاباً لاسمعيل كاشف الغربية بقتله، فركب إلى طندتا وقتله وأرسل دماغه وذلك بعد موت أحمد جاويش بعشرة أيام، ورجع كجك محمد إلى مكانه كما كان واستمر مسموع الكلمة ببابه إلى أن ملك الباب جربجي سليمان كتخدا مستحفظان، في سنة أربع وتسعين وألف. ونفى كجك محمد إلى بلاد الروم ثم رجع في سنة خمس وتسعين وألف بسعاية بعض أكابر البلكات بشرط أن يرجع إلى لبس الضلمة ولا يقارش في شيء، فاستمر خامل الذكر إلى أن مات جربجي سليمان على فراشه، فعند ذلك ظهر أمر المترجم وعمل باش أوده باشا كما كان و لم يزل إلى سنة سبع

وتسعين وألف، فاستوحش من سليم أفندي كاتب كبير مستحفظان ورجب كتخدا فانتقل إلى وجاق جمليان وعمل جربجي وسافر هجان باشا ثم رجع إلى بابه سنة تسع وتسعين وألف كما كان بمعاضدة إبراهيم بك الفقاري، واتفق معه على هلاك سليم أفندي ورجب كتخدا فولوهما الصنجقية وقتلوهما كما ذكر. وكان سليم أفندي المذكور قاسمي النسبة واستمر كجك محمد مسموع الكلمة نافذ الحرمة إلى أن قتل غيلة، كما ذكر، في طريق المحجر في يوم الخميس سابع المحرم سنة ست ومائة وألف. ومات الأمير عبد الله بك بشناق الدفتردار، تولى الدفتردارية سنة ثلاث ومائة وألف ثم عزل عنها بعد خمسة أشهر وعشرين يوماً، وسافر أميراً على العسكر إلى الروم ورجع إلى مصر وتولى قائمقام عندما عزل حسن باشا السلحدار في سنة اثنتين وذلك قبل سفره، وحضر أحمد باشا ثم عزل بعد ذلك المترجم من الدفتردارية، واستمر أميراً إلى أن مات سنة خمس

عشرة ومائة وألف على فراشه.

ومات الأمير سليمان بك الأرمني المعروف ببارم ذيله تولى الصنجقية سنة اثنتين ومائة وألف وكان وجيهاً ذا مال وخدم ومماليك، وتولى كشوفيات المنوفية والغربية مراراً عديدة، ولم يزل في إمارته إلى أن توفي على فراشه سنة إحدى وعشرين ومائة وألف، وخلف ولداً يسمى عثمان جلبي تقلد إمارة والده بعده وكان جميلاً وجيهاً حاذقاً يحب مطالعة الكتب ونشد الأشعار وتقلد كشوفية المنوفية والغربية والبحيرة، وكان فارساً شجاعاً ولم يزل حتى هرب مع من هرب في واقعة محمد بك قطامش سنة ستع وعشرين ومائة وألف، فاختفى بمصر ونهب بيته واستمر مخفياً إلى أن مات بالطاعون سنة ثلاثين ومائة وألف، وخرجوا بمشهده جهاراً ومات وعمره سبع وثلاثون سنة.

ومات الأمير حمزة بك تابع يوسف بك جلب القرد تأمر بعد سيده سنة عشرة ومائة وألف، فمكث خمس سنوات أميراً ثم سافر بالخزينة ومات بالطريق سنة ست عشرة ومائة وألف.

ومات قبله سيده الأمير يوسف بك القرد تولى الصنجقية سنة ثلاث وسبعين وألف وتولى إمارة الحج ولم يزل حتى توفي سنة عشر وألف.

ومات الأمير رمضان بك تولى الإمارة سنة سبع وسبعين وألف، وعمل قائمقام عندما عزل أحمد باشا الدفتردار، وسبب ذلك أنه لما ورد أحمد باشا المذكور والياً على مصر في سنة ست وثمانين وألف، وأشيع عنه بأن قصده إحداث مظالم على البيوت والدكاكين والطواحين مثل الشام ويفتش على الجوامك وغيرها، فاجتمع العسكر في خامس الحجة بالرميلة وقاموا قومة واحدة وقطعوا عبد الفتاح أفندي الشعراوي كاتب مقاطعة الغلال وهو نازل من الديوان. وكان قبل تاريخه ذهب إلى الديار الرومية وحضر صحبته أحمد باشا فاتهموه بأنه هو الذي أغرى الباشا على ذلك. ولما نزل الأمراء وأرباب الديوان قام عليهم العسكر والعامة، وقالوا لهم: لابد من نزول الباشا وإلا طلعنا إليه وقطعناه قطعاً قطعاً. فطلعوا إلى الباشا فعرضوا عليه ذلك فامتنع وتكرر مراجعته والعسكر والناس يزيد اجتماعهم إلى قريب العصر، فلم يسعه إلا النزول بالقهر عنه إلى بيت حاجي باشا بالصليبية، وولوا رمضان بك هذا قائمقام. فلم يزل حتى ورد عبد الرحمن باشا سادس جمادى الآخرة من سنة سبع وثلاثين وألف، ولم يزل المترجم أميراً حتى مرض ومات سنة ثلاث عشرة ومائة وألف.

ومات الأمير درويش بك الفلاح، تولى الإمارة سنة خمس وتسعين وألف ومات سنة ثمان ومائة وألف.

ومات الأمير درويش بك جركس الفقاري وهو سيد أيوب بك، تولى الإمارة سنة ثمان وتسعين وألف ومات سنة خمس ومائة وألف.

ومات الأمير محمد كتخدا عزبان البيرقداري وكان صاحب صولة وعز في بابه وكلمة وشهرة مع مشاركة محمد كتخدا البيقلي، وكان المترجم شهير الذكر وبيته مفتوح وتسعى إليه الأمراء والأعيان، ويقضي حوائج الناس ويسعى في أشغالهم. وظهر في أيامه أحمد أوده باشه القيومجي وظالم علي جاويش عزبان. مات المترجم ثالث عشري رمضان سنة سبع ومائة وألف على فراشه بمنزله ناحية المظفر.

ومات أيضاً محمد كتخدا البيقلي في ثالث عشري رمضان سنة خمس ومائة وألف بمنزله بسوق السلاح، وعمره ولده بعد موته

وهو يوسف كتخدا عزبان وكالة سنة ست عشرة ومائة وألف.

ومات الأمير أحمد جربجي عزبان المعروف بالقيومجي وسبب تسميته بالقيومجي أن سيده حسن جربجي كان أصله صائغاً، ويقال له باللغة التركية قيومجي، فاشتهر بذلك، وكان سيده في باب مستحفظان وأحمد هذا عزبان، وكان المشارك لأحمد جربجي في الكلمة علي جاويش المعروف بظالم علي إلى أن لبس ظالم علي كتخدا الباب سنة ثمان ومائة وألف، ومضى عليه نحو سبعة أشهر فانتبذ أحمد جربجي وملك الباب على حين غفلة، وأنزل علي كتخدا إلى الكشيدة، فخاف على نفسه ظالم علي فالتجأ إلى وجاق تفكجيان، فسعى إليه جماعة منهم ومن أعيان مستحفظان وردوه إلى بابه بأن يكون اختيارياً وضمنوه فيما يحدث منه، فاستمر مع أحمد كتخدا معززاً إلى أن مات ظالم علي على فراشه بمترله بالجبانية الملاصق للحمام سنة خمس عشرة ومائة وألف، وانفرد بالكلمة أحمد كتخدا ولم يزل إلى أن مات على فراشه بمترله ببولاق سنة عشرين ومائة وألف، وكان سخياً يضرب بكرمه المثل، وكان به بعض عرج بفخذه الأيسر بسبب سقطة سقطها من على الحمار وهو أوده باشه.

ومات الأمير الكبير المقدام أيواظ بك والد الأمير اسمعيل بك، وأصل اسمه عوض فحرفت باعوجاج التركية إلى ايواظ، فإن اللغة التركية ليس فيها الضاد فأبدلت وحرفت بما سهل على لساهم حتى صارت ايواظ، وهو جركس الجنس قاسمي تابع مراد بك الدفتردار القاسمي الشهيد بالغزاة ومراد بك تابع أزبك بك أمير الحاج سابقاً ابن رضوان بك أبي الشوارب المشهور المتقدم ذكره، تولى الإمارة عوضاً عن سيده مراد بك الشهيد بالغزاة في سنة سبع ومائة وألف وفي سنة عشر ومائة وألف. ورد مرسوم من الدولة خطاباً لحسين باشا والي مصر إذ ذاك بالأمر بالركوب على المتغلب عبد الله وافي المغربي بجهة قبلي ومن معه من العربان وإجلائهم عن البلاد، وحضرت جماعة من الملتزمين والفلاحين يشكون ويتظلمون من المذكورين، فجمع حسين باشا الأمراء والأغوات وأمرهم بالتهيؤ للسفر صحبته فقالوا نحن نتوجه جميعاً وأما أنت فتقيم بالقلعة لأجل تحصيل الأموال السلطانية. ثم وقع الاتفاق على إخراج تجريدة وأميرها ايواظ بك وصحبته ألف نفر من الوجاقات، ويقرروا له على كل بلد كبيرة ثلاثة آلاف نصف فضة والصغيرة ألف وخمسمائة، فأجابهم إلى ذلك، وجعلوا لكل نفر ثلاثة آلاف فضة وللأمير عشرة أكياس، وخلع عليه الباشا قفطاناً وخرج في يوم السبت سابع عشر جمادى الآخرة بموكب عظيم، ونزل بدير الطين. فبات به وأصبح متوجهاً إلى قبلي ثم ورد منه في حادي عشر رجب يذكر كثرة الجموع ويطلب الإمداد فعمل الباشا ديواناً وجمع الأمراء واتفقوا على إرسال خمسة من الأمراء الصناجق وهم أيوب بك أمير الحاج حالاً واسمعيل بك الدفتردار وإبراهيم بك أبو شنب وسليمان بك قيطاس وأحمد بك ياقوت زاده وآغوات الاسباهية الثلاثة وأتباعهم وأنفارهم. فتهيئوا وسافروا ونزلوا بالجيزة وأقاموا بها أياماً فورد الخبر أن ايواظ بك تحارب مع العربان وهزمهم وقروا إلى الوجه البحري من طريق الجبل، ورجع الأمراء إلى مصر. وفي شوال نزلت جماعة من العربان بكرداسة فكبسهم ذو الفقار كاشف الجيزة وقتل منهم أربعة وسبعين رجلاً وطلع برؤوسهم إلى الديوان، ثم ورد الخبر بأن جمع أبي زيد بن وافي نزل بوادي الطرانة فاحتاط به قائمقام البحيرة وقتل من معه من الرجال واحتاط بالأموال والمواشي، ولما بلغ بقية العربان ما حصل لأبي زيد ضاقت بهم الأرض ففروا إلى الواحات وأقاموا بها مدة حتى أخربوها وأغلوها وانقطعت السيارة فألجأهم الضرورة إلى أن هبطوا في صعيد مصر بمحاجر الجعافرة بالقرب من أسنا، وصحبتهم علي أبو شاهين شيخ النجمة. وحصل منهم الضرر فلما بلغ ذلك عبد الرحمن بك أغرى بهم

عربان هوارة فاحتاطوا بهم ونهبوهم وأخذوا منهم جملة كبيرة من الجمال وغيرها، ففروا فتبعهم خيل هوارة إلى حاجر منفلوط، فتبعهم عبد الرحمن بك ومن معه من الكشاف، فأثخنوهم قتلاً ونهباً وأخذوا منهم ألفا وسبعمائة جمل بأحمالها. وهرب من بقي. وما زالوا كلما هبطوا أرضاً قاتلهم أهلها إلى أن نزلوا الفيوم بالغرق وأفترق منهم أبو شاهين بطائفة إلى ولاية الجيزة، فعين لهم الباشا تجريدة ذهبوا خلفهم إلى الجسر الأسود فوجدوهم عدوا إلى المنوفية، وأما ايواظ بك فإنه منحين نزوله إلى الصعيد وهو يجاهد ويحارب في العربان حتى شتت شملهم وفرق جمعهم، فتلقاهم عبد الرحمن بك فأذاقهم أضعاف ذلك، وحضر ايواظ بك إلى مصر ودخل في موكب عظيم والرؤوس محمولة معه وطلعوا إلى القلعة، وخلع عليه الباشا وعلى السدادرة الخلع السنية، ونزلوا إلى منازلهم في أبهة عظيمة وتولى كشوفية الأقاليم الثلاثة على ثلاث سنوات، ورجع إلى مصر. وحضر مرسوم بسفر عسكر إلى البلادالحجازية وعزل الشريف سعد وتولية الشريف عبد الله وأميرها ايواظ بك فخلع عليه الباشا وشهل له جميع احتياجاته وبرز إلى العادلية وصحبته السدادرة وسار براً في غير أوان الحج، ولما وصل إلى مكة جمع السدادرة القدم والجد وحاربوا الشريف سعدا هزموه، وملك دار السعادة وأجلس الشريف عبد الله عوضه، وقتل في الحرابة رضوان آغا ولده وكان خازنداره، وأقام بمكة إلى أيام الحج أتى إليه مرسوم بأنه يكون حاكم جدة، وكانت إمارة جدة لأمراء مصر أقام بجدة وحاز منها شيئاً كثيراً. وكان الوكيل عنه بمصر يوسف جربجي الجزار عزبان ويرسل له الذخيرة وما يحتاجه من مصر. وتولى المترجم إمارة الحج سنة اثنتين وعشرين وقتل في تلك

السنة، وذلك أنه اشتدت الفتنية بين العرب والينكجرية وحضر محمد بك حاكم الصعيد معينا للينكجرية وصحبته السواد الأعظم من العسكر والعرب والمغاربة والهوارة فنزل بالبساتين ثم دخل إلى مصر بجموعه، نزل ببيت آقباي وحار المتترسين بجامع السلطان حسن وكان به محمد بك الصغير وهو تابع قيطاس بك مع من أنضم إليه من أتباع إبراهيم بك وايواظ بك ومماليكه، فكانت النصرة لمحمد بك الصغير بعد أمور وحروب. وأنتقل محمد بك جرجا إلى جهة الصليبة ووقعت أمور يطول شرحها مشهورة من قتل ونهب وخراب أماكن. وطال الأمر ثم أن الأمراء اجتمعوا بجامع بشتاك وحضر معهم طائفة من العلماء والأشراف واتفقوا على عزل خليل باشا وإقامة قانصوه بك قائمقام وولوا مناصب وآغوت ووالي. ووصل الخبر إلى الباشا ومن معه فحرض الينكجرية وفيهم إفرنج أحمد ومحمد بك جرجا ومن معه على الحرب. ووقعت حروب عظيمة بين الفريقين عدة أيام، وصار قانصوه بك يرسل بيورلديات وتنابيه ، وأرسل إلى محمد بك جرجا يأمره بالتوجه إلى ولايته ويجتهد في تحصيل المال والغلال السلطانية، فعندما وصل إليه البيورلدي قام وقعد واحتد وأشتد بينهم الجلاد والقتال. واجتمع الأمراء الصناجق والآغوات عند قائمقام ورتبوا أمورهم وذهبت طائفة لمحاربة منزل أيوب بك إلى أن ملكوه بعد وقائع ونهبوه، وخرج أيوب بك هارباً، وكذلك منزل أحمد آغا التفكجية بعد قتله. وخرج أيضاً محمد آغا الشاطر وعلي جلبي الترجمان وعبد الله الوالي ولحقوا بأيوب بك وفروا إلى جهة الشام، وخرج محمد بك الكبير إلى جهة قبلي وانتهبت جميع بيوت الخارجين، وبيت محمد بك الكبير وأحمد جرجي القنيلي وأحرقوا بيت أيوب بك وما لاصقه من البيوت والحوانيت والرباع. وفي أثناء ذلك قبل خروج من ذكر أيام اشتداد الحرب خرج محمد بك بمن معه إلى جهة قصر العيني فوصل الخبر إلى ايواظ بك فركب مع من معه ورفع القوس المزراق إمام الصنجق فانشبك في سكفة الباب وانكسر، فقالوا للصنجق: كسر المزراق. قال: وتطيروا من ذلك. فقال: لعل بموتي ينصلح الحال. وطلب مزراقاً آخر وسار إلى جهة القبر الطويل، فظهر محمد بك والهوارة فتحاربوا معهم،

فانهزم رجال محمد بك وفر هو ومن معه إلى السواق، فطمع فيهم ايواظ بك ورمح خلفهم وكان محمد بك أجلس جماعة سجمانية على السواقي لمنع من يطرد خلفهم عند الانهزام، فرموا عليهم رصاصا فأصيب ايواظ بك وسقط من على جواده. وحصل بعد ذلك ما حصل من الحروب ونصرة القاسمية والعزب وهروب المذكورين وعزل الباشا ودفن ايواظ بك بتربة أبي الشوارب، وكان أميراً خيراً شهماً حزن عليه كثير من الناس. وخلف ولده السعيد الشهيد اسمعيل بك الشهير السابق ذكره والآتي ترجمته، وما وقع له ولأخيه محمد بك المعروف بالمجنون ومصطفى بك، وخلف عدة من المماليك والأمراء ومنهم يوسف بك الجزار غيره.

ومات الأمير أيوب بك تابع درويش بك وهو كان ممن تسبب في إثارة الفتنة المذكورة وتولى كبرها مع إفرنج أحمد، وأرسل إلى محمد بك جرجا فحضر إليه معيناً ومعه من ذكر من أخلاط العالم وحصل ما حصل، وأصله جركس الجنس ومن الفقارية تولى إمارة الحج بعد موت إبراهيم بك ذك الفقار سنة سبع ومائة وألف، وطلع بالحج عشر مرات، وعزل سنة سبع عشرة ومائة وألف وتولى الدفتردارية ثم عزل عنها ثم وقعت الفتنة وقهر فيها وخرج من مصر هارباً مع من هرب إلى جهة الشام، وذهب إلى اسلامبول و لم يزل بها حتى مات سنة أربع وعشرين ومائة وألف طريداً غريباً وحيداً بعد الذي رآه من العز والجاه بمصر، وخلف من الأولاد الذكور والإناث اثني عشر لم ينتج منهم أحد عاشوا وماتوا فقراء، لأن ماله انتهب في الفتنة.

ومات الأمير قيطاس بك وهو مملوك إبراهيم بك ذي الفقار كردلي الجنس، تولى إمارة الحج سنة عشرة ومائة وألف واستمر فيها إلى سنة إحدى وعشرين ومائة وألف، طلع بالحج خمس مرات ثم عزل وتولى الدفتردارية وأستمر فيها إلى سنة أربع وعشرين ومائة وألف، ثم عزل عنها وتولى إمارة الحج سنة تاريخه، ثم عزل وتلبس بالدفتردارية واستمر فيها إلى أن قتل في سنة ست وعشرين ومائة وألف، قتله عابدي باشا، وذلك أنه لم حضر عابدي باشا إلى مصر وقدم له الأمراء التقادم وقدم له اسمعيل بك ابن ايواظ تقدمة عظيمة، وكان إذ ذاك أمين السماط، فأحبه الباشا وسأل عمن تسبب في قتل أبيه، فقالوا هذه قضية ليس لأحد فيها جنية وأنما قيطاس بك وايوب بك من بيت واحد، وكان أيوب بك أعظم، فالتجأ قيطاس بك إلى المرحوم ايواظ بك إلى أن قتل بسببه وقتل أيضاً كثير من رجاله. وبعدما بلغ مراده سعى في هلاكنا وأراد قتلنا عند أم أخنان، وسلط ابن حبيب على خيولنا في المربع وجم أذنابها. فقال الباشا: يكون خيراً. ولما استقر الباشا وتقلد اسمعيل بك إمارة الحج وقلدوا مناصب الأقاليم للقاسمية وتقلد عبد الله بك خازندار ايواظ بك الصنجقية وأرسلوا بقتل الأمير حسن كاشف الخميم. ثم أن قيطاس بك أرسل كور عبد الله سراً إلى الباشا وكلمه في إدارة الكشوفيات على الفقارية وعمل رشوة، فقال له: هذه السنة مضت وفي العام القابل نعطيكم جميع الكشوفيات، فاطمأن بذلك وشرع في عمل عزومة للباشا بقصر العيني،فأجاب لذلك وذهب مع القاضي وإبراهيم بك الدفتردار وأرباب الخدم وقدم لهم تقادم، وخلع عليه الباشا فروة سمور، وركبوا أواخر النهار وذهبوا إلى منازلهم. ومضى على ذلك أيام وكان محمد بك قطامش تابع قيطاس بك في الخفر بسبيل علام، فحضر في بعض الأيام إلى الديوان لحاجة ودخل عند الباشا فقال له: أين كنت و لم تحضر معنا عزومة سيدك. فقال: أنا في خفر بسبيل علام. فقال الباشا: وسبيل علام هذا بلد والقلعة، فعرفه أنه مثل القلعة وحوله قصور لنزول الأمراء. فقال الباشا: أحب أن أرى ذلك.

فقال: حباً وكرامة تشرفونا يوم السبت. فقال: كذلك شهل روحك ونأتي صحبة سيدك والقاضي من غير زيادة وأدع أنت من شئت. وقال الباشا لقيطاس بك: تنزل في صبح يوم السبت إلى قراميدان فتأتيني هناك ونركب صحبة. فقال: كذلك. فأرسل إبراهيم أبو شنب تلك الليلة تذكرة لقيطاس بك: اقبل النصيحة ولا تذهب إلى قراميدان. فلما قرأ التذكرة وأعرضها على كتخدا محمد آغا الكور فقال هذا: عدو فلا تأخذ منه نصيحة، فإنه لا يحب قربك من الباشا. وفي الصباح ركب في قلة وذهب إلى قراميدان فوجد الباشا نزل وجلس بالكشك وأوقف أتباعه وعسكره. فلما حضر قيطاس بك قال له الباشا من الشباك: أطلع حتى يأتي القاضي ونركب سوية وخل الطوائف راكبين. فنزل وطلع وجلس، فهجم عليه أتباع الباشا وقتلوه بالخناجر وقطعوا رأسه ورموه لطائفته من الشباك. وركب الباشا في الحال وطلع إلى القلعة. فشاله أتباعه وذهبوا إلى بيته وذهبت طائفة إلى سبيل علام أخبروا محمد بك بقتل سيده، فركب من ساعته وصحبته عثمان بك فأتوا صيوان قيطاس بك الأعور وكان طالعاً بالخزينة فعرفوه أن سيده قتله القاسمية بيد الباشا وطلبوه يركب معهم يأخذون بثأره، فأتى وقال أنه قتل بأمر سلطاني والخزنة في تسليمي وأنتم فيكم البركة، فساروا إلى بيت أستاذهم فوجدوا هناك حسن كتخدا النجدلي وناصف كتخدا القازدغلي وكور عبد الله جاويش، وأحضروا رأس الصنجق مسلوخة وغسلوه وكفنوه وصلوا عليه بسبيل المؤمن ودفنوه بالقرافة وكرنك محمد بك قطامش تابعه هو وو عثمان بك بن سليمان بك بارم ذيله و لم يتم له أمر، وهرب محمد بك إلى بلاد الروم، وسيأتي خبره في ترجمته، واختفى عثمان بك في بيت رجل مغربي حتى مات وكان إبراهيم بك أبو شنب يعرف مكانه ويرسل له مصروفاً وثارت فتنة عظيمة بعد قيطاس بك بين الينكجرية والعزب، وهو أن حسن كتخدا النجدلي وناصف كتخدا وكور عبد الله جاويش أغراض قيطاس بك ملكوا باب مستحفظان في ذلك اليوم في شهر رجب وقتلوا كتخدا الوقت شريف حسين إبراهيم باش أوده باشه المعروف بكدك وكانوا يتهمونه في قتل قيطاس بك. ثم في أواخر رمضان ملك باب مستحفظان محمد كتخدا كدك على حين غفلة ليأخذ ثار أخيه حسين، وقتل حسن كتخدا النجدلي وناصف كتخدا القازدغلي وأنزلوا رممهما في صبحها إلى

بيوتهم، وهرب كور عبد الله ثم قبضوا عليه بعد ستة أيام وأحضروه وهو راكب على حصان وفي عنقه جنزير وعلى رأسه ملاءة فطلع به محمد بك جركس إلى الباشا فأمر به إلى محمد كدك بالباب فقتله وأرسل رمته إلى بيته بسوق السلاح، وذلك في غاية رمضان سنة سبع وعشرين ومائة وألف.

ومات الأمير عبد الرحمن بك وكان أصله كاشف الشرقية وكان مشهوراً بالفروسية والشجاعة قلده الإمارة اسمعيل باشا والي مصر سنة سبع ومائة وألف هو ويوسف بك المسلماني. فإنه لما وقع الفصل في تلك السنة وغنم الباشا أموالاً عظيمة من حلوان المحاليل والمصالحات، فلما انقضى الفصل عمل عرساً عظيماً لختان أولاده في سنة ثمان ومائة وألف، وهادنه الأعيان والأمراء والتجار بالهدايا والتقادم وكان مهماً عظيماً أستمر عدة أيام لم يتفق نظيره لأحد من ولاة مصر، نصبوا في ديوان الغوري وقاتباي الأحمال والقناديل وفرشوهما بالفرش الفاخرة والوسائد والطنافس وأنواع الزينة، ونصبوا الخيام على حوش الديوان وحوش السراية، وعلقوا التعاليق بها وخيام تركية وأتصل ذلك بأبواب القلعة التحتانية إلى الرميلة والمحجر، ووقف أرباب العكاكيز وكتخدا الجاوشية وآغات المتفرقة والأمراء وباشجاويش الينكجرية والعزب والآغا الوالي والمحتسب الجميع ملازمون

للخدمة وملاقاة المدعوين، وفي أوسلعهم الحازم الزردخان وأبو اليسر الجنكي ملازم بديوان الغوري ليلاً ونهاراً، وجنك اليهود بديوتن قايتباي وأرباب الملاعيب والبهلوانيين والخيالة بالحيشان، وأبواب القلعة مفتوحة ليلاً ونهاراً، وأصناف الناس على اختلاف طبقاتهم وأجناسهم أمراء وأعيان وتجار وأولاد بلد طالعين نازلين للفرجة ليلاً ونهاراً. وختن مع أولاده عند انقضاء المهم مائتي غلام من وأولاد الفقراء، ورسم لكل غلام بكسوة ودراهم، ودعوا في أول يوم المشايخ والعلماء، وثاني يوم أرباب السجاجيد والرق، وثالث يوم الأمراء والصناجق ثم الآغوات والوجاقلية والاختيارية والجربجية وواجب رعايات الأبواب كل طائفة يوم مخصوص بهم ثم التجار وخواجات الشرب والغورية ثم القاقجية والعقادين والقوافين ومغاربة طيلون وأرباب الحرف ومجاوري الأزهر والعميان بوسط حوش الديوان غدوا وعشياً. ثم خلع الخلع والفراوي وأنعم بحصص وعتامنة على أرباب الديوان والخدم وكذلك كساوي للجنك وأرباب الملاهي والبهلوانيين والطباخين والمزينين وإنعامات وبقاشيش. ولما تم وانقضى المهم قال الباشا لإبراهيم بك وحسن أفندي، وكانا خصيصين به: أريد أقلد إمارة صنجقين لشخصين يكونان إشراقين ويكونان شجاعين قادرين. فوقع الاتفاق على يوسف آغا المسلماني وعبد الرحمن آغا كاشف الشرقية. هذا وكان ضرب هلباسو يد قبل تاريخه وأشتهر بالشجاعة فخلع عليهما في يوم واحد، وعملوا لهما رنك وسعاة، ونزلت لهما الأطواغ والبيارق والتوبة، وحضرت لهما التقادم والهدايا ولبسا الخلع. ثم أن الباشا أنشأ له تكية في قراميدان، ووقف سبع بلاد من التي أخذها من المحاليل في إقليم البحيرة، وهي أمانة البدرشين وناحية الشنباب وناحية سقارة وناحية مائة رهينة أبي صبر الصدر وناحية شبرامنت بالجيزة وناحية ترسا وجعلها للتكية وسحابة بطريق الحجاز، وجعل الناظر على ذلك خازنداره وأرخى لحيته وأعطاه قائظ وعتامنة في دفتر العزب، وقلده جربجي تحت نظر أحمد كتخدا القيومجي وأرسل كتخداه قرا محمد آغا إلى اسلامبول لتنفيذ ذلك، وسافر على الفور. وعندما وصل إلى اسلامبول أرسل مقرراً لمخدومه على سنة تسع ومائة وألف صحبة أمير أخور فوصل إلى بولاق ونزلت له الملاقية وحضر إلى الديوان. وبعد انفضاض الديوان دخل الأمراء الكبار وهم إبراهيم بك أبو شنب وايواظ بك وقانصوه بك واسمعيل بك الدفتردار للتهنئة، ولم يدخل حسن آغا بلغيه والآغوات وعبد الرحمن بك ويوسف بك وسليمان بارم ذيله وقيطاس بك وحسين بك أبو يدك وكامل الفقارية، فسأل الباشا عنهم فرآهم نزلوا فانقبض خاطره من الفقارية وقال لإبراهيم بك: أنا أكثر عتابي على إشراقي عبد الرحمن بك ويوسف بك وحيث أنهما فعلا ذلك أنا أطلب منهما حلوان الصنجقية ثمانية وأربعين كيساً. فلاطفه إبراهيم بك وحسن أفندي فلم يرجع وأمر بكتابه فرمانين وأرسلهما إلى الأميرين المذكورين بطلب أربعة وعشرين كيسا من كل أمير. فقال عبد الرحمن بك: أنا لم أطلب هذه البلية حتى يأخذ مني عليها هذا القدر. ولما حضر الآغا المعين ليوسف بك تركه في منزله وركب إلى عبد الرحمن بك معاً إلى حسن آغا بلغيه وعملوا شغلهم وعزلوا الباشا. وكانوا تخيلوا منه الغدر بهم ونزل إلى بيت كان أشراه من عتقي عثمان جربجي مطل على بركة الفيل بحدرة طولون بجوار حمام السكران ثم

باع المنزل والبلاد التي وقفها على التكية والسحابة وغلق الذي تأخر في طرفه من المال والغلال لحسين باشا المتولي بعده.

وخرج إلى العادلية وسافر إلى بغداد. وتولى عبد الرحمن بك على ولاية جرجا وحصل له أمور مع عربان هوارة ذكر بعضه في ترجمة ايواظ بك. وانفصل عبد الرحمن بك من ولاية الصعيد وحضر إلى مصر ونزل عند الآثار وأرسل إلى الباشا المتولي تقادم وعبيدا وآغوات ونزل الباشا في ثاني يوم إلى قراميدان وحضر عبد الرحمن بك بأتباعه ومماليكه وخلفه النوبة التركي فسلم على

الباشا وخلع عليه فروة سمور وركب إلى البيت الذي نزل فيه وهو بيت رضوان بك بالقصبة المعروفة بالقوافين. وكان ذلك الباشا هو قرا محمد كتخدا اسمعيل باشا المنفصل المتقدم ذكره، وفي نفسه من المترجم ما فيها بسبب مخدومه، فإنه هو الذي سعى في عزله وأبطال وقفه وأنسلخ من القارية وتنافس معهم وصار يقول: أنا قاسمي. فحقدوا عليه وذلك وسعوا في عزله من جرجا، ولما حضر إلى مصر تعصبوا عليه ووافق ذلك غرض الباشا لكراهته له بسبب أستاذه. ولما استقر عبد الرحمن بك بمترله حضرت إليه الأمراء للسلام عليه ما عدا حسن آغا بلغيه ومصطفى كتخدا القازدغلي. ثم بعد انقضاء ذلك ورجوع الهوارة إلى بلادهم وعمارهم كتبوا قوائم بما ذهب لهم من غلال ونحاس وثمنوها بثلثمائة كيس، وجعلوا الآخذ لذلك جميعه عبد الرحمن بك وأرسلوا القوائم إلى ابن الحصري، ووكلوا وجاق الينكجرية في خلاص ذلك من عبد الرحمن بك فعرض ذلك ابن الحصري على أستاذه الغازدغلي وحسن آغا بلغيه وكتبوا بذلك عرضحال وقدموه للباشا بعدما وضبوا ما أرادوا من الرابطة والتعصيب، فأرسل إليه الباشا يطلبه فامتنع من الطلوع وقال للآغا المعين: سلم على حضرة الباشا وسوف أطلع بعد الديوان أقابله. فترل إليه كتخدا الجاويشية وآغات المتفرقة وتكلموا معه بسبب ما تقدم فقال: أنا لم أكن وحدي كان معي غزسيمانية وعرب هوارة بحري وكشاف الأمير حسن الاخميمي لموم كثيرة وكل من طال شيئاً أخذه، وسوف أتوجه للدولة بالخزينة وأعرفهم بفعل أيوب بك وحسن أغا بلغية والقازدغلي وأضمن لهم فتوح مصر وقطع الجبابرة، فلا عفوه وعالجوه على الطلوع فامتنع من الطلوع مع الجمهور وقال: أروح معهم إلى بيت القاضي ويقيموا بينتهم وإثباهم وأنا قادر ومليء وما أنا محتاج ولا مفلس. فرجعوا وعرفوا الجمع بما قاله بالحرف الواحد. فقال الباشا للقاضي: أكتب له مراسلة بالحضور والمرافعة. فكتب له وأرسلها القاضي صحبة جوخدار من طرفه. فلما وصل إليه قال: أنا لست بعاصي الشرع ولا أترافع معهم إلا في بيت القاضي ولا أطلع في الجمهور فرجع الجوخدار بالجواب وكان فرغ النهار، فعند ذلك بيتوا أمرهم واتفقوا على محاربته. وأجتمع عند عبد الرحمن بك أغراضه وأحمد أوده باشا البغدادلي ووصله الخبر بركوهم عليه، فضاق صدره وخرج من مترله ماشياً وأراد أن يذهب إلى الجامع الأزهر يقع على العلماء، فلما وصل إلى باب زويلة لحقه أحمد البغدادلي وحسن الخازندار فرداه وقالا: له اجلس في بيتك ونحارهم وعندنا العدة والعدد. وعند الصباح احتاطوا بداره ونزلت البيارق والمدافع والعسكر من كل جانب ورموا عليه من جميع الجهات ودخلت طائفة من العسكر إلى الجامع المواجه للبيت وصعدوا إلى المنارة ورموا بالرصاص فأصيب أحمد البغدادلي وحسن الخازندار وماتا وكان الصنجق والطائفة عند النقيب بالإسطبل فأخبروه بموت حسن الخازندار، وكان يحبه فطلع إلى المقعد فأصيب أيضاً ومات. فعند ذلك انحلت عزائم الطائفة وأولاد الخزنة فخرجوا من البيت مشاة بما عليهم من الثياب، ظنوهم من طوائف الصناجق. ولما رأى الذين في النقب بطلان الرمي جخلوا وطلعوا إلى المقعد فوجدوا الصنجق ميتاً فأخذوا رأسه ورأس البغدادلي وطلعوا هم للباشا وعبرت العساكر إلى البيت نهبوه وأخذوا منه أموالا وذخائر عظيمة وسبوا الحريم وأخذوا كامل ما في الحريم من الجواري البيض والسود ومن جملتهم بنت الصنجق يظنوها جارية، فخرجت أمها تصرخ من خلفها، فخلصها مصطفى جاويش القيصرلي وطلع بها إلى الباشا فأنعم عليه بخمسة وثلاثين عثماني ومائتين ذهب أخذها وأمها مصطفى جاويش وزوجها لبعض مماليك أبيها، وكان قتل عبد الرحمن بك في ثاني عشر ربينع الأول سنة ثلاث عشرة ومائة وألف وأما يوسف بك فإنه توفي بالسفر ببلاد الروم.

ومات الأمير علي آغا مستحفظان المشهور تولى آغاوية مستحفظان في سنة ثمان ومائة وألف، وفي سنة اثنتي عشرة وثلاث عشرة وأربع عشرة فشا أمر الفضة المقاصيص والزيوف وقل وجود الديواني وإن وجد اشتراه اليهود بسعر زائد وقصوه فتلف بسبب ذلك أموال النسا. فأجتمع أهل الأسواق ودخلوا الجامع الأزهر وشكوا أمره للعلماء وألزموهم بالركوب إلى الديوان في شأن ذلك، فكتبوا عرضحال وقدموه إلى محمد باشا فقرأه كاتب الديوان على رؤوس الأشهاد، فأمر الباشا بعمل جمعية في بيت حسن آغا بأبطال الفضة المقصوصة وظهور الجدد وأدارة دار الضرب وعمل تسعيرة وضرب فضة وجدد نحاس، ويكون ذلك بحضور كتخدائه وكامل الأمراء الصناجق والقاضي والآغوات ونقيب الأشراف وكبار العلماء. وطلب جواباً كافياً وأعطاه ليد كتخد الجاويشية فأرسل التنابيه مع الجاويشية بتلك الليلة. واجتمع الجميع في صبحها بمترل حسن أغا بلغيه واتفقوا على أبطال المقاصيص، وضرب فضة جديدة توزع على الصيارف، ويستبدلون المقاصيص بالوزن من الصيارف، وأن صرف الكلب بثلاثة وأربعين نصفاً والريال بخمسين والأشرفي بتسعين والطرلي بمائة وقيدوا بتنفيذ ذلك علي آغا المذكور، وكذلك الأسعار. وشرط عليهم أبطال الحمايات وعدم معارضته في شيء وكل من مسك ميزاناً فهو تحت حكمي وكذلك الخصاصة وتجار البن والصابون، ويركب بالملازمين ويكون معه من كل وجاق جاويش بسبب أنفار الأبواب. وأخبروا الباشا بما حصل، وكتب القاضي حجة بذلك وكتب المشايخ عليها وكذلك الباشا وأعطوهما لعلي آغا فطلع إلى الباب وأحضر شيخ الخبازين وباقي مشايخ الحرف وأحضر اردب قمح وطحنه وعمل معدله على الفضة الديواني خمسة أوراق بجديدين والبن باثني عشر فضة الرطل والصابون بثلاثة والسكر النبات باثني عشر الرطل والخام بخمسة والمنعاد بستة وأربعة جدد والمكرر الشفاف بثمانية فضة وأربعة جدد والشمع السكندري بأربعة عشر فضة والعسل الشهد بستة أنصاف والسقر بثلاثة وأربعة جد والسائل بنصفين والمرسل الحر بنصف فضة والقطر المنعاد بنصفين والقطر القناني بثلاثة والسمن البقري بثلاثة فضة وأربعة والمزهر بنصفين وستة جدد والجاموسي بنصفين وجديدين والزبد البقري بنصفين وأربعة جدد والزبد الجاموسي بنصفين وجديدين واللحم الضاني بنصفين والماعز بنصف وأربعة جدد والجاموسي بنصف وجديدين والزيت الطيب بنصفين وستة جدد والشيرج بنصفين والزيت الحار بنصف وستة جدد والجبن الكشكبان بثلاثة أنصاف فضة والوادي بنصفين وأربعة جدد والجاموسي الطري بنصف وأربعة جدد والجبن المنصوري المغسول بنصف وستة جدد والحالوم الطري بنصف وجديدين الرطل والجبن المصلوق بنصف وأربعة جدد والشلفوطي والقربش بستة جدد الرطل والعيش العلامة خمسة أواق بجديدين والكشكار ستة أواق بجديدين. وحصل ذلك بحضرة مشايخ الحرف والمغاربة، وأرسل الآغا بقفل الصاغة ومسبك النحاس وأمر بإحضار الذهب والفضة المبتاعة والنحاس لدار الضرب، وأحضر شيخ الصيارفة وأمرهم بإحضار الذهب والريالات وبروش الكرب يصرفوها بفضة وجدد نحاس، وأعلمهم أنه يركب ثالث يوم العيد ويشق بالمدينة وكل من وجد حانوته خالياً من الفضة والجدد قتل صاحبه أو سمره. وكتب القائمة بالأسعار وطلع بها للباشا علم عليها. وركب ثالث يوم من شهر شوال سنة أربع عشرة ومائة وألف، وعلى رأسه العمامة الديوانية المعروفة بالبيرشانة وأمامه القابجية والملازمون والوالي وأمين الاحتساب وأوده البوابة بطائفته والسبعة جاويشية خلعه ونائب القاضي في مقدمته وكيس جوخ مملوء عكاكيز شوم على كتف قواس والمشاعلي بيده القائمة وهو ينادي على رأس كل حارة يقف مقدار نصف ساعة. وضرب في اليوم اثنين قبانية وثلاثة زياتين وجزار لحم خشن، ومات الستة من الضرب، ورسم على شيخ القبانية بأن لا أحد يزن في بيت زيات سمناً ولا جبناً وصار يتفقد الدراهم

ويحرر الأرطال والصنج ويسأل عن أسعار المبيعات ولا يقبل رشور وكل من وجده على خلاف الشرط سواء كان فلاحاً أو تاجراً أو قبانياً بطحه وضربه بالمساوق الشوم حتى يتلف أو يموت، وغالبهم لم يعش بذلك وصار له هيبة عظيمة ووقار زائد. و لم يقف أحد في طريقه سواء كان خيالاً أو حماراً أو قراباً إلا ويخشاه حتى النساء في البيوت وهو فائت، لم تستطع امرأة أن تطل من طاقة، واتفق أن اسمعيل بك الدفتردار صادفه

بالصليبة فلما رأى المقادم دخل درب الميضاة حتى مر الاغا فقيل له أنت صنجق ودفتردار، وكيف أنك تذهب من طريقه فقال كذا كتبنا على أنفسنا حتى يعتبر خلافنا. وأقام في هذه التولية ستة أشهر ثم عزل وولي رضوان أغا كتخدا الجاويشية سابقاً وذلك أواخر سنة ثمان عشرة وعزل رضوان أغا في جمادى الأولي سنة تسع عشرة ومائة وألف، وتولى أحمد أغا ابن باكير أفندي ثم تولى في أيامه الواقعة الكبيرة في أواخر ربيع الثاني سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف، و لم يزل حتى مات في يوم الجمعة ثاني شهر شوال بجامع القلعة، وذلك أنه صلى الجمعة والسنن بعدها وسجد في ثاني ركعة فلم يرفع رأسه من السجود، فلما أبطأ حركوه فإذا هو ميت فغسلوه وكفنوه ودفنوه بتربة باب الوزير، وذلك سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف. وتولى بعده في أغاوية مستحفظان محمد أفندي كاتب جمليان سابقا الشهير بابن طسلق وركب بالبيرشانة والهيئة وذلك عقيب الفتنة الكبيرة بنحو خمسة أشهر. ولما مات علي أغا وتولى هذا الأغا عملوا تسعيرة أيضاً وجعلوا صرف الذهب البندقي بمائة وخمسة عشر نصف فضة والطرلي بمائة والريال بستين والكلب بخمسة وأربعين، ونودي بذلك وبمنع التجار وأولاد البلد من ركوب البغال والأكاديش ومنع من بيع الفضة بسوق الصاغة وأن لا تباع الأبدار الضرب، وقفل دكاكين الصواغين.

ومات الأمير الكبير إبراهيم بك المعروف بأبي شنب وأصله مملوك مراط بك القاسمي وخشداش ايواظ بك، تقلد الإمارة والصنجقية مع ابواظ بك وكان من الأمراء الكبار المعدودين، تولى إمارة الحج سنة تسع وتسعين وألف وطلع بالحج مرتين ثم عزل عنها باستعفائه لأمور وقعت له مع العرب بإغراء بعض أمراء مصر. وسافر أميراً على العسكر المعين في فتح كريد في غرة المحرم سنة أربع وألف. ولما ركب بالموكب خرج أمامه شيخ الشحاتين وجملة من طوائفه لأنه كان محسناً لهم ويعرفه بالواحد. وكان إذا أعطى بعضهم نصفاً في جهة ولاقاه في طريقه من جهة أخرى يقول له: أخذت نصيبك في المحل الفلاني. ثم رجع إلى مصر في شهر ذي الحجة وطلع إلى الإسكندرية ووصل خبر قدومه إلى مصر، فجمع الشحاتون من بعضهم دراهم واشتروا حصاناً أزرق عملوا له سرجاً معرقا ورختاً وركاباً مطلياً وعباء زركش ورشمة كلفة ذلك اثنان وعشرون ألف فضة ولما وصل إلى الحلي قدموه له فقبله منهم وركبه إلى داره، وذهبت إليه الأمراء والأعيان وسلموا عليه وهنوه بالسلامة وخلع على شيخ الشحاتين ونقيبهم كل واحد جوخة ولكل فقير جبة وطاقية وشملة ولكل امرأة قميص وملاية فيومي، وأغدق عليهم إغداقاً زائدا وعمل لهم سماطاً وكان المتعين بالرياسة في الوقت إبراهيم بك ذو الفقار، وفي عزمه قطع بيت القاسمية، فأخرج ايواظ بك إلى إقليم البحيرة وقانصوه بك إلى بني سويف وأحمد بك إلى المنوفية. ولما حضر إبراهيم بك أبو شنب وأستقر بمصر فأتفق إبراهيم بك مع ذو الفقار مع علي باشا المتولي إذ ذاك على قتله بحجة المال والغلال المنكسرة عليه في غيبته وقدرها اثنا عشر ألف أردب وأربعون كيساً صيفي وشتوي فأرسل إليه الباشا معين بفرمان يطلبه وكان أتاه شخص من أتباع الباشا أنذره من الطلوع، فقال للمعلمين تسلم على الباشا وبعد الديوان أطلع أقابله. ففات العصر و لم يطلع، فأرسل الباشا إلى درويش بك

وكان خفيراً بمصر القديمة وأمره بالجلوس عند باب السر الذي يطلع على زين العابدين وإلى الوالي والعسس، وأوده باشا البوابة يجلس عند بيت إبراهيم أبي شنب. وأشبع ذلك وضاق خناق إبراهيم بك أبي شنب وأغتم جيرانه وأهل حارته لإحسانه في حقهم، وحضر إليه بعض أصحابه يؤانسه مثل إبراهيم جربجي الداودية وشعبان أفندي كاتب مستحفظان سابقاً وأحمد أفندي روزنامجي سابقاً. فهم على ذلك وإذا بسليمان الساعي داخل على الصنجق بعد العشاء فأخبره أن مسلم اسمعيل باشا أمير الحاج الشامي ورد إلى العادلية وأرسل جماعة جوخدارية بقائمقامية إلى إبراهيم بك فأمر بدخولهم عليه ، فدخلوا وأعطوه التذكرة، فقرأها وعرف ما فيها فسري عنه الغم. وفي التذكرة أن كان غداً أول توت ندخل وإلا بعد غد، وكانت سنة تداخل سنة ست في سنة سبع، وكان الباشا أتى له مقرر من السلطان أحمد وتوفي وتولى السلطان مصطفى فعزل علي باشا عن مصر وولى اسمعيل باشا حاكم الشام وأرسل مسلمه بقائمقامية إلى إبراهيم بك، فسأل الصنجق أحمد أفندي عن أول توت فأخبره أن غدا أول توت. فقال لأحمد كاشف الأعسر. خذ حصان الفلاني وعشرة طائفة والجوخدارية ومشعلين وأذهبوا إلى العادلية وأحضروا بالأغا قبل الفجر. ففعلوا وحضروا به قبل الفجر بساعتين، فخلع عليه فروة سمور وقال للمهنار دقوا النوبة قاصد مفرح، فلما ضربت النوبة سمعت الجيران قالوا لا حول ولا قوة إلا بالله أن الصنجق أختل عقله عارف أنه ميت ويدق النوبة. ولما طلع النهار وأكلوا الفطور وشربوا القهوة ركب الصنجق بكامل طوائفه وصحبته الأغا وطلع إلى القلعة وجلس معه بديوان الغوري، وحضر إليهم كتخدا الباشا فأطلعوه على المرسوم فدخل الكتخدا فأخبر مخدومه بذلك فقال: لا إله إلا الله. وتعجب في صنع الله ثم قال: هذا الرجل يأكل رؤوس الجميع. دخلوا إليه فخلع عليه وعلى المسلم ونزل إلى داره ووصل الخبر إلى اسمعيل بك الدفتردار فركب اسمعيل بك إلى إبراهيم ذي الفقار أمير الحاج، فركب معه بباقي الأمراء وذهبوا إلى إبراهيم بك يهنوه، وكذلك بقية الأعيان، وخلع على محمد بك أباظة وجعله أمين السماط. وتولى المترجم الدفتردارية سنة 1119 واستمر بها إلى 1121 ثم عزل وتقلد إمارة الحج ثم أعيد إلى الدفتردارية في سنة 1127 ولم يزل إلى أن مات بالطاعون سنة 1130 عمره اثنان وتسعون سنة وخلف ولده محمد بك أميراً يأتي ذكره.

ومات إفرنج أحمد أوده باشا مستحفظان الذي تسببت عنه الفتنة الكبيرة الحروب العظيمة التي استمرت المدة الطويلة والليالي العديدة. وحاصلها على سبيل الاختصار هو أن إفرنج أحمد أوده باشا المذكور لما ظهر أمره بعد موت مصطفى كتخدا القازدغلي مع مشاركة مراد كتخدا وحسن كتخدا، فلما مات مراد كتخدا في سنة 1117 زاد ظهور أمر المترجم، ونفذت كلمته على أقرانه وكان جباراً عنيداً، فتعصب عليه طائفة وقبضوا عليه على حين غفلة وسجنوه بالقلعة، وكان ممن تعصب عليه حسن كتخدا النجدلي وناصف كتخدا ابن أخت القازدغلي وكور عبد الله، ثم أخرجوه من مصر منفياً. فغاب أياماً ورجع بنفسه ودخل إلى مصر والتجأ إلى وجاق الجملية وطلب غرضه من باب مستحفظان، فلم يرضوا بذلك وقالوا لابد من خروجه إلى محل ما كان. ووقع بينهم التشاجر واتفقوا بعد جهد على عدم نفيه وأن يجعلوه صنجقاً فقلدوه ذلك على كره منه، وأستمر مدة فلم يهنأ له عيش. وخمل ذكره وأنفق ما جمعه قبل ذلك، فاتفق مع أيوب بك الفقاري وعصب الوجاقات ونفوا حسن كتخدا النجدلي وناصف كتخدا وكور عبد الله باش أوده باشا وقرأ اسمعيل كتخدا ومصطفى كتخدا الشريف وأحمد جربجي تابع باكير أفندي وإبراهيم أوده باشا الأكنجي وحسني أوده بلضا العنترلي الجميع من باب مستحفظان،

فأخرجوهم إلى قرى الأرياف، ورمى المترجم الصنجقية ورجع إلى بابه وركب الحمار ثانيا، وصار أوده باشا كما كان. وهذا لم يتفق نظيره أبداً، وكان يقول عند ما أستقر صنجقاً: الذي جمعه الحمار أكله الحصان. ولما فعل ذلك زادت كلمته وعظمت شوكته ثم أن المنفيين المتقدم ذكرهم حضروا إلى مصر باتفاق الوجاقات الستة و لم يتمكنوا من الرجوع إلى بابهم، وذلك أن الوجاقات الستة وبعض الأمراء الصناجق أرادوا رجوع المذكورين إلى باب مستحفظان، وأن إفرنج أحمد يلبس حكم قانونهم أو يعمل جربجي وأن كور عبد الله أوده باشا يرجع إلى بابه ويلبس باش كما كان، فعاند إفرنج أحمد وعضده أيوب بك وأنضم إليهم من أنضم من الاختيارية والصناجق والأغوات، ووقع التفاقم والعناد وافترقت عساكر مصر وأمراؤها فرقتين، وجرى ما لم يقع مثله في الحروب والكروب وخراب الدور. وطالت مدة ذلك قريباً من ثلاثة أشهر وانجلت عن ظهور العزب على الينكجرية.

وقتل في أثنائها الأمير ايواظ بك ثم كان ما ذكر بعضه آنفاً في ترجمة المرحوم ايواظ بك وغيره، وهرب أيوب بك ومحمد بك الصعيدي ومن تبعهم ونهبت دور الجميع وأحزابهم وانتصر القاسمية، ثم أنزلوا الباشا بأمان وهجمت العساكر على باب مستحفظان وملكوه وقبضوا على المترجم وقطعوا رأسه ورؤوس من معه وفيهم حسن كتخدا واسمعيل أفندي وعمر أغات الجراكسية، وذهبوا برؤوسهم إلى بيت قانصوه بك قائمقام، ثم طافوا بها على بيوت الأمراء، ثم وضعوها على أجسادهم بالرميلة، ثم أرسلوها عند الغروب إلى منازلهم، وذلك في أوائل جمادى الأولى سنة1123، وهو صاحب القصر والغيط المعروف به الذي كان بطريق بولاق، ونهبه في أيام الفتنة يوسف بك الجزار، وكان به شيء من الغلال والأبقار والأغنام والأرز والخيل والجاموس والدجاج والإوز والحمام، حتى قلع أشجاره وهدم حيطانه، ولما بلغ محمد بك الكبير ما فعله يوسف بك الجزار في غيط إفرنج أحمد عمد هو أيضاً إلى غيط حسن كتخدا النجدلي وفعل به مثل ما فعل يوسف بك بغيط إفرنج أحمد، ووقع غير ذلك أمور يطول شرحها.

ومات محمد بك المعروف بالدالي وقد كان سافر بالخزينة سنة1122، ومات ببلاد الروم ووصل خبر موته إلى مصر، فقلدوا أبنه اسمعيل بك في الإمارة عوضاً عنه بعد انقضاء الفتنة سنة 1124، وكان جركسي الجنس وعمل أغات متفرقة ثم أغات جمليان سنة 1113 ثم تقلد الصنجقية وسافر بالخزينة ومات بالديار الرومية كما ذكر.

ومات الأمير حسن كتخدا عزبان الجلفي وكان أنساناً خيراً له بر ومعروف وصدقات وإحسان للفقراء ومن مآثره أنه وسع المشهد الحسيني وأشترى عدة أماكن بماله وأضافها إليه ووسعه، وصنع له تابوتا من أبنوس مطعماً بالصدف مضبباً بالفضة، وجعل عليه ستراً من الحرير المزركش بالمخيش. ولما تمموا صناعته وضعه على قفص من جريد وحمله أربع رجال وعلى جوانبه أربع عساكر من الفضة مطليات بالذهب ومشت أمامه طائفة الرفاعية بطبولهم وأعلامهم وبين أيديهم المباخر الفضة وبخور العود والعنبر وقماقم ماء الورد يرشون منها على الناس وساروا بهذه الهيئة حتى وصلوا المشهد، ووضعوا ذلك الستر على المقام. توفي يوم الأربعاء تاسع شوال سنة 1124 وخرجوا بجنازته من بيته بمشهد عظيم حافل. وصلى عليه بسبيل المؤمن بالرميلة وأجتمع بمشهده زيادة عن عشرة آلاف إنسان وكان حسن الاعتقاد محسنا للفقراء والمساكين رحمه الله.

ومات الأمير إبراهيم جربجي الصابونجي عزبان وكان أسداً ضرغاماً وبطلاً مقداماً كان ظهوره في سنة اثنتين وعشرين ومائة

وألف، وشارك في الكلمة أحمد كتخدا عزبان أمين البحرين وحسن جربجي عزبان الجلفي وعمل أكنجي أوده باشه فلما لبس حسن جربجي الجلفي كتخدائية عزبان لبس المترجم باش أوده باشه، وذلك في 1123 فزادت حرمته ونفذت بمصر كلمته ولما قتل قيطاس بك الفقاري في سنة 1127 خمدت بموته كلمة أحمد كتخدا أمين البحرين، فانفرد بالكلمة في بابه إبراهيم جربجي الصابونجي المذكور، وصار ركناً من أركان مصر العظيمة ومن أرباب الحل والعقد والمشورة وخصوصا في دولة اسمعيل بك ابن ايواظ. وأدرك من العز والجاه ونفاذ الكلمة وبعد الصيت والهيبة عند الأكابر والأصاغر الغاية وكان يخشاه أمراء مصر وصناجقها ووجاقاتها و لم يتقلد الكتخدائية مع جلالة قدره. وسبب تسميته بالصابونجي أنه كان متزوجاً بابنه الحاد عبد الله الشامي الصابونجي لكونه كان ملتزماً بوكالة الصابون وكان له عزوة عظيمة ومماليك وأتباع ومنهم عثمان كتخدا الذي اشتر ذكره بعده، و لم يزل في سيادته إلى أن مات على فراشه خامس شهر شوال سنة 1131 وخلف ولداً يسمى محمدا، قلدوه بعده جربجياً سيأتي ذكره. وسعى له عثمان كاشف مملوك والده وخلص له البلاد من غير حلوان، وكان عثمان إذ ذاك جربجياً بباب عزبان.

ومات الأمير الجليل يوسف بك المعروف بالجزار تابع الأمير الكبير ايواظ بك، تقلد الإمارة والصنجقية في سنة 1123 أيام الواقعة الكبيرة بعد موت أستاذه من قانصوه بك قائمقام إذ ذاك. وكانت له اليد البيضاء في الهمة والاجتهاد والسعي لأخذ ثار سيده والقيام الكلي في خذلان المعاندين. وجمع الناس ورتب الأمور وركب في اليوم الثاني من قتل سيده وصحبته اسمعيل بن أستاذه وأتباعهم، وطلع إلى باب العزب، وفرق فيهم عشرة آلاف دينار، وأرسل إلى البلكات الخمسة مثل ذلك وجر المدافع وخرج بمن أنضم إليه إلى ميدان محمد بك الصعيدي وطائفته ومن بصحبته من الهوارة حتى هزمهم وأجلاهم عن الميدان إلى السواقي. وأستمر يخرج إلى الميدان في كل يوم ويكر ويفر ويدبر الأمور وينفق الأموال وينقب النقوب ويدبر الحروب حتى تم لهم الأمر بعد وقائع وأمور، ذكرنا بعضها في ولاية خليل باشا وفي بعض التراجم. وتقلد المترجم إمارة الحج وطلع به في تلك السنة، وتقلد قائمقامية في 1126 عن عابدي باشا. ولما حقدوا على اسمعيل بك بن سيده ودبروا على أزالته في أيام رجب باشا وظهر جركس من اختفائه بعد أن أخرجوا المترجم ومن معه بحجة وقوف العرب وقتلوا من كان منهم بمصر وأخرجوا لهم تجريدة، قام المترجم في تدبير الأمر، واختفى اسمعيل بك، ودخل منهم من دخل إلى مصر سراً، ووزع المماليك والأمتعة على أرباب المناصب والسدادرة، وأشاع ذهابهم إلى الشام مع الشريف يحيى وتصدر هو للأمر وكتم أموره، و لم يزل يدبر على إظهار ابن سيده، وأستمال أرباب الحل والعقد وأنفق الأموال سراً وضم إليه من الأخصام أعاظمهم وعقلاءهم مثل أحمد بك الأعسر وقاسم بك الكبير، وأتفق معهم على إظهار اسمعيل بك وأخيه اسمعيل بك جرجا، وعمل وليمة في بيته جمع فيها محمد بك جركس وباقي أرباب الحل والعقد وأبرز لهم اسمعيل بك ومن معه بعد المذاكرة والحديث والتوطئة وتمموا أغراضهم وعزلوا الباشا وأنزلوه من القلعة، وتأمر اسمعيل بك وظهر أمره كما كان وتولى الدفتردارية في سنة 1127 بعد انفصاله من إمارة الحج، ثم عزل عنها واستمر أمير مسموع الكلمة وأفر الحرمة إلى أن مات في سنة 1134 ووقع له مع العرب عدة وقائع وقتل منهم ألوفاً فلذلك يسمى بالجزار. ولما مات قلدوا مملوكه إبراهيم أغا الصنجقية عوضاً عنه.

ومات الأمير الجليل قانصوه بك القاسمي تابع قيطاس بك الكبير الدفتردار الذي كان بقناطر السباع، رباه سيده وأرخى لحيته

وجعله كتخداه، وسافر معه إلى سفر الجهاد في سنة 1126 فمات سيده بالسفر فقلدوا الإمارة والصنجقية بالديار الرومية عوضاً عن سيده، وحضر إلى مصر وتقلد كشوفية بني سويف خمس مرات وكشوفية البحيرة ثلاث مرات. ولما حصلت الفتنة في أيام خليل باشا كعب الشوم الكوسة 1123 كما تقدم غير مرة كان هو أحد الأعيان الرؤساء المشار إليهم من فرقة القاسمية، فاجتمعوا وقلدوا المترجم قائمقام وعملوا ديوانهم وجمعيتم في بيته، حتى انقضت الفتنة ونزل الباشا وأستمر وهو يتعاطى الأحكام أحدا وتسعين يوماً، حتى حضر والي باشا إلى مصر فعزل وكف مصره، ومكث بمترله حتى توفي على فراشه سنة1127 وقلدوا أمرته وصنجقيته لتابعه الأمير ذي الفقار أغا، وتزوج بابنته وفتح بيت سيده وأحيا مآثره من بعده.

ومات الأمير اسمعيل بك المنفصل من كتخدائية الجاويشية وأصله جلبي بن كتخدا ابري بك، وهو من إشراقات اسمعيل بك بن ايواظ، وقلده الصنجقية سنة 1128، وتولى الدفتردارية سنة 1131 واستمر فيها سنتين وخمسة أشهر، وقتله رجب باشا هو واسمعيل أغا كتخدا الجاويشية في وقع واحد، عندما دبروا على قتل اسمعيل بك بن ايواظ وهو راجع من الحج، فاحتجوا بالعرب وأرسلوا يوسف بك الجزار ومحمد بك بن ايواظ واسمعيل بك ولجه لمحاربة العرب، فلما بعدوا عن مصر طلع المترجم وصحبته اسمعيل أغا كتخدا الجاويشية وكان أصله كتخدا ايواظ بك الكبير فقتلوهما في سلالم ديوان الغوري غدراً بإغراء محمد بك جركس. وفي ذلك الوقت ظهر جركس وركب حصان اسمعيل بك المذكور ونزل إلى بيته وكان قتلهما في أوائل سنة 1133 وقتلا ظلماً وعدواناً رحمهما الله.

ومات الأمير حسين بك المعروف بأبي يدك وأصله جرجي الجنس تقلد الإمارة والصنجقية سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف، وكان مصاهراً لسليمان بك بارم ذيله وكان متزوجاً بابنته، وكان معدوداً من الفرسان والشجعان، إلا أنه كان قليل المال، ولما قتل قيطاس بك الفقاري وهرب محمد بك تابعه المعروف بقطامش إلى الديار الرومية اختفى المترجم بمصر، وذلك في سنة 1127 بعد ما أقام في الإمارة أربعا وعشرين سنة. ثم ظهر مع من ظهر في الفتنة التي حصلت بين محمد بك جركس وبين اسمعيل بك بن ايواظ، وكان المترجم من أغراض جركس. فلما هرب جركس هو أيضاً فلحقه عبد الله بك صهر بن ايواظ وقتله بالريف وقطع رأسه فكان ظهوره سبباً لقتله وذلك في سنة 1131.

ومات الأمير حسين بك أرنؤد المعروف بأبي يدك وكان أصله أغات جركسة، ثم تقلد الصنجقية وكشوفيات الأقاليم مراراً عديدة وسافر إلى الروم أميراً على السفر في سنة 1124، فلما رجع في سنة 1129 استعفى من الصنجقية وسافر إلى الحجاز وجاور بالمدينة المنورة. فكانت مدة إمارته ثلاث وعشرين سنة. واستمر مجاوراً بالمدينة أربع سنوات ومات هناك سنة 1134، دفن بالبقيع.

ومات الأمير يوسف بك المسلماني وكان أصله إسرائيلياً وأسلم وحسن إسلامه، ولبس أغات جراكسة، ثم تقلد كتخدا الجاويشية وانفصل عنها وتقلد الصنجقية سنة 1107، وتلبس كشوفية المنوفية ثم إمارة جدة ومشيخة الحرم وجاور بالحجاز عامين، ثم رجع وسافر بالعسكر إلى الروم، ورجع سالماً وأخذ جمرك دمياط وذهب إليها وأقام بها إلى أن مات 1120، وأقام في الصنجقية اثنتي عشرة سنة وتسعة أشهر، وترك ولدا يسمى محمد كتخدا عزبان.

ومات الأمير حمزة بك تابع يوسف بك جلب القرد، تقلد الإمارة عوضا عن سيده سنة 1110 ثم سافر بالخزينة ومات

بالطريق سنة 1116ئز ومات الأمير محمد بك الكبير الفقاري تقلد الإمارة بعد سيده سنة 1117، وتولى إمارة جرجا وحكم الصعيد مرتين. وكان من أخصاء أيوب بك المتقدم ذكرهما في الواقعة الكبيرة، وأرسل إليه أيوب بك يستنصر به فأجاب دعوته وحضر إلى مصر ومعه الجم الغفير من العربان والهوارة والمغاربة وأجناس البوادي، وحارب وقاتل داخل المدينة وخارجها، كما تقدم ذكر ذلك غير مرة، وكان بطلا هماماً وأسداً ضرغاماً، و لم يزل حتى هرب مع ايواظ بك إلى بلاد الروم، فقلدوه الباشوية وعين في سفر الجهاد ومات سنة 1133.

ومات الأمير مصطفى بك المعروف بالشريف، وهو بن الأمير ايواظ بك الجرجي مملوك حسين أغا وكان والده ايواظ بك المذكور تولى أغاوية العزب سنة 1070، وتزوج ببنت النقيب برهان الدين أفندي فولد له منها المترجم، فلذلك عرف بالشريف، وتقلد والده كتخدا الجاويشية 1079، وعزل عنها وتقلد الصنجقية سنة 1081، وتولى كشوفية الغربية وتقلد قائمقام مصر وعزل و لم يزل أميراً حتى مات على فراشه، وترك ولده هذا المترجم وكان سنه حين مات والده اثنتي عشرة سنة، فرباه ريحان أغا تابع والده ثم مات ريحان أغا فعند ذلك أسرف مصطفى جلبي وأتلف أموال أبيه وكانت كثيرة جداً، وكان المترجم في وجاق المتفرقة وصار فيهم اختياراً إلى أن لبس سردارية المتفرقة في سفر الخزينة سنة1109، فمات صنجق الخزينة درويش بك الفلاح في السفر بالروم فلبس صنجقية المذكور حكم القانون ورجع إلى مصر أميراً وأستمر في إمارته حتى مات سنة 1133 وكان قليل المال.

ومات الأمير أحمد بك الدالي تابع الأمير ايواظ بك الكبير القاسمي، تقلد الصنجقية يوم الخميس سابع جمادى الأولى سنة 1127ولبس في يومها قفطان الإمارة على العسكر المسافر إلى بلاد مورة بالروم عوضاً عن خشداشة يوسف بك الجزار، وسافر بعد ستين يوماً، ومات هناك وتقلد عوضه مملوكه علي بك، ورجع إلى مصر صنجقاً وهو علي بك المعروف بالهندي.

ومات كل من الأمير حسين كتخدا الينكجرية المعروف بحسين الشريف، وإبراهيم باش أوده باشا المعروف بكدك، وذلك أنه لما قتل قيطاس بك الفقاري بقراميدان على يد عابدي باشا في شهر رجب سنة 1127 وثارت بعد ذلك الفتنة بين باب الينكجرية والعزب، وذلك أن حسن كتخدا النجدلي وناصف كتخدا وكور عبد الله كانوا من عصبة قيطاس بك، فلما قتل خافوا على أنفسهم فملكوا باب مستحفظان على حين غفلة وقتلوا المذكورين، وكانوا يتهموهم بأهما تسببا في قتل قيطاس بك.

ومات أيضاً كل من الأمير حسن كتخدا النجدلي وناصف كتخدا الغازدغلي وكور عبد الله، وذلك أنه لما ملك المذكورون الباب وقتلوا حسين كتخدا الشريف وإبراهيم الباش كما تقدم، وذلك في أواخر رجب، وسكن الحال، انتدب محمد كتخدا كدك لأخذ ثار أخيه، وملك الباب على حين غفلة، وذلك ليلة الثلاثاء ثالث عشري رمضان، وتعصب معه طائفة من أهل بابه وطائفة من باب العزب، وقتل في تلك الليلة حسن كتخدا النجدلي وناصف كتخدا وأنزلوهما إلى بيوتهما في صبح تلك الليلة في توابيت. وهرب كور عبد الله فقبض عليه محمد بك جركس بعد ستة أيام وحضر به وهو راكب على الحصان وفي عنقه الحديد ومغطى الرأس، وطلع به إلى عابدي باشا. فلما مثل بين يديه سبه ووبخه وأمره بأخذه إلى بابه، فأمر محمد كتخدا كدك بحبسه بالقلعة. وقتل في ذلك اليوم وأنزلوه إلى بيته بسوق السلاح.

ومات أيضاً محمد كتخدا كدك المذكور، فإنه أشتهر صيته بعد هذه الحوادث ونفذت كلمته ببابه و لم يزل حتى مات على فراشه في شهر القعدة 1132.

ومات الأمير أحمد بك المسلماني ويعرف أيضاً باسكي نازي وكان أصله كاتب جراكسة وكان يسمى بأحمد أفندي، ثم عمل باش اختيار جراكسة وحصل له عز عظيم وثروة وكثرة مال، وكان أغنى الناس في زمانه، وكان بينه وبين اسمعيل بك بن ايواظ وحشة، وكان بن ايواظ يكرهه ويريد قتله، فالتجأ إلى محمد بك جركس. فلما هرب جركس في المرة الأولى اختفى أحمد أفندي المترجم وبيعت بلاده ومتاعه، فلما ظهر جركس ثانيا ظهر أحمد أفندي وعمل صنجقياً سنة1133 وصار صنجقياً فقيراً، ثم ورد مرسوم بأن يتوجه المترجم إلى مكة لإجراء الصلح بين الأشراف، فتوجه ومكث هناك سنة ثم رجع إلى مصر ومكث بها مدة إلى 1136 فأرسلوه إلى ولاية جرجا ليشهل غلال المبري، وكان ذلك حيلة عليه . فلما توجه إلى جرجا أرسل محمد باشا فرماناً إلى سليمان كاشف خفية بقتله، فذهب سليمان كاشف ليسلم عليه فغمز عليه بعض أتباعه فضربوه وقتلوه عند العرمة وقطعوا رأسه في حادي عشري شهر القعدة سنة 1136.

ومات الأمير علي كتخدا المعروف بالداودية مستحفظان، وكان من أعيان باب الينكجرية وأصحاب الكلمة مع مشاركة مصطفى كتخدا الشريف وكان من الأعيان المعدودين بمصر و لم يزل نافذ الكلمة وافر الحرمة إلى أن مات على فراشه في جمادى الآخرة سنة 1133.

ومات الأمير إبراهيم أفندي كاتب كبير الشهير بشهر أوغلان مستحفظان، و كان أيضاً من الأعيان المشهورين ببابهم مع مشاركة عثمان كتخدا الجرجي تابع شاهين جربجي، وانفرد معه بالكلمة بعد مصطفى كتخدا الشريف ورجب كتخدا بشناق، لما خرجهما اسمعيل بك بن ايواظ إلى الكشيدة كما تقدم الإشارة إلى ذلك. فلما قتل اسمعيل بك رجع مصطفى كتخدا الشريف ورجب كتخدا ثانياً إلى الباب وانحطت كلمة المترجم وعثمان كتخدا، ثم عزل إبراهيم أفندي المذكور إلى دمياط وأهين ومكث هناك أشهراً ثم حضروه وجعلوه سردار جداوي وتوجه مع الحج ومات هناك في سنة 1137.

ومات النبيه الفطن الذكي حسن أفندي الروزنامجي الدمرداشي، وكان باش قلفة الروزنامجه، فلما حضر اسمعيل باشا والياً على مصر في سنة ست ومائة وألف، وكانت سنة تداخل، فتكلم الباشا مع إبراهيم بك أبي شنب في كسر الخزينة وعرض عليه المرسوم السلطاني بتعويض كسر الخزينة من أشغال العشرين ألف عثماني التي كانت عليهم وكان له ميل للعلوم والمعارف وخصوصا الرياضيات والفلكيات، ويوسف الكلارجي الفلكي الماهر هو تابع المذكور ومملوكه. وقرأ على رضوان أفندي صاحب الأزياج والمعارف، وكان كثير العناية برضوان أفندي المذكور ورسم باسمه عدة آلات وكرات من نحاس مطلية بالذهب، وأحضر المتفنين من أرباب الصنائع صنعوا له ما أراد بمباشرة وإرشاد رضوان أفندي ، وصرف على ذلك أموالاً عظيمة وباقي أثر ذلك إلى اليوم بمصر وغيرها، ونقش عليها اسمه وأسم رضوان أفندي وذلك سنة 1113، وقبل ذلك وبعدها و لم يزل في سيادته حتى توفي.

ومات الأمير مصطفى بك القزلار المعروف بالخطاط تابع يوسف أغا القزلار دار السعادة، تولى الإمارة والصنجقية في سنة 1094 وتقلد قائمقامية بعد عزل اسمعيل باشا وذلك سنة 1109 قهراً عنه، وتقلد مناصب عديدة مثل كشوفية جرجا

وغيرها، ثم تقلد الدفتر دارية سنة ثلاث وثلاثين فكان بين لبسه الدفتر دارية والقائمقامية أربع وعشرون سنة، وبعد عزله من الدفتر دارية مكث في منزله صنجقياً بطالاً إلى أن توفي سنة 1142.

ومات الأمير المعظم والملاذ المفخم الأمير اسمعيل بك بن الأمير الكبير ايواظ بك القاسمي من بيت العز والسيادة والإمارة، نشأ في حجر والده في صيانة ورفاهية وكان جميل الذات والصفات، وتقلد الإمارة والصنجقية بعد موت والده الشهيد في الفتنة الكبيرة كما تقدم، وكان لها أهلاً ومحلاً وكان عمره إذ ذاك ست عشرة سنة، وقد دب عذاره وسمته النساء قشطة بك. فإنه لما أصيب والده في المعركة بالرملة تجاه الروضة وقتل في ذلك اليوم من الغز والأجناد خاصة نحو السبعمائة، ودفن والده، فلما أصبحوا ركب يوسف الجزار تابع ايواظ بك وأحمد كاشف وأخذوا معهم المترجم وذهبوا إلى بيت قانصوه بك قائمقام فوجدوا عنده إبراهيم بك أبا شنب وأحمد بك تابعه وقيطاس بك الفقاري وعثمان بك بارم ذيله ومحمد بك قطامش، وهم جلوس وعليهم الكآبة والحزن، وصاروا مثل الغنم بلا راع متحيرين في أمرهم وما يؤول إليه حالهم، فلما استقر بهم الجلوس نظر يوسف الجزار إلى قيطاس بك فرآه يبكي، فقال له لأي شيء تبكي، هذه القضية ليس لنا فيها ذنب ولا علاقة، وأصل الدعوى فيكم معشر الفقارية والآن انجرحنا وقتل منا واحد وخلف مالاً ورجالاً قلدوني الصنجقية وأمير الحاج وسر عسكر وكذلك قلدوا ابن سيدي هذا صنجقية والده، فيكون عوضاً عنه و يفتح بيته، وأعطونا فرمانا وحجة من الذي جعلتموه نائب شرع بالمعافاة من الحلوان، ونحن نصرف الحلوان على المقاتلين والله يعطي النصر لمن يشاء. ففعلوا ذلك ورجع يوسف بك وصحبته اسمعيل بك ومن معهم إلى بيت المرحوم ايواظ بك، وقضوا أشغالهم ورتبوا أمورهم وركبوا في صبحها إلى باب العزب، وأخذوا معهم الأموال، فأنفقوا في الست بلكات وغيرهم من المقاتلين، ونظموا أحوالهم في الثلاثة أيام الهدنة التي كانوا اتفقوا على رفع الحرب فيها بعد موت ايواظ بك، وكان الفاعل لذلك أيوب بك وقصده حتى يرتب أموره في الثلاثة أيام، ثم يركب على بيت قانصوه بك ويهجم على من فيه، ولو فعل ذلك في اليوم الذي قتل فيه ايواظ بك لتم لهم الأمر، ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً. و لم يرد الله لهم بذلك وأخذوا في الجد والاجتهاد وبرزوا للحرب في داخل المدينة وخارجها، وعملوا المكايد ونصبوا شباك المصايد وأنفقوا الأموال ونقبوا النقوب حتى نصرهم الله على الفرقة الآخرة، وهم أيوب بك ومحمد بك الصعيدي وإفرنج أحمد وباب الينكجرية ومن تبعهم، وقتل من قتل وفر من فر ونهبت دورهم وشردوا في البلاد وتشتتوا في البلاد البعيدة كما ذكر غير مرة، وأستقر الحال وسافر أميراً بالحج في تلك السنة يوسف بك الجزار، واستقر المترجم بمصر وافر الحرمة محتشم المكانة مشاركاً لإبراهيم بك أبي شنب وقيطاس بك في الأمر والرأي، وفي نفس قيطاس بك ما فيها من حقد العصبية فصار يناكدهما سراً وسلط حبيب وأبنه سالم على خيول اسمعيل بك فجم أذنابها ومعارفها كما ذكرنا، ثم نصب لهما ولمن والاهما شباكاً ومكايد، و لم يظفره الله بهما و لم يزل على ذلك وهما يتغافلان ويغضيان عن مساويه الخفية، إلى أن حضر عابدي باشا وأرسل قلد يوسف بك الجزار قائمقام وخلع يوسف بك على ابن سيده اسمعيل بك، وجعله أمين السماط. ولما وصل الباشا إلى العادلية وقدمت له الأمراء التقادم وقدم له اسمعيل بك المترجم تقدمة عظيمة وتقيد بخدمة السماط، أحبه عابدي باشا ومال بكليته إليه، ثم أنه اختلى معه ومع يوسف بك وسألهما عن سبب موت والده، فأخبراه أن مصر من قديم الزمان فرقتان وعرفاه الحال، وإن قيطاس بك وأيوب بك بيت واحد ووقعت بينهما خصومة وأيوب بك أكثر

عزوة وجنداً، فوقع قيطاس بك على ايواظ بك والتجأ إليه فقام بنصرته وفاداه وأنفق بسببه أموالاً وتجندلت من رجاله أبطال، إلى أن مات وقتل وبلغ قيطاس بك بنا ما بلغ، فلم يراع معنا جميلاً وفي كل وقت ينصب لنا الحبائل ويحفر فينا الغوائل ونحن بالله نستعين فقال الباشا: يكون خيراً. وأضمر لقيطاس بك السوء، و لم يزل حتى قتله كما ذكر بقراميدان، وورد أمر تقليد المترجم على الحج أميراً وتقليد إبراهيم بك الدفتر دارية وألبسهما عابدي باشا الخلع وتسلم أدوات الحج والجمال وأرسل غلال الحرمين وبعث القومانية والغلال إلى البندر، وأرسل أناساً وعينهم لحفر الآبار المردومة وتنقية الأحجار من طريق الحجاج.

وضم إليه جماعة من الفقارية مثل حسين بك أبي يدك وذي الفقار معتوق

عمر أغا بلغيه وأصلان وقبلان وأمثالهم وأخذوا يحفرون للمترجم وينصبون له الغوائل واتفقوا على غدره وخيانته، ووقف له طائفة منهم بطريق الرميلة وهو طالع إلى الديوان فرموا عليهم الرصاص فلم يصب منهم سوى رجل قواس ورمح اسمعيل بك وأمراؤه إلى باب القلعة و نزل بباب العزب وكتب عرضحال وأرسله إلى علي باشا صحبة يوسف بك الجزار مضمونه الشكوى من محمد بك جركس، وإنه جامع عنده المفاسيد ويريدون إثارة الفتن في البلد. فكتب الباشا فرمانات إلى الوجاقات بإحضار محمد بك جركس وأن أبي فحاربوه وركب جركس بالمنضمين إليه وهم قاسمية وفقارية وذلك بعد إبائه وعصيانه، فصادف المتوجهين إليه فحاربهم بالرميلة وآل الأمر إلى انهزامه وتفرق من حوله و لم يتمكن من الوصول إلى داره، وخرج هارباً من مصر وقبض عليه العربان وأحضروه إلى اسمعيل بك أسيراً عرياناً في أسوأ حال، فكساه وأكرمه ألبسه فروة سمور وأشار عليه أحمد كتخدا أمين البحرين وعلي كتخدا الجلفي بقتله فلم يوافقهما على ذلك. وقال أنه دخل بيتي وحل في ذمامي فلا يصح أن أقتله، ثم نفاه إلى قبرص. ولما سافر محمد بك بن أبي شنب إلى اسلامبول بالخزينة في تلك السنة وصى قاسم بك بالإرسال إلى جركس وإحضاره إلى مصر ففعل، وحضر إلى مصر سراً و اختفى عنده ولما وصل محمد بك بالخزينة وأجتمع بالوزير الأعظم دس إليه كلاماً في حق المترجم، وقال له أن أهملتم أمره إستولى على الممالك المصرية وطرد الولاة ومنع الخزينة، فإن الأمراء والدفتر دارية وكبار الأمراء والوجاقات صاروا كلهم أتباعه ومساليكه ومماليك أبيه، والذي ليس كذلك فهم صنائعه، وعلي باشا المتولي لا يخرج عن مراده في كل ما يأمر به. وأخرج من مصر وأقصى كل ناصح في خدمة الدولة مثل محمد بك جركس ومن يلوذ به، وعمل للوزير أربعة آلاف كيس على إزالة اسمعيل بك والباشا وتولية خلافه، ويكون صاحب شهامة وتدبير وكان ذلك في دولة السلطان أحمد فأجابوه إلى ذلك وعينوا رجب باشا أمير الحاج الشامي ورسموا له رسوما بإملاء محمد بك أبي شنب، ملخصها قتل الباشا واسميل بك وعشيرته ما عدا علي بك الهندي. ولما حضر رجب باشا إلى مصر وقد كان قاسم بك أحضر محمد جركس وأخفاه وكان اسمعيل بك بن أيواظ طالعاً بالحج سنة 1131، فاليوم الذي وصل فيه رجب باشا إلى العريش ووصل المسلم إلى مصر كان خروج اسمعيل بك بالحج من مصر، وأرسل رجب باشا مرسوماً إلى أحمد بك الأعسر وجعله قائمقام وأمره بإنزال علي باشا إلى قصر يوسف والاحتفاظ به، ففعلوا ذلك، ووصل رجب باشا فأحضر علي باشا وخازنداره وكاتب خزينته والروزنامجي وأمرهم بعمل حسابه ثم أمر بقتله فقتلوه ظلماً وسلخوا رأسه وأرسلها إلى الروم، وضبط مخلفاته ودبر معه أمر بن ايواظ.

وما ما كان من أمر الباشا وجركس ومن بمصر فإنه لما سافر يوسف بك الجزار ومن معه على الرسم المتقدم عملوا شغلهم

وقتلوا اسمعيل بك الدفتر دار واسمعيل أغا كتخدا الجاويشية وظهر محمد بك جركس ونزل من القلعة إلى بيته وهو راكب ركوبة الدفتر دار، وأستقر الباشا حمد بك الأعسر دفتر دار. ولما وصل المتوجهون إلى سطح العقبة نزل يوسف بك الجزار وترك محمد بك بن ايواظ واسمعيل بك جرجا في السطح، فلما دخل على الصنجق وسلم عليه اشتغل خاطره وقال له: لأي شيء جئت؟ فقال: أنا لست وحدي بل صحبتي أخوك محمد بك واسمعيل بك جرجا وعبد الرحمن أغا ولجه. فقال: لا إله إلا الله كيف أنكم تتركون البلد وتأتون أما تعلموا أن لنا أعداء والعثمانية ليس لهم أمان ولا صاحب ويصيدون الأرنب بالعجلة فأعدوا العدة وسافروا إلى مصر وبعد أيام وصل مرسوم بالأمان والرضا لاسمعيل بك وجماعته وولوا على مصر محمد باشا من حيث أتى بعد ما دفع المائة وعشرين كيساً التي أخذها من دار الضرب، وصرفها على تجريدة أجرود، و لم يزل محمد بك جركس ومحمد بك بن سيده ومن يلوذ بهم مصرين على حقدهم وعداوتهم للمترجم، وهو يتغافل عنهم ويغضي عن مساويهم ويسامح زلاتهم حتى غدروا به وقتلوه بالقلعة على حين غفلة، وذلك أنه لم يزل ذو الفقار تابع عمر أغا يطالب بفائظ حصته في قمن العروس ويكلم جركس يشفع له عند اسمعيل بك، فيقول له: أطرد الصيفي من عندك وأرسل إلي بعد ذلك ذا الفقار ويأخذ الذي يطلع له عندي إلى أن ضاق خناق ذي الفقار من الفشل والإعدام، فطلع إلى كتخدا الباشا وشكا إليه حاله، فقال له: وما الذي تريد نفعله؟ قال: أريد أن أقتل ابن ايواظ عندما يأتي إلى هنا وأعطوني صنجقية وعشرين كيساً فائظ من بلاده وكشوفية المنوفية، فدخل الكتخدا وأخبر مخدومه بذلك فأجابه إلى مطلوبه، على شرط أن لا يدخلنا في دمه. فنزل ذو الفقار وأخبر جركس بما حصل وطلب، أن يكون ذلك بحضوره هو وإبراهيم فارسكور، فأجابه إلى ذلك ولما اجتمعوا في ثاني يوم عند كتخدا الباشا دخل ذو الفقار وقدم له عرضحال إلى اسمعيل بك فأخذه وشرع يقرأ فيه، وإذا بذي الفقار سحب الخنجر وضرب الصنجق به في مدوده، وكان معه قاسم بك الصغير وأصلان وقبلان وخلافهم مستعدين لذلك، فعندما رأوه ضرب اسمعيل بك سحبوا سيوفهم وضربوا أيضاً اسمعيل بك جرجا فقتلوه، فهرب صاري علي وكتخدا الجاويشية مشاة إلى باب الينكجرية وقطعوا رأس الأميرين، وشالوا جثثهما إلى بيوتهما فغسلوهما وكفنوهما ودفنوهما بمدفن أبي الشوارب الذي بطريق الأزبكية عند غيط الطوشي، و ذلك في سنة 1136. ثم أرسلوا رأسيهما مسلوخين فدفنوهما أيضاً وانقضت دولة اسمعيل بك ابن ايواظ. وكانت أيامه سعيدة وأفعاله حميدة و الإقليم في أمن وأمان من قطاع الطريق وأولاد الحرام، وله وقائع مع حبيب وأولاده يطول شرحها وسيأتي استطراد بعضها في ترجمة سويلم، وكان صاحب عقل وتدبير وسياسة في الأحكام وفطانة ورياسة وفراسة في الأمور وله عدة عمائر ومآثر منها أنه جدد سقف الجامع الأزهر وكان قد آل إلى السقوط، وأنشأ مسجد سيدي إبراهيم الدسوقي بدسوق وكذلك أنشأ مسجد سيدي علي المليجي على الصفة التي هما عليها الآن. ولما تم بناء المسجد المليجي سافر إليه ليراه وذلك في منتصف شهر شعبان سنة 1135. ومن أفاعيله الجميلة كان يرسل غلال الحرمين في أوانها ويرسل القومانية إلى البنادر ويجعل في بندر السويس والمويلح والينبع غلال سنة قابلة في الشون تشحن السفائن وتسافر في أوانها، ويرسل خلافها على هذا النسق. ولما بلغ خبر موته لأهل الحرمين حزنوا عليه وصلوا عليه صلاة الغيبة عند الكعبة، وكذلك أهل المدينة صلوا عليه بين المنبر والمقام ومات وله من العمر ثمان وعشرون سنة، وطلع أمير بالحج ست مرات آخرها سنة ثلاث وثلاثين. وكان منزله هو بيت يوسف بك بدرب الجماميز المجاور لجامع بشناك المطل على بركة الفيل وقد عمره وزخرفه بأنواع الرخام الملون وصرف عليه أموالاً عظيمة، وقد خرب وصار حيشاناً ومساكن للفقراء وطريقاً يسلك منها

المارة إلى البركة، ويسموها الخرابة ولما مات لم يخلف سوى إبنة صغيرة ماتت بعده بمدة يسيرة وحملين في سريتين ولدت إحداهن ولداً وسموه ايواظ عاش نحو سبعة أشهر ومات وولدت الأخرى بنتاً ماتت في فصل كو دون البلوغ فسبحان الحي الذي لا يموت.

ومات الأمير اسمعيل بك جرجا وكان أصله خازندار ايواظ بك الكبير، وأمره اسمعيل بك وقلده صنجقاً ومنصب جرجا، فلذلك لقب بذلك و لم يزل حتى قتل مع ابن سيده في ساعة واحدة ودفن معه في مدفن رضوان بك أبي الشوارب.

ومات كل من الأمير عبد الله بك والأمير محمد بك بن ايواظ والأمير إبراهيم بك تابع الجزار قتل الثلاثة المذكورون في ليلة واحدة، وذلك أنه لما قتل الأمير اسمعيل بك بن ايواظ بالقلعة بيد ذي الفقار بممالأة محمد بك جركس في الباطن، وعبد الله بك لم يكن حاضراً، انضمت طوائف الأمراء المقتولين ومماليكهم إلى عبد الله بك لكونه زوج أخت المرحوم اسمعيل بك ومن خاصة مماليك ايواظ بك الكبير. وكان كتخداه في حياته وقلده اسمعيل بك الإمارة والصنجقية وطلع أميراً للحج في السنة الماضية التي هي سنة خمس وثلاثين، ورجع سنة ست وثلاثين. فلما وقع ذلك انضموا إليه لكونه أرأس الموجودين وأعقلهم وأقبلت عليه الناس يعزونه في ابن سيده اسمعيل بك وأزدحم بيته بالناس وتحقق المبغضون أنه أن أستمر موجوداً ظهر شأنه وانتقم منهم، فأعملوا الحيلة في قتله وقتل أمرائهم. وطلع في ثاني يوم ذو الفقار قاتل المرحوم اسمعيل بك إلى القلعة فخلع عليه الباشا وقلده الآمرية والصنجقية وكاشف إقليم المنوفية. ونزل إلى بيت جركس ومعه تذكرة من كتخدا الباشا مضمونها أنه يجمع عنده عبد الله بك ومحمد بك ومحمد بك ابن ايواظ وإبراهيم بك الجزار، ويعمل الحيلة في قتلهم. فكتب جركس تذكرة إلى عبد الله بك وأرسلها صحبة كتخداه بطلبه للحضور عنده ليعمل معه تدبيراً في قتل قاتل المرحومين، فلما حضر كتخدا جركس إلى بيت عبد الله بك بالتذكرة وجد البيت مملوءاً بالناس والعساكر والاختيارية والجربجية وواجب رعاياه وعنده علي كتخدا الحلفي عزبان وحسن كتخد حبانية، تابع يوسف كتخدا تابع محمد كتخدا البيوقلي وغيرهم نفر وطوائف كثيرة، فأعطاه التذكرة فقرأها ثم قال لعلي بك الهندي: خذ محمد بك وإبراهيم بك وأذهبوا إلى بيت محمد بك جركس وانظروا كلامه وأرجعوا فأخبروني بما يقول. فركبوا وذهبوا عند جركس فدخلوا عليه فوجدوا عنده ذا الفقار بك وهو يتناجى معه سراً، فأدخلهم إلى تنهة المجلس وأرسل في الحال إلى كتخدا الباشا يخبره بحضور المذكورين عنده، ويقول له: أرسل إلى عبد الله بك وأطلبه فإن طلع إليكم وعوقتموه ملكنا غرضنا في باقي الجماعة. فأرسل الكتخدا يقول لجركس أن لا يتعرض لعلي بك الهندي لأن السلطان أوصى عليه وكذلك صاري علي أوصى عليه الباشا لأنه أمين العنبر وناصح في الخدمة. وأرسل في الحال تذكرة إلى عبد الله بك يأخذ خاطره ويعزيه في العزيز ابن سيده ويطلبه للحضور عنده ليدبر معه أمر هذه القضية، وقتل قاتل المرحوم، فراج عليه ذلك الكلام والتمويه. وركب في الحال لأجل نفاذ المقدور وقال لعلي كتخدا: أجلس هنا ولا تفارق حتى أرجع، وطلع إلى القلعة ومعه عشرة من الطائفة ومملوكان والسعادة فقط، ودخل على كتخدا الباشا فتلقاه بالبشاشة ورحب به وشاغله بالكلامإلى العصر، وعندما بلغ محمد بك جركس ركوب عبد الله بك وطلوعه إلى القلعة صرف علي بك الهندي ووضع القبض على محمد بك ابن ايواظ وإبراهيم بك الجزار وربط خيولهما بالإسطبل وطردوا جماعتهم وطوائفهم

وسراجينهم، ولم يزل كتخدا الباشا يشاغل عبد الله بك ويحادثه ويلاهيه إلى قبيل الغروب حتى قلق عبد الله ك وأراد الانصراف، فقال له كتخدا الباشا: لا بد من ملاقاتك الباشا ومحادثتك معه. وقام يستأذن له ودخل ورجع إليه وقال له أن الباشا لا يخرج من الحريم إلا بعد الغروب، وأنت ضيفي في هذه الليلة لأجل ما نتحادث مع الباشا في الليل. وحسن له ذلك وتركه إلى الصباح، فطلع محمد بك جركس وابن سيده محمد بك ابن أبي شنب وذو الفقار بك وقاسم بك وإبراهيم بك فارسكور وأحمد بك الأعسر الدفتر دار، فخلع الباشا على محمد بك اسمعيل وقلده أمير الحاج وقلد عمر أغا كتخدا جاويشية عوضاً عن عبد الله أغا، وقلد محمد أغا لهلوبا والي ونزلوا إلى بيوتهم. وطلعت طوائف عبد الله بك وأتباعه وانتظروه حتى انقضى أمر الديوان ولم يترل. فاستمروا في انتظاره إلى بعد العصر، ثم سألوا عنه فقالوا لهم أنه جالس مع الباشا في التنهة فترلوا وأرسل محمد بك جركس لهلوبة الوالي إلى بيت كتخدا الباشا فقعد به إلى بعد العشاء، فدخلت الجو خدارية إلى عبد الله بك فأخذوا ثيابه وما في جيوبه وأنزلوه وسلموه إلى الوالي فأركبه على ظهر كديش ونزل به من باب الميدان، وساروا به إلى بيت جركس فأوقفوه عند الحوض المرصود ونزلوا بمحمد بك ابن أيواظ وإبراهيم بك

الجزار فأركبوهما حمارين وسار بهم إبراهيم بك فارسكور والوالي على جزيرة الخيوعية وأنزلوهم في المركب وصحبتهم المشاعل فقتلوهم وسلخوا رؤوسهم ورموهم إلى البحر ورجعوا وانقضى أمرهم وتغيب حالهم وما فعل بهم أياماً. وكانت قتلتهم في شهر ربيع الأول سنة 1136.

ومات عبد الله بك وهو متقلد إمارة الحج وعمره ست وثلاثون سنة وكان حليماً سموح النفس صافي الباطن.

ومات محمد بك ابن ايواظ بك وسنه ست وعشرون سنة، وكان أصغر من أخيه المرحوم.

ومات الأمير قاسم بك الكبير وهو مملوك إبراهيم بك أبي شنب وخشداش محمد بك جركس، تقلد الإمارة والصنجقية بعد قتل قيطاس بك في سنة 1126 في أيام عابدي باشا، ولما هرب جركس وقبض عليه العربان وأحضروه إلى اسمعيل بك ونفاه إلى قبرص، أتفق محمد بك ابن أبي شنب مع قاسم بك سراً على إحضاره إلى مصر، وسافر محمد بك إلى الروم بالخزينة وأشتغل شغله هناك على قتل اسمعيل بك، وأرسل في الخفية وأحضره إلى مصر وأخفاه حتى حضر رجب باشا وفعلوا ما تقدم ذكره. ولم يزل أميراً ومتكلماً بمصر حتى وقعت حادثة ظهور ذي الفقار بك والمحاربة الكبيرة التي خرج فيها جركس من مصر، فقتل قاسم بك المذكور في بيته أصيب برصاصة من منارة الجامع كما تقدم، وعندما علم جركس بموته حضر إليه والحرب قائم وكشف وجهه فرآه ميتاً، وذلك سنة 1138.

ومات الأمير قاسم بك الصغير وهو أيضاً من أتباع إبراهيم بك أبي شنب، وكان فرعون هذه الطائفة في دولة محمد بك جركس، وهو من جملة المتعصبين مع ذي الفقار على قتل اسمعيل بك ابن ايواظ والضارب فيه أيضاً وفي اسمعيل بك جرجا، ولم يزل حتى مات في رمضان بولاية البهنسا سنة 1137.

ومات محمد أغا متفرقة سنبلاوين وكان أغات وجاق المتفرقة وصاحب وجاهة، ومات مقتولاً بإغراء من محمد بك جركس.

ومات الأمير إبراهيم أفندي كتخدا العزب المذكور قتله سليمان أغا أبو دفية وسليمان كاشف وخازندار ابن ايواظ بالرميلة في حادثة ظهور ذي الفقار كما تقدم ذكر ذلك في أيام علي باشا، وملكوا في ذلك الوقت باب العزب، وحضر محمد باشا وعلي باشا ووقعت الحروب مع محمد بك جركس حتى خرج من مصر، وذلك سنة ثمان وثلاثين، وسيأتي تتمة ذلك في ترجمة

جركس.

ومات الأمير عبد الرحمن بك ملتزم الولجة وهو من أتباع ايواظ بك الكبير القاسمي وأمره أبنه اسمعيل بك ابن ايواظ وقلده الصنجقية وسافر بالخزينة 1135 وقتل اسمعيل بك في غيابه فلما حضر إلى مصر خلع عليه محمد بك ابن أبي شنب الدفتر دار قائمقام قفطان ولاية جرجا وأستعجله في الذهاب والسفر إلى قبلي، فقضى أشغاله وبرز خيامه إلى ناحية الآثار وخرجت الأمراء والأغوات والاختيارية والوجاقات ومشوا في موكبه على العادة، ونزلوا بصيوانه وشربوا القهوة والشربات وودعوه ورجعوا إلى منازلهم. ثم أنه قال للطوائف والأتباع: أذهبوا إلى منازلكم وأحضروا بعد غد بمتاعكم وأنزلوا بالمركب ونسير على بركة الله تعالى. ثم أنه تعشى هو ومماليكه وخواصه وعلق على الخيول والجمال وركب وسار راجعاً من خلف القلعة إلى جهة سبيل علام إلى الشرقية و لم يزل سائراً إلى أن وصل إلى بلاد الشام ومنها إلى بلاد الروم هذا ما كان من أمره. وأما جركس فإنه أحضر علي بك وقاسم بك وعمر بك أمير الحاج وأمرهم بالركوب بعد العشاء بالطوائف ويأخذوا لهم راحة عند السواقي، ثم يركبوا بعد نصف الليل ويهاجموا وطاق عبد الرحمن بك ولجة على حين غفلة ويقتلوه ويأخذوا جميع ما معه، ففعلوا ذلك وساروا قرابة فلم يجدوا غير الخيام، فأخذوها ورجعوا و لم يزل المترجم حتى وصل إلى اسلامبول وأجتمع برجال الدولة فاسكنوه في مكان وأخذ مكتوباً من أغاات دار السعادة خطاباً إلى وكيله بمصر يتصرف له في حصصه بموجب دفتر المستوفي، ويرسل له الفائظ كل سنة وأستمر هناك إلى أن مات.

ومات الأمير الشهير محمد بك جركس وأصله من مماليك يوسف بك القرد، وكان معروفاً بالفروسية بين مماليك المذكور، فلما مات يوسف بك في سنة 1107 أخذه إبراهيم بك أبو شنب وأرخى لحيته وعمله قائمقام الطرانة، وتولى كشوفية البحيرة عدة مرار ثم إمارة جرجا، وسافر إلى الروم سر عسكر على السفر في سنة 1128 فضم إليه المبغضين له من الفقارية وغيرهم وتوافقوا على اغتياله ورصد له طائفة منهم ووقفوا له بالرميلة، وضربوا عليه بالرصاص فنجاه الله من شرهم وطلع اسمعيل بك وصناجقه إلى باب العزب، وطلب جركس إلى الديوان ليتداعى معه فعصي وأمتنع وتهيأ للحرب والقتال، فقوتل وهزم وخرج هارباً من مصر، فقبض عليه العربان وأحضروه أسيراً إلى اسمعيل بك فأشاروا عليه بقتله فأبى وقال: أنه دخل إلى بيتي فلا سبيل إلى قتله، وأنزله بمكان وأحضر له الطبيب فداوى جراحته وأكرمه وأعطاه ملابس وخلع عليه فروة سمور وألف دينار، ونفاه إلى قبرص حسماً للشر. وأستمر الحقد في قلوب خشداشينه ومحمد بك ابن أبي شنب ابن أستاذهم واتفقوا على إحضار جركس سراً إلى مصر. وسافر ابن أبي شنب بالخزينة إلى دار السلطنة فأغرى رجال الدولة ورشاهم وجعل لهم أربع آلاف كيس على إزالة اسمعيل بك وعشيرته. ووقع ما تقدم ذكره في ولاية رجب باشا. وحضر جركس إلى مصر في صورة درويش عجمي، واختفى عند قاسم بك ودبروا بعد ذلك ما دبروه من قتل الباشا وما تقدم ذكره في ترجمة اسمعيل بك. ونجا اسمعيل بك أيضاً من مكرهم وظهر عليهم وسامحهم في كل ما صدر منهم مع قدرته على إزالتهم. و لم يزالوا مضمرين له السوء حتى توافقوا على قتله غدراً وخانوه، وقتلوه بالديوان وأزالوا دولته. وصفا عند ذلك الوقت لمحمد بك جركس وعشيرته، فلم يحسن السير وطغى وتجبر، وسار في الناس بالعسف والجور وأتخذ له سراجاً من أقبح خلق الله وأظلمهم، وهو الذي يقال له الصيفي ورخص له فيما يفعله ولا يقبل فيه قول أحد، وأتخذ له أعواناً من جنسه وخدماً، وكلهم على طبقته في الظلم والتعدي، فكانوا

يأخذون الأشياء من الباعة ولا يدفعون لها ثمناً، ومن أمتنع عليهم ضربوه بل وقتلوه، وصاروا يخطفون النساء والأولاد. وصاروا يدخلون بيوت التجار في رمضان بالليل فلا ينصرفون حتى ضاق صدر الباشا وأبرز مرسوماً من الدولة برفع صنجقية محمد بك جركس، وكتب فرماناً وأرسلها إلى الوجاقات ومشايخ العلم والبكري وشيخ السادات ونقيب الأشراف بالأخبار بذلك، وبالمنع من الاجتماع عليه أو دخول منزله. ووصل الخبر إلى محمد بك جركس فكتب في الحال تذاكر وأرسلها إلى اختيارية الوجاقات والمشايخ بالحضور ساعة تاريخه لسؤال وجواب، فذهب إليه الاختيارية فأكرمهم وأجلهم وأجلسهم ثم حضر المشايخ فلما تكامل المجلس أوقف طوائفه ومماليكه بالأسلحة ثم قال لهم: تكونوا معي أو أقتلكم جميعاً، فلم يسعهم إلا أنهم قالوا له جميعاً نحن معك على ما تريد. فقال أريد عزل الباشا ونزوله فقالوا نحن معك على ما تختار. ثم أنهم كتبوا فتوى مضمونها ما قولكم في نائب السلطان أراد الإفساد في المملكة وتسليط البعض على البعض وتحريك الفتن لأجل قتلهم وأخذ أموالهم فماذا يلزم في ذلك، فكتب المشايخ بوجوب إزالته وعزله قمعاً للفساد وحقناً للدماء. فأخذ الفتوى منهم وقام وأخذ معه رجب كتخدا ومصطفى كتخدا وإبراهيم كتخدا عزبان ودخل إلى داخل وترك الجماعة في المقعد والحوش وعليهم الحرس وباتوا على ذلك من غير عشاء ولا دثار، فلما أصبح صباح يوم الجمعة عاشر القعدة أرسل أحمد بك الأعسر إلى الباشا يقول له: أنت تنزل أو تحارب؟ وكان أرسل قاسم بك الكبير إلى ناحية الجبل بنحو خمسمائة خيال، فقال: بل أنزل وانظروا إلي مكاناً أنزل فيه. ونزل في ذلك اليوم قبل الصلاة إلى بيت محمد أغا الدالي بقوصون، ولم يخرج جركس من بيته ولا أحد من المعوقين سوى قاسم بك وأحمد بك. ثم أنه كتب عرضاً على موجب الفتوى وختم عليه المشايخ والوجاقات وكتبوا فيه أنه باع غلال الحرمين وغلاب الأنبار وباع من غلال الدشائش والخواسك ثمانية وعشرين ألف أردب، وختم عليه القاضي أيضاً وأرسله صحبة ستة أنفار من الوجاقلية في غرة الحجة سنة1137. ولما فعل ذلك أقام محمد بك الدفتر دار ابن أستاذه قائمقام فصار يعمل الدواوين في منزله ولم يطلع إلى القلعة إلا في يوم نزول الجامكية. ولما فعل جركس ذلك صفا له

الوقت وعزل مملوكه محمد أغا الوالي وقلده الصنجقية وسماه جركس الصغير، وألبس علي أغا مملوكه ابن أخي قاسم بك الصغير صنجقية عمه، وأعطاه بلاده وماله وجواره، وقلد علي المحرمجي مملوكه الصنجقية أيضاً وكذلك أحمد الخازندار مملوك أحمد بك الأعسر وسليمان أغا جميزة تابع أحمد أغا الوكيل صناجق، ألبسهم الجميع قائمقام في بيته. ولم يتفق نظير ذلك وحضر جن علي باشا وطلع إلى القلعة فلم يقابله جركس إلا في قصر الحلي، وكمل له من الأمراء ثلاثة عشر صنجقاً واستولوا على جميع المناصب والكشوفيات. ولما تأمر ذو الفقار بعد قتل اسمعيل بك، أنضم إليه كثير من الفقارية وسافر إلى المنوفية فأراد أن يجرد عليه، وطلب من الباشا فرماناً بذاك فامتنع فتغير خاطره من الباشا وأستوحش كل من الآخر، وحصل ما تقدم ذكره من عزل الباشا ثم جرد علي ذي الفقار، فاختفى ذو الفقار وتغيب بمصر إلى أن حضر علي باشا والي جريد واستقر بالقلعة، ودبروا في ظهور ذي الفقار كم تقدم في خبر محمد باشا. وخرج محمد بك جركس هارباً من مصر فنهبوا بيته وبيوت أتباعه وعشيرته، فأخرجوا من بيته شيئا لا يحد ولا يوصف، حتى أنه وجد به من صنف الحديد أكثر من ألف قنطار، ومن الغنم أزيد من الألف خروف. وبعدما أحاطوا بما فيه من المواشي والأمتعة ونهبوها، هدموه وأخذوا أخشابه وشبابيكه وأبوابه. ولم يمض ذلك النهار حتى خرب عن آخره. ولم يبق به مكان قائم الأركان وقد أقام يعمر فيه نحو أربع سنوات، فخرب جميعه من الظهر إلى قبيل المغرب، وقتلوا كل من وجدوه من أتباعه واختفى منهم من اختفى ومن ظهر بعد ذلك قتلوه أيضاً ونهبوا دياره.

وأخرج خلفه ذو الفقار تجريدة فلم يدركوه، وذهب من خلف الجبل الأخضر إلى درنة، فصادف مركباً من مراكب الإفرنج فنزل فيها مع بعض مماليكه وتفرق من كان معه من الأمراء بالبلاد القبلية، وسافر المترجم إلى بلاد الإفرنج فأكرموه وتشفعوا فيه عند العثماني بواسطة الالجي، فقبلوا شفاعتهم فيه وأخذوا له مرسوماً بالعودة إلى مصر وأخذها أن قدر على ذلك، بعد أن عرضوا عليه الولاية والباشوية ببعض الممالك فلم يقبل. و لم يرض إلا بالعودة إلى مصر، فوصل إلى مالطة وأنشأ له سفينة وشحنها بالجبخانة والآلات والمدافع، ورجع إلى درنة فطلع من هناك وأمر الرؤساء بالذهاب بالسفينة إلى ثغر إسكندرية.

وحضر إليه بعض أمرائه وأتباعه المتفرقين فركب معهم وذهب إلى ناحية البحيرة فصادف حسين بك الخشاب، فهرب من وجهه فنهب حملته وخيامه وذهب إلى الإسكندرية وكانت سفينته قد وصلت فأخذ ما فيها من المتاع والجبخانة والآلات ورجع إلى قبلي على حوش ابن عيسى، وأجتمع عليه الكثير من العربان، وسار إلى الفيوم فهجم على دار السعادة وهربت الصيارف، فأخذ ما وجده من المال ونزل على بني سويف وكان هناك علي بك المعروف بالوزير، فنزل إليه وقابله ثم سار إلى القطيعة بالقرب من جرجا ثم عرجا جهة الغرب قبلي جرجا وأرسل إلى سليمان بك وطلبه للحضور إليه بمن عنده من القاسمية فعدى إليه سليمان بك ومن معه وقابله وأطلعه على ما بيده من المرسوم والأمان والعفو. وحضر إليه أحمد بك الأعسر وجركس الصغير فركب بصحبة الجميع وأنحدر إلى جهة بحري فتعرض لهم حسن بك والسدادرة وعسكر جرجا وحاربوهم فقتل حسن بك و طائفته و لم ينج منهم إلا من دخل تحت بيارق العسكر. ونزل جركس بصيوان حسن بك وأنزلوا مطابخهم وعازقهم في المراكب وسار بمن معه طالبين مصر، ووصلت أخبارهم إلى ذي الفقار بك، فعمل جمعية وأخذ فرماناً بسفر تجريدة وميرها عثمان بك تابع ذي الفقار وعلي بك قطامش وعساكر اسباهية وغيرهم، فقضوا أشغالهم وعدوا إلى أم خنان وصحبتهم الخبيري وساروا إلى وادي البهنسا فتلاقوا مع محمد بك جركس فتحاربوا معه يوماً وليلة، وكان مع جركس طائفة من الزيدية والهوارة وعرب نصف حرام فكانت الهزيمة على التجريدة، وأستولى محمد جركس ومن معه على عرضيهم وخيامهم وقتل منهم نحو مائة وسبعين جندياً وحال بينهم الليل، ورجع المهزومون لمصر وقالوا لذي الفقار بك أن لم تتداركوا أمركم وإلا دخلوا عليكم البيوت. فجمع ذو الفقار بك الأمراء واتفقوا على تشهيل تجريدة أخرى واحتاجوا إلى مصروف، فطلبوا من الباشا فرمانا بمبلغ ثلثمائة كيس من الميري أو من مال البهار على السنة القابلة، فامتنع الباشا فركبوا عليه وعزلوه وأنزلوه

ولبسوا محمد بك قطامش قائمقام، وأخذوا منه فرماناً وجهزوا أمر التجريدة، فأخرجوا فيها مدافع كبار وأحضروا سالم بن حبيب ومعه نصف سعد ونزل عثمان جاويش القازدغلي بجماعة جهة البدرشين وصحبته علي كتخدا الجلفي بالمراكب، ورتبوا أمورهم وأشغالهم ووصل جركس ومن معه ناحية دهشور، والمنشية، ووقعت بينهم حروب ووقعت الهزيمة على جركس، وقتل سليمان بك ونزلت القرابة المركب وسارت الخيالة صحبة العرب مقبلين. وسار عثمان جاويش القازدغلي خلف قرا مصطفى جاويش ليلاً ونهاراً حتى أدركه عند أبي جرج، فقبض عليه ومعه ثلاثة وأخذ ما وجده معه وأنزلهم في المركب، وأتى بهم إلى مصر، وقطعوا رؤوسهم وأرسلوا فرماناً برجوع التجريدة ولحوق الصنجقيين وأغات البلك والأسباهية وسالم بن حبيب بجركس أينما توجه. فسافروا خلفه أياماً ثم عدى إلى جهة الشرق ومعه عرب خويلد، وأقام هناك ينتظر حركة القاسمية بمصر، وكانوا عدوا معه سراً على قتل ذي الفقار بك فعدى إليه علي بك قطامش والعسكر وسالم بن حبيب

فتلاقوا معه ووقع بينهم مقتلة عظيمة انجلت عن انهزام جركس ومن معه حتى ألقوا بأنفسهم في البحر. وأما جركس فانه خلع لجام الحصان وأراد أن يعدي به بمفرده إلى البر الأخر فانغرز الحصان في روبة وتحتها الماء عميق فترل من على ظهره ليخلصه فزلقت رجله وغرق بجانبه، وكان بالقرب منه شادوف وعليه رجلان من الفلاحين ينقلان الماء إلى المزرعة فترلا إليه فوجدا الحصان ميتاً وهو غاطس بجانبه لم يعلما من هو، فجراه من رجله وأخذا سلاحه وزرخه وثيابه وما في جيوبه ودفناه بالجزيرة. ومر بهما قارب صياد فطلباه ووضعاه فيه وكان علي بك جالساً بجنب البحر ومعه سالم بن حبيب، فنظر سالم إلى القارب وهو مقبل فقال ما هذا إلا سمكة عظيمة واصلة إلينا فأوقفوا القارب في ناحية من البر، وتقدم أحد الشدافين إلى الصنجق وباس يده فقال له ما خبرك قال وجدنا جندياً من المهزومين وهو غرقان بحصانه فلعله من المطلوبين وإلا رميناه البحر، فلما رآه عرفه ورجع إلى الصنجق فأمر بإخراجه من القارب ووضع أحد الرجلين في الحديد، وقال للثاني أذهب فآت بكامل ما أخذتماه وأنا أطلق لك رفيقك، وأمر بسلخ رأسه وغسلوه وكفنوه ودفنوه ناحية شرونة، وارتحلوا وساروا إلى مصر. وكان القاسمية الذين بمصر فعلوا فعلهم وقتلوا ذا الفقار بك وذلك في أواخر رمضان والبلد في كرب، والقاسمية منتظرون قدوم جركس وأبواب المدينة مقفلة، وعلى كل باب أمير من الصناجق والوجاقلية داثرون بالطوف في الشوارع وبأيديهم الأسلحة. فلما وصل علي بك قطامش إلى الآثار النبوية وأرسل عرفهم بما حصل، خرج إليه عثمان بك ودخل صحبته بموكب والرأس أمامهم محمولة في صينية، فكان ذلك اليوم يوم سرور عند الفقارية وحزن عظيم عند القاسمية. فطلعوا بالرأس إلى القلعة فخلع عليهم الباشا الخلع السمور ونزلوا إلى منازلهم، وأتتهم التقادم والهدايا: فكان بين موت جركس وذي الفقار خمسة أيام، ولم يشعر أحدهما بموت الآخر. ثم تتبعوا القاسمية وقتلوا منهم ألوفاً. وبهذه الحوادث انقطعت دولة القاسمية، و السبب في دمارهم محمد بك جركس المترجم وابن أستاذه محمد بك بن أبي شنب، وسوء أفعالهما وخبث نياتهما ، فإن جركس هذا كان من أظلم خلق الله وأتباعه كذلك وخصوصاً سراجه المعروف بالصيفي وطائفته، وكانت أيامه شر الأيام، وحصل منهم من أنواع الفساد والإفساد مالا يمكن ضبطه وكان موته في أواخر رمضان سنة 1142.

ومات الأمير علي بك المعروف بالهندي وهو مملوك أحمد بك تابع ايواظ بك الكبير جرجي الجنس تقلد الإمارة والصنجقية بالديار الرومية، وذلك أنه لما قلد اسمعيل بك بن ايواظ أستاذ أحمد بك الصنجقية والإمارة على السفر إلى بلاد مورة في سنة 1127 عوضاً عن يوسف بك الجزار جعل عليا هذا كتخداه، فلما توجهوا إلى هناك وتلاقوا في مصاف الحرب، هجم المصريون على طابور العدو بعد انهزام الروميين، فكسروا الطابور وأنهزم العدو وأستشهد أحمد بك أمير العسكر المصري. فلما رجعوا إلى اسلامبول ذكروا ذلك وحكوه لرجال الدولة، فأنعموا على علي الهندي وأعطوه صنجقية أستاذه أحمد بك وأعطوه مرسوماً بنظر الخاصكية قيد حياته زيادة على ذلك، ورجع إلى مصر و لم يزل معدوداً في الأمراء الكبار مدة دولة اسمعيل بك ابن سيد أستاذه حتى قتل اسمعيل بك وأراد قتله محمد بك جركس هو وعلي بك الأرمني المعروف بأبي العدبات، فدافع عنهما محمد باشا وقال أن الهندي منظور مولانا السلطان والأرمني أمين العنبر وناصح في بخدمته وضمن عائلتهما الباشا، فاستمرا في إمارتهما. فلما أستوحش جركس من ذي الفقار وجرد عليه وهو في كشوفية المنوفية هرب وحضر إلى مصر ودخل عند علي بك الهندي المذكور فأخفاه عنده خمسة وستين يوماً، ثم أنتقل إلى مكان آخر والمترجم يكتم أمره فيه وجركس وأتباعه

يتجسسون ويفحصون عليه ليلاً ونهاراً وعزل جركس محمد باشا وحضر علي باشا ودبروا أمر ظهور ذي الفقار مع عثمان كتخدا الغازدغلي، و أحضروا إليهم المترجم وصدروه لذلك وأعانوه بالمال، وفتح بيته وجمع إليه الايواظية والخاملين من عشيرتهم وكتموا أمرهم وثاروا ثورة واحدة وأزالوا دولة جركس كما تقدم. وظهر أمر ذي الفقار وتقلد علي بك الهندي الدفتر دارية بموجب الشرط المتقدم، وحضر محمد بك قطامش من الديار الرومية باستدعاء المصريين بتقليد الدفتر دارية من الدولة، فلم يمكنه المترجم منها حتى ضاقت نفسه منه ووجه عزمه إلى ذي الفقار بك، و ألح عليه وهو يعده ويمنيه ويأمره بالصبر والتأني، إلى أن حضر المملوك الواشي وأخبر علي بك باجتماع مصطفى بك بن ايواظ وأبي العدب ومن معهم، وذكر له ما قالوه في حال نشوتهم، فلم يتغافل عن ذلك وقال لذلك المملوك: أذهب إلى ذي الفقار بك فأخبره. فذهب إليه فعرفه صورة الحال، فأوقع بهم ما تقدم ذكره من قتلهم بيد الباشا، وكان يظن مصافاة ذي الفقار له ويعتقد مراعاة حقه له، وبهذه النكتة صار علي بك وحيداً فطمع فيه العدو، واختلى محمد بك قطامش بذي الفقار بك وتذاكر معه أمر الدفتر دارية وعدم نزول علي بك عنها، وقال: لابد من قتلي إياه، فقال له ذو الفقار: لا أدخل معك في دمه فإن له في عنقي جميلاً فإن كنت ولابد فاعلاً فأذهب إلى يوسف كتخدا البركاوي ورضوان أغا وعثمان جاويش القازدغلي ودبر معهم ما تريد، ولكن أن قتلتم الهندي فلازم من قتل محمد بك الجزار وذي الفقار قانصوه. فقال محمد بك قطامش: أن ابن الجزار له في عنقي جميل فإنه صان بيتي وحريمي في غيابي كوالده من قبل، فقال ذو الفقار بك: وأنا كذلك أقمت في الاختفاء بمترل علي بك وبغيره باطلاعه. وأنحط الأمر بينهم على الخيانة والغدر، وذهب محمد بك فأجتمع بيوسف البركاوي ومن ذكر وتوافقوا على ذلك. فأحضر يوسف كتخدا البركاوي باش سراجينه وكلمه على قتل الهندي ووعده بالإكرام، فأخذ معه في صبحها خمسة أنفار ووقف بهم عند باب العزب. فلما أقبل علي بك في طائفته أبتكر ذلك السراج مشاجرة مع بعض السراجين وتسابوا فقيل لهم: أما تستحوا من الصنجق فأخرج ذلك السراج الطبنجة وضربها في صدر الصنجق فنفذت الرصاصة من كمه وساق علي بك جواده إلى جهة المحجر وسار على باب زويلة وذهب إلى داره بحارة عابدين وحضر إليه طوائفه و أغراضه وأصحابه وامتلأ البيت والشارع وباتوا تلك الليلة، وعند الفجر ركب محمد بك قطامش وحضر عند ذي الفقار بك فركب معه إلى جامع السلطان حسن البركاوي وباقي الأغوات، فأرسلوا من طرفهم جاسوساً إلى بيت الهندي فرجع وعرفهم بمن عنده، فقال رضوان أغا: أنا أذهب إليه وأحضره بحيلة إلى بيت ذي الفقار بك، ويأتي أغات مستحفظان فيأخذه إليكم. فركب رضوان أغا وأرسلوا إلى ذي الفقار بك قانصوه أتي عندهم أيضاً. فلما دخل رضوان أغا على علي بك الهندي وجده شعلة نار، فجلس معه وحادثه وخادعه وقال له: بلغني

أن ذا الفقار بك في بيتك خمسة وستين يوماً وبينك وبينه عهد وميثاق، فقم بنا إلى بيته وهو ينظر السراج الذي ضرب عليك الطبنجة وينتقم منه، ودع الجماعة ينتظرونا إلى أن نعود إليهم. فطلب الحصان فأشار عليه كتخدا الجلفي بعدم الذهاب ، فلم يسمع وركب في قلة من أتباعه وصحبه مملوكان فقط، وذهب مع رضوان أغا فدخل معه بيت ذي الفقار بك وتركه وسار ليأتي إليه بذي الفقار بك، وذهب إليهم وعرفهم حصوله في بيت ذي الفقار. فأرسلوا إليه أغات مستحفظان في جماعة كثيرة فدخلوا بيت ذي الفقار بك وأخذوا الحصان والكرك من عليه وقدموا له اكديشاً عرياناً، فقام عثمان تابع صالح كتخدا عزبان الرزاز وأخذ كليماً قديماً فوق الاكديش وميل عليه، وقال له: هذا جزاء من يقص جناحه بيده. وأركبوه عليه ذهبوا به إلى

السلطان حسن. فلما رآه ذو الفقار بك قال خذوا هذا أيضاً وأشار إلى ذي الفقار قانصوه وكان رجلاً وجيهاً ولحيته بيضاء عظيمة وعليه هيبة ووقار فسحبوهما مشاة على أقدامهما إلى سبيل المؤمن، وقطعوا رؤوسهما ووضعوهما في تابوتين وذهبوا بهما إلى بيوتهما، فما شعر الجماعة الجالسون في بيت الهندي إلا وهم داخلون عليهم برمته، فغسلوه وكفنوه ومشوا في جنازته وذهبوا إلى منازلهم وأنفض الجميع. وركب ذو الفقار ومن معه وطلعوا إلى القلعة وتمموا أغراضهم. وكان المترجم سليم الصدر وعنده الحلم والعفة وسماحة النفس، وتولى كشوفية الغربية والمنوفية وبنى سويف ونظر الخاصكية بأمر سلطاني قيد حياته. فلما ترأس محمد بك جركس وابن أستاذه محمد بك ابن أبي شنب الدفتر دارية نزعها منه فورد بذلك مرسوم من الدولة بالتمكين للمترجم بنظر الخاصكية، وألبسه محمد باشا قفطاناً بذلك، فلم يمتثل محمد بك ابن أبي شنب و لم يمكنه منها، فورد بعد ذلك مرسوم كذلك بتمكين علي بك فلبسه علي باشا قفطاناً وبعث إلى محمد بك يطلب منه المفاتيح فوعده بذلك. ثم أحضروها له بسعي رجب كتخدا ومحمد جاويش الداودية فأعطاها إلى علي بك فركب بصحبة الأغا المعين ونائب القاضي، ومن كل بلك واحد، وفتحوا الخاصكية فلم يجدوا فيها شيئا فأخذ حجة بذلك. وكان موت المترجم في أوائل سنة 1140.

ومات الأمير ذو الفقار بك قانصوه وهو تابع قانصوه بك الكبير الايواظي القاسمي، تقلد الإمارة والصنجقية في سابع شعبان سنة 1128 ولبس عدة مناصب كثيرة مثل كشوفية بني سويف والبحيرة. ولما حصلت الحوادث وقتل اسمعيل بك ابن ايواظ أعتكف في بيته ولازم داره و لم يتداخل معهم في شيء من الأمور، فلما تعصب ذو الفقار بك ومحمد بك قطامش ومن معهم على قتل علي بك الهندي وإخماد فرقة القاسمية عزم على قتل ذي الفقار قانصوه أيضاً وأرسل إليه وأحضره إلى جامع السلطان حسن وهو لم يخطر بباله أنهم يغدرونه لانجماعه عنهم. فلما أحضروا علي بك الهندي على الصورة المتقدمة وسحبوه إلى القتل فقال ذو الفقار بك: خذوا هذا أيضاً، وأشار إلى المترجم لحزازة قديمة بينهما أو لعلمه بأنه من رؤساء القاسمية وقاعدة من قواعدهم. فقال لهم: وما ذنبي خذوا عني الأمرية والبلاد ولا تقتلوني ظلماً. فلم يمهلوه و لم يسمعوا لقوله، فسحبوه ماشياً مع الهندي وقتلوهما تحت سبيل المؤمن بالرميلة، و كان إنساناً عظيماً وجيهاً منور الشيبية عظيم اللحية رحمه الله تعالى.
ومات الأمير محمد بك ابن يوسف بك الجزار تقلد الإمارة والصنجقية في شعبان سنة 1138 بعد واقعة محمد بك جركس وخروجه من مصر. ولما قتل علي بك الهندي وذو الفقار بك قانصوه كان هو في كشوفية المنوفية، فعينوا له تجريدة وعليها اسمعيل بك قيطاسن وأخذ صحبته عربان نصف سعد وكان قد وصل إليه الخبر فأخذ ما يعز عليه، وترك الوطاق وأرتحل إلى جسر سديمة. فلحقوه هناك واحتاطوا به وحاربوه وحاربهم وقتل بينهم أجناد وعرب وحمى نفسه إلى الليل. ثم أحضر مركباً فنزل فيها وصحبته مملوكان لا غير وفراش وأخراج وذهب إلى رشيد، وترك أربعة وعشرين مملوكاً خلاف المقتولين. فأخذوا الهجن وساروا ليلاً متحيرين حتى جاوزوا وطاق اسمعيل بك. وتخلف منهم شخص فحضر إلى وطاق اسمعيل بك قيطاس فأخبره فأرتحل كتخداه بطائفة فردوهم وأخذوهم عنده، فخدموه إلى أن مات. ودخل محمد بك الجزار ثغر رشيد فاختفى في وكالة، فنمي خبره إلى حسين جربجي الخشاب السردار، فحضر إليه وقبض عليه وسجنه مع أحد المملوكين، وكان الثاني غائباً بالسوق فتغيب و لم يظهر إلا بعد مدة، وأرخى لحية وفتح له دكاناً يبيع ويشتري و لم يعرفه أحد. وأرسل حسين جربجي الخبر إلى مصر مع الساعي إلى ذي الفقار بك ويستأذن في أمره بشرط أن يجعلوه صنجقاً ويعطوه كشوفية البحيرة عن سنة 1140،

فأجيب إلى ذلك وأرسلوا له فرماناً بقتل محمد بك الجزار وقتل مملوكه، و أن يأتي هو إلى مصر وأعطوه مراده ومطلوبه. ومع الفرمان أغا معين من طرف الباشا، فقتلوا محمد بك ومعه مملوكه وسلخوا رؤوسهما. ورجع بهما الأغا المعين إلى مصر.
ومات الأمير محمد بك ابن إبراهيم بك أبي شنب القاسمي تقلد الإمارة والصنجقية في حياة والده في سنة 1127 ولما توفي والده أنتقل إلى بيته الذي بالقرب من جامع اينال بالقرب من قناطر السباع، وتولى عدة كشوفيات بالإقليم في أيام المرحوم اسمعيل بك ابن ايواظ. وكان يحقده ويحسده ويكرهه باطناً، هو ومماليك أبيه وخصوصاً محمد بك جركس. وأرادوا اغتياله وأوقفوا له في طريقه من يقتله ونجاه الله منهم، فظفر بهم وأخرج جركس منفياً إلى قبرص كما تقدم، وسافر محمد بك المترجم بالخزينة فأغرى به رجال الدولة وأوشى في حقه وحصل ما تقدم ذكره، وأيده الله عليهم أيضاً في تلك المرة. ولما قتل اسمعيل بك واستقل محمد جركس فتقلد المترجم دفتر دار وصار أميراً كبيراً يشار إليه ويرجع إليه في جميع الأمور، ولما عزلوا محمد باشا النشنجي تقلد المترجم أيضاً قائمقام وعمل الدواوين في بيته، و لم يطلع إلى القلعة كعادة الوكلاء والنواب وقلد المناصب والأمريات في مترله، وصار كأنه سلطان. وكان على نسق مملوك أبيه محمد جركس في العسف وسوء التدبير ولا يخرج أحدهما عن مراد الآخر. و لم يزل على ذلك حتى وقعت حادثة ظهور ذي الفقار، وخرج محمد بك جركس ومن معه هاربين، واختفى المترجم. ثم أن جماعة من العامة وجدوه ميتاً بالجامع الأزهر.
ومات أيضاً عمر بك أمير الحاج تابع عبد الرحمن بك جرجا المتقدم ذكره، انطوى إلى محمد بك جركس وأمره وجعله أمير الحاج في أيامه. وكان غنياً وصاحب فائظ كثير، ومات في واقعة جركس.

ومات رضوان بك وهو من مماليك محمد بك جركس ويقال له رضوان الخازندار، قلده الصنجقية وأخذ نظر الخاصكية من علي بك الهندي وأعطاها له. وتنافس بسببها مع جركس وانجمع كل منهما عن الآخر مدة طويلة. ولما وقع لجركس ما وقع اختفى رضوان بك المذكور عند يوسف بك زوج هانم، فأخبر عنه وأخذه سليمان أغا وقتله فسمي لذلك يوسف الخائن.
ومات الأمير علي بك المعروف بالأرمني ويعرف أيضاً بالشامي وهو من أتباع ابن ايواظ وكان أمين العنبر ويعرف أيضاً بأبي العدب، تقلد الصنجقية في عشري شهر القعدة سنة 1135 ولما أراد اسمعيل بك تأميره لم يجدوا له أمريه في المحلول. فأنعم عليه الباشا بصنجقية كتخداه رعاية لخاطر ابن ايواظ.
ومات أيضاً مصطفى بك ابن ايواظ وهو أخو اسمعيل بك، تقلد الإمارة والصنجقية أيام ظهور ذي الفقار كما تقدم وصار من الأمراء القاسمية المعدودين فلما أحضر الباشا علي بك الأرمني وقتله وأمر بالقبض على باقي الجماعة فقبضوا على مصطفى بك المذكور وأحضروه على حمار وصحبته المقدم تابعه، فقتلوهما تحت ديوان قايتباي بعد قتل علي بك بيومين.
ومات الأمير صاري علي بك ويقال له علي بك الأصغر لأن صاري بمعنى الأصغر وهو من أتباع ايواظ بك، تقلد الإمارة والصنجقية غاية شعبان سنة 1135 ولبس كشوفية الغربية، ولما قتل ابن أستاذه اسمعيل بك إستعفى من الصنجقية وعمل جربجياً بباب العزب، واعتكف ببيته و لم يتداخل في أمر من الأمور، ثم أعيد وسافرا أميراً بالعسكر إلى الروم وتوفي بدار السلطنة سنة 1141.
ومات الأمير أحمد كتخدا عزبان المعروف بأمين البحرين، وكان من الأعيان المشهورين نافذ الكلمة وافر الحرمة. وكان بينه

وبين الأمير اسمعيل بك ابن ايواظ وحشة، وكان يكرهه فلما ظهر اسمعيل بك خمدت كلمة المترجم واستمر في خموله ثم أنضم إلى اسمعيل بك وتحابب له، وصار من أكبر أصدقائه. وعمل باش أوده باشه ثم تولى الكتخدائية وعمل أمين البحرين ثالث مرة. وسمعت كلمته ونمي صيته، فلما قتل اسمعيل بك رجع إلى خموله. ثم نفي إلى أبي قير بمعرفة اختيارية الباب، وتعصب إبراهيم كتخدا أفندي عليه وكان إذ ذاك ضعيف المزاج فأرسلوا له الفرمان صحبة كمشك جاويش ومعه نحو المائتين نفر، فدخلوا عليه مترله بدرب السادات مطل على بركة الفيل، على حين غفلة وأركبوه من ساعته وهم حوله إلى بولاق وأرسلوه إلى أبي قير. ثم أرسلوا له فرماناً بالسفر إلى سفر العجم مع صاري علي وجعلوه سر دار العزب، ومع الفرمان القفطان وفيه الأمر له بأن يجهز نفسه ويسافر من أبي قير إلى الإسكندرية. وتوفي في سنة 1141.

ومات الأمير علي بك قاسم وهو ابن أخي قاسم بك الصغير ويلقب بالملفق، ولما مات قاسم بك بالبهنسا كما تقدم قلد محمد بك جركس عليا هذا الصنجقية عوضاً عن قاسم بك ونزل في منصبه وأعطاه فائظه.

ولم يزل أميراً حتى خرج محمد بك جركس من مصر هارباً وخرج معه من خرج، واختفى المترجم فيمن اختفى ببيت امرأة دلالة في كوم الشيخ سلامة ومات به.

ومات الأمير رجب كتخدا سليمان الأقواسي، و ذلك أنه لما انقضى أمر جركس قلدوا رجب كتخدا سر دار جداوي وجعلوا الأقواسي يمق، وجهزا أمورهما وأحمالهما وخرجا إلى البركة ليذهبا إلى السويس، فخرج إليهما صنجق من الأمراء وصحبته جاويش من الباب فأتياهما آخر الليل وقتلاهما وقطعا رؤوسهما وضبطا ما وجداه من متاعهما وسلماه لبيت المال بالباب.

ومات الأمير أحمد أفندي كاتب الروزنامة ابن محمد أفندي التذكرجي خنقه محمد باشا النشنجي في واقعة جركس وظهور ذي الفقار بك، ولما خرج جركس من مصر هارباً خرج معه إلى وردان وكان جسيماً، فانقطع مع بعض المنقطعين وأخذت ثيابهم العرب، وقبضوا عليه وفيهم أحمد أفندي الروزنامجي، وأتوا بهم إلى مصطفى تابع رضوان أغا وكان في الطرانة قائمقام. فأخذهم وقتل منهم أن أناساً وأرسل رؤوسهم وأرسل أحمد أفندي بالحياة، فحضروا به إلى بيت الدفتر دار وهو راكب على ظهر حمار سوقي، فأرسله علي بك الهندي الدفتر دار إلى ذي الفقار، لم يلتفت إليه ولم يخاطبه وأرسله إلى الباشا فمثل بين يديه، وكان يوم ديوانه وذلك بعد الواقعة بخمسة أيام، فأرسله الباشا إلى كتخداه، فبات عنده تلك الليلة، ثم أرسله إلى كتخدا مستحفظان فحبسه بالقلعة وخنقوه تلك الليلة وأنزلوه إلى بيته فغسلوه وكفنوه ودفنوه.

ومات محمد جربجي المرابي وكان ذا مال عريض، وضبط موجوده ألفي كيس، ولم يعقب أولاداً إلا أولاد سيده وزوجته بنت أستاذه، وأوصى لشخص يقال له عمر أغا بثلاثين كيساً، ولآخر بالفي دينار ولآخر بألف ولكل مملوك من مماليكه ألف دينار ولمجاوري الأزهر خمسمائة دينار. توفي في عشرين رمضان سنة 1138.

ومات المعلم داود صاحب عيار خنقه محمد باشا النشجي بعد خروج محمد بك جركس فقبضوا عليه وحبسوه بالعرقانة وخنقوه، وهو الذي ينسب إليه الجدد الداودية. وفي سنة 1137 الماضية حضر من الديار الرومية أمين ضربخانة وصاحب عيار وصناع دار الضرب وصحبتهم سكة الفندقلي والنصف فندقلي وأن يكون عياره ثلاثة وعشرين قيراطاً، وصرف الفندقلي مائة وأربعة وثلاثون نصفاً، والنصف سبعة وستون، فاحضر الباشا المعلم داود وطلب منه سكة الجنترلي وأعطاه سكة الفندقلي

وختم على سكة الجترلي في كيس وأودعها في خزانة الديوان. وعندما سمع داود بهذه الأخبار قبل حضورهم إلأى مصر تدارك أمره وفرق علي الباشا وكتخدا الباشا ومحمد بك جركس والمتكلمين عشرين ألف دينار. فلما قرئ المرسوم بالديوان قالوا سمعنا وأطعنا في أمر السكة، وأما صاحب عيار فإنه لا يتغير، فقال الباشا: كذلك لكن يكون الأغا ناظراً على الضربخانة لأجل أجراء المرسوم، وتم الأمر على ذلك. فلما عزل الباشا أجتمع الموردون للذهب عند المعلم داود وكلموه في إخراج سكة الجترلي ، لأنهم هابوا سكة الفندقلي وامتنعوا من جلب الذهب. وتعطل الشغل، فرشا قائمقام وأخرج له سكة الجترلي وسلمها لداود فأخذها إلى داره بالجيزة وعمل له فرناً للذهب، وأحضر الصناع والذهب من التجار وضرب في ستين يوماً وليلة تسعمائة وثمانين ألف جترلي، ونقص عياره قيراطاً ودفع المصلحة وسدد ما عليه من ثمن الذهب وقضى ديونه وكشوفية دار الضرب. فصارت الصيارف تتوقف فيه ويقولون ضرب الجيزة يعجز خمسة أنصاف فضة فنقمها محمد باشا على داود، فلما عاد إلى المنصب في واقعة جركس وذي الفقار قبض عليه وقتله، وذلك في أواخر جمادى الآخرة سنة 1138.

ومات الأمير أحمد بك الأعسر وهو من مماليك إبراهيم بك أبي شنب القاسمي تقلد الإمارة والصنجقية في عشرين شهر شوال 1123 وتلبس بعده مناصب مثل جرجا والبحيرة والدفتر دارية وعزل عنها، وهو خشداش جركس، وعضده وخرج معه من مصر ولما ذهب جركس إلى بلاد الإفرنج تخلف عنه وأقام عند العرب ونزل عند ابن غازي بناحية درنة. فلما وصل الحاج المغربي أرسل معهم ثلاثة من مماليكه وأرسل معهم مكاتيب ومفاتيح إلى ولد وذكر له أنه يتوجه إلى رجل سماه له. فلما وصلت السفينة التي نزلوا بها أعلم القبطان سردار مستحفظان فقبض عليهم وأرسل بخبرهم إلى باب مستحفظان، فأخبروا الباشا فأحضروا إلى الشرطة وأمره بإحضار ابن أحمد بك الأعسر، فأحضره فأمر بحبسه بالعرقانة فحبسوه وعاقبوه، فأقر بأن المال عند ابن درويش المزين وهو كان مزين إبراهيم بك أبي شنب، فأرسلوا إليه وهجموا عليه ليلاً وأخذوا كل ما في داره ووجدوا عنده ثلاثة صناديق للأعسر، ثم نفوا بعد ذلك ابن أحمد بك إلى دمياط، ولم يزل أحمد بك ينتقل مرة عند عرب درنة ومرة عند الهوارة بالصعيد وكذلك باقي جماعة جركس وخشداشينه، حتى رجع إليهم جركس وخرجت إليهم التجاريد، وقتل في الحرب سنة 1143.

ومات الأمير مصطفى بك الدمياطي، قلده الصنجقية ذو الفقار بك بعد هروب محمد بك جركس وولاه جرجا، وكان يقال له مصطفى الهندي فلما نزل إلى جرجا وكان بها سليمان بك القاسمي، عدى سليمان بك إلى البر الشرقي تجاهه، وصار كل يوم يعمل نشانا ويضرب الجرة، فلم يتجاسر مصطفى بك على التعدية وكان غالب أتباع مصطفى بك وطوائفه قاسمية من أتباع المقتولين، فراسلهم سليمان بك وراسلوه سراً ثم أتفقوا على قتل مصطفى بك فقتلوه وغدروه ليلاً وأخذوا خزانته وما أمكنهم من متاعه، وعدوا إلى سليمان بك وأنضموا إليه. فلما أصبح مماليكه وخاصته وجدوا سيدهم مقتولاً فغسلوه وكفنوه ودفنوه. وكتب كتخداه بذلك إلى ذي الفقار بك، فلما وصل إليه الجواب أرسل إليه بالحضور بمخلفاته ومماليكه المشتروات، ففعل ذلك وقلد عوضه حسن كاشف من أتباعه الصنجقية وولاية جرجا فأرسل قائمقامه، ثم جهز أموره ونزل إلى منصبه.

ومات سليمان بك القاسمي المذكور آنفاً وذلك أيه لما رجع محمد بك جركس وسار إلى ناحية القطيعة ثم أنتقل إلى جهة الغرب قبلي جرجا فأرسل إلى المترجم يطلبه للحضور إليه بمن معه من القاسمية، فعدى إليه بمن ذكر وصحبته قرا مصطفى أوده

باشا، فقابلوه وأرتحل معهم إلى بحري فبرز إليهم حسن بك وقتل كما ذكر وأستولى جركس على صيوانه ومطابخه وعازقه، وأرتحل جركس ومن معه إلى بحري وخرجت إليهم التجاريد وأميرها عثمان بك وعلي بك قطامش، فتلاقوا معهم بوادي البهنسا ووقعت بينهم الحروب. وكان مع جركس طوائف الزيدية وخلافهم، وأنجلت الحرب عن هزيمة المصريين، وأستولى جركس ومن معه على خيامهم ونزل جركس في وطاق عثمان بك وسليمان بك المترجم في وطاق علي بك ورجع المنهزمون إلى مصر، وزحف جركس ومن معه إلى ناحية دهشور وخرجت لهم التجريدة ونصبوا تجاههم فأصبح سليمان بك وتهيأ للركوب والمحاربة، فمنعه جركس وقال له: هذا اليوم ليس لنا فيه حظ. فقال له: كيف أصب على القعاد والراية البيضاء أمامي، ثم ركب وهجم على التجريدة وقتل أناساً كثيرا وشتتهم وأنحازوا خلف المتاريس، وردوه بالمدافع وبرزوا إليه مرتين، وهزمهم وفي الثالثة أصيب جواده برصاصة في فخذه فسقط إلى الأرض فتحلقت به طوائفه ومماليكه وذهب بعض الخدم ليأتي إليه بمركوب آخر وتابع الأخصام الرمي حتى تفرق من حوله ولم يبق معه سوى مملوك وآخر من الطوائف، فأصيب هو الطائفة فوقعا. فهجم عليه سالم بن حبيب وأخذوهما إلى الصيوان وقطعوا دماغهما ودفنوهما عند الشيمي، فلما وقع لسليمان بك ما وقع أرتحل جركس وسار نحو الجبل.

ومات قرا مصطفى جاويش وكان أوده باشا فلبسه جركس الضلمة في أيام رجب كتخدا مستحفظان سابقاً، ثم عمل كجك جاويش ونزل يجمع عرائد الباب من الوجه القبلي، فوقع بمصر ما وقع من حروب جركس وقتل رجب كتخدا والاقواسى فالتجأ إلى سليمان بك المذكور وعدى صحبه الشرق، فلما وقعت الحروب وقتل سليمان بك أجتمع إليه الطوائف القرابة ونزل بهم المراكب وساروا إلى قبلي فتبعه عثمان جاويش القازدغلي ليلاً ونهاراً حتى لحقه وهو راسي تحت أبي جرج، وكانت الأجناد الذين بصحبته طلعوا جهة الشرق قرابة من عدم القومانية، فقبضوا على مصطفى جاويش المذكور ومعه ثلاثة من الغزهب عثمان جاويش ما وجدوه في المراكب، وحضر إلى مصر فقطعوا رأس مصطفى جاويش المذكور ومن معه.

ومات الأمير ذو الفقار بك الفقاري وهو مملوك عمر أغا من أتباع بلغية قتل سيده المذكور بعد انفصال الفتنة الكبيرة. ولما طلع الأمير اسمعيل بك أثر ذلك إلى باب العزب وقتل حسن كتخدا برمق سرو أمر بقتل عمر أغا المذكور فقتلوه عند باب القلعة وأمر بقتل المترجم أيضاً، وكان إذ ذاك خازنداره فالتجأ إلى علي خازندار حسن كتخدا الخلفي وكان من بلده فحماه وخاصم أستاذه من أجله وخلص له نصف قمن العروس، وكانت لاستاذه، فأخرج له تقسيطها وأخذ النصف الثاني اسمعيل بك من المحلول وتصرف في كامل البلد ومات حسن كتخدا الجلفي، فانطوى المترجم إلى محمد بك جركس وترجاه كي استخلاص فائظه من اسمعيل بك، وكلمه بسببه مراراً فلم ينجح. وكلماخاطبه في أمره قطب وجهه وقال له: أما يكفيك أني تاركه حياء لأجل خاطرك فإن أردت قبول شفاعتك فيه أطرد الصيفي من بيتك وأرسل إلي بعد ذلك المذكور يحاسبني وأعطيه الذي له. فيسكت جركس، وضاق الحال بالمترجم من الفشل والأعدام فاستأذن جركس في غدر ابن ايواظ فقال أفعل ما تريد، فوقف له مع نظرائه بالرميلة وضربوا عليه الرصاص فلم يصيبوه، ووقع بسبب ذلك ما وقع لجركس، وأخرج من مصر ونفي إلى قبرص كما تقدم، وتغيب المترجم فلم يظهر حتى رجع جركس وظهر أمره ثانيا وعاد إلى طلب فائظه والألحاح على جركس بذلك وهو يسوفه ويعده ويمنيه ويعتذر له، إلى أن ضاق خناقه وعاد إلى حالة الغدر الأولى، وفعل ما تقدم من المخاطرة بنفسه

وقتله لابن ايواظ بمجلس كتخدا الباشا وكان إذ ذاك من آحاد الأجناد ولم يتقدم له إمارة ولا منصب، فعندها قلده الصنجقية وكشوفية المنوفية وأخذ من فائظ اسمعيل بك عشرين كيساً وأنضم إليه الكثير من فرقة الفقارية وحقد عليه القاسمية، وحضر رجب كتخدا ومحمد جاويش الداودية عند كركس وتذاكروا أمر ذي الفقار وأنهم نظروه وهو خارج بالموكب إلى كشوفية المنوفية ومعه عصبة الفقارية وامراؤهم، راكبين في موكبه مثل مصطفى بك بلغيه ومحمد بك أمير الحاج واسمعيل بك الدالي وقيطاس بك الأعور واسمعيل بك ابن سيده ومصطفى بك قزلار وغيرهم، وقالا له أن غفلنا عن هذا الحال قتلتنا الفقارية، فحركا فيه حمية الجاهلية وقتلا أصلان وقبلان بيد الصيفي وطلب من محمد باشا فرمانا بالتجريد على ذي الفقار فامتنع الباشا من ذلك، وقال: رجل خاطر بنفسه وفعل ما فعله باطلاعكم فكيف أعطيكم فرماناً بقتله. فتحامل جركس على الباشا وعزله وقلد محمد بك ابن أستاذه قائمقام وأخذ منه فرماناً وجهز التجريدة إلى ذي الفقار وكتب بذلك مصطفى بك بلغيه إلى ذي الفقار يخبره بما حصل، ويأمره بالإختفاء، ففعل ذلك وحضر إلى مصر واختفى أحمد أوده باشا المطر باز أياما وعند علي بك الهندي زيادة عن شهرين، وحصل له ما تقدم ذكره من حضور علي باشا والقبطان وقيام الايواظية والفقارية وظهور ذي الفقار ووقوع الحرب بينهم وبين محمد بك جركس، وخروجه من مصر وذهابه إلى بلاد الإفرنج ورجوعه وتجهيز ذي الفقار بك التجاريد إليه وهزمها وزحفه على مصر. وقد كان أوقع بالايواظية في غيبة جركس ما أوقعه من القتل والتشريد ما ذكرناه فلما قرب جركس من أرض مصر، راسل القاسمية سراً ومنهم سليمان أغا أبو دفية وهم إذ ذاك خاملون ومتغيبون ومختفون، وذو الفقار بك يفحص عنهم ويأمر الوالي والأغا والأوده باشة البوابه بالتجسس والتفتيش على كل من كان من القاسمية، وخصوصا يعسوبهم سليمان آغا المذكور. وقرب ركات جركس من مصر بعد ما كسر التجاريد وعدى إلى جهة الشرق وأشتد الكرب بذي الفقار وأجتهد في تحصين المدينة وأجلس أمراءه وصناجقه على الأبواب وفي النواحي والجهات ولازم أرباب الدرك والمقادم الطواف والحرس وخصوصاً بالليل وفتائل البندق مشعلة بالنار في الأزقة والشوارع،والقاسمية منتظرون الفرصة والوثوب من داخل البلدة. فلما راسل جركس سليمان أغا أبادفيه في الوثوب وأعمال الحيلة على قتل ذي الفقار بك بأي وجه أمكن، توافقوا فيما بينهم على وقت معين وأجتمع أبو دفية وخليل أغا تابع محمد بك قطامش وجمعوا إليهم ثلاثين أوده باشا من القاسمية وأعطاهم إلفا ومائتي جتزلي وأن يضم كل واحد منهم إليه عشرة أنفار ويقفوا متفرقين جهة باب الخرق وجامع الحين، وقت آذان العشاء، وجمع إليه خليل أغا نحو سبعين نفراً من القاسمية ولبسوا كملابس أتباع أوده باشه البوابه، ومن داخل

ثيابهم الأسلحة وبأيديهم النبابيت. ولبس خليل أغا ثيئة الأوده باشا وزيه، وكان شبيهاً به في الصورة وأخذوا معهم سليمان أغا أبادفيه وهو مغطى الرأس وبيده القرابينة ودخلوا إلى بيت ذي الفقار بك في كبكبة وهو يقولون قبضنا على أبي دفية وكان المترجم جالساً بالمقعد ومعه الحاج قاسم الشرايبي وآخرون، وهو مشمر ذراعيه يريد الوضوء لصلاة العشاء، فلما وقفوا بين يديه وقف على أقدامه وقال أين هو فقال خليل أغا ها هو وكشفوا رأسه، فأراد أن يكلمه ويوبخه فأطلق أبو دفية القرابينة في بطن الصنجق وأطلق باقي الجماعة ما معهم من الطبنجات فانعقدت الدخنة بالمقعد، فنط قاسم الشرايبي ومن معه من المقعد إلى الحوش ونزلوا على الفور فوجدوا سراجه المسمى بالشتوي فقتلوه في سلالم المقعد، وعلي بك المعروف بالوزير قتلوه أيضاً وهو داخل يظنونه مصطفى بك بلغيه، وإذا بعلي الخازندار يقول بأعلى صوته الصنجق طيب هاتوا السلاح وسمعه الجماعة

فكانت هذه الكلمة سببا لظهور الفقارية وانقراض القاسمية إلى آخر الدهر و لم يقم لهم بعدها قائم أبداً، فأنهم لما سمعوا قول الخازندار ذلك اعتقدوا صحته وتحققوا فساد طبختهم وخرجوا على وجوههم وتفرق جمعهم فذهب أبو دفية ويوسف بك الشرايبي وخليل أغا فاختفوا بمكان يوسف بك زوج هانم بنت ايواظ الذي هو مختفي فيه، وأربعة من أعيانهم اختفوا في دار عند مطبخ الأزهر وأما الجماعة المجتمعون بباب الخرق في أنتظار آذان العشاء فما يشعرون إلا بالكرشة في الناس، فتفرقوا واختفوا فلو قدر الله أنه أجتمع الواصلون والمجتمعون بباب الخرق وهم محرمون في صلاة التراويح لتم غرضهم وظهر شأن القاسمية، ولكن لم يرد الله بذلك. هم أن علي الخازندار أرسل إلى مصطفى بك بلغيه فحضر إليه بجمعه، وإذا برجل سراج من العصبة المتقدمة حضر إليهم وعرفهم بصورة الواقع ليأخذ بذلك وجاهة عندهم، فحبسوه إلى طلوع النهار فحضر عثمان جاويش القزدغلي ويوسف كتخدا البركاوي وعلي كتخدا الحلفي ومحمد بك قطامش وخليل أفندي جراكسة فغروا على الخازندار فقال علي الخازندار لمحمد بك قطامش: دم الصنجق عندك فإن القاتل لستاذنا مملوكك خليل أغا فقال: أنا طارده من يوم عزل من أغاوية العزب ووقت ما تجدوه إقتلوه، ثم أحضروا ذلك السراج بين أيديهم، وسأله عثمان جاويش فعرفه أنه ينكجرلاي فأرسلوه إلى الباب ليقرروه على أسماء المجتمعين ثم غسلوا الصنجق وكفنوه وصلوا عليه في مصلى المؤمنين ودفنوه بالقرافة، وطلعوا إلى القلعة وقلدوه الصنجقية وقلدوا أيضاً صالح كاشف بابع محمد بك قطامش وعزلوا محمد بك من إمارة الحج باستعفائه لعدم قدرته. وأرسلوا إلى خشداشة عثمان بك فحضر من التجريدة وسكن ببيت أستاذه، وسكن علي بك في بيت محمد أغا تابع اسمعيل باشا في الشيخ الظلام، وتزوج بزوجة سيده بعد ذلك وقطعوا فرماناً في اليوم الذي تقلد فيه علي بك الصنجقية بقتل القاسمية، ومات محمد بك جركس بعد موت ذي الفقار كما ذكر وحضر برأسه علي بك قطامش وذلك بعد موت ذي الفقار بك بخمسة أيام. وأنقضت دولة القاسمية وتتبعهم الفقارية بالقتل حتى أفنوهم وكان موت ذي الفقار وجركس في أواخر شهر رمضان سنة 1142، وكان الأمير ذو الفقار بك أميراً جليلاً شجاعاً بطلاً مهيباً كريم الأخلاق مع قلة أيراده وعدم ظلمه وكان يرسل اليلكات والكساوي في شهر رمضان لجميع الأمراء والأعيان والوجاقات، ويرسل لأهل العلم بالأزهر ستين كسوة ودراهم تفرق على الفقراء المجاورين بالأزهر، ومن أنشائه الجنينة والحوض ببركة الحاج والوكالة التي برأس الجودرية و لم يتمها.

ومات الأمير يوسف بك زوج هانم بنت ايواظ بك وتزوج بها بعد موت عبد الله بك واصل يوسف بك من مماليك ايوائ بك وقلده الإمارة والصنجقية اسمعيل بك، وعرف بالخائن لآنه لما هرب عنده رضوان بك خازندار جركس أخبر عنه وخفر ذمة نفسه وسلمه إليهم، فقتلوه فسماه أهل مصر الخائن. ولماحصل ما تقدم ذكره من قصة أجتماعهم وحديثهم في حال نشوتهم بمترل علي بك الأرمني، ونقل عنهم المملوك مجلسهم إلى علي بك الهندي، وأرسله علي بك إلى الأمير ذي الفقار والباشا، فنقل لهما ذلك وقتل الباشا علي بك الأرمني ومصطفى بك ابن ايواظ فاختفى المترجم وباقي الجماعة، و لم يزل في اختفائه إلى أن حضر رجل عطار إلى أغات مستحفظان وأخبره عن رجل من الفقهاء يأتي إلى الجزار بجواره ويأخذ منه كل يوم زيادة عن عشرة أرطال من اللحم الضاني، وكان من عادته أن لا يأخذ سوى رطلين في يومين، ولا بد لذلك من سبب بأن يكون عنده أناس من المطلوبين، فركب الأغا والوالي إلى ذلك البيت فوجدوا به امرأتين عجوزتين وعندهم حلل وقصاع ومعالق وليس

بالبيت فراش ولا متاع، فطلعوا إلى أعلى المكان نزلوا أسفله فلم يجدوا شيئا، فنزل الأغا وهو يشتم العطار وأراد ضربه وإذا بشخص من الأجناد أراد أن يزيل ضرورة في ناحية فلاح له رأس إنسان في مكان متسفل مظلم، فلما رأى ذلك الجندي خبأ رأسه وانزوى إلى داخل فأخبر الأغا فأوقدوا الطلق وإذا بشخص صاعد من المحل وبيده سيف مسلول وهو يقول طريق، فتكاثروا عليه وقتلوه ونزلوا بالطلق إلى اسفل، فوجدوا يوسف بك المترجم ومعه شخصان فقبضوا عليهم وأنعم الأغا على العطار وأخذهم إلى الباشا فأرسلهم إلى عثمان بك ذي الفقار فضربوا رقابهم تحت المقعد.

ومات كل من الأمير محمد بك جركس الصغير، وأخ محمد بك الكبير، وذلك أنه لما أنقضى أمر محمد بك جركس الكبير اختفى المذكوران ودخلا إلى مصر متنكرين واختفيا في بيت رجل من أتباعهما بخطة القبر الطويل، ومعهما مملوكان. فأخلى لهم البيت وباع الخيل وشال العدد وأتى إلى أغات الينكجرية فأخبره فأرسل الأغا والوالي والأوده باشا وحضروا إليهم فرموا عليهم بالرصاص من الجانبين وكامنوهم إلى الليل، وحضر علي بك مصطفى بك بلغيه فنقب عليهم مصطفى بك من بيت إلى بيت حتى وصل إليهم، وأوقدا ناراً من أسفل المكان الذي هم فيه فأحسوا بذلك ففر أحد المملوكين هرب، وقتل الثاني برصاصة وقبضوا على الاثنين وقتلوهما ودفنوهما.

ومات الأمير خليل أغا تابع محمد بك قطامش أغات العزب سابقاً، وهو الذي أنتدب العمل المتصف المتقدم ذكره، وتزيا بزي أوده باشا البوابة ودخل إلى بيت الأمير ذي الفقار وقت آذان العشاء ومعه سليمان أبو دفية وقتلوا ذا الفقار بك كما تقدم. ثم كانت الدائرة عليهم واختفوا ثم وقعوا بخازنداره بالخليج فقبضوا عليه وسجنوه وقرروه، فأقر على سيده وغيره، فقبضوا على خليل أغا من المكان الذي كان مختفياً فيهوكان بصحبته يوسف بك الشرايبي وسليمان أغا أبو دفية. ففي ذلك الوقت قال أبو دفية: قوموا بنا من هذا المكان فإن قلبي يختلج. فقال يوسف الشرايبي: وأنا كذلك. فتقنعا وخرجا وأستمر خليل أغا في محله حتى وصلوا إليه في ذلك اليوم كما ذكر، وأخذه الأغا إلى بيت علي بك ذي الفقار فأرسله إلى الباشاوأرسله الباشا إلى عثمان بك فرمى دماغه تحت المقعد، وكذلك عثمان أغا الرزاز وغيره. وأما أبو دفية فانه لم تقنع هو ويوسف الشرايبي وخرجا وتفرقا، فذهب أبو دفية إلى بيت مقدمه ولبس زي بعض القواسة، وركب فرسه ووضع له أوراقاً في عمامته وخرج في وقت الفجر إلى جهة الشرقية، وذهب مع القافلة إلى عزة ثم إلى الشام وسافر إلى اسلامبول. وخرج في السفر وذهب إلى عند الترخان فأعطاه منصباً وعمله مرزةوتزوج بقونية، ولم يزل هناك حتى مات. وأما يوسف بك الشايبي فذهب إلى دار بالأربكية وخفى أمره ومات بعد معد ولم يعلم له خبر.

ومات عبد الغفار أغا بن حسن أفندي، وقد تقدم أنه تقلد في أيام ابن ايواظ أغاوية المتفرقة بموجب مرسوم ورد من الدولة بذلك، وسببه أن حسن أفندي والده كان له يد وشهرة في رجال الدولة، وكان من يأتي منهم إلى مصر يترددون إليه في منزله ويهادونه ويهاديهم، فاتفق أنه أهدى إلى السلطنة عبدا طواشياً فترقى هناك وأرسل إلى ابن سيده مرسوماً بأغاوية المتفرقة، وذلك في سنة 1135 بعد موت والده وألبسه الباشا قفطاناً بذلك، وعند ذلك من النوادر التي لم يسبق نظيرها، ووقع بذلك فتنة في البلكات تقدم الألماع يذكر بعضها والتجأ المترجم إلى ابن ايواظ، وهرب من الباب،ولحديث قتله نبأ غريب، وذلك أنه في أثناء تتبع القاسمية وقتلهم ورد مكتوب من كتخدا الوزير إلى عبد الله باشا الكبورلي بالوصية على عبد الغفار أغا فقال الباشا

لكتخدا الجاويشية: عندكم إنسان يسمى عبد الغفار أغا قال له: نعم كان أغات متفرقة، ثم عمل أغات عزب وعزل. فقال: أرسل إليه بالحضور. فخرج كتخدا الجاويشية وأخبر محمد بك قطامش الدفتر دار، فقال: أرسل إليه وأطلبه للحضور. وطلب الوالي فقال له: إذا أنقضى أمر الديوان فأنزل إلى باب العزب وأجلس هناك وأنتظر عبد الغفار أغا وهو نازل من عند الباشا فاركب وسر خلفه حتى يدخل إلى بيته فاعبر عليه وأقطع رأسه. فلما أحضر المترج صحبة الجاويش ودخل إلى الباشا وصحبته كتخدا الجاويشية وعرف الباشا عنه وتركه وخرج وانقضى الديوان وحضر الغداء، فأشار إلى عبد الغفار أغا فجلس وأكل صحبته وحادثه الباشا فقال له: أنت لك صاحب في الدولة؟ قال: نعم، كان لأبي صديق من أغوات عابدي باشا، وكان شهر حوالة وبلغني أنه الأن كتخدا الوزير، وكان أشترى جارية ووضعها عندنا في مكان فكان يترل ويبيت عندنا، ولما عزل عابدي باشا أخذها وسافر فهو إلى الآن يودنا ويراسلنا بالسلام. فقال له الباشا: أنه أرسل يوصينا علييك فانظر ما تريد من الحوايج أو المناصب.فقال: لا أريد شيئاً ويكفيني نظركم ودعاؤكم. وأخذ خاطر الباشا ونزل إلى داره فلما مر بباب العزب ركب الوالي ومشى في أثره ولم يزل سائراً خلفه حتى دخل إلى البيت ونزل من على الحصان بسلم الركوبة، وكان بيته بالناصرية، فعند ذلك قبضوا عليه وأخذوا عمامته وفروته وثيابه وسحبوه إلى الإسطبل فقطعوا رأسه وأخذها الوالي مع الحصان وأتى بهما إلى بيت محمد بك قطامش، فصرخت والدته وزوجته وجواريه وتقنعن وطلعن إلى القلعة صارخات فقال الباشا: ما خبر هذا الحريم؟ فقالت والدته: حيث أن الباشا أراد قتله كان يفعل به ذلك بعيدا عنا فتعجب الباشا وقام من مجلسه وخرج إلى ديوان قايتباي واستخبرهن فأخبرته بما حصل فاغتم غماً شديداً وطلب الوالي وأمر برجوع الحوايج والرأس وأعطاهن كفنا ودراهم وأعطى والدته فرماناً بكامل ما كان تحت تصرفه من غير حلوان،ونزلت الأغوات والنساء فأخذوا الرأس والثياب وغسلوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه. ولما طلع محمد بك قطامش إلى الديوان قال له الباشا: تقتلون الأغوات في بيوتهم من غير فرمان. فقال: لم نقتله إلا بفرمان، فإنه كان من جملة الثلثمائة المتعصبين على قتل اخينا ذي الفقاربك وعزل الباشا الوالي وقلد خلافه في الزعامة وكان المترجم آخر من قتل من القاسمية المعروفين رحمه الله، وكان عند المترجم سبعة مماليك من مماليك محمد بك بن أبي شنب فبلغ خبرهم محمد بك قطامش فأرسل من أخذهم من عنده قبل كائنته بنحو ثمانية أيام.

في ذكر حوادث مصر ابتداء من سنة 1143

في ذكر حوادث مصر وولاتها وتراجم أعيانها ووفياتهم ابتداء من سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف ووجهه أن بهذا التاريخ كان انقراض فرقة القاسمية وظهور أمر الفقارية، وخلع السلطان أحمد من السلطنة وولية السلطان محمود خان ووالي مصر إذ ذاك عبد الله باشا الكبورلي بباء معطشة فارسية، نسبة إلى كبور بلد بالروم، وحضر إلى مصر في السنة الخالية وكان من أرباب الفضائل وله ديوان شعر جيد على حروف المعجم ومدحه شعراء مصر لفضله وميله إلى الأدب، وكان إنسانا خيراً صالحاً منقاداً إلى الشريعة إبطل المنكرات والخمامير ومواقف الخواطيء والبوظعن بولاق وباب اللوق وطولون ومصر القديمة وجعل للوالي والمقدمين عوضاً عن ذلك في كل شهر كيساً من كشوفيات الباشاوات وكتب بذلك حجة شرعية وفيها لعن كل من تسبب في رجوع ذلك. ووصل الأمر بالزينة في أيامه لتولية السلطان محمود، وكان الوقت غير قابل لذلك، فعملوا شنكاً ومدافع بالقلعة.

عزل عبد الله باشا وتولية عثمان باشا الحلبي

وعزل عبد الله باشا المذكور أواخر سنة أربع وأربعين ومائة وألف وأمراء مصر في هذا التاريخ محمد بك قطامش وتابعه علي بك قطامش، وعثمان جاويش القازدغلي ويوسف كتخدا البركاوي وعبد الله كتخدا القازدغلي وسليمان كتخدا القازدغلي وحسن كتخدا القازدغلي ومحمد كتخدا الداودية وعلي بك ذو الفقار وعثمان بك ذو الفقار خشداشة. ووصل مسلم محمد باشا السلحدار فأخبر بولاية محمد باشا السلحدار، وقدم من البصرة سنة 1145 ونزل عبد الله باشا إلى بيت شكريه وأستمر محمد باشا واليا على مصر إلى سنة ست وأربعين، ثم عزل وتولى عثمان باشا الحلبي ووصل المسلم بقائمقامية إلى علي بك ذي الفقار فطلع إلى الديوان ولبس القفطان من عثمان باشا، ونزل إلى بيته وحضر إليه الأمراء وهنوه، وخلع علي اسمعيل بك أبي قلنج أمين السماط ووصل عثمان باشا إلى العريش، وتوجهت إليه الملاقاة وأرباب الخدم وحضر إلى العادلية وعملوا له شنكا وطلع إلى القلعة وخلع الخلع وورد قابجي باشا بالسكة وأبطال سكة الذهب الفندقلي وضرب الزر محبوب كامل وصرفه مائة نصف فضة وعشرة أنصاف، وكذلك سكة النصف محبوب وصرفه خمسة وخمسون، وزاد في الفندقلي الموجود بأيدي الناس أثني عشر نصف فضة، فصار يصرف بمائة نصف وستة وأربعين نصفاً، وحضر مرسوم أيضاً بتعيين صنجق للوجه القبلي بتحرير النصارة واليهود وما عليهم من الجزية في كل بلد العال أربعمائة نصف وعشرون نصفاً والوسط مائتان وسبعون والدون مائة. فتشاوروا فيمن يترل بصحبته الأغا والكاتب من الأمراء الصناجق لتحرير بلاد قبلي، فقال حسين بك الخشاب: أنا مسافر بمنصب جرجا ويترل بصحبتي الأغا المعين وأنظروا من يذهب إلى بحري. فقال محمد بك قطامش: كل إقليم يتقيد بتحريره الكاشف المتولي عليه ومعه الأغا والكاتب فاتفق الرأي على ذلك.

وفي أيامه عمل اسمعيل بك بن محمد بك الدالي مهما لزواج ولده ودعا عثمان باشا إلى مترله الذي ببركة الفيل، وعندما حضر

الباشا وأستقر به الجلوس وضع بين يديه منديلاً فيه ألف دينار برسم تفرقة البقاشيش على الخدم وأرباب الملاعيب، وقدم له تقادم خيول وهدايا وجودا مرختا وذلك في شعبان سنة 1147.

ومن الحوادث في أيامه أن في أوائل رمضان سنة تاريخه ظهر بالجامع الأزهر رجل تكروري وأدعى النبوة فأحضروه بين يدي الشيخ أحمد العماوي، فسأله عن حاله فأخبره أنه كان في شربين، فترل عليه جبريل وعرج به إلى السماء ليلة سبع وعشرين رجب، وأنه صلى بالملائكة ركعتين وأذن له جبريل ولما فرغ من الصلاة أعطاه جبريل ورقة وقال له أنت نبي مرسل، فأنزل وبلغ الرسالة وأظهر المعجزات. فلما سمع الشيخ كلامه قال له أنت مجنون فقال لسب بمجنون وأنما أنا نبي مرسل فأمر بضربه فضربوه وأخرجوه من الجامع. ثم سمع عثمان كتخدا فأحضره وسأله فقال مثل ما قاله للشيخ العماوي فأرسله إلى المارستان، فأجتمع عليه الناس والعامة رجالاً ونساء ثم أنهم أخفوه عن أعين الناس، ثم طلبه الباشا فسأله فأجابه بمثل كلامه الأول، فأمر بحبسه في العرقانة ثلاثة أيام، ثم أنه جمع العلماء في منتصف شهر رمضان وسألوه فلم يتحول عن كلامه، فأمروه بالتوبة فأمتنع وأصر على ما هو عليه، فأمر الباشا بقتله فقتلوه بحوش الديوان وهو يقول: فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، ثم أنزلوه وألقوه بالرميلة ثلاثة أيام.

من الحوادث الغريبة

في أيامه أيضاً أن في يوم الأربعاء رابع عشري الحجة آخر سنة 1147 أشيع في الناس بمصر بأن القيامة قائمة يوم الجمعة سادس عشري الحجة، وفشا هذا الكلام في الناس قاطبة حتى في القرى والأرياف، وودع الناس بعضهم بعضاً ويقول الإنسان لرفيقه: بقي من عمرنا يومان، وخرج الكثير من الناس والمخاليع الغيطان والمنتزهات ويقول بعضهم لبعض دعونا نعمل حظاً ونودع الدنيا قبل أن تقوم القيامة. وطلع أهل الجيزة نساء ورجالاً وصاروا يغتسلون في البحر. ومن الناس من علاه الحزن وداخله الوهم، ومنهم من صار يتوب من ذنوبه ويدعو ويبتهل ويصلي، وأعتقدوا ذلك، ووقع صدقه في نفوسهم. ومن قال لهم خلاف ذلك أو قال هذا كذب لا يلتفتون لقوله ويقولون هذا صحيح وقال فلان اليهودي فلان القبطي وهما يعرفان في الجفور والزايرجات ولا يكذبان في شيء يقولانه. وقد أخبر فلان منهم على خروج الريح الذي خرج في يوم كذا، وفلان ذهب إلى الأمير الفلاني وأخبره بذلك وقال له أحبسني إلى يوم الجمعة، وأن لم تقم القيامة فأقتلني ونحو ذلك من وساوسهم وكثر فيهم الهرج والمرج إلى يوم الجمعة المعين المذكور. فلم يقع شيء. ومضى يوم الجمعة وأصبح يوم السبت فانتقلوا يقولون فلان العالم قال أن سيدي أحمد البدوي والدسوقي والشافعي تشفعوا في ذلك وقبل الله شفاعتهم. فيقول الآخر: اللهم أنفعنا بهم فأننا يا أخي لم نشبع من الدنيا وشارعون نعمل حظاً ونحو ذلك من الهذيانات. وأقام عثمان باشا في ولاية مصر إلى سنة 1148 فكانت مدة ولايته بمصر سنة واحدة وخمسة أشهر.

ولاية باكير باشا

وتولى بعده باكير باشا وهي ولايته الثانية، فقدم من جدة إلى السويس من القلزم، لأنه كان واليا عليها بعد انفصاله من مصر فقدم يوم السبت رابع عشري شوال سنة 1147 ولما ركب بالموكب كان خلفه من أتباعه نحو الثلاثين خيالاً ملبسة بالزروخ المذهبة، وله من الأولاد خمسة ركبوا أماه في الموكب، وصرخت العامة في وجهه من جهة فساد المعاملة وهي الأخشا والمرادي والمقصوص والفندقلي، فإن الاخشا صار بستة عشر جديد والمرادي بأثني عشر والمقصوص بثمانية جدد، وصار صرف الفندقلي بثلثمائة نصف والجترلي بمائتين، وغلت بسبب ذلك الأسعار وصار الذي كان بالمقصوص بالديواني فلم يلتفت الباشا لذلك. في شهر القعدة ورد أغا وعلى يده مرسوم بطلب سفر ثلاثة آلاف عسكري لمحافظة بغداد، وأن يكون العسكر من أصحاب العتامنة ولا يرسلوا عسكرا من فلاحي القليوبية والجيزة والبحيرة وشرق أطفيح والمنصورة، فقلدوا أمير السفر مصطفى بك اباظة حاكم جرجا سابقاً وسافر حسن بك الدالي بالخزينة وأرتحل من العادلية في منتصف هر الحجة، وكان خروجه بالموكب في أوائل رجب. فأقام خارج القاهرة نحو خمسة أشهر وثمانية عشر يوماً وأوكب مصطفى بك بموكب السفر يوم الخميس خامس الحجة وسافر في المحرم سنة ثمان وأربعين.

وفي عاشر الحجة يوم الأضحية قبل آذان العصر، خرجت ريح سوداء غربية أظلمت منها الدنيا وحجبت نور الشمس، فغرق منها مراكب وسقطت أشجار ومن جملتها شجرة جميز عظيمة بناحية الشيخ، فمر وهدمت دورا قديمة وشجرة اللبخة بديوان مصر القديمة، ثم أعقبها بعد العشاء مطرة عظيمة ووصل أيوب بك أمير سفر العجم وطلع إلى الديوان ألبسه الباشا قفطان القدوم والسدادة وأصحاب الدركات وكانت مدة غيابه سنتين وثلاثة أشهر.

وفي أيامه ورد أغا وعلى يده مراسيم وأوامر منها أبطال مرتبات الأولاد والعيال، ومنها أبطال التوجيهات، وأن المال يقبض إلى الديوان ويصرف من الديوان، وأن الدفاتر تبقى بالديوان ولا تترل بها الأفندية إلى بيوهم. فلما قرئ ذلك قال القاضي أمر السلطان لا يخالف ويجب أطاعته. فقال الشيخ سليمان المنصوري يا قاضي الإسلام هذه المرتبات فعل نائب السلطان وفعل النائب كفعل السلطان وهذا شيء جرت به العادة في مدة الملوك المتقدمين وتداولته الناس وصار يباع ويشرى ورتبوه على خيرات ومساجد وأسبلة ولا يجوز أبطال ذلك وإذا بطل بطلت الخيرات وتعطلت الشعائر المرصد لها ذلك، فلا يجوز لأحد يؤمن بالله ورسوله أن يبطل ذلك وأن أمر ولي الأمر بأبطاله لا يسلم له ويخالف أمره، لأن ذلك مخالف للشرع ولا يسلم للأمام في فعل ما يخالف الشرع ولا لنائبه أيضاً. فسكت القاضي فقال الباشا هذا يحتاج إلى المراجعة ثم قال الشيخ سليمان: وأما التوجيهات ففيها تنظيم وصلاح وأمر في محله، وانفض الديوان على ذلك وكتب الشيخ عبد الله الشبراوي عرضاً في شأن المرتبات من إنشائه ولولا خوف الإطالة أسطرته في هذا المجموع، ثم أنهم عملوا مصالحة على تنفيذ ذلك، فجعلوا على كل عثماني نصف جترلي وحضروا المرتبات في قائمقامية إبراهيم بك أبي شنب وابن درويش بك وقطامش وعلي بك الصغير تابع ذي الفقار بك من سنة ثلاثين فبلغت ثمانية وأربعين ألف عثماني، فكانت أربعة وعشرين ألف جترلي، فقسموها بينهم وأرسلوا إلى عثمان بك ورضوان بك ألف جترلي فأبيا من قبولها، وقالا هذه دموع الفقراء والمساكين فلا نأخذ منها شيئاً، فإن رجع رد الجواب بالقبول كانت مظلمة، وأن جاء بعدم القبول كانت مظلمتين.

الطاعون

ووقع الطاعون المسمى بطاعون كو ويسمى أيضاً الفصل العائق يأخذ على الرائق، ومات به كثير من الأعيان وغيرهم بحيث مات من بيت عثمان كتخدا الغازدغلي فقط مائة وعشرون نفساً، وصارت الناس تدفن الموتى بالليل في المشاعل. ووقع في أيامه الفتنة التي قتل فيها عدة من الأمراء، وسببها أن صالح كاشف زوج هانم بنت ايواظ بك كان ملتجئاً إلى عثمان بك ذي الفقار، وتزوج ببنت ايواظ بك بعد يوسف بك الخائن، وكان من القاسمية فحرضته على طلب الإمارة والصنجقية وتأخذ له فائظ عشرين كيساً، وكلم عثمان بك في شأن ذلك فوعده ببلوغ مراده وخاطب محمد بك قيطاس المعروف بقطامش، و هو إذ ذاك كبير القوم في ذلك، فلم يجبه وقال له: تريد أن تفتح بيتاً للقاسمية فيقتلونا على غفلة هذا لا يكون أبداً ما دمت حياً. وكان عثمان بك المذكور أخذ كشوفية المنصورة فانزل فيها صالح كاشف قائمقام، فلما كمل السنة ورجع تحركت الهمة إلى طلب الصنجقية، وعاود عثمان بك في الخطاب، وهو كذلك تكلم مع محمد بك، فصمم على الامتناع فوقع على الأغوات والاختيارية فلم يجب و لم يرض ووافقه على الأمتناع علي بك تابع المذكور وخليل أفندي، فذهب صالح كاشف إلى عثمان كتخدا القازدغلي وأتفق معه على قتل الثلاثة، وقال له: أعمل تدبير في قتلهم فذهب إلى رضوان بك أمير الحاج سابقاً وسليمان بك الفراش فاتفق معهما على قتل الثلاثة في بيت محمد بك الدفتر دار باطلاع باكير باشا. وعرفوا محمد بك بذلك، فرضي وكتب فرمانا بالجمعية في بيت الدفتر دار بسبب الحلوان والخزينة. فركبوا بعد العصر إلى بيت محمد بك قطامش وركبوا معه إلى بيت الدفتر دار وصحبتهم علي بك وصالح بك وخليل أفندي وأغات الجملية وعلي صالح جربجي واختيار من الأسباهية ويوسف كتخدا البركاوي، وحضر عثمان بك ذو الفقار وعثمان كتخدا القازدغلي وأحمد كتخدا الخربطلي وكتخدا الجاويشية وأغات المتفرقة وعلي جلبي الترجمان. فلما تكاملت الجمعية أمر محمد بك قطامش بكتابة عرضحال وقال للكاتب أكتب كذا وكذا، فطلعة إلى خارج وصحبته كتخدا الجاويشية ومتفرقة باشا وجلس يكتب في العرض وقد قرب الغروب فأرادوا الانصراف، فوقف الدفتر دار وقال: هاتوا شربات. وكان ذلك القول هو الإشارة مع صالح كاشف وعثمان كاشف ومملوك سليمان بك. ففتحوا باب الخزانة وخرج منها جماعة بطرابيش وهم شاهرون السلاح. فوقف محمد بك قطامش على أقدامه وقال: هي خونة، فضربه الضارب بالقرابينة في صدره، ووقع الضرب وهاج المجلس في دخنة البارودة وظلام الوقت، فلم يعلم القاتل من المقتول، وعندما سمع كتخدا الجاويشية أول ضربة وهو جالس مع الأفندي الكاتب نزل مسرعاً وركب، وعلي الترجمان ألقى بنفسه

من شباك الجنينة، وعثمان بك ذو الفقار أصابه سيف فقطع شاشه وقاووقه، ودفعه صالح كاشف فنجا بنفسه إلى أسفل، وركب حصان بعض الطوائف وخرج من باب البركة، وأصيب باش اختيار مستحفظان البرلي بجراحة قوية، فأرسلوه إلى منزله ومات بعد ثلاثة أيام. ثم أوقدوا الشموع وتفقدوا المقتولين وإذا هم محمد بك قطامش وعلي بك تابعه وصالح بك وعثمان بك كتخدا القازدغلي وأحمد كتخدا الخربطلي ويوسف كتخدا البركاوي وخليل أفندي وأغات الجملية وعلي صالح جربجي والأسباهي تتمة عشرة وباش اختيار الذي مات بعد ذلك في بيته. فعروا المقتولين ثيابهم وقطعوا رؤوسهم وأتوا بهم جامع السلطان حسن فوجدوه مغلوقاً فأحرقوا ضرفة الباب الذي جهة سوق السلاح ووضعوا الرؤوس العشرة على البسطة ووضعوا عند كل رأس شيئاً من التبن، وظنوا أنهم غالبون. وطلع صالح كاشف إلى الباشا من باب الميدان فخلع عليه الصنجقية فطلب

منه دراهم يفرقها في العسكر المجتمعين إليه، فقال له: أنزل لأشغالك وأنا أرسل إليك ما تطلب. فنزل إلى السلطان حسن فوجد محمد كتخدا الداودية حضر باتباعه وجماعته هناك بظن أنهم غالبون، وعندما بلغ الخبر سليمان كتخدا الجلفي ركب في جماعة بعد المغرب وطلع إلى باب العزب، وكان كتخدا الوقت إذ ذاك أحمد كتخدا إشراق يوسف كتخدا البركاوي، فطرق الباب فقال التفكجية: من هذا؟ فعرفهم عن نفسه، فقال الكتخدا: قولوا له: أنت توليت الكتخدائية وتعرف القانون وأن الباب لا يفتح بعد الغروب، فإن كان له حاجة يأتي في الصباح. وأما عثمان بك فإنه لما خرج من باب البركة وشاشه مقطوع لم يزل سائر إلى باب الينكجرية فوجده ملآن جاويشية وواجب رعايا ونفر، وطلع عندهم عمر جلبي بن علي بك قطامش فأخذه حسن جاويش النجدلي ومعه طائفة وطلع به إلى الباشا بعد نزول صالح كاشف، فخلع عليه صنجقية أبيه وأعطاه فرماناً بالخروج من حق الذين قتلوا الأمراء وحرقوا باب المسجد ونزل فرد على كتخدا الوقت وصحبته حسن جاويش النجدلي ومعهم بيرق وأنفار وواجب رعايا من المحجر خلف جامع المحمودية وبيت الحصري وزاوية الرفاعي. وكانت ليلة مولده وهي أول جمعة في شهر رجب سنة 1149 فعملوا متريز على باب الدرب قبالة باب السلطان حسن وضربوا عليها بالرصاص، وكذلك من باب العزب وبيت الأغا وكان أغات العزب عبد اللطيف أفندي روزنامجي مصر سابقاً. وأما صالح بك فإنه أنتظر وعد الباشا فلم يرسل له شيئاً فاخذ رضوان بك وعثمان كاشف ومملوك سليمان بك واختفوا في خان الخليلي واختفى أيضاً محمد بك اسمعيل ومحمد كتخدا الداودية ندم على ما فعل، فركب بجماعته وذهب إلى بيت مصطفى بك الدمياطي فوجده مقفولاً. فطرق الباب فلم يجبه أحد، فذهب إلى بيت إبراهيم بك بلغيه ودخل هناك،ولما بطل الرمي من السلطان حسن هجم حسن جاويش فلم يجد به أحداً، ولما طلع النهار ذهبوا إلى بيت الدفتر دار فنهبوه ونهبوا أيضاً بيت رضوان بك وذهبوا إلى سليمان بك قتلوه وقطعوا رأسه ونهبوا البيت وأتوا إلى الباب. ثم أن السبع وجاقات اجتمعوا في بيت علي كتخدا الجلفي وقالوا له: أنت بيت سر يوسف كتخدا البركاوي ولا يفعل شيئاً إلا باطلاعك، وعندك خبر بقتل أمرائنا وأعياننا والشاهد على ذلك مجيء خشداشك سليمان كتخدا بعد المغرب بطائفته، يملك باب العزب، فحلف بالله العظيم لم يكن عنده خبر بشيء من ذلك، ولا بمجيء سليمان كتخدا إلى الباب، ولكن أي شيء جاء بمحمد كتخدا الداودية إلى السلطان حسن. ثم أنهم أنزلوا باكير باشا وعزلوه وطيبوا عليه حلوان بلاد المقتولين، وكتبوا عرض محضر وسفروه صحبة سبعة أنفار. فحضر مصطفى أغا أمير أخور كبير ومعه مرسوم من الدولة بضبط متروكات المقتولين فمكث بمصر شهرين، ثم ورد أمر بولايته على مصر وتوجيه باكير باشا إلى جدة.

تولية مصطفى باشا وسليمان باشا الشامي

فتولى مصطفى باشا فأقام والياً بمصر إلى سنة 1152

وتولى بعده سليمان باشا الشامي الشهير بابن العظم ولما أستقر في ولاية مصر أراد إيقاع فتنة بين الأمراء فضم إليه عمر بك ابن علي بك قطامش فأرسل إليه من يأمنه على سره، واتفق معه على قتل عثمان بك ذي الفقار وإبراهيم بك قطامش وعبد الله كتخدا القازدغلي وعلي كتخدا الجلفي، وهم إذ ذاك أصحاب الرياسة بمصر. ووعده نظير ذلك إمارة مصر والحاج وأن يعطيه من بلادهم فائظ عشرين كيساً، فجمع عمر بك خليل أغا وأحمد كتخدا عزبان وإبراهيم جاويش قازدغلي واختلى بهم

وعرفهم بالمقصود، وتكفل أحمد بقتل علي كتخدا وخليل أغا بعثمان بك وإبراهيم جاويش بعبد الله كتخدا. وإذا انفرد إبراهيم بك أخذوه بعد ذلك بحيلة وقتلوه في الديوان. ثم أن أحمد كتخدا أغرى بعلي كتخدا الاظ إبراهيم فقتل علي كتخدا عند بيت أقبري وهو طالع إلى الديوان، وبلغ الخبر عثمان بك فتدارك الأمر وفحص عن القضية حتى أنكشف له سرها وعمل شغله وقتل أحمد كتخدا. وعندما قتل علي كتخدا ظن الباشا تمام المقصد، فأراد أن يملك باب الينكجرية بحيلة، وأرسل مائتي تفكجي ومعهم مطرجي وجوخدار وهم مستعدون بالأسلحة، فمنعهم التفكجية من العبور وطلب الكتخدا شخصين من أعيانهم يسألهما عن مرادهم. فقالا: أن الباشا مقصر في حقنا و لم يعطنا علائفنا. فأرسل معهم باش جاويش بالسلام على الباشا من الاختيارية والوصية بهم، فقبل ذلك و لم يتمكن من مراده. ثم أن حسين بك الخشاب طلع إلى باب العزب وتحيل في نزول أحمد كتخدا من الباب وملك هو الباب. واجتمعوا بعد ذلك وأمروا الباشا بالتزول إلى قصر يوسف. فركب وأراد أن يدخل إلى باب الينكجرية فرفعوا عليه البنادق فدخل إلى قصر يوسف فوجده خراباً فأخذ حسن جاويش النجدلي خاطر الينكجرية على نزوله ببيت الأغا، وانتقل الأغا إلى السرجي فأقام الباشا إلى أن نزل ببيت البيرقدار وسافر بعد ذلك فكانت ولايته على مصر إلى شهر جمادى الأولى سنة 1153.

تولية الوزير علي باشا

ثم تولى بعده الوزير علي باشا حكيم أوغلي وهي توليته الأولى بمصر فدخل مصر في شهر جمادى الأولى سنة ثلاث وخمسين ومكث إلى عاشر جمادى الأولى سنة 1154، ونزل سليمان باشا إلى بيت البيرقدار وعمل علي باشا أول ديوان بقراميدان، بحضرة الجم الغفير، وقرئ مرسوم الولاية بحضرة الجميع. ثم قال الباشا أنا لم آت إلى مصر لأجل إثارة فتن بين الأمراء وأغراء ناس على ناس، وإنما أتيت لأعطي كل ذي حق حقه وحضرة السلطان أعطاني المقاطعات وأنا أنعمت بها عليكم، فلا تتعبوني في خلاص المال والغلال وأخذ عليهم حجة بذلك. وأنفض المجلس. ثم أنه سلم على الشيخ البكري وقال له: أنا بعد غد ضيفك ثم ركب وطلع إلى السراية وأرسل إلى الشيخ البكري هدية وأغناماً وسكراً وعسلاً ومربات ونزل إليه في الميعاد وأمر ببناء رصيف الجنينة التي في بيته، وكان له فيه اعتقاد عظيم لرؤيا منامية رآها في بعض سفراته منقولة عنه مشهورة. وكانت أيامه أمنا وأمانا والفتن ساكنة والأحوال مطمئنة. ثم عزل ونزل إلى قصر عثمان كتخدا القازدغلي بين بولاق وقصر العيني.

تولية يحيى باشا

ثم تولى يحيى باشا ودخل إلى مصر وطلع إلى القلعة في موكبه على العادة وطلع إليه علي باشا وسلم عليه ونزل هو الآخر وسلم على علي باشا بالقصر، ودعاه عثمان بك ذو الفقار وعمل له وليمة في بيته وقدم له تقادم كثيرة وهدايا، و لم يتفق نظير ذلك فيما تقدم أن الباشا نزل إلى بيت أحد من الأمراء في دعوة وإنما كان الأمراء يعملون لهم الولائم بالقصور في الخلاء مثل قصر العيني أو المقياس. وأقام يحيى باشا في ولاية مصر إلى أن عزل في عشرين شهر رجب سنة 1156.

تولية محمد باشا اليدكشي

وتولى بعده محمد باشا اليدكشي وحضر إلى مصر وطلع إلى القلعة وفي أيامه كتب فرمان بأبطال شرب الدخان في الشوارع وعلى الدكاكين وأبواب البيوت. ونزل الأغا والوالي فنادوا بذلك، وشددوا في الأنكار والنكال بمن يفعل ذلك من عال أو دون، وصار الأغا يشق البلد في التبديل كل يوم ثلاث مرات. وكل من رأى في يده آلة الدخان عاقبه، وربما أطعمه الحجر الذي يوضع فيه الدخان بالنار، وكذلك الوالي.

وفي أيامه أيضاً قامت العسكر بطلب جراياتهم وعلائفهم من الشون و لم يكن بالشون أردب واحد، فكتب الباشا فرماناً بعمل جمعية في بيت علي بك الدمياطي الدفتر دار وينظروا الغلال في ذمة أي من كان يخلصونها منه. فلما كان في ثاني يوم أجتمعوا وحضر الروزنامجي وكاتب الغلال والقلقات وأخبروا أن بذمة إبراهيم بك قطامش أربعين ألف أردب، والمذكور لم يكن في الجمعية وأنتظروه فلم يأت. فأرسلوا له كتخدا الجاويشية وأغات المتفرقة فامتنع من الحضور في الجمهور، وقال: الذي له عندي حاجة يأتي عندي، فرجعوا وأخبروهم بما قال. فقال العسكر: نذهب إليه ونهدم بيته على دماغه، فقام وكيل دار السعادة وأخذ معه من كل بلك اثنين اختيارية وذهبوا إلى إبراهيم بك قطامش. فقال له الوكيل: أي شيء هذا الكلام والعسكر قائمة على اختياريتها؟ قال: والمراد أي شيء وليس عند غلال. قال له الوكيل: نجعلها مثمنة بقدر معلوم. فثمنوا القمح بستين نصف فضة الأردب والشعير بأربعين . فقال إبراهيم بك: يصبروا حتى يأتيني شيء من البلاد. قال الوكيل: العسكر لا يصبروا ويحصل من ذلك أمر كبير. فجمعوا مبلغ اليكون فبلغ ثمانين كيساً، فرهن عند الوكيل بلدين لأجل معلوم. وكتب بذلك تمسك وأخذ التقاسيط ورجع الوكيل إلى محل الجمعية وأحضر مبلغ الدراهم وكل من كان عليه غلال أورد بذلك السعر، وهذه كانت أول بدعة ظهرت في تثمين غلال الأنبار للمستحقين. واستمر محمد باشا في ولاية مصر حتى عزل سنة 1158.

تولية محمد باشا راغب

ووصل مسلم "محمد باشا راغب" وتقلد إبراهيم بك بلغيه قائمقام وخلع عليه محمد باشا القفطان وعلى محمد بك أمين السماط. ثم ورد الساعي من الإسكندرية فأخبر بورود حضر محمد باشا راغب إلى ثغر الإسكندرية، فنزل أرباب العكاكيز لملاقاته وحضروا صحبته إلى مصر، وطلع إلى القلعة وحصل بينه وبين حسين بك الخشاب محبة و مودة، و حلف له أنه لا يخونه، ثم أسر إليه أن حضرة السلطان يريد قطع بيت القطامشة والدمايطة، فأجاب إلى ذلك. واختلى بإبراهيم جاويش وعرفه بذلك، فقال له الجاويش: عندك توابع عثمان بك قرقاس وذو الفقار كاشف وهم يقتلون خليل بك وعلي بك الدمياطي في الديوان. فقال له يحتاج أن يكون صحبتهم أناس من طرفك، وإلا فليس لهم جسارة على ذلك. فقال له: أنا أتكلم مع عثمان أغا أبي يوسف بطلب شرهم لأنه من طرفي. فلما كان يوم الديوان وطلع حسين بك الخشاب وقرقاش وذو الفقار وجماعته وطلع علي بك الدمياطي وصحبته محمد بك وطلع في أثرهم خليل بك أمير الحاج وعمر بك بلاط، جلسوا بجانب المحاسبة، فحضر عثمان أغا المتفرقة عند خليل بك فقال له: لماذا لم تدخل عند الباشا. فقال له: تركناه لك. فقال: كأني لم أعجبك.

واتسع بينهما الكلام فسحب أبو يوسف النمشة وضرب خليل بك، وإذا بالجماعة كذلك أسرعوا وضربوا عمر بك بلاط. قتلوه ودخلوا برأسيهما إلى الباشا، فقام علي بك الدمياطي ومحمد بك ونزلا ماشيين ودخلا إلى نوبة الجاويشية، فأرسل الباشا للاختيارية يقول لهم أنهما مطلوبان للدولة. وأخذهما وقطع رأسيهما أيضاً. وكتبوا فرمانا إلى الصناجق والأغوات واختيارية السبع وجاقات بأن يترلوا بالبيارق والمدافع إلى إبراهيم بك وعمر بك وسليمان بك الألفي، وكان سليمان بك دهشور مسافراً بالخزينة. فترلت البيارق والمدافع فضربوا أول مدفع من عند قيطرة سنقر، فحمل الثلاثة أحمالهم وخرجوا بهجنهم وعازقهم إلى جهة قبلي، ودخل العساكر إلى بيت إبراهيم بك فنهبوه، وكذلك بيت خليل بك، وذهبوا إلى بيت علي بك فوجدوا فيه صنجقياً من الصناجق ملكه بما فيه، و لم يتعرضوا ليوسف بك ناظر الجامع الأزهر، ورفعوا صنجقية محمد بك صنجق ستة وماتت ستة أيضاً، وذهب إلى طندتا وعمل فقيراً بضريح سيدي أحمد البدوي. ولما رجع سليمان بك دهشور من الروم، رفعوا صنجقيته وأمروه بالأقامة برشيد، وقلدوا عثمان كاشف صنجقية، وكذلك كجك أحمد كاشف، وقلدوا محمد بك أباظة أشراق حسين بك الخشاب دفتر دار مصر. وأنقضت تلك الفتنة. ثم أن الباشا قال لحسين بك الخشاب: مرادي أن نعمل تدبيرا في قتل إبراهيم جاويش قازدغلي ورضوان كتخدا الجلفي وتصير أنت مقدام مصر وعظيمها. فاتفق معه على ذلك وجمع عنده علي بك جرجا وسليمان بك مملوك عثمان بك ذي الفقار وقرقاش وذي الفقار كاشف، ودار القال والقيل، وسعت المنافقون، وعلم إبراهيم جاويش ورضوان كتخدا ما يراد بهما. فحضر إبراهيم جاويش عند رضوان كتخدا وأمتلأ باب الينكجرية وباب العزب بالعسكر والأوده باشيه وأجتمعت الصناجق والأغوات السبعة في سبيل المؤمن والأسباهية بالرميلة وأرسلوا يطلبون فرمانا من الباشا بالركوب على بيت حسين بك الخشاب الذي جمع عنده المقاسيد أعداءنا وقصده قطعنا. فلما طلع كتخدا الجاويشية ومتفرقة باشا إلى راغب باشا وطلبوا منه فرمانا بذلك، فقال الباشا: رجل نفذ أمر مولانا السلطان وخاطر بنفسه و لم ينكسر عليه مال ولا غلال، كيف أعطيكم فرمانا بقتله؟ الصلح أحسن ما يكون. فرجعوا وردوا عليهم بجواب الباشا، فأرسلوا له من كل بلك اثنين اختيارية بالعرضحال، وقالوا لهم: أن أبي قولوا له يترل ويولي قائمقام ونحن نعرف خلاصنا مع بعضنا.

فترل بكامل أتباعه من قراميدان، ولما صار في الرميلة أراد أن يترل علي شيخون إلى بيت حسين بك الخشاب يكرنك معه فيه، وإذا بالعزب المرابطين في السلطان حسن ردوه بالنار، فقتل أغا من أغواته فترل على بيت آقبردي إلى بيت ذي عرجان تجاه المظفر، فأرسلوا له إبراهيم بك بلغيه صحبة كتخدا الجاويشية خلع عليه قفطان القائمقامية، ورجع إلى بيته، وأخذوا منه فرمانا بجر المدافع والبيارق من ناحية الصليبة. وسارت الصناجق يقدمهم عمر بك أمير الحاج ومحمد بك الدالي وإبراهيم بك بلغيه ويوسف بك قطامش وحمزة بك وعثمان بك أبو سيف وأحمد بك ابن كجك محمد واسمعيل بك جلفي وعثمان بك وأحمد بك قازدغلية ورضوان بك

خازندار عثمان كتخدا قازدغلي، وأحتاطوا ببيت حسين بك الخشاب ومحمد بك أباظة من الأربع جهات. فحارب بالبندق من الصبح إلى الظهر، حتى وزع ما يعز عليه وحمل أثقاله وطلع من باب السر على زين العابدين، وذهب إلى جهة الصعيد فدخل العسكر إلى بيته. فلم يجدوا فيه شيئا ولا الحريم. وهرب أيضاً إبراهيم بك قيطاس إلى الصعيد وعمر بك ابن علي بك وصحبته طائفة من الصناجق هربوا إلى أرض الحجاز، وكان ذلك أواخر سنة 1161. فكانت مدة محمد باشا راغب في ولاية

مصر سنتين ونصفا، ثم سار إلى الديار الرومية وتولى الصدارة. وكان إنساناً عظيماً عالماً محققاً، وكان أصله رئيس الكتاب، وسيأتي تتمة ترجمته في سنة وقاته والله أعلم.

ذكر من مات في هذه السنين من أعيان العلماء والأكابر والعظماء

مات الإمام الكبير والأستاذ الشهير صاحب الأسرار والأنوار الشيخ عبد الغني بن اسمعيل النابلسي الحنفي الصالحي. ولد سنة 1050 وأحواله شهيرة وأوصافه ومناقبه مفردة بالتأليف. ومن مؤلفاته المقصود في وحدة الوجود وتحفة المسالة بشرح التحفة المرسلة، والأصل للشيخ محمد فضل الله الهندي، والفتح الرباني والفيض الرحمان، وربع الأفادات في ربع العيادات وهو مؤلف جليل في مجلد صخم في فقه الحنفية نادر الوجود، والرحلة القدسية، وكوكب الصبح في إزالة القبح، والحديقة الندية في شرح الطريقة المحمدية، والفتح المكي واللمح الملكي، وقطر السماء ونظرة العلماء، والفتح المدني في النفس اليمني، وبديعيتان أحداهما لم يلتزم فيها اسم النوع وشرحها والثانية التزمه فيها شرحها القلعي مع البديعيات العشر. توفي رضي الله عنه سنة 1143 عن ثلاث وتسعين سنة.

ومات إمام الأئمة شسخ الشيوخ وأستاذ الأساتذة عمدة المحققين والمدققين الحسيب النسيب السيد علي بن علي إسكندر الحنفي السيواسي الضرير، أخذ عن الشيخ أحمد الشوبري الشرنبلالي والشيخ عثمان ابن عبد الله التحريري الحنفيين، وأخذ الحديث عن الشيخ البابلي والشبراملسي وغيرهم. وسبب تلقيبه بإسكندر أنه كان يقرأ دروساً بجامع إسكندر باشا بباب الخرق، وكان عجيباً في الحفظ والذكاء وحدة الفهم وحسن الألقاء، وكان الشيخ العلامة محمد السجيني إذا مر بحلقة درسه خفض من مشيته ووقف قليلاً وأنصت لحسن تقريره، وكان كثير الأكل ضخم البدن طويل القامة لا يلبس زي الفقهاء، بل يعتم عمامه لطيفة بعذبه مرخية، وكان يقول عن نفسه: أنا آكل كثيراً وأحفظ كثيراً. وسافر مرة إلى دار السلطنة وقرأ هناك دروساً وأجتمع عليه المحققون حين ذاك وباحثوه وناقشوه وأعترفوا بعلمه وقضله، وقوبل بالأجلال والتكريم، وعاد إلى مصر ولم يزل يملي ويفيد ويدرس ويعيد حتى توفي في ذي القعدة سنة 1148 عن ثلاث وسبعين سنة وكسور، أخذ عنه كثير من الأشياخ كالشيخ الحفني وأخيه الشيخ يوسف والسيد البليدي والشيخ الدمياطي والشيخ الوالد والشيخ عمر الطحلاوي وغيرهم. وكان يقول بحرمة القهوة، وأتفق أنه عمل مهما لزواج ابنه فهاداه الناس وبعث إليه عثمان كتخدا القازدغلي فردين فأمر بطرحه في الكنيف لأنه يرى حرمة الانتفاع بثمنه أيضاً مثل الخمر ودليله في ذلك ما ذكر في وصف خمر الجنة في قوله تعالى: لا فيها غول ولا هم عنها يترفون، بأن الغول ما يعتر شارب الخمر بتركها وهذه العلة موجودة في القهوة بتركها بلا شك. توفي إلى رحمة الله تعالى سنة1146

ومات الإمام العلامة والمحقق الفهامة شيخ مشايخ العلم الشيخ محمد عبد العزيز الزيادي الحنفي البصير أخذ عن الشيخ شاهين الأرمناوي الحنفي عن العلامة البابلي وأخذ عنه الشمس الحفني والدمنهوري والشيخ الوالد والدمياطي وغيرهم، توفي في أواخر ربيع الأول سنة 1148.

ومات الشيخ الفقيه العلامة المتقن المتفنن الشيخ عيسى بن عيسى السقطي الحنفي أخذ عن الشيخ إبراهيم بن عبد الفتاح بن أبي الفتح الدلجي الفرضي الشافعي وعن الشيخ أحمد الأهناسي وعن الشيخ أحمد ابن إبراهيم التونسي الحنفي الشهير بالدقدوسي

وعن السيد علي ابن السيد علي الحسيني الشهير بإسكندر والشيخ محمد عبد العزيز بن إبراهيم الزياد، ثلاثتهم عن الشيخ شاهين الأرمناوي، وأخذ أيضاً عن الشيخ العقدي والشيخ إبراهيم الشرنبلالي والشيخ حسن بن الشيخ حسن الشرنبلالي والشيخ عبد الحي الشرنبلالي، ثلاثتهم عن الشيخ حسن الشرنبلالي الكبير. توفي المترجم في سنة 1143.

ومات الأستاذ العلامة شيخ المشايخ محمد السجيني الشافعي الضرير، أخذ عن الشيخ الشنبالي ولازمه ملازمو كلية، وأخذ أيضاً عن الشيخ عبد ربه الديوي وأهل طبقته مثل الشيخ مطاوع السجيني وغيره، وكان إماماً عظيماً فقيهاً نحوياً أصولياً منطقياً أخذ عنه كثير من فضلاء الوقت وعلمائهم. توفي سنة 1158.

ومات الإمام العلامة والبحر الفهامة إمام المحققين شيخ الشيوخ عبد الؤوف بن محمد بن عبد اللطيف بن أحمد بن علي البشبيشي الشافعي خاتمة محققي العلماء وواسطة عقد نظام الأولياء العظماء، ولد ببشبيش من أعمال المحلة الكبرى وأشتغل على علمائها بعد أن حفظ القرآن ولازم ولي الله تعالى العارف بالله الشيخ علي المحلي الشهير بالأقرع في فنون من العلم، وأجتهد وحصل وأتقن وتفنن وتفرد وتردد على الشيخ العارف حسن البدوي وغيره من صوفية عصره، وتأدب بهم وأكتسى من أنوارهم، ثم أرتحل إلى القاهرة سنة 1081، وأخذ عن الشيخ محمد ابن منصور الأطفيحي والشيخ خليل اللقاني والزرقاني وشمس الدين محمد بن قاسم البقري وغيرهم، وأشتهر علمه وفضله ودرش وأفاد وأنتفع به أهل عصره من الطبقة الثانية وتلقوا عنه المعقول والمنقول، ولازم عمه الشهاب في الكتب التي كان يقرأها مع كمال التوحش والعزلة والأنقطاع إلى الله وعدم مسايرة أحد من طلبة عمه، والتكلم معهم، بل كان الغالب عليه الجلوس في حارة الحنابلة وفوق سطح الجامع، حتى كان يظن من لايعرف حاله أنه بليد لا يعرف شيئاً إلى أن توجه عمه إلى الديار الحجازية حاجاً سنة 1094 وجاور هناك، فأرسل له بأن يقرأ موضعه. فتقدم وجلس وتصدر لتقرير العلوم الدقيقة والنحو والمعاني والفقه. ففتح الله له باب القبض، فكان يأتي بالمعاني الغريبة في العبارات العجيبة وتقريره أشهى من الماء العذب عند الظمآن، وأنتفع به غالب مدرسي الأزهر وغالب علماء القطر الشامي، ولم يزل على قدم الإفادة وملازمة الإفتاء والتدريس والإملاء حتى توفي في منتصف رجب سنة 1143.

ومات الأستاذ الإمام صاحب الأسرار وخاتمه سلسلة الفخار الشيخ أحمد بن عبد المنعم بن محمد بن محمد أبو السرور البكري الصديقي شيخ سجادة السادة البكرية بمصر، أجازه أبو الإحسان بن ناصر وغيره،وكان للوزير علي باشا بن الحكيم فيه اعتقاد عظيم كما تقدمت الإشارة إلى، وعندما ذهب الأستاذ للسلام عليه تلقاه وقبل يديه وأقدامه وقال: هذا الذي كنت رأيته في عالم الرؤيا وقت كربنا في السفرة الفلانية، ولعله الشيخ البكري كما أخبرني عن نفسه. فقيل له: هو المشار إليه، فاقبل بكليته عليه واستجازه في الزيارة بعد الغد وأرسل إليه هدية سنية ونزل لزيارته مراراً. توفي سنة 1153 ودفن بمشهد أسلافه عند ضريح الإمام الشافعي.

ومات الإمام العلامة والعمدة الفهامة المتفنن المتقن المتبحر الشيخ محمد صلاح الدين البرلسي المالكي الشهير بشلبي أخذ عن الشيخ أحمد النفراوي والشيخ عبد الباقي القليني والشيخ منصور المنوفي وغيرهم، وروى عن البصري والنخلي، وعنه أخذ الأشياخ المعتبرون. توفي ليلة الخميس سابع عشر صفر سنة 1154.

ومات الإمام العالم العلامة والعمدة الفهامة أستاذ المحققين وصدر المدرسين الشيخ أحمد بن أحمد بن عيسى العماوي المالكي،

أخذ عن الشيخ محمد الزرقاني والعلامة الشبراملسي والشيخ محمد الأطفيحي و الشيخ عبد الرؤوف البشبيشي والشيخ منصور المنوفي والشيخ أحمد النفراوي، كما نقلت ذلك من خطه وأجازته للمغفور له عبد الله باشا كبورلي زاده، وكان قد قرأ عليه صحيح البخاري ومسلم والموطأ وسنن أبي داود وابن ماجه والنسائي والترمذي والمواهب قراءة لبعضها دارية ولبعضها روايه ولباقيها إجازة، وألفية المصطلح من أولها إلى آخرها العلامة الشبراملسي تصدر للأقراء والأفادة في محله وانتفع به الطلبة وكان حلو التقرير فصيحاً كثير الإطلاع مستحضراً للأصول والفروع والمناسبات والنوادر والمسائل والفوائد، تلقى عنه غالب أشياخ العصر وحضروا دروسه القفهية والمعقولية كما هو مذكور في تراجمهم. و لم يزل مواظباً وملازماً على الإقراء والإفادة وإملاء العلوم حتى وافاه الأجل المحتوم. وتوفي سابع جمادى الأولى من سنة 1155وخلف بعده ابنه أستاذنا الإمام المحقق والتحرير المدقق بركة الوقت وبقية السلف الشيخ عبد المنعم أدام الله النفع بوجوده وأطال عمره مع الصحة والعافية آمين.

ومات الإمام العلامة الوحيد والبحر الخضم الفريد روض العلوم والمعارف وكنز الأسرار واللطائف الشيخ محمد بن محمد الغلاني الكشناوي الدانرانكوي السوداني، كان إماماً دراكا متقنا متفننا وله يد طولى وباع واسع في جميع العلوم ومعرفة تامة بدقائق الأسرار والأنوار. تلقى العلوم والمعارف ببلاده عن الشيخ الإمام محمد ابن سليمان بن محمد النوالي البرناوي الباغرماوي والأستاذ الشيخ محمد بندو والشيخ الكامل الشيخ هاشم محمد فودو ومعناه الكبير. قال وهو أول من حصل لي علي يديه الفتح وعليه قرأت أكثر كتب الأدب ولازمته حضرا وسفرا نحو أربع سنوات، فأخذ عنه الصرف والنحو حتى أتقن ذلك وصار شيخه المذكور يلقبه بسيبويه. وكان يلقبه قبل ذلك بصاحب المقامات لحفظه لها واستحضاره لألفاظها استحضاراً شديداً بحيث إذا ذكرت كلمة يأتي بما قبلها بالبديهة وعدم الكلفة. وتلقى عن الشيخ محمد بند وعلم الحرف والأوفاق وعلم الحساب والواقيت على أسلوب طريقة المغاربة والعلوم السرية بأنواعها الحرفية والوفقية وآلاتها الحسابية والميقاتية.وحصلت له منه المنفعة التامة قال: وقرأت عليه الأصول والمعاني والبيان والمنطق وألفية العراقي وجميع عقائد السنوسي الستة. وسمع عليه البخاري وثلاثة أرباع مختصر الشيخ خليل من أول البيوع إلى آخر باب السلم، ومن أول الأجارة إلى آخر الكتاب، ونحو الثلث من كتاب ملخص المقاصد وهو كتاب لابن زكري معاصر الشيخ السنوسي في ألف بيت وخمسمائة بيت في علم الكلام، وأكثر تصانيفه إلى غير ذلك. قال: وسمعت منه كثيراً من الفوائد العجيبة والحكايات الغريبة والأخبار والنوادر ومعرفة الرجال ومراتبهم وطبقاتهم. ذكر ذلك في برنامج شيوخه المذكورين، وكان للمترجم همة عالية ورغبة صادقة في تحصيل العلوم المتوقف عليها تحصيل الكتب، وكان يقول عن نفسه أن مما من الله علي به أني لم أقرأ قط من كتاب مستعار وإنما أدبي مرتبتي إذا حاولت قراءة كتاب لم يكن موجودا عندي أن اكتب متنه موسع السطور لأقيد فيه ما أردته من شروحه أو ما سمعته من تقريرات الشيخ عند قراءته، وأعلاها أن أكتب شرحه وحاشيته بدليل أنه لولا علو همتي وصدق ربتي في تحصيل العلوم لما فارقت أهلي وأنسي وطلقت راحتي وبدلتهما بغربتي ووحشتي وكربتي مع كون حالي مع أهلي في غاية الغبطة والانتظام فبادرت في اقتحام الأخطار لكي أدرك الأوطار. ولما أستأذن شيخه في الرحلة والحج فمر في رحلته بعدة ممالك وأجتمع بملوكها وعلمائها، فمن أجتمع به في كاغ برن الشيخ محمد كرعك وأخذ عنه أشياء كثيرة من علوم الأسرار والرمل، وأقام هناك خمسة أشهر، وعنده قرأ كتاب الوالية للكردي وهو كتاب جليل معتبر في علم الرمل، وقرأ عليه هو الرجراجي وبعض

كتب من الحساب. وله رحلة تتضمن ما حصل له في تنقلاته وحج سنة اثنتين وأربعين ومائة وألف وجاور بمكة وابتدأ هناك بتأليف الدر المنظوم وخلاصة السر المكتوم في علم الطلاسم والنجوم، وهو كتاب حافل رتبه على مقدمة وخمسة مقاصد وخاتمه وقسم المقاصد أبواباً وأتم تبييضه بمصر المحروسة في شهر رجب سنة ست وأربعين، ومن تأليفه كتاب بهجة الآفاق وأيضاح اللبس والأغلاق في علم الحروف والأوفاق رتبه على مقدمة ومقصد وخاتمه وجعل المقدمة ثلاثة أبواب والمقصد خمسة أبوابوكل باب يشتمل على مقدمة وفصول ومباحث وخاتمة. وله منظومة في فلم المنطق سماها منح القدوس وشرحها شرحاً عظيماً سماه أزاله العبوس عن وجه منح القدوس، وهو مجلد حافل نحو ستين كراساً. وله شرح بديع على كتاب الدر والترياق في علم الأفاق. ومن تآليفه بلوغ الأرب من كلام العرب في علم النحو، وله غير ذلك. توفي سنة1154 بمترل المرحوم الشيخ الوالدوجعله وصياً على تركته وكتبه، وكان يسكن أولاً بدرب الأتراك وهو الذي أخذ عنه علم الأوفاق، وعلم الكسر والبسط الحرفية والعددية، ودفنه الوالد ببستان العلماء بالمجاورين بنى على قبره تركيبة وكتب عليه اسمه وتاريخه.

ومات جامع الفضائل والمحاسن طاهر الأعراق والأوصاف السيد علي أفندي نقيب السادة الأشراف، ذكره الشيخ عبد اله الأدكاوي في مجموعته وأثنى عليه وكان مختصاً بصحبته. وحج مع المترجم سنة 1147 وعاد إلى مصر و لم يزل على أحسن حال حتى توفي في الليلة الثامنة عشرة من شهر شوال سنة 1153.

ومات الأستاذ العارف الشيخ أبو العباس أحمد بن أحمد العربي الأندلسي تلمساني الأزهري المالكي أخذ الحديث عن الإمام أبي سالم عبد الله سالم البصري المكي وأبي العباس أحمد بن محمد النخلي المكي الشافعيين وغيرهما من علماء الحرمين ومصر والمغرب، أخذ عنه الشيخ أبو سالم الحفني والسيد علي بن موسى المقدسي الحسيني وغيرهما من علماء الحرمين ومصر والمغرب. توفي سنة 1151.

ومات الإمام العلامة والتحرير الفهامة شمس الدين محمد بن سلامة البصير الإسكندري المكي البليغ الماهر، أخذ العلم عن الشيخ خليل اللقاني والشهاب أحمد السندوبي والشيخ محمد الخرشي والشيخ عبد الباقي الزرقاني والشبرخيتي والأبيذري، وهو الشهاب أحمد الذي روى عن البرهان اللقاني والبابلي وأخذ أيضاً عن الشيخ يحي الشاوي والشهاب أحمد البشبيشي، وله تأليفات عديدة منها، تفسير القرآن العزيز نظماً في نحو عشر مجلدات. وقد أجاز الشيخ أبا العباس أحمد بن علي العثماني وأملى عليه نظماً وذلك بمترله بالجانب الغربي من الحرم الشريف، وعمر ابن أحمد بن عقيل ومحمد بن علي بن خليفة الغرياني التونسي وحسين ابن حسن الأنطاكي المقري أجازه في سنة 1131، في الطائف واسمعيل بن محمد العجلوني وغيرهم. توفي في ذي الحجة سنة 1149.

ومات الشيخ الإمام العالم العلامة صاحب التآليف العديدة والتقريرات المفيدة أبو العباس احمد بن عمر الديربي الشافعي الأزهري، أخذ عن عمه الشيخ علي الديربي، قرأ عليه التحرير وابن قاسم وشرح الرحبية، وأخذ عن الشيخ محمد القليوبي الخطيب وشرح التحرير والشيخ خالد علي الآجرومية وعلي الأزهرية، وعن الشيخ أبي السرور الميداني والشيخ محمد الدنوشر المشهور بالجندي علم الحساب والفرائض، وأخذ عن الشيخ الشنشوري ومن مشايخه يونس بن الشيخ القليوبي والشيخ علي السنبطي والشيخ صالح الحنبلي والشيخ محمد النفراوي المالكي وأخوه الشيخ أحمد النفراوي والشيخ خليل اللقاني والشيخ

منصور الطوخي والشيخ إبراهيم الشبرخيتي والشيخ إبراهيم المرحومي والشيخ عامر السبكي والشيخ علي الشبراملسي والشيخ شمس الدين محمد الحموي والشيخ أبو بكر الدلجي والشيخ أحمد المرحومي والشيخ أحمد السندوبي والشيخ محمد البقري والشيخ منصور المنوفي والشيخ عبد المعطي المالكي والشيخ محمد الخرشي والشيخ محمد النشرتي والشيخ أبو الحسن البكري خطيب الجامع الأزهر، وانتشر فضله وعلمه وأشتهر صيته وأفاد وألف وصنف. فمن تآليفه غاية المرام فيما يتعلق بانكحة الأنام، وغاية المقصود لمن يتعاطى العقود على مذهب الأئمة الأربعة، والختم الكبير على شرح التحرير المسمى: فتح الملك الكريم الوهاب،بختم شرح تحرير تنقيح اللباب وغاية المراد لمن قصرت همته من العباد، وختم على شرح المنهج، سماه فتح الملك الباري بالكلام على آخر شرح المنهج للشيخ زكريا الأنصاري، وختم على شرح الخطيب وعلى شرح ابن قاسم وكتابه المشهور المسن فتح الملك المجيد لنفع العبيد، جمع فيه ما جربه وتلقاه من الفوائد الروحانية والطبية وغيرها. وهو مؤلف لا نظير له في بابه وله رسالة على البسملة وحديث البداءة ورسالة تسمى تحفة المشتاق فيما يتعلق بالسنانية ومساجد بولاق،ورسالة تسمى تحفة الصفا فيما يتعلق بابوي المصطفى، والقول المختار فيما يتعلق بابوي النبي المختار، ومناسك حج على مذهب الإمام الشافعي، وتحفة المريد في الرد على كل مخالف عنيد، وفتح الملك الجواد بتسهيل قسمة التركات على بعض العباد، بالطريق المشهورة بين الفريضيين في المسائل العائلة، ورسالة في سؤال الملكين وعذاب القبر ونعيمه، والوقوف في المحشر والشفاعة العظمى، وأربعون حديثاً وتمام الانتفاع لمن أرادها من الأنام، وحاشية على شرح ابن قاسم الغزي، ورسالة تتعلق بالكواكب السبعة والساعات الجيدة وبضرب المنادل العلوية ولسفلية وإحضار عامر المكان وأستنطاقه وعزله، ولوح الحياة والممات وغير ذلك. توفي سابع عشرين شعبان سنة 1151.

وما الإمام العلامة والبحر الفهامة شيخ مشايخ العصر ونادرة الدهر الصالح الزاهد الورع القانع الشيخ مصطفى العزيزي الشافعي، ذكره الشيخ محمد الكشناوي في آخر بعض بآليفه بقوله: وكان الفراغ من تأليفه في شهر كذا سنة ست وأربعين، وذلك في أيام الأستاذ زاهد العصر الفخر الرازي الشيخ مصطفى العزيزي، وناهيك بهده الشهادة. وسمعت وصفه من لفظ الشيخ الوالد وغيره من مشايخ العصر من أنه كان أزهد أهل زمانه في الورع والتقشف في المأكل والملبس والتواضع وحسن الأخلاق، ولا يرى لنفسه مقاماً. وكانمعتقداً عند الخاص والعام وتأتي الأكابر والأعيان لزيارته ويرغبون في مهاداته وبره، فلا يقبل من أحد شيئاً كائناً ما كان مع قلة دنياه، لا كثيراً ولا قليلاً، وأثاث بيته على قدر الضرورة والأحتياج. وكان يقرأ دروسه بمدرسة السنانية المجاورة لحارة سكنه بخط الصنادقية بحارة الأزهر، ويحضر دروسه كبار العلماء والمدرسين ولا يرضى للناس بتقبيل يده، ويكره ذلك فإذا تكامل حضور الجماعة وتحلقوا حضر من بيته ودخل إلى محل جلوسه بوسط الحلقة فلا يقوم لدخوله أحد. وعندما يجلس يقرأ المقري وإذا تم الدرس قام في الحال وذهب إلى داره، وهكذا كان دأبه. توفي سنة أربع وخمسين، وأقام عثمان بك ذا الفقار وصياً على أبنته.

ومات الإمام العمدة المتقن الشيخ رمضان بن صالح بن عمر بن حجازي السفطي الخانكي الفلكي الحيسوني أخذ عن رضوان أفندي وعن العلامة الشيخ محمد البرشمسي وشارك الجمال يوسف الكلارجي والشيخ الوالد وحسن أفندي قطة مسكين وغيرهم وأجتهد وحرر وكتب بخطه كثيراً جداً وحسب المحكمات وقواعد المقومات على أصول الرصد السمرقندي الجديد

وسهل طرقها بأدق ما يكون، وإذا نسخ شيئاً من تحريراته رقم منها عدة نسخ في دفعة واحدة، فيكتب من كل نسخة صفحة بحيث يكمل الأربع نسخ أو الخمسة على ذلك النسق، فيتم الجميع في دفعة واحدة. وكان شديد الحرص على تصحيح الأرقام وحل المحلولات الخمسة ودقائقها إلى الخوامس والسوادس، وكتب منها عدة نسخ بخطه وهو شيء يعسر نقله فضلاً عن حسابه وتحريره. ومن تصانيفه نزهة النفس بتقويم الشمس بالمركز والوسط فقط والعلامة بأقرب طريق وأسهل ما أخذ وأحسن وجه مع الدقة والأمن من الخطأ، وحرر طريقة أخرة على طريق الدر اليتيم يدخل إليها بفاضل الأيام تحت دقائق الخاصة ويخرج منها المقوم بغاية التدقيق لمرتبة الثوالث في صفحات كبيرة متسعة في قالب الكامل. وأختصرها الشيخ الوالد في قالب النصف ويحتاج إليها في عمل الكسوفات والخسوفات والأعمال الدقيقة يوماً يوماً. ومن تآليفه: كفاية الطالب لعلم الوقت، وبغية الراغب في معرفة الدائر وفضله، والسمت والكلام المعروف في أعمال الكسوف والخسوف، والدرجات الوريفة في تحرير قسي العصر الأول وعصر أبي حنيفة، وبغية الوطر في المباشرة بالقمر، ورسالة عظيمة في حركات أفلاك السيارة وهيآتها وحركاتها وتركيب جداولها على التاريخ العربي على أصول الرصد الجديد، وكشف الغياهب عن مشكلات أعمال الكواكب، ومطالع البدور في الضرب والقسمة والجذور، وحرك ثلثمائة وستة وثلاثين كوكباً من الكواكب الثابتة المرصودة بالرصد الجديد بالأطوال والأبعاد ومطالع الممر ودرجاته لأول سنة 1139، والقول المحكم في معرفة كسوف النير الأعظم، ورشف الزلال في معرفة أستخراج قوس مكث الهلال بطريقي الحساب والجدول. وأما كتاباته وحسابياته في أصول الظلال وأستخراج السموت والدساتير فشيء لا ينحصر ولا يمكن ضبطه لكثرته، وكان له بالوالد وصلة شديدة وصحبة أكيدة ولماحانت وفاته أقامه وصياً على مخلفاته وكان يستعمل البرشعثا ويطبخ منه في كل سنة قزانا كبيراً ثم يملأمنه قدوراً ديدفنها في الشعير ستة أشهر ثم يستعمله بعد ذلك، ويكون قد حان فراغ الطبخة الأولى وكان يأتيه من بلده الخانكة جميع لوازمه وذخيرة داره من دقيق وسمن وعسل وجبن وغير ذلك، ولا يدخل لداره قمح إلا لمؤنة الفراخ وعلفهم فقط، وإذا حضر عنده ضيوف وحان وقت الطعام قدم لكل فرد من الخاضرين دجاجة على حدته. ولم يزل حتى توفي ثاني عشر جمادى الأولى سنة 1158 يوم الجمعة ودفن بجوار تربة الشيخ البحيري كاتب القسمة العسكرية بجوار حوش العلامة الخطيب الشربيني.

ومات قاضي قضاة مصر صالح أفندي القسطموني. كان عالماً بالأصول والفروع صوفي المشرب في التورع ولي قضاء مصر سنة 1154، وبها مات سنة 1155 ودفن عند المشهد الحسيني.

ومات السيد زين العابدين المنوفي المكي أحد السادة المشهورين بالعلم والفضل، توفي سنة 1151.

ومات السيد الشريف حمود بن عبد الله ابن عمرو النموي الحسيني المكي أحد أشراف آل نمي كان صاحب صدارة ودولة وأخلاق رضية ومحاسن مرضية، حسن المذاكرة والمطارحة لطيف المحاضرة والمحاورة. توفي أيضاً سنة 1151.

ومات الأجل الفاضل المحقق أحمد أفندي الواعظ الشريف التركي، كان من أكابر العلماء أمارا بالمعروف ولا يخالف في الله لومه لائم، وكان يقرأ الكتب الكبار ويباحث العلماء على طريق النظار، ويعظ العامة بجامع المرداني، فكانت الناس تزدحم عليه لعذوبة لفظه وحسن بيانه، وربما حضره بعض الأعيان من أمراء مصر فيسبهم جهراً ويشير إلى مثالهم، وربما منقوا منه وسلطوا عليه جماعة من الأتراك ليقتلوه فيخرج عليهم وحده، فيغشى الله على أبصارهم. مات في حادي عشري الحجة سنة 1161.

ومات القطب الكامل السيد عبد الله بن جعفر بن علوي مدهر باعلوى نزيل مكة، ولد بالشحر وبها نشأ، ودخل الحرمين وتوجه إلى الهندي ومكث في دهلي مدة تقرب من عشرين عاماً ثم عاد إلى الحرمين وأخذ عن والده وأخيه العلامة علوي ومحمد بن أحمد بن علي الستاري وابن عقيلة وآخرين. وعنه أخذ الشيخ السيد وشيخ والسيد عبد الرحمن العيدروس. وله مؤلفات نفيسة منها: كشف أسرار علوم المقربين ولمح النور بباء اسم الله يتم السرور، وأشرق النور وسناه من سر معنى الله لا نشهد سواه والأصل أربعة أبيات للقطب الحداد، واللآلى الجوهرية على العقائد البنوفرية، وشرح ديوان شيخ بن اسمعيل الشحري، والنفحة المهداة بأنفاس العيدروس بن عبد الله، والايفا بترجمة العيدروس جعفر بن مصطفى، ديوان شعر ومراسلات عديدة وله كرامات شهيرة. توفي بمكة سنة 1160.

ومات السيد الأجل عبد الله بن مشهور بن علي بن أبي بكر العلوي أحد السادة أصحاب الكرامات والأشراقات، كان مشهوراً برؤية الخضر، أدركه السيد عبد الرحمن العيدروس وترجمه في ذيل المشرع وأثنى عليه وذكر له بعض كرامات. توفي سنة 1144.

ومات الأستاذ النجيب الماهر المتفنن جمال الدين يوسف بن عبد الله الكلارجي الفلكي تابع حسن أفندي كاتب الروزنامة سابقاً. قرأ القرآن وجود الخط وتوجهت همته للعلوم الرياضية كالهيئة والهندسة والحساب والرسم، فتقيد بالعلامة الماهر رضوان أفندي وأخذ عنه وأجتهد وتمهر وصار له باع طويل في الحسابيات والرسميات، وساعده على إدراك مأموله ثروة مخدومه، فاستنبط واخترع ما لم يسبق به، وألف كتاباً حافلاً في الظلال ورسم المنحرفات والبسائط والمزاول والأسطحة، جمع فيه ما تفرق في غيره من أوضاع المتقدمين بالأشكال الرسمية والبراهين الهندسية، والتزم المثال بعد المقال والكف كتابا أيضاً في منازل القمر ومحلها وخواصها وسماها كتر الدرر في أحوال منازل القمر، وغير ذلك. وأجتمع عنده كتب وآلات نفيسة لم تجتمع عند غيره، ومنها نسخة الزيج السمرقندي بخط العجم وغير ذلك. توفي سنة 1153.

ومات الإمام العلامة والعمدة الفهامة مفتي المسلمين الشيخ أحمد بن عمر الأسقاطي الحنفي المكنى بأبي السعود، تفقه على الشيخ عبد الحي الشرنبلالي والشيخ علي العقدي الحنفي البصير، وحضر عليه المنار وشرحه لابن فرشته وغيره، والشيخ أحمد النفراوي المالكي والشيخ محمد بن عبد الباقي الزرقاني والشيخ أحمد ابن عبد الرزاق الروحي الدمياطي الشناوي والشيخ أحمد الشهير بالبناء، وأحمد بن محمد بن عطية الشرقاوي الشهير بالخليفي والشيخ أحمد بن محمد المنفلوطي الشافعي الشهير بابن الفقيه والشيخ عبد الرؤوف البشبيشي وغيرهم كالشيخ عبد ربه الديوي ومحمد بن صلاح الدين الدنجيهي والشيخ منصور المنوفي والشيخ صالح البهوتب، ومهر في العلوم وتصدر لالقاء الدروس الفقهية والمعقولية، وأفاد وأفتى وألف وأجاد وأنتفع الناس بتآليفه، ولم يزل يملي ويفيد حتى توفي سنة 1159.

ومات الأستاذ الكبير والعلم الشهير صاحب الكرامات الساطعة والأنوار المشرقة اللامعة سيدي عبد الخالق بن وفا قطب زمانه وفريد أوانه وكان على قدم أسلافه وفيه فضيلة وميل للشعر، وأمتدحه الشعراء وأجازهم الجوائز السنية وكان يحب سماع الآلات. توفي رحمه الله في ثاني عشر ذي الحجة سنة 1161.

ومات الأستاذ شيخ الطريقة والحقيقة قدوة السالكين ومربي المريدين الإمام المسلك السيد مصطفى بن كمال الدين المذكور في

منظومة النسبة لسيدي عبد الغني النابلسي كما ذكره السيد الصديقي في شرحه الكبير على ورده السحري البكري الصديقي الخلوتي، نشأ ببيت المقدس على أكرم الأخلاق وأكملها، رباه شيخه الشيخ عبد اللطيف الحلبي وغذاه بلبان أهل المعرفة والتحقيق، ففاق ذلك الفرع الأصل وظهرت به في أفق الوجود شمس الفضل، فبرع فهماً وعلماً وأبدع نثراً نظماً ورحل إلى جل الأقطار لبلوغ أجل الأوطار، كما دأب على ذلك السلف لما فيه من أكتساب المعالي والشرف. ولما أرتحل إلى اسلامبول لبس فيها ثياب الخمول، ومكث فيها سنة لم يؤذن له بارتحال و لم يدر كيف الحال. فلما كان آخر السنة قام ليلة فصلى على عادته من التجهد ثم جلس لقراءة الورد السحري، فأحب أن تكون روحانية النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك المجلس، ثم روحانية خلفائه الأربعة والأئمة الأربعة، والأقطاب الأربعة والملائكة الأربعة. فبينما هو في أثنائه إذ دخل عليه رجل فشمر عن أذياله كأنه يتخطى أناسا في المجلس حتى انتهى إلى موضع فجلس فيه، ثم لما ختم الورد قام ذلك الرجل فسلم عليه ثم قال: ماذا صنعت يا مصطفى؟ فقال له: ما صنعت شيئاً. فقال له: ألم ترني أتخطى الناس؟ قال: بلى أنما وقع لي أني أحببت أن تكون روحانية من ذكرناهم حاضرة. فقال له: لم يتخلف أحد مم أردت حضوره وما أتيتك إلا بدعوة، والآن أذن لك في الرحيل. وحصل الفتح والمدد والرجل المذكور هو الولي الصوفي السيد محمد التافلاتي متى عبر السيد في كتبه بالوالد فهو السيد محمد المذكور، وقد منحه علوما جمة. ورحل أيضاً إلى جبل لبنان وإلى البصرة وبغداد وما والاهما وحج مرات وتآليفه تقارب المائتين وأحزابه وأوراده أكثر من ستين، وأجلها ورده السحري إذ هو باب الفتح وله عليه ثلاثة شروح، أكبرها في مجلدين. وقد شاد أركان هذه الطريقة وأقام رسومها وأبدى فرائدها وأظهر فوائدها، ومنحه الله من خزائن الغيب ما لا يدخل تحت حصر. قال الشيخ الحفني أنه جمع مناقب نفسه في مؤلف نحو أربعين كراساً تسويداً في الكامل و لم يتم. وقد راى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم وقال له: من أين لك هذا المدد؟ فقال: منك يا رسول الله. فأشار أن نعم ولقي الخضر عليه السلام ثلاث مرات وعرضت عليه قطبانية المشرق فلم يرضها، وكان أكرم من السيل وأمضى في السر من السيف، وأوتي مفاتيح العلوم كلها حتى أذعن له أولياء عصره و محققوه في مشارق الأرض ومغاربها، وأخذ على رؤساء الجن العهود وعم مدده سائر الورود ومناقبه تجل عن التعداد، وفيما أشرنا إليه كفاية لم أراد. وأخذ عنه طريق السادة الخلوتية الأستاذ الحفني وارتحل لزيارته والأخذ عنه إلى الديار الشامية كما سيأتي ذلك في ترجمته، وحج سنة إحدى وستين ثم رجع إلى مصر وسكن بدار عند قبة المشهد الحسيني وتوفي بها في ثاني عشر ربيع الثاني 1162 ودفن بالمجاورين ومولده في آخر المائة بعد الألف بدمشق الشام.

ومات العلامة الثبت المحقق المحرر المدقق الشيخ محمد الدفري الشافعي أخذ العلم عن الأشياخ من الطبقة الأولى، وأنتفع به فضلاء كثيرون منهم العلامة الشيخ محمد المصيلحي والشيخ عبد الباسط السنديوني وغيرهما توفي سنة 1161.

ومات الأجل المكرم عبد الله أفندي الملقب بالانيس أحد المهرة في الخط الضابط، كتب على الشاكري وغيره وأشتهر أمره جداً، وكان مختصاً بصحبة مير اللواء عثمان بك ذي الفقار أمير الحج، وكتب عليه جماعة ممن رأيناهم، ومنهم شيخ الكتبة بمصر اليوم حسن أفندي مولى الوكيل المعروف بالرشدي، وقد أجازه في مجلس حافل. توفي سنة 1159.

ومات الإمام الفقيه المحدث شيخ الشيوخ المتقن المتفنن المتجر الشيخ أحمد بن مصطفى بن أحمد الزبيري المالكي الإسكندري نزيل مصر وخاتمة المسندين بها، الشهير بالصباغ ذكر في برنامج شيوخه أنه أخذ عن إبراهيم بن عيسى البلقطري وعلي بن

فياض والشيخ محمد النشرتي والشيخ محمد الزرقاني وأحمد الغزاوي وإبراهيم الفيومي وسليمان الشبرخيتي ومحمد زيتونة التونسي نزيل الإسكندرية، وأبي العز العجمي وأحمد بن الفقيه والكنكسي ويحيى الشاوي وعبد الله البقري وصالح الحنبلي وعبد الوهاب الشنواني وعبد الباقي القليني وعلي الرميلي وأحمد السجيني وإبراهيم الكتبي وأحمد الخليفي ومحمد الصغير والوزراري وعبده الديوي وعبد القادر الواطي وأحمد بن محمد الدرعي. ورحل إلى الحرمين فأخذ عن البصري والنخلي والسندي ومحمد أسلم وتاج الدين القلعي والسيد سعد الله. وكان المترجم أماماً علامة سليم الباطن معمور الظاهر قد عم به الأنتفاع. روى عنه كثيرون من الشيوخ وكان يذهب في كل سنة إلى تغر الإسكندرية فيقيم بها شعبان ورمضان وشوالاً، وثم يرجع إلى مصر يملي ويفيد ويدرس حتى توفي في سنة 1162، ودفن بتربة بستان المجاورين بالصحراء.

ذكر من مات في هذه السنين من الأمراء المشهورين والأعيان

مات الأمير علي بك ذو الفقار وهو مملوك ذي الفقار بك وخشداش عثمان بك، ولما دخلوا على أستاذه وقت العشاء وقتلوه كما تقدم، كان هو إذ ذاك خازنداره كما تقدم، فقال المترجم بأعلى صوته: الصنجق طيب هاتوا السلاح، فكانت هذه الكلمة سبباً لهزيمة القاسمية وإخمادهم إلى آخر الدهر، وعد ذلك من فطانته وثبات جأشه في ذلك الوقت والحالة. ثم أرسل إلى مصطفى بك بلغيه فحضر عنده وجمع إليه محمد بك قطامش وأرباب الحل والعقد، وأرسلوا إلى عثمان بك فحضر من التجريدة ورتبوا أمورهم وقتلوا القاسمية الذين وجدوهم في ذلك الوقت. ولما وقف العرب بطريق الحجاج في العقبة سنة سبع وأربعين، وكان أمير الحاج رضوان بك أرسل إلى محمد بك قطامش فعرفه ذلك، فأجتمع الأمراء بالديوان وتشاوروا فيمن يذهب لقتال العرب، فقال المترجم أنا أذهب إليهم وأخلص من حقهم وأنقذ الحجاج منهم، ولاآخذ من الدولة شيئاً بشرط أن أكون حاكم جرجا عن سنة ثمان وأربعين، فأجابوه إلى ذلك وألبسه الباشا قفطاناً وقضى أشغاله في أسرع وقت، وخرج في طوائفه ومماليكه وأتباع أستاذه وتوجه إلى العقبة وحارب العرب حتى أنزلهم من الحلزونات، وأجلاهم وطلع أمير الحاج بالحجاج وساق هو خلف العرب فقتل منهم مقتلة عظيمة، ولحق الحجاج بنخل ودخل صحبتهم. ولما دخل توت سافر إلى ولاية جرجا فأقام بها أياما ومات هناك بالطاعون.

ومات الأمير مصطفى بك بلغيه تابع حسن أغا بلغيه تقلد الإمارة والصنجقية في أيام اسمعيل بك ابن ايواظ سنة 1135 لم يزل أميراً متكلماً وصدراً من صدور أصحاب الأمر والنهي والحل والعقد، إلى أن مات بالطاعون على فراشه سنة 1148 ومات أيضاً رضوان أغا الفقاري وهو جرجي الجنس، تقلد اغاوية مستحفظان عندما عزل علي أغا المقدم ذكره في أواخر سنة 1118، ثم تقلد كتخدا الجاويشية ثم أغات جملية في سنة 1120 وكان من أعيان المتكلمين بمصر، وفر من مصر وهرب مع من هرب في الفتنة الكبرى إلى بلاد الروم، ثم رجع إلى مصر سنة خمس وثلاثين باتفاق من أهل مصر بعدما بيعت بلاده، وماتت عياله، ومات له ولدان. فمكث بمصر خاملاً إلى سنة ست وثلاثين، ثم قلده اسمعيل بك بن أيواظ آغاوية الجملية فاستقر بها نحو خمسين يوماً. ولما قتل اسمعيل بك في تلك السنة نفي المترجم إلى أبي قير خوفاً من حصول الفتن فأقام هناك ثم رجع إلى مصر وأستمر بها إلى أن مات في الفصل سنة 1148.

ومات كل من اسمعيل بك قيطاس وأحمد بك اشراق ذي الفقار بك الكبير وحسن بك وحسين بك كتخدا الدمياطي واسمعيل

كتخدا تابع مراد كتخدا وخليل جاويش قباجيه وأفندي كبير عزبان وحسن جاويش بيت مال العزب وأفندي صغير مستحفظان وأحمد أوده باشا المطرباز ومحمد أغا ابن تصلق أغات مستحفظان وحسن جلبي بن حسن جاويش خشداش عثمان كتخدا القازدغلي وغير ذلك مات الجميع في الفصل سنة ثمان وأربعين.

ومات أحمد كتخدا الخربطلي وهو الذي عمر الجامع المعروف بالفاكهاني الذي بخط العقادين الرومي بعطفة خوش، وقدم وصرف عليه من ماله مائة كيس، وأصله من بناء الفائز بالله الفاطمي، وكان أتمامه في حادي عشر شوال سنة 1148 وكان المباشر على عمارته عثمان جلبي شيخ طائفة العقادين الرومي، وجعل مملوكه علي ناظرا عليه ووصياً على تركته. ومات المترجم في واقعة بيت محمد بك الدفتر دار سنة 1149 مع من مات كما تقد الألماع بذكر ذلك في ولاية باكير باشا.
ومات الأمير عثمان كتخدا القازدغلي تابع حسن جاويش القازدغلي والد عبد الرحمن كتخدا صاحب العماير. تنقل في مناصب الوجاقات في أيام سيده وبعدها إلى أن تقلد الكتخدائية ببابه وصار من أرباب الحل والعقد وأصحاب المشورة، وأشتهر ذكره ونما صيته وخصوصاً لما تغلبت الدول وطهرت الفقارية. ولما وقع الفصل في سنة ثمان وأربعين ومات الكثير من أعيان مصر وأمرائها غنم أموالا كثيرة من المصالحات والتركات وعمر الجامع المعروف بالأزبكية بالقرب من رصيف الخشاب في سنة سبع وأربعين، وحصلت الصلاة فيه ووقع به ازدحام عظيم حتى أن عثمان بك ذا الفقار حضر للصلاة في ذلك اليوم متأخراً فلم يجد له محلاً فيه فرجع وصلى بجامع أزبك. وملأوا المزملة بشربات السكر وشرب منه عامة الناس وطافوا بالقلل لشرب من بالمسجد من الأعيان، وعمل سماطاً عظيماً في بيت كتخداه سليمان كاشف برصيف الخشاب، وخلع في ذلك اليوم على حسن أفندي ابن البواب الخطيب والشيخ عمر الطهلاوي المدرس وأرباب الوظائف خلعا وفرق على الفقراء دراهم كثيرة وشرع في بناء الحمام بجواره بعد تمام الجامع والسبيل والكتاب، وبنى زاوية العميان بالأزهر ورحبة رواق الأتراك والرواق أيضاً ورواق السليمانية، ورتب لهم مرتبات من وقفه، وجعل مملوكه سليمان الجوخدار ناظراً ووصياً وألبسه الضلمة. و لم يزل عثمان كتخدا أميراً ومتكلماً بمصر وافر الحرمة مسموع الكلمة حتى قتل مع من قتل ببيت محمد بك الدفتر دار مع أن الجمعية كانت باطلاعه ورأيه و لم يكن مقصوداً بالذات في القتل.
ومات الأمير الكبير محمد بك قيطاس المعروف بقطامش وهو مملوك قيطاس بك جرجي الجنس وقيطاس بك مملوك إبراهيم بك ابن ذي الفقار بك تابع حسن بك الفقاري، تولى الإمارة والصنجقية في حياة أستاذه وتقلد إمارة الحج سنة خمس وعشرين، وطلع بالحج مرتين، وتقلد أيضاً إمارة الحج سنة 1146و 1148، لما قتل عابدي باشا أستاذه بقراميدان سنة 1126 كما تقدم ذكر ذلك عصى المترجم وكرنك في بيته هو وعثمان بك بارم ذيله وطلب بثار أستاذه و لم يتم له أمر، وهرب إلى بلاد الروم فأقام هناك إلى أن ظهر ذو الفقار في سنة ثمان وثلاثين وخرج جركس هارباً من مصر، فأرسل عند ذلك أهل مصر يستدعون المترجم ويطلبون من الدولة حضوره إلى مصر فأحضروه وأرسلوا إلى مصر وأنعموا عليه بالدفتر دارية. ولما وصل إلى مصر لم يتمكن منها حتى قتل علي بك الهندي، فعند ذلك تقلد الدفتر دارية وظهر أمره ونما ذكره وقلد مملوكه علي صنجقاً وكذلك اشراقه إبراهيم بك. ولما عزل باكير باشا تقلد المترجم قائمقامية وذلك سنة ثلاث وأربعين. وبعد قتل ذي الفقار بك صار المترجم أعظم الأمراء المصرية وبيده النقض والأبرام والحل والعقد وصناجقه علي بك ويوسف بك وصالح بك وإبراهيم

بك، و لم يزل أميراً مسموع الكلمة وافر الحرمة حتى قتل في واقعة بيت الدفتر دار كما تقد ، وقتل معه أيضاً من أمرائه علي بك وصالح بك.

ومات معهم أيضا يوسف كتخدا البركاوي وكان أصله جربجيا بباب العزب، وطلع سردار بيرق في سفر الروم، ثم رجع إلى مصر فأقام خاملاً قليل الحظ من المال والجاه، فلما حصلت الواقعة التي ظهر فيها ذو الفقار وأجتمع محمد باشا وعلي باشا والأمراء وحصرهم محمد بك جركس من جهات الرميلة من ناحية مصلى المؤمنين والحصرية وتلك النواحي، وتابعوا رمي الرصاص على من بالمحمودية وباب العزب والسلطان حسن بحيث منعوهم المرور والخروج والدخول، وضاق الحال عليهم بسبب ذلك، فعندها تسلق المترجم وخاطر بنفسه ونط من باب العزب إلى المحمودية والرصاص نازل من كل ناحية، وطلع عند الباشا والأمراء وطلب فرمانا خطا بالكتخدا العزب بأنه يفرد قايبر بمائة نفر وأوده باشه، ويكون هو سر عسكر ويطرد الذين في سبيل المؤمنين، وهو يملك بيت قاسم بك،ويفتح الطريق فأعطوه ذلك وفعل ما تقدم ذكره وملك بيت قاسم بك، وجرى بعد ذلك ما جرى. ولما انجلت القضية جعلوه كتخدا باب العزب وظهر شأنه من ذلك الوقت وأشتهر ذكره وعظم صيته. وكان كريم النفس ليس للدنيا عنده قيمة و لم يزل حتى قتل في واقعة بيت الدفتر دار.

ومات الأمير قيطاس بك الأعور وهو مملوك قيطاس بك الفقاري المتقدم ذكره تقلد الإمارة في أيام أستاذه كان المترجم مسافراً بالخزينة ونازلاً بوطاقه بالعادلية، وكان خشداشة محمد بك قطامش نازلاً بسبيل علام، فلما بلغه قتل أستاذه ركب هو وعثمان بك بارم ذيله وأتيا إليه وطلباه للقيام معهما في طلب ثار أستاذهم، فلم يطاوعهما على ذلك وقال: أنا معي خزينة السلطان وهي في ضماني فلا أدعها وأذهب معكما في الأمر الفارغ وفيكم البركة. وذهب محمد بك وفعل ما فعله من الكرنكة في داره و لم يتم له أمر وخرج بعد ذلك هارباً من مصر ولحق بقيطاس بك المذكور، وسافر معه إلى الديار الرومية وأستمر هناك إلى أن رجع كما ذكر، وعاد المترجم سنة اثنتين وأربعين وتوفي بمنى ودفن هناك.

ومات الأمير علي كتخدا الجلفي تابع حسن كتخدا الجلفي المتوفى سنة 1124. تنقل في الإمارة بباب عزبان بعد سيده وتقلد الكتخدائية وصار من أعيان الأمراء بمصر وأرباب الحل والعقد ولما أنقضت الفتنة الكبيرة وطلع اسمعيل بك بن ايواظ إلى باب العزب وقتل عمر أغا أستاذ ذي الفقار بك وأمر بقتل خازنداره ذي الفقار المذكور أستجار بالمترجم وكان بلديه وكان إذ ذاك خازندار عند سيده حسن كتخدا، فأجاره وأخذه في صدره وخلص له حصة قمن العروس كما تقدم، فلم يزل يراعي له ذلك حتى أن يوسف كتخدا البركاوي أنحرف منه في أيام إمارة ذي الفقار وأراد غدره وأسر بذلك إلى ذي الفقار بك فقال له: كل شيئ أطاوعك فيه إلا الغدر بعلي كتخدا فإنه كان السبب في حياتي وله في عنقي ما لا أنساه من المنن والمعروف وضمانة علي في كل شيء. وقلده الكتخدائية، وسبب تلقبهم بهذا اللقب هو أن محمد أغا مملوك بشير أغا القزلار أستاذ حسن كتخدا كان يجتمع به رجل يسنمى منصور الزتاحرجي السنجلفي من قرية من قرى مصر تسمى سنجلف، وكان متمولاً وله ابنة تسمى خديجة، فخطبها محمد أغا لمملوكه حسن أغا أستاذ المترجم وزوجها له وهي خديجة المعروفة بالست الجلفية. وسبب قتل المترجم ماذكر في ولاية سليمان باشا بن العظم لما أراد أيقاع الفتنة وأتفق مع عمر بك ابن علي بك قطامش على قتل عثمان بك ذي الفقار وإبراهيم بك قطامش وعبد الله كتخدا القازدغلي والمترجم، وهم المشار إليهم إذ ذاك في رياسة مصر. وأتفق

عمر بك مع خليل بك وأحمد كتخدا عزبان البركاوي وإبراهيم جاويش القازدغلي وتكفل كل منهم بقتل أحد المذكورين، فكان أحمد كتخدا ممن تكفل بقتل المترجم، فأحضر شخصاً يقال له لاظ إبراهيم من أتباع يوسف كتخدا الركاوي وإغراه بذلك، فانتخب له جماعة من جنسه ووقف بهم في قبو السلطان حسن تجاه بيت آقبردي، ففعل ذلك ووقف مع من أختارهم بالمكان المذكور ينتظر مرور علي كتخدا وهو طالع إلى الديوان وأرسل إبراهيم جاويش إنساناً من طرفه سراً يقول لا تركب في هذا اليوم صحبة أحمد كتخدا فإنه عازم على قتلك. وبعد ساعة حضر إليه أحمد كتخدا فقام وتوضأ وقال لكاتبه التركي: خذ من الخازندار الفلاني ألف محبوب ندفعها فيما علينا من مال الصرة. فأخذ الكاتب في كيس وسبقه إلى الباب وركب مع أحمد كتخدا وإبراهيم جاويش وخلفهم حسنكتخدا الرزاز وأتباعهم، فلما وصلوا إلى المكان المعهود خرج لاظ إبراهيم وتقدم إلى المترجم كأنه يقبل يده فقبض علي يده وضربه بالطبنجة في صدره فسقط إلى الأرض وأطلق باقي الجماعة ما معهم من آلات النار. وعبقت الدخنة فرمح ابن أمين البحرين وذهب إلى بيته وطلع أحمد كتخدا وصحبته حسن كتخدا الرزاز إلى الباب.ولما سقط على كتخدا سحبوه إلى الخربة وفيه الروح فقطعوا رأسه ووضعوها تحت مسطبة البوابة في الخرابة وطلعوا إلى الباب وعندما طلع أحمد كتخدا واستقر بالباب أخذ الألف محبوب من الكاتب وطرده، وأقترض من حسن كتخدا المشهدي ألف محبوب أيضاً وفرق ذلك على من الباب من أوده باشية والنفر. ومن مآثر علي كتخدا المترجم القصر الكبير الذي بناحية الشيخ قمر المعروف بقصر الجلفي وكان في السابق قصراً صغيراً يعرف بقصر القبرصلي، وأنشأ أيضاً القصر الكبير بالجزيرة المعروفة بالفرشة تجاه رشيد الذي هدمه الأمير صالح الموجود الآن زوج الست عائشة الجلفية في سنة 1202، وباع أنقاضه، وله غير ذلك مآثر كثيرة وخبرات رحمه الله.

ومات أحمد كتخدا المذكور قاتل علي كتخدا المذكور ويعرف بالبركاوي لأنه اشراق يوسف كتخدا البركاوي. وخبر قتله أنه لما تم ما ذكر ونزول أحمد كتخدا من باب العزب بتمويهات حسين بك الخشاب وملكه أتباع عثمان بك ندم على تفريطه ونزوله، وعثمان بك يقول:لابد من قتل قاتل صاحبي ورفيق سيدي قبل طلوعي إلى الحج وإلا أرسلت خلافي وأقمت بمصر وخلصت ثار المرحوم. وأرسل إلى جميع الأعيان والرؤساء بأنهم لا يقبلوه، وطاف هو عليهم بطول الليل فلم يقبله منهم أحد، فضاقت الدنيا في وجهه وتوفي في تلك الليلة محمد كتخدا الطويل، فاجتمع الاختيارية والأعيان ببيته لحضور مشهده، فدخل عليهم أحمد كتخدا في بيت المتوفى وقال: أنا في عرض هذا الميت. فقال له: أطلع إلى المقعد وأجلس به حتى نرجع من الجنازة. فطلع إلى المقعد كما أشاروا إليه وجلس لاظ إبراهيم بالحوش وصحبته اثنان من السراجين، فلما خرجوا بالجنازة إغلقوا عليهم الباب من خارج وتركوا معهم جماعة حرسجية وأقاموا مماليك أحمد كتخدا في بيته يضربون بالرصاص على المارين حتى قطعوا الطريق وقتلوا رجلاً مغربياً وفراشاً وحماراً. فأرسل عثمان بك إلى رضوان بك كتخدا يأمره بإرسال جاويش ونفر وقابجية بطلب محمد كتخدا من بيته ففعل ذلك، فلما وصلوا إلى هناك ويقدمهم أبو مناخير فضة وجدوا رمي الرصاص فرجعوا ودخلوا من درب المغربلين وأرادوا ثقب البيت من خلفه، فأخبرهم بعض الناس وقال بهم الذي مرادكم فيه دخل بيت الطويل فأتوا إلى الباب فوجدوه مغلقاً من خارج فطلبوا حطباً وأرادوا أن يحرقوا الباب فخاف الذين أبقوهم في البيت من النهب فقتلوا لاظ ابراهيم ومن معه وطلعوا إلى أحمد كتخدا فقتلوه أيضاً وألقوه من الشباك المطل على حوض الداودية، فقطعوا رأسه

وأخذوها إلى رضوان كتخدا فأعطاهم البقاشيش، وقطع رجل ذراعه وذهب بها إلى الست الجلفية وأخذ منها بقشيشاً أيضاً. ورجع من كان في الجنازة وفتحوا الباب وأخرجوا لاظ إبراهيم ميتاً ومن معه وقطعوه قطعاً. واستمر حمد كتخدا مرمياً من غير رأس ولا ذراع حتى دفنوه بعد الغروب ثم دفنوا معه الرأس والذراع.

ومات الأمير سليمان جاويش تابع عثمان كتخدا القازدغلي الذي جعله ناظراً وصياً وكان جوخداره، ولما قتل سيده استولى على تركته وبلاده ثم تزوج بمحظية أستاذه الست شويكار الشهيرة الذكر، ولم يعط الوارث الذي هو عبد الرحمن بن حسن جاويش أستاذ عثمان كتخدا سوى فائظ أربعة أكياس لا غير. وتواقع غبد الرحمن جاويش على اختيارية الباب فلم يساعده أحد فحنق منهم واتسلخ من بابهم وذهب إلى باب العزب وحلف أنه لا يرجع إلى باب الينكجرية مادام سليمان جاويش حياً. وكان المترجم صحبة أستاذه وقت المقتلة ببيت الدفتردار فانزعجوداخله الضعف ومرض القصبة، ثم انفصل من الجاويشية وعمل سردار قطار سنة إحدى وخمسين، وركب في الموكب وهو مريض وطلع إلى البركة في تختروان وصحبته الطبيب، فتوفي بالبركة وأمير الحاج إذ ذاك عثمان بك ذو الفقار، وكان هناك سليمان آغا كتخدا لجاويشية وهو زوج أم عبد الرحمن جاويش، فعرف الصنجق بموت سليمان جاويش ووارثه عبد الرحمن جاويش واستأذنه في إحضاره وأن يتقلد منصبه عوضه فأرسلوا إليه وأحضروه ليلاً، وخلع عليه عثمان بك قفطان السردارية وأخذ عرضه من باب العزب، وطيب سليمان آغا خاطر الباشا بحلوان، وكتب البلاد باسم عبد الرحمن جاويش وأتباعه، وتسلم مفاتيح الخشاخين والصناديق والدفاتر من الكاتب وجاز شيئاً كثيراً وبرفي قسمه ويمينه.

ومات الأمير محمد بك اسمعيل بك الدفتردار وقتل الأمراء المتقدم ذكرهم في بيته ووالدته بنت حسن آغا بلغيه. وخبر موته أنه لما حصل ما حصل وانقلب التخت عليهم اختفى المترجم في مكان لم يشعر به أحد فمرضت والدته مرض الموت، فلهجت بذكر ولدها فذهبوا إليه وقنعوه وأتوا به إليها من المكان المختفي فيه بزي النساء، فنظرت إليه وتأوهت وماتت، ورجع إلى مكانه. وكانت عندهم امرأة بلانة فشاهدت ذلك وعرفت مكانه فذهبت إلى آغا الينكجرية وأخبرته بذلك، فركب إلى المكان الذي هو فيه في التبديل وكبسوا البيت وقبضوا عليه وركبوه حماراً وطلعوا به إلى القلعة فرموا عنقه وكانوا نهبوا بيته قبل ذلك في أثر الحادثة وكان موته أواخر 1149.

ومات عثمان كاشف ورضوان بك أمير الحاج سابقاً ومملوكه سليمان بك، فإنهم بعد الحادثة وقتل الأمراء المذكورين وانعكاس أمر المذكورين اختفوا بخان النحاس في خان الخليلي وصحبتهم صالح كاشف زوج بنت إيواظ الذي هو السبب في ذلك، فاستمروا في أخفائهم مدة ثم أنهم دبروا بينهم رأياً في ظهورهم واتفقوا على إرسال عثمان كاشف إلى إبراهيم جاويش قازدغلي، فغطى رأسه بعد المغرب ودخل إلى بيت إبراهيم جاويش، فلما رآه رحب به وسأله عن مكانهم فأخبره أنه بخان النحاس وهم فلان وفلان يدعون لكم ويعرفون همتكم وقصدهم الظهور على أي وجه كان. فقال له نعم ما فعلتم وآنسه بالكلام إلى بعد العشاء عندما أراد أن يقوم قال له اصبر وقام كأنه يزيل ضرورة. فأرسل سراجاً إلى محمد جاويش الطويل يخبره عن عثمان كاشف بأنه عنده، فأرسل إليه طائفة وسراجين وقفوا له في الطريق وقتلوه. ووصل الخبر إلى ولده ببيت أبي الشوراب فحضر إليه وواراه، وأخذ ولده المذكور إبراهيم جاويش وطلع في صبحها إلى الباب فأخبر أغات مستحفظان، فترل

وكبس خان النحاس وقبض على رضوان بك وصحبته ثلاثة فأحضرهم إلى الباشا فقطع رؤوسهم. وأما صالح كاشف فإنه قام وقت الفجر فدخل الحمام فسمع بالحمام قتل عثمان كاشف في حوض الداودية، فطلع من الحمام وهو مغطى الرأس وتأخر في رجوعه إلى خان الخليلي. ثم سمع بما وقع لرضوان بك ومن معه فضاقت الدنيافي وجهه فذهب إلى بيته وعبأ خرج حوايج وما يحتاج إليه وحمل هجينا وأخذ صحبته خداماً ومملوكاً راكباً حصاناً وركب وسار من حارة السقايين على طريق بولاق على الشرقية، وكلما أمسى عليه الليل يبيت في بلد، حتى وصل عربان غزة. ثم ذهب في طلوع الصيف إلى اسلامبول ونزل في مكان. ثم ذهب عند دار السعادة وكان أصله من أبتاع والد محمد بك الدفتر دار فعرفه عن نفسه، فقال له: أنت السبب في خراب بيت ابن سيدي، واستأذن في قتله فقتلوه بين الأبواب في المحل الذي قتل فيه الصيفي سراج جركس فكان تحرك هؤلاء الجماعة وطلبهم الظهور من الأختفاء كالباحث على حتفه بظلفه.

ومات الأمير خليل بك فطامش أمير الحاج سابقاً، تقلد الإمارة والصنجقية سنة تسع وأربعين وطلع بالحج أميراً سنة ثمان وخمسين و لم يحصل في أمارته على الحجاج راحة وكذلك على غيرهم. وكان أتباعه يأخذون التبن من بولاق ومن المراكب إلى المناخ من غير ثمن، ومنع عوائد العرب وصادر التجار في أموالهم بطريق الحج. وكانت أولاد خزنته ومماليكه أكثرهم عبيد سود يقفون في حلزونات العقبة ويطلبون من الحجاج دراهم مثل الشحاتين. وكان الأمير عثمان بك ذو الفقار يكرهه ولا تعجبه أحواله، ولما وقع للحجاج ما وقع في أمارته ووصلت الأخبار إلى مولاي عبد الله صاحب المغرب وتأخر بسبب ذلك الراكب عن الحج في السنة الأخرى، أرسل مكتوباً إلى علماء مصر وأكابرهن ينقم عليهم في ذلك ويقول فيه: وإن مما شاع بمغربنا والعياذ بالله وذاع وانصدعت منه صدور أهل الدين والسنة أي انصداع، وضاقت من أجله الأرض على الخلائق، وتحمل من فيه أيمان لذلك ما ليس بطائق من تعدى أمير حجكم على عباد الله وإظهار جرأته على زوار رسول الله، فقد نهب المال وقتل الرجال وبذل المجهود في تعديه الحدود، وبلغ في خبثه الغاية وجاوز في ظلمه الحد و النهاية، فيالها من مصيبة ما أعظمها ومن داهية دهماء ما أجسمها، فكيف يا أمة محمد صلى الله عليه وسلم يهان أو يضام حجاج بيت الله الحرام وزائرو نبينا عليه الصلاة والسلام، وبسببها تأخر الركب هذه السنة لهنالك وأفصحت لنا علماء الغرب بسقوطه لما ثبت عندهم ذلك، فيا للعجب كيف بعلماء مصر ومن بها من أعيانها لا يقومون بتغيير هذا المنكر الفادح بشيوخها وشبانها. فهي والله معرة تلحقهم من الخاص والعام إلى آخر ما قال، فلما وصل الجوار وأطلع عليه الوزير محمد باشا راغب أجاب عنه بأحسن جواب، وأبدع فيما أودع من درر وغرر تسلب عقول أولي الألباب، يقول فيه بعد صدر السلام وسجع الكلام: ينهي بعد أبلاغ دعاء نبع من عين المحبة وسما وملأ بساط أرض الود وطما، أن كتابكم الذي خصصتم الخطاب به إلى ذوي الأفاضة الجلية النقية سلالة الطاهرة الفاخرة الصديقية أخواننا مشايخ السلسلة البكرية، تشفت أنظارنا بمطالعة معانيه الفائقة والتقطت أنامل أذهاننا درر مضامينه الكافية الرائقة التي أدرجتم فيها ما أرتكبه أمير الحاج السابق في الديار المصرية في مق قصاد بيت الله الحرام وزوار روضة النبي الهاشمي عليه أفضل الصلاة والسلام. فكل ما حررتموه صدر من الشقي المذكور بل أكثر مما تحويه بطون السطور، لكن الزارع لا يحصد إلا من جنس زرعه في حزن الأرض وسهله ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله، لأن الشقي المذكور لما تجاسر إلى بعض المنكرات في السنة الأولى حملناه إلى جهالته وأكتفينا بتهديدات تلين عروق رعونته وتكشف عيون هدايته، فلم

تفد في السنة الثانية إلا الزيادة في العتو والفساد، ومن يضلل الله فما له من هاد. ولما تيقنا أن التهديد بغير الأيقاع كالضرب في الحديد البارد أو كالسباخ لا يرويها جريان الماء الوارد، هممنا باسقائه من حميم جراء أفعاله، لآن كل أحد من الناس مجزى بأعماله، فوفقني الله تعالى لقتل الشقي المذكور مع ثلاثة من رفقائه العاضدين له في الشرور وطردنا بقيتهم بأنواع الخزي إلى الصحاري فهم بحول الله كالحيتان في البراري، وولينا إمارة الحج من الأمراء المصريين من وصف بين أقرانه بالأنصاف والديانة وشهد له بمزيد الحماية والصيانة. والحمد لله حق حمده رفعت البلية من رقاب المسلمين خصوصاً من جماعة ركبوا غارب الأغتراب بقصد زيارة البلد الأمين. فإن كان العائق من توجه الركب المغربي تسلط الغادر السالف فقد أنقضى أوان غدره على ماشرحناه وصار كرماد أشتدت به الريح في يوم عاصف، والحمد لله معى ما منحنا من نصرة المضلومين وأقدرنا على رغم أنوف الظالمين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين، والحمد لله رب العالمين، تحريراً في سادس عشر المحرم أفتتاح سنة 1161. وأجاب أيضاً الأشياخ بجواب بليغ مطول أعرضت عن ذكره لطوله، ومات خليل بك المذكور قتيلاً في ولاية راغب باشا سنة 1160، قتله عثمان أغا أبو يوسف القلعة، وقتل معه أيضاً عمر بك بلاط وعلي بك الدمياطي ومحمد بك قطامش الذي كان تولى الصنجقية وسافر باخزينة سنة سبع وخمسين عوضاً عن عمر بك ابن علي بك، ونزلت البيارق والعسكر والمدافع لمحاربة إبراهيم بك

وعمر بك وسليمان بك القطامشة فخرجوا بمتاعهم وعازقهم وهجنهم من مصر إلى قبلي ونهبوا بيوت المقتولين والفارين وتعض من هم من عصبتهم.

ومات محمد بك المعروف بباظة، وذلك أنه لما حصلت واقعة حسين بك الخشاب وخروجه من مصر كما تقدم في ولاية محمد باشا راغب حضر محمد بك المذكور إلى مصر وصحبته شخص آخر فدخلا خفية استقرا بمترل بعض الاختيارية من وجاق الجاويشية، فوصل خبره إلى إبراهيم جاويش، فأرسل إليه أغات الينكجرية فرمى عليه بالرصاص وحاربه. وحضر أيضاً بعض الأمراء الصناجق فلم يزل يحاربهم حتى فرغ ما عنده من البارود فقبضوا عليه وقتلوه في الداودية ورموا رقبة بباب زويلة.

وما الأجل الأمثل المبجل الخواجا الحاج قاسم بن الخواجا المرحوم الحاج محمد الدادة الشرايبي من بيت المجد والسيادة والإمارة والتجارة، وسبب موته أنه نزلت بانثييه نازلة فأشاروا عليه بفصدها وأحضروا له حجاماً ففصده فيها، بمترله الذي خلف جامع الغورية.ثم ركب إلى مترله بالازبكية فبات به تلك الليلة. وحضر له المزين في ثاني يوم ليغير له الفتيلة فوجد الفصد لم يصادف المحل، فضربه بالريشة ثانيا فأصابت فرخ الأنثيين ونزل منه دم كثير. فقال له: قتلتني أنج بنفسك. وتوفي في تلك الليلة وهي ليلة السبت ثاني عشر ربيع الآخرة سنة 1147 فقبضوا على ذلك المزين وأحضروه إلى أخيه سيدي أحمد فأمرهم باطلاقه، فأطلقوه وجهزوا المتوفى وخرجوا بجنازته من بيته بالازبكية في مشهد عظيم حضره العلماء وأرباب السجاجيد والصناجق والأغوات والاختيارية والكواخي، حتى عثمان كتخدا القازدغلي لم يزل ماشياً إمام نعشه من البيت إلى المدفن بالمجاورين.

ومات الأمير حسن بك المعروف بالوالي الذي سافر بالخزينة إلى الديار الرومية فتوفي بعد وصوله إلى اسلامبول وتسليمه الخزينة بثلاثة أيام، ودفن باسكدار وألبسوا حسن مملوكه أمارته، وذلك في أوائل جمادى الأولي سنة 1148.

ومات الوزير المكرم عبد الله باشا الكبورلي الذي كان والياً في مصر في سنة 1143 وقد تقدم أنه من أرباب الفضائل وله

ديوان وتحقيقات وكان له معرفة بالفنون والأدبيات والقراءات، تلا القرآن على الشهاب الأسقاطي وأجازه وعلى محمد بن يوسف شيخ القراء بدار السلطنة.

الأمير عثمان بك ذو الفقار

وهو وأن لم يمت لكنه خرج من مصر و لم يعد إليها إلى أن مات بالروم، وأنقطع أمره من مصر فكأنه صار في حكم من مات. وليس هو ممن يهمل ذكره أو يذكر في غير موضعه، لأنه عاش بعد خروجه من مصر نيفاً وثلاثين سنة. ولجلالة شأنه جعل أهل مصر سنة خروجه منها تاريخاً لأخبارهم ووقائعهم ومواليدهم إلى الآن من تاريخ جمع هذا الكتاب أعني سنة 1220 فيقولون جرى كذا سنة خروج عثمان بك، وولدت سنة خروج عثمان بك أو بعده بكذا سنة أو شهر. هو تابع الأمير ذي الفقار تابع عمر أغا تقلد الإمارة والصنجقية سنة 1138 بعد ظهور أستاذه من أختفائه وخرود محمد بك جركس من مصر، فتقلد الإمارة وخرج بالعسكر للحوق بجركس وصحبته يوسف بك قطامش والتجريدة فوصلوا إلى حوش ابن عيسى وسألوا عنه فأخبرهم العرب أنه ذهب من خلف الجبل الأخضر إلى درنة. فعاد بالعسكر إلى مصر وتقلد عدة مناصب وكشوفيات الإقليم في حياة أستاذه، ولما رجع محمد بك جركس في سنة اثنتين وأربعين خرج إليه بالعسكر وجرى ما تقدم ذكره من الحروب والأنهزام وخروجه صحبة علي بك قطامش، ولما قتل سيده بيد خليل آغا وسليمان أبي دفية قبل صلاة العشاء وجرى ما تقدم أرسلو إليه وحضر من التجريدة وجلس ببيت أستاذه وتقلد خشداشه على الخازندار الصنجقية وتعضده به ومات محمد بك جركس ودخل برأسه علي بك قطامش، ثم تفرغوا للقبض على القاسمية فكان كلما قبضوا على أمير منهم احضروه إلى محمد باشا فيرسله إلى المترجم فيأمر برمي عنقه تحت المقعد حتى أفنوا الطائفة القاسمية قتلاً وطرداً، وتشتتوا رفي البلاد وأختفوا في النواحي، والتجأ الكثير منهم إلى أكابر الهوارة ببلاد الصعيد، ومنهم من فر إلى بلاد الشام والروم، و لم يعد إلى مصر حتى مات ومات خشداشه علي بك بولاية جرجا سنة ثمان وأربعين فقلد عوضه مملوكه حسن الصنجقية. ولما حصلت كائنة قتل الأمراء الأحد عشر ببيت الدفتر دار، وكان المترجم حاضراً في ذلك المجلس وأصابه سيف فقطع عمامته، فترل وركب وخرج من باب البركة وسار إلى باب الينكجرية، وأجتمع إليه الأعيان من الاختيارية والجاويشية وأحضروا عمر بن علي بك قطامش فقلدوه إمارة أبيه وضموا إليهم باب العزب وعملوا متاريس، وحاربوا المجتمعين بجامع السلطان حسن حتى خذلوهم، وتفرقوا وأختفوا كما تقدم، وعزلوا الباشا. وظهر أمر المترجم بعد هذه الواقعة وانتهت إليه رياسة مصر وقلد أمراء من أشراقاته، وحضر إليه مرسوم من الدولة بالإمارة على الحج فطلع بالحج سنة إحدى وخمسين ورجع سنة اثنتين وخمسين في أمن وأمان وسخاء ورخاء. ولما حصلت الكائنة التي قتل فيها علي كتخدا الجلفي تعصب المترجم أيضاً لطلب ثآره وبذل همته في ذلك وعضد أتباعه وعزل الباشا المتولي وقلد رضوان كتخدائية العزب عوضاً عن أستاذه وأحاط بأحمد كتخدا قاتل المذكور حتى قتل هو ولاظ إبراهيم كما تقدم، وقلد مملوكه سليمان كاشف الصنجقية وجعله أميراً على الحج وسافر به سنة ثلاث وخمسين ورجع سنة أربع وخمسين في أمن وأمان، فطلع عمر بك ابن علي بك قطامش سنة أربع وخمسين ورجع سنة خمس وخمسين. ثم ورد أمر للمترجم بإمارة الحج سنة خمس وخمسين وذلك في ولاية يحيى باشا. وفي تلك السنة عمل المترجم وليمة ليحيي باشا في بيته

وحضر إليه وقدم له تقادم وهدايا، و لم يتفق نظير ذلك فيما تقدم، بأن الباشا نزل إلى بيت أحد من الأمراء وأنما كانوا يعملون لهم الولائم بالقصور خارج مصر مثل قصر العيني أو المقياس. وطلع بالحج تلك السنة ورجع سنة ست وخمسين في أمن وأمان وأنتهت إليه الرياسة وشمخ على أمراء مصر ونفذ أحكامه عليهم قهراً عنهم، عمل في بيته دواوين لحكومات العامة وأنصاف المظلوم من الظالم، وجعل لحكومات النساء ديوانا خاصاً ولا يجري أحكامه إلا على مقتضى الشريعة ولا يقبل الرشوة ويعاقب عليها ويباشر أمور الحسبة بنفسه. وعمل معدل الخبز وغيره حتى الشمع والفحم ومحقرات المبيعات شفقة على الفقراء، ومنع المحتسب من أخذ الرشوات، وحجج الشهود من المحاكم. وكان يرسل الخاصكية أتباعه في التعابين حتى على الأمراء و لم يعهد عليه أنه صادر أحداً في ماله وأخذ مصلحة على ميراث، ومات كثير من الأغنياء وأرباب الأموال العظيمة مثل عثمان حسون وسليمان جاويش تابع عثمان كتخدا فلم تطمح نفسه لشيء من أموالهم. ولما ورد الأمر بأبطال المرتبات ةجعلوا على تنفيذها مصلحة للباشا وغيره أفرزوا له قدرا أمتنع من قبوله وأقتدى به رضوان بك، وقال: هذا من دموع الفقراء، وإن حصلت الأجابة كانت مظلمة وأن لم تحصل كانت مظلمتين. وكان عالي الهمة حسن السياسة ذكي الفطنة يحب أقامة الحق والعدل في الرعية وهابته العرب، وأمنت الطرق والسبل البرية والبحرية في أيامه، وله حسن تدبير في الأمور طاهر الذيل شديد الغيرة. و لم يأت بعد اسمعيل بك ابن ايواظ في أمراء مصر من يشابهه أو يدانيه لولا ما كان فيه من حدة الطبيعة، إذا قال كلاماً أو عاند في شيء لا يرجع عنه وكان لا يجالس إلا أرباب الفضائل مثل المرحوم الشيخ الوالد والسيد أحمد النخال والشيخ عبد الله الأدكاوي والشيخ يوسف الدلجي وسيدي مكي وقرأ على الشيخ الوالد تحفة الملوك في المذهب والمقامات الحريرية وكتبها له بخطه التعليق الحسن في خمسين جزء لطافا كل مقامة على حدتها، وألف لأجله مناسك الحج المشهورة في جزء لطيف وبالجملة فكان المترجم من خيار الأمراء لولا ما كان فيه من الحدة حتى أستوحشوا منه وحضر إليه يوماً علي باشجاويش اختيار مستحفظان الدرندلي في قضية فسبه وشتمه وكذلك علي جاويش الخربطلي شتمه وأراد أن يضربه وغير ذلك

السبب في كائنة عثمان بك وخروجه من مصر

مبدأ ذلك تغير خاطره من إبراهيم جاويش وتغير خاطر إبراهيم جاويش منه لأمور وحقد باطني لا تخلو عنه الرياسة والإمارة في الممالك. والثاني أن على كاشف له حصة بناحية طحطا وباقي الحصة تعلق عبد الرحمن جاويش ابن حسن جاويش القازدغلي فأجرها لعثمان بك ونزل علي كاشف فيها على حصته وحصة مخدومه، فحضر إليه رجل وأغراه على قتل حماد شيخ البلد ويأخذ من أولاده مائة جترلي وحصاناً، ويعمل واحدا منهم شيخاً عوضاً عن أبيه، ففعل ذلك ووعده إلى أن يذهب منهم شخص إلى مصر ويأتي بالدراهم من الأمين وضمنهم الذي كان السبب في قتل أبيهم، فحضر شخص منهم إلى مصر وطلب من الأمين مائة جترلي، وحكى له ما وقع، فأخذه وأتى به إلى إبراهيم جاويش القازدغلي وعرفه بالقصة وما فعل علي كاشف بأغراء سالم شيخ البلد، وأنه ضمنهم أيضاً في المائة جترلي، وقد أتى في غرضين تمنع عنه علي كاشف وتخلص ثاره من سالم. فركب إبراهيم جاويش وأتى بيت عبد الرحمن جاويش وصحبته الولد فقص عليه القصة وفهمها ثم أنهم ركبوا وذهبوا عند عثمان بك فوجدوا عنده عبد الله كتخدا القازدغلي وعلي كتخدا الجلفي فسلموا وجلسوا فقال إبراهيم جاويش:

نحن قد اتينا في سؤال، قال الصنجق: خير. فذكر القصة ثم قال له: أرسل أعزل علي كاشف وأرسل خلافه. فقال الصنجق: صاحب قيراط في الفرس يركب وهذا له حصة فلا يصح أني أعزله وللحاكم الخروج من حق المفسود. وترازدوا في الكلام إلى أن أحتد الصنجق وقال له إبراهيم جاويش: أنت لك غيره على بلاد الناس وسنتك فرغت وأنا أستأجرت الحصة. فقال له الصنجق: أنزل أعمل كاشفاً فيها على سبيل الهزل. فقام إبراهيم جاويش منتوراً وقام صحبته عبد الرحمن جاويش وذهبوا إلى بيت عمر بك، فوجدوا عنده خليل أغا قطامش وأحمد كتخدا البركاوي صنجق ستة فحكوا لهم القصة وما حصل بينهم وبين عثمان بك فقال أحمد كتخدا عزبان: الجمل والجمال حاضران أكتب ايجار حصة أخيك عبد الرحمن جاويش وخذ على موجبها فرمانا بالتصرف في الناحية، فأحضروا واحدا شاهدا وكتبوا الأيجار. وبلغ الخبر عثمان بك فأرسل كتخداه إلى الباشا يقول: لا تعط فرمانا بالتصرف في ناحية طحطا لإبراهيم جاويش، فلما خرجت الحجة أرسلها للباشا صحبة باشجاويش فامتنع الباشا من أعطاء الفرمان فقامت نفس إبراهيم جاويش من عثمان بك وعزم على غدره وقتله. ودار على الصناجق والوجاقلية وجمع عنده أنفاراً فسعى علي كتخدا الجلفي وبذل جهده في تمهيد النائرة وأرسل إبراهيم جاويش ابن حماد وقال له: لماتطلع البلد وزع كامل ما عندك وخليكم على ظهور الخيل ولما يأتيكم سالم أقتلوه واخرجوا من البلد حتى يترل كاشف من طرفي أرسل لكم ورقة أمان أرجعوا وعمروا. فترل الولد وفعل ما قاله له الجاويش فوصل الخبر على كاشف فركب خلفهم فلم يحصل منهم أحداً، وأرسل إبراهيم جاويش كاشفاً من طرفه بطائفة ومدافع ونقارية وورقة أمان لاولاد حماد. وأستمر على كتخدا يسعى حتى أصلح بين الصنجق والجاويش والذي في القلب في القلب كما قيل:

أن القلوب إذا تنافر ودها   مثل الزجاجة كسرها لا يجبر

ولما أخذ الخبر علي كاشف بالخصومة، حضر إلى مصر قبل نزول الكاشف الجديد وكانت هذه القضية أوائل سنة 1149 قبل واقعة بيت الدفتر دار وقتل الأمراء.

وأما النفرة التي لم يندمل جرحها فهي دعوة برديس وفرشوط، وهو أن شيخ العرب همام رهن عند إبراهيم جاويش ناحية رديس تحت مبلغ معلوم لأجل معلوم وشرط فيه وقوع الفراغ بمضي الميعاد، فأرسل همام إلى المترجم يستعير جاهه في منع الفراغ بالناحية لإبراهيم جاويش، فأخبر عثمان بك الباشا وقال له: هوارة قبلي راهنون عند إبراهيم جاويش بلدا وأرسلوا يقولون أن أوقع فيها فراغه وأرسل لها كاشفاً قتلناه وقطعنا الجالب، فأنتم لا تعطونه فرمانا في بلاد هوارة فأنهم يوقفون المال والغلال. فلم يتمكن إبراهيم جاويش من عمل الفراغ ويطلب الدراهم فلا يعطيه، وطالت الأيام وعثمان بك مستمر على عناده وإبراهيم جاويش يتواقع على الأمراء والاختيارية فلم ينفذ له غرض، ويحتج عليه بأشياء وشبه قوية وحسابات وحوالات ونحو ذلك، إلى أن ضاق خناق إبراهيم جاويش فاجتمع على عمر بك وخليل بك وأجمعوا على رضوان كتخدا، وكان أنفصل من كتخدائية الباب، فقالوا له: أما ان تكون معنا وأما أن ترفع يدك من عثمان بك. فلم يطاوع وقال: هذا لا يكون وكيف أني أفوت إنسانا بذل مجهوده في تخليص ثارنا من أخصامنا ولولا هو لم يبق منا إنسان. وكان وجاق العزب لهم صولة وخصوصاً بعد الواقعة الكبيرة ولا يقع أمر بمصر إلا بيدهم ومعونتهم. فلما أيسوا منه قالوا له: إذا كان كذلك فانت سياق عليه في قضية أخينا إبراهيم جاويش، فوعدهم بذلك وذهب عثمان بك وكلمه في خصوص ذلك. فقال: هذا شيء لا يكون

ولا يفرحون به، فألح عليه في الكلام فنفر فيه وقال له أترك هذا الكلام وأشار إلى وجهه بالمذبة فأنجرح أنفه، فأخذ في نفسه رضوان كتخدا وأغتم وقال له: حيث أنك لم تقبل شفاعتي دونك وأياهم ولا أدخل بينك وبينهم. وركب إلى بيته وأرسل إلى إبراهيم جاويش عرفه بذلك، فركب في الوقت وأخذ صحبته حسن جاويش النجدلي وذهبوا إلى عمر بك فوجدوا عنده خليل بك ومحمد بك صنجق سته، فأجمعوا أمرهم وأتفقوا على الركوب على عثمان بك يوم الخميس على حين غفلة وهو طالع إلى الديوان، فأكمنوا له في الطريق فلما ركب في صبح يوم الخميس وصحتبه اسمعيل بك أبو قلنج خرج عليه خليل بك ومن معه وهجم على عثمان بك شخص وضربه بالسيف في وجهه فزاغ عنه و لم يصب إلا طرف أنفه، ولفت وجهه ودخل من العطفة النافذة إلى بيت مناو وراس الخيمية، وخاف من رجوعه على بيت إبراهيم جاويش، ومر على قصبة رضۃان على حمام الوالي وهرب أبو قلتج إلى بيت نقيب الأشراف. وبلغ الخبر عبد الله كتخدا فركب في الحال ليتدارك القضية ويمنعه من الركوب، فوجده قد ركب، ولاقاه عند حمام الوالي فرجع صحبته إلى البيت، وإذا بإبراهيم جاويش وعلي جاويش الطويل وحسن جاويش النجدلي تجمعوا ومعهم عدة وافرة وأحاطوا بالجهات، وهجموا علي بيوت أتباعه واشراقاته، وأوقعوا فيها النهب، وأحرقوها بالنار، وركبوا المدافع في رؤوس السويقة وضربوا بالرصاص من كل جهة، وأخذوا ينقبون عليه البيت. فلما رأى ذلك الحال أمر بشد الهجن وركب وخرج من البيت وتركه بما فيه و لم يأخذ منه إلا بعض نقود مع أعيان المماليك، وطلع من وسط المدينة ومر على الغورية ودخل من مرجوش وخرج من باب الحديد وذهب إلى بولاق. ونزل في جامع الشيخ أبي العلا و لم يذهب أحد خلفه، بل غم أمره على غالب الناس، وعند خروجه دخل العسكر إلى بيته ونهبوه وسبوا الحريم والجواري وأخرجوا منه ما يجل عن الوصف، وأعتنى كثير من السراجين وغيرهم من ذلك اليوم، وصاروا تجاراً وأكابر، و لم يزالوا في النهب متى قلعوا الرخام والأخشاب وأوقدوا النار.وحضر أغات الينكجرية أواخر النهار وأخرج العالم وقفل الباب وأعطى المقتاح للوالي ليدفن القتلى ويطفيء النار. وأقامت النار وهز يطفئونها يومين، وكان أمرا شنيعاً. وأما عثمان بك فإنه لما نزل بمسجد أبي العلا وصحبته عبد الله كتخدا أقاما إلى بعد الغروب فأرسل عبد الله كتخدا إلى داره فأحضر خياماً وفراشاً وقومانية وركبوا بعد الغروب وذهبوا إلى جهة قبلي من ناحية الشرق، فلم يزالا إلى أن وصلا إلى اسيوط عند علي بك تابعه حاكم جرجا، وأجتمعت عليه طوائف القاسمية الهاربين الكائنين بشرق أولاد يحيى وغيرهم. وأما ما كان من إبراهيم جاويش القازدغلي فإنه جعل مملوكه عثمان أغات متفرقة، وكذلك رضوان كتخدا جعل مملوكه اسمعيل أغات عزب، وشرعوا في تشهيل تجريدة وجعلوا خليل بك

قطامش أمير العسكر. ووعدوه بولاية جرجا إذا قبض على عثمان بك. فجهزوا أنفسهم وجمعوا الاسباهية وسافروا إلى أن قربوا من ناحية أسيوط، فأرسلوا جواسيس لينظروا مقدار المجتمعين فرجعموا وأخبروا أنهم نحو خمسمائة جندي وعلي بك وسليمان بك وبشيير كاشف وطوائفهم، فأشاروا على عثمان بك بالهجوم على خليل بك ومن معه فلم يرض وقال: المتعدي مغلوب. ثم أنهم أرسلوا إلى إبراهيم جاويش يطلبون منه تقوية فأنهم في عزوة كبيرة، فشرع في تجهيز نفسه وأخذ صحبته علي جاويش الطويل وعلي جاويش الخربطلي وكامل أتباعهم وأنفارهم، وسافروا إلى أن وصلوا عند خليل بك. ووصل الخبر إلى عثمان بك فتفكر في نفسه ساعة ثم قال لعبد الله كتخدا القازدغلي: أنتم لم تفوتوا بعضكم. وأشار عليه بأن يطلع إلى عند السردار، وطلع عند السر دار وعدى عثمان بك ومن معه وأنعم على القاسمية الواصلين إليه، ورجعوا إلى أماكنهم. وسار هو

من جهة الشرق إلى السويس ثم ذهب إلى الطور فاقام عند عرب الطور مدة أياماً. ووصل إبراهيم جاويش ومن معه إلى أسيوط فوجدوه قد أرتحل وحضر إليهم السر دار فأخبرهم بارتحال عثمان بك وتخلف عبد الله كتخدا عنده، فأرسل إليه علي جاويش الطويل فأحضره إلى إبراهيم جاويش وعاتبه، وأرتحل في ثاني يوم خوفاً من دخول عثمان بك مصر. ولما وصل إبراهيم جاويش إلى مصر أتفقوا على نفي عبد الله كتخدا إلى دمياط فسافر إليها بكامل أتباعها، ثم هرب إلى الشام وتوفي هناك، ورجعت إتباعه إلى مصر بعد وفاته. ولما وصل عثمان بك إلأى السويس أرسل القبطان الخبر بوروده البندر وصحبته سليمان بك وبشير كاشف بطوائفهم، وأنهم أخذوا من البندر سمناً وعسلاً وجبناً ودقيقاً وذهبوا إلى الطور، فعملوا جمعية في بيت إبراهيم بك قطامش واتفقوا على أرسال صمجقين وهما مصطفى بك جاهين ومحمد بك قطامش وصحبتهما أغات بلوك وأسباهية وكتخدا إبراهيم بك وكتخدا عمر بك وطلعوا إلى الباشا، فخلع عليهم قفاطين وجهزوا أنفسهم وأخذوا مدفعين وجبخانة وساروا. ووصل الخبر إلى عثمان بك فخاف على العرب وركب بمن معه وأتى قرب أجرود، فتلاقى فعهم هناك ووقعت بينهم معركة أبلى فيها علي بك وسليمان بك وبشير كاشف وقتل كتخدا إبراهيم بك، وكان عثمان بك نازلا بعيدا عن المعركة، فأرسل إليهم وأمرهم بالرجوع وأرتحل إلى الطور. وأما التجريدة فأنهم قطعوا رؤوسا من العرب ودخلوا بها مصر، وكان عثمان بك أرسل مكاتبة سراً إلى محمد أفندي كاتبه التركي يطلبه أن يأتيه إلى الطور، فحضر محمد أفندي المذكور إلى إبراهيم جاويش الذي أحضر رجلاً بدوياً طورياً وسلمه له فأركبه هجينا وسار به إلى الطور، فلما وصل إليه وأجتمع به زين له الذهاب إلى اسلامبول حسن له ذلك، وأنه يحصل له بذلك وجاهة ورفعة، ويحصل من بعد الأمور أمور. فوافق على ذلك وعزم عليه،وركب عثمان بك ومحمد أفندي ومعهم جماعة عرب أوصلوهم إلى الشام ومنها ذهب إلى اسلامبول، ودخل علي بك وسليمان بك وبشير أغا إلى مصر، وبعد مدة ظهر بشير أغا فأرسله إبراهيم جاويش قائمقام على أمانة في الصعيد. ولما وصل المترجم إلى اسلامبول وقابل رجال الدولة أكرموه وأنزلوه بمنزل متسع باتباعه وخدمه، وعينوا له كفايته من كل شيء. وأجتمع بالسلطان وسأله عن أحوال مصر فأخبره، فقال له من جملة الكلام، وما صنعت مع أخوانك حتى تعصبوا عليك وأخرجوك؟ قال: لكوني أقول الحقق وأقيم الشرع فعلوا معي ما فعلوه ونهبوا من بيتي ما يزيد على ألفي كيس ومن وسايا البرد والخيار الشنبر ألف كيس وحلوان بلادي ألف كيس. فأمر بكتابة مرسوم وطلب أربعة آلاف كيس وعينوا بذلك قابجي باشا ويكرمي سكزجلبي الذي كان الجي في بلاد الموسكو وبلاد فرنسيس، وحضروا إلى مصر في أيام محمد باشا الذي تولى بعد يحيى باشا المعروف باليدكشي وذلك أواخر سنة سبع وخمسين. فلما قرئ ذلك المرسوم قالوا في الجواب: أما البيت فقد نهبته العسكر والرعايا والأوسية، والخيار الشنبر نهبته أتباعه وخدمه والعرب والفلاحون، وأما حلوان البلاد فعندما يتحرر الحساب فيخصم منه الذي في عهدته من المال السلطاني وما بقي ندفعه مثل العادة عن ثلاث سنوات فقال لهم: يكرمي سكزجلبي، حرروا ثمن البلاد والخيار الشنبر وأخصموا منه ما عليه، وما بقي أكتبوا به عرض محضر ويذهب به قابجي باشا ويرجع لكم بالجواب. ففعلوا ذلك وذهب به قابجي

باشا وصحبته سمعيل بك أبو قلنج بخزينة سنة ست وخمسين، ولما عرض قابجي باشا العرض بحضرة عثمان بك قال: ليس في جهتي هذا القدر، ولكن أرسلوا بطلب الرزنامجي وأحمد السكري كتخدادي وكاتبي يوسف وجيش، فكتبوا فرمانا بحضور المذكورين وأرسلوه صحبة جوخدار معين خطاباً إلى محمد باشا ويكرمي سكز جلبي وذكروا فيه أن يكرمي سكز جلبي يحضر

بثلث الحوان بولصة. فلما وصل الجوخدار جمع الباشا الصناجق والأغوات والبلكات وقرأ عليهم ذلك المرسوم. فقالوا في الجواب: أن من يوم هروب المترجم وخروجه من مصر لم نر كتخداه ولا يوسف وجيش الكاتب، وأما الروزنامجي فهو حاضر ولكنه لا النقص ولا الزيادة لآن المبري محرر في المقاطعات، والحال أن ابن السكري كان ممن نافق على أستاذه حتى وقع له ما وقع وأخذه إبراهيم جاويش عنده وجعله كتخدا، وبعد مدة جعله متفرقة باشا ثم قلده الصنجقية وهو أحمد بك السكري أستاذ يحيى كاشف أستاذ علي كتخدا الموجود الأن الذي كان ساكنا بالسبع قاعات وبها أشتهر. ثم أنهم أكرموا سكز جلبي وقدموا له التقادم وعملوا له عزائم وولائم وهادوه بهدايا، ثم أعطوه بولصة بثلث الحلوان وسافر من مصر مثنيا ومادحا في القطامشة والدمايطة والقازدغلية. ثم أنهم أرسلوا عثمان بك إلى برصا فأقام بها مدة سنين ثم رجع إلى اسلامبول وأستمر بها إلى أن مات في حدود سنة 1190. وأما يوسف وجيش فالتجأ إلى عبد الرحمن كتخدا القازدغلي، ولما سافر عثمان بك من أجرود إلى الشام وأرتاحوا من قبله قلد إبراهيم جاويش عثمان أغات تابعه أغات المتفرقة وجعله صنجقاً وهو عثمان بك الذي عرف بالجرجاوي، وهو أول أمرئه، وكذلك رضوان كتخدا الجلفي قلد تابعه اسمعيل أغات العزب والصنجقية، وعزلوا يحيى باشا وحضر بعده محمد باشا اليدكشي. وتقلد إمارة الحج سنة 1156 إبراهيم بك بلغيه ورجع مريضاً في تختروان سنة 1157. وترك المترجم بمصر ولدين عاشا وشابت لحاهماوبنتاً تزوج بها بعض الأمراء، وأتفق أيه سافر إلى اسلامبول في بعض المهمات و لم يقدر على مواجهة صهره و لم يقدر أحد على ذكره له مطلقا لشدة غيرته وحدة طبيعته، وفي أواخر أمره أقعد و لم يقدر على النهوض، فكانوا يحملونه لركوب الحصان. فإذا أستوى راكباً أقوى من الشاب الصحيح، ورمح وصفح وسابق و لم يزل باسلامبول حتى مات كما ذكر وكما سيأتي في تاريخ سنة وفاته.

ومات مصطفى بك الدفتر دار من أشراقات عثمان بك، وذلك أنه سافر أميراً على العسكر الموجه إلى بلاد العجم ومات هناك سنة 1155.

ومات أيضاً اسمعيل بك أبو قلنج وكان سافر أيضاً بالخزينة عن سنة 1156، ومات باسلامبول ودفن هناك.

ومات الأمير عمر بك بن علي بك قطامش، تقلد الإمارة والصنجقية سنة 1149 في رجب بعد واقعة بيت محمد بك الدفتر دار، ولما قتل والده علي بك مع استاذ محمد بك أجتمع الأمراء والاختيارية بباب الينكجرية وأحضروا المترجم وطلعوا به إلى الباشا وقلدوه الإمارة ليأخذ بثار أبيه، وجرى ما جرى على أخصامهم. وطهر شأن المترجم ونما أمره وأشتهر صيته وتقلد إمارة الحج سنة 1154 ورجع سنة 1155، و لم يزل حتى حصلت كائنة قتل خليل بك ومن معه بالديوان سنة 1160، فخرج المترجم هارباً من مصر إلى الصعيد ثم ذهب إلى الحجاز ومات هناك.

ومات علي بك الدمياطي ومحمد بك قتلا في اليوم الذي قتل فيه خليل بك قطامش وعمر بك بلاط بالديوان في القلعة في ولاية محمد باشا راغب كما تقدم، ومحمد بك المذكور من القطامشة، وكان أغات مستحفظان فحصل دور السفر بالخزينة إلى عمر بك ابن علي بك المذكور فقلده الصنجقية وسافر بالخزينة عوضاً عنه سنة سبع وخمسين ومائة وألف. ومات أبو مناخير فضة، وذلك أنه كا ببيت أستاذه رضوان كتخدا في ليالي مولد النبي صلى الله عليه وسلم، وكان جعله باش نفر عنده فأقام يتفرج إلى نصف الليل، وأراد الذهاب إلى بيته فركب حماره وسار، وخلفه عبده من طريق تربة الازبكية، على قنطرة الأمير

حسين، وإذا بجماعة من أتباع الدمايطة ضربوه بالسلاح وهرب العبد والخدام وظنوا أنه مات، فتركوه ثم رجعوا إليه بعد ساعة، فوجدوا فيه الروح فحملوه على الحمار وساروا، فلاقاهم أوده باشة البوابة وهو من الدمايطة فوجد فيه الروح فكمل قتله، فذهب العبد وعرف جماعة رضوان كتخدا، فحضر منهم طائفة وشالوه ودفنوه في صبحها. وأرسل رضوان كتخدا عرف إبراهيم جاويش بذلك فعزل الأوده باشة وولى خلافه وذلك في أواخر قبل واقعة الدمايطة.

ومات علي كاشف قرقوش وهو من أتباع عثمان بك ذي الفقار المخفيين وذلك أن أوده باشة البوابة الذي تولى بعد عزل الأوده باشة الذي كمل قتل أبي مناخير فضة سرج بعد المغرب، وجلس عند قنطرة سنقر، وإذا بإنسان جائز بالطريق وهو مغطى الرأس فقبضوا عليه ونظروا في وجهه فوجدوه علي قرقاش فعرفوا عنه إبراهيم جاويش، فأمر الوالي بقتله فقتله والله أعلم بالحقائق.

في ذكر حوادث مصر ابتداء من سنة 1162

في ذكر حوادث مصر وتراجم أعيانها وولاتها من ابتداء سنة اثنتين وستين ومائة وألف إلى أواخر سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف، وذلك بحسب التيسير والأمكان ومالا يدرك كله لا يترك كله. فنقول لما عزل الجناب المكرم حضرة محمد باشا راغب في الواقعة التي خرج فيها حسن بك الخشاب ومحمد بك اباظة، ونزل من القلعة إلى بيت دوعزجان تجاه المظفر كما تقدم، ثم سافر في أواخر سنة أحدة وستين ومائة وألف كما تقدم إلى ثغر رشيد.

ولاية أحمد باشا المعروف بكور وزير

ووصل حضرة الجناب الأفخم أحمد باشا المعروف بكور وزير، وسبب تلقبه بذلك أنه كان بعينه بعض حول فطلع إلى ثغرسكندرية ووصلت السعاة ببشائر قدومه، فترلت إليه الملاقاة وأرباب العكاكيز وأصحاب الخدم مثل كتخدا الجاويشية وأغات المتفرقة والترجمان وكاتب الحوالة وغيرهم وكان الكاشف بالبحيرة إذ ذاك حسن أغا كتخدا بك تابع عمر بك، وتوفي هناك، فأرسل عمر بك لكتخداه حسن أغا المذكور بان يستمر في المنصب عوضاً عن مخدومه المتوفى، حتى تتم السنة، وخرج عمر بك من مصر، وأستمر المذكور بالبحيرة إلى أن أحضر احمد باشا المذكور إلى إسكندرية فحضر الأيه وتقيد بخدمته وجمع الخيول لركوب أغواته وأتباعه، والجمال لحمل أثقاله، وقدم له تقادم عمل له السماط بالمعدية حكم المعتاد، وعرفه حاله ووفاة أستاذه وخروج سيدهم من مصر، فخلع عليه الباشا صنجقية أستاذه وأعطاه بلاده من غير حلوان وذلك قبل وصول الملاقاة. ووصل خبر ذلك إلى مصر، فأرسل المتكلمون إلى كتخدا الجاويشية يقولون له أن المذكور رجل ضعيف ولا يليق بالصنجقية، فقالوا للباشا ذلك فأغتاظ فسكتوا، ووصل إلى رشيد وأجتمع هناك براغب باشا، وسافر في المركب التي حضر فيها أحمد باشا وحضر إلى مصر، وطلع بالموكب المعتاد إلى القلعة في غرة المحرم سنة 1162 وضربوا له المدافع والشنك من أبراج الينكجرية وعمل الديوان وخلع الخلع على الأمراء والاعيان والمشايخ، وخلصت رياسة مصر وأمارتها إلى إبراهيم جاويش ورضوان كتخدا، وقلد إبراهيم جاويش مملوكه علي أغا وهو الذي عرف بالغزاوي صنجقياً وكذلك حسين أغا، وهو الذي عرف بكشكش. وكذلك قلد رضوان كتخدا أحمد آغا خازنداره صنجقياً، فصار لكل واحد منهما ثلاثة صناجق هو عثمان وعلي وحسين الابراهيمية واسمعيل وأحمد ومحمد الرضوانية. ثم أن إبراهيم جاويش عمل كتخدا الوقت ثلاثة أشهر وأنفصل عنها. وحضر عبد الرحمن كتخدا القازدغلي من الحجاز وعمل كتخدا الوقت بباب مستحفظان سنتين، وشرع في عمل الخيرات وبناء المساجد وأبطل الخمامير. وسيأتي تتمة ذلك في ترجمته سنة وفاته. وأقام أحمد باشا في ولاية مصر إلى عاشر شوال سنة 1163، وكان من أرباب الفضائل، وله رغبة في العلوم الرياضية، ولما وصل إلى مصر وأستقر بالقلعة وقابله صدور العلماء في ذلك الوقت، وهم الشيخ عبد الله الشبراوي شيخ الجامع الأزهر والشيخ سالم النفراوي والشيخ سليمان المنصوري فتكلم معهم وناقشهم وباحثهم، ثم تكلم معهم في الرياضيات فأحجموا وقالوا لا نعرف هذه العلوم فتعجب وسكت. وكان الشيخ عبد الله

الشبراوي له وظيفة الخطابة بجامع السراية، ويطلع في كل يوم جمعة ويدخل عند الباشا ويتحدث معه ساعة، وربما تغدى معه، ثم يخرج إلى المسجد ويأتي إلى الباشا في خواصه فيخطب الشيخ ويدعو للسلطان وللباشا ويصلي بهم ويرجع الباشا إلى مجلسه ويترل الشيخ إلى داره. فطلع الشيخ على عادته في يوم الجمعة وأستأذن ودخل عن الباشا يحادثه، فقال له الباشا: المسموع عندنا بالديار الرومية أن مصر منبع الفضائل والعلوم وكنت في غاية الشوق إلى المجيء إليها، فلما جئتها وجدتها كما قيل تسمع معدن العلوم والمعارف. فقال: وأين هي وأنتم أعظم علمائها وقد سألتكم عن مطلوبي من العلوم فلم أجد عندكم منها شيئاً، وغاية تحصيلكم الفقه والمعقول والوسائل، ونبذتم المقاصد. فقال له نحن لسنا أعظم علمائها وأنما نحن المتصدرون لخدمتهم وقضاء حوائجهم عند أرباب الدولة والحكام، وغالب أهل الأزهر لا يشتغلون بشيء من العلوم الرياضية إلا بقدر الحاجة الموصلة إلى علم الفرائض والمواريث، كعلم الحساب والغبار. فقال له: وعلم الوقت كذلك من العلوم الشرعية بل هو من شروط صحة العبادة، كالعلم بدخول الوقت وأستقبال القبلة وأوقات الصوم والأهلة وغير ذلك. فقام: نعم مرفة ذلك من فروض الكفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين، وهذه العلوم تحتاج إلى لوازم وشروط وآلات وصناعات وأمور ذوقية، كرقة الطبيعة حسن الوضع والخط والرسم والتشكيل والامور العطاردية وأهل الأزهر بخلاف ذلك غالبهم فقراء وأخلاط مجتمعة من القرى والآفاق فيندر فيهم القابلية لذلك. فقال: وأين البعض؟ فقال: موجودون في بيوتهم يسعى إليهم. ثم أخبره عن الشيخ الوالد وعرفه عنه وأطنب في ذكره فقال: التمس منكم أرساله عندي. فقال: يا مولانا أنه عظيم القدر وليس هو تحت

أمري. فقال: وكيف الطريق إلى حضوره. قال: تكتبون له ارسالية مع بعض خواصكم فلا يسعه الأمتناع. ففعل ذلك وطلع إليه ولبى دعوته وسر برؤياه وأغتبط به كثيراً. وكان يترد إليه يومين في الجمعة وهما السبت والأربعاء، وأدرك منه مأموله وواصله بالبر و الأكرام الزائد الكثير، ولازم المطالعة عليه مدة ولايته. وكان يقول: لو لم أغنم من مصر إلا أجتماعي بهذا الأستاذ لكفاني. ومما أتفق له لما طالع ربع الدستور وأتقنه، طالع بعده ""وسيلة الطلاب في أستخراج الأعمال بالحساب""، وهو مؤلف دفيق للعلامة الماردييي، فكان الباشا يختلي بنفسه ويستخرج منه ما يستخرجه بالطرق الحسابية ثم يستخرجه من النجيب، فيجده مطابقاً. فاتفق له عدم المطابقة في مسألة من المسائل فاشتغل ذهنه وتحير فكره إلى أن حضر إليه الأستاذ في الميعاد، فأطلعة على ذلك وعن السبب في عدم المطابقة، فكشف له علة ذلك بديها. فلما أنجلى وجهها على مرآه عقله كاد يطير فرحاً وحلف أن يقبل يده ثم أحضر له فروة من ملبوسه السمور باعها المرحوم بثمانمائة دينار. ثم أشتغل عليه برسم المزاول والمنحرفات حتى أتقنها ورسم على اسمه عدة منحرفات على ألواح كبيرة من الرخام صناعة وحفراً بالأزمير كتابة ورسماً.

ولاية عبد الله باشا

وصل الخبر بولاية الشريف عبد الله باشا ووصل إلى إسكندرية، ونزل أحمد باشا إلى بيت البيرقدار وسافرت الملاقاة للباشا الجديد، ثم وصل إلى مصر في شهر رمضان سنة 1164 وطلع إلى القلعة، فأقام في ولاية مصر إلى سنة 1166ثم عزل عن مصر وولي حلب، فترل إلى القصر بقبة العزب وهاداه الأمراء، ثم سافر إلى منصبه. ووصل محمد باشا أمين فطلع إلى القلعة

وهو منحرف المزاج فأقام في الولاية نحو شهرين وتوفي في خامس شهر شوال سنة 1166ودفن بجوار قبة الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه.

قصد نصارى القبط الحج إلى بيت المقدس

وفي هذا التاريخ أحضر بطرك الأروام مرسوما سلطانيا بمنع طائفة النصارى الشوام من دخولهم كنائس الإفرنج، وأن دخلوا فأنهم يدفعون للدولة ألف كيس، فأرسل إبراهيم كتخدا فأخذ أربعة قسوس من دير الإفرنج وحبسهم، وأخذ منهم مبلغاً عظيماً من المال. وأستمر نصارة الشوام يدخلون كنائس الأفرانج ولعلها من تحيلات إبراهيم كتخدا.

ومن الحوادث أيضاً في نحو هذا التاريخ أن نصارى الأقباط قصدوا الحج إلى بيت المقدس وكان كبيرهم إذ ذلك نوروز كاتب رضوان كتخدا، فكلم الشيخ عبد الله الشبراوي في ذلك وقدم له هدية وألف دينار، فكتب له فتوى وجوابا ملخصه أن أهل الذمة لا يمنعون من دياناتهم وزياراتهم. فلما تم لهم ما أرادوا شرعوا في قضاء أشغالهم وتشهيل إغراضهم، وخرجوا في هيئة وأبها وأحمال ومواهي وتختروانات فيها نساؤهم وأولادهم ومعهم طبول وزمور، ونصبوا لهم عرضياً عند قبة العزب، وأحضروا العربان ليسيروا في خفارتهم، وأعطوهم أموالاً وخلعاً وكساوي وأنعامات. وشاع أمر هذه القضية في البلد واستنكرها الناس فحضر الشيخ عبد الله الشبراوي إلى بيت الشيخ البكري كعادته وكان علي أفندي أخو سيدي بكري متمرضاً فدخل إليه بعوده، فقال له: أي شيء هذا الحال يا شيخ الإسلام على سبيل التبكيت، كيف ترضى وتفتي النصارة وتأذن لهم بهذه الأفعال لكونهم رشوك وهادوك. فقال: لم يكن ذلك. قال: بل رشوك بألف دينار وهدية وعلى هذا تصير لهم سنة ويخرجون في العام القابل بأزيد من ذلك ويصنعون لهم محملاً ويقال حج النصارى، وحج المسلمين وتصير سنة عليك، وزرها إلى يوم القيامة. فقام الشيخ وخرج من عنده مغتاظاً وأذن للعامة في الخروج عليهم ونهب ما معهم، وخرج كذلك معهم طائفة من مجاوري الأزهر، فأجتمعوا عليهم ورجموهم وضربوهم بالعصي والمساوق، ونهبوا ما معهم وجرسوهم ونهبوا أيضاً الكنيسة القريبة من دمرداش، وأنعكس النصارى في هذه الحادثة عكسة بليغة وراحت عليهم وذهب ما صرفوه وانفقوه في الهباء.

ولاية مصطفى باشا وعزله وولاية علي باشا أوغلي الثانية

وحضر مصطفى باشا وطلع إلى القلعة ثالث عشر ربيع الأول 1167 وأستمر والياً على مصر إلى أن ورد الخبر بعزله في أوائل شهر ربيع الأول سنة 1169 وولاية حضرة الوزير المكرم علي باشا حكيم أوغلي وهي ولايته الثانية. وطلع إلى سكندرية، ونزلت إليه الملاقاة وأرباب المناصب والعكاكيز. ثم حضر إلى مصر وطلع إلى القلعة يوم الأثنين غرة شهر جمادى الأولى من السنة المذكورة، وسار في مصر سيرته المعهودة وسلك طريقته المشكورة المحمودة، فأحيا مكارم الأخلاق وأدر على رعيته الأرزاق، بحلم وبشر ربي عليهما فكانا له طبعاً وصدر رحب لا يضيق بنازله ذرعاً. واستمر في ولاية مصر إلى شهر رجب سنة 1171.

ذكر من مات في هذه الأعوام من العلماء والأعيان

مات العلامة شيخ المشايخ شمس الدين الشيخ محمد القليني الأزهري وكان له كرامات مشهورة ومآثر مذكورة، منها أنه كان ينفق من الغيب لأنه لم يكن له أيراد ولا ملك ولا وظيفة، ولا يتناول من أحد شيئاً وينفق أنفاق من لا يخشى الفقر وإذا مشى في السوق تعلق به الفقراء فيعطيهم الذهب والفضة وإذا دخل الحمام دفع الآجرة عن كل من فيه. توفي سنة 1164.

ومات الشيخ الإمام الفقيه المحدث المسند محمد بن أحمد بن يحيى بن حجازي العشماوي الشافعي الأزهري، تفقه على الشيخ عبده الديوي والشهاب أحمد بن عمر الديربي وسمع الحديث على الزرقاني وبعد وفاته أخذ الكتب الستة عن تلميذه الشهاب أحمد بن عبد اللطيف المتزلي، وانفرد بعلو الأسناد وأخذ عنه غالب فضلاء العصر، توفي يوم الأربعاء ثاني عشري جمادى الأولى سنة 1167 ودفي بتربة المجاورين.

ومات الشيخ الإمام العلامة سالم بن محمد النفراوي المالكي الأزهري المفتي الضرير، أخذ عن الشيخ العمدة أحمد النفراوي الفقه وأخذ الحديث عن الشيخ محمد الزرقاني والشيخ محمد بن علاء الدين البابلي ببيته بالازبكية والشبراملسي وغيرهم، وكان مشهوراً بمعرفة فروع المذهب وأستحضار الفروع الفقهية. وكانت حلقة درسه أعظم الحلق وعليه مهابة وجلالة. توفي يوم الخميس سادس عشر من شهر صفر سنة 1168.

ومات الشيخ الفقيه المفتي العلامة سليمان بن مصطفى بن عمر بن الولي العارف الشيخ محمد المنير المنصوري الحنفي أحد الصدور المشار إليهم، ولد سنة 1078 بالنقيطة إحدى قرى المنصورة، وقدم الأزهر فأخذ عن شيوخ المذهب كشاهين الأرمناوي وعبد الحي بن عبد الحق والشرنبلالي وأبي الحسن علي بن محمد العقدي وعمر الزهري وعثمان النحريري وقائد الأبياري شارح الكتر، فاتقن الأصول ومهر في الفروع ودارت عليه مشيخة الخنفية، ورغب الناس في فتاويه وكان جليل القدر عالي الذكر مسموع الكلمة مقبول الشفاعة. توفي سنة 1169.

ومات الشيخ الإمام الفاضل الصالح الشاعر الأديب عمر بن محمد بن عبد الله الحسيني الشنواني من ولد القطب شهاب الدين العراقي دفين شنوان، قرأ على أفاضل عصره وتكمل في الفنون وإلقى دروسا بالأزهر. توفي في رجب سنة1167.

ومات الأجل المكرم الحاج صالح الفلاح وهو أستاذ الأمراء المعروفين بمصر المشهورين بجماعة الفلاح وينسبون إلى القازدغلية. وكان متمولا ذا ثروة عظيمة وشيخ، وأصله غلام يتيم فلاح من قرية من قرى المنوفية، يقال لها الراهب. وكان خادماً لبعض أولاد شيخ البلد فانكسر عليه المال فرهن ولده عند الملتزم وهو علي كتخدا الحلفي ومعه صالح هذا وهما غلامان صغيران، فأقاما ببيت علي كتخدا حتى غلق أبوه ما عليه من المال و استلم ابنه ليرجع به إلى بلده، فامتنع صالح وألف المقام ببيت الملتزم وأستمر به يخدم مع صبيان الحريم، وكان نبيهاً خفيف الروح والحركة. ولم يزل يتنقل في الأطوار حتى صار من أرباب الأموال، وأشترى المماليك والعبيد والجواري ويزوجهم من بعضهم ويشتري لهم الدور والإيراد، ويدخلهم في الوجاقات والبلكات، بالمصانعات والرشوات لأرباب الحل والعقد والمتكلمين، وتنقلوا حتى تلبسوا بالمناصب الجليلة كتخدا آت واختيارية وأمراء طلخانات وجاويشية وأوده باشية وغير ذلك، حتى صار من مماليكه من يركب في العذارات فقط نحو المائة، وصار لهم بيوت وأتباع ومماليك وشهرة عظيمة بمصر، وكلمة نافذة وعزوة كبيرة. وكان يركب حماراً ويعتم عمة لطيفة على طربوش وخلفه خادمه، ومات في سن السبعين ولم يبق في فمه سن، وكان قال له صالح جلبي والحاج صالح، وبالجملة فكان من نوادر

الزمن وكان يقرض إبراهيم كتخدا وأمراءه بالمائة كيس وأكثر، وكذلك غيرهم ويخرج الأموال بالربا والزيادة، وبذلك أنمحقت دولتهم وزالت نعمهم في أقرب وقت، وآل أمرهم إلى البوارهم وأولادهم وبواقيهم، لذهاب ما في أيديهم، وصاروا أتباعاً وأعواناً للامراء المتأخرين.

ومات الأمير إبراهيم كتخدا تابع سليمان كتخدا القازدغلي، وسليمان هذا تابع مصطفى كتخدا والد عبد الرحمن كتخدا المشهور، لبس الضلمة في سنة 1148 وعمل جاويشاً وطلع سر دار قطار في الحج في إمارة عثمان بك ذي الفقار سنة 1153. وفي تلك السنة أستوحش منه عثمان بك باطناً لأنه كان شديد المراس قوي الشكيمة، وبعد رجوعه من الحج في سنة 1152 نما ذكره وأنتشر صيته ولم يزل من حينئذ ينمو أمره وتزيد صولته وتنقذ كلمته، وكان ذا دهاء ومكر وتحيل ولين وقسوة وسماحة وسعة صدر وتؤدة وحزم وأقدام ونظر في العواقب. ولم يزل يدبر على عثمان بك وضم إليه كتخداه أحمد السكري ورضوان كتخدا الحلفي وخليل بك قطامش عمر بك بسبب منافسة معه على بلاد هوارة كما تقدم، حتى أوقع به على حين غفلة وخرج عثمان بك من مصر على الصورة المتقدمة فعند ذلك عظم شأنه وزادت سطوته وأستكثر من شراء المماليك، وقلد عثمان مملوكه الذي كان أغات متفرقة صنجقاً وهو أول صناجقه، وهو الذي عرف بالجرجاوي. ولما قتل خليل بك قطامش وعمر بك بلاط وعلي بك الدمياطي ومحمد بك في أيام راغب باشا بمغامرة حسين بك الخشاب، ثم حصلت أيضاً كائنة الخشاب وخروجه ومن معه من مصر، وزالت دولة القطامشة والدمايطة والخشابية، وعزلوا راغب باشا في أثناء ذلك، كما تقدم، فعند ذلك أنتهب رئاسة مصر وسيادتها للمترجم وقسيمه رضوان كتخدا الجلفي ونفذت كلمتهما وعلت سطوتهما على باقي الأمراء والاختيارية الموجودين بمصر وتقلد المترجم كتخدائية باب مستحفظان ثلاثة أشهر، ثم أنفصل عنها. وذلك كما يقال لأجل حرمة الوجاق وقلد مملوكيه عليا وحسيناً صنجقين وكذلك رضوان كتخدا، كما سبق وصار لكل واحد منهما ثلاثة صناجق. وأشتغل المترجم بالأحكام وقبض الأموال الميرية وصرفها في جهاتها، وكذلك العلوفات وغلال الأنبار ومهمات الحج والخزينة ولوازم الدولة والولاة، وقسيمه رضوان كتخدا مشتغل بلذاته ومنهمك على خلاعاته، ولا يتدخل في شيء مما ذكر، والمترجم يرسل له الأموال ويوالي بر الجميع ويراعي خواطرهم وينفذ أغراضهم، وعبد الرحمن كتخدا مشتغل بالعمائر وفعل الخيرات وبناء المساجد. وأستكثر المترجم من شراء المماليك وقلدهم الأمريات والمناصب وقلد إمارة الحج لمملوكه علي بك الكبير، وطلع بالحج ورجع سنة 1167. وفي تلك السنة نزل على الحجاج سيل عظيم بمنزلة ظهر الحمار، فأخذ معظم الحجاج بجمالهم وأحمالهم إلى البحر ولم يرجع من الحجاج إلا القليل. ومما يحكى عنه أنه رأى في منامه أن يديه مملوءتان عقارب، فقصها على الشيخ الشبراوي، فقال: هؤلاء مماليك يكونون مثل العقارب ويسري شرهم وفسادهم لجميع الناس. فإن العقرب لدغت النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة فقال صلى الله عليه وسلم: لعن الله العقرب، لا تدع نبياً ولا غيره إلا لدغته، وكذا يكون مماليكك. وكان الأمر كذلك وليس للمترجم مآثر أخروية ولا أفعال خيرية يدخرها في ميعاده ويخفف عنه بها ظلم خلقه وعباده، بل كان معظم أجتهاده الحرص على الرياسة والإمارة عمر داره التي بخط قوصون بجوار دار رضوان كتخدا والدار التي بباب الخرق هي دار زوجته بنت البارودي والقصر المنسوب إليها أيضاً بمصر القديمة. والقصر الذي عند سبيل قيماز بالعادلية، وزوج الكثير من مماليكه نساء الأمراء الذين ماتوا وقتلوا وأسكنهم في بيوتهم

وعمل وليمة لمصفي باشا وعزمه في بيته بحارة قوصون في سنة 1166، وقدم له تقادم وهدايا وأدرك المترجم من العز والعظمة ونفاذ الكلمة وحسن السياسة واستقرار الأمور ما لم يدركه غيره بمصر، ولم يزل في سيادته حتى ماب على فرشه في شهر صفر سنة 1168.

ومات بعده رضوان كتخدا الجلفي وهو مملوك علي كتخدا الجلفي تقلد كتخدائية باب عزبان بعد قتل أستاذه بعناية عثمان بك ذي الفقار كما تقدم، ولم يزل يراعي لعثمان بك حقه وجميله حتى أوقع بينهما إبراهيم كتخدا كما تقدم. ولما استقرت الأمور له ولقسيمه ترك له الرياسة في الأحكام وأعتكف المترجم على لذاته وفسوقه وخلاعاته ونزهاته، وأنشأ عدة قصور وأماكن بالغ في زخرفتها وتأنيقها وخصوصاً داره التي أنشأها على بركة الأزبكية وأصلها بيت الدادة الشرايبي، وهي التي على بابها العامودان الملتفان المعروفة عند أولاد البلد بثلاثة وليه، وعقد على مجالسها العالية قبابا عجيبة الصنعة منقوشة بالذهب المحلول واللازورد والزجاج الملون والألوان المفرحة والصنائع الدقيقة، ووسع قطعة الخليج بظاهر قنطرة الدكة بحيث جعلها بركة عظيمة وبنى عليها قصراً مطلاً عليها وعلى الخليج الناصري من الجهة الأخرى. وكذلك أنشأ في صدر البركة مجلساً خارجاً بعضه على عدة قناطر لطيفة وبعضه داخل الغيط المعروف بغيط المعدية وبوسطه بحيرة تمتلئ بالماء من أعلى ويصب منها إلى حوض من أسفل ويجري إلى البستان لسقي الأشجار. وبنى قصراً آخر بداخل البستان مطلاً على الخليج وعلى الأعلاق من ظاهره. فكان يتنقل في تلك القصور وخصوصاً في أيام النيل، ويتجاهر بالمعاصي والراح والوجوه الملاح وتبرج النساء ومخاليع أولاد البلد. وخرجوا عن الحد في تلك الأيام ومنع أصحاب الشرطة من التعرض للناس في أفاعيلهم. فكانت مصر في تلك الأيام مراتع غزلان ومواطن حور وولدان كأنما أهلها خلصوا من الحساب ورفع عنهم التكليف والخطاب. وهو الذي عمر باب القلعة الذي بالرميلة المعروف بباب العزب وعمل حوله هاتين البدنتين العظيمتين والزلاقة على هذه الصورة الموجودة الآن. وقصدته الشعراء ومدحوه بالقصائد والمقامات والتواشيخ وأعطاهم الجوائز السنية وداعب بعضهم بعضاً فكان يغري هذا بهذا ويضحك منهم ويباسطهم، وأتخذ له جلساء وندماء منهم الشيخ علي جبريل والسيد ليمان والسيد حمودة السدبدي والشيخ معروف والشيخ مصطفى اللقيمي الدمياطي صاحب المدامة الأرجوانية في المدائح الرضوانية ومحمد أفندي المدني.
وأمتدحه العلامة الشيخ يوسف الحفني بقصائد طنانة وللشيخ عمار القروي فيه مقامة مدحا في المترجم ومداعبة للسيد حمودة السديدي المحلاوي. ولم يزل رضوان كتخدا وقسيمه على إمارة مصر ورئاستها حتى مات إبراهيم كتخدا كما تقدم، فتداعى بموته ركن المترجم ورفعت النيام رؤوسها وتحركت حفائظها ونفوسها، وظهر شأن عبد الرحمن كتخدا القازدغلي وراح سوق نفاقه، وأخذ يعضد مماليك إبراهيم كتخدا ويغريهم ويحرضهم على الجلفية لكونهم مواليه. فيخلص له بهم ملك مصر ويظن أنهم يراعون حق ولائه وسيادته جده، فكان الأمر عليه بخلاف ذلك كما ستراه، وهم كذلك يظهرون له الأنقياد ويرجعون إلى رأيه ومشورته ليتم لهم به المراد. وكل من أمراء إبراهيم كتخدا متطلع للرياسة أيضاً بالبلدة أيضاً من الأكابر والاختيارية وأصحاب الوجاهة مثل حسن كتخدا أبي شنب وعلي كتخدا الخربطلي وحسن كتخدا الشعراوي وقرا حسن كتخدا واسمعيل كتخدا التبانة وعثمان أغا الوكيل وإبراهيم كتخدا مناو وعلي أغا توكلي وعمر أغا متفرقة وعمر أفندي محرم اختيار جاويشان وخليل جاويش حيضان مصلي وخليل جاويش القازدغلي وبيت الهياتم وإبراهيم أغا بن الساعي وبيت درب الشمسي وعمر

جاويش الداودية ومطفى أفندي الشريف اختيارية متفرقة وبيت بلغيه وبيت قصبة رضوان وبيت الفرح وهم كثيرون اختيارية وأوده باشيه ومنهم أحمد كتخدا واسمعيل كتخدا وعلي كتخدا وذو الفقار جاويش واسمعيل جاويش وغيرهم، فأخذ أتباع إبراهيم كتخدا يدبرون في أغتيال رضوان كتخدا وأزالته، وسعت فيهم عقارب الفتن فتنبه رضوان كتخدا لذلك فأتفق مع أغراضه ولمك القلعة والأبواب والمحمودية وجامع السلطان حسن وأجمع إليه كثير من أمرائه وغيرهم من أنضم إليهم وكاد يتم له الأمر، فسعى عبد الرحمن كتخدا والاختيارية في أجراء الصلح، وطلع بعضهم إلى رضوان نصحهم لأنه كان سليم الصدر ففرق الجمع ونزل إلى بيته الذي بقوصون فاغتنموا عند ذلك الفرصة وبيتوا أمرهم ليلاً وملكوا القلعة والأبواب والجهات والمترجم في غفلته آمن في بيته مطمئن من قبلهم ولا يدي ما خبئ له، فلم يشعر إلا وهم يضربون عليه بالمدافع وكان المزين يحلق له رأسه، فسقطت على داره الحلل فأمر بالاستعداد وطلب من يركن إليهم فلم يجد أحداً، وجدهم قد أخذوا حوله الطرق والنواحي ، فحارب فيهم إلى قريب الظهر وخامر عليه أتباعه فضربه مملوكه صالح الصغير برصاصة من خلف الباب الموصل لبيت الراحة فأصابته في ساقه، وهرب مملوكه إلى الأخصام، وكانوا وعدوه بأمرية أن هو قتل سيده. فلما حضر إليهم وأخبرهم بما فعل أمر علي بك بقتله. ثم أمر رضوان بك بالخيول وركب في خاصته وخرج من نقب نقبه في ظهر البيت وتألم من الضربة لأنها كسرت عظم ساقه فسار إلى جهة البساتين وهو لا يصدق بالنجاة، فلم يتبعه أحد ونهبوا داره ثم ركب وسار إلى جهة الصعيد. فمات بشرق أولاد يحيى ودفن هناك. فكانت مدته بعد قسيمه قريباً من ستة أشهر. ولما مات تفرقت صناجقه ومماليكه في البلاد وسافر بعضهم إلى الحجاز من ناحية القصير، ثم ذهبوا من الحجاز إلى بغداد واستوطنوها وتناسلوا وماتوا وإنقضت دولتهما. فكانت مدتهما نحو سبع سنوات ومصر في تلك المدة هادية من الفتن والشرور والإقليم البحري والقبلي أمن وأمان والأسعار رخية والأحوال مرضية، واللحم الضاني المجروم من عظمه رطله بنصفين والجاموسي بنصف والسمن البقري عشرته بأربعين نصف فضة اللبن المنعاد كذلك والمكرر قنطاره بألف نصف والعسل القطر قنطاره بمائة وعشرين نصفاً واقل والرطل البن القهوة بأثني عشر نصفاً والتمر يجلب من الصعيد في المراكب الكبار ويصب على ساحل بولاق مثل عرم الغلال ويباع بالكيل والأردب والأرز أردبه بأربعمائة نصف والعسل النحل قنطاره بخمسمائة نصف وشمع العسل رطله بخمسة وعشرين نصفاً وشمع الدهن بأربعة أنصاف والفحم قنطاره بأربعين نصفا والبصل قنطاره بسبعة أنصاف وفسر على ذلك. يقول جامعه: أني أدركت بقايا تلك الأيام، وذلك أن مولدي كان في سنة 1167، ولما صرت في سن التمييز رأيت الأشياء على ما ذكر إلا قليلاً وكنت أسمع الناس يقولون الشيء الفلاني زاد سعره عما كان في سنة كذا، وذلك في مبادئ دولة إبراهيم كتخدا وحدوث الاختلال في الأمور، وكانت مصر إذ ذاك محاسنها باهرة وفضائلها ظاهرة ولأعدائها قاهرة، ويعيش رغداً بها الفقير وتتسع للجليل والحقير، وكان لأهل مصر سنن وطرائق في مكارم الأخلاق لا توجد في غيرهم. أن في كل بيت من بيوت جميع الأعيان مطبخين أحدهما أسفل رجالي، والثاني في الحريم. فيوضع في بيوت الأعيان السماط في وقتي العشاء والغداء مستطيلاً في المكان الخارج مبذولاً للناس، ويجلس بصدره أمير المجلس وحوله الضيفان، ومن دونهم مماليكه وأتباعه. ويقف الفراشون في وسطه يفرقون على الجالسين ويقربون إليهم ما بعد عنهم من القلايا والمحمرات، ولا يمنعون في وقت الطعام من يريد الدخول أصلاً ويرون أن ذلك من المعايب، حتى أن بعض ذوي الحاجات عند الأمراء إذا حجبهم الخدام أنتظروا وقت الطعام ودخلوا فلا يمنعهم الخدم في ذلك الوقت، فيدخل صاحب الحاجة ويأكل وينال غرضه من مخاطبة الأمير،

لأنه إذا نظر على سماطه شخصاً لم يكن رآه قبل ذلك و لم يذهب بعد الطعام عرف أن له حاجة. فيطلبه ويسأله عن حاجته فيقضيها له، وأن كان محتاجا واساه بشيء. ولهم عادات وصدقات في أيام المواسم، مثل أيام أول رجب والمعراج ونصف شعبان وليالي رمضان والأعياد وعاشوراء والمولد الشريف، يطبخون فيها الأرز باللبن والزردة ويملأون من ذلك قصاعاً كثيرة ويفرقون منها على من يعرفونه من المحتاجين. ويجتمع في كل بيت الكثير من الفقراء، فيفرقون عليهم الخبز ويأكلون حتى يشبعوا من ذلك اللبن والزرده. ويعطونهم بعد ذلك دراهم ولهم غير ذلك صدفات وصلت لمن يلوذ فيهم، ويعرفون منه الأحتياج، وذلك خلاف ما يعمل ويفرق من الكعك المحشو بالسكر والعجمية والشريك على المدافن والترب في الجمع والمواسم. كذلك أهل القرى والأرياف فيهم من مكارم الأخلاق ما لا يوجد في غيرهم من أهل قرى الإقليم، فإن أقل ما فيهم إذا نزل به ضيف و لم لم يعرفه أجتهد وبادر بقراه في الحال وبذل وسعه في أكرامه وذبح له ذبيحة في العشاء، وذلك ما عدا مشايخ البلاد والمشاهير من كبار العرب والمقادم، فإن لهم مضايف واستعدادات للضيوف، ومن يترل عليهم من السفار والأجناد. ولهم مساميح وآطيان في نظير ذلك خلفا عن سلف إلى غير ذلك مما يطول شرحه ويعسر أستقصاؤه. وبموت رضوان كتخدا

لم يقم لوجاق العزب صولة.م لوجاق العزب صولة.

ومات الأجل المكرم والملاذ المفخم الخواجا الحاج أحمد بن محمد الشرايبي، وكان من أعيان التجار المشتهرين كأسلافه وبيتهم المشهور بالازبكية بيت المجد والفخر والعز، ومماليكهم وأولاد مماليكهم من أعيان مصر جربجية وأمراء، ومنهم يوسف بك الشرايبي. وكانوا في غاية من الغنى والرفاهية والنظام ومكارم الأخلاق والأحسان للخاص والعام ويتردد إلى مترلهم العلماء والفضلاء ومجالسهم مشحونة بكتب العلم النفيسة للأعارة والتغيير وأنتفاع الطلبة ولا يكتبون عليها وقفية ولا يدخلونها في مواريثهم، ويرغبون فيها ويشترونها بأغلى ثمن ويضعونها على الرفوف والخزائن والخورنقات، وفي مجالسهم جميعاً. فكل من دخل إلى بيتهم من أهل العلم إلى أي مكان يقصد الإعارة أو المراجعة وجد بغيته ومطلوبه في أي علم كان من العلوم، ولو لم يكن الطالب معروفاً ولا يمنعون من يأخذ الكتاب بتمامه، فإن رده في مكانه رده وأن لم يرده وأختص به أو باعه لا يسأل عنه، وربما بيع الكتاب عليهم واشتروه مراراً، ويعتذرون عن الجاني بضرورة الاحتياج، وخبزهم، وخبزهم وطعامهم مشهور بغاية الجودة والإتقان والكثرة وهو مبذول للقاصي والداني مع السعة والاستعداد، وجميعهم مالكيو المذهب على طريقة أسلافهم وأخلاقهم جميلة وأوضاعهم مترهة عن كل نقص ورذيلة. ومن أوضاعهم وطرائقهم أنهم لا يتزوجون إلا من بعضهم البعض ولا تخرج من بيتهم امرأة إلا للمقبرة فإذا عملوا عرسا أولموا الولائم وأطعموا الفقراء والقراء على نسق أعتادوه، وتترل العروس من حريم أبيها إلى مكان زوجها بالنساء الخلس والمغاني والجنك تزفها ليلاً بالشموع، وباب البيت مقلوق عليهن، وذلك عندما يكون الرجال في صلاة العشاء بالمسجد الأزبكي المقابل لسكنهم، وبيتهم يشتمل على أثني عشر مسكنا، كل مسكن بيت متسع على حدته. وكان الأمراء بمصر يترددون إليهم كثيراً من غير سبق دعوة، وكان رضوان كتخدا يتفسح عند المترجم في كثير من الأوقات مع الكمال والاحتشام ولا يصحبه في ذلك المجلس إلا الطفاء من ندمائه، وإذا قصده الشعراء بمدح لا يأتونه في الغالب إلا في مجلسه لينالوا فضيلتين ويحرزوا جائزتين. وكان من سنتهم أنهم يجعلون عليهم كبيراً منهم وتحت يده الكاتب والمستوفي والجابي فيجمع لديه جميع الأيراد من الألتزام والعقار والجامكية ويسدد الميري، ويصرف لكل إنسان

راتبه على قدر حاله وقانون أستحقاقه. وكذلك لوازم الكساوي للرجال والنساء في الشتاء والصيف، ومصروف الجيب في كل شهر، وعند تمام السنة يعمل الحساب ويجمع ما فضل عنده من المال، ويقسمه على كل فرد بقدر استحقاقه وطبقته.
واستمروا على هذا الرسم والترتيب مدة مديدة فلما مات كبارهم وقع بينهم الاختلاف واقتسموا الإيراد وأختص كل فرد منهم بنصيبه يفعل به ما يشتهي. وتفرق الجمع وقلت البركة وأنعزل المحبون وصار كل حزب بما لديهم فرحون، وكان مسك ختامهم صديقنا وأخانا في اللوذعي الأريب والنادرة المفرد النجيب سيدي إبراهيم بن محمد بن الدادة الشرايبي الغزالي. كان رحمه الله تعالى ملكي الصفات بسام الثنايات عذع المورد رحيب النادي واسع الصدر للحاضر والبادي قطعنا معه أوقاتا كانت لعين الدهر قرة، وعلى مكتوب العمر عنوان المسرة. وما زال يشتري متاع الحياة بجوهر عمره النفيس، مواظباً على مذاكرة العلم وحضور التدريس، حتى كدر الموت ورده وبدد الدهر الحسود بنوائبه عقده كما يأتي تتمة ذلك في سنة وفاته وأنمحت بموته من بيتهم المآثر وتبدد بقية عقدهم المتناثر.
ومات أحمد جلبي ابن الأمير علي والأمير عثمان وتزوج مماليك القازدغلية نساءهم وسكنوا في بيتهم. ومنهم سليمان أغا صالح وتقلد الزعامة وصار بيتهم بيت الوالي وتوفي سنة 1171

وفاة السلطان محمود خان وتولية السلطان عثمان

ومات سلطان الزمان محمود خان العثماني وكانت مدته نيفاً وعشرين سنة، وهو آخر عثمان في حسن السيرة والشهامة والحرمة واستقامة الأحوال والمأثر الحسنة. توفي ثامن عشر صفر سنة 1168.

وتولى السلطان عثمان بن أحمد أصلح الله شأنه

ومات النبيه النبيل والفقيه الجليل والسيد الأصيل السيد محمد المدعو حمودة السديدي أحد ندماء الأمير رضوان كتخدا، ولد بالمحلة الكبرى وبها نشأ وحفظ القرآن وأشتغل بطلب العلم، فحصل مأموله في الفقه والمعقول والمعاني والبيان والعروض، وعانى نظم الشعر، وكان جيد القريحة حسن السليقة في النظم والنثر والأنشاء وحضر إلى مصر وأخذ عن علمائها وأجتمع بالأمير رضوان كتخدا عزبان الجلفي المشار إليه وصار من خاصة ندمائه، وأمتدحه بقصائد كثيرة طنانة وموشحات ومزدوجة بديعة، والمقامة التي داعب بها الشيخ عمار القروي و أردفها بقصيدة رائية بليغة في هجو المذكور سامحهما الله. وكل ذلك مذكور في الفوائح الجنانية لجامعه الشيخ عبد الله الأدكاوي. حج رحمه الله ومات وهو آيب بأجرود سنة 1163.
ومات الأجل المكرم محمد جلبي ابن إبراهيم جربجي الصابونجي مقتولاً وخبره أنه لما توفي أبوه وأخذ بلاده وبيتهم تجاه العتبة الزرقاء على بركة الأزبكية فتوفي أيضاً عثمان جربجي الصابونجي بمنفلوط وذلك سنة 1147 ومات غيره كذلك من معاتيقهم، وكان محمد جربجي مثل والده بالباب ويلتجيء إلى يوسف كتخدا البركاوي، فلما مات البركاوي خاف من علي كتخدا الجلفي فالتجأ إلى عبد الله كتخدا القازدغلي وعمل ينكجري، فأراد أن يقلده أوده باشه ويلبسه الضلمة، فقصد السفر إلى الوجه القبلي، وذلك في سنة أربع وخمسين، فسافر وأستولى على بلاد عثمان جربجي ومعاتيقه، وقام هناك وكان رذلا نجيلاً

طماعاً شرهاً في الدنيا، وكان مماليكه يهربون منه، وكانت أخته زوجا لعمر أغا خازندار أبيه، ولم يفتقدها بشيء.
ولما مات إبراهيم كتخدا القازدغلي ورضوان كتخدا الجلفي بدأ أمر أتباع إبراهيم كتخدا في الظهور، وكان المتعين بالإمارة منهم عثمان بك الجرجاوي وعلي بك الذي عرف بالغزاوي وحسين بك الذي عرف بكشكش، وهؤلاء الثلاثة تقلدوا الصنجقية والإمارة في حياة أستاذهم. والذي تقلد الإمارة منهم بعد موته حسين بك الذي عرف بالصابونجي وعلي بك بلوط قبان وخليل بك الكبير. وأما من تأمر منهم بعد قتل حسين بك الصابونجي فهم حسن بك جوجه واسمعيل بك أبو مدفع. وأما من تأمر بعد ذلك بعناية علي بك بلوط قبان عندما ظهر أمره فهو اسمعيل بك الأخير الذي تزوج ببنت أستاذه وكان خازنداره وعلي بك السروجي. فلما أستقر أمرهم بعد خروج رضوان كتخدا وزوال دولة الجلفية تعين بالرياسة منهم على أقرانه عثمان بك الجرجاوي، فسار سيراً عنيفاً من غير تدبر وناكد زوجه سيده بنت البارودي وصادرها في بعض تعلقاها، فشكت أمرها إلى كبار الاختيارية فخاطبوه في شأها، وكلمه حسن كتخدا أبو شنب فرد عليه رداً قبيحاً فتحزبوا عليه ونزعوه من الرياسة، وقدموا حسين بك الصابونجي وجعلوه شيخ البلد. لم يزل حتى حقد عليه خشداشينه وقتلوه.

وخبر موت حسين بك المذكور أنه لما مات إبراهيم كتخدا قلدوا المذكور إمارة الحج، وطلع سنة 1169 وسنة 1170، ثم تعين بالرياسة وصار هو كبير القوم والمشار إليه وكان كريماً جواداً وجيهاً، وكان يميل بطبعه إلى نصف حرام لأن أصله من مماليك الصابونجي، فهرب من بيته وهو صغير وذهب إلى أبراهيم جاويش فاشتراه من الصابونجي ورباه ورقاه، ثخم زوجه بزوجة محمد جربجي ابن إبراهيم الصابونجي، وسكن بيتهم وعمره ووسعه وأنشأ فيه قاعة عظيمة، فلذلك أشتهر بالصابونجي، ولما رجع من الحجاز قلد عبد الرحمن أغا أغاوية مستحفظان وهو عبد الرحمن أغا المشهور في شهر شعبان من سنة 1171، وطلع بالحج في تلك السنة محمد بك بن الدالي ورجع في سنة 1172 ثم أن المترجم أخرج خشداشه علي بك المعروف ببلوط قبان ونفاه إلى بلده النوسات وأخرج خشداشه أيضاً عثمان بك الجرجاوي منفياً إلى اسيوط وأراد نفي علي بك الغزاوي وإخراجه إلى جهة العادلية،فسعى فيه اختيارية بواسطة نسيبه علي كتخدا الخربطلي وحسن كتخدا أبي شنب فألزمه أن يقيم بمترل صهره علي كتخدا المذكور ببركة الرطلي ولا يخرج من البيت ولا يجتمع بأحد من أقرانه، وأرسل إلى خشداشه حسين بك المعروف بكشكش فأحضره من جرجا، وكان حاكماً بالولاية، فأمره بالأقامة في قصر العيني ولا يدخل إلى المدينة. ثم أرسل إليه يأمره بالسفر إلى جهة البحيرة، وأحضروا إليه المراكب التي يسافر فيها ويريد بذلك تفرق خشداشينه في الجهات، ثم يرسل إليهم ويقتلهم ليينفرد بالأمر والرياسة، ويستقل بملك مصر، ويظهر دولة نصف حرام وهو غرضه الباطني. وضم إليه جماعة من خشداشينه وتوافقوا معه على مقصد ظاهراً، وهم حسن كاشف جوجه وقاسم كاشف وخليل كاشف جرجي وعلي أغا المنجي واسمعيل كاشف أبو مدفع وآخر يسمى حسن كاشف. وكانوا من إخصائه وملازميه، فاشتغل معهم حسين بك كشكش واستمالهم سراً وأتفق معهم على أغتياله، فحضروا عنده في يوم الجمعة على جري عادقم وركبوا صحبته إلى القرافة، فزاروا ضريح الإمام الشافعي ثم رجع صحبتهم إلىمصر القديمة فترلوا بقصر الوكيل، وباتوا صحبته في أنس وضحك. وفي الصباح حضر إليهم الفطور فأكلوه وشربوا القهوة، وخرج المماليك ليأكلوا الفطور مع بعضهم، وبقي هو مع الجماعة وحده، وكانوا طلبوا منه أنعاماً فكتب إلى كل واحد منهم وصولا بألف ريال وألف أردب قمح وغلال، ووضعوا الأوراق في

جيوبهم ثم سحبوا عليه السلاح وقتلوه وقطعوه قطعاً ونزلوا من القصر وأغلقوه على المماليك والطائفة من خارج. وركب حسن كاشف جوجه ركوبة حسين بك وكان موعدهم مع حسين بك كشكش عند المجراة، فإنه لما أحضروا له مراكب السفر تلكأ في الترول وكلما أرسل إليه حسين بك يستعجله بالسفر يحتج بسكون الريح أو يترل بالمراكب ويعدي إلى البر الآخر ويوهم أنه مسافر ثم يرجع ليلاً ويتعلل بقضاء أشغاله. وأستمر على ذلك الحال ثلاثة أيام حتى تمم أغراضه وشغله مع الجماعة ووعدهم بالأمريات. وأتفق معهم أنه ينتظرهم عند المجراة وهم يركبون مع حسين بك ويقتلونه في الطريق أن لم يتمكنوا من قتله بالقصر. فقدر الله أنهم قتلوه وركبوا حتى وصلوا حسين بك كشكش فأخبروه بتمام الأمر، فركب معهم ودخلوا إلى مصر وذهب كشكش إلى بيت حسين بك الداودية وملكه بما فيه، وأرسل بأحضار خشداشيه المنفيين. وعندما وصل الخبر إلى علي بك الغزاوي ببركة الرطلي ركب في الحال مع القاتلين وطلعوا إلى القلعة وأخذوا في طريقهم أكابر الوجاقلية، ومنهم حسن كتخدا أبو شنب وهو من أغراض حسين بك المقتول، وكان مريضاً بالآكلة في فمه. فلما دخلوا إليه وطلبوه نزل إليهم من الحريم فأخبروه بقتلهم حسين بك فطلبوه للركوب معهم فاعتذر بالمرض، فلم يقبلوا عذره فتطيلس وركب معهم إلى القلعة، وولوا علي بك كبير البلد عوضاً عن حسين بك المقتول، وكان قتله في شهر صفر سنة1171، ثم أن مماليكه وضعوا أعضاءه في خرج وحملوه على هجين ودخلوا به إلى المدينة فأدخلوه إلى بيت الشيخ الشبراوي بالرويعي فغسلوه وكفنوه ودفنوه بالقرافة. وسكن علي بك المذكور بيت حسين بك الصابونجي الذي بالازبكية وأحضروا علي بك من النوساب وعثمان بك الجرجاوي من أسيوط، وقلدواخليل كاشف صنجقية واسمعيل أبو مدفع كذلك، وقاسم كاشف قلدوه الزعامة، ثم قلدوا بعد أشهر حسن كاشف المعروف بجوجه صنجقية ايا، وكان ذلك في ولاية

علي باشا ابن الحكيم الثانية، فكان حال حسين بك المقتول مع قاتليه كما قال الشاعر:

وإخوان تخذتهمو دروعاً ... فكانوها ولكن للاعادي

وخلتهمو سهاما صائبات ... فكانوها ولكن في فؤادي

وأما من مات في هذا التاريخ من الأعيان خلاف حسين بك المذكور فالشيخ الإمام الفقيه المحدث الأصولي المتكلم الماهر الشاعر الأديب عبد الله بن محمد بن عامر شرف الدين الشبراوي الشافعي، ولد تقريباً في سنة 1092 هو من بيت العلم والجلالة، فجده عامر بن شرف الدين ترجمه الأميني في الخلاصة ووصفه بالحفظ والذكاء، فأول من شملته أجازته سيدي محمد بن عبد الله الخرشي وعمره إذ ذاك نحو ثمان سنوات، وذلكفي سنة 1100وتوفي الشيخ الخرشي المالكي في سابع عشرين الحجة سنة 1101وتولى بعده مشيخة الأزهر الشيخ محمد النشرتي المالكي وتوفي في ثامن عشري الحجه سنة 1120، ووقع بعد موته فتنة بالجامع الأزهر بسبب المشيخة والتدريس بالاقبغاوية وأفترق المجاورون فرقتين تريد الشيخ أحمد النفراوي، والأخرى تريد الشيخ عبد الباقي القليني و لم يكن حاضراً بمصر، فتعصب له جماعة النشرتي وأرسلوا يستعجلونه للحضور فقبل حضوره تصدر الشيخ أحمد النفراوي وحضر للتدريس بالاقبغاوية فمنعه القاطنون بها، وحضر القليني فأنضم إليه جماعة النشرتي وتعصبوا له فحضر جماعة النفراوي إلى الجامع ليلاً ومعهم بنادق وأسلحة وضربوا بالبنادق في الجامع وأخرجوا جماعة القليني، وكسروا باب الاقبغاوية وأجلسوا النفراوي مكان النشرتي. فاجتمعت جماعة القليني في يومها بعد العصر وكبسوا الجامع وقفلوا أبوابه وتضاربوا مع جماعة النفراوي فقتلوا منهم نحو العشرة أنفار وانجرح بينهم جرحى كثيرة وانتهبت الخزائن وتكسرت

القناديل. وحضر الوالي فأخرج القتلى وتفرق المجاورون و لم يبق بالجامع أحد. و لم يصل فيه ذلك اليوم، وفي ثاني يوم طلع الشيخ أحمد النفراوي إلى الديوان ومعه حجة الكشف على المقتولين فلم يلتفت الباشا إلى دعواه لعلمه بتعديه، وأمره بلزوم بيته وأمر بنفي الشيخ محمد شنن إلى بلده الجدية وقبضوا على من كان بصحبته وحبسوهم في العرقانة وكانوا أثني عشر رجلاً. وأستقر القليني في المشيخة والتدريس. ولما مات تقلد بعده الشيخ محمد شنن، وكان النفراوي قد مات. ولما مات الشيخ شنن تقلد المشيخة الشيخ إبراهيم ابن موسى الفيومي المالكي. ولما مات في سنة سبع وثلاثين انتقلت المشيخة إلى الشافعية، فتولاها الشيخ عبد الله السبراوي المترجم المذكور في حياة كبار العلماء، بعد أن تمكن وحضر الأشياخ كالشيخ خليل بن أبراهيم اللقاني والشهاب الخليفي والشيخ محمد بن عبد الباقي الزرقاني والشيخ أحمد النفراوي والشيخ منصور المنوفي والشيخ صالح الحنبلي والشيخ محمد المغربي الصغير والشيخ عيد النمرسي. وسمع الأولية وأوائل الكتب من الشيخ عبد الله بن سالم البصر أيام حجه، ولي يزل يترقى في الأحوال والأطوار ويفيد ويملي ويدرس حتى صار أعظم الأعاظم ذا جاه ومتزلة عند رجال الدولة والأمراء، ونفذت كلمته وقبلت شفاعته، وصار لأهل العلم في مدته رفعة مقام ومهابة عند الخاص والعام، وأقبلت عليه الأمراء وهادوه بأنفس ما عندهم وعمر داراً عظيمة على بركة الأزبكية بالقرب من الرويعي، وكذلك ولده سيدي عامر عمر داراً تجاه دار أبيه، وصرف عليها أموالاً جمة. وكان يقتني الظرائف والتحائف من كل شيء والكتب المكلفة النفيسة بالخط الحسن، وكان راتب مطبخ ولده سيدي عامر في كل يوم من اللحم الضاني رأسين من الغنم السمان يذبحان في بيته، وكان طلبة العلم في أيام مشيخة الشيخ عبد الله الشبراوي في غاية الأدب والأحترام. ومن آثاره كتاب مفائح الألطاف في مدائح الأشراف وشرح الصدر في غزوة بدر ألفها بإشارة علي باشا ابن الحكيم وذكر في أخرها نبذة من التاريخ وولاة مصر إلى وقت صاحب الإشارة. وله ديوان يحتوي على غزليات وأشعار ومقاطيع مشهور بأيدي الناس وغير ذلك كثير، توفي في صبيحة يوم الخميس سادس ذي الحجة سنة 1171، وصلي عليه بالأزهر في مشهد حافل عن ثمانين سنة تقريباً.

ومات الشيخ الإمام الأحق بالتقديم الفقيه المحدث الورع الشيخ حسن ابن علي بن أحمد بن عبد الله الشافعي الأزهري المنطاوي الشهير بالمدابغي، أخذ العلوم عن الشيخ منصور المنوفي وعمر بن عبد السلام التطاوني والشيخ عيد النمرسي والشيخ محمد بن أحمد الوزازي ومحمد بن سعيد التنبكتي وغيرهم، خدم العلم ودرس بالجامع الأزهر وأفتى وألف وأجاد، ومنها حاشيته على شرح الخطيب علي أبي شجاع نافعة للطلبة وثلاثة شروح على الآجرومية، وشرح الصيغة الأحمدية وشرح الدلائل وشرح على حزب البحر، وشرح حزب النووي شرحاً لطيفاً. واختصر شرح الحزب الكبير للبناني ورسالة في القراءات العشر، وأخرى في فضائل ليلة القدر، وأخرى في المولد الشريف، وحاشيته على جمع الجوامع المشهورة، وحاشيته على شرح الأربعين لابن حجر، وأختصر سيرة ابن الميت وحاشية التحرير وحاشية على الأشموني وشرح قصيدة المقري التي أولها سبحان من قسم الحظوظ وحاشية على الشيخ خالد، وغير ذلك.

ومات العلامة القدوة شمس الدين محمد بن الطيب بن محمد الشرقي الفاسي ولد بفاس سنة 1110، واستجاز له ولده من أبي الاسرار حسن ابن علي العجمي من مكة المشرفة وعمره إذ ذاك ثلاث سنوات، فدخل في عموم أجازته وتوفي بالمدينة المنورة سنة 1170، وتاريخه مغلق عن ستين عاما رحمه الله تعالى.

ومات الشيخ داود بن سليمان بن أحمد بن محمد بن عمر بن عامر بم خضر الشرنوبي البرهاني المالكي الخربتاوي، ولد سنة 1080، وحضر على كبار أهل العصر كالشيخ محمد الزرقاني والخرشي وطبقتهما وعاش حتى الحق الأحفاد بالأجداد وكان شيخاً معمراً مسنداً له عناية بالحديث. توفي في جمادى الثانية سنة 1170.

ومات الشيخ القطب الصالح العارف الواصل الشيخ محمد بن علي الجزائي القاسمي الشهير بكشك، ورد مصر صغيراً وبها نشأ وحج وأخذ الطريقة عن سيدي أحمد السوسي تلميذ سيدي قاسم، وجعله خليفة القاسمية بمصر، فلوحظ بالأنوار والأسرار، ثم دخل المغرب ليزور شيخه فوجده قد مات قبل وصوله بثلاثة أيام، وأخبره تلامذة الشيخ أن الشيخ أخبر بوصول المترجم وأودع له أمانة فأخذها ورجع إلى مصر وجلس للإرشاد وأخذ العهود، ويقال أبه تولى القطبانية، توفي سنة 1170.ومات الشيخ؟؟؟؟؟الفاضل العلامة محمد بن أحمد الحنفي الأزهري الشهير بالصائم، تفقه على سيدي علي العقدي والشيخ سليمان المنصوري والسيد محمد أبي السعود وغيرهم، وبرع في معرفة فروع المذهب ودرس بالأزهر وبمسجد الحنفي ومسجد محرم في أنواع الفنون، ولازم الشيخ العقيقي كثيراً ثم أجتمع بالشيخ أحمد العريان، وتجرد للذكر والسلوك وترك علائق الدنيا ولبس زي الفقراء ثم باع ما ملكت يداه، وتوجه إلى السويس، فركب في سفينة فانكسرت فخرج مجردا يساتر العورة. ومال إلى بعض خباء الأعراب فأكرمته امرأة منهم وجلس عندها مدة يخدمها، وثم وصل إلى المنبع على هيئة رثه وأوى إلى جامعها. وأتفق له أنه صعد ليلة من الليالي على المنارة وسبح على طريقة المصريين، فسمعه الوزير إذ كان مترله قريباً من هناك، فلما أصبح طلبه وسأله فلم يظهر حاله سوى أنه من الفقراء، فأنعم عليه ببعض ملابس وأمره أن يحضر إلى داره كل يوم للطعام، ومضت على ذلك برهة إلى أن اتفق موت بعض مشايخ العربان وتشاجر أولاده بسبب قسمة التركة، فأتوا إلى الينبع يستفتون فلم يكن هناك من يفك المشكل، فرأى الوزير أن يكتب السؤال ويرسله مع الهجان بأجرة معينة إلى مكة يستفتي العلماء فاستقل الهجان الآجرة ونكص عن السفر، ووقع التشاجر في دفع الزيادة للهجان، وأمتنع أكثرهم ووقعوا في الحيرة. فلما رأى المترجم ذلك طلب الدواة والقلم وذهب إلى خلوة له بالمسجد فكتب الجواب مفصلاً بنصوص المذهب وختم عليها، وناوله للوزير فلما قرأ تعجب وأكرمه الوزير وأجله ورفع مترلته وعين له من المال والكسوة وصار يقرأ دروس الفقه والحديث هناك حتى أشتهر أمره وأقبلت عليه الدنيا. فلما أمتلأ كيسه وانجلى بؤسه وقرب ورود الركب المصري، رأى الوزير تفلته من يده فقيد عليه، ثم لما لم يجد بدا عاهده على أنه يحج ويعود إليه، فوصل مع الركب إلى مكة وأكرم وعاد إلى مصر، ولم يزل على حالة مستقيمة حتى توفي عن فالج جلس فيه شهوراً في سنة 1170، وهو منسوب إلى سفط الصائم إحدى قرى مصر من إعمال الفشن بالصعيد الأدنى، ولم يخلف في فضائله مثله رحمه الله.

ومات الإمام الأديب المتفنن أعجوبة الزمان على بن تاج الدين محمد ابن عبد المحسن بن محمد بن سالم القلعي الحنفي المكي، ولد بمكة وتربى في حجر أبيه في غاية العز والسيادة والسعادة، وقرأ عليه وعلى غيره من فضلاء مكة، وأخذ عن الواردين إليها، ومال إلى فن الأدب وغاص في بحره فاستخرج منه اللآلى والجواهر، وطارح الأدباء في المحاضر فبان فضله وبهر برهانه ورحل إلى الشام في سنة 1142 وأجتمع بالشيخ عبد الغني النابلسي، فأخذ عنه وتوجه إلى الروم، وعاد إلى مكة ، وقدم إلى مصر سنة ستين، ثم غاب عنها نحو عشر سنين ثم ورد عليها، وحينئذ كمل شرحه على بديعيته وعلى بديعيتين لشيخه الشيخ عبد

الغني وغيره ممن تقدم، وهي عشر بديعيات وشرحه على بديعيته ثلاث مجلدات، قرظ عليه غالب فضلاء مصر كالشبراوي والادكاوي والمرحومي ومن أهل الحجاز الشيخ إبراهيم المنوفي وكان للمترجم بالوزير المرحوم علي باشا ابن الحكيم التئام زائد لكونه له قوة يد ومعرفة في علم الرمل، وكان في أول اجتماعه به في الروم أخبره بأمور، فوقعت كما ذكرن فازداد عنده مهابة وقبولا. ولما تولى المذكور ثاني توليته، وهي سنة سبعين، قدم إليه من مكة من طريق البحر فأغدق عليه ما لا يوصف ونزل في مترل بالقرب من جامع أزبك بخط الصليبة، وصار يركب في موكب حافل تقليداً للوزير. ورتب في بيته كتخدا وخازندار والمصرف والحاجب على عادة الأمراء، وكان فيه الكرم المفرط والحياء والمروءة وسعة الصدر في أجازة الوافدين مالاً وشعراً. ومدحه شعراء عصره بمدائح جليلة منهم الشيخ عبد الله الادكاوي له فيه عدة قصائد، وجوزي بجوائز سنية. ولما عزل مخدومه توجه إلى بلاد الروم، فلما ولى الختام ثانيا زاد المترجم عنده أبهة حتى صار في سدة السلطنة أحد الأعيان المشار إليهم، وأتخذ داراً واسعة فيها أربعون قصراً، ووضع في كل قصر جارية بلوازمها. ولما عزل الوزير ونفي إلى إحدى مدن الروم سلب المترجم جميع ما كان بيده ونفي إلى الإسكندرية. فمكث هناك حتى مات سنة 1172 شهيداً غريباً، ولم يخلف بعده مثله. وله ديوان شعر ورسائل منها تكميل الفضل بعلم الرمل ومتن البديعية سماه الفرج في مدح عالي الدرج أقترح فيها بأنواع منها وسع الأطلاع والتطريز والرث والأعتراف والعود والتعجيب والترهيب والنعريض، وأمثلة ذلك كله موضحة في شرحه على البديعية. ولما تغيرت دولة مخدومه وتغير وجه الزمان عاد روض أنسه ذابل الأفنان، ذا أحزان وأشجان، لم يطب له المكان ودخل اسم عزه في خبر كان وتوفي في نحو هذا التاريخ.

ومات العمدة الأجل النبيه الفصيح المفوه الشيخ يوسف بن عبد الوهاب الدلجي، وهو أخو الشيخ محمد الدلجي، كلاهما ابنا خال المرحوم الوالد وكان إنساناً حسناً ذا ثروة وحسن عشرة، وكان من جملة جلساء الأمير عثمان بك ذي الفقار ولديه فضيلة ومناسبات ويحفظ كثيراً من النوادر والشواهد، وكان مترله المشرف على النيل ببولاق مأوى اللطفاء والظرفاء، ويقتني السراري والجواري، توفي سنة 1171 عن ولديه حسين وقاسم وابنة أسمها فاطمة موجودة في الأحياء إلى الآن.

ومات الشيخ النبيه الصالح علي بن خضر بن أحمد العمروسي المالكي أخذ عن السيد محمد السلموني والشهاب النفرواي والشيخ محمد الزرقاني، ودرس بالجامع الأزهر وأنتفع به الطلبة، وأختصر المختصر الخليلي في نحو الرابع ثم شرحه وكان إنساناً حسناً منجمعاً عن الناس مقبلاً على شأنه توفي سنة 1173.

ومات الأستاذ المبجل ذو المناقب الحميدة السيد شمس الدين محمد أبو الأشراق بن وفي وهو ابن أخي الشيخ عبد الخالق ولما توفي عمه في سنة 1161 خلفه في المشيخة والتكلم، وكان ذا أبهة ووقار محتشماً سليم الصدر كريم النفس بشوشاً. توفي سادس جمادى الأولى سنة 1171 وصلي عليه بالأزهر، وحمل إلى الزاوية فدفن عند عمه، وقام بعده في الخلافة الأستاذ مجد الدين محمد أبو هادي ابن وفي رضي الله عنهم أجمعين.

ومات الإمام العلامة الفريد الفقيه الفرضي الحيسوبي الشيخ حسين المحلي الشافعي، كان وحيد دهره وفريد عصره، فقهاً وأصولاً ومعقولاً جيد الاستحضار والحفظ للفروع الفقهية. وأما في علم الحساب الهوائي والغباري والفرائض وشباك ابن الهائم والجبر والمقابلة والمساحة وحل الأعداد فكان بحراً لا تشبهه البحار، ولا يدرك له قرار، وله في ذلك عدة تآليف بخطه ويبيعها

لمن يرغب فيها، ويأخذ من الطالبين أجرة على تعليمهم، فإذا جاء من يريد التعلم وطلب أن يقرأ عليه الكتاب الفلاني تعزز عليه وتمنع ويساومه على ذلك بعد جهد عظيم، وكان له حانوت بجوار باب الأزهر يتكسب فيه ببيع المناكيب لمعرفة الأوقات والكتب وتسفيرها. وألف كتاباً حافلاً في الفروع الفقهية على مذهب الإمام الشافعي، وهو كتاب ضخم في مجلدين معتبر مشهور معتمد الأقوال في الأفتاء، وله غير ذلك كثير. وبالجملة فكان طودا راسخاً تلقى عنه كثير من أشياخ العصر، ومنهم شيخنا الشيخ محمد الشافعي الجناجي المالكي وغيره. توفي سنة 1170.

ومات الشيخ الإمام المعمر القطب أحد مشايخ الطريق صاحب الكرامات الظاهرة والأنوار الساطعة الباهرة عبد الوهاب بن عبد السلام بن أحمد ابن حجازي بن عبد القادر بن أبي العباس بن مدين بن أبي العباس بن عبد القادر بن أبي العباس بن شعيب بن محمد بن القطب سيدي عمر الرزوقي العفيفي المالكي البرهاني، يتصل نسبه إلى القطب الكبير سيدي مرزوق الكفافي المشهور، ولد المترجم بمنية عفيف إحدى قرى مصر ونشأ بها على صلاح وعفة، ولما ترعرع قدم إلى مصر، فحضر على شيخ المالكية في عصره الشيخ سالم النفراوي أياما في مختصر الشيخ خليل، وأقبل على العبادة وقطن بالقاعة بالقرب من الأزهر بجوار مدرسة السنانية، وحج فلقي بمكة الشيخ أدريس اليماني فأجازه وعاد إلى مصر، وحضر دروس الحديث على الإمام المحدث الشيخ أحمد بن مصطفى الإسكندري الشهير بالصباغ، ولازمه كثيرا حتى عرف به. وأجازه مولاي أحمد التهامي حين ورد إلى مصر بطريقة الأقطاب والأحزاب الشاذلية والسيد مصطفى البكري بالخلوتية. ولما توفي شيخه الصباغ لازم السيد محمد البليدي في دروسه من ذلك تفسير البيضاوي بتمامه. وروى عنه جملة من أفاضل عصره كالشيخ محمد الصبان والسيد محمد مرتضى والشيخ محمد بن اسمعيل النفراوي،وسمعوا عليه صحيح مسلم بالاشرفية وكان كثير الزيارة لمشاهد الأولياء متواضعاً لا يرى لنفسه مقاما متحرزاً في مأكله وملبسه، لا يأكل إلا ما يؤتى إليه من زرعه من بلده من العيش اليابس مع الدقة، وكانت الأمراء تأتي لزيارته ويشمئز منهم ويفر منهم في بعض الأحيان. وكل من دخل عنده يقدم له ما تيسر من الزاد من خبزه الذي كان يأكل منه. وأنتفع به المريدون وكثروا في البلاد ونجبوا ولم يزل يترقى في مدارج الوصول إلى الحق، حتى تعلل أياما بمنزله الذي بقصر الشوك. توفي في ثاني عشر صفر سنة 1172، ودفن بجوار سيدي عبد الله المنوفي، ونزل سيل عظيم، وذلك في سنة 1178، فهدم القبور وعامت الأموات فانهدم قبره وامتلأ بالماء، فاجتمع أولاده ومريدوه وبنوا له قبراً في العلوة على يمين تربة الشيخ المنوفي، ونقلوه إليه قريبا من عمارة السلطان قايتباي، وبنوا على قبره قبة معقودة وعملوا له مقصورة ومقاما من داخلها، وعليه عمامة كبيرة وصيروه مزارا عظيماً يقصد للزيارة ويختلط به الرجال والنساء. ثم أنيشأوا بجانبه قصراً عالياً عمره محمد كتخدا اباظة وسوروا له رحبة متسعة مثل الحوش لموقف الدواب من الخيل والحمير دثروا بها قبورا كثيرة، بها كثير من أكابر الأولياء والعلماء والمحدثين غيرهم من المسلمين والمسلمات. ثم أنهم أبتدعوا له موسماً وعيداً في كل سنة يدعون إليه الناس من البلاد القبلية والبحرية، فينصبون خياماً كثيرة وصواوين ومطابخ وقهاوي ويجتمع العالم الأكبر من أخلاط الناس وخواصهم وعوامهم وفلاحي الأرياف وأرباب الملاهي والملاعب والغوازي والبغايا والقرادين والحواة، فيملأون الصحراء والبستان فيطأون القبور يوقدون عليها النيران ويصبون عليها القاذورات ويبوبون ويتغوطون ويزنون ويلوطون ويلعبون ويرقصون ويضربون بالطبول والزمور ليلاً ونهاراً، ويستمر ذلك نحو عشرة أيام أو أكثر، ويجتمع لذلك أيضاً الفقهاء والعلماء وينصبون

لهم خياماً أيضاً، ويقتدي بهم الأكابر من الأمراء والتجار والعامة من غير إنكار، بل ويعتقدون ذلك قربة وعبادة. ولو لم يكن كذلك لأنكره العلماء فضلاً عن كونهم يفعلونه، فالله يتولى هدانا أجمعين.

ومات الشيخ الأجل المعظم سيدي محمد بكري بن أحمد بن عبد المنعم ابن محمد بن أبي السرور محمد بن القطب أبي المكارم محمد أبيض الوجه ابن أبي الحسن محمد بن الجلال عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن أحمد ابن محمد بن عوض بن محمد بن عبد الخالق بن عبد المنعم بن يحيى بن الحسن بن موسى بن يحيى بن يعقوب بن نجم بن عيسى بن شعبان ابن عيسى بن داود بن محمد بن نوح بن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبي بكر الصديق، وكان يقال له سيدي أبو بكر البكري شيخ السجادة بمصر ولاه أبوه الخلافة في حياته لما تفرس فيه النجابة، مع وجود أخوته الذين هم أعمامه، وهم أبو المواهب وعبد الخالق ومحمد بن عبد المنعم. فسار في المشيخة أحسن سير وكان شيخاً مهيباً ذا كلمة نافذة وحشمة زائدة تسعى إليه الوزراء والأعيان والأمراء. وكان الشيخ عبد الله الشبراوي يأتيه في كل يوم قبل الشروق يجلس معه مقدار ساعة زمانية ثم يركب ويذهب إلى الأزهر. ولما مات خلفه ولده الشيخ سيد أحمد وكان المترجم متزوجاً بنت الشيخ الحنفي فأولدها سيدي خليلا وهو الموجود الآن تركه صغيراً فتربى في كفالة ابن عمه السيد محمد أفندي ابن علي أفندي الذي أنحصرت فيه المشيخة بعد وفاة ابن عمه الشيخ سيد أحمد مضافة إلى نقابة السادة الأشراف، كما يأتي ذكر ذلك أن شاء الله. وكانت وفاة المترجم في أواخر شهر صفر سنة 1171.

ومات أيضاً في هذه السنة السلطان عثمان خان العثماني. وتولى السلطان مصطفى بن أحمد خان، وعزل علي باشا ابن الحكيم وحضر إلى مصر محمد سعيد باشا في أواخر رجب سنة 1171واستمر في ولاية مصر إلى سنة 1173. وفي تلك السنة نزل مطر كثير سالت منه السيول.

ومات أفضل النبلاء وأنبل الفضلاء بلبل دوحة الفصاحة وغريدها، من انحازت له بدائعها طريفها وتليدها، الماجد الأكرم مصطفى أسعد اللقيمي الدمياطي، هو أحد الأخوة الأربعة وهم عمر ومحمد وعثمان والمترجم أولاد المرحوم أحمد بن أحمد بن صلاح الدين اللقيمي الدمياطي الشافعي سبط العنبوسي، وكلهم شعراء بلغاء توفي سنة 1173.

وما أديب الزمان وشاعر العصر والأوان العلامة الفاضل شمس الدين الشيخ محمد سعيد بن محمد الحنفي الدمشقي الشهير بالسمان، ورد إلى مصر في سنة 1144 فطارح الأدباء وزاحم بمناكبه الفضلاء، ثم عاد إلى وطنه وورد إلى مصر أيضاً في سنة 1172 وكان ذا حافظة وبراعة وحسن عشرة وصار بينه وبين الشيخ عبد الله الادكاوي محاضرات ومطارحات وذكره في مجموعته وأثنى عليه وأورد له من شعره كثيراً ثم توجه إلى الشام وقد وافاه الحمام ودفن بالصالحية سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف.

ومات الشيخ الصالح الشاعر اللبيب الناظم الناثر الشيخ عامر الأنبوطي الشافعي شاعر مفلق هجاء، ليب شراره محرق، كان يأتي من بلده يزور العلماء والأعيان. وكلما رأى لشاعر قصيدة سائرة قلبها وزنا وقافية إلى الهزل والطبيخ، فكانوا يتحامون عن ذلك. وكان الشيخ الشبراوي يكرمه ويكسيه ويقول له: يا شيخ عامر لا تزفر قصيدتي الفلانية وهذه جائزتك. ومن بعده

الشيخ الخفني كان يكرمه ويغدق عليه ويستأنس لكلامه. وكان شيخاً مسناً صالحاً مكحل العينين دائماً عجيباً في هيئته، ومن نظمه ألفية الطعام على وزن ألفية ابن مالك، وأولها:

يقول عامر هو الانبوطي أحمد ربي لست بالقنوطي

ومات الأمير الكبير عمر بك بن حسن بك رضوان، وذلك أنه لما قلد إبراهيم كتخدا تابعه علي بك الكبير إمارة الحج وطلع بالحجاج، ورجع في سنة 1167، ونزل عليهم السيل العظيم بظهر حمار، وألقى الحجاج وأحمالهم إلى البحر، ولم يرجع منهم إلا القليل، تشاور فيمن يقلدونه إمارة الحج فاقتضى رأي إبراهيم كتخدا تولية المترجم، وقد صار مسناً هرماً فاستعفى من ذلك، فقال له إبراهيم كتخدا: أما أن تطلع بالحج أو تدفع مائتي كيس مساعدة. فحضر عند إبراهيم كتخدا فرأى منه الجد. فقال: إذا كان ولابد فأني أصرفها واحد ولو أني أصرف ألف كيس. ثم توجه إلى القبلة وقال: اللهم لا ترني وجه إبراهيم هذا بعد هذا اليوم أما أني أموت أو هو يموت. فاستجاب الله دعوته ومات إبراهيم كتخدا في صفر قبل دخول الحجاج إلى مصر بخمسة أيام. وتوفي عمر بك المذكور سنة 1171.

ومات الرجل الفاضل النبيه الذكي المتفنن المتقن الفريد الأوسطي إبراهيم السكاكيني، كان إنسانا حسناً عطارديا يصنع السيوف والسكاكين، ويجيد سقيها وجلاءها ويصنع قرابالها ويسقطها بالذهب والفضة، ويصنع المقاشط الجيدة الصناعة والسقي والتطعيم والبر كارات للصنعة وأقلام الجدول الدقيقة الصنعة المخرمة، وغير ذلك. وكان يكتب الخط الحسن الدقيق بطريقة متسقة معروفة من دون الخطوط لا تخفى، وكتب بخطه ذلك كثيراً مثل مقامات الحريري وكتب أدبية ورسائل كثيرة في الرياضيات والرسميات وغير ذلك، وبالجملة، فقد كان فريدا في ذاته وصفاته وصناعته لم يخلف بعده مثله. توفي في حدود هذا التاريخ وكان حانوته تجاه جامع المرداني بالقرب من درب الصياغ.

وفي تلك السنة، أعني سنة 1171، نزل مطر كثير سالت منه السيول وأعقبه الطاعون المسمى بقارب شيحة، الذي أخذ المليح والمليحة. مات به الكثير من الناس المعروفين وغيرهم ما لا يحصى ثم خف وأخذ ينقر في سنة 1172 وكان قوة عمله في رجب وشعبان، وولد للسلطان مصطفى مولود في تلك السنة وورد الأمر بالزينة في تلك الأيام. وهذا المولود هو السلطان سليم المتولي الآن، ولما قتل حسين بك القازدغلي المعروف بالصابونجي وتعين في الرياسة بعده علي بك الكبير وأحضر خشداشينه المنفيين، وأستقر أمرهم، وتقلد إمارة الحج سنة 1173 فبيت مع سليمان بك الشابوري وحسن كتخدا الشعراوي وخليل جاويش حيضان مصلي وأحمد جاويش المجنون، وأتفق معهم على قتل عبد الرحمن كتخدا في غيبته، وأقام عوضه في مشيخة البلد خليل بك الدفتر دار، فلما سافر استشعر عبد الرحمن كتخدا بذلك، فشرع في نفي الجماعة المذكورين، فأغرى بهم علي بك بلوط قبن فنفى خليل جاويش حيضان مصلي وأحمد جاويش إلى الحجاز من طريق السويس على البحر، ونفى حسن كتخدا الشعراوي وسليمان بك الشابوري مملوك خشداشه إلى فارسكور. فلما وصل علي بك وهو راجع بالحج إلى العقبة وصل إليه الخبر، فكتم ذلك وأمر بعمل شنك يوهم من معه بأن الهجان أتاه بخبر سار، ولم يزل سائراً إلى أن وصل إلى قلعة نخل، فانحاز إلى القلعة وجمع الدويدار وكتخدا الحج والسدادرة وسلمهم الحجاج والمحمل، وركب في خاصته وسار إلى عزة، وسار الحجاج من غير أمير إلى أن وصلوا إلى أجرود، فأقبل عليهم حسن بك كشكش ومن معه يريد قتل علي بك فلم

يجده، فحضر بالحجاج ودخل بالمحمل إلى مصر وأستمر علي بك بغزة نحو ثلاثة شهر وأكثر، وكاتب الدولة بواسطة باشة الشام، فارسلوا إليه واحداً أغا ووعدوه ومنوه وتحيلوا عليه حتى استقصوا ما معه من المال والأقمشة وغير ذلك. ثم حضر إلى مصر بسعاية نسيبه علي كتخدا الخربطلي وأغراضه، ومات بعد وصوله إلى مصر بثمانية أيام. يقال أن بعض خشداشينه شغله بالسم حين كان يطوف عليهم للسلام.

ولاية مصطفى باشا وأحمد باشا كامل

وفي تلك السنة حضر مصطفى باشا والياً على مصر وأستمر إلى أواخر سنة 1174 ونزل إلى القبة متوجهاً إلى جدة فأقام هناك.

وحضر أحمد باشا كامل المعروف بصبطلان في أواخر سنة 1174. وكان ذا شهامة وقوة مراس ، فدقق في الأحكام وصار يركب ويترل ويكشف على الأنبار والغلال، فتعصبت عليه الأمراء وعزلوه، وأصعدوا مصطفى باشا المعزول وعرضوا في شأنه إلى الدولة، وسافر بالعرض الشيخ عبد الباسط السنديوني ووجه مصطفى باشا خازنداره إلى جدة، وكيلاً عنه. ولما وصل العرض إلى الدولة وكان الوزير إذ ذاك محمد باشا راغب، فوجهوا أحمد باشا المنفصل إلى ولاية قندية ومصطفى باشا إلى حلب، ووجهوا باكير باشا والي حلب إلى مصر، فحضر وطلع إلى القلعة وأقام نحو شهرين ومات ودفن بالقرافة سنة 1175، وحضر حسن باشا في أواخر سنة ست وسبعين ثم عزل. وحضر حمزة باشا في سنة 1179، وسيأتي تتمة ذلك، واستقر الحال وتقلد في إمارة الحج حسين بك كشكش، وطلع سنة 1174، ووقف له العرب في مضيق وحضر إليه كبراؤهم وطلبوا مطالبهم وعوائدهم، فأحضر كاتبه الشيخ خليل كاتب الصرة والصراف وأمرهم بدفع مطلوبات العرب. فذهبوا معه إلى خيمته وأحضر المال وشرع الصراف يعد لهم الدراهم، فضرب عند ذلك مدفع الشيل، فقال لهم حينئذ: لا يمكن في هذا الوقت فاصبروا حتى يترل الحج في المحطة يحصل المطلوب. وسار الحج حتى خرج من ذلك المضيق إلى الوسع ورتب مماليكه وطوائفه، وحضر العرب وفيهم كبيرهم هزاع فأمر بقتلهم، فترلوا عليهم بالسيوف فقتلوهم عن أخرهم، وفيهم نيف وعشرون كبيراً من مشايخ العربان المشهورين خلاف هزاع المذكور، وأمر بالرحيل، وضربوا المدفع، وسار الحج وتفرق قبائل العرب ونساؤهم يصرخون بطلب الثأر. فتجمعب القبائل من كل جهة ووقفوا بطريق الحجاج وفي المضايق وهو يسوق عليهم من إمام الحج وخلفه ويحاربهم ويقاتلهم بمماليكه وطوائفه حتى وصل إلى مصر بالحج سالما ومعه رؤوس العربان محملة على الجمال. ودخل المدينة بالمحمل والحجاج منصورا مؤيدا فاجتمع عليه الأمراء من خشداشينه وغيرهم، وقال له علي بك بلوط قبن: أنك افسدت علينا العرب وأخربت طريق الحج، ومن يطلع بالحج في العام القابل بعد هذه الفعلة التي فعلتها. فقال: أنا الذي أسافر بالحج في العام القابل، ومني للعرب أصطفل. فطلع أيضاً في السنة الثانية، وتجمع عليه العرب ووقفوا في كل طريق ومضيق وعلى رؤوس الجبال وأستعدوا له بما أستطاعوا من الكثرة من كل جهة، فصادمهم وقاتلهم وحار بهم وصار يكر ويفر ويحلق عليهم من إمام الحج ومن خلفه، حتى شردهم وأخافهم وقتل منهم الكثير، ولم يبال بكثرتهم مع ما هو فيه من القلة، فإنه لم يكن معه إلا نحو الثلثمائة مملوك خلاف الطوائف والأجناد وعسكر المغاربة. وكان يبرز لحربهم حاسرا رأسه مشهوراً حسامه فيشتت شملهم

ويفرق جمعهم، فهابوه وأنكمشوا عن ملاقاته وأنكفوا عن الحج. فلم تقم للعرب معه بعد ذلك قائمة. فحج أربع مرات أميراً بالحج آخرها سنة 1176، ورجع سنة 1177، ولم يتعرض له أحد من العرب ذهاباً واياباً بعد ذلك. وكذلك أخاف العربان الكائنين حوالي مصر ويقطعون الطريق على المسافرين والفرحين ويسلبون الناس، فكان يخرج إليهم على حين غفلة فيقتلهم وينهب مواشيهم ويرجع بغنائمهم ورؤوسهم في أشناف على الجمال، فارتدعوا وأنكفوا عن أفاعيلهم. وأمنت السبل وشاع ذكره بذلك.

وفي هذه المدة ظهر شأن علي بك بلوط قبن واستفحل أمره، وقلد اسمعيل بك الصنجقية وجعله أشراقه وزوجه هانم بنت سيده وعمل له مهما عظيما أحتفل به للغاية ببركة الفيل. وكان ذلك في أيام النيل سنة 1174فعلموا على معظم البركة أخشاباً مركبة على وجه الماس يمشي عليها الناس للفرجة. واجتمع بها أرباب الملاهي والملاعيب وبهلوان الحبل وغيره من سائر الأصناف والفرج والمتفرجون والبياعون من سائر الأصناف والأنواع، وعلقوا الناديل والوقدات على جميع البيوت المحيطة بالبركة، وغالبها سكن الأمراء والأعيان أكثرهم خشداشين بعضهم البعض ومماليك إبراهيم كتخدا أبي العروس. وفي كل بيت منهم ولائم وعزائم وضيافات وسماعات وآلات وجمعيات. وأستمر هذا الفرح والمهم مدة شهر كامل، والبلد مفتحة والناس تغدو وتروح ليلاً ونهاراً للحظ والفرجة من جميع النواحي. ووردت على علي بك الهدايا والصلات من إخوانه الأمراء والأعيان والاختيارية والوجاقلية والتجار والمباشرين والأقباط والإفرنج والأروام واليهود، والمدينة عامرة بالخير والناس مطمئنة والمكاسب كثيرة والأسعار رخية والقرى عامرة. وحضرت مشايخ البلدان وأكابر العربان ومقادم الإقاليم والبنادر بالهداية والأغنام والجواميس والسمن والعسل، وكل من الأمراء والإبراهيمية كأنه صاحب الفرح والمشار إليه من بينهم صاحب الفرح علي بيك. وبعد تمام الشهر زفت العروس في موكب عظيم شقوا به من وسط المدينة بأنواع الملاعيب والبهلوانات والجنك والطبول ومعظم الأعيان والجاويشية والملازمين والسعاة والأغوات إمام الحريمات، وعليهم الخلع والتخاليق المثمنة، وكذلك المهاترة والطبالون وغيرهم من المقدمين والخدم والجاويشية والركبدارية والعروس في عربة. وكان الخازندار لعلي بيك في ذلك الوقت محمد بك أبو الذهب ماشياً بجانب العربة، وفي يده عكاز ومن خلفها أولاد خزنات الأمراء ملبسين بالزرد والخود واللثامات الكشميري مقلدين بالقسي والنشاب وبأيديهم المزاريق الطوال، وخلف الجميع النوبة التركية والنفيرات. فمن ذلك الوقت أشبهر أمر علي بك وشاع ذكره ونما صيته وقلد أيضاً مملوكه علي بك المعروف بالسروجية. ولما كان عبد الرحمن كتخدا بان سيدهم ومركز دائرة دولتهم انضوى إلى ممالأته ومال هو الآخر إلى صداقته ليقوى به على أرباب الرياسة من اختيارية الوجاقات، وكل منهما يريد تمام الأمر لنفسه. حتى أن عبد الرحمن كتخدا لما أراد نفي الجماعة المتقدم ذكرهم مع بعض المتكلمين وصوروا علي أحمد جاويش المجنون ما يقتضي نفيه، ثم عرضوا ذلك على عبد الرحمن كتخدا فمانع في ذلك وأظهر الغيظ وأصبح في ثاني يوم أجتمع عنده الاختيارية والصناجق على عادتهم. فلما تكامل حضور عين عبد الرحمن كتخدا غاديا إلى بيت علي بك وكذلك باقي الأمراء والاختيارية وصار الجميع والديوان في بيته من ذلك اليوم، ولبس الخلعة من الباشا على ذلك، ثم أنهم طلعوا أيضاً في ثاني يوم إلى الديوان وأجتمعوا بباب الينكجرية وكتبوا عرضحال بنفي أحمد جاويش وخليل جاويش وسليمان بك الشابوري، فقال عبد الرحمن كتخدا: وأكتبوا معهم حسن كتخدا الشعراوي أيضاً. فكتبوه وأخرجوا

فرماناً بذلك نفوهم كما ذكر، واستمروا في نفيهم. وعمل أحمد جاويش وقادا بالحرم المدني وخليل جاويش أقام أيضاً بالمدينة والشابوري وحسن كتخدا جهة فارسكور والسرو ورأس الخليج، وأخذ علي بك يمهد لنفسه، وأستكثر من شراء المماليك وشرع في مصادرة الناس. ويتحيل على أخذ الأموال من أرباب البيوت المدخرة والأعيان المستورين مع الملاطفة وإدخال الوهم على البعض بمثل النفي والتعرض إلى الفائظ ببعض المقتضيات ونحو ذلك.

حادثة سماوية

ومن الحوادث السماوية أن في يوم السبت تاسع عشر جمادى الأولى هبت رسح عظيمة شديدة نكباء غريبة، وغرق منها بالإسكندرية ثلاثة وثلاثون مركبا في مرسى المسلمين، وثلاثة مراكب في مرسى النصارى. وضجت الناس وهاج البحر شديداً وتلف بالنيل بعض مراكب وسقطت عدة أشجار.

وطلع علي بك أميراً بالحج في سنة 1177ورجع في أوائل سنة 1178 في أبهة عظيمة وأرخى مملوكه محمد الخازندار لحيته على زمزم. فلما رجع قلده الصنجقية وهو الذي عرف بأبي الذهب. ثم قلد مملوكه أيوب أغا ورضوان قرابينه وإبراهيم شلاق بلغيه وذا الفقار وعلي بك الحبشي صناجق أيضاً. وأنقضت تلك السنة وأمر علي بك يتزايد. وشهلوا أمور الحج على العادة وقبضوا الميري وصرفوا العلوفات والجامكية والصرة وغلال الحرمين والانبار، وخرج المحمل على القانون المعتاد وأميره حسن بك رضوان. ولما رجع من البركة بعد أرتحال الحج، طلع علي بك وخشداشينه وأغراضه وملكوا أبواب القلعة وكتبوا فرمانا وأخرجوا عبد الرحمن كتخدا وعلي كتخدا الخربطلي وعمر جاويش الداودية ورضوان جربجي الرزاز وغيرهم منفيين. فأما عبد الرحمن كتخدا فأرسلوه إلى السويس ليذهب إلى الحجاز وعينوا للذهاب معه صالح بك ليوصله إلى السويس. ونفوا باقي الجماعة إلى جهة بحري وأرتجت مصر في ذلك اليوم وخصوصاً لخروج عبد الرحمن كتخدا، فإنه كان أعظم الجميع وكبيرهم وابن سيدهم وله الصولة والكلمة والشهرة، وبه أرتفع قدر الينكجرية على العزب، وكان له عزوة كبيرة ومماليك وأتباع وعساكر مغاربة وغيرهم، حتى ظن الناس وقوع فتنة عظيمة في ذلك اليوم. فلم يحصل شيء من ذلك سوى ما نزل بالناس من البهتة والتعجب. ثم أرسل إلى صالح بك فرمانا ينفيه إلى غزة، فوصل إليه الجاويش في اليوم الذي نزل فيه عبد الرحمن كتخدا في المركب وسافر وذهب صالح بك إلى غزة فأقام بها مدة قليلة، ثم أرسلوا له جماعة ونقلوه من غزة وحضروا به إلى ناحية بحري وأجلسوه برشيد، ورتب له علي بك ما يصرفه وجعل له فائظا في كل سنة عشرة أكياس. فأقام برشيد مدة فحضرت أخبار وصول الباشا الجديد، وهو حمزة باشا إلى ثغر سكندرية، فأرسلوا إلى صالح بك جماعة يغيبونه من رشيد ويذهبون به إلى دمياط يقيم بها، وذلك لئلا يجتمع بالباشا. فلما وصلت إليه الأخبار بذلك ركب بجماعته ليلاً وسار إلى جهة البحيرة، وذهب من خلف جبل الفيوم إلى جهة قبلي، فوصل إلى منية ابن خصيب فأقام بها وأجتمع عليه أناس كثيرة من الذين شردهم علي بك ونفاهم في البلاد، وبنى له أبنية ومتاريس وكان له معرفة وصداقة مع شيخ العرب همام وأكابر الهوارة وأكثر البلاد الجارية في التزامه جهة قبلي. وأجتمع عليه الكثير منهم وقدموا له التقادم والذخيرة وما يحتاج إليه ووصل المولى حفيد أفندي القاضي، وكان من العلماء الأفاضل ويعرف بطرون أفندي، وكان مسناً هرماً فجلس على الكرسي بجامع المشهد الحسيني ليملي درساً

فأجتمع عليه الفقهاء الأزهرية وخلطوا عليه، وكان المتصدي لذلك الشيخ أحمد بن يونس والشيخ عبد الرحمن البراذعي، فصار يقول لهم: كلموني بآداب البحث أما قرأتم آداب البحث. فزادوا في المغالطة فما وسعه إلا القيام، فانصرفوا عنه وهم يقولون عكسناه.

وفي شعبان من السنة المذكورة شرع القاضي المذكور في عمل فرح لختان ولده، فأرسل إليه علي بك هدية حافلة وكذلك باقي الأمراء والاختيارية والتجار والعلماء حتى امتلأت حواصل المحكمة بالأرز والسمن والعسل والسكر وكذلك امتلأ المقعد بفروق البن ووسط الحوش بالحطب الرومي، وأجتمع بالمحكمة أرباب الملاعيب والملاهي والبهلوانات وغيرهم، وأستمر ذلك عدة أيام والناس تغدو وتروح للفرجة. وسعب العلماء والأمراء والأعيان والتجار لدعوته. وفي يوم الزفة أرسل إليه علي بك ركوبته وجميع اللوازم من الخيول والمماليك وشجر الدر والزرديات، وكذلك طاقم الباشا من الأغوات والسعاة والجاويشية والنوبة التركية، وأركبوا الغلام بالزفة إلى بيت علي بك، فألبسه فروة سمور ورجع إلى المحكمة بالموكب وختن معه عدة غلمان، وكان مهما مشهوداً، وأتحد هذا القاضي بالشيخ الوالد بالشيخ الوالد وترد كل منهما على الآخر كثيراً، وحضر مرة في غير وقت ولا موعد في يوم شديد الحر، فلما صعد إلى أعلى الدرج وكان كثيراً فاستلقى من التعب على ظهره لهرمه، فلما تروح وأرتاح في نفسه قال له الشيخ: يا أفندي لاي شيء تتعب نفسك، أنا آتيك متى شئت. فقال: أنا أعرف قدرك وأنت تعرف قدري. وكان نائبه من الأذكياء أيضاً.

ولما حضر حمزة باشا سنة 1179 المذكورة والياً على مصر، وطلع إلى القلعة عرضوا له أمر صالح بك وأنه قاطع الطريق ومانع وصول الغلال والميري وأخذوا فرمانا بالتجريد عليه، وتقلد حسين بك كشكش حاكم جرجا وأمي رالتجريدة وشرعوا في التشهيل والخروج، فسافر حسين بك كشكش وصحبته محمد أبو الذهب وحسن بك الأزبكاوي فالتطموا مع صالح بك لطمة صغيرة، ثم توجه وعدى إلى شرق أولاد يحى، وكان حسين بك شبكة مملوك حسين بك كشكش نفاه علي بك إلى قبلي، فلما ذهب صالح بك إلى قبلي أنضم إليه وركب معه، فلما توجه حسين بك بالتجريدة وعدى صالح بك شرق أولاد يحى أنفصل عنه وحضر إلى سيده حسين بك وأنضم إليه كما كان، ورجع محمد بك وحسن بك إلى مصر، وتخلف حسين بك عن الحضور يريد الذهاب إلى منصبه بجرجا، وأقام في المنية فأرسل إليه علي بك فرمانا بنفيه إلى جهة عينها له، فلم يمتثل لذلك، وركب في مماليكه وأتباعه وأمرائه وحضر إلى مصر ليلاً فوجد الباب الموصل لجهة قناطر السباع مغلوقا، فطرقه فلم يفتحوه، فكسره ودخل وذهب إلى بيته وبقي الأمر بينهم على المسالمة اياماً، فأراد علي بك أن يشغله بالسم بيد عبد الله الحكيم وقد كان طلب منه معجوناً للباءة فوضع له السم في المعجون وأحضره له، فأمره أن يأكل منه أولاً، فتلكأ وأعتذر فأمر بقتله. وكان عبد الله الحكيم هذا نصرانياً رومياً يلبس على رأسه قلبق سمور، وكان وجيهاً جميل الصورة فصيحاً متكلماً يعرف التركية والعربية والرومية والطليانية. وعلم حسين بك أنها من عزيمة علي بك، فتأكدت بينهما الوحشة وأضمر كل منهما لصاحبه السوء وتوافق علي بك مع جماعته على غدر حسين بك أو أخراجه، فوافقوه ظاهراً وأشتغل حسين بك على أخراج علي بك وعصب خشداشينه وغيرهم، وركبوا عليه المدافع فكرنك في بيته وأنتظر حضور المتوافقين معه، فلم يأته منهم أحد، وتحقق نفاقهم عليه. فعند ذلك أرسل إليهم يسألهم عن مرادهم فحضر إليه منهم من يأمره بالركوب والسفر، فركب وأخرجوه منفياً

إلى الشام ومعه مماليكه وأتباعه، وذلك في أواخر شهر رمضان سنة 1179 وأقام بالعادلية ثلاثة أيام حتى عملوا حسابه وحساب أتباعه وهم محيطون بهم من كل جهة بالعسكر والمدافع، حتى فرغوا من الحساب وأستخلصوا ما بقي على طرفهم، ثم سافروا إلى جهة غزة، وكانت العادة فيمن ينفى من أمراء مصر انه إذا خرج إلى خارج فعلوا معه ذلك ولا يذهب حتى يوفي جميع ما يتأخر بذمته من ميري وخلافه، وأن لم يكن معه ما يوفي ذلك باع أساس داره ومتاعه وخيوله، ولا يذهب إلا خالص الذمة. وسافر صحبة علي بك أمراؤه وهم محمد بك وأيوب بك ورضوان بك وذو الفقار بك وعبد الله أغا الوالي وأحمد جاويش وقيطاس كتخدا وباقي أتباعه. وأستقر خليل بك كبير البلد مع قسيمه حسين بك كشكش وباقي جماعته وحسن بك جوجو، وعزلوا عبد الرحمن الرحمن أغا وقلدوا قاسم أغا الوالي أغات مستحفظان ، وورد الخبر من الجهة القبلية بأن صالح بك رجع من شرق أولاد يحيى إلى المنية وأستقر فيها وحصنها. فعند ذلك شرعوا في تشهيل تجريدة وبرزوا إلى جهة البساتين. وفي تلك الأيام رجع علي بك ومن معه على حين غفلة ودخل إلى مصر، فترل ببيت حسين بك كشكش ومحمد بك نزل عند عثمان بك الجرجاوي وأيوب بك دخل مترل إبراهيم أغا الساعي، فأجتمع الأمراء بالآثار وعملوا مشوره في ذلك. فاقتضى الرأي بأن يرسلوه إلى جدة، فأجتمع الرأي بأن يعطوه النوسات ويذهب إليها، فرضي بذلك وذهب إلى النوسات وأقام بها، وأرسلوا محمد بك وأيوب بك وضوان بك إلى قبلي بناحية أسيوط وجهاتها، وكان هناك خليل بك الأسيوطي فانضموا إليه وصادقوه وسفروا التجريدة إلى صالح بك فهزمت فأرسلوا له تجريدة أخرى وأميرها حسن بك جوجو وكان منافقا فلم يقع بينهم إلا بعض مناوشات، ورجعوا أيضاً كأنهم مهزومون وأرسلوا له ثالث ركبة، فكانت الحرب بينهم سجالاً ورجعوا كذلك بعد أن اصطلحوا مع صالح بك أن يذهب إلى جرجا ويأخذ ما يكفيه هو ومن معه ويمكث بها ويقوم بدفع المال والغلال.

وكان ذلك في شهر جمادى الأولى سنة 1180 وفي ثاني شعبان منها اتهموا حسن بك الأزبكاوي أنه يراسل علي بك وعلي بك يراسله، فقتلوه في ذلك اليوم بقصر العيني ورسموا بنفي خشداشينه وهم حسن بك أبو كرش ومحمد بك الماوردي وسليمان أغا كتخدا الجاويشية سيد الثلاثة وهو زوج أم عبد الرحمن

كتخدا وكان مقيماً بمصر القديمة، وقد صار مسناً، فسفروهم إلى جهة بحري ةتخيلوا من أقامة علي بك بالنوسات، فأرسلوا له خليل بك السكران فأخذه وذهب به إلى السويس ليسافر إلى جدة من القلزم وأحضر له المركب ليترل فيها.

وفي ثاني شهر شوال من السنة ركب الأمراء إلى قراميدان ليهنئوا الباشا بالعيد، وكان معتاد الرسوم القديمة أن كبار الأمراء يركبون بعد الفجر من يوم العيد،كذلك أرباب العكاكيز فيطلعون إلى القلعة ويمشون إمام الباشا من باب السراية إلى جامع الناصر بن قلاوون، فيصلون صلاة العيد ويرجعون كذلك ثم يقبلون أتكه ويهنئونه ويترلون إلى بيوتهم، فيهنئ بعضهم بعضاً على رسمهم وأصطلاحهم، ويترل الباشا في ثاني يوم إلى الكشك بقراميدان، وقد هيئت مجالسه بالفرش والمساند والستائر واستعد فراشو الباشا بالتطلي والقهوة والشربات والقماقم والمباخر، ورتبوا جميع الأحتياجات واللوازم من الليل، وأصطف الخدم والجاويشية والسعاة والملازمون وجلس الباشا بذلك الكشك، وحضرت أرباب العكاكيز والخدم قبل كل أحد، ثم يأتي الدفتر دار وأمير الحاج والأمراء الصناجق والاختيارية وكتخدا الينكجرية والعزب أصحاب الوقت والمقادم والأوده باشية واليمقات والجربجية، فيهنئون الباشا ويعيدون عليه وعلى قدر مراتبهم بالقانون والترتيب، ثم ينصرفون. فلما حضروا في ذلك

اليوم المذكور وهنأ الأمراء الصناجق الباشا وخرجوا إلى دهليز القصر يريدون النزول، وقف لهم جماعة وسحبوا السلام عليهم وضربوا عليهم بنادق، فأصيب عثمان بك الجرجاوي بسيف في وجهه وحسين بك كشكش أصيب برصاصة نفذت من شقه، وسحب الآخرون سلاحهم وسيوفهم وأحتاط بهم مماليكهم نط أكثرهم من حائط البستان ونفذوا من الجهة الأخرى وركبوا خيولهم وهم لا يصدقون بالنجاة. و انجرح أيضاً اسمعيل بك أبو مدفع ومحمود بك وقاسم أغا ولكن لم يمت منهم إلا عثمان بك. وباتوا على ذلك فلما أصبحوا اجتمعوا وطلعوا إلى الأبواب وأرسلوا إلى الباشا يأمرونه بالنزول فنزل إلى بيت أحمد بك كشك بقوصون، وعند نزوله ومروره بباب العزب وقف له حسين بك كشكش وأسمعه كلاماً قبيحاً، ثم أنهم جعلوا عوضا خليل بك بلغيه قائمقام وقلدوا عبد الرحمن أغا مملوك عثمان بك صنجقاً عوضاً عن سيده، ونسبت هذه النكتة إلى حمزة باشا وقيل أنها من علي بك الذي بالنوسات ومراسلاته إلى حسن بك جوجو، فبيت مع أنفار من الجلفية وأخفاهم عنده مدة أيام وتواعدوا على ذلك اليوم وذهبوا إلى الكشك بقراميدان، وكانوا نحو الأربعين، فاختلفوا واتفقوا على ثاني يوم بدهليز بيت القاضي، وتفرقوا إلا أربعة منهم ثبتوا على ذلك الأتفاق وفعلوا هذه الفعلة وبطل أمر العيد من قراميدان من ذلك اليوم. وتهدم القصر وخرب وكذلك الجنينة ماتت أشجارها وذهبت نضارتها، لما حصلت هذه الحادثة أرسلوا حمزة بك إلى علي بك فوجده في المركب بالغاطس ينتظر أعتدال الريح للسفر، فرده إلى البر وأركبه بمماليكه وأتباعه ورجع إلى جهة مصر، ومر من الجبل وذهب إلى جهة شرق اطفيح ثم إلى أسيوط بقبلي، ورجع حمزة بك إلى مصر. ثم أن علي بك أجتمع عليه المنفيون وهوارة وخلافهم وأراد الأنضمام إلى صالح بك، فنفر منه فلم يزل يخادعه، وكان علي كتخدا الخربطلي هناك منفياً من قبله وجعله سفيراً فيما بينه وبين صالح بك هو وخليل بك الأسيوطي وعثمان كتخدا الصابونجي، فأرسلهم فلم يزالوا به حتى جنح لقولهم. فعند ذلك أرسل إليه محمد بك أبو الذهب، فلم يزل به حتى أنخدع له وأجتمع عليه بكفالة شيخ العرب همام وتحالفا وتعاقدا وتعاهدا على الكتاب والسيف. وكتبوا بذلك حجة وأتفق مع علي بك أنه إذا تم لهم الأمر أعطى لصالح بك جهة قبلي قيد حياته. وأتفقوا على ذلك بالمواثيق الأكيدة وأرسلوا بذلك إلى شيخ العرب همام فانسر بذلك ورضي به مراعاة لصالح بك، وأمدهم عند ذلك همام بالعطايا والمال والرجال، وأجتمع عليهم المتفرقون والمشردون من الغز والأجناد والهوارة والشجعان ولموا جموعا كثيرة، وحضروا إلى المنية وكان بها خليل بك السكران. فلما بلغه قدومهم أرتحل منها وحضر إلى مصر هارباً، وأستقر علي بك وصالح بك وجماعتهم بالمنية وبنوا حولها أسوارا وأبراجا وركبوا عليها المدافع وقطعوا الطريق على المسافرين المبحرين والمقبلين. وأرسل علي بك إلى ذي الفقار بك وكان بالمنصورة وصحبته جماعة كشاف، فارتحلوا ليلاً وذهبوا إلى المنية، فعمل الأمراء جمعية وعزموا على تشهيل تجريدة وتكلموا وتشاوروا في ذلك، فتكلم الشيخ الحفناوي في ذلك المجلس وأفحمهم بالكلام ومانع في ذلك وحلف أنه لا يسافر أحد بتجريدة مطلقاً، وإن فعلوا ذلك لا يحصل لهم خير أبداً فقالوا: إنه هو الذي يحرك الشر ويريد الانفراد بنفسه ومماليكه وأن لم نذهب إليه أتى هو إلينا وفعل مراده فينا، فقال لهم الشيخ : أنا أرسل إليه مكاتبة فلا تتحركوا بشيء حتى يأتي رد الجواب. فلم يسعهم إلا الإمتثال فكتب له الشيخ مكتوباً ووبخه فيه وزجره ونصحه ووعظه وأرسلوه إليه، فلم يلبث الشيخ بعد هذا المجلس إلا أياماً ومرض ورمى بالدم وتوفي إلى رحمة الله تعالى. فيقال أنهم أشغلوه وسموه ليتمكنوا من أغراضهم.

ولاية محمد باشا راقم

وفي أثناء ذلك ورد الخبر بوصول محمد باشا راقم إلى سكندرية فأرسلوا له الملاقار وحضر إلى مصر وطلع إلى القلعة في غرة ربيع الثاني سنة 1181.

وفي حادي عشر جمادى الأولى أجتمعوا بالديوان وقلدوا حسن بك رضوان دفتر دار مصر.

وفي خامس عشرة قلدوا خليل بك بلعيه أمير الحاج وقاسم إغا صنجقاً وكتبوا فرمانا بطلوع التجريدة إلى قبلي ولبس صاري عسكرها حسين بيك كشكش، وشرعوا في التشهيل وأضطرهم الحال إلى مصادرة التجار، وأحضر خليل بيك النواخيد وهم منلا مصطفى وأحمد أغا الملطيلي وقرأ إبراهيم وكاتب البهار وطلب منهم مال البهار معجلاً فاعتذروا فصرخ عليهم وسبهم فخرجوا من بين يديه وأخذوا في تشهيل المطلوب وجمع المال من التجار، وبرز حسين بيك خيامه للسفر في منتصف جمادى الأولى، وخرج صحبته ستة من الصناجق وهم حسن بيك جوجو وخليل بيك السكران وحسن بيك شبكة واسمعيل بيك أبو مدفع وحمزة بيك وقاسم بيك وأسرعوا في الارتحال.

وفي عشرينه أخرج خلفهم أيضاً خليل بك تجريدة أخرى وفيها ثلاثة صناجق ووجاقلية وعسكر مغاربة وسافروا أيضاً في يومها، وبعد ثلاثة أيام ورد الخبر وقوع الحرب بينهم ببياضة تجاه بني سويف فكانت الهزيمة على حسين بك ومن معه، وقتل علي أغا الميجي وخلافه. وقتل من ذلك الطرف ذو الفقار بك ورجع المهزومون في ذلك ثاني يوم الأحد طلعوا إلى أبواب القلعة وطلبوا من الباشا فرمانا بالتجريدة على الكثرة، وهو يوم السبت رابع عشرينه وهم في اسأ حال. وأصبحوا يوم علي بك وصالح بك ومن معهم وطلبوا مائتي كيس من الميري يصرفوها في اللوازم، فامتنع الباشا من ذلك وحضر الخبر يوم الاثنين بوصول القادمين إلى غمازة، وكان الوجاقلية وحسن بك جوجو ناصبين خيامهم جهة البساتين، فارتحلوا ليلاً وهربوا وتخبل عقل خليل بك وحسين بك ومن معهما وتحيروا في أمرهم وتحققوا الأدبار والزوال، وأرسل الباشا إلى الوجاقلية يقول لهم كل وجاق يلازم بابه.

وفي سابع عشرينه حضر علي بك وصالح بك ومن معهم إلى البساتين فازداد تحيرهم وطلعوا إلى الأبواب فوجدوها مغلوقة، فرجعوا إلى قراميدان وجلسوا هناك، ثم رجعوا وتسحب تلك الليلة كثير من الأمراء والأجناد وخرجوا إلى جهة علي بك، وكان حسن بك المعروف بجوجو ينافق الطرفين ويراسل علي بك وصالح بك سراً ويكاتبهما وضم إليه بعض الأمراء مثل قاسم بك خشداشه واسمعيل بك زوج هانم بنت سيدهم وعلي بك السروجي وجن علي وهو خشداش إبراهيم بك بلغية وكثير من أعيان الوجاقلية ويرسلون لهم الأوراق في داخل الأقصاب التي يشربون فيها الدخان ونحو ذلك.

وفي ليلة الخميس تاسع عشرين جمادى الأولى هرب الأمراء الذين بمصر وهم خليل بك شيخ البلد وأتباعه وحسين بك كشكش وأتباعه، وهم نحو عشرة صناجق وصحبتهم مماليكهم وأجنادهم عدة كثيرة وأصبح يوم الخميس فخرج الأعيان وغيرهم لملاقاة القادمين ودخل في ذلك اليوم علي بك وصالح بك وصناجقهم ومماليكهم وأتباعهم، وجميع من كان منفياً بالصعيد قبل ذلك من أمراء ووجاقلية وغيرهم، وحضر صحبتهم علي كتخدا الخربطلي وخليل بك السيوطي وقلده علي بك الصنجقية مجدداً وضربت النوبة في بيته، ثم أعطاه كشوفية الشرقية وسافر إليها.

وفي يوم الأحد ثاني شهر جمادى الثانية طلع علي بك وصالح بك وباقي الأمراء القادمين والذين تخلفوا عن الذاهبين مثل حسن

بك جوجو واسمعيل بك زوج هانم وجن علي وعلي بك السروجي وقاسم بك والاختيارية والوجاقلية وغيرهم إلى الديوان بالقلعة، فخلع الباشا على علي بك وأستقر في مشيخة البلد كما كان، وخلع علي صناجقه خلع الأستمرار أيضاً في أماراتهم كما كانوا، ونزلوا إلى بيوتهم وثبت قدم علي بك في إمارة مصر ورئاستها في هذه المرة، وظهر بعد ذلك الظهور التام وملك الديار المصرية والأقطار الحجازية والبلاد الشامية، وقتل المتمردين وقطع المعاندين وشتت شمل المنافقين وخرق القواعد وخرم العوائد وأحزب البيوت القديمة وأبطل الطرائق التي كانت مستقيمة، ثم أنه حضر سليمان أغا كتخدا الجاويشية وصناجقه إلى مصر وعزم على نفي بعض الأعيان وأخراجهم من مصر، فعلم أنه لا يتمكن من أغراضه مع وجود حسن بك جوجو، وأنم ما دام حياً لا يصفو له الحال، فأخذ يدبر على قتله فبيت مع أتباعهم على قتله فحضر حسن بك جوجو وعلي بك جن علي عند علي بك وجلسوا معه حصة من الليل وقام ليذهب إلى بيته، فركب وركب معه جن علي ومحمد بك أبو الذهب وأيوب بك ليذهبا أيضاً إلى بيوتهما لأتحاد الطريق، فلما صاروا في الطريق التي عند بيت الشابوري خلف جامع قوصون سحبوا سيوفهم وضربوا حسن بك وقتلوه وقتلوا معه أيضا جن علي، ورجعوا وأخبروا سيدهم علي بك، وذلك ليلة الثلاثاء ثامن شهر رجب من سنة 1181، وأصبح علي بك مالكاً للأبواب ورسم بنفي قاسم بك واسمعيل بك أبي مدفع وعبد الرحمن بك واسمعيل بك كتخدا عزبان ومحمد كتخدا زنور ومصطفى جاويش تابع مصطفى جاويش الكبير مملوك إبراهيم كتخدا وخليل جاويش درب الحجر.

وفي حادي عشر شهر شوال أخرج أيضاً نحو الثلاثين شخصاً من الأعيان ونفاهم في البلاد، وفيهم ثمانية عشر أميرا من جماعة الفلاح، وفيهم علي كتخدا وأحمد كتخدا الفلاح وإبراهيم كتخدا مناو وسليمان أغا كتخدا جاووشان الكبير وصناجقه حسن بك أبو كرش ومحمد بك الماوردي وخلافهم مقادم وأوده باشية، فنفى الجميع إلى جهة قبلي وأرسل سليمان أغا كتخدا الجاويشية إلى السويس ليذهب إلى الحجاز من القلزم وأستمر هناك إلى أن مات.

وفيه قبض علي بك على الشيخ يوسف بن وحيش وضربه علقة قوية ونفاه إلى بلده جناج، فلم يزل بها إلى أن مات. وكان من دهاة العالم، وكان كاتباً عند عبد الرحمن كتخدا القازدغلي وله شهرة وسمعة في السعي وقضاء الدعاوى والشكاوى والتحيلات والمداهنات والتلبيسات وغير ذلك.

في شهر الحجة وصلت أخبار عن حسين بك كشكش وخليل بك أنهم لما وصلوا إلى غزة جمعوا جموعاً وأنهم قادمون إلى مصر، فشرع علي بك في تشهيل تجريدة عظيمة وبرزوا وسافروا. ثم ورد الخبر بعد ثلاثة أيام أنهم عرجوا إلى جهة دمياط ونهبوا منها شيئاً كثيراً، ثم حضروا إلى المنصورة ونهبوا منها كذلك فأرسل علي بك يأمر التجريدة بالذهاب إليهم، وأرسل لهم أيضاً عسكراً من البحر، فتلاقوا معهم عند الديرس والجراح من أعمال المنصورة عند سمنود، فوقع بينهم وقعة عظيمة وانهزمت التجريدة وولوا راجعين. وقتل في هذه المعركة سليمان جربجي باش اختيار جمليان وأحمد جربجي طنان جراكسه وعمر إغا جاووشان أمين الشون، وكانوا صدور الوجاقات ولم يزالوا في هزيمتهم إلى دجوة. فلما وصل الخبر بذلك إلى علي بك أهتم لذلك ونزل الباشا وخرج إلى قبة باب النصر خارج القاهرة وجمع الوجاقلية والعلماء وأرباب السجاجيد، وأمر الباشا بأن كل من كان وجاقياً أو عليه عتامنة يشهل نفسه ويطلع إلى التجريدة أو يخرج عنه بدلاً، وأجتهد علي بك في تشهيل تجريدة عظيمة أخرى وكبيرها محمد بك أبو الذهب، وسافروا في أوائل المحرم واجتمعوا بالتجريدة الأولى، وسار الجميع خلف حسين بك

وخليل بك ومن معهم، وكانوا عدوا إلى بر الغربية بعد أن هزموا التجريدة، فلو قدر الله أنهم لما كسروا التجريدة ساقوا خلفهم كما فعل علي بك وصالح بك لدخلوا إلى مصر من غير مانع، ولكن لم يرد الله تعالى لهم ذلك.

وانقضت هذه السنين وما وقع بها.

من مات في هذه الأعوام من أكابر العلماء وأعاظم الأمراء

مات الشيخ الإمام الفقيه المحدث الشريف السيد محمد بن محمد البليدي المالكي الأشعري الأندلسي، حضر دروس الشيخ شمس الدين محمد بن قاسم البقري المقري الشافعي في سنة 1110 ثم على أشياخ الوقت كالشيخ العزيزي والملوي والنفراوي، وتمهر ثم لازم الفقه والحديث بالمشهد الحسيني فراج أمره وأشتهر ذكره وعظمت حلقته وحسن اعتقاد الناس فيه وانكبوا على تقبيل يده وزيارته وخصوصا تجار المغاربة لعلة الجنسية، فهادوه وواسوه واشتروا له بيتا بالعطفة المعروفة بدرب الشيشيني وفسطوا ثمنه على أنفسهم ودفعوه من مالهم. فلم يزل مقبلاً على شانه ملازما على طريقته مواظباً على أملاء الحديث كصحيح البخاري ومسلم والموطأ والشفاء والشمائل، حتى توفي ليلة التاسع والعشرين من رمضان سنة ست وسبعين ومائة وألف.

ومات الأستاذ المعظم ذو المناقب العلية والشجايا المرضية بقية السلف السيد مجد الدين محمد أبو هادي بن وفي، ولد سنة 1151 ومات والده وهو طفل فنشأ يتيماً وخلف عمه في المشيخة والتكلم، وأقبل على العلم والمطالعة والأذكار والأوراد، وولى نقابة الأشراف بمصر في الأثناء فساس فيها أحسن سياسة وجمع له بين طرفي الرياسة وكان أبيض وسيماً ذا مهابة لا يهاب في الله، أمارا بالمعروف فاعلاً للخير، توفي يوم الخميس خامس ربيع الأول سنة 1176، وصلي عليه بالأزهر في مشهد عظيم حضره الأكابر والأصاغر وحمل على الأعناق ودفن بزاويتهم بالقرب من عمه رضي الله عنه، وتخلف بعده السيد شهاب الدين أحمد أبو الأمداد.

ومات أيضاً في هذا الشهر والسنة الصدر الأعظم المغفور له محمد باشا المعروف براغب، وكان معدودا من أفاضل العلماء وأكابر الحكماء جامعاً للرياستين حويا للفضيلتين، وله تأليف وأبحاث في المعقول والمنقول والفروع والأصول، وهو الذي حضر إلى مصر والياً في سنة 1159 ووقع له ما وقع مع الخشاب والدمايطة كما تقدم، ورجع إلى الديار الرومية وتولى الصدارة، ثم توفي إلى رحمة الله تعالى في رابع عشرين شهر رمضان سنة 1176.

ومات الشيخ المجذوب علي الهواري، كان من أرباب الأحوال الصادقين والأولياء المستغرقين وأصله من الصعيد. وكان يركب الخيول ويروضها ويجيد ركوبها ولذلك لقب بالهواري. ثم أقلع من ذلك وأنجذب مرة واحدة وكان للناس فيه اعتقاد حسن، وحكى عنه الكشف غير واحد ويدور في الأسواق والناس يتبركون به. مات شهيدا بالرميلة أصابته رصاصة من يد رومي فلتة في سنة 1176، وصلوا عليه بالأزهر وأزدحم الناس على جنازته رحمه الله.

ومات الشيخ المسند بن أحمد بن عقيل الحسيني المكي الشافعي الشهير بأسقاف ابن أخت حافظ الحجاز عبد الله سالم البصري، وأسقاف لقب جده الأكبر عبد الرحمن من آل باعلوي. ولد بمكة سنة 1102، وروى عن خالد المذكور وعن الشيخين العجمي والنخلي والشيخ تاج الدين المفتي وسين بن عبد الرحمن الخطيب ومحمد عقبلة وإدريس بن أحمد اليماني والشيخ عيد

وعبد الوهاب الطنتدائي ومصطفى ابن فتح الله الحنفي، وسمع الأولية عاليا عن الشهاب أحمد البناء بعناية خاله سنة 1110، ومهر وأنجب واشتهر صيته وسمع منه كبار الشيوخ، وأجازهم كالشيخ الوالد والشيخ أحمد الجوهري، وعندي إجازته للوالد بخطه، وكذلك أجاز عبد الله بن سالم البصري والشيخ محمد عقيلة ومحمد السندي، وذلك بمكة سنة 1157، وبه تخرج شيخنا السيد محمد مرتضى في غالب مروياته، وسمعت منه أنه أجتمع به بالمدينة المنورة عند باب الرحمة، أحد أبواب الحرم الشريف وسمع منه وأجازه إجازة عامة، وذلك في سنة 1163، ولازمه بمكة سنة 1164، وسمع منه أوائل الكتب الستة وأباح له كتب خاله يراجع فيها ما يحتاج إليه وسمع من لفظه المسلسل بالعيد بالحرم المكي في صحبة سلالة الصالحين الشيخ عبد الرحمن المشرع وأجازهما، توفي في سنة 1174.

ومات العمدة العلامة المفوه النبيه الفقيه الشيخ محمد العدوي الحنفي، تفقه على كل من الأسقاطي والسيد علي الضرير والشيخ الزيادي وغيرهم. وضر في المعقول على أشياخ الوقف كالملوي والعماوي وتصدر للإفادة والإقراء وكان ذا شكيمة وشجاعة نفس وقوة جنان ومكارم أخلاق. توفي في ثالث الحجة سنة 1175.

ومات الإمام العلامة الفقيه المتقن الشيخ محمد بن عبد الوهاب الدلجي الحنفي، وهو ابن خال الوالد، أشتغل بالعلوم والفقه على أشياخ الوقت، ودرس وأفتى وأقتنى كتباً نفيسة في الفقه وجميعها بخط حسن، وقابلها وصححها وكتب عليها بخطه الحسن، وكانت جميع كتبه الفقهية وغيرها في غاية الجودة والصحة يضرب بها المثل ويعتمد عليها إلى الآن. وكان ملازماً للإفادة والإفتاء والتدريس والنفع على حالة حسنة ودماثة أخلاق وحسن عشرة، ولم يزل حتى توفي في شهر رجب سنة 1177.

ومات الفقيه الصالح الخير الدين حسن بن سلامة الطيبي المالكي نزيل ثغر رشيد تفقه على شيخه محمد بن عبد الله الزهيري وبه تخرج وأجازه محمد بن عثمان الصافي البرلسي في طريقة البراهمة وسيدي أحمد ابن قاسم البوتي حين ورد ثغر رشيد في الحديث، ودرس بجامع زغلول وأغتى ودرسه أكبر الدروس، وكان لديه فوائد كثيرة. توفي سنة 1176.

ومات المغتي الفاضل النبيه زين الدين أبو المعالي حسن بن علي بن علي ابن منصور بن عامر بن ذئاب شمة الفوي الأصل المكي ينتهي نسبه إلى الولي الكامل سيدي محمد بن زين النحراوي ومن أمه إلى سيدي إبراهيم البسيوني، ولد بمكة سنة 1142 بها نشأ، وأخذ العلم عن الشيخ عطاء بن أحمد المصري والشيخ أحمد الأشبولي وغيرهما من الواردين بالحرمين، وأتى إلى مصر فحضر دروس الشيخ الحفني وله أنتسب، وأجازه في الطريقة البرهامية بلدية الشيخ منصور هدية، وألف وأجاد وكان فصيحاً بليغاً ذكياً حاد الذهن جيد القريحة له سعة اطلاع في العلوم الغريبة وظم رائق مع سرعة الأرتجال، وقد جمع كلامه في ديران هو على فضله عنوان وسكن في الأخر بولاق بها توفي ليلة الجمعة رابع عشرين رمضان سنة 1146.

ومات الشيخ الإمام الفقيه المحدث المحقق الشيخ خليل بن محمد المغربي الأصل المالكي المصري أتى والده من المغرب فتدير مصر وولد المترجم بها، نشأ على عفة وصلاح وأقبل على تحصيل المعارف والعلوم فأدرك منها المروم، وحضر دروس الشيخ الملوي والسيد البليدي وغيرهما من فضلاء الوقت، إلى أن استكمل هلال معارفه وأبدر وفاق أقرانه في التحقيقات، واشتهر وكان حسن الإلقاء للعلوم حسن التقرير والتحرير حاد القريحة جيد الذهن إماما في المعقولات وحلالا للمشكلات، وولي خزانة كتب المؤيد مدة فأصلح ما فسد منها ورم ما تشعث، وأنتفع به جماعة كثيرون من أهل عصرنا، وله مؤلفات منها شرح

المقولات العشر. توفي يوم الخميس خامس عشرين المحرم سنة 1177 بالري وهو منصرف من الحج.
ومات السيد الأديب الشاعر المفنن عمر بن علي الفتوشي التونسي ويعرف بابن الوكيل، ورد مصر في سنة أربع وخمسين فسمع الصحيح على الشيخ الحفني وأجازه في ثاني المحرم منها ثم توجه إلى الإسكندرية وتديرها مدة، ثم ورد في أثناء أربع وسبعين وكان ينشد كثيراً من المقاطع لنفسه ولغيره، وألف رسالة في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، خرج صيغها بالدور الأعلى للشيخ الأكبر وتولى ينابة القضاء بالكاملية، وكان إنساناً حسناً لطيف المحاورة كثير التودد والمراعاة بشوش الملتقى مقبلاً على شأنه توفي في ثاني ذي الحجة 1175.
ومات الأستاذ الذاكر الشيخ محفوظ الفوي تلميذ سيدي محمد ابن يوسف من ورم في رجليه في غرة جمادى الثانية سنة 1178. ودفن يومه قريباً من مشهد السيدة نفيسة رضي الله عنها.
ومات العالم الفقيه المحدث الأصولي الشيخ محمد بن يوسف بن عيسى الدنجيهي الشافعي بدمياط في سادس شعبان سنة 1178.
ومات الجناب المكرم الصالح المنفصل عن مشيخة الحرم النبوي عبد الرحمن آغا في ثامن شوال سنة 1179، ودفن بجوار المشهد النفيسي.
ومات الجناب المكرم محب الفقراء والمساكين الأمير إبراهيم أوده باشه غالم فجأة في ثامن جمادى الأولى سنة 1177، ودفن بمقبرتهم عند السادة المالكية.
ومات أيضاً العمدة الشيخ عبد الفتاح المرحومي بالأزبكية في تاسع شوال سنة 1178.
ومات الأجل المكرم الحاج حسن فخر الدين النابلسي عن سن عالية، وكان من أرباب الأموال رابع عشرين جمادى الأولى سنة 1178.

ومات الأمير الأجل المحترم صاحب الخيرات والمحبب إلى الصالحات علي بن عبد الله مولى بشير آغا دار السعادة، ولي وكالة دار السعادة فباشر فيها بحشمة وافرة وشهامة باهرة. وكان منزله مورد الوافدين من الآفاق مظهر التجليات الأشراق مع ميله إلى الفنون الغريبة، وكماله في البدائع العجيبة من حسن الخط وجودة الرمي وأتقان الفروسية.
ومدحته الشعراء وأحبته العلماء وألقت إليه الرياسة قيادها فأصلح ما وهن من أركانها وأزال فسادها ولقد عزل عن منصبه، ولم يأفل بدر كماله وأستمر ناموس حشمته باقياً على حاله، وأقتنى كتباً نفيسة وكان سموحاً باعارتها وكان عنده من جملتها البرهان القاطع للتبريزي في اللغة الفارسية على ثيئة القاموس، وسفينة الراغب وهي مجموعة جامعة للفوائد الغربية، ومنها كشف الظنون في أسماء الكتب والفنون لمصطفى خليفة وهو كتاب عجيب. توفي يوم الاثنين ثامن عشر شهر صفر سنة 1176، وصلى عليه بسبيل المؤمن ودفن بالقرافة بالقرب من الإمام الشافعي، ولم يخلف بعده مثله في المروءة والكرم رحمه الله تعالى وقد رثاه الشعراء بمراث كثيرة.
ومات الإمام العالم والمدقق الفهامة الشيخ يوسف شقيق الأستاذ شمس الدين الحفني أخذ العلم عن مشايخ عصره مشاركا لأخيه وتلقى عن أخيه ولازمه ودرس، وأفاد وأفتى وألف ونظم الشعر الفائق الرائق، وله ديوان شعر مشهور فكتب حاشية

عظيمة على الأشموني هي مشهورة يتنافس فيها الفضلاء، وحاشية على مختصر السعد، وحاشية على شرح الخزرجية لشيخ الإسلام، وحاشية على جمع الجوامع لم تكمل، وحاشية على الناصر وابن قاسم وشرح شرح الأزهرية لمؤلفها وشرح على شرح السعد لعقائد النسفي وحاشية الخيالي عليه. توفي في شهر سفر سنة 1178.

ومات الإمام الفصيح المفرد الأديب الماهر الناظم الناثر الشيخ علي ابن الحبر بن علي المرحومي الشافعي خطيب جامع الحبشلي، وفي ليلة الجمعة سادس ذي القعدة سنة 1178.

ومات الإمام العلامة السيد إبراهيم بن محمد أبي السعود بن علي بن علي الحسيني الحنفي ولد بمصر وقرأ الكثير على والده وبه تخرج في الفنون ومهر في الفقه، وأنجب وغاص في معرفة فروع المذهب وكانت فتاويه في حياة والده مسددة معروفة ويده الطولى في حل لا أشكالات العقيمة مذكورة موصوفة، رحل في صحبة والده إلى المنصورة فمدحهما القاضي عبد الله بن مرعي المكي وأثنى عليهما بما هو مثبت في ترجمته ولو عاش المترجم لتم به جمال المذهب. توفي يوم الأحد سابع عشر جمادى الآخرة سنة 1179.

ومات الفقيه الزاهد الورع العالم المسلك الشيخ محمد بن عيسى ابن يوسف الدمياطي الشافعي، أخذ المعقول عن السيد على الضرير والشيخ العزيزي والشيخ إبراهيم الفيومي والفقه أيضاً عنهما وعن الشيخ العياشي والشيخ الملوي والحفني وطبقتهم، وأجتمع بالسيد مصطفى البكري وأخذ عنه الطريقة الخلوتية ولقنه الأسماء بشروطها، وألف حاشية على المنهج ونسبها لشيخه السيد مصطفى العزيزي، وله حاشية على سلم الأخضري في المنطق وحاشية علي السنوسية وغير ذلك. توفي في ثامن رمضان سنة 1178، وكانت جنازته حافلة وصلى عليه بالأزهر ودفن ببستان المجاورين وبنوا على قبره سقيفة يجتمع تحتها تلامذته في صبح يوم الجمعة يقرأون عنده القرآن ويذكرون وأستمروا على ذلك مدة سنين.

ومات الإمام العلامة الناسك الشيخ أحمد بن محمد السحيمي الشافعي نزيل قلعة الجبل حضر دروس الأشياخ ولازم الشيخ عيسى البراوي وبه أنتفع وتصدر للتدريس بجامع سيدي سارية وأحيا الله به تلك البقعة وأنتفع به النسا جيلا بعد جيل، وعمر بالقرب من مترله زاوية وحفر ساقية بذل عليها بعض الأمراء بأشارته مالا حفيلا فنبع الماء، وعد ذلك من كراماته، فأهم كانوا قبل ذلك يتعبون من قلة الماء كثيراً، وشغل الناس بالذكر والعلم والمراقبة وصنف التصانيف المفيدة في علم التوحيد على الجوهرة، وجعله متنا وشرحه مزجاً وهي غاية في باها، وله حال مع الله وتؤثر عنه كرامات أعتنى بعض أصحابه بجمعها، وأشتهر بينهم أنه كان يعرف الأسم الإعظم، وبالجملة فلم يكن في عصره من يدانيه في الصلاح والخير وحسن السلوك على قدم السلف. توفي ثامن شعبان سنة 1178. ودفن بباب الوزير.

ومات الإمام العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن صالح ابن أحمد بن علي بن الأستاذ أبي السعود الجارحي الشافعي ويقال له السعودي نسبة إلى جده المذكور، حضر دروس الشيخ مصطفى العزيزي وغيره من فضلاء الوقت. وكان أماما محققاً له باع في العلوم، وكان مسكنه في باب الحديد أحد أبواب مصر، وحضر السيد البليدي في تفسير البيضاوي وكان الشيخ يعتمده في أكثر ما يقول ويعترف بفضله ويحسن الثناء عليه. توفي في شعبان سنة 1179.

ومات السيد الأجل المحترم فخر أعيان الأشراف المعتبر بن السيد محمد بن حسين الحسيني العادلي الدمرداشي، ولد بمصر قبل

القرن بقليل وأدرك الشيوخ وتمول وأثرى وصار له صيت وجاه، وكان بيته بالأزبكية ويرد عليه العلماء والفضلاء، وكان وحيدا في شأنه وكلمته مقبولة عند الأمراء والأكابر. ولما تولى الشيخ أبو هادي الوفائي رحمه الله تعالى كان يتردد إلى مجلسه كثيراً توفي سنة 1178.

ومات الشيخ الفاضل الناسك الكاتب الماهر البليغ سليمان بن عبد الله الرومي الأصل المصري، مولى المرحوم علي بك الدمياطي، جود الخط على حسن أفندي الضيائي، وأنجب وتميز فيه، وأجيز وكتب بخطه الفائق كثيراً من الرسائل والأحزاب والأوراد وكانت له خلوة بالمدرسة السليمانية لإجتماع الأحباب، وكان حسن المذاكرة لطيف الشمائل حلو الفاكهة يحفظ كثيراً من الأناشيد والمناسبات. توفي سنة 1179.

ومات السيد العالم الأديب الماهر الناظم الناثر محمد بن رضوان السيوطي الشهير بابن الصلاحي ولد باسيوط على رأس الأربعين ونشأ هناك وأمه شريفة من بيت شهير هناك، ولما ترعرع ورد مصر وحصل العلوم وحضر دروس الشيخ محمد الحفني ولازمه وأنتسب إليه، فلاحظته لوناره ولبسته أسراره ومال إلى فن الأدب فأخذ منه بالحظ الأوفر، وخطه في غاية الجودة والصحة. وكتب نسخة من القاموس وهي في غاية الحسن والأتقان والضبط وله شعر عذب يغوص فيه على غرائب المعاني، وربما يبتكر ما لم يسبق إليه. وتوجه بآخر أمره إلى بلده، وبه توفي سنة 1180، رحمه الله.

ومات الإمام الصوفي العارف الناسك الشيخ محمد سعيد بن أبي بكر بن عبد الرحيم بن مهنا الحسيني البغدادي ولد بمحلة أبي النجيب من بغداد وبها نشأ، وأخذ عن الشيخ عبد العزيز بن أحمد الرحبي وحسن ابن مصطفى القادري وآخرين، وحج وقطن المدينة مدة، وأجازه الشيخ محمد حيوة السندي والشيخ حسن الكوراني. ورد مصر سنة 1171. فنزل بقصر الشوك قرب المشهد الحسيني، وكان له في كلام القوم عرفان إلى الغاية يورده على طريقة غريبة، بحيث يرسخ في ذهن السامع ويلتذ به، وكان يذهب لزيارته الأجلاء من الأشياخ مثل شيخنا السيد علي المقدسي والسيد محمد مرتضى والشيخ الفيفي وبالجملة فكان من أعاجيب دهره، وكان الشيخ العفيفي ينوه بشأنه ويقول في حقه أنه من رجال الحضرة وأنه ممن يرى النبي صلى الله عليه وسلم عيانا. وتوجه إلى الديار الرومية ثم عاد إلى المدينة ، ثم ورد أيضاً إلى مصر بعد ذلك، ونزل قرب الجامع الأزهر. ثم توجه إلى الديار الرومية وقطن بها. وظهرت له هناك الكرامات وطار صيته وعلت كلمته، وصار له أتباع ومريدون، ولم يزل هناك على حالة حسنة حتى وافاه الأجل المحتوم في أواخر الثمانين، وخلف ولده من بعده رحمه الله تعالى وسامحه.

ومات الفقيه الصالح العلامة الفرضي الحيسوبي الشيخ أحمد بن أحمد السبلاوي الشافعي الأزهري الشهير برزة، كان أماماً عالماً مواظباً على تدريس الفقه والمعقول بالجامع الأزهر، وكان يحترف بيع الكتب وله حانوت بسوق الكتبين مع الصلاح والورع والديانة، ملازما على قراءة ابن قاسم بالأزهر كل يوم بعد الظهر، أخذ عن الأشياخ المتقدمين وأنتفع به الطلبة، وكان إنسانا حسناً بهي الشكل عظيم اللحية منور الشيبة معتنياً بشأنه مقبلاً على ربه. توفي سنة 1180.

ومات الأجل المكرم الفاضل النبيه النجيب الفقيه حسن أفندي ابن حسن الضبائي المصري المجود المكتب، ولد كما وجد بخطه سنة 1092 في منتصف جمادى الثانية، وأشتغل بالعلم على أعيان عصره، وأشتغل بالخط وجوده على مشايخ هذا الفن في طريقتي الحمدية وابن الصائغ. أما الطريقة الحمدية فعلى سليمان الشاكري والجزائري وصالح الحمامي، وأما طريقة ابن الصائغ

فعلى الشيخ محمد بن عبد المعطي السملاوي فالشاكري والحمامي جودا على عمر أفندي وهو على درويش علي وهو على خالد أفندي وهو على درويش محمد شيخ المشايخ حمد الله بن بير علي المعروف بابن الشيخ الأماسي، وأما السملاوي فجود على محمد ابن محمد بن عمار، وهو على والده وهو علي يحيى المرصفي، وهو علي اسمعيل المكتب، وهو علي محمد الوسمي وهو علي أبي الفضل الأعرج، وهو علي ابن الصائغ بسنده. وكان شيخاً مهيباً بهي الشكل منور الشيبة شديد الأنجماع عن الناس، وله معرفة في علم الموسيقى والأوزان والعروض. وكان يعاشر الشيخ محمد الطائي كثيراً ويذاكره في العلوم والمعارف، وبكتب غالب تقاريره على ما يكتبه بيده من الرسائل والمرقعات، وقد أجاز في الخط لأناس كثيراً، ويجتمع في مجالس الكتبة مع صرامة وشهامة وعزة نفس. توفي في منتصف ذي الحجة سنة 1180.

ومات الإمام العالم أحد العلماء الأذكياء وافراد الدهر البحاث في المعضلات الفتاح للمقفلات الشيخ عبد الكريم بن علي المسيري الشافعي المعروف بالزيات لملازمته شيخه سليمان الزيات، حضر دروس فضلاء الوقت وأنضوى إلى الشيخ سليمان الزيات، ولازمه حتى صار معيداً الدروسة، ومهر وأنجب وتضلع في الفنون ودرس وأملى. وكان أوحد زمانه في المعقولات ولازم أخيراً الشيخ دروس الشيخ الحفني، وتلقن منه العهد ثم أرسله الشيخ إلى بلاد الصعيد، لأنه جاءه كتاب من أحد مشايخ الهوارة ممن يعتقد في الشيخ بأن يرسل إليهم أحد تلامذته، ينفع الناس بالناحية، فكان هو المعين لهذا المهم فألبسه وأجازه، ولما وصل إلى ساحل بهجورة تلقته الناس بالقبول التام، وعين له مترل واسع وحشم وخدم وأقطعوا له جانبا من الأرض ليزرعها. فقطن بالبهجورة وأعتنى به أميرها شيخ العرب اسمعيل بن عبد الله فدرس وأفتى وقطع العهود، وأقام مجلس الذكر وراج أمره وراش جناحه ونفع وشفع وأثرى جداً، وتملك عقارات ومواشي وعبيداً وزروعات ثم تقلبت الأحوال بالصعيد وأوذي المترجم وأخذ ما بيده من الأراضي، وزحرحت حاله، فأتى إلى مصر فلم يجد من يعينه لوفاة شيخه. ثم عاد و لم يحصل على طائل وما زال بالبهجورة حتى مات في أواخر سنة 1181.

ومات الإمام العلامة المتقن المعمر مسند الوقت وشيخ الشيوخ الشيخ أحمد بن عبد الفتاح بن يوسف بن عمر المجيري الملوي الشافعي الأزهري ولد كما أخبر من لفظه في فجر يوم الخميس ثاني شهر رمضان سنة 1088 وأمه آمنة بنت عامر بن حسن بن حسن بن علي بن سيف الدين ابن سليمان بن صالح بن القطب علي المغراوي الحسني أعتنى من صغره بالعلوم عناية كبيرة، وأخذ عن الكبار من أولي الأسناد والحق الأحفاد بالأجداد، فمن شيوخه الشهاب أحمد بن الفقيه والشيخ منصور المنوفي والشيخ عبد الرؤوف البشبيشي والشيخ محمد بن منصور الأطفيحي والشهاب الخليفي والشيخ عيد النمرسي والشيخ عبد الوهاب الطندتاوي وأبو العز محمد بن العجمي والشيخ عبد ربه الديوي والشيخ رضوان الطوخي والشيخ عبد الجواد وخاله أبو جابر علي بن فامر الأيتاوي وأبو الفيض علي بن إبراهيم البوتيجي وأبو الأنس محمد بن عبد الرحمن المليجي، هؤلاء من الشافعية، ومن المالكية محمد بن عبد الرحمن بن أحمد الورزازي والشيخ محمد الزرقاني والشيخ عمر بن عبد السلام التطواني، والشيخ أحمد الهشتوكي والشيخ محمد بن عبد الله السجلماسي والشيخ أحمد النفراوي والشيخ عبد الله الكنكسي وابن أبي زكري وسليمان الحصيني والشبرخيتي، ومن الحنفية السيد علي بن علي الحسيني الضرير الشهير بإسكندر ورحل إلى الحرمينسنة 1122. فسمع علي البصري والنخلي الأولية وأوائل الكتب الستة، وأجازاه، والشيخ محمد طاهر الكوراني وأجازه الشيخ

إدريس ليماني ومنلا الياسي الكوراني ودخل تحت إجازة الشيخ إبراهيم الكوراني في العموم وعاد إلى مصر وهو إمام وقته المشار إليه في حل المشكلات المعول عليه في المعقولات والمنقولات، قرأ المنهج مراراً وكذا غالب الكتب وأنتفع به الناس طبقة بعد طبقة وجيلاً بعد جيل. وكان تحريره أقوى من تقريره. وله رضي الله عنه مؤلفات كثيرة منها شرحان على متن السلم كبير وصغير، وشرحان كذلك على السمرقندية، وشرح على الياسمينية، وشرح الأجرومية، ونظم النسب وشرحها، وشرح عقيدة الغمري وعقود الدرر على شرح ديباجة المختصر أتمه بالمشهد الحسيني سنة ثلاث وعشرين. ونظم الموجهات وشرحها وتعريب رسالة منلا عصام في المجاز ومجموع صيغ صلوات على النبي صلى الله عليه وسلم. ومؤلفاته مشهورة مقبولة متداولة بإيدي الطلبة ويدرسها الأشياخ. وتعلل مدة وأنقطع لذلك في مترله وهو ملقى على الفراش، ومع ذلك يقرأ عليه في كل يوم في أوقات مختلفة أنواع العلوم وترد عليه الناس من الآفاق، ويقرأون عليه ويستجيزونه، فيجيزهم ويملي عليهم ويفيدهم، ومنهم من يأتيه للزيارة والتبرك وطلب الدعاء، فيمدهم بأنفاسه ويدعو لهم وكان ممتع الحواس، وأقام على هذه الحالة نحو الثلاثين سنة حتى توفي في منتصف شهر ربيع الأول سنة 1181.

ومات الشيخ الإمام الصالح عبد الحي ين الحسن بن زين العابدين الحسيني البهنسي المالكي نزيل بولاق ولد بالبهنسا سنة 1083 وقدم إلى مصر فأخذ عن الشيخ خليل اللقاني والشيخ محمد النشرتي والشيخ محمد الزرقاني والشيخ محمد الأطفيحي والشيخ محمد الغمري والشيخ عبد الله الكنكسي والشيخ محمد بن سيف والشيخ محمد الخرشي، وحج سنة 1113. وألف فأخذ عن البصري والنخلي، وأجازه السيد محمد التهامي بالطريقة الشاذلية والسيد محمد بن علي العلوي في الأحمدية والشيخ محمد شويخ في الشناوية، وحضر دروس المحدث الشيخ علي الطولوني، ودرس بالجامع الخطيري ببولاق وأفاد الطلبة وكان شيخاً بهياً معمراً منور الشيبة منجمعاً عن الناس زاهداً قانعاً بالكفاف، توفي ليلة الاثنين حادي عشري شعبان سنة 1181 بمترله ببولاق، وصلي عليه بالجامع الكبير في مشهد حافل وحمل على الأعناق إلى مدافن الخلفاء قرب مشهد السيدة نفيسة فدفن بها رحمة الله.

ومات الشيخ إمام السنة ومقتدى الأمة عبد الخالق بن أبي بكر بن الزين ابن الصديق بن الزين بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن أبي القاسم النمري الأشعري المزجاجي الزبيدي الحنفي من بيت العلم والتصوف، جده الأعلى محمد بن محمد بن أبي القاسم صاحب الشيخ اسمعيل الجبرتي قطب اليمن، وحفيده عبد الرحمن بن محمد خليفة جده في التسليك والتربية، وهو الذي تدير زبيد بأهله وعياله وكان قبل بالمزجاجة وهي قرية أسفل زبيد، خربت الآن. ولد المترجم سنة ألف ومائة بزبيد وحفظ القرآن وبعض المتون، ولما ترعرع أخذ عن الإمام المسند الشيخ علاء الدين المزجاجي والسيد عبد الفتاح بن اسمعيل الخاص والشيخ علي المرحومي نزيل مخا، وأجازه من مكة الشيخ حسن العجمي بعناية والده وبعناية قريبه الشيخ علي بن علي الزجاجي نزيل مكة، ووفد إلى الحرمين فأخذ بمكة عن الشيخ محمد عقيلة. روىعنه الكتب الستة وحمل عنه المسلسلات بشرطها وألبسه وحكمه وحضر على الشيخ عبد الكريم اللاهوري في الفقه والأصول، وكان يحثه على قراءة الأخسكيتي ويقول لا يستغنى عنه طالب، وحضر دروس الشيخ عبد المنعم ابن تاج الدين القلعي ومحمد بن حسن العجمي ومحمد بن سعيد التنبكتي وبالمدينة عن الشيخ محمد طاهر الكردي سمع منه أوائل الكتب الستة والشيخ محمد حياة السدي لازمه في سمعا الكتب

الستة، وعاد إلى زبيد فأقبل على التدريس والأفادة، وسمع عليه شيخنا السيد محمد مرتضى الصحيحين وسنن النسائي كله بقراءته عليه في عين الرضا، موضح بالنخل خارج زبيد، كان يمكث فيه أيام خراف النخل والكتر والمنار كلاهما للنسفي ومسلسلات شيخه بن عقيلة وهي خمسة وأربعون مسلسلاً. وسمع عليه أيضاً المسلسل بيوم العيد ولازم درسه العامة والخاصة، وألبسه الخرقة ونقبه وحكمه بعد أن صحبه وتأدب به، وبه تخرج شيخنا المذكور. كذا ذكر في ترجمته. قال وفي أخرى توجه إلى الحرمين فمات بمكة في ذي الحجة سنة 1181.

ومات الشيخ الإمام الثبت العلامة الفقيه المحدثاشيخ عمر بن علي ابن يحيى بن مصطفىالطحلاوي المالكي الأزهري تفقه على الشيخ سالم النفراوي وحضر دروس الشيخ منصور المنوفي والشهاب بن الفقيه والشيخ محمد الصغير الورززي والشيخ أحمد الملوي والشبراوي والبليدي، وسمع الحديث عن الشهابين أحمد البابلي والشيخ أحمد العماوي وأبي الحسن علي بن أحمد الحريشي الفاسي، وتمهر في الفنون، ودرس بالجامع الأزهر وبالمشهد الحسيني وأشتهر أمره وطار صيته وأشير إليه بالتقدم في العلوم، وتوجه إلى دار السلطنة في مهم اقتضى لأمراء مصر فقوبل بالأجابة، وألقى هناك دروساً في الحديث في آيا صوفية، وتلقى عنه أكابر العلماء هناك في ذلك الوقت، وصرف معززاً مقضياً حوائجه وذلك في سنة 1147. ولما تم عثمان كتخدا القازدغلي بناء مسجده بالازبكية في تلك السنة، تعين المترجم للتدريس فيه، وذلك قبل سفره إلى الديار الرومية، وكان مشهوراً في حسن التقرير وعذوبة البيان وجودة الألقاء، وقرأ الموطأ وغيره بالمشهد الحسيني وأفاد وأجاز الأشياخ، وكان يطلع في كل جمعة إلى المرحوم حمزة باشا مرة فيسمع عليه الحديث. وكان للناس فيه أعتقاد حسن وعليه هيبة ووقار وسكون ولكلامه وقع في القلوب، توفي ليلة الخميس حادي عشر صفر سنة 1181، وصلي عليه بصباحه في الأزهر في مشهد حافل ودفن بالمجاورين رحمه الله.

ومات الوجيه الصالح الشيخ عبد الوهاب بن زين الدين بن عبد الوهاب بن نور الدين بن بايزيد بن أحمد بن القطب شمس الدين بن أبي المفاخر بن داود الشربيني الشافعي وهو أحد الأخوة الثلاثة وهو أكبرهم، تولى النظر والمشيخة بمقام جده بعد أبيه فسار فيها سيراً مليحاً، وأحيا المآثر بعدما أندرست، وعمر الزاوية وأكرم الوافدين وأقام حلقة الذكر كل يوم وليلة بالمسجد، ويغدق على المنشدين، وورد مصر مراراً منها صحبة والده ومنها بعد وفاته، وألف باسمه شيخنا السيد مرتضى رسالة في الطريقة الأوسية سماها عقيلة الأتراب في سند الطريقة والأحزاب، وفي آخره أتى إلى مصر لمقتضى ومرض ثلاثة أيام. وتوفي ليلة الأحد غرة ذي القعدة سنة 1181.

ومات الشيخ الإمام العلامة الهمام أوحد أهل زمانه علماً وعملاً ومن أدرك ما لم تدركه الأول المشهود له بالكمال والتحقيق والمجمع على تقدمه في كل فريق شمس الملة والدين محمد بن سالم الحفاوي الشافعي الخلوتي، وهو شريف حسيني من جهة أم أبيه وهي السيدة ترك ابنة السيد سالم بن محمد بن علي بن عبد الكريم بن السيد برطع المدفون ببركة الحاج، وينتهي نسبه إلى الإمام الحسين رضي الله عنه، وكان والده مستوفياً عند بعض الأمراء بمصر وكان على غاية من العفاف ولد على رأس المائة ببلده حفنا بالقصر، قرية من أعمال بلبيس، وبها نشأ والنسبة إليها حفناوي وحفني وحفنوي، وغلبت عليه النسبة حتى صار لا يذكر إلا بها، وقرأ بها القرآن إلى سورة الشعراء ثم حجزه أبوه بإشارة الشيخ عبد الرؤوف البشبيشي وعمره أربع عشرة سنة

بالقاهرة، فكمل حفظ القرآن ثم أشتغل بحفظ المتون، فحفظ إلفية ابن مالك والسلم والجوهرة والرحبية وأبا شجاع وغير ذلك. وأخذ العلم عن علماء عصره وأجتهد ولازم دروسهم حتى تمهر واقرأ ودرس وأفاد في حياة أشياخه، وأجازوه بالأفتاء والتدريس فأقرأ الكتب الدقيقة كالاشموني وجمع الجوامع والمنهج ومختصر السعد، وغير ذلك من كبت الفقه والمنطق والأصول والحديث والكلام، عام اثنتين وعشرين، وأشياخه الذين أخذ عنهم وتخرج عليهم الشيخ أحمد الخليفي والشيخ محمد الديربي والشيخ عبد الرؤوف البشبيشي والشيخ أحمد الملوى والشيخ محمد السجاعي والشيخ يوسف الملوي والشيخ عبده الديوي والشيخ محمد الصغير، ومن أجل شيوخه الذين تخرج بالسند عنهم الشيخ محمد البديري الدمياطي الشهير بابن الميت أخذ عنه التفسير والحديث والمسندات والمسلسلات، والأحياء للأمام الغزالي، وصحيح البخاري ومسلم، وسنن أبي داود، وسنن النسائي، وسنن ابن ماجه، والموطأ، ومسند الشافعي والمعجم الكبير للطيراني، والمعجم الأوسط والصغير له أيضاً، وصحيح ابن حيان، والمستدرك للنيسابوري، والحلية للحافظ أبي نعيم، وغير ذلك. وشهد له معاصروه بالتقدم في العلوم وحين جلس للأفادة لازمه جل طلبة العلم ومن بهم يسمو المعقول والمنقول وكان إذ ذاك في شدة من ضيق العيش والنفقة، فاشترى دواة وأقلاماً وأوراقاً واشتغل بنسخ الكتب فشق عليه ذلك خوفاً من انقطاعه عن العلم. وكان يتردد إلى زاوية سيدي شاهين الخلوتي بسفح الجبل ويمكث فيها الليالي متحنثاً، وأقبل على العلم وعقد الدروس وختم الختوم بحضرة جمع العلماء، وقرأ المنهاج مرات وكتب عليه، وكذلك جمع الجوامع والاشموني ومختصر السعد وحاشية حفيده علبه، كتب عليه وقرأها غير مرة، وكان الشيخ العلامة مصطفى العزيزي إذا رفع إليه سؤال يرسله إليه. وأشتغل بعلم العروض حتى برع فيه وعالى النظم والنثر، وتخرج عليه غالب أهل عصره وطبقته ومن ذويهم كأخيه العلامة الشيخ يوسف والشيخ اسمعيل الغنيمي صاحب التآليف البديعة والتحريرات الرفيعة المتوفى سنة إحدى وستين، وشيخ الشيوخ الشيخ على الغدوي والشيخ محمد الغيلاني والشيخ محمد الزهار نزيل المحلة الكبرى وغيرهم، كما هو في تراجم المذكورين منهم. وكان على مجالسه هيبة ووقار ولا يسأله أحد لمهابته وجلالته، فمن تآليفه المشهورة حاشية على شرح رسالة العضد للسعد، وعلى الشنشوري في الفرائض، وعلى شرح الهمزية لأبن حجر، وعلى مختصر السعد، وعلى شرح السرقندي للياسمينية في الجبر والمقابلة، وله تصانيف أخر مشهورة. وكان كريم الطبع جداً وليس للدنيا عنده قدر ولا قيمة، جميل السجايا مهاب الشكل عظيم اللحية أبيضها، كأن على وجهه قنديلاً من النور. وكان كريم العين على أحداهما نقطة وأكثر الناس لا يعلمون ذلك لجلالته ومهابته، وكان في الحلم على جانب عظيم ومن مكارم أخلاقه أصغاؤه لكلام كل متكلم ولو من الخزعبلات مع أنبساطه إليه وإظهار المحبة ولو أطال عليه، ومن رأه مدعياً شيئاً سلم له في دعواه، ومن مكارم أخلاقه أنه لو سأل إنسانا أعز حاجة عليه أعطاها له كائنة ما كانت، ويجد لذلك أنساً وأنشراحاً، ولا يعلق أمله بشيء من الدنيا وله صدقات وصلات أخفية وظاهرة، وكان راتب بيته من الخبز في كل يوم نحو الأردب والطاحون دائمة الدوران، وكذلك دق البن وشربات السكر، ولا ينقطع ورود الواردين ليلاً ونهاراً، ويجتمع على مائدته الأربعون والخمسون والستون، ويصرف على بيوت أتباعه والمنتسبين إليه.

وشاع ذكره في أقطار الأرض وأقبل عليه الوافدون بالطول والعرض، وهادته الملوك وقصده الأمير والصعلوك،فكل من طلب شيئاً من أمور الدنيا والآخرة وجده. وكان رزقه فيضاً ألهياً. وللشيخ رضي الله عنه مناقب ومكاشفات وكرامات وبشارات

وخوارق عادات يطول شرحها ذكرها الشيخ حسن المكي المعروف بشمه في كتابه الذي جمعه في خصوص الأستاذ، وكذلك العلامة الشيخ محمد الدمنهوري المعروف بالهلباوي له مؤلف في مناقب الشيخ ومدائحه وغير ذلك

وصل في ذكر أخذ العهد بطريق الخلوتية

وهي نسبة إلى سيدي محمد الخلوتي أحد أهل السلسلة، ويعرفون أيضاً بالقرباشلية نسبة إلى سيدي علي أفندي قره باش أحد رجالها أيضاً، وهذا هو الأسم الخاص المميز لهم عن غيرهم من الخلوتية، ولذلك قال السيد البكري في الألفية:

والخلوتية الكرام فرق　　　قد نهجوا نهج الجنيد فرقوا

وخيرهم طريقنا العليه　　　من قد دعوا بالقربا شليه

وهي طريقة مؤيدة بالشريعة الغراء والحنيفة السمحاء ليس فيها تكليف بما لا يطاق، وكانت خير الطرق لأن ذكرها الخاص بها: لا إله إلا الله، وهي أفضل ما يقول العبد كما في الحديث الشريف.

وكان المترجم رضي الله عنه أشتغل بالسلوك وطريق القوم بعد الثلاثين، فأخذ على رجل يقال له الشيخ أحمد الشاذلي المغربي المعروف بالمقري فتلقى منه بعض أحزاب وأوراد، ثم قدم السيد البكري من اشام سنة 1133، فأجتمع عليه الشيخ بواسطة بعض تلامذة السيد، وهو السيد عبد الله السلفيتي، فسلم عليه وجلس فجعل السيد ينظر إليه وهو كذلك ينظر إليه، فحصل بينهما الأرتبط القلبي، ثم قام وجلس بين يدي السيد بعد الأستئذان، وكانت عادة السيد إذا أتاه مريد أمره أولا بالأستخارة قبل ذلك إلا هو ، فلم يأمره بها، وذلك إشارة إلى كمال الأرتباط، فاخذ عليه العهد حالاً، ثم أشتغل بالذكر والمجاهدة. فرأى في منامه في تعض الليالي السيد البكري والشيخ أحمد الشاذلي المذكور جالسين والشيخ حمد يعاتبه على دخوله في الطريق، ويعاتب أيضاً السيد، فقال له السيد: هل لك معه حاجة؟ قال: نعم لي معه أمانة. وإذا بجريدة خضراء بيد السيد، فقال له: هذه أمانتك قال: نعم. فكسرها نصفين ورماها للشاذلي وقال له: خذ أمانتك ثم أنتبه. فأخبر السيد فقال له: هذا اتصال بنا وانفصال عنه. وهذه هي النسبة الباطنية التي صار بها سلمان الفارسي وصهيب من أهل البيت. وقال ابن الفاض في التائية على لسان الصادق صلى الله عليه وسلم:

وأني وأن كنت ابن آدم صورة　　　فلي فيه معنى شاهد بالأبوة

فإن آدم له أب من حيث النسبة الظاهرة وهو أب لآدم من حيث النسبة الباطة لأنه نائب عنه في الأرسال ومنبأ بخده في الأنزال، و لم يستمد من الخضرة العلية إلا بواسطته، ولذلك لما توسل به قبلت توبته وزادت محبته لم يجعل مهر حواء سوى الصلاة والسلام عليه، كما ورد ذلك كله وهو من المعلوم ضرورة. فظهر بهذا أن هذه النسبة أعظم من تلك لترتب الثمرة عليها. ثم سار في طريقة القوم أتم سير حتى لقنه الأستاذ الأسم الثاني والثالث. ومن حين أخذ عليه العهد لم يقع منه في حق الشيخ إلا كمال الأدب والصدق التام وهو الذي قدمه وبه ساد أهل عصره. فمن ذلك أنه كان لا يتكلم في مجلسه أصلاً إلا إذا سأله فإنه يجيبه على قدر السؤال، و لم يزل يستعمل ذلك معه حتى إذن له بالتكلم في مجلسه في بعض رحلاته إلى القاهرة، وسببه أنه لما رأى إقبال الناس عليه وتوجههم إليه قال له: أنبسط إلى الناس وأستقبلهم لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك

من حمر النعم. ومماأتفق له أن شيخه المذكور قال له مرة: تعال الليلة مع الجماعة وأذكروا عندنا في البيت. فلما دخل الليل نزل شتاء ومطر شديد فلم يتخلف وذهب حافيا والمطر يسكب عليه وهو يخوض في الوحل، فقال له: كيف جئت في هذه الحالة. فقال: يا سيدي أمرتمونا بالمجيء و لم تقيدوه بعذر، وأيضاً لا عذر والحالة هذه لا مكان المجيء، وأن كنت حافياً فقال له: أحسنت، هذا أول قدم في الكمال، إلى غير ذلك. ولما علم الشيخ صدق حاله وحسن فعاله قدمه على خلفائه وأولاه حسن ولائه ودعاه بالأخ الصادق ومنحه أسراراً وأراه عيون الحقائق وكيفية تلقين الذكر وأخذ العهد، كما وجد بخط الأستاذ يظهر ثبت عبد الله بن سالم البصري ما نصه: هذه صورة أخذ العهد أرسلها إليه السيد البكري الصديقي الخوتي حين أذنه بأخذ العهود على طريقة السادة الخلوتية. ونص ما كتب كيفية المبايعة للنفس الطائعة أن يجلس المريد بين يدي الأستاذ ويلصق ركبته بركبته والشيخ مستقبل القبلة، ويقرأ الفاتحة ويضع يده اليمنى في يده مسلما له نفسه مستمداً من أمداده، ويقول له: قل معي أستغفر الله العظيم ثلاث مرات، ويتعوذ ويقرأ آية التحريم: يأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا، إلى قدير ، ثم يقرأ آية المبايعة التي في الفتح ليزول الأشتباه، وهي : أن الذين يبايعونك أنما يبايعون الله أقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم، إلى قوله تعالى عظيماً، ثم يقرأ فاتحة الكتاب ويدعو الله لنفسه وللآخذ بالتوفيق ويوصيه بالقيام باوراد الطريق والدوام على ذوق أهل هذا الفريق، وعرض الخواطر وقص الؤيات العواطر وإذا وقعت الإشارة بتلقين الأسم الثاني لقنه ليبلغ الأماني. وفتح له باب توحيد الأفعال إذ لا غيره فعال، وفي الثالث توحيد الأسماء ليشهد السر الأسمى، وفي الرابع توحيد الصفات ليدرجه إلى أعلى الصفات، وفي الخامس توحيد الذات ليحظى بأوفر اللذات، وفي السادس والسابع يكمل له التوابع. ونسأل الله تعالى الهداية والرعاية والعناية والدراية والحمد لله رب العالمين، انتهى. هذا ما كتب بخطه الشريف. قال ورأيت أيضاً بظهر الثبت المذكور ما نصه:

ثم رأيت في الفتوحات الألهية في نفع أرواح الذوات الإنسانية وهو كتاب نحو كراس لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري ما نصه: إذا أراد الشيخ أن يأخذ الهد على المريد فليتطهر وليأمره بالتطهر من الحدث والخبث ليتهيأ لقبول ما يلقيه إليه من الشروط في الطريق ويتوجه إلى الله تعالى ويسأله القبول لهما ويتوسل إليه في ذلك بمحمد صلى الله عليه وسلم، لأنه الواسطة بينه وبين خلفه، ويضع يده اليمنى على يد المريد اليمنى بأن يضع راحته على راحته ويقبض أبهامه بأصابعه ويتعوذ ويبسمل ثم يقول: الحمد لله رب العالمين أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، ويقول المريد بعده مثل ما قال. ثم يقول اللهم أني أشهدك واشهد ملائكتك وأنبياءك ورسلك وأولياءك، أني قد قبلته شيخاً في الله ومرشداً وداعياً إليه، ثم يقول الشيخ اللهم أني أشهدك وأشهد ملائكتك وأنبياءك ورسلك وأولياءك أني قد قبلته ولداً في الله فأقبله وأقبل عليه وكن له ولا تكن عليه. ثم يدعو كأن يقول اللهم أصلحنا وأصلح بنا وأهدنا وأهد بنا وأرشدنا وأرشد بنا، اللهم أرنا الحق حقاً وألهمنا أتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا أجتنابه، اللهم أقطع عنا كل قاطع يقطعنا عنك ولا تقطعنا عنك ولا تشغلنا بغيرك عنك أنتهى.

قلت والمراتب السبعة التي أشار إليها السيد في الكيفية المتقدمة هي مراتب الأسماء السبعة وللنفس في كل مرتبة منها مرتبة باسم خاص دال عليه: الاسم الأول لا إله إلا الله وتسمى النفس فيه إمارة، والثاني الله وتسمى النفس فيه لوامة، والثالث هو وتسمى

النفس فيه ملهمة، والرابع حق وهو أول قدم يحله المريد من الولاية كما مرت الإشارة إليه وتسمى النفس فيه مطمئنة، والخامس حي وتسمى النفس فيه راضية، والسادس فيرم وتسمى النفس فيه مرضية، والسابع قهار وتسمى النفس فيه كاملة، وهو غاية التلقين. وكلها ما عدا الأول منها تلقن في الأذن اليمنى إلا السابع ففي اليسرى، وتلقينها بحسب ما يراه الشيخ من أحوال المريدين إفعال وأقوال وعالم مثال. واعلم أن سلسلة القوم هذه في كيفية أخذ العهد والتلقين مروية عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهو يرويه عن جبريل وهو يرويه عن الله عز وجل. وفي بعض الروايات روايته عن رؤساء الملائكة الأربع والنبي صلى الله عليه وسلم لقن علياً رضى الله عنه، وصورة ذلك كما في ريحان القلوب في التوصل إلى المحبوب لسيدي يوسف العجمي أن علياً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله دلني على أقرب الطرق إلى الله تعالى. فقال يا علي عليك بمداومة ذكر الله في الخلوات. فقال علي رضي الله عنه هذا فضيلة الذكر وكل الناس ذاكرون، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول الله. فقال علي كيف أذكر يا رسول اله. قال غمض عينيك وأسمع مني ثلاث مرات ثم قل أنت ثلاث مرات وأنا أسمع. فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا إله إلا الله ثلاث مرات مغمضاً عينيه رافعاً صوته وعلي يسمع ثم قال علي لا إله إلا الله ثلاث مرات مغمضاً عينيه رافعا صوته والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع. ثم لقن علي الحسن البصري رضي الله عنهما على الصحيح عند أهل السلسلة الأخيار من المحدثين. قال الجاحظ السيوطي: الراجح أن البصري أخذ عن علي ومثله عن الضياء المقدسي، ومن المقرر في الأصول أن المثبت مقدم على النافي ثم لقن الحسن البصري حبيباً العجمي وهو لقن داود الطائي وهو لقن معروفا الكرخي وهو لقن سريا السقطي وهو لقن أبا القاسم سيد الطائفتين الجنيد البغدادي، وعنه تفرقت سائر الطرق المشهورة في الإسلام. ثم لقن الجنيد ممشاد الدينوري وهو لقن محمد الدينوري وهو لقن القاضي وجيه الدين وهو لقن عمر البكري وهو لقن أبا النجيب الهروردي وهو لقن قطب الدين الابهري وهو لقن محمد النجاشي وهو لقن شهاب الدين الشيرازي وهو لقن جلال الدين التبريزي وهو لقن إبراهيم الكيلاني وهو لقن أخي محمد الخلوتي وإليه نسبة أهل الطريق وهو لقن بير عمر الخلوتي وهو لقن أخي بيرام الخلوتي وهو لقن عز الدين الخلوتي وه لقن صدر الدين الخيالي وهو لقن يحيي الشرواني صاحب ورد الستار وهو لقن بير محمد الأرزنجاني وهو لقن جلبي سلطان المشهور بجلبي خليفة وهو لقن خير التوقادي وهو لقن شعبان القسطموني وهو لقن اسمعيل الجورومي وهو المدفون في باب الصغير في بيت المقدس عند مرقد سيدي بلال الحبشي وهو لقن سيدي علي أفندي قره باش أي أسود الرأس باللغة التركية وإليه نسبة طريقنا كما مر وهو لقن مصطفى أفندي ولده وخلفاؤه كما قال السيد الصديقي أربعمائة ونيف وأربعون خليفة وهو لقن عبد اللطيف بن حسام الدين الحلبي وهو لقن شمس الطريقة وبرهان الحقيقة السيد مصطفى بن كمال الدين البكري الصديقي وهو لقن قطب رحاها ومقصد سرها ونجواها شيخنا الشيخ محمد الحفناوي وهو لقن وخلف أشياخاً كثيرة منهم بركة المسلمين وكهف الواصلين الصوفي الصائم القائم العابد الزاهد الشيخ محمد السمنودي المعروف بالمنير شيخ القراء والمحدثين وصدر الفقهاء والمتكلمين.

من مناقبه الحميدة صيام الدهر مع عدم التكلف لذلك، وقيام الليل يقرأ في كل ركعة ثلث القرآن وربما نصفه أو جميعه في كل ركعة، هذا ورده دائماً صيفاً وشتاء فتى وشيخاً يافعاً، ومنها تواضعه وخموله وعدم رؤية نفسه، ويبرأ من أن تنسب إليه منقبة وسيأتي باقي ترجمته في وفاته.

ومنهم علامة وقته وأوانه الولي الصوفي الشيخ حسن الشيبيني ثم القوي طلب العلم وبرع فيه وفاق على أقرانه ثم جذبته أيدي العناية إلى الشيخ فأخذ عليه العهد ولقنه أسماء الطريق السبعة على حسب سلوكه في سيره، ثم ألبسه التاج وأجازه بأخذ العهود والتلقين والتسليك، وصار خليفة محضاً، فإدار مجالس الذكر ودعا الناس إليها من سائر الأقطار وفتح الله عليه باب العرفان حتى صار ينطق بأسرار القرآن.

ومنهم العالم النحرير الصوفي الصالح السلك أراجح الشيخ محمد السنهوري ثم الفوى طلب العلم حتى صار من أهل الأفتاء والتدريس، وأنتصب للتأكيد والتأسيس، ثم دعته سعادة حضرة القوم فسلك مع المجاهدة وحسن السيرة على يد الأستاذ حتى لقنه الأسماء السبعة وألبسه التاج وأقامه خليفة يهدي لأقوم منهاج، ثم إذن له في التوجه إلى بلده فتوجه إليها وربي بها المريدين، وأدار مجالس الأذكار بتلك البقاع وعم به في الوجود الأنتفاع.

ومنهم البحر الزاخر حائز مراتب المفاخر الولي الرباني والصوي في العالم الإنساني الشيخ محمد الزعيري أشتغل بالعلم حتى برع وصار قدوة لكل مفتدي وجذوة لمن لا يهتدي، ثم سلك على يد الأستاذ فأخذ عليه العهد ولقنه الأسماء على حسب سيره وسلوكه، ثم خلفه وألبسه التاج وأجازه بالتلقين والتسليك.

ومنهم الحبر العلامة والبحر الفهامة شيخ الأفتاء والتدريس الشيخ خضر رسلان أشتغل على الشيخ مدة مديدة ولازمه ملازمة شديدة وأخذ عليه العهد في طريق الخلوتية حتى تلقن الأسماء، وألبسه الشيخ التاج وصار خليفة بأخذ العهود والتسليك.

ومنهم الشيخ الصوفي الولي صاحب الكرامات والأيادي والمكرمات شيخنا الشيخ محمود الكردي أخذ على الشيخ العهد والطريق ولقنه الأسماء، فكان محمود الأفعال معروفا بالكمال، ثم ألبسه التاج وصار خليفة وأجازه بالتلقين والتسليك، فأرشد الناس وأزال عن قلوبهم الوسواس. وهو مشهور البركة يعتقده الخاص والعام كثير الرؤية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن كراماته أنه متى أراد رؤية النبي صلى الله عليه وسلم رآه. وله مكاشفات عجيبة نفعنا الله بحبه ولا حجبنا عن قربه، وهو الذي قام للإرشاد والتسليك بعد أنتقال شيخه وسلك على يده كثير وخلفوه من بعده منهم الشيخ الصالح الصوفي والشيخ محمد السقاط والشيخ العلامة شيخ الإسلام والمسلمين مولانا الشيخ عبد الله الشرقاوي شيخ الجامع الأزهر الآن والأمام الأوحد الشيخ محمد بدير الذي هو الآن بالقدس الشريف والمشار إليه في التسليك بتلك الديار والشيخ الصالح الناحج إبراهيم الحلبي الحنفي والسيد الأجل العلامة والرحالة الفهامة السيد عبد القادر الطرابلسي الحنفي والشيخ الإمام العمدة الهمام الشيخ عمر البابلي وغيرهم، أدام الله النفع بوجودهم.

ومنهم العالم العلامة الألمعي الفهامة بقية السلف والخليفة ونعم الخلف الشيخ محمد سبط الأستاذ المترجم أطال الله بقاءه.

ومنهم الشيخ الفهامة الأديب الأريب واللوذعي النجيب الشيخ محمد الملاوي الشهير بالدمنهوري الشافعي.

ومنهم الشيخ الصوفي القدوة الشيخ أحمد الغزالي تلقن منه الأسماء وتخلف عنه وألبسه التاج وأجازه بالتلقين والتسليك.

ومنهم العالم العامل الشيخ أحمد القحافي الأنصاري أخذ العهد وأنتظم في سلك أهل الطريق وتلقن الأسماء وصار خليفة مجازاً فأرشد الناس وأفتتح مجالس الأذكار.

ومنهم تاج الملة وإنسان عين المجد عن غير علة ذو النسب الباذخ والشرف الرفيع الشانح السيد علي القناوي، تلقن الأسماء

وألبس التاج وصار خليفة حقا ومجازاً بالتلقين والتسليك، فأدار مجالس الأذكار وأشرقت به الأنوار.
ومنهم العلامة العامل والفهامة الواصل الفاضل الشيخ سليمان المنوفي نزيل طندتا لقنه وأرشده وخلفه وألبسه التاج وأجازه فسلك وأرشد وله أحوال عجيبة.
ومنهم الصوفي الصالح الشيخ حسن السخاوي نزيل طندتا أيضاًلقنه وخلفه وألبسه التاج فدعا الناس لأقوم منهاج.
ومنهم علامة الأنام الشيخ محمد الرشيدي الملقب بشعير لقنه وخلفه وأجازه فكثر نفعه.

ومنهم العلامة الأوحد ومن على مثله الخناصر تعقد الشيخ يوسف الرشيدي الملقب بالشيال، رحل أيضاً إليه فتلقن منه وسلك على يديه حتى صار خليفة، وألبسه التاج وأجازه بالتلقين والتسليك ورجع إلى بلاده بأوفر زاد، وأدار مجالس الذكر وأكثر المراقبة والفكر حتى كثرت أتباعه وعم أنتفاعه.
ومنهم العمدة المقدم الهمام الناسك السالك الشيخ محمد الشهير بالسقالقنه وإجازه بالتلقين والتسليك فكثر نفعه وطاب صنعه.
ومنهم فريد دهر وعالم عصره معدن الفضل والكمال قطب الجمال والجلال الشيخ باكير أفندي لقنه وألبسه التاج وأجازه بالتلقين والتسليك.
ومنهم بدر الطريق و شمس أفق التحقيق العالم العلامة والصوفي الفهامة الشيخ محمد الفشني لقنه وخلفه وألبسه التاج فأخذ السهود ولقن وسلك وفاق في سائر الآفاق وتقدم في الخلاف والوفاق.
ومنهم العالم العامل والشهم الماهر الكامل الشيخ عبد الكريم المسيري الشهير بالزيات تلقن العهد والأسماء حسب سلوكه وسيره، وأجيز بأخذ العهود والتلقين والتسليك فزاد نوراً على نور وحبي بلذة الطاعة والحبور.
ومنهم شيخ الفروع والأصول الجامع بين المعقول والمنقول، علامة الزمان والحامل في وقته لواء العرفان، والشيخ أحمد العدوي الملقب بدردير، جذبته العناية إلى نادي الهداية فجاء إلى الشيخ وطلب منه تلقين الذكر فلقنه وسار أحسن سير وسلك أحسن سلوك، حتى صار خليفة بأخذ العهود والتلقين والتسليك مع المجاهدة والعمل المرضي، وسيأتي في وفياقم تتمة تراجمهم رضي الله عنهم.
ومنهم أيضاً الشيخ العلامة الولي الصوفي الشيخ محمد الرشيدي الشهير بالمعصراوي.
ومنهم الإمام الجامع والولي الصوفي النافع مولاي أحمد الصقلي المغربي، تلقن وتخلف وأجيز بأخذ العهود والتلقين والتسليك.
ومنهم الأمجد العامل بعمله والمزدري السحر بفهمه الشيخ سليمان البتراوي ثم الأنصاري.
ومنهم الصالح العامل الفهامة العابد الزاهد الشيخ اسمعيل اليمني، تلقن وسلك مع التقى والعفاف والملازمة الشديدة والخدمة الأكيدة وحسن المجاهدة.
ومنهم النحرير الكامل واللوذعي الفاضل مؤلف المجموع الشيخ حسن بن علي المكي المعروف بشمه الناظم الناثر الحاوي الخير المتكاثر وغير هؤلاء ممن لم نعرف كثير.

في ذكر رحلة الأستاذ المترجم إلى بيت المقدس

وهو أنه لم إذن له السيد البكري بأخذ العهود وتلقين الذكر لم يقع له تسليك أحد في هذه الطريقة، إنما كان شغله وتوجهه كله إلى العلم واقرائه، لكن ذلك بجسمه وأما قلبه فلم يكن إلا عند شيخه السيد الصديقي، و لم يزل كذلك إلى عام تسع وأربعين. فحن جسمه إلى زيارة شيخه وأنشد لسان حاله:

أخذتم فؤادي وهو بعضى فما الذي يضركم لو كان عندكم الكل

فأرسل إليه السيد يدعوه لزيارته، فهام إذ فهم رمز إشارته وتعلقت نفسه بالرحيل، فترك الأقراء والتدريس وتقشف، وسافر إلى أن وصل بالقرب من بيت المقدس. فقيل له إذا دخلت بيت المقدس فأدخل من الباب الفلاني وصل ركعتين وزر محل كذا فقال لهم أنا جئت قاصدا بيت المقدس وما جئت قاصداً إلا أستاذي فلا أدخل إلا من بابه ولا أصلي إلا في بيته. فعجبوا له فبلغ السيد كلامه فكان سبباً لإقباله عليه وإمداده ثم سار حتى دخل بيت المقدس فتوجه إلى بيت الأستاذ فقابله بالرحب والسعة وأفرد له مكاناً، ثم أخذ في المجاهدة من الصلاة والصوم والذكر والعزلة والخلوة، قال: فبينما أنا جالس في الخلوة إذا بداع يدعوني إليه، فجئت إليه فوجدت بين يديه مائدة فقال أنت صائم، قلت نعم: فقال كل فامتثلت أمره وأكلت فقال اسمع ما أقول لك إن كان مرادك صوماً وصلاة وجهاداً أو رياضة فليكن ذلك في بلدك وأما عندنا فلا تشتغل بغيرنا ولا تقيد أوقاتك بما تروم من المجاهدة وإنما يكون ذلك بحسب الاستطاعة وكل واشرب وانبسط، قال فامتثلت إشارته ومكثت عند أربعة أشهر كأنها ساعة غير أني لم أفارقه قط خلوة وجلوة، ومنحه في هذه المدة الأسرار وخلع عليه القبول وتوجه بتاج العرفان وأشهد مشاهد الجمع الأول والثاني وفرق له فرق الفرق الثاني فحاز من التداني أسرار المثاني، ثم لما انقضت المدة أراد العود إلى القاهرة ودعه وما ودعه، وسافر حتى وصل إلى غزة فبلغ خبره أمير تلك القرية، وكانت الطريق مخيفة، فوجه مع قافلة ببيرقين من العسكر فساروا فلقيهم في أثناء الطريق أعراب فخافوهم فقالوا لأهل القافلة لا تخافوا فلسنا من قطاع الطريق وإن كنا منهم فلا نقدر نكلمهم وهذا معكم وأشاروا إلى الشيخ و لم يزالوا سائرين حتى انتهوا إلى مكان في أثناء الطريق بعد مجاوزة العريش بنحو يومين فقيل لهم أن طريقكم هذا غير مأمون الخطر ثم تشاوروا فقال لهم أعراب ذلك المكان نحن نسير معكم ونسلك بكم طريقاً غير هذا لكن اجعلوا لنا قدراً من الدراهم نأخذه منكم إذا وصلتم إلى بلبيس، فتوقف الركب أجمعه فقال الأستاذ أنا أدفع لكم هذا القدر هنالك، فقالوا لا سبيل إلى ذلك كيف تدفع أنت وليس لك في القفل شيء والله ما نأخذ منك إلا إن ضمنت أهل القافلة، فقبل ذلك فاتفق الرأي على دفع الدراهم من أرباب التجارات بضمانة الشيخ، فضمنهم وساروا حتى وصلوا إلى بلبيس ثم منها إلى القاهرة فسرت به أتم سرور وأقبل عليه الناس من حينئذ أتم قبول ودانت لطاعته الرقاب وأخذ العهود على العالم، وأدار مجالس الأذكار بالليل والنهار وأحيا طريق القوم بعد دروسها، وأنقذ من ورطة الجهل مهجاً من عي نفوسها، فبلغ هديه الأقطار كلها وصار في كثير من قرى مصر نقيب وخليفة وتلامذة وأتباع يذكرون الله تعالى، و لم يزل أمره في ازدياد وانتشار حتى بلغ سائر أقطار الأرض. وسار الكبار والصغار والنساء والرجال يذكرون الله تعالى بطريقته، وصار خليفة الوقت وقطبه و لم يبق ولي من أهل عصره إلا أذعن له، وحين تصدى للتسليك وأخذ العهود أقبل عليه الناس من كل فج، وكان بد الأمر لا يأخذون إلا بالاستخارة والاستشارة وكتابة أسمائهم ونحو ذلك، فكثر الناس عليه وكثر الطلب فأخبر شيخه السيد الصديقي بذلك فقال لا تمنع أحداً يأخذ عنك ولو نصرانياً من غير شرط، وأسلم على يديه الولي الصوفي العالم

العلامة المرشد الشيخ أحمد البناء الفوي ثم تلاه من ذكر وغيرهم، وكان أستاذه السيد يثني عليه ويمدحه ويراسله نظماً ونثراً ويترجمه بالأخ، ولولا رآه قسيماً له في الحال ما صدر عنه ذلك المقال، حتى أنه قال له يوماً إني أخشى من دعائكم لي بالأخ لأنه خلاف عادة الأشياخ مع المريدين، فقال له لا تخش من شيء وامتدحه أشياخه ومعاصروه وتلامذته. توفي رضي الله عنه يوم السبت قبل الظهر سابع عشر ربيع الأول سنة 1181، ودفن يوم الأحد بعد أن صلي عليه في الأزهر في مشهد عظيم جداً، وكان يوم هول كبير وكان بين وفاته ووفاة الأستاذ الملوي ثلاثة عشر يوماً، ومن ذلك التاريخ ابتدأ نزول البلاء، واختلال أحوال الديار المصرية، وظهر مصداق قول الراغب أن وجوده أمان على أهل مصر من نزول البلاء، وهذا من المشاهد المحسوس وذلك أنه إذا لم يكن في الناس من يصدع بالحق ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويقيم الهدى فسد نظام العالم وتنافرت القلوب، ومتى

تنافرت القلوب نزل البلاء، ومن المعلوم المقرر أن صلاح الأمة بالعلماء والملوك، وصلاح الملوك تابع لصلاح العلماء، وفساد اللازم بفساد الملزوم، فما بالك بفقده، والرحى لا تدور بدون قطبها، وقد كان رحمه الله قطب رحى الديار المصرية ولا يتم أمر من أمور الدولة وغيرها إلا باطلاعه وإذنه، ولما شرع الأمراء القائمون بمصر في إخراج التجاريد لعلي بك وصالح بك واستأذنوه فمنعهم من ذلك وزجرهم وشنع عليهم و لم يأذن بذلك كما تقدم، وعلموا أنه لا يتم قصدهم بدون ذلك، فأشغلوا الأستاذ وسموه، فعند ذلك لم يجدوا مانعاً ولا رادعاً، وأخرجوا التجاريد وآل الأمر لخذلانهم وهلاكهم والتمثيل بهم، وملك علي بك وفعل ما بدا له فلم يجد رادعاً أيضاً، ونزل البلاء حينئذ بالبلاد المصرية والشامية والحجازية و لم يزل يتضاعف حتى عم الدنيا وأقطار الأرض، فهذا هو السر الظاهري وهو لا شك تابع للباطني وهو القيام بحق وراثة النبوة وكمال المتابعة وتمهيد القواعد وإقامة أعلام الهدى والإسلام وأحكام مباني التقوى، لأنهم أمناء الله في العالم وخلاصة بني آدم، أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون.

ومات شمس الكمال أبو محمد الشيخ عبد الوهاب بن زين الدين بن عبد الوهاب بن الشيخ نور بن بايزيد بن شهاب الدين أحمد بن القطب سيدي محمد بن أبي المفاخر داود الشربيني بمصر، ونقلوا جسده إلى شربين، ودفن عند جده، سامحه الله وتجاوز عن سيآته، وتولى بعده في خلافتهم أخوه الشيخ محمد، ولهما أخ ثالث اسمه علي وكانت وفاة المترجم ليلة الأحد غرة ذي القعدة سنة 1181.

ومات الشيخ الإمام العلامة المتقن المتفنن الفقيه الأصولي النحوي الشيخ محمد بن محمد بن موسى العبيدي الفارسي الشافعي وأصله من فارسكور، أخذ عن الشيخ علي قايتباي والشيخ الدفري والبشبيشي والنفراوي وكان آية في المعارف والزهد والورع والتصوف، وكان يلقي دروساً بجامع قوصون على طريقة الشيخ العزيزي والدمياطي وبآخراته وتوجه إلى الحجاز، وجاور به سنة، وألقى هناك دروساً وانتفع به جماعة، ومات بمكة، وكان له مشهد عظيم ودفن عند السيد خديجة رضي الله عنها.

ومات الشيخ الإمام العلامة مفيد الطالبين الشيخ أحمد أبو عامر النفراوي المالكي، أخذ الفقه عن الشيخ سالم النفراوي والشيخ البليدي والطحلاوي والمعقول عنهم وعن الشيخ الملوي والحفني والشيخ عيسى البراوي، وبرع في المعقول والمنقول ودرس وأفاد وانتفع به الطلبة، وكان درسه حافلاً وله حظوة في كثرة الطلبة والتلاميذ توفي سنة 1181.

ومات الأمير حسن بك جوجو وجن علي بك وهما من مماليك إبراهيم كتخدا، وكان حسن مذبذباً ومنافقاً بين خشداشينه يوالي هؤلاء ظاهراً وينافق الآخرين سراً، وتعصب مع حسين بك وخليل بك حتى أخرجوا علي بك إلى النوسات ثم صار يراسله سراً ويعلمه بأحوالهم وأسرارهم، إلى أن تحول إلى قبلي وانضم إلى صالح بك، فأخذ يستميل متكلمي الوجاقلية إلى أن كانوا يكتبون لأغراضهم بقبلي ويرسلون المكاتبات في داخل أقصاب الدخان وغيرها، وهو مع من بمصر في الحركات والسكنات إلى أن حضر علي بك وصالح بك وكان هو ناصبها وطاقه معهم جهة البساتين، فلما أرادوا الارتحال استمر مكانه وتخلف عنهم وبقي مع علي بك بمصر يشار إليه ويروى لنفسه المنة عليه، وربما حدثته بالإمارة دونه، وتحقق علي بك أنه لا يتمكن من أغراضه وتمهيد الأمر لنفسه، ما دام حسن بك موجوداً، فكتم أمره وأخذ يدبر على قتله. فبيت مع أتباعه محمد بك وأيوب بك وخشداشينهم وتوافقوا على اغتياله، فلما كان ليلة الثلاثاء ثامن من شهر رجب حضر حسن بك المذكور وكذا خشداشه جن علي بك وسرما معه حصة من الليل، ثم ركبا فركب صحبتهما محمد بك وأيوب بك ومماليكهما واغتالوهما في أثناء الطريق كما تقدم.

ومات الأمير رضوان جربجي الرزاز وأصله مملوك حسن كتخدا ابن الأمير خليل أغا، وأصل خليل أغا هذا شاب تركي خردجي يبيع الخردة، دخل يوماً من بيت لاجين بك الذي عند السويقة المعروفة بسويقة لاجين وهو بيت عبد الرحمن أغا المتخرب الآن، وكان ينفذ من الجهتين، فرآه لاجين بك فمال قلبه إليه ونظر فيه بالفراسة مخايل النجابة، فدعاه للمقام عنده في خدمته، فأجاب لذلك واستمر في خدمته مدة، وترقى عنده ثم عينه لسد جسر شرمساح ووعده بالإكرام إن هو اجتهد في سده على ما ينبغي، فنزل إليه وساعدته العناية حتى سده وأحكمه ورجع، ثم عينه لجبي الخراج وكان لا يحصل له الخراج إلا بالمشقة، وتبقى البواقي على البواقي القديمة في كل سنة، فلما نزل وكان في أوان حصاد الأرز، فوزن من المزارعين شعير الأرز من المال الجديد البواقي أولاً بأول وشطب جميع ذلك من غير ضرر ولا تأذية، وجمعه وخزنه واتفق أنه غلا ثمنه في تلك السنة غلواً زائداً عن المعتاد، فباعه بمبلغ عظيم ورجع لسيده بصناديق المال فقال: لا آخذ إلا حقي وأما الربح فهو لك، فأخذ قدر ماله وأعطاه الباقي، فذهب واشترى لمخدومه جارية مليحة وأهداها له، فلم يقبلها وردها إليه وأعطى له البيت الذي بلتبانة ونزل له عن طصفة وكفرها ومنية تمامه وصار من الأمراء المعدودين، فولد لخليل هذا حسن كتخدا ومصطفى كتخدا كانا أميرين كبيرين معدودين بمصر، ومماليكه صالح كتخدا وعبد الله جربجي وإبراهيم جربجي وغيرهم، ومن مماليكه حسن حسين جربجي المعروف بالفحل ورضوان جربجي هذا المترجم وغيرهما أكثر من المائة أمير. وكان رضوان جربجي هذا من الأمراء الخيرين الدينين له مكارم أخلاق وبر ومعروف، ولما نفي علي بك عبد الرحمن كتخدا نفاه أيضاً وأخرجه من مصر. ثم أن عل يبك ذهب يوماً عند سليمان أغا كتخدا الجاويشية فعاتبه على نفي رضوان جربجي، فقال له علي بك: تعاتبني على نفي رضوان جربجي ولا تعاتبني على نفي ابنك عبد الرحمن كتخدا، فقال: ابني المذكور منافق يسعى في إثارة الفتن ويلقي بين الناس فهو يستاهل، وأما هذا فهو إنسان طيب وما علمنا عليه ما يشينه في دينه ولا دنياه، فقال: نرده لأجل خاطرك وخاطره، ورده و لم يزل في سيادته حتى مات على فراشه سادس جمادى الأولى في هذه السنة، والله سبحانه وتعالى أعلم.

سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف.

استهل شهر المحرم بيوم الأربعاء، في ثانيه سافرت التجريدة المعينة إلى بحري بسبب الأمراء المتقدم ذكرهم وهم حسين بك وخليل بك ومن معهم، وقد بذل جهده علي بك حتى شهل أمرها ولوازمها في أسرع وقت، وسافرت يوم الخميس وأميرها وسر عسكرها محمد بك أبو الذهب. فلما وصلوا إلى ناحية دجوة وجدوهم عدوا إلى مسجد الخضر، فعدوا خلفهم، فوجدوهم ذهبوا إلى طندتا وكرنكوا بها، فتبعوهم إلى هناك وأحاطوا بالبلدة من كل جهة، ووقع الحرب بينهم في منتصف شهر المحرم، فلم يزل الحرب قائماً بين الفريقين حتى فرغ ما عندهم من الجبخانة والبارود، فعند ذلك أرسلوا إلى محمد بك وطلبوا منه الأمان، فأعطاهم الأمان وارتفع الحرب من بين الفريقين. وكاتبهم محمد بك وخادعهم والتزم لهم بإجراء الصلح بينهم وبين مخدومه علي بك، فانخدعوا له وصدقوه وانحلت عزائمهم واختلفت آراؤهم. وسكن الحال تلك الليلة، ثم أن محمد بك أرسل في ثاني يوم إلى حسين بك يستدعيه ليعمل معه مشورة، فحضر عنده بمفرده وصحبته خليل بك السكران تابعة فقط. فلما وصلوا إلى مجلسه جماعة وقتلوهما، وحضر في أثرهما حسن بك شبكة و لم يعلم ما جرى لسيده، فلما قرب من المكان أحسن قلبه بالشر، فأراد الرجوع فعاقه رجل سائس يسمى مرزوق وضربه بنبوت فوقع على الأرض، فلحقه بعض الجند واحتز رأسه، فلما علم بذلك خليل بك الكبير ومن معه ذهبوا إلى ضريح سيدي أحمد البدوي والتجئوا إلى قبره واشتد بهم الخوف، وعلموا أنهم لاحقون بإخوانهم، فلما فعلوا ذلك لم يقتلوهم، وأرسل محمد بك يستشير سيده في أمر خليل ومن معه، فأمر بنفيه إلى ثغر سكندرية وخنقوه بعد ذلك بها. ورجع محمد بك وصالح بك والتجريدة ودخلوا المدينة من باب النصر في موكب عظيم وأمامهم الرؤوس محمولة في صوان من فضة وعدتها ستة رؤوس وهي رأس حسين بك وخليل بك السكران وحسن بك شبكة وحمزة بك واسمعيل بك أبي مدفع وسليمان أغا الوالي وذلك يوم الجمعة سابع عشر المحرم.

وفي يوم الثلاثاء رابع عشر صفر، حضر نجاب الحج واطمأن الناس، وفي يوم الجمعة سابع عشره وصل الحجاج بالسلامة ودخلوا المدينة وأمير الحاج خليل بك بلغيه، وسر الناس بسلامة الحجاج وكانوا يظنون تعبهم بسبب هذه الحركات والوقائع.

وفي ثامن عشر صفر، أخرج علي بك جملة من الأمراء من مصر ونفى بعضهم إلى الصعيد وبعضهم إلى الحجاز وأرسل البعض إلى الفيوم، وفيهم محمد كتخدا تابع عبد الله كتخدا وقرا حسن كتخدا وعبد الله كتخدا تابع مصطفى باش اختيار مستحفظان وسليمان جاويش ومحمد كتخدا الجردلي وحسن أفندي الباقرجي وبعض أوده باشية وعلي جربجي وعلي أفندي الشريف جمليان. وفيه صرف علي بك مواجب الحامكية. وفيه أرسل علي بك وقبض على أولاد سعد الخادم بضريح سيد أحمد البدوي، وصادرهم وأخذ منهم أموالاً عظيمة لا يقدر قدرها وأخرجهم من البلدة ومنعهم من سكناها ومن خدمة المقام الأحمدي، وأرسل الحاج حسن عبد المعطي وقيده بالسدنة عوضاً عن المذكورين، وشرع في بناء الجامع والقبة والسبيل والقيسارية العظيمة، وأبطل منها مظالم أولاد الخادم والحمل والنشالين والحرمية والعيارين وضمان البغايا والخواطئ وغير ذلك.

وفي تاسع شهر ربيع الأول حضر قابجي من الديار الرومية بمرسوم وقفطان وسيف لعلي بك من الدولة، وفيه وصلت الأخبار بموت خليل بك الكبير بثغر سكندرية مخنوقاً.

وفي يوم السب ثاني عشرة نزل الباشا إلى بيت علي بك باستدعائه فتغدى عنده وقدم له تقادم وهدايا.

وفي يوم الأحد ثامن عشر ربيع الآخر اجتمع الأمراء بمترل علي بك على العادة وفيهم صالح بك، وقد كان علي بك بيت مع أتباعه على قتل صالح بك، فلما انقضى المجلس وركب صالح بك ركب معه محمد بك وأيوب بك ورضوان بك وأحمد بك بشناق المعروف بالجرار وحسن بك العبداوي وعلي بط الطنطاوي، وأحدق الجميع بصالح بك ومن خلفهم الجند والمماليك والطوائف، فلما وصلوا إلى مضيق الطريق عند المفارق بسويقة عصفور تأخر محمد بك ومن معه عن صالح بك قليلاً، وأحدث له محمد بك حماقة مع سائسه وسحب سيفه من غمده سريعاً وضرب صالح بك، وسحب الآخرون سيوفهم ما عدا أحمد بك بشناق وكملوا قتلته، ووقع طريحاً على الأرض، ورمح الجماعة الضاربون وطوائفهم إلى القلعة، وعندما رأوا مماليك صالح بك وأتباعه ما نزل بسيدهم خرجوا على وجوههم، ولما استقر الجماعة القاتلون بالقلعة وجلسوا مع بعضهم يتحدثون عاتبوا أحمد بك بشناق في عدم ضربه معهم صالح بك، وقالوا له: لماذا لم تجرد سيفك وتضرب مثلنا؟ فقال بل ضرب معكم، فكذبوه، فقال له بعضهم: أرنا سيفك فامتنع وقال: إن سيفي لا يخرج من غمده لأجل الفرجة، ثم ستوا وأخذ في نفسه منهم وعلم أنهم سيخبرون سيدهم بذلك فلا يأمن غائلته، وذلك أن أحمد بك هذا لم يكن مملوكاً لعلي بك وإنما كان أصله من بلاد بشناق حضر إلى مصر في جملة أتباع علي باشا الحكيم عندما كان والياً على مصر في سنة 1169. فأقام في خدمته إلى سنة 1171. وتلبس صالح بك بإمارة الحج في ذلك التاريخ، فاستأذن أحمد بك المذكور علي باشا في الحج وأذن له فحج مع صالح بك وأكرمه وأحبه وألبسه زي المصريين، ورجع صحبته، وتنقلت به الأحوال وخدم عند عبد الله بك علي ثم خدم عند علي بك فأعجبه شجاعته وفروسيته فرقاه في المناصب حتى قلده الصنجقية وصار من الأمراء المعدودين. فلم يزل يراعي منة صالح السابقة عليه، فلما عزم علي بك على خيانة صالح بك السابقة وغدره خصصه بالذكر وأوصاه أن يكون أول ضارب فيه، لما يعلمه فيه من العصبية له، فقيل له أن أحمد بك أسر ذلك إلى صالح بك وحذره غدر علي بك إياه، فلم يصدقه لما بينهما من العهود والأيمان والمواثيق، ولم يحصل منه ما يوجب ذلك، ولم يعارضه في شيء ولم ينكر عليه فعلاً. فلما اختلى صالح بك بعلي بك أشار إليه بما بلغه، فحلف له علي بك بأن ذلك نفاق من المخبر، ولم يعلم من هو، فلما حصل ما حصل ورأى مراقبة الجماعة له ومناقشتهم له عند استقرارهم بالقلعة تخيل وداخله الوهم وتحقق في ظنه تجسم القضية، فلما نزلوا من القلعة وانصرفوا إلى منازلهم تفكر تلك الليلة وخرج من مصر وذهب إلى الإسكندرية وأوصى حريمه بكتمان أمره ما أمكنهم، حتى يتباعد عن مصر، فلما تأخر حضوره بمترل علي بك وركوبه سألوا عنه، فقيل له أنه متوعك، فحضر إليه في ثاني يوم محمد بك ليعوده وطلب الدخول إليه فلم يمكنهم منعه، فدخل إلى محل مبيته فلم يجده في فراشه، فسأله عنه حريمه فقالوا لا نعلم له محلاً ولم يأذن لأحد بالدخول عليه، وفتشوا عليه فلم يجدوه، وأرسل علي بك عبد الرحمن أغا وأمره بالتفتيش عليه وقتله، فأحاط بالبيت وفتش عليه في البيت والخطة فلم يجده، وهو قد كان هرب ليلة الواقعة في صورة جزائرلي مغربي وقصقص لحيته وسعى بمفرده إلى شلقان وسافر إلى بحري، ووصل السعاة بخبره لعلي بك بأنه بالإسكندرية، فأرسل بالقبض عليه فوجدوه نزل بالقبطانة واحتمى بها، وكان من أمره ما كان بعد ذلك كما سيأتي، وهو أحمد باشا الجزار الشهير الذكر الذي تملك عكا وتولى الشام وإمارة الحج الشامي وطار صيته في الممالك.

وفيه عين علي بك تجريدة على سويلم بن حبيب وعرب الجزيرة فنزل محمد بك بتجريدة إلى عرب الجزيرة وأيوب بك إلى سويلم فلما ذهب أيوب بك إلى دجوة فلم يجد بها أحداً وكان سويلم بائتاً في سند نهور وباقي الحبايبة متفرقين في البلاد، فلما وصله الخبر ركب من سند نهور وهرب بمن معه إلى البحيرة والتجأ إلى الهنادي. ونهبوا دوائره ومواشيه، وحضروا بالمنهوبات إلى مصر واحتج عليه بسبب واقعة حسين بك وخليل بك لما أتيا إلى دجوة بعد واقعة الديرس والجراح، قدم لهم التقادم وساعدهم بالكلف والذبائح ونحو ذلك، والغرض الباطني اجتهاده في إزالة أصحاب المظاهر كائناً ما كان.

وفي يوم الاثنين تاسع عشرة أمر علي بك بإخراج علي كتخدا الخربطلي منفياً وكذلك يوسف كتخدا مملوكه، ونفي حسن أفندي درب الشمسي وأخوته إلى السويس ليذهبوا إلى الحجاز، وسليمان كتخدا الجلفي وعثمان كتخدا عزبان المنفوخ، وكان خليل بك الأسيوطي بالشرقية، فلما سمع بقتل صالح بك هرب إلى غزة.

وفي يوم الأحد خامس جمادى الأولى طلع علي بك إلى القلعة وقلد ثلاثة صناجق من أتباعه وكذلك وجاقلية، وقلد أيوب بك تابعه ولاية جرجا وحسن بك رضوان أمير حج وقلد الوالي.

وفي جمادى الآخرة قلد اسمعيل بك الدفتر دارية وصرف المواجب في ذلك اليوم.

وفي منتصف شهر رجب وصل أغا من الديا الرومية وعلى يده مرسوم بطلب عسكر للسفر، فاجتمعوا بالديوان وقرأوا المرسوم وكان علي بك أحضر سليمان بك الشابوري من نفيه بناحية المنصورة، وكان منفياً هناك من سنة 1172.

وفي يوم الثلاثاء عملوا الديوان بالقلعة ولبسوا سليمان بك الشابوري أمير السفر الموجه إلى الروم، وأخذوا في تشهيله وسافر محمد بك أبو الذهب بتجريدة ومعه جملة من الصناجق والمقاتلين لمنابذة شيخ العرب همام، فلما قربوا من بلاده ترددت بينهم الرسل واصطلحوا معه على أن يكون لشيخ العرب همام من حدود برديس، ولا يتعدى حكمه لما بعده. واتفقوا على ذلكثم بلغ شيخ العرب أنه ولد لمحمد بك مولود فأرسل له بالتجاوز عن برديس أيضاً إنعاماً منه للمولود ورجع محمد بك ومن معه إلى مصر. وفيه قبض علي بك على الشيخ أحمد الكتبي المعروف بالسقط وضربه علقة قوية وأمر بنفيه إلى قبرص، فلما نزل إلى البحر الرومي ذهب إلى اسلامبول وصاهر حسن أفندي قطه مسكين النجم وأقام هناك إلى أن مات وكان المذكور من دهاة العالم يسعى في القضايا والدعاوى يحيي الباطل ويبطل الحق بحسن سبكه وتداخله.

وفي سابع عشرة حصلت قلقة من جهة والي مصر محمد باشا، وكان أراد أن يحدث حركة فوشي به كتخداه عبد الله بك إلى علي بك، فأصبحوا وملكوا الأبواب والرملية والمحجر وحوالي القلعة، وأمروه بالنزول فنزل من باب الميدان إلى بيت أحمد بك كشك، وأجلسوا عنده الحرسجية.

وفي يوم الأحد غرة شعبان تقلد علي بك قائمقامية عوضاً عن الباشا.

وفي يوم الخميس أرسل علي بك عبد الرحمن أغا مستحفظان إلى رجل من الأجناد يسمى اسمعيل أغا من القاسمية، وأمره بقتله، وكان اسمعيل هذا منفياً جهة بحري وحضر إلى مصر قبل ذلك وأقام ببيته جهة الصليبة. وكان مشهوراً بالشجاعة والفروسية والإقدام، فلما وصل الأغا حذاء بيته وطلبه ونظر إلى الأغا واقفاً بأتباعه ينتظره علم أنه يطلبه ليقتله كغيره، لأنه تقدم قتله لأناس كثيرة على هذا النسق بأمر علي بك فامتنع من النزول وأغلق باباه، و لم يكن عنده أحد سوى زوجته وهي أيضاً جارية

تركية. وعمر بندقيته وقرابينته وضرب عليهم فلم يستطيعوا العبور إليه من الباب، وصارت زوجته تعمر له وهو يضرب حتى قتل منهم أناساً وانجرح كذلك، واستمر على ذلك يومين وهو يحارب وحده. وتكاثروا عليه وقتلوا منن أتباعه وهو ممتنع عليهم إلى أن فرغ منه البارود والرصاص ونادوه بالأمان، فصدقهم ونزل من الدرج فوقف له شخص وضربه وهو نازل من الدرج، وتكاثروا عليه وقتلوه وقطعوا رأسه ظلماً رحمه الله تعالى.

وفي تاسع عشره صرفت المواجب على الناس والفقراء.

وفي ثامن عشرينه خرج موكب السفر الموجه إلى الروم في تجمل زائد.

وفي عاشر رمضان قبض علي بك على المعلم اسحق اليهودي معلم الديوان ببولاق وأخذ منه أربعين ألف محبوب ذهب، وضربه حتى مات، وكذلك صادر أناساً كثيرة في أموالهم من التجار مثل العشوبي والكمين وغيرهما وهو الذي ابتدع المصادرات وسلب الأموال من مبادي ظهوره، واقتدى به من بعده.

وفي شوال هيأ علي بك هدية حافلة وخيولاً مصرية جياداً وأرسلها إلى اسلامبول للسلطان ورجال الدولة، وكان المتسفر بذلك إبراهيم أغا سراج باشا، وكتب مكاتبات إلى الدولة ورجالها والتمس من الشيخ الوالد أن يكتب له أيضاً مكاتبات لما يعتقده من قبول كلامه وإشارته عندهم، ومضمون ذلك الشكوى من عثمان بك بن العظم والي الشام وطلب عزله عنها، بسبب انضمام بعض المصريين المطرودين إليه ومعاونته لهم، وطلب منه أن يرسل من طرفه أناساً مخصوصين، فأرسل الشيخ عبد الرحمن العريشي ومحمد أفندي البردلي، فسافروا مع الهدية وغرضه بذلك وضع قدمه بالقطر الشامي أيضاً.

وفي ثاني عشر ذي القعدة رسم بنفي جماعة من الأمراء أيضاً وفيهم إبراهيم أغا الساعي اختيارية متفرقة واسمعيل أفندي جاويشان وخليل أغا باش جاويشان جمليان وباشجاويش تفكجيان ومحمد أفندي جراكسة ورضوان والزعفراني، فأرسل منهم إلى دمياط ورشيد وإسكندرية وقبلي، وأخذ منهم دراهم قبل خروجهم، واستولى على بلادهم وفرقها في أتباعه، وكانت هذه طريقته فيمن يخرجه يستصفي أموالهم أولاً ثم يخرجهم ويأخذ بلادهم وأقطاعهم فيفرقها على مماليكه وأتباعه الذين يؤمرهم في مكانهم، ونفى أيضاً إبراهيم كتخدا جدك وابنه محمداً إلى رشيد، وكان إبراهيم هذا كتخداه ثم عزله وولاه الحسبة فلما نفاه ولى مكانه في الحسبة مصطفى أغا والله أعلم.

من مات في هذه السنة

مات الإمام الفقيه المحدث الأصولي المتكلم شيخ الإسلام وعمدة الأنام الشيخ أحمد بن الحسن بن عبد الكريم بن محمد بن يوسف بن كريم الدين الكريمي الخالدي الشافعي الأزهري الشهير بالجوهري، وإنما قيل له الجوهري لأن والده كان يبيع الجوهر فعرف به، ولد بمصر سنة 1096 واشتغل بالعلم وجد في تحصيله حتى فاق أهل عصره، ودرس بالأزهر وأفتى نحو ستين سنة، مشايخه كثيرون منهم الشهاب أحمد بن الفقيه ورضوان الطوخي إمام الجامع الأزهر والشيخ منصور المنوفي والشهاب أحمد الخليلي والشيخ عبد ربه الديوي والشيخ عبد الرؤوف البشبيشي والشيخ محمد أبو العز العجمي والشيخ محمد

الاطفيحي والشيخ عبد الجواد المخلي الشافعيون والشيخ محمد السجلماسي والشيخ أحمد النغراوي والشيخ سليمان الحصيني والشيخ عبد الله الكنكسي والشيخ محمد الصغير الورزازي وابن زكري والشيخ أحمد الهشتوكي والشيخ سليمان الشبرخيتي والسيد عبد القادر المغربي ومحمد القسطنطيني ومحمد النشرتي المالكيون ورحل إلى الحرمين في سنة 1120، فسمع من البصري والنخلي في سنة 1124، ثم في سنة 1130 وحمل في هذه الرحلات علوماً جمة أجازه مولاي الطيب بن مولاي عبد الله الشريف الحسيني وجعله خليفة بمصر، وله شيوخ كثيرون غير من ذكرت، وقد وجدت في بعض إجازاته تفصيل ما سمعه من شيوخه ما نصه على البصري والنخلي أوائل الكتب الستة والإجازة العامة مع حديث الرحمة بشرطه، وعلى الاطفيحي بعض كتب الفقه والحديث والتصوف والإجازة العامة، وعلى السجلماسي في سنة 1126، الكبرى للسنوسي ومختصره المنطقي وشرحه وبعض تلخيص القرزويني وأول البخاري إلى كتاب الغسل وبعض الحكم العطائية، وأجازه علي بن زكري أوائل الستة وأجازه وعلى الكنكسي الصحيح بطرفيه وشرح العقائد للسعد وعقائد السنوسي وشروحها وشرح التسهيل لابن مالك إلى آخره، وشرح الألفية للمكوي والمطول بتمامه، وشرح التلخيص وعلى الهشتوكي الإجازة بسائرها وعلى النفراوي شرح التلخيص مراراً وشرح ألفية المصطلح وشرح الورقات وعلي الديوي شرح المنهج لشيخ الإسلام مراراً وشرح التحرير وشرح ألفية ابن الهائم وشرح التلخيص وشرح ابن عقيل على الألفية وشرح الجزرية، وعلى المنوفي جمع الجوامع وشرحه للمحلى وشرح التلخيص، وعلى ابن الفقيه شرح التحرير وشرح الخضيب مراراً وشرح العقائد النسفية وشرح التلخيص والخبيصي، وعلى الطوخي شرح الخطيب وابن قاسم مراراً، وشرح الجوهرة لعبد السلام وعلي الخليفي البخاري، وشرح التلخيص والاشموني والعصام، وشرح الورقات وعلي الحصيني شرح الكبرى للسنوسي بتمامه وعلى الشبرخيتي شرح الرحبية وشرح الأجرومية وغيرهما، وعلى الورزازي شرح الكبرى بتمامه مراراً وشرح الصغرى وشرح مختصر السنوسي والتفسير وغيره، وعلي البشبيشي المنهج مراراً وجمع الجوامع مراراً والتلخيص وألفية المصطلح والشمائل، وشرح التحرير لزكريا وغيره، هذا نص ما وجدته بخطه. واجتمع بالقطب سيدي أحمد بن ناصر فأجازه لفظاً وكتابة، وممن أجازه أبو المواهب البكري وأحمد البناء وأبو السعود الدنجيهي وعبد الحي الشرنبلالي ومحمد بن عبد الرحمن المليجي، وفي الحرمين عمر بن عبد الكريم الخلخالي، حضر دروسه وسمع منه المسلسل بالأولية بشرطه، وتوجه بآخرته الحرمين بأهله وعياله، وألقى الدروس وانتفع به الواردون، ثم عاد إلى مصر فانجمع عن الناس وانقطع في منزله يزار ويتبرك به، ولن تآليف منها منقذة العبيد عن ربقة التقليد في التوحيد، وحاشية علي عبد السلام، ورسالة في الأولية، وأخرى في حياة الأنبياء في قبورهم، وأخرى في الغرانق وغيرها، وكانت وفاته وقت الغروب يوم الأربعاء ثامن جمادى الأولى، وجهز بصباحه وصلي عليه بالجامع الأزهر بمشهد حافل، ودفن بالزاوية القادرية داخل درب شمس الدولة رحمه الله.

ومات الأمير العلامة والحبر الفهامة الفقيه الدراكة الأصولي النحو شيخ الإسلام وعمدة ذوي الأفهام الشيخ عيسى بن أحمد بن عيسى بن محمد الزبيري البراوي الشافعي الأزهري، ورد الجامع الأزهر وهو صغير فقرأ العلم على مشايخ وقته، وتفقه على الشيخ مصطفى العزيزي وابن الفقيه، وحضر دروس الملوي والجوهري والشبراوي، وأنجب وشهد له بالفضل أهل عصره، وقرأ الدروس في الفقه، وأحدقت به الطلبة واتسعت حلقته، واشتهر بحفظ الفروع لفقهية حتى لقب بالشافعي الصغير لكثرة

استحضاره في الفقه وجودة تقريره، وانتفع به طلبة العصر طبقة بعد طبقة وصاروا مدرسين، وروى الحديث عن الشيخ محمد الدفري وكان حسن الاعتقاد في الشيخ عبد الوهاب العفيفي وفي سائر الصلحاء. وله مؤلفات مقبولة منها حاشية على شرح الجوهرة في التوحيد وشرح على الجامع الصغير للسيوطي في مجلد يذكر في كل حديث ما يتعلق بالفقه خاصة، ولا زال يملي ويفيد ويدرس ويعيد حتى توفي سحر ليلة الاثنين رابع رجب، وجهز في صباحه وصلي عليه بالأزهر بمشهد حافل ودفن بالمجاورين وبني على قبره مزار ومقام واستقر مكانه في التصدر والتدريس ابنه العلامة الشيخ أحمد ولازم حضوره تلامذة أبيه رحمه الله.

ومات الإمام العلامة الفقيه واللوذعي الذكي النبيه عمدة المحققين ومفتي المسلمين حسن بن نور الدين المقدسي الحنفي الأزهري، تفقه على شيخ وقته الشيخ سليمان المنصوري والشيخ محمد عبد العزيزي الزيادي وحضر دروس الشيخ مصطفى العزيزي والسيد علي الضرير والملوي والجوهري والحفني والبليدي وغيرهم، ودرس بالجامع الأزهر في حياة شيوخه، ولما بنى الأمير عثمان كتخدا مسجده بالأزبكية جعله خطيباً وإماماً به، وسكن في منزل قرب الجامع، وراج أمره، ولما شعر فتوى الحنفية بموت الشيخ سليمان المنصوري جعل شيخ الحنفية بعناية عبد الرحمن كتخدا، وكان له به ألفة ثم ابتنى منزلاً نفيساً مشرفاً على بركة الأزبكية بمساعدة بعض الأمراء، واشتهر أمره ودرس بعدة أماكن كالصرغقشية المشروطة لشيخ الحنفية والمدرسة المحمودية والشيخ مطهر وغيرها، وألف متناً في فقه المذهب ذكر فيه الراجح من الأقوال، واقتنى كتباً نفيسة بديعة الأمثال، وكان عنده ذوق وألفة ولطافة وأخلاق مهذبة، توفي يوم الجمعة ثامن عشر جمادى الآخرة.

ومات الإمام العلامة أحد أذكياء العصر ونجباء الدهر الشيخ محمد ابن بدر الدين الشافعي سبط الشمس الشرنبابلي، ولد قبل القرن بقليل وأجازه جده، وحضر بنفسه على شيوخ وقته كالشيخ عبد ربه الديوي والشيخ مصطفى العزيزي وسيدي عبد الله الكنكسي والسيد علي الحنفي والشيخ الملوي في آخرين، وباحث وناصل وألف وأفاد وله سليقة في الشعر جيدة وكلامه موجود بين أيدي الناس، وله ميل لعلم اللغة ومعرفة بالأنساب، غير أنه كان كثير الوقيعة في الشيخ محي الدين ابن عربي قدس الله سره، وألف عدة رسائل في الرد عليه، وكان يباحث بعض أهل العلم فيما يتعلق بذلك فينصحونه ويمنعونه من الكلام فيذلك فيعترف تارة وينكر أخرى ولا يثبت على اعترافه، وبلغني أنه لف مرة رسالة في الرد عليه في ليلة من الليالي ونام فاحترق منزله بالنار واحترقت تلك الرسالة من جملة ما احترق من الكتب، ومع ذلك فلم يرجع عما كان عليه من التعصب، وربما تعصب لمذهبه فيتكلم في بعض مسائل مع الحنفية ويرتب عليها أسئلة ويغض عنهم، ولما كان عليه مما ذكر لم يخل حاله عن ضيق وهيئته عن رثاثة، توفي المترجم في المحرم افتتاح السنة، وصلي عليه بالأزهر ودفن بالقرافة عند جده لامه رحمه الله تعالى.

ومات الجناب الأمجد والملاذ الأوحد حامل لواء علم المجد وناشره وجالب متاع الفضل وتاجره السيد أحمد بن اسمعيل بن محمد أبو الإمداد سبط بني الوفي والده وجده من أمراء مصر وكذا أخوه لأبيه محمد، وكل منهم قد تولى الإمارة والمترجم أمه هي ابنة الأستاذ سيدي عبد الخالق بن وفي، ولد بمصر ونشأ في حجر أبويه في عفاف وحشمة وأبهة، وأحبه الناس لمكان جده لأمه المشار إليه مع جذب فيه وصلاح، وتولى نقابة السادة الأشراف سنة 1168، ثم تولى الخلافة الوفائية بعد وفاة السيد أبي

هادي، فترل عن النقابة للسيد محمد أفندي الصديقي وقنع بخلافة بيتهم، وكان إنساناً حسناً بهياً ذا تؤدة ووقار، وفيه قابلية لإدراك الأمور الدقيقة والأعمال الرياضية، وهو الذي حمل الشيخ مصطفى الخياط الفلكي على حساب حركة الكواكب الثابتة وأطوالها وعروضها ودرجات ممرها ومطالعها لما بعد الرصد الجديد إلى تاريخ وقته وهي من مآثره مستمرة المنفعة لمدة من السنين، واقتنى كثيراً من الآلات الهندسية الأدوات الرسمية رغب فيها وحصلها بالأثمان الغالية، وهو الذي أنشأ المكان اللطيف المرتفع بدارهم المجاور للقاعة الكبير المعروفة بأم الأفراح المطل على الشارع المسلوك، وما به من الرواشن المطلة على حوش المترل والطريق، وما به من الخزائن والخورنقات والرفارف والشرفات والرفوف الدقيقة الصنعة وغير ذلك، وهو الذي كنى الفقير بأبي العزم وذلك في سنة 1177 برحاب أجدادهم يوم المولد النبوي المعتاد، وتوفي في سابع المحرم سنة تاريخه وصلي عليه بالجامع الأزهر بمشهد حافل، ودفن بتربة أجدادهم نفعنا الله بهم وأمدنا من أمدادهم. وتولى الخلافة بعده مسك ختامهم ومهبط وحي أسرارهم نادرة الدهر وغرة وجه العصر الإمام العلامة واللوذعي الفهامة من مصابيح فضله مشارق الأنوار السيد شمس الدين محمد أبو الأنوار نسأل الله لحضرته طول البقاء ودوام العز والارتقاء آمين.

ومات الإمام العلامة الفقيه النبيه شيخ الإسلام وعمدة الأنام الشيخ عبد الرؤوف بن محمد بن عبد الرحمن بن أحمد السجيني الشافعي الأزهري شيخ الأزهر وكنيته أبو الجود، أخذ عن عمه الشمس السجيني ولازمه وبه تخرج، وبعد وفاته درس المنهج موضعه، وتولى مشيخة الأزهر بعد الشيخ الحفني وسار فيها بشهامة وصرامة، إلا أنه لم تطل مدته وتوفي رابع عشر شوال، وصلي عليه بالأزهر ودفن بجوار عمه بأعلى البستان، واتفق أنه وقعت له حادثة قبل ولايته على مشيخة الجامع بمدة وهي التي كانت سبباً لاشتهار ذكره بمصر، وذلك أن شخصاً من تجار خان الخليلي تشاجر مع رجل خادم فضربه ذلك الخادم وفر من أمامه فتبعه هو وآخرون من أبناء جنسه، فدخل إلى بيت الشيخ المترجم، فدخل خلفه وضربه برصاصة فأصابت شخصاً من أقارب الشيخ يسمى السيد أحمد، فمات وهرب الضارب فطلبوه فامتنع عليهم ونعصب معه أهل خطته وأبناء جنسه، فاهتم الشيخ عبد الرؤوف وجمع المشايخ والقاضي وحضر إليهم جماعة من أمراء الوجاقلية، وانضم إليهم الكثير من العامة، وثارت فتنة أغلق الناس فيها الأسواق والحوانيت واعتصم أهل خان الخليلي بدائرتهم وأحاط الناس بهم من كل جهة، وحضر أهل بولاق وأهل مصر القديمة، وقتل بين الفريقين عدة أشخاص، واستمر الحال على ذلك أسبوعاً، ثم حضر علي بك أيضاً وذلك في مبادي أمره قبل خروجه منفياً، واجتمعوا بالمحكمة الكبرى، وامتلأ حوض القاضي بالغوغاء والعامة، وانحط الأمر على الصلح، وانفض الجمع، ونودي في صبحها بالأمان وفتح الحوانيت والبيع والشراء وسكن الحال.

ومات الشيخ الصالح الخير الجواد أحمد بن صلاح الدين الدنجيهي الدمياطي شيخ المتبولية والناظر على أوقافها، كان رجلاً رئيساً محتشماً صاحب إحسان وبر ومكارم أخلاق، وكان ظلاً ظليلاً على الثغر، يأوي إليه الواردون فيكرمهم ويواجههم بالطلاقة والبشر التام مع الإعانة والإنعام، ومترله مجمع للأحباب ومورد لائتناس الأصحاب، وتوفي يوم السبت ثاني عشر ذي الحجة عن ثمانين سنة تقريباص.

ومات الإمام الفاضل أحد المتصدرين بجامع بن طولون الشيخ أحمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عامر العطاشي الفيومي الشافعي كان له معرفة في الفقه والمعقول والأدب، بغني أنه كان يخبر عن نفسه أنه يحفظ اثني عشر ألف بيت من

شواهد العربية وغيرها، وأدرك الأشياخ المتقدمين وأخذ عنهم، وكان إنساناً حسناً منور الوجه والشيبة ولديه فوائد ونوادر، مات في سادس جمادى الثانية عن نيف وثمانين سنة تقريباً غفر الله له.

ومات الأمير خليل بك القازدغلي أصله من مماليك إبراهيك كتخدا القازدغلي، وتقلد الإمارة والصنجقية بعد موت سيده وبعد قتل حسين بك المعروف بالصابونجي، وظهر شأنه في أيام علي بك الغزاوي وتقلد الدفتر دارية، ولما سافر علي بك أميراً بالحج في سنة ثلاث وسبعين جعله وكيلاً عنه في رياسة البلد ومشيختها، وحصل ما حصل من تعصبهم على علي بك وهروبه إلى غزة كما تقدم، وتقلبت الأحوال، فلما نفي علي بك جن في المرة الثانية كان هو المتعين للإمارة مع مشاركة حسين بك كشكش، فلما وصل علي بك وصالح بك على الصورة المتقدمة، هرب المترجم مع حسين بك وباقي جماعتهم إلى جهة الشام ورجعوا في صورة هائلة، وجرد عليهم علي بك وكانت الغلبة لهم على المصريين، فلم يجسروا على الهجوم كما فعل علي بك وصالح بك. فلو قدر الله لهم ذلك كان هو الرأي، فجهز علي بك على الفور تجريدة عظيمة وعليهم محمد بك أبو الذهب وخشداشينه فخرجوا لهم وعدوا خلفهم ولحقوهم إلى طندتا، فحاصروهم بها وحصل ما حصل من قتل حسين بك ومن معه، والتجأ المترجم إلى ضريح سيدي أحمد البدوي فلم يقتلوه إكراماً لصاحب الضريح. وأرسل محمد بك يخبر مخدومه ويستشيره في أمره فأرسل غليه بتأمينه وإرساله إلى ثغر سكندرية، ثم أرسل بقتله فقتلوه بالثغر خنقاً ودفن هنا. وكان أميراً جليلاً ذا عيل ورياسة، وأما الظلم فهو قدر مشترك في الجميع.

ومات أيضاً الأمير حسين بك كشكش القازدغلي وهو أيضاً من مماليك إبراهيم كتخدا وهو أحد من تآمر في حياة أستاذه وكان بطلاً شجاعاً مقداماً مشهوراً بالفروسية، وتقلد إمارة الحج أربع مرات آخرها سنة 1176، ورجع أوائل سنة 1177، ووقع له مع العبر ما تقدم الالماع به في الحوادث السابقة، وأخافهم وهابوه حتى كانوا يخوفون بذكره أطفالهم، وكذلك عربان الأقاليم المصرية. وكان أسمر جهوري الصوت عظيم اللحية يخالطها الشيب يميل طبعه إلى المزاح والخدعة، وإذا لم يجد من يمازجه في حال ركوبه وسيره مازح سواسه وخدمه وضاحكهم. وسمعته مرة يقول لبعضهم مثلاً سائراً ونحو ذلك. وكان له ابن يسمى فيض الله كريم العين، فكان يكنى به. قتل المترجم بطندتا وأتى برأسه إلى مصر كما تقدم ودفن هناك، وقبره ظاهر مشهور، ودفن أيضاً معه مملوكه حسن بك شبكة وخليل بك السكران وكانا أيضاً يشبهان سيدهما في الشجاعة والخلاعة.

ومات الأمير الكبير الشهير صالح بك القاسمي وأصله مملوك مصطفى بك المعروف بالفرد، ولما مات سيده تقلد الإمارة عوضه وجيش عليه خشداشينه واشتهر ذكره، وتقلد إمارة الحج في سنة 1172 كما تقدم في ولاية علي باشا الحكيم، وسار أحسن سير ولبسته الرياسة والإمارة، والتزم ببلاد أسياده وإقطاعاتهم القبلية هو وخشداشينه وأتباعهم، وصار لهم نماء عظيم، وامتزجوا بهوارة الصعيد وطباعهم ولغتهم، ووكله شيخ العرب همام في أموره بمصر، وأنشأ داره العظيمة المواجهة للكبش، ولم يكن لها نظير بمصر. ولما نما أمر علي بك ونفي عبد الرحمن كتخدا إلى السويس كان المترجم هو المتسفر عليه وأرسل خلفه فرماناً بنفيه إلى غزة، ثم نقل منها إلى رشيد، ثم ذهب من هناك إلى الصعيد من ناحية البحيرة وقام بالمنية وتحصن بها وجرى ما جرى من توجيه المحاربين إليه وخروج علي بك منفياً وذهابه إلى قبلي وانضمامه إلى المذكور، كما تقدم، بعد الأيمان والعهود والمواثيق وحضوره معه إلى مصر على الصورة المذكورة آنفاً وقد ركن إليه وصدق مواثيقه، ولم يخرج عن مزاجه ولا ما يأمر به مثقال

ذرة، وباشر قتال حسين بك كشكش وخليل بك ومن معهما مع محمد بك كما ذكر آنفاً، كل ذلك في مرضاة علي بك وحسن ظنه فيه ووفائه بعهده إلى أن غدر به وخانه وقتله كما ذكر. وخرجت عشيرته وأتباعه من مصر على وجوههم، منهم من ذهب إلى الصعيد ومنهم من ذهب إلى جهة بحري. وكان أميراً جليلاً مهيباً لين العريكة يميل بطبعه إلى الخير ويكره الظلم سليم الصدر ليس فيه حقد ولا يتطلع لما في أيدي الناس والفلاحين ويغلق ما عليه وعلى أتباعه وخشداشينه من المال والغلا الميرية كيلاً وعيناً سنة بسنة، وقوراً محتشماً كثير الحياء، وكانت إحدى ثناياه مقلوعة فإذا تكلم مع أحد جعل طرف سبابته على فمه ليسترها حياء من ظهورها حتى صار ذلك عادة له. ولما بلغ شيخ العرب همام موته اغتم عليه غماً شديداً وكان يحبه محبة أكيدة وجعله وكيله في جميع مهماته وتعلقاته بمصر، ويسدد له ما عليه من الأموال الميرية والغلال. ولما قتل الأمير صالح بك أقام مرمياً تجاه الفرن الذي هناك حصة، ثم أخذوه في تابوت إلى داره وغسلوه وكفنوه ودفنوه بالقرافة رحمه الله.

ومات وحيد دهره في المفاخر وفريد عصره في المآثر نخبة السلالة الهاشمية وطراز العصابة المصطفوية السيد جعفر بن محمد البيتي السقاف باعلوي الحسيني، أديب جزيرة الحجاز، ولد بمكة وبها أخذ عن النخلي والبصري، وأجيز بالتدريس فدرس وأفاد. واجتمع إذ ذاك بالسيد عبد الرحمن العيدروس، وكل منهما أخذ عن صاحبه وتنقلت به الأحوال، فولي كتابة الينبع ثم وزارة المدينة، وصار إماماً في الأدب يشار إليه بالبنان، وكلامه العذب يتناقله الركبان، وله ديوان شعر جمعه لنفسه وله مدائح وقصائد وغزليات كلها غرر محشوة بالبلاغة تدل على غزارة علمه وسعة اطلاعه. توفي بهذه السنة بالمدينة المنورة.

سنة ثلاث وثمانين ومائة وألف

فيها في المحرم أخرج علي بك عثمان أغا الوكيل من مصر منفياً إلى جهة الشام، وكذلك أحمد أغا أغات الجوالي، وأغات الضربخانة إلى جهة الروم. وكان أحمد أغا هذا رجلاً عظيماً ذا غنية كبيرة وثروة زائدة، فصادره علي بك في ماله وأمره بالخروج من مصر، فأحضر المطربازية والدلالين والتجار وأخرج متاعه وذخائره وباعها بسوق المزاد بينهم، فبيع موجوده من أمتعة وثياب وجواهر وتحف وأسلحة وكتب وأشياء نفيسة، وهو ينظر إليها ويتحسر ثم سافر إلى جهة الإسكندرية.
وفيها توفي محمد باشا الذي كان بقصر عبد الرحمن كتخدا بشاطئ النيل، ولعله مات مسموماً، ودفن بالقرافة الصغرى عند مدافن الباشوت بالقرب من الإمام الشافعي. ونزل الحج ودخل إلى مصر مع أمير الحاج خليل بك بلغيا في أمن وأمان. ووصل باشا من طريق البر وطلع الأمراء إلى العادلية لملاقاته، ونصبوا خيامهم ودخل بالموكب وذلك في شهر صفر.
وفيها أرسل علي بك تجريدة إلى سويلم بن حبيب والهنادي بالبحيرة ثم نقلها منها إلى المحلة الكبرى فأقام سنين.

وفيها أرسل علي بك تجريدة إلى سويلم بن حبيب والهنادي بالبحبر وباش التجريدة اسمعيل بك، وذلك أن ابن حبيب لما رحل من دجوة وذهب إلى البحيرة وانضم إلى عبر الهنادي، وكان المتولي على كشوفية البحيرة عبد الله بك تابع علي بك، فحاربوه وحاربهم حتى قتل عبد الله بك المذكور في المعركة ونهبوا متاعه ووطاقه، وكان أحمد بك بشناق لما خرج من مصر هارباً بعد قتل صالح بك كما تقدم، ذهب إلى الروم فصادف هناك جماعة من الهربانين ومنهم يحيى السكري وعلي أغا المعمار وعلي بك الملط وغيرهم، وزيفوا بسبب المغرضين لعلي بك بدار السلطنة فنزلوا في مركبين إلى درنه، فوصلوها متفرقين. فالتي وصلت أولاً بها يحيى السكري وعلي المعمار والملط، فركبوا عندما وصلوا إلى درنه وذهبوا إلى الصعيد، ووصلت المركب الأخرى بعد أيام، وبها أحمد بك بشناق، فطلع إلى عند الهنادي. فلما وصل اسمعيل بك ومن معه بالتجريدة فتحاربوا مع الحبايبة والهنادي ومعهم أحمد بك بشناق ثلاثة أيام، وكان سويلم بن حبيب منعزلاً في خيمة صغيرة عند امرأة بدوية بعيداً عن المعركة، فذهب بعض العرب وعرف الأمراء بمكانه فكبسوه وقتلوه وقطعوا رأسه ورفعوها على رمح، واشتهر ذلك. فارتفع الحرب من بين الفريقين، وتفرق الهنادي وعرب الجزيرة والصوالحة وغيرهم، وراحت كسرة على الجميع ولم يقم لهم قائم من ذلك اليوم. وتغيب أحمد بك بشناق فلم يظهر إلا بعد مدة ببلاد الشام.

وفيها تقلد أيوب بك على منصب جرجا وخرج مسافراً ومعه عدة كبيرة من العساكر والأجناد فوصلوا إلى قرب أسيوط، فوردت الأخبار باجتماع الأمراء المنفيين وتملكهم أسيوط وتحصنهم بها، وكان من أمرهم أنه لما ذهب محمد بك أبو الذهب إلى جهة قبلي لمنابذة شيخ العرب همام كما تقدم، وجرى بينهما الصلح على أن يكون لهمام من حدود برديس، وتم الأمر على ذلك، ورجع محمد بك إلى مصر، أرسل علي بك يقول له: إني أمضيت ذلك بشرط أن تطرد المصريين الذين عندك ولا تبقي منهم أحداً بدائرتك. فجمعهم وأخبرهم بذلك، وقال لهم: اذهبوا إلى أسيوط واملكوها قبل كل شيء، فإن فعلتم ذلك كان

لكم بها قوة ومنعة، وأنا أمدكم بعد ذلك بالمال والرجال، فاستصوبوا رأيه وبادروا وذهبوا إلى أسيوط وكان بها عبد الرحمن كاشف من طرف علي بك وذو الفقار كاشف، وقد كانوا حصنوا البلدة وجهاتها وبنوا كرانك والبوابة ركب عليها المدافع، فتحيل القوم ليلاً وزحفوا إلى البوابة ومعهم أخاخ وأحطاب جعلوا فيها الكبريت والزيت وأشعلوها وأحرقوا الباب وهجموا على البلدة، فلم يكن له بهم طاقة لكثرتهم، وهم جماعة صالح بك وباقي القاسمية، وجماعة الخشاب وجماعة الفلاح وجماعة مناو ويحيى السكري وسليمان الجلفي وحسن كاشف ترك وحسن بك أبو كرش ومحمد بك الماوردي وعبد الرحمن كاشف من خشداشين صالح بك وكان من الشجعان ومحمد كتخدا الجلفي وعلي بك الملط تابع خليل بك وجماعة كشكش وغيرهم، ومعهم كبار الهوارة وأهالي الصعيد. فملكوا أسيوط وتحصنوا بها وهرب من كان فيها ووردت الأخبار بذلك إلى علي بك، فعين للسفر إبراهيم بلغيا ومحمد بك أبا شنب وعلي بك الطنطاوي، ومن كل وجاق جماعة وعساكر ومغاربة، وأرسل إلى خليل بك القاسمي المعروف بالأسيوطي فأحضره من غزة وطلع هو وإبراهيم بك تابع محمد بك بعساكر أيضاً، وعزل الباشا وأنزله وحبسه ببيت أيواظ بك عند الزير المعلق، ثم سافر محمد بك أبو الذهب ورضوان بك وعدة من الأمراء والصناجق وضم إليهم ما جمعه وجلبه من العساكر المختلفة الأجناس من دلاة ودروز ومتاولة وشوام. وسافر الجميع براً وبحراً حتى وصلوا إلى أيوب بك وهو يرسل خلفهم في كل يوم بالإمداد والجبخانات والذخيرة والبقسماط، وذهب الجميع إلى أن وصلوا قرب أسيوط ونصبوا عرضيهم عند جزيرة منقباط، وتحققوا وصول محمد بك ومن معه، وفرحوا بذلك، لأنهم كانوا رأوا في زايرجات الرمل سقوطه في المعركة. ثم أجمعوا رأيهم على أن يدهموهم آخر الليل، فركبوا في ساعة معلومة وسار بهم الدليل في طوق الجبل وقصدوا النزول من محل كذا على ناحية كذا من العرضي، فتاه وضل بهم الدليل حتى تجاوزوا المكان المقصود بساعتين وأخذوا جهة العرضي فوجدوه قبليهم بذلك المقدار، وعلموا فوات القصد وأن القوم متى علموا حصلوهم خلفهم ملكوا البلدة من غير مانع قبل رجوعهم من المكان الذي أتوا منه، فما وسعهم إلا الذهاب إليهم ومصادمتهم على أي وجه كان، فلم يصلوهم إلا بعد طلوع النهار. وتيقظ القوم واستعدوا لهم فالتطموا معهم وهم قليلون بالنسبة إليهم، ووقع العرب واشتد الجلاد، وبذلوا جهدهم في الحرب ويصرخ الكثير منهم بقوله: أين محمد بك؟ فبرز إليهم محمد بك أبو شنب وهو يقول: أنا محمد بك. فقصدوه وقاتلوه وقاتلهم حتى قتل، وسقط جواد يحيى السكري فلم يزل يقاتل ويدافع حصة طويلة حتى تكاثروا عليه وقتلوه، وعبد الرحمن كاشف القاسمي يحارب بمدفع يضربه وهو على كتفه. وانجلت الحرب عن هزيمتهم ونصرة المصريين عليهم، وذلك عند جبانة أسيوط. فتشتتوا في الجهات وانضموا إلى كبار الهوارة، وملك المصرين أسيوط ودفنوا القتلى ومحمد بك أبا شنب. واغتم محمد بك أبو الذهب لموته وفرح لوقوع الزايرجة عليه ومفاداته له، لأنه كان يعلم ذلك أيضاً. وأقاموا بأسيوط أياماً ثم ارتحلوا إلى قبلي بقصد محاربة همام والهوارة. واجتمع كبار الهوارة مع من انضم إليهم من الأمراء المهزومين، فراسل محمد بك اسمعيل أبا عبد الله وهو ابن عم همام واستماله ومناه وواعده برياسة بلاد الصعيد عوضاً عن شيخ العرب همام، حتى ركن إلى قوله وصدق تمويهاته وتقاعس وتثبط عن القتال وخذل طوائفه. ولما بلغ شيخ العرب همام ما حصل ورأى فشل القوم خرج من فرشوط وبعد عنها مسافة ثلاثة أيام، ومات مكموداً مقهوراً، ووصل محمد بك ومن معه إلى فرشوط فلم يجدوا مانعاً فملكوها

ونهبوها وأخذوا جميع ما كان بدوائر همام وأقاربه وأتباعه من ذخائر وأموال وغلال. وزالت دولة شيخ العرب همام من بلاد

الصعيد من ذلك التاريخ كأنها لم تكن، ورجع الأمراء إلى مصر ومحمد بك أبو الذهب وصحبته درويش ابن شيخ العرب همام. فإنه لما مات أبوه وانكسر ظهر القوم بموته وعلموا أنهم لا نجاح لهم بعده أشاروا على ابنه بمقابلة محمد بك وانفصلوا عنه وتفرقوا في الجهات. فمنهم من ذهب إلى درنه ومنهم من ذهب إلى الروم ومنهم من ذهب إلى الشام. وقابل درويش بن همام محمد بك وحضر صحبته إلى مصر وأسكنه في مكان بالرحبة المقابلة لبيته، وصار يركب ويذهب لزيارة المشاهد ويتفرج على مصر ويتفرج عليه الناس ويعدون خلفه وأمامه لينظروا ذاته. وكان وجيهاً طويلاً أبيض اللون أسود اللحية جميل الصورة، ثم أن علي بك أعطاه بلاد فرشوط والوقف بشفاعهة محمد بك، وذهب إلى وطنه فلم يحسن السير والتدبير، وأخذ أمره في الانحلال وحاله في الاضمحال وأرسل من طالبه بالأموال والذخائر، فأخذوا ما وجدوه. وحضر إلى مصر والتجأ إلى محمد بك من مصر مغاضباً لأستاذه، فلحق به وسافر إلى الصعيد وخلص الإقليم المصري بحري وقبلي إلى علي بك وأتباعه، فشرع في قتل المنفيين الذين أخرجهم إلى البنادر مثل دمياط ورشيد والإسكندرية والمنصورة، فكان يرسل إليهم ويخنقهم واحداً واحد، فخنق علي كتخدا الخربطلي برشيد وحمزة بك تابع خليل بك بزفتا وقتلوا معه سليمان أغا الوالي واسمعيل بك أبا مدفع بالمنصورة، وعثمان بك تابع خليل بك هرب إلى مركب البيليك فحماه وذهب إلى اسلامبول، ومات هناك، ونفى أيضاً جماعة وأخرجهم من مصر وفيهم سليكان كتخدا المشهدي وإبراهيم أفندي جمليان. ومات الباشا المنفصل بالبيت الذي نزل فيه ولحق بمن قبله. ومما اتفق أن علي بك صلى الجمعة في أوائل شهر رمضان بجامع الداودية فخطب الشيخ عبد ربه ودعا للسلطان ثم دعا لعلي بك. فلما انقضت الصلاة وقام علي بك يريد الانصراف أحضر الخطيب وكان رجلاً من أهل العلم يغلب عليه البله والصلاح، فقال له: من أمرك بالدعاء باسمي على المنبر أقيل لك أني سلطان؟ فقال: نعم أنت سلطان وأنا أدعو لك. فأظهر الغيظ وأمر بضربه فبطحوه وضربوه بالعصي، فقام بعد ذلك متألماً من الضرب وركب حماراً وذهب إلى داره ثم أن علي بك أرسل إليه في ثاني يوم بدراهم وكسوة واستسمحه.

من مات في هذه السنة من العلماء والأمراء

مات الإمام الوالي الصالح المعتقد المجذوب العالم العامل الشيخ علي ابن حجازي بن محمد البيومي الشافعي الخلوتي ثم الأحمدي، ولد تقريباً سنة 1108، حفظ القرآن في صغره وطلب العلم وحضر دروس الأشياخ وسمع الحديث والمسلسلات على عمر بن عبد السلام التطاوني، وتلقن الخلوتية من السيد حسين الدمرداش العادلي، وسلك بها مدة، ثم أخذ طريق الأحمدية عن جماعة، ثم حصل له جذب ومالت إليه القلوب وصار للناس فيه اعتقاد عظيم. وانجذبت إليه الأرواح ومشى كثير من الخلق على طريقته وأذكاره، وصار له أتباع ومريدون، وكان يسكن الحسينية ويعقد حلق الذكر في مسجد الظاهر خارج الحسينية، وكان يقيم به هو وجماعته لقربه من بيته، وكان ذا واردات وفيوضات وأحواله غريبة. وألف كتباً عديدة منها شرح الجامع الصغير وشرح الحكم لابن عطاء الله السكندري وشرح الإنسان الكامل للجيلي، وله مؤلف في طريق القوم خصوصاً في طريق الخلوتية الدمرداشية ألفه سنة 1144 وشرح الأربعين النووية ورسالة في الحدود وشرح على الصيغة الأحمدية وشرح على الصيغة المطلسمة، وله كلام عال في التصوف، وإذا تكلم أفصح في البيان وأتى بما يبهر الأعيان، وكان يلبس قميصاً أبيض

وطاقية بيضاء ويعتم عليها بقطعة شملة حمراء لا يزيد على ذلك شتاء ولا صيفاً، وكان لا يخرج من بيته إلا في كل أسبوع مرة لزيارة المشهد الحسيني وهو على بغلة وأتباعه بين يديه وخلفه يعلنون بالتوحيد والذكر، وربما جلس شهوراً لا يجتمع بأحد من الناس. وكانت كرامات ظاهرة. ولما كان يعقد الذكر بالمشهد الحسيني في كل يوم ثلاثاء ويأتي بجماعته على الصفة المذكورة ويذكرون في الصحن إلى الضحوة الكبرى، قامت عليه العلماء وأنكروا ما يحصل من التلوث في الجامع من أقدام جماعته إذ غالبهم كانوا يأتون حفاة ويرفعون أصواتهم بالشدة، وكاد أن يتم لهم منعه بواسطة بعض الأمراض، فانبرى لهم الشيخ الشبراوي وكان شديد الحب في المجاذيب وانتصر له وقال للباشا والأمراء: هذا الرجل من كبار العلماء والأولياء فلا ينبغي التعرض له. وحينئذ أمره الشيخ بأن يعقد درساً بالجامع الأزهر، فقرأ في الطيبرسية الأربعين النووية وحضره غالب العلماء وقرر له ما بهر عقولهم، فسكتوا عنه وخمدت نار الفتنة. ومن كلامه في آخر رسالة الخلواتية ما نصه: فمن منن الله علي وكرمه أني رأيت الشيخ دمرداش في السماء وقال لي لا تخف في الدنيا ولا في الآخرة، وكنت أرى النبي صلى الله عليه وسلم في الخلوة في المولد فقال لي في بعض السنين لا تخف في الدنيا ولا في الآخرة، ورأيته يقول لأبي بكر رضي الله عنه اسع بنا نطل على زاوية الشيخ دمرداش، وجاءا حتى دخلا في الخلوة ووقفا عندي وأنا أقول الله وحصل لي في الخلوة وهم في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم، فرأيت الشيخ الكبير يقول لي عند ضريحه مد يدك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فهو حاضر عندي. ورأيته في خلوة الكردي، يعني الشيخ شرف الدين المدفون بالحسينية، بين اليقظة والنوم وأنا جالس فانتبهت فرأيت النور قد ملأ المحل، فخرجت منها هائماً فحاشني بعض من كان في المحل فوقفت عند الشيخ و لم أقدر على العود إلى الخلوة من الهيبة إلى آخر الليل. وتبسم في وجهي مرة وأعطاني خاتماً وقال لي والذي نفسي بيده في غد يظهر ما كان مني وما كان منك. ومن كراماته أنه كان يتوب العصاة من قطاع الطريق ويردهم عن حالهم فيصيرون مريدين له، وذا سمعته من الثقات، ومنهم من صار من السالكين، وكان تارة يربطهم بسلسلة عظيمة من حديد في عمدان مسجد الظاهر، وتارة بالشوق في رقبتهم يؤدبهم بما يقتضيه رأيه. وكان إذا ركب ساروا خلفه بالأسلحة والعصي، وكانت عليه مهابة الملوك، وإذا ورد المشهد الحسيني يغلب عليه الوجد في الذكر حتى يصير كالوحش النافر في غاية القوة، فإذا جلس بعد الذكر تراه في غاية الضعف. وكان الجالس يرى وجهه تارة كالوحش وتارة كالعجل وتارة كالغزال. ولما كان بمصر مصطفى باشا مال إليه واعتقده وزاره، فقال له: إنك ستطلب إلى الصدارة في الوقت الفلاني، فكان كما قال له الشيخ. فلما ولي الصدارة بعث إلى مصر وبنى له المسجد المعروف به بالحسينية وسبيلاً وكتاباً وقمة وبداخلها مدفن للشيخ علي على يد الأمير عثمان أغا وكيل دار السعادة، ولما مات خرجوا بجنازته وصلي عليه بالأزهر في مشهد عظيم، ودفن بالقبر

الذي بني له بداخل القبة بالمسجد المذكور.

ومات علامة وقته وأوانه الآخذ من كمية البلاغة بعنانه الولي الصوفي من صفا فصوفي الشيخ حسن الشيبيني ثم الفوي، رحل من بلدته فوة إلى الجامع الأزهر فطلب العلم، وأخذ عن الشيخ الديربي فجعله مملياً عليه في الدرس، حتى قرأ الأشموني والمختصر ونحو ذلك، وأخبر عن نفسه كان ملازماً لولي من أولياء الله تعالى، فحين تعلقت نفسه بالمجيء إلى الجامع الأزهر توجه مع هذا الولي لزيارة ثغر دمياط. ثم اشتغل بالفقه وغيره من أصول ومنطق ومعان وبيان وتفسير وحديث وغير ذلك، حتى فاق على أقرانه وصار علامة زمانه. ثم أخذ عن الشيخ الحفني الطريق وتلقن الأسماء وسار على حسب سلوكه وسيره، وألبسه التاج

وأجازه بأخذ العهود والتلقين والتسليك، وصار خليفة محضاً، فأدار مجالس الأذكار ودعا الناس إليها في سائر الأقطار، وفتح الله عليه باب العرفان حتى صار ينطق بأسرار القرآن ويتكلم في الحقائق. نقل عن الشيخ الحفني أنه ورد عليه منه مكتوب فقال: الحمد لله الذي جعل في أتباعه من هو كمحيي الدين ابن العربي. توفي رحمه الله تعالى في هذه السنة. وخلف ولده السيد أحمد موجود في الإحياء بارك الله فيه. وممن أخذ عنه صاحبنا العمدة العلامة الصالح السيد علي المعروف بزيارة الرشيدي وهو خليفة الخلوتية الآن بثغر رشيد نفع الله به.

ومات الجناب المبجل الفريد الكاتب الماهر المنشئ البليغ المجيد محمد أفندي بن اسمعيل السكندري العارف بالألسنة الثالثة العربية والفارسية والتركية، وكان لديه محاورات ولطائف أدبية وميل شديد إلى علم اللغة، وبحث عن الأدوات المتعلقة به ورسائله في الألسن الثلاثة غاية في الفصاحة، مع حسن حظ ووفور حظ ومهابة عند الأمراء وقبول عند الخواص، ووالده كان إسرائيلياً فأسلم وحسن إسلامه وتولى مناصب جليلة بالثغر، وله هناك شهرة فولد هذا هناك وهذبه وأدبه حتى صار إلى ما صار، واستقر بمصر وما زالت له أملاك هناك وقرابة رايته يأتي لزيارة الشيخ الوالد، وقد اكتهل وتناهى في السن وأبقى الدهر في زواياه خبايا مستحسنة. ورأيت بخط يده كتاب بهارستان لمولانا جامي قدا حسن في كتابته وأتقن في سياقه ومجموعاً فيه النوادر من أشعار الألسن الثلاثة. وبالجملة لم يكن في عصره من يدانيه في الفنون التي كان تجمل بها. وقد ذكره الأديب الشيخ عبد الله الأدكاري في بضاعة الأريب وأثنى على محاسنه وكانت بينهما ألفة تامة ومصافاة ومصادقة ومحاورات أدبية. فإن المترجم كان أوحد عصره ووحيد مصره لم يدانيه في مجموعة الفضائل أحد، ولم يزل حميد المسعى جميل السيرة بهياً وقوراً مهيباً عند الأمراء والوزراء حتى وافاه الحمام في يوم الجمعة حادي عشر المحرم من السنة.

ومات الأستاذ العارف سيدي علي بن العربي بن علي بن العربي الفاسي المصري الشهير بالسقاط، وله بفارس وقرأ على والده وعلى العلامة محمد ابن أحمد بن العربي بن الحاج الفاسي، سمع منه الأحياء جميعاً بقراءة ولد عمه النبيه الكاتب أبي عبد الله محمد بن الطيب بن محمد بن علي السقاط، وعلى ولده أبي العباس أحمد بن محمد العربي ابن الحاج، ولما ورد مصر حاجاً لازمه فقرأ عليه بلفظه من الصحيح إلى الزكاة والشمايل بطرفيه بالجامع الأزهر، وكثيراً من المسلسلات والكتب التي تضمنتها فهرست ابن غازي قراءة بحث وتفيهم، وأجازه حينئذ بأواسط جمادى الثانية سنة 1143 وجاور بمكة فسمع على البصري الصحيح كاملاً ومسلماً بفوت وجميع الموطأ رواية يحيى بن يحيى، وذلك خلف المقام المالكي عند باب إبراهيم وأجازه، وعلى النخلي الفيومي أوائل البخاري، وعلى أحمد بن أحمد الغرقاوي وأجازه، وعلى عمر بن عبد السلام التطاوني جميع الصحيح وقطعة من البيضاوي بجامع الغوري سنة 1136، وجميع المنح البادية في الأسانيد العالية، وأضافه على الأسودين وشابكه وصافحه وناوله السبحة وأجازه بسائر السلسلات، وعلى محمد القسطنيطيني رسالة ابن أبي زيد برواق المغاربة، وعلى محمد بن زكري شرحه على الحكم بجامع الغوري، وعلى سيدي محمد الزرقاني كتاب الموطأ من باب العتق إلى آخره وأجازه به يوم ختمه وذلك ثامن شعبان سنة 1113. وروى حديث الرحمة عن سيدي السيد مصطفى البكري في سنة 1160، وأجازه ابن الميت في العموم، واجتمع به شيخنا السيد مرتضى في منزل السيد علي المقدسي وكان قد أتى إليه لمقابلة المنح البادية على نسخته، وشاركهما في المقابلة وأحبه وباسطه وشافهه بالإجازة العامة وكان إنساناً مستأنساً بالوحدة منجمعاً عن الناس محباً

للانفراد غامضاً ولا زال كذلك حتى توفي في أواخر جمادى الأولى سنة 1183، ودفن بالزاوية بالقرب من الفحامين.

ومات الجناب الأجل والكهف الأظل الجليل المعظم والملاذ المفخم الأصيلي الملكي ملجأ الفقراء والأمراء ومحط رحال الفضلاء والكبراء شيخ العرب الأمير شرف الدولة همام بن يوسف بن أحمد بن محمد بن همام بن صبيه بن سيبيه الهواري، عظيم بلاد الصعيد ومن كان خيره وبره يعم القريب والبعيد، وقد جمع فيه من الكمال ما ليس فيه لغيره مثال تترل بحرم سعادته قوافل الأسفار وتلقى عنده عصى التسيار، وأخباره غنية عن البيان مسطرة في صحف الإمكان، منها أنه إذا نزل بساحته الوفود والضيفان تلاقهم الخدم وأنزلوهم في أماكن معدة لأمثالهم وأحضروا لهم الاحتياجات واللوازم من السكر وشمع العسل والأواني وغير ذلك ثم مرتب الأطعمة في الغداء والعشاء والفطور في الصباح والمربيات والحلوى مدى إقامتهم لمن يعرف ومنن لا يعرف. فإن أقاموا على ذلك شهوراً لا يختل نظامهم ولا ينقص راتبهم وإلا قضوا أشغالهم على أتم مرادهم، وزادهم إكراماً وانصرفوا شاكرين، وإن كان الوافد ممن يرتجي البر والإحسان أكرمه وأعطاه وبلغه أضعاف ما يترجاه. ومن الناس من كان يذهب إليه في كل سنة ويرجع بكفاية عامة، وهذا شأنه في كل من كان من الناس. وأما إذا كان الوافد عليه من أهل الفضائل أو ذوي البيوت قابله بمزيد الاحترام وحياه بجزيل الأنعام، وكان ينعم بالجواري والعبيد والسكر والغلال والثمر والسمن والعسل، وإذا ورد عليه إنسان ورآه مرة وغاب عنه سنين ثم نظره وخاطبه عرفه وتذكره ولا ينساه. وحاله فيما ذكر من الضيفان والوافدين والمسترفدين أمر مستمر على الدوام لا ينقطع أبداً. وكان الفراشون والخدم يهيئون أمر الفطور من طلوع الفجر فلا يفرغون من ذلك إلى ضحوة النهار، ثم يشرعون في أمر الغداء من الضحوة الكبرى إلى قريب العصر، ثم يبتدئون في أمر العشاء، وهكذا. وعنده من الجواري والسراري والمماليك والعبيد شيء كير، ويطلب في كل سنة دفتر الارقاء ويسأل عن مقدار من مات منهم، فإن وجده خمسمائة أو أربعمائة استبش وانشرح، وإن وجده ثلاثمائة أو اقل أو نحو ذلك اغتم وانقبض خاطره، ورأى أن ربما كانت في أعظم من ذلك، وكان له برسم زراعة قصب السكر وشركة فقط اثنا عشر ألف ثور، وهذا بخلاف المعد للحرث ودراس الغلال والسواقي والطواحين والجواميس والأبقار الحلابة وغير ذلك. وأما شون الغلال وحواصل السكر والتمر بأنواعه والعجوة فشي لا يعد ولا يحد، وكان الإنسان الغريب إذا رأى شون الغلال من البعد ظنها مزارع مرتفعة لطول مكث الغلال وكثرتها فيترل عليها ماء المطر ويختلط بالتراب، فتنبت وتصير خضراً كأنها مزرعة، وكان عنده من الأجناد والقواسة، وأكثرهم من بقايا القاسمية، انضموا إليه وانتسبوا له وهم عدة وافرة، وتزوجوا وتوالدوا وتخلقوا بأخلاق تلك البلاد ولغاتهم، وله دواوين وعدة كتبة من الأقباط والمستوفين والمحاسبين لا يبطل شغلهم ولا حسابهم ولا كتابتهم ليلاً ونهاراً، ويجلس معهم حصة من الليل إلى الثلث الأخير بمجلسه الداخل يحاسب ويملي ويأمر بكتابة مراسيم ومكاتبات. لا يعزب عن فكره شيء قل ولا جل، ثم يدخل إلى الحريم فينام حصة لطيفة، ثم يقوم إلى الصلاة. وإذا جلس مجلساً عاماً وضع بجانبه فنجاناً فيه قطنة وماء ورد، فإذا قرب منه بعض الأجلاف وتحادثوا معه وانصرفوا مسح بتلك القطنة عينيه وشمها بأنفه حذراً من رائحتهم وصنانهم. وكان له صلات وإغداقات وغلال يرسلها للعلماء وأرباب المظاهر بمصر في كل سنة. وكان ظلاً ظليلاً بأرض مصر ولما ارتحل لزيارته شيخنا السيد محمد مرتضى وعرف فضله أكرمه إكراماً كثيراً وأنعم عليه بغلال وسكر وجوار وعبيد، وكذلك كان فعله مع أمثاله من أهل العلم والمزايا. ولم يزل هذا شأنه حتى ظهر أمر علي بك وحصل ما تقدم

شرحه من وقائعه مع خشداشينه وذهابه إلى الصعيد وأعلموه بما أوقعه بهم علي بك فاغتم على فقد صالح بك غما شديداً. وحمله ذلك على أن أشار عليهم بذهابهم إلى أسيوط وتملكهم إياها فإنها باب الصعيد، فذهبوا إليها مع جملة المنفيين من مصر والمطرودين كما تقدم، وأمدهم شيخ العرب المترجم حتى ملكوها وأخرجوا من كان بها واستوحش منه لي بك بسبب ذلك وتابع إرسال التجاريد، وقدر الله بخذلان القبالي ورجوعهم إلى قبلي على تلك الصورة فعند ذلك علم همام أنه لم يبق مطلوباً لهم سواه وخصوصاً مع ما وقع من فشل كبار الهوارة وأقاربه

ونفاقهم عليه، فلم يسعه إلى الارتحال من فرشوط وتركها بما فيها من الخيرات، وذهب إلى جهة اسنا، فمات في ثامن شعبان من السنة، ودفن في بلدة تسمى قموللة، فقضى عليه بها رحمه الله. وخلف من الأولاد الذكور ثلاثة وهم درويش وشاهين وعبد الكريم. ولما مات انكسرت نفوس الأمراء، ثم أن أكابر الهوارة قدموا ابنه درويشاً لكونه أكبر أخوته وأشاروا عليه بمقابلة محمد بك ففعل. وأما الأمراء فمنهم من أخذ أماناً من محمد بك وقابله وانضم إليه ومنهم من ذهب إلى ناحية درنه ونزل البحر وسافر إلى الشام والروم، ومنهم من انزوى إلى الهوارة بالصعيد. وحضر درويش صحبة محمد بك إلى مصر وقابل علي بك وأعطاه بلاد فرشوط ورجع مكرماً إلى بلاده. فلم يحسن السير و لم يفلح، وأول ما بدأ ي أحكامه أنه صار يقبض على خدم أبيه وأتباعه ويعاقبهم ويسلب أموالهم، وقبض على رجل يسمى زعيتر وكيل البصل المرتب لمطابخ أبيه فأخذ منه أموالاً عظيمة في عدة أيام على مرار، أخذ منه في دفعة من الدفعات من جنس الذهب البندقي أربعين ألفاً، وكذلك من يصنع البرد للجواري السود والعبيد، وذلك خلاف وكلاء الغلال والأقصاب والسكر والسمن والعسل والتمر والشمع والزيت والبن والشركاء في المزارع. ووصلت أخباره بذلك إلى علي بك فعين عليه أحمد كتخدا وسافر إليه بعدة من الأجناد والمماليك وطالبه بالأموال حتى قبض منه مقادير عظيمة ورجع بها إلى مخدومه، واقتدى به بعد ذلك محمد بك في أيام إمارته، وأخذ منه جملة وكذلك أتباعه من بعده، حتى أخرجوا ما في دورهم من المتاع والأواني والنحاس قناطير مقنطرة، ثم تتبعوا الحفر لأجل استخراج الخبايا حتى هدموا الدور والمجالس ونبشوها وأخربوها، وحضر درويش المذكور بآخرة إلى مصر جالياً عن وطنه، و لم يزل بها حتى مات كآحاد الناس. واستمر شاهين وعبد الكريم يزرعان بأرض الوقف أسوة المزارعين ويتعيشون حتى ماتا. فأما شاهين فقتله مراد بك في سنة 1214 أيام الفرنسيس لأمور نقمها عليه، وخلف ولداً يدعى محمداً. وأما عبد الكريم فإنه مات على فراشه قريباً من ذلك التاريخ، وترك ولداً يدعى هماماً دون البلوغ، يوصف بالنجابة حسبما نقل إلينا من الأسفار. وكاتبني وكاتبته في بعض المقتضيات، ورأيت ابن عمه محمد المذكور حين أتى إلى مصر بعد ذهاب الفرنسيس، وتردد عندي مراراً وسبحان من يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

ومات الجناب الكبير والمقدام الشهير من سر بذكره الركبان وطار صيته بكل مكان الفارس الضرغام النجيب شيخ العرب سويلم بن حبيب منن أكابر عظماء مشايخ العرب بالقليوبية، ومسكنهم دجوة على شاطي البحر، وهو كبير نصف سعد مثل أبيه حبيب بن أحمد وليس لهم أصل مذكور في قبائل العرب، وإنما اشتهروا بالفروسية والشجاعة. وحبيب هذا أصله من شطب قريبة قريبة من أسيوط ولما مات حبيب خلف ولديه سالماً وسويلماً وكان سا لم أكبر من أخيه، وهو الذي تولى الرياسة بعد أبيه واشتهر بالفروسية، وعظم أمره وطار صيته وكثرت جنوده وفرسانه ورجاله وخيوله، وأطاعته جميع المقادم وكبار القبائل،

ونفذت كلمته فيهم وعظمت صولته عليهم وامتثلوا أمره ونهيه ولا يفعلون شيئاً بدون إشارته ومشورته. وصار له خفارة البرين الشرقي والغربي من ابتداء بولاق إلى رشيد ودمياط. وكان هو وفرسه مقوماً على انفراده بألف خيال. وكان ظهور حبيب هذا في أوائل القرن. واتفق له ولابنه سالم هذا وقائع وأمور مع اسمعيل بك ابن ايواظ وغيره لا بأس يذكر بعضها في ترجمته منها أن في سنة 1125 أرسل حبيب ولده سالماً إلى خيول الأمير اسمعيل بك ابن ايواظ وهجم علياه بالمربع وجم معافها وأذنابها وتركها وذهب، و لم يأخذ منها شيئاً. وذلك بإغراء بعض الناس مثل قيطاس بك وخلافه. وكانت الخيول بالغيط جهة القليوبية. وحضر أميراخور وأخبر مخدومه، فاغتاظ لذلك وعزم على الركوب عليه، فلاطفه يوسف بك الجزار حتى سكن غيظه، ثم أحضر حسناً أبا دفية زعيم مصر سابقاً من القاسمية، مشهور بالجشاعة، وجعلوه قائمقام الأمانة، فسافر بجبخانة ومدفعين وصحبته طوائل ورجال، وأمره بأن يطلب شر حبيب وإن قدر على قتله فليفعل. وكتب مكاتبات للنواحي بأن يكونوا مطيعين للمذكور، فلم يزل حتى نزل في غيط برسيم عند ساقية خراب، وعمل هناك متراساً ووضع المدفعين وغطاهما بلباد، وأقام رصد خيالة بالطريق، وإذا بسالم بن حبيب ركب في عبيده ورجاله متوجهين إلى الجزيرة، فتزل بطريقه بغيط الأوسية فحضر الخيالة الرصد إلى الأمير حسن أبي دفية وأخبروه، فركب برجاله وأبقى عند المدافع عشرة من السجمانية وأوصاهم بأنهم إذا انهزموا من القوم فإنهم يرمون بالمدفعين سواء، ففعلوا ذلك بعدما لاقاهم ورمى منهم رجالاً ووقع منها أيضاً عند رمي المدافع والرصاص ثلاثة عشر خيالاً، وأخذوا منهم نحو ستة قلائع. ورجع سالم بن حبيب بمن بقي من طائفته إلى أبيه وعرفه بما وقع له مع الأمير حسن أبي دفية، فأرسل إلى عرب الجزيرة فأحضر منهم فرساناً كثيرة، وكذلك من إقليم المنوفية، وركب الجميع قاصدين، مناوشته. ووصلته أخبار ذلك فركب بمن معه وفعل كالأول، وركب مبحراً وانعطف عليهم وحاربهم، فرمى منهم فرساناً فانهزموا أمامه. فوقف مكانه فرجعت عليه العرب والعبيد، فانهزم أمامهم فرمحوا خلفه طمعاً منهم، حتى وصل المدافع فرموا بهم وأتبعوهم بطلق الرصاص فولوا هاربين، وسقط من عرب الجزيرة وغيرها عدة فرسان. وأخذوا منهم خيولاً وسلاحاً وحضرت نساؤهم ورفعوا القتلى ورجع سالم إلى أبيه وعرفه بما جرى عليهم من حرقهم وقتل فرسانهم، فأرسل حبيب إلى قيطاس بك يقول له: إنك أغريتنا بابن إيواظ وتولد من ذلك أنه وجه علينا قائمقامه حرقنا بالنار وقتل منا أجاويد. فأرسل إليه مكاتبة خطاباً للقصاصين بمعاونته ومساعدته، فحضر إليه منهم عدة فرسان ضاربي نار وجمع إليه عربان الجزيرة وخيالة كثيرة من المنوفية، وركب حبيب وأولاده وجموعه إلى جسر الناحية، ونزل هناك، وأرسل أولاده بخيول يطلبون شر أبي دفية. وإذا ركب عليهم انهزموا أمامه حتى يصلوا إلى محل رباطهم بالجسر، ففعلوا ذلك إلى أن وصلوا إلى الجسر، فضربت القصاصة بنادقهم طلقاً واحداً فرموا نحو ثلاثين جندياً من الكبار، والذي ما أصيب في بدنه أصيب حصانه، وردت عليهم الخيول وانهزم الأمير حسن أبو دفية بمن بقي معه إلى دار الأوسية، فأخذت العرب الخيول الشاردة وعروا الغز ورموهم في مقطع من الجسر، وأرسل العبيد أتواباً لجراريف وجرفوا عليهم التراب من غير غسل ولا تكفين. ورجع إلى بلده وخلص ثأره وزيادة، وحضرت الأجناد إلى مصر وأخبروا الصنجق بما وقع لهم مع حبيب وأولاده، فعزل الأمير حسن أبا دفيه من قائمقاميته وولى خلافه، وأخذ فرماناً بضرب حبيب وأولاده وركب عليهم من البر والبحر، ووصلت
النذيرة إلى حبيب فرمى مدافع أبي دفية البحر، ووضع النحاس في أشناف وألقاها أيضاً في البحر. وقيل أن حبيب قبل هذه الواقعة بأيام أحضر ستة قناديل وعمرها بعدما عاير فتائلها وزنها بالميزان عياراً واحداً وكتب على كل قنديل ورقة باسمه واسم

أخيه وأولاده واسم ابن أيواظ، وأسرجها دفعة واحد فانطفأ الذي باسمه أولاً ثم انطفأ قنديل ابن إيواظ ثم قناديل أخيه وأولاده شيئاً بعد شيء. فقال: أنا أموت في دولة ابن أيواظ. ولما وصل إليه الخبر بحركة ابن أيواظ وركوبه عليه فركب بأخيه وأولاده وخرجوا هاربين، ووصل ابن أيواظ إلى دجوة ورمحوا على دواويرهم ورموا الرصاص، وكانت المراكب وصلت إلى البر الغربي تجاه دجوة ورسوا هناك، وموعدهم سماع البنادق. فعند ذلك عدوا إلى البر الشرقي وطلعوا إليه. فأمر ابن أيواظ بهدم دواوير الحابيية فهدموها بالقزم والفؤوس وأنشأ كفراً بعيداً عن البحر بساقيه وحوض دواب وجامع وميضأة وطاحونين، وجمع أهل البلد فعمروا مساكنهم في الكفر وسموه كفر الغلبة. ورجع الأمير اسمعيل إلى مصر وأخذ الغز والأجناد أبقاراً وعجولاً وأغناماً وجواميش وأمتعة وفرشاً وأخشاباً شيئاً كثيراً، ووسقوه في المراكب وحضروا به من البر أيضاً إلى مصر.وكتب مكاتبات إلى سائر القبائل من العربان بتحذيرهم من قبولهم حبيباً وأولاده، وأن لا ينجمع عليه أحد ولا يأويه، فلم يسعهم، إلا أنهم ذهبوا عند عرب غزة فأكرموهم ولم يزل بها حتى مات، وحضر سالم ابنه بعد ذلك إلى قليوب ببيت الشواربي شيخ الناحية سراً وأخذ له مكاتبة من إبراهيم بك أبي شنب خطاباً إلى ابن وافي المغربي بأن يوطن أولاد حبيب عنده حتى يأخذ لهم إجازة من أستاذهم، فأرسل أحضر عمه وأخاه سويلماً وعدوا إلى الجبل الغربي، وساروا عند ابن وافي شيخ المغاربة فرحب بهم وضرب لهم بيوت شعر وأقاموا بها إلى سنة 1130، فمات غبراهيم بك أبو شنب، وكان يؤاسي أولاد حبيب ويرسل لهم وصولات بغلال يأخذونها من بلاده القبلية. فلما مات في الفصل ضاقت معيشتهم، فحضر سالم بن حبيب من عند ابن وافي خفية وذلك قبل طلوع ابن ايواظ بالحج سنة إحدى وثلاثين، ودخل بيت السيد محمد دمرداش وسلم عليه وعرفه بنفسه، فرحب به وشكا له حال غربته، وبات عنده تلك الليلة وأخذه في الصباح إلى ابن ايواظ، فدخل عليه وقبل يده ووقف فقال السيد محمد للصنجق: عرفت هذا الذي قبل يدك. قال: لا. قال: هذا الذي جم أذناب خيولك. قال: سالم. قال: لبيك. قال: أتيت بيتي ولم تخف؟ قال له: نعم أتيت بكفني، إما أن تنتقم وإما أن تعفو فإننا ضقنا من الغربة، وها أنا بين يديك. فقال له: مرحباً لك أحضر أهلك وعيالك وعمر في الكفر واتق الله تعالى وعليكم الأمان. وأمر له بكسوة وشال وكتب له أماناً وأرسل به عبده. وركب سالم وذهب عند إبراهيم الشواربي بقليوب فأقام عنده حتى وصل العبد بالأمان إلى عمه وأخيه في بني سويف فحملوا وركبوا وساروا إلى قليوب ونزلوا بدار أوسية الكفر، حتى بنوا لهم دواوير وأماكن ومساكن، وأتتهم العرنبية ومشايخ البلاد ومقادمها للسلام والهدايا والتقادم. فأقام على ذلك حتى تولى محمد بك ابن اسمعيل بك أمير الحاج، فأخذ منه إجازة بعمار البلد الذي على البحر وشرع في تعمير الدور العظيمة والبساتين والسواقي والمعاصر والجوامع وذلك سنة 1134، واستقام حال سالم وشاهر ذكره وعظم صيته واستولى على خفارة البرين ونفذت كلمته بالبلاد البحرية من بولاق إلى البغازين، وصارت المراكب والرؤساء تحت حكمه، وضرب عليها الضرائب والعوائد الشهرية والسنوية، وأنشأ الدواوير الواسعة والبستان الكبير بشاطئ النيل، وكان عظيماً جداً وعليه عدة سواق وغرس به أصناف النخيل والأشجار المتنوعة، فكانت ثماره وفاكهته وعنبه تجتنى بطول السنة، وأحضر لها الخولة من الشام ورشيد وغير ذلك. ولما وقعت الوقائع بين ذي الفقار بك ومحمد بك وجركس المتقدم ذكرها، وحضر جركس بمن معه من اللموم إلى قرب المنشية، وخرجت إليه عساكر مصر، وأرسلوا إلى سالم بن حبيب فجمع العربان وحضر بفرسانه وعبيده إلى ناحية الشيمي وحارب مع الأجناد المصرية حتى قتل سليمان بك في المعركة، وولى جركس، ورجعت التجريدة وتبعه سالم بن حبيب والأسباهية، وذهبوا خلفه، فعدى الشرق

فعدوا خلفه، وطلعت تجريدة أخرى من مصر فتلاقوا معهم وتحاربوا مع محمد بك جركس فكانت بينهم وقعة عظيمة، فكانت الهزيمة على جركس، وحصل ما حصل من وقوع جركس في الروبة وموته ودفنوه بناحية شرونه كما تقدم، ورجع سالم بن حبيب بما غنمه في تلك الوقائع إلى بلده، واشتهر أمره واشترى السراري البيض، ولم يزل حتى توفي سنة 1151، وخلف ولداً يسمى علياً اشتهر أيضاً بالفروسية والنجابة والشجاعة، ولما مات سالم ترأس عوضه أخوه سويلم في مشيخة نصف سعد، فسار بشهامة واشتهر ذكره وعظم صيته في الإقليم المصري زيادة عن أخيه سالم، ووسع الدواوير والمجالس، ولما سافر الأمير عثمان بك الفقاري بالحج ورجع سنة إحدى وخمسين المذكورة فأرسل هدية إلى سويلم المذكور وأرسل له الآخر التقادم ثم أن الأمير عثمان بك تغير خاطره على سويلم لسبب من الأسباب فركب عليه على حين غفلة ليلاً، وتعالى به الدليل ونزل على دجوة طلوع الشمس، وكان الجاسوس سبق إليهم وعرفهم بركوب الصنجق عليهم فخرجوا من الدور ووقفوا على ظهور خيولهم بالغيط بعيداً عن البلد، فلما حضر الصنجق ورمح على دورهم ورمى الطوائف بالرصاص فلم يجدوا أحداً. فلم يتعرض لنهب شيء ومنع الغز والطوائف عن أخذ شيء، وبلغ خبر ركوب الصنجق عمر بك رضوان وإبراهيم بك، فركبا خلفه حتى وصلا إليه وسلما عليه فعرفهما، أنه لم يجدهم بالبلد، فركب عمر بك وأخذ صحبته مملوكين فقط وسار نحو الغيط، فرآهم واقفين على ظهور الخيل فلما عاينوه وعرفوه نزلوا عن الخيل وسلموا عليه فقال لهم: لأي شيء تهربون من أستاذكم؟ وعرفهم أنه أتى بقصد النزهة وأحضر صحبته علي بن سالم فقابل به الأمير وقبل يده ورجع إلى دواره وأحضر أشياء كثيرة من أنواع المآكل حتى اكتفى الجميع. وعزموا عليهم تلك الليلة فبات الصنجق وباقي الأمراء وذبح لهم أغناماً كثيرة وعجلين جاموس، وتعشى الجميع وأخرجوا لهم في الصباح شيئاً كثيراً من أنواع الفطورات، ثم قدم لهم خيولاً صافنات، وركبوا ورجعوا إلى منازلهم، ولما هرب إبراهيم بك قطامش في أيام محمد راغب باشا وكان سويلم مركوناً عليه، فجمع سويلم عرب بلي وضرب ناحية شبرا المعدية، فوصل الخبر إلى إبراهيم جاويش القازدغلي، فأخذ فرماناً بضرب ناحية دجوة والخروج من حق أولاد حبيب، فعين عليهم ثلاثة صناجق فوزعوا دبشهم وحريمهم في البلاد وركبوا خيولهم ونزلوا في الغيط ونزلت لهم التجريدة ومعهم الجبخانة والمحاربون، وهجموا على البلد فوجدوها خالية. ولما رأى الحبايبة كثرة التجريدة فوسعوا وذهبوا إلى ناحية الجبل الشرقي، وأرسل إبراهيم جاويش إلى عثمان بك أبي سيف أمير التجريدة بأنه ينادي في البلد عليهم، ولم يدع أحداً منهم يترل الريف فركب عثمان بك وطاف بالبلاد يتجسس عليهم وظفر لهم بقومانية وذخيرة ذاهبة إليهم من الريف على الجمال فحجزها وأخذها، وذلك مرتين، ورجع عثمان بك ومن معه إلى مصر وصحبتهم ما وجدوه للحبايبة في البلاد من مواش وسكر وعسل وأخشاب، وهدموا جانباً من بيوتهم، وكان علي بن سالم لم يذهب مع سويلم إلى الجبل بل أخذ عياله وذهب عند أولاد فودة، فلما سمع بالتقريظ على أصحاب الدرك فأتى إلى مصر ودخل إلى بيت إبراهيم جاويش وعرفه بنفسه وطلب منه الأمان، فعفا عنه بشرط أن لا يقرب دجوة ويسكن في أي بلد شاء، يزرع مثل الناس ثم أن سويلماً ومن معه أرسلوا إلى حسين بك الخشاب بأن يأخذ لهم أماناً من إبراهيم جاويش ففعل، وقبل شافعة حسين بك بشرط إبطال حماية المراكب وأذية بلاد الناس، ويكفيهم الخفارة التي أخذوها بالقوة، واستخلص لهم المواشي التي كان جمعها عثمان بك أبو سيف، واستقر سويلم كمما كان بدجوة وبنى له دوراً عظيمة ومقاعد مرتفعة شاهقة في العلو يحمل سقوفها عدة أعمدة وعليها بوائك مقصورة ترى من مسافة بعيدة في البر والبحر، وبها عدة مجالس ومخادع ولواوين وفسحات علوية

وسفلية، وجميعه مفروش بالبلاط الكدان، وبنى بداخل ذلك الدوار مسجداً ومصلى، وبداخل حوش الدوار مساطب ومنايف لأجناس الناس الآفاقية وغيرهم، وبنى تحت ذلك الدوار بشاطئ النيل رصيفاً متيناً ومساطب يجلس عليها في بعض الأوقات، وأنشأ عدة مراكب تسمى الخرجات، ولها شرفات وقلوع عظيمة وعليها رجال غلاظ شداد، فإذا مرت بهم سفينة صاعدة أو حادرة صرخ عليها أولئك الرجال قائلين، البرفان، امتثلوا واحضروا وأخذوا مننهم ما أحبوه من حمل السفينة وبضائع التجار، وإن تلكئوا في حضور قاطعوا عليهم،

بالخرجات في أسرع وقت وأحضرهم صاغرين وأخذوا منهم أضعاف ما كان يؤخذ منهم لو حضروا طائعين من أول الأمر، وكان له قواعد وأغراض وركائز وأناس من الأمراء وأعوانهم بمصر يراسلهم ويهاديهم، فيذبون عنه ولا يسمعون فيه شكوى، وله عدة من العبيد السود التجارية الفرسان ملازمين له مع كل واحد حرمدان مقلديه ملآن بالدنانير الذهب، وكان لا يبيت في داره، ويأتي في الغالب بعد الثلث الأخير، فيدخل إلى حريمه حصة ثم يخرج بعد الفجر، فيعمل ديواناً ويحضر بين يديه عدة من الكتبة، ويتقدم إليه أرباب الحاجات ما بين مشايخ بلاد وأجناد وملتزمين وعرب وفلاحين وغير ذلك، والجميع وقوف بين يديه والكتاب يكتبون الأوراق والمراسلات إلى النواحي وغالب بلاد القليوبية والشرقية تحت حمايته وحماية أقاربه وأولاده، ولهم فيها الشركاء والزروع والدواوير الواسعة المعروفة بهم والمميزة عن غيرها بالعظم والضخامة، ولا يقدر ملتزم ولا قائمقام على تنفيذ أمر مع فلاحيه إلا بإشارته أو بإشارة من البلد في حمايته من أقاربه، وكذلك مشايخ البلاد مع أستاذيهم، وكان لهم طرائق وأوضاع في الملابس والمطاعم، فيقول الناس سرج حبايبي وشال حبايبي إلى غير ذلك، وكان مع شدة مراسه وقوة بأسه يكرم الضيفان ويحب العلماء وأرباب الفضائل ويأنس بهم ويتكلم معهم في المسائل ويؤاسيهم ويهاديهم وخصوصاً أرباب المظاهر، وكان إنساناً حسناً وجيهاً محتشماً مقتصراً على حاله وشأنه ملازماً على قراءة الأوراد والمذاكرة، ويحب أهل الفضل والصلاح ويتبرك بهم وبدعائهم، وترددنا عليه وتردد إلينا بمصر كثيراً وبلونا منه خيراً وحسن عشرة، وكان معه أخوه شيخ العرب محمد علي مثل حاله، ويزيد عنه الانجماع عن الناس لغير ما يعنيه ويعانيه في خاصة نفسه، وكان أبوهما على نزل بقليوب بدار فيحاء، وكان حسن الخلق وله حشم وأتباع كثيرة وله هيبة عندهم، وكان طيب السيرة فصيحاً مفوهاً في حفظه أشعار ونوادر ولديه معرفة، وكان يفهم المعنى ويحقق الألفاظ ويطالع الكتب ومقامات الحريري ونحو ذلك.

ومات الأمير المبجل علي كتخدا مستحفظان الخربطلي وهو من مماليك أحمد كتخدا الخبرطلي الذي جدد جامع الفاكهاني الذب بخط العقادين وصرف عليه من ماله مائة كيس، وذلك في سنة 1148، وأصله من بناء الفائز بالله الفاطمي، وكان إتمامه في حادي عشر شوال من السنة المذكورة، وكان المباشر على عمارته عثمان جلبي شيخ طائفة العقادين الرومي، وفي تلك السنة البس مملوكه المترجم على أوده باشه الضلمة وجعله ناظراً ووصياً، ومات سيده في واقعة محمد بك الدفتردار في جملة الأحد عشر أميراً المتقدم بيانهم، وعمل جاويش في الباب ثم عمل كتخدا واشتهر ذكره بعد انقضاء دولة عثمان بك الغفاري واستقلال إبراهيم كتخدا ورضوان كتخدا الجلفي بإمارة مصر، وزوج ابنته لعلي بك الغزاوي وعمل لها فرحاً عظيمة ببركة الرطلي عدة أيام كانت من مقترحات مصر، وبعد انقضاء أيام الفرح زفت العروس في زفة عظيمة اجتمع العالم من الرجال والنساء والصبيان للفرجة عليها، ودخل بها علي بك المذكور وولد له منها حسن جلبي المشهور، وأنشأ علي كتخدا المترجم

داره العظيمة برأس عطفة خشقدم جهة الباطنية وداره المطلة على بركة الرطلي والقصر على الخليج الناصري والقباب المعروفة به وغير ذلك، ونفاه علي بك إلى جهة قبلي كما تقدم، فلما ذهب علي بك إلى قبلي صالحه وانضوى إليه وكان هو السفير بينه وبين صالح بك الأسيوطي حتى أتموه على الوجه المتقدم، وحضر صحبته علي بك إلى مصر وسكن بداره وأقبلت عليه الناس وقصدوه في الدعاوى والشكاوي، وأمن جانب علي بك واعتقد صداقته وظن أنه قلده منته، فلم يلبث إلا أياماً وأخرجه منفياً إلى رشيد، ثم أرسل من خنقه هناك وكان أميراً جليلاً وجيهاً جميل الصورة واسع العينين أبيض اللحية ضخماً مهاب الشكل بهي الطلعة، ودفن هناك.

ومات الأمير محمد بك أبو شنب وهو من مماليك علي بك، وقتل في معركة أسيوط كما تقدم ودفن هناك، وكان من الشجعان المعروفين.

سنة أربع وثمانين ومائة وألف

فيها ورد على علي بك الشريف عبد الله من أشراف مكة، وكان من أمره أنه وقع بينه وبين ابن عمه الشريف أحمد أخي الشريف مساعد منازعة في إمارة مكة بعد وفاة الشريف مساعد، فتغلب عليه الشريف أحمد واستقل بالإمارة، وخرج الشريف عبد الله هارباً وذهب إلى ملك الروم واستنجد به، فكتب له مكاتبات لعلي بك بالمعونة والوصية والقيام معه، وحضر إلى مصر بتلك المكتبات في السنة الماضية وكان علي بك مشتغلاً بتمهيد القطر المصري، ووافق ذلك غرضه الباطني، وهو طمعه في الاستيلاء على الممالك، فأنزله في مكان وأكرمه ورتب له كفايته، وأقام بمصر حتى تمم أغراضه بالقطر وخلص له قبلي وبحري، وقتل من قتله وأخرج من أخرجه، فالتفت عند ذلك إلى مقاصده البعيدة وأمر بتجهيز الذخائر والإقامات وعمل البقسماط الكثير حتى ملأوا منه المخازن ببولاق ومصر القديمة والقصور البرانية وبيوت الأمراء النمافي االخالية، ثم عبوا ذلك، وأرسل مع باقي الاحتياجات واللوازم من الدقيق والسمن والزيت والعسل والسكر والأجبان في البر والبحر واستكتب أصناف العساكر أتراكاً ومغاربة وشواماً ومتاولة ودروزاً وحضارمة ويمانية وسوداناً وحبوشاً ودلاة وغير ذلك، وأرسل منهم طوائف في المقدمات والمشاة أنزلوه من القلزم في المراكب وصحبتهم الجبخانات والمدافع وآلات الحرب، وخرجت التجريدة في شهر صفر بعد دخول الحجاج في تجمل زائد ومهيأ عظيم، وساري عسكرها محمد بك أبو الذهب وصحبته حسن بك ومصطفى بك وخلافهم.

وفي ثاني عشرين ربيع الأول وردت الأخبار من القطار الحجازية بوقوع حرابة عظيمة بين المصريين وعرب الينبع وخلافهم من قبائل العربان والأشراف، ووقعت الهزيمة على المذكورين وقتل وزير الينبع المتولي من طرف شريف مكة وقتل معه خلائق كثيرة.

وفي تاسع شهر ربيع الآخر وصل نجاب إلى مصر من الديار الحجازية وأخبر بدخول محمد بك ومن معه إلى مكة وانهزام الشريف أحمد وخروجه هارباً، ونهب المصرين دار الشريف ومن يلوذ به وأخذوا منها أشياء كثيرة من أمتعة وجواهر وأموال لها قدر، وجلس الشريف عبد الله في إمارة مكة ونزل حسن بك إلى بندرجدة وتولى إمارتها عوضاً عن الباشا الذي تولاها من طرف ملك الروم، ولذلك عرف بالجداوي، وأقام محمد بك أياماً بمكة ثم عزم على المسير والرجوع إلى مصر، ووصلت الأخبار والبشائر بذلك وأرسلت إليه الملاقاة بالعقبة وخلافها، فلما ورد الخبر بوصوله إلى العقبة خرجت الأمراء إلى بركة الحاج والدار الحمراء لانتظار قدومه فوصل في أوائل شهر رجب ودخل إلى مصر في ثامنه في موكب عظيم، وأتت إليه العلماء والأعيان للسلام وقصدته الشعراء بالقصائد والتهاني.

وفي منتصف رجب المذكور، عزل علي بك عبد الرحمن أغا مستحفظان وقلد عوضه سليم أغا الوالي وقلد عوض الوالي موسى أغا من أتباعه، وأمر عبد الرحمن أغا بالسفر إلى ناحية غزة وهي أول حركاته إلى جهة الشام، وأمره بقتل سليط شيخ عربان غزة، فلم يزل يتحيل عليه حتى قتله هو وأخوته وأولاده، وكان سليط هذا من العصاة العتاة له سير وأخبار.

وفيه زاد اهتمام علي بك بالتحرك على جهة الشام، واستكثر من جمع طوائف العساكر وعمل بالقسماط والبارود والذخائر والمؤن وآلات الحرب، وأمر بسفر تجريدة وأميرها اسمعيل بك وصحبته علي بك الطنطاوي وعللي بك الحبشي، فبرزوا إلى جهة العادلية وخرجوا بما معهم من طوائف العسكر والمماليك والأحمال والخيام والجباخانات والعربات والضوبة وقرب الماء الكثيرة على الجمال والكرارات والمطابخ والطبول والزمور والنقاقير وغير ذلك، فلما تكامل خروجهم أقاموا بالعادلية أياماً حتى قضوا لوازمهم وارتحلوا وسافروا إلى جهة الشام.

وفي حادي عشرينه برزت تجريدة أخرى وعليها سليمان بك وعمر كاشف وحملة كثيرة من العساكر، فنزلوا من طريق البحر على دمياط.

وفي عاشر شهر القعدة وردت أخبار من جهة الشام وأشيع وقوع حرابات بينهم وبين حكام الشام وأولاد العظم.

وفي منتصف خرجت تجريدة أخرى وسافر على طريق البر على النسق.

وفي سابع عشره طلب علي بك حسن أغا تابع الوكيل والروزنامجي وباش قلفة واسمعيل أغا الزعيم وآخرين وصادرهم في نحو أربعمائة كيس بعد ما عوفهم أياماً.

وفي أواخره عمل علي بك دراهم على القرى وقرر على كل بلد مائة ريال وثلاثمائة ريال حق طريق، فضجت الناس من ذلك وطلب من النصارى القبط مائة ألف ريال، ومن اليهود أربعين ألفاً وقبضت جميعها في أسرع وقت.

من مات في هذه السنة

مات الشيخ العمدة الفاضل الكامل الأديب الماهر الناظم الناثر الشيخ عبد الله بن عبد الله بن سلامة الأدكاوي المصري الشافعي الشهير بالمؤذن، ولد بادكو وهي قرية قرب رشيد سنة 1104، كما أخبر من لفظه، وبها حفظ القرآن، وورد إلى مصر فحضر دروس علماء عصره وأدرك الطبقة الأولى واشتهر بفن الأدب، وانضوى إلى فخر الأدباء في عصره السيد علي أفندي برهان زاده نقيب السادة الأشراف، فأنزله عنده في إكرام واحتفل به وكفاه المؤنة من كل وجه، وصار يعاطيه كؤوس الآداب ويصافيه بمطارحة أشهى من ارتشاف الرضاب، وحج بصحبته بيت الله الحرام وزار قبر نبيه عليه الصلاة والسلام وذلك سنة 1147، وعاد إلى مصر وأقبل على تحصيل الفنون الأدبية، فنظم ونثر ومهر وبهر ورحل إلى رشيد وفوة والإسكندرية مراراً، واجتمع على أعيان كل منها وطارحهم ومدحهم، وفي سنة تسع وثمانين رأيت من نظمه بيتين بخطه في جدار جامع بن نصر الله بقوة تاريخ كتابتهما سنة خمس وأربعين، وبعد وفاة السيد النقيب تزوج وصار صاحب عيال، وتنقلت به الأحوال وصار يتأسف على ما سلف من عيشه الماضي في ظل ذلك السيد قدس سره، فلجأ إلى أستاذ عصره الشيخ الشبراوي ولازمه واعتنى به وصار لا ينفك عنه ومدحه بغرر قصائده، وكان يعترف بفضله ويحترمه، ولما توفي انتقل إلى شيخ وقته الشمس الحنفي فلازمه سفراً وحضراً ومدحه بغرر قصائده فحصلت له العناية والإعانة وواساه بما به حصلت الكفاية والصيانة، وله تصانيف كلها غرر ونظم نظامه عقود الدرر، فمنها الدرة الفريدة والمنح الربانية في تفسير آيات الحكم العرفانية، والقصيدة للزدية في مدح خير البرية ألفها لعلي باشا الحكيم، ومختصر شرح بانت سعاد للسيوطي، والفوائح الجنائية في المدائح الرضوانية جمع فيها

أشعار المادحين للمذكور، ثم أورد في خاتمتها ماله من الأمداح فيه نظماً ونثراً، وهداية المتهومين في كذب المنجمين، والنزهة الزهية بتضمين الرجبية نقلها من الفرائض إلى الغزل، وعقود الدرر في أوزان الأبحر الستة عشر التزم في كل بيت منها الاقتباسات الشريفة والدر الثمين في محاسن التضمين، وبضاعة الأريب في شعر الغريب وذيلها بذيل يحكي دمية القصر، وله المقامة التصحيفية والمقاومة القمذية في المجون، وله تخميس بانت سعاد صدرها بخطبة بديعة وجعلها تأليفاً مستقلاً، وديوانه المشهور على حروف التهجي وغير ذلك، وقد كتب بخطه الفائق كثيراً من الكتب الكبار ودواوين الأشعار وكل عدة أشياء من غرائب الأسفار، رأيت من ذلك كثيراً، وقاعدة خطه بين أهل مصر مشهورة لا تخفى، ورأيت مما كتب كثيراً فمن الدواوين ديوان حسان رضي الله عنه رأيته بخطه وقد أبدع في تنميقه وكتب على حواشيه شرح الألفاظ الغريبة، ونزهة الألباب الجامع لفنون الآداب، وله مطارحات لطيفة مع شعراء عصره والواردين على مصر، ولم يزل على حاله حتى صار أوحد زمانه وفريد عصره وأوانه، ولما توفي الأستاذ الحنفي اضمحل حاله ولعب بلباله واعترته الأمراض ونصب روض عزه وغاض وتعلل مدة أيام حتى وافاه الحمام في نهار الخميس خامس جمادى الأولى من السنة، وأخرج بصباحه وصلى عليه بالأزهر ودفن بالمجاورين فسرب تربة الشيخ الحنفي، وفي سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف، لما اختلفت خدام المشهد النفيسي، وكبيرهم إذ ذاك الشيخ عبد اللطيف، في أمر العنز، وذلك أنهم أظهروا عنزاً صغيرة مدرة زعموا أن جماعة من الأسرى ببلاد الإفرنج توسلوا بالسيدة نفيسة وأحضروا تلك العنز وعزموا على ذبحها في ليلة يجتمعون فيها يذكرون ويدعون ويتوسلون في خلاصهم ونجاتهم من الأسر، فاطلع عليم الكافر فزجرهم وسبهم ومنعهم من ذبح العنز، وبات تلك الليلة فرأى رؤيا حالته، فلما أصبح أعتقهم وأطلقهم وأعطاهم دراهم وصرفهم مكرمين، ونزلوا في مركب وحضروا إلى مصر وصحبتهم تلك العنز، وذهبوا إلى المشهد النفيسي بتلك العنز وذكروا في تلك العنز غير ذلك من اختلافهم وخورهم كقولهم أنهم يوم كذا أصبحوا فوجدوها عند المقام أو فوق المنارة، وسمعوها تتكلم، أو أن السيدة تكلمت وأوصت عليها وسمع الشيخ المذكور كلامها من داخل القبر، وأبرزها للناس وأجلسها بجانبه ويقول للناس ما يقوله من الكذب والخرافات التي يستجلب بها الدنيا، وتسامع الناس بذلك فأقبل الرجال والنساء من كل فج لزيارة تلك العنزة وأتوا إليها بالنذور والهدايا، وعرفهم

أنها لا تأكل إلا قلب اللوز والفستق وتشرب ماء الورد والسكر المكرر ونحو ذلك، فأتوه بأصناف ذلك بالقناطير، وعمل النساء للعنز القلائد الذهب والأطواق والحلي ونحو ذلك، وافتتنوا بها، وشاع خبرها في بيوت الأمراء وأكابر النساء وأرسلن على قدر مقامهن من النذور والهدايا، وذهبن لزيارتها ومشاهدتها وازدحمن عليها، فأرسل عبد الرحمن كتخدا إلى الشيخ عبد اللطيف المذكور والتمس منه حضوره إليه بتلك العنز ليتبرك بها هو وحريمه، فركب المذكور بغلته وتلك العنز في حجره ومعه طبول وزمور وبيارق ومشايخ وحوله الجم لغفير من الناس، ودخل بها بيت الأمير المذكور على تلك الصورة، وصعد بها إلى مجلسه وعنده الكثير من الأمراء والأعيان، فزارها وتملس بها ثم أمر بإدخالها إلى الحريم ليتبركن بها، وقد كان أوصى الكلارجي قبل حضوره بذبحها وطبخها، فلما أخذوها ليذهبوا بها إلى جهة الحريم أدخلوها إلى المطبخ وذبحوها وطبخها قيمة وحضر الغداء وتلك العنز في ضمنه، فوضعوها بين أيديهم وأكلوا منها والشيخ عبد اللطيف كذلك صار يأكل منها والكتخدا يقول: كل يا شيخ عبد اللطيف من هذا الرميس السمين، فيأكل منها ويقول: والله إنه أطيب ومستو ونفيس، وهو لا يعلم أنه عنزه وهم يتغامزون ويضحكون، فلما فرغوا من الأكل وشربوا القهوة وطلب الشيخ العنز فعرفه الأمير أنها هي التي كانت بين يديه

في الصحن وأكلها فبهت فبكته الأمير وربخه وأمره بالانصراف وأن يوضع جلد العتر على عمامته ويذهب به كما جاء بجمعيته، وبين يديه الطبول والأشاير ووكل به من أوصله محله على تلك الصورة و لم يزل المترجم حتى تعلعل بالأمراض والأسقام واضمحل منه الجسم والقوى بالآلام حتى وافاه الحمام في يوم الخميس خامس جمادى الأولى من السنة رحمه الله، وابنه العلامة السيد أحمد المعروف بكتيكت مفتي الشافعية بثغر سكندرية والسيد هلال الكتبي توفيا بعده بسنين، والشيخ صالح الصحاف موجود مع الأحياء أعانه الله على وقته.

ومات الإمام الفصيح البارع الفقيه الشيخ جعفر بن حسن بن عبد الكريم ابن محمد بن رسول الحسيني البرزنجي المدني مفتي الشافعية بها، ولد بالمدينة وأخذ عن والده والشيخ محمد حيوة السندي، وأجازه السيد مصطفى البكري، وكان يقرأ دروس الفقه داخل باب السلام، وكان عجيباً في حسن الإلقاء والتقرير ومعرفة فروع المذهب، تولى الإفتاء والخطابة مدة تزيد على عشرين سنة، كان قوالاً بالحق أماراً بالمعروف، واجتمع به الشيخ سليمان بن يحيى شيخ المشايخ وذكره في رحلته وأثنى عليه، وله مؤلفات منها البر العاجل بإجابة الشيخ محمد غافل، والقبض اللطيف بإجابة نائب الشرع الشريف، وفتح الرحمن على أجوبة السيد رمضان، توفي في شهور هذه السنة قيل مسموماً والله أعلم.

ومات الولي العارف أحد المجاذيب الصادقين الأستاذ الشيخ أحمد ابن حسن النشرتي الشهير بالعريان، كان من أرباب الأحوال والكرامات، ولد في أول القرن وكان أول أمره الصحو ثم غلب عليه السكر فأدركه المحو، وكانت له في بدايته أمور غريبة، وكان كل من دخل عليه زائراً يضربه بالجريد. وكان ملازماً للحج في كل سنة، ويذهب إلى موالد سيدي أحمد البدوي المعتادة. وكان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، وإذا قرأ قارئ بين يديه وغلط يقول له ق فإنك غلطت، وكان رجلاً جلالياً يلبس الثياب الخشنة وهي جبة صوف وعمامة صوف حمراء يعتم بها على لبدة من صوف ويركب بغلة سريعة العدو، وملبسه دائماً على هذه الصفة شتاء وصيفاً وكان شهير الذكر يعتقد الخاصة والعامة وتأتي الأمراء والأعيان لزيارته والبرك به، ويأخذ منهم دراهم كثيرة ينفقها على الفقراء المجتمعين عليه، وأنشأ مسجده تجاه الزاهد جوار داره، وبنى بجواره صهريجاً وعمل لنفسه مدفناً وكذلك لأهله وأقاربه وأتباعه، واتحد به شيخنا السيد أحمد العروسي واختص به اختصاصاً زائداً، فكان لا يفارقه سفراً ولا حضراً وزوجه إحدى بناته وهي أم أولاده وبشره بمشيخة الجامع الأزهر والرئاسة، فعادت عليه بركته وتحققت بشارته وكان مشهوراً بالاستشراف على الخواطر، توفي رحمه الله في منتصف ربيع الأول وصلى عليه بالأزهر ودفن بقبره الذي أعده لنفسه في مسجده، نفعنا الله به وبعباده الصالحين.

ومات الفقيه الصالح الشيخ علي بن أحمد بن عبد اللطيف البشبيشي الشافعي، روى عن أبيه عن البابلي، توفي في غاية ربيع الثاني من السنة.

ومات الشيخ المبجل الصالح المفضل الدرويش الشيخ أحمد المولوي شيخ المولوية بتكية المظفر وكان إنساناً حسناً لا بأس به مقبلاً على شأنه منجمعاً عن خلطة كثير من الناس إلا بحسب الدواعي، توفي في سابع عشرين ربيع الآخر من السنة و لم يخلف بعده مثله.

ومات المقدام الخير الكريم صاحب الهمة العالية والمروءة التامة شمس الدين حمودة شيخ ناحية برمه بالمنوفية، أخذ عن الشيخ

الحفني وكان كثير الاعتقاد فيه والإكرام له ولأتباعه، وله حب في أهل الخير واعتقاد في أهل الصلاح ويكرم الوافدين والضيفان. وكان جميل الصورة طويلاً مهيباً حسن الملبس والمركب. توفي يوم الخميس حادي عشر رجب من السنة، وخلف أولاداً منهم محمد الحفني الذي سماه على اسم الشيخ لمحبته فيه وأحمد وشمس الدين.

ومات بقية السلف ونتيجة الخلف الشيخ أحمد سبط الأستاذ الشيخ عبد الوهاب الشعراني وشيخ السجادة، كان إنساناً حسناً وقوراً مالكاً منهج الاحتشام والكمال منجماً عن خلطة الناس إلا بقدر الحاجة. توفي يوم السبت ثامن صفر من السنة، وخلف ولده سيدي عبد الرحمن مراهقاً تولى بعده على السجادة مع مشاركة قريبه الشيخ أحمد الذي تزوج بوالدته.

ومات الإمامة العلامة الفقيه الصالح الناسك صائم الدهر الشيخ محمد الشوبري الحنفي، تفقه على الشيخ الاسقاطي والشيخ سعودي، وبعد وفاة المذكورين لازم الشيخ الوالد وتلقى عنه كثيراً، وكان إنساناً حسناً وجيهاً لا يتداخل فيما لا يعنيه مقبلاً على شأنه صائم الدهر وملازماً لداره بعد حضور درسه، وكان بيته بقنطرة الأمير حسين مطلاً على الخليج.

سنة خمس وثمانين ومائة وألف

أخرج علي بك تجريدة عظيمة وسر عسكرها وأميرها محمد بك أبو الذهب وأيوب بك ورضوان بك وغيرهم كشاف وأرباب مناصب ومماليكهم وطوائفهم وأتباعهم وعساكر كثيرة من المغاربة والترك والهنود واليمانية والمتاولة، وخرجوا في تجمل زائد واستعداد عظيم ومهيأ كبير، ومعهم الطبول والزمور والذخائر والأحمال والخيام والمطابخ والكرارات والمدافع والجبخانات ومدافع الزنبلك على الجمال، وأجناس العالم ألوفاً مؤلفة، وكذلك أنزلوا الاحتياجات والأثقال وشحنوا بها السفن وسافرت من طريق دمياط في البحر. فلما وصلوا إلى الديار الشامية فحاصروا يافا وضيقوا عليها حتى ملكوها بعد أيام كثيرة، ثم توجهوا إلى باقي المدن والقرى وحاربهم النواب والولاة وهمزموهم وقتلوهم وفروا من وجوههم واستولوا على المماليك الشامية إلى حد حلب، ووردت البشائر بذلك، فنودي بالزينة فزينت مصر وبولاق ومصر العتيقة زينة عظيمة ثلاثة أيام بلياليها، وتفاخروا في ذلك إلى الغاية وعملت وقدات وأحمال قناديل وشموع بالأسواق وسائر الجهات وعملوا ولائم ومغناي وآلات وطبولاً وسنكاً وحراقات وغير ذلك، وذلك في شهر ربيع أول من السنة. وتعاظم علي بك في نفسه، و لم يكتف بذلك فأرسل إلى محمد بك يأمره بتقليد الأمراء المناصب والولايات على البلاد التي افتتحوها وملكوها، وإن يستمر في سيره ويتعدى الحدود ويستولي على المماليك إلى حيث شاء، وهو يتابع إليه إرسال الإمدادات واللوازم والاحتياجات. ولا يثنون عنانهم عما يأمرهم به. فعند ذلك جمع محمد بك أمراءه وخشداشينه الكبار في خلوة وعرض عليهم الأوامر، فضاقت نفوسهم وسئموا الحرب والقتال والغربة، وذلك ما في نفس محمد بك أيضاً. ثم قال لهم: ما تقولون؟ قالوا: وما الذي نقوله والرأي لك فأنت كبيرنا ونحن تحت أمرك وإشارتك ولا نخالفك فيما تأمر به. فقال: ربما يكون رأيي مخالفاً لأمر أستاذنا. قالوا: ولو مخالفاً لأمره فنحن جميعاً لا نخرج عن أمرك وإشارتك فقال: لا أقول لكم شيئاً حتى نتحالف جميعاً ونتعاهد على الرأي الذي يكون بيننا. ففعلوا ذلك وتعاهدوا وحلفوا على السيف والكتاب. ثم أنه قال لهم: إن أستاذكم يريد أن تقطعوا أعماركم في الغربة والحرب والأسفار والبعد عن الأوطان وكلما فرغنا من شيء فتح علينا غيره، فرأيي أن نكون على قلب رجل واحد ونرجع إلى مصر ولا نذهب إلى جهة من الجهات وقد فرغنا من خدمتنا، وإن كان يريد غير ذلك من المماليك يولي أمراء غيرنا ويرسلهم إلى ما يريد ونحن يكفينا هذا القدر ونرتاح في بيوتنا وعند عيالنا. فقالوا جميعاً: ونحن على رأيك. وأصبحوا راحلين وطالبين إلى مصر، فحضروا في أواخر شهر رجب على خلاف مراد مخدومهم، وبقي الأمر على السكوت. ثم أن علي بك قلد أيوب بك إمارة جرجا وقضى أشغاله وسافر إلى الصعيد بطائفته وأتباعه. وانقضى شهر شعبان ورمضان وعلي بك مصمم على رجوع محمد بك إلى جهة الشام. وذلك مصمم على خلاف ذلك. وبدت بينهما الوحشة الباطنية. فلما كان ليلة رابع شهر شوال بيت علي بك مع علي بك الطنطاوي وخلافه واتفق معهم على غدر محمد بك، فركبوا عليه ليلاً وأحاطوا بداره ووقفه له العساكر بالأسلحة في الطرق، فركب في خاصته وخرج من بينهم وذهب إلى ناحية البساتين وارتحل إلى الصعيد. فحضر إليه بعض الأمراء أصحاب المناصب وعلي كاشف تابع سليمان أفندي كاشف شرق أولاد يحيى وقدموا له ما معهم من الخيام والمال والاحتياجات. و لم

يزل في سيره حتى وصل إلى جرجا، واجتمع عليه أيوب بك خشداشه وأظهر له المصافاة والمؤاخاة، وقدم له هدايا وخيولاً وخياماً فلم يلبث إلا وقد أحضر عيون محمد بك يأمره ويستحثه على عمل الحيلة وقتل محمد بك بأي وجه أمكنه، ويعده إمارته وبلاده وغير ذلك. فلما قرأ المراسلة وفهم مضمونها أكرم الرجل وقال له: تذهب إليه بالكتاب وأثني بجوابه ولك مزيد الإكرام، فذهب ذلك الساعي وأوصل الكتاب إلى أيوب بك وطلب منه رد الجواب وأعطاه الجواب، وذكر فيه أنه مجتهد في تتميم الغرض ومترقب حصول الفرصة. فحضر به إلى محمد بك. فعند ذلك استعد محمد بك وتحقق خيانته ونفاقه، فاتفق مع خاصته وأمرائه بالاستعداد والوثوب، وأنه إذا حضر إليه أيوب بك أخذ أرباب المناصب نظراءهم وتحفظوا عليهم. فلما حضر في صبحها أيوب بك جلس معه في خلوة وأخذ كل من الخازندار والكتخدا والجوخدار والسلحدار نظراءهم من جماعة محمد بك، ثم قال محمد بك يخاطب أيوب بك: يا هل ترى نحن مستمرون على الأخوة والمصافاة والصداقة والعهد واليمين الذي تعاقدنا عليه بالشام؟ قال: نعم وزيادة. قال: ومن نكث ذلك وخان اليمين ونقض العهد؟ قال: يقطع لسانه الذي حلف به، ويده التي وضعها على المصحف. فعند ذلك قال له: بلغني أنه أتاك كتاب من أستاذنا علي بك. فجمد ذلك فقال: لعل ذلك صحيح وكتبت له الجواب أيضاً. قال: لم يكن أبداً ولو أتاني منه جواب لأطلعتك عليه ولا يصح أني أكتمه عنك أو أرد له جواباً. فعند ذلك أخرج له الجواب من جيبه وأحضر إليه الرسول فسقط في يده، وأخذ يتنصل ببارد العذر. فعند ذلك قال له: حينئذ لا تصح مرافقتك معي وقم فاذهب إلى سيدك وأمر بالقبض عليه، وأنزلوه إلى المركب وأحاط بوطاقه وأسبابه، وتفرقت عنه جموعه. فلما صار وحيداً في قبضته أحضر عبد الرحمن أغا وكان إذ ذاك بناحية قبلي وانضم إلى محمد بك فقال له: اذهب إلى أيوب بك واقطع يده ولسانه كما حكم على نفسه بذلك. فأخذ معه المشاعلي وحضر إليه في السفينة وقطعوا يمينه، ثم شبكوا في لسانه سنارة وجذبوه ليقطعوه فتخلص منهم وألقى بنفسه في البحر، فغرق ومات. وكان قصد محمد بك أن يفعل به ذلك ويرسله على هذه الصورة إلى سيده بمصر. ثم إنهم أخرجوه وغسلوه وكفنوه ودفنوه. فعندما وقع ذلك أقبلت الأمراء والأجناد المتفرقون بالأقاليم على محمد بك وتحققوا عند ذلك الخلاف بينه وبين سيده، وقد كانوا متجمعين عن الحضور إليه ويظنون خلاف ذلك. وحضر إليه جميع المنافي وأتباع القاسمية والهوارة الذين شردهم علي بك وسلب نعمتهم، فأنعم عليهم وأكرمهم وتلقاهم بالبشاشة والمحبة واعتذر لهم وواساهم وقلدهم الخدم والمناصب، وهم أيضاً تقيدوا بخدمته وبذلوا جهدهم في طاعته. ووصلت الأخبار بذلك إلى مصر وحضر إليه كثير من مماليك أيوب بك وأتباعه سوى من انضم منهم والتجأ إلى محمد بك وأتباعه، فعند ذلك نزل بعلي بك من القهر والغيظ المكظوم ما لا يوصف، وشرع في تشهيل تجريدة عظيمة وأميرها وسر عسكرها اسمعيل بك، واحتفل بها احتفالاً كثيراً، وأمر بجمع أصناف العساكر واجتهد في تنجيز أمرها في أسرع وقت، وسافروا براً وبحراً في أواخر ذي العقدة. فلما التقى الجمعان خامر اسمعيل بك وانضم بمن معه من الجموع إلى محمد بك وصاروا حزباً واحداً، ورجع الذين لم يميلوا وهم القليل إلى مصر. فعند ذلك اشتد الأمر بعلي بك ولاحت على دولته لوائح الزوال وكاد يموت من الغيظ والقهر، وقلد سبع صناجق والكل مزلقون وسماهم أهل مصر السبع بنات وهم مصطفى بك وحسن بك ومراد بك وحمزة بك ويحيى بك وخليل بك كوسه ومصطفى بك أود باشه، وعمل لهم برقاً وداقماً ولوزام وطبلخانات في يومين، وضم إليهم عساكر وطوائف ومماليك وأتباعاً، وبرز بنفسه إلى جهة البساتين وشرع في تشهيل تجريدة أخرى وأميرها علي بك الطنطاوي، وأخرج الجبخانات والمدافع الكثيرة وأمر بعمل متاريس من البحر إلى

جهة الجبل وانقضت السنة.

من مات في هذه السنة ممن له ذكر

مات الإمام الفقيه الصالح الخير الشيخ علي بن صالح بن موسى بن أحمد بن عمارة الشاوري المالكي مفتي فرشوط، قرأ بالأزهر العلوم ولازم العلامة الشيخ علي العدوي، وتفقه عليه وسمع الحديث من الشيخ أحمد ابن مصطفى السكندري وغيره، ورجع إلى فرشوط فولي إفتاء المالكية بها، فسار فيها سيراً مقتصداً، ولما ورد عليه الشيخ ابن الطيب راجعاً من الروم، تلقى عنه شيئاً من الكتب وأجازه، وكان لشيخ العرب همام بن يوسف في حقه عناية شديدة وصحبة أكيدة، وكانت شفاعات العلماء مقبولة عنده بعنايته ولذلك راج أمره واشتهر ذكره وطار صيته. وكان حسن المذاكرة والمحاورة محتشماً في نفسه مجملاً في ملابسه وجيهاً معتبراً في الأعين. وألف شيخنا السيد محمد مرتضى باسمه نشق الغوالي من المورويات العوالي وذلك أيام رحلته إلى فرشوط ونزوله عنده، ورفع شأنه عند شيخ العرب وأكرمه إكراماً كثيراً ولما تغيرت أحوال الصعيد قدم إلى مصر مع ابن مخدومه وما زال بها حتى توجه إلى طندتا وكان يعتريه حصر البول فيجلس أياما وهو ملازم للفراش فزار وعاد. توفي يوم دخوله إلى بولاق نهار الثلاثاء ثالث عشر شعبان من السنة، وكان يوماً مطير ذا رعد وبرق، فوصل خبره إلى الجامع الأزهر، فخرج إليه الشيخ علي الصعيدي وكثير من العلماء وتخلف من تخلف لذلك العذر، فجهزوه هناك وكفنوه وأتوا به إلى الأزهر، وأراد الشيخ الصعيدي دفنه في مدفن عبد الرحمن كتخدا لصعوبة الذهاب به إلى القرافة، ثم دفنوه بالمجاورين بجانب تربة الشيخ الصعيدي التي دفن فيها.

ومات الفقيه الفاضل العلامة الشيخ علي بن عبد الرحمن بن سليمان ابن عيسى بن سليمان الخطيب الجديمي العدوي المالكي الأزهري الشهير بالخرائطي، ولد في أول القرن وقدم الجامع الأزهر فحضر دروس جماعة من فضلاء العصر ولازم بلدية الشيخ علي الصعيدي ملازمة كلية ودرس بالأزهر ونفع الطلبة، وكان إنساناً حسناً منور الشيبة ذا خلق حسن وتودد وبشاشة ومروءة كاملة، وكان له ميل تام في علم الحديث ويتأسف على فوات اشتغاله به ويحب كلام السلف ويتأمل في معانيه مع سلامة الاعتقاد وكثرة الإخلاص. توفي عشية يوم الأربعاء ثاني المحرم افتتاح سنة 1185.

ومات الإمام العلامة الفاضل المحقق الدراك المتفنن الشيخ محمد بان اسمعيل بن محمد بن اسمعيل بن خضر النقراوي المالكي، كان والده من أهل العلم والصلاح والزهد عن جانب عظيم، وعمر كثيراً حتى جاوز المائة وانحنى ظهره، وتوفي سنة 1178. تربى المترجم في حجر أبيه وحفظ القرآن والمتون وحضر دروس الشيخ سالم النقراوي والشيخ خليل المالكي وغيرهما، وتفقه وحضر المعقول على كثير من الفضلاء، ومهر وأنجب درس، وكان جيد الحافظة قوي الفهم والغوص على عويصات المسائل ودقائق العلوم مستحضراً للمسائل الفقهية والعقلية، ولما بلغ المنتهى في العلوم المشهورة تاقت نفسه للعلوم الحكمية والرياضية، فأحضره والده للشيخ الوالد سنة 1171 والتمس منه مطالعته عليه، فأجابه إلى ذلك ورحب به، وكان عمره إذا ذاك نيفاً وعشرين سنة. ولما رأى ما فيه من الذكاء والنجابة والقوة الاستعدادية والجد في الطلب اغتبط به كثيراً وصرف إليه همته وأقبل عليه بكليته وأعطاه مفتاح خزانة بالمترل يضع فيها كتبه ومتاعه، واشترى له حماراً ورتب له مصروفاً وكسوة، ولازمه ليلاً ونهاراً

ذهاباً وإياباً حتى اشتهر بنسبته إليه، فكان يرسله في مهماته وأسراره إلى أكابر مصر وأعيانها مثل علي بك وعبد الرحمن كتخدا وغيرهما، فيحسن الخطاب والجواب مع الحشمة وحسن المخاطبة مع معرفتهم بفضله وعلمه، وكانوا يكرمونه. ومدحهم بقصائد لم أعثر على شيء منها للإهمال وطول العهد، فكان لا يذهب إلى داره إلا في النادر بعد حصة من الليل، ويرجع في الفجر وينزل إلى الجامع بعد طلوع النهار، فيقرأ درسين ثم يعود في الضحوة الكبرى فيقيم إلى العصر، فيذهب إلى الجامع فيقرأ درساً في المعقول ثم يعود. وهكذا كان دأبه إلى أن مات.

تلقى عنه فن الميقات والهيئة والهندسة وهداية الحكمة وشرحها القاضي زادة والجغميني والمبادي والغايات والمقاصد في أقل زمن، مع التحقيق والتدقيق، وحضر عليه المطول والمواقف والزيلعي في الفقه برواق الجبرت بالأزهر وغير ذلك، كل ذلك بقراءته، وعاني علم الأوفاق وتلقاه عن الشيخ المرحوم حتى أدرك أسراره وأقبلت عليه روحانيته. وأجازه الملوي والجوهري والحفني والعفيفي وغيرهم، ولما نفي علي بك إلى النوسات إلى الشيخ فطلب منه أشياء يرسلها إليه مع المترجم، فأرسله إليه وأقام عنده أياماً ورجع من غير أن يعلم أحد بذهابه ورجوعه، وكان يكتب الخط الجيد وجوده على الشيخ أحمد حجاج المعروف بأبي العز. وكتب بخطه كثيراً وألف حاشية على شرح العصام على السمرقندية وأجوبة عن الأسئلة الخمسة التي أوردها الشيخ أحمد الدمنهوري على علماء العصر، وأعطاها إلى علي بك وقال له: أعطها للعلماء الذين يترددون عليك يجيبوني عنها إن كانوا يزعمون أنهم علماء، فأعطاها علي بك للشيخ الوالد وأخبره بمقابلة الشيخ الدمنهوري، فقال له: هذه وإن كانت من عويصات المسائل يجيب عنها ولدنا الشيخ محمد النقراوي. والخمسة الأسئلة المذكورة: الأول في إبطال الجزء الذي لا يتجزأ. الثاني في قول ابن سينا ذات الله نفس الوجود المطلق ما معناه. الثالث في قول أبي منصور الماتريدي معرفة الله واجبة بالعقل مع أن المجهول من كل وجه يستحيل طلبه. الرابع في قول البرجلي إن من مات من المسلمين لسنا نتحقق موته على الإسلام. الخامس في الاستثناء في الكلمة المشرقة هل هو متصل أو منفصل. فأجاب عنها بأجوبة منطوية على مطار الأنظار دلت على رسوخه وسعة اطلاعه وغوصه ومعرفته بدقائق كلام أذكياء الحكماء والمتكلمين وفضلاء الأشعرية والماتريدية. وعاني الرسم فرسم عدة بسائط ومنحرفات وحسب كثيراً من الأصول والدساتير، وتصدى لتعليم الطلبة الذين كانوا يردون من الآفاق لطلب العلوم الغريبة، وكتب شرحاً على متن نور الإيضاح في الفقه الحنفي باسم الأمير عبد الرحمن كتخدا، وله رسالة سماها الطراز المذهب في بيان معنى المذهب، وهي عبارة عن جواب على سؤال ورد من ثغر سكندرية نظماً وكان له سليقة جيدة في النثر والنظم، ولما ورد إلى مصر محمد أفندي سعيد قاضياً في سنة 1181 امتدحه بقصيدة بليغة لم أعثر عليها وكان به حدة طبيعة وهي التي كانت سبباً لموته، وهو أنه حصل بينه وبين الشيخ البجرمي منافسة فشكاه إلى الشيخ الدمنهوري وهو إذ ذاك الشيخ الجامع، فأرسل إليه فلما حضر عنده في مجلسه بالأزهر فتحامل عليه فقام من عنده وقد أثر فيه القهر ومرض أياماً، وتوفي في شهر جمادى الثانية من السنة. واغتم عليه الشيخ المرحومي غماً شديداً وتأثر لفراقه وحزن لموته وتوعك أياماً بسبب ذلك.

ومات الإمام الفقيه العلامة المفتي الشيخ إبراهيم بن الشيخ عبد الله الشرقاوي الشافعي تفقه على علماء عصره وحضر دروس الأشياخ المتقدمين كالملوي والحفني والبراوي والشيخ أحمد رزة والشيخ عطية الأجهوري، وأنجب في الأصول والفروع الفقهية،

وتصدر ودرس وانقطع والإفتاء والقضاء بين المتخاصمين من أهل القرى للإفادة، وأكثرهم من أهل بلاده، وكان لا يفارق محل درسه بالأزهر من الشروق إلى الغروب. وانفرد بالإفتاء مدة طويلة على مذهبه وقلما يرى فتوى وليس عليها جوابه. و لم يزل هذا دأبه حتى تعلل أياماً، وتوفي ثالث ربيع الثاني من السنة.

ومات أحد أذكياء العصر ونجباء الدهر، من جمع متفرقات الفضائل وحاز أنواع الفواضل، الصالح الرحلة الشيخ علي بن محمد الجزائرلي المعروف بابن الترجمان، ولد بالجزائر سنة 1100، وكان ينتمي إلى الشرف وزاحم العلماء بمناكبه في تحصيل أنواع العلومن وأجازه الشيخ سيدي محمد المنور التلمساني رحمه الله، ودخل الروم مراراً وحظي بأرباب الدولة، وأتى إلى مصر وابتنى بها داراً حسنة قرب الأزهر، وكان يخبرعن نفسه أنه لا يستغني عن الجماع في كل يوم، فلذلك ما كان يخلو عن امرأة أو اثنتين حتى في أسفاره. ولما ورد الأمير أحمد آغا أميناً على دار الضرب بمصر المحروسة الذي صار فيما بعد باشا، كان مختصاً بصحبته لا يفارقه ليلاً ولا نهاراً وله عليه إغداقات جميلة، وهو حسن العشرة يعرف في لسانهم قليلاً، وتوجه إلى دار السلطنة وكانت إذا ذاك حركة السفر إلى الجهاد كتب هذا عرضحالاً إلى السلطان مصطفى صورته: إن من قرأ استغاثة أبي مدين الغوث في صف الجهاد حصلت النصرة. وقدمه إلى السلطان فاستحسن أن يكون صاحب هذا العرض هو الذي يتوجه بنفسه ويقرأ هذه الاستغاثة تبركاً، ففاجئه الأمر من حيث لا يحتسب وأخذ في الحال وكتب مع المجاهدين وتوجه رغماً عن أنفه، ووصل إلى معسكر المسلمين وصار يقرأ فقدر الله الهزيمة على المسلمين لسوء تدبير أمراء العسكر، فأسر مع من أسر وذهب به إلى بلاد موسقو، وبقي أسيراً مدة و لم يغثه أحد بخلاصه منهم لاشتغال الناس بما هو أهم، حتى توفي هناك شهيداً غريباً في هذه السنة رحمه الله.

ومات الشيخ الصالح العلامة علي الفيومي المالكي شيخ رواق أهل بلاده، حضر دروس الشيخ إبراهيم الفيومي وشيخنا الشي علي الصعيدي ودرس برواقهم وكان سريع الإدراك متين الفهم، له في علم الكلام باع طويل. وتزوج ابنة الشيخ أحمد الحماقي الحنفي، وتوفى ثاني شهر رمضان من السنة ودفن بالمجاورين.

ومات الشيخ الفاضل الصالح علي الشبيني الشافعي نزيل جرجا، قرأ على جماعة من مشايخ عصره وتكمل في العربية والفقه، وتوجه إلى الصعيد فخالط أولاد تمام من الهوارة في بيج القرمون أحبوه وسكن عندهم مدة، ثم سكن جرجا. وكان يتردد أحياناً إلى مصر، وكان كثير الاجتماع بصهرنا علي أفندي درويش المكتب، وكان يحكي لي عنه أشياء كثيرة من مآثره من الصلاح والعلم وحسن المعشرة ومعرفة التجويد ووجوه القراءات. فلما تغيرت أحوال الصعيد أتى المترجم إلى مصر وكان حسن المذاكرة والمرافقة مع مداومة الذكر وتلاوة القرآن غالباً. توفي تاسع عشر رمضان في بيت بعض أحبابه بعلة البطن، وصلى عليه الشيخ أحمد بن محمد الراشدي ودفن بالمجاورين.

ومات العمدة الفاضل اللغوي الماهر المنشئ الأديب الشيخ عبد الله بن منصور التلباني الشافعي المعروف بكاتب المقاطعة وهو بن أخت الشيخ المعمر أحمد بن شعبان الزعبلي ولد سنة 1098 تقريباً، وأدرك الطبقة الأولى من الشيوخ العزيزي والعشماوي والنفراوي. وكانت له معرفة تامة بعلم اللغة والقراءة، واقتنى كتباً نفيسة في سائر الفنون، وكان سموحاً بإعارتها لأهلها، وكان يعرف مظنات المسائل في الكتب. وكان الأشياخ يجلونه ويعرفونه مقامه، ولما دخل الشيخ ابن الطيب أحبه واغتبط به

وبصحبته، وحصل حاشيته على القاموس في مجلدين حافلين استكتاباً، وقرظ على شرح البديعة لعلي بن تاج الدين القلعي ذكر فيه من نوع وسع الاطلاع له. و لم يزل حتى فاجأته المنون في ثالث عشرين شعبان من السنة، وصلي عليه بالجامع الأزهر، ودفن شرقي مقام سيدي عبد الله المتوفى بالمجاورين رحمه الله.

ومات الأمير الجليل إبراهيم أفندي الهياتم جمليان مطعوناً في نهار الأربع ثالث عشرين المحرم من السنة.

سنة ست وثمانين ومائة وألف

فيها في المحرم خرج علي بك إلى جهة البساتين كما تقدم في أواخر العام الماضي وعمل متاريس ونصب عليها المدافع من البحر إلى الجبل، واجتهد في تشهيل تجريدة وأميرها علي بك الطنطاوي وصحبته باقي الأمراء الذين قلدهم والعسكر، فعدوا في منتصفه لمحاربة محمد بك أبي الذهب واسمعيل بك ومن معهما. وكانوا سائرين يريدون مصر فتلاقوا معهم عند بياضة، ووقعت بينهم معركة قوية ظهر فيها فضل القاسمية، وخصوصاً أتباع صالح بك وعلي أغا المعمار، ووقعت الهزيمة على عسكر علي بك، وساق خلفهم القبالي مسافة فمانعوا عن أنفسهم وعدوا على دير الطين، وكان علي بك مقيماً به، فلما حصل ما حصل اشتد القهر بالمذكور وتحير في أمره وأظهر التجلد وأمر بالاستعداد وترتيب المدافع وأقام إلى آخر النهار، وتفرق عنه غالب عساكره من المغاربة وغيرهم. وحضر محمد بك إلى البر المقابل لعلي بك ونصب صيوانه وخيامه تجاهه، فتفكر علي بك في أمره وركب عند الغروب وسار إلى جهة مصر ودخل من باب القرافة، وطلع إلى باب العزب فأقام به حصة من الليل. وأشيع بالمدينة أن مراده المحاصرة بالقلعة. ثم أنه ركب إلى داره وحمل حموله وأمواله وخرج من مصر وذهب إلى جهة الشام، وذلك ليلة الخامس والعشرين من شهر المحرم، وصحبته علي بك الطنطاوي وباقي صناجقه ومماليكه وأتباعه وطوائفه. فلما أصبح يوم الخميس سادس عشرينه عدى محمد بك إلى بر مصر، وأوقدوا النار في ذلك اليوم في الدير بعد ما نهبوه، ودخل محمد بك إلى مصر وصار أميرها ونادى أصحاب الشرطة على أتباعه بأن لا أحد ياؤيهم ولا يتاويهم، فكانت مدة غيبته سبعين يوماً.

وأرسل عبد الرحمن أغا مستحفظان إلى عبد الله كتخدا الباشا فذهب إليه بداره وقبض عليه وقطع رأسه ونادى بإبطال المعاملة التي ضربها المذكور بيد رزق النصراني، وهي قروش مفرد ومجوز وقطع صغار تصرف بعشر أنصاف وخمسة أنصاف ونصف قرش. وكان أكثرها نحاساً وعليها علامة علي بك.

وأما من مات في هذه السنة من العظماء.

فمات السيد الإمام العلامة الفقيه المحدث الفهامة الحسيب النسيب السيد علي بن موسى بن مصطفى بن محمد بن شمس الدين بن محب الدين بن كريم الدين بن بهاء الدين داود بن سليمان بن شمس الدين ابن بهاء الدين داود الكبير بن عبد الحفيظ بن أبي الوفاء محمد البدرى ابن أبي الحسن علي بن شهاب الدين أحمد بن بهاء الدين داود بن عبد الحافظ ابن محمد بن بدر ساكن وادي النسور بن يوسف بن بدران بن يعقوب بن مطر بتركي الدين سالم بن محمد بن محمد بن زيد بن حسن بن السيد عريض المرتضى الأكبر بن الإمام زيد الشهيد ابن الإمام علي زين العابدين ابن السيد الشهيد الإمام الحسين ابن الإمام علي بن أبي طالب الحسيني المقدسي الأزهري المصري، ويعرف بابن النقيب، لأن جدوده تولوا النقابة ببيت المقدس، ولد تقريباً سنة 1125 ببيت المقدس وبها نشأ، وقرأ القرآن على الشيخ مصطفى الأعرج المصري والشيخ موسى كبيبة علي عود ومحمد بن نسيبة الفضلي المكي، وأخذ العلم عن عم أمه صاحب الكرامات حسين العلمي نزيل لد وأبي بكر بن أحمد العلمي مفتي القدس

والشيخ عبد المعطي الخليلي، ووصل إلى الشام فحضر دروس الشيخ أحمد المتيتي والشيخ اسمعيل العجلوني والشيخ عبد الغني النابلسي واجتمع على الشيخ صالح البشيري الآخذ عن الخضر عليه السلام وعامر ابن نعير وأحمد القطناني ومصطفى بن عمر والدمشقي. وكان من الأبدال وأحمد النحلاوي وكان من أرباب الكشف ومحمد بن عميرة الدمشقي وعمران الدمشقي وزيد اليعبداوي وخليفة بن علي اليعبداوي ورضوان الزاوي وأحمد الصفدي المجذوب والشيخ مصطفى بن سوار، ودخل حماة فأخذ عن القطب السيد يس القادري، وحلب فأخذ بها عن أحمد البني وعبد الرحمن السمان كلاهما من تلاميذ الشيخ أحمد الكتبي، وعن الشيخ محمد بن هلال الرامهداني والشيخ عبد الكريم الشرباتي، وعاد إلى بيت المقدس فاجتمع بالشيخ عبد الغني النابلسي أيضاً وبالسيد مصطفى البكري بحلب حين كان راجعاً من بغداد فأخذ عنه الطريقة ورغبه في مصر فوردها، وحضر على الشمس السجيني ومصطفى العزيزي والسيد علي الضرير الحنفي وأحمد بن مصطفى الصباغ والشهابين الملوى والجوهري والشمس الحنفي وأحمد العماوي وشيخ المذهب سليمان المنصوري، وأجازه سيدي يوسف بن ناصر الدرعي وأحمد العربي وأحمد بن عبد اللطيف زروق وسيدي محمد العياشي الأطروش والشيخ ابن الطيب في آخرين ورأس في المذهب، وتمهر في الفنون ودرس بالمشهد الحسيني في التفسير والفقه والحديث، واشتهر أمره وطار صيته. وكان فقيهاً في المذهب بارعاً في معرفة فنونه عارفاً بأصوله وفروعه، ويستنبط الأحكام بجودة ذهنه وحسن حافظته، ويكتب على الفتاوى برائق لفظه. وكانت له في النثر طريقة غريبة لا يتكلف في الأسجاع، وإذا سئل عن مسألة كتب عليها الجواب أحسن من الروض جاد بن الغمام وأغزر من الوبل ساعده نوء النعام. ويكتب في الترسل على سجية بادرة وفكرة على السرعة صاددة وكان ذا جود وسخاء وكرم ومروءة ووفاء، لا يدخل في يده شيء من متاع الدنيا إلا وبذله لسائليه وأغدق به على معتفيه، وكان منزله الذي قرب المشهد الحسيني مورداً للآملين ومحطاً لرجال الوافدين مع رغبته في الخيل المنسوبة وحسن معرفته لأنسابها وعزوه لأربابها. وكان اصطبله دائماً لا يخلو من اثنين أو ثلاثة يركب عليها ويضمرها ويعتني بأحوالها ويرغب في شرائها لمعرفته بالفروسية في رمي السهام واستعمال السلاح واللعب بالرماح وغير ذلك. ولما ضاق عليه منزله لكثرة الوفاد عليه ولكثرة ميله إلى ربط الخيول انتقل إلى منزل واسع بالحسينية في طرف البلد بناء على أن الأطراف مساكن الأشراف، فسكنه وعمر فيه وفي الزاوية التي قرب بيته، وصرف عليها مالاً كثيراً. وفي سنة 1177 استخار الله تعالى في التوجه إلى دار السلطنة لأمور أوجبت رحلته إليها، منها أنه ركبت عليه الديون وكثر مطالبوها وضاق صدره من عدم مساعدة الوقت له، وكان إذ ذاك محل تدريسه بالمشهد الحسيني، وعزم عبد الرحمن كتخدا على هدمه وإنشائه على هذه الصورة، ورأي أن هذه البطالة تستمر أشهراً فوجد فرصة وتوجه إليها وقرأ دروساً في الحديث في عدة جوامع، واشتهر هناك بالمحدث وأقبلت عليه الناس أفواجاً للتلقي، وأحبته الأمراء وأرباب الدولة وصارت له هناك وجاهة. إلا أنه كان في درسه ينتقل تارة إلى الرد العنيف على أرباب

الأموال والأكابر وملوك الزمان وينسبهم إلى الجور والعدوان وانحرافهم عن الحق، فوشى به الحاسدون فبرز الأمر بخروجه من البلد وكان قد تزوج هناك فعاد إلى مصر. فلما وصل إلى بولاق ذهب إليه جماعة من الفضلاء واستقبلوه. واستقر في منزله وعاد إلى دروسه في المشهد وذلك سنة 1183، ولم يترك عادته المألوفة من إكرام الضيوف وبذل المعروف، وكان لا يصبر على الجماع وعنده ثلاث نسوة شامية ومصرية ورومية، وإذا خرج إلى الخلاء أو بعض المنتزهات أخذ صحبته من يريدها منهن ونصب لها خيمة وألف الاغتسال مدة إقامته يوماً أو يومين أو أكثر. واتفق له في آخر أمره أنه ذهب عند محمد بك أبي الذهب

وكان في ضائقة، فحادثه الأمير على سبيل المباسطة وقال له: كيف رأيت أهل اسلامبول؟ فقال: لم يبق بإسلامبول ولا بمصر خير ولا يكرمون الأشرار الخلق، وأما أهل العلم والأشراف فإنهم يموتون جوعاً. ففهم الأمير تعريضه وأمر له بمائة ألف نصف فضة من الضربخانة، فقضى منها بعض ديونه وأنفق باقيها على الفقراء، وعاش بعدها أربعين يوماً وتعلل بخراج أياماً وأحضروا له رجلاً يهودياً فقصده بمشتر قيل أنه مسموم، فكان سبباً لموته. وتوفي عصر يوم الأحد سادس شهر شعبان من السنة، وجهز في صبح يوم الاثنين، وصلى عليه بالأزهر في مشهد حافل، ودفن بمقبرة باب النصر على أكمة هناك. ولما مات أحضر له الناس من الأعيان عدة أكفان وكل منهم يريد أن لا يوضع إلا في كفنه، فأخذوا من كل كفن قطعة وكفنوه في مجموع ذلك جبراً لخواطرهم. وأعطى الأمير محمد بك لأخيه مولانا السيد بدر الدين عندما أخبره بموته خمسمائة ريال لتجهيزه ولوازمه. وجلس مكانه في الدار أخوه السيد بدر المذكور وتصدره مكانه لإملاء درس الحديث النبوي بمسجد المشهد الحسيني، وأقبلت عليه الناس والأعيان، ومشى على قدم أخيه وسار سيراً حسناً وجرى على نسقه وطبيعته في مكارم الأخلاق وإطعام الطعام وإكرام الضيفان والتردد إلى الأعيان والأمراء والسعي في حوائج الناس والتصدي لأهل حارته وخطته في دعاويهم وفصل خصوماتهم وصلحهم والذب عنهم ومدافعة المتعدى عليهم ولو من الأمراء والحكام في شكاويهم وتشاجرهم وقضاياهم، حتى صار مرجعاً وملجأ لهم في أمورهم ومقاصدهم، وصار له وجاهة ومنزلة في قلوبهم ويخشون جانبه وصولته عليهم. ثم إنه هدم الزاوية وما بجانبها وأنشأها مسجداً نفيساً لطيفاً، وعمل به منبراً وخطبة ورتب به إماماً وخطيباً وخادماً وجعل بجانبه ميضاه ومصلى لطيفة يسلك إليهما من باب مستقل، وبها كراسي راحة، وأنشأ بجانب المسجد داراً نفيسة وانتقل إليها بعياله، وترك الدار التي كانت سكنه مع أخيه لأنها كانت بالأجرة، وبنى لأخيه ضريحاً بداخل ذلك المسجد ونقله إليه وذلك سنة 1205. فلما كانت الحوادث سنة 1213 واستيلاء الفرنسيس على الديار المصرية وقيام سكان الجهة الشرقية من أهل البلد وهي القومة الأولى التي قتل فيها دبوي قائمقام، تحركت في السيد بدر الدين المذكور الحمية، وجمع جموعه من أهل الحسينية والجهات البرانية وانتبذ لمحاربة الإفرنج ومقاتلتهم، وبذل جهده في ذلك. فلما ظهر الإفرنج على المسلمين لم يسع المذكور الإقامة، وخرج فاراً إلى جهة البلاد الشامية وبيت المقدس، وفحص عنه الإفرنج وبثوا خلفه الجواسيس، فلم يدركوه، فعند ذلك نهبوا داره وهدموا منها طرفاً وكل تخريبها أوباش الناحية، وخربوا المسجد، وصارت في ضمن الأماكن التي خربها الفرنسيس بهدم ما حول السور من الأبنية ثم في الواقعة الكبيرة الثانية عندما حضر الوزير والعساكر الرومية ورجعوا بعد نقض الصلح بدون طائل كما يأتي تفصيل ذلك. فلما حضروا ثانياً بمعونة الانكليز وتم الأمر وسافر الفرنسيس إلى بلادهم ورجع المذكور إلى مصر وشاهد ما حصل لداره ومسجده من التخريب، أخذ في أسباب تعميرهما وتجديدهما حتى أعادهما أحسن مما كانا عليه قبل ذلك، وسكن بها وهو الآن بتاريخ كتابة هذا المجموع سنة 1220 قاطن بها، ومحله مجمع شمل المحبين ومحط رحال القاصدين بارك الله فيه.

ومات الفقيه المفنن العلامة الشيخ علي بن شمي الدين بن محمد بن زهران بن علي الشافعي الرشيدي الشهير بالخضري، ولد بالثغر سنة أربع وعشرين، وأمه آمنة بنت الحاج عامر بن أحمد العراقي، وأمها صالحة بنت الشريف الحاج علي زعيتر أحد أعيان التجار برشيد، حفظ المترجم الزبد والخلاصة وسبيل السعادة والمنهج إلى الديات والجزرية والجوهرة، وسمع علي الشيخ يوسف القشاشي الجزرية وابن عقيل والقطر وعلى الشيخ عبد الله بن مرعي الشافعي في شوال سنة إحدى وأربعين، جمع

الجوامع والمنهج وألقى منه دروساً بحضرته، ومختضر السعد واللقاني على جوهرته، وشرح ابنه عبد السلام والمناوي على الشمائل والبخاري وابن حجر على الأربعين والمواهب وعلى الشمس محمد بن عمر الزهيري معظم البخاري دراية، والمواهب وابن عقيل والأشموني على الخلاصة وجمع الجوامع والمصنف على أم البراهين ونصف الغفراوي على الرسالة والبيضاوي إلى قوله تعالى وإذا وقع القول فكلمه بعد موته.

وفي سنة ثمان وثلاثين وفد على الثغر الشيخ عطية الأجهوري فقرأ عليه العصام في الاستعارات مع الحفيد، وعلى الشيخ محمد الأدكاوي شرح السيطوي على الخلاصة والشنشوري على الرحبية والتحرير لشيخ الإسلام، ثم قدم الجامع الأزهر سنة ثلاث وأربعين فجاور ثلاث سنوات، فسمع علي الشيخ مصطفى العزيزي شرح المنهج مرتين والخطيب والشمائل وأجازه بالإفتاء والتدريس في رجب سنة ست وأربعين، وكان به باراً رحيماً شفوقاً بمنزلة الوالد حتى بعد الوفاة: وجرت له معه وقائع كثيرة تدل على حسن توجهه له دون غيره من الطلبة: وسمع على السيد علي الحنفي الضرير الأشموني وجمع الجوامع والمغني وبعض المنفرجة والقسطلاني على البخارى وتصرف العزى وعلى الشمس محمد الدلجي المغني كله قراءة بحث والخطيب وجمع الجوامع، وعلى الشيخ علي قايتباي الخطيب فقط، وعلى الشيخ الحفني الخطيب والمنهج وجمع الجوامع والأشموني ومختصر السعد وألفية المصطلح ومعراج الغيطي، وعلى أخيه الشيخ يوسف الأشموني والمختصر ورسالة الوضع، وعلى الشيخ عطية الأجهوري المنهج والمختصر والسلم، وعلى أحمد الشبراملسي الشافعي المختصر والتجرير وبعض العصام ومنظومة في أقسام الحديث الضعيف، وعلى الشيخ محمد السجيني الشمائل وموضع من المنهج، وأجازه الشيخ الشبراوي بالكتب الستة بعد أن سمع عليه بعضاً منها، ورجع عن فتواه مرتين في وقفين، وعلى الشيخ أحمد بن سابق الزعبلي النمهج كله مرتين، وعلى الشيخ أحمد المكودى كبرى السنوسي وبعض مختصره دراية، وعلى الشيخ محمد المنور التلمساني شيخ المكودى المذكور أم البراهين دراية، وعلى الشيخ أحمد العماوى المالكي بعض سنن أبي داود وجمع الجوامع والمغني والأزهرية. ولما رجع إلى الثغر لازم الشيخ شمس الدين الغوى خطيب جامع المحلي فسرد عليه معظم متن الزبد والنمهج وشرحه والشنشورى ومتن العباب وهو الذي عرفه به وبطريق تركيب الفتاوى أسئلة وأجوبة. وكان يقول: لا بد للمبتلي بالإفتاء من العباب لوضوحه واستيعابه. وأجازه الشيخ شلبي البرلسي والشيخ عبد الدائم بن أحمد المالكي وأحمد بن أحمد بن قاسم الوني. وله مؤلفات جليلة منها شرح لقطة العجلان وحاشية على شرح الأربعين النووية للشبشيرى أجاد فيها كل الإجادة، وقد رأيت كلاً منهما بالثغر عند ولده السيد أحمد، توفي في خامس عشرين شعبان من السنة.

ومات الشاب الصالح والنجيب الأريب الفالح العلامة المستعد النبيه الذكي الشيخ محمد بن عبد الواحد بن عبد الخالق البناني، أبوه وجده وعمه من أعيان التجار والثروة بمصر، نشأ في عفة وصلاح وحفظ القرآن والمتون وحبب إليه طلب العلم فتقشف لذلك وتجرد ولازم الحضور والطلب، ودأب واجتهد في التحصيل وسهر الليل، وكان له حافظة جيدة وفهم حاد وقوة استعدادية وقابلية، فأدرك في الزمن اليسير ما لم يدركه غيره في الزمن الكثير، ولازم شيخنا الشيخ محمد الجناجي المعروف بالشافعي ملازمة كلية وتلقى عنه غالب تحصيله في الفقه والمعقول والمنطق والاستعارات والمعاني والبيان والفرائض والحساب وشباك ابن الهائم وغير ذلك، وحضر دروس الشيخ الصعيدي والدردير وغيرهم حتى مهر وأنجب ودرس واشتهر بالفضل وعمل

الختوم، وحضره أشياخ العصر وشهدوا بفضله وغزارة علمه وانتظم في عداد أكابر المحصلين والمفيدين والمستفيدين، ولم يزل هذا حاله حتى وافاه الحمام وانمحق بدره عند التمام، ومات مطعوناً في هذه السنة وهو مقتبل الشبيبة لم يجاوز الثلاثين عوضه الله الجنة، وهو ابن عم الإمام العلامة الشيخ مصطفى بن محمد بن عبد الخالق من أعيان العلماء المشاهير بمصر الآن بارك الله فيه.

ومات الفقيه الفاضل المحقق الشيخ أحمد بن أحمد الحمامي الشافعي الأزهري، ولد بمصر واشتغل بالعلم من صغره ومال بكليته إليه وحبب إليه مجالسة أهله، فلازم الشيخ عيسى البراوى حتى مهر وتفقه عليه، وحضر دروس الشمس الحفني والشيخ علي الصعيدى وغيرهما، وأجازوه، وحج في سنة خمس وثمانين مرافقاً لشيخنا الشيخ مصطفى الطائي، ورجعا إلى مصر وتصدر للتدريس والإفتاء في حياة شيوخه، ودرس وأفاد. وكان أكثر ملازمته لزاوية الشيخ الخضرى، ويقرأ درساً بالصرغتمشية، وانتفع به جماعة وله حاشية على الشيخ عبد السلام مفيدة وأخرى على الجامع الصغير للسيوطي لم تتم، وكان ذا صلاح وروع وخشية من الله وسكون ووقار. توفي يوم الأربعاء تاسع ربيع الأول من السنة ودفن ثاني يوم بمشهد عظيم بالقرب من السادة المالكية.

ومات الإمام الصوفي العارف المعمر الشيخ علي بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد القدوس ابن القطب شمس الدين محمد الشناوى الروحي الأحمدى المعروف ببندق، ولد قبل القرن وأخذ عن عميه محمد العالم وعلي المصري، وهما عن عمهما الشمس محمد بن عبد القدوس الشهير بالدناطي، عن ابن عمه الشهاب الخامي، ومسكنهم بمحلة روح وهو شيخ مشايخ الأحمدية في عصره. وانتهت إليه الرياسة في زمنه وعاش كثيراً حتى جاوز المائة ممتعاً بالحواس، وكان له خلوة في سطح مترله ولها كوة مستقبلة طندتا، بين يديها فضاء واسع يرى منها آثار طندتا وهو مستقبل القبلة في حال جلوسه ونومه ونظره إلى تلك الكوة. وأخبرني أولاده أنه هكذا هو مستمر على هذه الطريقة من مدة طويلة. توفي في أوائل جمادى الأولى من السنة، واجتمع بمشهده غالب أهل البلاد من المشايخ والأعيان والصلحاء من الآفاق، والسيد محمد مجاهد الأحمدي والشيخ محمد الموجه والسيد أحمد تقي الدين وغيرهم، ودفن عند أسلافه بمحلة روح.

ومات الأمير خليل بك ابن إبراهيم بك بلفيا تقلد الإمارة والصنجقية بعد موت والده وفتح بيتهم وأحيا ما آثرهم، وكان أهلاً للإمارة ومحلاً للرئاسة، وتقلد إمارة الحج في سنة إحدى وثمانين، ورجع في أمن وسخاء وطلع أيضاً في السنة الثانية ومات بالحجاز ورجع بالحج أخوه عبد الرحمن أغا بلفيا.

ومات الأجل المكرم الرئيس محمد تابع المرحوم محمد أوده باشه طبال مستحفظان ميسو الجداوي، وهو زوج الجدة أم المرحوم الوالد تزوج بها بعد موت الجد في سنة 1114، وقطن بها ببندر جدة وأولدها حسيناً ومحمداً، وتوفي سنة أربع وخمسين عن ولديه المذكورين وأخيهما محمود من أبيهما وعتقائه ومنهم المترجم قرباه ابن سيدة وهو العم حسين، فأنجب وعانى التجارة ورئاسة المراكب الكبار ببحر القلزم حتى صار من أعيان النواخيد الكبار، واشتهر صيته وذكره وكثر ماله وبنى داراً بمصر بجوار المدارس الصالحية واشترى المماليك والعبيد والجواري، وصار له دار بمصر وبجدة، ولم يزل حتى توفي بالشام وهو راجع إلى مصر، ووصل نعيه في سابع عشرين ربيع الثاني رحمه الله.

ومات الخواجا الصالح المعمر الحاج محمد بن عبد العزيز البنداري وكان إنساناً حسناً وهو الذي عمر العمارة والمساكن بطندتا واشتهرت به. توفي في غرة ربيع أول بعد تعلل رحمه الله تعالى.

سنة سبع وثمانين ومائة وألف

فيها تواترت الأخبار والإرجافات بمجيء علي بك من البلاد الشامية بجنود الشام وأولاد الظاهر عمر، فتهيأ محمد بك للقائه وبرز خيامه إلى جهة العادلية ونصب الصيوان الكبير هناك، وهو صيوان صالح بك وهو في غاية العظم والاتساع والعلو والارتفاع، وجميعه بدوائره من جوخ صاية وبطانته بالأطلس الأحمر وطلائعه وعساكره من نحاس أصفر مموه بالذهب. فأقام يومين حتى تكامل خروج العسكر ووصل الخبر بوصول علي بك بجنوده إلى الصالحية، فارتحل محمد بك في خامس شهر صفر فالتقيا بالصالحية وتحاربا، فكانت الهزيمة على علي بك وأصابته جراحة في وجهه، فسقط عن جواده فاحتاطوا به وحملوه إلى مخيم محمد بك وخرج إليه وتلقاه وقبل يده وحمله من تحت إبطه، حتى أجلسه بصيوانه. وقتل علي بك الطنطاوي وسليمان كتخدا وعمر جاويش وغيرهم، وذلك يوم الجمعة ثامن شهر صفر، ووصل خبر ذلك إلى مصر في صبح يوم السبت، وحضروا إلى مصر وأنزل محمد بك أستاذه في مترله الكائن بالأزبكية بدرب عبد الحق، وأجرى عليه الأطباء لمداواة جراحاته.

وفي خامس عشر صفر وصل الحجاج ودخلوا إلى مصر وأمير الحاج إبراهيم بك محمد.

وفي تلك الليلة توفي الأمير علي بك وذلك بعد وصوله بسبعة أيام، قيل أنه سم في جراحاته فغسل وكفن ودفنوه عند أسلافه بالقرافة.

وفي سابع عشر ربيع الأول، وصل الوزير خليل باشا والي مصر واطلع إلى القلعة في موكب عظيم، وذلك يوم الخميس تاسع عشرة، وضربوا له مدافع وشنكا من الأبراج. وكان وصوله من طريق دمياط فعمل الديوان وخلع الخلع.

ومات في هذه السنة الشيخ الإمام الصالح العلامة المفيد الشيخ أحمد ابن الشيخ شهاب الدين أحمد بن الحسن الجوهري الخالدي الشافعي، ولد بمصر سنة 1132، وبها نشأ وسمع الكثير من والده ومن شيخ الكل الشهاب الملوى وآخرين. وتصدر في حياة أبيه للتدريس وحج معه، وجاور سنة، وكان إنساناً حسناً ذا مودة وبر وشهامة ومروءة تامة وأخلاق لطيفة. توفي بعد أن تعلل أياماً في حادي عشرى ربيع الأول، وصلي عليه بالجامع الأزهر بمشهد حافل ودفن مع والده بالزاوية القادرية بدرب شمس الدولة.

ومات المبجل المفضل الإمام العارف صاحب المعرف علي بن محمد بن القطب الكامل السيد محمد مراد الحسيني البخاري الأصل الدمشقي الحنفي ويعرف بالمرادي نسبة لجده المذكور ولد بدمشق، وأخذ عن أبيه وغيره من العلماء كعلي بن صادق الداغستاني وغيره، وكان إنساناً عظيم الشأن ساطع البرهان طيب الأعراق كريم الأخلاق، مترله مأوى القاصدين ومحط رجال الواردين، وهو والد خليل أفندي المفتي بدمشق نزل عنده السيد العيدروس فأكرمه وبره و لم يزل حتى توفي في هذه السنة.

وتوفي بعده بشهرين أيضاً أخوه حسين أفندي المرادي رحمهما الله.

ومات الماهر الأديب الشاعر الكاتب المنشئ الشيخ إبراهيم بن محمد سعيد بن جعفر الحسني الإدريسي المنوفي المكي الشافعي، ولد في آخر القرن الحادي عشر بمكة وأخذ عن كبار العلماء كالبصري والنخلي وتاج الدين القلعي والعجمي، ثم من الطقة التي تليه مثل علي السخاوي وابن عقيلة في آخرين من الواردين على الحرمين من آفاق البلاد، وأعلى ما عنده إجازة الشيخ

إبراهيم الكوراني له، وله شعر نفيس وقد جمع في ديوان وبينه وبين السيد جعفر البيتي والسيد العيدروس مخاطبات ومحاورات، ودخل الهند بسفارة صاحب مكة فأكرم وعاد إلى مكة، وولي كتابة السر لملكها، وكان يكاتب رجال الدولة على لسانه على اختلاف طبقاتهم، وكان قلمه كلسانه سيالاً وربما شرع في كتابة سورة من القرآن وهو يتلو سورة أخرى بقدرها، فلا يغلط في كتابته ولا في قراءته حتى تتما معاً، وهذا من أعجب ما سمعت. وكان له مهارة ومعرفة في علم الطب، وأما إنشاءاته فإليها المنتهي في العذوبة وتناسب القوافي. وأما في نظمه فهو فريد عصر لا يجاريه فيه مجار ولا يطاوله مطاول.

ومات البارع المقرئ المجود المحدث الشيخ عبد القادر بن خليل بن عبد الله الرومي الأصل المدني، المعروف بكدك زاده، ولد بالمدينة سنة 1140 وبها نشأ وحفظ القرآن وجوده على شيخ القراء شمس الدين محمد السجاعي نزيل المدينة تلميذ البقري الكبير، وحفظ الشاطبية واشتغل بالعلم على علماء بلده والواردين عليه، سمع أكثر كتب الحديث على الشيخين ابن الطيب ومحمد حياة بقراءته عليهما في الأكثر، ولازم الشيخ ابن الطيب ملازمة كلية حتى صار معيداً لدروسه وكان حسن النغمة طيب الأداء ولي الخطابة والإمامة بالروضة المطهرة، وكان ذا تقدم إلى المحراب في الصلوات الجهرية تزدحم عليه الخلق لسماع القرآن منه، ثم ورد إلى مصر فأدرك الشيخ المعمر داود بن سليمان الخربتاوي، فتلقى منه أشياء وأجازه وذلك في سنة 1168، وحضر الشيخ الملوي والجوهري والحنفي والبليدي وحمل عنهم الكثير وتزوج ثم توجه إلى الروم، ثم عاد إلى المدينة فلم يقر له بها قرار، ثم أتى إلى مصر ودار على الشيوخ البقية ثانياً وأخذ عنهم، وأحبه السيد اسمعيل بن مصطفى الكماخي وصار يجلس عنده أياماً في مترله الملاصق لجامع قوصون، فشرع في أخذ خطابته له، فاشترى له الوظيفة فخطب به على طريقة المدينة وازدحمت عليه الناس وراج أمره وتزوج ثم توجه إلى الروم، وباع الوظيفة وانخلع عما كان عليه، وجلس هناك مدة، وسمع السلطان قراءته في بعض المواضع في حالة التبديل فأحب أن يكون إماماً لديه، وكاد أن يتم ذلك فأحس إمام السلطان بذلك فدعاه إلى مترله وسقاه شيئاً مما يفسد الصوت حسداً عليه، فلما أحس بذلك خرج فاراً فعاد إلى مصر واشتغل بالحديث، وشرع في عمل المعجم لشيوخه الذين أدركهم في بلده وفي رحلاته إلى البلاد. ودخل حلب فاجتمع بالشيخ أبي المواهب القادري وقرأ عليه شيئاً من الصحيح وأجازه، وأخذ عن السيد المعمر إبراهيم بن محمد الطرابلسي النثيب ومن درويش مصطفى الملقي، ودخل طرابلس الشام وأخذ الإجازة منن الشيخ عبد القادر الشكعاوي، ودخل خادم "إحدى قرى الروم" فاجتمع بالشيخ المعروف بمفتي خادم ورام أن يسمع منه الآولية فلم يجد عنده إسناداً وإنما هو من أهل المعقول فقط، ورجع إلى مصر فاجتمع بشيخنا السيد مرتضى وتلقى عنه الحديث، واهتم في جمع رجاله، وتمهر في الإسناد وجمع من ذلك شيئاً كثيراً في مسودات بخطه، ثم عاد إلى الحرمين ومنهما إلى أرض اليمن، فاجتمع بمن بقي من الشيوخ وأخذ عنهم ودخل صنعاء ومدح كلاً من الوزير والإمام بقصيدة، فأكرم بها واجتمع على علمائها وتلقى عنهم، وصار بينه وبين الشيخ أحمد قاطن أحد علمائها محاورات، ثم دخل كوكبان فاجتمع على فريد عصره السيد عبد القادر بن أحمد الحسني من بيت الأئمة، ودخل شبام فاجتمع على السيد إبراهيم بن عيسى الحسني واللحية، فاجتمع بها على الشيخ عيسى زريق، وذلك في سنة 1185، وعاد إلى مصر بالفوائد الغزار وبما حمل في طول غيبته من النوادر والأسرار، وفي هذه الخطرات التي ذكرت دخل الصعيد من طريق القصير واجتمع على مشايخ عربان الهوارة ومدحهم بقصائد طنانة وأكرموه، وله ديوان جمع فيه شعره ومدح به الأكابر والأولياء،

وكان عنده مسودة بخطه، وهذا قبل أن يسافر إلى الشام والروم واليمن والصعيد، فقد تحصل له في هذه السفرات كلام كثير مفرق لم يلحقه بالديوان، وكان كلما نزل في موضع ينشئ فيه قصيدة غريبة في بابها، وكان يغوص على المعاني بفكرة الثاقب فيستخرجها ويكسوها حلة الألفاظ ويبرزها أعجوبة تلعب بالعقول وتعمل عمل الشمول، فلله دره من بليغ لم يبلغ معاصروه شأوه، ولو أقام في موضع كغيره لاطلع ضياه، ولكنه ألف الغربة وهانت عنده الكربة، فلم ينال بخشن ولا لين، و لم يكترث بصعب ولا هين، وأجازه الشيخ محمد السفاريني إجازة طويلة في خمسة كراريس، فيها فوائد جمة. وللم يزل تتنقل به الأحوال حتى سافر إلى القدس الشريف، فمكث هناك قليلاً وزار المشاهد الكرام ومراقد الأنبياء عليهم السلام، ثم ارتحل إلى نابلس فنزل في دار السيد موسى التميمي وهو إذ ذاك قاضي البلد فأكرمه وآواه واحترمه. ومرض أياماً وانتقل إلى رحمة الله تعالى في سلخ جمادى الثانية منها، ووصل نعيه إلى مصر وكانت معه كتبه وما جمعه في سفره من شعره والعجم الذي جمعه في الشيوخ والأجراء والأماني التي حصلها وضاع ذلك جميعه ولله في خلقه ما أراد.

ومات العمدة الشاب الصالح الشيخ محمد بن حسن الجزايرلي ثم المدني الحنفي الأزهري، ولد بمكة إذ كان والده يتجر بالحرمين في حدود الستين، وقد به إلى مصر فلازم الشيخ حسن المقدسي مفتي الحنفية ملازمة كلية، وانضوى إليه فقرأ عليه المتون الفقهية ودرجه في أدنى زمن إلى معرفة طرق الفتوى، حتى كان معيداً لدروسه وكاتباً لسؤالاته، وربما كتب على الفتوى بأذن شيخه. وفي أثناء ذلك حضر في المعقول على الشيخ الصعيدي والشيخ البيلي والشيخ محمد الأمير وغيرهما من مشايخ الوقت، وحصل طرفاً من العلوم وصارت له الشهرة في الجملة، وأعطاه شيخه تدريس الحديث بالصرغتمشية، فكان في كل جمعة يقرأ فيه البخاري، وزوجه امرأة موسرة لها بيت بالأزبكية. وبعد وفاة شيخه تصدر للأقراء في محله وصار ممن يشار إليه، و لم يزل حتى مات في عنفوان شبابه في هذه السنة، ويقال أن زوجته سمته.

ومات الأمير الكبير علي بك الشهير صاحب الوقائع المذكورة والحوادث المشهورة وهو مملوك إبراهيم كتخدا تابع سليمان جاويش تابع مصطفى كتخدا القازدغلي، تقلد الإمارة والصنجقية بعد موت أستاذه في سنة 1168، وكان قوي المراس شديد الشكيمة عظيم الهمة، لا يرضى لنفسه بدون السلطنة العظمى والرياسة الكبرى، لا يميل لسوى الجد ولا يحب اللهو ولا المزاح ولا الهزل، ويحب معالي الأمور من صغره. واتفق أن بعض ولاة الأمور تشاوروا في تقليده الإمارة فنقل إليهم مجلسهم وذكر له مساعدة فلان وممانعة فلان، فقال: أنا لا أتقلد الإمارة إلا بسيفي لا بمعونة أحد. و لم يزل يرقى في مدارج الصعود حتى عظم شأنه وانتشر صيته ونما ذكره، وكان يلقب بجن علي، ولقب أيضاً ببلوط قبان، وانضم إلى عبد الرحمن كتخدا وأظهر له خلوص المحبة وأغتر هو أيضاً به وظن صحة خلوصه، فركن إليه وعضده وساعده ونوه بشأنه ليقوى به على نظرائه من الاختيارية والمتكلمين. واتفق أنه وقع بين أحمد جاويش المجنون تابعه وبين أهل وجاقه حادثة نقموا عليه فيها وأوجبوا عليه النفي بحسب قوانينهم واصطلاحهم، وأعرضوا الأمر على عبد الرحمن كتخدا أستاذه، فعارض في ذلك و لم يسلم لهم في نفي أحمد جاويش، ورأى ذلك نقصاً في حقه، فتلطف به بعضهم وترجوا في إخراجه ولو إلى ناحية ترسا بالجيزة أياماً قليلة، مراعاة وحرمة للوجاق، فلم يرض وحنق واحتد. فلما كان في اليوم الثاني واجتمع عليه الأمراء والأعيان على عادتهم قال لهم: أيها

الأمراء من أنا؟ أجابه الجميع بقولهم: أستاذنا وابن أستاذنا وصاحب ولائنا. قال: إذا أمرت فيكم بأمر تنفذوه وتطيعوه؟ قالوا: نعم. قال: علي بك هذا يكون أميرنا وشيخ بلدنا ومن بعد هذا اليوم يكون الديوان والجمعية بداره، وأنا أول من أطاعه وآخر من عصى عليه. فلم يسعهم إلا قبول ذلك بالسمع والطاعة، وأصبح راكباً إلى بيت علي بك وتول الديوان والجمعية إليه من ذلك اليوم، واستفحل أمره و لم يمض على ذلك إلا مدة يسيرة حتى أخرج أحمد جاويش المذكور وحسن كتخدا الشعراوي وسليمان بك الشابوري كما تقدم ثم غدر به أيضاً، وأخرجه إلى الحجاز من طريق السويس وأرسل معه صالح بك ليوصله إلى ساحل القلزم، فلما شيعه هناك أرسل بنفي صالح بك إلى غزة ثم رد إلى رشيد ومنها ذهب إلى منية ابن خصيب وتحصن بها وجرد عليه المترجم التجاريد، و لم يزل ممتنعاً بها حتى تعصب على المترجم خشداشينه وأخرجوه منفياً إلى النوسات ثم وجهوه إلى السويس بعد قتل حسن بك الأزبكاوي، ثم منها إلى الجهة القبلية بعد قتل عثمان بك الجرجاوي، وانضم إلى صالح بك وتعاقد معه وحضر معه إلى مصر وقتل الرؤساء من أقرانه، ثم غدر بصالح بك أيضاً كما تقدم مجمل ذلك، ثم نفى باقي الأعيان وفرق جمعهم في القرى والبلدان، وتتبعهم خنقاً وقتلاً وأبادهم فرعاً وأصلاً، وأفنى باقيهم بالتشريد، وجلوا عن أوطانهم إلى كل مكان بعيد، واستأصل كبار خشداشينه وقبيلته وأقصى صغارهم عن ساحته وسدته. وأخرب البيوت القديمة وأخرم القوانين الجسيمة والعوائد المرتبة والرواتب التي من سالف الدهر كانت منظمة، وقتل الرجال واستصفى الأموال وحارب كبار العربان والبوادي وعرب الجزيرة والهنادي وأعاظم الشجعان ومقادم البلدان، وشتت شملهم وفرق جمعهم واستكثر من شراء المماليك وجمع العسكر من سائر الأجناس واستخلص بلاد الصعيد وقهر رجالها الصناديد، و لم يزل يمهد لنفسه حتى خلص له ولأتباعه الإقليم المصري من الإسكندرية إلى أسوان، ثم جرد عساكره إلى البلاد الحجازية ونفذ أغراضه بها، ثم التفت إلى البلاد الشامية وتابع إرسال البعوث والسرايا والتجاريد إليها وقتل عظماءها وكبراءها وولاتها، واستولت أتباعه على البلاد الشامية، حتى أنهم أقاموا في حصار يافا أربعة أشهر، حتى ملكوها، وعمر قلاع الإسكندرية ودمياط وحصنها بعساكره ومنع ورود الولاة العثمانيين، وكان يطلع كتب الأخبار والتواريخ وسير الملوك المصرية ويقول لبعض خاصته: إن ملوك مصر مثلنا مماليك الأكراد مثل السلطان بيبرس والسلطان قلاون وأولادهم، وكذلك ملوك الجراكسة وهم مماليك بني قلاون إلى آخرهم كانوا كذلك، وهؤلاء العثمانية أخذوها بالتغلب ونفاق أهلها. وينوه ويشير بمثل هذا القول بما في ضميره وسريرته، ولو لم يخنه مملوكه محمد بك لرد الأمور إلى أصولها، وكان لا يجالس إلا

أهل الوقار والحشمة والمسنين مثل محمد أفندي باشا الراقم ومرتضى أغا وأحمد أفندي يجالسونه بالنوبة في أوقات مخصوصة مع غاية التحرز في الخطاب والمسامرة بوجيز القول، وكاتب إنشائه العربي الشيخ محمد الهلباوي الدمنهوري وكاتبه الرومي مصطفى أفندي الأشقر ونعمان أفندي وهو منجمه أيضاً، ويجل من العلماء المرحوم الوالد والشيخ أحمد الدمنهوري والشيخ علي العدوي والشيخ أحمد الحماقي، وكاتبه القبطي المعلم رزق بلغ في أيامه من العظمة ما لم يبلغه قبطي فيما رأينا، ومن مسقاته كرع المعلم إبراهيم الجوهري، وأدرك ما أدركه بعده في أيام محمد بك وأتباعه من بعده، وتتبع المفسدين والذين يتداخلون في القضايا والدعاوى ويتحيلون على إبطال الحقوق بأخذ الرشوات والجعالات، وعاقبهم بالضرب الشديد والإهانة والقتل والنفي إلى البلاد البعيدة. و لم يراع في ذلك أحداً سواء كان متعمماً أو فقيهاً أو قاضياً أو كاتباً أو غير ذلك بمصر أو غيرها من البنادر والقرى، وكذلك المفسدون وقطاع الطريق من العرب وأهل الحوف، ألزم أرباب الأدراك والمقادم بحفظ

نواحيهم وما في حوزهم وحدودهم، وعاقب الكبار بجناية الصغار فأمنت السبل وانكفت أولاد الحرام وانكمشوا عن قبائحهم وإيذائهم بحيث أن الشخص كان يسافر بمفرده ليلاً راكباً أو ماشياً ومعه حمل الدراهم والدنانير إلى أي جهة ويبيت في الغيط أو البرية آمناً مطمئناً لا يرى مكروهاً أبداً. وكان عظيم الهيبة اتفق لأناس ماتوا فرقاً من هيبته، وكثيراً من كان تأخذه الرعدة بمجرد المثول بين يديه، فيقول له: هون عليك، ويلاطفه حتى ترجع له نسه ثم يخاطبه فيما طلبه بصدده، وكان صحيح الفراسة شديد الحذق يفهم ملخص الدعوى الطويلة بين المتخاصمين ولا يحتاج في التفيهم إلى ترجمان أو من يقرأ له الصكوك والوثائق، بل يقرأها ويفهم مضمونها ثم يمضيها أو يمزقها. وألبس سراجينه قواويق فتلى بالفاء من جوخ أصفر تمييزاً لهم عن غيرهم من سراجين أمرائه، و لم يزل منفرداً في سلطنة مصر لا يشاركه مشارك في رأيه ولا في أحكامه وأمراؤها وحكامها مماليكه وأتباعه، فلم يقنع بما أعطاه مولاه وخوله من ملك مصر بحريها وقبليها الذي افتخرت به الملوك والفراعنة على غيرها من الملوك، وشرهت نفسه وغرته أمانيه وتطلبت نفسه الزيادة وسعة المملكة، وكلف أمراءه الأسفار وفتح البلاد حتى ضاقت أنفسهم وشموا الحروب والغربة والبعد عن الوطن، فخالف عليه كبير أمرائه محمد بك ورجع بعد فتح البلاد الشامية بدون استئذان منه، واستوحش كل من الآخر فوثب عليه وفر منه إلى الصعيد، وكان ما كان من رجوعه بمن انضم إليه وخامر معه، وكانت الغلبة له على مخدومه، وفر منه إلى الشام، وجند الجنود وقصد العود لمملكته ومحل سيادته فوصل إلى الصالحية. وخرج إليه محمد بك وتلاقيا وأصيب المترجم بجراحة في وجهه وأخذ أسيراً وقتل من قتل من أمرائه ورجع محمد بك وصحبته مخدومه المذكور محمولاً تحت فأنزلوه في داره بدرب عبد الحق، فأقام سبعة أيام ومات والله أعلم بكيفية موته. وكان ذلك في منتصف شهر صفر من السنة. فغسل وكفن وخرجوا بجنازته وصلى عليه بمصلى المؤمنين في مشهد حافل ودفن بتربة أستاذه إبراهيم كتخدا بالقرافة الصغرى بجوار الإمام الشافعي، ومدفنهم مشهور هناك وبواجهته سبيل يعلوه قصر مفتح الجوانب. ومن مآثره العمارة العظيمة بطندتا وهي المسجد الجامع والقبة على مقام سيدي أحمد البدوي رضي الله عنه، والمكاتب والميضأة الكبيرة والحنفيات وكراسي الراحة المتسعة والمنارتان العظيمتان والسبيل المواجه للقبة والقيسارية العظيمة النافذة من الجهتين وما بها من الحوانيت للتجار، وسميت هناك بالغورية لنزول تجار أهل الغورية بمصر في حوانيتها أيام مواسم الموالد المعتادة لبيع الأقمشة والطرابيش والعصائب، وكان المشد على تلك العمارة المعلم حسن عبد المعطي، وكان من الرجال أصحاب الهمم، وولاه سدانة الضريح عوضاً عن أولاد سعد الخادم لسوء سيرتهم وظلمهم، فنكبهم المترجم وأخذ ما أمكنه أخذه من مالهم وهو شيء كثير وأنفقه في هذه العمارة، ووقف عليها أوقافاً، ورتب بالمسجد عدة من الفقهاء والمدرسين والطلبة والمجاورين، وجعل لهم خبزاً وجرايات وشوربة في كل يوم، وجدد أيضاً قبة الإمام الشافعي رضي الله عنه، وكشف ما عليها من الرصاص القديم من أيام الملك الكامل

الأيوبي في القرن الخامس، وقد تشعث وصدئ لطول الزمان، فجدد ما تحته من خشب القبة البالي بغيره من الخشبالنقي الحديث، ثم جعلوا عليه صفائح الرصاص المسبوك الجديد المثبت بالمسامير العظيمة، وهو عمل كثير. وجدد نقوش القبة من داخل بالذهب واللازورد والأصباغ وكتب بإفريزها تاريخاً منظوماً صالح أفندي. وهدم أيضاً الميضأة التي كانت من عمارة عبد الرحمن كتخدا وكانت صغيرة مثمنة الأركان ووسعها وعمل عوضها هذه الميضأة الكبيرة وهي مربعة مستطيلة متسعة وبجانبها حنفية وبزابيز يصب منها الماء، وحول الميضأة كراسي راحة بحيضان متسعة تجري مياهها إلى بعضها وماؤها شديد الملوحة.

ومن إنشائه أيضاً العمارة العظيمة التي أنشأها بشاطئ النيل ببولاق حيث دكك الحطب تحت ربع الخرنوب، وهي عبارة عن قيسارية عظيمة ببابين يسلك منها من يجري إلى قبلي وبالعكس، وخاناً عظيماً يعلوه مساكن من الجهتين وبخارجه حوانيت وشونة غلال حيث مجرى النيل ومسجد متوسط، فحفروا أساس جميع هذه العمارة حتى بلغوا الماء، ثم بنوا لها خنازير مثل المنارات من الأحجار والدبش والمؤمن وغاصوا بها في ذلك الخندق حتى استقرت على الأرض الصحيحة، ثم ردموا ذلك الخندق المحتوي على تلك الخنازير بالمؤن والأحجار، واستعلوا عليه بعد ذلك بالبناء المحكم بالحجر النحيب، وعقدوا العقود والقواصر والأعمدة والأخشاب المتينة. وكان العمل في سنة خمس وثمانين. ومات المترجم قبل إتمامها وبناء أعاليها. وكانت هذه العمارة من أشام العمائر لأن النيل انحسر بسببها عن ساحل بولاق وبطل تياره، واندفع إلى ناحية انبابة، و لم تزل الأرض تعلو والأتربة تزيد فيما بين زاوية تلك العمارة إلى شون الغلال ويزيد نومها في كل سنة حتى صار لا يركبها الماء إلا في سنين الغرق. ثم فحش الأمر وبنى الناس دوراً وقهاوي في بحرى العمارة وسبحوا إلى جهة قرب الماء مغربين، وألقوا أتربة العمائر وما يحفرونه حول ذلك، واقتدى بهم الترابة وغيرهم و لم يجدوا مانعاً ولا رادعاً، وكلما فعلوا ذلك هرب الماء وضعف جريانه وربت الأرض وعلت وزادت حتى صارت كيماناً تنقبض النفوس من رؤيتها. وتمتلئ المنافس من عجاجها، وخصوصاً في وقت الهجير، بعد أن كانت نزهة للناظرين. ولقد أدركنا فيما قبل ذلك تياراً لنيل يندفع من ناحية بولاق التكرور إلى تلك الجهة ويمر بقوته تحت جدران الدور والوكائل القبلية وساحل الشون ووكالة الأبزار وخضرة البصل وجامع السنانية وربع الخرنوب إلى الجيعانية، وينعطف إلى قصر الحلي والشيخ فرج صيفاً وشتاء ولا يعوقه عائق، ولا يقدر أحد أن يرمي بساحل النيل شيئاً من التراب، فإن اطلع الحاكم على ذلك نكل به أو بخفير تلك الناحية وهذا شيء قد تودع منه ومن أمثاله وآخر من أدركنا فيه هذا الالتفات والتفقد للأمور الجزئية التي يترتب بزيادتها الضرر العام عبد الرحمن أغا مستحفظان، فإنه كان يحذو طريق الحكام السالفين، إلى أن ضعفت شوكته بتآمر الأصاغر وقيد حكمه بعد الإطلاق، وترك هذا الأمر ونسي بموته، وتقليد الأغاشم وتضاعف الحال حتى أن بعض الطرق الموصلة إلى بولاق سدت بتراكم الأتربة التي يلقيها أهل الأطارف خارج الدروب، ولا يجدون من يمنعهم أو يردعهم، وقدرت علو الأرض بسبب هذه العمارة زيادة عن أربع قامات، فإننا كنا نعد درج وكالة الأبزاريين من ناحية البحر عندما كنا ساكنين بها قبل هذه العمارة نيفاً وعشرين درجة، وكذلك سلم قيطون بيت الشيخ عبد الله القمري، وقد غابت جميعها تحت الأرض وغطتها الأتربة ولله عاقبة الأمور. ومن إنشاء المترجم داره المطلة على بركة الأزبكية بدرب عبد الحق التي مات بها، والحوض والساقية والطاحون بجوارها وهي الآن مسكن الست نفيسة. وبالجملة فأخبار المترجم ووقائعه وسيرته لو جمعت من مبدأ أمره إلى آخره لكانت مجلدات، وقد ذكرنا فيما تقدم لمعاً من ذلك بحسب الاقتضاء مما استحضره الذهن القاصر والفكر المشوش الفاتر بتراكم الهموم وكثرة الغموم وتزايد المحن واختلاط الفتن واختلال الدول وارتفاع السفل، ولعل العود يخضر بعد الذبول ويطلع النجم بعد الأفول، أو يبسم الدهر بعد كشارة أنيابه أو يلحظنا منن نظره المتغابي في أيابه:

زمن كأحلام تقضى بعده — زمن نعلل فيه بالأحلام

ولله في خلقه من قديم الزمان عادة وانتظار الفرج عبادة نسأله انقشاع المصائب وحسن العواقب.

ومات سلطان الزمان السلطان مصطفى بن أحمد خان، تولى السلطنة في سنة 171 فكانت مدة سلطنته ست عشرة سنة،

وكانت له عناية ومعرفة بالعلوم الرياضية والنجومية، ويكرم أرباب المعارف. وكان يراسل المرحوم الوالد والشيخ أحمد الدمنهوري ويهاديهما ويرسل إليهما الصلات والكتب، وأرسل مرة إلى الشيخ الوالد ثلاثة كتب مكلفة من خزانته وهي كتاب القهستاني الكبير وفتاوى انقروي ونور العين في إصلاح جامع الفصولين كلاهما في الفقه الحنفي، وله مؤلف في الفن دقيق ينسب إليه. وتولى بعده السلطان عبد الحميد خان جعل الله أيامه سعيدة.

ومات الأمير علي بك الشهير بالطنطاوي وهو من مماليك علي بك المذكور، وكان من الشجعان المعروفين والفرسان المشهورين ولم ينافق على سيده مع المنافقين ولم يمرق مع المارقين، ولم يزل مع مخدومه فيما وجهه إليه حتى قتل بالصالحية بين يديه.

ومات الرئيس المبجل الأمير اسمعيل أفندي الروزنامجي رئيس الكتبة بمصر، وكان إنساناً حسناً منور الوجه والشيبة ضابطاً محرراً خيراً، أصيب بوجع في عينيه، فوعده الحاج سليمان الحكاك بشيء من الكحل وأودعه في ورقة وضعها في طي عمامته، وكان بها ورقة أخرى في شيء من السليماني لم يتذكرها وهو أبيض والكحل أيضاً أبيض، فلما حضر عندما خرج الورقة التي بها السليماني من عمامته وأعطاه له وأمره يكتحل منها وقت النوم، يظنها أنه ورقة الكحل ثم انصرف إلى داره. فلما نزع عمامته وقت النوم رأى ورقة الكحل وتذكر عند ذلك الأخرى، فلم يمكنه الذهاب والتدارك ليلاً لبعد المكان وفوات الوقت والمسكين صلى العشاء واكتحل من الورقة، فزال بصره في الحال واستمر مكفوفاً إلى أن مات سحر ليلة الأحد سادس عشر ذي الحجة من آخر السنة وصلي عليه من الغد بسبيل المؤمنين، ودفن بقبره الذي أعده لنفسه بالقرب من بن أبي جمرة عوضه الله الجنة.

ومات الرجل الصالح الأمير مراد أغا تابع قيطاس بك القطامشي، وكان منجمعاً عن الناس راضياً بحاله قانعاً بمعيشته ملازماً على حضور الجماعة والصلوات في المسجد. توفي يوم الأربعاء سابع عشرين شوال، وصلي عليه بمصلى أيوب بك ودفن بالقرافة عند الطحاوي.

ومات الأمير حسن كتخدا مستحفظان القازدغلي الملقب بقرا، وكان من الأمراء الكبار أصحاب الحل والعقد بمصر في الزمن السابق، وانقطع في بيته عن المقارشة والتداخل في الأمور، وكان مريضاً بمرض الأكلة في فمه، ولذلك تركه علي بك وأهمله حتى مات يوم الثلاثاء ثالث عشر ذي القعدة من السنة عن ذلك المرض، وورم في رجليه أيضاً ودفن في يومه ذلك بالقرافة.

ومات أيضاً مصطفى أفندي الأشقر كاتب ديوان علي بك، خنقه خليل باشا بالقلعة في سابع عشرين جمادى الأولى بموجب مرسوم من الدولة، حضر بطلب رأسه ورأس عبد الله كتخدا ونعمان أفندي ومرتضى أغا فوجد محمد بك أمضى الأمر في عبد الله كتخدا وقطع رأسه في منزله بيد عبد الرحمن أغا، ونعمان أفندي ذهب إلى الحجاز إثر موت علي بك، وكذلك مرتضى أغا اختفى وتغيب وذهب من مصر، ولم يعلم له مكان، واستمر المترجم فطلبه الباشا، فلما حضر إليه أمر بخنقه فخنقوه وسلخوا رأسه ودفنوه بالقرافة، وأخذ موجوداته الباشا إلى الميرى.

ومات الأجل المبجل الضابط الماهر اسمعيل بن عبد الرحمن الرومي الأصل ثم المصرب المكتب الملقب بالوهبي شيخ الخطاطين بمصر، كتب الخط وجوده على شيخ عصره السيد محمد النوري وبرع واجتهد واشتغل قليلاً بالعلم، وكتبي بيده المصاحف مراراً. وأما نسخ الدلائل والأحزاب والأوراد السبعة فمما لا يحصى كثرة، وكان إنساناً حسناً بشوشاً محباً للناس فيه مكارم

الأخلاق وطيب النفس، كتب عليه غلاب من بمصر من أهل الكتابة، وكان صاحب نفس وهمة عالية. وكان يلي منصب سيده في الخدمة العسكرية وكتب عدة ألواح كبار وتوجه بها بإشارة بعض أمراء مصر إلى المدينة المنورة. فعلقها في المواجهة الشريفة بيده، ونال بهذه الزيارة الشريفة والخدمة المنيفة سروراً وشرفاً. ولما كانت سنة 1181، أتى الأمر من صاحب الدولة بتوجيه بعض عساكر مصرية تقوية للمجاهدين. فكان هو من جملة المعينين فيهم رئيساً في طائفتهم، فتوجه إلى الإسكندرية، وركب منها إلى الروم، وأبلى في تلك السفر بلاء حسناً. وبعد مدة أذن لهم بالانصراف، فعاد إلى مصر وقد وهنت قواه واعترته الأمراض وزاد شكواه، وهو مع ذلك يكتب ويفيد ويجيز ويعيد ويحضر مجالس أهل الخط على عادته. وجلس ملازماً لفراشه مدة حتى وافاه الحمام ليلة الأحد سادس عشر ذي الحجة، فجهز وصلي عليه بمشهد حافل في مصلى المؤمنين، ودفن عند ابن أبي جمرة قرب العياشي في قبر كان أعده لنفسه منذ مدة، ولم يخلف بعده مثله رحمه الله.

سنة ثمان وثمانين ومائة ألف

استهلت ووالي مصر خليل باشا محجور عليه ليس له في الولاية إلا الاسم والعلامة على الأوراق، والتصرف الكلي للأمير الكبير محمد بك أبي الذهب والأمراء وأعيان الدولة مماليكه وأشرافاته، والوقت في هدوء وسكون وأمن، والأحكام في الجملة مرضية والأسعار رخية وفي الناس بقية، وستائر الحياء عليهم مرخية شعر:

وما الدهر في حال السكون بساكن ولكنه مستجمع لوثوب

ومات في هذه السنة الإمام العلامة والتحرير الفهامة حامل لواء العلوم على كاهل فضله ومحرر دقائق المنطوق والمفهوم بتحريره ونقله، من تكحلت بحبره عيون الفتوى وتشنفت المسامع بما عنه يروى، وارتفع من حضيض التقليد إلى ذرا الفضائل، وسابق في حلبة العلوم فحاز قصب الفواضل، الروض النضير الذي ليس له في سائر العلوم نظير وهو في فقه النعمان الجامع الكبير، عمدة الأنام وفيلسوف الإسلام، سيدي ووالدي بدر الملة والدين ابي التدائي حسن بن برهان الدين إبراهيم ابن الشيخ العلامة حسن ابن الشيخ نور الدين علي بن الولي الصالح شمس الدين محمد بن الشيخ زين الدين عبد الرحمن الزيلعي الجبرتي العقيلي الحنفي، وبلاد الجبرت هي بلاد الزيلع بأراضي الحبشة، تحت حكم الخطي ملك الحبشة، وهم عدة بلاد معروفة تسكنها هذه الطائفة، وهم المسلمون بذلك الإقليم ويتمذهبون بمذهب الحنفي والشافعي لا غير، وينسبون إلى سيدنا أسلم بن عقيل بن أبي طالب، وكان أميرهم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم النجاشي المشهور الذي آمن به و لم يره وصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الغيبة، كما هو مشهور في كتب الأحاديث، وهم قوم يغلب عليهم التقشف والصلاح ويأتون من بلادهم بقصد الحج والمجاورة في طلب العلم، ويحجون مشاة ولهم رواق بالمدينة المنورة ورواق بمكة المشرفة ورواق بالجامع الأزهر بمصر، وللحافظ المقريزي مؤلف في أخبار بلادهم وتفصيل أحوالهم ونسبهم.

ومنهم القطب الكبير والمعتقد الشهير الشيخ اسمعيل بن سودكين الجبرتي تلميذ الشيخ ابن العربي، ويسمى قطب اليمن والشيخ عبد الله الذي ترجمه الحافظ السيوطي في حسن المحاضرة، وهو الذي كان يعتقده الملك الظاهر برقوق، وأوصى عند موته بأن يدفن تحت قدمه بالصحراء، ومنهم الولي العارف الشيخ علي الجبرتي الذي كان يعتقده السلطان الأشرف قايتباي، وارتحل إلى بحيرة ادكو فيما بين رشيد والإسكندرية، وبنى هناك مسجداً عظيماً ووقف عليه عدة أماكن وقيعان وأنوال حياكة وبساتين ونخيل كثيرة، وهو موجود إلى الآن عامر بذكر الله والصلاة وهو تحت نظر الفقير إلا أن غالب أماكنه زحفت عليها الرمال وطمستها وغابت تحتها، وفيه إلى الآن بقية صالحة. وبنى أيضاً مسجداً شرقي عمارة السلطان قايتباي ودفن به، وقد خرب وانطمست معالمه و لم يبق إلا مدفنه، وحوله حائط منهدم من غير باب ولا سقف وقبره ظاهر مكشوف يزار وللناس فيه اعتقاد عظيم.

ومن كراماته التي أكرمه الله بها أنه يرى على قبره في بعض الليالي المظلمة نور مثل القنديل المستنير، يري ذلك سكان العمارة وغيرهم، وهو أمر مشهور، ومنها أن السفار وقوافل الأعراب يترلون بأحمالهم حول قبره في الحوطة ويتركونها من غير حارس

ليالي وأياماً آمنين، فلا يتعدى عليها سارق البتة، ويعتقدون العطب للجاني في بدنه أو ماله وهو أمر مشهور أيضاً مقرر في أذهانهم إلى الآن.

ومنهم الإمام الحجة المجتهد الفقيه الأصولي الجدلي صاحب التصحيح والترجيح فخر الدين أبي عمر وعثمان الحنفي الزيلعي شارح الكتر المسمى بتبيين الحقائق، شرح كتر الدقائق المدفون بحوطة سيدي عقبة بن عامر الجهني والشيخ الزيلعي الشافعي المدفون بالقرافة الكبرى، وغير هؤلاء كثير ببلادهم، وبأرض الحجاز ومصر والقصد بذلك التعريف بالنسبة، قال تعالى: "وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم". والنجاشي أول من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم من الملوك، و لم يره وأسلم على يد ابن عمه جعفر بن أبي طالب، وزوجه أم حبيبة رضي الله عنها، وجهزها من عنده، وأرسلها للنبي صلى الله عليه وسلم من الحبشة إلى المدينة، ومن أراد الإطلاع على أخبار النجاشي رضي الله عنه مع النبي صلى الله عليه وسلم وهداياه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهدايا النبي إليه، وبعض أخبار الحبشة، وما ورد فيهم من الآيات والأحاديث والآثار، فلينظر في كتاب الطراز المنقوش في محاسن الحبوش للإمام العلامة علاء الدين محمد بن عبد الله البخاري، خطيب المدينة المنورة ورفع شأن الحبشان للعلامة جلال الدين السيوطي، وتنوير الغبش في فضائلي السودان والحبش لابن الجوزي، وفي تفسير البغوى أخرج أبو داود عن عائشة رضي الله عنها قالت، لما مات النجاشي كما نحدث أنه لا يزال يرى على قبره نور وفي أزهار العروش في من عرف اسمه من الصحابة الحبوش ومن عبيدة صلى الله عليه وسلم.

ومنهم أحد كبار المجاهدين والمهاجرين بلال بن رباح مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومولى أبي بكر الصديق، وهو أول من أذن الإسلام وأول من ثوب في الفجر، كما في الأوائل للسيوطي، وكان خازن رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيت المال، كما في تهذيب الأسماء واللغات، وكان يبدل الشين بالسينن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأنه: شين بلال سين عندي وعند الله. وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: كان أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا يعني بلالاً. وروى عنه كثير من كبار الصحابة، ومنهم أبو بكر وعمر وعلي وابن مسعود وابن عمر وأسامة بن زيد وجابر وأبو سعيد الخدري وكعب بن عرفجة والبراء ابن عازب وغيرهم وجماعة من التابعين رضي الله عنهم أجمعين.

ومنهم شقران بضم الشين المعجمة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأما خدامه منالحبشة الأحرار فكثيرون وكذلك الصحابيات من إمائه وأهل بيته.

ومنهم أم أيمن ذات الهجرتين وهي مرضعته وحاضنته وحليمة السعدية، وثويبة وبركة جارية أم حبيبة، وبريرة مولاة عائشة رضي الله عنها وتبعة جارية أم هانئ بنت أبي طالب وغفرة وسعيرة كذلك عبيد الصحابة.

ومنهم مهجع بكسر الميم وفتح الجيم مولى عمر بن الخطاب، وهو أول من استشهد ببدر، وكان من المهاجرين الأولين وعده النبي صلى الله عليه وسلم من سادات أهل الجنة، وقال في شأنه يوم قتل سيد الشهداء: مهجع وهو أول من يدعى إلى باب الجنة من هذه الأمة.

ومنهم أسلم مولى عمر بن الخطاب وأيمن الحبشي المكي والدعبد الواحد ابن أيمن، وبسار مولى المغيرة بن شعبة أخرج الحسن بن محمد الخلال في كرامات الأولياء عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال لي: يا أبا

هريرة يدخل علي الساعة من هذا الباب رجل من أجل السبعة الذين يدفع الله عز وجل عن أهل الأرض بهم الأذى. فإذا حبشي قد طلع من ذلك الباب أقرع أجدع على رأسه جره فيها ماء. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أبا هريرة هو هذا. ثم قال مرحباً بيسار ثلاث مرات وكان يرش المسجد ويكنسه، ومات في عهده صلى الله عليه وسلم.

وأما الصحابة الأحرار من الحبوش الأخيار الذين كانوا يخدمون الرسول وأصحابه وأهل بيته فكثيرون جداً لا يمكن استيعابهم في هذا الاستطراد ضبطاً وعدداً وكذلك أبناء الحبشات من قريش من الصحابة والتابعين وأهل البيت الطاهرين والخلفاء العباسيين، ومن ولد بأرض الحبشة من الصحابة من الحبشان مثل صفوان ابن أمية بن خلف الجمحي وعمرو ابن العاص وغيرهما، مثل عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وهو أول مولود في الإسلام بأرض الحبشة بالاتفاق، وكان يسمى بحر الجود وأخباره في السخاء والكرم مشهورة، والحرث بن حاطب الصحابي ومحمد بن حاطب وعمرو بن أبي سلمة، وفي الحبوش أخلاق لطيفة وشمائل ظريفة وفيهم الحذق والفطانة ولطافة الطباع وصفاء القلوب لكونهم من جنس لقمان الحكيم، وهم أجناس منهم السحرتي والأمحري، وهم أحسن أجناس الحبوش الموصوفين بالصباحة والملاحة والفصاحة والسماحة والنعومة في الخد والرشاقة في القد ولله در الشيخ العلامة القاضي عبد البر ابن الشحنة الحنفي حيث يقول:

حبشية سألتها عن جنسها ... فتبسمت عن در ثغر جوهري
فطفقت أسأل عن نعومة ما خفى ... قالت فما تبغيه جنسي أمحري

والأمحرية تفوق على السحرتية باللطف والظف والسحرتية تفوق على الأمحرية بالشدة والعنف، فبينهما عموم وخصوص مطلق، وقيل أن النجاشي منهم رضي الله عنه، ويقال أن بني أرفدة الذين لعبوا بحرابهم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفازوا بخطابه، أعني قوله لهم دونكم يا بني أرفدة منهم، ويقرب من هذين النوعين نوعان آخران نوع الدموات وبلين، ونوعان آخران وهما قمو وقتر، ونوع آخر يسمى إزاره.

عود وانعطاف

إن الشيخ عبد الرحمن وهو الجد السابع لجامعه واليه ينتهي علمنا بالأجداد، هو الذي ارتحل من بلاده ووصل إلينا خبره سلفاً عن خلف، فقدم من طريق البحر إلى جدة وانتقل إلى مكة فجاور بها. وحج مراراً وذهب أيضاً إلى المدينة المنورة، فجاور بها سنتين ولقي من لقي بالحرمين من الأشياخ، وتلقى عنهم ثم رجع إلى جدة وحضر إلى مصر من طريق القلزم، فدخل إلى الجامع الأزهر في أوائل العاشر، وجاور بالرواق ولازم حضور الأشياخ واجتهد في التحصيل، وتولى شيخاً على الرواق والتكلم على طائفته وتزوج وولد له. فلما مات خلف ولده الشيخ شمس الدين محمد ونشأ على قدم الصلاح والاشتغال بطلب العلم، وتولى مشيخة الرواق كوالده، وأنجب وقرأ دروساً في الفقه والمعقول بالرواق، وكان على غاية من الصلاح وملازمة الجماعة والسنن، ولا يبيت عند عياله ليلة أو ليلتين في الجامعة وغالب لياليه يبيتها بالرواق لأجل الاشتغال بالمطالعة أول الليل على السهارة والتهجد آخره. ومما اتفق له وعد من كراماته أن السراج انطفأ في بعض الليالي الشتوية فأيقظ النقيب ليسرج له سراجاً فقام من نومه متكرهاً وأخذ قنديلاً وذهب ليسرجه، فلما عاد به وقرب من الرواق رأى نوراً فستر ذلك القنديل ونظر

إليه من بعد لينظر من أين أتاه الأسراج، فوجده يطالع في الكراس وهو في يده اليسار وسبابة يده اليمن رافعها وهي تضيء مثل الشمعة المستنير ويطالع في نورها. ثم دخل النقيب بالقنديل فاختفى ذلك الضوء وعلم الشيخ ذلك من النقيب فعاتبه على التجسس وأشار إليه بكتمان سره، ولم يغش الشيخ بعد ذلك إلا قليلاً. وتوفي إلى رحمه الله تعالى. وخلف ابنه الشيخ علي فنشأ أيضاً على قد أسلافه في ملازمة العلم والعمل، وصار شهرة وثروة وتزوج بزينب بنت الإمام العلامة القاضي عبد الرحمن الجويني، ولم يزل مواظباً على شأنه وطريقة أسلافه حتى توفي وخلف ولديه الإمام العلامة الشيخ حسن الذي تقدم ذكر ترجمته المتوفى سنة 1097 وأخاه الشيخ عبد الرحمن ومات في حياة أخيه سنة 1086، وكان لزينب الجوينية أماكن جارية في ملكها وقفتها على ولدي زوجها المذكورين. ولما توفي الشيخ حسن أعقب الجد إبراهيم وضيعاً فكفلته والدته الحاجة مريم بنت الشيخ العمدة الضابط محمد بن عمر المترلي الأنصاري، فنشأ أيضاً نشوءاً صالحاً حتى بلغ الحلم، فزوجوه بستيتة بنت عبد الوهاب أفندي الدلجي، فس سنة 1108 وبنى بها في تلك السنة وحملت بالمترجم وولدته في سنة عشر ومائة وألف، ومات والده وعمره شهر واحد، وسن والده إذ ذاك ست عشرة سنة، فربته والدته بكفالة جدته أم أبيه المذكورة وصاية الإمام العلامة الشيخ محمد النشرتي، وقرروه في مشيخة الرواق كأسلافه، والمتكلم عند الوصي المذكور فتربى في حجورهم حتى ترعرع وحفظ القرآن وعمره عشر سنين، واشتغل بحفظ المتون، فحظ الألفية والجوهرة ومتن كتر الدقائق في الفقه ومتن السلم والرحبية ومنظومة ابن الشحنة في الفرائض وغير ذلك. واتفق له في أثناء ذلك وهو ابن ثلاث عشرة سنة أنه مر مع خادمه بطريق الأزهر فنظر إلى شيخ مقبل منور الوجه والشيبة وعليه جلالة ووقار طاعن في السن والناس يزدحمون على تقبيل يده ويتبركون به، فسأل عنه وعرف أنه ابن الشيخ الشرنبلالي، فتقدم إليه ليقبل يده كغيره، فنظر إليه الشيخ وتوسمه وقبض على يده وقال: من يكون هذا الغلام ومن أبوه؟ فعرفوه عنه فتبسم وقال: عرفته بالشبه. ثم وقف وقال: اسمع يا ولدي أنا قرأت على جدك وهو قرأ على والدي وأحب أن تقرأ علي شيئاً وأجيزك وتتصل ببننا سلسلة الإسناد، وتلحق الأحفاد بالأجداد. فامتثل إشارته ولازم الحضور عنده في كل يوم وقرأ عليه متن نوح الإيضاح تأليف والده في العبادات، وكتب له الإجازة ونصها: الحمد لله الذي أنعم على عبده بتوفيقه وأرشده إلى سواء طريقه وأذاقه حلاوة التفقه في دينه وتمام تحقيقه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المنعم بطائف الأنعام وعظيمه ودقيقه، وأشهد أن سيدنا وسيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله الهادي إلى الخير الكامل والجبر الشامل، فأصح كل أحد مغموراً في بحر فضله وجوده محفوظاً من كيد الشيطان وجنوده وتعويقه، وعلى آله الأطهار وصحابته الأخيار. وبعد، فقد حضر لدي الولد النجيب الموفق اللبيب الفطن الماهر الذكي الباهر سليل العلماء الأعلام نتيجة الفضلاء

العظام نور الدين حسن بن برهان الدين إبراهيم بن العلامة مفتي المسلمين وإمام المحققين، الشيخ حسن الجبرتي الحنفي رحم الله أسلافه وبارك فيه، وقرأ على متن نور الإيضاح من أوله إلى آخره، تأليف والدي المندرج إلى رحمة الله تعالى سيدي وسندي الإمام العلامة الشيخ حسن بن عمار الشرنبلالي وأجزته أن يروى ذلك عني وجميع ما يجوز لي روايته إجازة عامة، كما أجازني به وبفقه أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه، كما تلقى ذلك هو عن الشيخ علي المقدسي شارح نظم الكتر عن العلامة الشلبي شارح الكز عن القاضي عبد البر بن الحشنة، عن المحقق الكمال بن الهمام عن سراج الدين قارش الهداية عن علاء الدين السيرامي، عن السيد جلال الدين شارح الهداية، عن علاء الدين بن عبد العزيز البخاري، عن حافظ الدين صاحب الكتر، عن

شمس الأئمة الكردري، عن برهان الدين صاحب الهداية، عن فخر الإسلام البزدوي عن شمس الأئمة السرخسي، عن شمس الأئمة الحلواني، عن القاضي ابن علي النسفي، عن الإمام محمد بن الفضل البخاري، عن عبد الله السندموني، عن الأمير عبد الله بن أبي حفص البخاري، عن أبيه المذكور، عن الإمام محمد بن الحسن الشيباني، عن الإمام أبي يوسف، عن الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان بن ثابت رضي الله عنه، عن الإمام حماد بن سليمان عن إبراهيم النخعي، عن الإمام علقمة، عن عبد الله بن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وسلم، عن أمين الوحي جبريل عليه السلام، عن الله عز وجل. وأوصى الولد الأعز بالتقوى ومراقبة الله في السر والنجوى، والله تعالى يوفقه وينفع به وبعلومه ويهدينا وإياه لما كان عليه السلف الصالح في أساس الدين ورسومه. قال ذلك الفقير إلى الله تعالى حسن بن حسن السرنبلالي الحنفي في ثالث ربيع الأول من سنة 1123 وتوفي الشيخ في آخر تلك السنة، وقد جاوز التسعين. واشتغل المترجم واجتهد في طلب العلوم، وحضر أشياخ العصر وتفقه على الإمام العلامة السيد علي السيواسي الضرير وحضر عليه شرح الكتر للعيني والدر المختار وكتاب الأشياه والنظائر لابن نجيم وشرح المنار لابن نجيم وشرح المنار لابن فرشتة، وشرح التحرير للكمال بن الهمام، وشرح الجوامع ومختصر السعد وعلى العلامة الشيخ أحمد التونسي المعروف بالدقدوسي الحنفي، شرح الكتر للعلامة الزيلعي والدرر لملاخسرو والسيد علي السراجية في الفرائض وشرح منظومة بن الشحنة في الفرائض والشنشوري على الرحبية والتلخيص ومتن الحكم وشرح التحفة، وعلى الشيخ علي العقدي النفي ملا مسكين على الكتر ومتن الهداية والسراجية والمنار والترهة في علم الغبار والقلصادي ومنظومة ابن الهائم، وعلى الفقيه محمد بن عبد العزيز الزيادي الحنفي ملتقى الأبحر وفتح القدير والحكم لابن عطاء الله والقدوري وعقود الجمان في المعاني والبيان وايساغوجي، وعلى الشيخ الفقيد المحدث الشهاب أحمد بن مصطفى الإسكندري الشهير بالصياغ شرح الكبرى وأم البراهين وشرح العقائد والمواقف وشرح المقاصد للسعد والكشاف والبيضاوي والشمائل والصحيحين رواية ودراية، والأربعين النووية والمشارق والقطب على الشمسية والمواهب اللدنية، وشرح النخبة وعلى الشيخ منصور المنوفي شرح ابن عقيل على الألفية والشيخ خالد على الآجرومية والأزهرية والتوضيح وشرح تصريف العزى وشرح التلمسانية والخبيصي على التهذيب، وشيخ الإسلام على الخزرجية، وعلى الشيخ عيد النمرمي شرح الورقات والسمقرندية وآداب البحث والعضدية، والعصام على السمرقندية وعلم الجبر والمقابلة والعروض وأعمال المناسخات والكسورات والأعداد الصم والغربال والمساحة والحساب، وعلى الشيج شلبي البراسي تلخيص المفتاح والمطول والتجويد، وعلى الشيخ محمد السجيني الضرير المكودى على الألفية والفاكهي وشرح الشذور وملاجاماي وشرح مختصر ابن الحاجب والمطول، وعلى الشيخ أحمد العمادي شرح الجوهرة لعبد السلام والسكتاني على الصغرى، وشرح مختصر السنوسي والكافي ونوادر الأصول والجامع الصغير وشرح المقاصد، وعلى الشيخ حسن المدابغي الأشموني على الألفية، وشرح المراح وقواعد الأعراب والمعغني، وعلى الشيخ الملوى شرحه على السلم وشرح معراج الغيطي وأوضح المسالك وأوائل الكتب الستة والمسلسلات والمسندات، وحضر أيضاً دروس الشيخ عبد الرؤوف البشبيشي وأبو العز العجمي وغيرهما، وجد في التحصيل حتى فاق أهل عصره

وباحث وناضل ودرس بالرواق في الفقه والمعقول، وبالسنانية ببولاق. وكان لجدته أم أبيه مكان مشرف على النيل بربع الخرنوب عندما كان النيل ملاصقاً لسدته فساكنها مدة، فكان يغدو إلى الجامع ثم يعود إلى بولاق وله حاصل بربع الخرنوب يجلس فيه حصة ثم يعود إلى السنانية فيملي هناك درساً ثم احترق ذلك المترل بما فيه وتلف يه أشياء كثيرة من المتاع والصيني

القديم، فانتقلت إلى مصر وكانوا يذهبون إلى مكان لها بمصر العتيقة في أيام النيل بقصد النزهة، وهي التي أعانته على تحصيل العلوم، اشتغاله بالعلم كان يعاني التجارة والبيع والشراء والمشاركة والمضاربة والمقايضة، وكانت جدته ذات غنية وثروة ولها أملاك وعقارات، ووقف عليه أماكن، ومنها الوكالة بالصنادقية والحوانيت بجوارها وبالغورية ومرجوش ومنزل بجوار المدرسة الأقبغاوية ورتبت في وقفها عدة خيرات ومكتب لإقراء أيتام المسلمين بالحانوت المواجه للوكالة المذكورة، وربعة تقرأ في كل يوم، وختمات في ليالي المواسم وقصعتي تريد في كل ليلة من ليالي رمضان، وثلاث جواميس تفرق على الفقهاء والأيتام والفقراء في عيد الأضحية. وتزج بجدته المذكورة بعد موت جده الأمير علي أغا باش اختيار متفرقة المعروف بالطورى، وتزووج المترجم بابنته وله حكم قلاع الطور والسويس والمويلح، وكانت إذ ذاك عامرة وبها المرابطون ويصرف عليهم العلوفات والاحتياجات. ولما مات لي أغا المذكور سنة سبع وثلاثين، تقلد ذلك بعده المترجم مدة مع كونه في عداد العلماء وربي معتوقيه عثمان وعليا و لم يزالا في كنفه حتى مات بعد مدة طويلة، وأرسل خادماً له يسعى سليمان الحصافي جربجياً على قلعة المويلح، فقتلوه هناك فتكدر لذلك، وترك هذا الأمر وأعرض عنه وأقبل على شأنه من الاشتغال، وماتت زوجته بنت الأمير علي أغا المذكور في حياة أبيها فتزوج ببنت رمضان جلبي بن يوسف المعروف بالخشاب تابع كور محمد، وهم بيت مجد وثروة ببولاق، ولهم أملاك وعقارات وأوقاف، ومن ذلك وكالة الكتان وربع وحوانيت تجاه جامع الزردكاش وبيت كبير بساحل النيل وآخر تجاه جامع مزره جربجي، وهو سكن رمضان جلبي المذكور، وكان إنساناً حسناً رقيق الحاشية وفيه فضيلة وسليفة جيدة.

ومات رمضان جلبي المذكور سنة 1139 واستمرت ابنته في عصمة المترجم حتى ماتت في المحرم سنة 1182 وعمرها ستون سنة. وكانت من الصالحات الخيرات المصونات وحجت صحبته في سنة إحدى وخمسين، وكانت به بارة وله مطيعة. ومن جملة برها له وطاعتها أنها كانت تشتري له من السرارى الحسان من مالها وتنظمهن بالحلي والملابس وتقدمهن له، وتعتقد حصول الأجر والثواب لها بذلك، وكان يتزوج عليها كثيراً من الحرائر ويشتري الجواري فلا تتأثر من ذلك ولا يحصل عندها ما يحصل في النساء من الغيرة. ومن الوقائع الغريبة أنه لما حج المترجم في سنة ست وخمسين: واجتمع به الشيخ عمر الحلبي بمكة، الوصي بأن يشتري له جارية بيضاء تكون بكراً دون البلوغ، وصفتها كذا وكذا، فلما عاد من الحج طلب من اليسرجية الجواري لينقي منهن المطلوب فلم يزل حتى وقع على الغرض، فاشتراها وأدخلها عند زوجته المذكورة حتى يرسلاه مع من أوصاه بإرسالها صحبته. فلما حضر وقت السفر أخبرها بذلك لتعمل لهم ما يجب من الزوادة، ونحو ذلك، فقالت له: إني أحبيت هذه الوصيفة حباً شديداً ولا أقدر على فراقها، وليس لي أولاد، وقد جعلتها مثل ابنتي، والجارية بكت أيضاً وقالت لا أفارق سيدتي ولا أذهب من عندها أبداً. فقال: وكيف يكون العمل؟ قالت ادفع ثمنها من عندي واشتري أنت غيرها، ففعل. ثم إنها أعتقتها وعقدت عليها وجهزتها وفرشت لها مكاناً على حدتها وبنى بها في سنة خمس وستين وكانت لا تقدر على فراقها ساعة مع كونها صارت ضرتها وولدت له أولاداً. فلما كان في سنة اثنتين وثمانين المذكورة مرضت الجارية فمرضت فقامت الجارية في ضحوة النهار فنظرت إلى مولاتها وكانت في حالة غطوسها، فبكت، وزاد بها الحال وماتت تلك الليلة، فأضجعوها بجانبها فاستيقظت مولاتها، آخر الليل وجستها بيدها وصارت تقول: إن قلبي يحدثني أنها ماتت ورأيت في منامي ما يدل على

ذلك، فلما تحققت ذلك قامت وجلس وهي تقول لا حياة لي بعدها وصارت تبكي وتنتحب حتى طلع النهار وشرعوا في تشهيلها وتجهيزها وغسلوها بين يديها وشالوا جنازتها، ورجعت إلى فراشها ودخلت فيسكرات الموت وماتت آخر النهار، وخرجوا بجنازتها أيضاً في اليوم الثاني. وهذا من أعجب ما شاهدته ورأيته ووعيته، وكان سني إذ ذاك أربع عشرة سنة. واشتغل المترجم في أيام اشتغاله بتجويد الخط فكتب على عبد الله أفندي الأنيس وحسن أفندي الضيائي طريقة الثلث والنسخ حتى أحكم ذلك، وأجازه الكتبة وأذنوه أن يكتب الإذن على اصطلاحهم، ثم جود في التعليق على أحمد أفندي الهندي النقاش لفصوص الخواتم حتى أحكم ذلك وغلب على خطه طريقته ومشى عليها، وكتب الديواني والقرمة وحفظ الشاهدى واللسان الفارسي والتركي حتى أن كثيراً من الأعاجم والأتراك يعتقدون أن أصله من بلادهم لفصاحته في التكلم بلسانهم ولغتهم. وفي سنة أربع وأربعين اشتغل بالرياضيات، فقرأ على الشيخ محمد النجاحي رقائق الحقائق للسبط المراديني والمجيب والمقنطر، ونتيجة اللادقي والرضوانية والدرلابن المجدى ومنحرفات السبط، وإلى هنا انتهت معرفة الشيخ النجاحي. وعند ذلك انفتح له الباب وانكشف عنه الحجاب وعرف السمت والارتفاع والتقاسم والأرباع والميل الثاني والأول والأصل الحقيقي والمعدل، وخالط أرباب المعارف وكل من كان من بحر الفن غارف، وحل الرموز وفتح الكنوز، واستخرج نتائج الدر اليتيم والتعديل والتقويم، وحقق أشكال الوسايط في المنحرفات والبسائط، والزيج والمحلولات وحركات التداوير والنطاقات، والتسهيل والتقريب والحل والتركيب، والسهام والظلال ودقائق الأعمال، وانتهت إليه الرياسة في الصناعة وأذعنت له أهل المعرفة بالطاعة، وسلم له عطارد وجمشيد الراصد وناظره المشتري، وشهد له الطوسي والأبهري وتبوأ من ذلك العلم مكاناً علياً وزاحم بمنكبه العيوق والثريا، وقدم القدوة العلامة والحكيم الفهامة الشيخ حسام الدين الهندي، وكان متضلعاً من العلوم الرياضية والمعارف الحكمية والفلسفية، فترل بمسجد في مصر القديمة واجتمع عليه بعض الطلبة، مثل الشيخ الوسمي والشيخ أحمد الدمنهوري، وتلقوا عنه أشياء في الهيئة فبلغ خبره المترجم فذهب إليه للأخذ عنه، فاغتبط به الشيخ وأحبه وأقبل بكليته عليه، فلم يزل به حتى نقله إلى داره وأفرد له مكاناً وأكرم نزله وقام بأوده، وطالع عليه الجغميني وقاضي زاده عليه

والتبصرة والتذكرة وهداية الحكمة لأثير الدين الأبهري، وما عليها من المواد والشروح مثل السيد والميبدى قراءة بحث وتحقيق وأشكال التأسيس في الهندسة وتحرير إقليدس والمتوسطات والمبادئ والغايات والأكر وعلم الارتماطيقي وجغرافيا وعلم المساحة وغير ذلك. ثم أراد أن يلقنه على الصنعة الإلهية وكان من الواصلين فهيا، فغالطه عن ذلك وأبت نفسه الاشتغال بسوى العلوم المهذبة للنفس، وكان يحكي عنه أموراً وعبارات وإشارات تشعر بأنه كان من الكمل الواصلي في كل شيء، ولم يزل عنده حتى عزم على الرحلة وسافر إلى بلاده. وقدم إلى مصر الإمام العلامة الشيخ محمد الغلاني الكشناوي وسكن بدرب الأتراك فاجتمع عليه المترجم وتلقى عنه علم الأوفاق، وقرأ عليه شرح منظومة الجزنائية للقوصوني والدر والترياق والمرجانية في خصوص المخمس الخالي الوسط والأصول والضوابط والوفق المئيني وعلم التكسير للحروف وغير ذلك، وسافر الشيخ إلى الحج وجاور هناك، فلما رجع أنزله عنده وصحبته زوجته وجواره وعبيده، وكمل عنده غالب مؤلفاته، ولم يزل حتى مات كما تقدم ذكر ذلك في ترجمته، ولقي المترجم في حجاته الشيخ النخلي وعبد الله بن سالم البصري وعمر بن أحمد ابن عقيل المكي والشيخ محمد حياة السندي الكوراني وأبو الحسن السندي والسيد محمد السقاف وغيرهم، وتلقى عنهم وأجازوه وتلقوا هم أيضاً عنه ولقنه الشيخ أبو الحسن السندي طريق السادة النقشبندية والأسماء الإدريسية.

وهذه صورة إجازة الشيخ عمر بن أحمد بن عقيل ومن خطه نقلت: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، خصوصاً أفضل أنبيائه وعترته الطاهرين وصحابته أجمعين: وبعد، فإن مما تطابقت عليه النصوص وتوافقت عليه ألسنة العموم والخصوص، أن الباحث عن السنة الغراء لاتباع هدى سيد الأنبياء، الموجب لمحبة ذي الآلاء والنعماء، هو الفائز بالقدح المعلى والمرفوع إلى المقام الأعلى، ومن المعلوم أنه لم يبق في زماننا ما يتداول منها إلا التعلل برسوم الإسناد بعد انتقال أهل الزمان والناد، فذو الهمة هو الذي يثابر على تحصيل أعلاه وينافس في فهم متنه ويفحص عن معناه ويناقش في رجاله الذين عليهم مغناه، ألا وهو الشيخ الأجل الراقي بعزمه المتين من العلم والعمل إلى أعلى محل سيدنا وأستاذنا الشيخ حسن بن المرحوم إبراهيم بن الشيخ حسن الجبرتي أمده الله بالمدد الإلهي، فطلب من هذا الفقير أن أجيزه، فلما لم أجد بداً من الامتثال قلت سائلاً التوفيق في الأول والفعال: أجزت مولانا الشيخ حسن المذكور المنوه بذكره أعلى السطور، أجزل الله تعالى له الأجور، ما يجوز لي وعني روايته منن مقروء ومسموع وأصول وفروع بشرطه المعتبر من تقوى الله والصيانة وضبط الألفاظ وسير الرجال والديانة، حسبما أجازني بذلك شيوخ أكابر عدة هم في الشدائد عدة، ومنهم بل من أجلهم سيدي وجدي لأمي بعد أن قرأت عليه جانباً كبيراً من كتب الحديث وغيره قراءة تحقيق وتدقيق، وغيره من الشيوخ أهل التوفيق، وقد سمع مولانا الشيخ حسن مني أوائل البخاري ومسلم وأبي داود والنسائي والترمذي وابن ماجه والموطأ فليروعني المجاز المذكور متى شاء مما اتصلت بي روايته متى أراد، رفع سند أو كتاب لمن هو منن أهل الدراية وهو دام أنسه وزكا قدسه في غنية عن ذلك، ولكن جرت العادة بأخذ الأكابر عن الأصاغر تكثيراً لسوادنا، فهي سنة الأوائل والأواخر. وكذلك أجزت له بالصلاة المشهورة النفع بهذه الصيغة: اللهم صل على سيدنا محمد وآله كما لا نهاية لكمالك وعد كمالله، حسبما أجازني بها مولانا الشيخ طاهر ابن الملا إبراهيم الكوراني عن شيخه حسن المنوفي مفتي الحنفية بالمدينة سابقاً عن شيخه مولانا الشيخ علي الشبراملسي، عن بعض أجلاء شيوخه، وأمره أن يصلي بها بين المغرب والعشاء بلا عدد معين، وبالمواظبة عليها يظهر نتائج فتحها خصوصاً لمبتغي هذا العلم المجد في طلبه من ذويه، نفعه الله تعالى بالعلم وجعله من أهليه، وقد أجزت الشيخ المذكور ضاعف الله تعالى له الأجور، بالأسماء الأربعينية الإدريسية السهروردية بقراءتها وإقرائها لخل صادق إن وجد، كما أجازني بذلك جملة من الشيوخ، وقد اتصل سندي بها أيضاً عن مولانا وسيدنا الأمجد مولانا الشيخ أحمد بن محمد النخلي أنزل عليه شآبيب الرحمة والغفران الواحد العلي، وهو يرويها عن الشيخ حجازي الدير بي عن الشيخ شهاب الدين أحمد بن علي الخامي الشناوي، وأجازه شيخه أيضاً بشرحها للشيخ عثمان النحراوي: قال الشيخ عثمان: أجازني بالأسماء الإدريسية العظام الشيخ كمال الدين السوداني وهو يرويها عن شيخه أبي المواهب أحمد الشناوي، عن السييد صبغة الله أحمد، عن السيد وجيه الدين العلوي، عن الحاج حميد الشهير بالشيخ محمد الغوث، عن الحاج حصور، عن أبي الفتح هدية الله سيرمست، عن الشيخ قاضن الستاري، عن الشيخ ركن الدين حينووری، عن الشيخ يابوتاج الدين، عن السيد جلال الدين البخاري، عن الشيخ ركن الدين أبي الفتح، عن الشيخ صدر الدين أبي الفضل، عن الشيخ أبي البركات بهاء الدين زكريا، عن شيخ الشيوخ شهاب الدين السهروردي، عن سيدي وجيه الدين المعروف بعمويه، عن الشيخ أحمد أسود الدينوري، عن الشيخ ممشاد الدينوري، عن الشيخ أبي القاسم الجنيد البغدادي، عن خاله سري السقطي، عن الشيخ معروف الكرخي، عن الشيخ داود الطائي، عن

الشيخ حبيب العجمي، عن سيد التابعين حسن البصري، عن إمام المشارق والمغارب سيدنا علي بن أبي طالب، عن سيدنا ومولانا سيد الخلق حبيب الحق عبده ورسوله وحبيبه وصفيه وخليله النبي الرسول الحاوي لجميع الكمالات الأصلية والفرعية الجامع لكل الصفات السنية والمراتب العلية، المبعوث لكل الخلق المتخصص بالقرب من العالم الحق، سيد الكونين والثقلين والفريقين من عرب ومن عجم محمد صلى الله عليه وسلم، قال

ذلك بفمه وكتبه بقلمه أسير ذنبه عمر بن أحمد بن عقيل السقاف بأعلوى حفيد مولانا الشيخ عبد الله بن سالم البصري غفا الله تعالى عنهم أجمعين، سائلاً من الشيخ المذكور أن لا ينساني وأصولي ومشايخي في الدين وجميع أقاربي من صالح الدعوات في خلواته وجلواته وحركاته وسكناته، وأوصيه بما أوصي به نفسي وسائر المسلمين من ملازمة التقوى وكمال الاستعداد واتباع سبيل الهدى والرشاد، وأسأل الله تعالى الكريم المنان أن يوفقني وإياه والمسلمين لصالح القول والعمل ويجنبنا الخطأ والزلل، ويجعلنا من العلماء العاملين والهداة الراشدين، وأن يميتنا على سنة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحابته أجمعين في كل وقت وحين. وللمترجم أشياخ غير هؤلاء كثيرون اجتمع بهم وتلقى عنهم وشاركهم وشاركوه، مثل علي أفندي الداغستاني والشيخ عبد ربه سليمان بن أحمد الفشتالي الفاسي والشيخ عبد اللطيف الشامي والجمال يوسف الكلارجي والشيخ رمضان الخوانكي والشيخ محمد النشيلي والشيخ عمر الحلبي والشيخ حسين عبد الشكور المكي والشيخ إبراهيم الزمزي وحس أفندي قطعة مسكين، وأحمد أفندي الكرتلي والأستاذ عبد الخالق بن وفي، وكان خصيصاً به وأجازه بالأحزاب، وهو الذي كناه بأبي التداني وألبسه التاج الوفائي، والسيد مصطفى العيدروس وولده السيد عبد الرحمن والسيد عبد الله العيدروسي والشيخ علي بندق الشناوي الأحمدي، وكثير من المشايخ الأزهرية مثل السيد محمد البنوفري والشيخ عمر الإسقاطي والشيخ أحمد الجوهري والشيخ أحمد الدجلي بن خال المترجم والشيخ أحمد الراشدي والشيخ إبراهيم الحلبي صاحب حاشية الدر والسيد سعودي محشي ملا مسكين وغيرهم من الأكابر والأخيار وأهل الأسرار والأنوار، حتى كمل في المعارف والفنون ورمقته بالإجلال العيون وعلا شأنه على علماء الزمان، وتميز بين الأقران وأذعنت له أهل الأذواق وشاع ذكره في الآفاق، ووفدت عليه الطلاب البلدانية والواردون من النواحي الآفاقية، وأتوا إليه من كل فج يسعون لميقاته ولزموا الطواف بكعبة فضله والوقوف بعرفاته، فمنهم من ينفر بعد إتمام نسكه وبلوغ أمنيته ومنهم من يواظب على الاعتكاف بساحته، وكان رحمه الله عذب المورد للطالبين طلق المحيا للواردين، يكرم كل من أم حماه ويبلغ الراجي مناه والمقتفي جدواه، والراغب أقصى مرماه، مع البشاشة والطلاقة وسعة الصدر والرياقة، وعدم رؤية المنة على المحتدى ومسامحة الجاهل والمعتدى، مع حسن الأخلاق والصفات التي سجدت لها الخناصر كأنها آيات سجدات وكانت ذاته جامعة للفضائل والفواضل منزهة عن النقائص والرذائل وقوراً محتشماً مهيباً في الأعين معظماً في النفوس محبوباً للقلوب لا يعادي أحداً ولا يخاصم على الدنيا، فلذلك لا تجد من يكرهه ولا من ينقم عليه في شيء من الأشياء، وأما مكارم الأخلاق والحلم والصفح والتواضع والقناعة وشرف النفس وكظم الغيظ والانبساط إلى الجليل والحقير، كل ذلك سجيته وطبعه من غير تكلف لذلك، ولا يرى لنفسه مقاماً أصلاً ولا يعرف التصنع في الأمور ولا دعوى علم ولا معرفة ولا مشيخة على التلاميذ والطلبة، ولا يرضى التعاظم ولا تقبيل اليد، وله منزلة عظيمة في قلوب الأكابر والأمراء والوزراء والأعيان، ويسعون إليه ويذهب إليهم لبعض المقتضيات والشفاعات، ويرسل إليهم فلا يردون شفاعته ولا يتوانون في حاجة يتكلم فيها، وله عندهم محبة ومنزلة في قلوبهم زيادة عن نظرائه من الأشياخ

لمعرفته بلسانهم ولغتهم واصطلاحهم ورغبتهم فيما يعلمونه فيه من المزايا والأسرار والمعارف المختص بها دون غيره، وخصوصاً أكابر العثمانيين والوزراء وأهل العلوم والفضلاء منهم، مثل علي باشا ابن الحكيم وراغب باشا وأحمد باشا الكور وغيرهم، ويأتون إليه أحياناً في التبديل. وأكرموه وهادوه كل ذلك مع العفة والعزة وعدم التطلع لشيء من أسباب الدنيا بوظيفة أو مرتب أو فائظ أو نحو ذلك. وكان بينه وبين الأمير عثمان بك ذي الفقار صحبة ومحبة، وحج في أيام إمارته على الحج مرافقاً له ثلاث مرات من ماله وصلب حاله، و لم يصله منه سوى ما كان يرسله إليه على سبيل الهدية، وكان مترل سكنه الذي بالصنادقية ضيقاً من أسفل وكثير الدرج، فعالجه إبراهيم كتخدا على أن يشتري له أو يبني له داراً واسعة فلم يقبل، وكذلك عبد الرحمن كتخدا، وكان له ثلاثة مساكن أحدها هذا

المترل بالقرب من الأزهر، وآخر بالإبزارية بشاطئ النيل، ومترل زوجته القديمة تجاه جامع مرزه. وفي كل مترل زوجة وسرار وخدم، فكان ينتقل فيها مع أصحابه وتلامذته، وكان يقتني المماليك والعبيد والجواري البيض والحبوش والسود ومات له من الأولاد نيف وأربعون ولداً ذكوراً وإناثاً كلهم دون البلوغ، و لم يعش له من الأولاد سوى الحقير وكان يرى الاشتغال بغير العلم من العبثيات، وإذا أتاه طالب فرح به وأقبل عليه ورغبه وأكرمه وخصوصاً إذا كان غريباً، وربما دعاه للمحاورة عنده، وصار من جملة عياله، ومهم من أقام عشرين عاماً قياماً ونياماً لا يتكلف إلى شيء من أمر معاشه حتى غسل ثيابه من غير ملل ولا ضجر. وأنجب عليه كثير من علماء وقته المحققين طبقة بعد طبقة مثل الشيخ أحمد الراشدي والشيخ إبراهيم الحلبي والشيخ مصطفى أبي الإتقان الخياط والسيد قاسم التونسي والشيخ العلامة أحمد العروسي والشيخ إبراهيم الصيحاني المغربي، والطبقة الأخيرة التي أدركناها مثل الشيخ أبي الحسن القلعي والشيخ عبد الرحمن البناني. وأما الملازمون له فهم الشيخ محمد ابن اسعميل النفراوي والشيخ محمد الصبان والشيخ محمد عرفة الدسوقي والشيخ محمد الأمير والشيخ محمد الشافعي الجناجي المالكي والشيخ مصطفى الريس البولاقي والشيخ محمد الشوبري والشيخ عبد الرحمن العريشي والشيخ محمد الفرماوي، وهؤلاء كانوا المختصين به الملازمين عنده ليلاً ونهاراً، وخصوصاً الشيخ محمد النفراوي والصبان ومحمد أفندي النيشي والفرماوي والشيخ محمد الأمير والشيخ محمد عرفة. فإنهم كانوا بمترلة أولاده وخصوصاً الأولين، فإنهما كانا لا يفارقانه إلا وقت إقراء دروسهما وكان يباسط أخصاءه منهم ويمازحهم ويروحهم بالمناسبات والأدبيات والنوادر والأبيات الشعرية والمواليات والمجونيات والحكايات اللطيفة والنكات الظريفة، وينتقلون صحبته في منازل بولاق ومواطن الترهة فيقطعون الأوقات ويشغلونها حصة في مدارسة العلم وأخرى في مطارحات المسائل وأخرى للمفاكهة والمباسطة والنوادر الأدبية. ومن الملازمين على الترداد عليه والأخذ عنه الشيخ محمد الجوهري والشيخ سالم القيرواني ومحمد أفندي مفتي الجزائر والسيد محمد الدمرداش وولداه السيد عثمان والسيد محمد. وممن تلقى عنه شيخ الشيوخ الشيخ علي العدوي تلقى شرح الزيلعي على الكتر في الفقه الحنفي وكثيراً من المسائل الحكمية. ولما قرأ كتاب المواقف فكان يناقشه في بعض المسائل محققو الطلبة فيتوقف في تصويرها لهم فيقوم من حلقته ويقول لهم: اصبروا مكانكم حتى أذهب إلى من هو أعرف مني بذلك وأعود إليكم. ويأتي إلى المترجم فيصورها له بأسهل عبارة، ويقوم في الحال فيرجع إلى درسه ويحققها لهم وهذا من أعظم الديانة والإنصاف. وقد تكرر منه ذلك غير مرة، وكان يقول عنه لم نر و لم نسمع من توغل في علم الحكمة والفلسفة وزاد إيمانه إلا هو رحم الله الجميع. وممن تلقى عنه من أشياخ العصر العلامة الشيخ محمد المصيلحي والعلامة الشيخ حسن الجداوي والشيخ محمد المسودي والشيخ أحمد بن يونس،

والشيخ محمد الهلباوي والشيخ أحمد السجاعي لازمه كثيراً وأخذ عنه في الهيئة والفلكيات والهداية، وألف في ذلك متوناً وشروحاً وحواشي. وأما من تلقى عنه من الآفاقيين وأهالي بلاد الروم والشام وداغستان والمغاربة والحجازيين فلا يحصون، وأجل الحجازيين الشيخ إبراهيم الزمزمي. وأما ما اجتمع عنده وما اقتناع من الكتب في سائر العلوم فكير جداً قلما اجتمع ما يقاربها في الكثرة عند غيره من العلماء أو غيرهم. وكان سموحاً بإعارتها وتغييرها للطلبة، وذلك كان السبب في إتلاف أكثرها وتخريمها وضياعها، حتى أنه كان أعد محلاً في المترل ووضع فيه نسخاً من الكتب المستعملة التي يتداول علماء الأزهر قراءتها للطلبة مثل الأشموني وابن عقيل والشيخ خالد وشروحه والأزهرية وشروحها والشذور، وكذلك من كتب التوحيد مثل شروح الجوهرة والهدهدى وشرح السنوسية والكبرى والصغرى، وكتب المنطق والاستعارات والمعاني، وكذلك كتب الحديث والتفسير والفقه في المذاهب وغير ذلك، فكانوا يأتون إلى ذلك المكان ويأخذون ويغيرون وينقلون من غير استئذان فمنهم من يأخذ الكتاب ولا يرده ومنهم من يهمل التغيير فتضيع الكراريس، ومنهم من يسافر ويتركها عند غيره، ومنهم من يهمل آخر الكتاب ويتفق أن الاثنين

والثلاثة يشتركون في الكتاب الواحد والنسخة الواحدة، ولا بد من حصول التلف من أحدهم ولا بد من حصول الضياع والتلف في كل سنة، وخصوصاً في أواخر الكتب عندما تفتر هممهم. وأكثر الناس منحرفو الطباع معوجو الأوضاع؟ واقتنى أيضاً كتباً نفيسة خلاف المتداولة، وأرسل إليه السلطان مصطفى نسخاً من خزائنه وكذلك أكابر الدولة بالروم ومصر وباشة تونس والجزائر، واجتمع لديه من كتب الأعاجم مثل الكلستان وديوان حافظ وشاه نامه وتواريخ العجم وكليلة ودمنة ويوسف زليخا وغير ذلك، وبها من التشاويه والتصاوير البديعة الصنعة الغريبة الشكل وكذلك الآلات الفلكية من الكرات النحاس التي كان اعتنى بوضعها حسن أفندي الروزنامجي بيد رضوان أفندي الفلكي كما تقدم في ترجمتها. ولما مات حسن أفندي المذكور اشترى جميعها من تركت وكذلك غيرها من الآلات الارتفاعية والميالات وحلق الأرصاد والاسطرلابات والأرباع والعدد الهندسية، وأدوات غالب الصنائع مثل التجارين والخراطين والحدادين والسمكرية والملجدين والنقاشين والصواغ وآلات الرسم والتقاسيم، ويجتمع به كل متقن وعارف في صناعته مثل حسن أفندي الساعاتي وكان ساكناً عنده وعابدين أفندي الساعاتي وعلي أفندي رضوان وكان من أرباب المعارف في كل شيء، ومحمد أفندي الإسكندراني والشيخ محمد الأقفالي وإبراهيم السكاكيني والشيخ محمد الزبداني، وكان فريداً في صناعة التراكيب والتقاطير واستخراج المياه والأدهان وغير هؤلاء ممن رأيت، ومن لم أر وحضر إليه طلاب من الإفرنج وقرأوا عليه علم الهندسة وذلك سنة تسع وخمسين وأهدوا له من صنائعهم وآلاتهم أشياء نفيسة، وذهبوا إلى بلادهم ونشروا بها ذلك العلم من ذلك الوقت، وأخرجوه من القوة إلى الفعل واستخرجوا به الصنائع البديعة مثل طواحين الهواء وجر الأثقال واستنباط المياه وغير ذلك. وفي أيام اشتغاله بالرسم رسم ما لا يحصى من المنحرفات والمزاول على الرخامات والبلاط الكذان ونصبها في أماكن كثيرة ومساجد شهيرة، مثل الأزهر والأشرفية وقوصون، ومشهد الإمام الشافعي والسادات. وفي الآثار مناه ثلاثة واحدة بأعلى القصر وأخرى على البوابة، وأخرى عظيمة بسطح الجامع بقي منها قطعة وكسر باقيها، فراشو الأمراء الذين كانوا يترلون هناك للتراهة ليمسحوا بها صواني الأطعمة السفر وكذلك بورد أن بالتماس مصطفى أغا الورداني وكذلك بحوش مدفن الرزازين بالتماس رضوان جربجي الرزاز رحمه الله، ولما تمهر الآخذون عنه والملازمون عنده ترك الاشتغال بذلك وأحال الطلاب عليهم، فإذا كان الطالب من

أبناء العرب تتقيد بتلميذه الشيخ محمد ابن اسمعيل النفراوي، وإن كان من الأعاجم والأتراك تقيد بمحمود أفندي النيشي. واشتغل هو بمدارسة الفقه وإقرائه ومراجعة الفتاوى والتحري في الفروع الفقهية والمسائل الخلاقية، وانكب عليه الناس يستفتونه في وقائعهم ودعاويهم. وتقرر في أذهانهم تحريه الحق والنصوص، حتى أن القضاة لا يثقون إلا بفتواه دون غيره، وتقيد للمراجعة عنده الشيخ عبد الرحمن العريشي، فانفتحت قريحته وراج أمره وترشح بعده للإفتاء. وكان المترجم لا يعتني بالتأليف إلا في بعض التحقيقات المهمة، منها نزعة العينين في زكاة المعدنين، ورفع الأشكال بظهور العشر في العشر في غالب الأشكال، والأقوال المعربة عن أحوال الأشربة، وكشف اللثام عن وجوه مخدرات النصف الأول من ذوي الأرحام، والوشي المجمل في النسب المحمل، والقول الصائب في الحكم على الغائب، وبلوغ الآمال في كيفية الاستقبال، والجداول البهية برياض الخزرجية في علم العروض، وإصلاح الأسفار عن وجوه بعض مخدرات الدر المختار، ومآخذ الضبط في اعتراض الشرط على الشرط، والنسمات الفيحية على الرسالة الفتحية، والعجالة على أعدل آلة، وحقائق الدقائق على دقائق الحقائق، وأحصر المختصرات على ربع المقنطرات، والثمرات المجنية من أبواب الفتحية، والمفصحة فيما يتعلق بالأسطحة، والدر الثمين في علم الموازين، وحاشية على شرح قاضي يزادة على الجغميني لم تكمل، وحاشية على الدر المختار لم تكمل، ومناسك الحج، وغير ذلك جواش وتقييدات على العصام والحفيد والمطول والمواقف والهداية في الحكمة والبرزنجي على قاضي زاده، وأمثله وبراهين هندسية شتى. وما له من الرسومات المخترعة والآلات النافعة المبتدعة ومنها الآلة المربعة لمعرفة الجهات،

والسمت والانحرافات بأسهل مأخذ وأقرب طريق، والدائرة التاريخية وبركار الدرجة. واتفق أنه في سنة اثنتين وسبعين وقع الخلل في الموازين والقبابين وجهل أمر وضعها ورسمها وبعد تحديدها وريحها ومشيلها واستخراج رمامينها، وظهر فيها الخطأ واختلفت مقادير الموزونات وترتب على ذلك ضياع الحقوق وتلاف الأموال، وفسد على الصناع تقليدهم الذي درجوا عليه، فعند ذلك تحركت همة المترجم لتصحيح ذلك، وأحضر الصناع لذلك من الحدادين والسباكين، وحرر المثاقيل والصنج الكبار والصغار والقرسطونات، ورسمها بطريق الاستخراج على أصل العلم العملي والوضع الهندسي، وصرف على ذلك أموالاً من عنده ابتغاء لوجه الله، ثم أحضر كبار القبانية والوزانين مثل الشيخ علي خليل والسيد منصور والشيخ علي حسن والشيخ حسن ربيع وغيرهم، وبين لهم ما هم عليه من الخطأ وعرفهم طريق الصواب في ذلك، وأطلعهم على سر الوضع والصنعة ومكنونها، وأحضروا العدد وأصلحوا منها ما يمكن إصلاحه، وأبطلوا ما تقادم وضعه وفسدت لقمه، ومراكزه وقديوا بصناعة ذلك الأسطى مراد الحداد ومحمد ابن عثمان، حتى تحررت الموازين وانضبط أمرها وانصلح شأنها. وسرت في الناس العدالة الشرعية المأمورين بإقامتها، واستمر العمل في ذلك أشهراً، وهذا هو السبب الحامل له على تصنيف الكتاب المذكور وهذا هو ثمرة العلم ونتيجة المعرفة والحكمة، المشار إليها بقوله تعالى: يؤتي الحكمة من يشاء. ولما وصل إلى مصر الشيخ إبراهيم بن أبي البركات العباسي البغدادي الشهير بابن السويدي في سنة 1175، وكان إماماً فاضلاً فصيحاً مفوهاً ينظم الشعر بالإملاء ارتجالاً في أي قافية من أي بحر من غير تكلف، فأنزله المترجم وأكرمه واغتبط به وصار يتنقل صحبته مع الجماعة بمنازل بولاق والمنتزهات. واتفق أنه تمرض أياماً فأقام بمنزل بولاق المشرف على النيل فقيد به من يعوله ويخدمه ويعلل مزاجه، فكان كلما اختلى بنفسه وهبت عليه النسمات الشمالية والنفحات البحرية أخذ القلم ببنانه ونقش على أخشابه وحيطانه، فكتب نحو العشرين قصيدة على مواقف عديدة، كلها مدائح في المذكور والرياض والزهور، والكوثر والسلسبيل وجريان النيل، وتركت

بحالها وذهبت كغيرها. وفي سنة تسع وسبعين توفي ولده أخي لأبي أبو الفلاح علي وقد بلغ من العمر اثنتي عشرة سنة. فحزن عليه وانقبض خاطره وانحرف مزاجه وتوالت عليه النوازل وأوجاع المفاصل وترك الذهاب إلى بولاق وغيرها، ونقل العيال من هناك ولازم البيت الذي بالصنادقية، واقتصر عليه، وفتر عن الحركة إلا في النادر. وصار يملي الدروس بالمترل ويكتب على الفتاوى ويراجع المسائل الشرعية والقضايا الحكمية مع الديانة والتحري والمراجعة والاستنباط والقياس الصحيح ومراعاة الأصول والقواعد ومطارحات لتحقيقات والفوائد. وتلقي الوافدين وإكرام الواردين وإطعام الطعام وتبليغ االقاصد المرام، ومراعاة الأقارب والأجانب مع البشاشة ولين الجانب وسعة الصدر وحسن الأخلاق مع الخلان والأصحاب والرفاق، ويخدم بنفسه جلاسه ولا يمل معهم إيناسه، ولا يبخل بالموجود ولا يتكلف المفقود ولا يتصنع في أحواله ولا يتمشدق في أقواله، ويلاحظ السنة في أفعاله. ومن أخلاقه أنه كان يجلس بآخر المجلس على أي هيئة كان بعمامة وبدونها، ويلبس أي شيء كان ويتحزم ولو بكنار الجوخ أو قطعة خرقة أو شال كشميري أو محزم، ولا ينام على فراش ممهد بل ينام كيفما اتفق، وكان أكثر نومه وهو جالس وله مع الله جانب كبير كثير الذكر دائم المراقبة والفكر، ينام أول الليل ويقوم آخره، فيصلي ما تيسر من النوافل والوتر ثم يشتغل بالذكر حتى يطلع الفجر، فيصلي الصبح ويجلس كذلك إلى طلوع الشمس، فيضطجع قليلاً أو ينام وهو جالس مستنداً، وهذا دأبه على الدوام. ويحاذر الرياء ما أمكن وكان يصوم رجب وشعبان ورمضان، ولا يقول إني صائم وربما ذهب بعض الأعيان أو دعي إلى وليمة فيأتون إليه بالقهوة والشربات، فلا يرد ذلك بل يأخذها ويوهم الشرب وكذلك الأكل، ويضايع ذلك بالمؤانسة والمباسطة مع صاحب المكان والجالسين. وكان مع مسايرته للناس وبشاشته ومخاطبته لهم على قدر عقولهم عظيمة الهيبة في نفوسهم وقوراً محتشماً ذا جلال وجمال. وسمعت مرة شيخنا سيدي محموداً الكردي يقول: أنا عندما كنت أراه داخلاً في دهليز الجامع يداخلني منه هيبة عظيمة وأدخل إلى رواقنا

وأنظر إليه من داخل، وأسأل المجاورين عنه فيقولون لي هذا الشيخ الجبرتي، فأتعجب لما يداخلني من هيبته دون غيره من الأشياخ، فلما تكرر علي ذلك أخبرت الأستاذ الحنفي فتبسم وقال لي نعم إنه صاحب أسرار. وكان مربوع القامة ضخم الكراديس أبيض اللون عظيم اللحية منور الشيبة واسع العينين غزير شعر الحاجبين وجيه الطلعة، يهابه كل من يراه ويود أنه لا يصرف نظره عن جميل محياه. ولم يزل على طريقته المفيدة وأفعاله الحميدة إلى أن آذنت شمسه بالزوال وغربت بعدما طلعت من مشرق الإقبال، وتعلل اثني عشر يوماً بالهيضة الصفراوية، فكان كلما تناول شيئاً قذفته معدته عندما يريد الاضطجاع إلى أن اقتصر على المشروبات فقط، وهو مع ذلك لا يصلي إلا من قيام. ولم يغب عن حواسه وكان ذكره في هذه المدة يقرأ الصمدية مرة ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم بالصيغة السنوسية كذلك، ثم الاسم العشرين من الأسماء الإدريسية وهو: يا رحيم كل صريخ ومكروب وغياثه ومعاذه، هكذا كان دأبه ليلاً نهاراً، حتى توفي يوم الثلاثاء قبيل الزوال غرة شهر صفر من السنة، وجهز في صبحة يوم الأربعاء وصلي عليه بالأزهر بمشهد حافل جداً، ودفن عند أسلافه بتربة الصحراء بجوار الشمس البابلي والخطيب الشربيني، ومات وله من العمر سبع وسبعون سنة.

ومات الإمام العلامة الفقيه المعمر الشيخ أحمد بن محمد الحماقي الحنفي، كان أبوه من كبار علماء الشافعية فتحنف هذا بأذن الإمام الشافعي والشيخ أحمد البنوفري والشيخ سليمان المنصوري وغيرهم، وتصدر رضي الله عنه لرؤيا رآها، وكان يخبر بها من لفظه، وتلقى عن أئمة عصره كالشيخ أحمد الدقدوسي والشيخ علي العقدي ومحمد عبد العزيز الزيادي والشيخ أحمد

البنوفري، والشيخ سليمان المنصوري وغيرهم وتصدر للإقراء والتدريس بالجامع الأزهر مدة سنين، ثم تولى مشيخة إفتاء الحنفية بعد موت الشيخ حسن المقدسي. وكان إنساناً حسناً دمث الأخلاق حسن العشرة صافي الطوية عارفاً بفروع المذهب لين الجانب لا يتحاشى الجلوس في الأسواق والقهاوي، وكان إخوانه من أهل العلم ينقمون عليه في ذلك فلا يبالي باعتراضهم، و لم يزل حتى توفي في سحر ليلة الجمعة خامس عشرى صفر من السنة رحمه الله.

ومات الإمام الفقيه العلامة المحدث الفرضي الأصولي الورع الزاهد الصالح الشيخ أحمد بن محمد بن محمد بن شاهين الراشدي الشافعي الأزهري، ولد بالراشدية قرية بالغربية سنة 1118، وبها نشأ وحفظ القرآن وجوده، وقدم الأزهر فتفقه على الشيخ مصطفى العزيزي والشيخ مصطفى العشماوي، وأخذ الحساب والفرائض عن الشيخ محمد الغمري، وسمع الكتب الستة على الشيخ عيد النمرسي بطرفيها وبعضها على الشيخ عبد الوهاب الطندتاوي وسيدي محمد الصغير، وله شيوخ كثيرون. ورافق الشيخ الوالد وعاشره مدة طويلة وتلقى عنه وهو أحد أصحابه من الطبقة الأولى، و لم يزل محافظاً على وده وتردده ومؤانسته ويتذكر الأزمان السالفة والأيام الماضية، وله شيوخ كثيرون. وكان من جملة محفوظاته البهجة الوردية وقد انفرد في عصره بذلك واعتني بالكتب الستة كتابة ومقابلة وتصحيحاً، وكان حسن التلاوة للقرآن حلو الأداء مع معرفته بأصول الموسيقى، ولذلك ناطت به رغبة الأمراء فصلى إماماً بالأمير محمد بك ابن اسمعيل بك مع كمال العفة والوقار والانجماع عن الناس، حتى أن كثيراً منهم يود أن يسمع منه خرباً من القرآن فلا يمكنه ذلك، ثم أقلع عن ذلك وأقبل على إفادة الناس فقرأ المنهج مراراً وابن حجر على المنهاج مراراً، وكان يتقنه ويحل مشكلاته بكمال التؤدة والسكينة، فاستمر مدة يقرأ دروسه بمدرسة السنانية قرب الأزهر، ثم انتقل إلى زاوية قرب المشهد الحسيني، وكان تقرير مثل سلاسل الذهب في حسن السبك، وقد انتفع به كثير من الأعلام، ولما بنى المرحوم محمد بك أو الذهب المدرسة تجاه الجامع الأزهر في هذه السنة راوده أن يكون خطيباً بها فامتنع، فألح عليه وأرسل له صرة فيها دنانير لها صورة، فأبى أن يقبل ذلك ورده فألح عليه، فلما أكثر عليه خطب بها أول جمعة وألبسه فروة سمور وأعطاه صرة فيها دنانير فقبلها كرهاً، ورجع إلى منزله محموماً، يقال فيما بلغني أنه طلب من الله أن لا يخطب بعد ذلك فانقطع في منزله مريضاً إلى أن توفي ليلة الثلاثاء ثاني شوال من السنة، وجهز ثاني يوم وصلى عليه بالأزهر في مشهد حافل، ودفن بالقرافة الصغرى تجاه قبة أبي جعفر الطمحاوي و لم يخلف بعده في جمع الفضائل مثله. وكان صفته نحيف البدن منور الوجه والشيبة ناتئ الجبهة ولا يلبس زي الفقهاء ولا العمامة الكبيرة، بل يلبس قاووقاً لطيفاً فتلي ويركب بغلة وعليها سلخ شاة أزرق. وأخذ كتبه الأمير محمد بك ووقفها في كتبخانته التي جعلها بمدرسته وكان لها جرم وكلها صحيحة مخدومة وسرق غالبها.

ومات الشيخ الصالح سعد بن محمد بن عبد الله الشنواني، حصل في مباديه شيئاً كثيراً من العلوم ومال إلى فن الأدب، فمهر فيه وتنزل قاضياً في محكمة باب الشعرية بمصر وكان إنساناً حسناً بينه وبين الفضلاء مخاطبات ومحاورات، وشعره حسن مقبول وله قصائد ومدائح في الأولياء وغيرهم أحسن فيها، و لم أعثر على شيء منها، وجدد له شيخنا السيد مرتضى نسبة إلى الشيخ شهاب الدين العراقي دفين شنوان. توفي يوم السبت خامس جمادى الثانية من السنة، وقد جاوز السبعين رحمه الله.

ومات العلامة الفقيه الصالح الدين الشيخ علي بن حسن المالكي الأزهري، قرأ على الشيخ علي العدوي وبه تخرج، وحضر

غيره من الأشياخ ومهر في الفقه والمعقول، وألقى دروساً بالأزهر ونفع الطلبة، وكان ملازماً على قراءة الكتب النافعة للمبتدئين مثل أبي الحسن وابن تركي والعشماوية في الفقه وفي النحو الشيخ خالد والأزهرية والشذور، وحلقة درسه عظيمة جداً وكان لسانه أبداً متحركاً بذكرى الله. توفي ليلة الخميس منتصف ربيع الأول من السنة، ودفن بالمجاورين.

ومات الشيخ الإمام المحدث البارع الزاهد الصوفي محمد بن أحمد ابن سالم أبو عبد الله السفريني النابلسي الحنبلي، ولد كما وجد بخطه سنة 1114 تقريباً بسفارين وقرأ القرآن في سنة إحدى وثلاثين في نابلس، واشتغل بالعلم قليلاً وارتحل إلى دمشق سنة ثلاث وثلاثين، ومكث بها قدر خمس سنوات، فقرأ بها على الشيخ عبد القادر التغلبي دليل الطالب للشيخ مرعي الحنبلي من أوله إلى آخر قراءة تحقيق، والإقناع للشيخ موسى الحجازة، وحضره في الجامع الصغير للسيوطي بين العشائين وغيره مما كان يقرأ عليه في سائر أنواع العلوم، وذاكره في عدة مباحث من شرحه على الدليل، فمنها ما رجع عنها ومنها ما لم يرجع لوجود الأصول التي نقل منها، وكان يكرمه ويقدمه على غيره، وأجازه بما في ضمن ثبته الذي خرجه له الشيخ محمد بن عبد الرحمن الغزى في سنة خمس وثلاثين، وعلى الشيخ عبد الغني النابلسي الأربعين النووية وثلاثيات البخاري والإمام أحمد، وحضر دروسه في تفسير القاضي وتفسيره الذي صنفه في علم التصوف، وأجازه عموماً بسائر ما يجوز له وبمصنفاته كلها، وكتب له إجازة مطولة وذكر فيها مصنفاته، وعلى الشيخ عبد الرحمن المجلد ثلاثيات البخاري، وحضر دروسه العامة، وأجازه وعلى الشيخ عبد السلام ابن محمد الكاملي بعض كتب الحديث وشيئاً من رسائل أخوان الصفا، وعلى ملا الياس الكوراني كتب المعقول، وعلى الشيخ اسمعيل بن محمد العجلوني الصحيح بطرفيه مع مراجعة شروحه الموجودة في كل رجب وشعبان ورمضان من كل سنة مدة إقامته بدمشق، وثلاثيات البخاري وبعض ثلاثيات أحمد وشيئاً من الجامع الصغير مع مراجعة شرحه للمناوي والعلقمي، وشيئاً من الجامع الكبير وبعضاً من كتاب الإحياء مع مراجعة تخريج أحاديثه للزين العراقي والأندلسية في العروض مع مطالعة بعض شروحها، وبعضاً من شرح شذور الذهب وشرح رسالة الوضع مع حاشيته التي ألفها وحاشية ملا الياس، وأجازه بكل ذلك وبما يجوز له روايته، وعلى الشيخ أحمد بن علي المنيني شرح جمع الجوامع للمحلى، وشرح الكافية لملا جامي وشرح القطر للفاكهي، وحضر دروسه للصحيح وشرحه على منظومة الخصائص الصغرى للسيوطي، وقد أجازه بكل ذلك إجازة مطولة كتبها بخطه وعلى الشيخ محمد بن عبد الرحمن الغزي بعضاً من شرح ألفية لعراقي لزكريا وأول سنن أبي داود، وعلى قريبه الشيخ أحمد الغزي غالب الصحيح بالجامع الأموي بحضرة جملة من كبار شيوخ المذاهب الأربعة، وعلى الشيخ مصطفى بن سوار أول صحيح مسلم، وعلى حامد أفندي مفتي الشام المسلسل بالأولية وثلاثيات البخاري وبعض ثلاثيات أحمد، وحج سنة ثمان وأربعين، فسمع بالمدينة على الشيخ محمد حياة المسلسل بالأولية وأوائل الكتب الستة، وتفقه على شيخ المذهب مصطفى بن عبد الحق اللبدي وطه بن أحمد اللبدي ومصطفى بن يوسف الكرمي وعبد الرحيم الكرمي والشيخ المعمر السيد هاشم الحنبلي والشيخ محمد السلقيني وغيرهم، ومن شيوخه الشيخ محمد الخليلي سمع عليه أشياء والشيخ عبد الله البصروي سمع عليه ثلاثيات أحمد مع المقابلة بالأصل المصحح والشيخ محمد الدقاق أدركه بالمدينة وقرأ عليه أشياء، واجتمع بالسيد مصطفى البكري فلازمه وقرأ عليه مصنفاته، وأجازه بما له وكتب له بذلك، وله شيوخ أخر غير من ذكرت وله مؤلفات منها شرح عمدة الأحكام للحافظ عبد الغني في مجلدين، وشرح ثلاثيات أحمد في مجلد ضخم، وشرح نونية

الصرصري الحنبلي سماه معارج الأنوار في سيرة النبي المختار، وبحر الوفا في سيرة النبي المصطفى، وغذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، والبحور الزاخرة في علوم الآخرة، وشرح الدرة المضية في اعتقاد الفرقة الأثرية، ولوائح الأنوار السنية في شرح منظومة أبي بكر بن أبي داود الحائية وكان المترجم شيخاً ذا شيبة منورة مهيباً جميل الشكل ناصراً للسنة قامعاً للبدعة قوالاً بالحق مقبلاً على شأنه مداوماً على قيام الليل في المسجد ملازماً على نشر علوم الحديث محباً في أهله، ولا زال يملي ويفيد ويجيز من سنة ثمان وأربعين إلى أن توفي يوم الاثنين ثامن شوال من هذه السنة بنابلس، وجهز وصلي عليه بالجامع الكبير، ودفن بالمقبرة الزاركنية وكثر الأسف عليه ولم يخلف بعده مثله رحمه الله رحمة واسعة.

ومات العمدة المبجل الفاضل الشيخ أحمد بن محمد بن عبد السلام الشرفي المغرب الأصل المصري المولد، وكان والده شيخاً على رواق المغاربة بالجامع الأزهر، ومن شيوخ الشيخ أحمد الدمنهوري وولده هذا كان له معرفة بعلم الميقات ومشاركة حسنة، وفيه صداقة ود وحسن عشرة مع الإخوان ومكارم أخلاق، ويدعو الناس والعلماء في المولد النبوي إلى بيته بالأزبكية، ويقدم لهم الموائد والحلوى وشراب السكر، وكان لديه فوائد وآثر حسنة، توفي سابع عشر ربيع الأول من السنة وقد جاوز السبعين رحمه الله.

ومات العمدة الفاضل الشيخ زين الدين قاسم العبادي الحنفي، تفقه على الشيخ سلمان المنصوري والشيخ أحمد بن عمر الاسقاطي إلى أن صار يقرأ درساً في المذهب، ولم يزل ملازماً شأنه حتى توفي ثالث عشر الحجة من السنة، وقد ناهز الثمانين رحمه الله.

ومات العمدة المعمر الشيخ عبد الله الموقت بجامع قوصون، وكان يعرف بالطويل وكان إنساناً صالحاً ناسكاً ورعاً، توفي فجأة في الحمام ثاني عشر الحجة عن سبع وثمانين سنة.

ومات العمدة الفاضل الأديب الماهر الشيخ علي بن أحمد بن عبد الرحمن ابن محمد بن عامر العطشي الفيومي الشافعي، وهو أخو الشيخ أحمد العطشي، وكان له مذاكرة حسنة، وحضر على الشيخ الحنفي وغيره، وكان نعم الرجل، توفي في جمادى الآخرة.

ومات السيد الشريف المعمر محمد بن حسن بن محمد الحسني الوفائي باش جاويش السادة الأشراف أخذ عن الشيخ المعمر يوسف الطولوني وكان يحكي عنه حكايات مستحسنة وغرائب، وكان متقيداً بالسيد محمد أبي هادي الوفائي في أيام نقابته على الأشراف ولديه فضيلة وفوائد، توفي هذه السنة عن نحو ثمانين سنة.

ومات الشيخ الصالح سليمان بن داود بن سليمان بن أحمد الخربتاوي وكان من أهل المروءة والدين توفي ثامن عشرى المحرم من السنة في عشر الثمانين.

ومات الجناب المكرم الأمير أحمد أغا البارودي وهو من مماليك إبراهيم كتخدا القازدغلي، وتزوج بابنته التي من بنت البارودي، وسكن معها في بيتهم المشهور خارج باب سعادة والخرق، وولد له منها أولاد ذكور وإناث، ومنهم صاحبنا إبراهيم جلبي وعلي ومصطفى وهو أستاذ محمد أغا الآتي ذكره. تقلد المترجم في أيام علي بك مناصب جليلة مثل أغاوية المتفرقة وكتخدا الجاويشية، وكان إنساناً حسناً صافي الباطن لا يميل ضبعه لسوى عمل الخير، ويحب أهل العلم وممارستهم،

وكان له ميل عظيم واعتقاد حسن في المرحوم الشيخ الوالد ويزوره في كل جمعة مع غاية الأدب والامتثال، ومما شاهدته من كمال أدبه وشدة اعتقاه وحبه أنه صادفه مرة بالطريق وهو إذ ذاك كتخدا الجاويشية، وهو راكب في أبهته وأتباعه والشيخ راكب على بغلته فعندما رآه ترجل ونزل عن جواده وقبل يده، فأنكر عليه فعله واستعظمه واستحى منه، والتمس منه أن يقيد به بعض الكلبة ليقرئه شيئاً من الفقه والدين، فقيد به الشيخ عبد الرحمن العريشي، فكان يذهب إليه ويطالع له القدوري وغيره، وكان يكرمه ويواسيه، ولم يزل على حسن حالته حتى توفي في سابع جمادى الأولى من السنة، وكان له في مترله خلوة ينفرد فيها بنفسه ويخلع ثياب الأبهة ويلبس كساء صوف أحمر على بدنه ويأخذ سبحة كبيرة يذكر ربه عليها.

ومات الأمير الصالح خليل أغا مملوك الأمير عثمان بك الكبير تابع ذي الفقار وهو أستاذ الأمير علي خليل توفي ببلد له بالفيوم، وجيء به ميتاً في عشية نهار السبت حادي عشرين جمادى الثانية من السنة، فغسل وكفن ودفن بالقرافة وكان إنساناً ديناً خيراً محباً للعلماء والصلحاء.

ومات الأمير اسمعيل أفندي تابع المرحوم الشريف محمد أغا كاتب البيورلدي وكان إنساناً خيراً صالحاً توفي يوم الأحد ثاني عشرين جمادى الثانية.

ومات السيد المعمر الشريف عبد اللطيف أفندي نقيب الأشراف بالقدس وابن نقبائها عن تسعين سنة تقريباً وولى بعده أكبر أولاده السيد عبد الله أفندي رحمه الله.

ومات الأمير المبجل محمد أفندي جاوجان ميسو، وكان حافظ لكتاب الله موفقاً وفيه فضيلة وفصاحة ويحب العلماء والأشراف ويحسن إليهم. توفي ليلة الاثنين عشرين ربيع الأول، وصلى عليه بالأزهر ودفن بالمجاورين.

ومات الأمير مصطفى بك الصيداوي تابع الأمير علي بك القازدغلي. وكان سبب موته أنه خرج إلى الخلاء جهة قصر العيني وركض جواده فسقط عنه ومات لوقته، وحمل إلى مترله بدرب الحجر وجهز وكفن ودفن بالقرافة، وذلك في منتصف ربيع الأول من السنة.

ومات الأمير علي أغا أبو قوره من جماعة الوكيل، سادس عشر ربيع الأول سنة تاريخه.

ومات الأمير محمد أفندي الزاملي كاتب قلم الغربية، وكان صاحب بشاشة وتودد وحسن أخلاق. توفي رابع عشرين صفر من السنة وخلف ولده حسن أفندي قلفة الغربية الآتي ذكره في سنة 1202.

ومات الخواجا المكرم الحاج محمد عرفات الغزاوي التاجر، وهو والد عبد الله ومصطفى. توفي يوم الثلاثاء ثامن صفر من السنة والله تعالى أعلى.

سنة تسع وثمانين ومائة وألف

فيها عزم محمد بك أبو الذهب على السفر والتوجه إلى البلاد الشامية بقصد محاربة الظاهر عمر واستخلاص ما بيده من البلاد، فبرز حاميه إلى العادلية وفرق الأموال والتراحيل على الأمراء والعساكر والمماليك، واستعد لذلك استعداداً عظيماً في البحر والبر، وأنزل بالمراكب الذخيرة والجبخانة والمدافع والقنابل، والمدفع الكبير المسمى بأبو مايلة الذي كان سبكه في العام الماضي. وسافر بجموعه وعساكره في أوائل المحرم، وأخذ صحبته مراد بك وإبراهيم بك طنان واسمعيل بك تابع اسمعيل بك الكبير لا غير، وترك بمصر إبراهيم بك وجعله عوضاً عنه في إمارة مصر واسمعيل بك وباقي الأمراء والباشا بالقلعة، وهو مصطفى باشا النابلسي وأرباب العكاكيز والخدم والوجاقلية. و لم يزل في سيره حتى وصل إلى جهة غزة، وارتجت البلاد لوروده، و لم يقف أحد في وجهه، وتحصن أهل يافا بها وكذلك الظاهر عمر تحصن بعكا، فلما وصل إلى يافا حاصرها وضيق على أهلها وامتنعوا عم أيضاً عليه، وحاربوه من داخل وحاربهم من خارج، ورمى عليهم بالمدافع والمكاحل والقنابر عدة أيام وليالي، فكانوا يصعدون إلى أعلى السور ويسبون المصريين وأميرهم سباً قبيحاً. فلم يزالوا بالحرب عليها حتى نقبوا أسوارها وهجموا عليها من كل ناحية وملكوها عنوة ونهبوها، وقبضوا على أهلها وربطوهم في الحبال والجنازير، وسبوا النساء والصبيان، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة. ثم جمعوا الأسرى خارج البلد ودوروا فيهم السيف وقتلوهم عن آخرهم، و لم يميزوا بين الشريف والنصراني واليهودي والعا لم والجاهل والعامي والسوقي، ولا بين الظا لم والمظلوم، وربما عوقب من لا جنى، وبنوا من رؤوس القتلى عدة صوامع ووجوهها بارزة تنسف عليها الأتربة والرياح والزوابع، ثم ارتحل عنها طالباً عكا فلما بلغ الظاهر عمر ما وقع بيافا اشتد خوفه وخرج من عكا هارباً وتركها وحصونها، فوصل إليها محمد بك ودخلها من غير مانع، وأذعنت له باقي البلاد ودخلوا تحت طاعته، وخافوا سطوته وداخل محمد بك من الغرور والفرح ما لا مزيد عليه، وما آل به إلى الموت والهلاك. وأرسل بالبشائر إلى مصر والأمراء بالزينة فنودي بذلك وزينت مصر وبولاق القاهرة وخارجها زينة عظيمة، وعمل بها وقدات وشنكات وحراقات وأفراح ثلاثة أيام بلياليها، وذلك في أوائل ربيع الثاني. فعند انقضاء ذلك ورد الخبر بموت محمد بك، واستمر في كل يوم يفشو الخبر وينمو ويزيد ويتناقل ويتأكد حتى وردت السعاة بتصحيح ذلك، وشاع في الناس وصاروا يتعجبون ويتلون قوله تعالى: حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون. وذلك أنه لما تم له الأمر وملك البلاد المصرية والشامية وأذعن الجميع لطاعته، وقد كان أرسل اسمعيل أغا أخا علي بيك الغزاوي إلى إسلامبول يطلب أمرية مصر والشام، وأرسل صحبته أموالاً وهدايا، فأجيب إلى ذلك وأعطوه التقاليد والخلع والبرق والداقم وأرسل له المراسلات والبشائر بتمام الأمر، فوافاه ذلك يوم دخوله عكا فامتلأ فرحاً وحم بدنه في الحال، فأقام محموماً ثلاثة أيام، ومات ليلة الرابع ثامن ربيع الثاني. ووافى خبر موته اسمعيل أغا عندما تهيأ نزل في المراكب يريد المسير إلى مخدومه، فانتقض الأمر وردت التقاليد وباقي الأشياء. ولما تم له أمر يافا وعكا وباقي البلاد والثغور، فرح الأمراء والأجناد الذين بصحبته برجوعهم إلى مصر، وصاروا متشوقين للرحيل والرجوع إلى الأوطان. فاجتمعوا إليه في اليوم الذي نزل به ما نزل في ليته، فتبين لهم من كلامه عدم العود،

وأنه يريد تقليدهم المناصب والأحكام بالديار الشامية وبلاد السواحل، وأمرهم بإرسال المكاتبات إلى بيوتهم وعيالهم بالبشارات بما فتح الله عليهم وما سيفتح لهم، ويطمنوهم ويطلبوا احتياجاتهم ولوازمهم المحتاجين إليها من مصر. فعند ذلك اغتموا وعلموا أنهم لا براح لهم وإن أمله غير هذا وذهب كل إلى مخيمة يفكر في أمره قال الناقل: وأقمنا على ذلك الثلاثة أيام التي تمرض فيها وأكثرنا لا يعلم بمرضه، ولا يدخل إليه إلا بعض خواصه، ولا يذكرون ذلك إلا بقولهم في اليوم الثالث أنه منحرف المزاج. فلما كان في صبح الليلة التي مات بها نظرنا إلى صيوانه وقد انهدم ركنه وأولاد الخزنة في حركة، ثم زاد الحال وجردوا على بعضهم السلاح بسبب المال، وظهر أمر موته وارتبك العرضي وحضر مراد بيك فصدهم وكفهم عن بعضهم، وجمع كبراءهم وتشاوروا في أمرهم وأرضى خواطرهم خوفاً من وقوع الفشل فيهم وتشتتهم في بلاد الغربة وطمع الشاميين وشماتتهم فيهم. واتفق رأيهم على الرحيل، وأخذوا رمة سيدهم صحبتهم، ولما تحقق عندهم أنهم إن دفنوه هناك في بعض المواضع أخرجه أهل البلاد ونبشوه وأحرقوه، فغسلوه وكفنوه ولفوه في المشمعات ووضعوه في عربة، وارتحلوا به طالبين الديار المصرية. فوصلوا في ستة عشر يوماً ليلة الرابع والعشرين من شهر ربيع الثاني أواخر النهار، فأرادوا دفنه بالقرافة. وحضر الشيخ الصعيدي فأشار بدفنه في مدرسته تجاه الأزهر، فحفروا له قبراً في الليوان الصغير الشرقي وبنوه ليلاً، ولما أصبح النهار عملوا له مشهداً وخرجوا بجنازته من بيته الذي بقوصون، ومشى أمامه المشايخ والعلماء والأمراء وجميع الأحزاب والأوراد وأطفال المكاتب، وأمام نعشه مجامر العنبر والعود ستراً على رائحته ونتنه، حتى وصلوا به إلى مدفنه، وعملوا عنده ختمات وقراءات وصدقات عدة ليال وأيام نحو أربعين يوماً. واستقرأ تباعه أمراء ورئيسهم إبراهيم بيك ومراد بيك وباقيهم الذين أمرهم في حياته، ومات عنهم يوسف بيك وأحمد بيك الكلارجي ومصطفى بيك الكبير وأيوب بيك الكبير وذو الفقار بيك ومحمد بيك طبال ورضوان بيك، والذين تأمروا بعده أيوب بك الدفتردار وسليمان بيك الأغا وإبراهيم بيك الوالي وأيوب بيك الصغير وقاسم بيك الموسقو وعثمان بيك الشرقاوي ومراد بيك الصغير وسليم بيك أبو دياب ولاجين بيك وسيأتي ذكر أخبارهم.

من مات في هذه السنة من الأعيان

مات الإمام الهمام شيخ مشايخ الإسلام عالم العلماء الأعلام إمام المحققين وعمدة المدققين الشيخ علي بن أحمد بن مكرم الله الصعيدي العدوي المالكي، ولد ببني عدى كما أخبر عن نفسه سنة 1112، ويقال له أيضاً المنفيسي لأن أصوله منها، وقدم إلى مصر وحضر دروس المشايخ كالشيخ عبد الوهاب الملوى والشيخ شلبي البرلسي والشيخ سالم النفراوي والشيخ عبد الله المغربي والسيد محمد السلموني ثلاثتهم عن الخرشي وأقرانه وكسيدي محمد الصغير والشيخ إبراهيم الفيومي ومحمد بن زكريا والشيخ محمد السجيني والشيخ إبراهيم شعيب المالكي والشيخ أحمد الملوى والشيخ أحمد الديربي والشيخ عيد النمرسي والشيخ مصطفى العزيزي والشيخ محمد العشماوي والشيخ محمد ابن يوسف والشيخ أحمد الأسقاطي والبقرى والعماوي والسيد علي السيواسي والمدابغي والدفري والبليدي والحفني وآخرين، وبآخرة تلقن الطريقة الأحمدية عن الشيخ علي بن محمد الشناوي، ودرس بالأزهر وغيره. وقد بارك الله في أصحابه طبقة بعد طبقة كما هو مشاهد، وكان يحكي عن نفسه أنه طالما

كان يبيت بالجوع في مبدأ اشتغاله بالعلم، وكان لا يقدر على ثمن الورق، ومع ذلك إن وجد شيئاً تصدق به. وقد تكررت له بشارات حسنة مناماً ويقظة وله مؤلفات دالة على فضله منها حاشية على ابن تركي وأخرى على الزرقاني على العزية وأخرى على شرح أبي الحسن على الرسالة في مجلدين ضخمين، وأخرى على الخرشي، وأخرى على شرح الزرقاني على المختصر، وأخرى على الهدهدي على الصغرى، وحاشيتان على عبد السلام على الجوهرة كبرى وصغرى، وأخرى على الأخضري على السلم، وأخرى على بن عبد الحق على بسملة شيخ الإسلام، وأخرى على شرح شيخ الإسلام على الفية المصطلح للعراقي، وغير ذلك. وكان قبل ظهوره لم تكن المالكية تعرف الحواشي على شروح كتبهم الفقهية، فهو أول من خدم تلك الكتب بها، وله شرح على خطبة كتاب إمداد الفتاح على نور الإيضاح في مذهب الحنفية للشيخ السرنبلالي، وكان رحمه الله شديد الشكيمة في الدين يصدع بالحق ويأمر بالمعروف وإقامة الشريعة ويحب الاجتهاد في طلب العلم ويكره سفاسف الأمور وينهى عن شرب الدخان ويمنع من شربه بحضرته وبحضرة أهل العلم تعظيماً لهم. وإذا دخل إلى منزل من منازل الأمراء ورأى من يشرب الدخان شنع عليه وكسر آلته، ولو كانت في يد كبير الأمراء. وشاع عنه ذلك وعرف في جمع الخاص والعام وتركوه بحضرته، فكانوا عندما يرونه مقبلاً من بعيد نبه بعضهم بعضاً ورفعوا شبكاتهم وأقصابهم وأخفوها عنه، وإن رأى شيئاً منها أنكر عليهم ووبخهم وعنفهم وزجرهم، حتى أن علي بك في أيام إمارته كان إذا دخل عليه في حاجة أو شفاعة أخبروه قبل وصوله إلى مجلسه فيرفع الشبك من يده ويخفوه من وجهه، وذلك مع عتوه وتجبره وتكبره. واتفق أنه دخل عليه في بعض الأوقات فتلقاه على عادته وقبل يده وجلس، فسكت الأمير مفكراً في أمر من الأمور فظن الشيخ إعراضه عنه فأخذته الحدة وقال مخاطباً له باللغة الصعيدية:

يا مين يا مين يا من هو غضبك ورضاك على حد سواء بل غضبك خير من رضاك. وكرر ذلك وقام قائماً وهو يأخذ بخاطره ويقول: أنا لم أغضب من شيء ويستعطفه. فلم يجبه و لم يجلس ثانياً، وخرج ذاهباً. ثم سأل علي بك عن القضية التي أتى بسببها فأخبروه فأمر بقضائها. واستمر الشيخ منقطعاً عن الدخول إليه مدة حتى ركب في ليلة من ليالي رمضان مع الشيخ الوالد في حاجة عند بعض الأمراء ومرا ببيت علي بك فقال له ادخل بنا نسلم عليه، فقال يا شيخنا أنا لا أدخل، فقال لا بد من دخولك معي. فلم تسعه مخالفته، وانسر بذلك علي بك تلك الليلة سروراً كثيراً. ولما مات علي بك واستقل محمد بك أبو الذهب بإمارة مصر، كان يجل من شأنه ويحبه ولا يرد شفاعته في شيء أبداً، وكل من تعسر عليه قضاء حاجة ذهب إلى الشيخ وأنهى إليه قصته فيكتبها مع غيرها في قائمة حتى تمتلئ الورقة ثم يذهب إلى الأمير بعد يومين أو ثلاثة فعند ما يستقر في الجلوس، يخرج القائمة من جيبه ويقص ما فيها من القصص والدعاوى واحدة بعد واحدة ويأمره بقضاء كل منها والأمير لا يخالفه ولا ينقبض خاطره في شيء من ذلك. ولما بنى الأمير المذكور مدرسته كان المترجم هو المتعين في التدريس بها داخل القبة على الكرسي، وابتدأ بها البخاري وحضره كبار المدرسين فيها وغيرهم، و لم يترك درسه بالأزهر ولا بالبرديكية. وكان يقرأ قبل ذلك بمسجد الغريب عند باب البرقية في وظيفة جعلها له الأمير عبد الرحمن كتخدا، وكذلك وظيفة بعد الجمعة بجامع مرزه ببولاق. وكان على قدم السلف في الاشتغال والقناعة وشرف النفس وعدم التصنع والتقوى، ولا يركب إلا الحمار ويؤاسي أهله وأقاربه ويرسل إلى فقرائهم ببلده الصلات والأكسية والبز والطرح للناس والعصائب والمداسات وغير ذلك. و لم يزل مواظباً على الإقراء والإفادة حتى تمرض بخراج في ظهره أياماً قليلة، وتوفي في عاشر رجب من السنة، وصلي عليه بالأزهر

بمشهد عظيم ودفن بالبستان بالقرافة الكبرى، رحمه الله و لم يخلف بعده مثله و لم أعثر على شيء من مراثيه.

ومات الإمام العلامة الفقيه الصالح الشيخ أحمد بن عيسى بن أحمد ابن عيسى بن محمد الزبيري البراوي الشافعي، ولد بمصر وبها نشأ وحفظ القرآن والمتون وتفقه على والده وغيره وحضر المعقول وتمهر وأنجب ودرس في حياة والده، وبعد وفاته تصدر للتدريس في محله، وحضره طلبة أبيه واتسعت حلقة درسه مثل أبيه واشتهر ذكره وانتظم في عداد العلماء. وكان نعم الرجل شهامة وصرامة، وفيه صداقة وحب للإخوان. توفي بطندتا ليلة الأربعاء ثالث شهر ربيع الأول فجأة، إذ كان ذهب للزيارة المعتادة وجيء به إلى مصر، فغسل في بيته وكفن وصلي عليه بالجامع الأزهر، ودفن بتربة والده بالمجاورين.

ومات الإمام الفاضل المسن الشيخ أحمد بن رجب بن محمد البقري الشافعي المقري، حضر دروس كل من الشيخ المدابغي والحفني ولازم الأول كثيراً فمسمع منه البخاري بطرفيه والسيرة الشامية كلها، وكتب بخطه الكثير من الكتب الكبار، وكان سريع الفهم وافر العلم كثير التلاوة للقرآن مواظباً على قيام الليل سفراً وحضراً، ويحفظ أوراداً كثيرة وأحزاباً ويجيز بها، وكان يحفظ غالب السيرة ويسردها من حفظه، ونعم الرجل كان متانة ومهابة. توفي وهو متوجه إلى الحج في مترلة النخل آخر يوم من شوال من السنة ودفن هناك.

ومات عالم المدينة ورئيسها الشيخ محمد بن عبد الكريم السمان، ولد بالمدينة ونشأ في حجر والده واشتغل يسيراً بالعلم وأرسله والده إلى مصر في سنة 1174 فتلقته تلامذة أبيه بالإكرام، وعقد حلقة الذكر بالمشهد الحسيني، وأقبلت علي الناس، ثم توجه إلى المدينة. ولما توفي والده أقيم شيخاً في محله، ولم يزل على طريقته حتى مات في رابع الحجة من السنة عن ثمانين سنة.

ومات العلامة المعمر الصالح الشيخ أحمد الخليلي الشامي أحد المدرسين بالأزهر، تلقى عن أشياخ عصره ودرس وأفاد، وكان به انتفاع للطلبة تام عام، وألف أعراب الآجرومية وغيره. توفي في عاشر صفر من السنة.

ومات الأمير الكبير محمد بك أبو الذهب تابع علي بك الشهير اشتراه أستاذه في سنة خمس وسبعين فأقام مع أولاد الخزنة أياماً قليلة وكان إذ ذاك اسمعيل بك خازندار، فلما أمر اسمعيل بك قلده الخازندارية مكانه وطلع مع مخدومه إلى الحج ورجع أوائل سنة ثمان وسبعين، وتأمر في تلك السنة وتقلد الصنجقية وعرف بأبي الذهب. وسبب تلقبه بذلك أنه لما لبس الخلعة بالقلعة صار يفرق البقاشيش ذهباً وفي حال ركوبه ومروره جعل ينثر الذهب على الفقراء والجعيدية حتى دخل إلى مترله فعرف بذلك لأنه لم يتقدم نظيره لغيره ممن تقلد الأمريات، واشتهر عنه هذا اللقب وشاع وسمع عن نفسه شهرته بذلك فكان لا يضع في جيبه إلا الذهب، ولا يعطي إلا الذهب ويقول: أنا أبو الذهب، فلا أمسك إلا الذهب. وعظم شأنه في زمن قليل ونوه مخدومه بذكره وعينه في المهمات الكبيرة والوقائع الشهيرة وكان سعيد الحركات مؤيد العزمات لم يعهد عليه الخذلان في مصاف قط وقد تقدمت أخباره ووقائعه في أيام أستاذه علي بك وبعده، واستكثر من شراء المماليك والعبيد حتى اجتمع عنده في الزمن القليل ما لا يتفق لغيره في الزمن الكثير، وتقلدوا المناصب والأمريات. فلما تمهدت البلاد بسعده المقرون ببأس أستاذ خالف عليه وضم المشردين وغمرهم بالإحسان واستمال بواقي أركان الدولة واستلين الجميع جانبه وجنحوا إليه وأحبوه وأعانوه وتعصبوا له وقاتلوا بين يديه حتى أراحوا علي بك وخرج هارباً من مصر إلى الشام، واستقر المترجم بمصر وساس الأمور وقلد المناصب وجبى الأموال والغلال وراسل الدولة العثمانية وأظهر لهم الطاعة وقلد مملوكه إبراهيم بك إمارة الحج تلك السنة،

وصرف العلائف وعوائد العربان وأرسل الغلال للحرمين والصرر وتحرك علي بك للرجوع إلى مصر وجيش الجيوش فلم يهتم المترجم لذلك وكاد له كيداً بأن جمع القرانصة والذين يظن فيهم النفاق وأسر إليهم أن يراسلوا علي بك ويستعجلوه في الحضور ويثقوا مساوئ للمترجم ومنفرات ويعدوه بالمخامرة معه والقيام بنصرته متى حضر وأرسلوها إليه بالشريطة السرية. فراج عليه ذلك واعتقد صحته وأرسل إليهم بالجوابات وأعادوا له الرسالة كذلك باطلاع مخدومهم وإشارته، فعند ذلك قوي عزم علي بك على الحضور وأقبل بجنوده إلى جهة الديار المصرية، فخرج إليه المترجم ولاقاه بالصالحية وأحضره أسيراً كما تقدم. ومات بعد أيام قليلة وانقضى أمره وارتاح المترجم من قبله وجمع باقي الأمراء المطرودين والمشردين وأكرمهم واستخدمهم وواساهم واستوزرهم وقلدهم المناصب ورد إليهم بلادهم وعوائدهم واستعبدهم بالإحسان والعطايا واستبدلهم العز بعد الذل والهوان وراحة الأوطان بعد الغربة والتشريد والهجاج في البلدان. فثبتت دولته وارتاحت النواحي من الشرور والتجاريد وهابته العربان وقطاع الطريق وأولاد الحرام وأمنت السبل وسلكت الطرق بالقوافل والبضائع، ووصلت المجلوبات من الجهات القبلية والبحرية بالتجارات والمبيعات. وحضر والي مصر خليل باشا وطلع إلى القلعة على العادة القديمة وحضر للمترجم من الدولة المرسومات والخطابات ووصل إليه سيف وخلعة فلبس ذلك في الديوان ونزل في أبهة عظيمة وعظم شأنه وانفرد بإمارة مصر. واستقام أمره وأهمل أمر اتباع أستاذه علي بك وأقام أكثرهم بمصر بطالاً. وحضر إلى مصر مصطفى باشا النابلسي من أولاد العضم والتجأ إليه فأكرم نزله ورتب له الرواتب وكاتب الدولة وصالح عليه وطلب له ولاية مصر فأجيب إلى ذلك ووصلت إليه التقاليد والداقم في ربيع الثاني سنة ثمان وثمانين. ووجه خليل باشا إلى ولاية جدة وسافر من القلزم في جمادى الثانية، وتوفي هناك وفي أواخر سنة سبع وثمانين. شرع في بناء مدرسته التي تجاه الجامع الأزهر وكان محلها رباع متخربة فاشتراها من أربابها وهدمها وأمر ببنائها على هذه الصفة، وهي على أرنيك جامع السنانية الكائن بشاطئ النيل ببولاق. فرتب لنقل الأتربة وحمل الجير والرماد والطين عدة كبيرة من قطارات البغال وكذلك الجمال لشيل الأحجار العظيمة كل حجر واحد على جمل، وطحنوا لها الجبس الحلواني المصيص ورموا أساسها في أوائل شهر الحجة ختام السنة المذكورة، ولما تم عقد قبتها العظيمة وما حولها من القباب المعقودة على اللواوين وبيضوها ونقشوا داخل القبة بالألوان والأصباغ وعمل لها شبابيك عظيمة كلها من النحاس الأصفر المصنوع

وعمل بظاهرها فسحة مفروشة بالرخام المرمر وبوسطها حنفية وحولها مساكن لمتصوفة الأتراك وبداخلها عدة كراسي راحة، وكذلك بدورها العلوي وبأسفل من ذلك ميضأة عظيمة تمتلئ بالماء من نوفرة بوسطها تصب في صحن كبير من الرخام المصنوع نقلوه إليها من بعض الأماكن القديمة ويفيض منه فيملأ الميضأة وحول الميضأة عدة كراسي راحة وأنشأ ساقية لذلك، فحفروها وخرج ماؤها حلواً فعد ذلك أيضاً من سعده، مع أن جميع الآبار والسواقي التي بتلك الخطة ماؤها في غاية الملوحة، وأنشأ سفل ذلك صهريجاً عظيماً يملأ في كل سنة من ماء النيل وحوضاً عظيماً لسقي الدواب وعمل بأعلى الميضأة ثلاثة أماكن برسم جلوس المفتين الثلاثة يجلسون بها حصة من النهار لإفادة الناس بعد إملاء الدروس، وقرر فيها الشيخ أحمد الدردير مفتي المالكية والشيخ عبد الرمن العريشي مفتي الحنفية والشيخ حسن الكفراوي مفتي الشافعية. ولما تم البناء فرشت جميعها بالحصر ومن فوقها الأبسطة الرومي من داخل وخارج حتى فرجات الشبابيك ومساكن الطباق. ولما استقر جلوس المفتين المذكورين بالثلاثة أماكن التي أعدت لهم أضر بهم الرائحة الصاعدة إليهم من المراحيض التي من أسفل وأعلموا الأمير بذلك فأمر بإبطالها

وبنوا خلافها بعيداً عنها، وتقرر في خطابتها الشيخ أحمد الراشدي وغالب المدرسين بالأزهر مثل الشيخ علي الصعيدي مدرس البخاري والشيخ أحمد الدردير والشيخ محمد الأمير والشيخ عبد الرحمن العريشي والشيخ حسن الكفراوي والشيخ أحمد يونس والشيخ أحمد السمنودي والشيخ علي الشنويهي والشيخ عبد الله اللبان والشيخ محمد الحفناوي والشيخ محمد الطحلاوي والشيخ حسن الجداوي والشيخ أب الحسن القلعي والشيخ البيلي والشيخ محمد الحريري والشيخ منصور المنصوري والشيخ أحمد جاد الله والشيخ محمد المصيلحي ودرسا ليحيى أفندي شيخ الأتراك. وتقرر السيد عباس إماماً راتباً بها وفي وظيفة التوقيت الشيخ محمد الصبان، وجعل بها خزانة كتب عظيمة وجعل خازنها محمد أفندي حافظ وينوب عنه الشيخ محمد الشافعي الجناجي ورتب للمدرسين الكبار في كل يوم مائة وخمسين نصفاً فضة ولمن دونهم خمسون نصفاً وكذلك للطلبة منهم من له عشرة أنصاف في كل يوم ومنهم من له أكثر وأقل، ويقدر عدد الدراهم أرادب من البرفي كل سنة. ولما انتهى أمرها وصلى بها الجمعة في شهر شعبان سنة ثمان وثمانين، حضر الأمير المذكور واجتمع المشايه والطلبة وأرباب الوظائف وصلوا بها الجمعة، وبعد انقضاء الصلاة جلس الشيخ الصعيدي على الكرسي وأملى حديث من بنى لله مسجداً ولو كفحص قطاة بنى الله له بيت في الجنة. فلما انقضى ذلك أحضرت الخلع والفراوي فألبس الشيخ الصعيدي والشيخ الراشدي الخطيب والمفتين الثلاثة فراوي سمور وباقي المدرسين فراوي نافا بيضا، وأنعم في ذلك اليوم على الخدمة والمؤذنين وفرق عليهم الذهب والبقاشيش وتنافس الفقهاء والأشياخ والطلبة وتحاسدوا وتفاتنوا ووقف على ذلك أمانة قويسنا وغيرها والحوانيت التي أسفل المدرسة و لم يصرف ذلك إلا سنة واحدة، فإن المترجم سافر في أوائل سنة تسع وثمانين إلى البلاد الشامية كما تقدم ومات عناك ورجعوا برمته وتآمر أتباعه وتقاسموا البلاد فيما بينهم ومن جملتها أمانة قويسنا الموقوفة، فبرد أمر المدرسة وعوضوا عن ذلك الوكالة التي أنشأها علي بك ببولاق لمصرف أجرة وعليق الأثوار بعدما أضعفوا المعاليم ونقصوها ووزعوا عليهم ذلك الإيراد القليل، و لم يزل الحال يتناقص ويضعف حتى بطل منها غالب الوظائف والخدم إلى أن بطل التوقيت والآذان بل والصلاة في أكثر الأوقات، وأخلق فرشها وبسطها وعتقت وبليت وسرق بعضها وأغلق أحد أبوابها المواجه للقبوة الموصل للمشهد الحسيني، بل أغلقت جميعها شهوراً مع كون الأمراء أصحاب الحل والعقد أتباع الواقف ومماليكه، لكن لما فقدت منهم القابلية واستولى عليهم الطمع والتفاخر والتنافس والتغاضي خوف الفشل وتفرق الكلمة من الانحراف عن الأوضاع ظهر الخلل في كل شيء حتى في الأمور الموجبة لنظام دولتهم وإقامة ناموسهم، كما يتضح ذلك فيما بعد. وبالجملة فإن المترجم كان آخر من أدركنا من الأمراء المصريين شهامة وصرامة وسعداً وحزماً وعزماً وحكماً وسماحة وحلماً، وكان قريباً للخير يحب العلماء والصلحاء ويميل بطبعه إليهم ويعتقد فيهم ويعظمهم وينصت لكلامهم ويعطيهم

العطايا الجزيلة ويكره المخالفين للدين، و لم يشتهر عنه شيء من الموبقات والمحرمات ولا ما يشينه في دينه أو يخل بمروءته، بهي الطلعة جميل الصورة أبيض اللون معتدل القامة والبدن مسترسل اللحية مهاب الشكل وقوراً محتشماً قليل الكلام والالتفات ليس بمهذأ ولا خوار ولا عجول مبجلاً في ركوبه وجلوسه يباشر الأحكام بنفسه ولولا ما فعله آخراً من الإسراف في قتل أهل يافا بإشارة وزرائه لكانت حسناته أكثر من سيآته. و لم يتفق لأمير مثله في كثرة المماليك وظهور شأنهم في المدة اليسيرة وعظم أمرهم بعده وانحرفت طباعهم عن قبول العدالة ومالوا إلى طرق الجهالة واشتروا المماليك فنشئوا على طرائقهم وزادوا عن

سوابقهم وألفوا المظالم وظنوها مغانم وتمادوا على الجور وتلاحقوا في البغي على الفور إلى أن حصل ما حصل ونزل بهم وبالناس ما نزل. وسيتلى عليك من ذلك أنباء وأخبار وما حل بالإقليم بسببهم من الخراب والدمار والله تعالى أعلم.

سنة تسعين ومائة وألف

كان سلطان العصر فيها السلطان عبد الحميد بن أحمد خان العثماني ووالي مصر الوزير محمد باشا عزت الكبير وأمراؤها إبراهيم بك ومراد بيك مملوكاً محمد بيك أبي الذهب وخشداشينهما أيوب بيك الكبير ويوسف بيك أمير الحاج ومصطفى بيك الكبير وأحمد بيك الكلارجي وأيوب بيك الصغير ومحمد بيك طبل وحسن بيك سوق السلاح وذو الفقار بيك ولاجين بيك ومصطفى بيك الصغير وعثمان بيك الشرقاوي وخليل بيك الإبراهيمي، ومن البيوت القديمة حسن بيك قصبة رضوان ورضوان بيك بلفيا وإبراهيم بيك طبان وعبد الرحمن بيك عثمان الجرجاوي وسليمان بيك الشابوري، وبقايا اختيارية الوجاقات مثل أحمد باشجاويش أرنؤد وأحمد جاويش المجنون واسمعيل أفندي الخلوتي وسليمان البرديسي وحسن أفندي درب الشمسي وعبد الرحمن أغا مجرم ومحمد أغا محرم وأحمد كتخدا المعروف بوزير وأحمد كتخدا الفلاح وباقي جماعة الفلاح وإبراهيم كتخدا مناو وغيرهم، والأمراء والنهي للأمراء المحمدية المتقدم ذكرهم وكبيرهم وشيخ البد إبراهيم بيك ولا ينفذ أمر بدون اطلاع قسيمة مراد بيك واسمعيل بيك الكبير متنزه ومنعكف في بيته وقانع بإيراده وبلاده ومتزو عن التداخل فيهم من موت سيدهم وعمر داره التي بالأزبكية وأقام بها.

وفيها في يوم الخميس سابع شهر صفر، وصل الحج إلى مصر ودخل الركب وأمير الحاج يوسف بيك.

وفي ليلة الجمعة تاسع صفر، وقع حريق بالأزبكية وذلك في نصف الليل بخطة الساكت احترق فيها عدة بيوت عظام وكان شيئاً مهولاً، ثم إنها عمرت في أقرب وقت والذي لم يقدر على العمارة باع أرضه فاشتراها القادر وعمرها فعمر رضوان بيك بلفيا داراً عظيمة وكذلك الخواجا السيد عمر غراب والسيد أحمد عبد السلام والحاج محمود محرم بحيث أنه لم يأت النيل القابل إلا وهي أحسن وأبهج مما كانت عليه.

وفيها سقط برع بسوق الغورية ومات فيه عدة كثيرة من الناس تحت الردم، ثم إن عبد الرحمن أغا مستحفظان أخذ تلك الأماكن من أربابها شراء وأنشأ الحوانيت والربع علوها والوكالة المعروفة الآن بوكالة الزيت والبوابة التي يسلك منها من السوق.

وفيها حضر جماعة من الهنود ومعهم فيل صغير ذهبوا به إلى قصر العيني وأدخلوه بالإسطبل الكبير وهرع الناس للفرجة عليه ووقف الخدم على أبواب القصر يأخذون من المتفرجين دراهم وكذلك سواسة الهنود جمعوا بسببه دراهم كثيرة، وصار الناس يأتون إليه بالكعك وقصب السكر ويتفرجون على مصه في القصب وتناوله بخرطومه، وكان الهنود يخاطبونه بلسانهم ويفهم كلامهم، وإذا أحضروه بين يدي كبير كلموه فيبرك على يديه ويشير بالسلام بخرطومه.

وفيها في شهر رمضان، تعصب مراد بيك وتغير خاطره على إبراهيم بيك طنان ونفاه إلى المحلة الكبيرة وفرق بلاده على من أحب و لم يبق له إلا القليل.

وفيها شرع الأمير اسمعيل بك في عمل مهم لزواج ابنه وهي من زوجته هانم بنت سيدهم إبراهيم كتخدا الذي كان تزوجها

في سنة أربع وسبعين بالمهم المذكور في حوادث تلك السنة، وكان ذلك المهم في أوائل شهر ذي الحجة وكان قبل هذا المهم حصل بينه وبين مراد بك منازعة ومخاصمة، وسببها أن مراد بك أراد أن يأخذ من اسمعيل بك السر ورأس الخليج فوقع بينهما مشاحنة ومخاصمة كاد يتولد منها فتنة، فسعى في الصلح بينهما إبراهيم بك فاصطلحا على غل وشرع في أثر ذلك اسمعيل بك في عمل الفرح، فاجتمعوا يوم العقد في وليمة عظيمة ووقف مراد بك وفرق المحارم والمناديل على الحاضرين، وهو يطوف بنفسه على أقدامه وعمل المهم أياماً كثيرة ونزل محمد باشا عزت باستدعاء إلى بيت اسمعيل بك، وعندما وصل إلى حارة قوصون نزل الأمراء بأسرهم مشاة على أقدامهم لملاقاته فمشوا جميعاً أمامه على أقدامهم وبأيديهم المباخر والقماقم، ولم يزالوا كذلك حتى طلع إلى المجلس ووقفوا في خدمته مثل المماليك حتى انقضى الطعام والشربات وقدموا له الهدايا والتقادم والخيول الكثيرة المسمومة، ولما انقضت أيام الولائم زفوا العروس إلى زوجها إبراهيم أغا الذي صنجقه اسمعيل بك وهو خازنداره ومملوكه ويسمونه قشطة، وكانت هذه الزفة من المواكب الجليلة ومشى فيها الفيل وعليه خلعة جوخ أحمر فكان ذلك من النوادر.

ومات في هذه السنة الفقيه المتفنن العلامة الشيخ أحمد بن محمد ابن محمد السجاعي الشافعي الأزهري ولد بالسجاعية قرب المحلة وقدم الأزهر صغيراً فحضر دروس الشيخ العزيزي والشيخ محمد السجيني والشيخ عبده الديوي والسيد علي الضرير فقهر ودرس وأفتى وألف وكان ملازماً على زيارة قبور الأولياء ويحيي الليالي بقراءة القرآن مع صلاح وديانة وولاية وجذب، وله مع الله حال غريب وهو والد الشيخ الأوحد أحمد الآتي ذكره في تاريخ موته. توفي المترجم رحمه الله تعالى في عصر يوم الأربعاء ثامن عشرين ذي القعدة.

ومات الشيخ الإمام الفقيه العلامة الشيخ عطية بن عطية الأجهوري الشافعي البرهاني الضرير ولد بأجهور الورد إحدى قرى مصر وقدم مصر فحضر دروس الشيخ العشماوي والشيخ مصطفى العزيزي وتفقه عليهما وعلى غيرهما وأتقن في الأصول وسمع الحديث ومهر في الآلات وأنجب ودرس المنهج والتحرير مراراً وكذا جمع الجوامع بمسجد الشيخ مطهر وله في أسباب النزول مؤلف حسن في بابه جامع لما تشتت من أبوابه وحاشية على الجلالين مفيدة وكذلك حاشية على شرح الزرقاني على البيقونية في مصطلح الحديث وغير ذلك، وقد حضر عليه غالب علماء مصر الموجودين واعترفوا بفضله وأنجبوا ببركته وكان يتأنى في تقريره ويكرر الإلقاء مراراً مراعاة للمستملين الذين يكتبون ما يقوله، ولما بنى المرحوم عبد الرحمن كتخدا هذا الجامع المعروف الآن بالشيخ مطهر الذي كان أصله مدرسة للحنفية وكانت يعرف بالسيوفيين بنى للمترجم بيتاً بدهليزها وسكن فيه بعياله وأولاده. توفي في أواخر رمضان.

ومات الشيخ الفاضل النجيب احمد بن محمد بن العجمي الشافعي كان شاباً فهيماً داركاً ذا حفظ جيد حضر على علماء العصر وحصل المعقول والمنقول وأدرك جانباً من العلوم والمعارف ودرس وأملى ولو عاش لانتظم في سلك أعاظم العلماء ولكن اخترمته المنية في يوم الاثنين حادي عشرين جمادى الآخرة.

ومات الشيخ الصالح الورع الناسك أحمد بن نور الدين المقدسي الحنفي إمام جامع قجماس وخطيبه بالدرب الأحمر وهو أخو الشيخ حسن المقدسي مفتي السادة الحنفية شارك أخاه الشيخ حسناً المذكور في شيوخه واشتغل بالعلم وكان شيخاً وقوراً بهي

الشكل مقبلاً على شأنه منجمعاً عن الناس. توفي ليلة الاثنين سادس عشر ربيع الأول.

ومات الفقيه الفاضل الشيخ إبراهيم بن خليل الصيحاني الغزي الحنفي ولد بغزة وبها نشأ وقرأ بعض المتون على فضلاء بلده وورد الجامع الأ.هر فحضر الدروس ولازم المرحوم الوالد حسناً الجبرتي وتلقى عنه الفقه وبعض العلوم الغريبة ثم عاد إلى غزة وتولى الإفتاء بالمذهب، وكان يرسل إلى الوالد في كل سنة جانباً من الموز المر في غلق مقدار عشرين رطلاً فنخرج دهنه ونرفعه في الزجاج لنفع الناس في الدهن ومعالجات بعض الأمراض والجروحات، و لم يزل على ذلك حتى ارتحل إلى دمشق وتولى أمانة الفتوى بعد الشيخ عبد الشافي في فسار أحسن سير. وتوفي بها في هذه السنة في عشر التسعين رحمه الله.

ومات الفقيه الفاضل الصالح الشيخ علي بن محمد بن نصر بن هيكل ابن جامع الشنويهي تفقه على جماعة من فضلاء العصر وكان يحضر درس الحديث في كل جمعة على السيد البليدي ودرس بالأزهر وانتفع به الطلبة وكان مشهوراً بمعرفة الفروع الفقهية وكان درسه حافلاً جداً وله حظ في كثرة الطلبة وكان الأشياخ يتضايقون من حلقة درسه فيطردونه من المقصورة فيخرج إلى الصحن فتملأ حلقة درسه صحن الجامع، وفي بعض الأحيان ينتقل إلى مدرسة السنانية بجماعته، وكان يخطب بجامع الأشرفية بالوراقين وخطبته لطيفة مختصرة، وقرأ المنهج مراراً وكان شديد الشكيمة على نهج السلف الأول لا يعرف التصنع وكان يخبر عن نفسه أنه كان كثير الرؤيا للنبي صلى الله عليه وسلم إنه لما تترل مدرساً في المحمدية من جملة الجماعة انقطع عنه ذلك وكان يبكي ويتأسف لذلك. توفي في ثامن عشر شعبان وأملى نسبه على الدكة إلى سيدنا علي رضي الله عنه.

ومات الأمير الكبير الشهير عثمان بك الفقاري بإسلامبول في هذه السنة وكان مدة غربته ببرصا واسلامبول نيفاً وأربعاً وثلاثين سنة، وقد تقدم ذكره وذكر مبدأ أمره وظهوره وسبب خروجه من مصر ما يغني عن إعادة بعضه وهو أمر مشهور وإلى الآن بين الناس مذكور حتى أنهم جعلوا سنة خروجه تاريخاً يؤرخون به وفياتهم ومواليدهم فيقولون ولد فلان سنة خروج عثمان بك ومات فلان بعد خروج عثمان بك بسنة أو شهر مثلاً.

ومات الأمير عبد الرحمن كتخدا وهو بن حسن جاويش القزدغلي أستاذ سليمان جاويش أستاذ ابراهيم كتخدا مولى جميع الأمراء المصريين الموجودين الآن. وخبره ومبدأ إقبال الدنيا عليه أنه لما مات عثمان كتخدا القازدغلي واستولى سليمان جاويش الجوخدار على موجوده و لم يعط المترجم الذي هو ابن سيد أستاذه شيئاً و لم يجد من ينصفه في إيصال حقه من طائفة باب الينكجرية حسداً منهم وميلاً لأهوائهم وأغراضهم فحنق منهم وخرج من بابهم وانتقل إلى وجاق العزب وحلف أنه لا يرجع إلى وجاق الينكجرية ما دام سليمان جاويش الجوخدار حياً وبر في قسمه فإنه لما مات سليمان جاويش ببركة الحاج سنة 1152 كما تقدم، بادر سليمان كتخدا الجاويشية زوج أم عبد الرحمن كتخدا واستأذن عثمان بك في تقليد عبد الرحمن جاويش السردارية عوضاً عن سليمان جاويش لأنه وارثه ومولاه وأحضروه ليلاً وقلدوه ذلك وأحضر الكاتب والدفاتر وتسلم مفاتيح الخشخانات والتركة بأجمعها وكان شيئاً يجل عن الوصف، وكذلك تقاسيط البلاد، و لم تطمع نفس عثمان بك لشيء من ذلك وأخذ المترجم غرضه من باب العزب ورجع إلى باب الينكجرية ونما أمره من حينئذ وحج صحبة عثمان بك في سنة خمس وخمسين، وأقام هناك إلى سنة إحدى وستين، فحضر مع الحجاج وتولى كتخدا الوقت سنتين وشرع في بناء المساجد وعمل الخيرات وإبطال المنكرات فأبطل خمامير حارة اليهود، فأول عماراته بعد رجوعه السبيل والكتاب الذي يعلوه بين

القصرين وجاء في غاية الظرف وأحسن المباني وأنشأ جامع المغاربة وعمل عند بابه سبيلاً بمنارة وصهريج وكتاب ومدفن السيد السطوحية، وأنشأ بالقرب من تربة الأزبكية سقاية وحوضاً لسقي الدواب ويعلوه كتاب وفي الحطابة كذلك وعند جامع الدشطوطي كذلك، وأنشأ وزاد في مقصور الجامع الأزهر مقدار النصف طولاً وعرضاً يشتمل على خمسين عاموداً من الرخام تحمل مثلها من البوائك المقوصرة المرتفعة المتسعة من الحجر المنحوت وسقف أعلاها بالخشب النفي وبنى به محراباً جديداً ومنبراً وأنشأ له باباً عظيماً جهة حارة كتامة وبنى بأعلاه مكتباً بقناطر معقودة على أعمدة من الرخام لتعليم الأيتام من أطفال المسلمين القرآن وبداخله رحبة متسعة وصهريج عظيم وسقاية لشرب العطاش المارين، وعمل لنفسه مدفناً بتلك الرحبة وعليه قبة معقودة وتركيبة من رخام بديعة الصنعة وبها أيضاً رواق مخصوص بمجاوري الصعائدة المنقطعين لطلب العلم يسلك إليه من تلك الرحبة بدرج يصعد منه إلى الرواق وبه مرافق ومنافع ومطبخ ومخادع وخزائن كتب، وبنى بجانب ذلك الباب منارة وأنشأ باباً آخر جهة مطبخ الجامع وعليه منارة أيضاً. وبنى المدرسة الطيبرسية وأنشأها نشوأ جديداً وجعلها مع مدرسة الآقبغاوية المقابلة لها من داخل الباب الكبير الذي أنشأه خارجهما جهة القبو الموصل للمشهد الحسيني وخان الجراكسة وهو عبارة عن بابين عظيمين كل باب بمصراعين وعلى يمينهما منارة وفوقه مكتب أيضاً وبداخله على يمين السالك بظاهر الطيبرسية ميضأة وأنشأ لها ساقية لخصوص إجراء الماء إليها وبداخل باب الميضأة درج يصعد منه للمنارة ورواق البغداديين والهنود فجاء هذا الباب وما بداخله من الطيبرسية والآقبغاوية والأورقة من أحسن المباني في العظم والوجاهة والفخامة وعمل عند باب القبة الصهريج والمقصورة الكبيرة التي بها ضريح شيخ الإسلام زكريا الأنصاري فيما بين المسجد ودهليز القبة وفرش طريق القبة بالرخام الملون يسلك إليه بدهليز طويل متسع وعليه بوابة كبيرة من داخل الدهليز البراني وعلى الدهليز البراني من كلتا الجهتين بوابتان. وعمر أيضاً لمشهد النفيسي، ومسجده وبنى الصهريج على هذه الهيئة الموجودة وجعل لزيارة النساء طريقاً بخلاف طريق الرجال. وبنى أيضاً مشهد السيد زينب بقناطر السباع، ومشهد السيدة سكينة بخط الخليفة، والمشهد المعروف بالسيدة عائشة بالقرب من باب القرافة، والسيدة فاطمة والسيدة رقية، والجامع والرباط بحارة عابدين، وكذلك مشهد أبي السعود الجارحي على الصفة التي هو عليها الآن ومسجد شرف الدين الكردي بالحسينية. ومسجداً بخط الموسكي وبنى للشيخ الحنفي داراً بجوار ذلك المسجد وينفذ إليه من داخل. وعمر المدرسة السيوفية المعروفة بالشيخ مطهر بخطبات الزهومة وبنى لوالدته بها مدفناً. وأنشأ خارج باب القرافة حوضاً وسقاية وصهريجاً وجدد

المارستان المنصوري وهدم أعلى القبة الكبيرة المنصورية والقبة التي كانت بأعلى الفسحة من خارج و لم يعد عمارتهما بل سقف قبة المدفن فقط وترك الأخرى مكشوفة ورتب له خيرات وأخبازاً زيادة على البقايا القديمة ولما عزم على ترميمه وعمارته أراد أن يحتاط بجهات وقفه فلم يجد له كتاب وقفف ولا دفتراً وكانت كتب أوقافه ودفاتره في داخل خزانة المكتب فاحترقت بما فيها من كتب العلم والمصاحف، ونسخ الوقفيات والدفاتر ووقفه يشتمل على وقف الملك المنصور قلاون الكبير الأصلي ووقف ولده الملك الناصر محمد ووقف بن الناصر أبي الفدا اسمعيل بل وغير ذلك من مرتبات الملوك من أولادهم ثم إنه وجد دفتراً من دفاتر الشطب المستجدة عند بعض المباشرين وذلك بعد الفحص والتفتيش فاستدل به على بعض الجهات المحتكرة. وللمترجم عمائر كثيرة وقناطر وجسور في بلاد الأرياف وبلاد الحجاز حين كان مجاوراً هنا. وبنى القناطر بطندتا في الطريق الموصلة إلى محلة مرحوم، والقنطرة الجديدة الموصلة إلى حارة عابدين من انحية الخلوتي على الخليج وقنطرة بناحية الموسكي،

ورتب للعميان الفقراء الأكسية الصوف المسماة بالزعابيط فيفرق عليهم جملة كثيرة من ذلك عند دخول الشتاء في كل سنة فيأتون إلى داره أفواجاً في أيام معلومة ويعودون مسرورين بتلك الكساوي، وكذلك المؤذنون يفرق عليهم جملة من الإحرامات الطولونية يرتدون بها وقت التسبيح في ليالي الشتاء، وكذلك يفرق جملة من الحبر المحلاوي والبر الصعيدي والملايات والأخلاف والبوابيج القيصرلي على النساء الفقيرات والأرامل، ويخرج عند بيته في ليالي رمضان وقت الإفطار عدة من القصاع الكبار المملوءة بالثريد المسقي بمرق اللحم والسمن للفقراء المجتمعين ويفرق عليهم النقيب هبر اللهم النضيج فيعطى لكل فقير جعله وحصته في يده، وعندما يفرغون من الأكل يعطى لكل واحد منهم رغيفين ونصفي فضة برسم سحوره إلى غير ذلك. ومن عمائره القصر الكبير المعروف به بشاطئ النيل فيما بين بولاق ومصر القديمة وكان قصراً عظيماً من الأبنية الملوكية وقد هدم في سنة 1205 بيد الشيخ علي بن حسن مباشراً لوقف وبيعت أنقاضه وأخشابه ومات المباشر المذكور بعد ذلك بنحو ثلاثة أشهر. ومن عمائره أيضاً دار سكنه بحارة عابدين وكانت من الدور العظيمة المحكمة الوضع والاتقان لا يماثلها دار بمصر في حسنها وزخرفة مجالسها وما بها من النقوش والرخام والقيشاني والذهب المموه واللازورد وأنواع الأصباغ وبديع الصنعة والتأنق والبهجة وغرس بها بستاناً بديعاً بداخله قاعة متسعة مربعة الأركان بوسطها فسقية مفروشة بالرخام البديع الصنعة وأركانها مركبة على أعمدة من الرخام الأبيض، وغير ذلك من العمارات حتى اشتهر ذكره بذلك وسمي بصاحب الخيرات والعمائر في مصر والشام والروم، وعدة المساجد التي أنشأها وجدها وأقيمت فيها الخطبة والجمعة والجماعة ثمانية عشر مسجداً، وذلك خلاف الزوايا والأسبلة والسقايات والمكاتب والأحواض والقناطر والمربوط للنساء الفقيرات والمنقطعات.

وكان له في هندسة الأبنية وحسن وضع العمائر ملكة يقتدر بها على ما يروعه من الوضع من غير مباشرة ولا مشاهدة. ولو لم يكن له من المآثر إلا ما أنشأ بالجامع الأزهر من الزيادة والعمارة التي تقصر عنها همم الملوك لكفاه ذلك، وأيضاً المشهد الحسيني ومسجده والزيني والنفيسي وضم لوقفه ثلاث قرى من بلاد الأرز بناحية رشيد وهي تفينة وديبي وحصة كتامة وجعل إيرادها وما يتحصل من غلة أرزها لمصارف الخيرات وطعام الفقراء والمنقطعين، وزاد في طعام المجاورين بالأزهر ومطبخهم الهريسة في يومي الاثنين والخميس وقد تعطل غالب ذلك في هذا التاريخ الذي نحن فيه لغاية سنة 1220 بسبب استيلاء الخراب وتوالي المحن وتعطل الأسباب. ولم يزل هذا شأنه إلى أن استفحل أمر علي بك وأخرجه منفياً إلى الحجاز وذلك في أوائل شهر القعدة 1178 فأقام بالحجاز اثنتي عشرة سنة، فلما سافر يوسف بك أميراً بالحاج في السنة الماضية صمم على إحضاره صحبته إلى مصر فأحضره في تختروان وذلك في سابع شهر صفر سنة 1190 وقد استولى عليه العي والهرم وكرب الغربة فدخل إلى بيته مريضاً فأقام أحد عشر يوماً ومات فغسلوه وكفنوه وخرجوا بجنازته في مشهد حافل حضره العلماء والأمراء والتجار ومؤذنو المساجد وأولاد المكاتب التي أنشأها ورتب لهم فيها

الكساوي والمعاليم في كل سنة، وصلوا عليه بالأزهر، ودفن بمدفنه الذي أعده لنفسه بالأزهر عند الباب القبلي. ولم يخلف بعده مثله رحمه الله. ومن مساويه قبول الرشا والتحيل على مصادرة بعض الأغنياء في أموالهم واقتدى به في ذلك غيره حتى صارت سنة مقررة وطريقة مسلوكة ليست منكرة وكذلك المصالحة على تركات الأغنياء التي لها وارث ومن سيآته العظيمة التي طار شررها وتضاعف ضررها وعم الإقليم خرابها وتعدى إلى جميع الدنيا هبابها معاضدته لعلي بك ليقوى به على أرباب الرئاسة، فلم يزل يلقي بينهم الفتن ويغري بعضهم على بعض ويسلط عليهم علي بك المذكور حتى أضعف شوكات الأقوياء

وأكد العداوة بين الأصفياء واشتد ساعد علي بك، فعند ذلك التفت إليه وكلب بنابه عليه وأخرجه من مصر وأبعده عن وطنه فلم يجد عند ذلك من يدافع عنه، وأقام هذه المدة في مكة غريباً وحيداً وأخرج أيضاً في اليوم الذي أخرجه فيه نيفاً وعشرين أميراً من الاختيارية كما تقدم. فعند ذلك خلا لعلي بك وخشداشينه الجو فباضوا وأفرخوا وامتد شرهم إلى الآن الذي نحن فيه كما سيتلى عليك بعضه، فهو الذي كان السبب بتقدير الله تعالى في ظهور أمرهم فلو لم يكن له من المساوئ إلا هذه لكفاه ولما رجع من الحجاز متمرضاً ذهب إليه إبراهيم بك ومراد بك وباقي خشداشينهم ليعودوه و لم يكن رآهم قبل ذلك فكان من وصيته لهم: كونوا مع بعضكم واضبطوا أمركم ولا تداخلوا الأعادي بينكم. وهذا بدل عن قوله أوصيكم بتقوى الله تعالى وتجنبوا الظلم وافعلوا الخير فإن الدنيا زائلة وانظروا حالي ومالي أو نحو ذلك هكذا أخبرني من كان حاضراً في ذلك الوقت، وكان سليط اللسان ويتصنع الحماقة فغفر الله لنا وله، رأيته مرة وأنا إذ ذاك في سن التمييز قبل أن ينفى إلى الحجاز، وهو ماش في جنازة، مربوع القامة أبيض اللون مسترسل اللحية ويغلب عليها البياض مترفهاً في ملبسه معجباً بنفسه يشار إليه بالبنان.

سنة إحدى وتسعين ومائة وألف

فيها في أوائل شهر ربيع الأول ورد أغا من الديار الرومية بطلب عساكر لسفر العجم فاجتمع الأمراء وتشاوروا في ذلك فاتفق رأيهم على إحضار إبراهيم طنان، فأحضروه من المحلة، وقلدوه إمارة ذلك.

وفيها في أوائل شهر جمادى الأولى، وقعت حادثة في طائفة المغاربة المجاورين بالجامع الأزهر، وذلك أنه آل إليهم مكان موقوف وحجد واضع اليد ذلك والتجأ إلى بعض الأمراء وكتبوا فتوى في شأن ذلك واختلفوا في ثبوت الوقف بالإشاعة، ثم أقاموا الدعاوى في المحكمة وثبت الحق للمغاربة، ووقع بينهم منازعات وعزلوا شيخهم وولوا آخر وكان المندفع في الخصومة واللسانة شيخاً منهم يسمى الشيخ عباس والأمير الملتجئ إليه الخصم يوسف بك، فلما ترافعوا وظهر الحق على خلاف غرض الأمير حنق لذلك ونسبهم إلى ارتكاب الباطل فأرسل من طرفه منن يقبض على الشيخ عباس المذكور من بين المجاورين فطردوا المعينين وشتموهم، وأخبروا الشيخ أحمد الدردير فكتب مراسلة إلى يوسف بك تتضمن عدم تعرضه لأهل العلم ومعاندة الحكم الشرعي، وأرسلها صحبة الشيخ عبد الرحمن الفرنوي وآخرين فندما وصلوا إليه وأعطوه التذكرة نهرهم وأمر بالقبض عليهم وسجنهم بالحبس. ووصل الخبر إلى الشيخ الدردير وأهل الجامع فاجتمعوا في صبحها وأبطوا الدروس والآذان والصلوات وقفلوا أبواب الجامع وجلس المشايخ بالقبلة القديمة، وطلع الصغار على المنارات يكثرون الصياح والدعاء على الأمراء. وأغلق أهل الأسواق القريبة الحوانيت وبلغ الأمراء ذلك، فأرسلوا إلى يوسف بك فأطلق المسجونين وأرسل إبراهيم بك من طرفه إبراهيم أغا بيت المال فلم يأخذ جواباً وحضر الأغا إلى الغورية ونزل هناك ونادى بالأمان وأمر بفتح الحوانيت، فبلغ مجاوري المغاربة ذلك فذهب إليه طائفة منهم وتبعهم بعض العوام وبأيديهم العصي والمسلوق وضربوا أتباع الآغا ورجموه بالأحجار فركب عليهم وأشهر فيهم السلاح هو ومماليكه فقتل من مجاوري المغاربة ثلاثة أنفار وانجرح منهم كذلك ومن العامة. وذهب الآغا ورجع الفريق الآخر وبقي الهرج إلى ثاني يوم، فحضر اسمعيل بك والشيخ السادات وعلي أغا كتخدا الجاويشية وحسن أغا فتزلوا الأشرفية وأرسلوا إلى أهل الجامع تذكرة بانفضاض الجمع وتمام المطلوب. وكان ذلك عند الغروب فلم يرضوا بمجرد الوعد وطلبوا الجامكية والجراية فركبوا ورجعوا وأصبح يوم الأربعاء والحال على ما هو عليه، واسمعيل بك مظهر الاهتمام لنصرة أهل الأزهر، فحضر مع الشيخ السادات وجلسوا بالجامع المؤيدي وأرسلوا للمشايخ تذكرة صحبة الشيخ إبراهيم السندوبي ملخصها أن اسمعيل بك تكفل بقضاء أشغال المشايخ وقضاء حوايجهم وقبول فتواهم وصرف جماكيهم وجراياتهم، وذلك بضمان الشيخ السادات له فلما حضر الشيخ إبراهيم بالتذكرة وقرأها الشيخ عبد الرحمن العريشي جهاراً وهو قائم على أقدامه. فلما سمعوها أكثروا من الهرج واللغط وترددت الإرساليات والذهاب والمجيء بطول النهار ثم اصطلحوا وفتحوا الجامع في آخر النهار، وأرسلوا لهم في يوم الخميس جانباً من دراهم الجامكية. ومن جملة ما اشترطوه في الصلح عدم مرور الآغا والوالي والمحتسب من حارة الأزهر وغير ذلك شروط لم ينفذ منها شيء. وعمل إبراهيم بك ناظراً على الجامع عوضاً عن الآغا وأرسل من طرفه جندياً للمطبخ وسكن الاضطراب. وبعد مضي أربعة أيام من هذه الحادثة مر الآغا وبعده الوالي كذلك

فأرسل المشايخ إلى إبراهيم بك يخبروه فقال: إن الطريق يمر بها البر والفاجر ولا يستغني الحكام عن المرور.

وفي أوائله أيضاً أحضر مراد بك شخصاً يقال له سليمان كاشف من أتباع يوسف بك وضربه علقة بالنبابيت لسبب من الأسباب فحقدها عليه يوسف بك واستوحش من طرفه.

وفي ثاني عشر جمادى الثانية قبض الآغا على إنسان شريف من أولاد البلد يسمى حسن المدابغي وضربه حتى مات، وسبب ذلك أنه كان في جملة من خرج على الآغا بالغورية يوم فتنة الجامع وكان إنساناً لا بأس به.

وفي ليلة الجمعة رابع عشر جمادى الثانية، خرج اسمعيل بك جهة العادلية مغضباً وسبب ذلك أن مراد بك زاد في العسف والتعدي خصوصاً في طرف اسمعيل بك وإبراهيم بك يسعى بينهما في الصلح واجتمعوا في آخر مجلس عند إبراهيم بك، فتكلم اسمعيل بك كلاماً مفحماً وقال: أنا تارك لكم مصر وإمارتها وجاعلكم مثل أولادي ولا أريد إلا المعيشة وراحة السر وأنتم لا تراعون لي حقاً، وأمثال ذلك من الكلام. فحضر في هذه الأيام إلى اسمعيل بك مركب غلال فأرسل مراد بك وأخذ ما فيها وعلم أن اسمعيل بك يغتاظ لذلك، ثم اتفق مع بعض أغراضه أنهم يركبون من الغد إلى اسمعيل بك ويدخلون عليه في بيته ويقتلونه فعلم اسمعيل بك بذلك فركب في الصباح وخرج إلى العادلية بعد أن عزل بيته وحريمه ليلاً وجلس بالأشبكية، وركب مراد بك ذاهباً إلى اسمعيل بك فوجده قد خرج إلى الأشبكية، وكان إبراهيم بك طلع إلى قصر العيني فذهب إلى مراد بك ولما أشيع خروج اسمعيل بك ركب يوسف بك وخرج غليه وتبعه محمد بك طبل وحسن بك وإبراهيم بك طنان وذو الفقار بك وغيرهم. ووصل الخبر إلى إبراهيم بك ومراد بك ومن انضم إليهم فركبوا وحضروا إلى القلعة وملكوا الأبواب وامتلأت الرميلة والميدان بعساكرهم وصحبتهم أحمد بك الكلارجي ولاجين بك وأيوب بك ورضوان بك وخليل بك ومصطفى بك واضطربت المدينة، وأغلق الناس الدكاكين واستمروا على ذلك يوم السبت ويوم الأحد ويوم الاثنين ويوم الثلاثاء، وتسحب من أهل القلعة جماعة خرجوا إلى اسمعيل بك ويوسف بك ومن معهما وهم اسمعيل أغا أخو علي بك الغزاوي وأخوه سليم أغا وعبد الرحمن أغا أغات الينكجرية سابقاً، فأرسل أهل القلعة إبراهيم أغا الوالي فجلس بباب النصر وأغلق الباب ونزل الباشا إلى باب العزب. فحضر قاسم كتخدا عزبان أمين البحرين وعبد الرحمن أغا وصحبتهم جماعة إلى باب النصر فأرسلوا إليهم طائفة من عسكر المغاربة فضربوا عليهم بالرصاص وحمل عليهم الآخرون فشتتوهم ورجعوا إلى خلف وقتل من المغاربة أنفار وانجرح منهم كذلك وانتشر البرانيون حوالي جهات مصر وذهب منهم طائفة إلى جهة بولاق وفيهم محمد بك طبل فوجدوا طائفة من الكشاف والأجناد حضروا إلى بولاق لأجل العليق والتبن فوقعت بينهم وقعة، فانهزموا إلى قصر عبد الرحمن كتخدا وأخذ أولئك العليق والتبن وطلع منهم طائفة إلى الجبل واشتد الحال وعظمت الفتنة فأراد الباشا إجراء الصلح فأرسل أيوب أغا ورجع بجواب عدم رضاهم بالصلح، ثم أرسل إليهم أحمد جاويش المجنون فذهب و لم يرجع والتف عليهم، فأرسل الباشا ولده وكتخداه سعيد بك مراراً. ثم دخل في يوم الأربعاء عبد الرحمن أغا من باب النصر وشق من وسط المدينة وأمامه المنادي ينادي على الناس برفع بضائعهم من الحوانيت فرفع الناس بواقي بضائعهم من الدكاكين و لم يزل سائراً حتى وصل إلى باب زويلة ونزل بجامع المؤيد وجلس به مقدار ساعتين ورتب عسكراً هناك على السقائف والأسبلة، ثم ركب راجعاً وعاد وصحبته إبراهيم بك الطناني ومعهم عدة أجناد وعساكر وخرجوا من باب زويلة إلى الدرب الأحمر إلى جامع المرداني، فجلسوا عنده

إلى بعد الظهر ثم زحفوا إلى التبانة إلى قرب المحجر وعملوا هناك متاريس ورتبوا بها جماعة وكذلك ناحية سويقة العزى، فنزل إليهم جماعة من القلعة وتراموا بالرصاص وقطعوا الطرق على من بالقلعة إلى بعد العصر فنزل إليهم خيالة مدرعين، فحمل عليهم عسكر المغاربة فوقع منهم أربعة خيالة وانجرح لاجين بك فحملوه إلى بيته في شنف وقتل أنفار من عسكر المغاربة وولى القلعاوية إلى جهة القلعة، وبعد الغروب انفصل عنهم عسكر المغاربة ونكسوا أعلامهم وحضروا عند أجناسهم والتفوا عليهم ولاحت لوائح الخذلان على من بالقلعة، ودخل عليهم الليل وانكف الفريقان. وأصبح يوم الخميس فدخل الكثير من البرانيين إلى المدينة شيئاً فشيئاً وربطوا في جميع الجهات حتى انحصروا بالقلعة وأخذوا ينقبون عليهم، فلما شاهدوا الغلب فيهم نزلوا من باب الميدان وذهبوا جهة البساتين إلى الصعيد فتخلف عنهم أحمد بك الكلارجي وأيوب بك وإبراهيم بك أوده باشه ولاجين بك مجروح وخرج المتخلفون إلى اسمعيل بك ويوسف بك وطلبوا منهما الأمان وانضموا إليهم. وعندما أشيع نزول إبراهيم بك ومراد بك من القلعة هجم المراطبون بالمحجر وسوق السلاح على الرميلة ونهبوا خيامهم وعازقهم الذي

بها وبالميدان حتى جمال الباشا وخيول الدلاة، وذلك يوم الخميس قبل العصر بنصف ساعة، فدخل اسمعيل بك ويوسف بك بعد العصر من ذلك اليوم من باب النصر، وتوجهوا إلى بيوتهم وأصبح يوم الجمعة فشق عبد الرحمن أغا ونادى بالأمان والبيع والشراء وراق الحال.

ولما كان يوم الأحد ثاني عشرين جمادى الثانية طلعوا إلى الديون فخلع الباشا على اسمعيل بك ويوسف بك خلعتي سمور واستقر اسمعيل بك شيخ البلد ومدبر الدولة وقلدوا حسن بك الجداوي صنجقاً كما كان، وكانت الصنجقية مرفوعة عنه من موت سيده علي بك وكذلك رضوان بك قرابة علي بك قلدوه صنجقية وقلدوا اسمعيل أغا أخا علي بك الغزاوي صنجقية أيضاً وسكن ببيت إبراهيم بك الكبير وقلدوا سليمان كاشف من أتباع يوسف بك وهو الذي كان ضربه علقة مراد بك بالنبوت كما تقدم صنجقية ولقبه الناس أبا نبوت، وقلدوا أيضاً سليم كاشف من أتباع اسمعيل بك صنجقية وقلدوا عبد الرحمن أغا أغاوية مستحفظان كما كان ومحمد كاشف والي الشرطة. وفي عشية ذلك اليوم أنزلوا سليمان أغا مستحفظان إلى بولاق وأنزلوه في مركب منفياًإلى دمياط بعدما صودر في نحو أربعين ألف ريال.

وفي يوم الثلاثاء خامس عشرينه، أنزلوا أيضاً سليمان كتخدا مستحفظان وعثمان كتخدا باش اختيار مستحفظان المعروف بأبي مساوق والأمير عبد الله أغا وأنزلوهم إلى المراكب، ثم حصل عنهم العفو فردوهم إلى بيوتهم.

وفي ذلك اليوم طلعوا إلى الديوان فقلدوا ذا الفقار بك دفتردار عوضاً عن رضوان بك بلفيا وذلك بإشارة يوسف بك لكونه كان مع مراد بك وإبراهيم بك حتى أنه أراد أن يسلب نعمته فمنعه عنه اسمعيل بك.

وفي يوم الأربعاء ثاني شهر رجب، حضر عند يوسف بك حسن بك الجداوي وصحبته اسمعيل بك الصغير وهو أخو علي بك الغزاوي وسليم بك الاسمعيلي وعبد الرحمن بك العلوي فجلسوا معه ساعة لطيفة بالمقعد المطل على البركة، فجلس حسن بك أمامه وكان جالساً على الدكة المرتفعة عن المرتبة، وجلس تحت شماله على المرتبة اسمعيل بك الصغير وسليم بك وعبد الرحمن بك استمر واقفاً، وحادثوه في شيء وتناجوا مع بعضهم وتأخر عنهم الواقفون من المماليك والأجناد فسحب عبد الرحمن بك النمشاة وضرب بها يوسف بك فأراد أن يهم قائماً، فداس على ملوطة اسمعيل بك فوقع على ظهره فنزلوه عليه بالسيوف وضربوا في وجوه الواقفين طلق بارود فهربوا إلى خلف ونزل الضاربون من القيطون، وركبوا وذهبوا إلى اسمعيل بك فركب في

تلك الساعة وطلع إلى القلعة وأرسل اسمعيل كتخدا عزبان إلى الباشا وكان بقصر العيني بقصد التتره، فركب من هناك وطلع إلى القلعة وجلس بباب العزب صحبة اسمعيل بك، فلما بلغ الأمراء الذين هم خشداشين يوسف بك ركبوا وخرجوا من المدينة وذهبوا إلى قبلي وهم أحمد بك الكلارجي وذو الفقار بك ورضوان بك الجرجاوي، فركب خلفهم طائفة فلم يدركوهم، وأرسلوا إلى محمد بك طبل فكرنك في بيته ونصب له مدافع وأبى من الخروج لأنه صار من المذبذبين. فلما وقع منه ذلك ذهب إليه حسن بك سوق السلاح وأخذه بالأمان إلى اسمعيل بك بعدما نزل إلى بيته فأمره أن يأخذه عنده في بيته، فلما أصبح استأذنه في زيارة الإمام الشافعي فأذن له فركب إلى جهة القرافة وذهب إلى جهة الصعيد. وانقضت الفتنة ودفن يوسف بك.

وفي يوم الخميس، طلعوا إلى الديوان فخلع الباشا على اسمعيل بك الكبير فروة سمور وأقره على مشيخة ابلد، وقلدوا حسن بك قصبة رضوان إمارة الحج عوضاً عن يوسف بك، وقلدوا عبد الرحمن بك العلوي صنجقاً كما كان، وقلدوا إبراهيم أغا خازندار، واسمعيل بك الذي زوجه ابنته صنجقية، وتلقب بإبراهيم بك قشطة وسكن ببيت محمد بك، وقلدوا حسين أغا خازندار اسمعيل بك سابقاً صنجقية أيضاً وسكن ببيت أحمد بك الكلارجي، وقلدوا كاشفين أيضاً لاسمعيل بك يسمى كل واحد منهما بعثمان صنجقين، وسكن أحدهما ببيت مصطفى بك الذي كان سكن محمد بك طبل وهو على بركة الفيل حيث جامع أزبك اليوسفي وهو الذي يسمى بعثمان بك طبل وعثمان الثاني وهو الذي لقب بقفا الثور، وسكن ببيت ذي الفقار المقابل لبيت بلفيا، وقلدوا علي أغا جوخدار اسمعيل بك صنجقية أيضاً وسكن ببيت مراد بك عند الكبش وهو ببيت صالح بك الكبير وكان يسكنه سليمان بك أبو نبوت اليوسفي. وأما بيت يوسف بك فسكن به سليم بك وقلدوا يوسف أغا من أتباع اسمعيل بك والياً ونفوا أيوب بك وسليمان بك إلى المنصورة.

وفي صبحها يوم الجمعة رابع شهر رجب الفرد الموافق لرابع مسرى القبطي نودي بوفاء النيل ونزل الباشا صبح يوم السبت وكسر السد على العادة وجرى الماء إلى الخليج وعاد الباشا إلى القلعة.

وفي سابعه، اتفقوا على إرسال تجريدة إلى الصعيد وسر عسكرها اسمعيل بك الصغير، وعينوا للتوجه صحبته حسن بك الجداوي وإبراهيم بك الطناني وسليم بك الطناني وسلم بك الاسمعيلي وإبراهيم بك أوده باشا وحسن بك الشرقاوي المعروف بسوق السلاح وقاسم كتخدا عزبان وعلي أغا المعمار وكان غائباً بالمنية، فلما قبل الجماعة تخلص وترك أحواله وغلاله وحضر إلى مصر وصحبته طائفة من الهوارة والعربان، فلما حضر أرادوا أن يقلدوه صنجقية فامتنع من ذلك وشرعوا في تشهيل التجريدة وطلبوا طلباً عظيماً، وصرف الباشا ألف كيس من الخزينة لنفقة العسكر وخلعوا على الهوارة ومشايخ العربان ووعدوهم بالخير. وفيه جاءت الأخبار بأن علي بك السروجي ساق خلف محمد بك طبل فلحقه عند مكان تجاه البدرشين واحتاط به العربان وقتلوا مماليكه وشرد من نجا منهم وتفرق ونهبوا ما معه، وعروه وسلموه لكاشف هناك من أتباع اسمعيل بك فوقع في عرضه وعرض مشايخ البلد فألبسوه حوائج وهربوه وصحبته اثنان من الأجناد، فلما حضر علي بك السروجي أخبره العرب بما حصل، فأخذ ذلك الكاشف وحضر صحبته إلى اسمعيل بك فضرب الكاشف علقة ونفاه.

وفيه ورد الخبر أيضاً عن ذي الفقار بك بأن العرب عروه أيضاً، فهرب فلحقوه وأرادوا قتله، فألقى نفسه في البحر بفرسه وغرق ومات.

وفي يوم الاثنين رابع عشر رجب، برزت عساكر التجريدة إلى جهة البساتين.
وفي يوم الخميس خرج أيضاً غالب الأمراء وبرزوا خيامهم.
وفي يوم الجمعة ثامن عشر رجب سافرت التجريدة براً وبحراً.

وفي يوم السبت سادس عشرين رجب وصلت الأخبار بأن التجريدة تلاقت مع الأمراء القبالي ووقع بينهم معركة قوية، فكانت الهزيمة على التجريدة. فلما وصلت هذه الأخبار اضطرب اسمعيل بك وتخبل غزله وكذلك أمراؤه ودخل في يومها الأجناد مشتتين مهزومين، وكانت الوقعة يوم الجمعة في بياضة من أعمال الشرق فكبسوهم على حين غفلة وقت الفجر، فركب علي أغا المعمار وقاسم كتخدا عزبان وإبراهيم بك طنان فحاربوا جهدهم فأصيب علي أغا وقاسم كتخدا ووقعت خيولهما، وذلك بعد أن ساق علي أغا وصحبته رضوان أغا طنان وقصد مراد بك وضربه رضوان في وجهه بالسيف، فلمحه خليل بك كوسه الإبراهيمي وضرب علي أغا بالقرابينة فأصابته في عنقه، ووقع فرسه وسقط ميتاً. فلما قتل هذان الأميران ولي إبراهيم بك طنان فانهزم بقية الأمراء لأنه لم يكن فيهم أشجع من هؤلاء الثلاثة وباقيهم ليس له دربة في الحرب وسر عسكر مقصوب ومريض، واحتاط الأمراء القبليون بخيامهم وحملاتهم ومراكبهم بما فيها، وكانت نيفاً وخمسمائة مركب وكان كبير العسكر في قنجة صغيرة، فلما عاين الكسرة أسرع في الانحدار وكذلك بعض الأمراء انحدروا معه وباقيهم وصلوا في البر على هيئة شنيعة، وكان اسمعيل بك بمصر القديمة ينتظر أمراء التجريدة. فلما حصل ذلك نزل الباش في يوم الأحد وخرج إلى الآثار وجلس مع الصنجق ونادوا بالنفير العام، فخرج القاضي والمشايخ والتجار وأرباب الصنائع والمغاربة وأهل الحارات والعصب وغلقت الأسواق.
وخرج الناس في يوم الاثنين حتى ملأوا الفضاء، فلما عاين ذلك اسمعيل بك وعلم أنك يحتاجون إلى مصروف ومأكل وأكثرهم فقراء وذلك غاية لا تدرك، أشار على تجار المغاربة والأضاشات بالمكث ورجع بقية العامة وأرباب الحرف ومشايخ الأشاير والفقراء من أهل الزوايا والبيوت، ووصل القبليون إلى حلوان وطمعوا في أخذ مصر بعد الكسرة قبل الاستعداد ثانياً.
وفي يوم الاثنين أرسل اسمعيل بك عدة من الأجناد وأصحبهم عسكر المغاربة ومعهم الجبخانة والمدافع فنصبوا المتاريس ما بين التبين وحلوان تجاه الأخصام، وركب في ليلتها اسمعيل بك وأمراؤه وأجناده وأحضر الباشا قليون رومي من دمياط ورئيسه يسمى حسن الغاوي مشهور بمعرفة الحرب في البحر يشتمل ذلك القليون على خمسة وعشرين مدفعاً، فأقلع به ليلاً تجاه العسكر وارتفع حتى تجاوز مراكبهم وضرب بالمدافع على وطاقهم في البر وعلى مراكبهم في البحر وساق جميع المراكب بما فيها، ووقع المصاف واشتد الجلاد بين الفريقين فكان بينهم وقعة قوية، وقتل فيها من أولئك رضوان بك الجرجاوي وخليل بك كوسه الإبراهيمي وخازنداره وكشاف وأجناد، ووقعت على القبالي الهزيمة و لم يظهر مراد بك في هذه المعركة بسبب جراحته. ثم هجموا على وطاقهم وخيامهم ونهبوها ونزل محمد بك طبل بفرسه إلى البحر وغرق ومات. ورجع إبراهيم بك ومراد بك وهو مجروح ومصطفى بك وأحمد بك الكلارجي وأتباعهم وذهبوا إلى قبلي وساقوا خلفهم فلم يدركوهم. ودخل اسمعيل بك والأمراء والأجناد والعسكر إلى مصر منصورين مؤيدين وكانت هذه النصرة بخلاف المظنون، وكان رجوعهم يوم الأربعاء غرة شهر شعبان.
وفي ليلة السبت رابع شعبان حضر كاشف وصحبته جملة من المماليك وكان هذا الكاشف مأسوراً عند القبالي، فلما انهزموا

أذنوا له بالرجوع إلى بيته وانضم إليه عدة مماليك ماتت أسيادهم فلما حضروا عند اسمعيل بك فرقهم على الأمراء.
وفي سابعه، أحضروا رمة علي أغا المعمار إلى بيته فغسلوه وكفنوه وصلوا عليه في مشهد حافل ودفنوه بالقرافة.
وفيه تقلد حسن بك الجداوي ولاية جرجا وجاءت الأخبار بأن القبليين استقروا بشرق أولاد يحيى.
وفي أخر شعبان، سافر حسن بك الجداوي إلى جرجا وصحبته كشاف الولايات وحكام الأقاليم فضج لتزولهم ساحل البحر بسبب أخذهم المراكب.
وفي منتصف شهر رمضان، ولدت امرأة مولوداً يشبه خلقة الفيل مثل وجهه وآذانه وله نابان خارجان من فمه وأبوه رجل جمال وامرأته لما رأت الفيل وكانت في أشهر وحامها نقلت شبهه في ولدها وأخذه الناس يفترجون عليه في البيوت والأزقة.

وفي يوم الجمعة تاسع عشرين شهر رمضان، ركب أمراء اسمعيل بك وصناجقه وعساكره في آخر الليل واحتاطوا ببيت اسمعيل بك الصغير أخي علي بك الغزاوي فركب في مماليكه وخاصته وخرج من البيت، فوجدوا الطرق كلها مسدودة بالعسكر والأجناد فدخل من عطفة الفرن يريد الفرار وخرج على جهة قنطرة عمر شاه فوجد العسكر والأجناد أماه وخلفه فصار يقاتلهم ويتخلص منهم من عطفة إلى عطفة حتى وصل إلى عطفة البيدق، وأصيب بسيف على عاتقه وسقطت عمامته وصار مكشوف الرأس إلى أن وصل إلى تجاه درب عبد الحق بالأزبكية، فلاقاه عثمان بك أحد صناجق اسمعيل بك فرده وسقط واحتاطوا به فترل على دكان في أسوأ حال مكشوف الرأس والدم خارج من كركه، فعصبوا رأسه بعمامة رجل جمال وأخذه عثمان بك إلى بيته وتركه وذهب إلى سيده فأخبره، فخلع عليه فروة وفرساً مرختاً وأرسلوا إليه الوالي فخنقه، ووضعوه في تابوت وأرسلوه إلى بيته الصغير، فبات به ميتاً وأخرجوه في صبحها في مشهد ودفنوه. وكان اسمعيل بك قد استوحش منه وظهر عليه في أحكامه وأوامره وكلما أبرم شيئاًعارضه فيه. وازدحم الناس على بيته وأقبلت إليه أرباب الخصومات والدعاوى وصار له عزوة كبيرة وانضم إليه كشاف واختيارية وحدثته نفسه بالانفراد وتخيل منه اسمعيل بك فتركه وما يفعله وأظهر أنه مرمود في عينيه، وانقطع بالحريم من أول شهر رمضان ثم سافر في أواخره في النيل لزيارة سيدي أحمد البدوي، ثم رجع وبيت مع أتباعه ومن يثق به وقاموا عليه وقتلوا كما ذكر. ولما انقضى أمره شرع اسمعيل بك في إبعاد ونفي من كان يلوذ به وينتمي إليه، فأنزلوا إبراهيم بك بلفيا ومحمد أغا الترجمان وعلي كتخدا الفلاح وبعض كشاف إلى بولاق، وأراد قتل أخيه سليم آغا المعروف بتمرلنك، فاقتدى نفسه بثلاثين ألف ريال، ثم نفوه ثالث شوال ونفي إبراهيم بك بلفيا إلى المحلة.
وفي تلك الأيام، قرر اسمعيل بك على كل بلد من القرى ثلثمائة ريال وهي أول سيآته.
وفي يوم الأحد ثاني عشرين شوال عملوا موكب المحم وأمير الحاج حسن بك رضوان.
وفي يوم الخميس رابع ذي القعدة تقلد عبد الرحمن بك عثمان صنجقية وكانت مرفوعة عنه وكذلك علي بك.
وفي يوم الاثنين ثامنه، سافرت تجريدة لجهة الصعية للأمراء القبالي لأنهم تقووا واستولوا على البلاد وقبضوا الخراج وملكوا من جرجا إلى فوق، وحسن بك أمير الصعيد مقيم وليس فيه قدرة على مقاومتهم، ومنعوا ورود الغلال حتى غلا سعرها فعينوا لهم التجريدة وسر عسكرها رضوان بك وعلي الجوخدار وسليم بك وإبراهيم بك طنان وحسن بك سوق السلاح.
وفي يوم الأحد حادي عشرين القعدة، خرج اسمعيل بك إلى ناحية دير الطين وعزم على التوجه إلى قبلي بنفسه وأرسل الباشا

فرمانات لسائر الأمراء والجاقلية وأمرهم جميعاً بالسفر فخرجوا جميعاً ونصبوا وطاقاتهم عند المعادي، ونزل الباشا وجلس بقصر العيني وطلبوا طلباً عظيماً.

وفي يوم الجمعة، عدى اسمعيل بك إلى البر الثاني وترك بمصر عبد الرحمن أغا مستحفظان كتخدا ورضوان بك بلفيا وعثمان بك طبل وإبراهيم بك قشطة صهره وحسين بك ومقادم الأبواب لحفظ البلد، فكان المقادم يدورون بالطوف في الجهات ليلاً ونهاراً مع هدوء سر الناس وسكون الحال في مدة غياب الجميع.

وفي سادس شهر الحجة، وصلت مكاتبات من اسمعيل بك ومن الأمراء الذين بصحبته بأنهم وصلوا إلى المنية فلم يجدوا بها أحداً من القبليين وأنهم في أسيوط ومعهم اسمعيل أبو علي من كبار الهوارة.

وفي سابع عشره، حضر الوجاقلية الذين كانوا بالتجريدة وحضر أيضاً أيوب أغا وكان عند القبالي فحضر عند اسمعيل بك بأمان واستأذنه في التوجه إلى بيته ليرى عياله فأذن له وأرسله صحبة الوجاقلية وسبب رجوع الوجاقلية لما رأى اسمعيل بك بعد الأمراء وأراد أن يذهب خلفهم فأمرهم بالرجوع للتخفيف، وانقضت هذه السنة.

من مات في هذه السنة من الأعيان

مات الشريف الصالح المرشد الواصل السيد محمد هاشم الأسيوطي ولد بأسيوط وبيتهم يعرف ببيت فاضل نشأ ببلده على قدم الخير والصلاح وحضر دروس الشيخ حسن الجديري، ثم ورد إلى مصر فحضر دروس كل من الشيخ محمد البليدي والشيخ محمد الشماوي والشيخ عطية الأجهوري وأخذ الطريق على الشيخ عبد الوهاب العفيفي، وكان منقطعاص للعبادة متقشفاً متواضعاً وكان غالب جلوسه بالأشرفية ومسجد الشيخ مطهر. وكان لا يزاحم الناس ولا يداخلهم في أحوال دنياهم ولهم فيه اعتقاد عظيم ويذهبون لزيارته ويقتبسون من إشارته واستخارته ويتبركون بأجازته في الأوراد والأسماء. ويسافر لزيارة سيدي أحمد البدوي ثم يعود إلى خلوته وربما مكث عند بعض اصدقائه أياماً بقصد البعد عن الناس عندما يعلمون استقراره بالخلوة ويزدحمون في بيته بالأزبكية وصلوا عليه بالأزهر، ودفن بالمجاورين رحمه الله.

ومات الشيخ الإمام الأديب الفاضل الفقيه أحد العلماء الأعلام الشيخ محمد بن إبراهيم العوفي المالكي لازم الشمس الحفني وأخاه الشيخ يوسف وحضر دروس الشيخ علي العدوي والشيخ عيسى البراوي وأفتى ودرس. وكان شافعي المذهب فسعى فيه جماعة عند الشيخ الحفني فأحضره وأثبت عليه بخطه ما نقل عنه فتوعده فلحق بالشيخ علي العدوي وانتقل لمذهب مالك، وكان رحمه الله عالماً محصلاً بحاثاً متفنناً غير عسر البديهة شاعراً ماجناً خليعاً ومع ذلك كانت حلقة درسه تزيد على الثلثمائة في الأزهر. مات رحمه الله مفلوجاً وحين أصابه المرض، رجع إلى مذهب الشافعي، وقرأ ابن قاسم بمسجد قريب من منزله ويحمله الطلبة إلى المسجد فيقرأ وهو يتلعثم لتعقد لسانه بالفالج، مع ما كان فيه من الفصاحة أولاً، ثم برئ يسيراً و لم يلبث أن عاوده المرض وتوفي إلى رحمة الله تعالى.

ومات الأديب الماهر الشيخ رمضان بن محمد المنصوري الأحمدي الشهير بالحمامي سبط آل الباز، ولد بالمنصورة وقرأ المتون على مشايخ بلده، وانزوى إلى شيخ الأدب محمد المنصوري الشاعر، فرقاه في الشعر وهذبه وبه تخرج، وورد إلى مصر مراراً

وسمعنا من قصائده وكلامه الكثير، وله قصائد سنية في المدائح الأحمدية تنشد في الجموع. وبينه وبين الأديب قاسم وعبد القادر المدني محاورات ومداعبات وأخبر أنه ورد الحرمين من مدة ومدح كلاً من الشريف والوزير وأكابر الأعيان بقصائد طنانة كان ينشد منها جملة مستكثرة، مما يدل على سعة باعه في الفصاحة. ولم يزل فقيراً مملقاً يشكو الزمان وأهليه ويذم جني بنيه وبآخرة تزوج امرأة موسرة بمصر وتوجه بها إلى مكة فأتاه الحمام وهو في ثغر جدة في سنة تاريخه.

ومات الأمير يوسف بك الكبير وهو من أمراء محمد بك الذهب أقره في سنة ست وثمانين وزوجه بأخته وشرع في بناء ولده على بركة الفيل داخل درب الحمام تجاه جامع الماس وكان يسلك إليها من هذا الدب ومن طرق الشيخ الظلام، وكان هذا الدرب كثير العطف ضيق المسالك فأخذ بيوته بعضها شراء وبعضها غصباً وجعلها طريقاً واسعة وعليها بوابة عظيمة. وأراد أن يجعل إمام باب داره رحبة متسعة فعارضه جامع خير بك حديد فعزم على هدمه ونقله إلى آخر الرحبة، واستمر يعمر في تلك الدار نحو خمس سنوات. وأخذ بيت الداودية الذي بجواره وهدمه جميعه وأدخله فيها، وصرف في تلك الدار أموالاً عظيمة، فكان يبني الجهة مناه حتى يتمها بعد تبليطها وترخيمها بالرخام الدقي الخردة المحكم الصنعة السقوف والأخشاب والرواشن له شيطانه فيهدمها إلى آخرها ويبنيها ثانياً على وضع آخر. وهكذا كان دأبه واتفق أنه ورد إليه من بلاده القبلية ثمانون ألف أردب غلال فوزعها بأسرها على الموازنة في ثمن الجبس والجير والأحجار والأخشاب والحديد وغير ذلك. وكان فيه حدة زائدة وتخليط في الأمور والحركات ولا يستقر بالمجلس بل يقوم يقعد ويصرخ ويروق حاله في بعض الأوقات فيظهر فيه بعض إنسانية ثم يتغير ويتعكر من أدنى شيء. ولما مات سيده محمد بك وتولى إمارة الحج ازداد عتواً وعسفاً وانحرافاً خصوصاً مع طائفة الفقهاء والمتعممين لأمور نقمها عليهم، منها أن شيخاً يسمى الشيخ أحمد صادومة وكان رجلاً مسناً ذا شبية وهيبة وأصله من سمنود وله شهرة عظيمة وباع طويل في الروحانيات وتحريك الجمادات والسميات ويكلم الجن ويخاطبهم مشافهة ويظهرهم للعيان، كما أخبرني عنه من شاهده، وللناس اختلاف في شانه، وكان للشيخ الكفراوي به التئام وعشرة ومحبة أكيدة واعتقاد عظيم ويخبر عنه أنه من الأولياء وأرباب الأحوال والمكاشفات، بل يقول أنه هو الفرد الجامع، ونوه بشأنه عند الأمراء وخصوصاً محمد بك أبا الذهب، فراج حال كل منهما بالآخر. فاتفق أن الأمير المذكور اختلى بمحظيته فرأى على سوأتها كتابة فسألها عن ذلك وتهددها بالقتل فأخبرته أن المرأة الفلانية ذهبت بها إلى هذا الشيخ وهو الذي كتب لها ذلك ليحببها إلى سيدها، فنزل في الحال وأرسل فقبض على الشيخ صادومة المذكور وأمر بقتله وإلقائه في البحر، ففعلوا به ذلك وأرسل إلى داره فاحتاط بما فيها فأخرجوا منها أشياء كثيرة وتماثيل ومنها تمثال من قطيفة على هيئة الذكر، فأحضروا له تلك الأشياء فصار يريها للجالسين عنده والمترددين عليه من الأمراء وغيرهم ووضع ذلك التمثال بجانبه على الوسادة فيأخذه بيده ويشير لمن يجلس معه ويتعجبون ويضحكون وعزل الشيخ حسن الكفراوي من إفتاء الشافعية ورفع عنه وظيفة المحمدية وأحضر الشيخ أحمد بن يوسف الخليفي وخلع عليه وألبسه فروة وقرره في ذلك عوضاً عن الشيخ الكفراوي. واتفق أيضاً أن الشيخ عبد الباقي ابن الشيخ عبد الوهاب العفيفي طلق على زوج بنت أخيه في غيابه على يد الشيخ حسن الجداوي المالكي على قاعدة مذهبه وزوجها من آخر، وحضر زوجها من الفيوم وذهب إلى ذلك الأمير وشكا له الشيخ عبد الباقي فطلبه فوجده غائباً في منية عفيف، فأرسل إليه أعواناً أهانوه وقبضوا عليه ووضعوا الحديد في رقبته ورجليه وأحضره في صورة

منكرة، وحبسه في حاصل أرباب الجرائم من الفلاحين. فركب الشيخ علي الصعيدي العدوى والشيخ الحداوي وجماعة كثيرة من المتعممين وذهبوا إليه وخاطبه الشيخ الصعيدي فقال له: هذا قول في مذهب المالكية معمول به، فقال: من يقول أن المرأة تطلق زوجها إذا غاب عنها، وعندها ما تنفقه وما تصرفه ووكيله يعطيها ما تطلبه، ثم يأتي من غيبته فيجدها مع غيره. فقالوا له: نحن أعلم بالأحكام الشرعية. فقال: لو رأيت الشيخ الذي فسخ النكاح. فقال الشيخ الجداوي: أنا الذي فسخت النكاح على قاعدة مذهبي. فقام على أقدامه وصرخ وقال: والله أكسر رأسك. فصرخ عليه الشيخ علي الصعيدي وسبه وقال له: لعنك الله ولعن اليسرجي الذي جاء بك ومن باعك ومن اشتراك ومن جعلك أميراً. فتوسط بينهم الحاضرون من الأمراء يسكنون حدته وحدتهم وأحضروا الشيخ عبد الباقي من الحبس فأخذوه وخرجوا وهم يسبونه وهو يسمعهم. واتفق أيضاً أن الشيخ عبد الرحمن العريشي لما توفي صهره الشيخ أحمد المعروف بالسقط وجعله القاضي وصياً على أولاده

وتركته وكان عليه ديون كثيرة أثبتها أربابها بالمحكمة واستوفوها وأخذ عليهم صكوكاً بذلك، ذهبت زوجة المتوفى إلى يوسف بك بعد ذلك بنحو ست سنوات وذكرت له أن الشيخ عبد الرحمن انتهب ميراث زوجها وتواطأ مع أرباب الديون وقاسمهم فيما أخذوه، فأحضر الشيخ عبد الرحمن وكان إذ ذاك مفتي الحنفية وطالبه بإحضار المخلفات أو قيمتها، فعرفه أنه وزعها على أرباب الديون وقسم الباقي بين الورثة وانقضى أمرها، وأبرزله الصكوك والحجج ودفتر القسام فلم يقبل وفاتحه في عدة مجالس وهو مصر على قوله، وطلبه للتركة. ثم أحضره يوماً وحبسه عند الخازندار فركب شيخ السادات إليه وكلمه في أمره وطلبه من محبسه. فلما علم الشيخ عبد الرحمن حضور شيخ السادات هناك رمى عمامته وفراجته وتطور وصرخ وخرج يعدو مسرعاً ونزل إلى الحوش صارخاً بأعلى صوته وهو مكشوف الرأس، فلما عاينه يوسف بك وهو يفعل ذلك احتد الآخر وكان جالساً مع شيخ السادات في المقعد المطل على الحوش فقام على أقدامه وصار يصرخ على خدمه ويقول: امسكوه اقتلوه، ونحو ذلك، وشيخ السادات يقول له: أي شيء هذا الفعل اجلس يا مبارك وأرسل إليه تابعة الشيخ إبراهيم السندوبي فنزل إليه وألبسه عمامته وفراجته ونزل الشيخ فركب وأخذ صحبته إلى داره وتلافوا القضية وسكتوها، ثم حصل منه ما حصل في الدعوى المتقدمة وما ترتب عليها من الفتنة وقفل الجامع وقتل الأنفس، وثقل أمره على مراد بك وأضمر له السوء فلما سافر أميراً بالحج في السنة الماضية قصد مراد بك اغتياله أو نفيه عند رجوعه بالحج، واتفق مع أمرائه وضايع القضية وسافر إلى جهة الغربية والمنوفية، وعسف في البلاد ويريد أن يجعل عوده على نصف الشهر في أوان رجوع الحج. ووصل الخبر إلى يوسف بك فاستعجل الحضور فصار يجعل كل مرحلتين في مرحلة حتى وصل محترساً في سابع صفر قبل حضور مراد بك من سرحته، وعندما قرب وصول مراد بك إلى دخول مصر ركب يوسف بك في مماليكه وطوائفه وعدده وخرج إلى خارج البلد، فسعى إبراهيم بك بينهما وصالحهما واستمرت بينهما المنافرة القلبية من حينئذ إلى أن حصل ما حصل وانضم إلى اسمعيل بك ثم قتله اسمعيل بك بيد حسن بك واسمعيل بك الصغير كما تقدم.

ومات الأمير علي أغا المعمار وهو من مماليك مصطفى بك المعروف بالقرد وخشداش صالح بك الكبير وكان من الأبطال المعروفين والشجعان المعدودين، فلما قتل كبيرهم صالح بك استمر في بلاد قبلي على ما يتعلق به من الالتزام ويدفع ما عليه من المال والغلال إلى أن استوحش محمد بك أبو الذهب من سيده علي بك وخرج إلى الصعيد وقتل خشداشة أيوب بك، وتحقق

الأجانب بذلك صحة العداوة، فأقبلوا على محمد بك من كل جانب برجالهم وأموالهم ومنهم علي أغا المذكور وكان ضخماً عظيم الخلقة جهوري الصوت شهماً يصدع بالكلام، فأنس به محمد بك وأكرمه واجتهد هو في نصرته ومناصحته وجمع إليه الأمراء والأجناد المنفيين والمطرودين الذين شتتهم علي بك وقتل أسيادهم وكبار الهوارة الذين قهرهم علي بك أيضاً واستولى على بلادهم، مثل أولادهم وأولاد نصير وأولاد وافي واسمعيل أبي علي وأبي عبد الله وغيرهم، وحضر معه الجميع إلى جهة مصر كما تقدم. ولما وصولا إلى تجاه التبين وأبرج لهم علي بك التجريدة وأميرها علي بك الطنطاوي خرج علي أغا هذا إلى الحرب هو ومن معه وبأيديهم مساوق غلاظ قصيرة ولها جلب حديد وفي طفها أزيد من قبضة بها مسامير متينة محددة الرؤوس إلى خارج يضربون بها خودة الفارس ضربة واحد فتنخسف في دماغه، وكانت هذه من مبتكرات المترجم، حتى أنه سمي بأبي الجلب. ولما خلصت إمارة مصر إلى محمد بك جعل كتخداه اسمعيل أغا أخا علي بك الغزاوي المذكور فنقم عليه أموراً فأهمله وأحضر علي أغا هذا وخلع عليه وجعله كتخداه، فسار في الناس سيراً حسناً ويقضي حوائج الناس من غير تطلع إلى شيء ويقول الحق ولو على مخدومه، وكان مخدومه أيضاً يحبه ويرجع إلى رأيه في الأمور لما تحققه فيه من المناصحة وعدم الميل إلى هوى النفس وعرض الدنيا، وكان يحب أهل العلم والفضل والقرآن ويميل بكليته إليهم مع لين الجانب والتواضع وعدم الأنفة. ولما أنشأ محمد بك مدرسته المحمدية تجاه الأزهر وقرر فيها الدروس كان يحضر معنا المترجم على شيخنا الشيخ علي العدوي في صحيح البخاري مع الملازمة، واتخذ لنفسه خلوة بالمدرسة المذكورة يستريح فيها وتأتيه أرباب الحوائج فيقضي لهم أشغالهم وكان يلم بحضرة الشيخ محمد حفيد الأستاذ الحنفي ويحبه، وأخذ عنه طريق السادة الخلوتية وحضر دروسه مع المودة وحسن العشرة ويحضر ختوم دروس المشايخ ويقرأ عشراً من القرآن بأعلى صوته عند تمام المجلس ومملوكه حسن أغا الذي زوجه ابنته واشتهر بعده وحج المترجم في السنة الماضية في هيئة جليلة وآثار جميلة. وتوفي في وقعة بياضة قتيلاً كما تقدم.

ومات الأمير اسمعيل بك الصغير وهو أخو علي بك الغزاوي وهم خمسة أخوة: علي بك واسمعيل بك هذا وسليم أغا المعروف بتمرلنك وعثمان وأحمد، ولما تأمر علي بك كان أخوته الأربعية باسلامبول مماليك عند بشير أغا القزلار وأعتقهم، وتسامعوا بإمارة أخيهم بمصر فحضر إليه اسمعيل وأحمد وسليم واستمر عثمان باسلامبول، وأقام اسمعيل وسليم وأحمد بمصر، وعمل اسمعيل كتخدا عند أخيه علي بك وعمل سليم خازندار عند إبراهيم كتخدا أياماً، ثم قامت عليه مماليكه وعزلوه لكونه أجنبياً منهم وصار لهم أمرة وبيوت والتزام. وتزوج اسمعيل بهانم ابنة رضوان كتخدا الجلفي وهي المسماة بفاطمة هانم وذلك أن رضوان كتخدا كان عقد لها على مملوكه علي أغا الذي قلده الصنجقية ولم يدخل بها، ولما خرج رضوان كتخدا وخرج معه علي المذكور فيمن خرج كما تقدم وذهب إلى بغداد، أرسل يطلبها إليه من مصر، وأرسل لها مع وكيله عشرة آلاف دينار وأشياء، فلم يسلموا في إرسالها وكتبوا فتوى بفسخ النكاح على قاعدة مذهب مالك، وتزوجها اسمعيل أغا هذا وظهر ذكره بها وسكن بها في دار أبيها العظيمة بالأزبكية، وصار من أرباب الوجاهة. فلما استقل محمد بك أو الذهب بملك مصر بعد سيده استوزره وجعله كتخداه مدة، وأراد أن يتزوج بالست سلن محظية رضوان كتخدا وكان تزوج بها أخوه علي بك ومات عنها، فصرفه مخدومه محمد بك أبو الذهب وعرفه أنها ربما امتنعت عليه مراعاة لها، ثم ابنة سيدها، فركب محمد بك وأتى عند علي أغا كتخدا الجاويشية المجاور لسكنها بدرب السادات وأرسل إليها علي أغا فلم يمكنها الامتناع فعقد عليها، وماتت هانم

بعد ذلك وباع بيت الأزبكية لمخدومه محمد بك وبنى داره المجاورة لبيت الصابونجي، وصرف عليها أموالها كثيرة وأضاف إليها البيت الذي عند باب الهواء المعروف ببيت المرحوم من الشرايبية. وسكنها مدة وزوجه محمد بك سرية من سراريه أيضاً، ثم باع تلك الدار لأيوب بك الكبير وسكنها. ولما سافر محمد بك إلى الشام ومحاربة الظاهر عمر أرسل المترجم من هاك إلى اسلامبول بهدايا وأموال للدولة ومكاتبات بطلب ولاية مصر والشام وأجيب إلى ذلك. وكتب له التقليد وأعطوه رقم الوزارة وتم الأمر وأراد المسير بذلك إلى محمد بك، فورد الخبر بموته فبطل ذلك ورجع المترجم إلى مصر وأقام بها في ثروة إلى أن حصلت الوحشة بين اسمعيل بك ويوسف بك والجماعة المحمدية وكانت الغلبة عليهم، فقلده اسمعيل بك الصنجقية وقدمه في الأمور ونوه بشأنه وأوهمه أنه يريد تفويض الأمور إليه لما يعلمه فيه من العقل والرئاسة، فاغتر بذلك وباشر قتل يوسف بك هو وحسن بك الجداوي كما تقدم، وظن أن الوقت صفا له. فاندفع في الرئاسة وازدحمت الرؤوس عليه وأخذ في النقض والإبرام، فعاجله اسمعيل بك وأحاطوا به وقتلوا كما ذكر، وكان ذا دهاء ومعرفة وفيه صلابة وقوة جنان وخرم مع التواضع وتهذيب الأخلاق، وكان يحب أهل العلم ويكره النصارى كراهة شديدة، وتصدى لأذيتهم أيام كتخدائيته لمحمد بك وكتب في حقهم فتاوى بنقضهم العهد وخروجهم عن طرائفهم التي أخذ عليهم بها من أيام سيدنا عمر رضي الله عنه، ونادى عليهم ومنعهم من ركوب الحمير ولبسهم الملابس الفاخرة وشرائهم الجواري والعبيد واستخدامهم المسلمين وتقنع نسائهم بالبراقع البيض ونحو ذلك. وكذلك فعل معهم مثل ذلك عندما تلبس بالصنجقية وكان له اعتقاد عظيم في الشيخ محمد الجوهري ويسعى بكليته في قضاء أشغاله وحوايجه، وكان لا بأس به.

ومات الأمير قاسم كتخدا عزبان وكان من مماليك محمد بك أبي الذهب وتقلد كتخدائية العزب وأمين البحرين، وكان بطلاً شجاعاً موصوفاً ومال عن خشداشيته كراهة منه لأفعالهم حتى خرج إلى محاربتهم وقتل غفر الله له.

سنة اثنتين وتسعين ومائة وألف

في يوم الخميس سابع المحرم حضر اسمعيل كتخدا عزبان وبعض صناجق اسمعيل بك، وفي يوم السبت تاسعه وصل اسمعيل بك وعدى من معادي الخبيري ودخل إلى مصر وذهب إلى بيته، وكثر الهرج في الناس بسبب حضوره، ومن وصل قبله على هذه الصورة. ثم تبين الأمر بأن حسن بك الجداوي وخشداشينه وهم رضوان بك وعبد الرحمن بك وسليمان كتخدا وتبعهم حسن بك سوق السلاح وأحمد بك شنن وجماعة الفلاح بأسرهم وكشاف ومماليك وأجناد ومغاربة، خامر الجميع على اسمعيل بك والتفوا على إبراهيم بك ومراد بك ومن معهم، فعند ذلك ركب اسمعيل بك بمن معه وطلب مصر حتى وصلها في أسرع وقت، وهو في أشد ما يكون من القهر والغيظ. وأصبح يوم الأربعاء فأرسل اسمعيل بك ومنع المعادي من التعدية.

وفي يوم الاثنين طلعوا إلى القلعة وعملوا ديواناً عند الباشا، وحضر الموجودين من الأمراء والوجاقلية والمشايخ وتشاوروا في هذا الشأن، فلم يستقر الرأي على شيء، ونزلوا إلى بيوتهم وشرعوا في توزيع أمتعتهم وتعزيل بيوتهم واضطربت أحوالهم، وطلب اسمعيل بك تجار إليها والمباشرين وطلب منهم دراهم سلفة، فدخل عليه الخبيري وأخبره بأن الجماعة القبليين وصلت أوائلها إلى البساتين وبعضهم وصل إلى بر الجيزة بالبر الآخر. فلما تحقق ذلك أمر بالتحميل وخرجوا من مصر شيئاً فشيئاً من بعد العصر إلى رابع ساعة من الليل، ونزلوا بالعادلية وذلك ليلة الثلاثاء رابع عشر المحرم، وهم اسمعيل بك وصناجقة إبراهيم بك قشطة وحسين بك وعثمان بك طبل وعثمان بك قفا الثور وعلي بك الجوخدار وسليم بك وإبراهيم بك طنان وإبراهيم أوده باشه وعبد الرحمن أغا مستحفظان واسمعيل كتخدا عزبان ويوسف أغا الوالي وغيرهم، وباتت الناس في وجل. وأصبح يوم الثلاثاء وأشيع خروجهم ووقع النهب في بيوتهم، وركبوا في صبح ذلك اليوم وذهبوا إلى جهة الشام فكانت مدة إمارة اسمعيل بك وأتباعه على مصر في هذه المرة ستة أشهر وأياماً بما فيها من أيام سفره إلى قبلي وجوعه. وعدى مراد بك ومصطفى بك وآخرون في ذلك اليوم وكذلك إبراهيم أغا الوالي الذي كان في أيامهم وشق المدينة ونادى بالأمان، وأرسل إبراهيم بك يطلب من الباشا فرماناً بالإذن بالدخول، فكتب لهم الباشا فرماناً وأرسله صحبة ولده وكتخدائه وهو سعيد بك. فدخل بقية الأمراء يوم الأربعاء ما عدا إبراهيم بك فإنه بات بقصر العيني ودخل يوم الخميس إلى داره وصحبته اسمعيل أبو علي كبي من كبار الهوارة. وفي يوم الأحد ثامن عشرة طلعوا إلى الديوان وقابلوا الباشا وخلع عليهم خلع القدوم ونزلوا إلى بيوتهم.

وفي يوم الخميس حادي عشرينه طلعوا أيضاً إلى الديوان فخلع الباشا على إبراهيم بك واستقر في مشيخة البلد كما واستقر أحمد بك شنن صنجقاً كما كان، وتقلد عثمان أغا خازندار إبراهيم بك صنجقية وهو الذي عرف بالأشقر، وقلدوا مصطفى كاشف المنوفية صنجقية أيضاً وعلي كاشف أغات مستحفظان وموسى أغا من جماعة علي بك والياً كما كان أيام سيده.

وفي أواخره وردت أخبار بأن اسمعيل بك ومن معه وصلوا إلى غزة واستقر المذكورين بمصر علوية ومحمدية والعلوية شامخة على المحمدية ويرون المنة لأنفسهم عليهم والفضيلة لهم بمخامرتهم معهم ولولا ذلك ما دخلوا إلى مصر، ولا يمكن المحمدية التصرف في شيء إلا بإذنهم ورأيهم بحيث صاروا كالمحجوز عليهم لا يأكلون إلا ما فضل عنهم.

وفي يوم الخميس ثامن شهر من جمادى الأولى، حضر إلى مصر إبراهيم بك أوده باشه من غزة مفارقاً لاسمعيل بك وقد كان أرسل قبل وصوله يستأذن في الحضور فأذنوا له، وحضر وجلس في بيته وتخيل منه رضوان بك وقصد نفيه، فالتجأ إلى مراد بك وانضم إليه. فلما كان يوم السبت سابع عشر جمادى الأولى ركب مراد بك وخرج إلى مرمى النشاب منتفخاً من القهر مفكراً في أمره مع العلوية، فحضر إليه عبد الرحمن بك وعلي بك الحبشي من العلوية، فعندما أراد عبد الرحمن بك القيام عاجله مراد بك ومن معه وقتلوه وفر علي بك الحبشي وغطى رأسه بفوقانيته وانزوى في شجر الجميز فلم يروه. فلما ذهبوا ركب وسار مسرعاً حتى دخل على حسن بك الجداوي في بيته وركب مراد بك وذهب إلى بيته. واجتمع على حسن بك أغراضه وعشيرته وأحمد بك شنن وسليمان كتخدا وموسى أغا الوالي وحسن بك رضوان أمير الحاج وحسن بك سوق السلاح وإبراهيم بك بلفيا وكرنكوا في بيت حسن بك الجداوي بالداودية وعملوا متاريس ي ناحية باب زويلة وناحية باب الخرق والسروجية والقنطرة الجديدة. واجتمع على مراد بك خشداشينه وعشيرته وهم مصطفى بك الكبير ومصطفى بك الصغير وأحمد بك الكلارجي، وركب إبراهيم بك من قبة العزب وطلع إلى القلعة وملك الأبواب وضرب المدافع على بيت حسن بك الجداوي بالداودية وعملوا متاريس في ناحية باب زويلة وناحية باب الخرق والسروجية والقنطرة الجديدة. واجتمع على مراد بك خشداشينه وعشيرته وهم مصطفى بك الكبير ومصطفى بك الصغير وأحمد بك الكلارجي، وركب إبراهيم بك من قبة العزب وطلع إلى القلعة وملك الأبواب وضرب المدافع على بيت حسن بك الجداوي ووقع الحرب بينهم بطول نهار يوم السبت، وغلقت الأسواق والحوانيت وباتوا على ذلك ليلة الأحد ويوم الأحد، والضرب من الفريقين في الأزقة والحارات رصاص ومدافع وقرابين ويزحفون على بعضهم تارة ويتأخرون أخرى وينقبون البيوت على بعضهم. فحصل الضرر للبيوت الواقعة في حيزهم من النهب والحرق والقتل. ثم أن المحمدية تسلق منهم طائفة من الخليج وطلعوا من عند جامع الحين من بين المتاريس وفتحوا بيت عبد الرحمن أغا من ظاهره وملكوه، وركبوا عليه المدافع وضربوا على بيت للجداوى، فعند ذلك عاين العلوية الغلب فركبوا وخرجوا من باب زويلة إلى باب النصر والمحمدية خلفهم شاهرين السيوف يخجون بالخيل، فلما خرجوا إلى الخلاء التقوا معهم فقتل حسن بك رضوان أمير الحاج وأحمد بك شنن وإبراهيم بك بلفيا المعروف بشلاق وغيرهم أجناد وكشاف ومماليك، وفر حسن بك الجداوي ورضوان بك، وكان ذلك وقت القائلة من يوم الأحد، وكان يوماً شديد الحر. ولم يقتل أحد من المحمديين سوى مصطفى بك الكبير، أصابته رصاصة في كتفه انقطع بسببها أياماً ثم شفي. وأما حسن بك ورضوان بك فهربا في طائفة قليلة وخرج عليهما العربان فقاتلوهما قتالاً شديداً وتفرقا من بعضهما وتخلص رضوان بك وذهب في خاصته إلى شيبين الكوم. وأما حسن بك الجداوي فلم تزل العرب تحاوره حتى أضعفوه وتفرق من حوله وشيخ العرب سعد صحصاح يتبعه، ثم حلق عليه رتعة شيخ عرب بلي فتقنطر به الحصان في مبلة كتان فقبضوا عليه وأخذوا سلاحه وعروه وكتفوه وصفعه رتيمة على قفاه ووجه، ثم سحبوه بينهم ماشياً على أقدامه وهو حاف، وأرسلوا إلى الأمراء بمصر يخبرونهم بالقبض عليه، وكان السيد إبراهيم شيخ بلقس لما بلغه ذلك ركب إليه وخلصه من تلك الحالة وفك كتافه وألبسه ثياباً وأعطاه دراهم ودنانير. فلما بلغ الخبر إبراهيم بك ومراد بك أرسلوا له كاشفاً، فلما حضر إليه وواجهه لاطفه ثم دخل إلى مصر وسار إلى بولاق ودخل إلى بيت الشيخ أحمد الدمنهوري، فركب جماعة كثيرة من المحمدية وذهبوا إلى بولاق وطلبوه، فامتنع منن

إجابتهم فلم يجسروا على أخذه قهراً من بيت الشيخ فداخله الوهم وطلع إلى السطح ونط إلى سطح آخر و لم يزل حتى نزل بالقرب من وكالة الكتان، فصادف بعض المماليك فضربه وأخذ حصانه وركبه وذهب رامحاً بمفرده وأشيع هروبه، فركبت الأجناد وحلقوا عليه الطرق فصار يقاتل من يدركه و لم يجد طريقاً مسلوكاً إلى الخلاء، فدخل المدينة وذهب إلى بيت إبراهيم بك فوجده جالساً مع مراد بك فاستجار بإبراهيم بك، فأجاره وأمنه ومكث في بيته خمسة أيام وهو كالمختل في عقله مما قاساه من معاينة الموت مراراً. ثم رسموا له أن يذهب إلى جدة

وأرسلوه إلى السويس في يوم الأربعاء ثامن عشرين جمادى الأولى في محفة. فلما أنزل بالمركب أمر الريس أن يذهب به إلى القصير، فامتنع فأراد قتله، فذهب بالمركب إلى القصير، فطلع إلى الصعيد، وأما حسن بك سوق السلاح فإنه التجأ إلى حريم إبراهيم بك وعلي بك الحبشي وسليمان كتخدا دخلا إلى مقام سيدي عبد الوهاب الشعراني وحمزة بك ذهب إلى بيته لكونه كان بطالاً فلم يداخله الرعب كغيره، وهرب موسى أغا الوالي إلى شبرا. ثم أنهم رسموا بنفي علي بك الحبشي وحسن بك وسليمان كتخدا إلى رشيد، وأحضروا موسى أغا الوالي إلى بيته بشفاعة علي أغا مستحفظان وأرسلوا لرضوان بك الإذن بالإقامة في شيبين وبنى له بها قصراً على البحر، وجلس فيه وانقضت هذه الحادثة الشنيعة.

وفي يوم الخميس غاية جمادى الأولى، عملوا ديواناً بالقلعة وقلدوا أيوب بك الكبير صنجقية وكان اسمعيل بك رفعها عنه ونفاه إلى دمياط ثم نقله إلى طندتا، فلما رجع خداشينه مع العلوية طلبوه إلى مصر وأرادوا رد صنجقيته فلم يرض حسن بك الجداوي، فأقام بمصر معزولاً حتى وقعت هذه الحادثة، فرجع كما كان. وقلدوا أيوب بك كاشف خازندار محمد بك أبي الذهب كما كان صنجقية أيضاً وعرف بأيوب بك الصغير، وقلدوا سليمان بك أبا نبوت صنجقية أيضاً كما كان، وقلدوا إبراهيم أغا الوالي سابقاً صنجقية وركبوا في مواكبهم إلى بيوتهم وضربت لهم الطبلخانات.

وفي يوم الخميس سابع جمادى الثانية، طلعوا إلى الديوان وقلدوا سليمان أغا مستحفظان سابقاً صنجقية، وقلدوا يحيى أغا خازندار مراد بك صنجقية أيضاً، وقلدوا علي أغا خازندار إبراهيم بك صنجقية أيضاً وهو الذي عرف بعلي بك أباظة.

وفيه حضر إلى مصر سليمان كتخدا الشرايبي كتخدا اسمعيل بك وعلى يده مكاتبة من اسمعيل بك مضمونها يريد الإذن بالتوجه إلى أخميم أو إلى السرور رأس الخليج يقيم هناك ويبقى إبراهيم بك قشطة بمصر رهينة ويكون وكيله في تعلقاته وقبض فائظه، والصلح أحسن وأولى، فعملوا ديواناً وأحضروا المشايخ والقاضي وعرضوا عليهم تلك المكاتبة وتشاوروا في ذلك، فانحط الرأي بأن يرسلوا له جواباً بالسفر إلى جدة من السويس ويطلقوا له في كل سنة اربعين كيساً وستة آلاف أردب غلال وحبوب، وأن يرسل إبراهيم بك صهره كما قال إلى مصر، ويكون كيلاً عنه، ومن بصحبته من الأمراء يحضرون إلى مصر بالأمان ويقيمون برشيد ودمياط والمنصورة ونحو ذلك، وأرسلوا المكاتبة صحبة سليم كاشف تمرلنك أخي اسمعيل بك المقتول وآخرين.

وفيه رسموا بنفي إبراهيم بك أوده باشه وسليمان كتخدا الشرايبي وكان أشيع تقليد إبراهيم بك الصنجقية في ذلك اليوم، وتهيأ لذلك، وحضر في الصباح عند إبراهيم بك، فلما دخل رأى عنده مراد بك فاختليا معه فأخرج إبراهيم بك من جيبه مكتوباً مسكوه عليه من اسمعيل بك خطاباً له، مضمونه أنه بلغنا ما صنعت في إيقاع الفتنة بين الجماعة وهلاك الطائفة الخائنة، وفيه أن يأخذ من الرجل المعهود كذا من النقود يوزعها على جهات كناها له وربنا يجمعنا في خير. فلما تناوله من إبراهيم بك وقرأه، قال في الجواب: كل منكم لا يجهل مكايد اسمعيل بك وأنكر ذلك بالكلية. فلم يقبلوا عذره و لم يصدقوه، وقام وذهب إلى

بيته. فأرسلوا خلفه محمد كتخدا أباظة فأخذه وصحبته مملوكين فقط ونزل به إلى بولاق ونفوه إلى رشيد، وكذلك نفوا سليمان كتخدا الشرايبي، واحتاطوا بموجود إبراهيم بك.

وفي يوم الاثنين حادي عشر جمادى الثانية، وصل إبراهيم باشا والي جدة وذهب إلى العادلية وجلس هناك بالقصر حتى شهلوه وسفروه إلى السويس بعدما ذهبوا إليه وودعوه، وكان سفره يوم الأحد سابع عشر جمادى الثانية. وفي ذلك اليوم حضر جماعة من الأجناد من ناحية غزة من الذين كانوا بصحبة اسمعيل بك.

وفي يوم الثلاثاء تاسع عشرة ركب الأمراء وطلعوا إلى باب الينكجرية والعزب وأرسلوا إلى الباشا كتخدا الجاويشية وآغات المتفرقة والترجمان وكاتب حوالة وبعض الاختيارية، يأمرونه بالنزول إلى بيت حسن بك الجداوي، وهو بيت الداودية. فلما قالوا له ذلك طلعوا إلى حوش الديوان واجتمعوا به حتى امتلأ منهم فارتعب الباشا منهم فركب من ساعته ونزل من القلعة إلى بيت الداودية، وأحضروا الجمال وعزلوا متاعه في ذلك اليوم، فكانت مدة ولايته سنتين وثلاثة أشهر.

وفي يوم الجمعة حادي عشرين شهر رجب الموافق لعاشر مسري القبطي، كان وفاء النيل المبارك.

وفي يوم الاثنين، ثاني عشرين شهر شعبان حضر من أخبر أن جماعة من الأجناد حضروا من ناحية غزو وصحبتهم عبد الرحمن أغا مستحفظان على الهجن ومروا من خلف الجرة وذهبوا إلىقبلي وتخلف عنهم عبد الرحمن أغا في حلوان لغرض من الأغراض ينتظره في مصر، فركب من ساعته مراد بك في عدة وذهبوا إلى حلوان ليلاً على حين غفلة واحتاطوا بها وبدار الأوسية وقبضوا على عبد الرحمن أغا وقطعوا رأسه ورجع مراد بك وشق المدينة والرأس أمامه على رمح، ثم أحضروا جثته إلى بيته الصغير بالكعكيين وغسلوه وكفنوه وخرجوا بجنازته وصلوا عليه بالمارداني. ثم ألحقوا به الرأس في الرميلة ودفنوه بالقرافة. ومضى أمره وزاد النيل في هذه السنة زيادة مفرطة حتى انقطعت الطرقات من كل ناحية واستمر إلى آخر توت.

وفي أواخر رمضان هرب رضوان بك على من شيبين الكوم وذهب إلى قبلي، فلما فعل ذلك عينوا إبراهيم بك الوالي فنزل إلى رشيد وقبض على علي بك الحبشي وسليمان كتخدا وقتلهما، وأما إبراهيم بك أوده باشه فهرب إلى القبطان واستجار به.

وفي تاسع عشر شوال، خرج المحمل والحجاج صحبة أمير الحاج رضوان بك بلفيا وسافر من البركة في يوم الثلاثاء سابع عشرين شوال.

وفيه جاءت الأخبار بورود اسمعيل باشا والي مصر إلى الإسكندرية.

وفي يوم الخميس تاسع عشرين شوال، ركب محمد باشا عزت منن الداودية وذهب إلى قصر العيني ليسافر.

وفي يوم الاثنين ثالث ذي القعدة، نزل الباشا في المراكب وسافر إلى بحري.

وفي منتصف شهر القعدة المذكور نزل أرباب العكاكيز وهم علي أغا كتخدا جاوجان وآغات المتفرقة والترجمان وكاتب حوالة وأرباب الخدم وسافروا لملاقاة الباشا الجديد.

من مات في هذه السنة من أعيان العلماء والمشاهير

مات الشيخ الإمام العلامة المتفنن أوحد الزمان وفريد الأوان أحمد ابن عبد المنعم بن يوسف بن صيام الدمنهوري المذاهبي الأزهري، ولد بدمنهور الغربية سنة 1101 وقدم الأزهر وهو صغير يتيم لم يكفله أحد فاشتغل بالعلم وجال في تحصيله واجتهد في تكميله، وأجازه علماء المذاهب الأربعة وكانت له حافظة ومعرفة في فنون غريبة وتآليف، وأفتى على المذاهب الأربعة ولكن لم ينتفع بعمله ولا بتصانيفه لبخله في بذله لأهله ولغير أهله، وربما يبيح في بعض الأحيان لبعض الغرباء فوائد نافعة، وكان له دروس في المشهد الحسيني في رمضان يخلطها بالحكايات وبما وقع له حتى يذهب الوقت. وولي مشيخة الجامع الأزهر بعد وفاة الشيخ الحفني وهابته الأمراء لكونه كان قوالاً للحق أماراً بالمعروف سمحاً بما عنده من الدنيا. وقصدته الملوك من الأطراف وهادته بهدايا فاخرة، وسائر ولاة مصر من طرف الدولة كانوا يحترمونه، وكان شهير الصيت عظيم الهيبة منجمعاً عن المجالس والجمعيات. وحج سنة 1177 مع الركب المصري وأتى رئيس مكة وعلماؤها لزيارته وعاد إلى مصر. وتوفي يوم الأحد عاشر شهر رجب من السنة المذكورة، وكان مسكنه ببولاق، وصلي عليه بالأزهر بمشهد حافل جداً، وقرئ نسبه إلى أبي محمد البطل الغازي، ودفن بالبستان وكان آخر من أدركنا من المتقدمين.

ومات الإمام العلامة المحقق والفهامة المدقق شيخنا الشيخ مصطفى ابن محمد بن يونس الطائي الحنفي، ولد بمصر سنة 1138، وتفقه على والده وبه تخرج وبعد وفاة والده تصدر في مواضعه ودرس وأفتى وكان إماماً ثبتاً متقناً مستحضراً مشاركاً في العلوم والرياضيات فرضياً حيسوباً وله مؤلفات كثيرة في فنون شتى تدل على رسوخه، وكتب شرحاً على الشمائل وحاشية على الأشموني أجاد فيها وكان رأساً في العلوم والمعارف، توفي في هذه السنة رحمه الله تعالى.

ومات سيدي أبو مفلح أحمد بن أبي الفوز بن الشهاب أحمد بن أبي العز محمد بن العجمي، ويعرف بالشيشيني، وكان كاتب الكني بمترل السادات الوقائية، وكان إنساناً حسناً بهياً ذا تودد ومروءة وعنده كتب جيدة يعير منها لمن يثق له للمطالعة والمراجعة. توفي يوم السبت آخر المحرم.

ومات شيخنا الإمام القطب وجيه الدين أبو المراحم عبد الرحمن الحسيني العلوي العيدروسي التريمي نزيل مصر، ولد بعد الغروب ليلة الثلاثاء تاسع صفر سنة 1125 ووالده مصطفى بن شيخ مصطفى بن علي زين العابدين ابن عبد الله بن شيخ بن عبد الله بن شيخ بن القطب الأكبر عبد الله العيدروس بن أبي بكر السكران بن القطب عبد الرحمن السقاف ابن محمد مولى الدويلة بن علي بن علوي بن محمد مقدم التربة بتريم ابن علي بن محمد بن علي بن علوي بن محمد بن علوي بن عبد الله بن أحمد العراقي بن عيسى النقيب بن محمد بن علي بن جعفر الصادق بن محمد ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وأمه فاطنة ابنة عبد الله الباهر ابن مصطفى بن زين العابدين العيدروس نشأ على عفة وصلاح في حجر والده وجده، وأجازه والده وجده وألبساه الخرقة وصافحاه، وتفقه على السيد وجيه الدين عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه، وأجازه بمروياته. وفي سنة 1153 توجه صحبة والده إلى الهند فترلا بندر الشحر واجتمع بالسيد عبد الله بن عمر المحضار العيدروس فتلقن منه الذكر وصافحه وشابكه والبسه الخرقة وأجازه إجازة مطلقة مع والده، ووصلا بندر سورت واجتمع بأخيه السيد عبد الله الباصر وزارا من بها من القرابة والأولياء ودخلا مدينة بروج فزارا محضار الهند السيد أحمد بن الشيخ العيدروس وذلك ليلة النصف من

شعبان سنة واحد وستين. ثم رجعا إلى سورة وتوجه والده إلى تريم وترك المترجم عند أخيه وخاله زين العابدين ابن العيدروس. وفي أثناء ذلك رجع إلى بلاد جادة وظهرت له في هذه السفرة كرامات عدة، ثم رجع إلى سورت وأخذ إذ ذاك من السيد مصطفى ابن عمر العيدروس والحسين بن عبد الرحمن بن محمد العيدروس والسيد محمد فضل الله العيدروس إجازة السلاسل والطرق، وألبسه الخرقة ومحمد فاخر العباسي والسيد غلام علي الحسيني والسيد غلام حيدر الحسيني والبارع المحدث حافظ يوسف السورتي والعلامة عزيز الله الهندي والعلامة غياث الدين الكوكبي وغيرهم، وركب من سورت إلى اليمن، فدخل تريم وجدد العهد بذوي رحمه وتوجه منها إلى مكة للحج وكانت الوقفة نهار الجمعة. ثم زار جده صلى الله عليه وسلم وأخذ هناك عن الشيخ محمد حياة السندي وأبي الحسن السندي وغبراهيم بن قيض الله السندي والسيد جعفر بن محمد البيتي ومحمد الداغستاني، ورجع إلى مكة فأخذ عن الشيخ السند السيد عمر بن أحمد وابن الطيب وعبد الله ابن سهل وعبد الله بن سليمان ما جرمي وعبد الله بن جعفر مدهور ومحمد باقشير ثم ذهب إلى الطائف وزار الحبر بن عباس ومدحه بقصائد، واجتمع إذ ذاك بالشيخ السيد عبد الله ميرغني وصار بينهما الود الذي لا يوصف. وفي سنة ثمان وخمسين أذن له بالتوجه إلى مصر فترل إلى جدة وركب منها إلى السويس ومصر، هرعت إليه أكابر مصر من العلماء والصلحاء وأرباب السجاجيد والأمراء وصارت له معهم المطارحات والمذاكرات ما هو مذكور في رحلته وجمع حواسه لنشر الفضائل وأحلاها عن السوي، وهرعت إليه الفضلاء للأخذ والتلقي، وتلقى هو عن كل من الشيخ الملوي والجوهري والحفني وأخيه يوسف، وهم تلقوا عنه تبركاً، وصار أوحد وقته حالاً وقالاً مع تنويه الفضلاء به، وخضعت له أكابر الأمراء على اختلاف طبقاتهم، وصار مقبول الشفاعة عندهم لا ترد رسائله ولا يرد سائله، وطار صيته في المشرق والمغرب. وفي أثناء هذه المدة تعددت له رحلات إلى الصعيد الأعلى وإلى طندتا وإلى دمياط وغلى رشيد وإسكندرية وفوة وديروط، واجتمع بالسيد علي الشاذلي، وكل منهما أخذ عن صاحبه. وزار سيدي إبراهيم الدسوقي وله في كل هؤلاء قصائد طنانة. ثم سافر إلى الشام فتوجه إلى غزة ونابلس ونزل بدمشق ببيت الجناب حسين أفندي المرادي، وهرعت إليه علماء الشام وأدباؤها وخاطبوه بمدائح، واجتمع بالوزير عثمان باشا في ليلة مولد النبي صلى الله عليه وسلم في بيت السيد علي أفندي المرادي ثم رجع إلى بيت المقدس وزار وعاد إلى مصر، وتوجه إلى الصعيد ثم عاد إلى مصر وزار السيد البدوي ثم ذهب إلى دمياط. كعادته في كل مرة، ثم رجع إلى مصر ثم توجه إلى رشيد ثم الإسكندرية، ومنها إلى اسلامبول، فحصل له بها غاية الحظ والقبول ومدح بقصائد هرعت إليه الناس أفواجاً ورتب له في حوالي مصر كل يوم قرشان، ولم يمكث بها إلا نحو أربعين يوماً، وركب منها إلى بيروت ثم إلى صيدا ثم إلى قبرص ثم إلى دمياط وذلك غاية شعبان سنة تسعين. ثم دخل المنصورة وبات بها ليلة، ثم دخل مصر في سابع عشر رمضان. وكان مدة مكثه في الهند عشرة أعوام، وحج سبع عشرة مرة منها ثلاث بالجمعة وسفره من الحجاز إلى مصر ثلاث مرات وللصعيد ست مرات ولدمياط ثمان مرات. ولم يزل يعلو ويرقى إلى أن توفي ليلة الثلاثاء ثاني عشر محرم من هذه السنة، وخرجوا بجنازته من بيته الذي تحت قلعة الكبش بمشهد حافل، وصلي عليه بالجامع الأزهر، وقرئ نسبه على الدكة، وصلي عليه إماماً الشيخ أحمد الدردير ودفن بمقام ولي الله العتريس تجاه مشهد السيدة زينب، ورثي بمراث كثيرة ربما يأتي ذكرها في تراجم العصريين، ولم يخلف بعده مثله رحمه الله.

ومات الوجيه المبجل عبد السلام أفندي بن أحمد الأزرجاني مدرس المحمودية كان إماماً فاضلاً محققاً له معرفة بالأصول قرأ

العلوم ببلاده وأتقن في المعقول والمنقول، وقدم مصر ومكث بها مدة، ولما كمل بناء المدرسة المحمودية بالحبانية تقرر مدرساً فيها، وكان يقرأ فيها الدرر لمنلاخسرو وتفسير البيضاوي، ويورد أبحاثاً نفيسة. وكان في لسانه جبسة وفي تقرير عسر وبأخرة تولى تولى إمامتها، وتكلف في حفظ بعض القرآن، وجوده على الشيخ عبد الرحمن الأجهوري المقرئ، وابتنى مترلاً نفيساً بالقرب من الخلوتي وكان له تعلق بالرياضيات، وقرأ على المرحوم الوالد أشياء من ذلك، واقتني آلات فكلية نفيسة بيعت في تركته. مات بعد أن تعلل بالحصبة أياماً في يوم الثلاثاء سادس جمادى الأولى من السنة، و لم يخلف بعده في المحمودية مثله وجاهة وصرامة واحتشاماً وفضيلة رحمه الله.

ومات الإمام العلامة والحبر الفهامة الشيخ أحمد بن عيسى بن أحمد ابن عيسى بن محمد الزبيري الشافعي البراوي، ولد بمصر وبها نشأ وقرأ الكثير على والده وبه تفقه، وحضر دروس مشايخ الوقت في المعقول والمنقول وتمهروا نجب وعد من أرباب الفضائل. ولما توفي والده أجلس مكانه بالجامع الأزهر، واجتمع علي طلبة أبيه وغيرهم واستمرت حلقة درس والده على ما هي عليها من العظم والجلالة والرونق وإفادة الطلبة، وكان نعم الرجل صلاحاً وصرامة. توفي بطندتا في ليلة الأربعاء ثالث شهر ربيع الأول فجأة، وجيء به إلى مصر فغسل في بيته وصلي عليه بالأزهر ودفن عند والده بتربة المجاورين رحمه الله.

ومات الوجيه المبجل بقية السلف سيدي عامر بن الشيخ عبد الله الشبراوي تربى في عز ودلال وسيادة ورفاهية وكان نبيلاً إلا أنه لم يلتفت إلى تحصيل المعارف والعلوم، ومع ذلك كان يقتني الكتب النفيسة ويبذل فيها الرغائب، واستكتب عدة كتب بخط المرحوم الشيخ حسن الشغراوي المكتب، وهو في غاية الحسن والنورانية. ومن ذلك مقامات الحريري وشروحها للزمزمي وغيره وجلدها وذهبها ونقشوا اسمه في البصمات المطبوعة في نقش الجلود بالذهب، وعندي بعض على هذه الصورة، ورسم باسمه الشيخ محمد النشيلي عدة آلات فلكية وأرباع وبسائط وغير ذلك، واعتنى بتحريرها وإتقانها وأعطاه في نظير ذلك فوق مأموله، وحوى من كل شيء أظرفه وأحسنه مع أن الذي يرى ذاته يظنه غليظ الطبع. توفي رحمه الله يوم الجمعة تاسع عشرين المحرم من السنة.

ومات العلامة الفقيه الفاضل الشيخ محمد سعيد بن محمد صفر ابن محمد بن أمين المدني الحنفي نزيل مكة والمدرس بحرمها، تفقه على جماعة من فضلاء مكة وسمع الحديث على الشيخ محمد بن عقيلة والشيخ تاج الدين القلعي وطبقتهما وبالمدينة على الشيخ أبي الحسن السندي الكبير وغيره، وكان حسن التقرير لما يمليه في دروسه حضره السيد العيدروس في بعض دروسه وأثنى عليه. وفي آخر عمره كف بصره حزناً على فقد ولده. وكان من نجباء عصره أرسله إلى الروم وكان زوجاً لابنة الشيخ ابن الطيب، فغرق في البحر. وفي أثناء سنة 1174 ورد مصر ثم توجه إلى الروم على طريق حلب، فقرأ هناك شيئاً من الحديث، وحضره علماؤها ومنهم الشيخ السيد أحمد بن محمد الحلوى، وذكره في جملة شيوخه وأثنى عليه ورجع إلى الحرمين وقطن بالمدينة المنورة. ومن مؤلفاته الأربعة أنهار في مدح النبي المختار صلى الله عليه وسلم، وله قصيدة مدح بها الشيخ العيدروس. ولما حج الشيخ أحمد الحلوي في سنة تسعين، اجتمع به بالمدينة المنورة وذاكره بالعهد القديم فهش له وبش واستجاز منه ثانياً فأجازه، و لم يزل على حاله المرضية من عبادة وإفادة حتى توفي في هذه السنة رحمه الله تعالى.

ومات الأمير عبد الرحمن أغا أغات مستحفظان وهو من مماليك إبراهيم كتخدا، وتقلد الأغاوية في سنة سبعين كما تقدم، واستمر فيها إلى سنة تسع وسبعين. فلما نفي علي بك النفية الأخيرة عزله خليل بك وحسين بك وقلدوا عوضه قاسم أغا، فلما رجع علي بك ولاه ثانياً وتقلد قاسم أغا صنجقاً، فاستمر فيها إلى سنة ثلاث وثمانين، فعزله وقلد عوضه سليم أغا الوالي، وقلد موسى أغا والياً عوضاً عن سليم المذكور وكلاهما من مماليكه. وأرسل المترجم إلى غزة حاكماً وأمره أن يتحيل على سليط. ويقتله. وكان رجلاً ذا سطوة عظيمة وفجور فلم يزل يعمل الحيلة عليه حتى قتله في داره وأرسل برأسه إلى علي بك بمصر، وهي أول نكتة تمت لعلي بك بالشام، وبها طمع في استخلاص الشام، فلما حصلت الوحشة بين محمد بك وسيده علي بك، انضوى إلى محمد بك. فلما استبد بالأمر قلده أيضاً الأغاوية فاستمر فيها مدته. ولما مات محمد بك انحرف عليه مراد بك وعزله وولى عوضه سليمان أغا وذلك في سنة تسعين، ولما وقعت المنافرة بين اسمعيل بك والمحمدية انضم إلى اسمعيل بك ويوسف بك واجتهد في نصرهما وصار يكر ويفر ويجمع الناس ويعمل المتاريس ويعضد المتاريس ويعمل الحيل والمخادعات ويذهب ويجيء الليل والنهار، حتى تم الأمر وهرب إبراهيم بك ومراد بك واستقر اسمعيل بك ويوسف بك، فقلداه الأغاوية أيضاً، فاستمر فيها مدته، فلما خرج اسمعيل بك إلى الصعيد محارباً للمحمديين تركه بمصر فاستقل بأحكامها وكذلك مدة غياب محمد بك بالشام. فلما خان العلوية اسمعيل بك وانضموا إلى المحمدية ورجع اسمعيل بك على تلك الصورة كما ذكر، خرج معه إلى الشام إلى أن تفرق أمرهم فأراد التحول إلى جهة قبلي فانضم معه كثير من الأجناد والمماليك وساروا إلى أن وصلوا قريباً من العادلية، فأرسل مملوكاً له أسود ليأتيه بلوازم من داره ويأتيه بحلوان، فإنه ينتظره هناك وحلوان كانت في التزامه، وعدى مع الجماعة من خلف الجبل ونزلوا بحلوان وركبوا وساروا وتخلف هو عنهم للقضاء المقدر ينتظر خادمه، فبات هناك. وحضر بعض العرب وأخبر مراد بك فأرسل الرصد لذلك العبد وركب هو في الحال وأتاه الرصد بالعبد في طريق ذهابه، فاستخبره فأعلمه بالحقيقة بعد التنكر فسار مستعجلاً إلى أن أتى حلوان واحتاط بها وهجمت طوائفه على دوار الأوسية وأخذوه قبضاً باليد وعروه ثيابه حتى السراويل سحبوه بينهم عرياناً مكشوف الرأس والسوأتين، وأحضروه بين يدي مراد بك فلما وقعت عينه عليه أمر بقطع يديه، وسلموه لسواس الخيل يصفعونه ويضربونه على وجهه، ثم قطعوا رقبته حزاً بسكين ويقولون له: انظر قرص البرغوث، يذكرونه قوله لمن كان يقتله: لا تخف يا ولدي إنما هي كقرصة البرغوث، ليسكن روع المقتول على سبيل الملاطفة. فكانوا يقولون ذلك على سبيل التبكيت. ودخل مراد بك في صبحها برأسه أمامه على رمح، ودفن كما ذكر، ولم يأت بعده في منصبه من يدانيه في سياسة الأحكام والقضايا والتحيلات على المتهومين حتى يقروا بذنوبهم وكان نقمة الله على المعاكيس وخصوصاً الخدم الأتراك المعروفين بالمسراجين. واتفق له في مبادئ ولايته أنه تكرر منه أذيتهم فشكوا منه إلى حسين بك المقتول، فخاطبه في شأنهم فقال له: هؤلاء أقبح خلق الله وأضرهم على المسلمين وأكثرهم نصارى ويعملون أنفسهم مسلمين ويخدمونكم ليتوصلوا بذلك إلى إيذاء المسلمين، وإن شككت في قولي أعطني إذناً بالكشف عليهم لأمير المختون من غيره. فقال له الصنجق. افعل ما بدا لك. فلما كان في ثاني يوم هرب معظم سراجين الصنجق ولم يتخلف منهم إلا من كان مسلماً ومختوناً، وهو القليل، فتعجب حسين بك من فطانته ومن ذلك الوقت لم يعارضه في شيء يفعله، وكذلك علي بك ومحمد بك. ولما خالف محمد بك على سيده وانفصل عنه وذهب إلى قبلي وانضم إليه خشداشه أيوب بك وتعاقدا وتحالفا على المصحف والسيف ونكث أيوب بك العهد وقضى محمد بك عليه بقطع يده ولسانه، أرسل إليه عبد

الرحمن أغا هذا ففعل به ذلك، ولما حضر إليه ليمثل به ودخل إليه وصحبته الجلاد، وصار يقول للجلاد: ارفق بسيدي ولا تؤلمه، ونحو ذلك. ولما ملك محمد بك ودخل مصر أرسله إلى عبد الله بك كتخدا الباشا الذي خامر على سيده وانضم إلى علي بك فذهب إليه وقبض عليه ورمى عنقه في وسط بيته ورجع برأسه إلى مخدومه وباشر الحسبة مدة مع الأغاوية. وكان السوقة يحبونه، وتولى ناظراً على الجامع الأزهر مدة وكان يحب العلماء ويتأدب مع أهل العلم ويقبل شفاعتهم، وله دهقنة وتبصر في الأمور وعنده قوة فراسة وشدة حزم حتى غلب القضاء على حزمه عفا الله عنه.

ومات الأمير عبد الرحمن بك وهو من مماليك علي بك وصناجقه الذين أمرهم ورقاهم، فهو خشداش محمد بك أبي الذهب وحسن بك الجداوي وأيوب بك ورضوان بك وغيرهم. وكان موصوفاً بالشجاعة والإقدام، فلما انقضت أيام علي بك وظهر أمر محمد بك خمل ذكره مع خشدشينه إلى أن حصلت الحادثة بين المحمدين واسمعيل بك فرد لهم أمرياتهم، إلا عبد الرحمن هذا فبقي على حاله مع كونه ظاهر الذكر. فلما كان يوم قتل يوسف بك وكان هو أول ضارب فيه. وهرب في ذلك اليوم من بقي من المحمد وأخرج باقيهم منفيين ردوا له صنجقيته كما كان ثم طلع مع خشداشينه لمحاربتهم بقبلي، ثم والسوا على اسمعيل بك وانضموا إليهم، ودخلوا معهم إلى مصر كما ذكر. ثم وقع بينهم التحاقد والتزاحم على إنفاذ الأمر والنهي. وكان أعظم المتحاقدين عليهم مراد بك وهم له كذلك، وخيل الفريقان من بعضهم البعض وداخل المحمدية الخوف الشديد من العلوية إلى أن صاروا لا يستقرون في بيوتهم، فلازموا الخروج إلى خارج المدينة والمبيت بالقصور. وخرج إبراهيم بك وأتباعه إلى جهة العادلية ومراد بك وأتباعه إلى جهة مصر القديمة. فلما كان يوم السبت سابع عشر جمادى الأولى، أصبح مراد بك منتفخ الأوداج من القهر، فاختلى مع من يركن إليهم من خاصته، وقال لهم: إني عازم في هذا اليوم على طلب الشر مع الجماعة. قالوا: وكيف نفعل. قال: نذهب إلى مرمى النشاب ولا بد أن يأتينا منهم من يأتي، فكل من حضر عندنا منهم قتلناه، ويكون ما يكون بعد ذلك. ثم ركب ونزل بمصاطب النشاب وجلس ساعة، فحضر إليه عبد الرحمن بك المذكور وعلي بك الحبشي فجلسا معه حصة ومراد بك يكرر لأتباعه الإشارة بضربهما وهم يهابون ذلك، ففطن له سلحدار عبد الرحمن بك، فغمز سيده برجله، فهم بالقيام، فابتدره مراد بك وسحب بالته وضربه في رأسه، فسحب الآخر بالته وأراد أن يضربه فألقى بنفسه من فوق المصطبة إلى أسفل، وعاجل أتباع مراد بك عبد الرحمن بك وقتلوه. وفي وقت الكبكبة غطى علي بك الحبشي رأسه بجوخته واختفى في شجر الجميز، وركب في الحال مراد بك وجمع عشيرته وأرسل إلى إبراهيم بك فحضر من القبة إلى القلعة، وكان ما ذكر واستمر عبد الرحمن بك مرمياً بالمصطبة حتى حضر إليه أتباعه وشالوه ودفنوه بالقرافة.

ومات الأمير أحمد بك شنن وأصله مملوك الشيخ محمد شنن المالكي شيخ الأزهر، فحصل بينه وبين ابن سيده وحشة ففارقه ودخل في سلك الجندية، وخدم علي بك وأحبه ورقاه وأمره إلى أن قلده كتخدا االجاويشية، فلم يزل منسوباً إليه ومنضماً إلى أتباعه. وتقلد الصنجقية وصاهره حسن بك الجداوي وتزوج بابنته وبنى لها البيت بدرب سعادة، ولم يزل حتى قتل في هذه الواقعة، وكان فيه لين جانب ظاهري ويعظم أهل العلم ويظهر لهم المحبة والتواضع.

ومات الأمير إبراهيم بك طنان وهو من مماليك حسن أفندي مملوك إبراهيم أفندي المسلماني، وكانوا عدة وعزوة معروفين ومشهورين في البيوت القديمة، ومنهم مصطفى جربجي وأحمد جربجي. ثم لما ظهر أمر علي بك انتسبوا إليه وخرجوا مع محمد

بك عندما ذهب لمحاربة خليل بك وحسين بك كشكش ومن معهم بناحية المنصورة، فوقع في المقتلة أحمد جربجي المذكور وأعجب بهم محمد بك في تلك الواقعة فأحبهم وضمهم إليه ولازموه في الأسفار والحروبات. ولما خالف علي سيده علي بك وهرب إلى الصعيد خرجوا معه كذلك، ومات مصطفى جربجي على فراشه بمصر أيام علي بك وصار كبيرهم والمشار إليه فيهم إبراهيم جربجي. فلما رجع محمد بك وتعين في رياسة مصر قلده صنجقاً ونوه بشأنه وأنعم عليه وأعطاه بلاداً مضافة إلى بلاده منها سنديس ومنية حلفة وباقي الأمانة. وكان عسوفاً ظالماً الفلاحين لا يرحمهم، وله مقدم من أقبح خليقة الله من منية حلفة، فيغري بالفلاحين ويسجنهم ويعذبهم ويستخلص لمخدومه منهم الأموال ظلماً وعدواناً. فلما حصلت تلك الحادثة وهرب إبراهيم بك المذكور مع اسمعيل بك اجتمع الفلاحون على ذلك المقدم وقتلوه وحرقوه بالنار. وكان إبراهيم بك هذا ملازماً على زيارة ضرائح الأولياء، في كل جمعة يركب بعد صلاة الصبح إلى القرافة ويزور قبور البستان وقبور أسلافه ثم يذهب إلى زيارة الشافعي ويخرج منه ماشياً فيزور الليث وما جاوزهما من المشاهد المعروفة كيحيى الشبيه والسادات الثعالبة والعز وابن حجر وابن جماعة وابن أبي جمرة وغير ذلك، وكان هذا دأبه في كل جمعة. ولما وقعت الحوادث خرج مع اسمعيل بك إلى غزة، فلما سافر اسمعيل بك ونزل البحر تخلف عنه ومات ببعض ضياع الشام وظهر له بمصر ودائع أموال لها صورة.

ومات الأمير إبراهيم بك بلفيا المعروف بشلاق، وهو مملوك عبد الرحمن أغا بلفيا بن إبراهيم بك، وعبد الرحمن أغا هذا هو أخو خليل بك. وكان علي بك ضمه إليه وأعجبه شجاعته فقلده صنجقاً وصار من جملة صناجقه وأمرائه ومحسوباً منهم. فلما حصلت هذه الحادثة كان فيهم وقتل معهم.

ومات الأمير الكبير حسن بك رضوان أمير الحاج وهو مملوك عمر بك بن حسين رضوان تقلد الصنجقية بعد موت سيده وجلس في بيته وطلع أميراً بالحج سنة ثمان وسبعين وتسع وسبعين وعمل دفتردار مصر، ثم عزل عنها وطلع بالحج في سنة إحدى وثمانين وسنة اثنتين وثمانين، وقلد رضوان بك مملوكه صنجقاً. فلما تملك علي بك نفى رضوان بك هذا فيمن نفاهم في سنة واحد وثمانين، ثم رده ثم نفاه مع سيده بعد رجوعه من الحج في سنة ثلاث وثمانين إلى مسجد وصيف، ثم نقل إلى المحلة الكبرى فأقام بها إلى سنة إحدى وتسعين، فكانت مدة إقامته بالمحلة نحو ثمان سنين. فلما تملك اسمعيل بك أحضره إلى مصر وقلده إمارة الحج سنة واحد وتسعين كما ذكر، فلما انضم العلوية إلى المحمدية ورجعوا إلى مصر وهرب اسمعيل بك بمن معه إلى الشام لم يخرج معه وبقي بمصر لكونه ليس من قبيلتهم، وانضوى إلى العلوية كغيره لظنهم نجاحهم، فوقع لهم ما وقع وقتل مع أحمد بك شنن بشير أو أوتوا بهما إلى بيوتهما وكل منهما ملفوف في قطعة خيمة، ودفن حسن بك المذكور عليه رحمة الله وكان أميراً جليلاً مهذباً كريم الأخلاق لين الجانب يحب أهل الصلاح والعلم، وعاشر بالمحلة صاحبنا الفاضل اللبيب الأديب الشيخ شمس الدين السمربائي الفراغلي وأحبه واغتبط به كثيراً وأكرمه وحجزه عنده مدة إقامته بالمحلة ومنعه عن الذهاب إلى بلده إلا لزيارة عياله فقط في بعض الأحيان، ثم يعود إليه سريعاً ويستوحش لغيابه عنه، فكان لا يأتنس إلا به. وللشيخ شمس الدين فيه مدائح ومقامات وقصائد.

سنة ثلاث وتسعين ومائة وألف

في يوم السب خامس المحرم، وصل إلى مصر اسمعيل باشا والي مصر وبات ببر انبابة ليلة السبت المذكور وركب الأمراء في صبحها وقابلوه ورجعوا، وعدى الآخر وركب إلى العادلية وجلس بالقصر وتولى أمر السماط مصطفى بك الصغير.
وفي يوم الثلاثاء من المحرم ركب الباشا بالموكب ودخل من باب النصر وشق القاهرة وطلع إلى القلعة وعملوا له شنكاً ومدافع، ووصل الخبر بترول اسمعيل بك إلى البحر وسفره من الشام إلى الروم وغاب أمره.

وفي أواخر شهر ربيع الأول وقعت حادثة بالجامع الأزهر بين طائفة الشوام وطائفة الأتراك بين المغرب والعشاء فهجم الشوام على الأتراك وضربوهم فقتلوا منهم شخصاً وجرحوا منهم جماعة، فلما أصبحوا ذهب الأتراك إلى إبراهيم بك وأخبروه بذلك فطلب الشيخ عبد الرحمن العريشي مفتي الحنفية والمتكلم على طائفة الشوام وسأله عن ذلك فأخبره عن أسماء جماعة وكتبهم في ورقة وعرفه أن القاتلين تغيبوا وهربوا ومتى ظهروا أحضرهم إليه، ولما توجه من عنده تفحص إبراهيم بك عن مسميات الأسماء فلم يجد لهم حقيقة، فأرسل إلى الشيخ أحمد العروسي شيخ الأزهر وأحضر بقية المشايخ وطلب الشيخ عبد الرحمن فتغيب وللم يجدوه، فاغتاظ إبراهيم بك ومراد بك وعزلوه عن الإفتاء، وأحضروا الشيخ محمد الحريري وألبسوه خلعة ليكون مفتي الحنفية عوضاً عن الشيخ عبد الرحمن وحثوا خلفه بالطلب ليخرجوه من البلدة منفياً، فشفع فيه شيخ السادات وهرب طائفة الشوام بأجمعهم وسمر الأغا رواقهم ونادوا عليهم. واستمر الأمر على ذلك أياماً ثم منعوا المجادلة والطبرية من دخول الرواق ويقطع من خبزهم مائة رغيف تعطى للأتراك دية المقتول، وكتب بذلك محضر باتفاق المشايخ والأمراء، وفتحوا الرواق ومرض الشيخ العريشي من قهره، وتوفي رابع جمادى الأولى.
وفي أواخر شهر جمادى الثانية، توفي الشيخ محمد عبادة المالكي.
وفيه جاءت الأخبار بأن حسن بك ورضوان بك قوي أمرهم وجمعوا جموعاً وحضروا إلى دجرجا والتف عليهم أولاد همام والجعافرة واسمعيل أبو علي، فتجهز مراد بك وسافر قبله أيوب بك الصغير ثم سافر هو أيضاً، فلما قربوا من دجرجا ولى القبالي وصعدوا إلى فوق فأقام مراد بك في دجرجا إلى أوائل رجب، وقبض على اسمعيل أبي علي وقتله ونهب ماله وعبيده وفرق بلاده على كشافه وجماعته.
وفي منتصف شهر رجب، ظهر بمصر وضواحيها مرض سموه بأبي الركب وفشا في الناس قاطبة حتى الأطفال، وهو عبارة عن حمى ومقدار شدته ثلاثة أيام، وقد يزيد على ذلك وينقص بحسب اختلاف الأمزجة، ويحدث وجعاً في المفاصل والركب والأطراف ويوقف حركة الأصابع وبعض ورم ويبقى أثره أكثر من شهر، ويأتي الشخص على غفلة فيسخن البدن ويضرب على الإنسان دماغه وركبه، ويذهب بالعرق والحمام وهو من الحوادث الغريبة.
وفي عشرين رجب، وصل مراد بك من ناحية قبلي وصحبته منهوبات وأبقار وأغنام كثيرة.
وفي يوم الجمعة ثاني عشرينه الموافق لثاني شهر مسرى القبطي، وفا النيل المبارك ثم زاد في ليلتها زيادة كثيرة حتى علا على

السد وجرى الماء في الخليج بنفسه، وأصبح الناس فوجدوا الخليج جارياً وفيه المراكب فلم تحصل الجمعية و لم يترل الباشا على العادة.

وفي أواخر شهر شعبان، وصل إلى مصر قابجي باشا وبيده أوامر بعزل اسمعيل باشا عن مصر ويتوجه إلى جدة وأن إبراهيم باشا والي جدة يأتي إلى مصر وفرمان آخر بطلب الخزينة.

وفي شهر شوال وصلت الأخبار بموت علي بك السروجي وحسن بك سوق السلاح بغزة.

وفي يوم الخميس ثامن عشر شوال، عمل موكب المحمل وخرج الحجاج وأمير الحاج مراد بك وخرج في موكب عظيم وطلب كثير وتفاخر وماجت مصر وهاجت في أيام خروج الحج بسبب الأطلاب وجمع الأموال وطلب الجمال والبغال والحمير، وغصبوا بغال الناس ومن وجوده راكباً على بغلة أنزلوه عنها وأخذوها منه قهراً، فإن كان من الناس المعتبرين أعطوه ثمنها وإلا فلا، وغلت أسعارها جداً و لم يعهد حج مثل هذه السنة في كل شيء. وسافر فيه خلائق كثيرة من سائر الأجناس وسافر صحبة مراد بك أربع صناجق وهم عبد الرحمن بك عثمان وسليمان بك الشابوري وعلي بك المالطي وذو الفقار بك وأمراء وأغوات وغير ذلك أكابر كثيرة وأعيان وتجار.

وفيه حضر واحد أغا وعلى يده تقرير لاسمعيل باشا على مصر كما كان، وكان لما أتاه العزل نزل من القلعة في غرة رمضان وصام رمضان في مصر العتيقة. ولما انقضى رمضان تحول إلى العادلية ليتوجه إلى السويس ويذهب إلى جدة حسب الأوامر السابقة، فقدر الله بموت إبراهيم باشا وحضر التقرير له بالولاية ثانياً، فركب في يوم الاثنين سادس القعدة وطلع إلى القلعة من باب الجبل.

من مات في هذه السنة من الأعيان

مات الشيخ الفقيه الإمام الفاضل شيخنا الشيخ عبد الرحمن بن عمر العريشي الحنفي الأزهري، ولد بقلعة العريش من أعمال غزة وبها نشأ وحفظ بعض المتون، ولما مر عليه الشيخ العارف السيد منصور السرميني في بلده وجه متيقظاً نبيهاً وفيه قوة استعدادية وحافظة جيدة فأخذه صحبته في صورة معين في الخدمة، وورد معه مصر فكان ملازماً له لا يفارقه، وأذن له بالحضور في الأزهر فكان يحضر دروس الشيخ أحمد البيلي وغيره في النحو والمعقول. ولما توجه السيد المشار إليه إلى البلاد تركه ليشتغل بالعلم، فلازم الشيخ أحمد السليماني ملازمة جيدة وحضر عليه غالب الكتب المستعملة في المذهب، وحضر دروس الشيخ الصعيدي والشيخ الحنفي ولقنه الذكر وأجازه وألبسه التاج الخلوتي. ثم اجتمع بالمرحوم الوالد حسن الجبرتي ولازمه ملازمة كلية ودرجه في الفتوى ومراجعة الأصول والفروع وأعانه على ذلك وجد أن الكتب الغريبة عند المرحوم فترونق ونوه بشأنه وعرفه الناس، وتولى مشيخة رواق الشوام وبه تخرج الحقير في الفقه. فأول ما حضرت عليه متن نور الإيضاح للعلامة الشرنبلالي ثم متن الكتر وشرحه لملا مسكين والدر المختار شرح تنور الأبصار، ومقدار النصف من الدرر، وشرح السيد علي السراجية في الفرائض. وكان له قوة حافظة وجودة فهم وحسن ناطقة فيقرر ما يطالعه منن المواد عن ظهر قلبه من حفظه بفصاحة من غير تلعثم ولا تركيز. وحج في سنة تسع وسبعين من القلزم منفرداً متقشفاً وأدرك بالحرمين

الأخيار، وعاد إلى مصر وحصلت له جذبة في سنة ست وثمانين وترك عياله وانسلخ عن حاله وصار يأوي إلى الزوايا والمساجد ويلقي دروساً من الشفاء وطرق القوم وكلام سيدي محي الدين والغزالي. ثم تراجع قليلاً وعاد إلى حالته الأولى ولما توفي مفتي الحنفية الشيخ أحمد الحماقي تعين المترجم في الإفتاء وعظم صيته وتميز على أقرانه، واشترى داراً حسنة بالقرب من الجامع الأزهر وهي التي كانت سكن الشيخ الحفني في السابق وتعرف بدار القطرسي. وتردد الأكابر والأعيان إليه وانكبت عليه أصحاب الدعاوى والمستفتون، وصار له خدم وأتباع وفراشون وغير ذلك. وسافر إلى اسلامبول بعد موت الأمير محمد بك لقضاء بعض الأغراض، وقرأ هناك كتاب الشفاء، ورجع إلى مصر وكان كريم النفس سمحاً بما في يده يحب إطعام الطعام ويعمل عزائم للأمراء ويخلع عليهم الخلع، ولما زاد انحطاط الشيخ أحمد الدمنهوري وتبين قرب وفاته وفراغ أجله ناقت نفس المترجم لمشيخة الأزهر إذ هي أعظم مناصب العلماء، فأحب الاستيلاء عليها والتوصل إليها بكيفية وطريقة، فحضر مع شيخ البلد إبراهيم بك إلى الجامع الأزهر وجمع الفقهاء والمشايخ وعرفهم أن الشيخ أحمد الدمنهوري أقامه وكيلاً عنه، وبعد أيام توفي الشيخ الدمنهوري فتعين هو للمشيخة بتلك الطريقة، وساعده استمالة الأمراء وكبار الأشياخ والشيخ أبو الأنوار السادات وما مهده معهم في تلك الأيام، وكاد يتم الأمر فانتدب لنقض ذلك بعض الشافعية الخاملين وذهبوا إلى الشيخ محمد الجوهري وساعدهم وركب معهم إلى بيت الشيخ البكري، وجمعوا عليهم جملة من أكابر الشافعية مثل الشيخ أحمد العروسي والشيخ أحمد السمنودي والشيخ حسن الكفراوي وغيرهم، وكتبوا عرضحال إلى الأمراء مضمونه أن مشيخة الأزهر من مناصب الشافعية وليس للحنفية فيها قديم عهد أبداً وخصوصاً إذا كان آفاقياً وليس من أهل البلدة. فإن الشيخ عبد الرحمن كذلك وموجود في العلماء الشافعية من هو أهل لذلك في العلم والسن، وأنهم اتفقوا على أن يكون المتعين لذلك الشيخ أحمد العروسي، وختم الحاضرون على ذلك العرضحال وأرسلوه إلى إبراهيم بك ومراد بم فتوقفوا وأبوا، وثارت فيهم العصبية وشددوا في عدم النقض ورجع الجواب للمشايخ بذلك، فقاموا على ساق وشدد الشيخ محمد الجوهري في ذلك وركبوا بأجمعهم وخرجوا إلى القرافة وجلسوا بجامع الإمام الشافعي وباتوا به. وكان ذلك ليلة الجمعة واجتماع الناس للزيارة، فهرعت الناس واجتمع الكثير من العامة ينظرون فيما يؤول إليه هذا الأمر وكان للأمراء اعتقاد وميل للشيخ محمد بن الجوهري وكذلك نساؤهم وأغواتهم بسبب تعففه عنهم وعدم دخول بيوتهم ورد صلاتهم وتميزه بذلك عن جميع المتعممين. فسعى أكثرهم في أنفذا غرضه وراجعوا مراد بك وأوهموه حصول العطب له ولهم أو ثوران فتنة في البلاد، وحضر إليهم علي أغا
كتخدا الجاويشة وحاججهم وحاججوه ثم قال وتوجه وحضر مراد بك أيضاً للزيارة، فكلمه الشيخ محمد وقال: لا بد من فروة تلبسها للشيخ العروسي وهو يكون شيخاً على الشافعية وذاك شيخاً على الحنفية، كما أن الشيخ أحمد الدردير شيخ المالكية والبلد بلد الإمام الشافعي، وقد جئنا إليه وهو يأمرك بذلك وإن خالفت يخشى عليك. فما وسعه إلا أنه أحضر فروة وألبسها للشيخ العروسي عند باب المقصورة وركب مراد بك متوجهاً وركب المشايخ وبينهم الشيخ العروسي وذهبوا إلى إبراهيم بك و لم يكن الأمراء رأوا الشيخ العروسي ولا عرفوه قبل ذلك، فجلسوا مقدار مسافة شرب القهوة وقاموا متوجهين و لم يتكلم إبراهيم بك بكلمة. فذهب الشيخ العروسي إلى بيته وهو بيت نسيبه الشيخ أحمد العريان واجتمع عليه الناس وأخذ شأنه في الظهور. واحتد العريشي وذهب إلى الشيخ السادات والأمراء فألبسوه فروة أيضاً فتفاقم الأمر وصاروا حزبين، وتعصب للمترجم طائفة الشوام للجنسية وطائفة المغاربة لانضمام شيخهم الشيخ أبي الحسن القلعي معه من أول الأمر،

وتوعدوا منن كان مع الفرقة الأخرى وحذروهم ووقفوا لمنعهم من دخول الجامع، وابن الجوهري يسوس القضية ويستميل الأمراء وكبار المشايخ الذين كانوا مع العريشي مثل الشيخ الدردير والشيخ أحمد يونس وغيرهم، واستمر الأمر على ذلك نحو سبعة أشهر إلى أن أسعفت العروسي العناية ووقعت الحادثة المذكورة بين الشوام والأتراك، واحتد الأمراء الأتراك للجنسية وأكدوا في طلب المحاققة، وتصدى العريشي للشوام المذب عنهم وحصل منهم ما حصل لأجل خلاصهم. فعند ذلك انطلقت عليه الألسن وأصبح الصديق عدواً وانحرف عنه الأمراء وطلبوه فاختفى وعين لطلبه الوالي وأتباع الشرطة وعزلوه من الإفتاء أيضاً. وحضر الأغا وصحبته الشيخ العروسي إلى الجامع للقبض على الشوام فاختفوا وفروا وغابوا عن الأعين، فأغلقوا رواقهم وسمروه أياماً ثم اصطلحوا على الكيفية المذكورة آنفاً، وظهر العروسي من ذلك اليوم وثبتت مشيخته ورياسته وخمل العريشي وأمروه بلزوم بيته ولا يقارش في شيء ولا يتداخل في أمر، فعند ذلك اختلى بنفسه وأقبل على العبادة والذكر وقراءة القرآن، ونزلت له نزلة في أنثييه من القهر، فأشاروا عليه بالفصد وفصدوه فازداد تألمه وتوفي في ليلة الخميس سابع جمادى الأولى من السنة، وجهز بصباحه، وصلي عليه بالأزهر في مشهد حافل وحضره مراد بك وكثير من الأمراء وعلي أغا كتخدا الجاويشية ودفن برحاب السادة الوفائية وذلك بعد الحادثة بتسعة وثلاثين يوماً رحمه الله تعالى. ومن آثاره رسالة ألفها في سر الكنى باسم السيد أبي الأنوار بن وفي أجاد فيها، ووصلت إلى زبيد وكتب عليها الشيخ عبد الخالق بن الزين حاشية، وقرظ عليها الشيخ العروسي والشيخ الصبان وله غير ذلك.

ومات الشريف السيد قاسم بن محمد التونسي، كان إماماً في الفنون وله يد طولى في العلوم الخارجة مثل الطب والحرف وكان معه وظيفة تدريس الطب بالبيمارستان المنصور، وتولى مشيخة رواق المغاربة مرتين والأولى استمر فيها مدة وفي تلك المدة حصلت الفتن ثم عزل عنها، وأعاد الدروس في مدرسة السيوفيين المعروفة الآن بالشيخ مطهر، وله تقريظ على المدائح الرضوانية جمع الشيخ الأكاوي أحسن فيا، وكان ذا شهامة وصرامة في الدين صعباً في خلقه وربما أهان بعض طائفة النصارى عند معارضتهم له في الطريق، وأهين بسبب ذلك من طرف بعض الأمراء، وتحزبت له العلماء وكادت أن تكون فتنة عظيمة ولكن الله سلم. توفي بعد أن تعلل كثيراً وهو متولي مشيخة رواقهم وهي المرة الثانية، وكان له باع في النظم والنثر فمنها مدائحه في الأمير رضوان كتخدا الجلفي له فيه عدة قصائد فرائد مذكورة في الفوائح الجنانية.

ومات الإمام الفهامة الألمعي الأديب واللوذعي النجيب الشيخ محمد لهلباوي الشهير بالدمنهوري اشتغل بالعلم حتى صار إماماً يقتدى به ثم اشتغل بالطريق وتلقن الأسماء وأخذت عليه العهود وصار خليفة مجازاً بالتلقين والتسليك، وحصل به النفع. وكان فقيهاً دراكاً فصيحاً مفوهاً أديباً شاعراً له باع طويل في النظم والنثر والإنشاء ولما تملك علي بك بعد موت شيخه الحفني طلبه إليه وجعله كاتب إنشائه ومراسلاته وأكرمه إكراماً كثيراً ومدحه بقصائد و لم يزل منضوياً إليه مدة دولته.

ومات السيد قاسم بن محمد بن محمد علي بن أحمد بن عامر بن عبد الله ابن جبريل بن كامل بن حسن بن عبد الرحمن بن عثمان بن رمضان بن شعبان ابن أحمد بن رمضان بن محمد بن القطب أبي الحسن علي بن محمد ابن أبي تراب علي بن أبي عبد الله الحسين بن إبراهيم بن محمد بن أحمد ابن محمد بن محمد بن أبي جعفر محمد بن الحسن بن الحسن بن اسمعيل الديباج بن إبراهيم بن الحسن المثني بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب أحد الأشراف الصحيحي النسب بمصر، فجده أبو جعفر

يعرف بالثج لتجتجة في لسانه، وحفيده الحسين بن إبراهيم يعرف بابن بنت الروبدي وحفيده علي بن محمد مدفون بالصعيد في بلد يقال له دمشاوباشم، والمترجم هو والد السيدين الجليلين اسمعيل وإبراهيم المتقدم ذكرهما، صحح هذا النسب شيخنا السيد محمد مرتضى كما ترى، وكان حمام البابا في ملكه مما خلفه له سلقه، فكان يجلس فيه وكان شيخاً مهيباً معمراً منور الشيبة كريم الأخلاق متعففاً مقبلاً على شأنه رحمه الله تعالى.

ومات الإمام العارف الصوفي الزاهد أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي ابن سعيد بن حم الكتاني السوسي ثم التونسي، ولد بتونس ونشأ في حجر والده في عفة وصلاح وعفاف وديانة، وقرأ عليه وعلى شيخ الجماعة سيدي محمد الغرباوي وعلى آخرين وتكمل في العلوم والمعارف مع صفاء ذهنه وسرعة إدراكه وتوقد خاطره وكمال حافظته، وكان والده يحبه ويعتمد على ما يقوله في تحرير نقله، ويصرح بذلك في أثناء درسه. وقد بلغ المترجم من الصلاح والتقوى إلى الغاية واشتهر أمره في بلاد أفريقية اشتهاراً كلياً حتى أحبه الصغير والكبير، وكان منفرداً عن الناس منقبضاً عن مجالسهم فلا يخرج من محله إلا لزيارة ولي أو في العيدين لزيارة والده، وكان للمرحوم علي باشا والي تونس فيه اعتقاد عظيم وعرض عليه الدنيا مراراً فلم يقبلها، وعرضت عليه تولية المدارس التي كانت بيد والده فأعرض عنها وتركها لمن يتولاها، وعكف نفسه على مذاكرة العلوم مع خواص أصحابه ومطالعة الكتب الغريبة، واجتمع عنده منها شيء كثير، وكان يرسل في كل سنة قائمة إلى شيخنا السيد مرتض فيشتري له مطلوبه، وكان يكاتبه ويراسله كثيراً.

ومات الفقيه الأديب الماهر أحمد بن عبد الله بن سلامة الأدكاوي نزيل الإسكندرية وأمه شريفة من ذرية السيد عيسى بن نجم خفير بحر البرلس، كان حسن المحاورة ولديه فضل ويحفظ كثيراً من الأشياء منها المقامات الحريرية وغيرها من دواوين الشعر. وناب عن القضاء في الثغر مدة وكان يتردد إلى مصر أحياناً وجمع عدة دواوين شعرية من المتقدمين والمتأخرين نحو المائتين، وطالع كثيراً منها مما لم يملكه. ولم يزل على حالة مرضية حتى توفي بالثغر سنة تاريخه.

ومات الشيخ الصالح المعمر خالد أفندي بن يوسف الديار بكرلي الواعظ، كان يعظ الأتراك بمكة على الكرسي، ثم ورد مصر ولازم حضور الأشياخ بمصر والوعظ للأتراك، وحضر معنا كثيراً على شيخنا السيد محمد مرتضى في دروس الصحيح بجامع شيجون في سنة 1190 وفي الأمالي والشمائل في جامع أبي محمود الحنفي، وأخبر أنه دخل دمشق وحضر دروس الشيخ اسمعيل الجعلوني وأجازه وأدرك جلة الأشياخ بديار بكر والرها وأزروم. وكان رجلاً صالحاً منكسراً وله مرأى حسنة ولا زال على طريقته في الحب والملازمة حتى مرض أياماً وانقطع في بيته ومات في رابع جمادى الأولى.

ومات الشيخ الفقيه الكامل والنجيب الفاضل أحد العلماء الأعلام وأوحد فضلاء الأنام الشيخ محمد بن عبادة بن بري العدوي، ينتهي نسبه إلى علي أبي صالح المدفون بالعلوة في بني عدي، قدم إلى مصر سنة 1164، وجاور بالأزهر وحفظ المتون، ثم حضر شيوخ الوقت ولازم دروس علماء العصر، ومهر في الفنون، وتفقه على علماء مذهبه من المالكية مثل الشيخ علي العدوي والشيخ عمر الطحلاوي والشيخ خليل والشيخ الدردير والبيلي، وأخذ المعقولات عن شيخه الشيخ علي العدوي الصعيدي وغيره ولازمه ملازمة كليه، وانتسب إليه حساً ومعنى، وصار من نجباء تلامذته ودرس الكتب الكبار في الفقه والمعقول، ونوه الشيخ بفضله وأمر الطلبة بالأخذ عنه وصار له باع طويل وذهن وقاد وقلم سيال وفصاحة في اللسان والتقرير

وصواب في التحرير وقوة استعداد واستحضار وسليقة. ومن تآليفه حاشية على شذور الذهب لابن هشام متداولة بأيدي الطلبة نافعة، وحاشية على مولد النبي صلى الله عليه وسلم للغيطي وابن حجر والهدهدي، وحاشية على شرح بن جماعة في مصطلح الحديث، وحاشية عجيبة على جمع الجوامع وعلى السعد والقطب وعلى أبي الحسن، وحاشية على شرح الخرشي وعلى فضائل رمضان، وكتابة محررة على الورقات، والرسالة العضدية وعلى آداب البحث والاستعارات. ولم يزل يملي ويقرئ ويفيد ويحرر ويجيد حتى وافاه الحمام، وتوفي في أواخر شهر جمادى الثانية من السنة، بعد أن تعلل بعلة الاستسقاء سنين وكان يقرأ ليالي المواسم مثل نصف شعبان والمعراج وفضائل رمضان وغير ذلك نيابة عن شيخه الشيخ علي الصعيدي العدوي، ويجتمع بدرسه الجم الكثير من طلبة العلم والعامة رحمه الله.

ومات الأمير علي بك السروجي وهو من مماليك إبراهيم كتخدا وإشرافات علي بك أمره وقلده الصنجقية بعد موت سيدهم ولقب بالسروجي لكونه كان سكناً بخط السروجية. ولما أمره علي بك هو وأيوب بك مملوكه ركب معمها إلى بيت خليل بك بلفيا وخطب لعلي بك هذا أخت خليل بك وهي ابنة إبراهيم بلفيا الكبير وعقد عقده عليها، ثم خطب لأيوب بك ابنة خليل بك وعقد للأخرى على أيوب بك في ذلك المجلس، وشربوا الشربات وفرقوا المحارم والهدايا وانصرفوا، وعملوا العرس بعد أن جهزهما بما يليق بأمثالهما، وزفوا واحدة بعد أخرى إلى الزوج. ولما حصلت الوحشة بين المحمدية واسمعيل بك انضم إلى اسمعيل بك لكونه خشداشه وخرج إلى الشام صحبته فلما سافر اسمعيل بك إلى الديار الرومية تخلفه المترجم مع من تخلف، ومات ببعض ضياع الشام كما ذكر.

ومات أيضاً الأمير حسن بك المعروف بسوق السلاح لسكنه في تلك الخطة ببيت الست البدوية وأصله مملوك صفية جارية الشيخ أبي المواهب البكري، وكان بن أخيها فاشترته واستمر في خدمة الشيخ أبي المواهب إلى أن مات، فسلك في طريق الأجناد وخدم علي بك إلى أن جعله كاشفاً في جهة من الجهات القبلية، فأقام بها إلى أن خالف محمد بك على سيده علي بك وذهب إلى قبلي، واجتمعت عليه الكشاف والأجناد وكان حسن هذا من جملة من حضر إليه بماله ونواله وخيامه، وحضر محمد بك إلى مصر وملكها من سيده علي بك. ولم يزل حسن هذا في خدمة محمد بك أبي الذهب فرقاه في الخدم والمناصب وصنجقه ولم يزل في الإمارة مدة محمد بك وأتباعه إلى أن خرج مع من خرج صحبة اسمعيل بك ومات ببعض ضياع الشام والله الموفق.

سنة أربع وتسعين ومائة وألف

فيها في يوم الخميس حادي عشر صفر دخل الحجاج إلى مصر وأمير الحاج مراد بك ووقف لهم العربان في الصفرة والجديدة وحصروا الحجاج بين الجبال وحاربوهم نحو عشر ساعات، ومات كثير من الناس والغزو الأجناد ونهبت بضائع وأحمال كثيرة وكذلك من الجمال والدواب، والعرب بأعلى الجبال والحج أسفل كل ذلك والحج سائر.

وفي يوم الخميس ثالث شهر رجب، اجتمع الأمراء وأرسلوا إلى الباشا أرباب العكاكيز وأمروه بالنزول من القلعة معزولاً، فركب في الحال ونزل إلى مصر العتيقة ونقلوا عزاله ومتاعه في ذلك اليوم واستلموا منه الضربخانة وعمل إبراهيم بك قائمقام مصر. فكانت مدة ولاية اسمعيل باشا في هذه المرة ثمانية أشهر تنقص ثلاثة أيام، وكان أصله رئيس الكتاب باسلامبول من أرباب الأقلام. وكان مراد بك هذا أصهل من مماليكه فباعه لبعض التجار في معارضة وحضر إلى مصر ولم يزل حتى صار أميرها. وحضر سيده هذا في أيام إمارته وهو الذي عزله من ولايته ولكن كان يتأدب معه ويهابه كثيراً ويذكر سيادته عليهن وكان هذا الباشا أعوج العنق للغاية، وكان قد خرج له خراج فعالجه بالقطع فعجزت العروق وقصرت فاعوج عنقه وصارت لحيته عند سدره ولا يقدر على الالتفات إلا بكليته إلا أنه كان رئيساً عاقلاً صاحب طبيعة ويحب المؤانسة والمسامرة. ولما حضر إلى مصر وسمع بأوصاف شيخنا الشيخ محمود الكردي أحبه واعتقده وأرسل له هدية وأخذ عليه العهد بواسطة صديقنا نعمان أفندي وكان به آنساً، وقلده أمين الضربخانة. ولما أخذ العهد على الشيخ أقلع عن استعمال البرش وألقاه بظروفه وقلل من استعمال الدخان. وكان عنده أصناف الطيور المليحة الأصوات، وعمل بستاناً لطيفاً في الفسحة التي كانت بداخل السراية وزرع بها أصناف الزهور والغرس والورد والياسمين والفل، وبوسطه قبة على أعمدة لطيفة من الرخام وحولها حاجز من السلك النحاس الرفيع الأصفر وبداخلها كثير من عصافير القنارية، وعمل لهم أوكاراً يأوون إليها ويطيرون صاعدين هابطين بداخل القبة، ويطرب لأصواتهم اللطيفة وأنغامهم العذبة، وذلك خلاف ما في الأقفاص المعلقة في المجالس، وتلك الأقفاص كلها بديعة الشكل والصنعة. ولما أنزله على هذه الصورة انتهب الخدم تلك الطيور والأقفاص وصاروا يبيعونها في أسواق المدينة على الناس.

وفي يوم الجمعة عاشر شعبان الموافق لسابع مسرى القبطي، أوفى النيل المبارك وكسر السد في صبحها يوم السب بحضرة إبراهيم بك قائمقام مصر والأمراء.

وفي أواخر شعبان، شرع الأمراء في تجهيز تجريدة وسفرها إلى جهة قبلي لاستفحال أمر حسن بك ورضوان بك، فإنه انضم إليهم كثير من الأجناد وغيرهم، وذهب إليهم جماعة اسمعيل بك وهم إبراهيم بك قشطة وعلي بك الجوخدار وحسين بك وسليم بك من خلف الجبل، فعندما تحققوا ذلك أخذوا في تجهيز تجريدة وأميرها مراد بك وصحبته سليمان بك أبو نبوت وعثمان بك الأشقر ولاجين بك ويحيى بك وطلبوا الاحتياجات واللوازم وحصل منهم الضرر، وطلب مراد بك الأموال من التجار وغيرهم مصادرة وجمعوا المراكب وعطلوا الأسباب وبرزوا بخيامهم إلى جهة البساتين.

وفيه حضر من الديار الرومية أمير أخور وعلى يده تقرير لاسمعيل باشا على السنة الجديدة، فوجده معزولاً وأنزلوه في بيت بسويقة العزى.

وفي يوم الخميس عشرين شوال، وكان خروج المحمل والحجاج صحبة أمير الحج مصطفى بك الصغير.

من مات في هذه السنة

مات السيد الأجل الوجيه الفاضل السيد محمد بن عثمان بن محمد بن عبد الرحيم بن محمد بن عبد الرحيم بن مصطفى بن القطب الكبير سيدي محمد دمرداش الخلوتي، ولد بزاوية جده ونشأ بها، ولما توفي والده السيد عثمان جلس مكانه في خلافتهم وسار سيراً حسناً مع الأبهة والوقار وتردد الأفاضل إليه على عادة أسلافه. وكان يعاني طلب العلم مع الرفاهية وبعض الخلاعة، ولازم المرحوم الوالد هو وأولاده السيد عثمان والسيد محمد المتولي إلا آن في مطالعة الفقه الحنفي وغيره في كل يوم بالمترل ويحضرون أيضاً بالأزهر وعلى الأشياخ المترددين عليهم بالزاوية مثل الشيخ محمد الأمير والشيخ محمد العروسي والشيخ محمد بن اسمعيل النفراوي والشيخ محمد عرفة الدسوقي وغيرهم، وكان إنساناً حسن العشرة والمودة. توفي في رابع عشر رمضان من السنة ودفن بزاويتهم عند أسلافهم.

ومات الفقيه النبيه المتقن المتفنن الأصولي النحوي المعقولي الجدلي الشيخ مصطفى المعروف بالريس البولاقي الحنفي كان في الأصل شافعي المذهب، ثم تحنف وتفقه على الشيخ الاسقاطي والسيد سعودي والدلجي وحضر المعقولات على الشيخ علي الصعيدي والشيخ علي قايتباي والإسكندراني، وكان ملازماً للسيد سعودي، فلما توفي لازم ولده السيد إبراهيم و لم تطل أيامه، فلما مات لازم الشيخ الوالد حسن الجبرتي ملازمة كلية في المدينة وبولاق وكان يحبه لنجابته واستحضاره ونوه بشأنه ولاحظه بأنظاره وأخذ له تدريس الحنفية بجامع السنانية وجامع الواسطي، وعاونه في أمور من الأحكام العامة ببولاق حتى اشتهر ذكره بها وعظم شأنه عند أهلها، وصار بيته مثل المحكمة في القضايا والدعاوى والمناكحات والخصومات، وكان فيه شهامة وقوة جنان وصلابة رحمه الله تعالى وعفا عنه.

ومات الولي الصالح الفاضل الشيخ عبد الله بن محمد بن حسين السندي نزيل المدينة المنورة المشهور بجمعة، حضر دروس الشيخ محمد حياة السندي وغيره من الواردين وجاور بالمدينة نحواً من أربعين سنة، وانتفع به طلبة المدينة واشتهرت بركته. فكل من قرأ عليه شيئاً فتح الله عليه وصار من العلماء وكان ذا كرم ومروءة وحياء وشفقة، توفي في هذه السنة.

ومات الشيخ الصالح الوجيه أحمد بن عبد الله الرومي الأصل المصري المكتب الخطاط الملقب بالشكري، جود الخط على جماعة من المشاهير ومهر فيه حتى برع وأجيز وأجاز على طريقتهم، ونسخ بيده عدة مصاحف ودلائل الخيرات وغير ذلك، وانتفع به الناس انتفاعاً عاماً، واشتهر خطه في الآفاق وأجاز لجماعة وكان وجيهاً منور الشيبة يلوح عليه سيما الصلاح والتقوى، نظيف الثياب حسن الأخلاق مهذباً متواضعاً. توفي عشية يوم الأربعاء ثالث جمادى الأولى من السنة وصلي عليه بالأزهر ودفن بالقرافة رحمه الله تعالى.

سنة خمس وتسعين ومائة وألف

في منتصف المحرم قبض إبراهيم بك على إبراهيم أغا بيت المال المعروف بالمسلماني وضربه بالنبابيت حتى مات وأمر بإلقائه في بحر النيل، فألقوه، وأخرجه عياله بعد أيام من عند شبر أفاتوا به إلى بيته وغسلوه وكفنوه ودفنوه و لم يعلم لذلك سبب.

وفي يوم السبت سادس عشر صفر، نزل الحجاج ودخلوا إلى مصر صحبة المحمل وأمير الحاج مصطفى بك في يوم الثلاثاء تاسع عشرة.

وفيه جاءت الإخباريات اسمعيل بك وصل من الديار الرومية إلى ادرنه وطلع من هناك، ويمل يزل يتحيل حتى خلص إلى الصعيد وانضم إلى حسن بك ورضوان بك وباقي الجماعة.

وفي أواخر شهر صفر وصلت الأخبار من ناحية قبلي بأن مراد بك خنق إبراهيم بك أوده باشا قيل أنه اهمه بمكاتبات إلى اسمعيل بك وحبس جماعة آخرين خلافه.

وفيه وصلت الأخبار بورود باشا إلى ثغر سكندرية والياً على مصر وهو محمد باشا ملك.

وفي سادس جمادى الأولى وصل مراد بك ومن معه إلى مصر وصحبته إبراهيم بك قشطة صهر اسمعيل بك وسليم بك أحد صناجق اسمعيل بك بعدما عقد الصلح بينه وبينهم، وأحضر هؤلاء صحبته رهائن، وأعطى لاسمعيل بك اخميم وأعمالها وحسن بك قنا وقوص وأعمالها ورضوان بك اسنا، و لم تم الصلح بينه وبينهم على ذلك أرسل لهم هدايا وتقادم وأحضر صحبته من ذكر، فكانت مدة غيابه ثمانية أشهر وأياماً، و لم يقع بينهم مناوشات ولا حرب بل كانوا يتقدمون بتقدمه ويتأخرون بتأخره حتى تم ما تم.

وفي منتصف شهر جمادى الأولى سافر علي أغا كتخدا الجاويشية وأغات المتفرقة والترجمان وباقي أرباب الخدم لملاقاة الباشا.

وفي غرة شهر رجب وصل الباشا إلى بر انبابة وبات هناك، وعدت الأمراء في صبحها للسلام عليه، ثم ركب إلى العادلية.

وفي يوم الاثنين ركب الباشا بالموكب من العادلية ودخل من باب النصر وشق من وسط المدينة وطلع إلى القلعة، وضربوا له المدافع من باب الينكرجية وكان وجيهاً جليلاً منور الوجه والشيبة.

وفي يوم الخميس عملوا الديوان وحضر الأمراء والمشايخ وقرئ التقليد بحضرتهم، وخلع على الجميع الخلع المعتادة.

وفي يوم الأحد المبارك، ليلة النصف من شعبان الموافق لأول مسرى القبطي كان وفاء النيل المبارك، ونزل الباشا وكسروا السد بحضرته على العادة صبح يوم الاثنين.

من مات في هذه السنة من الأئمة والأعيان

توفي شيخنا الإمام العارف كعبة كل ناسك عمدة الواصلين وقدوة السالكين صاحب الكرامات الظاهرة والإشارات الباهرة شخينا وأستاذنا الشيخ محمود الكردي الخلوتي، حضر إلى مصر متجرداً مجاهداً مجتهداً في الوصول إلى مولاه زاهداً كل ما سوأه

فأخذ العهد وتلقن الذكر من الأستاذ شمس الدين الحفني وقطع الأسماء وتنزلت عليه الأسرار وسطعت على غرته الأنوار وأفيض على نفسه القدسية أنواع العلوم المدنية. وله رسالة في الحكم ذكر أن سبب تأليفه لها أنه رأى الشيخ محي الدين العربي رضي الله عنه في المنام أعطاه مفتاحاً وقال له: افتح الخزانة. فاستيقظ وهي تدور على لسانه ويرد على قلبه أنه يكتبها. قال: فكنت كلما صرفت الوارد عني عاد إلي فعلمت أنه أمر إلهي فكتبتها في لمحة يسيرة من غير تكلف، كأنما هي تملي على لساني من قلبي، وقد شرحها خليفته شيخ الإسلام والمسلمين سيدي الشيخ عبد الله الشرقاوي شيخ الجامع الأزهر شرحاً لطيفاً جامعاً مانعاً، استخرج به من كنوز معانيها ما أخفاها، فلم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وشرحها أيضاً أحد خلفائه الأستاذ العلامة السيد عبد القادر بن عبد اللطيف الرافعي البياري العمري الحنفي الطرابلسي شكر الله صنيعهما، ذكر في أولها ترجمة الأستاذ كما سمعه من لفظه أن مولده ببلدة صاقص من بلاد كوران ونشأ في المجاهدة وهو ابن خمس عشرة سنة، صائم الدهر محيي الليل كله في مسجد ببلدته معروف حتى اشتهر أمره وقصده الناس بالزيارة، فهجر ذلك المكان وصار يأوى الخراب خارج بلدته بحيث لا يشعر به أحد. وأخبرني غير مرة أنه كان لا يغمه بالليل إلا سماع صوت الديكة لإنذارها بطلوع النهار لما يجده في ليله من المواهب والأسرار. وكان جل نومه في النهار، وكثيراً ما كان يجتمع بالخضر عليه السلام فيراه بمجرد ما ينام فيذكر الله معه حتى يستيقظ. وكان لا يفتر عن ذكر الله لا نوماً ولا يقظة. وقال مرة: جميع ما في كتب إحياء العلوم للغزالي عملت به قبل أن أطالعه، فلما طالعته حمدت الله تعالى على توقيفه إياي وتوليته تعليمي من غير معلم. وكان كثير التقشف من الدنيا يأكل خبز الشعير، وفي بيته يصنع خاص دقيق البر وكثيراً ما كان يلومه أخوه على ذلك، وكان أخوه الكبير كثير اللوم له على ما يفعله من مجاهداته وتقشفاته. ولما مات والده ترك ما يخصه من إرثه لهم، وكان والده كثير المال والخير وعليق دوابه في كل ليلة أكثر من نصف غرارة من الشعير. ولما صار عمره ثمان عشرة سنة رأى في منامه الشيخ محمد الحفناوي، فقيل له: هذا شيخك، فتعلق قلبه به وقصده بالرحلة حتى قدم مصر واجتمع به وأخذ عنه الطريق الخلوتية وسلك على يديه بعد أن كان على طريقة القصيري رضي الله عنه. وقال له في مبدأ أمره: يا سيدي إني أسلك على يديك ولكن لا أقدر على ترك أوراد الشيخ علي القصيري فأقرأ أوراده وأسلك طريقتك. فأجابه الشيخ إلى ذلك و لم يشدد عليه في ترك أوراد الشيخ القصيري لما عرفه من صدقه مع المذكور، فلازمه مدة طويلة ولقنه أسماء الطريقة السبعة في قطع مقاماتها، وكتب له إجازة عظيمة شهد له فيها بالكمال والترقي في مقامات الرجال وأذن له بالإرشاد وتربية المريدين. فكان الشيخ في آخر أمره إذا أراد أحد أن يأخذ عنه الطريق يرسله إلى الشيخ محمود ويقول لغالب جماعته: عليكم بالشيخ محمود فإني لولا أعلم من نفوسكم ما أعلم لأمرتكم كلكم بالأخذ عنه والانقياد له. ولما قدم شيخ شيخه السيد مصطفى البكري لازمه وأخذ عنه كثيراً من علم الحقائق، وكان كثير الحب فيه، فلما رآه لا يقرأ أوراد الطريقة الخلوتية ويقتصر على أوراد القصيري عاتبه في ذلك وقال له: أيليق بك أن تسلك على أيدينا وتقرأ أوراد غيرنا، إما أن تقرأ أورادنا أو أن تتركنا. فقال: يا سيدي أنتم جعلكم الله رحمة للعالمين وأنا أخاف من الشيخ القصيري إن تركت أوراده وشيء لازمته في صغري لا أحب أن أتركه في كبري. فقال له السيد البكري: استخر الله وانظر ماذا ترى لعل الله يشرح صدرك. قال: فاستخرت الله العظيم، ونمت فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم والقصيري عن يمينه والسيد البكري عن يساره، وأنا تجاههم، فقال القصيري للرسول صلى الله عليه وسلم يا رسول الله أليست طريقتي على طريقتك أليست أورادي مقتبسة من أنوارك فلم يأمر السيد البكري هذا بترك أورادي، فاقل السيد البكري يا

رسول الله رجل سلك على أيدينا وتولينا تربيته أيحسن منه أن يقرأ أوراد غيرنا ويهجر أورادنا، فقال الرسول عليه السلام لهما اعملا فيه القرعة واستيقظ الشيخ من منامه فأخبر السيد البكري فقال له السيد معنى القرعة انشراح صدرك انظره واعمل به، قال الشيخ رضي الله عنه: ثم بعد ليلة وأكثر رأيت سيدي أبا بكر الصديق رضي الله عنه في المنام وهو يقول لي يا محمود خليك مع ولدي السيد مصطفى ورأى ورد سحر الذي ألفه المذكور مكتوباً بين السماء والأرض بالنور المجسم كل حرف منه مثل الجبل، فشرح الله بعد ذلك صدره ولازم أوراد السيد البكري وأخذ من أوراد القصيري ما استطاع. وأخبر رضي الله عنه أنه رأى حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم في بعض المرائي وكان جمع الفقراء في ليلة مباركة وذكر الله تعالى بهم إلى الفجر وكان معه شيء قليل من الدنيا فورده على قلبه وارد زهد ففرق ما كان معه على المذكورين، وفي أثناء ذلك صرخ من بيان الجماعة صارخ يقول الله بحال قوي، فلما فرغوا قال للشيخ يا سيدي سمعت هاتفاً يقول يا شيخ محمود ليلتك قبلت عند الله تعالى، قال ثم إني بعدما صليت الفجر نمت فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي يا شيخ محمود ليلتك قبلت عند الله تعالى وهات يدك حتى أجازيم، فأخذ صلى الله عليه وسلم بيد الشيخ والسيد البكري حاضر بالمجلس فأخذ يده ووضع يده الشريفة بين يديهما وقال أريد أن أخاوي بينك وبين السيد البكري وأتخاوى معكما، الناجي منا يأخذ بيد أخيه، فاستيقظ فرحاً بذلك فلم يلبث إلا يسيراً ورسول السيد البكري يطلبه فتوضأ وذهب إلى زيارته، وكان من عادته أنه يزوره كل يوم ولا يدخل عليه إلا على طهارة، فلما رآه قال له ما أبطاك اليوم عن زيارتنا فقال له يا سيدي سهرنا البارحة الليل كله فنمت وتأخرت عنكم، فقال له السيد هل من بشارة أو إشارة فقلت يا سيدي البشارة عندكم، فقال قل ما رأيت، قال فتعجبت من ذلك وقلت يا سيدي رأيت كذا وكذا، فقال يا ملا محمود منامك حق وهذه مبشرة لنا ولك فإنه صلى الله عليه وسلم ناج قطعاً ونحن ببركته ناجون، ومناقبه رضي الله عنه كثيرة لا تحصر. وكان كثير المرأى لرسول الله صلى الله عليه وسلم قل ما تمر به ليلة إلا ويراه فيها وكثيراً ما يرى رب العزة في المنام، ورآه مرة يقول له يا محمود إني أحبك وأحب من يحبك فكان رضي الله عنه يقول من أحبني دخل الجنة. وقد أذن لي أن أتكلم بذلك وأما مجاهداته فالديمة المدرار كما قالت عائشة رضي الله عنها في جنابه صلى الله عليه وسلم، كان عمله ديمة وأيكم يستطيع عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم. وبلغ من مجاهداته رضي الله عنه أنه لما ضعف عن القيام في الصلاة لعدم تماسكه بنفسه صنع له خشبة قائمة يستند عليها، ولم يدع صلاة النقل قائماً فضلاً عن الفرض، ولم يدع صلاة الليل والوظائف التي عليه مرتبة في حال من الأحوال، وكان لا ينام من الليل إلا قليلاً وكان ربما بمضي عليه الليل وهو يبكي، وربما تمر عليه الليلة كلها وهو يرد آية من كتاب الله تعالى. وكثيراً ما كان يقتصر على الخبز والزيت ويؤكل في بيته خواص الأطعمة، وكان غالب أكله الرز بالزيت وتارة بالسمن البقري وقل ما تراه في خلوته أو مع أصحابه إلا وهو مشغول في وظائف أوراد. وقال لي مرة ربما أكون مع أولادي ألاعبهم وأضاحكهم وقلبي في العالم العلوي في السماء الدنيا أو الثانية أو الثالثة أو العرش، وكثيراً ما كان تفيض على قلبه معرفة الحق سبحانه وتعالى فيجعل يبكي ولا يشعر به جليسه. وقلت يوماً للعارف بالله تعالى خليفته سيدي محمد يدير القدسي من كرامات الأستاذ أنه لا يسمع شيئاً من العلم إلا حفظه ولا يزول من ذهنه ولو بعد حين، فقال لي رضي الله عنه بل الذي يعد من كرامات الشيخ أنه لا يسمع شيئاً من العلم النافع إلا ويعمل به في نفسه ويداوم عليه. فقلت صدقت هذا والله حاله وكنت مرة أسمعته رياض الرياحين لليافعي فلما أكملته قال لي بمحضر من أصحابه هل يوجد الآن مثل هؤلاء الرجال المذكورين في هذا الكتاب تكون لهم الكرامات، فقال له

بعض الحاضرين الخير موجود يا سيدي في أمة الرسول عليه الصلاة والسلام، فقال الشيخ وقد وقع لي في الطريق أبلغ من ذلك، وأحكي لكم عما وقع لي في ليلتي هذه: كنت قاعداً أقرأ في أورادي فعطشت وكان الزمن مصيفاً والوقت حاراً وأم الأولاد

نائمة، فكرهت أن أوقظها شفقة عليها، فما استتم هذا الخاطر حتى رأيت الهواء قد تجسم لي ماء حتى صرت كأني في غدير من الماء، وما زال يعلو حتى وصل إلى فمي فشربت ماء لم أشرب مثله، ثم أنه هبط حتى لم يبق قطرة ماء ولم يبتل مني شيء.

وبردت ليلة في ليالي الشتاء برداً شديداً وأنا قاعد أقرأ في وردي وقد سقط عني حرامي الذي أتغطى به، وكان إذا سقط عنه غطاؤه لا يستطيع أني رفعه بيده لضعف يده، قال فأردت أن أوقظ أم الأولاد فأخذتني الشفقة عليها فما تم هذا الخاطر حتى رأيت كانوناً عظيماً ملآناً من الجمر وضع بين يدي وبقي عندي حتى دفئ بدني وغلب وهج النار علي، فقلت في سري هذه النار حسية أم هي خيال فقربت إصبعي منها فلذعتني فعلمت أنها كرامة من الله تعالى، ثم رفعت. والحاصل أن مناقبه رضي الله عنه لا تكاد تنحصر، وكان لكلامه وقع في النفوس عظيم إذا تكلم كأنما كلماته خرزات نظمن في جيد حسناء لا ينطق إلا بحكمة أو موعظة أو مسائل دينية أو حكاية تتضمن جواباً عن سؤال يسأله بعض الحاضرين بقلبه، ولا تكاد تسمع في مجلسه ذكر أحد بسوء وكان كثير الشفقة والرحمة على خلق الله لا سيما أرباب الذنوب والمعاصي، كثير التواضع كثير الإحسان للفقراء والمساكين لا يمسك من الدنيا شيئاً، جميع ما يأتيه ينفقه في طاعة الله. ما أمسك بيده درهماً ولا يناراً قط آخذاً بالورع في جميع أموره ليس له هم إلا أمور الآخرة لا يهتم لشأن الدنيا أقبلت أو أدبرت، كفاه الله مؤنة الدنيا، عنده خادم يقبض ما يأتي له من الدنيا ويصرف عليه فلا يزيد ذلك على حاجته ولا ينقص شيئاً، قال السيد شارح الرسالة خدمته نحو عشر سنوات ما رأيته ارتكب صغيرة قط وللأستاذ رضي الله عنه رسالة سماها السلوك لأبناء الملوك، وهي صورة مكتوب من إملائه أرسله إلى رجل من أعيان المغرب يقال له ابن الظريف، وكان الشيخ رضي الله عنه أرسل له جواباً عن مكاتبة أرسلها فأرسل مراسلة أخرى والتمس الجواب، يكون متضمناً بعض النصائح، فأملى تلك المراسلة فبلغت نحو ستة كراريس وصارت كتاباً عظيم النفع سارت به الركبان وانتفع به القاصي والداني، وكتب عليه كثير من العلماء وكانت وفاة الأستاذ رضي الله عنه ثالث المحرم من هذه السنة، وتولى غسله الشيخ سليمان الجمل، وصلي عليه بالأزهر، ودفن بالصحراء بجوار السيد مصطفى البكرى رضي الله عنهما.

ومات الأديب الماهر واللبيب الشاعر الشيخ علي بن عنتر الرشيدي، كان متضلعاً فصيحاً مفوهاً له موشحات ومقاطيع كثيرة، ونظم البحور الستة عشر كلها بالاقتباس، منها قوله في الطويل:

أطلت الجفا فأسمح بوصلك يا رشا ... ولا تبدلن وعد الكئيب بضده

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن ... ولا تحسبن الله مخلف وعده

وقال في المديد ومنه الاكتفاء:

في مديد الهجر قال اللواحي ... دع هواه فالغرام جنون

فاعلاتن فاعلن فاعلاتن واصطبر عن حبه قلت كونوا

وقال في الرجز:

كملت محاسن منيتي فهديت في روض غدا في وجنتيه نضيرا

متفاعلن متفاعلن متفاعلن وكفى بربك هادياً ونصيرا

وقال في الرجز:

ارجزفاني في هوى حلو اللما مسى الورى أضحيت صبا هائما

مستفعلن مستفعلن مستفعلن إن قل صبري قال صبر قل وما

وقال في الوافر:

بوافر لوعتي صل يا غزالي فكل متيم فإن وبالي

مفاعلتن مفاعلتن فعولن ويبقى وجه ربك ذو الجلال

وقال في البسيط:

بسطت في شادن حلو اللما غزلي وقلت جدلي بوصل منك يا أملي

مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن فقال لي خلق الإنسان من عجل

وقال في الرمل:

قد رملت الوصف فيه قائلاً مذبداً الهندى من أهدا به

فاعلاتن فاعلاتن فاعلن قل هو الرحمن آمنا به

وقال في الخفيف:

خفف الهجر عن فؤاد كليم وامل كاس الوصال لي يا نديمي

فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن وتوكل على العزيز الرحيم

وله ديوان شعر مشهور و لم يزل حتى مات بالثغر في ربيع الأول من السنة.

ومات الشيخ الصالح الدين بقية السلف ونتيجة الحلف الشيخ أحمد ابن محمد بن أحمد بن عبد المنعم بن أبي السرور البكري الشافعي شيخ سجادة البكرية بمصر، كان صاحب همة ومروءة وديانة وعفاف ومحبة وإنصاف، وتولى بعد موت أبيه فسار سيراً وسطاً مع صفاء الباطن، وكان الغالب عليه الجذب والصلاح والسلوك على طريق أهل الفلاح مع أوراد وأذكار يشتغل بها، توفي يوم السبت ثاني عشر ربيع الثاني من السنة، وصلي عليه بالجامع الأزهر بمشهد حافل ودفن عند أسلافه قرب مقام الإمام الشافعي رضي الله عنه.

ومات الإمام الفصيح المعتقد الشهير الذكر الشيخ إبراهيم بن محمد بن عبد السلام الرئيس الزمزمي المكي الشافعي مؤقت حرم

الله الأمين، ولد بمكة سنة 1110 وسمع من ابن عقيلة وعمر بن أحمد بن عقيل والشيخ سالم البصري والشيخ عطاء الله المصري وابن الطيب، وحضر على الشيخ أحمد الأشبولي الجامع الصغير وغيره، وأخذ عن السيد عبد الله ميرغني ومن الورادين من أطراف البلاد كالشيخ عبد الله الشبراوي والشيخ عمر الدعوجي والشيخ أحمد الجوهري، وأجازه شيخنا السيد عبد الرحمن العيدروس بالذكر على طريقة السادة النقشبندية، وألف باسمه رسالة سماها البيان والتعليم لمتبع ملة إبراهيم ذكر فيها سنده، وأجازه السيد مصطفى البكري في الخلوتية وجعله خليفته في فتح مجالس الذكر وفي ورد سحر، ولازم المرحوم الوالد حسن الجبرتي سنة مجاورته بمكة وهي سنة خمس وخمسين ملازمة كلية، وأخذ عنه علم الفلك والأوفاق والاستخراجات والرسم وغير ذلك، ومهر في ذلك واقتنى كتباً نفيسة في سائر العلوم بددها أولاده من بعده وباعوها بأبخس الأثمان. وكان عنده من جملة كتبه زيج الراصد الغيبك السمقرندي نسخة شريفة بخط العجم، في غاية الجودة والصحة والإتقان، وعليها تقييدات وتحريرات وفوائد شريفة لا يسمح الدهر بمثل تلك النسخة، وكنت كثيراً ما أسمع من المرحوم الوالد ذكرها ومدحتها ونسخة الوالد مكتوب عليها بخط رستم شاه ما نصه: قد اشترينا هذا الكتاب في دار سلطنة هراة باثني عشر ألف دينار. وتحت ذلك اسمه وختمه. فلما كان في سنة ست وتسعين ورد علينا بعض الحجاج الجزائرية وسألني عن كتب يشتريها من جملتها الزيج المذكور وأرغبني في زيادة الثمن فلم تسمح نفسي بشيء من ذلك، ثم سافر إلى الحج ورجع وأتاني ومع خادمه رزمة كبيرة فوضعها بين أيدينا وفتحها وأخرج منها نسخة الزيج المذكورة وفرجني عليها وقال: أيهما أحسن نسختك التي ضننت بها أو هذه. وكنت لم أرها قبل ذلك فرأيتها شقيقتها وتزيد عنها في الحسن بصغر حجمها وكثرة التقييدات بهامشها وطيارات كثيرة بداخلها في المسائل المعضلة مثل التسييرات والانتهاءات والنمودارات وغير ذلك، وجميعها بحسن الخط والوضع، فرأيتها المخدرة التي كشف عنها القناع وإنما هي المعشوقة بالسماع، فقلت له: كيف وصلت إلى هذه اليتيمة وما مقدار ما دفعته فيها من المهر والقيمة. فأخبرني أنه اشتراها من ابن الشيخ بعشرين ريالاً وكتاب المجسطي وكتاب التبصرة وشرح التذكرة ونسخة البارع في غاية الجودة وزيج ابن الشاطر وغير ذلك من الكتب التي لا توجد في خزائن الملوك، وكلها بمثل ذلك الثمن البخس. فقضيت أسفاً وأخذ الجميع مع ما أخذ وذهب إلى بلاده. وهكذا حال الدنيا، ولم يزل المترجم على حالة حميدة واشتهر أمره في الآفاق وعرف بالصلاح والفضل وأتته الهدايا والمراسلات من جميع الأطراف والجهات حتى لحق بربه عز وجل سابع عشر ربيع الأول من السنة.

ومات الشيخ الفاضل الصالح أحمد بن محمد الباقاني الشافعي النابلسي سمع الأولية من محمد بن محمد الخليلي ورافق الشيخ السفاريني في بعض شيوخه من أهل البلد، وأجازه السيد مصطفى البكري في الورد والطريقة، ورد مصر أيام توليه المرحوم مصطفى باشا طوقان وكان له مذاكرة حسنة وورع وصلاح وعبادة، وانتفع به الطلبة في بلاده ثم عاد إلى بلاده فتوفي في ثالث جمادى الثانية.

ومات الأجل المفوه الشريف الفاضل السيد حسين بن شرف الدين ابن زين العابدين بن علاء الدين بن شرف الدين بن موسى بن يعقوب ابن شرف الدين بن يوسف بن شرف الدين بن عبد الله بن أحمد أبي ثور ابن عبد الله بن محمد بن عبد الجبار الثوري المقدسي الحنفي جده الأعلى أحمد بن عبد الله دخل حين فتح بيت المقدس راكباً على ثور، فعرف بأبي ثور وأقطعه

الملك العزيز عثمان بن يوسف بن أيوب ديرمار يقوص وبه دفن، وذلك في سنة خمسمائة وأربعة وتسعين، وجده الأدنى زين العابدين أمه الشريفة راضية بنت السيد محب الدين محمد بن كريم الدين عبد الكريم ابن داود بن سليمان بن محمد بن داود بن عبد الحافظ بن أبي الوفاء محمد بن يوسف بن بدران بن يعقوب بن مطر بن السيد زكي الدين سالم الحسيني الوفائي البدري المقدسي، ومن هنا جاء لحفيده المترجم الشرف وهي أخت الجد الرابع للسيد علي المقدسي ويعرف المترجم أيضاً بالعسيلي، وكأنه من طرف الأمهات ولد ببيت المقدس وبها نشأ وقرأ شيئاً من المبادئ، ثم ارتحل إلى دمشق، فحضر دروس الشيخ اسمعيل العجلوني ولازمه وأجازه بمروياته وجود الخط على مستعد زاده، فمهر فيه وكتب بخطه أشياء ودخل مصر ونزل في رواق الشوام بالأزهر وأقبل على تحصيل العلم والمعارف، فحضر دروس مشايخ الوقت كالشبراوي والحفني والجوهري ولازم السيد البليدي، واستكتب حاشية على البيضاوي وسافر إلى الحرمين وجاور بهما، وأخذ عن الشيخ محمد حياة والشيخ ابن الطيب، ثم قدم مصر وتوجه منها لدار ملك الورم وأدرك بها بعض ما يروم، وعاشر الأكابر وعرف اللسان وصار منظوراً إليه عند الأعيان، ثم قدم مصر مع بعض أمراء الدولة في أثناء سنة 1172، وانضوى إلى الشيخ السيد محمد أبي هادي بن وفا وكان صغير السن فألفه وأحبه وأدبه وصار يذاكره بالعلم واتحد معه حتى صار مشاراً إليه في الأمور معولاً عليه في المهمات. ولما تولى نقابة السادة الأشراف مضافة إلى خلافة الوفائية كان هو كالكتخدا له في أحواله معتمداً عليه في أفعاله وأقواله، وداوم على ذلك برهة من الزمان وهو نافذ الكلمة مسموع المقال حسن الحركات والأحوال، إلى أن توفي الشيخ المشار إليه فضاقت مصر عليه، فتوجه إلى دار السلطة وقطنها واتخذها داراً وسكنها، وأقبل على الإفادة ونشر العلوم بالإعادة. وبلغني أنه كتب في تلك الأيام شرحاً على بعض متون الفقه في مذهب الإمام، وصار مرجع الخواص والعوام، مقبولاً بالشفاعة عند أرباب الدولة حتى وافاه الحمام في هذه السنة رحمه الله، وكان أودع جملة من كتبه بمصر فأرسل بوقفها برواق الشوام، فوضعوها في خزانة لنفع الطلبة.

ومات الفقيه العلامة الصالح المعمر الشيخ عبد الله بن خزام أبو الطوع الفيومي وغيره، وقدم الجامع الأزهر فأخذ عن فضلاء عصره وهو أحد من يشار إليه في بلده بالفضل، وتولى الإفتاء فسار بغاية التحري، وبلغني من تواضعه أنه كانيأتي إليه أحد العوام فيقول له: حاجتي في بلد كذا فقم معي حتى تقضيها. فيطيعه ويذهب معه الميلين والثلاثة ويقضيها، وقد تكرر ذلك منه، وكان له في كل يوم صدقات الخبز على الفقراء والمساكين يفرقها عليهم بيده ولا يشمئز، وكانت له معرفة تامة في علم المذهب وغيره من الفنون الغريبة كالفلك والهيئة والميقات، وعند آلات لذلك. وكان إنساناً حسناً جامعاً لأدوات الفضائل. توفي يوم الجمعة حادي عشر ربيع الثاني من السنة، ولم يخلف بعده مثله.

ومات الفاضل الصالح الشيخ علي بن محمد الحباك الشافعي الشاذلي تفقه على الشيخ عيسى البراوي وبه تخرج وأخذ الطريقة الشاذلية عن الشيخ محمد كشك وإليه انتسب، ولما توفي جعل شيخاً على المريدين وسار فيهم سيراً مليحاً. وكان يصلي إماماً بزاوية بقلعة الجبل، وكان شيخاً حسن العشرة لطيف المحاورة طارحاً للنكات متواضعاً وقد صارت له مريدون وأتباع، خاصة غير أتباع شيخه، توفي في يوم الاثنين ثالث عشرين شعبان من السنة.

ومات من الأمراء الأمير إبراهيم بك أوده باشه خنقه مراد بك عفا الله عنه والمسلمين.

سنة ست وتسعين ومائة وألف

فيها في صفر نزل مراد بك وسرح بالأقاليم البحرية وطاف البلاد الشرقية وطلب منهم أموالاً وفرض عليهم مقادير من المال عظيمة وكلفاً وحق طرق معينين وغير ذلك ما لا يوصف، ثم نزل إلى الغربية وفعل بها كذلك، ثم إلى المنوفية.

وفي منتصف شعبان، ورد أغا بطلب محمد باشا ملك إلى الباب ليتولى الصدارة، فترل من القلعة إلى قصر العيني وأقام بقية شهر شعبان ونزل في غرة رمضان، وسافر إلى سكندرية.

فكانت مدة ولايته ثلاثة عشر شهراً ونصفاً. وهاداه الأمراء و لم يحاسبوه على شيء. ونزل في غاية الإعزاز والإكرام، وكان من أفاضل العلماء متضلعاً من سائر الفنون ويحب المذاكرة والمباحثة والمسامرة وأخبار التواريخ وحكايات الصالحين وكلام القوم، وكان طاعناً في السن منور الشيبة متواضعاً، وحضر الباشا الجديد في أواسط رمضان ونزل إليه الملاقاة وحضر إلى مصر في عاشر شوال وطلعوه قصر العيني، فبات به وركب بالموكب في صبحها ومر من جهة الصليبة وطلع إلى القلعة وذلك على خلاف العادة.

وفيه جاءت الأخبار على أيدي السفار الواصلين من اسلامبول بأنه وقع بها حريق عظيم لم يسمع بمثله، واحترق منها نحو الثلاثة أرباع، واحترق خلق كثير في ضمن الحريق، وكان أمراً مهولاً، وبعد ذلك حصل بها فتنة أيضاً ونفوا الوزير عزت محمد باشا وبعض رجال الدولة.

وفي ليلة السبت ثامن عشر القعدة، هرب سليم بيك وإبراهيم بك قشطة وتبعهم جماعة كثيرة نحو الثمانين، فخرجوا ليلاً على الهجن وجرائد الخيل وذهبوا إلى الصعيد وأصبح الخبر شائعاً، بذلك فارتبك إبراهيم بك ومراد بك ونادى الأغا والوالي بترك الناس المشي من بعد العشاء.

من توفي في هذه السنة من الأعيان

توفي الأستاذ الوجيه العظيم السيد محمد أفندي البكري الصديقي نقيب السادة الأشراف بالديار المصرية، كان وجيهاً مبجلاً محشتماً سار في نقابة الأشراف سيراً حسناً مع الإمارة وسلوك الإنصاف وعدم الاعتساف، ولما توفي ابن عمه الشيخ أحمد شيخ السجادة البكرية تولاها بعده بإجماع الخاص والعام مضافة لنقابة الأشراف، فحاز المنصبين وكمل له الشرفان. و لم يقم في ذلك إلا نحو سنة ونصف. وتوفي يوم السبت عاشر شعبان، فحضر مراد بك إلى مترله وخلع على ولده السيد محمد أفندي ما كان على والده من مشيخة السجادة البكرية ونقابة الأشراف، وجهز وكفن وخرجوا بجنازته من بيتهم بالأزبكية، وصلوا عليه بالجامع الأزهر في مشهد حافل، ودفن بمشهد أجداده بالقرافة.

ومات الشريف العفيف الوفي الصديق محمد بن زين بأحسن جمل الليل الحسيني باعلوى التريمي الأصل نزيل الحرمين، سكن بهما مدة واتصل بخدمة الشيخ القطيب السمد الشيخ باعبود، فلوحظ بأنظاره وكان يحترمه ويعترف بمقامه، ويحكي عن بعض

مكاشفاته وارداته، وصحب كلاً من القطب السيد عبد الله مدهر وعارفة وقتها الشريفة فاطمة العلوية والشيخ محمد ابن عبد الكريم السمان والشيخ عبد الله ميرغني وجماعة كثيرين من السادة والواردين على الحرمين من الأفاضل وله محاورة لطيفة ولديه محفوظة ومعرفة بدقائق علم الطب وسليقة في التصوف. ورد إلى مصر سنة 1181، هو عائد من الروم، واجتمع بأفاضلها، وعاشر شيخنا السيد محمد مرتضى وأفاده وأرشده إلى أمور مهمة، وسافر صحبته لزيارة الشهداء بدمياط ولاقاه أهلها بالاحترام. ثم توجه إلى الحرمين الشريفين وأقام هناك واجتمع به الشيخ محمد الجوهري وآخاه في الصحبة، وكان مع ما أعطي من الفضائل يتجر بالبضائع الهندية ويتعلل بما يتحصل منها، وبآخره سافر إلى الديار الهندية، وبها توفي في هذه السنة.

ومات العمدة الفاضل واللوذعي الكامل الرحلة الدراكة بقية السلف الورع الصالح الزاهدالشيخ موسى بن داود الشيخوني الحنفي إمام جامع شيبون وخطيبه وخازن كتبه، وكان إنساناً حسناً عظيم النفس منور الشيبة ضخم البدن فقيهاً مستحضراً المناسبات مهذب النفس لين الجانب تقياً معتقداً، ولما وقف الأمير أحمد باشجاويش كتبه التي جمعها وضعها بخزانة كتب الوقف تحت يد المترجم لاعتقاده فيه الديانة والصيانة رحمهما الله تعالى.

سنة سبع وتسعين ومائة وألف

فيها تسحب أيضاً جماعة من الكشاف والمماليك وذهبوا إلى قبلي، فشرعوا في تجهيز جريدة، وعزم مراد بك على السفر وأخذ في تجهيز اللوازم فطلب الأموال فقبضوا على كثير من مساتير الناس والتجار والمتسببين وحبسوهم، وصادروهم في أموالهم، وسلبوا ما بأيديهم. فجمعوا من المال ما جاوز الحد ولا يدخل تحت العد.

وفي منتصف ربيع الآخر، برز مراد بك للسفر وأخرج خيامه إلى جهة البساتين وخرج صحبته الأمير لاجين بك وعثمان بك الشرقاوي وعثمان بك الأشقر وسليمان بك أبو نبوت وكشافهم ومماليكهم وطوائفهم، وسافروا بعد أيام.

وفي أواخر جمادى الثانية وردت الأخبار بأن رضوان بكم قرابة علي بك حضر إلى مراد بك وانضم إليه، فلما فعل ذلك انكسرت قلوب الآخرين وانخذلوا ورجعوا القهقرى ورجع مراد بك أيضاً إلى مصر في منتصف شهر رجب، وترك هناك مصطفى بك وعثمان بك الشرقاوي وعثمان بك الأشقر.

وفي يوم الخميس سادس عشرين رجب، اتفق مراد بك وإبراهيم بك على نفي جماعة من خشادشينهم وهم إبراهيم بك الوالي وأيوب بك الصغير وسليمان بك الأغا ورسموا لأيوب بك أن يذهب إلى المنصورة فأبى وامتنع من الخروج، فذهب إليه حسن كتخدا الجربان كتخدا مراد بك واحتال عليه فركب وخرج إلى غيط مهمشة ثم سافر إلى المنصورة. وأما إبراهيم بك الوالي فركب بطوائفه ومماليكه وعدى إلى بر الجيزة فركب خلفه علي بك أباظة ولاجين بك وحجزوا هجنه وجماله عند المعادي وعدوا خلفه، فأدركوه عند الأهرام، فاحتالوا عليه وردوه إلى قصر العيني، ثم سفروه إلى ناحية السرو ورأس الخليج. وأما سليمان بك فإنه كان غائباً بإقليم الغربية والمنوفية يجمع من الفلاحين فرداً وأموالاً ومظالم، فلما بلغه الخبر رجع إلى منوف فحضر إليه المعينون لنفيه، وأمروه بالذهاب إلى المحلة الكبرى، فركب بجماعته وأتباعه فوصل إلى مسجد الخضر، فاجتمع بأخيه إبراهيم بك الوالي هناك فأخذه صحبته وذهبا إلى جهة البحيرة.

وفي يوم الأحد غاية شهر رجب طلع الأمراء إلى الديوان وقلدوا خمسة من أغوات الكشاف صناجق وهم عبد الرحمن خازندار إبراهيم بك سابقاً وقاسم أغا كاشف المنوفية سابقاً وعرف بالموسقو وهو من مماليك محمد بك وأشراف إبراهيم بك وحسين كاشف وعرف بالشفت بمعنى اليهودي وعثمان كاشف ومصطفى كاشف السلحدار وهؤلاء الثلاثة من طرف مراد بك.

وفي شهر شعبان وردت الأخبار من ثغر سكندرية بوصول باشا إلى الثغر واسمه محمد باشا السلحدار والياً على مصر فنزل الباشا القديم من القلعة إلى القصر بشاطئ النيل.

وفي أواخر شعبان وصل سلحدار الباشا الجديد بخلعة قائمقامية لإبراعيم بك.

وفيه وصلت الأخبار بأن سليمان بك وإبراهيم بك رجعوا من ناحية البحيرة إلى كندتا وجلسوا هناك، وأرسلوا جوابات إلى الأمراء بمصر بذلك وأنهم يطلبون أن يعينون لهم ما يتعيشون به.

وفيه أرسلوا خلعة إلى عثمان بك الشرقاوي بأن يستقر حاكماً بجرجا، وطلبوا مصطفى بك وسليمان بك أبا نبوت وعثمان

بك الأشقر للحضور إلى مصر فحضروا، واستقر عثمان بك الشرقاوي بجرجا.
وفي غرة رمضان هرب سليمان بك الأغا وإبراهيم بك الوالي من طندتا وعدوا إلى شرقية بلبيس، ومروا من خلف الجبل وذهبوا إلى جهة الصعيد، ورجع علي كتخدا ويحيى كتخدا سليمان بك إلى مصر بالحملة والجمال وبعض مماليك وأجناد.
وفي أواخر رمضان، هرب أيضاً أيوب بك من المنصورة وذهب إلى الصعيد أيضاً، وتواترات الأخبار بأهم اجتمعوا مع بعضهم واتفقوا على العصيان، فأرسلوا لهم محمد كتخدا أباظة وأحمد أغا جمليان وطلبوهم إلى الصلح ويعينون لهم أماكن يقيمون بها ويرسلون لهم احتياجاتهم، فأتوا ذلك، فطلبوا عثمان بك الشرقاوي ومصطفى بك للحضور فامتنعا أيضاً وقالا: لا نحضر ولا نصلح إلا أن رجع إخواننا رجعنا معهم، ويردون لهم أمرياتهم وبلادهم وبيوتهم ويعطلوا من صنجقوه وأمروه عوضهم. فلما حضر الجواب بذلك شرعوا في تجهيز تجريدة وأخذوا يفتشون أماكن الأمراء المذكورين، فأخذوا ما وجدوه بمنزل مصطفى بك واتهموا أناساً بأمانات وودائع لمصطفى بك وعثمان بك الشرقاوي منهم الدالي إبراهيم وغيره، فجمعوا بهذه النكتة أموالاً كثيرة حقاً وباطلاً.
وفي يوم الخميس عشرين شهر شوال كان خروج المحمل والحجاج وأمير الحاج مصطفى بك الكبير، ولما انقضى أمر الحج برزوا للتجريدة وأميرها إبراهيم بك الكبير وجمعوا المراكب وحجزوها من أربابها وعطلوا أسباب التجار والمسافرين وجمعوا الأموال كما تقدم من المصادرات والمتلزمين والفلاحين وغير ذلك، وكان أمراً مهولاً أيضاً، وبعد أيام وصل الخبر بأن إبراهيم بك ضمهم للصلح واصطلح معهم وأنه واصل صحبتهم جميعاً.

وفي سادس عشر ذي القعدة حضر إبراهيم بك ووصل بعده الجماعة ودخلوا إلى مصر وسكنوا في بيوت صغار ما عدا عثمان بك ومصطفى بك، فإنهم نزلوا في بيوتهم وحضر صحبتهم أيضاً علي بك وحسين بك الاسمعيلية، فلم يعجب مراد بك ما فعله إبراهيم بك ولكن أسره في نفسه ولم يظهره، وركب للسلام على إبراهيم بك فقط في الخلاء ولم يذهب إلى أحد من القادمين، وسكن الحال على ذلك أياماً وشرع إبراهيم بك في إجراء الصلح وصفاء الخاطر بينهم بين مراد بك، وأمرهم بالذهاب إليه فذهبوا إليه وسلموا عليه ثم ركب هم الآخر إليهم ما عدا الثلاثة المعزولين، وكل ذلك وهو ينقل في متاع بيته وتعزيل ما فيه، ثم إنه ركب في يوم الجمعة وعدى إلى جزيرة الذهب وتبعه كشافه وطوائفه وأرسل إلى بولاق وأخذ منها الأرز والغلة والشعير والبقسماط وغير ذلك، فأرسل له إبراهيم بك الجين بك وسليمان بك أبا نبوت ليردوه عن ذلك فنهرهم وطردهم فرجعوا، ثم إنه عدى إلى ناحية الشرق وذهب إلى قبلي وتبعه أغراضه وأتباعه وحملته من البر والبحر.
وفي هذه السنة قصر مد النيل وانهبط قبل الصليبة بسرعة فشرقت الأراضي القبلية والبحرية وعزت الغلال بسبب ذلك وبسبب نهب الأمراء وانقطاع الوارد من الجهة القبلية، وشطح سعر القمح إلى عشرة ريالات الأردب، واشتد جوع الفقراء. ووصل مراد بك إلى بني سويف وأقام هناك وقطع الطريق على المسافرين، ونهبوا كل ما مر بهم في المراكب الصاعدة والهابطة.

من مات في هذه السنة من الأعيان

توفي الفقيه النبيه العمدة الفاضل حاوي أنواع الفضائل الشيخ أحمد ابن الشيخ الصالح شهاب الدين أحمد بن محمد السجاعي الشافعي الأزهري، ولد بمصر ونشأ بها وقرأ على والده وعلى كثير من مشايخ الوقت، وتصدر للتدريس في حياة أبيه وبعدموته في مواضعه، وصار من أعيان العلماء، وشارك في كل علم وتميز بالعلوم الغريبة، ولازم الوالد وأخذ عنه علم الحكمة والهداية وشرحها للقاضي زاده قراءة بحث وتحقيق، والجغميني ولقط الجواهر والمجيب والمقنطر وشرح أشكال التأسيس وغير ذلك، وله في تلك الفنون تعاليق ورسائل مفيدة، وله براعة في التأليف ومعرفة باللغة وحافظة في الفقه. ومن تآليفه شرح على دلائل الخيرات كالحاشية مفيد، وشرح على أسماء الله الحسنى قرظ عليه الشيخ عبد الله الأدكاوي رحمه الله تعالى، هذا وكان ممن منحه الله أسرارها وأظهر أنوارها فأوضح من معانيها ما خفي ومنح طلابها كنزاً يتنافس في مثله أنبل الفضلاء وأفضل النبلاء، أحمد الاسم محمود الصفات على الفعل حسن القول والذات نجل العالم العلامة العمدة الفهامة كعبة الأفضال وقبلة الإجلال من تقصر عن تعداد محاسنه ولو طولت باعي مولانا الشيخ أحمد السجاعي حفظ الله عليه نجله الرشيد وأراه منه ما يسر القريب والبعيد، وحين لمحت عيني ما كتب مما حقه أن يرقم بدل الحبر بالذهب عوذته بالله من عين كل حسود وعلمت أنه إن شاء الله تعالى سيسود وتطأ أخمصه أعناق الأسود. وسمع المترجم معنا كثيراً على شيخنا السيد محمد مرتضى من الأمالي وعدة مجالس من البخاري وجزء بن شاهد الجيش والعوالي المروية عن أحمد عن الشافعي عن مالك عن نافع عن ابن عمر المسماة بسلسلة الذهب، وغير ذلك. ومن فوائد المترجم أنه رأى في المنام قائلاً يقول له: من قال كل يوم يا الله الجبار يا قهار يا شديد البطش ثلثمائة وستين مرة أمن من الطاعون. توفي ليلة الاثنين سادس عشر صفر من السنة، بعد أن تعلل بالاستسقاء، وصلي عليه بالغد بالجامع الأزهر، ودفن عند أبيه بالبستان رحمه الله تعالى.

ومات الشيخ الصالح الناسك الصوفي الزاهد سيدي أحمد بن علي ابن جميل الجعفري الجولي السوسي من ولد جعفر الطيار ولد بالسوس واشتغل بالعلم قليلاً على علماء بلاده، ثم ورد إلى مصر في 1182 فحج ورجع وقرأ معنا على الشيخ الوالد كثيراً من الرياضيات مع مشاركة سيدي محمد وسيدي أبي بكر ولدي الشيخ التاودي بن سودة حين وردا مع أبيهما في تلك السنة للحج والشيخ سالم القيرواني، ثم غلب عليه الجذب فساح وذهب إلى الروم مجاهداً وأصيب بجارحات في بدنه وعولج حتى برأ وتعلم اللغة التركية، وعرضت عليه الدنيا فلم يقبلها، والغالب عليه إخفاء الحال. وورد إلى مصر في سنة إحدى وتسعين وتزوج بمصر وأقام بها مع كمال العفة والديانة سلامة الباطن والانجماع عن الناس، مع صفاء الخاطر والذوق المتين والميل إلى كتب الشيخ الأكبر والشعراني وزيارة القرافتين في كل جمعة على قدميه. أحببت لقاء الله تعالى توفي في ثالث ربيع الأول من السنة ودفن بالقرافة رحمه الله تعالى.

ومات العمدة العلامة والحبر الفهامة قدوة المتصدرين ونخبة المفهمين النبيه المتفنن الشيخ محمد بن إبراهيم بن يوسف الهيتمي السجيني الشافعي الأزهري الشهير بأبي الإرشاد ولد سنة 1154 وحفظ القرآن وتفقه على الشيخ المدابغي والبراوي والشيخ عبد الله السجيني وحضر دروس الشيخ الصعيدي وغيره، وأجازه أشياخ العصر وأفتى ودرس، وتولى مشيخة رواق الشراقوة بالأزهر بعد وفاة خاله الشيخ عبد الرؤوف، واشتهر ذكره وانتظم في عداد المشايخ المشار إليهم بالأزهر، وفي الجمعيات والمجالس عند الأمراء ونظار الأزهر وفي الأخبار، وله مؤلفات في الفنون، وكتب حاشية على الخطيب على أبي شجاع إلا أنها

لم تكمل، ورسائل في مستصعبات المسائل بالمنهج، وصنف رسالة تتعلق بنداء المؤمنين بعضهم بعضاً في الجنة. توفي في أواخر القعدة.

ومات الإمام الهمام والعلامة المقدام المتقن المتفنن المفيد الشيخ يوسف الشهير برزة الشافعي الأزهري أحد العلماء المحصلين والأجلاء المفيدين، تفقه على الشيخ العلامة الشيخ أحمد رزة وإليه انتسب وبه اشتهر وحضر على كل من الشيخ الحفناوي والشيخ أحمد البجيرمي والشيخ عيسى البرواي، ودرس الفقه والمعقول بالأزهر وأفاد وأفتى وصار في عداد المتصدرين المشار إليهم من الانجماع والحشمة والكمال والرئاسة وحسن الحال، و لم يتداخل كغيره في الأمور المخلة. و لم يزل مقبلاً على شأنه حتى توفي في عاشر جمادى الأولى من السنة.

ومات الشيخ الصالح الورع علي بن عبد الله مولى الأمير بشير جلبه مولاه من بلاد الروم وأدبه وحبب إليه السلوك، فلازم الشيخ الحفني ملازمة كلية وأخذ عنه الطريق وحضر دروسه وسمع الصحيح على السيد مرتضى بتمامة في مترله بدرب الميضأة بالصليبية، وكذلك مسلم وأبو داود، وغير ذلك من الأجزاء الحديثة ومسلسلات بن عقيلة بشروطها، وغالبها بقراءة السيد حسين الشيخوني. وكان إنساناً حسناً حلو المعاشرة كثير التودد لطيف الصحبة مكرماً محسناً خيراً له بر وصدقات خفية، توفي في يوم الأحد تاسع عشرين رجب، بعد أن تعلل بالفتق عن كبر، وصلي عليه بسبيل المؤمنين ودفن بالقرب من شيخنا محمود الكردي بالصحراء. وكان منور الوجه والشيبة وعليه جلالة ووقار وهيبة يلوح عليه سيما الصلاح والتقوى رحمه الله تعالى.

ومات الشيخ الصالح عيسى بن أحمد القهاوي الوقاد بالمشهد الحسيني وخادم النعال بالموضع المذكور، كان رجلاً مسناً سخياً بما يملك مطعاماً للواردين من الغرباء المنقطعين، وأدرك جماعة من الصالحين وكان يحكي لنا عليهم أموراً غريبة، وله مع الله حال وفي فهم كلام القوم ذوق حسن، وللناس فيه اعتقاد عظيم. وفي أخرة أعجزة الهرم والقعود فتوجه إلى طندتا في آخر ربيع الثاني ومكث هناك برحاب سيدي أحمد البدوي إلى أن توفي يوم الأربعاء ثاني عشر جمادى الثانية، ودفن عند مقام الولي الصالح سيدي عز الدين خارج البلد في موضع كان أعده السيد محمد مجاهد لنفسه فلم يتفق دفنه فيه.

ومات العلامة الفاضل المحدث الصوفي الشيخ أحمد بن أحمد بن أحمد ابن جمعة البجيرمي الشافعي، قرأ على أبيه وحضر درس العشماوي والعزيزي والجوهري والشيخ أحمد سابق والحفني وآخرين، ودرس واكب على إقراء الحديث، وألف في الفن وانتفع به الناس وكان يسكن في خانقاه، سعيد السعداء مع سكون الأخلاق والانجماع عن الناس وملازمة محله ولا زال يفيد ويسمع حتى وافاه الحمام في يوم الجمعة ثاني رمضان، وكانت جنازته خفيفة لاشتغال الناس بالصيام، وكان يخبر والده أن جنازته كانت خفيفة رحمه الله.

ومات الفاضل المبجل سيدي عيسى جلبي بن محمود بن عثمان ابن مرتضى القفطانجي الحنفي المصري ولد بمصر ونشأ صالحاً في عفاف وصلاح وديانة وملازمة لحضور دروس الأشياخ، وتفقه على فضلاء وقته مثل الشيخ الوالد والشيخ حسن المقدسي، وأخذ العربية والكلام عن الشيخ محمد الأمير والشيخ أحمد البيلي وغيرهما، واقتنى كتباً نفيسة، وكان مترله مورداً للفضلاء، وكان يعزم عليهم ويعمل لهم الضيافات في كل عام ببستان خارج مصر يعرف ببستان القفطانجي ورثه عن آبائه، وكان نعم الرجل مودة وصيانة رحمه الله تعالى وسامحه.

سنة ثمان وتسعين ومائة وألف

فيها في المحرم سافر مراد بك إلى منية بن خصيب مغضباً وجلس هناك. وفيه حضر إلى مصر محمد باشا والي مصر فأنزوله بقصر عبد الرحمن كتخدا بشاطئ النيل فأقام به يومين ثم عملوا له موكباً وطلع إلى القلعة من تحت الربع على الدرب الأحمر. وفي منتصفه اتفق رأي إبراهيم بك والأمراء الذين معه على إرسال محمد أفندي البكري والشيخ أبي الأنوار شيخ السادات والشيخ أحمد العروسي شيخ الأزهر إلى مراد بك ليأخذوا خاطره ويطلبوه للصلح مع خشداشينه، ويرجع إليهم ويقبلوا شروطه، ما عدا إخراج أحد من خشداشينهم. فلما سافروا إليه وواجهوه وكلموه في الصلح تعلل بأعذار وأخبر أنه لم يخرج من مصر إلا هروباً خوفاً على نفسه، فإنه تحقق عنده توافقهم على غدره، فإن ضمنتم وحلفتم لي بالأيمان أنه لا يحصل لي منهم ضرر وافقتكم على الصلح وإلا فدعوني بعيداً عنهم. فقالوا له: لسنا نطلع على القلوب حتى نحلف ونضمن، ولكن الذي نظنه ونعتقده عدم وقوع ذلك بينكم لأنكم أخوة ومقصودنا الراحة فيكم وبراحتكم ترتاح الناس وتأمن السبل، فأظهر الامتثال ووعد بالحضور بعد أيام، وقال لهم: إذا وصلتم إلى بني سويف ترسلون لي عثمان بك الشرقاوي وأيوب بك الدفتردار لأشترك عليهم شروطي فإن قبلوها توجهت معهم وإلا عرفت خلاصي معهم. وانفصلوا عنه على ذلك وودعوه وسافروا وحضروا إلى مصر في ليلة الجمعة ثالث عشرين شهر صفر.

وفي ذلك اليوم وصل الحجاج إلى مصر ودخل أمير الحج مصطفى بك بالمحمل في يوم الأحد.

وفي يوم السب مستهل ربيع الأول، خرج الأمراء إلى ناحية معادي الخبير وحضر مراد بك إلى بر الجيزة وصحبته جمع كبير من الغز والأجناد والعربان والغوغاء من أهل الصعيد والهواراة، ونصبوا خيامهم ووطاقهم قبالتهم في البر الآخر، فأرسل إليه إبراهيم بك عبد الرحمن بك عثمان وسليمان بك الشابوري وآخرين في مركب، فلما عدوا إليه لم يأذن لهم في مقابلته وطردهم، ونزل أيضاً كتخدا الباشا وصحبته اسمعيل أفندي الخلوتي في مراكب أخرى ليتوجهوا إليه أيضاً لجريان الصلح، فلما توسطوا البحر ووافق رجوع الأولين، ضربوا عليهم بالمدافع فكادت تغرق بهم السفن، ورجعوا وهم لا يصدقون بالنجاة. فلما رأى ذلك إبراهيم بك ونظر امتناعه عن الصلح وضربه بالمدافع أمر هو الآخر بضرب المدافع عليهم نظير فعلهم. وكثر الرمي بينهم من الجهتين على بعضهم البعض، وامتنع كل من الفريقين عن التعدية إلى الجهة الأخرى، وحجزوا المعادي من الطرفين. واستمر الحال بينهم على ذلك من أول الشهر إلى عشرين منه، واشتد الكرب والضنك على الناس وأهل البلاد، وانقطعت الطرق القبلية والبحرية براً وبحراً، وكثر تعدي المفسدين وغلت الأسعار وشح وجود الغلال وزادت أسعارها. وفي تلك المدة كثر عبث المفسدين وأفشح جماعة مراد بك في النهب والسلب في بر الجيزة وأكلوا الزروعات، و لم يتركوا على وجه الأرض عوداً أخضر، وعين لقبض الأموال من الجهات وغرامات الفلاحين، وظن الناس حصول الظفر لمراد بك، واشتد خوف الأمراء بمصر منه. وتحدث الناس بعزم إبراهيم بك على الهروب، فلما كان ليلة الخميس المذكور أرسل إبراهيم بك المذكور خمسة من الصناجق، وهم سليمان بك الأغا وسليمان أبو نبوت وعثمان بك الأشقر وإبراهيم بك الوالي وأيوب بك، فعدوا إلى البر

الآخر بالقرب من انبابة ليلاًوساروا مشاة فصادفوا طابوراً فضربوا عليهم بالبندق فانهزموا منهم، وملكوا مكانهم وذلك بالقرب من بولاق التكرور، كل ذلك والرمي بالمدافع متصل من عرضي إبراهيم بك. ثم عدى خلفهم جماعة أخرى ومعهم مدفعان وتقدموا قليلاً من عرضي مراد بك وضربوا على العرضي بالمدفعين، فلم يجبهم أحداً، فباتوا على ذلك وهم على غاية من الحذر والخوف. وتتابع بهم طوائفه وخيولهم، فلما ظهر نور النهار نظروا فوجدوا العرضي خالياً وليس به أحد، وارتحل مراد بك ليلاً وترك بعض أثقاله ومدافعه فذهبوا إلى العرضي وأخذوا ما وجدوه وجلسوا مكانه، ونهب أوباشه المراكب التي كانت محجوزة للناس. وعدى إبراهيم بك وتتابعوا في التعدية، وركبوا خلفهم إلى الشيمي فلم يجدوا أحداً، فأقاموا هناك السبت والأحد والاثنين والثلاثاء، ورجع إبراهيم بك وبقية الأمراء إلى مصر، ودخلوا بيوتهم. وانقضت هذه الفتنة الكذابة على غير طائل، و لم يقع بينهم مصاف ولا مقاتلة، وهرب مراد بك وذهب بمن معه يهلكون الزرع حصاداً ويسعون في الأرض فساداً.

وفي أواخر شهر جمادى الأولى اتفق رأي إبراهيم بك على طلب الصلح مع مراد بك فسافر لذلك لاجين بك وعلي أغا كتخدا جاووجان، وسبب ذلك أن عثمان بك الشرقاوي وأيوب بك ومصطفى بك وسليمان بك وإبراهيم بك الوالي تحزبوا مع بعضهم وأخذوا ينقضون على إبراهيم بك الكبير، واستخفوا بشأنه وقعدوا له كل مرصد، وتخيل منهم وتحرز، وجرت مشاجرة بين أيوب بك وعلي أغا كتخدا جاوجان بحضرة إبراهيم بك، وسبه وشتمه وأمشك عمامته وحل قولانه وقال له: ليس هذا المنصب مخلداً عليك، فاغتاظ إبراهيم بك لذلك وكتمه في نفسه وعز علي علي أغا لأنه كان بينه وبين مراد بك، فاجتمع إليه الأمراء وتكلموا معه فقال: نصطلح مع أخينا أولى من التشاحن ونزيل الغل من بيننا لأجل راحتنا وراحة الناس ويكون كواحد منا وإن حصل منه خلل أكون أنا وأنتم عليه. وتحالفوا على ذلك وسافر لاجين بك وعلي أغا، وبعد أيام حضر حسن كتخدا الجريان كتخدا مراد بك إلى مصر واجتمع بإبراهيم بك ورجع ثانياً وأرسل إبراهيم بك صحبته ولده مرزوق بك طفلاً صغيراً ومعه الدادة والمرضعة، فلما وصلوا إلى مراد بك أجاب بالصلح وقدم لمرزوق بك هدية وتقادم ومن جملتها بقرة ولابنتها رأسان.

وفي عاشر رجب حضر مرزوق بك وصحبته حسن كتخدا الجربان فأوصله إلى أبيه ورجع ثانياً إلى مراد بك وشاع الخبر بقدوم مراد بك، وعمل مصطفى بك وليمة وعزم من بصحبته وأحضر لهم آلات الطرب، واستمروا على ذلك إلى آخر النهار. وفي ثاني يوم اجتمعوا عند إبراهيم بك وقالوا له: كيف يكون قدوم مراد بك ولعله لا يستقيم حاله معنا، فقال لهم: حتى يأتي، فإن استقام معنا فيها وإلا أكون أنا وأنتم عليه. فتحالفوا وتعاهدوا وأكدوا المواثيق. فلما كان يوم الجمعة وصل مراد بك إلى غمازة فركب إبراهيم بك على حين غفلة وقت القائلة في جماعته وطائفته وخرج إلى ناحية البساتين ورجع من الليل وطلع إلى القلعة وملك الأبواب ومدرسة السلطان حسن والرميلة والصليبة والتبانة، وأرسل إلى الأمراء الخمسة يأمرهم بالخروج من مصر، وعين لهم أماكن يذهبون إليها، فمنهم من يذهب إلى دمياط ومنهم من يذهب إلى المنصورة وفارسكور، فامتنعوا من الخروج واتفقوا على الكرنكة والخلاف، ثم لم يجدوا لهم خلاصاً بسبب أن إبراهيم بك ملك القلعة وجهاتها ومراد بك واصل يوم تاريخه وصحبته السواد الأعظم من العساكر والعربان، ثم إنهم ركبوا وخرجوا بجمعيتهم إلى ناحية القليوبية ووصل مراد بك لزيارة الإمام الشافعي، فعندما بلغه خبر خروجهم ذهب من فوره من خلف القلعة ونزل على الصحراء وأسرع في السير

حتى وصل إلى قناطر أبي المنجا، ونزل هناك، وأرسل خلفهم جماعة فلحقوهم عند شبراشهاب، وأدركهم مراد بك والتطموا معهم، فتقنطر مراد بك بفرسه فلحقوه وأركبوه غيره، فعند ذلك ولى راجعاً وانجرح بينهم جماعة قلائل، وأصيب سليمان بك برصاصة نفذت من كتفه و لم يمت، ورجع مراد بك ومن معه إلى مصر على غير طائل، وذهب الأمراء الخمسة المذكورون وعدوا على وردان، وكان بصحبتهم رجل من كبار العرب يقال له طرهونه يدلهم على الطريق الموصلة إلى جهة قبلي فسار بهم في طريق مقفرة ليس بها ماء ولا حشيش يوماً وليلة حتى كادوا يهلكون من العطش، وتأخر عنهم أناس من طوائفهم وانقطعوا عنهم شيئاً فشيئاً إلى أن وصلوا إلى ناحية سقارة، فرأوا أنفسهم بالقرب من الأهرام فضاق خناقهم وظنوا الوقوع، فأحضروا الهجن وأرادوا الركوب عليها والهروب ويتركوا أثقالهم، فقامت عليهم طوائفهم وقالوا لهم: كيف تذهبون وتتركونا مشتتين. وصار كل من قدر على خطف شيء أخذه وهرب، فسكنوا عن الركوب وانتقلوا من مكانهم إلى مكان آخر. وفي وقت الكبكبة ركب مملوك من مماليكهم وحضر إلى مراد بك وكان بالروضة، فأعلمه الخبر، فأرسل جماعة إلى الموضع الذي ذكره له فلم يجدوا أحداً، فرجعوا واغتم أهل مصر لذهابهم إلى جهة قبلي، لما يترتب على ذلك من التعب وقطع الجالب مع وجود القحط والغلاء. وبات الناس في غم شديد. فلما طلع نهار يوم الأربعاء حادي عشرين رجب شاع الخبر بالقبض عليهم، وكان من أمرهم أنهم لما وصلوا إلى ناحية الأهرام ووجدوا أنفسهم مقابلين البلد أحضروا الدليل وقالوا له: انظر لنا طريقاً تسلك منه، فركب لينظر في الطريق وذهب إلى مراد بك وأخبره بمكانهم، فأرسل لهم جماعة، فلما نظروهم مقبلين عليهم ركبوا الهجن وتركوا أثقالهم وولوا هاربين، وكانوا كمنوا لهم كميناً، فخرج عليهم ذلك الكمين ومسكوا بزمامهم من غير رفع سلاح ولا قتال، وحضروا بهم إلى مراد بك بجزيرة الذهب فباتوا عنده، ولما أصبح النهار أحضر لهم مراد بك بجزيرة الذهب فباتوا عنده، ولما أصبح النهار أحضر لهم مراد بك مراكب وأنزل كل أمير في مركب وصحبته خمسة مماليك وبعض خدام، وسافروا إلى جهة بحري، فذهبوا بعثمان بك وأيوب بك إلى المنصورة ومصطفى بك إلى فارسكور وإبراهيم بك الوالي إلى طندتا، وأما سليمان بك فاستمر ببولاق التكرور حتى برأ جرحه.

وفي منتصف شهر رمضان، اتفق الأمراء المنفيون على الهروب إلى قبلي فأرسلوا إلى إبراهيم بك الوالي ليأتي إليهم من طندتا وكذلك إلى مصطفى بك من فارسكور، وتواعدوا على يوم معلوم بينهم، فحضر إبراهيم بك إلى عثمان بك وأيوب بك خفية في المنصورة، وأما مصطفى بك فإنه نزل في المراكب وعدى إلى البر الشرقي بعد الغروب، وركب وسافر فركب خلفه رجل يسمى طه شيخ فارسكور، وكان بينه وبين مصطفى بك حرازة وأخذ صحبته رجلاً يسمى الأشقر في نحو ثلثمائة فارس، وعدوا خلفه فحلقوه آخر الليل والطريق ضيقة بين البحر والأرز المزروع، فلم يمكنهم الهروب ولا القتال. فأراد الصنجق أن يذهب بمفرده فدخل في الأرز بفرسه فانغرز في الطين فقبضوا عليه هو وجماعته، فعروهم وأخذوا ما كان معهم وساقوهم مشاة إلى البحر وأنزلوهم المراكب وردوهم إلى مكانهم، محتفظين عليهم. وأرسلوا الخبر إلى مصر بذلك. وأما الجماعة الذين في المنصورة فإنهم انتظروا مصطفى بك في الميعاد فلم يأتهم ووصلهم الخبر بما وقع له، فركب عثمان بك وإبراهيم بك وساروا وتخلف أيوب بك المنصورة، فلما قربوا من مصر سبقتهم الرسل إلى سليمان بك فركب من الجيزة وذهب إليهما وذهبوا إلى قبلي، وأرسل مراد بك محمد كاشف الألفي وأيوب كاشف، فأخذا مصطفى بك من فارسكور وتوجها به إلى ثغر سكندرية

وسجنوه بالبرج الكبير. وعرف من أجل ذلك بالإسكندراني. وأحضروا أيوب بك إلى مصر وأسكنوه في بيت صغير، وبعد أيام ردوه إلى بيته الكبير وردوا له الصنجقية أيضاً في منتصف شوال.

وفي يوم الاثنين سادس شهر شوال الموافق التاسع عشر مسرى القبطي، كان وفاء النيل المبارك، ونزل الباشا يوم الثلاثاء في عربة وكسر السد على العادة.

وفي يوم الاثنين حادي عشرين شوال، كان خروج المحمل صحبة أمير الحاج مصطفى بك الكبير في موكب حقير جداً بالنسبة للمواكب المتقدمة، ثم ذهب إلى البركة في يوم الخميس وقد كان تأخر له مبلغ من مال الصرة وخلافها، فطلب ذلك من إبراهيم بك، فأحاله على مراد بك من الميري الذي طرفه وطرف أتباعه، وأحال عليه أمير الحاج وركب من البركة راجعاً إلى مصر وتركه وإياه، فلم يسع مراد بك غلا الدفع وتشهيل الحج وعاد إلى مصر وخرج إلى قصره بالروضة، وأرسل إلى الجماعة الذين بالوجه القبلي، فلما علم إبراهيم بك بذلك أرسل إليه يستعطفه وترددت بينهما الرسل من العصر إلى بعد العشاء، ونظر إبراهيم بك فلم يجد عنده أحداً من خشداشينه. واجتمه وأكلهم على مراد بك، فضاق صدره وركب إلى الرميلة فوقف بها ساعة حتى أرسل الحملة صحبة عثمان بك الأشقر وعلي بك أباظة، وصبر حتى ساروا وتقدموا عليه مسافة ثم سار نحو الجبل وذهب إلى قبلي، وصحبته علي أغا كتخدا الجاويشية وعلي أغا مستحفظان والمحتسب وصناجقه الأربعة، فلما بلغ مراد بك ركوبه وذهابه ركب خلفهم حصة من الليل ثم رجع إلى مصر وأصبح منفرداً بها، وقلد قائد أغا أغات مستحفظان وصالح أغا الوالي القديم وجعله كتخدا الجاويشية وحسن أغا كتخدا ومصطفى بك محتسب، وأرسل إلى محمد كاشف الألفي ليحضر مصطفى بك من محبسه بغثر إسكندرية، ونادى بالأمان في البلد وزيادة وزن الخبز، وأمر بإخراج الغلال المخزونة لتباع على الناس.

وفي ليلة الثلاثاء خامس القعدة حضر مصطفى بك ونزل في بيته أميراً وصنجقاً على عادته كما كان.

وفيه قلد مراد بك مملوكه محمد كاشف الألفي صنجقاً وكذلك مصطفى كاشف الإخميمي صنجقاً أيضاً.

وفي يوم الأحد سابع عشر القعدة حضر عثمان بك الشرقاوي وسليمان بك الأغا وإبراهيم بك الوالي وسليمان بك أبو نبوت، وكان مراد بك أرسل يستدعيهم كما تقدم. فلما حضروا إلى مصر سطنوا بيوتهم كما كانوا على إمارتهم.

وفي أواخره وصل واحد أغا من الدولة وبيده مقرر للباشا على السنة الجديدة فطلب الباشا الأمراء لقراءاته عليهم، فلمع يطلع منهم أحد وأهمل ذلك مراد بك و لم يلتفت إليه.

وفي يوم الجمعة رابع عشر الحجة، رسم مراد بك بنفي رضوان رضوان بك قرابة علي بك الكبير الذي كان خامر على اسمعيل بك وحسن بك الجداوي، وحضر مصر صحبة مراد بك كما تقدم، وانضم إليه وصار من خاصته، فلما خرج إبراهيم بك من مصر أشيع أنه يريد صلحه مع اسمعيل بك وحسن بك، فصار رضوان بك كالجملة المعترضة، فرسم مراد بك بنفيه فسافر من ليلته إلى الإسكندرية.

وفي يوم السبت خامس عشرة أرسل مراد بك إلى الباشا وأمره بالنزول فأنزلوه إلى قصر العيني معزولاً وتولى مراد بك قائم مقام وعلق الستور على بابه، فكانت ولاية هذا الباشا أحد عشر شهراً سوى الخمسة أشهر التي أقامها بغثر سكندرية، وكانت

أيامه كلها شدائد ومحناً وغلاء.

وفي أواخر شهر الحجة، شرع مراد بك في إجراء الصلح بينه وبين إبراهيم بك فأرسل له سليمان بك الأغا والشيخ أحمد الدردير ومرزوق بك ولده فتهيئوا وسافروا في يوم السبت ثامن عشرينه.

وانقضت هذه السنة كالتي قبلها في الشدة والغلاء وقصور النيل والفتن المستمرة وتواتر المصادرات والمظالم من الأمراء وانتشار أتباعهم في النواحي لجبي الأموال من القرى والبلدان وإحداث أنواع المظالم، ويسمونها مال الجهات ودفع المظالم والفردة، حتى أهلكوا الفلاحين وضاق ذرعهم واشتد كربهم وطفشوا من بلادهم، فحولوا الطلب على الملتزمين وبعثوا لهم المعينين في بيوتهم، فاحتاج مساتير الناس لبيع أمتعتهم ودورهم ومواشيهم بسبب ذلك مع ما هم فيه من المصادرات الخارجة عن ذلك، وتتبع من يشم فيه رائحة الغنى فيؤخذ ويحبس ويكلف بطلب أضعاف ما يقدر عليه، وتوالى طلب السلف من تجار البن والبهار عن المكوسات المستقبلة. ولما تحقق التجار عدم الرد استعوضوا خسارتهم من زيادة الأسعار، ثم مدوا أيديهم إلى المواريث، فإذا مات الميت أحاطوا بموجوده سواء كان له وارث أو لا. وصار بيت المال من جملة المناصب التي يتولاها شرار الناس بجملة من المال يقوم بدفعه في كل شهر، ولا يعارض فيما يفعل في الجزئيات، وأما الكليات فيختص بها الأمير. فحل بالناس ما لا يوصف من أنواع البلاء، إلا من تداركه الله برحمته أو اختلس شيئاً من حقه، فإن اشتهروا عليه عوقب على استخراجه. وفسدت النيات وتغيرت القلوب ونفرت الطباع وكثر الحسد والحقد في الناس لبعضهم البعض. فيتتبع الشخص عورات أخيه ويدلي به إلى الظلم حتى خرب الإقليم وانقطعت الطرق وعربدت أولاد الحرام وفقد الأمن ومنعت السبل إلا بالخفارة وركوب الغرر، وجلت الفلاحون من بلادهم من الشراقي والظلم وانتشروا في المدينة بنسائهم وأولادهم يصيحون من الجوع ويأكلون ما يتساقط في الطرقات من قشور البطيخ وغيره، فلا يجد الزبال شيئاً يكنسه من ذلك واشتد بهم الحال حتى أكلوا الميتات من الخيل والحمير والجمال، فإذا خرج حمار ميت تزاحموا عليه وقطعوه وأخذوه ومنهم من يأكله نيئاً من شدة الجوع، ومات الكثير من الفقراء بالجوع. هذا والغلاء مستمر والأسعار في الشدة، وعز الدرهم والدينار من أيدي الناس وقل التعامل إلا فيما يؤكل وصار سمر الناس وحديثهم في المجال ذكر المآكل والقمح والسمن ونحو ذلك لا غير، ولولا لطف الله تعالى ومجيء الغلال من نواحي الشام والروم لهلكت أهل مصر من الجوع. وبلغ الأردب من القمح ألفاً وثلثمائة نصف فضة، والفول والشعير قريباً من ذلك، وأما بقية الحبوب والأبزار فقل أن توجد. واستمر ساحل الغلة خالياً من الغلال بطول السنة والشون كذلك مقفولة وأرزاق الناس وعلائفهم مقطوعة، وضاع الناس بين صلحهم وغبنهم وخروج طائفة ورجوع الأخرى، ومن خرج إلى جهة قبض أموالها وغلالها. وإذا سئل المستقر في شيء تعلل بما ذكر. ومحصل هذه الأفاعيل بحسب الظن الغالب أنها حيل على سلب الأموال والبلاد وفخاخ ينصبونها ليصيدوا بها اسمعيل بك.

وفي أواخره وصلت مكاتبة من الديار الحجازية عن الشريف سرور ووكلاء التجار خطاباً للأمراء والعلماء بسبب منع غلال الحرمين وغلال المتجر وحضور المراكب مصبرة بالأتربة والشكوى من زيادة المكوسات عن الحد، فلما حضرت قرئ بعضها وتغوفل عنها وبقي الأمر على ذلك.

رجع لخبر العجلة التي لها رأسان

وهو أنه لما أرسل إبراهيم بك ولده مرزوق بك غلاماً صغيراً لمصالحة الأمير مراد بك أعطاه هدية ومن جملتها بقرة وخلفها عجلة برأسين، وحضر بهما إلى مصر وشاع خبرها، فذهبت بصحبة أخينا وصديقنا مولانا السيد اسمعيل الوهبي الشهير بالخشاب فوصلنا إلى بيت أم مرزوق بك الذي بحارة عابدين ودخلنا إلى اسطيل بعض السواس، فرأينا بقرة مصفرة اللون مبياض، وابنتها خلفها سواد ولها رأسان، كاملتا الأعضاء وهي تأكل بفم إحدى الرأسين وتشتر بفم الرأس الثانية، فتعجبنا من عجيب صنع الله وبديع خلقته، فكانت من العجائب الغريبة المؤرخة.

من مات في هذه السنة من أعيان الناس

مات الشيخ الفقيه الصالح المشارك الشيخ درويش بن محمد بن محمد ابن عبد السلام البوتيجي الحنفي نزيل مصر، حضر دروس كل من الشيخ محمد أبي السعود والشيخ سليمان المنصوري والشيخ محمد الدلجي وغيرهم، وتميز في معرفة فروع الفقه، وأفتى ودرس وكان إنساناً حسناً لا بأس به، توفي في هذه السنة.

ومات العمدة العلامة والرحلة الفهامة المفوه المتكلم المتفقه النحوي الأصولي الشيخ عبد الله بن أحمد المعروف باللبان الشافعي الأزهري أحد المتصدرين في العلماء الأزهرية، حضر أشياخ الوقت كالملوى والجوهري والحفني والصعيدي والشعماوي والدفري وتمهر في الفقه والمعقول وقرأ الدروس وختم الختوم، وتنزل أياماً عند الأمير إبراهيم كتخدا القازدغلي، واشتهر ذكره في الناس وعند الأمراء بسبب ذلك، وتحمل حاله وكان فصيحاً ملساناً مفوهاً يخشى من سلاطة لسانه في المجالس العلمية والعرفية. وسافر مرة إلى اسلامبول في بعض الإرساليات وذلك سنة ست وثمانين عندما خرج علي بك من مصر ودخل محمد بك وكان بصحبة أحمد باشجاويش أرنؤد.

ومات العلامة الشيخ عبد الرحمن جاد الله البناني المغربي، وبنانة قرية من قرى منستير بأفريقية، ورد إلى مصر وجاور بالجامع الأزهر وحضر دروس الشيخ الصعيدي والشيخ يوسف الحفني والسيد محمد البليدي وغيرهم من أشياخ العصر، ومهر في المعقول، وألف حاشية على جمع الجوامع اختصر فيها سياق بن قاسم، وانتفع بها الطلبة، ودرس برواق المغاربة وأخذ الحديث عن الشيخ أحمد الإسكندري وغيره، وتولى مشيخة رواقهم مراراً بعد عزل السيد قاسم التونسي وبعد عزل الشيخ أبي الحسن القلعي، فسار فيها سيراً حسناً. ولم يتزوج حتى مات. ومن آثاره ما كتبه على المقامة التصحيفية للشيخ عبد الله الأدكاوي. ولم يزل مواظباً على التدريس ونفع الطلبة حتى تعلل أياماً وتوفي ليلة الثلاثاء ختام شهر صفر.

ومات الشيخ الفاضل العلامة عبد الرحمن بن عمر الأجهوري المالكي المقرى سبط القطب الخضيري، أخذ علم الأداء عن كل من الشيخ محمد بن علي السراجي إجازة في سنة 1156، وعن الشيخ عبد ربه ابن محمد السجاعي إجازة في سنة أربع وخمسين، وعن شمس الدين السجاعي في سنة ثلاث وخمسين، وعن عبد الله بن محمد بن يوسف القسطمطيني جود عليه إلى قوله المفلحون بطريقة الشاطبية، والتيسير بقلعة الجبل حين ورد مصر حاجاً في سنة ثلاث وخمسين، وعلى الشيخ أحمد بن السماح البقري والشهاب الإسقاطي وآخرين، وأخذ العلوم عن الشبراوي والعماوي والسجيني والشهاب النفراوي والشمس الحفني وأخيه الشيخ يوسف والشيخ الملوي، وسمع الحديث من الشيخ محمد الدفري والشيخ أحمد الإسكندراني محمد بن محمد

الدقاق، وأجازه الجوهري في الأحزاب الشاذلية وكذا يوسف بن ناصر، وأجازه السيد مصطفى البكري في الخلوتية والأوراد السرية، ودخل الشام فسمع الأولية على الشيخ مصطفى الخليجي، ومكث هناك مدة، ودخل حلب فسمع من جماعة وعاد إلى مصر، فحضر على السيد البليدي في تفسير البيضاوي بالأزهر وبالأشرافية، وكان السيد يعتني به ويعرف مقامه. وله سليقة تامة في الشعر وله مؤلفات منها الملتاذ في الأربعة الشواذ، ورسالة في وصف أعضاء المحجوب نظماً ونثراً وشرح تشنيف السمع ببعض لطائف الوضع للشيخ العيدروس شرحين كاملين قرظ عليهما علماء عصره. ولا زال يملي ويفيد ويدرس ويجيد ودرس بالأزهر مدة في أنواع الفنون، وأتقن العربية والأصول والقراءات، وشارك في غيرها، وعين للتدريس في السنانية ببولاق، فكان يقرأ فيها الجامع الصغير ويكتب على أطراف النسخة من تقاريره المبتكرة ما لو جمع لكان شرحاً حسناً. وتوفي المترجم رحمه الله تعالى في سابع عشرين رجب.

ومات الأجل المبجل والعمدة المفضل الحسيب النسيب السيد محمد بن أحمد بن عبد اللطيف بن محمد بن تاج العارفين بن أحمد بن عمر ابن أبي بكر بن محمد بن أحمد بن علي بن حسين بن محمد بن شرشيق بن محمد ابن عبد العزيز بن عبد القادر الحسيني الجيلي المصري ويعرف بابن بنت الجيزي، من بيت العز والسيادة والكرامة والمجادة، جدهم تاج العارفين، تولى الكتابة بباب النقابة، ولا زالت في ولده مضافة لمشيخة السادة القدرية ومنزلهم بالسبع قاعات ظاهر الموسكي مشهور بالثروة والعز، وكان المترجم اشتغل بالعلم حتى أدرك منه حظاً وافراً، وصار له ملكة يقتدر بها على استحضار النكات والمسائل والفروع، وكان ذا وجاهة وهيبة واحتشام وانجماع عن الناس، ولهم منزل ببركة جناق يذهبون إليه في أيام النيل وبعض الأحيان للتراعة، توفي رحمه الله تعالى في هذه السنة وتولى منصبه أخوه السيد عبد الخالق.

ومات السيد الفاضل السالك على بن عمر بن محمد بن علي بن أحمد بن عبد الله بن حسن بن أحمد بن يوسف بن إبراهيم بن أحمد ابن أبي بكر بن سليمان بن يعقوب بن محمد بن القطب سيدي عبد الرحيم القناوي الشريف الحسيني، ولد بقنا وقدم مصر وتلقن الطريقة عن الأستاذ الحفني، ثم حبب إليه السياحة فورد الحرمين، وركب من جدة إلى سورت ومنها إلى البصرة وبغداد، وزار من بهما من المشاهد الكرام، ثم دخل المشهد فزار أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ثم دخل جراسان ومنها إلى غزنين وكابل وقندهار، واجتمع بالسلطان أحمد شاه فأكرمه وأجزل له العطاء، ثم عاد إلى الحرمين وركب من هناك إلى بحر سيلان، فوصل إلى بنارس واجتمع بسلطانها، وذهب إلى بلاد جاوة ثم رجع إلى الحرمين، ثم سار إلى اليمن ودخل صنعاء واجتمع بإمامها، ودخل زبيد واجتمع بمشايخها وأخذ عنهم واستأنسوا به وصار يعقد لهم حلق الذكر على طريقته، وأكرموه، ثم عاد إلى الحرمين ثم إلى مصر، وذلك سنة اثنتين وثمانين، وكانت مدة غيبته نحو عشرين سنة. ثم توجه في آخر هذه السنة إلى الصعيد واجتمع بشيخ العرب همام رحمه الله تعالى فأكرمه إكراماً زائداً، ودخل قنا فزار جده ووصل رحمة ومكث هناك شهوراً، ثم رجع إلى مصر وتوجه إلى الحرمين من القلزم، وسافر إلى اليمن وطلع إلى صنعاء، ثم عاد إلى كوكبان، وكان إمامها إذ ذاك العلامة السيد إبراهيم بن أحمد الحسيني، وانتظم حاله وراج أمره وشاع ذكره، وتلقن منه الطريقة جماعة من أهل زبيد، واستمال بحسن مذاكرته ومداراته طائفة من الزيدية ببلدة تسمى زمرمر. وهي بلدة باليمن بالجبال، وهم لا يعرفون الذكر ولا يقولون بطرق الصوفية، فلم يزل بهم حتى أحبوه، وأقام حلقة الذكر عندهم وأكرموه، ثم رجع من هناك إلى

جدة وركب من القلزم إلى السويس. ووصل مصر سنة أربع وتسعين فتزل بالجمالية فذهبت إليه بصحبته شيخنا السيد مرتضى وسلمنا عليه، وكنت أسمع به و لم أره قبل ذلك اليوم، فرأيت منه كمال المودة وحسن المعاشرة وتمام المروءة وطيب المفاكهة، وسمعت منه أخبار رحلته الأخيرة وترددنا عليه وتردد علينا كثيراً وكان يتزل في بعض الأحيان إلى بولاق، ويقيم أياماً بزاوية علي بك بصحبة العلامة الشيخ مصطفى الصاوي والشيخ بدوي الهيتمي وحضر إلى متزلي ببولاق مراراً باستدعاء وبدون استدعاء، ثم تزوج بمصر وأتى إليه ولده السيد مصطفى من البلاد زائراً، وما زال على حاله في عبادة وحسن توجه إلى الله مع طيب معاشرة وملازمة الأذكار وصحبة العلماء الأخيار، حتى تمرض بعلة الاستسقاء مدة، حتى توفي ليلة الثلاثاء غرة جمادى الأولى من السنة، وصلي عليه بالأزهر ودفن بالقرافة بين يدي شيخه الحفني. وكان ابنه غائباً فحضر بعد مدة من موته، فلم يحصل من ميراثه إلا شيئاً نزراً، وذهب ما جمعه من سفر الله حيث ذهب.

ومات الوجيه النبيل والجليل الأصيل السيد حسين باشيجاويش الأشراف بن إبراهيم كتخدا تفكجيان بن مصطفى أفندي الخطاط، كان إنساناً حسناً جامعاً للفضائل واللطف والمزايا، واقتنى كتباً كثيرة في الفنون وخصوصاً في التاريخ، وكان مألوف الطباع ودوداً شريف النفس مهذب الأخلاق، فلم يخلف بعده مثله رحمه الله تعالى.

ومات الأمير محمد كتخدا أباظة وأصله من مماليك محمد جربجي الصابونجي، ولما مات سيده كما تقدم تركه صغيراً فخدم ببيتهم ثم عند حسين بك المقتول، و لم يزل ينمو ويترقى في الخدم حتى تقلد كتخدائية محمد بك أبي الذهب، فسار فيها بشهامة وصرامة، و لم يزل مبجلاً بعده في أيام مماليكه معدوداً من الأمراء، وله عزوة مماليك وأتباع، حتى تعلل ومات في هذه السنة.

ومات التاجر الخير الصدوق الصالح الحاج عمر بن عبد الوهاب الطرابلسي الأصل الدمياطي، سكن دمياط مدة وهو يتجر، واختص بالشيخ الحفني، فكان يأتي غليه في كل عام يزوره ويراسله بالهدايا ويكرم من يأتي من طرفه، وكان متزله مأوى الوافدين من كل جهة، ويقوم بواجب إكرامهم، وكان من عادته أنه لا يأكل مع الضيوف قط إنما يخدم عليهم ما داموا يأكلون، ثم يأكل مع الخدم، وهذا من كمال التواضع والمروءة. وإذا قرب شهر رمضان وفد عليه كثيرة من مجاوري رواق الشوام بالأزهر وغيره، فيقيمون عنده حتى ينقضي شهر الصوم في الإكرام، ثم يصلهم بعد ذلك بنفقة وكساوي، ويعودون من عنده مجبورين. وفي سنة ثلاث وثمانين حصلت له قضية مع بعض أهل الذمة التجار بالثغر فتطاول عليه الذمي وسبه، فحضر إلى مصر وأخبر الشيخ الحفني، فكتبوا له سؤالاً في فتوى وكتب عليه الشيخ جواباً وأرسله إلى الشيخ الوالد، فكتب علي جواباً وأطنب فيه ونقل من الفتاوى الخيرية جواباً عن سؤال رفع للشيخ خير الدين الرملي في مثل هذه الحادثة بحرق الذمي ونحو ذلك، وحضر ذلك النصراني في أثر حضور الحاج عمر خوفاً على نفسه وكان إذ ذاك شوكة الإسلام قوية، فاشتغل مع جماعة بمعونة كبار النصارى بمصر، بعد أن تحققوا حصول الانتقام وفتنوهم بالمال، فأدخلوا على شكوكا وسبكوا الدعوى في قالب آخر، وذلك أنه لم يسبه بالألفاظ التي ادعاها الحاج عمر وأنه بعد التسابب صالحه وسامحه، وغيروا صورة السؤال الأول بذلك، وأحضروه إلى الوالد فامتنع من الكتابة عليه، فعاد به الشيخ حسن الكفراوي فحلف لا يكتب عليه ثانياً أبداً، وتغير خاطر الحاج عمر من طرف الشيخ واختل اعتقاده فيه، وسافر إلى دمياط و لم يبلغ قصده من النصراني، ومات الشيخ بعد هذه الحادثة بقليل. وانتهت رياسة مصر إلى علي بك وارتفع شأن النصارى في أيامه بكاتبه المعلم رزق والمعلم إبراهيم الجوهري، فعملوا

على نفي المترجم من دمياط، فأرسلوا له من قبض عليه في شهر رمضان ونهبوا أمواله من حواصله وداره، ووضعوا في رقبته ورجليه القيد، وأنزلوه مهاناً عرياناً مع نسائه وأولاده في مركب، وأرسلوه إلى طرابلس الشام، فاستمر بها إلى أن زالت دولة علي بك واستقل بإمارة مصر محمد بك، وأظهر الميل إلى نصرة الإسلام، فكلم السيد نجم الدين الغزي محمد بك في شأن رجوعه إلى دمياط، فكان أن يجيب لذلك وكنت حاضراً في ذلك المجلس والمعلم ميخاييل الجمل والمعلم يوسف بيطار وقوف أسفل السدلة يغمزان الأمير بالإشارة في عدم الإجابة، لأنه من المفسدين بالثغر، ويكون السبب في تعطيل الجمارك، فسوف السيد نجم الدين بعد أن كان قرب من الإجابة. فلما تغيرت الدولة وتنوسيت القضية وصار الحاج عمر كأنه لم يكن شيئاً مذكوراً، رجع إلى الثغر وورد علينا مصر وقد تقهقر حاله وذهبت نضارته وصار شيخاً هرماً، ثم رجع إلى الثغر واستمر به حتى توفي في السنة، وكان له مع الله حال يداوم على الإذكار ويكثر من صلاة التطوع ولا يشتغل إلا بما يهمه، رحمه الله تعالى.

ومات الأمير الجليل إبراهيم كتخدا البركاوي وأصله مملوك يوسف كتخدا عزبان البركاوي، نشأ في سيادة سيده وتولى في مناصب وجاقهم، وقرأ القرآن في صغره وجود الخط وحبب إليه العلم وأهله. ولما مات سيده كان هو المتعين في رئاسة بيتهم دون خشداشينه، لرئاسته وشهامته، ففتح بيت سيده وانضم إليه خشداشينه وأتباعه، واشترى المماليك ودربهم في الآداب والقراءة وتجويد الخط، وأدرك محاسن الزمن الماضي. وكان بيته مأوى الفضلاء وأهل المعارف والمزايا والخطاطين، واقتنى كتباً كثيرة جداً في كل فن، وعلم حتى أن الكتاب المعدوم إذا احتيج إليه لا يوجد إلا عنده، ويعير للناس ما يرومونه من الكتب للانتفاع في المطالعة والنقل، وبآخره اعتكف في بته ولازم حاله وقطع أوقاته في تلاوة القرآن والمطالعة وصلاة النوافل، إلى أن توفي في هذه السنة، وتبددت كتبه وذخائره، رحمه الله تعالى.

سنة تسع وتسعين ومائة وألف

استهل العام بيوم الاثنين فكان الفال بالمنطق وأخذت الأشياء في الانحلال قليلاً.

وفي سابعه جاءت الأخبار بأن الجماعة المتوجهين لإبراعيم بك في شأن الصلح وهم الشيخ الدردير وسليمان بك الآغ ومرزوق جلبي اجتمعوا بإبراهيم بك، فتكلموا معه في شأن ذلك، فأجاب بشروط منها أن يكون هو على عادته أمير البلد، وعلي أغا كتخدا الجاويشيه على منصبه. فلما وصل الرسول بالمكاتبة جمع مراد بك الأمراء وعرفهم ذلك، فأجابوا بالسمع والطاعة، وكتبوا جواب الرسالة وأرسلوها صحبة الذي حضر بها. وسافر أيضاً أحمد بك الكلارجي أغا أمين البحرين في حادي عشرة.

وفي عشرينه وصلت الأخبار بأن إبراهيم بك نقض الصلح الذي حصل، وقيل أن صلحه كان مداهنة لأغراض لا تتم له بدون ذلك، فلما تمت احتج بأشياء أخر ونقض ذلك.

وفي سادس صفر، حضر الشيخ الدردير وأخبر بما ذكر وأن سليمان بك وسليم أغا استمروا معه.

وفي منتصفه، وصل الحجاج من أمير الحاج مصطفى بك وحصل الحجاج في هذه السنة مشقة عظيمة من الغلاء وقيام العربان بسبب عوائدهم القديمة والجديدة، ولم يزوروا المدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام، لمنع السبل، وهلك عالم كثير من الناس والبهائم من الجوع، وانقطع منهم جانب عظيم. ومنهم من نزل في المراكب إلى القلزم وحضر من السويس إلى القصير، ولم يبق إلا أمير الحج وأتباعه ووقفت العربان لحجاج المغاربة في سطح العقبة وحصروهم هناك ونهبوهم وقتلوهم عن آخرهم، ولم ينج منهم غلا نحو عشرة أنفار. وفي أثناء نزول الحج وخروج الأمراء لملاقاة أمير الحج، هرب إبراهيم بك الوالي وهو أخو سليمان بك الأغا وذهب إلى أخيه بالمنية وذهب صحبته من كان بمصر من أتباع أخيه وسكن الحال أياماً.

وفي أواخر شهر صفر، سافر أيوب بك الكبير وأيوب بك الصغير بسبب تجديد الصلح، فلما وصلوا إلى بني سويف حضر إليهم سليمان بك الأغا وعثمان بك الأشقر باستدعاء منهم، ثم أجاب إبراهيم بك إلى الصلح ورجعوا جميعاً إلى المنية.

وفي أوائل ربيع الأول حضر حسن أغا بيت المال بمكاتبات بذلك، وفي أثر ذلك حضر أيوب بك الصغير وعثمان بك الأشقر فقابلا مراد بكوقدم مراد بك لعثمان بك تقادم، ثم رجع أيوب بك إلى المنية ثانياً.

وفي يوم الاثنين رابع ربيع الثاني، وصل إبراهيم بك الكبير ومن معه من الأمراء إلى معادي الخبيري بالبر الغربي، فعدى إليه مراد بك وباقي الأمراء والوجاقلية والمشايخ، وسلموا عليه ورجعوا إلى مصر، وعدى في أثرهم إبراهيم بك، ثم حضر إبراهيم بك في يوم الثلاثاء إلى مصر ودخل إلى بيته وحضر إليه في عصريتها مراد بك في بيته، وجلس معه حصة طويلة.

وفي يوم الأحد عاشره، عمل الديوان وحضرت لإبراهيم بك الخلع من الباشا فلبسها بحضرة مراد بك والأمراء والمشايخ، وعند ذلك قام مراد بك وقبل يده وكذلك بقية الأمراء، وتقلد علي أغاء كتخدا الجاويشية كما كان، وتقلد علي أغا أغات مستحفظان كما كان، فاغتاظ لذلك قائد أغا الذي كان ولاه مراد بك وحصل له قلق عظيم، وصار يترامى على الأمراء ويقع عليهم في رجوع منصبه وصار يقول: إن لم يردوا إلي منصبي وإلا قتلت علي أغا. وصمم إبراهيم بك على عدم عزل علي أغا،

واستوحش علي أغا وخاف على نفسه من قائد أغا، ثم أن أبراهيم بك قال: إن عزل علي أغا لا يتولاها قائد أغا أبداً. ثم إنهم لبسوا سليم أغا أمين البحرين، وقطع منها أمل قائد أغا وما وسعه إلا السكوت.

وفي منتصف جمادى الآخرة خرج عثمان بك المذكور بمماليكه وأجناده مسافراً إلى الصعيد بنفسه و لم يسمع لقولهم، و لم يلبس تقليداً لذلك على العادة، فأرسلوا له جماعة ليردوه فأبى من الرجوع. وفيه كثر الموت بالطاعون وكذلك الحميات ونسي الناس أمر الغلاء.

وفي يوم الخميس، مات علي بك أباظة الإبراهيمي فانزعج عليه إبراهيم بك، وكان الأمراء خرجوا بأجمعهم إلى ناحية قصر العيني ومصر القديمة خوفاً من ذلك. فلما مات علي بك وكثير من مماليكهم داخلهم الرعب ورجعوا إلى بيوتهم.

وفي يوم الأحد، طلعوا إلى القلعة وخلعوا علي لاجين بك وجعلوه حاكم جرجاً، ورجع إبراهيم بك إلى بيته أيضاً وكان إبراهيم بك إذ ذاك قائمقام.

وفيه مات أيضاً سليمان بك أبو نبوت بالطاعون.

وفي منتصف رجب، خف أمر الطاعون.

وفي منتصف شعبان ورد لخبر بوصول باش مصر الجديد إلى ثغر سكندرية وكذلك باش جدة، ووقع قبل ورودهما بأيام فتنة بالإسكندرية بين أهل البلد وأغات القلعة والسردار، بسبب قتيل من أهل البلد قتله بعض أتباع السردار، فثار العامة وقبضوا على السردار وأهانوه وجرسوه على حمار، وحلقوا نصف لحيته وطافوا به البلد وهو مكشوف الرأس وهم يضربونه ويصفعونه بالنعالات.

وفيه أيضاً وقعت فتنة بين عربان البحيرة وحضر منهم جماعة إلى إبراهيم بك وطلبوا منه الإعانة على أخصامهم، فكلم مراد بك في ذلك فركب مراد بك وأخذهم صحبته ونزل إلى البحيرة فتواطأ معه الأخصام ورشوه سراً، فركب ليلاً وهجم على المستعينين به وهم في غفلة مطمئنين، فقتل منهم جماعة كثيرة ونهب مواشيهم وإبلهم وأغنامهم، ثم رجع إلى مصر بالغنائم.

وفي غاية شعبان حضر باشة جدة إلى ساحل بولاق، فركب علي أغا كتخدا الجاويشية وأرباب العكاكيز وقابلوه وركبوا صحبته إلى العادلية ليسافر إلى السويس.

وفي غرة رمضان، ثارت فقراء المجاورين والقاطنين بالأزهر، وقفلوا أبواب الجامع ومنعوا منه الصلوات. وكان ذلك يوم الجمعة فلم يصل فيه ذلك اليوم، وكذلك أغلقوا مدرسة محمد بك المجاورة له ومسجد المشهد الحسيني، وخرج العميان والمجاورون يرمحون بالأسواق ويخطفون ما يجدونه من الخبز وغيره، وتبعهم في ذلك الجعدية وأرذال السوقة. وسبب ذلك قطع رواتبهم وأخبازهم المعتادة، واستمروا على ذلك إلى بعد العشاء، فحضر سليم أغا أغات مستحفظان إلى مدرسة الأشرفية وأرسل إلى مشايخ الأروقة والمشار إليهم في السفاهة وتكلم معهم ووعدهم، والتزم لهم بإجراء رواتبهم، فقبلوا منه ذلك وفتحوا المساجد.

وفي يوم الأحد ثامن شهر شوال الموافق لتاسع مسرى القبطي كان وفاء النيل المبارك، وكانت زيادته كلها في هذه التسعة أيام فقط، و لم يزد قبل ذلك شيئاً، واستمر بطول شهر أبيب وماؤه أخضر، فلما كان أول شهر مسرى زاد في ليلة واحدة أكثر من ثلاثة أذرع، واستمرت دفعات الزيادة حتى أوفى أذرع الوفاء يوم التاسع، وفيه وقع جسر بحر أبي المنجا بالقلوبية، فيعينوا له أميراً فأخذ معه جملة أخشاب ونزل وصحبته ابن أبي الشوارب شيخ قليوب، وجمعوا الفلاحين ودقوا له أوتاداً عظيمة، وغرقوا

به نحو خمسة مراكب، واستمروا في معالجة سده مدة أيام، فلم ينجع من ذلك شيء وكذلك وقع ببحر مويس.
وفي يوم الخميس خرج أمين الحاج مصطفى بك بالمحمل والحجاج وذلك ثاني عشر شوال.
وفي يوم الاثنين ثامن عشر القعدة، سافر كتخدا الجاويشية وصحبته أرباب الخدم إلى الإسكندرية لملاقاة الباشا والله تعالى أعلم.

من مات في هذه السنة ممن له ذكر

مات الشيخ الإمام العارف المتفنن المقرئ المجود الضابط الماهر المعمر الشيخ محمد بن حسن بن محمد بن أحمد جمال الدين بن بدر الدين الشافعي الأحمدي ثم الخلوتي السمنودي الأزهري المعروف بالمنير، ولد بسمنود سنة 1099 وحفظ القرآن وبعض المتون، وقدم الجامع الأزهر وعمره عشرون سنة، فجود القرآن على الإمام المقرئ علي بن محسن الرملي، وتفقه على جماعة منهم الشيخ شمس الدين محمد السجيمي والشيخ علي أبي الصفا الشنواني، وسمع الحديث على أبي حامد البديري وأبي عبد الله محمد بن محمد الخليلي، وأجازه في سنة 1132 وأجازه كذلك الشيخ محمد عقيلة في آخرين، وأخذ الطريقة ببلده على سيدي علي زنفل الأحمدي، ولما ورد مصر اجتمع بالسيد مصطفى البكري فلقنه طريقة الخلوتية، وانضوى إلى الشيخ شمس الدين محمد الحفني، فقصر نظره عليه واستقام به عهده فأحياه ونور قلبه واستفاض منه، فلم يكن ينتسب في التصوف إلا إليه.
وحصل جملة من الفنون الغريبة كالزايرجة والأوفاق على عدة من الرجال، وكان يترل وفق المائة في المائة وهو المعروف بالمئيني، ويتنافس الأمراء والملوك لأخذه منه، وأحدث فيها طرقاً غريبة غير ما ذكره أهل الفن، وقد أقرأ القرآن مدة وانتفع به الطلبة وقرأ الحديث. وكان سنده عالياً فتنبه بعض الطلبة في الأواخر، فأكثروا الأخذ عنه. وكان صعباً في الإجازة لا يجيز أحداً إلا إذا قرأ عليه الكتاب الذي يطلب الإجازة فيه بتمامه، ولا يرى الإجازة المطلقة ولا المراسلة، حتى أن جماعة من أهالي البلاد البعيدة أرسلوا يطلبون منه الإجازة فلم يرض بذلك، وهذه الطريقة في مثل هذه الأزمان عسرة جداً. وفي أواخره انتهى إليه الشأن، وأشير إليه بالبنان وذهبت شهرته في الآفاق، وأتته الهدايا من الروم والشام والعراق، وكف بصره وانقطع إلى الذكر والتدريس في مترله بالقرب من قنطرة لموسكي داخل العطفة بسويقة الصاحب، ولازم الصوم نحو ستين عاماً، ووفدت عليه الناس من كل جهة، وعمر حتى ألحق الأحفاد بالأجداد، وأجاز وخلف وربما كتب الإجازات نظماً على هيئة إجازات الصوفية لتلامذهم في الطريق، و لم يزل يبدي ويعيد ويعقد حلق الذكر ويفيد، إلى أن وافاه الأجل المحتوم في هذه السنة، وجهز وكفن وصلي عليه بالأزهر في مشهد حافل، وأعيد إلى الزاوية الملاصقة لمترله وكثر عليه الأسف.
ومات الشيخ الإمام الفاضل الصالح علي بن علي بن علي بن علي بن مطاوع العزيزي الشافعي الأزهري، أدرك الطبقة الأولى من المشايخ كالشيخ مصطفى العزيزي والشيخ محمد السحيمي والدفري والملوي وأضراهم، وتفقه عليهم ودرس بالجامع الأزهر وانتفع به الطلبة، وقرأ دروساً بمشهد شمس الدين الحنفي، وكان يسكن في بولاق ويأتي كل يوم إلى مصر لإلقاء الدروس. وكان إنساناً حسناً صبوراً محتسباً فصيحاً مفوهاً له اعتقاد في أهل الله. توفي تاسع ربيع الثاني سنة تسع وتسعين هذه.
ومات الإمام الصالح الناسك المجود السيد علي بن محمد العوضي البدري الرفاعي المعروف بالقراء، وهو والد صاحبنا العلامة السيد حسن البدري، ولد بمصر وحفظ القرآن وجوده على شيخ القراء شهاب الدين أحمد بن عمر الاسقاطي، وبه تخرج وأقرأ

القرآن بالسبعة كثيراً بالجامع الأزهر وبرواق الأروام، وانتفع به الطلبة طبقة بعد طبقة. وكان له معرفة ببعض الأسرار والروحانيات وغير ذلك.

ومات الاختيار المفضل المبجل علي بن عبد الله الرومي الأصل مولى درويش أغا المعروف الآن بمحرم أفندي باش اختيار وجاق الجاويشية، كان لكونه خدم عنده وهو صغير اشتغل بالخط وجوده على المرحوم حسن الضيائي وعبد الله الانبس، وأدرك الطبقة منهم، ومهر فيه وأنجب، و لم يكونا أجازاه فعمل له مجلساً في مترل المرحوم علي أغا وكيل دار السعادة، واجتمع فيه أرباب الفن من الخطاطين، وأجازه حسن أفندي الرشدي مولى علي أغا المشار إليه، وكان يوماً مشهوداً. ولقب بدرويش وكتب بخطه كثيراً، وحج سنة 1171 واجتمع بالحرمين على الأفاضل وتلقى منهم أشياء، وعاد إلى مصر واجتمع بأديب عصره محمد بن عمر الخوانكي أحد تلامذة الشهاب الخفاجي، فتعلق بعنايته بالأدب وصار في محفوظيته جملة من أشعاره وقصائده، وجملة من قصائد الأرجاني وجملة من المقامات الحريرية، وعني بحفظ القرآن فحفظه على كبره، وتعب فيه وحفظ أسماء أهل بدر، وكان دائماً يتلوها. ولأجله ألف شيخنا السيد محمد مرتضى شرح الصدر في شرح أسماء أهل البدر، في عشرين كراساً، والتفتيش في معنى لفظ درويش كراساً. ولازم المذكور منذ قدم مصر وسمع عليه مجالس من الصحيح والمسلسل بالأسودين وبالعيد والشمائل والأمالي، وجود عليه شيخنا المذكور في الخط، وقد صاهرت المترجم وتزوجت بربيبته في أواخر سنة خمس وتسعين برغبة منه، وهي أم الولد خليل فتح الله عليه، ولما حصلت النسابة والمصاهرة حولته بعياله إلى مترلي لتعب الوقت وتعطيل أسباب المعايش. ولما عاشرته بلوت منه خيراً وديناً وصلاحاً، وكان لا ينام من الليل إلا قليلاً ويتبتل إلى مولاه تبتيلاً فيصلي ما تيسر من النوافل، ثم يكمل بتلاوة القرآن المرتلة مع التدبر لمعاني الآيات المترلة، وكان حسن السمت نظيف الثياب عظيم الشيبة منور الوجه وجيه الطلعة مهيب الشكل سليم الطويلة مقبول الروحانية ملازماً على حضور الجماعة حريصاً على إدراك الفضائل. توفي جمادى الأولى عن نيف وتسعين سنة، و لم تهن قواه و لم يسقط له سن، ويكسر اللوز بأسنانه، ودفناه بجوار الإمام أبي جعفر الطحاوي لأنه كان ناظراً عليه رحمه الله.

ومات الأستاذ الفاضل والمستعد الكامل ذو النفحات والإشارات السيد علي بن عبد الله بن أحمد العلوي الحنفي سبط آل عمر صاحبنا ومرشدنا، ووالده أصله من توقاد، وولد هو في مصر سنة 1173، وعاني الفنون ومهر وأنجب في كل شيء عاناه في أقل زمن بحيث أنه إذا توجهت همته لعلم من العلوم الصعبة وطالع فيه أدركه وأظهر مخبئاته وثمراته، وألف فيه وأظهر عجائب أسراره ومعانيه في زمن قليل وكان حاد الذهن جداً دراكاً قوي الحافظة يحفظ كل شيء سمعه أو مر عليه ببصره، ولازم في مبتدأ أمره شيخنا السيد محمد مرتضى كثيراً وقرأ عليه الفصيح لثعلب وفقه اللغة للثعالبي وأدب الكاتب لابن قتيبة في مجالس دراية، وسمع منه كثيراً من شرحه على القاموس وكتب عنه بيده أجزاء كثيرة وقرأ عليه الصحيح في اثني عشر مجلساً في رمضان سنة ثمان وثمانين، وسمع عليه أيضاً الصحيح مرة ثانية مشاركاً مع الجماعة مناوبة في القراءة في أربع مجالس، ومدة القراءة من طلوع الشمس إلى بعد كل عصر، وصحيح مسلم في ستة مجالس مناوبة بمترل الشيخ بخان الصاغة. وكتب الأمالي والطباق وضبط الأسماء، وقلد خط الصلاح الصفدي في وضعه فأدركه، وقرأ عليه أيضاً المقامات الحريرية ورسائل في التصريف، وغير

ذلك مما لا يدخل تحت الضبط لكثرته. وسمع المسلسل بالعيد وبالأسودين التمر والماء. وسمع عليه أوائل الكتب الستة والمعاجم والمسانيد في سنة تسعين بمنهل شيخه مع الجماعة وجزء نبيط بن شريط الأشجعي وبلدانيات السلفي وبلدانيات بن عساكر وأحاديث عاشوراء تخريج المنذري وأحاديث يوم عرفة تخريج بن فهد وعوالي بن مالك وثلاثيات البخاري والدارمي، وجزأ فيه أخبار الصبيان والخلعيات بتماماها وهي عشرون جزءاً وعرف المترجم العالي من النازل، واجتمع بشخينا السيد العيدروس وقربه وأدناه ولازمه، وقرأ عليه أشياء من كتب الصوفية، ومال إليه وصار ينطق بالشعر، وأقبل على الأدب والتصوف ولا زال كذلك حتى صار يتكلم بكلام عال. وألف كتاباً في علم الأوفاق في كراريس لطيفة على نسق عجيب مفيد، وامتزج بالروحانية حتى أني رأيته يترل الوفق في الكاغد ويضعه على راحة كفه فيرتعش، ويلتف ببعضه ثم ينبسط بنفسه كما كان، وإذا أخذه غيره ووضعه على مثل وضعه لا يتحرك أبداً. ومارس في علم الرمل أياماً فأدرك منتهاه واستخرج منه ما لا يستخرج الممارس فيه سنين من الضمير والمدة وغير ذلك في أسرع وقت، وألف فيه كتاباً لخص فيه قواعده من غير مشقة. ومارس في الفلكيات مع سليمان أفندي كنياذ وصنف فيه وفي غيره. وبآخره انجمع عن خلطة الناس وأقبل على ربه وكان قد تزوج بامرأة وكانت تؤذيه وتشتمه، وربما كانت تضربه، وهو صابر عليها مقبل على شأنه، وألف أوراداً وأحزاباً وأسماء على طريقة الأسماء السهر وردية عجيبة المشرب بنفس عال غريب، وصار يتكلم بكلام لا يطرق الأسماع نظيره، ولم يزل على ذلك حتى تعلل ولحق بربه، وتوفي في سادس ربيع الأول من السنة، وأعقب ولداً من تلك المرأة التي كان تزوج بها، وبالجملة والإنصاف أنه كان من آيات الله الباهرة. ودفن بالقرافة بتربة علي أغا صالح رضي الله عنا وعنه ورحمنا أجمعين.

ومات الشيخ الفقيه الدراكة العلامة السيد سليمان بن طه بن أبي العباس الحريثي الشافعي المقري الشهير بالأكراشي، وهي قرية شرقي مصر، وحفظ القرآن على الشيخ مصطفى العزيزي خادم النعال بمشهد السيدة سكينة، وأعاده بالعشر على الشيخ عبد الرحمن الأجهوزي المقري، وأجازه في محفل عظيم في جامع ألماس، وسمع وحضر دروس فضلاء وقته ومهر في فقه المذهب، ودرس في جامع الماس وغيره، وسمع من شيخنا السيد مرتضى المسلسل بالأولية بشرطه والمسلسل بالعيد وبالمحبة وبالقسم، وبقراءة الفاتحة في نفس واحد وبالالباس والتحكيم، وسمع الصيحين بطرفيهما في جماعة بجامع شيخون بالصليبة، وسمع أجزاء البلدانيات للحافظ أبي طاهر السلفي وجزء النيل وجزء يوم عرفة ويوم عاشوراء وغير ذلك. وله تآليف وجميعات ورسائل في علوم شتى. ولما اجتمع بشيخنا المذكور ورأى ملازمة السيد علي المترجم آنفاً به في أكثر أوقاته، ونظر نجابته وما فيه من قوة الفهم والاستعداد، لامه على ملازمته للسيد وانقطاعه عن بقية العلوم وقال له: هذا شيء سهل يمكن تحصيله في زمن قليل، وقد قرأت وحصلت ما فيه الكفاية، والأولى أن تشغل بعض الزمن بتحصيل المعقولات وغيرها، فإن مثلك لا يقتصر على فن من الفنون والاقتصار ضياع. فقبل منه واشتغل عليه وعلى غيره، وانقطع بسبب الاشتغال عن كثرة التراداد على الشيخ كعادته، وعلم ذلك فانحراف على كل منهما وبالخصوص على السيد علي، وصعب عليه جداً، وأدى ذلك إلى الانقطاع الكلي. ولما مات الشيخ العزيزي تترل المترجم في مشيخة القراء بمقام السيدة نفيسة رضي الله عنها، وكان إنساناً حسناً جامعاً للفضائل، وحضر معنا الهداية في فقه الحنفية على شيخنا المرحوم العلامة الشيخ مصطفى الطائي الحنفي، وكان يناقش في بعض المسائل المخالفة لمذهبه، إلى أن وافاه الحمام في هذه السنة رحمه الله.

ومات أوحد الفضلاء وأعظم النبلاء العلامة المحقق والفهامة المدقق الفقيه النبيه الأصولي المعقولي المنطقي الشيخ أبو الحسن بن عمر القلعي ابن علي المغرب المالكي، قدم إلى مصر في سنة 1154، وكان لديه استعداد وقابلية، وحضر أشياخ الوقت مثل البليدي والملوى والجوهري والحفني والضيخ الصعيدي واتحد بالشيخ الوالد وزوجه زوجة مملوكه مصطفى بعد وفاته، وهي خديجة معتوقة المرحوم الخواجا المعروف بمدينة، وأقامت معه نحو الأربعين سنة حتى كبر سنها وهرمت، وتسرى عليها مرتين ولما حضر المرحوم محمد باشا راغب والياً على مصر اجتمع به ومارسه وأحبه وشرح رسالته التي ألفها في علم العروض والقوافي، ولما عزل راغب وذهب إلى دار السلطنة وتولى الصدارة، سافر إليه المترجم فأجله وأكرمه ورتب له جامكية بالضربخانة بمصر، ورجع إلى مصر وتولى مشيخة رواق المغاربة ثلاث مرات بشهامة وصرامة زائدة. وسبب عزله في المرة الوسطى أن بعض المغاربة تشاجر مع الشيخ علي الشنويهي وانتصر هو للمغاربة لحمية الجنسية، ونهر الشيخ علي فذهب الشيخ علي واشتكاه إلى علي بك في أيام إمارته، أحضره علي بك فتطاول على الشيخ علي بحضرة الأمير، وادعى الشيخ علي أنه لطمه على وجهه في الجامع، فكذبه المترجم، فحلف الشيخ علي بالله على ذلك، فقال له المترجم: احلف بالطلاق، فاغتاظ منه الأمير علي بك وصرفهما، وأرسل في الحال وأحضر الشيخ عبد الرحمن البناني وولاه مشيخة الرواق وعزل الشيخ أبا الحسن وانكسف باله لذلك، ثم أعيد بعد مدة إلى المشيخة وكان وافر الحرمة نافذ الكلمة معدوداً من المشايخ الكبار مهاب الشكل منور الشيبة مترفهاً في ملبسه ومأكله، يعلوه حشمة وجلالة ووقار، إذا مر راكباً أو ماشياً قام الناس إليه وبادروا إلى تقبيل يده، حتى صار ذلك لهم عادة وطبيعة لازمة يرون وجوبها عليهم. وللمترجم تأليفات وتقييدات وحواش نافعة، منها حاشية علي الأخضري على سلمه، وحاشية على رسالة العلامة محمد أفندي الكرماني في علم الكلام في غاية الدقة تدل على رسوخه في علم المنطق والجدل والمعاني والبيان والمعقولات، وشرح على ديباجة شرح العقيدة المسماة بأم البراهين للإمام السنوسي، وله كتاب ذيل الفوائد وفرائد الزوائد على كتاب الفوائد والصلاة والعوائد وخواص الآيات والمجربات التي تلقاها من أفواه الأشياه، وكتاب في خواص سورة يس وغير ذلك. وأخذ عن المرحوم الوالد كثيراً من الحكميات والمواقف والهداية للأبهري، والهيئة والهندسة. ولم يزل مواظباً على تردده عليه وزيارته في الجمعة مرتين أو ثلاثة، ويراعي له حق المشيخة والصحبة في حياته وبعدها، وكان سليم الباطن مع ما فيه من الحدة، إلى أن توفي في ربيع الأول من هذه السنة رحمه الله.

ومات الشيخ المعتقد عبد الله بن إبراهيم بن أخي الشيخ الكبير المعروف بالموافي الشافعي السندوبي الرفاعي نزيل المنصورة، ولد ببلده منية سندوب سنة 1140، وحفظ القرآن وبعض المتون، وقدم المنصورة فمكث تحت حيازة عمه في عفة وصلاح وحضر دروس الشيخ أحمد الجالي وأخيه محمد الجالي، وانتفع بهما في فقه المذهب فلما توفي عمه في سنة إحدى وستين أجلس مكانه في زاويته التي أنشأها عمه في مؤخر الجامع الكبير بالمنصورة، وسلك على نهجه في أحياء الليالي بالذكر وتلاوة القرآن، وكان يختم في كل يوم وليلة مرة، وربى التلاميذ وصارت له شهرة زائدة مع الانجماع عن الناس، لا يقوم لأحد ولا يدخل دار أحد وفيه الاستئناس، وعند فوائد يذاكر بها ويشتغل دائماً بالمطالعة والمذاكرة، واعتقده الخاص والعام. ولما سافرنا إلى دمياك سنة تسع وثمانين وجزنا بالمنصورة وطلعناها ذهبنا إلى جامعها الكبير ودخلنا إليه في حجرته، فوجدته جالساً على فراش عال بمفرده بجانب ضريح عمه، وهو رجل نير بشوش، فرحب بنا وفرح بقدومنا وأحضر لنا طبقاً فيه قراقيش وكعك وشريك

وخبز يابس ولبن وبوسطه دقة وجبن فأكلنا ما تيسر وسقانا قهوة في فنجان كبير، وتحدث معنا ساعة، ودعا لنا بخير، وودعناه وسافرنا في الوقت. و لم أره غير هذه المرة. وهو إنسان حسن جامع للفضائل توفي في السنة و لم يخلف بعده مثله.

ومات السيد الإمام العلامة الفقيه النبيه السيد مصطفى بن أحمد ابن محمد البنوفري الحنفي، أخذ الفقه عن والده وعن السيد محمد أبي السعود والشيخ محمد الدلجي والشيخ الزيادي وغيرهم، وحضر المعقول على علماء العصر كالشيخ عيسى البراوي وغيره، ودرس في محل والده بالقرب من رواق الشوام، إلا أنه لم يكن له حظ في الطلبة، فكان يأتي كل يوم الجامع ويجلس وحده ساعة ثم يقوم ويذهب إلى بيته بسويقة العزى، وكان لا يعرف التصنع، وفيه جذب ويعود المرضي كثير الأغنياء والفقراء توفي في السنة رحمه الله.

ومات العلامة المتقن والفهامة المتفنن أحد الأعلام الرواسخ وشيخ المشايخ الفقيه النحوي الأصولي المعقولي المنطقي ذو المعاني والبيان وحلال المشكلات بإتقان، الصالح لقانع الورع الزاهد الشيخ محمد بن محمد بن محمد بن مصطفى بن خاطر الفرماوي الأزهري الشافعي البهوتي نسبة إلى قبيلة البهتة جهة الشرق، ولد بمصر رباه والده وحفظ القرآن والمتون، وحضر على أشياخ العصر الملوي والجوهري والطحلاوي والبراوي والبليدي والصعيدي والشيخ علي قايتباي والمدابغي والأجهوري، وأنجب فق الفقه والمعقول ودرس وأفاد الطلبة واشتهر بالفتوح على كل من أخذ عنه، حتى صار له المشيخة على غالب أهل العلم من الطبقة الثانية. وكان مذهب النفس جداً لين الجانب متواضعاً منكسر النفس لا يرى لنفسه مقاماً، يجلس حيث ينتهي به المجلس، ولا يتداخل فيما لا يعنيه، مقبلاً على شأنه ملازماً على الاشتغال والإفادة والمطالعة. ومما اتفق له أنه قرأ البخاري والمنهج صبية النهار والقطب على الشمسية في الضحوة والاشوني وقت الظهر وابن عقيل بعد العصر والشنشوري بعد المغرب، كل ذلك في آن واحد، ويحضره في ذلك جل الأفاضل، وهذا لم يتفق لغيره من أقرانه، و لم يزل على حالته حتى توفي في آخر يوم من رجب من السنة، وخلف ولده العمدة الفاضل الصالح الشيخ مصطفى على قدم والده وأسلافه من الإفادة وملازمة الإقراء، أعانه الله على وقته ونفع به.

ومات الشيخ الإمام العلامة والنحرير الفهامة محمد بن عبد ربه ابن علي العزيزي الشهير بابن الست، ولدسنة 1118 بمصر، وسبب تسميته بابن الست أن والدته كانت سرية رومية اشتراها أبوه وأولدها إياه، وكان قد تزوج بحرائر كثيرة فلم يلدن إلا الإناث، حتى قيل أنه ولد له نحو ثمانين بنتاً، فاشترى أم ولده هذا فولدته ذكراً و لم تلد غيره، ففرح به كثيراً ورباه في عز ورفاهية، وقرأ القرآن مع الشيخ علي العدوي في مكتب واحد، فلذلك اعتشر بالمالكية وصار مالكي المذهب. ولما ترعرع أراد الانتقال إلى مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه فرأى الشافعي في المنام وأشار عليه بعدم الانتقال، فاستمر مالكي المذهب وتفقه على الشيخ سالم النفراوي واللقاني والشبراملسي، وسمع على الشيخ عبد ابن علي النمرسي المسلسل بالأولية وأوائل الكتب الستة وسنن النسائي الصغرى المسماة بالمجتبي والمسلسل بالمصافحة والمشابكة والسبحة وغير ذلك، وأخذ عليه أيضاً ملا عصام على السمرقندية وشرح رسالة الوضع وشرح الجزرية لشيخ الإسلام وأوائل تفسير القاضي البيضاوي مع البحث والتدقيق، وأجازه بما يجوز له وعنه روايته بشرطه، وأخذ المعقول عن الشيخ أحمد الملوي والشيخ عبده الديوى والشيخ

الاطفيحي والخليفي، وأخذ طريق الشاذلية عن الشيخ أحمد لجوهري والشيخ الملوي، وهما أخذاها عن سيدي عبد الله بن محمد المغرب القصري الكنكسي. وكان المترجم على قدم السلف لا يتداخل في أمور الدنيا ولا يتفاخر في ملبس ولا يركب دابة ولا يدخل بيت أمير ولا يشتغل بغير العلم ومدارسته، ويشهد له معاصروه بالفضل وإتقان العلوم والديانة. وسمعت منه المسلسل بالأولية وأجازني بمسموعاته ومروياته، وتلقيت عنه دائرة الشاذلي وأجازني بوضعها ورسمها ونقطة مركزها، كل ذلك في مجلس واحد بمترلي ببولاق بشاطئ النيل سنة 1190. وكان يجيئني ويودني ويقول لي: أنت ابن خالتي لكون والدتي ووالدته من السراري. وصنف حاشية علي الزرقاني على العزية وهي مستعملة بأيدي الطلبة وديباجة وخاتمة على أبي الحسن على الرسالة، وخاتمة على شرح الخرشي وديباجة على أيساغوجي في المنطق، وحاشية علي الحفيد على العصام وتكملة على العشماوية، وشرحاً على آية الكرسي وشرحاً على الحوضية في التوحيد، ولم يزل مقبلاً على شأنه وحاله، حتى توفي في هذه السنة عن أربع وثمانين سنة رحمه الله تعالى.

ومات السيد الأجل المبجل السيد أحمد بن عبد الفتاح بن طه بن عبد الرزاق الحسيني الحموي القادري، ولد أبوه السيد عبد المفتاح بحماه وارتحل بكريميه رقية وفاطمة ابنة السيد طه، فزوج الأولى بأحد أعيان مصر بن حسين الشمسي، وهي أم أولاده حسن وحسين وعثمان ومحمود ورضوان، وتزوجت السيدة فاطمة بعلي أفندي البكري أخي سيدي بكري الصديقي فأولدها محمد أفندي نقيب السادة الأشراف، وهو والد محمد أفندي الأخير، وأقام والده السيد عبد الفتاح بمصر مدة وتترل في بعض المناصب، ثم توجه إلى ملك الروم فأكرمه ووجه له بعناية بعض الأعيان نقابة الأشراف بمصر، وحضر إلى مصر وقرئ المرسوم الوارد بذلك، وكاد أن يتم له الأمر، فلم يمكن من ذلك بتوقية بعض الأمراء وحنقوا عليه حيث توجه من مصر إلى الروم خفية، ولم يأخذ منهم عرضاً وجعل له شيء معلوم من بيت النقابة، وبقي ممنوعاً عنها. وكان سيداً محتشماً فصيح اللسان بهي الشكل، وتزوج ببنت سيدي مكي الوارثي وولد له منها السيد أحمد المترجم، وتربى ببنت سيدي مكي الوارثي وولد له منها السيد أحمد المترجم، وتربى في العز والرفاهية ببيتهم المعروف بهم بالأزبكية بخط الساكت، وكان إنساناً حسناً مترفهاً في مأكله وملبسه منجمعاً عن الناس إلا لمقتضيات لا بد له منها. توفي رحمه الله في هذه السنة ولم يعقب.

ومات الشيخ الصالح الماهر الموفق علي بن خليل شيخ القبان بمصر، وكان ماهراً في علم الحساب ومعرفة الموازين والقرسطون المعروف بالقبان ودقائقه وصناعته، ولما عني المرحوم الوالد أمر الموازين وتصحيحها وتحريرها في سنة اثنتين وسبعين، وصنف في ذلك العقد الثمين فيما يتعلق بالموازين، طالعه عليه وتلقاه عنه مع مشاركة الشيخ حسن بن ربيع البولاقي، وأتقنا ذلك وتميزا به دون أهل فنهما. وكان المترجم إنساناً بشوشاً منور الشيبة ولديه آداب ونوادر ومناسبات، وحج مراراً أو أثرى وتمول ثم تقهقر حاله ولزم بيته، إلى أن توفي في هذا العام ولم يخلف بعده مثله.

ومات الشريف الحسيب النسيب السيد مصطفى بن السيد عبد الرحمن العيدروس وهو مقتبل الشيبية وصلي عليه بالأزهر ودفن عند والده بمقام العتريس تجاه مشهد السيد زينب، وكانت وفاته رابع عشرين ربيع الأول من السنة رحمه الله.

سنة مائتين وألف

كان أول المحرم يوم الجمعة، وفي ذلك اليوم وصل الباشا الجيد إلى برانبابة، واسمه محمد باشا يكن، فبات ليلة الجمعة هناك، وفي الصباح ذهب إليه الأمراء وسلموا عليه على العادة، وعدوا به إلى قصر العيني، فجلس هناك إلى يوم الاثنين رابعه، وركب بالموكب وشق من الصليبة وطلع إلى القلعة واستبشر الناس بقدومه.

وفي يوم الخميس ثاني عشر صفر حضر مبشر الحاج بمكاتيب العقبة وأخبر أن الحجاج لم يزوروا المدينة أيضاً في هذه السنة مثل العام الماضي، بسبب طمع أمير الحاج في عدم دفع العوائد للعربان وصرة المدينة، وأن أحمد باشا أمير الحاج الشامي أكد عليه في الذهاب وأنعم عليه بجملة من المال والعليق والذخيرة، فاعتل بأن الأمراء بمصر لم يوفوا له العوائد ولا الصرة في العام الماضي وهذا العام، واستمر على امتناعه. وحضر الشريف سرور شريف مكة وكلمه بحضرة أحمد باشا وقال: إذا كان كذلك فنكتب عرض محضر ونخبر السلطان بتقصير الأمراء وتضع عليه خطك وختمك وللسلطان النظر بعد ذلك. فأجاب إلى ذلك ووضع خطه وختمه وحضر إليهم الجاويش في صبحها فخلعوا عليه كالعادة، ورجع بالملاقاة وخرج الأمراء في ثاني يوم إلى خارج بأجمعهم ونصبوا خيامهم.

وفي يوم الاثنين، وصل الحجاج ودخلوا إلى مصر ونزل أمير الحج بالجنبلاطية بباب النصر و لم يتزل بالحصورة أولاً على العادة، وركب في يوم الثلاثاء ودخل بالمحمل بموكب دون المعتاد وسلم المحمل إلى الباشا.

وفي يوم الأربعاء، اجتمع الأمراء ببيت إبراهيم بك وأحضروا مصطفى بك أمير الحج وتشاجر معه إبراهيم بك ومراد بك بسبب هذه الفعلة وكتابة العرضحال، وادعوا عليه أنه تسلم جميع الحمائل وطلبوا منه حساب ذلك واستمروا على ذلك إلى قرب المساء. ثم أن مراد بك أخذ أمير الحاج إلى بيته فبات عنده، وفي صبحها حضر إبراهيم بك عند مراد بك وأخذ أمير الحاج إلى بيته ووضعه في مكان محجوزاً عليه، وأمر الكتاب بحسابه فحاسبوه فاستقر في طرفه مائة ألف ريال وثلاثة آلاف وذلك خلاف ما على طرفه من الميرى.

وفي يوم الجمعة طلع إبراهيم بك إلى القلعة وأخبر الباشا بما حصل، وأنه حبسه حتى يوفي ما استقر بذمته، فاستمر أياماً وصالح وذهب إلى بيته مكرماً.

وفي ذلك اليوم، بعد صلاة الجمعة ضج مجاور والأزهر بسبب أخبازهم وقفلوا أبواب الجامع، فحضر إليهم سليم أغا والتزم لهم بإجراء رواتبهم بكرة تاريخه، فسكنوا وفتحوا الجامع، وانتظروا ثاني يوم فلم يأتهم شيء فأغلقوه ثانياً وصعدوا على المنارات يصيحون، فحضر سليم أغا بعد العصر ونجز لهم بعض المطلوبات، وأجرى لهم الجراية أناماً ثم انقطع ذلك.

وتكرر الغلق والفتح مراراً.

وفي ليلة خروج الأمراء إلى ملاقاة الحجاج، ركب مصطفى بك الإسكندري وأحمد بك الكلارجي وذهبا إلى جهة الصعيد والتفا على عثمان بك الشرقاوي ولاجين بك وتقاسموا الجهات والبلاد وأفحشوا في ظلم العباد.

وفي منتصف ربيع الأول، شرع مراد بك في السفر إلى جهة بحري بقصد القبض على رسلان والنجار قطاع الطريق، فسافر وسمع بحضوره المذكوران، فهربا فأحضر بن حبيب وابن حمد وابن فودة وألزمهم بإحضارهما فاعتذروا إليه فحبسهم ثم أطلقهم على مال، وذلك بيت القصيد، وأخذ منهم رهائن، ثم سار إلى طملوها وطالب أهلها برسلان ثم نهب وسلب أموال أهلها وسبى نساءهم وأولادهم، ثم أمر بهدمها وحرقها عن آخرها، ولم يزل ناصباً وطاقه عليها حتى أتى على آخرها هدماً وحرقاً وجرفها بالجراريف حتى محوا أثرها وسووها بالأرض، وفرق كشافه في مدة إقامته عليها في البلاد والجهات لجبي الأموال، وقرر على القرى ما سولته له نفسه، ومنع من الشفاعة وبث المعينين لطلب الكلف الخارجة عن المعقول، فإذا استوفوها طلبوا حق طرقهم، فإذا استوفوها طلبوا المقرر، وكل ذلك طلباً حثيثاً وإلا أحرقوا البلدة ونهبوها عن آخرها، ولم يزل في سيره على هذا النسق حتى وصل إلى رشيد، فقرر على أهلها جملة كبيرة من المال وعلى التجار وبياعي الأرز، فهرب غالب أهلها وعين على إسكندرية صالح أغا كتخدا الجاويشية سابقاً وقرر له حق طريقه خمسة آلاف ريال، وطلب من أهل البلد مائة ألف ريال وأمر بهدم الكنائس، فلما وصل إلى إسكندرية هربت تجارها إلى المراكب وكذلك غالب النصارى، فلم يجد إلا قنصل الموسقو، فقال: أنا أدفع لكم المطلوب بشرط أن يكون بموجب فرمان من الباشا أحاسب به سلطانكم، فانكف عن ذلك وصالحوه على كراء طريقه، ورجع وارتحل مراد بك من رشيد. ولما وصل إلى جميجون هدمها عن آخرها وهدم أيضاً كفرد سوق، واستمر هو ومن معه يعبثون بالأقاليم والبلاد حتى أخربوها وأتلفوا الزروعات إلى غرة جمادى الأولى. فوصلت الأخبار بقدومه إلى زنكلون ثم ثنى عنانه وعرج على جهة الشرق يفعل بها فعله بالمنوفية والغربية، وأما صناجقه الذين تركهم بمصر فإنهم تسلطوا على مصادرات الناس في أموالهم وخصوصاً حسين بك المعروف بشفت بمعنى يهودي، فإنه تسلط على هجم البيوت ونهبها بأدنى شبهة.

وفي عصرية يوم الخميس المذكور ركب حسين بك المذكور بجنوده وذهب إلى الحسينية وهجم على دار شخص يسمى أحمد سالم الجزار متولي رياسة دراويش الشيخ البيومي ونهبه حتى مصاغ النساء والفراش ورجع والناس تنظر إليه.

وفي عصريتها أرسل جماعة من سراجينه بطلب الخواجا محمود ابن حسن محرم فلاطفهم وأرضاهم بدراهم، وركب إلى إبراهيم بك فأرسل له كتخداه وكتخدا الجاويشية فتلطفوا به وأخذوا خاطره وصرفوه عنه وعبى له الخواجا هدية بعد ذلك وقدمها إليه.

وفي صبحها يوم الجمعة، ثارت جماعة من أهالي الحسينية بسبب ما حصل في أمسه من حسين بك وحضروا إلى الجامع الأزهر ومعهم طبول، والتف عليهم جماعة كثيرة من أوباش العامة والجعيدية وبأيديهم نبابيت ومساوق، وذهبوا إلى الشيخ الدردير فوافقهم وساعدهم بالكلام، وقال لهم: أنا معكم. فخرجوا من نواحي الجامع وقفلوا أبوابه وطلع منهم طائفة على أعلى المنارات يصيحون ويضربون بالطبول، وانتشروا بالأسواق في حالة منكرة، وأغلقوا الحوانيت. وقال لهم الشيخ الدردير: في غد نجمع أهالي الأطراف والحارات وبولاق ومصر القديمة وأركب معكم وننهب بيوتهم كما ينهبون بيوتنا ونموت شهداء أو ينصرنا الله عليهم. فلما كان بعد المغرب حضر سليم أغا مستحفظان ومحمد كتخدا أنؤد الجلفي كتخدا إبراهيم بك وجلسوا في الغورية، ثم ذهبوا إلى الشيخ الدردير وتكلموا معه وخافوا من تضاعف الحال، وقالوا للشيخ: اكتب لنا قائمة بالمنهوبات ونأتي بها من محل ما تكون. واتفقوا على ذلك وقرأوا الفاتحة وانصرفوا وركب الشيخ في صبحها إلى إبراهيم بك وأرسل إلى

حسين بك فأحضره بالمجلس وكلمه في ذلك، فقال في الجواب: كلنا نهابون، أنت تنهب مراد بك ينهب وأنا أنهب كذلك. وانفض المجلس وبردت القضية.

وفي عقبها بأيام قليلة، حضر من انحية قبلي سفينة وبها تمر وسمن وخلافه، فأرسل سليمان بك الأغا وأخذ ما فيها جميعه، وادعى أن له عند أولاد وافي مالاً منكسراً و لم يكن ذلك لأولاد وافي وإنما هو لجماعة يتسببون فيه من مجاوري الصعايدة وغيرهم، فتعصب مجاورو الصعايدة وأبطلوا دروس المدرسين، وركب الشيخ الدردير والشيخ العروسي والشيخ محمد المصيلحي وآخرون وذهبوا إلى بيت إبراهيم بك، وتكلموا معه بحضرة سليمان بك كلاماً كثيراً مفحماً. فاحتج سليمان بك بأن ذلك متاع أولاد وافي وأنا أخذته بقيمته من أصل مالي عندهم، فقالوا هذا لم يكن لهم وإنما هؤلاء ربابه ناس فقراء فإن كان لك عند أولاد وافي شيء فخذه منهم، فرد بعضه وذهب بعضه.
وفي يوم الجمعة عاشر جمادى الأولى، قدم مراد بك من ناحية الشرق ودخل في ليلتها من المنهوبات من لجمال والأغنام والأبقار والحواميس وغير ذلك شيء كثير يجل عن الحصر.
وفيه سافر أيوب بك إلى ناحية قبلي لمصالحة الأمراء الغضاب وهم مصطفى بك وأحمد بك الكلارجي وعثمان بك الشرقاوي ولاجين بك لأنهم بلغوا قصدهم من البلاد وظلم العباد.
وفي منتصف جمادى الثانية، حضر عثمان بك الشرقاوي من ناحية قبلي.
وفيه أنعم مراد بك على بعض كشافه بفردة دراهم على بلاد المنوفية كل بلد مائة وخمسون ريالاً.
وفيه اجتمع الناس بطندتا لعمل مولد سيدي أحمد البدوي المعتاد المعروف بمولد الشرنبابلية وحضر كاشف الغربية والمنوفية على جاري العادة وكاشف الغربية من طرف إبراهيم بك الوالي المولى أمير الحاج، فحصل منه عسف وجعل على كل جمل يباع في السوق المولد نصف ريال فرانسة، فأغار أعوان الكاشف على بعض الأشراف وأخذوا جمالهم، وكان ذلك في آخر أيام المولد، فذهبوا إلى الشيخ الدردير وكان هناك بقصد الزيارة وشكوا إليه ما حل بهم، فأمر الشيخ بعض أتباعه بالذهاب إليه، فامتنع الجماعة من مخاطبة ذلك الكاشف، فركب الشيخ بنفسه وتبعه جماعة كثيرة من العامة. فلما وصل إلى خيمة كتخدا الكاشف دعاه فحضر إليه والشيخ راكب على بغلته فكلمه ووبخه، وقال له: أنتم ما تخافون من الله. ففي أثناء كلام الشيخ لكتخدا الكاشف هجم على الكتخدا رجل من عامة الناس وضربه بنبوت، فلما عاين خدامه ضرب سيدهم هجموا على العامة بنبابيتهم وعصيهم وقبضوا على السيد أحمد الصافي تابع الشيخ وضربوه عدة نبابيت. وهاجت الناس على بعضهم ووقع النهب في الخيم وفي البلد ونهبت عدة دكاكين وأسرع الشيخ في الرجوع إلى محله وراق الحال بعد ذلك وركب كاشف المنوفية وهو من جماعة إبراهيم بك الكبير وحضر إلى كشاف الغربية وأخذه وحضر به إلى الشيخ وأخذوا بخاطره وصالحوه ونادوا بالأمان. وانفض المولد ورجع الناس إلى أوطانهم وكذلك الشيخ الدردير، فلما استقر بمنزله حضر إليه إبراهيم بك الوالي وأخذ بخاطره أيضاً وكذلك إبراهيم بك الكبير وكتخدا الجاويشية.

وفي سابع عشرة ركب حسين بك الشفت وقت القائلة وحضر إلى بيت صغير بسوق الماطيين وصحبته امرأة، فصعد إليه

ونقب في حائط وأخرج منه برمة مملوءة ذهباً فأخذها وذهب، وخبر أن هذا البيت كان لرجل زيات في السنين الخالية فاجتمع لديه هذه الدنانير فوضعها في برمة من الفخار وأفرج لها نقباً في كتف الحائط ووضعها فيه، وبنى عليها وسواها بالجبس.
وكانت هذه المرأة ابنة صغيرة تنظر إليه، ومات ذلك الرجل وبيعت الدار بعد مدة ووقفها الذي اشتراها وتداولت الأعوام وآل البيت إلى وقف المشهد الحسيني وسكنه الناس بالأجرة، ومضى على ذلك نحو الأربعين عاماً، وتلك المرأة تتخيل ذلك في ذهنها وتكتمه ولا يمكنها الوصول إلى ذلك المكان بنفسها، وقلت ذات يدها واحتاجت فذهبت إلى حريم حسين بك المذكور وعرفتهن القضية وأخبر الأمير بذلك، فقال لعل بعض الساكنين أخذها فقالت لا يعرفها أحد غيري. فأرسل إلى ساكن الدار وأحضره وقال له أخل دارك في غد وانتظرني ولا تفزع من شيء، ففعل الرجل وحضر الصنجق وصحبته المرأة فأرته الموضع فنقبوه وأخرجوا منه تلك البرمة وأعطي صاحب المكان إحساناً، وركب وصاحب المكان يتعجب، وركب أيضاً قبل ذلك وذهب إلى بيت رجل يقال له الشيخ عبد الباقي أبو قليطة ليلاً وأخذ منه صندوقاً مودعاً عنده أمانة لنصر ابن شديد البدوي شيخ عرب الحويطات يقال أن فيه شيئاً كثيراً من الذهب العين وغيره، وهجم أيضاً على بيت بالقرب من المشهد الحسيني في وقت القائلة، وكان ذلك البيت مقفولاً، وصاحبه غائب، فخلع الباب وطلع إليه وأخذ منه عشرة أكياس مملوءة ذهباً وخرج وأغلق الباب كما كان، وركب هو ومماليكه والأكياس في أحضانهم على قرابيس سروج الخيل وهو بجملتهم يحمل كيساً أمامه والناس تنظرهم.
وفي هذا الشهر ثقب الشطار حاصلاً في وكالة المسايرة التي بباب الشعرية وكان بظاهر الحاصل المذكور قهوة متخربة، فتسلق إليها بعض الحرامية ونقبوا الحاصل وأخذوا منه صندوقاً في داخله اثنا عشر ألف بندقي عنها ثلاثون ألف ريال في ذلك الوقت، وفيه من غير جنس البندقي أيضاً ذهب ودراهم وثياب حرير وطرح النساء المحلاوي التي يقال لها الحبر. وبعد أيام قبضوا على رجلين أحدهما فطاطري والآخر مخللاتي بتعريف الخفراء بعد حبسهم ومعاقبتهم، فأخذوا منهما شيئاً واستمرا محبوسين.
وفي عشرينه حضر أيوب بك ولاجين بك وأحمد بك من ناحية قبلي ودخلوا بيوتهم بالمنهوبات والمواشي وتأخر مصطفى بك.
وفي يوم الثلاثاء سابع عشرينه هبت رياح عاصفة جنوبية نسفت رمالاً وأتربة مع غيم مطبق وأظلم منها الجو واستمرت من الظهر إلى الغروب.
وفي يوم الخميس تاسع عشرينه حضر مصطفى بك أيضاً.
وفي غرة شهر رجب عزم مراد بك على التوجه إلى سد خليج منوف المعروف بالفرعونية وكان منذ سنين لم يحبس واندفع إليه الشرقي حتى هور وشرق بسببه بحر دمياط وتعطلت مزارع الأرز.
وفيه وصلت الأخبار من ثغر الإسكندرية بأنه ورد إليها مركب البيليك وذلك على خلاف العادة، وذلك أن مراكب البيليكات لا تخرج إلا بعد روز خضر، ثم حضره عقيبه أيضاً قليون آخر وفيه أحمد باشا والي جدة، ثم تعقبهما آخر وفيه وغلال كثيرة نقلوها إلى الثغر وشرعوا في عملها بقسماطاً، فكثر اللغط بمصر بسبب ذلك.
وفي عاشره ورد ططري من البر وقابجي من البحر ومعهما مكاتبات قرئت بالديوان يوم الخميس ثاني عشرة، مضمونها طلب الخزائن المنكسرة وتشهيل مرتبات الحرمين من الغلال والصرر في السنين الماضية، واللوم على عدم زيارة المدينة. وفيه الحث والوعد والوعيد والأمر بصرف العلوفات وغلال الأنبار. وفيه المهلة ثلاثون يوماً. فكثر لغط الناس والقال والقيل وأشيع ورود

مراكب أخر إلى ثغر سكندرية، وأن حسن باشا القبطان واصل أيضاً في أثر ذلك وصحبته عساكر محاربون.

وفيه حضر معلم ديوان الإسكندرية قيل أنه هرب ليلاً، ثم أن إبراهيم بك أرسل يستحث مراد بك في الحضور من سد الفرعونية ثم بعث إليه علي أغا كتخدا جاووجان والمعلم إبراهيم الجوهري وسليمان أغا الحنفي وحسن كتخدا الجربان وحسن أفندي شقبون كاتب الحوالة سابقاً وأفندي الديوان حالاً، فأحضروه إلى مصر في يوم الثلاثاء، و لم يتم سد الترعة بعد أن غرق فيها عدة مراكب ومراسي حديد وأخشاب أخذوها من أربابها من غير ثمن، وفرد على البلاد الأموال وقبض أكثرها، وذهب ذلك جميعه من غير فائدة. ثم أن الأمراء عملوا جمعيات وديواناً ببيت إبراهيم بك، وتشاوروا في تنجيز الأوامر. وفي أثناء ذلك تشحطت الغلال وارتفع القمح من السواحل والعرصات وغلا سعره وقل وجوده حتى امتنع بعي الخبز من الأسواق، وأغلقت الطوابين. فترل سليم أغا وهجم المخازن وأخرج الغلال وضرب القماحين والمتسببين ومنعهم من زيادة الأسعار، فظهر القمح والخبز بالأسواق وراق الحال وسكنت الأقاويل.

وفي هذا الشهر، أعني شهر رجب حصلت عدة حريقات، منها حريقتان في ليلة واحدة. إحداهما بالأزبكية وأخرى بخطتنا بالصنادقية. وظهرت النار من دكان رجل صناديقي وهي مشحونة بالأخشاب والصناديق المدهونة عند خان الجلاية، فرعت النار في الأخشاب ووجت في ساعة واحدة وتعلقت بشبابيك الدور، وذلك بعد حصة من الليل، وهاج الناس والسكان وأسرعوا بالهدم وصب المياه وأحضر الوالي القصارين حتى طفئت.

وفيه أيضاً من الحوادث المستهجنة أن امرأة تعلقت برجل من المجاذيب يقال له الشيخ علي البكري مشهور ومعتقد عند العوام، وهو رجل طويل حليق اللحية يمشي عرياناً وأحياناً يلبس قميصاً وطاقية. ويمشي حافياً، فصارت هذه المرأة تمشي خلفه أينما توجه وهي بإزارها وتخلط في ألفاظها وتدخل معه إلى البيوت وتطلع الحريمات، واعتقدها النساء وهادوها بالدراهم والملابس وأشاعوا أن الشيخ لحظها وجذبها، وصارت من الأولياء، ثم ارتقت في درجات الذب وثقلت عليها الشربة فكشفت وجهها ولبست ملابس كالرجال ولازمته أينما توجه، ويتبعهما الأطفال والصغار وهوام العوام، ومنهم من اقتدى بهما أيضاً ونزع ثيابه وتخجل في مشيه، وقالوا أنه اعترض على الشيخ والمرأة، فجذبه الشيخ أيضاً وأن الشيخ لمسه فصار من الأولياء. وزاد الحال وكثر خلفهم أوباش الناس والصغار وصاروا يخطفون أشياء من الأسواق ويصير لهم في مرورهم ضجة عظيمة، وإذا جلس الشيخ في مكان وقف الجميع وازدحم الناس للفرجة عليه، وتصعد المرأة على دكان أو علوة وتتكلم بفاحش القول ساعة بالعربي ومرة بالتركي، والناس تنصت لها ويقبلون يدها ويتبركون بها وبعضهم يضحك ومنهم من يقول الله الله، وبعضهم يقول دستور يا أسيادي، وبعضهم يقول لا تعترض بشيء. فمر الشيخ في بعض الأوقات على مثل هذه الصورة والضجة ودخلوا من باب بيت القاضي الذي من ناحية بين القصرين، وبتلك العكفة سكن بعض الأجناد يقال له جعفر كاشف، فقبض على الشيخ وأدخله إلى داره ومعه المرأة وباقي المجاذيب، فأجلسه وأحضر له شيئاً يأكله وطرد الناس عنه وأدخل المرأة والمجاذيب فضربهم وعزرهم ثم أرسل المرأة إلى المارستان وربطها عند المجانين، وأطلق باقي المجاذيب بعد أن استغاثوا وتابوا ولبسوا ثيابهم وطارت الشربة من رؤوسهم، وأصبح الناس يتحدثون بقصتهم. واستمرت المرأة محبوسة بالمارستان حتى حدثت الحوادث فخرجت وصارت شيخة على انفرادها، ويعتقدها الناس والنساء، وجمعت عليها الجمعيات

وموالد وأشباه ذلك.

وفيه ورد الخبر من الديار الشامية بحصول طاعون عظيم في بلادهم، حصل عندهم أيضاً قحط وغلاء في الأسعار.

وفي يوم الثلاثي ثاني شهر شعبان، ركب سليم أغا في عصريته إلى جامع السلطان حسن بن قالون الذي بسوق السلاح، وأحضر معه فعلة وفتح باب المسجد المسدود وهو الباب الكبير الذي من ناحية سوق السلاح، فهدموا الدكاكين التي حدثت أسفله والبناء الذي بصدر الباب، وكان مدة سده في هذه المرة إحدى وخمسين سنة، وكان سببها المقتلة التي قتل بها الأحد عشر أميراً ببيت محمد بك الدفتردار في سنة تسع وأربعين، وتقدم ذكرها في أول التاريخ. وسبب فتحه أن بعض أهل الخطة تذاكر مع الأغا في شأنه وأعلمه بحصول المشقة على الناس المصلين في الدخول إليه من باب الرملية، وربما فاقم حضور الجماعة في مسافة الذهاب، وأن الأسباب التي سد الباب من أجلها قد زالت وانقضت ونسيت، فاستأذن سليم أغا إبراهيم بك ومراد بك في فتحه فأذنا له ففتحه، وصنع له باباً جديداً عظيماً وبنى له سلالم ومصاطب، وأحضر نظاره وأمرهم بالصرف عليه، ويأتي هو في كل يوم يباشر العمل بنفسه، وعمروا ما تشعث منه ونظفوا حيطانه ورخامه، وظهر بعد الخفاء وازدحم الناس للصلاة فيه، وأتوا إليه من الأماكن البعيدة.

وفي يوم الجمعة خامسه توفي مصطفى بك المرادي المجنون.

وفي عشرين شعبان كثر الأرجاف بمجيء مراكب الإسكندرية وعساكر وغير ذلك.

وفي يوم السب خامس رمضان حضر واحد أغا من الديار الرومية وعلى يده مكاتبة بالحث على المطلوبات المتقدم ذكرها، فطلع الأمراء إلى القلعة ليلاً واجتمعوا بالباشا وتكلموا مع بعضهم كلاماً كثيراً، وقال مراد بك للباشا: ليس لكم عندما إلا حساب، أمهلونا إلى بعد رمضان وحاسبنا على جميع ما هو في طرفنا نورده، وأرسل إلى من وصل الإسكندرية يرجعون إلى حيث كانوا وإلا فلا نشهل حجاً ولا صرة ولا ندفع شيئاً. وهذا آخر الكلام كل ذلك وإبراهيم بك يلاطف كلاً منهما، ثم اتفقوا على كتابة عرضحال من الوجاقلية والمشايخ ويذكر فيه أنهم أقلعوا وتابوا ورجعوا عن المخالفة والظلم والطريق التي ارتكبوها وعليهم القيام باللوازم، وقرروا على أنفسهم مصلحة يقومون بدفعها لقبطان باشا والوزير وباشة جدة، وقدرها ثلثمائة وخمسون كيساً، وقاموا على ذلك ونزلوا إلى بيوتهم.

وفي ليلة الاثنين، جمع إبراهيم بك المشايخ وأخبرهم بذلك الاتفاق وشرعوا في كتابة العرضحالات أحدها للدولة وآخر لقبطان باشا بالمهلة حتى يأتي الحواب وآخر لباشة جدة الذي في الإسكندرية.

وفي صبحها، وردت مكاتبة من أحمد باشا الجزاء يخبر فيها بالحركة والتحذير وأخبار بورود مراكب أخرى بإسكندرية، ومراكب وصلت إلى دمياط فزار اللغط والقال والقيل.

وفيه ركب سليم أغا مستحفظان ونادى في الأسواق على الأروام والقليونجية والأتراك، بأنهم يسافرون إلى بلادهم، ومن وجد منهم بعد ثلاثة أيام قتل.

وفيه اتفق رأي إبراهيم بك ومراد بك أنهم يرسلون لاجين بك ومصطفى بك السلحدار إلى رشيد لأجل المحافظة والاتفاق مع عرب الهاندي ويطلبون أحمد باشا والي جدة ليأتي إلى مصر ويذهب إلى منصبه. فسافروا في ليلة الخميس عاشر رمضان. وفي

تلك الليلة ركب إبراهيم بك بعد الإفطار وذهب إلى مراد بك وجلس معه ساعة، ثم ركبا جميعاً وطلعا إلى القلعة، وطلع أيضاً المشايخ باستدعاء من الأمراء وهم الشيخ البكري والشيخ السادات والشيخ العروسي والشيخ الدردير والشيخ الحرير وقابلوا الباشا، وعرضوا عليه العرضحالات. وكان المنشئ لبعضها الشيخ مصطفى الصاوي وغيره، فأعجبهم إنشاء الشيخ مصطفى وأمروا بتغيير ما كان من إنشاء غيره. وانخضع مراد بك في تلك الليلة للباشا جداً وقبل أتكه وركبتيه، ويقول له: يا سلطانم نحن في عرضك في تسكين هذا الأمر ودفعه عنا، ونقوم بما علينا ونرتب الأمور وننظم الأحوال على القوانين القديمة. فقال الباشا: ومن يضمنكم ويتكفل بكم؟ قال: أنا الضامن لذلك، ثم ضماني على المشايخ والاختيارية.

وفي ليلة الأحد ثالث عشرة وصلت الأخبار بوصول حسن باشا القبطان إلى ثغر الإسكندرية، وكان وصوله يوم الخميس عاشره قبل العصر، وصحبته عدة مراكب، فزاد الاضطراب وكثر اللغط. فتمموا أمر العرضحالات وأرسلوها صحبة سلحدار الباشا والططري وواحد أغا، ودفعوا لكل فرد منهم ألف ريال وسافروا من يومهم.

وفيه وردت الأخبار بأن مشايخ عرب الهنادي والبحيرة ذهبوا إلى الإسكندرية وقابلوا أحمد باشا الجداوي، فألبسهم خلعاً وأعطاهم دراهم وكذلك أهل دمنهور.

وفيه حضر صدقات من مولاي محمد صاحب المغرب، ففرقت على فقراء الأزهر وخدمة الأضرحة والمشايخ المفتين والشيخ البكري والشيخ السادات والعمريين على يد الباشا بموجب قائمة ومكاتبة.

وفي يوم الثلاثاء، حضر مصطفى جربجي باش سراجين مراد بك سابقاً وسردر ثغر رشيد حالاً، وكان السبب في حضوره أنه حضرت إلى رشيد أحد القباطين وصحبته عدة وافرة من العسكر، فطلع إلى بيت السردار المذكور وأعطاه مكاتبة من حسن باشا خطاباً للأمراء بمصر وأمره بالتوجه بها، فحضر بتلك المكاتبة مضمونها التطمين ببعض ألفاظ.

وفيه اتفق رأي الأمراء على إرسال جماعة من العلماء والوجاقلية إلى حسن باشا، فتعين لذلك الشيخ أحمد العروسي والشيخ محمد الأمير والشيخ محمد الحريري ومن الواجقلية اسمعيل أفندي الخلوتي وإبراهيم أغا الورداني، وذهب صحبتهم أيضاً سليمان بك الشابوري وأرسلوا صحبتهم مائة فرد بن ومائة قنطار سكر وعشر بقج ثياب هندية وتفاصيل وعوداً وعنبراً وغير ذلك، فسافروا في يوم الجمعة ثامن عشر رمضان على أنهم يجتمعون به ويكلمونه ويسألونه عن مراده ومقصده، ويذكرون له امتثالهم وطاعتهم وعدم مخالفتهم ورجوعهم عما سلف من أفاعيلهم، ويذكرونه حال الرعية وما توجبه الفتن من الضرر والتلف.

وفي يوم السب حضر تفكجي باشا من طرف حسن باشا وذهب إلى إبراهيم بك وأفطر معه وخلع عليه خلعة سمور، وأعطاه مكاتبات، وكان صحبته محمد أفندي حافظ من طرف إبراهيم بك أرسله الأمراء قبل بأيام، عندما بلغهم خبر القادمين ليستوعب الأحوال، ثم أن ذلك التفكجي جلس مع إبراهيم بك حصة من الليل وذهب إلى محله، وحضر علي أغا كتخدا الجاويشية فركب مع إبراهيم بك وطلعا إلى الباشا في سادس ساعة من الليل، ثم نزلا، وسافر التفكجي في صبحها وصحبته الحافظ. وكان فيما جاء به ذلك التفكجي طلب إبراهيم بك أمير الحاج فلم يرض بالذهاب، وكان لا جين بك ومصطفى بك لما سافرا للمحافظة بعد التوبة بيومين فعلوا أفاعيلهم بالبلاد وطلبوا الكلف وحرقوا وردان، فضجت أهالي البلاد وذهبوا إلى عرضي حسن باشا وشكوا ما نزل بهم، فأخذ بخواطرهم وكتب لهم فرماناً برفع الخراج عنهم سنتين، وأرسل مع ذلك

التفكجي العتاب واللوم في شأن ذلك.
وفي تلك الليلة ذهب سليم أغا إلى ناحية باب الشعرية وقبض على الحافظ اسحق وأخذه على صورة أرباب الجرائم من أسافل الناس وذهب به إلى بولاق فلحقه مصطفى بك الإسكندراني ورده.

وفي يوم الاثنين، وصلت الأخبار بورود حسن باشا إلى ثغر رشيد يوم الأربعاء سادس عشرة، وأنه كتب عدة فرمانات بالعربي وأرسلها إلى مشايخ البلاد وأكابر العربان والمقادم، وحق طريق المعينين بالفرمانات ثلاثون نصفاً فضة لا غير وذلك من نوع الخداع والتحيل وجذب القلوب، مثل قولهم أنهم يقرروا مال الفدان سبعة أنصاف ونصف نصف، حتى كادت الناس تطير من الفرح وخصوصاً الفلاحين لما سمعوا ذلك. وأنه يرفع الظلم ويمشي على قانون دفتر السلطان سليمان وغير ذلك. وكان الناس يجهلون أحكامهم، فمالت جميع القلوب إليهم وانحرفت عن الأمراء المصرية وتمنوا سرعة زوالهم. وصورة ذلك الفرمان وهو الذي أرسل إلى أولاد حبيب من جملة ما أرسل: "صدر هذا الفرمان الشريف الواجب القبول والتشريف، من ديوان حضرة الوزير المعظم والدستور المكرم عالي الهمم، وناصر المظلوم على من ظلم، مولانا العزيز غازي حسن باشا ساري عسكر السفر البحري المنصور حالاً ودونانمة همايون أيدت سيادته السنية وزادت رتبته العلية إلى مشايخ العرب أولاد حبيب بناحية دجوة وفقهم الله تعالى، نعرفكم أنه بلغ حضرة مولانا السلطان نصره الله ما هو واقع بالقطر المصري من الجور والظلم للفقراء وكافة الناس، وأن سبب هذا خائنون الدين إبراهيم بك ومراد بك وأتباعهم، فتعينا بخط شريف من حضرة مولانا السلطان أيده الله بعساكر منصورة بحراً لدفع الظلم ولإيقاع الانتقام من المذكورين، وتعين عليهم عساكر منصورة براً بساري عسكر عليهم من حضرة مولانا السلطان نصره الله، وقد وصلنا إلى ثغر إسكندرية ثم إلى رشيد في سادس عشر رمضان، فحررنا لكم هذا الفرمان لتحضروا تقابلونا وترجعوا إلى أوطانكم مجبورين مسرورين، إن شاء الله تعالى، فحين وصوله إليكم تعملوا به وتعتمدوه، والحذر ثم الحذر المخالفة وقد عرفناكم". ثم أن الأمراء زاد قلقهم واجتمعوا في ليلتها ببيت إبراهيم بك وعملوا بينهم مشورة في هذا الأمر الذي دهمهم وتحققوا اتساع الخرق، والنيل آخذة في الزيادة، فعند ذلك تجاهروا بالمخالفة وعزموا على المحاربة، واتفق الرأي على تشهيل تجريدة وأميرها مراد بك فيذهبون إلى جهة فوة ويمنعون الطريق ويرسلون إلى حسن باشا مكاتبات بتحرير الحساب والقيام بغلاق المطلوب، ويرجع من حيث أتى. فإن امتثل وإلا حاربناه، وهذا آخر الكلام. ثم جمعوا المراكب وعبوا الذخيرة والبقسماط وذلك كله في يوم الثلاثاء والأربعاء، ونقلوا عزالهم ومتاعهم من البيوت الكبار إلى أماكن لهم صغار جهة المشهد الحسيني والشنواني والأزهر، وعطلوا القناديل والتعاليق المعدة لمهرجان رمضان، وزاد الإرجاف وكثر اللغط ولاحت عليهم لوائح الخذلان ورخص أسعار الغلال بسبب بيعهم الغلال المخزونة عندهم.
وفي يوم الخميس رابع عشرينه خرج مراد بك والأمراء المسافرون معه إلى ناحية بولاق وبرزوا خيامهم، وعدوا في ليلتها إلى برانبابة ونصبوا وطاقهم هناك. وتعين للسفر صحبة مراد بك مصطفى بك الداوودية الذي عرف بالإسكندراني ومحمد بك الألفي وحسين بك الشفت ويحيى بك وسليمان بك الأغا وعثمان بك الشرقاوي وعثمان بك الأشقر، وركب إبراهيم بك بعد المغرب وذهب إليهم وأخذ بخاطرهم ورجع، فأقاموا في برانبابة يوم الجمعة حتى تكامل خروج العسكر، وأخذ مراد بك ما احتاجه من ملائل الحج جمالاً وبقسماطاً وغيره حتى الذي قبض من مال الصرة، وأرسلوا في ليلتها على أغا كتخدا الجاويشية

وسليمان أغا الحنفي إلى الباشا وطلبوا منه الدراهم التي كانوا استخلصوها من مصطفى بك أمير الحاج وأودعوها عند الباشا، فدفعها لهم بتمامها.

وفي يوم السب سادس عشرينه سافر مراد بك من برانبابة وأصحب ليكون سفيراً بينه وبين قبطان باشا.

وفي ليلة الاثنين ثامن عشرينه، سافر مصطفى بك الكبير أيضاً ولحق بمراد بك.

وفي ليلة الثلاثاء، حضر المشايخ ومن معهم من ثغر رشيد فوصولا إلى بولاق بعد العشاء، وباتوا هناك وذهبوا إلى بيوتهم في الصباح. فأخبروا أنهم اجتمعوا على حسن باشا ثلاث مرات الأولى للسلام فقابلهم بالإجلال والتعظيم وأمر لهم بمكان نزلوا فيه ورتب لهم ما يكفيهم من الطعام المهيأ في الإفطار والسحور، ودعاهم في ثاني يوم وكلمهم كلمات قليلة، وقال له الشيخ العروسي: يا مولانا رعية مصر قوم ضعاف وبيوت الأمراء مختلطة ببيوت الناس. فقال: لا تخشوا من شيء فإن أول ما أوصاني مولانا السلطان أوصاني بالرعية، وقال إن الرعية وداعة الله عندي وأنا استودعتك ما أودعنيه الله تعالى. فدعوا له بخير ثم قال: كيف ترضون أن يملككم مملوكان كافران وترضونهم حكاماً عليكم يسومونكم العذاب والظلم، لماذا لم تجتمعوا عليهم وتخرجوهم من بينكم. فأجابه اسمعيل أفندي الخلوتي بقوله يا سلطانم هؤلاء عصبة شديدو البأس ويد واحدة. فغضب من قوله ونهره وقال: تخوفني ببأسهم، فاستدرك وقال: إنما أعني بذلك أنفسنا لأنهم بظلمهم أضعفوا الناس. ثم أمرهم بالانصراف. واجتمعوا عليه مرة ثالثة بعد صلاة الجمعة فاستأذنوه في السفر ثم تركهم يومين وكتب لهم مكاتبات وسلمها ليد سليمان بك الشابوري وأمرهم بالانصراف، فودعوه وساروا وأخفيت تلك المكاتبات.

وفي غاية رمضان أرسل الباشا عدة أوراق إلى أفراد المشايخ وذكر أنها وردت من صدر الدولة، وأما العرضحالات التي أرسلوها صحبة السلحدار والططري فإنهما لما وصلا إلا إسكندرية واطلع عليها حسن باشا حجزها ومنه المراسلة إلى اسلامبول، وقال: أنا دستور مكرم والأمر مفوض إلي في أمر مصر. وسأل السلحدار عن الأوراق التي من صدر الدولة هل أرسلها الباشا إلى أربابها فأخبره أنه خاف من أظارها، فاشتد غضبه على الباشا وسبه بقوله: خائن منافق. فلما رجع السلحدار في تاريخه وأخبر الباشا فعند ذلك أرسلها كما تقدم.

وفي ثاني شوال أشيع مرد بك ملك مدينة فوة وهرب من بها من العسكر ووقع بينهم مقتلة عظيمة، وأنه أخذ المراكب التي وجدها على ساحلها ثم ظهر عدم صحة ذلك.

وفي يوم السبت، نزلت الكسوة من القلعة على العادة إلى المشهد الحسيني وركب إبراهيم بك الكبير وإبراهيم بك أمير الحاج إلى قراميدان، ونزل الباشا كذلك وأكد على أمير الحاج في التشهيل فاعتذر إليه بتعطيل الأسباب فوعده بالمساعدة.

وفي يوم الأحد أشاعوا إشاعة مثل الأولى مصطنعة وأظهروا البشر والسرور، وركب إبراهيم بك في ذلك اليوم وذهب إلى الشيخ البكري وعيد عليه ثم إلى الشيخ العروسي والشيخ الدردير، وصار يحكي لهم. وتصاغر في نفسه جداً وأوصاهم على المحافظة وكف الرعية عن أمر يحدثوه أو قومة أو حركة في مثل هذا الوقت، فإنه كأنه يخاف ذلك جداً، وخصوصاً لما أشيع أمر الفرمانات التي أرسلها الباشا للمشايخ وتسامع بها الناس.

وفي وقت ركوب إبراهيم بك من بيت الشيخ البكري حصلت زعجة عظيمة ببركة الأزبكية، وسببها أن مملوكاً أسود ضرب

رجلاً من زراع المقاتي فجرحه، فوقع الصياح من رفقائه واجتمع عليه خلق كثير من الأوباش، وزاد الحال حتى امتلأت البركة من المخلوقات، وكل منهم يسأل عن الخبر من الآخر ويختلقون أنواعاً من الأكاذيب. فلما رجع إبراهيم بك إلى داره أرسل من طرد الناس وفحصوا عن أصل القضية وفتشوا على الضارب فلم يجدوه، فأخذوا المضروب فطيبوا خاطره وأعطوه دراهم.

وفيه أرسل مراد بك بطلب ذخيرة وبقسماط وركب أيوب بك الصغير وذهب إلى مصر العتيقة وعثمان بك الطنبرجي إلى بولاق ونزلوا جملة مدافع، ومناه الغضبان وأبو مايلة، وكان أيوب بك هذا متمرضاً مدة شهور ومنقطعاً في الحريم فغرق وشفي في ساعة واحدة.

وفي يوم الاثنين، كان مولد السيد أحمد البدوي ببولاق وكراء مشايخ الأشاير المراكب ليسافروا فيها فأخذوها بأجمعها لأجل الذخيرة والمدافع ووسقوها وأرسلوا منها جملة.

وفي ليلة الثلاثاء حضرت مراكب من مراكب الغائبين وفيها مماليك ومجاريح وأجناد، وأخبروا بكسرة مراد بك ومن معه، وأصبح الخبر شائعاً في المدينة وثبت ذلك، ورجعت المراكب بما فيها وأخبروا عما وقع، وهو أنه لما وصل مراد بك إلى الرحمانية عدى سليمان بك الأغا وعثمان بك الشرقاوي والألفي إلى البر الشرقي فحصل بينهم اختلاف وغضب بعضهم ورجع القهقرى، فكان ذلك أول الفشل. ثم تقدموا إلى محلة العلويين فأخلوا منها الأروام فدخلوا إليها وملكوها وأرسلوا إلى مراد بك يطلبون منه الإمداد، فأمر بعض الأمراء بالتعدين إليهم فامتنعوا وقالوا نحن لا نفارقك ونموت تحت أقدامك، فحنق منهم وأرسل عوضهم جماعة من العرب، ثم ركبوا وقصدوا أن يتقدموا إلى فوة فوجدوا أمامهم طائفة من العسكر ناصبين متاريس فلم يمكنهم التقدم لوعر الطريق وضيق الجسر وكثرة القنى ومزارع الأرز فتراموا بالبنادق، فرمح سليمان بك فعثر بقناة وسقط، فحصلت فيهم ضجة وظنوها كسرة فرجعوا القهقرى ودخل الرعب في قلوبهم، ورجعت عليهم العرب ينهبونهم. فعدوا إلى البر الآخر وكان مراد بك مستقراً في مكان توصل إليه من طريق ضيقة لا تسع إلا الفارس بمفرده، فأشاروا عليه بالانتقال من ذلك المكان، وداخلهم الخوف وتخيلوا تخيلات. وما زالوا في نقض وإبرام إلى الليل ثم أمر بالارتحال، فحملوا حملاتهم ورجعوا القهقرى وما زالوا في سيرهم وأشيع فيهم الانهزام وتطايرت الأخبار بالكسرة، وتيقن الناس أن هذا أمر إلهي ليس بفعل فاعل.

وفي ذلك اليوم حصلت كرشة من ناحية الصاغة وسببها عدب مملوك أراد الركوب على حمار بعض المكارية فازدحموا عليه الحمارة ورمحوا خلفه، فصارت كرشة ورمحت الصغار فأغلقوا الدكاكين بالأشرفية والغورية والعقادين وغير ذلك، ثم تبين أن لا شيء ففتح الناس الدكاكين.

وفي ذلك اليوم، حضر أنا من المماليك مجاريح وزاد الأرجاف، فنزل الباشا وقت الغروب إلى باب العزب، وأراد إبراهيم بك أن يملك أبواب القلعة فلم يتمكن من ذلك. وأرسل الباشا فطلب القاضي والمشايخ فطلع البعض وتأخر البعض إلى الصباح، وبات السيد البكري عند الباشا بباب العزب وكان له بها مندوحة ذكرها بعد ذلك الباشا لحسن باشا وشكره عليها وأحبه، وذهب للسلام عليه عند قدومه دون غيره من بقية المشايخ فلما أصبح نهار الأربعاء طلعوا بأجمعهم وكذلك جماعة الوجاقلية، ونصب الباشا البيرق على باب العزب ونزل جاويش مستحفظان وجاويش العزب وأمامهم القابجية والمناداة على الألضاشات وغيرهم، وكل من كان طائعاً لله وللسلطان يأتي تحت البيرق، فطلع عليه جميع الألضاشات والتجار وأهل خان الخليلي وعامة

الناس، وظهرت الناس المخفيون والمستضعفون والذين أنحلهم الدهر والذي لم يجد ثياب زيه استعار ثياباً وسلاحاً حتى امتلأت الرميلة وقراميدان من الخلائق، وأرسل محمد باشا يستحث حسن باشا في سرعة القدوم ويخبره بما حصل، وكان قصد حسن باشا التأخر حتى يسافر الحاج وتأتي العساكر البرية فاقتضى الحال ولزم الأمر في عدم التأخر. وأما إبراهيم بك فإنه اشتغل في نقل عزاله ومتاعه بطول الليل في بيوته الصغار، فلم يترك إلا فرش مجلسه الذي هو جالس فيه، ثم إنه جلس ساعة وركب إلى قصر العيني وجلس به. وأما إبراهيم بك أمير الحج فإنع طلع إلى باب العزب وطلب الأمان فأرسل له الباشا فرماناً بالأمان وأذن له في الدخول، وكذلك حضر أيوب بك الكبير وأيوب بك الصغير وكتخدا الجاويشية وسليمان بك الشابوري وعبد الرحمن بك عثمان وأحمد جاويش المجنون ومحمد كتخدا أزنور ومحمد كتخدا أباظة وجماعة كثيرة من الغز والأجناد، وكذلك رضوان بك بلفيا، فكان كل من حضر لطلب الأمان فإن كان من الأمراء الكبار فإنه يقف عند الباب ويطرقه ويطلب الأمان ويستمر واقفاً حتى يأتيه فرمان الأمان ويؤذن له في الدخول من غير سلاح، وإن كان من الأصاغر فإنه يستمر بالرميلة أو قراميدان أو يجلس على المساطب. فلما تكامل حضور الجميع أبرز الباشا خطاً شريفاً وقرأه عليهم وفيه المأمورات المتقدم ذكرها وطلب إبراهيم بك ومراد بك فقط وتأمين كل من يطلب الأمان.

واستمر أمير الحج على منصبه، ثم إنه خلع على حسن كاشف تابع حسن بك قصبة رضوان وقلده أغاة مستحفظان، وخلع على محمد كتخدا أزثور وقلده الزعامة، وقلد محمد كتخدا أباظة أمين احتساب، ونزلوا إلى المدينة ونادوا بالأمان والبيع والشراء، وكذلك نزل الأمراء إلى دورهم ما عدا إبراهيم بك أمير الحاج فإن الباشا عوقه عنده ذلك اليوم. وكذلك أذنوا للناس بالتوجه إلى أماكنهم بشرط الاستعداد والإجابة وقت الطلب، ولم يتأخر إلا المحافظون على الأبواب. وأما مراد بك فإنه حضر إلى برانبابة واستمر هناك ذلك اليوم، ثم ذهب في الليل إلى جزيرة الذهب وركب إبراهيم بك ليلاً وذهب إلى الآثار.
وفي عصر ذلك اليوم نزل الآغا ونبه على الناس بالطلوع إلى الأبواب.
وفيه حضر سليمان بك الأغا وطلب الأمان فأعطوه فرمان الأمان، وذهب إلى بيته وأصبح يوم الخميس فترلت القابجية ونبهت على الناس بالطلوع، فطلعوا واجتمعت الخلائق زيادة على اليوم الأول وحضر أهالي بولاق ونزل الأغا فنادى بالأمن والأمان.
وفي ذلك اليوم قبل العصر، ركب عثمان خزاندار مراد بك سابقاً وذهب إلى سيده وكان من جملة من أخذ فرماناً بالأمان، فلما نزل إلى داره أخذ ما يحتاجه وذهب، فلما بلغ الباشا هروبه اغتاظ من فعله. ثم إن الباشا تخيل من إبراهيم بك أمير الحاج فأمره بالترول إلى بيته فترل إلى جامع السلطان حسن وجلس به فأرسل له الباشا بالذهاب إلى مترله فذهب.
وفي صبح ثاني يوم، ركب سليمان بك وأيوب بك الكبير والصغير وخرجوا إلى مضرب النشاب وركب إبراهيم بك أمير الحاج وذهب إلى بولاق وأحب أن يأخذ الجمال من المناخ فمنعه عسكر المغاربة، ثم ذهب عند رفقائه بمضرب النشاب، فلما بلغ الباشا ذلك أرسل لهم فرماناً بالعودة، فطردوا الرسول ومزقوا الفرمان وأقاموا بالمصاطب حتى اجتمعت عليهم طوائفهم وركبوا لحقوا بإخوانهم، فلما حصل ذلك اضطربت البلد وتوهموا صعودهم على الجبل بالمدافع ويضربوا على القلعة وغير ذلك من التوهمات، وركب قائد أغا بعد صلاة الجمعة وعلي أغا خازندار مراد بك سابقاً وصحبتهم جملة من المماليك والعسكر، وهم بالطرابيش وبيدهم مكاحل البندق والقرابينات وفتائلها موقودة، فوصلوا إلى الرميلة فضربوا عليهم مدفعين، فرجعوا إلى

ناحية الصليبة ونزلوا إلى باب زويلة ومروا على الغورية والأشرفية وبين القصرين، وطلعوا من باب انصر وأمامهم المناداة أمان واطمئنان حكم ما رسم إبراهيم بك ومراد بك وحكم الباشا بطال، فلما سمع الناس ذلك ورأوه على تلك الصورة انزعجوا وأغلقوا الدكاكين المفتوحة وهاجت النفوس وحاصوا حيصة عظيمة، وكثر فيه اللغط. ولما بلغ الباشا هروب المذكورين حصن القلعة والمحمودية والسلطان حسن وأرسل الأغا فنادى على الألضاشات بالطلوع إلى القلعة.

وفي تلك الليلة ضرب المنسر كفر الطماعين ونهبوا منه عدة أماكن، وقتل بينهم أشخاص وانقطعت الطرق حتى إلى بولاق ومصر القديمة، وصارت التعرية من عند رصيف الخشاب.

وفي يوم السب ركب إبراهيم بك وحسين بك وأتوا إلى المناخ أيضاً، وأرادوا أخذ الجمال فمنعهم المغاربة، وقيل أخذوا منهم جملة وعربدوا في ذلك اليوم عربدة عظيمة من كل ناحية، وأرسل الباشا قبل المغرب فطلب تجار المغاربة فاجتمعوا وطلعوا بعد العشاء وباتوا بالسبيل الذي في رأي الرميلة، وشدد الباشا في اجتماع الألضاشات ومن ينتسب للوجاقات فقيل له أن منهم من لا يملك قوت يومه وسبب تفرقهم الجوع وعدم النفقة، فطلب أغات مستحفظان وأعطاه أربعة آلاف ريال لينفقها فيهم.

وفيه عدى مراد بك من جزيرة الذهب إلى الآثار، وكان إبراهيم بك ركب إلى حلوان وضربها وأحرقها بسبب أن أهل حلوان نهبوا مركباً من مراكبه، ولما عدى مراد بك إلى البر الشرقي أرسل إلى إبراهيم بك فحضر إليه واصطلح معه لأن إبراهيم بك كان مغتاظاً منه بسبب سفرته وكسرته، فإن ذلك كان على غير مراد إبراهيم بك، وكان قصده أنهم يستمرون مجتمعين ومنضمين، وإذا وصل القبطان أخلوا من وجهه إن لم يقدروا على دفعه أو مصالحته وتركوا له البلد ومصيره الرجوع إلى بلاده، فيعودون بعد ذلك بأي طريق كان. وكان ذلك هو الرأي، فلم يمتثل مراد بك وأخذ في أسباب الخروج والمحاربة، و لم يحصل من ذلك الأضياع المال والفشل والانهزام الذي لا حقيقة له، وكان الكائن. ولما اصطلحا تفرقت طوائفهما يعبثون في الجهات ويخطفون ما يجدونه في طريقهم من جمال السقائين وحمير الفلاحين، وبعضهم جلس في مرمى النشاب وبعضهم جهة بولاق ونهبوا نحو عشرين مركباً كانت راسية عند الشيخ عثمان وأخذوا ما كان فيها من الغلال والسمن والأغنام والتمر والعسل والزيت.

وفي يوم الأحد حادي عشرة زاد تنطيطهم وهجومهم على البلد من كل ناحية ويدخلون أحزاباً ومتفرقين، ودخل قائد أغا وأتى إلى بيته الذي كان سكن فيه وسكنه بعده حسن أغا المتولي وهو بيت قصبة رضوان فوجد بابه مغلوقاً فأراد كسره بالبلط فأعياه وخاف من طارق فذهب إلى باب آخر من ناحية القربية، فضرب عليه الحراس بنادق فرجع بقهره يخطف كل ما صادفه، و لم يزالوا على هذه الفعال إلى بعد الظهر من ذلك اليوم.

واشتد الكرب وضاق خناق الناس وتعطلت أسبابهم ووقع الصياح في أطراف الحارات من الحرامية والسراق والمناسر نهاراً، والأغا والوألي والمحتسب مقيمون بالقلعة لا يجسرون على النزول منها إلى المدينة، وتوقع كل الناس نهب البلد من أوباشها. وكل ذلك والمآكل موجودة والغلال معرمة كثيرة بالرقع ورخصت أسعارها والأخباز كثيرة، وكذلك أنواع الكعك والفطير، وأشيع وصول مراكب القبطان إلى شلقان ففرح الناس وطلعوا المنارات والأسطحة العالية ينظرون إلى البحر فلم يروا شيئاً. فاشتد الانتظار وزاغت الأبصار فلما كان بعد العصر سمع صوت مدافع على بعد ومدافع ضربت من القلعة ففرحوا

واستبشروا، وحصل بعض الاطمئنان وصعدوا أيضاً على المنارات فرأوا عدة مراكب ونقاير وصلت إلى قرب ساحل بولاق ففرح الناس وحصل فيهم ضجيج، وكان مراد بك وجماعة من صناجقه وأمرائه قد ذهبوا إلى بولاق وشرعوا في عمل متاريس جهة السبتية وأحضروا جملة مدافع على عجل، وجمعوا الأخشاب وحطب الذرة وأفرادا وغيرها، فوردت مراكب الأروام قبل إتمامهم ذلك، فتركوا العمل وركبوا في الوقت ورجعوا. وضجت الناس وصرخت الصبيان وزغرتت النساء وكسروا عجل المدافع.

وفي هذا اليوم أرسل الأمراء مكاتبة إلى المشايخ والوجاقات يتوسلون بهم في الصلح وأنهم يتوبون ويعودون إلى الطاعة، فقرئت تلك المكاتبات بحضرة الباشا، فقال الباشا: يا سبحان الله كم يتوبون ويعودون ولكن اكتبوا لهم جواباً معلقاً على حضور قبطان باشا. فكتبوه وأرسلوه.

وفي وقت العشاء من ليلة الاثنين وصل حسن باشا القبطان إلى ساحل بولاق وضربوا مدافع لقدومه واستبشر الناس وفرحوا وظنوا أنه مهدي الزمان، فبات في مراكبه إلى الصباح يوم الاثنين ثاني عشر شوال، وطلع بعض أتباعه إلى القلعة وقابلوا الباشا ثم أن حسن باشا ركب من بولاق وحضر إلى مصر من ناحية باب الخرق، ودخل إلى بيت إبراهيم بك وجلس فيه وصحبته أتباعه وعسكره وخلفه الشيخ الأترم المغربي ومعه طائفة من المغاربة، فدخل بهم إلى بيت يحيى بك. وراق الحال وفتحت أبواب القلعة واطمأن الناس ونزل من بالقلعة إلى دورهم وشاع الخبر بذهاب الأمراء المصرية إلى جهة قبلي من خلف الجبل، فسافر خلفهم عدة مراكب وفيها طائفة من العسكر واستولوا على مراكب من مراكبهم وأرسلوها إلى ساحل بولاق وأنقذ حسن باشا رسلاً إلى اسمعيل بك وحسن بك الجداوي يطلبهما للحضور إلى مصر.

وفيه خرجت جماعة من العسكر ففتحوا عدة بيوت من بيوت الأمراء ونهبوها وتبعهم في ذلك الجعيدية وغيرهم، فلما بلغ القبطان ذلك أرسل إلى الوالي والآغا وأمرهم بمنع ذلك وقتل من يفعله ولو من أتباعه. ثم ركب بنفسه وطاف البلد وقتل نحو ستة أشخاص من العسكر وغيرهم وجد معهم منهوبات، فانكفوا عن النهب. ثم نزل على بابا زويلة وشق من الغورية ودخل من عطفة الخراطين على باب الأزهر وذهب إلى المشهد الحسيني فزاره ونظر إلى الكسوة، ثم ركب وذهب إلى بيت الشيخ البكري بالأزبكية فجلس عنده ساعة وأمر بتسمير بيت إبراهيم بك الذي بالأزبكية وبيت مراد بك. ثم ذهب إلى بولاق ورجع بعد الغروب إلى المترل وحضر عنده محمد باشا مخفياً واختلى معه ساعة.

وفي يوم الثلاثاء ذهب إليه مشايخ الأزهر وسلموا عليه وكذلك التجار وشكوا إليه ظلم الأمراء، فوعدهم بخير واعتذر إليهم باشتغاله بمهمات الحج وضيق الوقت وتعطل أسبابه.

وفيه عمل الباشا الديوان وقلد حسن أغا مستحفظان صنجقية وخلع على علي بك جركس الاسمعيلي صنجقية كما كان في أيام سيده اسمعيل بك وخلع على غيطاس كاشف تابع صالح بك صنجقية وخلع على قاسم كاشف تابع أبي صنجقية أيضاً وخلع على مراد كاشف تابع حسن بك الأزبكاوي صنجقية وخلع على محمد كاشف تابع حسين بك كشكش صنجقية، وقلد محمد أغا أونؤد الوالي أغات الجمليان وقلد موسى أغا الوالي تابع علي بك أغات تفكجية، وخلع على باكير أغا تابع محمود بك وجعله أغات مستحفظان، وخلع على عثمان أغا الجلفي وقلده الزعامة عوضاً عن محمد أغا ولما تكامل لبسهم

التفت إليهم الباشا ونصحهم وحذرهم وقال للوجاقلية: الزموا طرائقكم وقوانينكم القديمة ولا تدخلوا بيوت الأمراء الصناجق إلا لمقتضى واكتبوا قوائمكم بتعلقاتكم وعوائدكم أمضيها لكم. ثم قاموا وانصرفوا إلى بيوتهم ونزل الأغا وأمامه المناداة بالتركي والعربي بالأمان على أتباع الأمراء المتوارين والمخفيين، وكل ذلك تدبير وترتيب الاختيارية، وقلدوا من كل بيت أميراً لئلاً يتعصبوا لأنفسهم ولا تتحد أغراضهم.

وفيه أرسل حسن باشا إلى نواب القضاء وأمرهم أن يذهبوا إلى بيوت الأمراء ويكتبوا ما يجدونه من متروكاتهم ويودعوه في مكان من البيت ويختمون عليه ففعلوا ذلك.

وفي تلك الليلة وردت خمس مراكب رومية وضربوا مدافع وأجيبوا بمثلها من القلعة.

وفي يوم الأربعاء ركب حسن باشا وذهب إلى بولاق وهو بزي الدلاة وعلى رأسه هيئة قلبق من جلد السمور ولابس عباءة بطراز ذهب، وكان قبل ذلك يركب بيهئته المعتادة وهي هيئة القباطين وهي فوقانية جوخ صاية بدلاية حرير على صدره وعلى رأسه طربوش كبير يعمم بشال أحمر وفي وسطه سكينة كبيرة وبيده مخصرة لطيفة هيئة حربة بطرفها مشعب حديد على رسم الجلالة.

وفيه نادى الأغا على كل من كان سراجاً بطالاً أو فلاحاً أو قواساً بطالاً يسافر إلى بلده ومن وجد بعد ثلاثة أيام يستحق العقوبة.

وفيه أيضاً نودي على طائفة النصارى بأن لا يركبوا الدواب ولا يستخدموا المسلمين ولا يشتروا الجواري والعبيد، ومن كان عنده شيء من ذلك باعه أو أعتقه وأن يلزموا زيهم الأصلي من شد الزنار والزنوط.

وفيه أرسل حسن باشا إلى القاضي وأمره بالكشف عن جميع ما أوقفه المعلم إبراهيم الجوهري على الديور والكنائس من أطيان ورزق وأملاك، والمقصود من ذلك كله استجلاب الدراهم والمصالح.

وفي يوم الخميس نودي على طائفة النصارى بالأمان وعدم التعرض لهم بالإيذاء وسببه تسلط العامة والصغار عليهم.

وفيه كثر تعدي العساكر على أهل الحرف كالقهوجية والحمامية والمزينين والخياطين وغيرهم، فيأتي أحدهم إلى الحمامي أو القهوجي أو الخياط ويقلع سلاحه ويعلقه ويرسم ركنه في ورقة أو على بابا دكان وكأنه صير شريكه وفي حمايته ويذهب حيث شاء أو يجلس متى شاء، ثم يحاسبه ويقاسمه في المكسب، وهذه عادتهم إذا ملكوا بلدة ذهب كل ذي حرفة إلى حرفته التي كان يحترفها في بلده ويشارك البلدي فيها، فثقل على أهل البلدة هذه الفعلة لتكلفهم مالاً ألفوه ولا عرفوه.

وفيه أجلسوا على أبواب المدينة رجلاً أوده باشا ومعه طائفة من العسكر نحو الثلاثين أو العشرين.

وفيه أعني يوم الخميس الموافق لسادس مسرى القبطي نودي بوفاء النيل فأرسل حسن باشا في صبح يوم الجمعة كتخداه والوالي فكسر السد على حين غفلة وجرى الماء في الخليج، ولم يعمل له موسم ولا مهرجان مثل العادة بسبب القلقة وعدم انتظام الأحوال والخوف من هجوم الأمراء المصرية، فإنهم لم يزالوا مقيمين جهة حلوان.

وفيه نودي بتوقير الأشراف واحترامهم ورفع شكواهم إلى نقيب الأشراف وكذلك المنسوبون إلى الأبواب ترفع إلى وجاقه، وإن كان من أولاد البلد فإلى الشرع الشريف.

وفيه مرت جماعة من العسكر على سوق الورية فخطفوا من الدكاكين أمتعة وأقمشة فهاجت أهل الدكاكين والناس المارون وأغلقوا الحوانيت وثارت كرشة إلى بابا زويلة، وصادف مرور الوالي فقبض على ثلاثة أنفار منهم واستخلص ما بأيديهم وهرب الباقون، وكان الوالي والأغا كل منهما صحبته ضابطان من جنس العسكر.

وفيه نودي بمنع القواسة وأسافل الناس من لبس الشيلان الكشميري والتختم أيضاً.

وفيه وصلت مراكب القباطين الواردين من جهة دمياط إلى ساحل بولاق وفيهم اسمعيل كتخدا حسن باشا فضربت لهم مدافع من القلعة.

وفيه قبضوا على ثلاثة من العسكر أفسدوا بالنساء بناحية الرميلة فرفعوا أمرهم وأمر الخطافين إلى القبطان فأمر يقتلهم، فضربوا أعناق ثلاثة منهم بالرميلة وثلاثة في جهات متفرقة.

وفيه نودي بأبطال العسكر لأهل الحرف ومن أتاه عسكري يشاركه أو أخذ شيئاً بغير حق فليمسك ويضرب وتوثق أكتافه ويؤتى به إلى الحاكم، وحضر الوالي وصحبته الجاويش وقبض على من وجده منهم بالحمامات والقهاوي وطردهم وزجرهم وذلك بسبب تشكي الناس، فلما حصل ذلك اطمأنوا وارتاحوا منهم.

وفيه عدى الأمراء إلى البر الغربي.

وفي يوم السبت خلعوا على محمد بك تابع الجرف وجعلوه كاشفاً على البحيرة.

وفيه جاء الخبر عن الأمراء أن جماعة من العرب نحو الألف اتفقوا أنهم يكبسون عليهم ليلاً ويقتلونهم وينهبونهم، فذهب رجل من العرب وأخبرهم بذلك الاتفاق فأخلوا من خيامهم وركبوا خيولهم وكمنوا بمرأى من وطاقهم، فلما جاءت العربان وجدوا الخيام خالية فاشتغلوا بالنهب، فكبس عليهم الأمراء من كمينهم فلم ينج من العرب إلا من طال عمره.

وفيه نودي على طائفة النساء أن لا يجلسن على حوانيت الصياغ ولا في الأسواق إلا بقدر الحاجة.

وفي يوم الأحد عملوا الديوان وقلدوا مراد بك أمير الحاج وسماه حسن باشا محمداً كراهة في اسم مراد بك، فصار يكتب في الإمضاء محمد بك حسن، وكان هذا اليوم هو ثاني يوم ميعاد خروج المحمل من مصر، فإن معتاده في هذه العصور سابع عشر شوال.

وفي يوم الثلاثاء كتبت فرمانات لشيخ العرب أحمد بن حبيب بخفر البرين والموارد من بولاق إلى حد دمياط ورشيد على عادة أسلافه، وكل ذلك مرفوعاً عنهم من أيام علي بك ونودي له بذلك على ساحل بولاق.

وفيه أخرجت خبايا وودائع للأمراء من بيوتهم الصغار لهم ولأتباعهم وختم أيضاً على أماكن وتركت على ما فيها، ووقع التفتيش والفحص على غيرها، وطلبوا الخفراء فجمعوهم وحبسوهم ليدلوا على الأماكن التي في العطف والحارات، وطلبت زوجة إبراهيم بك وحبست في بيت كتخدا الجاويشية هي وضرتها أم مرزق بك حتى صالحا بجملة من المال والمصاغ خلاف ما أخذ من المستودعات عند الناس، وطولبت زليخا زوجة إبراهيم بك بالتاج الجوهر وغيره، وطلبت زوجة مراد بك فاختفت، وطلب من السيد البكري ودائع مراد بك فسلمها.

وفي يوم الخميس، عمل الباشا ديواناً وخلع على علي أغا كتخدا الجاويشية وقلده صنجقياً ودفتردار وشيخ البلد ومشير الدولة، فصار صاحب الحل والعقد وإليه المرجع في جميع الأمور الكلية والجزئية، وقلد محمد أغا الترجمان وجعله كتخدا الجاويشية

عوضاً عن المذكور، وخلع على سليمان بك الشابوري وقلده صنجقاً كما كان أيضاً في الدهور السالفة، وخلع على محمد كتخدا بن أباظة المحتسب وجعله ترجمانا عوضاً عن محمد أغا الترجمان، وخلع على أحمد أغا بن ميلاد وجعله محتسباً عوضاً عن ابن أباظة.

وفي يوم الجمعة ركب المشايخ إلى حسن باشا وتشفعوا عنده في زوجة إبراهيم بك وذلك بإشارة علي بك الدفتردار فأجابهم بقوله تدفع ما على زوجها للسلطان وتخلص، أزواجهن لهم مدة سنين ينهبون البلاد ويأكلون أموال السلطان والرعية وقد خرجوا من مصر على خيولهم وتركوا الأموال عند النساء، فإن دفعن ما على أزواجهن تركت سبيلهن إلا أذقناهن العذاب. وانفض المجلس وأقاموا وذهبوا.

وفيه ورد الخبر عن الأمراء أنهم ذهبوا إلى أسيوط وأقاموا بها.

وفي يوم السبت حصل التشديد والتفتيش والفحص عن الودائع. ونودي في الأسواق بأن كل من كان عنده وديعة أو شيء من متاع الأمراء الخارجين ولا يظهره ولا يقر عليه في مدة ثلاثة أيام قتل من غير معاودة إن ظهر بعد ذلك.

وفيه طلب حسن باشا من التجار المسلمين والإفرنج والأقباط دراهم سلفة لتشهيل لوازم الحج، وكتب لهم وثائق وأجلهم ثلاثين يوماً ففردوها على أفرادهم بحسب حال كل تاجر وجمعوها.

وفيه حصلت كائنة على بن عياد المغربي ببولاق وقتله اسمعيل كتخدا حسن باشا.

وفيه نادوا على النساء بالمنع من النزول في مراكب الخليج والأزبكية وبركة الرطلي.

وفيه كتبوا مكاتبات من حسن باشا ومحمد باشا الوالي والمشايخ والوجاقات خطاباً لاسمعيل بك وحسن بك الجداوي باستعجالهم للحضور إلى مصر.

وفي يوم الأحد خامس عشرينه نودي على النساء أن لا يخرجن إلى الأسواق ومن خرجت بعد اليوم شنقت فلم ينتهين.

وفيه حضر حسن باشا المطربازية واليسرجية وأخرج جواري إبراهيم بك وباقي الأمراء بيضاً وسوداً وحبوشاً ونودي عليهن بالبيع والمزاد في حوش البيت فبيعوا بأبخس الأثمان على العثمانية وعسكرهم وفي ذلك عبرة لمن يعتبر.

وفي يوم الاثنين أحضروا أيضاً عدة جوار من بيوت الأمراء ومن مستودعات كن مودعات فيها وأخذوا جواري عثمان بك الشرقاوي من بيته ومحظيته التي في بيته الذي عند حيضان المصلى، فأخرجوها بيد القليونجية وكذلك جواري أيوب بك الصغر وما في بيوت سليمان أغا الحنفي من جوار وأمتعة وكذلك بيوت غيره من الأمراء وأحاطوا بعدة بيوت بدرب الميضأة بالصليبة وطليون ودرب الحمام وحارا المغاربة وغيرهم في عدة أخطاط فيها ودائع وأغلال، فاخذوا بعضها وختموا على باقيها، وأحضروا الجواري بين يدي حسن باشا فأمر ببيعهن، وكذلك أمر ببيع أولاد إبراهيم بك مرزوق وعديله والتشديد على زوجاته، ثم إن شيخ السادات ركب إلى الشيخ أحمد الدردير وأرسلوا إلى الشيخ أحمد العروسي والشيخ محمد الحريري فحضروا وتشاوروا في هذا الأمر ثم ركبوا وطلعوا إلى القلعة وكلموا محمد باشا وطلبوا منه أن يتكلم مع قبطان باشا فقال لهم: ليس لي قدرة على منعه ولكن اذهبوا إليه واشفعوا عنده. فالتمسوا منه المساعدة فأجابهم واقل: اسبقوني وأنا أكون في أثركم، فلما دخلوا على القبطان وحضر أيضاً محمد باشا وخاطبوه في شأن ذلك وكان المخاطب له شيخ السادات فقال له: إنا سررنا

بقدومك إلى مصر لما ظنناه فيك من الإنصاف والعدل وأن مولانا السلطان أرسلك إلى مصر لإقامة الشريعة ومنع الظلم وهذا الفعل لا يجوز ولا يحل بيع الأحرار وأمهات الأولاد، ونحو ذلك من الكلام فاغتاظ وأحضر أفندي ديوانه وقال اكتب أسماء هؤلاء لأرسل إلى السلطان وأخبره بمعارضتهم لأوامره، ثم التفت إليهم وقال: أنا أسافر من عندكم والسلطان يرسل لكم خلافي فتنظروا فعله، أما كفاكم أني في كل يوم أقتل من عساكري طائفة على أيسر شيء مراعاة وشفقة ولو كان غيري لنظرتم فعل العسكر في البيوت والأسواق والناس. فاقلوا له إنما نحن شافعون والواجب علينا قول الحق. وقاموا من عنده وخرجوا وتغير خاطره من ذلك الوقت على شيخ السادات.

وفيه قبض اسمعيل كتخدا حسن باشا على الحاج سليمان بن ساسي التاجر وجماعة منن طليون وألزمه بخمسمائة كيس فولول واعتذر بعجزه عن ذلك فلم يقبل ولطمه على وجهه، وشدد عليه فراجعوه وتشفعوا فيه إلى أن قررها مائة كيس، فحلف أنه لا يملك إلا ثلثمائة فرق بن وليس له غيرها، فأرسل وختم عليها في حواصلها واستمر في الاعتقال حتى غلق المائة كيس على نفسه، منها خمسون ومثلها على الطولونية، وسبب ذلك حادثة ابن عياد لأنهم أولاد بلاده.

وفي يوم الثلاثاء سابع عشرينه كان خروج المحمل صحبة أمير الحاج محمد بك المبدول بالموكب على العادة ما عدا طائفة الينكرجية والعزب خوفاً من اختلاط العثمانية بهم، وحضر حسن باشا القبطان إلى مدرسة الغورية لأجل الفرجة والمشاهدة، ولم يزل جالساً حتى مر الموكب والمحمل. ولما مرت عليه طوائف الأشاير فكانت تقف الطائفة منهم تحت الشباك ويقرأون الفاتحة فيرسل لهم ألف نصف فضة في قرطاس، ولما انقضى أمر ذلك ركب بجماعة قليلة وازدحمت الناس للفرجة عليه، وكان لابساً على هيئة ملوك العجم وعلى رأسه تاج من ذهب مزرد مخروط الشكل وعليه عصابة لطيفة من حرير مرصعة بالجوهر ولها ذوائب على آذانه وحواجبه وعليه عباءة لطخ قصب أصفر.

وفي يوم الأربعاء نودي على النصارى واليهود بأن يغيروا أسماءهم التي على أسماء الأنبياء كإبراهيم وموسى وعيسى ويوسف واسحق، وأن يحضروا جميع ما عندهم من الجواري والعبيد، وإن لم يفعلوا وقع التفتيش على ذلك في دورهم وأماكنهم، فصالحوا على ذلك بمال فحصل العفو وأذنوا لهم في أن يبيعوا ما عندهم من الجواري والعبيد ويقبضوا أثمانهم لأنفسهم ولا يستخدموا المسلمين، فأخرجوا ما عندهم وباعوا بعضه وأودعوه عند معارفهم من المسلمين.

وفيه حضر مبشر بتقرير الباشا على السنة الجديدة.

وفيه حضر القاضي الجديد إلى بولاق.

وفي يوم الخميس أرسل حسن باشا القبطان جملة من العسكر البحرية وصحبتهم اسمعيل كتخدا إلى عرب البحيرة لكونهم خامروا مع المصرلية ووقع الخلف بينهم وبين قبليتهم، ثم حضروا مع أخصامهم بين يدي القبطان واصطلحوا ثم نكثوا وتحاربوا مع بعضهم، فحضر الفرقة الأولى واستنجدوا بحسن باشا فأرسل لهم اسمعيل كتخدا بطائفة من العسكر في المراكب فهربوا ورجع اسمعيل كتخدا ومن معه على الفور.

وفي يوم الجمعة غاية شوال وصلت العساكر البرية صحبة عابدي باشا ودرويش باشا إلى بركة الحج وكان أمير الحاج مقيماً بالحجاج بالعادلية، ولم يذهبوا إلى البركة على العادة بسبب قدوم هؤلاء.

وفي يوم السب غرة القعدة ارتحل الحجاج من العادلية وحضر عابدي باشا ودرويش باشا إلى العادلية وخرج حسن باشا إلى ملاقاهم ودخلت طوائف عساكرهما إلى المدينة وهم بهيئات مختلفة وأشكال منكرة وراكبون خيولاً وأكاديش كأمثال دواب الطواحين، وعلى ظهورها لبابيد شبه البراذع متصلة بكفل الاكديش وبعضهم بطراطير سود طوال شبه الدلاة، والبعض معمم ببوشية ملونة مفشولة على طربوش واسع كبير مخيط عليه قطعة قماش لابسها دماغه والطربوش مقلوب على قفاء مثل حزمة البراطيش، وهم لابسون زنوط وبشوت محزمين عليها وصورهم بشعة وعقائدهم مختلفة وأشكالهم شتى وأجناسهم متفرقة، ما بين أكراد ولاوند ودروز وشوام. ولكن لم يحصل منهم إيذاء لأحد، وإذا اشتروا شيئاً أخذوه بالمصلحة، فباتوا بالخيام عند سبيل قيماز تلك الليلة.

وفي يوم الأحد ركب عابدي باشا ودرويش باشا وذهبوا إلى البساتين من خارج البلد فمروا بالصحراء وباب الوزير وأجروا عليهم الرواتب من الخبز واللحم والأرز والسمن وغيره.

وفيه نودي على النصارى بإحضار ما عندهم من الجواري والعبيد ساعة تاريخه، ثم نزلت العساكر وهجمت على بيوت النصارى واستخرجوا ما فيها، فكان شيئاً كثيراً وأحضروهم إلى القبطان فأخرجوهم إلى المزاد وباعوهم، واشترى غالبهم العسكر وصاروا يبيعونهم على الناس بالمرابحة، فإذا أراد إنسان أن يشتري جارية ذهب إلى بيت الباشا وطلب مطلوبه فيعرض عليه الجواري من مكان عند باب الحريم، فإذا أعجبته جارية أو أكثر حضر صاحبها الذي اشتراها فيخبره برأس ماله ويقوله له: وأنا آخذ مكسي كذا، فلا يزيد ولا ينقص، فإن أعجبه الثمن دفعه وإلا تركها وذهب. ثم وقع التشديد على ذلك وأحضروا الدلالين والنخاسين القدم والجدد واستدلوا منهم على المبيوعات.

وفيه حضر القبطان المهندسين ليستخبر منهم عن الخبايا والدفائن التي صنعوها في البيوت وغيرها.

وفي يوم الاثنين أمر القبطان الأمراء والصناجق والوجاقلية أن يذهبوا للسلام على عابدي باشا ودرويش باشا، فذهب الصناجق أولاً بسائر أتباعهم وطوائفهم وتلاهم الوجاقلية فسلموا ورجعوا من البساتين وكلاهما في جمع كثير.

وفي يوم الثلاثاء رابعه حضر عابدي باشا عند القبطان وسلم عليه ثم طلع إلى القلعة وسلم على محمد باشا المتولي ثم نزل وخرج إلى مخيمه بالبساتين.

وفيه قرر على بيوت النصارى الذين خرجوا بصحبة الأمراء المصرية مبلغ دراهم مجموع متفرقها خمسة وسبعون ألف ريال.

وفيه أمر أيضاً بإحصاء بيوت جميع النصارى ودورهم وما هو في ملكهم، وأن يكتب جميع ذلك في قوائم، ويقرر عليها أجرة مثلها في العام، وأن يكشف في السجل على ما هو جار في أملاكهم. ثم قرر عليهم أيضاً خمسمائة كيس، فوزعوها على أفرادهم فحصل لفقرائهم الضرر الزائد، وقيل أنهم حسبوا لهم الجواري المأخوذة منهم من أصل ذلك على كل رأس أربعون ريالاً. وقرر أيضاً على كل شخص ديناراً جزية العال كالدون، وذلك خارج عن الجزية الديوانية المقررة.

وفي يوم الخميس عمل محمد باشا ديواناً وخلع على مصطفى أغا تابع حسن أغا تابع عثمان وكيل دار السعادة سابقاً وقلده وكيل دار السعادة كأستاذ أستاذه، وكانت شاغرة من أيام علي بك.

وفيه أيضاً سمحوا في جمرك البهار والسلخانة لباب الينكجرية، كما كان قديماً وكان ذلك مرفوعاً عنهم من أيام ظهور علي

بك.

وفيه انتقل عابدي باشا ودرويش باشا من ناحية البساتين إلى قصر العيني بشاطئ النيل وجلسوا هناك.

وفيه دفع قبطان باشا بعض دراهم السلفة التي كان اقترضها من التجار فدفع ما للإفرنج وجانباً لتجار المغاربة ووعدهم بغلاق الباقي.

وفيه قبض القبطان على راهب من رهبان النصارى واستخلص منه صندوقاً من ودائع النصارى.

وفيه ايضاً قبض على شخص من الأجناد من بيته بخشقدم وأخرجوا من داره زلعتين مسدودتين كل واحدة منهما يرفعها ثمانية من الرجال العتالين بالآلة لا يعلم ما فيها.

وفي يوم الجمعة عمل شيخ السادات عزومة لحسن باشا عند تربة أجداده بالقرافة.

وفيه حضر قاصد من طرف اسمعيل بك وعلى يده مكاتبات من المذكور يخبر فيها بأنه وصل إلى دجرجا وقصده الإقامة هناك لأجل المحافظة في تلك الجهة حتى تسافر العسكر، فإذا التقوا مع الأمراء وكسروهم وهزموهم يكون هو ومن معه في أقفيتهم وقت الحرب ومانعاً عند الهزيمة.

وفي يوم السبت قبض القبطان على المعلم واصف وحبسه وضربه وطالبه بالأموال، وواصف هذا أحد الكتاب المباشرين المشهورين ويعرف الإيراد والمصاريف، وعنده نسخ من دفاتر الروزنامة ويحفظ الكليات والجزئيات، ولا يخفى عن ذهنه شيء من ذلك ويعرف التركي.

وفي يوم الأحد تاسعه، قبض على بعض نساء المعلم إبراهيم الجوهري من بيت حسن أغا كتخدا علي بك أمين احتساب سابقاً، فأقرب على خبايا أخرجوا منها أمتعة وأواني ذهب وفضة وسروجاً وغير ذلك.

وفي يوم الاثنين حصلت جمعية بالمحكمة بسبب جمرك البهار، وذلك أن إبراهيم بك شيخ البلد أخذ من التجار في العام الماضي مبلغاً كبيراً من حساب الباشا وذلك قبل حضوره من ثغر سكندرية، فلما حضر دفعوا له البواقي وحاسبهم وطالبهم بذلك المبلغ فمطالوا ووعدوه إلى حضور المراكب، فلما حضرت المراكب في أوائل شهر رمضان من هذه السنة أحضرهم وطالبهم فلم يزالوا يستوفونه ويعتذرون له، وذلك خوفاً من إبراهيم بك، ويعيدون القول على إبراهيم بك فيقول لهم لا تفضحوني ويلاطفهم ويداهنهم كما هي عادته، والباشا يطالبهم: فلما ضاق خناقهم أخبروه أن إبراهيم بك يطلب ذلك ويقول أنا محتاج لذلك في هذا الوقت ووالدي الباشا يمهل وأنا أحاسبه بعد ذلك، و لم يخبروه أنه أخذه، فلم يرض و لم يقبل وصار يرسل إلى إبراهيم بك يشكو له من التجار ومطلهم فيرسل إبراهيم بك مع رسوله معينين من سراجينه يقولون للتجار ادفعوا مطلوبات الباشا، فإذا حضر إليه التجار تملق لهم ويقول اشتروا لحيتي واشتروني فلم يزل التجار في حيرة بينهما وقصد إبراهيم بك أن التجار يدفعون ذلك القدر ثانياً إلى الباشا وهم يثاقلونه خوفاً من أن يقهرهم في الدفع. ثم حصلت الحركات المذكورة وحضور القبطان وخروج إبراهيم بك وإخوانه فبقي الأمر على السكوت. فلما راق الحال واطمأن الباشا أرسل يطالب التجار بالمبلغ وهو أربعة وأربعون ألف ريال فرانسة. فعند ذلك أفصحوا له عن حقيقة الأمر وأنهم دفعوا ذلك لإبراهيم بك قبل حضوره إلى مصر، فاشتد غيظه وقال: ومن أمركم بذلك ولا يلزموني ولا بد من أخذ عوائدي على الكامل. ثم أنهم ذهبوا إلى حسن باشا

واستجاروا به، فأمرهم أن يترافعوا إلى الشرع، فاجتمعوا يوم الأحد في المحكمة وأقام الباشا من جهته وكيلاً وأرسله صحبة أنفار من الوجاقلية، واجتمعت التجار حتى ملأوا المحكمة وطلبوا حضور العلماء فلم يحضروا. وانفض المجلس بغير تمام، ثم حضر التجار في ثاني يوم وحضر العلماء و لم يحضر وكيل الباشا، ثم أبرز التجار رجعة بختم إبراهيم بك وتسلمه المبلغ مؤرخة في ثاني عشر شعبان أيام قائمقاميته ووكالته عن الباشا، وأبرزوا فتاوى أيضاً، وسئل العلماء فأجابوهم بقولهم حيث أن الباشا أرسل فرماناً لإبراهيم بك أن يكون قائماً مقامه ووكيلاً عنه إلى حين حضوره فيكون فعل الوكيل كالأصيل وتخلص ذمة التجار، وليس للباشا مطالبتهم ومطالبته على إبراهيم بك على أن ذلك ليس حقاً شرعياً. وكتب القاضي إعلاماً بذلك وأرسله إلى الباشا وانفض المجلس على دماغ الباشا.

وفي يوم الخميس تعين للسفر عدة من العساكر البحرية في المراكب ولحقت بالمراكب السابقة.

وفي يوم الجمعة حضر أحمد باشا والي جدة الذي كان مقيماً بثغر الإسكندرية إلى ثغر بولاق فذهب لملاقاته علي بك الدفتردار وكتخدا الجاويشية وأرباب الخدم، فركب صحبتهم وتوجه إلى ناحية العادلية وجلس هناك بالقصر.

وفي يوم السبت، حضر حسن باشا وعابدي باشا ودرويش باشا إلى بيت الشيخ البكري بالأزبكية باستدعاء وجلسوا هناك إلى العصر وقدم لهم تقادم وهدايا، وحضروا إليه في مراكب من الخليج.

وفي يوم الأحد أحضروا عند حسن باشا رجلاً من الأجناد يسمى رشوان كاشف من مماليك محمد بك أبي الذهب، فأمر برمي عنقه ففعلوا به ذلك، وعلقوا رأسه قبالة باب البيت. قيل أن سبب ذلك أنه كان بجرجا أيام الحركة فلما خرج رفقاؤه حضر إلى مصر وطلب الأمان فأمنوه و لم يزل بمصر إلى هذا الوقت، فحدثته نفسه بالهروب إلى قبلي فركب جواده وخرج فقبض عليه المحافظون وأحضروه إلى حسن باشا فأمر برمي عنقه، وقيل أن السبب غير ذلك.

وفيه وصلت مراسلة من كبير العساكر البحرية وأخبروا أنهم وقع بينهم وبين الأمراء القبالي لطمة ورموا على بعضهم مدافع وقنابر من المراكب، فانتقل المصريون من مكانهم وترافعوا جهة الجبانة، وصار البلد حائلاً بين الفريقين، وساحل أسيوط طرد لا يحمل المراكب، ومن الناحية الأخرى جزيرة تعوقهم عن التقرب إليهم. وصوروا صورة ذلك وهيئته في كاغد لأجل المشاهدة وأرسلوها مع الرسول.

وفيه عمل الديوان بالقلعة وتقلد قاسم بك أبو سيف ولاية جرجا وسارى عسكر التجريدة المعينة صحبة عابدي باشا ودرويش باشا ومعهم من الصناجق أيضاً علي بك جركس الاسمعيلي وغياطس بك المصالحي ومحمد بك كشكش، ومن الوجاقلية خمسمائة نفر وأخذوا في التجهيز والسفر.

وفي يوم الاثنين سابع عشر، حضر إلى ساحل بولاق أغا من الديار الرومية وهو أمير اخور وعلى يده مثالات، وخلع وهو جواب عن الرسالة بالأخبار الحاصلة وخروج الأمراء فركب أغات مستحفظان ومن له عادة بالكروب لملاقاته وطلع حسن باشا وعابدي باشا وأحمد باشا الجداوي ودرويش باشا والأمراء والصناجق والوجاقات والقاضي والمشايخ واجتمعوا بالقلعة، وحضر الأغا من بولاق بالموكب والنوبة خلفه وبقية الأغوات وهم يحملون بقجاً على أيديهم والمكاتبات في أكياس حرير على صدورهم، ولما دخلوا باب الديوان قام الباشوات والأمراء على أقدامهم وتلقوهم ثم بدأوا بقراءة المرسوم المخاطب به حسن

باشا فقرأوه ومضمونه التبجيل والتعظيم لحسن باشا وحسن الثناء عليه بما فعله من حسن السياسة والوصية على الرعية وصرف العلائف والغلال.

وفيه ذكر اسمعيل بك وحسن بك والتحريض والتأكيد على القتل والانتقام من العصاة، ولما فرغوا من قراءة ذلك أخرجوا الخلعة المخصوصة به فلبسها وهي فروة سمور وقفطان أصفر مقصب مفرق الأكمام فلبسه من فوق وسيف مجوهر تقلد به ثم قرأوا المرسوم الثاني وهو خطاب لمحمد باشا يكن المتولي ومعه الخطاب للقاضي والعلماء والأمراء والوجاقلية والثناء على الجميع، والنسق المتقدم في المرسوم السابق. ثم لبس الخلعة المخصوصة به وهي فروة وقفطان ثم قرأوا المرسوم الثالث وهو خطاب لأحمد باشا والي جده بمثل ذلك، ولبس خلعته أيضاً وهي فروة وقفطان. ثم قرئ المرسوم الرابع وفيه الخطاب لعابدي باشا ومضمونه ما تقدم ولبس أيضاً خلعته وفروته. ثم قرئ المرسوم الخامس ومضمونه الخطاب لدرويش باشا وذكر ما تقدم ولبس خلعته وهي فروة على بنش لأنه بطوخين ثم مرسوم بالخطاب لعلي بك الدفتردار، ومضمونه الثناء علهي من عدم التأخر عن الإجابة والنسق. ثم فرمان ثان وهو خطاب لأمير الحاج والوصية بتعلقات الحج. فما فرغوا من ذلك إلا بعد الظهر ثم ضربوا مدافع كثيرة ودخلوا إلى داخل وجلسوا مع بعضهم ساعة ثم ركبوا ونزلوا إلى أماكنهم. وكان ديواناً عظيماً وجمعية كبيرة لم تعهد قبل ذلك و لم يتفق أنه اجتمع في ديوان خمسة باشوات في آن واحد.

وفي يوم الأربعاء تاسع عشره عمل الباشا ديواناً وخلع على باكير أغا مستحفظان وقلده صنجقاً وخلع عثمان أغا الوالي وقلده أغات مستحفظان عوضاً عن باكير أغا.

وفي يوم الخميس خلع الباشا على اسمعيل كاشف منن أتباع كشكش وقلده والياً عوضاً عن عثمان أغا المذكور وأقر أحمد أفندي الصفائي في وظيفته روزنامجي أفندي على عادته، وكانوا عزموا على عزله وأرادوا نصب غيره فلم يتهيأ ذلك.

وفيه وصل إبراهيم كاشف من طرف اسمعيل بك وحسن بك وأخبر بقدومهما وأنهما وصلا إلى شرق أولاد يحيى وأرسلا يستأذنان في المقام هناك بالجمعية حتى تصل العساكر المعينة، فيكونوا معهم، فلم يجبه حسن باشا إلى ذلك وحثه على الحضور فيقابله ثم يتوجه من مصر ثانياً. ثم أجيب إلى المقام حتى تأتيهم العساكر، وأخبر أيضاً أن الأمراء القبليين لم يزالوا مقيمين بساحل أسيوط على رأس المجرور وبنوا هناك متاريس ونصبوا مدافع وأن المراكب راسية تجاههم ولا تستطيع السير في ذلك المجرور إلا باللبان لقوة التيار ومواجهة الريح للمراكب.

وفيه استعفى علي بك جركس الاسمعيلي من السفر فأعفي وعين وعوضه حسن بك رضوان وأنفق حسن باشا على العسكر، فأعطى لكل أمير خمسة عشر ألف ريال وللوجاقلية سبعة عشر ألف ريال، وأنفق عابدي باشا في عسكره النفقة أيضاً فأعطى لكل عسكري خمسة عشر قرشاً فغضبت طائفة الدلاة واجتمعوا بأسرهم وخرجوا إلى العادلية يريدون الرجوع إلى بلادهم، وحصل في وقت خروجهم زعجة في الناس وأغلقت الحوانيت و لم يعرفوا ما الخبر. ولما بلغ حسن باشا خبرهم ركب بعسكره وخرج يريد قتلهم وخرج معهم المصرين وركب عابدي باشا أيضاً ولحق بعد عند قصر قايماز، وكان هناك أحمد باشا الجداوي فترل إليه أيضاً واجتمعوا إليه واستعطفوا خاطره وسكنوا غضبه وأرسلوا إلى جماعة الدلاة فاسترضوهم وزادوا لهم في نفقتهم وجعلوا لكل نفر أربعين قرشاً وردوهم إلى الطاعة. ورجع حسن باشا وعابدي باشا إلى أماكنهم قبيل الغروب.

وفي صبح ذلك اليوم سافر اسمعيل كتخدا بطائفة من العسكر في البحر إلى جهة قبلي.
وفيه أعني يوم الخميس أخرجوا جملةغلال من حواصل بيوت الأمراء الخارجين، فأخرجوا من بيت أيوب بك الكبير وبيت أحمد أغا الجملية وسليمان بك الأغا وغيرهم.
وفيه أيضاً أخذت عدة ودائع من عدة أماكن وتشاجر رجل جندي مع خادمه وضربه وطرجه و لم يدفع له أجرته فذهب ذلك الخادم إلى حسن باشا ورفع إليه قصته وذكر له أن عنده صندوقاً مملوءاً من الذهب من ودائع الغائبين، فأرسل صحبته طائفة من العسكر فدلهم على مكانه فأخرجوه وحملوه إلى حسن باشا وأمثال ذلك.
وفي يوم الجمعة فتحوا بيت المعلم إبراهيم الجوهري وباعوا ما فيه وكان شيئاً كثيراً من فرش ومصاغ وأوان وغير ذلك.
وفي يوم السبت برز عابدي باشا ودرويش باشا وأخرجوا خيامهما إلى البساتين قاصدين السفر.
وفيه ركب علي بك الدفتردار وذهب إلى بولاق وفتح الحواصل وأخرج منها الغلال لأجل البقسماط والعليق.
وفي يوم الأحد نودي على الغز والأجناد والأتباع البطالين أن يخدموا عند الأمراء.
وفي يوم الاثنين سافر عابدي باشا ودرويش باشا وأخرجوا خيامهما إلى البساتين وأخرج الأمراء الصناجق خيامهم ونصبوا مكن المرتحلين.
وفيه حضر باشا من ناحية الشام وهو أمير كبير من أمراء شين أغالي وصحبته نحو ألف عسكري فنزل بهم بالعادلية يومه ذلك.
وفي يوم الثلاثاء دخلت عساكر المذكور إلى القاهرة وأميرهم توجه إلى ناحية البساتين من نواحي بابا الوزير.
وفي يوم الخميس سافر أمير شين أغلي بعساكره إلى جهة قبلي.
وفي يوم السبت ثامن عشرين القعدة نودي بفرمان بمنع زفاف الأطفال للختان في يوم الجمعة بالطبول، وسبب ذلك أن حسن باشا صلى بجامع المؤيد الذي ببات زويلة فعندما شرع الخطيب في الخطبة وإذا بضجة عظيمة وطبول مزعجة فقال الباشا ما هذا فأخبروه بذلك فأمر بمنع ذلك في مثل هذا الوقت.
وفي غرة الحجة أشيعت أخبار وروايات ووقائع بن الفريقين وأن جماعة من القبالي حضروا بأمان عند اسمعيل بك.
وفي يوم الثلاثاء ثاني شهر الحجة حضر إلى مصر فيض الله أفندي رئيس الكتاب فتوجه إلى حسن باشا فتلقاه بالإجلال والتعظيم وقابله من أول المجلس ثم طلع إلى القلعة وقابل محمد باشا أيضاً ثم نزل إلى دار أعدت له ثم انتقل إلى دار بالقلعة عند قصر يوسف.
وفي يوم الخميس حضر أغا وعلى يده تقرير لمحمد باشا على السنة الجديدة فركب من بولاق إلى العادلية وخرج إليه أرباب الخدم والدفتردار وأغات مستحفظان وأغات العزب والوجاقلية، ودخل بموكب عظيم من باب النصر وشق القاهرة وطلع إلى القلعة.
وفي يوم السبت، نودي بأن من كانت له دعوة وانقضت حكومتها في الأيام السابقة لا تعاد ولا تسمع ثانياً، وسبب ذلك تسلط الناس على بعضهم في التداعي.
وفيه ردت السلفة التي كانت أخذت من تجار المغاربة وهي آخر السلف المدفوعة.

وفي يوم الأربعاء عاشر الحجة كان عيد النحر وفيه وردت أخبار من الجهة القبلية بوقوع مقتلة عظيمة بين الفريقين، وقتل من المصرية عمر كاشف الشرقية وحسن كاشف وسليمان كاشف، ثم انحازت العسكر إلى المراكب ورجع الأمراء إلى وطاقهم فأغنم حسن باشا لتمادي أمرهم، وكان يرجو انقضاءه قبل دخول الشتاء ويأخذ رؤوسهم ويرجع بهم إلى سلطانه قبل هبوط النيل لسير المراكب الرومية حتى أنه منع من فتح الترع التي من عادتها الفتح بعد الصليب كبحر أبي المنجاوميس والقريفين خوفاً من نقص الماء فتتعوق المراكب الكبار.

وفيه حضر واحد ططري وعلى يده مرسوم فطلب حسن باشا محمد باشا المتولي فنزل إليه وجمع الديوان عنده فقرأ عليهم ذلك المرسوم، وحاصله الحث والتشديد والاجتهاد في قتل العصاة والفحص عن أموالهم وموجوداتهم والانتقام ممن تكون عنده وديعة ولا يظهرها، وعدم التفريط في ذلك، وطلب حلوان عن البلاد فائظ ثلاث سنوات.

وفي أواخر الحجة أرسل عابدي باشا مكاتبة حضرت له من الأمراء القبالي، وهي جواب عن رسالتهم وهي باللغة التركية، وحاصل ما فهمته من ذلك أنكم تخاطبونا بالكفرة والمشركين والظلمة والعصاة، وأننا بحمد الله تعالى موحدون وإسلامنها صحيح وحججنا بيت الله الحرام وتكفير المؤمن كفر ولسنا عصاة ولا مخالفين، وما خرجنا من مصر عجزاً ولا جبنا عن الحرب إلا طاعة للسلطان ونائبه، فإنه أمرنا بالخروج حتى تسكن الفتن وحقناً للدماء ووعدنا أنه يسعى لنا في الصلح، فخرجنا لأجل ذلك و لم نرض بإشهار السلاح في وجوهكم وتركنا بيوتنا وحريمنا في عرض السلطان ففعلتم بهم ما فعلتم ونهبتم أموالنا وبيوتنا وهتكتم أعراضنا وبعتم أولادنا وأحرارنا وأمهات أولادنا، وهذا الفعل ما سمعنا به ولا في بلاد الكفر وما كفاكم ذلك حتى أرسلتم خلفنا العساكر يخرجونا عن بلاد الله وتهددونا بكثرتكم، وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله وأن عساكر مصر أمرها في الحرب والشجاعة مشهور في سائر الأقاليم، والأيام بيننا. وكان الأولى لكم الاجتهاد والهمة في خلاص البلد التي غصبا منكم الكفار واستولوا عليها مثل بلاد القرم والودن واسمعيل وغير ذلك. وأمثال هذا القول وتخشين الكلام تارة وتليينه أخرى وفي ضمن ذلك آيات وأحاديث وضرب أمثال وغير ذلك. فأجابهم عابدي باشا ونقض عليهم ونسب كاتبهم إلى الجهل بصناعة الإنشاء وغير ذلك مما يطول شرحه وانقضت هذه السنة وما وقع بها من الحوادث الغريبة.

من مات في هذه السنة

توفي الشيخ العلامة المحقق والفهامة المدقق شيخنا الشيخ محمد ابن موسى الجناجي المعروف بالشافعي، وهو مالكي المذهب أحد العلماء المعدودين والجهابذة المشهورين، تلقى عن مشايخ عصره ولازم الشيخ الصعيدي ملازمة كلية وصار مقرئه ومعيداً لدروسه، وأخذ عن الشيخ خليل المغربي والسيد البليدي، وحضر على الشيخ يوسف الحفني والملوي، وتمهر في المعقول والمنقول ودرس الكتب المشهورة الدقيقة مثل المغني لابن هشام والاشموني والفاكهي والسعد وغير ذلك، وأخذ علم الصرف عن بعض علماء الأروام وعلم الحساب والجبر والمقابلة وشباك بن الهائم عن الشيخ حسين المحلاوي، واشتهر فضله في ذلك، وألف فيها رسائل وله في تحويل النقود بعضها إلى بعض رسالة نفيسة تدل على براعته وغوصه في علم الحساب، وكان له دقائق وجودة استحضار في استخراج المجهولات وأعمال الكسورات والقسمة والجذورات، وغير ذلك من قسمة المواريث والمناسخات

والأعداد الصم والحل والموازين، ما انفرد به نظائره. وكتب على نسخة الخرشي التي في حوزه حواشي وهوامش مما تلقاه ولخصه من التقارير التي سمعها من أفواه أشياخه ما لو جرد لكان حاشية ضخمة في غاية الدقة، وكذلك باقي كتبه وله عدة رسائل في فنون شتى، وكتب حاشية على شرح العقائد، ومات قبل إتمامها، كتب مناه نيفاً وثمانين كراساً. وتلقى عنه كثير من أعيان علماء العصر ولازموا المطالعة عليه مثل العلامة الشيخ محمد الأمير والعلامة الشيخ محمد عرفة الدسوقي والمرحم الشيخ محمد البناني، واجتمع بالمرحوم الوالد سنة ست وسبعين، واستمر مواظباً لنا في كل يوم، وواظب الفقير في إقرائي القرآن وحفظة فأحفظني من شورى إلى مريم، وينسخ للوالد ما يريد من الكتب الصغيرة الحجم. ولم يزل على حاله معنا في الحب والمودة وحسن العشرة إلى آخر يوم من عمره، وحضرت عليه في مبادئ الحضور الملوي على السلم وشرح السمرقندية في الاستعارات والفاكهي على القطر في دروس حافلة بالأزهر والسخاوي والترهة في الحساب خاصة بالمترل، وكان مهذب الأخلاق جداً متواضعاً لا يعرف الكبر ولا التصنع أصلاً، ويلبس أي شيء كان من الثياب الناعمة والخشنة ويذهب بحماره إلىجهة بولاق ويشتري البرسيم ويحمله عليه ويركب فوقه، ويحمل طبق العجين إلى الفرن على رأسه ويذهب في حوائج إخوانه. ولما بنى محمد بك أبو الذهب مسجده تجاه الأزهر تقرر في وظيفة خزن الكتب نيابة عن محمد أفندي حافظ مضافة إلى وظيفة تدريس مع المشايخ المقررين، فلازم التقييد بها، وينوب عنه أخوه الشيخ حسن في غيابه، وكان أخوه هذا ينسخ أجزاء القرآن بخط حسن في غاية السرعة ويتحدث مع الناس وهو يكتب من حفظه ولا يغلط. ولم يزل المترجم يملي ويفيد ويبدي ويعيد مقبلاً على شأنه ملحوظاً بين أقرانه حتى وافاه الحمام في سابع عشرين جمادى الثانية من السنة مطعوناً، وصلي عليه بالأزهر في مشهد حافل ودفن بتربة المجاورين.

ومات الإمام الفاضل المحدث الفقيه البارع السيد محمد بن أحمد بن مصطفى أفضل صفي الدين أبو الفضل الحسيني الشهير بالبخاري ولد تقريباً سنة 1160، وقرأ على فضلاء عصره وتكمل في المعقول والمنقول وورد إلى اليمن حاجاً في سنة ثلاث وسبعين، فسمع بالنجائي السيد عبد الرحمن ابن أحمد باعيديد وذاكر معه في الفقه والحديث ثم ورد زبيد فأدرك الشيخ المسند محمد بن علاء الدين المزجاجي فسمع منه أشياء وكذلك من السيد سليمان بن يحيى وغيرهما، ثم حج وزار واجتمع بالشيخ محمد ابن عبد الكريم السمان فأحب طريقته ولازمه ملازمة كلية وأجازه فيها، وورد الينبع فجلس فيه مدة وأحبه أهله. وورد مصر سنة 1182 واجتمع بعلمائها وذاكر بأنصاف وتؤدة وكمال معرفة، ولم يصف له الوقت، فتوجه إلى الصعيد فمكث في نواحي جرجا مدة وقرأ عليه هناك بعض الأفراد في أشياء، ثم رجع إلى مصر سنة سبع وثمانين، وسافر منها إلى بيت المقدس فأكرم بها وزار الخليل وأحبه أهل بلده فزوجوه. ثم أتى إلى مصر سنة ثمان وثمانين، واجتمعت حواسه في الجملة، ثم ذهب إلى نابلس واجتمع بالشيخ السفاريني فسمع عليه أشياء وأجازه وأحبه، وكان المترجم قد أتقن معتقد الحنابلة فكان يلقيه لهم بأحسن تقرير مع التأييد، ودفع ما يرد على أقوالهم من الإشكالات بحسن بيان، والبلد أكثر أهله حنابلة، فرفعوا شأنه وعظم عندهم مقداره. ثم ورد مصر سنة تسعين واجتمع بشيخنا السيد مرتضى لمعرفة سابقة بينهما، وكان ذلك في مبادئ طنطة شيخنا المذكور فنوه بشأنه وكان يأتي إلى درسه بشيخون فيجلسه بجانبه ويأمر الحاضرين بالأخذ عنه ويجله ويعظمه، فراج أمره بذلك، فأقام بمصر سنة في وكالة بالجمالية واشتهر ذكره عند كثير من الأعيان بسبب مدح شيخنا المذكور فيه، وحثهم على

إكرامه، فهادوه بالملابس وغيرها، ثم عزم على السفر إلى نابلس فهرعوا إليه وزودوه بالدراهم واللوازم وأدوات السفر وشيعوه بالإكرام، وسافر إلى نابلس ثم إلى دمشق وأخذ عنه علماؤها واحترموه واعترفوا بفضله. وكان إنساناً حسناً مجموع الفضائل، رأساً في فن الحديث يعرف فيه معرفة جيدة لا نعلم من يدانيه في هذا العصر بعد شيخنا المذكور، واسع الاطلاع على متعلقاته مع ما عنده من جودة الحفظ والفهم السريع وإدراك المعاني الغريبة وحسن الإيراد للمسائل الفقهية والحديثية. ثم عاد إلى نابلس وسافر بأهله إلى الخليل، فأراد أن يسكن بها فلم يصف له الوقت ولم ينتظم له حال لضيق معاش أهل البلد، فعاد إلى نابلس في شعبان وبها توفي سحر ليلة الأحد سابع عشرين رمضان من السنة مطعوناً بعد أن تعلل يوماً وليلة، ودفن بالزاركية قرب الشيخ السفاريني، وتأسف عليه الناس وحزنوا عليه جداً وانقطع الفن من تلك البلاد بموته رحمه الله، وعوض في شبابه الجنة، ولم يخلف إلا ابنة صغيرة وله مؤلفات في فن الحديث.

ومات العمدة المبجل الفقيه الوجيه والحبر اللوذعي النبيه السيد نجم الدين بن صالح بن أحمد بن محمد بن صالح بن محمد بن عبد الله التمرتاشي الغزي الحنفي، قدم إلى مصر في حدود الستين وحضر على مشايخ الوقت وفقته وقرأ في المعقولات والمنقولات وتضلع ببعض العلوم، ثم شغف بأسباب الدنيا وتعاطى بعض التجارات وسافر إلى اسلامبول وتداخل في سلك القضاء ورجع إلى مصر ومعه نيابة قضاء أبيار بالمنوفية ومرسومات بنظارات أوقاف، فأقام بأبيار قاضياً بضع وعشر سنين وهو يشتري نيابتها كل دور، وابتدع فيها الكشف على الأوقاف القديمة والمساجد الخربة التي بالولاية وحساب الواضعين أيديهم على أزراقها وأطيانه، حتى جمع من ذلك أموالاً، ثم رجع إلى مصر واشترى داراً عظيمة بدرب قرمز بين القصرين واشترى المماليك والعبيد والجواري، وترونق حاله واشتهر أمره وركب الخيول المسومة وصار في عداد الوجها، وكان يحمل معه دائماً متن تنوير الأبصار يراجع فيه المسائل ويكتب على هامشه الوقائع والنوادر الفقهية. ثم تولى نيابة القضاء بمصر في سنة ست وثمانين، فازدادت وجاهته وانتشر صيته، وابتكر في نيابته أموراً منها تحليف الشهود وغير ذلك ثم سافر إلى اسلامبول في سنة اثنتين وتسعين وعاد. ثم سافر في سنة تسع وتسعين واجتمع هناك بحسن باشا ووشى إليه أمر مصر وسهل له أمرها وأمراءها حتى جسره على القدوم إليها وحضر صحبته إلى ثغر إسكندرية، وكان بينه وبين نعمان أفندي قاضي الثغر كراهة باطنية، فوشى به عند حسن باشا حتى عزله من وظيفة القضاء وقلدها للمترجم، وكاد أن يبطش بنعمان أفندي فهرب منه إلى رشيد، ولم يلبث المترجم أن أصابه الفالج ومات سابع عشرين رمضان عن نيف وتسعين سنة. ونقم عليه بعد ذلك حسن باشا أموراً وعلم براءة نعمان أفندي مما نسبه إليه، وأحضر نعمان أفندي وأكرمه ورد له منصبه وأجله وأكرمه وصاحبه مدة إقامته بمصر، ورجع معه إلى اسلامبول وجعله منجم باشا. وكانت له يد طولى في علم النجامة، ثم نفاه بعد ذلك إلى أماصيه بسبب توسطه مع صالح أغا للأمراء المصريين كما ذكر في موضعه. وخلف المترجم ابنه صالح جلبي الموجود الآن ومملوكه على أفندي الذي كان يتولى نيابات القضاء في المحلة ومنوف وغيرهما.

ومات الشيخ الصالح أحمد بن عيسى بن عبد الصمد بن أحمد بن فتيح ابن حجازب بن القطب السيد علي تقي الدين دفين رأس الخليج بن فتح ابن عبد العزيز بن عيسى بن نجم خفير بحر البرلس الحسيني الخليجي الأحمدي البرهاني الشريف الشهير بأبي حامد، ولد برأس الخليج وحفظ القرآن وبعض المتون، ثم حبب إليه السلوك في طريق الله تعالى فترك العلائق وانجمع عن الناس

واختار السياحة مع ملازمته لزيارة المشاهد والأولياء والحضور في موالدهم المعتادة. وكان الأغلب في سياحته سواحل بحر البرلس ما بين رشيد ودمياط على قدم التجريد. ووقعت له في أثناء ذلك إشارات واجتمع فيها بأكابر أهل الله تعالى، وكان يحكي عنهم أموراً غريبة من خوارق العادات، وأقام مدة يطوى الصيام ويلازم القيام، واجتمع في سياحته ببلاد الشرق على صلحاء ذلك العصر ورافق السيد محمد ابن مجاهد في غالب حالاته، فكانا كالروح في جسد وله مكارم أخلاق ينفق في موالد كل من القطبين السيد البدوي والسيد الدسوقي أموالاً هائلة، ويفرق في تلك الأيام على الواردين على ما يحتاجون إليه من المآكل والمشارب. وكان كلما ورد إلى مصر يزور السادة العلماء ويتلقى عنهم وهم يحبونه ويعتقدون فيه، منهم الشيخ الدمياطي وشمس الدين الحفني وغيرهما. وكان له شيخنا السيد مرتضى مزيد اختصاص وألف باسمه رسالة المناشي والصفين وشرح له خطبة الشيخ محمد البحيري البرهاني على تفسير سورة يونس، وباسمه أيضاً كتب له تفسيراً مستقلاً على سورة يونس على لسان القوم، وصل فيه إلى قوله تعالى: واجعلوا بيتكم قبلة، وذلك في أيام سياحته معه، وكمله بعد ذلك. وفي سنة 1199 ورد إلى مصر لأمر اقتصى، فنزل في المشهد الحسيني وفرش له على الدكة وجلس معه مدة وتمرض أشهراً بورم في رجليه، حتى كان في أول المحرم من هذه السنة زاد به الحال فعزم على الذهاب إلى فوة. فلما نزل إلى بولاق وركب السفينة وافاه الحمام وأجاب مولاه بسلام، وذلك في يوم عاشوراء وذهب به أتباعه إلى فوة بوصية منه، وغسل هناك، وفدن بزاوية قرب بيته وعمل عليه مقام يزار.

ومات الشيخ الفاضل النبيه اللوذعي الذكي المفوه الناظم الناثر الشاعر اللبيب الشيخ محمد المعروف بشبانه، كان من نوادر الوقت، اشتغل بالمعقول وحضر على أشياخ العصر فأنجب وعاني علم العروض ونظم الشعر وأجاد القوافي وداعب أهل عصره من الشعراء وغيرهم واشتهر بينهم وأذعنوا لفضله، إلا أن سليقته في الهجو أجود من المدح.

ومات الأجل المكرم أحمد بن عياد المغربي الجربي، كان من أعيان أهل تونس وتولى بها الدواوين وأثرى، فوقع بينه وبين اسمعيل كتخدا حمودة باشة تونس أمور أوجبت جلاءه عنها، فنزل في مركب بأهله وأولاده وماله وحضر إلى إسكندرية، فلما علم به القبطان أراد القبض عليه وأخذ أمواله فشفع فيه نعمان أفندي قاضي الثغر، وكان له محبة مع القبطان، فأفرج عنه فأهدى بن عياد لنعمان أفندي ألف دينار في نظير شفاعته كما أخبرني بذلك نعمان أفندي المذكور. ثم حضر إلى مصر وسكن بولاق بشاطئ النيل بجوار دارنا التي كانت لنا هناك، وذلك في سنة اثنتين وتسعين، ومعه ابنه صغيراً ونحو اثني عشرة سرية من السراري الحسان طوال الأجسام وهن لابسات ملابس الجزائر بهيئة بديعة تفتن الناسك، وكذلك عدة من الغلمان المماليك، كأنما أفرغ الجميع في قالب الجمال، وهم الجميع بذلك الزي. وصحبته أيضاً صناديق كثيرة وتحائف وأمتعة، فأقام بذلك المكان منجمعاً عن الناس لا يخرج من البيت قط ولا يخالط أحداً من أهل البلدة ولا يعاشر إلا بعض أفراد من أبناء جنسه يأتونه في النادر، فأقام نحو ثمان سنوات ومات أكثر جواريه ومماليكه وعبيده، وخرج بعده من تونس اسمعيل كتخدا أيضاً فاراً من حمودة باشا ابن علي باشا وحضر إلى مصر وحج ورجع إلى اسلامبول، واتصل بحسن باشا ولازمه فاستوزره وجعله كتخدا. فلما حضر حسن باشا إلى مصر أرسل إليه بن عياد تقدمة وهدية فقبلها وحضر أيضاً في أثره اسمعيل كتخداه المذكور فأغراه به لما في نفسه منه من سابق العداوة والظلم كمين في النفس القوة تظهره والضعف يخفيه فأرسل حسن باشا يطلب ابن عياد

للحضور إليه بأمان، فاعتذر وامتنع فسكت عنه أياماً ثم أرسل يستقرض منه مالاً فأبى أن يدفع شيئاً ورد الرسل أقبح رد، فرجعوا وأخبروا اسمعيل كتخدا، وكان بخان الشرايبي بسبب المطلوب من التجار، فحنق لذلك وتحرك كامن قلبه من العداوة السابقة وركب في الحال وذهب إلى بولاق ودخل إلى بيته وناداه فأجابه بأحسن الجواب وأبى أن ينزل إليه وامتنع في حريمه، وقال له: أما كفاك أني تركت لك تونس حتى أتيتني إلى هنا. وضرب عليه بنادق الرصاص فقتل من أتباعه شخصين، فهجم عليه اسمعيل كتخدا وطلعوا عليه وقتلوه وقطع رأسه، وأراد قتل ولده أيضاً فوقعت عليه أمه فتركوه وأخرجوا جثته خارج الزقاق فألقوها في طريق المارة، وأخرجوا نساءه وخدمه واحتاطوا بالبيت وختموا عليه.

الجزء الثاني

سنة إحدى ومائتين وألف

في يوم الإثنين سابع المحرم حضر اسمعيل بك في تجريدة الى مصر فركب بمفرده وهو ملثم بمنديل وحضر عند حسن باشا وقابله، وهو أول اجتماعه به، وجلس معه مقدار درجتين لا غير، واستأذنه في القيام فخلع عليه فروة سمور وقام وذهب الى بيت مملوكه علي بك جركس وهو بيت أيوب بك الصغير الذي في الحبانية، وكان السبب في حضوره على هذه الصورة أنه في يوم الخميس ثالث المحرم التقوا مع الأمراء القبليين واتفقوا معهم عند المنشية، فكان بينهم وقعة عظيمة وقتل من الفريقين جملة كبيرة وأبلى فيها المصريون البحرية والقبلية مع بعضهم، وتنحت عنهم العساكر العثمانية ناحية، وهجمت القبالي، وألقوا بأنفسهم في نار الحرب وطلب كل غريم غريمه، ثم اندفعت العثمانية مع البحرية وظهر من شجاعة عابدي باشا ما تحدث به الفريقان في شجاعته، وأصيب اسمعيل بك برشة رصاص دخلت في فمه وطلعت من خده، فولى منهزماً وألقى نفسه في البحر وركب في قنجة وحضر الى مصر على الفور، ولم يدر ماذا جرى بعده، فلما حضر على هذه الصورة وأشيع وقوع الكسرة والهزيمة على التجريدة، اضطربت الأقاويل واختلفت الروايات وكثرت الأكاذيب وارتج العثمانيون وأرسل حسن باشا الرسل لإحضار العساكر التي بالإسكندرية وكذلك أرسل الى بلاد الروم،

وفي يوم السبت ثاني عشره حضر حسن بك الى حسن باشا وقابله وقد أصيب بسيف على يده فخلع عليه فروة ثم ذهب الى بيته القديم وهو بيت الداودية، وكذلك حضر بقية الأمراء الصناجق وأصيب قاسم بك بضربة جرحت أنفه وكذلك حضر عابدي باشا وطلع الى قصر العيني وأقام به.

وفيه حضر ططري وعلى يده مرسوم بعزل محمد باشا عن ولاية مصر وولاية عابدي باشا مكانه، وأن محمد باشا يتوجه الى ولاية ديار بكر عوضاً عن عابدي باشا فشرع عابدي باشا في نقل عزاله الى بولاق، فتحدث الناس أن ذلك من فعل حسن باشا لأن بينهما أموراً باطنية، وفي يوم الاثنين عمل حسن باشا ديواناً في بيته اجتمع فيه جميع الأمراء والصناجق والمشايخ، وألبس اسمعيل بك خلعة وجعله شيخ البلد وكبيرها وألبس حسن بك خلعة وقلده أمير الحاج، فخرجوا من مجلسه وهم كاظمون لغيظهم، هذا واسميعل بك متململ من جرحه والسيد عثمان الحمامي يعالجه وأخرج من عنقه ست عشرة زردة من زرد الزرخ، فإن الرصاص لما أصابه منعه الزرخ من الغوص في الجسد فغاص نفس الزرد فأخرجه السيد عثمان بالآلة واحدة بعد واحدة بغاية المشقة والألم، ثم عالجه بالأدهان والمراهم حتى برئ في أيام قليلة.

وفيه حضر الى اسمعيل بك رجل بدوي وأخبر أن الجماعة القبليين زحفوا الى بحري ووصلت أوائلهم الى بني سويف، وأخبر أنه مات منهم مصطفى بك الداودية ومصطفى بك السلحدار وعلي آغا خازندار مراد بك سابقاً ونحو خمسة عشر أميراً من الكشاف، وأن نفوسهم قويت على الحرب.

وفي يوم الثلاثاء حضر اسمعيل أغا كمشيش وكان ممن تخلف في الأسر عند القبليين فأفرجوا عنه، وأرسلوا معه مكاتبة يذكرون فيها طلب الصلح وتوبتهم السابقة واستعدادهم للحرب إن لم يجابوا في ذلك.

وفي يوم الأربعاء نزل محمد باشا من القلعة وذهب الى بولاق.

وفي يوم الخميس نودي على النفر والالضاشات والأجناد والمماليك بأن يتبع كل شخص متبوعه وبابه، ومن وجد بعد ثلاثة أيام بطالاً و لم يكن معه ورقة يستحق العقوبة وكذلك حضور الغائبين بالأرياف.

وفيه أخذ أحمد القبطان المعروف بحمامجي أوغلي المراكب الرومية التي بقيت في النيل وجملة نقاير وصعد بهم الى ناحية دير الطين قريباً من التبين، وشرعوا في عمل متاريس وحفر خنادق هناك، ونقلوا جملة مدافع أيضاً وكان أشيع طلوع عابدي باشا الى القلعة في ذلك اليوم، فلم يطلع وحضر عند حسن باشا وتكلم معه كلاماً كثيراً وقال: كيف أطلع وأتسلطن في هذا الوقت والأعداء زاحفون على البلاد وأولاد أخي قتلوا في حربهم ولا أطلع حتى آخذ بثأرهم أو أموت، ثم قام من عنده ورجع الى القصر العيني.

وفيه سافر عمر كاشف الشعراوي لملاقاة الحجاج الى القلزم وحضرت مكاتيب الجبل على العادة القديمة وأخبروا بالأمن والراحة.

وفي يوم الجمعة خرج رضوان بك بلفيا وسليمان الشابوري وعبد الرحمن بك عثمان وبرزوا خيامهم ناحية البساتين.

وفيه عمل حسن باشا ديواناً وخلع على ثلاثة أشخاص من أمراء حسن بك الجداوي وقلدهم صناجق وهم شاهين وعلي وعثمان.

وفيه حضر الى مصر ذو الفقار الخشاب كاشف الفيوم المعروف بأبي سعدة.

وفي يوم السبت خرج غالب الأمراء ناحية البساتين وورد الخبر عن القبليين أنهم لم يزالوا مقيمين في ناحية بني سويف.

وفيه أنفق حسن باشا ثلث النفقة على العسكر فأعطى اسمعيل بك عشرين ألف دينار وحسن بك خمسة عشر ألفاً، ولكل صنجق عشرة آلاف ولكل طائفة وجاق أربعة آلاف، فاستقل الينكجرية حصتهم وكتبوا لهم عرضحال يطلبون الزيادة في نفقتهم.

وفيه طلب حسن باشا دراهم سلفة من التجار فوزعوها على أفرادهم فحصل لفقرائهم الضرر وهرب أكثرهم وأغلقوا حوانيتهم وحواصلهم فصاروا يسمرونها وكذلك البيوت، وطلبوا أيضاً الخيول والبغال والحمير وكبسوا البيوت والأماكن لاستخراجها وعزت الخيول جداً وغلت أثمانها.

وفي يوم الإثنين قبض حسن باشا على اسمعيل آغا كمشيش المتقدم ذكره وأمر بقتله وأخرجوه من بين يديه وعلى رأسه دفية فشفع فيه الوجاقلية فعفا عنه من القتل وسجنوه، وسبب ذلك أنه أحضر صحبته عدة مكاتيب سراً خطاباً لبعض أنفار فظهروا على ذلك فوقع له ما وقع.

وفيه عمل حسن باشا ديواناً عظيماً جمع فيه الأمراء والأعيان وقرأوا مكاتبات أرسلها القبليون يطلبون الصلح والأمان ويذكرون العابدي باشا ما نهب له في المعركة، وأن يرسل قائمة بذلك ويردون له ما ضاع بتمامه، فقال عابدي باشا لحسن بك الجداوي: ما تقول في هذا الكلام؟ قال: أقول لا نأخذه إلا بالسيف كما أخذوه منا بالسيف، وانفض الديوان ووقع الاتفاق على أن يكتبوا لهم جواباً عن رسالتهم ملخصه إن كان قصدهم الصلح والأمان وقبول التوبة فإنهم يجابون الى ذلك،

ويحضر ابراهيم بك ومراد بك ويأخذ لهم حضرة القبطان أماناً شافياً من مولانا السلطان أينما يريدون في غير الإقليم المصري يتعيشون فيها بعيالهم وأولادهم وما شاؤوا من مماليكهم وأتباعهم، وأما بقية الأمراء فإن شاؤوا حضروا ي حصر وأقاموا بها وكانوا من جملة عسكر السلطان وإن شاؤوا عينوا لهم أماكن من الجهات القبلية يقيمون بها وإن أبوا ذلك فليستعدوا للحرب والقتال.

وفي يوم الثلاثاء قبض حسن باشا على عمر كاشف الذي سكنه بالشيخ الظلام وعلي محمد آغا البارودي وأمر بحبسهما عند اسمعيل بك، وسبب ذلك المكاتبات التي تقدم ذكرها مع اسمعيل آغا كمشيش.

وفي يوم الأربعاء سافر محمد أفندي مكتوبجي حسن باشا بالمكاتبة الى القبليين.

وفي يوم الخميس نزل الآغا والجاويشية ونادوا على جميع الالضاشات بالذهاب الى بولاق ليسافروا في المراكب صحبة الوجاقلية، وكل من بات في بيته استحق العقوبة، وطاف الآغا عليهم يخرجهم من أماكنهم ويقف على الخانات ويسأل على من بها منهم ويأمرهم بالخروج، فأغلق الناس حوانيتهم وبطل سوق خان الخليلي في ذلك اليوم، وخرج منهم جماعة ذهبوا الى بولاق ومنهم من طلع الى الأبواب حسب الأمر، وحصل لفقرائهم كرب شديد لكونهم لم يأخذوا نفقة بل رسموا لهم أنهم يأكلون على سماط بلكهم ويعلقون على دوابهم وطعامهم البقسماط والأرز والعدس لا غير، وذلك لعزة اللحم وعدم وجوده، فإن اللحم الضاني بالمدينة بثلاثة عشر نصف فضة إن وجد، والجاموسي بثمانية أنصاف وزاد سعر الغلة بعد الانحطاط وكذلك السمن والزيت.

وفي يوم الأحد سابع عشرينه حضر محمد أفندي المكتوبجي من عند الجماعة وصحبته علي آغا مستحفظان بجواب الرسالة السابق ذكرها، فأخبر أنهم ممتثلون لجميع ما يؤمرون به ما عدا السفر الى غير مصر، فإن فراق الوطن صعب، ويذكر عنهم أنه لم يشق عليهم شيء أعظم من تمكن أخصامهم من البلاد أعني اسمعيل بك وحسن بك وذلك هو السبب الحامل لهم على القدوم والمحاربة، فإن لم يقبل منهم ذلك فالقصد أن يبرز لحربهم أخصامهم دون العساكر العثمانية، فتكون الغلبة لنا أو علينا، فإن كانت علينا وظفروا بنا استحقوا الإمارة دوننا وإن كانت لنا وظفرنا بهم فالأمر لكم بعد ذلك إن شئتم قبلتم توبتنا ورددتم لنا مناصبنا وشرطتم علينا ظروطكم فقمنا بها قياماً لا نتحول عنه أبداً ما بقينا، وإن شئتم وجهتمونا الى أي جهة امتثلنا ذلك، فلما ذكرا ذلك لحسن باشا قال لعلي آغا: أنا ما جئت الى مصر لأعمل لهم على قدر عقولهم وإنما السلطان أمرني بما أمرت به، فإن كانوا مطيعين فليمتثلوا الأمر وإلا فسيلقون وبال عصيانهم، وكتب لعلي آغا جواباً بذلك وخلع عليه فروة سمور وسافر من وقته ورجع الى أصحابه وصحبته شخص من طرف الباشا، ولما ذهب إليهم محمد أفندي المكتوبجي أنعموا عليه وأكرموه وأعطاه مراد بك خاصة ألف ريال فجعل يثني عليهم ويمدح مكارم أخلاقهم.

واستهل شهر صفر الخير أوله يوم الخميس فيه حضرت خزينة حسن باشا من ثغر إسكندرية فدفع باقي النفقة للعسكر والأمراء.

وفيه وصل الخبر أن الأمراء القبالي زحفوا الى بحري ووصلت أوائلهم الى بر الجيزة وآخرهم بالرقق وفردوا الكلف على بلاد الجيزة.

وفيه طلب اسمعيل بك دراهم سلفة من التجار فاعتذروا بقلة الموجود بأيديهم وأغنياؤهم جلوا الى الحجاز و لم يدفعوا له شيئاً،

وادعى على تجار البن بمبلغ دراهم باقي حساب من مدته السابقة فصالحوه عنها بأربعة آلاف دينار.
وفي يوم الجمعة نودي على المحمدية المقيمين بمصر أنهم يذهبون الى اسمعيل بك ويقابلونه سواء كان جندياً أو أميراً أو مملوكاً ومن تأخر استحق العقوبة وقبض على أنفار منهم وسجنوا بالقلعة، وختم على دورهم من جملتهم جعفر كاشف الساكن عند بيت القاضي من ناحية بين القصرين.

وفي تلك الليلة أعني ليلة الأحد، وقعت حادثة لشخص من الأجناد يقال له اسمعيل كاشف أبو الشراميط، بيته في عطفة بخط الخيمية قتله مماليكه، وسبب ذلك على ما سمعنا تقصيره في حقهم وفي تصرفه عدة حصص جارية في التزامه، فكتب تقاسيطها بتمامها باسم زوجته و لم يكتب لهم شيئاً من ذلك، وكان جباراً ظالماً معدوداً في جملة كشاف مراد بك، فلما حصلت المناداة على المحمدية الى اسمعيل بك وقابله فطرده وأمره بلزوم بيته وأن لا يخرج منه فذهب الى بيته وأرسل الى اسمعيل بك حصانين بعددهما أحدهما مركوبه والثاني لأحد مماليكه. وأرسل معهما درعين على سبيل التقدمة والهدية ليستميل خاطره وكان مملوكه صاحب الحصان غائباً في شغل فلما حضر لم يجد الجواد، فسأل عنه فأخبره خشداشه بصورة الحال فدخل الى سيده وسأله فنهره وشتمه فخرج مقهوراً وجلس يتحدث مع رفيقه، فقالوا لبعضهم هذا الرجل سيدنا لا نرى منه إلا الأذى ولا نرى منه إحساناً ولا حلاوة لسان، وكذلك الحصص كتبها لزوجته و لم يفعل معنا خيراً عاجلاً ولا آجلاً، وحملهم الغيظ على أنهم دخلوا عليه بعد العشاء وقتلوه، فصرخت زوجته من أعلى ونزلت إليهم فقتلوها أيضاً هي وجاريتها، فسمعت الجيران وكثر العائط وحضر الوالي فوقف المملوكان وضربا عليه بنادق الرصاص ونقبا بيوت الجيران، ونطا منهم فلم يزل حتى قبض عليهما وقتلهما على رأس العطفة. وأصبح الخبر شائعاً بين الناس بذلك.
وفي يوم الأحد المذكور حضر نجاب الحج وأخبر أن العرب وقفت للحجاج في طريق المدينة وحاربوهم سبعة أيام وانجرح أمير الحاج، وقتل غالب أتباعه وخازنداره، ومن الحجاج نحو الثلث ونهبوا غالب حمولهم بسبب عوائدهم القديمة.
وفي يوم الاثنين شق الآغا وأمامه المنادي يقول: إن ابراهيم بك ومراد بك مطرودا السلطان ومن كان مختفياً أو غائباً وأراد الظهور أو الحضور فليظهر أو يحضر وعليه الأمان ولا بأس عليه، ومن خالف فلا يلومن إلا نفسه.
وفيه انتقل عساكر القليونجية وعدوا الى البر الغربي ونصبوا هناك متاريس، وأما الأمراء القبليون فإنهم أخرجوا أثقالهم من المراكب وطلعوها بأجمعها وتركوا المراكب ذهبت الى حال سبيلها واحازوا جميعاً عند الأهرام.
وفي يوم الثلاثاء نودي على جميع الألضاشات بالخروج الى الوطاق وكذلك المقيمون بالقلعة، فتكدر الناس لذلك واختفوا في الدور ولبس كثير منهم ملابس الفقهاء والمجاورين، وسبب ذلك عدم قدرتهم على الخروج من غير مصرف، فإذا خرج فقير الحال لا يجد ما يأكله ولا ما ينفقه عياله في غيبته، ولا يفيده إلا مقاساة الجوع والبرد والغربة والمشقة.
وفي يوم الأحد حادي عشره نزل الحجاج ودخلوا مصر على حين غفلة وهم في أسوأ حال من العري والجوع، ونهبت جميع أحمال أمير الحاج وأحمال التجار وجمالهم وأثقالهم وأمتعتهم، وأسر العرب جميع النساء بالأحمال وكان أمراً شنيعاً جداً، ثم إن الحجاج استغاثوا بأحمد باشا الجزار أمير الحاج الشامي فتكلم مع العرب في أمر النساء فأحضروهن عرايا ليس عليهن إلا القمصان، وأجلسوهن جميعاً في مكان وخرجت الناس أفواجاً، فكل من وجد امرأته أو أخته أو أمه أو بنته وعرفها اشتراها ممن

هي في أسره، وصارت المرأة من نساء العرب تسوق الأربعة من الجمال والخمسة بأحمالها فلا تجد مانعاً، وسبب ذلك كله رعونة أمير الحاج، فإنه لما أراد أن يتوجه بالحجاج الى المدينة أرسل الى العرب فحضر إليه جماعة من أكابرهم فدفع لهم عوائد سنتين وقسط البواقي على السنين المستقبلة بموجب الفرمان، وحجز عنده أربعة أشخاص رهائن، فبدا له أن كواهم بالنار في وجوههم، فبلغ ذلك أصحابهم فقعدوا للحجاج في الطريق، فبلغ أمير الحاج ذلك فذهب من طريق أخرى فوجدهم رابطين فيها أيضاً فقاتلوا قتالاً هيناً ففر هارباً وترك الحجاج والعرب فنهبوا حملته وقتلوا مماليكه و لم يبق معه إلا القليل، فهرب بمن بقي معه واختفى عن الحجاج ثلاثة أيام و لم يره أحد، وفعلت العرب في الحجاج ما فعلوا وأخذوا ما أخذوه فلم ينج منهم إلا من طال عمره وسلم نفسه أو افتداها الى غير ذلك، وأخذوا المحمل أيضاً و لم يردوه.

وفي يوم الإثنين ثاني عشره، هجمت القبليون على المتاريس وأرادوا أن يملكوها في غفلة آخر الليل لعلمهم أن الأمراء والباشا ذهبوا الى مصر واشتغلوا بالحجاج، وكان حسن باشا ذلك اليوم لما بلغه حضور الحجاج ركب من فوره وذهب الى العادلية فقابل أمير الحاج ورجع من ليلته الى الوطاق، فلما هجموا على المتاريس كان المترسون مستيقظين فضربوا عليهم المدافع من البر والبحر من الفجر الى شروق الشمس، فرجعوا الى مكانهم من غير طائل، ثم هجموا أيضاً يوم الثلاثاء بعد الظهر فضربوا عليهم ورجعوا.

وفي يوم الأربعاء ركب الأمراء القبليون وحملوا أحمالهم وصعدوا الى دهشور وجلسوا هناك وحضر منهم جماعة من الأجناد بأمان وانضموا الى البحريين.

وفي أواخره أمر حسن باشا بمحاسبة محمد باشا المعزول، فذهب إليه أرباب الخدم والعكاكيز واختيارية الوجاقات والأفندية وذهبوا إليه ببولاق وتحاسبوا معه ودققوا عليه في الحساب، فطلع عليه ألف ومائتان وخمسة وعشرون كيساً، فطلب أن يخصم منها باقي عوائده التي بذمم الأمراء وغيرهم، فعرفوا حسن باشا عن ذلك، فلم يقبل وقال: إن كان له شيء عند أحد يأخذه منه ولابد من إحضار الدراهم التي طلعت عليه، فإني محتاج الى ذلك في المصاريف اللازمة للعسكر، فشددوا عليه في الطلب فضاق خناقه واعتذر وبكي وكتب على نفسه تمسكاً بذلك، واستوحشا من بعضهما فسعى فيض الله أفندي الرئيس بينهما في إزالة ذلك ثم ذهب محمد باشا الى حسن باشا واجتمع معه في قصر الآثار.

وفيه حضرت مكاتبة من القبالي يطلبون الأمان وأن يعينوا لهم أماكن في الجهة القبلية يقيمون بها ويعيشون هناك، فأجيبوا الى ذلك ويختاروا مكاناً يريدونه بشرط أن يكونوا جماعة قليلة، ويحضر باقي الأمراء الى مصر بالأمان، فلم يرضوا بالافتراق و لم يجابوا إلا بمثل الجواب الأول واستقروا ناحية بني سويف ورجعت عنهم عرب الهنادي وفارقوهم.

واستهل ربيع الأول بيوم الجمعة فيه حضر ططري من الدولة وعلى يده مثال لحسن باشا بأن يقيم بمصر ولا يخرج مع العساكر بل يستمر محافظاً في المدينة فتحقق الناس إقامته وعدم سفره.

وفي شرع حسن باشا في عمل شر كفلك فشرعوا في عمله على ساحل بولاق تجاه الديوان، وهو عبارة عن متريز مصنوع من أخشاب ممتدة على مقصات من خشب وهي قطع مفصلات يجمعها أغربة من حديد وعلى تلك المدادات عدة حراب حديد مستمرة عليها محددة الأطراف، وبين كل مقصين سفل الأخشاب الممتدة مدفع موضوع على شبه بسطة من الخشب، ومساحة

ذلك نحو أربعمائة وخمسين ذراعاً، وهو يوضع على هيئات مختلفة مربعاً ومدوراً والعسكر من داخله متحصنين به، وإذا هجمت عليه الخيول رشقت بها تلك الحرب.

وفي يوم الإثنين رابعه ركبت طوائف العسكر والوجاقات ومروا بنظامهم من تحت قصر الآثار وحسن باشا ينظرهم فأعجبه نظامهم وترتيبهم وحسن زيهم، ثم تتابعوا في التعدية.

وفي ليلة الخميس رابع عشره كسف جرم القمر جميعه وكان ابتداؤه من رابع ساعة الى ثامن ساعة من الليل.

وفي منتصفه حضرت عساكر من الأضات مثل قبرس وقرمان وغير ذلك، وجاء الخبر عن الأمراء القبالي أنهم وصلوا الى أسيوط وتخلف عنهم جملة من المماليك والأتباع في نواحي المنية وغيرها، فمنهم من حضر الى مصر ومنهم من اختفى في البلاد.

وفيه اشتكت الناس من غلاء الأسعار وتكلم الشيخ العروسي مع حسن باشا بسبب ذلك وقال له: في زمن العصاة كان الأمراء ينهبون ويأخذون الأشياء من غير ثمن، والحمد لله هذا الأمر ارتفع من مصر بوجودكم وما عرفنا موجب الغلاء أي شيء فقال: أنا لا أعرف اصطلاح بلادكم، وتشاور مع الاختيارية في شأن ذلك فوقع الاتفاق على عمل جمعية في باب الينكجرية، وإحضار الآغا والمحتسب والمعلمين ويعملون تسعيرة وينادون بها، ومن خالف أو احتكر شيئاً قتل، فلما كان يوم السبت سادس عشره اجتمعوا في باب مستحفظان وحضر الشيخ العروسي أيضاً واتفقوا على تسعيرة في الخبز واللحم والسمن وغير ذلك، وركب الآغا وبجنبه المحتسب ونادوا في الأسواق، فجعلوا اللحم الضاني بثمانية أنصاف وكان بعشرة والجاموسي ستة بعد سبعة والسمن المسلي بثمانية عشر والزبد بأربعة عشر والخبز عشرة آواق بنصف فضة، وهكذا فعزت الأشياء وقل وجود اللحم وإذا وجد كان في غاية الرداء مع ما فيه من العظم والكبد والفشة والكرشة.

وفي أواخره وصل الخبر بأن رضوا بك قرابة علي بك الكبير المنافق وعلي بك الملط وعثمان بك وجماعة علوية حضروا الى عرضي التجريدة وأخذوا الأمان من اسمعيل بك وعابدي باشا وأنهم قادمون الى مصر وأن القبالي استقروا بوادي طحطا مكانهم الأول الذي قاتلوا فيه.

شهر ربيع الثاني في يوم الخميس خامسه، وصل المذكورون الى مصر وقابلوا حسن باشا وتوجهوا الى بيوتهم.

وفي يوم الأحد ثامنه ضربوا مدافع كثيرة وقت الضحى وكان أشيع في أمسه أن التجريدة نصرت وقتل من القبالي أناس كثيرة، فلما سمعت الناس تلك المدافع ظنوا تحقيق ذلك وكثرت الأكاذيب والأقاويل ثم تبين أن لا شيء وأنها بسبب رجوع بعض مراكب رومية من ناحية الفشن بسبب قلة ماء النيل ومن عادتهم أنهم إذا وصلوا للمرساة ضربوا مدافع فيجابوا بمثلها، وفي منتصفه حضر محمد كتخدا الأشقر بسبب تجهيز ذخيرة ولوازم ومصريف، فهيئت وأرسلت وكذلك قبل ذلك مراراً كثيرة وأخبر أن التجريدة وصلت الى دجرجا وأن القبالي ارتحلوا منها وصعدوا الى فوق وتباعدوا عن البلد نحو ست ساعات، ثم انقطعت الأخبار.

واستهل شهر جمادى الأولى، فيه زاد قلق حسن باشا بسبب تأخر الجوابات وطول المدة.

وفيه عين حسن باشا علي محمد باشا برشيد وشدد عليه في طلب الدراهم وضايقوه حتى باع أمتعته وحوايجه وغلق ما عليه وتوفيت زوجته، فحزن عليها حزناً شديداً مع ما هو فيه من الكرب، ولم يفده من فعائله وهمته التي فعلها بمصر قدوم حسن

باشا شيء، وجازاه بعد ذلك بأقبح المجازاة، فإنه لولا أفاعيله وتمويهاته وأكاذيبه ما تمكن حسن باشا من دخول مصر، فإنه كان يعظم الأمر على الأمراء المصريين ويهول تهويلات كثيرة عليهم وعلى المشايخ واختيارية الوجاقات، ويقول إياكم والعناد وإياكم أن توقعوا حرباً فإنكم تخربون بلادكم وتكونون سبباً في هلاك أهلها، فإنه بلغني أنه تعين مع حسن باشا كذا ألفاً من الجنس الفلاني وكذا كذا ألفاً من جنس العسكر الفلاني، وأنهم متأخرون في الحضور عنه تحت الاحتياج وكذلك في عساكر البر الواصلة من الجهة الشامية ومعهم ثمانون ألف ثور مائة ألف جاموس برسم جر المدافع، وفي المدافع ما يصحبه خمسون ثوراً ونحو ذلك، حتى أدخل عليهم الوهم وظنوا صدقه وانحلت عرا الناس عنهم وخصوصاً بما مناهم به من إقامة العدل ومنع الظلم والجور وغير ذلك، حتى جذب قلوب العالم وتحولوا عن الأمراء وتمنوا زوالهم في أسرع وقت، وهيج الناس وأثارهم قبل وصول حسن باشا، وملك القلعة ومهد له الأمور فجزاه بعد تمكنه بالخذلان والعزل والحساب والتدقيق وغير ذلك.

وفي يوم الأربعاء ثالثه ورد نجاب وصحبته مكتوب من عابدي باشا الى حسن باشا وأخبر بوقوع الحرب بين الفريقين في يوم الجمعة ثامن عشرين ربيع الآخر عند الأمير ضرار، وكانت الهزيمة على القبالي ولكن بعد أن كسروا الجردة مرتين وهجموا على شركفلك فضربوا عليهم من داخله بالمدافع والبنادق وقتل لاجين بك عند شركفلك، وقتل الكثير من عرب الهنادي، وقبض على كبيرهم أسيراً، ومات من المصاحبين للعسكر ذو الفقار الخشاب وجماعة من الوجاقلية، منهم علي جربجي المشهدي، وكانت الحرب بينهم نحو ست ساعات وكانت وقعة عظيمة وقتل من الفريقين ما لا يحصى، وكان حضور هذا النجاب على الفور من غير تحقيق، فلما ورد ذلك سر الباشا سروراً كثيراً وأمر بعمل شنك فضربوا مدافع كثيرة من قصر العيني والقلعة وضربوا النوبة السلطانية في برج القلعة وكذلك نوبة حسن باشا تحت القصر، وأرسل المبشرين الى الأعيان كالشيخ البكري والشيخ السادات وأكابر الوجاقات وحضروا جميعاً للتهنئة.

وفي سادسه حضرت عدة مكاتبات من أمراء التجريدة فأخبروا فيها بتلك الواقعة وأن القبالي صعدوا بعد الهزيمة الى عقبة الهو على جرائد الخيل فلم يصعدوا خلفهم لصعوبة المسلك على الأجمال والأثقال وأنهم منتظرون حضور مراكبهم وما فيها من الذخيرة فيحملوا الأحمال ويسيرون بأجمعهم خلفهم من الطريق المستقيم التي توصل الى خلف العقبة، وأخبروا أيضاً أنهم استولوا على حملاتهم ومتاعهم حتى بيع الجمل وعليه النقاقير بخمسة ريال ونحو ذلك.

من الحوادث في هذه الأيام

وقوع الموت الذريع في الأبقار حتى صارت تتساقط في الطرقات.

ومات لابن بسيوني غازي بناحية سنديون خاصة مائة وستون ثوراً وقس على ذلك.

وفي عاشره طلب الباشا حوضاً ليعمله حنفية فأخبره الحاضرون وعرفوه بالحوض الذي تحت الكبش المعروف بالحوض المرصود، فأمر بإحضاره فأرسلوا إليه الرجال والحمالين وأرادوا رفعه من مكانه فازدحمت عليه الناس من الرجال والنساء لما تسامعوا بذلك لينظروا ما شاع. وثبت في أذهانهم من أن تحته كنزاً وهو مرصود على شيء من العجائب أو نحو ذلك، وأن الباشا يريد الكشف عن أمره، فلما حصل ذلك الازدحام ووجده الحمالون ثقيلاً جداً وهم لا يعرفون صناعة جر الأثقال

وحركوه عن مكانه يسيراً، وبلغ الباشا ما حصل من ازدحام العامة أمر بتركه فتركوه ومضوا، فذهب العامة في أماذيبهم كل مذهب فمنهم من يقول إنهم لما حركوه وأرادوا جره رجع بنفسه ثانياً، ومنهم من يقول غير ذلك من السخافات.

وفي يوم الثلاثاء سادس عشره وصل نيف وثلاثون رأساً من قتلى القبليين فألقوهم عند باب القلعة بالرميلة على سرير من جريد النخل وأبقوهم ثلاثة أيام ثم دفنوهم، ووجد فيهم رأس عزوز كتخدا عزبان.

وفي ذلك اليوم أمر الباشا بشنق رجلين من الغيطانية تشاجرا مع طائفة من العسكر وضرباهم وأخذا سلاحهم، ورفعت الشكوى الى الباشا فأمر بشنق الغيطانية ظلماً على الشجرة التي عند القنطرة فيما بين طريق مصر القديمة وطريق الناصرية.

وفي يوم الإثنين ثاني عشرينه نظر أصحاب الدرك عدة هجانة مرت من ناحية الجبل معهم أمتعة وثياب مرسلة الى القبالي من نسائهم، فركبوا خلفهم فلم يدركوهم وأشاعوا أنهم قبضوا عليهم من غير أصل، ووصل خبرهم حسن باشا فاغتاظ من الآغا والوالي وأمرهما بالذهاب الى بيوتهم ويسمرونها عليهن، ففعلوا ذلك وقبضوا على الأغوات الطواشية والسقائين. وحصلت ضجة في البلد بين الظهر والعصر بسبب ذلك وفرت زوجة ابراهيم بك الى بيت شيخ السادات ثم إن رضوان بك قرابة علي بك تشفع في تسمير البيوت فقبلت شفاعته وأرسل لمعادي الخبيري والجيزة ومنعهم من التعدية وحجزهم الى البر الشرقي.

وفي يوم الثلاثاء وردت نجابة وعلى أيديهم مكاتبات من عابدي باشا يخبر فيها بأن يحيى بك وحسن كتخدا الجربان حضرا إليه بأمان وخلع عليهم فراوي وصحبتهم عدة من الكشاف والمماليك، وذلك بعد أن وصلوا الى أسنا وأن القبالي ذهبوا الى ناحية ابريم فتخلف عنهم المذكورون.

وفي يوم الخميس سادس عشرينه حضر اسمعيل القبطان وكان بصحبته حمامجي أوغلي وأخبر أن العسكر العثمانية ملكوا أسوان وأن الأمراء القبالي ذهبوا الى ابريم وأنهم في أسوأ حال من العري والجوع، وغالب مماليكهم لابسون الزعابيط مثل الفلاحين، وتخلف عنهم كثير من أتباعهم، فمنهم من حضر الى عابدي باشا بأمان ومنهم من تشتت في البلاد ومنهم من قتله الفلاحون وغير ذلك من المبالغات.

وفي يوم الإثنين خلع حسن باشا علي رضوان بك العلوي وقلده كشوفية الغربية، وقلد علي بك الملط كشوفية المنوفية وقرر لهما على كل بلد أربعة آلاف نصف فضة، ونزلا الى طندتا لأجل خفارة مولد السيد أحمد البدوي.

وفي هذا الشهر عمت البلوى بموت الأبقار والثيران في سائر الأقاليم البحري ووصل الى مصر حتى أنها صارت تتساقط في الطرقات وغيطان المرعى وجافت الأرض منها، فمنها ما يدركونه بالذبح ومنها ما يموت، ورخص سعر اللحم البقري جداً لكثرته حتى صار يباع بمصر آخر النهار كل رطلين بنصف فضة مع كونه سميناً غير هزيل، وعافته الناس وبعضهم كان يخاف من أكله، وأما الأرياف فكان يباع فيها بالأحمال، وبيت البقرة بما خلفها بدينار. وكثر عويل الفلاحين وبكاؤهم على البهائم وعرفوا بموتها قدر نعمتها وغلا سعر السمن واللبن والأجبان بسبب ذلك لقلتها.

شهر جمادى الآخرة، استهل بيوم الأربعاء، وكان ذلك يوم النوروز السلطاني وانتقال الشمس لبرج الحمل.

وفي يوم الإثنين سافر حمامجي أوغلي بالجوابات الى الجهة القبلية وفيها الأمر بحضور عابدي باشا واسمعيل بك وباقي الأمراء الى مصر، وأن حسن بك ومحمد بك المبدول ويحيى بك يقيمون بأسنا محافظين.

وفي يوم الخميس سادس عشره نودي على النساء أن لا يخرجن الى موسم الخماسين المعروف عند القبط بشم النسيم وذلك يوم

الإثنين صبيحة عيدهم.

وفي عشرينه نودي بإبطال المعاملة بالذهب الفندقلي الجديد واستمرت المناداة على النساء في عدم خروجهن الى الأسواق، وسبب ذلك وقائعهن مع العسكر منها أنهم وجدوا ببيت يوسف بك سكن حمامجي أوغلي نحو سبعين امرأة مقتولة ومدفونة بالإسطبلات، ومن النساء من لعبت على العسكر وأخذت ثيابه وأمثال ذلك، فنودي عليهن بسبب ذلك فتضرر المحترفات منهم مثل البلانات والدايات وبياعات الغزل والقطن والكتان ثم حصل الإطلاق وسومحن في الخروج، وفي خامس عشرينه حضرت نجابة من قبلي وحضر أيضاً حمامجي أوغلي وأخبروا أن الباشا والأمراء وصلوا الى دجرجا.

شهر رجب الفرد استهل بيوم الخميس، فيه قبض حسن باشا على أحمد قبودان المعروف بحمامجي أوغلي وحبسه، وحبس أيضاً تابعه عثمان التوقتلي، كان يسعى معه في الخبائث. وكذلك رجل يقال له مصطفى خوجة.

وفي يوم الخميس سابعه نودي على النساء أنهن إذا خرجن لحاجة يخرجن في كماهن ولا يلبسن الحبرات الصندل ولا الإفرنجي ولا يربطن على رؤوسهن العمائم المعروفة بالقازدغلية. وذلك من مبتدعات نساء القازدغلية، وذلك أنهن يربطن الشاشات الملونة المعروفة بالمدورات ويجعلنها شبه الكعك ويملنها على جباههن معقوصات بطريقة معلومة لهن، وصار لهن نساء يتولين صناعة ذلك بأجرة على قدر مقام صاحبتها، ومنهن من تعطي الصانعة لذلك ديناراً أو أكثر أو أقل وفعل ذلك جميع النساء حتى الجواري السود.

وفي يوم الأحد حادي عشره حضر عابدي باشا واسمعيل بك وعلي بك الدفتردار ورضوان بك بلفيا وحسن بك رضوان ومحمد بك كشكش وعبد الرحمن بك عثمان وسليمان بك الشابوري وباقي الوجاقلية الى مصر وذهبوا الى بيوتهم، وبات الباشا في مصر القديمة.

وفي صبحها يوم الإثنين ركب عابدي باشا وطلع الى القلعة من غير موكب وطلع من جهة الصليبة، وذلك قبل آذان الظهر بنحو خمس درجات، فلما استقر بها ضربوا له مدافع من الأبراج، وبعد انقضاء المدافع أرعدت السماء رعوداً متتابعة الى العصر وأمطرت مطراً غزيراً وذلك رابع عشرين برموده القبطي وتاسع عشر نيسان الرومي، وأما حسن بك الجداوي فإنه تخلف بقنا هو وأتباعه وكذلك عثمان بك وسليم بك الاسماعيلي بأسنا وعلي بك جركس بأرمنت وعثمان بك وشاهين بك الحسينين ويحيى بك باكير بك ومحمد بك المبذول كذلك تخلفوا متفرقين في البنادر لأجل المحافظة وقاسم بك أبو سيف في منصبه بدجرجا. وأراد الباشا واسمعيل بك أن يبقوا طائفة من الوجاقلية ومعهم طائفة من العسكر فأبوا وقالوا حتى نذهب الى مصر ونعدل حالنا وبعد ذلك نأتي.

وفي ذلك اليوم وصل الخبر بأن القبالي رجعوا الى أسوان وشرعوا في التعدية الى أسنا فأرسل اسمعيل بك الى الاختيارية فحضروا عنده بعد العصر وتكلموا في شأن ذلك بحضرة علي بك أيضاً وكذلك اجتمعوا في صبحها يوم الثلاثاء وانفصل المجسر كالأول.

وفي أواخره، وصل الخبر أنهم زحفوا الى بحري وأن حسن بك تأخر عنهم.

شهر شعبان المكرم، في أوائله، جاء الخبر أنهم وصلوا الى دجرجا وأن حسن بك والأمراء وصدوا في التأخر الى المنية، وعملت

جمعيات ودواوين بسبب ذلك وشرعوا في طلوع تجريدة، ثم وقع الاختلاف بين الباشا والأمراء واستقر الأمر بينهم في الرأي أن يراسلوهم في الصلح وأنهم يقيمون في البلاد التي كانت بيد اسمعيل بك وحسن بك ويرسلوا أيوب بك الكبير والصغير وعثمان بك الأشقر وعثمان بك المرادي يكونوا بمصر رهائن وكتبوا بذلك مكاتبات وأرسلوها صحبة محمد أفندي المكتوبجي وسليمان كاشف قنبور والشيخ سليمان الفيومي.

وفيه قررت المظالم على البلاد، وهي المعروفة برفع المظالم، وكان حسن باشا عندما قدم الى مصر أبطلها وكتب برفعها فرمانات الى البلاد، فلما حضر اسمعيل بك حسن له إعادتها فأعيدت وسموها التحرير، وكتب بها فرمانات وعينت بها المعينون وتفرقوا في الجهات والأقاليم بطلبها مع ما يتبعها من الكلف وحق الطرق وغيرها، فدهى الفلاحون وأهل القرى بهذه الداهية ثانياً على ما هم فيه من موت البهائم وهياف الزرع وسلاطة الفيران الكثيرة على غيطان الغلة والمقاثي وغيرها، وما هم فيه من تكلف المشاق الطارئ عليهم أيضاً بسبب موت البهائم في الدراس وأداروا السواقي بأيديهم وعوافيهم أو بالحمير أو الخيل أو الجمال لمن عنده مقدرة على شرائها، وغلت أثمانها بسبب ذلك الى الغاية، فتغيرت قلوب الخلق جميعاً على حسن باشا وخاب ظنهم فيه وتمنوا زواله وفشا شر جماعته وعساكره القليونجية في الناس وزاد فسقهم وشرهم وطمعهم وانتهكوا حرمة المصر وأهله الى الغاية.

وفي خامسه يوم الأربعاء توفي أحمد كتخدا المجنون وقلدوا مكانه في كتخدائية مستحفظان رضوان جاويش تابعه عوضاً عنه.

وفيه قتل عثمان التوقتلي بالرميلة رفيق حمامجي أوغلي بعد أن عوقب بأنواع العذاب مدة حبسه واستصفيت منه جميع الأموال التي كان يملكها واختلسها ودل على غيرها حمامجي أوغلي واستمر حمامجي أوغلي في الترسيم.

وفيه قبض على سراج متوجه الى قبلي ومعه دراهم وأمتعة وغير ذلك، فأخذت منه ورمي عنقه ظلماً بالرميلة.

واستهل شهر رمضان المعظم بيوم الأحد، فيه اختصرت الأمراء من وقدة القناديل في البيوت عن العادة، وعبى اسمعيل بك هدية جليلة وأرسلها الى حسن باشا وهي سبع فروق بن وخمسون تفصيلة هندي عال مختلفة الأجناس وأربعة آلاف نصفية دنانير نقد مطروقة وجملة من بخور العود والعنبر وغير ذلك، فأعطى للشيالين على سبيل الإنعام أربعة عشر قرشاً رومية عنها خمسمائة وستون نصفاً فضة.

وفي يوم الثلاثاء عاشره حضر المحمل صحبة رجل من الأشراف، وذلك أنه لما وقع للحجاج من العربان ما وقع في العام الماضي ونهبوا الحجاج وأخذوا المحمل بقي عندهم الى أن جيش عليهم الشريف سرور وحاربهم وقاتلهم قتالاً شديداً وأفنى منهم خلائق لا تحصى واستخلص منهم المحمل وأرسله الى مصر صحبة ذلك الشريف، وقيل إن الشريف الذي حضر به هو الذي افتداه من العرب بأربعمائة ريال فرانسه، فلما حضر خرج الى ملاقاته الأشاير والمحملدارية وأرباب الوظائف ودخلوا به من باب النصر وأمامه الأشاير والطبول والزمور. وذلك الشريف راكب أمامه أيضاً.

وفي ذلك اليوم بعد أذان العصر بساعتين، وقعت حادثة مهولة مزعجة بخط البندقانيين وذلك أن رجلاً عطاراً يسمى أحمد ميلاد وحانوته تجاه خان البهار اشترى جانب بارود انكليزي من الفرنج في برميلين وبطة ووضعها في داخل الحانوت، فحضر

إليه جماعة من أهل الينبع وساوموه على جانب بارود وطلبوا منهم شيئاً ليروه ويجربوه، فأحضر البطة وصب منها شيئاً في المنقد الذي يعد فيه الدراهم ووضعوه على قطعة كاغد وأحضروا قطعة يدك وطيروا ذلك البارود عن الكاغد، فأعجبهم، ومن خصوصية البارود الانكليزي إذا وضع منه شيء على كاغد وطير فالنار لا تؤثر في الكاغد، ثم رموا بالقطعة اليدك على مصطبة الحانوت وشرع يزن لهم وهم يضعونه في ظرفهم ويتساقط فيما بين ذلك من حباته، وانتشر بعضها الى ناحية اليدك وهم لا يشعرون، فاشتعلت تلك الحبات واتصلت بما في أيديهم وبالبطة ففرقعت مثل المدفع العظيم واتصلت النار بذينك البرميلين كذلك فارتفع عقد الحانوت وما جاوره بما على تلك العقود من الأبنية والبيوت والربع والطباق في الهواء والتهبت بأجمعها ناراً، وسقطت بمن فيها من السكان على من كان أسفلها من الناس الواقفين والمارين، وصارت كوماً يظن من لم يكن رآه قبل ذلك أنه له مائة عام وذلك كله في طرفة عين، بحيث أن الواقف في ذلك السوق أو المار لم يمكنه الفرار والبعيد أصيب في بعض أعضائه إما من النار أو الردم، وكان السوق في ذلك الوقت مزدحماً بالناس خصوصاً وعصرية رمضان، وذلك السوق مشتمل على غالب حوائج الناس، وبه حوانيت العطارين والزياتين والقبانية والصيارف وبياعي الكنافة والقطائف والبطيخ، والعبدلاوي ودكاكين المزينين والقهاوي، وغالب جيران تلك الجهة وسكان السبع قاعات وشمس الدولة يأتون في تلك الحصة ويجلسون على الحوانيت لأجل التسلي، والحاصل أن كل من كان حاصلاً بتلك البقعة في ذلك الوقت سواء كان عالياً أو متسفلاً أو ماراً أو واقفاً لحاجة أو جالساً أصيب البتة، وكان ذلك العطار يبيع غالب الأصناف من رصاص وقصدير ونحاس وكحل وكبريت وعنده موازين شبه الجلل، فلما اشتعل ذلك البارود صارت تلك الجلل وقطع الرصاص والكحل والمغناطيس تتطاير مثل جلل المدافع حتى أحرقت واجهة الربع المقابل لها، وكان خان البهار مقفولاً متخرباً وبابه كبير مسماري فصدمه بعض الجلل وكسر واشتعل بالنار، واتصل بالطباق التي تعلو ذلك الخان ووقعت ضجة عظيمة، وكل من كان قريباً وسلم أسرع يطلب الفرار والنجاة وما يدري أي شيء القضية، فلما وقعت تلك الضجة وصرخت النساء من كل جهة وانزعجت الناس انزعاجاً شديداً وارتجت الأرض واتصلت الرجة الى نواحي الأزهر والمشهد الحسيني ظنوها زلزلة، وشرع تجار خان الحمزاوي في نقل بضائعهم من الحواصل، فإن النار تطايرت إليه من ظاهره وحضر الآغا والوالي فتسلم الآغا جهة الحمزاوي وتسلم الوالي جهة شمس الدولة وتتبعوا النار حتى أخمدوها وختموا على دكاكين الناس التي بذلك الخط وأرسلوا ختموا بيت أحمد ميلاد الذي خرجت النار من حانوته بعد أن أخرجوا منه النساء، ثم أفرجوا عنهم بأمر اسمعيل بك، وأحضروا في صبحها نحو المائتين فاعل وشرعوا في نبش الأتربة وإخراج القتلى وأخذ ما يجدونه من الأسباب والأمتعة. وما في داخل الحوانيت من البضائع والنقود وما سقط من الدور من فرش وأوان ومصاغ النساء وغير ذلك شيئاً كثيراً حتى الحوانيت التي لم يصبها الهدم فتحوها وأخذوا ما فيها وأصحابها ينظرون، ومن طلب شيئاً من متاعه يقال له هو عندنا حتى تثبته هذا إذا كان صاحبه ممن يخاطب ويصغى إليه وقيامة قائمة، ومن يقرأ ومن يسمع، ووقفت أتباعهم بالنبابيت من كل جهة يطردون الناس ولا يمكنون أحداً من أخذ شيء جملة كافية، وأما القتلى فإن من كان في السوق أو قريباً من تلك الحانوت والنار فإنه احترق، ومن كان في العلو من الطباق انهرس ومنهم من احترق بعضه وانهرس باقيه، وإذا ظهر وكان عليه شيء أو معه شيء أخذوه، وإن كانت امرأة جردوها وأخذوا حليها ومصاغها ثم لا يمكنون أقاربهم من أخذهم إلا بدراهم يأخذونها، وكأنما فتح لهم باب الغنيمة، ولما كشفوا عن أحمد ميلاد وحانوته وجدوه تمزق واحترق وصار قطعاً مثل الفحم، فجمعوا منه ست قطع وأخذوا شيئاً كثيراً من حانوته ودراهم

وودائع كانت أسفل الحانوت لم تصبها النار، وكتم عليها الردم والتراب. وكذلك حانوت رجل زيات انهدم على صاحبه فكشفوا عنه وأخرجوه ميتاً وأخذوا من حانوته مبلغ دراهم، وكذلك من بيت صباغ الحرير بجوار الحمزاوي انهدمت داره أيضاً وأخذوا ما فيها، ومن جملتها صندوق ضمنه دراهم لها صورة ونحو ذلك، واستمر الحال على ذلك أربعة أيام في حفر ونبش وإخراج قتلى وجنائز وبلغت القتلى التي أخرجت نيفاً عن مائة نفس، وذلك خلاف ما بقي تحت الردم منهم أمام الزاوية المجاورة لذلك، فإنها انخسفت أيضاً على الامام وبقي تحت الردم، ولم يجدوا بقية أعضاء أحمد ميلاد وفقدوا دماغه فجمعوا أعضاءه ووضعوها في كيس قماش ودفنوه وسدوا على تلك الخطة من الجهتين، وتركوها كما هي مدة أيام ونظفت وعمرت بعد ذلك، فكانت هذه الحادثة من أعظم الحوادث المزعجة.

وفي يوم الخميس حضر الرسل من عند القبليين وحضر أيوب بك الكبير رهينة عن المماليك المحمدية وعثمان بك الطنبرجي عن مراد بك وعبد الرحمن بك عن ابراهيم بك فذهبوا الى حسن باشا وقابلوه، وكذلك قابلوا عابدي باشا ثم اجتمع الأمراء عند حسن باشا، وتكلموا في شأن هؤلاء الجماعة وقالوا هؤلاء ليسوا المطلوبين، ولم يأت إلا أيوب بك الكبير من المطلوبين، ولم يأت عثمان بك الأشقر وأيوب بك الصغير، فاتفق الرأي على إعادة الجواب فكتبوا جوابات أخرى وأرسلوها صحبة سلحدار حسن باشا.

وفي هذا الشهر أخذت القرصان ثلاثة غلايين وفيها أناس من أتباع الدولة وأعيانها، ووصل بوقوع حريق عظيم ببندر جدة، وتوفي أحمد باشا واليها وعبى علي بك الدفتردار كساوى للأمراء فأرسل الى اسمعيل بك وحسن بك الجداوي ورضوان بك وباقي الصناجق والأمراء حتى لحريمهم وأتباعهم وأرسل أيضاً لطائفة الفقهاء وفتح السفر لجهة الموستو وتقليد باكير قبطان باشا قائمقام عن حسن باشا.

وفي منتصفه وقعت حادثة بثغر بولاق بين طائفة القليونجية والفلاحين باعة البطيخ، وذلك أن شخصاً قليونجياً ساوم على بطيخة وأعطاه دون ثمنها، فامتنع وتشاجر معه فوكزه العسكري بسكين فزعق الفلاح على شيعته، وزعق الآخر على رفقائه، فاجتمع الفريقان ووقع بينهم مقتلة كبيرة قتل فيها من الفلاحين نحو ثلاثين إنساناً ومن القليونجية نحو أربعة.

وفي يوم الأحد ثاني عشرينه قررت تفريدة على بلاد الأرياف أعلى وأوسط وأدنى، الأعلى خمسة وعشرون ألفاً نصف فضة والأوسط سبعة عشر ألف، والأدنى تسعة آلاف، وذلك خلاف ما يتبعها من الكلف وحق الطرق.

وفيه رفعوا خفارة البحرين عن بن حبيب وكذلك الموارد والتزم بها رضوان بك على خمسين كيساً يقوم بها في كل سنة لطرف الميري، وسبب ذلك منافسة وقعت بينه وبين بن حبيب، فإنه لما تولى المنوفية ومر على دجوة أرسل له بن حبيب تقدمة فاستقلها، ثم أرسل إليه بعد ارتحاله من الناحية يطلب منه جمالاً وأشياء، فامتنع بن حبيب فأرسل يطلبه ليقابله، فلم يذهب إليه واعتذر، ولما رجع نزل إليه ابنه علي بالضيافة فعاتبه على امتناع أبيه من مقابلته، وأضمر له في نفسه وتكلم معه حسن باشا في رفع ذلك عنهم، والتزم بالقدر المذكور، وطريقة العثمانية الميل الى الدنيا بأي وجه كان فأخرج فرماناً بذلك.

وفي ثاني شوال برزت الأمراء المعينون لجمع الفردة وهم سليم بك الاسماعيلي للغربية وشاهين بك الحسيني لإقليم المنصورة علي بك الحسيني لإقليم المنوفية ومحمد بك كشكش للشرقية وعثمان بك الحسيني للجيزة وعثمان كاشف الاسماعيلي للفيوم ويوسف كاشف الاسماعيلي للبهنسا وأحمد كاشف للجيزة.

وفي ثامنه حضر سلحدار الباشا وسليمان كاشف قنبور المسافران بالجوابات الى الأمراء القبليين، وذلك أنهم أرسلوا بطلب بلاد أخرى زيادة على ما عينوا لهم، وقالوا إن هذه البلاد لا تكفينا، فأمر لهم حسن باشا بخمسة بلاد أخرى، فقال اسمعيل بك: اطلبوا منهم حلواناً، فقال اسمعيل كاشف قنبور اجعلوا ما أخذ من بيوتهم في نظير الحلوان فقال كذلك.

وفي عاشره حضر قاصد من الحجاز بمراسلة من الشريف سرور يخبر فيها بعصيان عرب جرب وغيرهم وقعودهم على الطريق ومنعهم السبيل، ويحتاج أن أمير الحاج يكون في قوة واستعداد وأن الحرب قائمة بينهم وبين الشريف، وخرج إليهم في نحو خمسة عشر ألفاً.

وفي منتصفه كمل عمارة التكية المجاورة لقصر العيني المعروفة بتكية البكتاشية وخبرها أن هذه التكية موقوفة على طائفة من الأعجام المعروفين بالبكتاشية، وكانت قد تلاشى أمرها وآلت الى الخراب وصارت في غاية من القذارة، ومات شيخها وتنازع مشيختها رجل أصله من سراجين مراد بك وغلام يدعي أنه من ذرية مشايخها المقبورين، فغلب على الغلام ذلك الرجل لانتسابه الى الأمراء، وسافر الى اسكندرية فصادف مجيء حسن باشا واجتمع به وهو بهيئة الدراويش، وهم يميلون لذلك النوع وصار من أخصائه لكونه من أهل عقيدته، وحضر صحبته الى مصر وصار له ذكر وشهرة ويقال له الدرويش صالح، فشرع في تعمير التكية المذكورة من رشوات مناصب المكوس التي توسط لأربابها مع حسن باشا، فعمرها وبنى أسوارها وأسوار الغيطان الموقوفة عليها المحيطة بها، وأنشأ بها صهريجاً في فسحة القبة. ورتب لها تراتيب ومطبخاً، وأنشأ خارجها مصلى باسم حسن باشا، فلما تم ذلك عمل وليمة ودعا جميع الأمراء، فحصل عندهم وسوسة واعتدوا وركبوا بعد العصر بجميع مماليكهم وأتباعهم وهم بالأسلحة متحذرين، فمد لهم سماطاً وجلسوا عليه وأوهموا الأكل لظنهم الطعام مسموماً، وقاموا وتفرقوا خارج القصر والمراكب وعمل شنك وحراقة نفوط وبارود ظنوا غرابته، ثم ركبوا في حصة من الليل وذهبوا الى بيوتهم.

وفي يوم الخميس رابع عشرينه خرج المحمل وأمير الحجاج غيطاس بك في موكب محتقر بدون الينكجرية والعزب مثل العام الماضي، فخرجوا الى الحصوة وأقاموا هناك ولم يذهبوا الى البركة.

وفي يوم الثلاثاء غايته ارتحل الحجاج من الحصوة الى البركة بعد العصر، وارتحلوا في ضحوة يوم لأربعاء غرة شهر القعدة.

شهر القعدة الحرام، في ثالثه يوم الجمعة الموافق لثالث عشر مسرى القبطي، أو في النيل المبارك أذرعه ونودي بذلك وعمل الشنك وركب حسن باشا في صبحها وكسروا السد بحضرته، وجرى الماء في الخليج ولم يحضر عابدي باشا لمرضه.

وفي سادسه نودي على المماليك أن لا يركبوا من بيوت أسيادهم منفردين أبداً فترك ذلك في جملة المتروكات، وتزوج المماليك وصار لهم بيوت وخدم ويركبون ويغذون ويروحون ويشربون الدخان وهم راكبون في الشارع الأعظم وفي أيديهم شبكات الدخان من غير إنكار. وهم في الرق ولا يخطر ببالهم خروجهم عن الأدب لعدم إنكار أسيادهم وترخيصهم لهم في الأمور، فإذا مات بعض الأعيان بادر أحد المماليك الى سيده الأمير صاحب الشوكة وقبل يده وطلب منه أن ينعم عليه بزوجة الميت، فيجيبه الى ذلك، ثم تراه ركب في الوقت والساعة وذهب الى بيت المتوفى ولو قبل خروج جنازته، ونزل في البيت وجلس فيه وتصرف في تعلقاته وحازه وملكه بما فيه، وأقام بمجلس الرجال ينتظر انقضاء العدة ويأمر وينهي ويطلب الغداء والعشاء والفطور والقهوة والشربات من الحريم، ويتصرف تصرف الملاك، وربما وافق ذلك غرض المرأة، فإذا رأته شاباً مليحاً قوياً

وكان زوجها المقبور بخلاف ذلك أظهرت له المخبآت والمدخرات، فيصبح أميراً من غير تأمر وتتعدد عنده الخيول والخدم والفراشون والأصحاب، ويركب ويذهب ويجيء الى بيت سيده وفي حاجاته وغير ذلك، فجرى يوماً بمجلس حسن باشا ذكر ركوب المماليك على انفرادهم في الأسواق بحضرة بعض الاختيارية. فقالوا إنه قلة أدب وخلاف العادة القديمة التي رأيناها وتربينا عليها، فقال الباشا اكتبوا فرماناً بمنع ذلك ففعلوا ذلك ونادوا به من قبيل الشغل الفارغ.

وفي سابعه ثقل عابدي باشا في المرض وأشيع موته.

وفي حادي عشره حضر حسين بك المعروف بشفت من قبلي في جملة الرهائن وقابل الباشا وأقام بمصر.

وفي منتصفه عوفي عابدي باشا من مرضه وشرعوا في طلب المال الشتوي، فضج الملتزمون وتكلم الوجاقلية في الديوان وقالوا: من أين لنا ما ندفعه وما صدقنا بخلاص المظالم والصيفي والفردة و لم يبق عندنا ولا عند الفلاحين شيء أعطونا الجامكية وفرح الناس بذلك، ثم تبين أن لا أحد يأخذ رجعة إلا بقدر ما عليه من الميري، وإن زاد له شيء يبقى له وديعة بالدفتر وإن لم يكن له جامكية يدفع ما عليه نقداً، فصار بعض الملتزمين يأتي بأسماء برانية وينسبها لنفسه، لأجل غلاق المطلوب منه، فاتضحت تلك النسبة له بمراجعة الدفتر، ثم منعوا كتابة الرجع وصار الأفندية يكشفون على الدفاتر ويملون ويسددون بأنفسهم، فمن زاد له شيء تبقى بالدفتر ومن زاد عليه شيء طلب منه.

وفي عشرينه ذهب الأمراء الى حسن باشا وهم اسمعيل بك وحسن بك وعلي بك وباقي الأمراء، فتكلم معهم بسبب الأموال التي جعلها عليهم والميري المطلوب منهم ومن أتباعهم. وقال لهم: أنا مسافر بعد الأضحى ولابد من تشهيل المطلوب، فاعتذروا وطلبوا المهلة فشنع عليهم ووبخهم بالكلام التركي، ومن جملة ما قال لهم: أنتم وجوهكم مثل الحيط، وأمثال ذلك. فخرجوا من عنده وهم في غاية من القهر، وكان ذلك بإغراء اسمعيل بك، ولما ذهب اسمعيل بك الى بيته طلب أمراءه وشنع عليهم كما شنع عليه الباشا وحلف أن كل من تبقى عليه شيء ولو ألف درهم سلمه للباشا يقطع رأسه.

وفي يوم الخميس غايته طلعوا عند عابدي باشا فطالبهم بالميري أيضاً وشنع عليهم وخصوصاً قاسم بك أباسيف وحلف أنه يحاسبهم حتى يدفعوا ما عليهم.

واستهل شهر ذي الحجة الحرام بيوم الجمعة، وفيه حضر الآغا وعلى يده مقرر لعابدي باشا على السنة الجديدة.

وفيه أيضاً قوي عزم حسن باشا على السفر الى بلاد الروم وأعطى لاسمعيل بك جملة مدافع وقنابر وآلات حرب وصنع له قليوناً صغيراً وقرر ألفاً وخمسمائة عسكري يقيمون بمصر.

وفي يوم الخميس رابع عشره عمل حسن باشا ديواناً بالقصر وحضر عنده عابدي باشا والمشايخ وسائر الأمراء بسبب قراءة مراسيم حضرت من الدولة، فقرأوا منها ثلاثة وفيها طلب حسن باشا الى الديار الرومية بسبب حركة السفر الى لجهاد، وان الموسقو زحفوا على البلاد واستولوا على ما بقي من بلاد القرم وغيرها، والثاني فيه ذكر العفو عن ابراهيم بك ومراد بك من القتل، وأن يقيم ابراهيم بك بقنا ومراد بك بأسنا ولا إذن لهم في دخول مصر جملة كافية.

وفيه نودي على صرف الريال الفرانسة بمائة نصف فضة، وكان وصل الى مائة وعشرة فتضرر الناس من ذلك.

وفي يوم الجمعة ثاني عشرينه ركب الأمراء بأسرهم لوداع حسن باشا وكان في عزمه النزول في المراكب بعد صلاة الجمعة،

فلما تكاملوا عنده قبض على الرهائن وهم عثمان بك المرادي المعروف بالطنبرجي وحسين بك شفت وعبد الرحمن بك الابراهيمي، ثم أمر بالقبض على حسن كتخدا الجربان وسليمان كاشف قنبور فهرب حسن كتخدا وساق جواده فتبعه جماعة من العسكر، فلم يزل رامحاً وهم خلفه حتى دخل بيت حسن بك الجداوي ودخل الى باب الحريم وكان حسن بك بالقصر، فرجع العسكر وأخبروا الباشا بحضرة اسمعيل بك فطلب حسن بك وسأله اسمعيل بك، فقال: إن كان في بيتي خذوه، فأرسلوا وأحضروه ووضعوه صحبة المقيدين.

وفي يوم السبت ثالث عشرينه سافر حسن باشا من مصر وأخذ معه الرهائن، وسافر صحبته ابراهيم بك قشطة ليشيعه الى رشيد، وزار في طريقه سيدي أحمد البدوي بطندتا، و لم يحصل من مجيئه الى مصر وذهابه منها إلا الضرر، و لم يبطل بدعة و لم يرفع مظلمة بل تقررت به المظالم والحوادث، فإنهم كانوا يفعلونها قبل ذلك مثل السرقة ويخافون من إشاعتها وبلوغ خبرها الى الدولة، فينكرون عليهم ذلك وخابت فيه الآمال والظنون، وهلك بقدومه إليها ثم التي عليها مدار نظام العالم وزاد في المظالم التحرير، لأنه كان عندما قدم أبطل رفع المظالم ثم أعاده بإشارة اسمعيل بك وسماه التحرير فجعله مظلمة زائدة، وبقي يقال رفع المظالم والتحرير، فصار يقبض من البلاد خلاف أموال الخراج عدة أقلام منها المضاف والبراني وعوائد الكشوفية والفرد المتعددة ورفع المظالم والتحرير ومال الجهات وغير ذلك، ولو مات حسن باشا بالإسكندرية أو رشيد لهلك عليه أهل الإقليم أسفاً وبنوا على قبره مزاراً وقبة وضريحاً يقصد للزيارة.

من مات في هذه السنة من الأعيان

توفي الإمام العالم العلامة أوحد وقته في الفنون العقلية والنقلية شيخ أهل الإسلام وبركة الأنام الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي حامد العدوي الالكي الأزهري الخلوتي الشهير بالدردير، ولد ببني عدي كما أخبر عن نفسه سنة 1127 وحفظ القرآن وجوده وحبب إليه طلب العلم، فورد الجامع الأزهر وحضر دروس العلماء وسمع الأولية عن الشيخ محمد الدقري بشرطه، والحديث على كل من الشيخ أحمد الصباغ وشمس الدين الحفني، وبه تخرج في طريق القوم وتفقه على الشيخ علي الصعيدي ولازمه في جل درسه حتى أنجب وتلقن الذكر وطريق الخلوتية من الشيخ الحفني، وصار من أكبر خلفائه كما تقدم، وأفتى في حياة شيوخه مع كمال الصيانة والزهد والعفة والديانة، وحضر بعض دروس الشيخين الملوي والجوهري وغيرهما، ولكن جل اعتماده وانتسابه على الشيخين الحفني والصعيدي وكان سليم الباطن مهذب النفس كريم الأخلاق، وذكر لنا عن لقبه أن قبيلة من العرب نزلت ببلده كبيرهم يدعى بهذا اللقب، فولد جده عند ذلك فلقب بلقبه تفاؤلاً لشهرته، وله مؤلفات منها شرح مختصر خليل أورد فيه خلاصة ما ذكره الأجهوري والزرقاني واقتصر فيه على الراجح من الأقوال ومتن في فقه المذهب سماه أقرب المسالك لمذهب مالك، ورسالة في متشابهات القرآن ونظم الخريدة السنية في التوحيد وشرحها، وتحفة الأخوان في آداب أهل العرفان في التصوف، وله شرح على ورد الشيخ كريم الدين الخلوتي، وشرح مقدمة نظم التوحيد للسيد محمد كمال الدين البكري، ورسالة في المعاني والبيان، ورسالة أفرد فيها طريقة حفص ورسالة في المولد الشريف، ورسالة في شرح قول الوفائية: يا مولاي يا واحد يا مولاي يا دائم يا علي يا حكيم. وشرح على مسائل كل صلاة بطلت على الإمام والأصل للشيخ البيلي،

وشرح على رسالة في التوحيد من كلام دمرداش، ورسالة في الاستعارات الثلاث، وشرح على آداب البحث، ورسالة في شرح صلاة السيد أحمد البدوي، وشرح على الشمائل لم يكمل ورسالة في صلوات شريفة اسمها المورد البارق في الصلاة على أفضل الخلائق، والتوجه الأسنى بنظم الأسماء الحسنى. ومجموع ذكر فيه أسانيد الشيوخ، ورسالة جعلها شرحاً على رسالة قاضي مصر عبد الله أفندي، المعروف بططر زاده في قوله تعالى: يوم يأتي بعض آيات ربك الآية، وله غير ذلك. ولما توفي الشيخ علي الصعيدي تعين المترجم شيخاً على المالكية ومفتياً وناظراً على وقف الصعايدة وشيخاً على طائفة الرواق بل شيخاً على أهل مصر بأسرها في وقته حساً ومعنى. فإنه كان رحمه الله يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويصدع بالحق ولا يأخذه في الله لومة لائم، وله في السعي على الخير يد بضياء تعلل أياماً ولزم الفراش مدة حتى توفي في سادس شهر ربيع الأول من هذه السنة، وصلي عليه بالأزهر بمشهد عظيم حافل ودفن بزاويته التي أنشأها بخط الكعكيين بجوار ضريح سيدي يحيى بن عقب، وعندما أسسها أرسل إلي وطلب مني أن أحرر له حائط المحراب على القبلة، فكان كذلك، وسبب إنشائه للزاوية أن مولاي محمد سلطان المغرب كان له صلات يرسلها لعلماء الأزهر وخدمة الأضرحة وأهل الحرمين في بعض السنين، وتكرر منه ذلك فأرسل على عادته في سنة ثمان وتسعين مبلغاً وللشيخ المترجم قدراً معيناً له صورة، وكان لمولاي محمد ولد تخلف بعد الحج وأقام بمصر، مدة حتى نفد ما عنده من النفقة، فلما وصلت تلك الصلة أراد أخذها ممن هي في يده فامتنع عليه وشاع خبر ذلك في الناس وأرباب الصلات وذهبوا الى الشيخ بحصته، فسأل عن قضية بن السلطان فأخبروه عنها وعن قصده وأنه لم يتمكن من ذلك، فقال: والله هذا لا يجوز وكيف أننا نتفكه في مال الرجل ونحن أجانب وولده يتلظى من العدم، هو أولى مني وأحق أعطوه قسمي. فأعطاه ذلك، ولما رجع رسول أبيه أخبر السلطان والده بما فعل الشيخ الدردير فشكره على فعله وأثنى عليه، واعتقد صلاحه، وأرسل له ف يثاني عام عشرة أمثال الصلة المتقدمة مجازاة للحسنة فقبلها الأستاذ وحج منها، ولما رجع من الحج بنى هذه الزاوية مما بقي ودفن بها رحمه الله و لم يخلف بعده مثله.

ومات الشيخ الإمام العلامة المتفنن المتقن المعمر الضرير الشيخ محمد المصيلحي الشافعي أحد العلماء، أدرك الطبقة الأولى وأخذ عن شيوخ الوقت وأدرك الشيخ محمد شنن المالكي وأخذ عنه، وأجازه الشيخ مصطفى العزيزي والشيخ عبد ربه الديوي والشيخ أحمد الملوي والحفني والدفري والشيخ علي قايتباي والشيخ حسن المدابغي، وناضل ودرس وأفاد وأقر وانتفع عليه الطلبة، ولما مات الشيخ أحمد الدمنهوري وانقرض أشياخ الطبقة الأولى نوه بذكره واشتهر صيته وحف به تلامذته وغيرهم ونصبوه شبكة لصيدهم وآلة لاقتناصهم وأخذوه الى بيوت الأمراء في حاجاتهم، وعرضوا به المتصدرين من الأشياخ في الرياسة، ويرى أحقيته لها لسنة وأقدميته، ولما مات الشيخ أحمد الدمنهوري وتقدم الشيخ أحمد العروسي في مشيخة الأزهر كان المترجم غائباً في الحج، فلما رجع وكان الأمر قد تم للعروسي أخذه حمية المعاصرة وأكثرها من إغراء من حوله فيحركونه للمناقضة والمناكدة حتى أنه تعدى على تدريس الصلاحية بجوار مقام الإمام الشافعي المشروطة لشيخ الأزهر بعد صلاة الجمعة، فلم ينازعه الشيخ أحمد العروسي وتركها له حسماً للشر وخوفاً من ثوران الفتن، والتزم له الإغضاء والمسامحة في غالب الأطوار، ولم يظهر الالتفات لما يعانوه أصلاً حتى غلب عليهم بحلمه وحسن مسايرته، حتى أنه لما توفي المترجم ورجع إليه تدريس الصلاحية لم يباشر التصدر في الوظيفة بل قرر فيها تلميذه العلامة الشيخ مصطفى الصاوي، وأجلسه، وحضر افتتاحه فيها

وذلك من حسن الرأي وجودة السياسة، توفي المترجم ثاني عشر شوال من هذه السنة وصلي عليه بالأزهر في مشهد حافل ودفن بالمجاورين.

ومات الإمام العلامة واللوذعي الفهامة لسان المتكلمين وأستاذ المحققين الفقيه النبيه المستحضر الأصولي المنطقي الفرضي الحيسوب الشيخ عبد الباسط السنديوني الشافعي تفقه على أشياخ العصر المتقدمين وأجازه أكابر المحدثين، ولازم الشيخ محمد الدفري وبه تخرج في الفقه وغيره وأنجب ودرس وأفاد وأفنى في حياة شيوخه، وكان حسن الإلقاء جيد الحافظة يملي دروسه عن ظهر قلبه وحافظته عجيب الاستحضار للفروع الفقهية والعقلية والنقلية، ومما شاهدته من استحضاره أنه وردت فتوى في مسألة مشكلة في المناسخة فتصدى لتحريرها وقسمتها جماعة من الأفاضل ومنهم الشيخ محمد الشافعي الجناجي وناهيك به في هذا الفن وتعبوا فيها يوماً وليلة، حتى حرروها على الوجه المرضي، ثم قالوا دعنا نكتبها في سؤال على بياض ونرسلها للمتصدرين للإفتاء وننظر ماذا يقولون في الجواب وهو لا يعلم بشيء مما عانوه، فغاب الرسول مدة لطيفة وحضر بالجواب على الوجه الذي تعب فيه الجماعة يوماً وليلة فقضوا عجباً من جودة استحضاره وحدة ذهنه وقوة فهمه، إلا أنه كان قليل الورع عن بعض سفاسف الأمور، اتفق أنه تنازع مع عجوز في فدان ونصف طين مدة سنين وأهين بسببها مراراً في أيام مشيخة الشيخ عبد الله الشبراوي والشيخ الحفني، ورأيته مرة يتداعى معها عند شيخنا الشيخ أحمد العروسي، فنهاه الشيخ العروسي عنها ولامه فلم ينته و لم يزل ينازعها وتنازعه الى أن مات، وغير ذلك أمور يستحي من ذكرها في حق مثله، وبذلك قلّت وجاهته بين نظرائه، توفي في أول جمادى الآخرة من السنة، وصلي عليه بالأزهر ودفن بتربة المجاورين رحمه الله وغفر لنا وله.

ومات الشيخ الفاضل الصالح المجذوب صاحب الأحوال محمد ابن أبي بكر بن محمد المغربي الطرابلسي الشهير بالأثرم ولد بقرية أنكوان من أعمال طرابلس في حدود سنة خمس وأربعين، وبها نشأ وتنتسب جدوده الى خدمة الولي الصالح الشهير سيدي أحمد زروق قدس سره وغلب عليه الجذب في مبادئ أمره، وحفظ جملة من كلام الشيخ المشار إليه ومن كلام غيره، وكان مبدأ أمره فيما أخبرنا أنه توجه الى تونس برسم التجارة فاجتمع على رجل من الصالحين هناك ولازمه، فلما قربت وفاته أوصى إليه بملبوس بدنه، فلما توفي جمع الحاضرين وأراد بيعه فأشار إليه بعض أهل الشأن أن يضن به ولا يبيعه، فتنافس فيه الشارون وتزايدوا، فدفع الدراهم من عنده في ثمنه وأبقاه، وكان المتوفى فيما قيل قطب وقته. فلبسه الوجد في الحال وظهرت له أمور هناك، واشتهر أمره وأتى الى الإسكندرية فسكنها مدة، ثم ورد مصر في أثناء سنة 1185 وحصلت له شهرة تامة، ثم عاد الى الاسكندرية فقطنها مدة، ثم عاد الى مصر وهو مع ذلك ينجر في الغنم، وأثرى بسبب ذلك وتمول وكانت الأغنام تجلب من وادي برقة فيشارك عليها مشايخ عرب أولاد علي وغيرهم، وربما ذبح بنفسه بالثغر، فيفرق اللحم على الناس ويأخذ منهم ثمن ذلك، وكان مشهوراً بإطعام الطعام والتوسع فيه في كل وقت وربما وردت عليه جماعة مستكثرة فيقريهم في الحال وتنقل له في ذلك أمور.

ولما ورد مصر كان على هذا الشأن، لابد للداخل عليه من تقديم مأكول بين يديه، وهادته أكابر الأمراء والتجار بهدايا فاخرة سنية، وكان يلبس أحسن الملابس وربما لبس الحرير المقصب يقطع منها ثياباً واسعة الأكمام فيلبسها ويظهر في كل طور في

ملبس آخر غير الذي لبسه أولاً، وربما أحضر بين يديه آلات الشرب، وانكبت عليه نساء البلد، فتوجه إليه بمجموع ذلك نوع ملام، إلا أن أهل الفضل كانوا يحترمونه ويقرون بفضله وينقلون عنه أخباراً حسنة. وكان فيه فصاحة زائدة وحفظ لكلام القوم وذوق للفهم ومناسبات للمجلس، وله أشراف على الخواطر فيتكلم عليها فيصادف الواقع، ثم عاد الى الإسكندرية ومكث هناك الى أن ورد حسن باشا، فقدم معه وصحبته طائفة من عسكر المغاربة، ولما دخل مصر أقبلت عليه الأعيان وعلت كلمته وزادت وجاهته وأتته الهدايا وكانت شفاعته لا ترد عند الوزراء، ولما كان آخر جمادى الأولى من هذه السنة توجه الى كرداسة لإيقاع صلح بين العرب وبين جماعة من القافلة المتوجهة الى طرابلس، فمكث عندهم في العزائم والإكرامات مدة من الأيام، ثم رجع وكان وقتاً شديد الحر، فخلع ثيابه فأخذه البرد والرعدة في الحال، ومرض نحو ثمانية أيام. حتى توفي نهار الثلاثاء ثالث جمادى الثانية، وجهز وكفن وصلي عليه بمشهد حافل بالأزهر. ودفن تحت جدار قبة الإمام الشافعي في مدافن الرزازين، وحزنت عليه الناس كثيراً، وقد رآه أصحابه بعد موته في منامات عدة عدل على حسن حاله في البرزخ، رحمه الله.

ومات الإمام العلامة والفاضل الفهامة صفوة النبلاء ونتيجة الفضلاء الشيخ أحمد بن أحمد بن محمد السحيمي الحنفي القلعاوي تفقه على والده وعلى الشيخ أحمد الحماقي، وحضر معنا على شيخنا الشيخ مصطفى الطائي الهداية وأنجب ودرس في فقه المذهب والمعقول مع الحشمة والديانة ومكارم الأخلاق والصيانة، توفي سادس عشر شوال ودفن عند والده بباب الوزير.

ومات الأجل العمدة الشريف الصالح السيد عبد الخالق بن أحمد بن عبد اللطيف بن محمد تاج العارفين المنتهي نسبه الى سيدي عبد القادر الحسني الجيلي المصري، ويعرف بابن بنت الجيزي، وهو أخو السيد محمد الجيزي المتوفى قبل ذلك من بيت الثروة والعز والسيادة، تولى بعد أخيه الكتابة ببيت النقابة ومشيخة القادرية، وأحسن السير والسلوك مع الوقار والحشمة. وكان إنساناً حسناً كثير الحياء متجمعاً عن الناس مقبلاً عن شأنه، وفيه رقة طبع مع الأخلاق المهذبة والتواضع للناس والانكسار رحمه الله.

ومات الأمير الصالح المبجل أحمد جاويش أرنؤد باش اختيار وجاق التفكجية، وكان من أهل الخير والدين والصلاح، عظيم اللحية منور الشيبة مبجلاً عند أعاظم الدولة، يندفع في نصرة الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويسمعون لقوله وينصتون لكلامه ويتقونه ويحترمونه لجلالته ونزهته عن الأغراض، وكان يحب أهل الفضائل ويحضر دروس العلماء ويزورهم ويقتبس من أنوار علومهم، ويذهب كثيراً الى سوق الكتبيين ويشتري الكتب ويوقفها على طلبة العلم، واقتنى كتباً نفيسة ووقفها جميعها في حال حياته ووضعها بخزانة الكتب بجامع شيخون العمري بالصليبة تحت يد الشيخ موسى الشيخوني الحنفي، وسمع على شيخنا السيد مرتضى صحيح البخاري ومسلم وأشياء كثيرة والشمائل والثلاثيات وغير ذلك، وبالجملة فكان من خيار من أدركنا من جنسه، ولم يخلف بعده مثله، توفي في ثامن شوال من السنة وقد ناهز التسعين.

ومات الأمير المبجل أحمد كتخدا المعروف بالمجنون أحد الأمراء المعروفين والقراصنة المشهورين وهو من مماليك سليمان جاويش القازدعلي، ثم انضوى الي عبد الرحمن كتخدا وانتسب إليه وعرف به، وأدرك الحوادث والفتن التليدة والطارفة، ونفي من نفي في إمارة علي بك الغزاوي في سنة ثلاث وسبعين الى بحري ثم الى الحجاز، وأقام بالمدينة المنورة نحو اثنتي عشرة سنة وقاداً بالحرم المدني، ثم رجع الى الشام وأحضره محمد بك أبو الذهب الى مصر وأكرمه ورد إليه بلاده وأحبه واختص به، وكان

يسامره ويأنس بحديثه ونكاته، فإنه كان يخلط الهزل بالجد يأتي بالمضحكات في خلال المقبضات، فلذلك سمي بالمجنون، وكان بلدترسا بالجيزة جارية في التزامه وعمر بها قصراً وأنشأ بجانبه بستاناً عظيماً زرع فيه أصناف الأشجار والنخيل والرياحين ويجلب من ثماره الى مصر للبيع والهدايا، ويرغب فيها الناس لجودتها وحسنها عن غيرها، وكذلك أنشأ بستاناً بجزيرة المقياس في غاية الحسن، وبنى بجانبه قصراً يذهب إليه في بعض الأحيان، ولما حضر حسن باشا الى مصر ورأى هذا البستان أعجبه فأخذه لنفسه وأضافه الى أوقافه، وبنى المترجم أيضاً داره التي بالقرب من الموسكي داخل درب سعادة، وداراً على الخليج المرخم أسكن فيه بعض سراريه، وكان له عزوة ومماليك ومقدمون وأتباع، وابراهيم بك أوده باشه من مماليكه ورضوان كتخدا الذي تولى بعده كتخدا الباب، وكان مقدمه في المدد السابقة يقال له المقدم فوده له شأن وصولة بمصر وشهرة في القضايا والدعاوى، ولم يزل طول المدد السابقة جاويشاً، فلما كان آخر مدة حسن باشا قلدوه كتخدا مستحفظان، ولم يزل معروفاً مشهوراً في أعيان مصر الى أن توفي في خامس شعبان من السنة.

ومات الأمير الجليل محمد بك الماوردي، وهو مملوك سليمان آغا كتخدا الجاويشية، زوج أم عبد الرحمن كتخدا وخشداشينه حسن بك الأزبكاوي الذي قتل بالمساطب كما تقدم، وحسن بك المعروف بأبي كرش فكان الثلاثة أمراء يجلسون بديوان الباشا وسيدهم كتخدا الجاويشية واقف في خدمته على أقدامه، ومرت له محن في تنقلاته ورحلاته الى البلاد عندما تملك علي بك وخرج المترجم منفياً وهارباً من مصر مع من خرج، وباشر الحروب بأسيوط وذهب الى الشام وغيرها، لكن لم أتحقق وقائعه، ولم يزل حتى حضر الى مصر في أيام أبي الذهب وقد صار ذا شيبة، وتزوج بنت الشيخ العناني وأقام بينهم بسوق الخشب خاملاً حتى مات في هذه السنة، وكان لا بأس به وتقلد في المدد السابقة أغاوية مستحفظان ثم الصنجقية ونظارة الجامع الأزهر.

سنة اثنتين ومائتين وألف

استهل المحرم بيوم السبت، فيه عزل المحتسب وتولى آخر يسمى يوسف آغا الخربتاوي. وتولى عثمان بك طبل الاسماعيلي على دجرجا.

وفيها انفرد اسمعيل بك الكبير في إمارة مصر وصار بيده العقد والحل والإبرام والنقض. واستوزر محمد آغا البارودي وجعله كتخداه، واستمر اسمعيل كتخدا حسن باشا بمصر لقبض بواقي المطلوبات وسكن ببيت حسن كتخدا الجربان بباب اللوق.

وفيه قبض اسمعيل بك على الحاج سليمان بن ساسي وحبسه ببيت محمد آغا البارودي وصادره في خمسين كيساً.

وفي خامسه، طلب اسمعيل بك دراهم قرضة مبلغاً كبيراً فوزعوا منها جانباً على تجار البن والبهار وجانباً على الذين يقرضون البن بالمرابحة للمضطرين وجانباً على نصارى القبط وعلى الأروام والشوام وعلى طوائف المغاربة بطولون والغورية وعلى المتسببين في الغلال بالسواحل والرقع، وكذلك بياعو القطن والبطانة والقماش والمنجدون واليهود وغير ذلك. فانزعج الناس وأغلقوا وكائل البن والغورية ودكاكين الميدان.

وفي يوم السبت خامس عشره اجتمع جملة من الطوائف المذكورة وحضروا الى الجامع الأزهر وضجوا واستغاثوا من هذا النازل، وحضر الشيخ العروسي فقاموا في وجهه وأرادوا قفل أبواب الجامع فمنعهم من ذلك فصاحوا عليه وسبوه وسحبوه بينهم الى جهة رواق الشوام. فمنع عنه المجاورون، وأدخلوه الى الرواق ودافعوا عنه الناس وقفلوا عليه باب الرواق. وصحبته طائفة من المتعممين، وكتبوا عرضاً الى اسمعيل بك بسبب ذلك وأرسلوه صحبة الشيخ سليمان الفيومي وانتظروه حتى رجع إليهم ومعه تذكرة من اسمعيل بك مضمونها الأمان والعفو عن الطوائف المذكورة.

وفيها، أن هذا المطلوب إنما هو على سبيل القرض والسلفة من القادر على ذلك، فلما قرئت عليهم التذكرة قالوا: هذه مخادعة وعندما ينفض الجمع وتفتح الدكاكين يأخذونا واحداً بعد واحد، ثم قام الشيخ وركب وحوله الجم الغفير والغوغاء وبعض المجاورين يدفع الناس عنهم بالعصي والعامة يصيحون عليه ويسمعونه الكلام غير اللائق الى أن وصل الى باب زويلة. فنزل بجامع المؤيد وأرسل الى اسمعيل بك يخبره بهذا الحال، فحنق اسمعيل بك وظن أنها مفتعلة من الشيخ وأنه هو الذي أغراهم على هذه الأفعال، فأجابه الرسل وحلفوا له ببراءته من ذلك، وليس قصده إلا الخلاص منهم، فقال: أنا أرسلت إليهم بالأمان ودعوهم ينفضوا وما أحد يطالبهم بشيء، فانفضوا وتفرقوا ومضى على ذلك يوماً فأرسلوا الى أهل الصاغة والجواهرجية والنحاسين وطالبوهم بالمقرر والموزع عليهم، فلم يجدوا بداً من الدفع، ثم طالبوا وكالة الجلاية وتطرق الحال الى باقي الناس حتى بياعي الفسيخ ومجموع ذلك نحو اثنين وسبعين حرفة.

وفي منتصفه حضر علي كاشف من جهة قبلي وقد كان سافر بعد سفر حسن باشا برسالة الى الأمراء القبالي، وأخبر أنهم مستقرون في أماكنهم و لم يتحركوا.

وفي يوم الخميس سادس عشرينه سافر أمير القلزم بملاقاة الحاج وكان من عادته السفر في أول الشهر، و لم يحضر في هذه السنة

نجاب الجبل، وأخذوا من بلاد أمير الحج بلدين وأخذوا أيضاً بيته الذي كان سكن به فلما استقر يحيى بك بمصر أخذه وسكنه لكونه زوج بنت صالح بك وهو بيت أبيها وهو أحق به.

ثم استهل شهر صفر الخير، وفيه كملت القيسارية التي عمرها اسمعيل بك بجانب السبيل الذي بسويقة لاجين، فأنشأ بها إحدى وعشرين حانوتاً وقهوة، وجعلها مربعة الأركان، وهذا السبيل من إنشاء سيده ابراهيم كتخدا، ولما أتمها نقل إليها سوق درب الجماميز بعد العصر وانتقل إليه الدلالون والناس والقماشون في عصرية يوم الثلاثاء ثانية، ويطل سوق درب الجماميز من ذلك اليوم، وليس لاسمعيل بك من المحاسن إلا نقل هذا السوق من تلك الجهة ووضعه في هذه الجهة كما لا يخفى.

وفي اشتد العسف في الرعية بسبب طلب السلفة، وتعدى الحال الى بياع المخلل والصوفان وتضرر الفقراء من ذلك.

وفي سابعه سافر محمد باشا والي جدة الى السويس.

وفي يوم السبت ثالث عشره، طلع اسمعيل بك والأمراء الى الديوان بالقلعة وأخرج قوائم مزاد البلاد التي تأخر على ملتزميها الميري، فتصدر لشرائها كتخداه محمد آغا البارودي، فاشترى نحو سبعين بلداً، وفي الحقيقة هي راجعة الى مخدومه يفرقها على من يشاء من أغراضه. فشرع أولاً في طلب الشتوي وزاد على من أخذ البلاد سنة ونصفاً، ثم ادعى أن حسن باشا أخذ سنة من الحلوان ودخلت في حسابه، وطلب سنة ونصف أخرى وطلب المال الصيفي أيضاً، فعجزت الملتزمون، ففعل هذه الفعلة وأخرج قوائم مزادهم الى الديوان واستخلصها من ملتزميها.

وفي تلك الليلة، حضرت جماعة من كشاف النواحي القبلية وأخبروا أن الأمراء القبالي حضروا الى أسيوط وأوائلهم تعدى منفلوط، فهرب من كان هناك من الكشاف وغيرهم وحضروا الى مصر، فلما تحققت هذه الأخبار طلع في صبحها اسمعيل بك الى الديوان واجتمع الأمراء والوجاقلية أو المشايخ، فتكلم اسمعيل بك وقال: يا أسيادنا يا مشايخ يا أمراء يا وجاقلية، إن الجماعة القبليين نقضوا عهد السلطان وانتقلوا من أماكنهم وزحفوا على البلاد. فهل الواجب قتالهم ودفعهم؟ فقالوا: نعم، فقال إن المخالفين إذا نقضوا عهد السلطان ولزم الحال الى قتالهم يصرف المقاتلين من العسكر من خزينة السلطان وليس هنا خزينة فكل منكم يقاتل عن نفسه، فأجابه اسمعيل أفندي الخلوتي وقال: ونحن أي شيء تبقى عندنا حتى نصرفه وقد صرنا كلنا شحاتين لا نملك شيئاً، فقال له الباشا: هذا الكلام لا يناسب ولا ينبغي أنك تكسر قلوب العسكر بمثل هذا الكلام، والأولى أن تقول لهم أنا وأنتم شيء واحد إن جعت جوعوا معي وإن شبعت اشبعوا معي، ثم انحط الرأي بينهم على أن يكتبوا عرضاً للدولة والإخبار عن نقضهم وعرضاً لهم بالتحذير، ثم كتبوا فرمانات لجميع الغز والأجناد الغائبين بالأرياف بالحضور، وبكى اسمعيل بك بالمجلس ولهنه في بكائه، ثم كتبوا مكاتبة من الباشا ومن الوجاقلية والمشايخ وأرسلوها صحبة واحد من طرف الباشا وسراج من طرف اسمعيل بك. وأرسلوا الى محمد باشا المسافر الى جدة بالرجوع من السويس الى مصر بأمر من الدولة.

وفي ذلك اليوم أعني يوم الأحد رابع عشره حضر جاويش الحاج من العقبة.

وفي يوم الأربع سابع عشره، نبهوا على مماليك الأمراء القبليين وكشافهم الكائنين بمصر بالاجتماع والحضور، فأرسل كل من كان مستخدماً عنده جماعة من الأمراء والصناجق وغيرهم، فجمعهم في مكان في بيته، ومن كان غائباً في حاجة أرسلوا إليه وأحضروه، فلما تكاملوا أخذوا خيولهم وأسلحتهم وأبقوهم في الترسيم، وأما علي بك الدفتردار فإنه لم يسلم فيمن عنده،

وكان منقطعاً في الحريم لصداع برأسه ووجع في عينيه من مدة شهرين.
وفي يوم الجمعة كان نزول الحجاج ودخولهم الى مصر، وكانوا أغلقوا أبواب مصر وأجلسوا عليها حرسجية فلم يدخل الحجاج إلا من باب النصر فقط، فتضرر الناس من الازدحام في ذلك الباب، وارتاح الحجاج في هذا العام ولم يحصل لهم تعب، وزاروا المدينة الشريفة.
وفيه نزل الآغا وصحبته كتخدا الباشا وأمامهما المناداة على كل من كان مختفياً من أتباع الأمراء القبليين ومماليكهم بالظهور ويطلعوا يقابلوا الباشا، وكل من ظهر عنده أحد بعد ثلاثة أيام، فإنه يستأهل الذي يجري عليه.
وفي صبحها يوم السبت، دخل أمير الحاج غيطاس بك وصحبته المحمل.
وفيه شرع اسمعيل بك في طلب تفريدة من البلاد والقرى، فجعلوا على كل بلد مائة دينار وعشرة، خلاف ما يتبع ذلك من الكلف وحق الطرق وغير ذلك، وعين لقبضها خازنداره وغيره.
وفي تاسع عشره، قبضوا على جماعة من المماليك والأجناد وهم الذين كانوا في الترسيم. وأنزلوهم في مراكب وأرسلوهم الى ثغر الاسكندرية وحبسوهم بالبرج، ومنهم جماعة بأبي قير، وكان علي بك توقف في تسليم المنتسبين إليه فلم يزل به اسمعيل بك حتى سلم فيهم.
وفي عشرينه، قبضوا على بواقيهم وأنزلوهم المراكب أيضاً، وبعضهم أنزلوه عرياناً ليس عليه سوى القميص والصديري واللباس وطاقية أو طربوش معمم عليه بمحرمة أو منديل ونحو ذلك، ولم تزل الحرسجية مقيمين على الأبواب، وحصل منهم الضرر للناس والرعية والمتسببين والفلاحين الواردين من القرى بالجبن والسمن والتبن ونحو ذلك، وكل من أراد العبور من باب منعوه من الدخول حتى يأخذوا منهم دراهم ولو كان بنفسه.
وفي يوم الأحد ثامن عشرينه، نزل الآغا وأمامه الوالي وأوده باشة البوابة وأمامهم المناداة على جميع الألضاشات المنتسبين الى الوجاقات بأنهم يأخذوا لهم أوراقاً من أبوابهم، وكل من وجد وليس معه ورقة بعد ثلاثة أيام يحصل له مزيد الضرر، وبيد المنادي فرمان من الباشا.

وفيه ركب اسمعيل بك ونزل الى بولاق ليتفرج على شركفلك الذي صنعه وتم شغله وقد زاد في صنعته عما فعله حسن باشا بإن ركبه على عجل يجروه، وزاد في إتقانه، وسبك جللاً كثيرة للمدافع فلما رآه أعجبه وشرع أيضاً في عمل شركفلكين اثنين وجهز ذخيرة عظيمة من بقسيماط وغيره.
وفي يوم الإثنين حضر الرسول الذي كان توجه بالرسالة للأمراء القلبيين وهو الذي من طرف الباشا وصحبته آخر من طرف اسمعيل بك، وعلى يدهما جوابان: أحدهما خطاب للباشا والثاني خطاب للمشايخ، فاجتمعوا بالديوان في صبحها يوم الثلاثاء وقرأوا الجوابات. وملخصها: إنكم نسبتونا لنقض العهد والحال أن النقض حصل منكم بتسفير إخواننا الرهائن وذهابهم مع قبطان باشا الى الروم، وما فعلتم في بيوتنا وحريمنا، ولما حصل ذلك احتد البعض منا وزحفوا الى بحري فركبنا خلفهم نردهم فلم يمتثلوا فأقمنا معهم، فلما قرأوا ذلك بحضرة الجمع اقتضى الرأي كتابة مراسلة أخرى من الباشا والمشايخ وفيها الملاطفة في الخطاب والاعتذار وأرسلوها وأخذوا في الاهتمام والتشهيل.

واستهل شهر ربيع الأول بيوم الأربعاء، وفي ثانيه، ركب الآغا وشق الأسواق وصار يقف على الوكائل والخانات ويفتش على الألضاشات، ودخل سوق خان الخليلي ونبه على أفرادهم وقال لهم: في غد أحضر في التبديل وكل من وجدته من غير ورقة جدك فعلت به وفعلت وقطعت أذنيه أو أنفه.

وفيه عزل أحمد أفندي الصفائي الروزنامجي من الروزنامة لمرضه، وتقلد أحمد أفندي المعروف بأبي كلية قلفة الأنبار روزنامجي عوضاً عنه.

وفي سادسه، أرسلوا بجوابات الرسالة الشيخ أحمد بن يونس وكتبوا لهم أيضاً سمهود وبرديس زيادة على ما بأيديهم من البلاد، والحال أن الجميع بأيديهم.

وفي يوم الثلاثاء، حضر عابدي باشا واسمعيل بك الى بيت الشيخ البكري باستدعاء المولد النبوي، فلما استقر بهم الجلوس التفت الباشا الى جهة حارة النصارى وسأل عنها، فقيل له إنها بيوت النصارى، فأمر بهدمها وبالمناداة عليهم بالمنع من ركوب الحمير، فسعوا في المصالحة وتمت على خمسة وثلاثين ألف ريال، منها على الشوام سبعة عشر ألفاً وباقيها على الكتبة.

واستهل شهر ربيع الثاني بيوم الجمعة، فيه كتب الباشا فرماناً على موجب الفتوى ونزل به آغات مستحفظان ونادى به جهاراً، وكذلك التنبيه على جميع الوجاقلية باتباع أبوابهم وحضور الغائبين منهم والاستعداد للخروج.

وفي ثالثه أنفق اسمعيل بك على الأمراء الصناجق وأرسل لهم الترحيلة، فأرسل الى حسن بك الجداوي ثمانية عشر ألف ريال، فغضب عليها وردها ووبخ محمداً كتخدا البارودي وركب مغضباً وخرج الى نواحي العادلية، فركب إليه في صبحها اسمعيل بك وعلي بك الدفتردار وصالحاه وزاد له في الدراهم حتى رضي، وتكلم مع اسمعيل بك في تشديده على الرعية والألضاشات.

وفي يوم الخميس ثامنه، سافر إمام الباشا وعلي كاشف من طرف اسمعيل بك بجوابات للأمراء القبليين، حاصلها إما الرجوع الى أماكنهم على موجب الاتفاق والصلح، بشرط أن تدفعوا ميري البلاد التي تعديتم عليها، وإلا فنحن أيضاً تنقض الصلح بيننا وبينكم، ثم وصل الخبر بأن ابراهيم بك ارتحل من طحطا غرة الشهر وحضر الى المنية عند قسيمه مراد بك. وأن مراد بك فرق البلاد من بحري المنية على أتباعه وأتباع الأمراء الذين بصحبته، ثم وقع التراخي في أمر التجريدة وحصل التواني والإهمال والترك وخرجت الخيول الى المرعى.

وفي يوم الجمعة سادس عشره، نزل عابدي باشا الى بولاق وركب إليه اسمعيل بك وبقية الأمراء وأمامه مدافع الزنبلك على الجمال، فتفرج على الشركفلكات، وسيروا أمامه الثلاث غلايين الى مصر القديمة وضربوا مدافعها ثم عاد وطلع الى القلعة.

وفي يوم الثلاثاء، عزل أحمد أفندي أبو كلبة من الروزنامة وتقلدها عثمان أفندي العباسي على رشوة دفعها، وضاع على أحمد أفندي ما دفعه من الرشوة.

وفي يوم الأربعاء حادي عشرينه حضر إمام الباشا وعلي كاشف وأخبرا أن ابراهيم بك حضر عند مراد بك بالمنية، وأن جماعة من صناجقهم وأمرائهم وصلوا الى بني سويف وبحريها. وأنهم قالوا في الجواب إننا تركنا لهم الجهة البحرية وأخذنا الجهة القبلية، فإن قاتلونا عليها قاتلناهم وإن انكفوا عنا فلسنا واصلين إليهم ولا طالبين منهم مصر، ونعقد الصلح على ذلك.

فيرسلوا لنا بعض المشايخ والاختيارية نتوافق معهم على أمر يحسن السكوت عليه، فعملوا ديواناً اجتمع به الجميع، وتحالفوا

واتفقوا على إرسال جواب صحبة قاصد من طرف الباشا مضمونه: إنهم يرسلون من جهتهم أميرين كبيرين فيهما الكفاءة لفصل الخطاب ليحصل معهما التوافق ونرسل صحبتهما ما أشاروا به.

وفي يوم الاثنين، حضر واحد بشلي وعلى يده مكاتبات من حسن باشا خطاباً الى الباشا واسمعيل بك وعلي بك وحسن بك ورضوان بك واسمعيل كتخدا والشيخ البكري، وأخبر بوصول عسكر أرنؤد الى ثغر الاسكندرية، وعليهم كبير ومعه هدية الى الأمراء.

وفي يوم الخميس، طلع الأمراء الى الديوان وتكلموا من جهة النفقة، فقال قاسم بك: أما أنا فلا يكفيني خمسون ألف ريال، فقال له اسمعيل بك: فعلى هذا أمثالك، ويحتاج حسن بك ورضوان بك وعلي بك كل واحد مائة ألف، فلازم أننا نرسل الى السلطان يرسل لكم خزائنه حتى تكفيكم، فرد عليه علي بك وقال: أنا صرفت على التجريدة الأولى وشهلت أربع باشاوات والأمراء والأجناد وأنت في جملتهم، وما صادرت أحداً في نصف فضة، فاغتاظ اسمعيل بك وقال: اعمل كبير البلد وافعل مثل ما فعلت وأنا أعطيك المال الذي تحت يدي الذي جمعته من الناس، خذه واصرفه بمعرفتك، وقام من المجلس منتوراً فرده الباشا واختلى به وبعلي بك وحسن بك ورضوان بك ساعة زمانية وتشاوروا مع بعضهم ثم قاموا ونزلوا.

واستهل شهر جمادى الأولى بيوم السبت، فيه حضر ططري وبيده مرسومات، فاجتمعوا بالديوان وقرأوها، أحدها بطلب مشاق ويدك، والثاني بسبب الجماعة القبليين إن كانوا مقيمين بالأماكن التي عينها لهم حسن باشا فلا تتعرضوا لهم، وإن كانوا زحفوا وتعدو ونقضوا فاخرجوا إليهم وقاتلوهم، وإن احتجتم عساكر أرسلنا لكم، والثالث مقرر لعابدي باشا على السنة الجديدة، والرابع بالوصية على الفقراء وغلال الحرمين والأنبار والجامكية وأمثال ذلك من الكلام الفارغ.

وفيه ورد الخبر بموت محمد باشا يكن المنفصل من ولاية مصر.

وفي يوم الإثنين ثالثه، حضر المرسل من الجهة القبلية وصحبته صالح آغا الوالي بجوابات. حاصلها أنهم يطلبون من طحطا الى قبلي ويطلبون حريمهم وأن يردوا لهن ما أخذوه من بلادهن، وكذلك يطلبون أتباعهم ومماليكهم الذين أرسلوهم الى الاسكندرية، فإن أجيبوا الى ذلك لا يتعدون بعدها على شيء أصلاً، فلما قرئت المكاتبة بحضرة الجمع في الديوان، قال اسمعيل بك للباشا: لا يمكن ذلك ولا يتصور أبداً وإلا افعلوا ما بدا لكم ولا علاقة لي ولا أكتب فرماناً فإني أخاف على نفسي إن زدتهم على ما أعطاهم حسن باشا، ولابد من دفعهم الميري، ثم كتبوا لهم جواباً وسافر به صالح آغا المذكور، وآخر من طرف اسمعيل بك.

وفي يوم السبت ثامنه، وقع بين أهل بولاق وبين العسكر معركة بسبب إفسادهم وتعديهم وفسقهم مع النساء وأذية السوقة وأصحاب الحوانيت، وخطفهم الأشياء بدون ثمن، فاجتمع جمع من أهل بولاق وخرجوا الى خارج البلدة يريدون الذهاب الى اباشا يشكون ما نزل بهم من البلاء، فلما علم عسكر القليونجية ذلك اجتمعوا بأسلحتهم وحضروا إليهم وقاتلوهم وانهزم القليونجية، فنزل الآغا وتلافى الأمر وأخذ بخاطر العامة وسكن الفتنة، وخاطب العسكر ووبخهم على أفعالهم.

وفي يوم الإثنين سابع عشره، حضر صالح آغا بجواب، وأخبر بصلح الأمراء القبليين على أن يكون لهم من أسيوط وما فوقها، ويقوموا بدفع ميري البلد وغلالها ولا يتعدوا بعد ذلك، وأنهم يطلبون أناساً من كبار الوجاقات والعلماء ليقع الصلح بأيديهم، فعمل الباشا ديواناً وأحضر الأمراء والمشايخ واتفقوا على إرسال الشيخ محمد الأمير واسمعيل أفندي الخلوتي وآخرين وسافروا

في يوم الأربعاء تاسع عشره.

وفي خامس عشرينه، هبت رياح عاصفة جنوبية حارة واستمرت اثني عشر يوماً،

واستهل شهر جمادى الثانية بيوم الأحد، فيه ورد الخبر بأن جماعة من الأمراء القبليين حضروا الى بني سويف.

وفي ثالثه، وصل الخبر بأن مراد بك حضر أيضاً الى بني سويف في نحو الأربعين، فشرع المصريون في التشهيل والاهتمام، وأخرجوا خيامهم ووطاقهم الى ناحية البساتين، وفي يوم الخميس، طلع الأمراء الى الباشا وتكلموا معه وأخبروه بما ثبت عندهم من زحف الجماعة الى بحري، وطلبوه للترول صحبتهم فقال لهم: حتى ترجع الرسل بالجواب أو نرسل لهم جواباً آخر وننظر جوابهم، فامتثلوا الى رأيه، فكتب مكتوباً مضمونه: إنكم طلبتم الصلح مراراً وأجبناكم بما طلبتم وأعطيناكم ما سألتم ثم بلغنا أنكم زحفتم ورجعتم الى بني سويف فما عرفنا أي شيء هذا الحال، والقصد أنكم تعرفونا عن قصدكم وكيفية حضوركم إن كنتم نقضتم الصلح وإلا لا فترجعوا الى ما حددناه لكم، وما وقع عليه الاتفاق، وأرسله صحبة مرسل من طرفه.

وفي يوم الجمعة سحبوا الشركفلكات من بولاق وذهبوا بها الى الوطاق، وشرع اسمعيل بك في عمل متاريس عند طراو المعصرة، وكذلك في بر الجيزة وجمع البنائين والفعلة والرجال وأمر بحفر خندق وبنى أبراجاً من حجر وحيطاناً لنصب المدافع والمتاريس في البرين.

وفي يوم الخميس ثاني عشره، حضر الشيخ محمد الأمير ومن بصحبته وأخبروا أنهم تركوا ابراهيم بك ومراد بك في بني سويف، وأربعة من الأمراء وهم سليمان بك الآغا وابراهيم بك الوالي وأيوب بك الصغير وعثمان الشرقاوي بزاوية المصلوب، وحاصل جوابهم إن يكن صلح فليكن كاملاً ودمنا في دمهم وعفا الله عما سلف، فإن لم يرضوا بذلك فليستعدوا للقاء وهذا آخر الجواب والسلام، وأرسلوا جوابات بمعنى ذلك الى المشايخ، وعلى أنهم يسعون في الصلح أو يخرجوا لهم على الخيل كما هي عادة المصريين في الحروب.

وفي هذه الأيام حصل وقف حال وضيق في المعايش وانقطاع للطرق وعدم أمن ووقوف العربان ومنع السبل وتعطيل أسباب وعسر في الأسفار براً وبحراً، فاقتضى رأي الشيخ العروسي أنه يجتمع مع المشايخ ويركبون الى الباشا ويتكلمون معه في شأن هذا الحال، فاستشعر اسمعيل بك بذلك فدبج أمراً وصور حضور ططري من الدولة، وعلى يده مرسوم، فأرسل الباشا في عصر يوم الجمعة للمشايخ والوجاقلية وجمعهم وقرأوا عليهم ذلك الفرمان ومضمونه الحث والأمر والتشديد على محاربة الأمراء القبالي وطردهم وإبعادهم، فلما فرغوا من ذلك تكلم الشيخ العروسي وقال: خبرونا عن حاصل هذا الكلام، فإننا لا نعرف بالتركي، فأخبروه فقال: ومن المانع لكم من الخروج وقد ضاق الحال بالناس ولا يقدر أحد من الناس أن يصل الى بحر النيل، وقربة الماء بخمسة عشر نصف فضة، وحضرة اسمعيل بك مشتغل ببناء حيطان ومتاريس، وهذه ليست طريقة المصريين في الحروب بل طريقتهم في المصادمة وانفصال الحرب في ساعة إما غالب أو مغلوب، وأما هذا الحال فإنه يستدعي طولاً، وذلك يقتضي الخراب والتعطيل ووقف الحال، فقال الباشا: أنا ما قلت لكم هذا الكلام أولاً وثانياً، هيا شهلوا أحوالكم ونبهوا على الخروج يوم الإثنين وأنا قبلكم.

وفي ليلة الإثنين، حضر شخصان من الططر ودخلا من باب النصر وأظهرا أنهما وصلا من الديار الرومية على طريق الشام وعلى يدهما مرسوما حاصلها الإخبار بحضور عساكر برية وعليهم باشا كبير، وذلك أيضاً لا أصل له، ونودي في ذلك اليوم

بالخروج الى المتاريس، وكل من خرج يطلع أولاً الى القلعة ويأخذ نفقة من باب مستحفظان وقدرها خمسة عشر ريالاً، فطلع منهم حملة وأخذوا نفقاهم وخرجوا الى المتاريس بالجيزة.

وفي يوم الأربعاء خامس عشرينه، وردت مكاتبات من الديار الحجازية وأخبروا فيها بوفاة الشريف سرور شريف مكة وولاية أخيه الشريف غالب.

وفي ليلة الأحد تاسع عشرينه، مات ابراهيم بك قشطة صهر اسمعيل بك مطعوناً،وفيه عزل اسماعيل بك المعلم يوسف كساب الجمركي بديوان بولاق ونفاه الى بلاد الإفرنج، وقيل إنه غرقه ببحر النيل وقلد مكانه مخاييل كحيل على عشرين ألف ريال دفعها،واستهل شهر رجب بيوم الثلاثاء.

وفي كل يوم ينادي المنادي بالخروج ويهدد من تخلف، واستمروا متترسين بالبرين وبعض الأمراء ناحية طرا وبعضهم بمصر القديمة في خلاعاهم وبعضهم بالجيزة كذلك، الى أن ضاق الحال بالناس وتعطلت الأسفار وانقطع الجالب من قبلي وبحري، وأرسل اسمعيل بك الى عرب البحيرة والهنادي فحضروا بجمعهم وأخلاطهم وانتشروا في الجهة الغربية من رشيد الى الجيزة، ينهبون البلاد ويأكلون الزروعات ويضربون المراكب في البحر ويقتلون الناس، حتى قتلوا في يوم واحد من بلد النجيلة نيفاً وثلثمائة إنسان، وكذلك فعل عرب الشرق والجزيرة بالبر الشرقي وكذلك رسلان وباشا النجار بالمنوفية، فتعطل السير براً وبحراً ولو بالخفارة حتى أن الإنسان يخاف أن يذهب من المدينة الى بولاق أو خارج باب النصر، وفي يوم السبت خامسه نهب سوق انبابة، وفيه قتل حمزة كاشف المعروف بالدويدار رجلاً نصرانياً رومياً صائغاً اهمه مع حريمه، فقبض عليه وعذبه أياماً وقلع عينيه وأسنانه وقطع أنفه وشفتيه وأطرافه حتى مات، بعد أن استأذن فيه حسن بك الجداوي، وعندما قبض عليه أرسل حسن بك وهب باقي حانوته من جوهر ومصاغ الناس وغير ذلك، وطلق الزوجة بعد أن أراد قتلها فهربت عند الست نفيسة زوجة مراد بك.

وفي يوم الأحد، أخذ اسمعيل بك فرماناً من الباشا بفردة على البلاد لسليم بك أمير الحاج ليستعين بها على الحج وقرر على كل بلدة مائة ريالاً وجملاً.

وفي يوم الثلاثاء اجتمع الأمراء والوجاقلية والمشايخ بقصر العيني، فأظهر لهم اسمعيل بك الفرمان وعرفهم احتياج الحال لذلك فقام الاختيارية وأغلظوا عليه ومانعوا في ذلك.

وفي يوم الخميس سابع عشره وصل نحو الألف من عسكر الأرنؤد الى ساحل بولاق وعليهم كبير يسمى اسمعيل باشا، فخرج اسمعيل بك وحسن بك وعلي بك ورضوان بك لملاقته ومدوا له سماطاً عند مكان الحلي القديم.

وفي يوم الجمعة ثامن عشره أمطرت السماء من بعد الفجر الى العشاء وأطبق الغيم قبل الغروب وأرعد رعداً قوياً وأبرق برقاً ساطعاً ثم خرجت فرتونة نكباء شرقية شمالية واستمر البرق والمطر يتسلسل غالب الليل، وكان ذلك سابع عشر برموده وخامس عشر نيسان وخامس درجة من برج الثور فسبحان الفعال لما يريد.

وفي يوم الأحد عشرينه كان عيد النصارى وفيه تقررت الفردة المذكورة وسافر لقبضها سليم بك أمين الحج، و لم يفد من قيام الوجاقلية وسعيهم في إبطالها شيء، فإهم لما عارضوا في ذلك فتح عليهم طلب المساعدة وليس بأيدي الملتزمين شيء يدفعونه،

فقال: إذا كان كذلك فإننا نقبضها من ابلدا، فلم يسعهم إلا الإجابة.
وفي يوم الإثنين حضر الى ثغر بولاق آغا أسود وعلى يده مقرر لعابدي باشا وخلعة لشريف مكة، فطلع عابدي باشا الى القلعة وعمل ديواناً في يوم الثلاثاء واجتمع الأمراء والمشايخ والقاضي وقرأوا المقرر، ووصل صحبة الآغا المذكور ألف قرش رومي أرسلها حضرة السلطان تفرق على طلبة العلم بالأزهر، ويقرأون له صحيح البخاري ويدعون له بالنصر، وفي يوم الأربعاء قتل اسمعيل باشا كبير الأرنؤد رئيس عسكره وكان يخشاه ويخاف من سطوته، قيل إنه أراد أن يأخذ العسكر ويذهب بهم الى الأمراء القبليين رغبة في كثرة عطائهم فطالبه بنفقة وألح عليه وقال له إن لم تعطهم هربوا حيث شاؤوا، فحضر عنده وفاوضه في ذلك فلاطفه وأكرمه واختلى به واغتاله وقطع رأسه وألقاها من الشباك لجماعته.
وفي يوم الجمعة كتبوا قائمة أسماء المجاورين والطلبة وأخبروا الباشا أن الألف قرش لا تكفي طائفة من المجاورين فزادها ثلاثة آلاف قرش من عنده، فوزعوها بحسب الحال أعلى وأوسط وأدنى فخص الأعلى عشرون قرشاً والأوسط عشرة والأدنى أربعة، وكذلك طوائف الأروقة بحسب الكثرة والقلة، ثم أحضروا أجزاء البخاري وقرأوا، وصادف ذلك زيادة أمر الطاعون والكروب المختلفة.
وفي يوم الإثنين ثامن عشرينه توفي صاحبنا حسن أفندي قلفة الغربية وتقلد عوضه صهره مصطفى أفندي ميسو كاتب اليومية وفيه توفي أيضاً خليل أفندي البغدادي الشطرنجي.

واستهل شهر شعبان بيوم الأربعاء فيه عدى بعض الأمراء بخيامهم الى البر الغربي ثم رجعوا في ثانيه، ثم عدى البعض ورجع البعض، وكل ذلك إيهامات بالسفر وتمويهات من اسميعل بك وفي الحقيقة قصده عدم الحركة، وضاقت أنفس المقيمين بالمتاريس وقلقوا من طول المدة وتفرق غالبهم ودخلوا المدينة.
وفي خامسه حضر الى مصر رجل هندي قيل إنه وزير سلطان الهند حيدر بك، وكان قد ذهب الى سلامبول بهدية الى السلطان عبد الحميد ومن جملتها منبر وقبلة مصنوعان من العود الفاقلي صنعة بديعة، وهما قطع مفصلات يجمعها شناكل وأغربة من فضة وذهب وسرير يسع ستة أنفار وطائران يتكلمان باللغة الهندية خلاف الببغا المشهور، وأنه طلب منه إمداداً يستعين به على حرب أعدائه الانكليز المجاورين لبلاده، فأعطاه مرسومات الى الجهات بالإذن لمن يسير معه فسار الى الاسكندرية ثم حضر الى حصر وسكن ببولاق، وهو رجل كالمقعد يجلس على كرسي من فضة ويحمل على الأعناق، وقد ماتت العساكر التي كانت معه ويريد اتخاذ غيرها من أي جنس كان، وكل من دخل فيهم برسم الخدمة وسموه بعلامة في جبهته لا تزول، فنفرت الناس من ذلك وملابسهم مثل ملابس الإفرنج وأكثرها من شيث هندي مقمطة على أجسامهم وعلى رأسهم شقات إفرنجية.
وفي ليلة الجمعة سابع عشره خرج الأمراء بعد الغروب وأشيع وصل القبليين وهجومهم على المتاريس.
وفي صبحها حصلت زعجة وضجة وهرب الناس من القرافتين ونودي بالخروج فلم يخرج أحد ثم برد هذا الأمر.
وفي تلك الليلة ضربوا أعناق خمسة أشخاص من أتباع الشرطة يقال لهم البصاصون، وسبب ذلك أنهم أخذوا عملة وأخفوها من حاكمهم واختصوا بها دونه و لم يشركوه معهم.
وفي سابع عشرينه مات محمد آغا مستحفظان المعروف بالمتيم.

وفي يوم الأربعاء تاسع عشرينه كسفت الشمس وقت الضحوة الكبرى وكان المنكسف منها نحو الثلاثة أرباع وأظلم الجو إلا يسيراً ثم انجلى ذلك عند الزوال.

واستهل شهر رمضان بيوم الجمعة ووافق ذلك أول بؤنة القبطي.

وفي ثالثه قلدوا اسمعيل بك خازندار اسمعيل بك الذي كان زوجه بإحدى زوجات أحمد كتخدا المجنون أغات مستحفظان وقلدوا خازندار حسن بك الجداوي والياً عوضاً عن اسمعيل آغا الجزايرلي لعزله.

وفي ثاني عشره حضر ابراهيم كاشف من اسلامبول وكان اسمعيل بك أرسله بهدية الى الدولة فأوصلها ورجع الى مصر بجوابات القبول، وأنه لما وصل الى اسلامبول وجد حسن باشا نزل الى المراكب مسافراً الى بلاد الموسقو وبينه وبين اسلامبول نحو أربع ساعات، فذهب إليه وقابله ورجع معه في شكتربة الى اسلامبول وطلع الهدية بحضرته، وقد كان أشيع هناك بأن ابراهيم بك ومراد بك دخلا مصر وخرج من فيها وحصل هناك هرج عظيم بسبب ذلك، فلما وصل ابراهيم كاشف هذا بالهدية حصل عندهم اطمئنان وتحققوا منه عدم صحة ذلك الخبر، وفي رابع عشرينه نهب العرب قافلة التجار والحجاج الواصلة من السويس وفيها شيء كثير جداً من أموال التجار والحجاج، ونهب فيها للتجارب خاصة ستة آلاف جمل ما بين قماش وبهار وبن وأقمشة وبضائع، وذلك خلاف أمتعة الحجاج، وسلبوهم حتى ملابس أبدانهم، وأسروا النساء وأخذوا ما عليهن ثم باعوهن لأصحابهن عرايا، وحصل لكثير من الناس وغالب التجار الضرر الزائد، ومنهم من كان جميع ماله بهذه القافلة، فذهب جميعه ورجع عرياناً أو قتل وترك مرمياً.

وفي خامس عشرينه، وقع بين طائفة المغاربة الحجاج النازلين بشاطئ النيل ببولاق وبين عسكر القليونجية مقاتلة، وسبب ذلك أن المغاربة نظروا بالقرب منهم جماعة من القليونجية المتقيدين بقليون اسمعيل بك ومعهم نساء يتعاطون المنكرات الشرعية، فكلمهم المغاربة ونهوهم عن فعل القبيح وخصوصاً في مثل هذا الشهر أو أنهم يتباعدون عنهم، فضربوا عليهم طبنجات، فثار عليهم المغاربة، فهرب القليونجية الى مراكبهم، فنط المغاربة خلفهم واشتبكوا معهم ومسكوا من مسكوه وذبحوا من ذبحوه ورموه الى البحر، وقطعوا حبال المراكب ورموا صواريها، وحصلت زعجة في بولاق تلك الليلة، وأغلقوا الدكاكين وقتل من القليونجية نحو العشرين ومن المغاربة دون ذلك، فلما بلغ اسمعيل بك ذلك اغتاظ وأرسل الى المغاربة يأمرهم بالانتقال من مكانهم فانتقلوا الى القاهرة، وسكنوا بالخانات، فلما كان ثاني يوم نزل الآغا والوالي ونادىا في الأسواق على المغاربة الحجاج بالخروج من المدينة الى ناحية العادلية ولا يقيموا بالبلد، وكل من آواهم يستأهل ما يجري عليه، فامتنعوا من الخروج وقالوا كيف نخرج الى العادلية ونموت فيها عطشاً، وذهب منهم طائفة الى اسمعيل كتخدا حسن باشا فأرسل الى اسمعيل بك بالروضة يترجى عنده فيهم فامتنع و لم يقبل الشفاعة، وحلف أن كل من مكث منهم بعد ثلاثة أيام قتله، فتجمعوا أحزاباً واشتروا أسلحة وذهب منهم طائفة الى الشيخ العروسي والشيخ محمد بن الجوهري فتكلموا مع اسمعيل بك فنادى عليهم بالأمان.

وفي أواخره ورد خبر من دمياط بأن النصارى أخذوا من على ثغر دمياط اثني عشر مركباً، واستهل شهر شوال بيوم السبت في رابعه حضر سليم بك من سرحته وفي خامسه أرسل الآغا بعض أتباعه بطلب شخصين من عسكر القليونجية من ناحية بين السورين بسبب شكوى رفعت إليه فيهما فضرب أحدهما أحد المعينين فقتله فقبضوا عليه ورموا عنقه أيضاً بجانبه، وفيه حضر

طائفة العربان الذين نهبوا القافلة الى مصر وهم من العيايدة وقابلوا اسمعيل بك وصالحوه على مال وكذلك الباشا، واتفقوا على شيل ذخيرة أمير الحاج وخلع عليهم، ولما نهبت القافلة اجتمع الأكابر والتجار وذهبوا الى اسمعيل بك وشكوا إليه ما نزل بهم، فوبخهم وأظهر الشماتة فيهم، وصارت يده ترتعش من الغيظ وخرجوا من بين يديه آيسين والحاضرون يلطفون له القول ويأخذون بخاطره وهو لا ينجلي عنه الغيظ.

وفي يوم السبت ثامنه نزلوا بكسوة الكعبة من القلعة الى المشهد الحسيني على العادة، وفي ليلة الثلاثاء حادي عشره في ثالث ساعة من الليل، حصلت زعجة عظيمة وركب جميع الأمراء وخرجوا الى المتاريس، وأشيع أن الأمراء القبليين عدوا الى جهة الشرق، وركب الوالي والآغا وساروا يفتحون الدروب بالعتالات ويخرجون الأجناد من بيوتهم الى العرضي، وباتوا بقية الليل في كركبة عظيمة وأصبح الناس هايجين والمناداة متتابعة على الناس والألضاشات والأجناد والعسكر بالخروج، وظن الناس هجوم القبليين ودخولهم المدينة، فلما كان أواخر النهار حصلت سكتة وأصبحت القضية باردة وظهر أن بعضهم عدى الى الشرق وقصدوا الهجوم على المتاريس غفلة من الليل، فسبق العين بالخبر، فوقع ما ذكر، فلما حصل ذلك رجعوا الى بياضة وشرعوا في بناء المتاريس، ثم تركوا ذلك وترفعوا الى فوق و لم يزل المصريون مقيمين بطرا ما عدا اسمعيل بك فإنه رجع بعد يومين لأجل تشهيل الحاج.

ثم استهل شهر القعدة بيوم الإثنين، في ذلك اليوم رسموا بنفي سليمان بك الشابوري الى المنصورة وتقاسموا بلاده.

وفيه رجع الأمراء من المتاريس الى مصر القديمة كما كانوا و لم يبق بها إلا المرابطون قبل ذلك.

وفي يوم الثلاثاء ثار جماعة الشوام وبعض المغاربة بالأزهر على الشيخ العروسي بسبب الجراية، وقفلوا في وجهه باب الجامع وهو خارج يريد الذهاب بعد كلام وصياح، ومنعوه من الخروج فرجع الى رواق المغاربة وجلس به الى الغروب ثم تخلص منهم وركب الى بيته، و لم يفتحوا الجامع، وأصبحوا فخرجوا الى السوق وأمروا الناس بغلق الدكاكين، وذهب الشيخ الى اسمعيل بك وتكلم معه فقال له: أنت الذي تأمرهم بذلك وتريدون تحريك الفتن علينا ومنكم أناس يذهبون الى أخصامنا ويعودون، فتبرأ من ذلك، فلم يقبل، وذهب أيضاً وصحبته بعض المتعممين الى الباشا بحضرة اسمعيل بك، فقال الباشا مثل ذلك وطلب الذين يثيرون الفتن من المجاورين ليؤدبهم وينفيهم، فمانعوا في ذلك، ثم ذهبوا الى علي بك الدفتردار وهو الناظر على الجامع فتلا في القضية وصالح اسمعيل بك وأجروا لهم الأخبار بعد مشقة وكلام من جنس ما تقدم، وامتنع الشيخ العروسي من دخول الجامع أياماً وقرأ درسه بالصالحية.

وفي يوم الأحد رابع عشره الموافق لثالث عشر مسرى القبطي، أوفى النيل أذرعه وركب الباشا في صبحها وكسر سد الخليج.

وفي عشرينه انفتح سد ترعة مويس فأحضر اسمعيل بك عمر كاشف الشعراوي وهو الذي كان تكفل بها لأنه كاشف الشرقية، ولامه ونسبه للتقصير في تمكينها، وألزمه بسدها فاعتذر بعدم الإمكان وخصوصاً وقد عزل من المنصب، وأعوانه صاروا مع الكاشف الجديد، فاغتاظ منه وأمر بقتله فاستجار برضوان كتخدا مستحفظان فشفع فيه وأخذه عنده وسعى في جريمته وصالح عليه.

شهر الحجة، في غرته، حضر قليونان روميان الى بحر النيل ببولاق، يشتمل أحدهما على أحد وعشرين مدفعاً والثاني أقل منه

اشتراهما اسعيل بك.

وفيه زاد سعر الغلة ضعف الثمن بسبب انقطاع الجالب.

وفي رابع عشره، عمل الباشا ديواناً بقصر العيني وتشاوروا في خروج تجريدة وشاع الخبر بزحف القبليين.

وفي يوم الأربعاء سادس عشره عمل الباشا ديواناً بقصر العيني جمع به سائر الأمراء والوجاقلية والمشايخ بسبب شخص الجي حضر بمكاتبات من قرال الموسقو ولحضوره نبأ ينبغي ذكره كما نقل إلينا، وهو أن قرال الموسقو لما بلغه حركة العثمنلي في ابتداء الأمر على مصر، أرسل مكاتبة الى أمراء مصر على يد القنصل المقيم بثغر اسكندرية يحذرهم من ذلك ويحضهم على تحصين الثغر، ومنع حسن باشا من العبور، فحضر القنصل الى مصر واختلى بهم وأطلعهم على ذلك، فأهملوه و لم يلتفتوا إليه ورجع من غير رد جواب، وورد حسن باشا فعند ذلك انتبهوا وطلبوا القنصل فلم يجدوه وجرى ما جرى، وخرجوا الى قبلي وكاتبوا القنصل فأعاد الرسالة الى قراله وركب هجاناً واجتمع بهم، ورجع وصادف وقوع الواقعة بالمنشية في السنة الماضية، وكانت الهزيمة على المصريين، وشاع الخبر في الجهات بعودهم وقد كان أرسل لنجدتهم عسكراً من قبله ومراكب ومكاتبات صحبة هذا الالجي فحضر الى ثغر دمياط في أواخر رمضان فرأى انعكاس الأمر، فعربد بالثغر وأخذ عدة نقاير كما ذكر ورجع الى مرساه أقام بها، وكاتب قراله وعرفه صورة الحال وأن من بمصر الآن من جنسهم أيضاً، وأن العثمنلي لم يزل مقهوراً معهم فأجمع رأيه على مكاتبة المستقرين وإمدادهم، فكتب إليهم وأرسلها صحبة هذا الالجي وحضر الى دمياط وأنفذ الخبر سراً بوصوله، وطلب الحضور بنفسه، فأعلموا الباشا بذلك سراً وأرسلوا إليه بالحضور، فلما وصل الى شلقان خرج إليه اسمعيل بك في تطريدة كان لم يشعر به أحد وأعد له منزلاً ببولاق وحضر به ليلاً وأنزله بذلك القنان، ثم اجتمع به صحبة علي بك وحسن بك ورضوان بك وقرأوا المكاتبات بينهم فوصل إليهم عند ذلك جماعة من أتباع الباشا وطلبوا ذلك الالجي عند الباشا وذلك بإشارة خفية بينهم وبين الباشا، فركبوا معه الى قصر العيني وأرسل الباشا في تلك الليلة التنابيه لحضور الديوان في صبحها، فلما تكاملوا أخرج الباشا تلك المراسلات وقرئت في المجلس والترجمان يفسرها بالعربي. وملخصها خطاب الى الأمراء المصرية أنه بلغنا صنع بن عثمان الخائن الغدار معكم ووقوع الفتن فيكم وقصده أن بعضكم يقتل بعضاً ثم لا يبقى على من يبقى منكم ويملك بلادكم ويفعل بها عوائله من الظلم والجور والخراب، فإنه لا يضع قدمه في قطر إلا ويعمه الدمار الخراب، فتيقظوا لأنفسكم واطردوا من حل ببلادكم من العثمانية وارفعوا بنديرتنا واختاروا لكم رؤساء منكم. وحصنوا ثغوركم وامنعوا من يصل إليكم منهم إلا من كان بسبب التجارة، ولا تخشوه في شيء فنحن نكفيكم مؤنته، وانصبوا من طرفكم حكاماً بالبلاد الشامية كما كانت في السابق ويكون لنا أمر بلاد الساحل والواصل لكم كذا وكذا مركباً، وبها كذا من العسكر والمقاتلين، وعندنا من المال والرجال ما تطلبون وزيادة على ما تظنون، فلما قرئ ذلك اتفقوا على إرسالها الى الدولة، فأرسلت في ذلك اليوم صحبة مكاتبة من الباشا والأمراء، وأنزلوا ذلك الالجي في مكان بالقلعة مكرماً.

وفي يوم الإثنين وجهوا خمسة من المراكب الرومية الى جهة قبلي وأبقوا إثنين وأرسلوا بها عثمان بك طبل الاسماعيلي وعساكر رومية والله أعلم.

وانقضت هذه السنة.

من مات في هذه السنة ممن له ذكر

مات الإمام العلامة أحد المتصدرين وأوحد العلماء المتبحرين حلال المشكلات وصاحب التحقيقات الشيخ حسن بن غالب الجداوي المالكي الأزهري، ولد بالجدية في سنة 1128وهي قرية قرب رشيد، وبها نشأ وقدم الجامع الأزهر فتفقه على بلدية الشيخ شمس الدين محمد الجداوي وعلى أفقه المالكية في عصره السيد محمد بن محمد السلموني، وحضر على الشيخ علي خضر العمروسي وعلى السيد محمد البليدي والشيخ علي الصعيدي، أخذ عنهم الفنون بالإتقان ومهر فيها حتى عد من الأعيان، ودرس في حياة شيوخه وأفتى وهو شيخ بهي الصورة طاهر السريرة حسن السيرة فصيح اللهجة شديد العارضة، يفيد الناس بتقريره الفائق ويحل المشكلات بذهنه الرائق، وحلقة درسه عليها الخفر وما يلقيه كأنه نثار جواهر ودرر، وله مؤلفات وتقييدات وحواش، وكان له وظيفة الخطابة بجامع مرزه جربجي ببولاق ووظيفة تدريس بالسنانية أيضاً ويترل الى بلده الجدية في كل سنة مرة ويقيم بها أياماً ويجتمع عليه أهل الناحية ويهادونه ويفصلون على يديه قضاياهم ودعاويهم وأنكحتهم ومواريثهم ويؤخرون وقائعهم الحادثة بطول السنة الى حضوره، ولا يثقون إلا بقوله، ثم يرجع الى مصر بما اجتمع لديه من الأرز والسمن والعسل والقمح وغير ذلك ما يكفي عياله الى قابل مع الحشمة والعفة، توفي بعد أن تعلل أشهراً في أواخر شهر ذي الحجة، وجهز وصلي عليه بالأزهر بمشهد حافل، ودفن عند شيخه الشيخ محمد الجداوي في قبر أعده لنفسه رحمه الله تعالى.

ومات الإمام العلامة الفقيه المحدث النحوي الشيخ حسن الكفراوي الشافعي الأزهري، ولد ببلده كفر الشيخ حجازي بالقرب من المحلة الكبرى فقرأ القرآن وحفظ المتون بالمحلة ثم حضر الى مصر وحضر شيوخ الوقت مثل الشيخ أحمد السجاعي والشيخ عمر الطحلاوي والشيخ محمد الحفني والشيخ علي الصعيدي، ومهر في الفقه والمعقول وتصدر ودرس وأفتى واشتهر ذكره ولازم الأستاذ الحفني وتداخل في القضايا والدعاوى وفصل الخصومات بين المتنازعين وأقبل عليه الناس بالهدايا والجعالات ونما أمره وراش جناحه وتجمل بالملابس وركوب البغال وأحدق به الأتباع، واشترى بيت الشيخ عمر الطحلاوي بحارة الشنواني بعد موت ابنه سيدي علي فزادت شهرته ووفدت عليه الناس، وأطعم الطعام واستعمل مكارم الأخلاق، ثم تزوج ببنت المعلم درع الجزار بالحسينية وسكن بها، فجيش عليه أهل الناحية وأولو النجدة والزعارة والشطارة وصار له بهم نجدة ومنعة على من يخالفه أو يعانده ولو من الحكام، وتردد الى الأمير محمد بك أبي الذهب قبل استقلاله بالإمارة وأحبه وحضر مجالس دروسه في شهر رمضان بالمشهد الحسيني، فلما استبد بالأمر لم يزل يراعي له حق الصحبة ويقبل شفاعته في المهمات ويدخل عليه من غير استئذان في أي وقت أراد، فزادت شهرته ونفذت أحكامه وقضاياه، واتخذ سكناً على بركة جناق أيضاً، ولما بنى محمد بك جامعه كان هو المتعين فيه بوظيفة رئاسة التدريس والإفتاء ومشيخة الشافعية وثالث ثلاثة المفتين الذين قررهم الأمير المذكور وقصر عليهم الإفتاء، وهم الشيخ أحمد الدردير المالكي والشيخ عبد الرحمن العريشي الحنفي والمترجم، وفرض لهم أمكنة يجلسون فيها أنشأها لهم بظاهر الميضاة بجوار التكية التي جعلها لطلبة الأتراك بالجامع المذكور حصة من النهار في ضحوة كل يوم للإفتاء، بعد إلقائهم دروس الفقه، ورتب لهم ما يكفيهم وشرط عليهم عدم قبول الرشا والجعالات، فاستمروا على ذلك

أيام حياة الأمير، واجتمع المترجم بالشيخ صادومة المشعوذ الذي تقدم ذكره في ترجمة يوسف بك، ونوه بشأنه عند الأمراء والناس وأبرزهم لهم في قالب الولاية ويجعل شعوذته وسيمياه من قبيل الخوارق والكرامات، الى أن اتضح أمره ليوسف بك فتحامل عليه وعلى قرينة الشيخ المترجم من أجله، و لم يتمكن من إيذائهما في حياة سيده، فلما مات سيده قبض على الشيخ صادومة وألقاه في بحر النيل، وعزل المترجم من وظيفة المحمدية والإفتاء، وقلد ذلك الشيخ أحمد بن يونس الخليفي، وانكسف باله وخمد مشعال ظهوره بين أقرانه إلا قليلاً، حتى هلك يوسف بك قبل تمام الحول، ونسيت القضية وبطل أمر الوظيفة والتكية وتراجع حاله لا كالأول، ووافاه الحمام بعد أن تمرض شهوراً وتعلل وذلك في عشرين شعبان من السنة، وصلي عليه بالأزهر في مشهد حافل، ودفن بتربة المجاورين ومن مؤلفاته أعراب الآجرومية، وهو مؤلف نافع مشهور بين الطلبة، وكان قوي البأس شديد المراس عظيم الهمة والشكيمة ثابت الجنان عند العظائم يغلب على طبعه حب الرياسة والحكم والسياسة، ويحب الحركة بالليل والنهار ويمل السكون والقرار، وذلك مما يورث الخلل ويوقع في الزلل، فإن العلم إذا لم يقرن بالعمل ويصاحبه الخوف والوجل ويجمل بالتقوى ويزين بالعفاف ويحلى باتباع الحق والإنصاف أوقع صاحبه في الخذلان وصيره مثلة بين الأقران.

ومات الشيخ العلامة المتفنن البحاث المتقن أبو العباس المغربي أصله من الصحراء من عمالة الجزائر، دخل مصر صغيراً فحضر دروس الشيخ علي الصعيدي، فتفقه عليه ولازمه ومهر في الآلات والفنون، وأذن له في التدريس، فصار يقرئ الطلبة في رواقهم وراج أمره لفصاحته وجودة حفظه، وتميز في الفضائل، وحج سنة 1182 وجاور بالحرمين سنة، واجتمع بالشيخ أبي الحسن السندي ولازمه في دروسه وباحثه وعاد الى مصر، وكان يحسن الثناء على المشار إليه، واشتهر أمره وصارت له في الرواق كلمة واحترمه علماء مذهبه لفضله وسلاطة لسانه، وبعد موت شيخه عظم أمره حتى أشير له بالمشيخة في الرواق، وتعصب له جماعة فلم يتم له الأمر، ونزل له السيد عمر أفندي الأسيوطي عن نظر الجوهرية فقطع معاليم المستحقين، وكان محجاجاً عظيم المراس يتقي شره، توفي ليلة الأربعاء حادي عشرين شعبان غفر الله لنا وله.

ومات الإمام الفقيه العلامة النحوي المنطقي الفرضي الحيسوب الشيخ موسى البشبيشي الشافعي الأزهري، نشأ بالجامع الأزهر من صغره وحفظ القرآن والمتون وحضر دروس الأشياخ كالصعيدي والدردير والمصيلحي والصبان والشتويهي، ومهر وأنجب وصار من الفضلاء المعدودين، ودرس في الفقه والمعقول واستفاد وأفاد ولازم حضور شيخنا العروسي في غالب الكتب فيحضر ويملي ويستفيد ويفيد، وكان مهذباً في نفسه متواضعاً مقتصداً في ملبسه ومأكله عفوفاً قانعاً خفيف الروح لا يمل من مجالسته ومفاكهته، و لم يزل منقطعاً للعلم والإفادة ليلاً ونهاراً مقبلاً على شأنه، حتى توفي رحمه الله تعالى حادي عشر شعبان مطعوناً، ومات العلامة الأديب واللوذعي اللبيب المتقن المتفنن الشيخ محمد بن علي بن عبد الله بن أحمد المعروف بالشافعي المغربي التونسي نزيل مصر، ولد بتونس سنة 1152 ونشأ في قراءة القرآن وطلب العلم وقدم الى مصر سنة إحدى وسبعين وجاور بالأزهر برواق المغاربة وحضر علماء العصر في الفقه والمعقولات ولازم دروس الشيخ علي الصعيدي وأبي الحسن القلعي التونسي شيخ الرواق وعاشر اللطفاء والنجباء من أهل مصر، وتخلق بأخلاقهم وطالع كتب التاريخ والأدب، وصار له ملكة في استحضار المناسبات الغريبة والنكات، وتزوج وتزيا بزي أولاد البلد وتحلى بذوقهم ونظم الشعر الحسن، توفي رحمه الله يوم

الجمعة ثالث شعبان من السنة.

ومات صاحبنا الشاب الصالح العفيف الموفق الشيخ مصطفى بن جاد، ولد بمصر ونشأ بالصحراء بعمارة السلطان قايتباي، ورغب في صناعة تجليد الكتب وتذهيبها فعانى ذلك ومارسه عند الأسطى أحمد الدقدوسي حتى مهر فيها وفاق أستاذه وأدرك دقائق الصنعة والتذهيبات والنقوشات بالذهب المحلول والفضة والأصباغ الملونة والرسم والجداول والأطباع وغير ذلك، وانفرد بدقيق الصنعة بعد موت الصناع الكبار مثل الدقدوسي وعثمان أفندي بن عبد الله عتيق المرحوم الوالد والشيخ محمد الشناوي، وكان لطيف الذات خفيف الروح محبوب الطباع مألوف الأوضاع ودوداً مشفقاً عفوفاً صالحاً ملازماً على الأذكار والأوراد مواظباً على استعمال اسم لطيف العدة الكبرى في كل ليلة على الدوام صيفاً وشتاء سفراً وحضراً حتى لاحت عليه أنوار الاسم الشريف وظهرت فيه أسرار روحانيته، وصار له ذوق صحيح وكشف صريح ومراء واضحة، وأخذ على شيخنا الشيخ محمود الكردي طريق السادة الخلوتية، وتلقن عنه الذكر والاسم الأول وواظب على ورد العصر أيام حياة الأستاذ، ولم يزل مقبلاً على شأنه قانعاً بصناعته ويستنسخ بعض الكتب ويبيعها ليربح فيها، الى أن وافاه الحمام وتوفي سابع شهر ذي القعدة من السنة بعد أن تعلل أشهراً رحمه الله وعوضنا فيه خيراً فإنه كان بي رؤوفاً وعلي شفوقاً ولا يصبر عني يوماً كاملاً مع حسن العشرة والمودة، لا لغرض من الأغراض، ولم أرد بعده مثله وخلف بعده أولاده الثلاثة، وهم الشيخ صالح وهو الكبير وأحمد بدوي والشيخ صالح المذكور، هو الآن عمدة مباشري الأوقاف بمصر وجابي المحاسبة وله شهرة ووجاهة في الناس وحسن حال عشرة وسير حسن وفقه الله وأعانه على وقته.

ومات أيضاً الصنو الفريد واللوذعي الوحيد والكاتب المجيد والنادرة المفيد أخونا في الله خليل أفندي البغدادي، ولد ببغداد دار السلام وتربى في حجر والده ونشأ بها في نعمة ورفاهية، وكان والده من أعيان بغداد وعظمائها ذا مال وثروة عظيمة، وبينه وبين حاكمها عثمان باشا معاشرة وخلطة ومعاملة، فلما وصل الطاغية طهماز الى تلك الناحية وحصل منه ما حصل في بغداد وفر منه حاكمها المذكور قبض على والد المترجم واتهمه بأموال الباشا وذخائره ونهب داره واستصفى أمواله ونواله وأهلك تحت عقوبته، وخرج أهله وعياله وأولاده فارين من بغداد على وجوههم وفيهم المترجم، وكان إذ ذاك أصغر إخوته فتفرقوا في البلاد وحضر المترجم بعد مدة من الواقعة مع بعض التجار الى مصر واستوطنها وعاشر أهلها وأحبه الناس للطفه ومزاياه، وجود الخط على الأنيس والضيائي والشكري ومهر فيه، وكان يجيد لعب الشطرنج ولا يباريه فيه أحد مع الخفة والسرعة، وقل من يتناقل معه فيه بالكامل بل كان يناقل غالب الحذاق بدون الفرزان أو أحد الرخين، ولم أرد من ناقله بالكامل إلا الشيخ سلامة الكتبي وبذلك رغب في صحبته الأعيان والأكابر وأكرموه وواسوه مثل عبد الرحمن بك عثمان وسليمان بك الشابوري وسليمان جربجي البرديسي وكان غالب مبيته عنده ولم يزل ينتقل عند الأعيان باستدعاء ورغبة منهم فيه مع الخفة واطراح الكلفة وحسن العشرة، ويأوي الى طبقته ولم يتأهل ويغسل ثيابه عند رفيقه السيد حسن العطار بالأشرفية، وبآخرة عاشر الأمير مراد بك واختص به وأحبه فكان يجود له الخط ويناقله في الشطرنج وأغلق عليه وولاه بالبر، فراج حاله واشترى كتباً وواسى إخوانه، وكان كريم النفس جداً يجود وما لديه قليل ولا يبقي على درهم ولا دينار، ولما خرج مراد بك من مصر حزن لفقده وبعد، وباع ما اقتناه من الكتب وغيرها وصرف ثمنها في بره ولوازمه، وعبه دائماً ملآن بالمآكل الجافة مثل التمر

والكعك والفاكهة يأمل منها ويفرق في مروره على الأطفال والفقراء والكلاب، وكان بشوشاً ضحوك السن دائماً منشرحاً يسلي المحزون ويضحك المغبون ويحب الجمال ولا يؤخر المكتوبة عن وقتها أينما كان، ويزور الصلحاء والعلماء ويحضر في بعض الأحيان دروسهم ويتلقى عنهم المسائل الفقهية، ويحب سماع الألحان واجتماع الإخوان، ويعرف اللسان التركي ودخل بيت البارودي كعادته فأصيب بالطاعون وتعلل ليلتين وتوفي حادي عشرين رجب سنة تاريخه رحمه الله وسامحه، فلقد كانت أفاعيله وطباعه تدل على جودة أصله وطيب أعراقه وأصوله.

وما الجناب الأوحد والنجيب المفرد الفصيح اللبيب والنادرة الأريب السيد ابراهيم بن أحمد بن يوسف بن مصطفى بن محمد أمين الدين ابن علي سعد الدين بن محمد أمين الدين الحسني الشافعي المعروف بقلفة الشهر، تفقه على شيخ والده السيد عبد الرحمن الشيخوني إذ كان إمام والده، وتدرج في معرفة الأقلام والكتابة، فلما توفي والده تولى مكانه أخوه الأكبر يوسف في كتابة قلم الشهر، فلما شاخ وكبر سلمه الى أخيه المترجم فسار فيه أحسن سير واقتنى كتباً نفيسة وتمهر في غرائب الفنون، وأخذ طريق الشاذلية والأحزاب والأذكار على الشيخ محمد شكك، وكان يبره ويلاحظه بمراعاته، وانتسب إليه وحضر الصحيح وغيره على شيخنا السيد مرتضى وسمع عليه كثيراً من الأجزاء الحديثية في منزله بالركبيين وبالأزبكية في مواسم النيل، وكان مهيباً وجيهاً ذا شهامة ومروءة وكرم مفرط وتجمل فاخر عمله فوق همته سموحاً بالعطاء متوكلاً، توفي صبح يوم الأربعاء غاية شهر شعبان، بعد أن تعلل سبعة أيام وجهز، وصلي عليه بمصلى شيخون، ودفن على والده قرب السيدة نفيسة وخلف ولديه النجيبين المفردين حسن أفندي وقاسم أفندي أبقاهما الله وأحيا بهما المآثر وحفظ عليهما أولادهما وأصلح لنا ولهم الأيام.

ومات الإمام العلامة والجهبذ الفهامة الفقيه النبيه الأصولي المعقولي الورع الصالح الشيخ محمد الفيومي الشهير بالعقاد، أحد أعيان العلماء النجباء الفضلاء، تفقه على أشياخ العصر ولازم الشيخ الصعيدي المالكي ومهر وأنجب ودرس وانتفع به الطلبة في المعقول والمنقول، وألف وأفاد، وكان إنساناً حسناً جميل الأخلاق مهذب النفس متواضعاً مشهوراً بالعلم والفضل والصلاح، لم يزل مقبلاً على شأنه محبوباً للنفوس حتى تعلل بالبرقوقية بالصحراء، وتوفي بها ودفن هناك بوصية منه رحمه الله.

ومات صاحبنا الجناب المكرم والملاذ المفخم أنيس الجليس والنادرة الرئيس حسن أفندي بن محمد أفندي المعروف بالزامك قلفة الغربية، ومن له في أبناء جنسه أحسن منقبة ومزية، تربى في حجر والده ومهر في صناعته، ولما توفي والده خلفه من بعده وفاقه في هزله وجده، وعاشر أرباب الفضائل واللطفاء، وصار منزله منهلاً للواردين ومربعاً للوافدين، فيتلقى من يرد إليه بالبشر والطلاقة، ويبذل جهده في قضاء حاجة من له به أدنى علاقة، فاشتهر ذكره وعظم أمره وورد إليه الخاص والعام حتى أمراء الألوف العظام فيواسي الجميع ويسكرهم بكأس لطفه المريع مع الحشمة والرياسة وحسن المسامرة والسياسة، قطعنا معه أوقاتاً كانت في جبهة العمر غرة ولعين الدهر مسرة وقرة، وفي هذا العام قصد الحج الى بيت الله الحرام وقضى بعض اللوازم والأشغال واشترى الخيش وأدوات الأحمال فوافاه الحمام، وارتحل الى دار السلام بسلام وذلك في أواخر رجب بالطاعون رحمه الله.

ومات أيضاً الجناب العالي واللوذعي الغالي والرياستين والمزيتين والفضيلتين الأمير أحمد أفندي الروزنامجي المعروف بالصفائي،

تقلد وظيفة الروزنامة بديوان مصر عندما كف بصر اسمعيل أفندي، فكان لها أهلاً وسار فيها سيراً حسناً بشهامة وصرامة ورياسة، وكان يحفظ القرآن حفظاً جيداً وحضر في الفقه والمعقول على أشياخ الوقت قبل ذلك، وكان يحفظ متن الألفية لابن مالك ويعرف معانيها ويحفظ كثيراً من المتون ويباحث ويناضل من غير ادعاء للمعرفة والعالمية، فتراه أميراً مع الأمراء ورئيساً مع الرؤساء وعالماً مع العلماء وكاتباً مع الكتاب، وولداه سليمان أفندي المتوفى سنة ثمان وتسعين وعثمان أفندي المتوفى بعده في الفصل سنة خمس ومائتين، ووالدهما المصونة خديجة من أقارب المرحوم الوالد، وكانا ريحانتين نجيبين ذكيين مفردين، أعقب سليمان محمد أفندي وتوفي في سنة ستة عشرة وهو مقتبل الشبيبة، وحسن أفندي الموجود الآن، وأعقب عثمان أحمد وهو موجود أيضاً إلا أنه بعيد الشبه من أبيه وعمه وأولاد عمه وجده وجدته، وأما ابن عمه حسن أفندي فهو ناجب ذكي بارك الله فيه، ولما تعلل المترجم وانقطع عن النزول والركوب وحضور الدواوين قلدوا عوضه أحمد أفندي المعروف بأبي كلبة على مال دفعه فأقام في المنصب دون الشهرين، ومات أحمد أفندي، فسعى عثمان أفندي العباسي على المنصب وتقلده على رشوة لها قدر وذهب على أحمد أفندي أبو كلبة ما دفعه في الهباء، وكانت وفاة أحمد أفندي الصفائي المترجم في عشرين خلت من ربيع الثاني من السنة.

ومات العمدة المفرد والنجيب الأوحد محمد أفندي كاتب الرزق الأحباسية، وهذه الوظيفة تلقاها بالوراثة عن أبيه وجده وعرفوا اصطلاحها وأتقنوا أمرها، وكان محمد أفندي هذا لا يغرب عن ذهنه شيء يسأل عنه من أراضي الرزق بالبلاد القبلية والبحرية مع اتساع دفاترها وكثرتها ويعرف مظنالها ومن انحلت عنه ومن انتقلت إليه مع الضبط والتحرير والصيانة والرفق بالفقراء في عوائد الكتابة، وكان على قدم الخير والصلاح مقتصداً في معيشته قانعاً بوظيفته لا يتفاخر في ملبس ولا مركب، ويركب دائماً الحمار وخلفه خادمه يحمل له كيس الدفتر إذا طلع الى الديوان مع السكون والحشمة، وكان يجيد حفظ القرآن بالقراءات العشر و لم يزل هذا حاله حتى تعلل أياماً وتوفي الى رحمة الله تعالى ثامن ربيع الثاني، وتقرر في الوظيفة عوضه ابن ابنه الشاب الصالح حمودة أفندي فسار كأسلافه سيراً حسناً وقام بأعباء الوظيفة حساً ومعنى إلا أنه عاجله الحمام وانخسف بدره قبل التمام، وتوفي بعد جده بنحو سنتين وشغرت الوظيفة وابتذلت كغيرها، وهكذا عادة الدنيا.

ومات الجناب السامي والغيث الهاطل الهامي ذو المناقب السنية والأفعال المرضية والسجايا المنيفة والأخلاق الشريفة السيد السند حامي الأقطار الحجازية والبلاد التهامية والنجدية الشريف السيد سرور أمير مكة، تولى الأحكام وعمره نحو إحدى عشرة سنة، وكانت مدة ولايته قريباً من أربع عشرة سنة، وساس الأحكام أحسن سياسة وسار فيها بعدالة ورئاسة وأمن تلك الأقطار أمناً لا مزيد عليه، ومات وفي محبسه نيف وأربعمائة من العربان الرهائن، وكان لا يغفل لحظة عن النظر والتدبير في مملكته ويباشر الأمور بنفسه ويتنكر ويعس ويتفقد جميع الأمور الكلية والجزئية ولا ينام الليل قط، فيدور ثلثي الليل ويطوف حول الكعبة الثلث الأخير، و لم يزل يتنقل ويطوف حتى يصلي الصبح ثم يتوجه الى داره فينام الى الضحوة ثم يجلس للنظر في الأحكام، ولا تأخذه في الله لومة لائم، ويقيم الحدود ولو على أقرب الناس إليه، فعمرت تلك النواحي وأمنت السبل وخافته العربان وأولاد الحرام فكان المسافر يسير بمفرده ليلاً في خفارته، وبالجملة فكانت أفعاله حميدة وأيامه سعيدة، لم يأت قبله مثله فيما نعلم و لم يخلفه إلا مذمم، ولما مات تولى بعده أخوه الشريف غالب وفقه الله وأصلح شأنه.

ثم دخلت سنة ثلاث ومائتين وألف

فكان ابتداؤها المحرم يوم الخميس وفيه زاد اجتهاد اسمعيل بك في البناء عند طرا، وأنشأ هناك قلعة بحافة البحر وجعل بها مساكن ومخازن وحواصل، وأنشأ حيطاناً وأبراجاً وكرانك وأبنية ممتدة من القلعة الى الجبل وأخرج إليها الجبخانة والذخيرة وغير ذلك.

وفي تاسعه سافر عثمان كتخدا عزبان الى اسلامبول بعرضحال بطلب عسكر وأذن باقتطاع مصاريف من الخزينة.

وفي رابع عشرينه سافر اسمعيل باشا باش الأرنؤد بجماعته ولحقوا بالغلايين والجماعة القبليون مترسون بناحية الصول وعاملون سبعة متاريس، والمراكب وصلت الى أول متراس فوجدوهم مالكين مزم الجبل فوقفوا عند أول متراس ومدافعهم تصيب المراكب ومدافع المراكب لا تصيبهم، وهم متمنعون بأنفسهم الى فوق، وانخرقت المراكب عدة مرار وطلع مرة من أهل المراكب جماعة أرادوا الكبس على المتراس الأول فخرج عليهم كمين من خلف مزرعة الذرة المزروع، فقتل من طائفة المغاربة جماعة وهرب الباقون، ونصبت رؤوس القتلى على مزاريق ليراها أهل المراكب.

وفي سادس عشرينه، سافر أيضاً عثمان بك الحسني وامتنع ذهاب السفار وإياهم الى الجهة القبلية، وانقطع الوارد وشطح سعر الغلة وبلغ النيل غايته في الزيادة، واستمر على الأراضي من غير نقص الى آخر شهر بابه القبطي وروى جميع الأراضي.

وفي سابع عشرينه حضر سراج من عند القبليين وعلى يده مكاتبات بطلب صلح، وعلى أنهم يرجعون الى البلاد التي عينها لهم حسن باشا ويقومون بدفع المال والغلال للميري ويطلقون السبل للمسافرين والتجار، فإنهم سئموا من طول المدة ولهم مدة شهور منتظرين اللقاء مع أخصامهم، فلم يخرجوا إليهم فلا يكونون سبباً لقطع أرزاق الفقراء والمساكين، فكتبوا لهم أجوبة للإجابة لمطلوبهم بشرط إرسال رهائن وهم عثمان بك الشرقاوي وابراهيم بك الوالي ومحمد بك الألفي ومصطفى بك الكبير، ورجع الرسول بالجواب وصحبته واحد بشلي من طرف الباشا.

شهر صفر في غرته حضر جماعة مجاريح.

وفي ثانيه حضر المرسال الذي توجه بالرسالة وصحبته سليمان كاشف من جماعة القبليين والبشلي وآخر من طرف اسمعيل باشا الرنؤدي وأخبروا أن الجماعة لم يرضوا بإرسال رهائن، ثم أرسلوا لهم على كاشف الجيزة وصحبته رضوان كتخدا باب التفكجية، وتلطفوا معهم على أن يرسلوا عثمان بك الشرقاوي وأيوب بك فامتنعوا من ذلك، وقالوا من جملة كلامهم: لعلكم تظنون أن طلبنا في الصلح عجزاً وأننا محصورون، وتقولون بينكم في مصر إنهم يريدون بطلب الصلح التحليل على التعدية الى البر الغربي حتى يملكوا الاتساع، وإذا قصدنا ذلك أي شيء يمنعنا في أي وقت شئنا، وحيث كان الأمر كذلك فنحن لا نرضى إلا من حد أسيوط ولا نرسل رهائن ولا نتجاوز محلنا، فلما رجع الجواب بذلك في سابعه أرسل الباشا فرماناً الى اسمعيل باشا بمحاربتهم فبرز إليهم بعساكره وجميع العسكر التي بالمركب وحملوا عليهم حملة واحدة وذلك يوم الجمعة ثامنه فأخلوا لهم وملكوا منهم متراسين فخرج عليهم كمين بعد أن أظهروا الهزيمة، فقتل من العسكر جملة كبيرة ثم وقع الحرب بينهم يوم السبت ويوم الأحد، واستمرت المدافع تضرب بينهم من الجهتين والحرب قائم بينهم سجالاً وكل من الفريقين يعمل الحيل

وينب الشباك على الآخر ويكمن ليلاً فيجد الرصد، و لم ينفصل بينهم الحرب على شيء.

وفي منتصفه شرع اسمعيل بك في عمل تفريدة على البلاد فقرروا على الأعلى عشرين ألف فضة والأوسط خمسة عشر والأدنى خمسة آلاف، وذلك خلاف حق الطرق وما يتبعها من الكلف، وعمل ديوان ذلك في بيت علي بك الدفتردار بحضرة الوجاقلية وكتبت دفاترها وأوراقها في مدة ثلاثة أيام.

واستهل شهر ربيع الأول، والحال على ما هو عليه وحضر مرسوم من القبليين بطلب الصلح ويطلبون من حد أسيوط الى فوق شرقاً وغرباً ولا يرسلون رهائن، ووصل ساع من ثغر إسكندرية بالبشارة لاسمعيل كتخدا حسن باشا بولاية مصر، وأن اليرق والداقم وصل والبقجي والكتخدا وأرباب المناصيب وصلوا الى الثغر، فردهم الريح عندما قربوا من المرساة الى جهة قبرص، فشرع عابدي باشا في نقل متاعه من القلعة، ولما حضر المرسول بطلب الصلح رضي المصرلية بذلك وأعادوه بالجواب.

وفي رابعه حضر أحمد آغا أغات الجملية المعروف بشويكار لتقرير ذلك فعمل عابدي باشا ديواناً اجتمع فيه الأمراء والمشايخ والاختيارية، وتكلم أحمد آغا وقال نأخذ من أسيوط الى قبلي شرقاً وغرباً بشرط أن ندفع ميري البلاد من المال والغلال ونطلق سراح المراكب والمسافرين بالغلال والأسباب، وكذلك أنتم لا تمنعون عنا الواردين بالاحتياجات إلا ما كان من آلة الحرب فلكم منعه، وبعد أن يتقرر بيننا وبينكم الصلح نكتب عرض محضر منا ومنكم الى الدولة وننظر ما يكون الجواب، فإن حضر الجواب بالعفو لنا أو تعيين أماكن لنا لا نخالف ذلك ولا نتعدى الأوامر السلطانية بشرط أن ترسلوا لنا الفرمان الذي يأتي بعينه نطلع عليه، فأجيبوا الى ذلك كله ورجع أحمد آغا بالجواب صبيحة ذلك اليوم صحبة عبد الله جاويش، وشهر حوالة والشيخ بدوي من طرف المشايخ، وحضر في أثر ذلك مراكب غلال وانحلت الأسعار وتواجدت الغلال بالرقع وكثرت بعد انقشاعهم، ثم وصلت الأخبار بأن القبليين شرعوا في عمل جسر على البحر من مراكب مرصوصة ممتدة من البر الشرقي الى البر الغربي وثبتوه وسمروه بمسامير وباطات وثقلوه بمراس وأحجار مركوزة بقرار البحر، وأظهروا أن ذلك لأجل التعدية، ورجعت المراكب وصحبتها العسكر المحاربون واسمعيل باشا الأرنؤدي وعثمان بك الحسني والقليونجية وغيرهم وأشيع تقرير الصلح وصحته.

وفي عاشره أخبر بعض الناس قاضي العسكر أن بمدفن السلطان الغوري بداخل خزانة في القبة آثار النبي صلى الله عليه وسلم، وهي قطعة من قميصه وقطعة عصا وميل، فأحضر مباشر الوقف وطلب منه إحضار تلك الآثار وعمل لها صندوقاً ووضعها في داخل بقجة وضمخها بالطيب ووضعها على كرسي ورفعها على رأس بعض الأتباع، وركب القاضي والنائب وصحبته بعض المتعممين مشاة بين يديه يجهرون بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم حتى وصلوا بها الى المدفن ووضعوها في داخل الصندوق ورفعوها في مكانها بالخزانة.

وفي يوم الإثنين سابع عشره حضر شهر حوالة وعبد الله جاويش وأخبروا بأنهم لما وصلوا الى الجماعة تركوهم ستة أيام حتى تمموا شغل الجسر وعدوا عليه البر الغربي، ثم طلبوهم فعدوا إليهم وتكلموا معهم وقالوا لهم إن عابدي باشا قرر معنا الصلح على هذه الصورة وتكفل لنا بكامل الأمور، ولكن بلغنا في هذه الأيام أنه معزول من الولاية وكيف يكون معزولاً ونعقد معه صلحاً هذا لا يكون إلا إذا حضر إليه مقرر أو تولى غيره يكون الكلام معه، وكتبوا له جوابات بذلك ورجع به الجماعة

المرسلون، وأشيع عدم التمام فاضطربت الأمور وارتفعت الغلال ثانياً وغلا سعرها وشح الخبز من الأسواق.
وفي يوم الأربعاء تاسع عشره عمل الباشا ديواناً جمع فيه الأمراء والمشايخ والاختيارية والقاضي، فتكلم الباشا وقال: انظروا يا ناس هؤلاء الجماعة ما عرفنا لهم حالاً ولا ديناً ولا قاعدة ولا عهداً ولا عقداً، إنا رأينا النصارى إذا تعاقدوا على شيء لا ينقضوه ولا يختلوا عنه بدقيقة وهؤلاء الجماعة كل يوم لهم صلح ونقض وتلاعب، وإننا أجبناهم الى ما طلبوا وأعطيناهم هذه المملكة العظيمة وهي من ابتداء أسيوط الى منتهى النيل شرقاً وغرباً، ثم أنهم نكثوا ذلك وأرسلوا يحتجون بحجة باردة وإذا كنت أنا معزولاً فإن الذي يتولى بعدي لا ينقض فعلي ولا يبطله، ويقولون في جوابهم نحن عصاة وقطاع طريق، وحيث أقروا على أنفسهم بذلك وجب قتلاهم أم لا؟ فقال القاضي والمشايخ: يجب قتالهم بمجرد عصيانهم وخروجهم عن طاعة السلطان، فقال: إذا كان الأمر كذلك فإني أكتب لهم مكاتبة وأقول لهم إما أن ترجعوا وتستقروا على ما وقع عليه الصلح وإما أن أجهر لكم عساكر وأنفق عليهم من أموالكم ولا أحد يعارضني فيما أفعله وإلا تركت لكم بلدتكم وسافرت منها ولو من غير أمر الدولة، فقالوا جميعاً: نحن لا نخالف الأمر فقال أضع القبض على نسائهم وأولادهم ودورهم، وأسكن نساءهم وحريمهم في الوكائل، وأبيع تعلقاتهم وبلادهم وما تملكه نساؤهم، وأجمع ذلك جميعه وأنفقه على العسكر، وإن لم يكف ذلك تممته من مالي، فقالوا سمعنا وأطعنا، وكتبوا مكاتبة خطاباً لهم بذلك وختم عليها الباشا والأمراء وأرسلوها.
وفي يوم الأحد ثالث عشرينه نزل الآغا ونادى في الأسواق بأن كل من كان عنده وديعة للأمراء القبليين يردها لأربابها فإن ظهر بعد ثلاثة أيام عند أحد شيء استحق العقوبة وكل ذلك تدبير اسمعيل بك.
وفي يوم الثلاثاء حضر هجان وباش سراجين ابراهيم بك وأخبر أن الجماعة عزموا على الارتحال والرجوع وفك الجسر، فعمل الباشا ديواناً في صبحها وذكروا المراسلة وضمن الباشا غائلتهم وضمن المشايخ غائلة اسمعيل بك وكتبوا محضراً بذلك وختموا عليه وأرسلوه صحبة مصطفى كتخدا باش اختيار عزبان وتحقق رفع الجسر وورود بعض المراكب وانحلت الأسعار قليلاً.
واستهل شهر ربيع الثاني فيه حضر شيخ السادات الى بيته الذي عمره بجوار المشهد الحسيني وشرع في عمل المولد واعتنى بذلك ونادوا على الناس بفتح الحوانيت بالليل ووقود القناديل من باب زويلة الى بين القصرين وأحدثوا سيارات وأشاير ومواكب وأحمال قناديل ومشاعل وطبولاً وزموراً واستمر ذلك خمسة عشر يوماً وليلة.
وفي يوم الجمعة حضر عابدي باشا باستدعاء الشيخ له فتغدى ببيت الشيخ وصلى الجمعة بالمسجد وخلع على الشيخ وعلى الخطيب ثم ركب الى قصر العيني.
وفي ذلك اليوم وصل ططري من الديار الرومية وعلى يده مرسومات، فعملوا في صبحها ديواناً بقصر العيني وقرئت المرسومات، فكان مضمون أحدها تقرير العابدي باشا على ولاية مصر، والثاني الأمر والحث على حرب الأمراء القبليين وإبعادهم من القطر المصري، والثالث بطلب الإفرنجي المرهون الى الديار الرومية فلما قرئ ذلك عمل عابدي باشا شنكاً ومدافع من القصر والمراكب والقلعة وانكسف بال اسمعيل كتخدا بعد أن حضر إليه المبرش بالمنصب وأظهر البشر والعظمة، وأنفذ المبشرين ليلاً الى الأعيان و لم يصبر الى طلوع النهار حتى أنه أرسل الى محمد أفندي البكري المبشر في خامس ساعة من الليل وأعطاه مائة دينار، وحضر إليه الأمراء والعلماء في صبحها للتهنئة وثبت عند الخاص والعام ونقل عابدي باشا عزاله وحريمه الى القلعة.

وفي يوم الجمعة ثاني عشره رجع مصطفى كتخدا من ناحية قبلي وبيده جوابات وأخبر أن ابراهيم بك الكبير ترفع الى قبلي وصحبته ابراهيم بك الوالي وسليمان بك الآغا وأيوب بك وملخص الجوابات أنهم طالبون من حد المنية.
وفي يوم الأحد رابع عشره عمل الباشا ديواناً حضره المشايخ والأمراء فلم يحصل سوى سفر الإفرنجي.
وفي أواخره حضر سراج باشا ابراهيم بك وبيده جوابات يطلبون من حد منفلوط فأجيبوا الى ذلك، وكتبت لهم جوابات بذلك وسافر السراج المذكور.
واستهل شهر جمادى الأولى في غرته قلدوا غيطاس بك إمارة الحج.
وفي ثالثه وصل ططريون من البر على طريق دمياط بمكاتبات مضمونها ولاية اسمعيل كتخدا حسن باشا على مصر وأخبروا أن حسن باشا دخل الى اسلامبول في ربيع الأول ونقض ما أبرمه وكيل عابدي باشا وألبس قابجي كتخدا اسمعيل المذكور بحكم نيابته عنه قفطان المنصب ثالث ربيع الثاني وتعي قابجي الولاية وخرج من اسلامبول بعد خروج الططربيومين وحضر الططر في مدة ثلاثة وعشرين يوماً فلما وصل الططر سر اسمعيل كتخدا سروراً عظيماً وأنفذ المبشرين الى بيوت الأعيان.
وفيه ورد الخبر بانتقال الأمراء القبليين الى المنية وسافر رضوان بك الى المنوفية وقاسم بك الى الشرقية وعلي بك الحسني الى الغربية.
وفي عشرينه جمع اسمعيل بك الأمراء والوجاقلية وقال لهم أيا إخواننا إن حسن باشا أرسل يطلب مني باقي الحلوان فمن كان عنده بقية فليحضر بها ويدفعها فأحضروا حسن أفندي شقبون أفندي الديوان وحسبوا الذي طرف اسمعيل بك وجماعته فبلغ ثلثمائة وخمسين كيساً وطلع على طرف حسن بك وأتباعه نحو أربعمائة كيس، وعلى طرف علي بك الدفتردار مائة وستون كيساً وكانوا أرسلوا الى علي بك فلم يأت فقال لهم حسن بك أي شيء هذا العجب والأغراض بلاد علي بك فارسكور وبارنبال وسرس الليانة حلوانهم قليل، وزاد اللغط والكلام فقام من بينهم اسمعيل بك ونزل وركب الى جزيرة الذهب وكذلك حسن بك خرج الى قبة العزب وعلي بك ذهب الى قصر الجلفي بالشيخ قمر وأصبح علي بك وركب الى الباشا ثم رجع الى بيته، ثم أن علي بك قال لابد من تحرير حسابي وما تعاطيته وما صرفته من أيام حسن باشا الى وقتنا وما صرفته على أمير الحج تلك السنة، وادعى أمير الحج الذي هو محمد بك المبدول ببواقي ووقع على الجداوي، فاجتمعوا ببيت رضوان كتخدا تابع المجنون، وحضر حسن كتخدا علي بك وكيلاً عن مخدومه ومصطفى آغا الوكيل وكيلاً عن اسمعيل بك وحرروا الحساب فطلع على طرف علي بك ثلاثة وعشرون كيساً وطلع له بواق في البلاد نيف وأربعون كيساً.
شهر جمادى الآخرة فيه حضر فرمان من الدولة بنفي أربعة أغوات وهم عريف آغا وعلي آغا وإدريس آغا واسمعيل آغا فحنق لذلك جوهر آغا دار السعادة وشرع في كتابة مرافعة.
وفي عاشره وصل فرمان لاسمعيل كتخدا وخوطب فيه بلفظ الوزارة.
وفي يوم الأحد عمل اسمعيل باشا المذكور ديواناً في بيته بالأزبكية وحضر الأمراء والمشايخ وقرأوا المكاتبة وفيها الأمر بحساب عابدي باشا وبعد انفضاض الديوان أمر الروزنامجي والأفندية بالذهاب الى عابدي باشا وتحرير حساب الستة أشهر من أول توت الى برمهات لأنها مدة اسمعيل باشا وما أخذه زيادة عن عوائده وأخذ منه الضربخانة وسلمها الى خازنداره وقطعوا راتبه

من المذبح.
وفي عصريتها أرسل الى الوجاقلية والاختيارية فلما حضروا قال لهم اسمعيل باشا بلغني أنكم جمعتم ثمانمائة كيس فما صنعتم بها فقالوا دفعناها الى عابدي باشا وصرفها على العسكر: فقال: لأي شيء قالوا لقتل العدو قال والعدو قتل قالوا لا قال حينئذ إذا احتاج الحال ورجع العدو أطلب منكم كذلك قدرها قالوا ومن أين لنا ذلك قال إذاً اطلبوها منه واحفظوها عندكم في باب مستحفظان لوقت الاحتياج.
وفيه تواترت الأخبار باستقرار ابراهيم بك بمنفلوط وبنى له بها داراً وصحبته أيوب بك وأما مراد بك وبقية الصناجق فإنهم ترفعوا الى فوق.

وفي يوم الإثنين حضر حسن كتخدا الجربان من الروم وكان اسمعيل بك أرسل يتشفع في حضوره بسعاية محمد آغا البارودي وعلى أنه لم يكن من هذه القبيلة لأنه مملوك حسن بك أبي كرش وحسن بك مملوك سليمان آغا كتخدا الجاويشية ولما حضر أخبر أن الأمراء الرهائن أرسلوهم الى شنق قلعة منفيين بسبب مكاتبات وردت من الأمراء القبالي الى بعض متكلمين الدولة مثل القزلار وخلافه بالسعي لهم في طلب العفو، فلما حضر حسن باشا وبلغه ذلك نفاهم وأسقط رواتبهم وكانوا في منزله أعزاز ولهم رواتب وجامكية لكل شخص خمسمائة قرش في الشهر.
وفي عشرينه تحرر حساب عابدي باشا فطلع لاسمعيل باشا نحو ستمائة كيس فتجاوز له عن نصفها ودفع له ثلثمائة كيس، وطلع عليه لطرف الميري نحوها أخذوا بها عليه وثيقة وسامحه الأمراء من حسابهم معه وهادوه وأكرموه وقدموا له تقادم وأخذ في أسباب الارتحال والسفر وبرز خيامه الى بركة الحج.
وفي أواخره ورد الخبر مع السعاة بوصول الأطواخ لاسمعيل باشا واليرق والداقم الى ثغر الاسكندرية.
شهر رجب الفرد الحرام استهل بيوم السبت في ثالثه يوم الإثنين سافر عابدي باشا من البر على طريق الشام الى ديار بكر ليجمع العساكر الى قتال الموسقو وذهب من مصر بأموال عظيمة وسافر صحبته اسمعيل باشا الأرنؤدي وأبقى اسمعيل باشا من عسكر القليونجية والأرنؤدية من اختارهم لخدمته وأضافهم إليه، وفي عاشره وصلت الأطواخ والداقم الى الباشا فابتهج لذلك وأمر بعمل شنك وحراقة ببركة الأزبكية، وحضر الأمراء الى هناك ونصبوا صواري وتعاليق وعملوا حراقة ووقدة ليلتين، ثم ركب الباشا في صبح يوم الجمعة وذهب الى مقام الإمام الشافعي فزاره ورجع الى قبة العزب خارج باب النصر، ونودي في ليلتها على الموكب، فلما كان صبح يوم السبت خامس عشره خرج الأمراء والوجاقلية والعساكر الرومية والمصرلية واجتمع الناس للفرجة وانتظم الموكب أمامه وركب بالشعار القديم وعلى رأسه الطلخان والقفطان الأطلس وأمامه السعاة والجاويشية والملازمون وخلفه النوبة التركية وركب أمامه جميع الأمراء بالشعار والبيلشانات بزينتهم ونظامهم القديم المعتاد، وشق القاهرة في موكب عظيم، ولما طلع الى القلعة ضرب له المدافع من الأبراج وكان ذلك اليوم متراكم الغيوم وسح المطر من وقت ركوبه الى وقت جلوسه بالقلعة حتى ابتلت ملابسه وملابس الأمراء والعسكر وحوائجهم وهم مستبشرون بذلك، وكان ذلك اليوم خامس برمودة القبطي.
وفي يوم الثلاثاء عمل الديوان وطلع الأمراء والمشايخ وطلع الجم الكثير من الفقهاء ظانين وطامعين في الخلع، فلما قرئ التقرير

في الديوان الداخل خلع على الشيخ العروسي والشيخ البكري والشيخ الحريري والشيخ الأمير والأمراء الكبار فقط ثم أن اسمعيل بك التفت الى المشايخ الحاضرين وقال تفضلوا يا أسيادنا حصلت البركة فقاموا وخرجوا.

وفي يوم الخميس عشرينه أمر الباشا المحتسب بعمل تسعيرة وتنقيص الأسعار فنقضوا سعر اللحم نصف فضة وجعلوا الضاني بستة أنصاف والجاموسي بخمسة، فشح وجوده بالأسواق وصاروا يبيعونه خفية بالزيادة ونزل سعر الأردب الغلة الى ثلاثة ريال ونصف بعد تسعة ونصف.

وفي يوم الخميس ثامن عشرينه ورد مرسوم من الدولة فعمل الباشا الديوان في ذلك اليوم وقرأوه وفيه الأمر بقراءة صحيح البخاري بالأزهر والدعاء بالنصر للسلطان على الموسقو، فإنهم تغلبوا واستولوا على قلاع ومدن عظيمة من مدن المسلمين، وكذلك يدعون له بعد الأذان في كل وقت، وأمر الباشا بتقرير عشرة من المشايخ من المذاهب الثلاثة يقرأون البخاري في كل يوم، ورتب لهم في كل يوم مائتين نصف فضة لكل مدرس عشرون نصفاً من الضربخانة ووعدهم بتقريرها لهم على الدوام بفرمان.

وفيه شرع الباشا في تبييض حيطان الجامع الأزهر بالنورة والمغرة.

وفي يوم الأحد حضر الشيخ العروسي والمشايخ وجلسوا في القبلة القديمة جلوساً عاماً، وقرأوا أجزاء من البخاري واستداموا على ذلك بقية الجمعة وقرر اسمعيل بك أيضاً عشرة من الفقهاء كذلك يقرأون أيضاً البخاري نظيراً لعشرة الأولى، وحضر الصناع وشرعوا في البياض والدهان وجلاء الأعمدة وبطل ذلك الترتيب.

شهر شعبان المكرم

في ثانيه نودي بإبطال التعامل بالزيوف المغشوشة والذهب الناقص وأن الصيارفة يتخذون لهم مقصات يقطعون بها الدراهم الفضة المنحسة وكذلك الذهب المغشوش الخارج، وإذا كان الدينار ينقص ثلاثة قراريط يكون بطالاً ولا يتعامل به وإنما يباع لليهود الموردين بسعر المصاغ الى دار الضرب ليعاد جديداً، فلم يمتثل الناس لهذا الأمر و لم يوافقوا عليه واستمروا على التعامل بذلك في المبيعات وغيرها لأن غالب الذهب على هذا النقص وأكثر، وإذا بيع على سعر المصاغ خسروا فيه قريباً من النصف فلم يسهل بهم ذلك ومشوا على ما هم عليه مصطلحون فيما بينهم.

وفي أوائله أيضاً تواترت الأخبار بموت السلطان عبد الحميد حادي عشر رجب وجلوس ابن أخيه السلطان مصطفى مكانه وهو السلطان سليم خان وعمره نحو الثلاثين سنة وورد في أثر الإشاعة صحبة التجار والمسافرين دراهم وعليها اسمه وطرته ودعى له في الخطبة أول جمعة في شعبان المذكور.

وفي يوم الثلاثاء تاسعه، حضر علي بك الدفتردار من ناحية دجوة وسبب ذهابه إليها أن أولاد حبيب قتلوا عبد العلي بك بمنية عفيف بسبب حادثة هناك وكان ذلك العبد موصوفاً بالشجاعة والفروسية، فعز ذلك على علي بك فأخذ فرماناً من الباشا بركوبه على أولاد حبيب وتخريب بلدهم ونزل إليهم وصحبته باكير بك ومحمد بك المبدول، وعندما علم الحبايبة بذلك وزعوا متاعهم وارتحلوا من البلد وذهبوا الى الجزيرة، فلما وصل علي بك ومن معه الى دجوة لم يجدوا أحداً ووجدوا دورهم خالية فأمروا بهدمها هدموا مجالسهم ومقاعدهم وأوقدوا فيها النار وعملوا فردة على أهل البلد وما حولها من البلاد وطلبوا منهم كلفاً وحق طرق وتفحصوا على ودائعهم وأماناتهم وغلالهم في جيرة البلاد مثل طحلة وغيرها فأخذوها وأحاطوا بزرعهم

وما وجدوه بالنواحي من بهائمهم ومواشيهم ثم تداركوا أمرهم وصالحوه بسعي الوسائط بدراهم ودفعوها ورجعوا الى وطنهم ولكن بعد خرابها وهدمها.

وفيه أرسل الباشا سلحدار بخطاب للأمراء القبالي يطلب منهم الغلال والمال الميري حكم الاتفاق.

واستهل شهر رمضان وشوال في رابعه وصل الى مصر آغا معين بإجراء السكة والخطبة باسم السلطان سليم شاه فعمل الباشا ديواناً وقرأ المرسوم الوارد بذلك بحضرة الجمع والسبب في تأخيره لهذا الوقت الاهتمام بأمر السفر واشتغال رجال الدولة بالعزلة والتولية وورد الخبر أيضاً بعزل حسن باشا من رياسة البحر الى رياسة البر وتقلدا الصدارة وتولى عوضه قبطان باشا حسين الجردلي وأخبروا أيضاً بقتل بستحي باشا.

وفي أوائله أيضاً فتحوا ميري سنة خمسة مقدمة بعجلة.

وفي أواخره حضر عثمان كتخدا عزبان من الديار الرومية وبيده أوامر وفيها الحث على محاربة الأمراء القبالي والخطاب للوجاقلية وباقي الأمراء بأن يكونوا مع اسمعيل بك بالمساعدة والإذن لهم بصرف ما يلزم صرفه من الخزينة مع تشهيل الخزينة للدولة، وفي عاشره وصل ططري وعلى يده أوامر منها حسن عيار المعاملة من الذهب والفضة وأن يكون عيار الذهب المصري تسعة عشر قيراطاً ويصرف بمائة وعشرين نصفاً بنقص أربعة أنصاف عن الواقع في الصرف بين الناس، والاسلامبولي بمائة وأربعين وينقص عشرة والفندقلي بمائتين بنقص خمسة والريال الفرانسة بمائة بنقص خمسة أيضاً والمغربي بخمسة وتسعين بنقص خمسة أيضاً وهو المعروف بأبي مدفع، والبندقي بمائتين وعشرة بنقص خمسة عشر، فترل الآغا والوالي ونادى بذلك فخسر الناس حصة من أموالهم.

وفي غايته خرج أمير الحاج غيطاس بك بالمحمل وركب الحجاج.

وفي منتصف شهر القعدة الموافق لعاشر مسرى القبطي أو في النيل المبارك أذرع الوفاء ونزل الباشا الى فم الخليج وكسر السد بحضرته على العادة وانقضى هذا العام بحوادثه، وحصل في هذه السنة الازدلاف وتداخل العام الهلالي في الخراجي ففتحوا طلب المال الخراجي القابل قبل أوانه لضرورة الاحتياج وضيق الوارد بتعطيل الجهة القبلية واستيلاء الأمراء الخارجين عليها، ووجه اسمعيل بك الطلب من أول السنة بباقي الحلوان الذي قرره حسن باشا ثم المال الشتوي ثم الصيفي، وفي أثناء ذلك المطالبة بالفرد المتوالية المقررة على البلاد من الملتزمين ووجه على الناس قباح الرسل والمعينين من السراجين والدلاة وعسكر القليونجية فيدهمون الإنسان ويدخلون عليه في بيته مثل التجريدة الخمسة والعشرة بأيديهم البنادق والأسلحة بوجوه عابسة، فيشاغلهم ويلاطفهم ويلين خواطرهم بالإكرام فلا يزدادون إلا قسوة وفظاظة، فيعدهم على وقت آخر فيسمعونه قبيح القول ويشتطون في أجرة طريقهم وربما لم يجدوا صاحب الدار أو يكون مسافراً فيدخلون الدار وليس فيها إلا النساء ويحصل منهم ما لا خير فيه من الهجوم عليهن وربما نططن من الحيطان أو ربما هربن الى بيوت الجيران، وسافر رضوان بك قرابة علي بك الكبير الى المنوفية وأنزل بها كل بلية وعسف بالقرى عسفاً عنيفاً قبيحاً بأخذ البلص والتساويف وطلب الكلف الخارجة عن المعقول الى أن وصل الى رشيد، ثم رجع الى مولد السيد البدوي بطندتا، ثم عاد وفي كل مرة من مروره يستأنف العسف والجور وكذلك قاسم بك بالشرقية وعلي بك الحسني بالغربية، وقلد اسمعيل بك مصطفى كاشف المرابط بقلعة طرا فعسف بالمسافرين الذاهبين

والآيبين الى جهة قبلي، فلا تمر عليه سفينة صاعدة أو منحدرة إلا طلبها إليه وأمر بإخراج ما فيها وتفتيشها بحجة أخذهم الاحتياجات للأمراء القبليين من الثيابوغيرها أو إرسالهم أشياء أو دراهم لبيوتهم فإن وجد بالسفينة شيئاً من ذلك نهب ما فيها من مال المسافرين والمتسببين وأخذه عن آخره وقبض عليهم وعلى الريس وحبسهم ونكل بهم ولا يطلقهم إلا بمصلحة، وإن لم يجد شيئاً فيه شبهة أخذ من السفينة ما اختاره وحجزهم فلا يطلقهم إلا بمال يأخذه منهم، وتحقق الناس فعله فصانعوه ابتداء تقية لشره وحفظاً لمالهم ومتاعهم فكان الذي يريد السفر الى قبلي بتجارة أو متاع يذهب إليه ببعض الوسائط ويصالحه بما يطيب به خاطره ويمر بسلام فلا يعرض له، وكذلك الواصلون من قبلي يأتون طائعين الى تحت القلعة ويطلع إليه الريس والمسافرون فيصالحونه، وعلم الناس هذه القاعدة واتبعوها وارتاحوا عليها في الجملة واستعوضوا الخسارة من غلو الأثمان وكذلك فعل نساء سائر الأمراء القبليين وهادينه وأرشونه عن إرسالهن الى أزواجهن من الملابس والأمتعة سراً حتى كانوا في الآخر يرسلن إليه ما يرمن إرساله وهو يرسله بمعرفته وتأتي أجوبتهم على يده الى بيوتهن خفية، واتخذ له يداً وجميلاً وطوقهم منته بذلك وشاع في بلاد الأرنؤد وجبال الروملي رغبة اسمعيل بك في العساكر فوفدوا عليه بأشكالهم المختلفة وطباعهم المنحرفة وعدم أديانهم وانعكاس أوضاعهم، فأسكن منهم طائفة بالجيزة وطائفة ببولاق وطائفة بمصر العتيقة وأجرى عليهم النفقات والعلوفات وجلب له الياسيرجية المماليك فاشترى منهم عدة وافرة وأكثرهم عزق ومشنبون وأجناس غير معهودة، واستعملهم من أول وهلة في الفروسية و لم يدربهم في آداب ولا معرفة دين ولا كتاب كل ذلك حرصاً على مقاومة الأعداء وتكثير الجيش، وتابع إرسال الهدايا والأموال والتحف الى الدولة وأحضر السروجية والصواغ والعقادين فوضعوا ستة سروج للسلطان وأولاده وذلك قبل موت السلطان عبد الحميد على طريقة وضع سروج المصريين بعبايات مزركشة وهي مع السرج والقصعة والقربوص مرصعة بالجواهر والبروق والذهب والركابات واللجامات والبلامات والشماريخ والسلاسل كلها من الذهب البندقي الكسر، والرأس والرشمات كلها من الحرير المصنوع بالمخيش وسلوك الذهب وشماريخ المرجان والزمرد، وجميع الشراريب من القصب المخيش وبها تعاليق المرجان والمعادن صناعة بديعة وكلفة ثمينة، أقاموا في صناعة ذلك عدة أيام ببيت محمد آغا البارودي واشترى كثيراً من الأواني والقدور الصيني الأسكي معدن وملأها بأنواع الشربات المصنوع من السكر المكرر كشراب البنفسج والورد

والحماض والصندل المطيب بالمسك والعنبر وماء الورد والمربيات الهندية مثل مربى القرنفل وجوزبوا والبسباسة والزنجبيل والكابلي، وأرسل ذلك مع الخزينة بالبحر صحبة عثمان كتخدا عزبان ومعها عدة خيول من الجياد وأقمشة هندية وعود وعنبر وظرائف وأرزوبن وأفاويه وماء الورد المكرر وغير ذلك و لم يتفق لأحد فيما تقدم من أمراء مصر أرسل مثل ذلك و لم نسمع به و لم نره في تاريخ، فإن نهاية ما رأينا أن الأشربة يضعونها في ظروف من الفخار التي قيمة الظرف منها خمسة أنصاف أو عشرة حتى الذي يأتي من اسلامبول لخصوص السلطان وأما هذه فأقل ما فيها يساوي مائة دينار وأكثر من ذلك.

ومات في هذه السنة العلامة الماهر الحيسوب الفلكي أبو الإتقان الشيخ مصطفى الخياط صناعة أدرك الطبقة الأولى من أرباب الفن مثل رضوان أفندي ويوسف الكلارجي والشيخ محمد النشيلي والكرتلي والشيخ رمضان الخوانكي والشيخ محمد الغمري والشيخ الوالد حسن الجبرتي، وأخذ عنهم وتلقى منهم ومهر في الحساب والتقويم وحل الأزياج والتحاويل والحل والتركيب وتحاويل السنين وتداخل التواريخ الخمسة واستخراج بعضها من بعض وتواقيعها وكبائسها وبسائطها ومواسمها، ودلائل

الأحكام والمناظرات ومظنات الكسوف والخسوف واستخراج أوقاتها ودقائقها مع الضبط والتحرير وصحة الحدس وعدم الخطأ، وأقر له أشياخه ومعاصروه بالإتقان والمعرفة، وانفرد بعد أشياخه ووفد عليه طلاب الفن وتلقوا عنه وأنجبوا وأجلهم عصرينا وشيخنا العلامة المتقن الشيخ عثمان ابن سالم الورداني أطال الله بقاءه ونفع به، ولازم المترجم المرحوم الوالد مدة مديدة وتلقى عنه وحج معه في سنة ثلاث وخمسين ومائة وألف وسمعته يقول عنه الشيخ مصطفى فريد عصره في الحسابيات، والشيخ محمد النشيلي في الرسميات، وحسن أفندي قطه مسكين في دلائل الأحكام، وكان يستخرج في كل عام دستور السنة من مقومات السيارة ومواقع التواريخ وتواقيع القبط والمواسم والأهلة، ويعرب السنة الشمسية لنفع العامة وينقل منها نسخاً كثيرة يتناولها الخاص والعام، يعلمون منها الأهلة وأوائل الشهور العربية والقبطية والرومية والعبرانية والتواقيع والمواسم وتحاويل البروج وغير ذلك، والتمس منه الأستاذ سيدي أبو الإمداد أحمد بن وفا تحريك الكواكب الثابتة لغاية سنة ثمانين ومائة وألف، فأجابه الى ذلك، واشتغل به أشهراً حتى أتم حساب أطولها وعروضها وجهاتها، ودرجات ممرها ومطالع غروبها وشروقها وتوسطها وأبعادها ومواضعها بأفق عرض مصر، بغاية التحقيق والتدقيق على أصول الرصد الجديد السمرقندي، وقام له الأستاذ بأوده ومصرفه ولوازم عياله مدة اشتغاله بذلك، وأجازه على ذلك إجازة سنية، ومات سلطان الزمان السلطان عبد الحميد بن أحمد خان، وتولى بعده ابن أخيه السلطان سليم بن مصطفى وفقه الله تعالى آمين.

ودخلت سنة أربع ومائتين وألف

في المحرم وصلت الأخبار بأن الموسقو آغا روا على عدة قلاع وممالك إسلامية منها جهات الأوزي، وكانت تغل على اسلامبول كالصعيد على مصر، وان الاسلامبول واقع بها غلاء عظيم.

وفي أواخره حضر واحد آغا وبيده مرسومات بسبب الأمراء القبليين بأنهم إن كانوا تعدوا الجهات التي صالحوا عليها حسن باشا، و لم يدفعوا المال ولا الغلال فلازم من محاربتهم ومقاتلتهم وإن لم يمتثلوا يخرجوا إليهم ويقاتلوهم، فإن السلطان أقسم بالله أنه يزيل الفريقين، ولا يقبل عذرهم في التأخير، فقرأوا تلك المرسومات في الديوان ثم أرسلوها مع مكاتبات صحبة واحد مصرلي، وآخر من طرف الآغا القادم بها وآخر من طرف الباشا.

وفي أوائل ربيع الأول رجع الرسل بجوابات من الأمراء القبليين ملخصها أنهم لم يتعدوا ما حدوده مع حسن باشا إلا بأوامر من عابدي باشا فإنه حدد لنا من منفلوط، ثم اسمعيل بك بنى حاجزاً وقلاعاً وأسواراً بطرا، وذلك دليل وقرينة على أن ما راء ذلك يكون لنا، وأنه اختص بالأقاليم البحرية وترك لنا الأقاليم القلبية ولا مزية للأمراء الكائنين بمصر علينا، فإنه يجمعنا وإياهم أصل واحد وجنس واحد، وإن كنا ظلمة فهم أظلم منا، وأما الغلال والمال فإننا أرسلنا لهم جانب غلال، فلم ترجع المراكب التي أرسلناها ثانياً فيرسلوا لنا مراكب، ونحن نعبيها ونرسلها، وذكروا أيضاً أنهم أرسلوا صالح آغا كتخدا الجاويشية سابقاً الى اسلامبول ونحن في انتظار رجوعه بالجواب، فعند رجوعه يكون العمل بمقتضى ما يأتي به من المرسومات، ولا نخالف أمر السلطان.

وفي شهر جمادى الأولى، وردت أخبار بعزل وزير الدولة وشيخ الإسلام وآغات الينكجرية ونفيهم، وأن حسن باشا، تولى الصدارة وهو بالسفر، وأنه محصور بمكان يقال له اسمعيل، لأن الموسقو أغاروا على ما وراء اسمعيل، وأخذوا ما بعده من البلاد، ثم أنه هادن الموسقو وصالحهم على خمسة أشهر الى خروج الشتاء، وأن السلطان أحضر الأمراء المصرلية الرهائن المنفيين بقلعة ليميا، وهم عبد الرحمن بك الابراهيمي وعثمان بك المرادي وسليمان كاشف، وأما حسين بك فإنه مات بليميا، ولما حضروا أنزلوهم في قناقات وعين لهم رواتب ويحضرهم السلطان في بعض الأحيان الى الميدان، ويعملوا رماحة بالخيول، وهو ينظر إليهم ويعجبه ذلك، ويعطيهم أنعاماً، وورد الخبر أيضاً أن صالح آغا وصل الى اسلامبول فصالح على الأمراء القبالي، وتم الأمر بواسطة نعمان أفندي نجم باشا ومحمود بك، وأرسلوا بالأوراق الى حسن باشا فحنق لذلك، و لم يمضه وانحرف علي نعمان أفندي ومحمود بك وأمر بعزلهما من مناصبهما ونفيهما وإخراجهما من دار السلطنة، فنفى نعمان أفندي الى أماسيه ومحمود بك الى جهة قريبة من اسلامبول، وشاط طبيخهم وسافر صالح آغا من اسلامبول، وفي شهر شعبان، ورد الخبر بموت حسن باشا، وكان موته في منتصف رجب، وكأنه مات مقهوراً من الموسقو.

وفي ثاني عشر رمضان، حصل زلزلة لطيفة في سادس ساعة من الليل.

وفيه أيضاً وصل ثلاثة أشخاص من الديار الرومية، فأخذوا ودائع كانت لحسن باشا بمصر، فتسلموها ممن كانت تحت أيديهم ورجعوا.

وفي ليلة الجمعة، ثالث عشر شوال قبل الفجر احترق بيت اسمعيل بك عن آخره.
وفي خامس عشرينه، عزل حسن كتخدا المحتسب من الحسبة، وقلدوها رضوان آغا محرم من وجاق الجاويشية، فأنهى حسن آغا أنه كان متكفلاً بجراية الجامع الأزهر، فإن كان المتولي يتكفل بها مثله، استمر فيها وإلا ردوا له المنصب وهو يقوم بها للمجاورين كما كان، فلما قالوا لرضوان آغا ذلك، فلم يسعه إلا القيام بذلك، وهي دسيسة شيطانية لا أصل، فإن أخبار الجامع الأزهر لها جهات بعضها معطل والناظر عليه علي بك الدفتردار وحسن آغا كتخداه يصل ويقطع من أي جهة أراد من الميري أو من خلافه، فدس هذه الدسيسة يريد بها تعجيز المتولي ليرجع إليه المنصب، ومعلوم أن المتولي لم يتقلد ذلك إلا برشوة دفعها ويلزم من نزوله عنها ضياع غرامته وجرسته بين أقرانه، فما وسعه إلا القيام بذلك، وفردها على مظالم الحسبة التي يأخذها من السوقة ويدفعها للخباز يصنع بها خبزاً للمجاورين، والمنقطعين في طلب العلم ليكون قوتهم وطعامهم من الظلم والسحت المكرر، وذلك نحو خمسة آلاف نصف فضة في كل يوم، واشتهر ذلك وعلمه العلماء والمجاورون وغيرهم، وربما طالبوه بالمنكسر أو اعتذروا بقولهم الضرورات تبيح المحظورات.
وفي ليلة السبت ثالث شهر الحجة الموافق لعاشر مسرى القبطي، أوفى النيل أذرعه وكسر السد بحضرة الباشا والأمراء على العادة، وجرى الماء في الخليج.

وفيه وقعت واقعة بين عسكر القليونجية والأرنؤدية بسوق السلاح، وقتل بينهم جماعة من الفريقين ثم تحزبوا أحزاباً، فكان كل من واجه حزباً من الطائفة الأخرى أو انفرد ببعض منها قتلوه، ووقع بينهم ما لا خير فيه وداخل الناس الخوف من ذلك، فيكون الإنسان ماراً بالطريق،فلا يشعر إلا وكرشة وطائفة مقبلة وبأيديهم البنادق والرصاص، وهم قاصدون طائفة من أخصامهم بلغهم أنهم في طريق من الطرق، واستمر هذا الأمر بينهم نحو خمسة أيام، ثم أدرك القضية اسمعيل بك وصالحهم.
وفي أواخره حضر جماعة من الأرنؤد الى بيت محمد آغا البارودي وقبضوا منه مبلغ دراهم من علوفتهم، ونزلوا عند الخليج المرخم وازدحموا في المركب فانقلب بهم، وغرق منهم نحو ستة أنفار وقيل تسعة وطلع من طلع في أسوأ حال.

ذكر من مات في هذه السنة

ومات في هذه السنة العلامة الرحالة الفهامة الفقيه المحدث المفسر المحقق المتبحر الصوفي الصالح الشيخ سليمان بن عمر بن منصور العجيلي الشافعي الأزهري المعروف بالجمل، ويعرف أبوه وجده بشتت ولد بمنية عجيل إحدى قرى الغربية، وورد مصر، ولازم الشيخ الحفني فشملته بركته وأخذ عنه طريق الخلوتية، ولقنه الأسماء وأذن له واستخلفه وتفقه عليه، وعلى غيره من فضلاء العصر، مثل الشيخ عطية الأجهوري، ولازم دروسه كثيراً واشتهر بالصلاح وعفة النفس، ونوه الشيخ الحفني بشأنه وجعله إماماً وخطيباً بالمسجد الملاصق لمنزله على الخليج، ودرس بالأشرفية والمشهد الحسيني في الفقه والحديث والتفسير، وكثرت عليه الطلبة وضبطت من إملائه وتقريراته، وقرأ المواهب والشمائل وصحيح البخاري وتفسير الجلالين بالمشهد الحسيني بين المغرب والعشاء وحضره أكبر الطلبة ولم يتزوج وفي آخر أمره تقشف في ملبسه ولبس كساء صوف وعمامة صوف وطلساناً كذلك واشتهر بالزهد والصلاح ويتردد كثيراً لزيارات المشايخ والأولياء، ولم يزل على حاله حتى توفي في حادي

عشر القعدة من السنة.
ومات الإمام الفاضل العلامة الصالح المتجرد القانع الصوفي الشيخ علي ابن عمر بن أحمد بن عمر بن ناجي بن فنيش العوني الميهي الشافعي الضرير نزيل طندتا، ولد بالميه إحدى قرى مصر وأول من قدمها جده فنيش، وكان مجذوباً من بني العونة العرب المشهورين بالبحيرة فتزوج بها وحفظ المترجم القرآن وقدم الجامع الأزهر وجوده على بعض القراء، واشتغل بالعلم على مشايخ عصره ونزل طندتاء فتديرها ودرس العلم بالمسجد المجاور وللمقام الأحمدي وانتفع به الطلبة، وآل به الأمر الى أن صار شيخ العلماء هناك، وتعلم عليه غالب من بالبلد علم التجويد وهو فقيه مجود ماهر حسن التقرير جيد الحافظة يحفظ كثيراً من النقول الغريبة وفيه أنس وتواضع وتقشف وانكسار وورد مصر في المحرم من هذه السنة، ثم عاد الى طندتاء وتوفي في ثاني عشر ربيع الأول من السنة و لم يتعلل كثيراً، ودفن بجانب قبر سيدي مرزوق من أولاد غازي في مقام مبني عليه رحمه الله تعالى.
ومات الفاضل التحرير الذي وقف الأدب عند بابه ولاذت أربابه بأعتابه النبيه النبيل واللوذعي الجليل قاسم بن عطاء الله المصري الأديب ولد بمصر وبها نشأ وقرأ في الفنون على بعض أهل عصره، وحفظ الملحة والألفية وغيرهما واشتهر بفن الأدب والتوشيخ والزجل، وكان يعرف أولاً بالزجال أيضاً لإتقانه فيه، وصار وحيد عصره في هذه الفنون بحيث لا يجاريه أحد مع ما لديه من الارتجال في الشعر مع غاية الحسن، وأما في فن التاريخ فإليه المنتهى مع السلاسة والتناسب وعدم التكلف فيه.
ومات الخواجا المعظم والناخودة المكرم الحاج أحمد آغا بن ملا مصطفى الملطيلي كان من أعيان التجار المشهورين وأرباب أهل الوجاهة المعتبرين عمدة في بابه عدة لأحبابه ومن يلوذ بجنابه وينتمي لسدته وأعتابه، محتشماً في نفسه، مبجلاً بين أبناء جنسه، توفي يوم الأربعاء ثاني عشرين القعدة و لم يخلف بعده مثله.

ومات صاحبنا النبيه المفوه الفصيح المتكلم الكاتب المنشئ حسين ابن محمد المعروف بدرب الشمسي وهو أحد أخوة حسن أفندي من بيت المجد والرياسة والشرف والفضيلة، وكان من نوادر العصر في الفصاحة واستحضار المسائل الغريبة والنكات والفوائد الفقهية الطبية، وعنده حرص على صيد الشوادر، وأدرك بمصر أوقاتاً ولذات في الأيام السابقة قبل أن يخرجهم علي بك من مصر في سنة اثنتين وثمانين ونفيهم الى الحجاز، وبعد رجوعهم في سنة سبع وثمانين ولكن دون ذلك، و لم يزل يرفل في حلل السيادة حتى تعلل نحو عشرين يوماً وتوفي في شهر رمضان من السنة وصلي عليه بمصلى أيوب بك ودفن عند أسلافه، وخلفه من بعده ابنه حسن جربجي الموجود الآن بارك الله فيه ورحم سلفه.
ومات العمدة المفضل والملاد المبجل الشيخ عبد الجواد بن محمد ابن عبد الجواد الأنصاري الجرجاوي الخير المكرم الجواد من بيت الثروة والفضل جدوده مالكية فتحنف، كان من أهل المآثر في إكرام الضيوف والوافدين وله حسن توجه مع الله تعالى وأوراد وأذكار وقيام الليل يسهر غالب ليله وهو يتلو القرآن والأحزاب وورد مصر مراراً وفي آخره انتقل إليها بعياله واشترى مترلاً واسعاً بحارة كتامة المعروفة الآن بالعينية وصار يتردد في دروس العلماء مع إكرامهم له ثم توجه الى الصعيد ليصلح بين جماعة من عرب العسيرات فقتلوه غيلة في هذه السنة رحمه الله تعالى.
ومات الأمير المبجل صالح فندي كاتب وجاق التفجية وهو من مماليك ابراهيم كتخدا القزدغلي نشأ من صغره في صلاح وعفة وحبب إليه القراءة وتجويد الخط فجوده على حسن أفندي الضيائي والأنيس وغيرهما حتى مهر فيه وأجازوه على

طريقتهم واصطلاحهم، واقتنى كتباً كثيرة وكان مترله مأوى ذوي الفضائل والمعارف، وله اعتقاد حسن وحب في المرحوم الوالد ولا ينقطع عن زيارته في كل جمعة مرة أو مرتين، وكان مترهفاً في مأكله وملبسه معتبراً في ذاته وجيهاً منور الوجه والشيبة له من اسمه نصيب وعنده حزم ومماليكه أحمد مصطفى تمرض نحو سنة وعجز عن ركوب الخيل وصار يركب حماراً عالياً ويستند على أتباعه و لم يزل حتى توفي في هذه السنة رحمه الله تعالى وانقضت هذه السنة.

واستهلت سنة خمس ومائتين وألف

في حادي عشر المحرم، ورد آغا وعلى يده تقرير لاسمعيل باشا على السنة الجديدة فعملوا له موكباً وطلع الى القلعة وقرئ المقرر بحضرة الجمع وضربوا له مدافع.

وفي ذلك اليوم قبض اسمعيل بك على المعلم يوسف كساب معلم الدواوين وأمر بتغريقه في بحر النيل.

وفي صبحها نفوا صالحا آغا آغات الأرنؤد قيل إن السبب في ذلك أنه تواطأ مع الأمراء القبالي بواسطة المعلم يوسف المذكور على أنه لم يملكهم المراكب الرومية والقلاع التي بناحية طرا والجيزة وعملوا له مبلغاً من المال التزم به الذمي يوسف وكتب على نفسه تمسكاً بذلك،

وفيه كثر تعدي أحمد آغا الوالي على أهل الحسينية وتكرر قبضه وإيذاؤه لأناس منهم بالحبس والضرب وأخذ المال بل ونهب بعض البيوت، وأرسل في يوم الجمعة ثاني عشرينه أعوانه بطلب أحمد سالم الجزار شيخ طائفة البيومية وله كلمة وصولة بتلك الدائرة وأرادوا القبض عليه فثارت طوائفه على أتباع الوالي ومنعوه منهم وتحركت حميتهم عند ذلك وتجمعوا وانضم إليهم جمع كثير من أهل تلك النواحي وغيرها وأغلقوا الأسواق والدكاكين وحضروا الى الجامع الأزهر ومعهم طبول وقفلوا أبواب الجامع وصعدوا على المنارات وهم يصرخون ويصيحون ويضربون على الطبول، وأبطلوا الدروس، فقال لهم الشيخ العروسي: أنا أذهب الى اسمعيل بك في هذا الوقت وأكلمه في عزل الوالي وتخلص منهم بذلك، وذهب الى اسمعيل بك فاعتذر بأن الوالي ليس من جماعته بل هو من جماعة حسن بك الجداوي وأمر بعض أتباعه بالذهاب إليه وإخباره بجمع الناس والمشايخ وطلبهم عزل الوالي، فلم يرض بذلك وقال إن كان أنا أعزل الوالي تابعي يعزل هو الآخر الآغا تابعه ويعزل رضوان كتخدا المجنون من المقاطعة ويرفع مصطفى كاشف من طرا ويطرد عسكر القليونجية والأرنؤد، وترددت بينهم الرسل بذلك، ثم ركب حسن بك وخرج الى ناحية العادلية مثل المغضب وصار أحمد آغا الوالي يركب بجماعة كثيرة ويشق من المدينة ليغيظ العامة وكذلك يجمع من العامة خلائق كثيرة ووقع بينه وبينهم بعض مناوشات في مروره وانجرح بينهم جماعة وقتل شخصان، ثم ركب المشايخ، وذهبوا الى بيت محمد أفندي البكري، وحضر هناك اسمعيل بك وطيب خاطرهم والتزم لهم بعزل الوالي ومر الوالي في ذلك الوقت على بيت الشيخ البكري وكثير من العامة مجتمع هناك، ففزع فيهم بالسيف وفرق جمعهم وسار من بينهم وذهب في طريقه ثم زاد الحال وكثرت غوغاء الناس ومشوا طوائف يأمرون بغلق الدكاكين واجتمع بالأزهر الكثير منهم، واستمرت هذه القضية الى يوم الثلاثاء ثالث صفر ثم طلع اسمعيل بك والأمراء الى القلعة واصطلحوا على عزل الوالي والآغا وجعلوهما صنجقين وقلدوا خلافهما الآغا من طرف اسمعيل بك والوالي من طرف حسن بك ونزل الوالي الجديد من الديوان الى الأزهر وقابل المشايخ الحاضرين واسترضاهم ثم ركب الى بيته وانفض الجمع وكأنها طلعت بأيديهم والذي كان راكب حماراً ركب فرساً.

وفي ليلة الجمعة خامس شهر صفر غيمت السماء غيماً مطبقاً وسحت أمطار غزيرة كأفواه القرب مع رعد شديد الصوت وبرق متتابع متصل قوي اللمعان يخطف بالأبصار مستديم الاشتعال واستمر ذلك بطول ليلة الجمعة ويوم الجمعة والأمطار نازلة حتى سقطت الدور القديمة على الناس ونزلت السيول من الجبل حتى ملأت الصحراء وخارج باب النصر وهدمت الترب وخسفت القبور وصادف ذلك اليوم دخول الحجاج الى المدينة فحصل لهم غاية المشقة وأخذ السيل صيوان أمير الحاج بما فيه

وانحدر به من الحصوة الى بركة الحج وكذلك خيام الأمراء وغيرهم وسالت السيول من باب النصر ودخلت البلد وامتلأت الوكائل بالمياه وكذلك جامع الحاكم وقتلت أناس في حواصل الخانات وصار خارج باب النصر بركة عظيمة متلاطمة بالأمواج وانهدم من دور الحسينية أكثر من النصف وكان أمراً مهولاً جداً،

وفي حصل أيضاً كائنة عبد الوهاب أفندي بشناق الواعظ وذلك أنه مات رجل من البشانقة من أهل بلده وكأنه قد جعله وصياً على تركته فاستولى عليها واستأصلها وكان للرجل المتوفى شركة بناحية الاسكندرية فسافر المذكور الى الاسكندرية وحاز باقي التركة أيضاً ورجع الى مصر وحضر الوارث وطالبه بتركة مورثه فأظهر له شيئاً نزراً فذهب الوارث الى القاضي فدعاه القاضي وكلمه في ذلك فقال له أنا وصي مختار وأنا مصدق وليس عندي خلاف ما سلمته له فقال له القاضي إنه يدعي عليك بكذا وكذا وعنده إثبات ذلك وطال بينهما الكلام وتطاول على القاضي واستجهله فطلع القاضي الى الباشا وشكا له فأمر بإحضاره فحضر في جمع الديوان وناقشوه فلم يتزلزل عن عناده الى أن نسب الكل الى الانحراف عن الحق فحنق الباشا منه وأمر برفعه من المجلس فقبضوا عليه وجروه وضربوه ورموا بتاجه الى الأرض وحبسوه في مكان وصادف أيضاً ورود مكتوب من ناحية المدينة من مفتيها كان أرسله المذكور إليه لسبب من الأسباب وذكر فيه الباشا بقوله التعيس الحربي وكذلك الأمراء بنحو ذلك فأرسله المفتي وأعاده على يد بعض الناس الى اسمعيل بك حقداً منه عليه لكراهة خفية بينهما سابقة وأوصله اسمعيل بك أيضاً الى الباشا فازداد غيظاً وأرعد وأبرق وأحضر بشناق أفندي من محبسه وقت القائلة وأراه ذلك المكتوب فسقط في يده واعتذر فلطمه على وجهه ونتف لحيته وأراد أن يضربه بخنجره فشفع فيه أكابر أتباعه ثم أخذوه وسجنوه وأمر بمحاسبته على ما أخذه من التركة فحوسب وطولب وبقي بالحبس حتى وفى ما طلع عليه وشفع فيه علي بك الدفتردار وخلصه من الترسيم.

وفي أواخر صفر قلدوا أحمد بك الوالي المذكور كشوفية الدقهلية وعثمان بك الحسني الغربية وشاهين بك شرقية بلبيس وعلي بك جركس المنوفية وصار جماعة أحمد بك وأتباعه عند سفرهم يخطفون دواب الناس من الأسواق وخيول الطواحين ولما سرحوا في البلاد حصل منهم ما لا خير فيه من ظلم الفلاحين مما هو معلوم من أفعالهم.

وفي شهر ربيع الأول كمل بناء بيت اسمعيل بك وبياضه وأتمه على هيئة متقنة وترتيب في الوضع ونقل إليه قطع الأعمدة العظام التي كانت ملقاة في مكان الجامع الناصري الذي عند فم الخليج وجعلها في جدرانه وبنى به مقعداً عظيماً متسعاً ليس له مثيل في مقاعد بيوت الأمراء في ضخامته وعظمه وهو في جهة البركة وغرس بجانبه بستاناً عظيماً وظن أن الوقت قد صفا له.

وفي أواخر شهر جمادى الأولى أشيع في الناس أن في ليلة السابع والعشرين نصف الليل يحصل زلزلة عظيمة وتستمر سبع ساعات ونسبوا هذا القول الى أخبار بعض الفلكيين من غير أصل واعتقده الخاصة فضلاً عن العامة وصمموا على حصوله من غير دليل لهم على ذلك فلما كانت تلك الليلة خرج غالب الناس الى الصحراء والى الأماكن المتسعة مثل بركة الأزبكية والفيل وخلافهما ونزلوا في المراكب ولم يبق في بيته إلا من ثبته الله وباتوا ينتظرون ذلك الى الصباح فلم يحصل شيء وأصبحوا يتضاحكون على بعضهم.

وفيه ابتدأ أمر الطاعون وداخل الناس منه وهم عظيم.

وفيه قلدوا عبد الرحمن بك عثمان، وجعلوه صنجق الخزينة وشرعوا في تشهيله واجتهد اسمعيل بك في سفر الخزينة على الهيئة

القديمة ولبس المناصب والسدادة وأرباب الخدم وقد بطل هذا الترتيب والنظام من نيف وثلاثين سنة فأراد اسمعيل بك إعادته ليكون له بذلك منقبة ووجاهة عند دولة بني عثمان فلم يرد الله بذلك وعاجله الرجز.

وفي شهر رجب زاد أمر الطاعون وقوي عمله بطول شهر رجب وشعبان وخروج عن حد الكثرة ومات به ما لا يحصى من الأطفال والشبان والجواري والعبيد والمماليك والأجناد والكشاف والأمراء ومن أمراء الألوف الصناجق نحو اثني عشر صنجقاً ومنهم اسمعيل بك الكبير المشار إليه وعسكر القليونجية والأرنؤد الكائنون ببولاق ومصر القديمة والجيزة حتى كانوا يحفرون حفر المن بالجيزة بالقرب من مسجد أبي هريرة ويلقونهم فيها وكان يخرج من بيت الأمير في المشهد الواحد الخمسة والستة والعشرة وازدحموا على الحوانيت في طلب العدد والمغسلين والحمالين ويقف في انتظار المغسل أو المغسلة الخمس والعشرة ويتضاربون على ذلك ولم يبق للناس شغل إلا الموت وأسبابه فلا تجد إلا مريضاً أو ميتاً أو عائداً أو معزياً أو مشيعاً أو راجعاً من صلاة جنازة أو دفن أو مشغولاً في تجهيز ميت أو باكياً على نفسه موهوماً ولا تبطل صلاة الجنائز من المساجد والمصليات ولا يصلي إلا على أربعة أو خمسة أو ثلاثة وندر جداً من يشتكي ولا يموت وندر أيضاً ظهور الطعن ولم يكن بحمى بل يكون الإنسان جالساً فيرتعش من البرد فيدثر فلا يفيق إلا مخلطاً أو يموت من نهاره أو ثاني يوم وربما زاد أو نقص أو كان بخلاف ذلك وكان شبيهاً بفصل البقر الذي تقدم واستمر عمله الى أوائل رمضان ثم ارتفع ولم يقع بعد ذلك إلا قليلاً نادراً ومات الآغا والوالي في أثناء ذلك فولوا خلافهما فماتا بعد ثلاثة أيام فولوا خلافهما فماتا أيضاً واتفق أن الميراث انتقل ثلاث مرات في جمعة واحدة ولما مات اسمعيل بك تنازل الرياسة حسن بك الجداوي وعلي بك الدفتردار ثم اتفقوا على تأمير عثمان بك طبل تابع اسمعيل بك على مشيخة البلد وسكن ببيت سيده وقلدوا حسن بك قصبة رضوان أمير حاج ثم أنهم أظهروا الخوف والتوبة والإقلاع وإبطال الحوادث والمظالم وزيادات المكوس ونادوا بذلك وقلدوا أمراء عوضاً عن المقبورين من مماليكهم.

في غرة رمضان حضر ططري وعلى يده مرسوم بعزل اسمعيل باشا وأن يتوجه الى الموره وأن باشة الموره محمد باشا الذي كان بجدة في العام الماضي المعروف بعزت هو والي مصر فعملوا الديون وقرئت المرسومات فقال الأمراء لا نرضى بذهابك من بلدنا وأنت أحسن لنا من الغريب الذي لا نعرفه فقال وكيف يكون العمل ولا يمكن المخالفة فقالوا نكتب عرضحال الى الدولة ونرجو تمام ذلك فقال لا يتم ذلك فإن المتولي كأنكم به وصل الى الاسكندرية وعزم على الترول صبح تاريخه ثم أنهم اتفقوا على كتابة عرضحال بسبب تركة اسمعيل بك خوفاً من حضور معين بسبب ذلك وعين للسفرية الشيخ محمد الأمير.

وفي يوم الخميس الخامس عشر رمضان، نزل الباشا من القلعة الى بولاق وقصد السفر على الفور وطلب المراكب وأنزل بها متاعه ويرقه فلما رأوا منه العجلة وعدم التأني وقصدهم تأخيره الى حضور الباشا الجديد ويحاسب على ما دخل في جهته فاجتمعوا عليه صحبة الاختيارية وكلموه في التأني فعارضهم وعاندهم وصمم على السفر من الغد فأغلظوا عليه في القول وقالوا له هذا غير مناسب يقال إن الباشا أخذ مال مصر وهرب فقال وأي شيء أخذته منكم قالوا له لابد من عمل حساب فإن الحساب لا كلام فيه ولابد من التأني حتى نعمل الحساب فقال أنا أبقي عندكم الكتخدا فحاسبوه نيابة عني والذي يطلع لكم في طرفي خذوه منه فلم يرضوا بذلك فقال أنا لابد من سفري إما اليوم أو غداً فقاموا من عنده على غير رضا وأرسلوا الوالي والآغا يناديان على ساحل البحر على المراكب بأن كل من سافر بشيء من متاع الباشا أو بأحد من أتباعه يستأهل

الذي يجري عليه وطردوا النواتية من المراكب و لم يتركوا في كل مركب إلا شخصاً واحداً نوتياً فقط وتركوا عند بيت الباشا جماعة حراساً، وفي حضر خازندار الباشا الجديد وأخبر بوصول مخدومه الى ثغر الاسكندرية ومعه خلعة القائمقامية لعثمان بك طبل ومكاتبة الى الأمراء بعدم سفر الملاقاة وأرباب الخدم على العادة وأخبر أنه واصل الى رسيد بالبحر بالنقاير فترل لملاقاته آغات المتفرقة فقط.

وفيه رفعوا مصطفى كاشف من طرا وعملوه كتخدا عثمان بك شيخ البلد.

وفيه أشيع بأن عبد الرحمن بك الابراهيمي حضر من طريق الشام ومر من خلف الجبل وذهب الى سيده بالصعيد.

وفي غرة شوال يوم الجمعة وليلة السبت، حضر الباشا الجديد الى ساحل بولاق فعملوا له اسقالة وركب الأمراء وعدوا الى بر انبابة وسلموا عليه وعدى صحبتهم وركب الى قصر العيني وأوكب في يوم الإثنين رابعه في موكب أقل من العادة بكثير الى القلعة من ناحية الصليبة وضربوا له مدافع من القلعة.

وفي ذلك اليوم سافر الشيخ محمد الأمير بالعرضحال وكانوا أخروا سفره الى أن وصل الباشا الجديد وغيروه بعد أن عرضوا عليه الأمر، ثم أفهم عملوا حساب الباشا المعزول فطلع عليه للباشا المتولي مائتا كيس من ابتداء منصبه وهو سابع عشر رجب وللأمراء مبلغ أيضاً فسدد ذلك بعضه أوراق وبعضه نقد وبعضه أمتعة وأذنوا له بالسفر فشرع في نزول متاعه بالمراكب بطول يوم الخميس والجمعة وأراد أن يسافر يوم السبت ففي تلك الليلة وصل بشلي من الروم وبيده مرسوم فعمل الباشا في صبحها ديواناً حضر فيه المشايخ والأمراء وأبرز الباشا المرسوم فكان مضمونه محاسبة الباشا المعزول من ابتداء شهر توت واستخلاص ما تأداه من ابتداء المدة فعند ذلك أرسلوا ثانية وحجروا عليه ونكتوا عزاله من المراكب وحبسوا النواتية ونادوا عليه ثاني مرة وذلك في سادس عشره.

وفيه تواردت الأخبار بأن الأمراء القبالي تحركوا الى الحضور الى مصر فإنه لما حصل ما حصل من موت اسمعيل بك والأمراء حضر مراد بك من أسيوط الى المنية وانتشر باقي الأمراء في المقدمة وعلى بعضهم الى الشرق ووصلت أوائلهم الى كفر العياط وأما ابراهيم بك فإنه لم يزل مقيماً بمنفلوط ومنتظراً ارتحال الحجاج ثم يسير الى جهة مصر فأرسلوا علي بك الجديد الى طرا عوضاً عن مصطفى كاشف وأرسلوا صالح بك الى الجيزة وأخذوا في الاهتمام.

وفيه حفر خندق من البحر الى المتاريس وفردوا فلاحين على البلاد للحفر مع اشتغالهم بأمور الحج ودعوا هم نقص مال الصرة وتعطيل الجامكية المضافة لدفتر الحرمين وتوجيه المعينين من القليونجية على الملتزمين.

وفي يوم الأحد رابع عشرينه حضر السيد عمر أفندي مكرم الأسيوطي بمكاتبة من الأمراء القبليين خطاباً الى شيخ البلد والمشايخ وللباشا سراً.

وفيه سافر اسمعيل باشا المنفصل من بولاق بعد أن أدى ما عليه.

وفي يوم الاثنين خامس عشرينه خرج المحمل صحبة أمير الحاج حسن بك قصبة رضوان، وفي يوم الثلاثاء اجتمعوا بالديوان عند الباشا، وقرئت المكاتبات الواصلة عن الأمراء القبليين، فكان حاصلها أننا في السابق طلبنا الصلح مع إخواننا والصفح عن الأمور السالفة فأبى المرحوم اسمعيل بك و لم يطمئن لطرفنا، ولك شيء نصيب والأمور مرهونة بأوقاتها والآن اشتقنا الى عيالنا

وأوطاننا، وقد طالت علينا الغربة وعزمنا على الحضور الى مصر على وجه الصلح وبيدنا أيضاً مرسوم من مولانا السلطان، وصل إلينا صحبة عبد الرحمن بك بالعفو والرضا والماضي لا يعاد ونحن أولاد اليوم وأن أسيادنا المشايخ يضمنون غائلتنا فلما قرئت تلك المكاتبة التفت الباشا الى المشايخ العروسي إن كان التفاقم بينهم وبين أمرائنا المصرية الموجودين الآن فإننا نترجى عندهم وإن كان ذلك بينهم وبين السلطان فالأمر لنائب مولانا السلطان، ثم اتفق الرأي على مكاتبة جواب حاصله أن الذي يطلب الصلح يقدم الرسالة بذلك قبل قدومه وهو بمكانه وذكرتم أنكم تائبون وقد تقدم منكم هذا القول مراراً و لم نر له أثراً فإن شرط التوبة رد المظالم وأنتم لم تفعلوا ذلك و لم ترسلوا ما عليكم من الميري في هذه المدة فإن كان الأمر كذلك فترجعوا الى أماكنكم وترسلوا المال والغلال ونرسل عرضحال الى الدولة بالإذن لكم فإن الأمراء الذين بمصر لم يدخلوها بسيفهم ولا بقوتهم وإنما السلطان هو الذي أخرجكم وأدخلهم وإذا حصل الرضا فلا مانع لكم من ذلك فإننا الجميع تحت الأمر وعلم على ذلك الجواب الباشا والمشايخ وسلموه الى السيد عمر وسافر به في يوم الثلاثاء المذكور، ثم اشتغلوا بمهمات الحج وادعوا نقص مال الصرة ستين كيساً ففردوها على التجار ودكاكين الغورية، وارتحل الحاج من الحصوة وصحبته الركب الفاسي وذلك يوم السبت غايته وبات بالبركة، وارتحل يوم الأحد غرة ذي القعدة.

وفي ذلك اليوم عملوا الديوان بالقلعة ورسموا بنفي من كان مقيماً بمصر من جماعة القبليين، فنفوا أيوب بك الكبير وحسن كتخدا الجربان الى طندتا وكتبوا فرماناً بخروج الغريب وفرماناً آخر بالأمن والأمان وأخذهما الوالي والآغا ونادوا بذلك في صبحها في شوارع البلد، ونبهوا على تعمير الدروب وقفل أبواب الأطراف وأجلسوا عند كل مركز حراساً.

وفي يوم الخميس نزل الآغا وأمامه المناداة بفرمان على الأجناد والطوائف والمماليك بالخروج الى الخلاء.

وفيه وصل قاصد من الديار الرومية وهو آغا معين بطلب تركة اسمعيل بك وباقي الأمراء الهالكين بالطاعون فأنزلوه ببيت الزعفراني وكرروا المناداة بالخروج الى ناحية طرا، وكل من تاجر بعد الظهر يستحق العقوبة.

وفي تلك الليلة وقت المغرب، طلع الأمراء الى الباشا وأشاروا عليه بالنزول والتوجه الى ناحية طرا، فنزل في صبحها وخرج الى ناحية طرا كما أشاروا عليه وكذلك خرج الأمراء وطاف الآغا والوالي بالشوارع وهما يناديان على الألضاشات المنتسبين الى الوجاقات بالصعود الى القلعة والباقي بالخروج الى متاريس الجيزة، وطلع الأوده باشا والاختيارية وجلسوا في الأبواب.

وفي يوم السبت، أشيع أن الأمراء القبليين يريدون التخريم من وراء الجبل الى جهة العادلية فخرج أحمد بك وصالح بك تابع رضوان بك الى جهة العادلية وأقاموا هناك للمحافظة بتلك الجهة وأرسلوا أيضاً الى عرب العائد فحضروا أيضاً هناك.

وفيه وصل القبليون الى حلوان ونصبوا وطاقهم هناك وأخذ المصريون حذرهم من خلف متاريس طرا.

وفي يوم الثلاثاء توجه المشايخ الى ناحية طرا وسلموا على الباشا والأمراء ورجعوا وذلك بإشارة الأمراء ليشاع عند الأخصام، أن الرعية والمشايخ معهم وبقي الأمر على ذلك الى يوم الثلاثاء التالي.

وفي صبح يوم الأربعاء، نزل الآغا والوالي وأمامهم المناداة على الرعية والعامة الكافة بالخروج في صبح يوم الخميس صحبة المشايخ، ولا يتأخر أحد وحضر الشيخ العروسي الى بيت الشيخ البكري وعملوا هناك جمعية وخرج الآغا من هناك ينادي في

الناس ووقع الهرج والمرج، وأصبح يوم الخميس فلم يخرج أحد من الناس، وأشيع أن الأمراء القبليين نزلوا أثقالهم في المراكب وتمنعوا الى قبلي ويقولون إن قصدهم الرجوع، وبقي الأمر على السكوت بطول النهار والناس في بهتة والأمراء متخيلون من بعضهم البعض، وكل من علي بك الدفتردار وحسن بك الجداوي يسيء الظن بالآخر و لم يخطر بالبال مخامرة عثمان بك طبل، ولا الباشا فإن عثمان بك تابع اسمعيل بك الخصم الكبير، وقد تعين عوضه في إمارة مصر ومشيختها والباشا لم يكن من الفريقين، فلما كان الليل تحول الباشا والأمراء وخرجوا الى ناحية العادلية وأخرجوا شركفلك صحبتهم، وجملة مدافع وعملوا متاريس، فما فرغوا من عمل ذلك، إلا ضحوة النهار من يوم الجمعة وهم واقفون علي الخيول، فلم يشعروا إلا والأمراء القبالي نازلون من الجبل بخيولهم ورجالهم لكنهم في غاية الجهد والمشقة، فلما نزلوا وجدوا الجماعة والمتاريس أمامهم، فتشاور المصريون مع بعضهم في الهجوم عليهم فلم يوافق عثمان بك على ذلك، وثبطهم عن الإقدام ورجعوا جميع الحملة الى مصر، ووقفوا على جرائد الخيل فتمنع القبليون وتباعدوا عنهم، ونزلوا عند سبيل علام يأخذون لهم راحة حتى يتكاملوا فلما تكاملوا ونصبوا خيامهم واستراحوا الى العصر ركب مصطفى كاشف صهر حسن كتخدا علي بك وهو من مماليك محمد بك الالفي وصحبته نحو خمسة مماليك، وذهب الى سيده، ثم ركب محمد بك المبدول أيضاً بأتباعه، وذهب الى مراد بك لأنه في الأصل من أتباعه، ثم ركب مصطفى كاشف الغزاري وهو أخو عثمان بك طبل شيخ البلد، وذهب أيضاً إليهم واستوثق لأخيه فكتب له ابراهيم بك بالحضور، فلم يتمكن من الحضور إلا بعد العشاء الأخيرة حتى انفرد عن حسن بك وعلي بك فلما فعل ذلك وفارقهما سقط في أيديهما وغشي على علي بك، ثم أفاق وركب مع حسن بك وصناجقه، وهم عثمان بك وشاهين بك وسليم بك المعروف بالدمرجي الذي تآمر عوضاً عن علي بك الحبشي ومحمد بك كشكش وصالح بك الذي تآمر عوضاً عن رضوان بك العلوي وعلي بك الذي تآمر عوضاً عن سليم بك الاسماعيلي، وذهب الجميع من خلف القلعة على طريق طرا وذهبوا الى قبلي حيث كانت أخصامهم فسبحان مقلب الأحوال، ولما حضر عثمان بك وقابل ابراهيم بك أرسله مع ولده مرزوق بك الى مراد بك فقابله أيضاً، ثم حضرت إليهم الوجاقلية والاختيارية وقابلوهم وسلموا عليهم وشرع أتباعهم في دخول مصر بطول ليلة السبت حادي عشرين شهر القعدة، ولما طلع النهار دخلت أتباعهم بالحملات والجمال شيء كثير جداً، ثم دخل ابراهيم وشق المدينة ومعه صناجقه ومماليكه وأكثرهم لابسون الدروع، ثم دخل بعده سليمان بك والآغا وأخوه ابراهيم بك الوالي، ثم عثمان بك الشرقاوي وأحمد بك الكلارجي وأيوب بك الدفتردار ومصطفى بك الكبير وعلي آغا وسليم آغا وقائد آغا وعثمان بك الأشقر الابراهيمي وعبد الرحمن بك الذي كان باسلامبول وقاسم بك الموسقو وكشافهم وأغواتهم وأما مراد بك فإنه دخل من على طريق الصحراء، ونزل على الرميلة وصحبته عثمان بك الاسماعيلي شيخ البلد وأمراؤه وهم محمد بك الألفي وعثمان بك الطنبرجي الذي كان باسلامبول أيضاً وكشافهم وأغواتهم، واستمر انجرارهم الى بعد الظهر خلاف من كان متأخراً أو منقطعاً، فلم يتم دخولهم إلا في ثاني يوم وأما مصطفى آغا الوكيل فإنه التجأ الى الباشا، وكذلك مصطفى كاشف طرا فأخذهما الباشا صحبته وطلعا الى القلعة ودخل الأمراء الى بيوتهم وباتوا بها ونسوا الذي جرى وأكثر البيوت كان بها الأمراء الهالكون بالطاعون وبقي بها نساؤهم ومات غالب نساء الغائبين، فلما رجعوا وجدوها عامرة بالحريم والجواري والخدم فتزوجوهن وجددوا فراشهم وعملوا أعراسهم ومن لم يكن له بيت دخل ما أحب من البيوت وأخذه بما فيه من غير مانع وجلس في مجالس الرجال وانتظر تمام العدة إن كان بقي منها شيء، وأورثهم الله أرضهم وديارهم وأموالهم

وأزواجهم.

وفي يوم الأحد، ركب سليم آغا ونادى على طائفة القليونجية والأرنؤد والشوام بالسفر ولا يتأخر أحد، وكل من وجد بعد ثلاثة أيام استحق ما يترل به ثم أن المماليك صاروا كل من صادفوه منهم أو رأوه أهانوه وأخذوا سلاحه فاجتمع منهم طائفة وذهبوا الى الباشا فأرسل معهم شخصاً من الدلاة أنزلهم الى بولاق في المراكب وصار أولاد البلد والصغار يسخرون بهم ويصفرون عليهم بطول الطريق وسكن مراد بك ببيت اسمعيل بك وكأنه كان يبنيه من أجله.

وفي يوم الإثنين، أيضاً طاف الآغا وهو ينادي على القليونجية والأرنؤد.

وفي يوم الخميس سادس عشرينه، صعد الأمراء الى القلعة وقابلوا الباشا وكانوا يروه و لم يرهم قبل ذلك اليوم فخلع عليهم الخلع ونزلوا من عنده وشرعوا في تجهيز تجريدة الى الهاربين لأنهم حجزوا ما وجدوه من مراكبهم وأمتعتهم وكتب الباشا عرضحال في ليلة دخولهم وأرسله صحبة واحد ططري الى الدولة بحقيقة الحال وعينوا التجريدة ابراهيم بك الوالي وعثمان بك المرادي متقلداً إمارة الصعيد وعثمان بك الأشقر، وأحضر مراد بك حسن كتخدا علي بك بأمان وقابله وقيده بتشهيل التجريدة وعمل البقسماط ومصروف البيت من اللحم والخبز والسمن وغير ذلك، ووجه عليه المطالب حتى صرف ما جمعه وحواه وباع متاعه وأملاكه ورهنها واستدان، و لم يزل حتى مات بقهره وقلدوا علي آغا مستحفظان سابقاً وجعلوه كتخدا الجاويشية.

وفي حادي عشرين شهر الحجة الموافق لسابع عشر مسرى القبطي، أوفى النيل أذرعه ونزل الباشا الى قصر السد، وحضر القاضي والأمراء وكسر السد بحضرتهم وعملوا الشنك المعتاد وجرى الماء في الخليج ثم توقفت الزيادة، و لم يزد بعد الوفاء إلا شيئاً قليلاً ثم نقص واستمر يزيد قليلاً وينقص الى الصليب فضجت الناس وتشحطت الغلال وزاد سعرها وانكبوا على الشراء، ولاحت لوائح الغلاء.

وفيه أيضاً شرع الأمراء في التعدي على أخذ البلاد من أربابها من الوجاقلية وغيرهم وأخذوا بلاد أمير الحاج.

وفيه صالح الباشا الأمراء على مصطفى آغا الوكيل وأخلوا له داره، وقد كان سكن بها عثمان بك الأشقر فأخلاه له ابراهيم بك، ونزل من القلعة إليه ولازم ابراهيم بك ملازمة كلية وكذلك مصطفى كاشف الذي كان بطرا لازم مراد بك واختص به وصار جليسه ونديمه.

من مات في هذه السنة من الأعيان

ومات شيخنا علم الأعلام والساحر اللاعب بالافهام الذي جاب في اللغة والحديث كل فج وخاض من العلم كل لج المذلل له سبل الكلام الشاهد له الورق والأقلام ذو المعرفة والمعروف وهو العلم الموصوف العمدة الفهامة والرحلة النسابة الفقيه المحدث اللغوي النحوي الأصولي الناظم الناثر الشيخ أبو الفيض السيد محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الشهير بمرتضى الحسيني الزبيدي الحنفي هكذا ذكر عن نفسه ونسبه ولد سنة خمس وأربعين ومائة وألف، كما سمعته من لفظه وروايته بخطه، ونشأ

ببلاده وارتحل في طلب العلم وحج مراراً واجتمع بالشيخ عبد الله السندي والشيخ عمر بن أحمد بن عقيل المكي وعبد الله السقاف والمسند محمد ابن علاء الدين المزجاجي وسليمان بن يحيى وابن الطيب واجتمع بالسيد عبد الرحمن العيدروس بمكة وبالشيخ عبد الله ميرغني الطائفي في سنة ثلاث وستين، ونزل بالطائف بعد ذهابه الى اليمن ورجوعه في سنة ست وستين فقرأ على الشيخ عبد الله في الفقه وكثيراً من مؤلفاته وأجازه وقرأ على الشيخ عبد الرحمن العيدروس مختصر السعد ولازمه ملازمة كلية وألبسه الخرقة وأجازه بمروياته ومسموعاته، قال: وهو الذي شوقني الى دخول مصر بما وصفه لي من علمائها وأمرائها وأدبائها وما فيها من المشاهد الكرام فاشتاقت نفسي لرؤياها وحضرت مع الركب، وكان الذي كان وقرأ عليه طرفاً من الإحياء وأجازه بمروياته، ثم ورد الى مصر في تاسع سفر سنة سبع وستين ومائة وألف، وسكن بخان الصاغة وأول من عشره وأخذ عنه السيد علي المقدسي الحنفي من علماء مصر وحضر دروس أشياخ الوقت كالشيخ أحمد الملوي والجوهري والحفني والبليدي والصعيدي والمدابغي وغيرهم وتلقى عنهم وأجازوه وشهدوا بعلمه وفضله وجودة حفظه واعتنى بشأنه اسمعيل كتخدا عزبان ووالاه بره حتى راج أمره وترونق حاله واشتهر ذكره عند الخاص والعام ولبس الملابس الفاخرة وركب الخيول المسومة وسافر الى الصعيد ثلاث مرات، واجتمع بأكابره وأعيانه وعلمائه وأكرمه شيخ العرب همام واسمعيل أبو عبد الله وأبو علي وأولاده نصير وأولاد وافي وهادوه وبروه، وكذلك ارتحل الى الجهات البحرية مثل دمياط ورشيد والمنصورة وباقي البنادر العظيمة مراراً حين كانت مزينة بأهلها عامرة بأكابرها وأكرمه الجميع، واجتمع بأكابر النواحي وأرباب العلم والسلوك، وتلقى عنهم وأجازوه وأجازهم وصنف عدة رحلات في انتقالاته في البلاد القبلية والبحرية تحتوي على لطائف ومحاورات ومدائح نظماً نثراً لو جمعت كانت مجلداً ضخماً، وكناه سيدنا السيد أبو الأنوار بن وفا بأبي الفيض، وذلك يوم الثلاثاء سابع عشر شعبان سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف، وذلك برحاب ساداتنا بني الوفا يوم زيارة المولد المعتاد، ثم تزوج وسكن بعطفة الغسال مع بقاء سكنه بوكالة الصاغة وشرع في شرح القاموس حتى أتمه في عدة سنين في نحو أربعة عشر مجلداً وسماه تاج العروس ولما أكمله أولم وليمة حافلة جمع فيها طلاب العلم وأشياخ الوقت بغيط المعدية وذلك في سنة إحدى وثمانين ومائة وألف وأطلعهم عليه واغتبطوا به وشهدوا بفضله وسعة اطلاعه ورسوخه في علم اللغة، وكتبوا عليه تقاريظهم نثراً ونظماً، فمن قرظ عليه شيخ الكل في عصره الشيخ علي الصعيدي والشيخ أحمد الدردير والسيد عبد الرحمن العيدروس والشيخ محمد الأمير والشيخ حسن الجداوي والشيخ أحمد البيلي والشيخ عطية الأجهوري والشيخ عيسى البراوي والشيخ محمد الزيات والشيخ محمد عبادة والشيخ محمد العوفي والشيخ حسن الهواري والشيخ أبو الأنوار السادات والشيخ علي القناوي والشيخ علي خرائط والشيخ عبد القادر بن خليل المدني والشيخ محمد المكي والسيد علي القدسي والشيخ عبد الرحمن مفتي جرجا والشيخ علي الشاوري والشيخ محمد الخربتاوي والشيخ عبد الرحمن المقري والشيخ محمد سعيد البغدادي الشهير بالسويدي وهو آخر من قرظ عليه وكنت إذ ذاك حاضراً وكتبه نظماً ارتجالاً وذلك في منتصف جمادى الثانية سنة أربعة وتسعين ومائة وألف.

ولما أنشأ محمد بك أبو الذهب جامعه المعروف به بالقرب من الأزهر، وعمل فيه خزانة للكتب واشترى جملة من الكتب ووضعها بها أنهوا إليه شرح القاموس هذا وعرفوه أنه إذا وضع بالخزانة كمل نظامها وانفردت بذلك دون غيرها ورغبوه في

ذلك، فطلبه وعوضه عنه مائة ألف درهم فضة ووضعه فيها و لم يزل المترجم يخدم العلم ويرقى في درج المعالي ويحرص على جمع الفنون التي أغفلها المتأخرون كعلم الإنسان والأسانيد وتخاريج الأحاديث واتصال طرائف المحدثين المتأخرين بالمتقدمين وألف في ذلك كتباً ورسائل ومنظومات وأراجيز جمة، ثم انتقل الى مترل بسويقة اللالا تجاه جامع محرم أفندي بالقرب من مسجد شمس الدين الحنفي وذلك في أوائل سنة تسع وثمانين ومائة وألف وكانت تلك الخطة إذ ذاك عامرة بالأكابر والأعيان فأحدقوا به وتحبب إليهم واستأنسوا به وواسوه وهادوه وهو يظهر لهم الغنى والتعفف ويعظهم ويفيدهم بفوائد وتمائم ورقي ويجيزهم بقراءة أوراد وأحزاب فأقبلوا عليه من كل جهة، وأتوا الى زيارته من كل ناحية ورغبوا في معاشرته لكونه غريباً وعلى غير صورة العلماء المصريين وشكلهم ويعرف باللغة التركية والفارسية بل وبعض لسان الكرج، فانجذبت قلوبهم إليه وتناقلوا خبره وحديثه، ثم شرع في إملاء الحديث على طريق السلف في ذكر الأسانيد والرواة المخرجين من حفظه على طرق مختلفة، وكل من قدم عليه يملي عليه الحديث المسلسل بالأولية، وهو حديث الرحمة برواته ومخرجيه ويكتب له سنداً بذلك وإجازة وسماع الحاضرين فيعجبون من ذلك، ثم أن بعض علماء الأزهر ذهبوا إليه وطلبوا منه إجازة فقال لهم: لابد من قراءة أوائل الكتب واتفقوا على الاجتماع بجامع شيخون بالصليبة الاثنين والخميس تباعداً عن الناس فشرعوا في صحيح البخاري بقراءة السيد حسين الشيخوني واجتمع عليهم بعض أهل الخطة والشيخ موسى الشيخوني أمام المسجد وخازن الكتب، وهو رجل كبير معتبر عند أهل الخطة وغيره وتناقل في الناس سعي علماء الأزهر مثل الشيخ أحمد السجاعي والشيخ مصطفى الطائي والشيخ سليمان الاكراشي وغيرهم للأخذ عنه فازداد شأنه وعظم قدره، واجتمع عليه أهل تلك النواحي وغيرها من العامة والأكابر والأعيان والتمسوا منه تبيين المعاني فانتقل من الرواية الى الدراية وصار درساً عظيماً، فعند ذلك انقطع عن حضوره أكثر الأزهرية، وقد استغنى عنهم هو أيضاً وصار يملي على الجماعة بعد قراءة شيء من الصحيح حديثاً من المسلسلات أو فضائل الأعمال، ويسرد رجال سنده ورواته من حفظه ويتبعه بأبيات من الشعر كذلك فيتعجبون من ذلك لكونهم لم يعهدوها فيما سبق في المدرسين المصريين، وافتتح درساً آخر في مسجد الحنفي وقرأ الشمائل في غير الأيام المعهودة بعد العصر فازدادت شهرته وأقبلت الناس من كل ناحية لسماعه ومشاهدة ذاته لكونها على خلاف هيئة المصريين وزيهم، ودعاه كثير من الأعيان الى بيوتهم وعملوا من أجله ولائم فاخرة فيذهب إليهم مع خواص الطلبة والمقرئ والمستملي وكاتب الأسماء فيقرأ لهم شيئاً من الأجزاء الحديثية كثلاثيات البخاري أو الدارمي أو بعض المسلسلات بحضور الجماعة وصاحب المترل وأصحابه وأحبابه وأولاده وبناته ونسائه من خلف الستائر، وبين أيديهم مجامر البخور بالعنبر والعود مدة القراءة، ثم يختمون ذلك بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم على النسق المعتاد ويكتب الكاتب أسماء الحاضرين والسامعين حتى النساء والصبيان والبنات واليوم والتاريخ ويكتب الشيخ تحت ذلك صحيح ذلك، وهذه كانت طريقة المحدثين في الزمن السابق، كما رأيناه في الكتب القديمة.

يقول الحقيراني كنت مشاهداً وحاضراً في غالب هذه المجالس والدروس ومجالس أخر خاصة بمترله وبسكنه القديم بخان الصاغة وبمترلنا بالصنادقية وبولاق وأماكن أخر كنا نذهب إليها للتراهة مثل غيط المعدية والأزبكية وغير ذلك، فكنا نشغل غالب الأوقات بسرد الأجزاء الحديثية وغيرها وهو كثير بثبوت المسموعات على النسخ وفي أوراق كثيرة موجودة الى الآن وانجذب إليه بعض الأمراء الكبار مثل مصطفى بك الاسكندراني وأيوب بك الدفتردار فسعوا الى مترله وترددوا لحضور مجالس دروسه

وواصلوه بالهدايا الجزيلة والغلال، واشترى الجواري وعمل الأطعمة للضيوف وأكرم الواردين والوافدين من الآفاق البعيدة، وحضر عبد الرزاق أفندي الرئيس من الديار الرومية الى مصر وسمع به فحضر إليه والتمس منه الإجازة وقراءة مقامات الحريري فكان يذهب إليه بعد فراغه من درس شيخون، ويطالع له ما تيسر من المقامات ويفهمه معانيها اللغوية، ولما حضر محمد باشا عزت الكبير رفع شأنه عنده وأصعده إليه وخلع عليه فروة سمور ورتب له تعييناً من كلاره لكفايته من لحم وسمن وأرز وحطب وخبز، ورتب له علوفة جزيلة بدفتر الحرمين والسائرة وغلالاً من الأنبار وأنهى الى الدولة شأنه فأتاه مرسوم بمرتب جزيل بالضربخانة وقدره مائة وخمسون نصفاً فضة في كل يوم وذلك في سنة إحدى وتسعين ومائة وألف فعظم أمره وانتشر صيته وطلب الى الدولة في سنة أربع وتسعين فأجاب ثم امتنع وترادفت عليه المراسلات من أكابر الدولة وواصلوه بالهدايا والتحف والأمتعة الثمينة في صناديق وطار ذكره في الأفق وكاتبه ملوك النواحي من الترك والحجاز والهند واليمن والشام والبصرة والعراق وملوك المغرب والسودان وفزان والجزائر والبلاد البعيدة وكثرت عليه الوفود من كل ناحية وترادفت عليه منهم الهدايا والصلات والأشياء الغريبة وأرسلوا إليه من أغنام فزان وهي عجيبة الخلقة عظيمة الجثة يشبه رأسها رأس العجل وأرسلها الى أولاد السلطان عبد الحميد فوقع لهم موقعاً وكذلك أرسلوا له من طيور الببغا والجواري والعبيد والطواشية فكان يرسل من طرائف الناحية الى الناحية المستغرب من ذلك عندها ويأتيه في مقابلتها أضعافها وأتاه من طرائف الهند وصنعاء اليمن وبلاد سرت وغيرها أشياء نفيسة وماء الكادي والمربيات والعود والعنبر والعطرشاه بالأرطال وصار له عند أهل المغرب شهرة عظيمة ومنزلة كبيرة واعتقاد زائد وربما اعتقدوا فيه القطبانية العظمى حتى أن أحدهم إذا ورد الى مصر حاجاً و لم يزره و لم يصله بشيء لا يكون حجه كاملاً فإذا ورد عليه أحدهم سأله عن اسمه ولقبه وبلده وخطته وصناعته وأولاده وحفظ ذلك أو كتبه ويستخبر من هذا عن ذاك بلطف ورقة فإذا ورد عليه قادم من قابل سأله عن اسمه وبلده فيقول له فلان من بلدة كذا فلا يخلو ما أن يكون عرفه من غيره سابقاً أو عرف جاره أو قريبه فيقول له فلان طيب فيقول نعم سيدي، ثم يسأله عن أخيه فلان وولده فلان وزوجته وابنته ويشير له باسم حارته وداره وما جاورها فيقوم ذلك المغربي ويقعد ويقبل الأرض تارة ويسجد تارة ويعتقد أن ذلك من باب الكشف الصريح فتراهم في أيام طلوع الحج ونزوله مزدحمين على بابه من الصباح الى الغروب وكل من دخل منهم قدم بين يدي نجواه شيئاً ما فضة أو تمراً أو شمعاً على قدر فقره وغناه وبعضهم يأتيه بمراسلات وصلات من أهل بلاده وعلمائها وأعيانها ويلتمسون منه الأجوبة، فمن ظفر منهم بقطعة ورقة ولو بمقدار الأنملة فكأنما ظفر بحسن الخاتمة وحفظها معه كالتميمة ويرى أنه قد قبل حجه وإلا فقد باء بالخيبة والندامة وتوجه عليه اللوم من أهل بلاده ودامت حسرته الى يوم ميعاده وقس على ذلك ما لم يقل وشرع في شرح كتاب إحياء العلوم للغزالي وبيض منه أجزاء وأرسل منها الى الروم والشام والغرب ليشتهر مثل شرح القاموس ويرغب في طلبه واستنساخه وماتت زوجته في سنة ست وتسعين فحزن عليها حزناً كثيراً ودفنها عند المشهد المعروف بمشهد السيدة رقية وعمل على قبرها مقاماً ومقصورة وستوراً وفرشاً وقناديل ولازم قبرها أياماً كثيرة وتجتمع عنده الناس والقراء والمنشدون ويعمل لهم الأطعمة والثريد والكسكسو والقهوة والشربات واشترى مكاناً بجوار المقبرة المذكورة وعمره بيتاً صغيراً وفرشه وأسكن به أمها ويبيت به أحياناً وقصده الشعراء بالمراثي فيقبل منهم ذلك ويجزيهم عليه.

ثم تزوج بعدها بأخرى وهي التي مات عنها وأحرزت ما جمعه من مال وغيره ولما بلغ مالاً مزيد عليه من الشهرة وبعد الصيت وعظم القدر والجاه عند الخاص والعام وكثرت عليه الوفود من سائر الأقطار وأقبلت عليه الدنيا بحذافيرها من كل ناحية، لزم داره واحتجب عن أصحابه الذين كان يلم بهم قبل ذلك إلا في النادر لغرض من الأغراض وترك الدروس والاقراء واعتكف بداخل الحريم وأغلق الباب ورد الهدايا التي تأتيه من أكابر المصريين ظاهرة، وأرسل إليه مرة أيوب بك الدفتردار مع نجله خمسين إرباً من البر وأحمالاً من الأرز والسمن والعسل والزيت وخمسمائة ريال نقود وبقج كساوي أقمشة هندية وجوخاً وغير ذلك فردها وكان ذلك في رمضان، وكذلك مصطفى بك الاسكندراني وغيرهما، وحضر إليه فاحتجب عنهما، و لم يخرج إليهما ورجعا من غير أن يواجهاه، ولما حضر حسن باشا الصورة التي حضر فيها الى مصر لم يذهب إليه بل حضر هو لزيارته وخلع عليه فروة تليق به، وقدم له حصاناً معدوداً مرختاً بسرج وعباءة قيمته ألف ديناراً أعده وهيأه قبل ذلك وكانت شفاته عنده لا ترد وإن أرسل إليه إرسالية في شيء تلقاها بالقبول والإجلال وقبل الورقة قبل أن يقرأها ووضعها في رأسه ونفذ ما فيها في الحال وأرسل مرة الى أحمد باشا الجزار مكتوباً وذكر له فيه أنه المهدي المنتظر وسيكون له شأن عظيم فوقع عنده بموقع الصدق لميل النفوس الى الأماني ووضع ذلك المكتوب في حجابه المقلد به مع الأحراز والتمائم فكان يسر بذلك الى بعض من يرد عليه ممن يدعي المعارف في الجفور والزايرجات ويعتقد صحته بلا شك ومن قدم عليه من جهة مصر وأجمع سأله عن المترجم فإن أخبره وعرفه أنه اجتمع به وأخذ عنه وذكره بالمدح والثناء أحبه وأكرمه وأجزل صلته وإن وقع منه خلاف ذلك قطب منه وأقصاه عنه وأبعده ومنع عنه بره ولو كان من أهل الفضائل واشتهر ذلك عنه عند من عرف منه ذلك بالفراسة، و لم يزل على حسن اعتقاده في المترجم حتى انقضى نحبهما واتفق أن مولاي محمداً سلطان المغرب رحمه الله وصله بصلات قبل انجماعه الأخير وتزهده وهو يقبلها ويقابلها بالحمد والثناء والدعاء فأرسل له في سنة إحدى ومائتين صلة لها قدر فردها وتورع عن قبولها وضاعت و لم ترجع الى اسلطان، وعلم السلطان ذلك من جوابه فأرسل إليه مكتوباً قرأته، وكان عندي ثم ضاع في الأوراق ومضمونه العتاب والتوبيخ في رد الصلة، ويقول له: إنك رددت الصلة التي أرسلناها إليك من بيت مال المسلمين وليتك حيث تورعت عنها كنت فرقتها على الفقراء والمحتاجين فيكون لنا ولك أجر ذلك إلا أنك رددتها وضاعت، ويلومه أيضاً على شرحه كتاب الإحياء ويقول له: كان ينبغي أن تشغل وقتك بشيء نافع غير ذلك، ويذكر وجه لومه له في ذلك وما قاله العلماء وكلاماً مفحماً مختصراً مفيداً رحمه الله تعالى، وللمترجم من المصنفات خلاف شرح القاموس وشرح الإحياء تأليفات كثيرة منها كتاب الجواهر المنيفة في أصول أدلة مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه مما وافق فيه الأئمة الستة، وهو كتاب نفيس حافل رتبه ترتيب كتب الحديث من تقديم ما روي عنه في الاعتقاديات ثم في العمليات على ترتيب كتب الفقه والنفحة القدسية بواسطة البضعة العيدروسية، جمع فيه أسانيد العيدروس وهي في نحو عشرة كراريس والعقد الثمين في طرق الإلباس والتلقين وحكمة الإشراق الى كتاب الآفاق، وشرح الصدر في شرح أسماء أهل بدر في عشرين كراساً ألفها لعلي أفندي درويش، وألف باسمه أيضاً التفتيش في معنى لفظ درويش، ورسائل كثيرة جداً منها رفع نقاب الخفا عمن انتمى الى وفا وأبي الوفا وبلغة الأريب في مصطلح آثار الحبيب وإعلام الأعلام بمناسك حج بيت الله الحرام وزهر الأكمام المنشق عن جيوب الإلمام بشرح صيغة سيدي عبد السلام ورشفة المدام المختوم البكري من صفوة زلال صيغ القطب البكري ورشف سلاف الرحيق في نسب حضرة الصديق والقول المثبوت في تحقيق لفظ التابوت وتنسيق قلائد المنن في تحقيق كلام الشاذلي أبي الحسن

ولقط اللآلي من الجوهر الغالي، وهي في أسانيد الأستاذ الحفني، وكتب له إجازته عليه في سنة سبع وستين وذلك سنة قدومه الى مصر والنوافح المسكية على الفوائح الكشكية وجزء في حديث نعم الأدام الخل وهدية الإخوان في شجرة الدخان ومنح الفيوضات الوفية فيما في سورة الرحمن من أسرار الصفة الإلهية وإتحاف سيد
الحي بسلاسل بني طي وبذل المجهود في تخريج حديث شيبتي هود والمربي الكابلي فيمن روى عن الشمس البابلي والمقاعد العندية في المشاهد النقشبندية ورسالة في المناشي والصفين وشرح على خطبة الشيخ محمد البحيري البرهاني علي تفسير سورة يونس وتفسير على سورة يونس مستقل على لسان القوم وشرح على حزب البر الشاذلي وتكملة على شرح حزب البكري الفاكهي من أوه، فكمله للشيخ أحمد البكري، ومقامة سماها إسعاف الاشراف وأرجوزة في الفقه نظمها باسم الشيخ حسن بن عبد اللطيف الحسني المقدسي وحديقة الصفا في والدي المصطفى وقرظ عليها الشيخ حسن المدابغي ورسالة في طبقات الحفاظ ورسالة في تحقيق قول أبي الحسن الشاذلي وليس من الكرم الى آخره وعقيلة الأتراب في سند الطريقة والأحزاب صنفها للشيخ عبد الوهاب الشربيني والتعليقة على مسلسلات ابن عقيلة والمنح العلية في الطريقة النقشبندية والانتصار لوالدي النبي المختار وألفية السند ومناقب أصحاب الحديث وكشف اللثام عن آداب الإيمان والإسلام ورفع الشكوى لعالم السر والتزجوى وترويح القلوب بذكر ملوك بني أيوب ورفع الكلل عن العلل ورسالة سماها قلنسوة التاج ألفها باسم الأستاذ العلامة الصالح الشيخ محمد بن بدير المقدسي وذلك لما أكمل شرح القاموس المسمى بتاج العروس فأرسل إليه كراريس من أوله حين كان بمصر وذلك في سنة اثنتين وثمانين ليطلع عليها شيخه الشيخ عطية الأجهوري ويكتب عليها تقريظاً ففعل ذلك وكتب إليه يستجيزه فكتب إليه أسانيده العالية في كراسة وسماها قلنسوة التاج، وأصيب بالطاعون في شهر شعبان وذلك أنه صلى الجمعة في مسجد الكردي المواجه لداره فطعن بعد ما فرغ من الصلاة ودخل الى البيت واعتقل لسانه تلك الليلة وتوفي يوم الأحد فأخفت زوجته وأقاربها موته حتى نقلوا الأشياء النفيسة والمال والذخائر والأمتعة والكتب المكلفة، ثم أشاعوا موته يوم الإثنين فحضر عثمان بك طبل الاسماعيلي ورضوان كتخدا المجنون وادعى أن المتوفى أقامه وصياً مختاراً وعثمان بك ناظراً بسبب أن زوج أخت الزوجة من أتباع المجنون يقال له حسين آغا فلما حضروا وصحبتهما مصطفى أفندي صادق أخذوا ما أحبوه وانتقوه من المجلس الخارج وخرجوا بجنازته وصلوا عليه ودفن بقبر أعده لنفسه ذلة اليوم لاشتغال الناس بأمر الطاعون وبعد الخطة ومن علم منهم وذهب بجانب زوجته بالمشهد المعروف بالسيد رقية و لم يعلم بموته أهل الأزهر لم يدرك الجنازة ومات رضوان كتخدا في أثر ذلك واشتغل عثمان بك بالإمارة لموت سيده أيضاً وأهمل أمر تركته فأحرزت زوجته وأقاربه متروكاته ونقلوا الأشياء الثمينة والنفيسة الى دارهم ونسي أمره شهوراً حتى تغيرت الدولة وتملك الأمراء المصريون الذين كانوا بالجهة القبلية وتزوجت زوجته برجل من الأجناد من أتباعهم فعند ذلك فتحوا التركة بوصاية الزوجة من طرف القاضي خوفاً من ظهور وارث وأظهروا ما انتفوه مما انتقوه من الثياب وبعض الأمتعة والكتب والدشتات وباعوها بحضرة الجمع فبلغت نيفاً ومائة ألف نصف فضة فأخذ منها بيت المال شيئاً وأحرز الباقي مع الأول وكانت مختلفاته شيئاً كثيراً جداً أخبرني المرحوم حسن الحريري وكان من خاصته، وممن يسعى في خدمته ومهماته أنه حضر إليه في يوم السبت وطلب الدخول لعيادته فأدخلوه إليه فوجده راقداً معتقل اللسان وزوجته وأصهاره في كبكبة واجتهاد في إخراج ما في داخل الخبايا والصناديق الى اللیوان ورأيت كوماً عظيماً من الأقمشة الهندية والمقصبات والكشميري والفراء من غير تفصيل نحو الحملين وأشياء في ظروف وأكياس لا أعلم ما فيها قال

ورأيت عدداً كثيراً من ساعات العب الثمينة مبدداً على بساط للقاعة وهي بغلافات بلادها قال فجلست عند رأسه حصة وأمسكت يده ففتح عينيه ونظر إلي وأشار كالمستفهم عما هم فيه ثم غمض عينيه وذهب في غطوسه فقمت عنه قال ورأيت في الفسحة التي أمام القاعة قدراً كثير من شمع العسل الكبير والصغير والكافوري المصنوع والخام وغير ذلك مما لم أره و لم ألتفت إليه و لم يترك ابناً ولا ابنة و لم يرثه أحد من الشعراء.

وكان صفته ربعة نحيف البدن ذهبي اللون متناسب الأعضاء معتدل اللحية قد وخطه الشيب في أكثرها مترفها في ملبسه ويعتم مثل أهل مكة عمامة منحرفة بشاش أبيض ولها عذبة مرخية على قفاه ولها حبكة وشراريب حرير طولها قريب من فتر وطرفها الآخر داخل طي العمامة وبعض أطرافه ظاهر وكان لطيف الذات حسن الصفات بشوشاً بسوماً وقوراً محتشماً مستحضراً للنوادر والمناسبات ذكياً لوذعياً فطناً ألمعياً روض فضله نضير وماله في سعة الحفظ نظير جعل الله مثواه قصور الجنان وضريحه مطاف وفود الرحمة والغفران، ومات الإمام العلامة والحبر المدقق الفهامة ذو الفضائل الجمة والتحقيقات المهمة الذكي الألمعي النحوي المعقولي الفقيه النبيه الشيخ عمر البابلي الشافعي الأزهري تفقه على علماء العصر وحضر الشيخ عيسى البراوي والشيخ الصعيدي والشيخ أحمد البيلي والشيخ عبد الباسط السنديوني وتمهر في العلوم وقرأ الدروس وأخذ طريق الخلوتية على شيخنا الشيخ محمود الكردي ولقنه الأسماء ولازمه في مجالسه وأوارده ملازمة كلية ولوحظ بأنظاره وتزوج بزوجة الشيخ أحمد أخي الشيخ حسن المقدسي الحنفي وكانت مثرية فترونق حاله وتجمل بالملابس وعرفته الناس وماتت زوجته المذكورة لا عن عصبة فحاز ميراثها والتزم بحصة كانت لها بقرية يقال لها دار البقر فعند ذلك اتسعت عليه الدنيا وسكن داراً واسعة واقتنى الجواري والخدم ومواشي وأبقاراً وأغناماً واستأجر أرضاً قريبة يزرعها بالبرسيم تغدو إليها المواشي وتروح كل يوم من أيام الربيع ثم تزوج ببنت شيخه الشيخ محمود بعد وفاته وأقام منعماً معها في رفاهية من العيش مع ملازمته للإقراء والإفادة الى أن أدركه الأجل المحتوم وتوفي في هذه السنة بالطاعون وكان إنساناً حسناً جم الفرائد والفوائد مهذب الأخلاق لين الطباع حسن المعاشرة جميل الأوصاف رحمه الله تعالى.

ومات العمدة الفاضل الواعظ عبد الوهاب بن الحسن البوسنوي السراي المعروف ببشناق أفندي قدم مصر سنة تسع وستين ومائة وألف ووعظ بمساجدها وأكره الأمراء للجنسية، ثم توجه الى الحرمين وقطن بمكة ورتب له شيء معلوم على الوعظ والتدريس ومكث مدة ثم حصلت فتنة بين الأشراف والأتراك فنهب بيته وخرج هارباً الى مصر فالتجأ الى علمائها فكتبوا له عرضاً الى الدولة بمعرفة ما جرى عليه فعين له شيء في نظير ما ذهب من متاعه وتوجه الى الحرمين، فلم يقر له بمكة قرار و لم يمكنه الامتزاج مع رئيس مكة لسلاقة لسانه واستطالته في كل من دب ودرج فتوجه الى الروم ومكث بها أياماً حتى حصل لنفسه شيئاً من معلوم آخر فأتى الى مكة وصار يطلع على الكرسي ويتكلم على عادته في الحط على أشراف مكة وذمهم والتشنيع عليهم وعلى أتباعهم وذكر مساويهم وظلمهم فأمر شريف مكة بالخروج منها الى المدينة فخرج إليها وقد حنق غيظاً على الشريف فلما استقر بالمدينة لف عليه بعض الأوباش ومن ليس له ميل الى الشريف فصار يطلع على الكرسي ويستطيل بلسانه عليه ويسبه جهراً وغرة مرافقة أولئك معه وأن الشريف لا يقدر أن يأتي لهم بحركة فتعصبوا وزادوا نفوراً وأخرجوا

الوزير الذي هو من طرف الشريف وكاتبوا الى الدولة برفع يد الشريف عن المدينة مطلقاً وأنه لا يحكم فيهم أبداً وإنما يكون الحاكم شيخ الحرم فقط وأرسلوا بالعرض مفتي المدينة فكتب لهم على مقتضى طلبهم خطاباً الى أمير الحاج الشامي والى الشريف ولما أحس الشريف بذلك تنبه لهذه الحادثة وعرف أن أصلها من أنفار بالمدينة أحدهم المترجم واستعد للقاء أمير الحاج بعسكر جرار على خلاف عادته ورام مناواته إن برز منه شيء خلاف ما عهد منه فلما رأى أمير الحاج ذلك الحال كتم ما عنده وأنكر أن يكون عنده شيء من الأوامر في حقه ومضى لنسكه حتى إذا رجع الى المدينة تنمر وتشمر وكاد أن يأكل على يده من التندم والحسرة وذهب الى الشام ولما خلت مكة من الحجاج جرد الشريف عسكراً على العرب فقاتلوه وصبر معهم حتى ظفر بهم ودخل المدينة فجأة و لم يكن ذلك يخطر ببالهم قط، فما وسعهم إلا أنهم خرجوا للقائه فآنسهم وأخبرهم أنه ما أتى إلا لزيارة جده عليه الصلاة والسلام وليس له غرض سواه فاطمأنوا بقوله وشق سوق المدينة بعسكره وعبيده حتى دخل من باب السلام وتملى من الزيارة وأقبلت عليه أرباب الوظائف مسلمين فأكرمهم وكساهم، فلما آنس منهم الغفلة أمر بإمساك جماعة من المفسدين الذين كانوا يحفرون وراءه فاختفى باقيهم وتسللوا وهرب منهم خفية بالليل جماعة وكان المترجم أحد من اختفى في بيته ثلاثة أيام ثم غير هيئته وخرج حتى أتى مصر ومشى على طريقته في الوعظ وعقد له مجلساً بالمشهد الحسيني وخالط الأمراء وحضر درسه الأمير يوسف بك ومال إليه وألبسه فروة ودعاه الى بيته وأكرمه وتردد إليه كثيراً وكان يلجه ويرفع منزلته ويسمع كلامه وينصت الى قوله ولديه بعض معرفة بالعلم على طريقة بلادهم واستمر بمصر وسكن بحارة الروم ورتب له بالضربخانة مائة ونصف فضة في كل يوم لمصروفه وصار له وجاهة عند أبناء جنسه إلى أن وقع له ما وقع مع اسمعيل باشا بسبب الوصاية على التركة، كما مر ذلك آنفاً وحط من قدره وأهانه وحبسه نحو ثلاثة أشهر، ثم أفرج عنه بشفاعة علي بك الدفتردار وانزوى خاملاً في داره الى أن مات في أوائل شعبان بالطاعون سامحه الله تعالى.

ومات الجناب المكرم المبجل المعظم جامع العارف وحاوي اللطائف الأمير حسن أفندي بن عبد الله الملقب بالرشيدي الرومي الأصل مولي المرحوم علي آغا بشير دار السعادة المكتب المصري اشتراه سيده صغيراً وهذبه ودربه وشغله بالخط فاجتهد فيه وجوده على عبد الله الأنيس وكان ليوم إجازته محفل نفيس جمع فيه المرؤوس والرئيس، ثم زوجته ابنته وجعله خليفته و لم يزل في حال حياة سيده معتكفاً على المشق والتسويد معتنياً بالتحرير والتجويد الى أن فاق أهل عصره في الجودة في الفن وجمع كل مستحسن ولما توفي شيخ المكتبين المرحوم اسمعيل الوهبي جعل المرجم شيخاً باتفاق منهم لما أعطى من مكارم الشيخ وطيب الأخلاق وتمام المروءة وحسن تلقي الواردين وجميل الثناء عليه من أهل الدين وألف من أجله شيخنا السيد محمد مرتضى كتاب حكمة الإشراق الى كتاب الآفاق جمع فيه ما يتعلق بفنهم مع ذكر أسانيدهم وهو غريب في بابه يستوقف الراتع في مريع هضابه و لم يزل شيخاً ومتكلماً على جماعة الخطاطين والكتاب وعميدهم الذي يشار إليه عند الأرباب نسخ بيده عدة مصاحف وأحزاب وأما نسخ الدلائل فكثرتها لا تدخل تحت الحساب الى أن طافت به المنية طواف الوداع ونثرت عقد ذلك الاجتماع وبموته انقرض نظام هذا الفن.

ومات صاحبنا الأديب الماهر والنبيه الباهر نادرة العصر وقرة عين الدهر عثمان بن محمد بن حسين الشمسي وهو أحد الأخوة الأربعة أكثرهم معرفة وأغزرهم أدباً وأغوصهم في استخراج الدقائق واستنتاج الرقائق وأمهم جميعاً الشريفة رقية بنت السيد طه

الحموي الحسيني ولد المترجم بمصر وربي في حجر أبويه وتعلق من صغره بمعرفة الفنون الغريبة فنال طرفاً منها حسناً يليق عند المذاكرة وعرف الفرائض واستخرج منها طرقاً غريبة في استحقاق المواريث في قسم الغرماء في شبابيك وله سليقة شعرية مقبولة، وله معرفة باللغة جيدة يطالع كتبها ويحل عقدها ويسأل عن غرائب الفن ويغوص بذهنه على كل مستحسن ولقد نظم فرائض الدين وأسماء أهل بدر وغير ذلك، وبالجملة أنه كان من محاسن الزمان توفي رحمه الله في أواخر شعبان مطعوناً وخلف ولديه محمد جربجي وحسين جربجي أحياهما الله حياة طيبة، ومات الأجل المبجل بقية السلف ونتيجة الخلف الوجيه الصالح النبيه الشيخ عبد الرحمن بن أحمد شيخ سجادة جده سيدي عبد الوهاب الشعراني مات أبوه الشيخ أحمد في سنة أربع وثمانين وتركه صغيراً دون البلوغ فكفلته أمه فتولى السجادة الشيخ أحمد من أقاربه وتزوج بأمه وسكن بدارهم ولما شب المترجم وترشد اشترك معه بالمناصفة، ثم توفي الشيخ أحمد المذكور فاستقل بذلك ونشأ في عز وعفاف وصلاح وحسن حال ومعاشرة ومودة وعمر البيت حساً ومعنى وأحيا مآثر أجداده وأسلافه وكان شديد الحياء والحشمة والتواضع والانكسار والخشية والحلم والتؤدة ومكارم الأخلاق ولما تم كماله بدا زواله واخترمته في شبابه يد الأجل فقطعت شمس عمره منطقة الأمل وخلف ابناً صغيراً يسمى سيدي قاسماً بارك الله فيه،

ومات أعز الأخوان وأخص الأصدقاء والخلان النجيب الصالح والأريب الناجح شقيق النفس والروح وصحبته باب الخير والفتوح المتفنن النبيه سيدي ابراهيم بن محمد الغزالي بن محمد الدادة الشاريبي من أجل أهل بيت الثروة والمجد والعز والكرم وهو كان مسك ختامهم وبموته انقرض بقية نظامهم وقد تقدم استطراد بعض أوصافه في ترجمة المرحوم سيدي أحمد رفيق المرحوم رضوان كتخدا الجلفي ومنها حرصه على فعل الخير ومكارم الأخلاق وتقديم الزاد ليوم المعاد والصدقات الخفية والأفعال المرضية التي منها تفقد طلبة العلم الفقراء والمنقطعين ومواساتهم ومعونتهم وكان يشتري المصاحف والألواح الكثيرة ويفرقها بيد من يثق به على مكاتب أطفال المسلمين الفقراء معونة لهم على حفظ القرآن ويملأ الأسبلة للعطاش ولا يقبل من فلاحينه زيادة على المال المقرر ويعاون فقراءهم ويقرضهم التقاوى واحتياجات الزراعة وغيرها ويحسب لهم هداياهم من أصل المال وكان يتفقه على العلامة الشيخ محمد العقاد المالكي ويحضر دروسه في كل يوم وبعد وفاته لازم حضور الشيخ عبد العليم الفيومي، وكان ينفق عليه وعلى عياله ويكسوهم ولم يزل سمح السجية بسام الثنية الى أن بغته الطاعون حالاً وكان موته ارتجالاً فنضبت جداوله واستراحت حساده وعواذله وكان الله حسنة في صحائف الأيام والليالي وروضة تنبت الشكر في رياض المعالي.

فلو بعت يوماً منه بالدهر كله لفكرت دهراً ثانياً في ارتجاعه.

ومات أيضاً من بيتهم الأجل المكرم أحمد جلبي بن الأمير علي وكان شاباً لطيف الذات مليح الصفات مقبول الطباع مهذب الأوضاع.

ومات أيضاً من بيتهم الأمير عثمان بن عبد الله معتوق المرحوم محمد جربجي وكان من أكابر بيتهم وبقية السلف من طبقتهم ذا وجاهة وعقل وحشمة وجلالة قدر.

ومات أيضاً من بيتهم الأمير رضوان صهر أحمد جلبي المذكور وكان إنساناً لا بأس به أيضاً، ومات من بيتهم عدد كثير من النساء والصبيان والجواري في تلك الأيام المبددة منهم ومن غيرهم عقد النظام.

ومات الصنو الفريد والعقد النضيد الذكي النبيه من ليس له في الفضل شبيه صاحبنا الأكرم وعزيزنا الأفخم ابراهيم جلبي بن أحمد آغا البارودي نشأ مع أخويه علي ومصطفى في حجر والدهم في رفاهية وعز ولما مات والدهم في سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف تزوجته والدتهم وهي ابنة ابراهيم كتخدا القازدغلي بمحمد خازندار زوجها وهو محمد آغا الذي اشتهر ذكره بعد ذلك فكفل أولاد سيده المذكورين وفتح بيتهم وعانى المترجم تحصيل الفضائل وطلب العلم ولازم حضور الدروس بالأزهر في كل يوم وتقيد بحضور الفقه على السيد أحمد الطحطاوي والشيخ أحمد الخانيوشي وفي المعقول على اليخ محمد الخشني والشيخ علي الطحان حتى أدرك من ذلك الحظ الأوفر وصار له ملكة يقتدر بها على استحضار ما يحتاج إليه من المسائل النقلية والعقلية وترونق بالفضائل وتحلى بالفواضل الى أن اقتنصه في ليل شبابه صياد المنية وضرب سوراً بينه وبين الأمنية.

ومات أيضاً بعده بيومين أخوه سيدي علي وكان جميل الخصائل مليح الشمائل رقيق الطباع يشنف بحسن ألفاظه الأسماع اخترمته المنية وحالت بساحة شبابه الرزية.

ومات الصاحب الأمثل والأجل الأفضل حاوي المزايا المتره عن النقائص والرزايا عبد الرحمن أفندي بن أحمد المعروف بالهلواتي كاتب كبير باب تفكشيان من أعيان أرباب الأقلام بديوان مصر كان اشتغل بطلب العلم ولازم حضور الأشياخ وحصل في المعقول والمنقول ما تميز به عن غيره من أهل صناعته مع حسن الأخلاق وجميل الطباع وحضر على الشيخ مصطفى الطائي كتاب الهداية في الفقه مشاركاً لنا وأخذ أيضاً الحديث عن السيد مرتضى وسمع معنا عليه كثيراً من الأجزاء والمسلسلات والصحيحين وغير ذلك وألف حاشية على مراقي الفلاح واقتنى كتباً نفيسة وكان يباحث ويناضل مع عدم الادعاء وتهذيب النفس والسكون والتؤدة والإمارة والسيادة الى أن أجاب الداعي ونعته النواعي واضمحل حال أبيه بعده وركبته الديون وجفاه الأخدان والمجنون وصار بحالة يرثى لها الشامت ويبكي حزناً عليه من يسمع ذكره من الناعت الى أن توفي بعد بنحو سنتين.

ومات الأمير المبجل والنبيه المفضل علي بن عبد الله الرومي الأصل، مولى الأمير أحمد كتخدا صالح، اشتراه سيده صغيراً فتربى في الحريم وأقرأه القرآن وبعض متون الفقه وتعلم الفروسية ورمي السهام وترقى حتى عمل خازندار عنده.

وكان بيته مورداً للأفاضل فكان يكرمهم ويحترمهم ويتعلم منهم العلم ثم أعتقه وأنزله حاكماً في بعض ضياعه، ثم رقاه الى أن عمله رئيساً في باب المتفرقة وتوجه أميراً على طائفته صحبة الخزينة الى الأبواب السلطانية مع شهامة وصرامة، ثم عاد الى مصر وكان ممن يعتقد في شيخنا السيد علي المقدسي ويجتمع به كثيراً، وكان له حافظة جيدة في استخراج الفروع وأتقن فن رمي النشاب الى أن صار أستاذا فيه، وانفرد في وقته في صنعة القسي والسهام والدهانات فلم يلحقه أهل عصره، وأضر بعينيه وعالجهما كثيراً فلم يفده فصبر واحتسب ومع ذلك فيرد عليه أهل فنه ويسألونه فيه ويعتمدون على قوله ويجيد القسي تركيباً وشداً، ولقد أتاه وهو في هذه الضرارة رجل من أهل الروم اسمه حسن فأنزله في بيته وعلمه هذه الصنعة حتى فاق في زمن قليل أقرانه وسلم له أهل عصره، وسمع المترجم عن شيخنا المذكور أكثر الصحيح بقراءة كل من الشريفين الفاضلين سليمان بن طه الأكراشي وعلي بن عبد الله بن أحمد وذلك بمترله المطل على بركة الفيل وكذلك سمع عليه المسلسل بالعيد بشرطه وحديثين مسلسلين بيوم عاشوراً تخريج السيد المذكور وأشياء أخر ضبطت عند كاتب الأسماء وأخذ الإجازة من الشيخ اسمعيل بن أبي المواهب الجلبي وكان عنده كتب نفيسة في كل فن رحمه الله.

ومات الشاب اللطيف المهذب الظريف الذي يحكي بأدبه سنا الملك وابن العفيف محمد بن الحسن بن عبد الله الطيب أبوه مولى اللقاسم الشرايبي مات أبوه في حداثته وكان مولد سنة أربع وستين ومائة وألف، وكفله صهره سليمان بن محمد الكاتب أحد كتاب المقاطعة بالديوان ونشأ في الرفاهية والنعم وعانى طلب العلم فنال منه ما أخرجه من ربقة الجهل وتعلق بالعروض وأخذ عنه الشيخ محمد بن ابراهيم العوفي المالكي فبرع فيه ونظم الشعر إلا أنه كان يعرض شعره للذم بالتزامه فيه ما لا يلزم توفي في غرة شعبان من السنة.

ومات الصنو الفريد والنادرة الوحيد النبيه اللبيب والمفرد العجيب الفاضل الناظم الناثر سيدي عثمان بن أحمد الصفائي المصري تقدم ذكره في ترجمة والده أحمد أفندي كاتب الروزنامة بديوان مصر، ونشأ هو في ظل النعمة والرفاهية، وقرأ النحو والمنطق على كل من الشيخ علي الطحان والشيخ مصطفى المرحومي حتى مهر فيهما وكان يباحث ويناضل ويناقش أهل العلم في المسائل العقلية والنقلية، وقرأ علم العروض وأتقن نظم الشعر وجمع الظروف وكان فيه نوع من الخلاعة واللهو، وله تخميس على البردة وأشعار كثيرة، ولم يزل رافلاً في حلل السعادة حتى حلت بساحة شبابه الشهادة وتوفي مطعوناً بمليج وهو ذاهب لموسم المولد الأحمدي بطندتا في شهر رجب وقد ناهز الأربعين، وحضروا به الى مصر محمولاً على بعير فغسل وكفن ودفن عند والده رحمه الله.

ومات الخواجا المعظم والتاجر المكرم السيد أحمد ابن السيد عبد السلام المغربي الفاسي نشأ في حجر والده وتربى في العز والرفاهية حتى كبر وترشد، وأخذ وأعطى وباع واشترى وشارك وعامل واشتهر ذكره وعرف بين التجار، ومات أبوه واستقر مكانه في التجارة عرفته الناس زيادة عن أبيه وصار يسافر الى الحجاز في كل سنة مقوماً مثل أبيه، وبنى داره ووسعها وأضاف إليها دكة الحسبة التي بجوار الفحامين وأنشأ داراً عظيمة أيضاً بخط الساكت بالأزبكية، وانضوى إليه السيد أحمد المحروق وأحبه واتحد به اتحاداً كلياً، وكان له أخ من أبيه بالحجاز يعرف بالعرايشي من أكابر التجار ووكلائهم المشهورين ذو ثروة عظيمة فتوفي، وصادف وصول المترجم حينئذ الى الحجاز فوضع يده على ماله ودفاتره وشركاته، وتزوج بزوجته وأخذ جواره وعبيده ورجع الى مصر واتسع حاله زيادة على ما كان عليه وعظم صيته وصار عظيم التجار وشاه البندر، وسلم قياده وزمامه في الأخذ والعطاء وحساب الشركاء الى السيد أحمد المحروقي وارتاح إليه لحذقه ونباهته ونجابته وسعادة جده، ولم يزل على ذلك حتى اخترمته المنية وحالت بينه وبين الأمنية وتوفي في شعبان مطعونا، وغسل وكفن وصلي عليه بالمشهد الحسيني في مشهد حافل بعد العشاء الأخيرة في المشاعل ودفن عند أبيه بزاوية العربي بالقرب من الفحامين، والتجأ السيد أحمد المحروقي الى السيد آغا البارودي كتخدا اسمعيل بك فسعى إليه وأقره مكانه وأقامه عوضه في كل شيء، وتزوج بزوجاته وسكن داره واستولى على حواصله وبضائعه وأمواله ونما أمره من حينئذ وأخذ وأعطى ووهب وصانع الأمراء وأصحاب الحل والعقد حتى وصل الى ما وصل إليه وأدرك ما لم يدركه غيره فيما سمعنا ورأينا كما قيل:

وإذا السعادة لاحظتك عيونها ... نم فالمخاوف كلهن أمان

ومات الأمير الكبير اسمعيل بك، وأصله من مماليك ابراهيم كتخدا، وانضوى الى علي بك بلوط قبان فجعله اشراقه وأقره ونوه بشأنه وقلده الصنجقية بعد موت سيدهم وزوجه بهانم ابنة ابراهيم كتدخا، وعمل لهما مهماً عظيماً ببركة الفيل شهراً كاملاً

في سنة أربع وسبعين كما تقدم ذكر ذلك، وكان من المهمات الجسيمة والمواسم العظيمة التي لم يتفق نظيرها بعده بمصر و لم يزل منظوراً إليه في الإمارة مدة علي بك وأرسله في سرياته واعتمده في مهماته وبعثه الى سويلم بن حبيب بتجريدة فلم يزل يحاربه حتى هزمه وفر الى البحيرة فلحقه هناك و لم يزل يتبعه ويرصده حتى قتله وحضر برأسه الى مخدومه وذلك في أواخر سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف.

وسافر الى الشام صحبة محمد بك أبي الذهب لمقاتلة عثمان باشا ابن العظم وأغاروا على البلاد الشامية وحاربوا يافا أربعة أشهر حتى ملكوها، وسافر قبل ذلك في تجاريد الصعيد وحضر غالب مواقف الحروب مع محمد بك ومستقلاً الى أن بدت الوحشة بين محمد بك وسيده علي بك وخرج مع محمد بك الى الصعيد وجرى بينهما الدم بقتله أيوب بك، فأخرج إليه علي بك جردة عظيمة احتفل بها احتفالاً زائداً وأميرها المترجم فلما التقى الجمعان ألقى عصاه وخامر على مولاه وانضم بمن معه الى محمد بك فشد عضده وخان مخدومه وحصل ما حصل من تقلبهم واستيلائهم كما ذكر، واستمر مع محمد بك يراعي حرمته ويقدمه على نفسه ولا يبرم أمراً إلا بعد مشاورته ومراجعته وتقلد الدفتردارية وأميراً على الحج سنتين بشهامة وسير حسن، ولما مات محمد بك لم تطمح نفسه للتصدر في الرياسة والإمارة بل تركها لأتباعه وقنع بحاله وإقطاعه ولزم داره التي عمرها بالأزبكية، فناكدوه وطمعوا فيما لديه وقصد مراد بك اغتياله فخرج الى خارج وتبعه المغرضون له ويوسف بك وغيره وحصل ما هو مسطر ومشروح في محله من تملكه، وقتله يوسف بك واسمعيل بك الصغير بمساعدة العلوية ثم غدروا به حتى آل الأمر به الى الخروج الى البلاد الشامية وافتراق جمعه، ثم سافر الى الروم مع بعض أتباعه ومماليكه وذهب منه غالب ما اجتمع لديه من الأموال، وذهب الى اسلامبول فأقام بها مدة، ثم نفوه الى شنق قلعة وخرج منها بحيلة تحيلها على حاكمها، ثم ركب البحر الى درنة ووصل خبر ذلك الى الأمراء بمصر فخرج مراد بك ليقطع عليه الطريق الموصلة الى قبلي وأرصد له عيوناً ينتظرونه بالطريق وأقام على ذلك شهوراً فلم يقفوا له على خبر، وهو يتنقل عند العربان حتى أنه اختفى عند بعضهم نيفاً وأربعين يوماً في مغارة، ثم أنه تحيل وأرسل من ألقى الى مراد بك أنه مر من الجهة الفلانية بمعرفة الرصد المقيمين فحنق مراد بك وركب في الحال ليقطع عليه الطريق وتفرق الجمع من ذلك المكان، فعند ذلك اجتاز اسمعيل بك ذلك الموضع وعداه في زي بعض العربان وخلص الى القضاء الموصل للبلاد القبلية، وذهب مراد بك في نهاية مشواره فلم ير أثراً لذلك الخبر فرجع الى المكان الذي عرفوه سلوكه فوجد المرابطين على ما هم عليه من التيقظ الى أن تحقق عنده أنه تحيل بذلك، ومر وقت ارتحال مراد بك من ذلك الموضع فرجع بخفي حنين، و لم يزل حتى كان ما كان ووصل حسن باشا على الصورة المتقدمة ورجع الى مصر وتملكها واستقل بإمارتها بعد ثغر به تسع سنين ومقاساته الشدائد، وظن أن الوقت قد صفا له واستكثر من شراء المماليك واحترقت داره وبناها أحسن مما كانت عليه، وحصن المدينة وسورها من عند طرا والجيزة، وحصنها تحصيناً عظيماً من الجبل الى البحر من الجهتين، حتى أنه لما أصيب بالطاعون أحضر أمراءه وقال لعثمان بك طبل بحضرتهم أنت كبير القوم الباقية، فافتح عينك وشد حيلك فإني حصنت لكم البلد وصيرتها بحيث لو ملكتها امرأة لم يقدر عليها عدو، وتمرض يومين ومات في الثالث سادس عشر شعبان من السنة، وكان أميراً جليلاً كفؤاً للإمارة جهوري الصوت عظيم الهمة، بعيد الغور كبير التدبير، يحب الصلحاء والعلماء ويتأدب معهم ويواسيهم، ويقبل شفاعتهم ويكرمهم وله فيهم اعتقاد عظيم حسن ولما مات غسل وكفن

وصلي عليه في مصلى المؤمنين ودفن بتربة علي بك مع سيدهما ابراهيم بك كتخدا بالقبر من ضريح الإمام الشافعي بالقرافة، و لم يفلح بعده خليفته عثمان بك وأضاع مملكته وسلمها لأخصامه وأخصام سيده.

ومات الأمير رضوان بك وهو ابن أخت علي بك الكبير أمره وقلده الصنجقية وجعله من الأمراء الكبار، فلما مات خاله واستقل بالمملكة محمد بك، انزوى وارتفعت عنه الآمرية وأقام بطالاً هو وحسن بك الجداوي مدة أيام محمد بك، فلما مات محمد بك وظهر بالإمارة ابراهيم بك، ومراد بك لم يزل على خموله الى أن وقع التفاقم بينهم وبين اسمعيل بك، فانضم هو وحسن بك الى اسمعيل بك وساعداه فرد لهما آمرياتهما ونوه بشأنهما ثم نافقا عليه وخذلاه عندما سافر معهما الى قبلي وكانا هما السبب في غربته المدة الطويلة كما ذكر ثم وقع لهما ما وقع مع المحمدية وذهبا الى الجهة القبلية وأقاما هناك فلما رجع اسمعيل بك من غيبته انضم إليهما ثانياً و لم يزل معهما وافترق منهما المترجم وحضر الى مصر وانضم الى المحمدية، ولما حضر حسن باشا وخرج معهم رجع ثانياً بأمان واستمر بمصر حتى حضر اسمعيل بك وحسن بك فأقام معهم أميراً ومتكلماً وتصادق مع علي بك كتخدا الجاويشية وعقد معه المؤاخاة ونزل مراراً الى الأقاليم وعسف بالبلاد ولما سافر حسن باشا وخلالهما الجو فجر وتجبر وصار يخطف الناس ويحبسهم ويصادرهم في أموالهم تعدى شره لكثير من الفقراء، و لم يزل هذا شأنه حتى أطفأ صرصر الموت شعلته وحل بساحته الطاعون و لم يفلته وأراح الله منه العباد وكان أشقر خبيثاً.

ومات الأمير الأصيل رضوان بك بن خليل بن ابراهيم بك بلفيا من بيت المجد والعز والسيادة والرياسة وبيتهم من البيوت الجلية القديمة الشهيرة بمصر، و لم يكن بمصر بيت عريق في الإمارة والسيادة إلا بيتهم وبيت قصبة رضوان وجميع أمراء مصر تنتهي سلسلتهم إليهما وبيت القازدغلية أصل منشتهم ومغرس سيادتهم من بيت بلفيا كما تقدم لأن ابراهيم بك بلفيا جد المترجم مملوك مصطفى بك ومصطفى بك مملوك حسن آغا بلغيا وهو سيد مصطفى كتخدا القازدغلي ومصطفى هذا كان سراجاً عند حسن آغا ورقاه وأمره حتى جعله كتخذا باب مستحفظان ونما أمره وعظم شأنه وباض وأفرخ فجميع طائفة القازدغلية تنتهي نسبتهم إليه كما ذكر ذلك غير مرة ولما توفي خليل بك والد المترجم في سنة خمس وثمانين بالحجاز في إمارته على الحج وترك أخاه عبد الرحمن آغا وولده رضوان هذا ورجع بالحج عبد الرحمن آغا المذكور، وبعد استقرارهم اجتمعت أعيان بيتهم وأرادوا تقليد عبد الرحمن آغا صنجقاً عوضاً عن أخيه فأبى ذلك، فاتفقوا على تقليد ابن أخيه رضوان المذكور، فكان كذلك وقلدوه الإمارة، وفتح بيتهم وأحيا مآثرهم وانضم إليه أتباعهم، وسار سيراً حسناً بعقل ورياسة لولا لثغة في لسانه، وتقلد أمير الحج سنة 1192 وكان كفؤاً لها وطلع ورجع في أمن وراحة ورخاء و لم يزل في سيادته حتى توفي في هذه السنة، واضمحل بيتهم بموته وماتت أعيانهم وعظماؤهم وخرب البيت بالكلية، وانمحت آثارهم وانطفأت أنوارهم وبطلت خيراتهم وخمدت حركاتهم، ومن جملة ما رأيته من خيراتهم وخمدت حركاتهم، ومن جملة ما رأيته من خيراتهم في أيام رضوان بك هذا مائة قارئ من الحفظة يقرأون القرأن كل يوم في الأوقات الخمسة في كل وقت عشرون قارئاً، وقس على ذلك.

ومات الأمير سليمان بك المعروف بالشابوري وأصله من مماليك سليمان كاويش القازدغلي فهو خشداش حسن كتخدا الشعراوي، تقلد الإمارة والصنجقية سنة تسع وستين، ونفي مع حسن كتخدا المذكور وأحمد جاويش المجنون كما تقدم في سنة ثلاث وسبعين، فلما كانت أيام علي بك وورد من الديار الرومية طلب الإمداد من مصر للغز، وأرسل علي بك فأحضر

المترجم وقلده إمارة السفر فخرج بالعسكر في موكب على العادة القديمة وسافر بهم الى الديار الرومية وذلك سنة ثلاث وثمانين، ورجع بعد مدة وأقام بطالاً محترماً مرعي الجانب، ينافق كبار الدولة وانضم الى مراد بك، فكان يجالسه ويسامره ويكرمه المذكور، فلما حضر حسن باشا كان هو من جملة المتآمرين فلما استقر اسمعيل بك في إمارة مصر اعتنى به وقدمه ونظمه في عداد الأمراء لكبر سنه وأقدميته، وكان رجلاً سليم الباطن لا بأس به توفي بالطاعون في هذه السنة.

ومات الأمير الجليل عبد الرحمن بك عثمان وهو مملوك عثمان بك الجرجاوي الذي قتل في واقعة قراميدان أيام حمزة باشا سنة تسع وسبعين كما تقدم، فقلدوا عبد الرحمن هذا عوضه في الصنجقية فكان كفؤاً لها وكان متزوجاً ببنت الخواجا عثمان حسون التاجر العظيم المشهور المتوفى في أيام الأمير عثمان بك ذي الفقار وخلف منها ولده حسن بك، وكان المترجم حسن السيرة سليم الباطن والعقيدة محبوب الطباع جميل الصورة وجيه الطلعة وكان محمد بك أبو الذهب يحبه ويجله ويعظمه ويقبل قوله ولا يرد شفاعته وكان يميل بطبعه الى المعارف ويحب أهل العلم والفضائل ويجيد لعب الشطرنج، ومن مآثره، أنه عمر جامع أبي هريرة الذي بالجيزة على الصفة التي هو عليها الآن وبنى بجانبه قصراً، وذلك في سنة ثمان وثمانين، ولما أتمه وبيضه عمل به وليمة عظيمة وجمع علماء الأزهر في يوم الجمعة، وبعد انقضاء الصلاة صعد شيخنا الشيخ علي الصعيدي على كرسي وأملى حديث من بنى لله مسجداً بحضرة الجمع وكان شيخنا السيد محمد مرتضى حاضراً وباقي العلماء والمشايخ والحقير في جملتهم، وكنت حررت له المحراب على انحراف القبلة ثم انتقلنا الى القصر ومدت الأسمطة وبعدها الشربات والطيب، وكان يوماً سلطانياً توفي رحمه الله في شعبان بمنزله الذي بقيسون جوار بيت الشابوري ودفن عند سيده بالقرافة.
ومات في أثره ولده حسن بك المذكور وكان فطناً نجيباً ويكتب الخط الجيد ويميل بطبعه الى الفضائل وذويها، متزهاً عما لا يعنيه من النقائص والرذائل عوض الله شبابه الجنة، ومات الأمير سليم بك الاسماعيلي من مماليك اسمعيل بك قلده الإمارة في سنة إحدى وتسعين وخرج مع سيده الى الشام، ثم رجع الى مصر بعد سفر سيده الى الروم وأقام بها بطالاً في بيته بجوار المشهد الحسيني ببعض خدم قليلة ويذهب الى المسجد في الأوقات الخمسة فيصلي مع الجماعة ويتنقل كثيراً ولم يزل على ذلك، حتى رجع سيده الى مصر فرد له إمارته ورجع الى داره الكبيرة وتقلد إمارة الحج في سنة اثنتين، ونزل الى إقليم المنوفية وجمع المال والجمال ورجع وطلع بالحج وعاد في أمن وأمان ولم يزل في إمارته حتى توفي بالطاعون في هذه السنة وكان طوالاً جسيماً خيره أقرب من شره.
ومات الأمير علي بك المعروف بجركس الاسماعيلي وهو من مماليك اسمعيل بك أيضاً، وقلده الإمارة في مدته السابقة وأسكنه ببيت صالح بك الذي بالكبش، ولما تغرب سيده حضر الى مصر وأقام خاملاً وسكن بالكعكين وكان لطيفاً مهذباً خفيف الروح ضحوك السن، يحب العلماء والصلحاء ويتأدب معهم ويكرمهم، ولما مات خشداشة ابراهيم بك قشطة تزوج بعده بزوجته بنت اسمعيل بك ولم يزل حتى توفي بعد سيده بأيام قليلة.
ومات الأمير غيطاس بك وهو من بيت صالح بك تابع مصطفى بك القرد وكان يعرف أولاً بغيطاس كاشف، تقلد الإمارة في سنة مائتين وتولى إمارة الحج في سنة 1201 فسار فيها سيراً حسناً وطلع بالحج ورجع مستوراً واستمر أميراً الى أن مات على فراشه بالطاعون في بيته بخط باب اللوق، فقلدوا بعده مملوكه صالح إمارته وهو موجود الى الآن في الأحياء، وكان المترجم

أميراً جليلاً محتشماً قليل التبسم من رآه ظنه متكبر السكون جاشه وكان لا بأس به في الجملة.

ومات الأمير علي بك الحسني وهو من مماليك حسن بك الجداوي قلده الإمارة في أيام حسن باشا وتزوج بزوجة مصطفى بك الداودية المعروف بالاسكندراني، وكان لطيف الذات جميل الطباع سهل الانقياد قليل العناد، توفي في رجب من السنة بالطاعون ودفن بالمشهد الحسيني بمدفن القضاة ووجدت عليه زوجته وجداً كثيراً.

ومات الأمير رضوان كتخدا وهو من مماليك أحمد كتخدا المجنون تنقل في المناصب حتى تولى كتخدائية الباب بجشمة وشهامة وعقل وسكون، ولما استقل اسمعيل بك في إمارة مصر نوه بشأنه وأحبه وصار في تلك الأيام أحد المتكلمين المشار إليهم في الأمر والنهي ونفاذ الكلمة والرياسة، وكان قريباً الى الخير واشتهر أكثر من سيده وصار له أولاد وعزوة وأتباع ومماليك، وبنى لأكبر أولاده داراً بدرب سعادة وسكن هو في بيت أستاذه، توفي في أواخر شهر شعبان وكذلك أولاده وجواريه ومماليكه وخربت بيوتهم في أقل من شهر.

ومات الأمير عثمان آغا مستحفظان الجلفي وأصله من مماليك رضوان كتخدا الجلفي، وتربى عند خليل بك شيخ البلد القازدغلي و لم يزل يتنقل في خدم الأمراء ومعاشرتهم حتى تقلد الأغاوية في أيام اسمعيل بك، ثم عزل عنها وتولاها ثانياً أياماً قليلة ومات أيضاً بالطاعون وخلف شيئاً كثيراً من المال والنوال، أخذه جميعه حسن بك الجداوي لأنه كان منضوياً إليه، وفي طريقتهم أنهم يرثون من يكون منسباً إليهم أو جاراً لهم، وكان إنساناً لا بأس به ومحضره خير ويحب اقتناء الكتب والمسامرة في الأخبار والنوادر مع ما فيه من نوع البلادة.

ومات الأمير المبجل حسن أفندي شقبون كاتب الحوالة وأصله مملوك أحمد أفندي مملوك مصطفى أفندي شقبون نشأ في الرياسة وخدمة الوزراء والأكابر، وحاز شيئاً كثيراً من الكتب النفيسة والتي بخط الأعاجم والفارسية والخطوط التعليق المكلفة والمذهبة والمصورة، مثل كليلة ودمنة وشاهنامة وديوان حافظ والتواريخ التي من هذا القبيل المصور بها صور الملوك البديعة الصنعة والإتقان الغالية الثمن النادرة الوجود، وكان قريباً الى الخير محتشماً في نفسه، توفي أيضاً بالطاعون وتبددت كتبه وذخائره.

ومات الأمير محمد آغا البارودي، وهو مملوك أحمد آغا مملوك ابراهيم كتخدا القازدغلي رباه سيده وجعله خازنداره وعقد له على ابنته، فلما توفي سيده في سنة ثمان وثمانين، طلقها وتزوج بزوجة سيده هانم بنت ابراهيم كتخدا من الست البارودية وهي أم أولاده ابراهيم وعلي ومصطفى الذين تقدم ذكرهم، والتي كان عقد عليها كانت من غيرها، فتزوجها حسن كاشف من أتباعهم تنبه المترجم وتداخل في الأمراء والأكابر وانضوى الى حسن كتخدا الجربان عندما كان كتخدا مراد بك، فقلده في الخدم والقضايا وأعجبه سياسته وحسن سعيه، فارتاح إليه وكان حسن كتخدا المذكور تعتريه النوازل فينقطع بسببها أياماً بمنزله فينوب عنه المترجم في الكتخدائية عند مراد بك فيحسن الخدمة والسياسة وتنميق الأمور ويستجلب له المصالح، فأحبه وأعجب به وقلده الأمور الجسيمة وجعله أمين الشون، فعند ذلك اشتهر ذكره ونما أمره واتسع حاله، وانفتح بيته وقصدته الناس وتردد إليه الأعيان في قضاء الحوائج، ووقفت ببابه الحجاب واتخذ له ندماء وجلساء من اللطفاء وأولاد البلد يجلس معهم

حصة من الليل ينادمونه ويسامرونه ويضاحكونه ويشرب معهم، وماتت زوجته ابنة سيد سيده من بنت البارودي فزوجه مراد بك أكبر محاظيه أم ولده أيوب، وأتت الى بيته بجهاز عظيم وصار بذلك صهراً لمراد بك وزادت شهرته ورفعته، فلما حصلت الحوادث ووصل حسن باشا وخرج مراد بك من مصر فلم يخرج معه واستمر بمصر وقبض عليه اسمعيل بك وحبسه مع عمر كاشف ببيته ثم نقلهما الى القلعة بباب مستحفظان مدة، فلم يزل المترجم حتى صالح عن نفسه وأفرج عنه وتقيد بخدمة اسمعيل بك وتداخل معه حتى نصبه في كتخدائيته وأحبه واحتوى علي عقله، فسلم إليه قياده في جميع أشغاله وارتاح إليه وجعله أمين الشون والضربخانة وغيرهما، فعظم شأنه وارتفع قدره وطار صيته بالأقاليم المصرية وكثر الازدحام ببابه، وجبيت إليه الأموال وصار الإيراد إليه والمصرف من يده فيصرف جماكي العسكر ولوازم الدولة وهداياها ومصاريف العمائر والتجاريد واحتياجات أمير الحاج وغير ذلك بتؤدة وزياقة وحسن طريقة من غير جلبة ولا عسف ولا شعور لأحد من الناس بشيء من ذلك، وكل شيء سأل عنه مخدومه أو أشار بطلبه أو فعله وجده حاضراً، ولم يشتغل أمراء الحاج في زمن اسمعيل بك بشيء من لوازم الحج بل كان هو يقضي جميع اللوازم من الجمال والأرحال والقرب والخيش والعليق والذخيرة التي تسافر في البحر والبر وعوائد العرب وكساويهم والهجن والبغال وأرباب الصيت، وغير ذلك ليلاً ونهاراً في أماكن بعيدة عن داره تحت أيدي مباشريه الذين وظفهم وأقامهم في ذلك، بحيث إذا اقتضى لأحدهم شيئاً أتاه وأسر له في أذنه فيوجهه بطرف كلمة، ولا يشعر أحد من الجالسين معه بشيء، وإذا كان وقت خروج المحمل فلا يرى أمير الحاج إلا جميع احتياجاته ولوازمه حاضرة مهيأة على أتم ما يكون وأكمله، وزوج ابنة سيده لخازنداره علي آغا وعمل لهما مهماً عظيماً عدة أيام، وحضر اسمعيل بك والأمراء والأعيان وأرسلوا إليه الهدايا العظيمة وكذلك جميع التجار والنصارى والكتاب القبط ومشايخ البلدان، وبعد تمام أيام العرس ولياليه بالسماعات والآلات والملاعيب والنقوط عملوا للعروس زفة بهيئة لم يسبق نظيرها، ومشى جميع أرباب الحرف وأرباب الصنائع من كل طائفة عربة وفيها هيئة صناعتهم ومن يشتغل فيها مثل القهوجي بآلته وكانونه والحلواني والفطايري والحباك والقزاز بنول حتى مبيض النحاس والحيطان والمعاجيني وبياعين البز وأرباب الملاهي والنساء المغنيين وغيرهم، كل طائفة في عربة، وكان مجموعها نيفاً وسبعين حرفة وذلك خلاف الملاعيب والبهالوين والرقاصين والجنك ثم الموكب، وبعده الأغوات والحريم والملازمون والسعاة والجاويشية، وبعدها عربة العروس من صناعة الإفرنج بديعة الشكل وبعدها مماليك الخزنة والملبسون الزروخ، وبعدهم النوبة التركية والنفيرات وكانت زفة غريبة الوضع لم يتفق مثلها بعدها، وبلغ المترجم في هذه الأيام من العظمة ما لم يبلغه أحد من نظرائه وكان إذا توجهت همته الى أي شيء أتمه على الوجه الذي يريد، ويقبل الرشوة وإذا أحب إنساناً قضى له أشغاله كائنة ما كانت من غير شيء، فلما مات مخدومه اسمعيل بك وتعين في الإمارة بعده عثمان بك طبل استوزره أيضاً وسلمه قياده في جميع أموره وهو الذي أشار عليه

بممالأته الأمراء القبليين عندما تضايق خناقه من حسن بك الجداوي ومناكدته له، فكاتبهم سراً بسفارته وأطعمهم في الحضور وتمكينهم من مصر، ومات المترجم في أثناء ذلك في غرة رمضان وذلك بعد اسمعيل بك بأربعو عشر يوماً.

ومات الصنو الوحيد والفريد النبيه محمد أفندي بن سليمان أفندي ابن عبد الرحمن أفندي بن مصطفى أفندي ككليويان، ويقال لها في اللغة العامية جمليان نشأ في عفة وصلاح وخير وطلب العلم، وعانى الجزئيات والرياضيات ولازم الشيخ المرحوم الوالد وقرأ عليه كثيراً من الحسابيات والفلكيات والهيئة والتقويم، ومهر في ذلك وانتظم في عداد أرباب المعارف، واشترى كتباً كثيرة

في الفن واستكتب وكتب بخطه الحسن، واقتنى الآلات والمستظرفات، وحسب وقوم الدساتير السنوية عشرة أعوام مستقبلة بأهلتها وتواريخها وتواقيعها، ورسم كثيراً من الآلات الغريبة والمنحرفات وكان شغله وحسابه في غاية الضبط والصحة والحسن، وكان لطيف الذات مهذب الأخلاق قليل الادعاء جميل الصحبة وقوراً، مات أيضاً بالطاعون في شعبان وتبددت كتبه وآلاته.

ومات أيضاً الخدن الشقيق والمحب الشفيق النجيب الأريب الأمير رضوان الطويل وهو من مماليك علي كتخدا الطويل، وكان من هذا القبيل متولعاً من صغره بهذا الفن وقرأ على الشيخ المتقن الشيخ عثمان الورداني وغيره وأنجب وحسب ورسم واشتغل فكره بذلك ليلاً نهاراً ورسم الأرباع الصحيحة المتقنة الكبيرة والصغيرة والمزاول والمنحرفات وغير ذلك من الآلات المبتكرة والرسميات الدقيقة، واتسع باعه في ذلك واشتهر ذكره الى أن قطفت يد الأجل نواره وأطفأت رياح المنية أنواره.

ومات الجناب المكرم والاختيار المعظم الأمير اسمعيل أفندي الخلوتي اختيار جاويشان، كان رجلاً من أعيان الاختيارية في وقته معروفاً صاحب حشمة ووقار ومعرفة بالسياسة وأمور الرياسة ولم يزل حتى توفي في شهر شعبان سنة 1205 بالطاعون.

ومات أيضاً الجناب المكرم محمد أفندي باشقلفة وهو مملوك يوسف أفندي باشقلفة وخشداش محمد أفندي ثاني قلفة وعبد الرحمن أفندي، وكان مليح الذات جميل الصفات تقلد كتابة هذا القلم عندما تلبس السيد محمد باشقلفة بكتابة الروزنامه، فسار فيها سيراً حسناً، وحمدت مساعيه الى أن وافاه الحمام وسارت نواعيه.

ومات أيضاً النبيه اللطيف والمفرد العفيف أحمد أفندي الوزان بالضربخانة وكان إنساناً حسناً جميل الأوضاع مترهف الطباع محتشماً وقوراً ودوداً محبوباً لجميع الناس.

سنة ست ومائتين وألف

استهل شهر محرم بيوم الأربعاء، وفيه عينوا صالح آغا كتخدا الجاويشية الى السفر الى الديار لرومية وصحبته هدية وشربات وأشياء، وصالح آغا هذا هو الذي بعثوه قبل ذلك لإجراء الصلح على يد نعمان أفندي ومحمود بك، وكاد أن يتم ذلك، وأفسد ذلك حسن باشا، ونفي نعمان أفندي بذلك السبب وذلك قبل موت حسن باشا بأربعة أيام فلما رجعوا الى مصر في هذه المرة عينوه أيضاً للإرسالية لسابقته ومعرفته بالأوضاع وكان صالح آغا هذا عندما حضروا الى مصر سكن ببيت البارودي، وتزوج بزوجته فلما كان خامس المحرم ركب الأمراء لوداعه ونزل من مصر القديمة.

وفيه هبط النيل ونزل مرة واحدة وذلك في أيام الصليب ووقف جريان الخليج والترع، وشرقت الأراضي فلم يرو منها إلا القليل جداً فارتفعت الغلال من السواحل والرقع، وضجت الناس وأيقنوا بالقحط وأيسوا من رحمة الله، وغلا سعر الغلة من ريالين الى ستة وضجت الفقراء وعيطوا على الحكام فصار الآغا يركب الى الرقع والسواحل ويضرب المتسببين في الغلة ويسمرهم في آذانهم، ثم صار ابراهيم بك يركب الى بولاق ويقف بالساحل وسعر الغلة بأربعة ريال الأردب، ومنعهم من الزيادة على ذلك فلم ينجح وكذلك مراد بك كرر الركوب والتحريج على عدم الزيادة فيظهرون الامتثال وقت مرورهم، فإذا التفتوا عنهم باعوا بمرادهم وذلك من كثرة ورود الغلا ودخول المراكب وغالبها للأمراء وينقلونها الى المخازن والبيوت، وفي أوائل صفر، وصل قاصد وعلى يده مرسوم بالعفو والرضا عن الأمراء فعملوا الديوان عند الباشا وقرأوا المرسوم وصورة ما بنى عليه ذلك أنه لما حضر السيد عمر أفندي بمكاتبتهم السابقة الى الباشا يترجون وساطته في إجراء الصلح، أرسل مكاتبة في خصوص ذلك من عنده وذكر فيها أن من بمصر من الأمراء لا طاقة لهم بهم ولا يقدرون على منعهم ودفعهم، وأنهم واصلون وداخلون على كل حال فكان هذا المرسوم جواباً عن ذلك وقبول شفاعة الباشا والإذن لهم بالدخول بشرط التوبة والصلح بينهم وبين إخوانهم، فلما فرغوا من قراءة ذلك ضربوا شنكاً ومدافع.

وفي يوم الثلاثاء ثاني عشر صفر حضر الشيخ الأمير الى مصر من الديار الرومية ومعه مرسومات خطاباً للباشا والأمراء فركب المشايخ ولاقوه من بولاق وتوجه الى بيته، ولم يأت للسلام عليه أحد من الأمراء وأنعمت عليه الدولة بألف قرش ومرتب بالضربخانة في كل يوم وقرأ هناك البخاري عند الآثار الشريفة بقصد النصرة.

وفي شهر ربيع الأول، عمل المولد النبوي بالأزبكية، وحضر مراد بك الى هناك واصطلح مع محمد أفندي البكري وكان منحرفاً عنه بسبب وديعته التي كان أودعها عنده، وأخذها حسن باشا فلما حضر الى مصر وضع يده على قرية كان اشتراها الأفندي من حسن جلبي بن علي بك الغزاوي وطلب من حسن جلبي ثمن القرية الذي قبضه من الشيخ ليستوفي بذلك بعض حقه، وطال النزاع بينهما بسبب ذلك، ثم اصطلحا على قدر قبضه مراد بك منهما، وحضر مراد بك الى الشيخ في المولد وعمل له وليمة واستمر عنده حصة من الليل وخلع على الشيخ فروة سمور.

وفيه عملوا ديواناً عند الباشا وكتبوا عرضحال بتعطيل الميري بسبب شراقي البلاد.

وفيه سافر محمد بك الألفي الى جهة شرقية بلبيس.

وفيه حضر ابراهيم بك الى مسجد أستاذه للكشف عليه وعلى الخزانة وعلى ما فيها من الكتب ولازم الحضور إليه ثلاثة أيام وأخذ مفتاح الخزانة من محمد أفندي حافظ وسلمه لنديمه محمد الجراحي، وأعاد لها بعض وقفها المرصد عليها بعد أن كانت آلت الى الخراب و لم يبق بها غير البواب أمام الباب.

وفي شهر ربيع الثاني، قرروا تفريدة على تجار الغورية وطيلون وخان الخليلي وقبضوا على أنفار أنزلوهم الى التكية ببولاق ليلاً في المشاعل، ثم ردوهم ووزع كبار التجار ما تقرر عليهم على فقرائهم بقوائم وناكد بعضهم بعضاً وهرب كثير منهم فسمروا دورهم وحوانيتهم وكذلك فعلوا بكثير من مساتير الناس والوجاقلية وضج الخلائق من ذلك.

وفي مستهل جمادى الأولى كتبوا فرماناً بقبض مال الشراقي ونودي به في النواحي وانقضى شهر كيهك القبطي و لم ينزل من السماء قطرة ماء فحرثوا المزروع ببعض الأراضي التي طشها الماء وتولدت فيها الدودة وكثرت الفيران جداً حتى أكلت الثمار من أعلى الأشجار، والذي سلم من الدودة من الزرع أكله الفار و لم يحصل في هذه السنة ربيع للبهائم إلا في النادر جداً، ورضي الناس بالعليق فلم يجدوا التبن وبلغ حمل الحمار من قصل التبن الأصفر الشبيه بالكناسة الذي يساوي خمسة أنصاف، قبل ذلك مائة نصف، ثم انقطع مرور الفلاحين بالكلية بسبب خطف السواس واتباع الأجناد، فصار يباع عند العلافين من خلف الضبة كل حفان بنصفين الى غير ذلك.

وفي حضر صالح آغا من الديار الرومية.

وفي شهر شوال، سافر أيضاً بهدية ومكاتبات الى الدولة ورجالها.

وفي شهر القعدة وردت الأخبار بعزل الصدر الأعظم يوسف باشا وتولية محمد باشا ملكاً وكان صالح آغا قد وصل الى الاسكندرية فغيروا المكاتبات وأرسلوها إليه.

وفيه حضر آغا بتقرير لوالي مصر على السنة الجديدة وطلع بموكب الى القلعة وعملوا له شنكاً.

وفي أواخر شهر الحجة شرع ابراهيم بك في زواج ابنته عديلة هانم للأمير ابراهيم بك المعروف بالوالي أمير الحج سابقاً وعمر لها بيتاً مخصوصاً بجوار بيت الشيخ السادات، وتغالوا في عمل الجهاز والحلي والجواهر وغير ذلك من الأواني والفضيات والذهبيات وشرعوا في عمل الفرح ببركة الفيل، ونصبوا صواري أمام البيوت الكبار وعلقوا فيها القناديل، ونصب الملاعيب والملاهي أرباب الملاعيب وفردت التفاريد على البلاد، وحضرت الهدايا والتقادم من الأمراء والأكابر والتجار، ودعا ابراهيم بك باشا، فنزل من القلعة وحضر صحبته خلع وفراً ومصاغ للعروس من جوهر وقدم له ابراهيم بك تسعة عشر من الخيل، منها عشرة معددة وسجة لؤلؤ وأقمشة هندية وشبقات دخان مجوهرة وعملوا الزفة في رابع المحرم يوم الخميس، وخرجت من بيت أبيها في عربة غريبة الشكل صناعة الإفرنج في هيئة كمال من غير ملاعيب ولا خزعبلات والأمراء والكشاف وأعيان التجار مشاة أمامها.

وفيه حضر عثمان بك الشرقاوي وصحبته رهائن حسن بك الجداوي وهم شاهين بك وسكن في مكان صغير وآخرون.

وفيه وصلت الأخبار بأن علي بك انفصل من حسن بك ومن معه وسافر على جهة القصير وذهب الى جدة.

وأما من مات في هذه السنة

مات الإمام الذي لمعت أفق الفضل بوارقه وسقاه من مورده النمير عذبه ورائقه، لا يدرك بحر وصفه الإغراق ولا تلحقه حركات الأفكار ولو كان لها في مضمار الفضل، السباق العالم النحرير واللوذعي الشهير شيخنا العلامة أبو العرفان الشيخ محمد بن علي الصبان الشافعي ولد بمصر وحفظ القرآن والمتون واجتهد في طلب العلم وحضر أشياخ عصره وجهابذة مصره وشيوخه، فحضر على الشيخ الملوي شرحه الصغير على السلم، وشرح الشيخ عبد السلام على جوهرة التوحيد وشرح المكودي على الإلفية وشرح الشيخ خالد على قواعد الإعراب وحضر على الشيخ حسن المدابغي صحيح البخاري بقراءته لكثير منه وعلى الشيخ محمد العشماوي الشفا للقاضي عياض وجامع الترمذي وسنن أبي داود وعلى الشيخ أحمد الجوهري شرح أم البراهين لمصنفها بقراءته لكثير منها وعلى الشيخ السيد البليدي صحيح مسلم وشرح العقائد النسفية للسعد التفتازاني وتفسير البيضاوي وشرح رسالة الوضع للسمرقندي وعلى الشيخ عبد الله الشبراوي تفسير البيضاوي وتفسير الجلالين وشرح الجوهرة للشيخ عبد السلام وعلى الشيخ محمد الحفناوي صحيح البخاري والجامع الصغير وشرح المنهج والشنشوري على الرجبية ومعراج النجم الغيطي وشرح الخزرجية لشيخ الإسلام وعلى الشيخ حسن الجبرتي التصريح على التوضيح والمطول ومتن الجغميني في علم الهيئة وشرح الشريف الحسيني على هداية الحكمة، قال: وقد أخذت عنه في الميقات وما يتعلق به وقرأت فيه رسائل عديدة، وحضرت عليه في كتب مذهب الحنفية كالدر المختار على تنوير الأبصار وشرح ملا مسكين علي الكتز وعلى الشيخ عطية الأجهوري شرح المنهج مرتين بقراءته لأكثره وشرح جمع الجوامع للحلي وشرح التلخيص الصغير للسعد وشرح الأشموني على الألفية وشرح السلم للشيخ الملوي وشرح الجزرية لشيخ الإسلام والعصام على السمرقندية وشرح أم البراهين للحفصي وشرح الآجرومية لريحان آغا وعلى الشيخ على العدوي مختصر السعد على التلخص وشرح القطب على الشمسية وشرح شيخ الإسلام على ألفية المصطلح بقراءته لأكثره وشرح بن عبد الحق على ابسملة لشيخ الإسلام ومتن الحكم لابن عطاء الله رحمهم الله تعالى أجمعين، قال: وتلقيت طريق القوم وتلقين الذكر على منهج السادة الشاذلية على الأستاذ عبد الوهاب العفيفي المرزوقي وقد لازمته المدة الطويلة وانتفعت بمدده ظاهراً وباطناً، قال: وتلقيت طريق ساداتنا آل وفا سقانا الله من رحيق شرابهم كؤوس الصفا عن ثمرة رياض خلفهم ونتيجة أنوار شرفهم على الأكابر والأصاغر ومطمح أنظار أولي الأبصار والبصائر أبي الأنوار محمد السادات ابن وفا نفحنا الله وإياه بنفحات جده المصطفى وهو الذي كناني على طريقة أسلافه بأبي العرفان وكتب لي سنده عن خاله السيد شمس الدين أبي الإشراق عن عمه السيد أبي الخير عبد الخالق عن أخيه السيد أبي الإرشاد يوسف عن والده الشيخ أبي التخصيص عبد الوهاب عن ولد عمه السيد يحيى أبي اللطف الى آخر السند، هكذا نقلته من خط المترجم رحمه الله تعالى، ولم يزل المترجم يخدم العلم ويدأب في تحصيله حتى تمهر في العلوم العقلية والنقلية وقرأ الكتب المعتبرة في حياة أشياخه، وربى التلاميذ واشتهر بالتحقيق والتدقيق والمناظرة والجدل وشاع ذكره وفضله بين العلماء بمصر والشام، وكان خصيصاً بالمرحوم الشيخ الوالد اجتمع به من سنة سبعين ومائة وألف ولم يزل ملازماً له على حبه ومودته مع الحقير وانضوى الى أستاذنا السيد أبي الأنوار بن وفا ولازمه ملازمة كلية وأشرقت عليه أنواره ولاحت عليه مكارمه وأسراره، ومن تآليف حاشيته على الأشموني التي سارت بها الركبان وشهد بدفتها أهل الفضائل والعرفان وحاشية على شرح العصام على السمرقندية وحاشية على شرح الملوي على السلم ورسالة في علم البيان ورسالة عظيمة في آل البيت

ومنظومة في علم العروض وشرحها ونظم أسماء أهل بدر وحاشية على آداب البحث ومنظومة في مصطلح الحديث ستمائة بيت، ومثلثات في اللغة ورسالة في الهيئة وحاشية على السعد في المعاني والبيان، ورسالتان على البسملة صغرى وكبرى، ورسالة في مفعل ومنظومة في ضبط رواة البخاري ومسلم، وكان في مبدأ أمره وعنفوان عمره معانقاً للخمول والإملاق متكلاً على مولاه الرزاق، يستجدي مع العفة ويستدر من غير كلفة، وتنزل أياماً في وظيفة التوقيت بالصلاحية بضريح الإمام الشافعي رضي

الله عنه عندما جدده عبد الرحمن كتخدا وسكن هناك مدة ثم ترك ذلك، ولما بنى محمد بك أبو الذهب مسجده تجاه الأزهر تنزل المترجم أيضاً في وظيفة توقيتها وعمر له مكاناً بسطحها سكن فيه بعياله فلما اضمحل أمر وقفه تركه واشترى له منزلاً صغيراً بحارة الشنواني وسكن به، ولما حضر عبد الله أفندي القاضي المعروف بططر زاده وكان متضلعاً من العلوم والمعارف وسمع بالمترجم والشيخ محمد الجناحي واجتمعا به أعجب بهما وشهد بفضلهما وأكرمهما، وكذلك سليمان أفندي الرئيس فعند ذلك راج أمر المترجم وأثرى حاله بالملابس وركب البغال وتعرف أيضاً باسمعيل كتخدا حسن باشا وتردد إليه قبل ولايته، فلما أتته الولاية بمصر زاد في إكرامه وأولاه بره ورتب له كفايته في كل يوم بالضربخانة والجزية، وخرجا من كلاره من لحم وسمن وأرز وخبز وغير ذلك وأعطاه كساوي وفراء وأقبلت عليه الدنيا وازداد وجاهة وشهرة وعمل فرحاً وزوج ابنه سيدي علي فأقبل عليه الناس بالهدايا وسعوا لدعوته وأنعم عليه الباشا بدراهم لها صورة، وألبس ابنه فروة يوم الزفاف وكذا أرسل إليه طبلخانته وجاويشيته وسعاته فزفوا العروس وكان ذلك في مبادئ ظهور الطاعون في العام الماضي وتوعك الشيخ المترجم بعد ذلك بالسعال وقصبة الرئة، حتى دعاه داعي الأكام وفجأة الحمام ليلة الثلاثاء من شهر جمادى الأولى من السنة، وصلي عليه بالأزهر في مشهد حافل ودفن بالبستان تغمده الله بالرحمة والرضوان وخلف ولده الفاضل الصالح الشيخ علي بارك الله فيه.

ومات السيد السند الإمام الفهامة المعتمد فريد عصره ووحيد شامه ومصره الوارد من زلال المعارف على معينها المؤيد بأحكام شريعة جده، حتى أبان صبح يقينها السيد العلامة أبي المودة محمد خليل بن السيد العارف المرحوم علي بن السيد محمد بن القطب العارف بالله تعالى السيد محمد مراد بن علي الحسيني الحنفي الدمشقي أعاد الله علينا من بركات علومهم في الدنيا والآخر من بيت العلم والجلالة والسيادة والعز والرياسة والسعادة، والمترجم وإن لم نره لكن سمعنا خبره ووردت علينا منه مكاتبات ووشى طروسه المحبرات، وتناقل إلينا أوصافه الجميلة ومكارم أخلاقه الجليلة، كان شامة الشام وغرة الليالي وأيام أورق عوده بالشام وأثمر ونشأ بها في حجر والده والدهر أبيض وقرأ القرآن على الشيخ سليمان الديركي المصري وطالع في العلوم والأدبيات واللغة التركية والإنشاء والتوقيع ومهر وأنجب واجتمعت فيه المحاسن الحسية والمزايا المعنوية مع ألطف خلق يسعى اللطف لينظر إليه ورقيق محاسن يقف الكمال متحيراً لديه وأنا وإن لم يقع لي عليه نظر بالعين فسماع الأخبار إحدى الروايتين، ولما توفي والده المرحوم تنصب مكانه مفتي الحنفية بالديار الشامية ونقيب الأشراف بإجماع الخاص والعام وسار فيها أحسن سير وزين بمآثره العلوم النقلية وملك بنقد ذهنه جواهرها السنية فكانت تتيه به على سائر البقاع بقاع الشام ويفتخر به عصره على جميع الليالي والأيام فلاتزال تصدح ورق الفصاحة في ناديها وتسير الركبان بما فيه من المحاسن رائحها وغاديها

ونور فضله باد وموائده ممدودة لكل حاضر وباد، وكان رحمه الله مغرماً بصيد الشوارد وقيد الأوابد واستعلام الأخبار وجمع الآثار وتراجم العصرين على طريق المؤرخين وراسل فضلاء البلدان البعيدة ووصلهم بالهدايا والرغائب العديدة والتمس من كل جمع تراجم أهل بلاده وأخبار أعيان أهل القرن الثاني عشر بحسب وسع همته واجتهاده وكان هو السبب الأعظم الداعي لجمع هذا التاريخ على هذا النسق فإنه كان راسل شيخنا السيد محمد مرتضى والتمس منه نحو ذلك فأجابه لطلبته ووعده بأمنيته، فعند ذلك تابعه بالمراسلات وأتحفه بالصلات المترادفات وشرع شيخنا المرحوم في جمع المطلوب بمعونة الفقير، و لم يذكر السبب الحامل على ذلك وجمع الحقير أيضاً ما تيسر جمعه وذهبت به يوماً وعنده بعض الشاميين فأطلعته عليه، فسر بذلك كثيراً، وطارحني وطارحته في نحو ذلك بسمع من المجالس و لم يلبث السيد إلا قليلاً وأجاب الداعي وتنوسي هذا الأمر شهوراً ووصل نعي السيد الى المترجم والصورة الواقعة، وكانت أوراق السيد مختوماً عليها فعند ذلك أرسل إلي كتاباً وقرنه بهدية على يد السيد محمد التاجر القباقيبي يستدعي تحصيل ما جمعه السيد من أوراقه وضم ما جمعه الفقير وما تيسر ضمه أيضاً وإرساله، وانتقل المترجم بعد ذلك لأمور أوجبت رحلته منها الى حلب الشهباء كما ذكر لي ذلك في مراسلاته في سنة خمس ومائتين وألف وهناك عصفت رياح المنية بروضه الخصيب، وهصرت يد الردى يانع غصنه الرطيب فاحتضر وأحضر بأمر الملك المقتدر لازال جدثه روضة من رياض الجنان ولا برح مجرى لجداول الرحمة والرضوان، وذلك في أواخر صفر من هذه السنة وهو مقتبل الشبيبة، و لم يخلف بعده في الفضائل والمكارم مثله.

ومات الإمام المفوه من غذي بلبان الفضل وليداً وعد لبيد إذا قيس بفصاحته بلدياً من له في المعالي أرومة وفي مغارس الفضل جرثومة الحسين ابن النور على بن عبد الشكور الحنفي الطائفي الحريري الفقه والإنشاء، ويعرف بالمتقي من أولاد الشيخ علي المتقي مبوب الجامع الصغير من أكبر أصحاب الشيخ السيد عبد الله ميرغني ولد بالطائف وبها نشأ، وتكمل في الفنون العرفانية وتدرج في المواهب الإحسانية وأحبه السيد عبد الله وتعلق بأذياله وشرب من صفو الأوهام، وأخذ بالحرمين عن عدة علماء كرام وشارك في العلوم ونافس في المنطوق والمفهوم إلا أنه غلب عليه التصوف وعرف منه ما فيه الكمال والتصرف، وبينه وبين شيخنا العيدروس مودة أكيدة ومحبة عتيدة ومحاورات ومذاكرات وملاطفات ومصافاة، وقد ورد علينا مصر في سنة 1174 وسكن ببيت الشيخ محسن على الخليج، وكان يأتيه السيد العيدروس والسيد مرتضى وغيرهم فأعاد روض الأنس نضيراً وماء المصافاة نميراً ودخل الشام وحلب، وبها أخذ عن جماعة في أشياء منهم السيد اسمعيل امواهبي، فقد عده من شيوخه وأثنى عليه ودخل بلاد الروم وأنعم بالمروم وعاد الى الحرمين وقوض عن الأسفار الخيام.

ولليسد العيدروس قصيدة بائية أرسلها له وهي بليغة مطولة وغير ذلك مطارحات كثيرة، وللمترجم مؤلفات حسان وكلها على ذوق أهل العرفان منها المنظومة التي تعرف بالصلاتية عجيبة وشرحها مزجاً كأصلها على لسان القوم، ولما حج الشيخ التاودي بن سودة كتبها عنه ووصل بها المغرب ونوه بشأنها حتى كتبت منها عدة نسخ، ونوه بشأن صاحبها حتى عين له سلطان المغرب بصرة في كل سنة تصل إليه مع الركب والناس في المترجم مختلفون فمنهم من يصفه بالبراعة والكمال وأولئك الذين رأوا كلامه فبهرهم نظامه ومنهم من يصفه بالحلول عن ربقة الانقياد ويرميه بالحلول والاتحاد، وهو إن شاء الله تعالى مبرأ مما نسب إليه ولما اجتمع به العلامة محمد بن يعقوب بن الفاضل الشمشاري، ونزل في مترله، فكان أنيساً له في سائر

أحواله، قال اختبرته حق الاختبار فلم أجد له إلا لساناً وهو مثار وبعد أشهر تبرم عن ملازمته، واتخذ له حجرة في الحرم وعزل نفسه عنه فالتزم وحكى لي من أموره أشياء غريبة، والمترجم معذور فإن ساداتنا المغاربة ليس لهم تحمل في سماع كلام مثل كلامه لأنهم ألفوا ظاهر الشريعة و لم يدخل على أذهانهم نوادر أهل العرفان ولا تسوروا حصونها المنيعة ولأهل الروم فيه اعتقاد جميل ومواهبهم تصل إليه في كل قليل وكان له ولد يسمى جعفراً ورد علينا مصر في سنة خمس وثمانين، وأقام معنا برهة يغدو إلينا ويبيت ويروح لزيارة بعض أحباب أبيه بمصر ويذهب معنا لبعض المنتزهات إذ ذاك و لم يزل حتى اخترمته المنية سامحه الله و لم يخلف بعده مثله.

سنة سبع ومائتين وألف

استهل المحرم بيوم الخميس والأمر في شدة من الغلاء وتتابع المظالم وخراب البلاد وشتات أهلها وانتشارهم بالمدينة حتى ملؤوا الأسواق والأزقة رجالاً ونساء وأطفالاً يبكون ويصيحون ليلاً ونهاراً من الجوع ويموت من الناس في كل يوم جملة كثيرة من الجوع،

وفيه أيضاً هبط النيل قبل الصليب بعشرة أيام وكان ناقصاً عن ميعاد الري نحو ذراعين فارتجت الأحوال وانقطعت الآمال وكان الناس ينتظرون الفرج بزيادة النيل، فلما نقص انقطع أملهم واشتد كربهم وارتفعت الغلال من السواحل والعرصات وغلت أسعارها عما كانت وبلغ الأردب ثمانية عشر ريالاً والشعير بخمسة عشر ريالاً والفول بثلاثة عشر ريالاً وكذلك باقي الحبوب وصارت الأوقية من الخبز بنصف فضة، ثم اشتد الحال حتى بيع ربع الويبة بريال، وآل الأمر الى أن صار الناس يفتشون على الغلة فلا يجدونها، و لم يبق للناس شغل ولا حكاية ولا سمر بالليل والنهار في مجالس الأعيان وغيرهم إلا مذاكرة القمح والفول والأكل ونحو ذلك، وشحت النفوس واحتجب المساتير وكثر الصياح والعويل ليلاً ونهاراً فلا تكاد تقع الأرجل إلا على خلائق مطروحين بالأزقة، وإذا وقع حمار أو فرس تزاحموا عليه وأكلوه نياً ولو كان منتناً حتى صاروا يأكلون الأطفال، ولما انكشف الماء وزرع الناس البرسيم ونبت أكلته الدودة، وكذلك الغلة فقلب أصحاب المقدرة الأرض وحرثوها وسقوها بالماء من السواقي والنطالات والشواديف واشتروا لها التقاوي بأقصى القيم وزرعوها، فأكله الدود أيضاً، و لم يترل من السماء قطرة ولا أندية ولا صقيع بل كان في أوائل كيهلك شرودات وأهوية حارة ثقيلة و لم يبق بالأرياف إلاالقليل من الفلاحين وعمهم الموت والجلاء.

وفي أواخر شهر ربيع الأول، حضر صالح آغا من الديار الرومية وعلى يده مرسومات بالعفو وثلاث خلع إحداها للباشا والأخريان لابراهيم بك ومراد بك فاجتمعوا بالديوان وقرأوا المرسومات وضربوا مدافع، وأحضر صحبته صالح آغا وكالة دار السعادة وانتزعها من مصطفى آغا واستولى على ملابلها.

وفيه وصلت غلال رومية وكثرت بالساحل فحصل للناس اطمئنان وسكون، ووافق ذلك حصاد الذرة فترل السعر الى أربعة عشر ريالاً الأردب، وأما التبن فلا يكاد يوجد وإذا وجد منه شيء فلا يقدر من يشتريه على إيصاله لداره أو دابته بل يبادر لخطفه السواس وأتباع الأجناد في الطريق، وإذا سمعوا واستشعروا بشيء منه في مكان كبسوا عليه وأخذوه قهراً، فكان غالب مؤونة الدواب قصب الذرة الناشف ويشرح الكثير من الفقراء والشحاذين في نواحي الجسور فيجمعون ما يمكنهم جمعه من الحشيش اليابس والنجيل الناشف ويأتون به ويطوفون به في الأسواق ويبيعونه بأغلى الأثمان ويتضارب على شرائه الناس وإن صادفهم السواس والقواسة خطفوه من على رؤوسهم وأخذوه قهراً.

وفيه وصلت الأخبار بأن علي بك الدفتردار لما سافر من القصير طلع على المويلح وركب من هناك مع العرب الى غزة وأرسل سراً الى مصر وطلب رجلاً نصرانياً من أتباعه فذهب إليه صحبة الهجان بمطلوبات وبعض احتياجات، ولما وصل الى جهة غزة أرسل الى أحمد باشا الجزار يعلمه بوصوله فأرسل لملاقاته خيلاً ورجالاً فذهب إليه وصحبته نحو الثلاثين نفراً لا غير، فلما وصل الى قرب عكا خرج إليه أحمد باشا ولاقاه ووجهه الى حيفا ورتب لهم بها رواتب وأما مراد بك فإنه خرج الى بر الجيزة

من أول السنة وجلس في قصر اسمعيل بك الذي عمره هناك واشتغل بعمل جبخانة وآلات حرب وبارود وجلل وقنابر، وطلب الصناع والحدادين وشرع في إنشاء مراكب وغلايين رومية، وزاد في بناء القصر ووسعه وأنشأ به بستاناً عظيماً وغير ذلك وسافر عثمان بك الشرقاوي الى ثغر الاسكندرية وجبى الأموال في طريقه من البلاد.

وفي يوم الأربعاء سابع عشرين ربيع الآخر وخامس كيهك القبطي، أمطرت السماء مطراً متوسطاً وفرح به الناس.

وفي يوم السبت غرة جمادى الأولى، عدى مراد بك من بر الجيزة فدخل الى بيته وأخبروا عن عثمان بك الشرقاوي أنه رجع الى رشيد ثم في رابعه حضر المذكور الى مصر،

وفي ليلة الخميس، خرج مراد بك وابراهيم بك وباقي أمرائهم الى جهة العادلية فأقاموا أياماً قليلة، ثم ذهب مراد بك الى ناية أبو زعبل وكذلك ابرهيم بك الوالي وصحبته جماعة من الأمراء الى ناحية الجزيرة في وقت خروجهم نهب أتباعهم ما صادفوه من الدواب وصاروا يكبسون الوكائل التي بباب الشعرية ويأخذون ما يجدونه من جمال الفلاحين السفارة وحميرهم نهباً، فأما مراد بك فإنه لما وصل الى أبو زعبل وجد هناك طائفة من عرب الصوالحة في خيشهم لا جنية لهم فنهبهم وأخذ أغنامهم ومواشيهم وقتل منهم نحو خمسة وعشرين شخصاً ما بين غلمان وشيوخ، وأقام هناك يوماً وقبض على مشايخ البلد أبي زعبل وحبسهم وقرر عليهم غرامة أحد عشر ألف ريال و لم يقبل فيهم شفاعة أستاذهم وشتمه وضربه بالعصا وأما عرب الجزيرة فإنهم ارتحلوا من أماكنهم.

وفي شهر شعبان وقع الاهتمام بسد خليج الفرعونية بسبب احتراق البحر الشرقي ونضوب مائه وظهرت بالنيل كيمان رمل هايلة من حد المقياس الى البحر المالح وصار البحر الغربي سلسلو جدول تخوضه الأولاد الصغار ولا يمر به إلا صغار القوارب، وانقطع الجالب من جميع النواحي إلا ما تحمله المراكب الصغار بأضعاف الأجرة، وتعطلت دواوين المكوس فأرسلوا الى سد الترعة رجلاً مسلماني وصحبته جماعة من الإفرنج وأحضروا الأخشاب العظيمة، ورتبوا عمل السد قريباً من كفر الخضرة وركبوا آلات في المراكب، ودقوا ثلاث صفوف خوابير من أخشاب طوال، فلما أتموا ذلك كانت اصناع فرغت من تطبيق ألواح في غاية الثخن شبه البوابات العظام وهي مسمرة بمسامير عظيمة ملحومة بالرصاص وصفائح الحديد مثقوبة بثقوب مقاسة على ما يوازيها من نجوش منجوشة بالخوابير المركوزة في الماء، فإذا نزلوا ببوابة ألحموها بتلك الخوابير وتبعتهم الرجال بالجوابي المملوءة بالحصا والرمل من أمام ومن خلف وتبع ذلك الرجال الكثرة بغلقان الأتربة والطين، ففعلوا ذلك حتى قارب التمام و لم يبق إلا اليسير، ثم حصل الفتور في العمل بسبب أن المبرش على ذلك أرسل لمراد بك بالحضور وليكون إتمامها بحضرته ويخلع عليه ويعطيه ما وعده به من الأنعام، فلم يحضر مراد بك وغلبهم الماء وتلف جانب من العمل، وكان أيوب بك الصغير حاضراً وفي نفسه أن لا يتم ذلك لأجل بلاده فأصبح مرتحلاً، وتركوا العمل وانفض الجمع وقد أقام العمل في ذلك من أوائل شعبان الى أواسط شوال، ثم نزل إليها جماعة آخرون وطبوا جملة مراكب موسوقة بالأحجار وشرعوا في عمل سد المكان القديم عن فم الترعة ودقوا أيضاً خوابير كثيرة وألقوا أحجاراً عظيمة وفرغت الأحجار فأرسلوا بطلب غيرها، فلم تسعفهم القطاعون فشرعوا في هدم الأبنية القديمة والجوامع التي بساحل النيل وقلعوا أحجار الطواحين التي بالبلاد القريبة من العمل، واستمروا على ذلك حتى قويت الزيادة و لم يتم العمل ورجعوا كالأول وذهب في ذلك من الأموال والغرامات والسخرات وتلف من المراكب والأخشاب والحديد ما لا يحد ولا يعد، وفي أوائل شوال ورد الخبر بأن علي بك سافر من عند أحمد باشا

الى اسلامبول صحبة قبجي معين فلما قرب من اسلامبول أرسلوا من وجهه الى برصا ليقيم بها ورتبوا له كفايته في كل شهر خمسمائة قرش رومي.

من مات في هذه السنة ممن له ذكر

مات السيد الإمام العارف القطب عفيف الدين أبو السيادة عبد الله ابن ابراهيم بن حسن بن محمد أمين بن علي ميرغني بن حسن بن مير خورد ابن حيدر بن حسن بن عبد الله بن علي بن حسن بن أحمد بن علي بن ابراهيم ابن يحيى بن عيسى بن أبي بكر بن علي بن محمد بن اسمعيل ابن ميرخورد البخاري بن عمر بن علي بن عثمان بن علي المتقي بن الحسن بن علي الهادي ابن محمد الجواد الحسيني المتقي المكي الطائفي الحنفي الملقب بالمحجوب، ولد بمكة وبها نشأ وحضر في مباديه دروس بعض علمائها كالشيخ النخلي وغيره واجتمع بقطب زمانه السيد يوسف المهدلي وكان إذ ذاك أوحد عصره في المعارف فانتسب إليه ولازمه حتى رقاه، وبعد وفاته جذبته عناية الحق وأرته من المقامات ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فحينئذ انقطعت الوسايط وسقطت الوسائل، فكان أويسياً تلقيه من حضرة جده صلى الله عليه وسلم كما أشار الى ذلك شيخنا السيد مرتضى عندما اجتمع به بمكة في سنة 1163 وأطلعه على نسبه الشريف وأخرجه إليه من صندوق، قال: وطلبت منه الإجازة وإسناد كتب الحديث، فقال: غني عنه: قال فعلمت أنه أويسي المقام ومدده من جده عليه الصلاة والسلام وانتقل الى الطائف بأهله وعياله في سنة ست وستين وشرف تلك المشاهد ومآثر شهيرة ومفاخرة كثيرة وكراماته كالشمس في كبد السماء وكالبدر في غيهب الظلماء وأحواله في احتجابه عن الناس مشهورة وأخباره في زهده عن الدنيا على ألسنة الناس مذكورة، ومن مؤلفاته كتاب فرائض وواجبات الإسلام لعامة المؤمنين والكوكب الثاقب وشرحه وسماه رفع الحاجب عن الكوكب الثاقب، وله ديوانان متضمنان لشعره أحدهما المسمى بالعقد المنظم على حروف المعجم والثاني عقد الجواهر في نظم المفاخر ومنها المعجم الوجيز في أحاديث النبي العزيز صلى الله عليه وسلم اختصره من الجامع وذيله وكنوز الحقائق والبدر المنير وهو في أربعة كراريس وقد شرحه العلامة سيدي محمد الجوهري وقرأه دروساً، ومنها شرح صيغة القطب بن مشيش ممزوجاً وهو من غرائب الكلام ومنها مشارق الأنوار في الصلاة والسلام على النبي المختار، توفي رضي الله عنه في هذه السنة.

ومات الشيخ الفاضل الصالح أحمد بن يوسف الشنواني المصري الشافعي المكنى بأبي العز المكتب الخطاط ويعرف أيضاً بحجاج وأمه الشريفة خاصكية ابنة القاضي جلبي بن أحمد العراقي من ذرية القطب شهاب الدين العراقي دفين شنوان الغرف بالمنوفية، حفظ القرآن وجوده على الشيخ أحمد بن اسمعيل الأفقم ومهر فيه، وأجيز فنسخ بيده كثيراً من المصاحف ونسخ الدلائل والكتب الكبار منها الإحياء للغزالي والأمثال للميداني، وانتفع الناس به طبقة بعد طبقة وفي غضون ذلك تردد على جملة من الشيوخ كالشهابين الملوي والجوهري وأخذ عنهما أشياء والشمس الحفني والشيخ حسن المدابغي ومحمد بن النعمان الطائي في آخرين وأحبوه، وجاور بالحرم سنة، ثم عاد الى مصر، ولازم معنا كثيراً على شيخنا السيد مرتضى في حضور الحديث فسمع البخاري بطرفيه ومسلماً بطرفيه وسنن أبي داود الى قريب ثلثيه وغالب الشمائل للترمذي وثلاثيات البخاري وثلاثيات الدارمي والحلية لأبي نعيم من أوله الى مناقب العشرة وأجزاء كثيرة بحدودها في ضمن إجازته بأسانيدها وكان نعم الرجل صحبة وديانة

وحفظاً للنوادر من الأشعار والحكايات، وأصيب المترجم بكريمتيه عوضه الله دار الثواب من غير سابقة عذاب ولا عتاب، توفي في سابع عشرين جمادى الأولى من السنة.

ومات الإمام الفقيه المحدث البارع المتبحر عالم المغرب الشيخ أبو عبد الله محمد بن الطالب بن سودة المري الفاسي التاودي، ولد بفاس سنة 1128 وأخذ عن أبي عبد الله محمد بن عبد السلام بناني الناصري شارح الاكتفاء والشفاء ولامية الزقاق وغيرها والشهاب أحمد بن عبد العزيز الهلالي السجلماسي قرأ عليهما الموطا وغيره والشهاب أحمد بن مبارك السجلماسي اللمطي، قرأ عليه المنطق والكلام والبيان والأصول والتفسير والحديث وكان في أكثرها هو القارئ بين يديه مدة مديدة، وأذن له في إقراء الصحيح في حياته فألقى دروساً بين يديه، وكان يوده ويسر به ويقدمه على سائر الطلبة، ولما توفي ليلة الجمعة تاسع عشر جمادى الأولى سنة خمس وخمسين ومائة وألف بالطاعون تزاحم ذو الوجاهات فيمن يلحده في قبره فكان الشيخ هو المتولي لذلك دون غيره وتلك كرامة له ورضوا بذلك، قال: وكلمته يوماً في شأن الحج متمنياً له ذلك فقال لي مشيراً الى شيخه سيدي عبد العزيز الدباغ، إن الناس قالوا لي جعلناك في حق فلا تخرج من هذه البلدة وأنت ستحج وأعطيك ألف دينار وألف مثقال إن شاء الله تعالى، قال: و لم تك نفسي تحدثني بالحج يومئذ و لم يخطر ببال، ومنهم الفقيه المتواضع صاحب التآليف أبو عبد الله محمد ابن قاسم جسوس لازمه مدة وقرأ عليه كتباً منها رسالة بن أبي زيد ومختصر خليل ثلاث ختمات مع مطالعة شروح وحواش والحكم والشمائل وجميع الصحيح من غير فوت شيء منه، ومنهم حافظ المذهب الفقيه القاضي أبو البقاء يعيش بن الزغاوي الشاوي قرأ عليه رجز بن عاصم ولامية الزقاق وطرفاً من الصحيح توفي سنة 1150، كان مترله بالدوخ في أطراف المدينة فترل به اللصوص ليلاً فدافع عن حريمه وقاتلهم حتى قتل شهيداً رحمه الله، ومنهم قاضي الجماعة ومفتي الإمام أبو العباس أحمد بن أحمد الشدادي الحسني قرأ عليه المختصر الخليلي من أوله الى الوديعة أو العارية، وسمع عليه بعض التفسير من أوله ومنهم الفقيه الزاهد القاضي أبو عبد الله محمد بن أحمد التماق قرأ عليه رسالة ابن أبي زيد والحكم والتفسير من أوله الى سورة النساء، ومنهم الإمام الناسك الزاهد أبو عبد الله محمد بن جلون قرأ عليه الآجرومية وختم عليه الألفية مرتين والمختصر الخليلي من أوله الى اليمين، و لم يكن له نظير في الضبط والإتقان والتحرير، وهو أول شيخ أخذ عليه وذلك قبل البلوغ وكان إذا قام من دروسه عرض على نفسه ما قاله فيجده لا يدع منه حرفاً واحداً ومنهم سيبويه زمانه أبو عبد الله سيدي محمد ابن الحسن الجندوز قرأ عليه الألفية فكان يملي من حفظه في أثنائه الشروح والحواشي وشروح الكافية والتسهيل والرضى والمعنى والشواهد وغير ذلك مما يستجاد ويستغرب، وقرأ عليه السلم والتلخيص ومن إنصافه أنه لما قرب أواخره بلغه أن الشيخ بن مبارك يريد أن يقرأه فقام مع جماعة، وذهب إليه ليسمع منه وهذا من حسن إنصافه واعترافه بالحق ومنهم أبو العباس أحمد بن علال الوجاري قرأ عليه الألفية بلفظه ثلاث مرات وشيئاً من التسهيل والمغني، وقد ذكر له بعض الشيوخ عن ابن هشام أنه قرأ الألفية ألف مرة، فقال له بعض من سمعه: وكم قرأتها؟ قال: أما المائة فجزتها، فهؤلاء عشرة شيوخ كذا لخصتها من إجازة المترجم للشيخ أحمد ابن علي بن عبد الوهاب بن الحاج الفاسي في تاسع جمادى الثانية سنة ثلاث وألف، وحج المترجم فقدم مصر سنة إحدى وثمانين ورجع سنة 1182 وعقد درساً حافلاً بالجامع الأزهر برواق المغاربة فقرأ الموطأ بتمامه وحضره غالب الموجودين من العلماء، وأجاد في تقريره وأفاد وسمع عليه الكثير أوائل الكتب الستة والشمائل والحكم

وغيرها وأجاز، ولقي بمكة أبا زيد عبد الرحمن بن أسلم اليمني وأبا محمد حسين بن عبد الشكور صاحب الشيخ عبد الله الميرغني والشيخ ابراهيم الزمزمي وغيرهم وبالمدينة أبا عبد الله محمد بن عبد الكريم السمان وأبا الحسن السندي وعبد الله جعفر الهندي وغيرهم، وأجازوه وأجازهم وعاد الى مصر واجتمع بفاضلها كالجوهري والصعيدي وحسن الجبرتي والطحلاوي والسيد العيدروس والشيخ محمود الكردي وعيسى البراوي والبيومي والعربان وعطية الأجهوري وكان صحبته ولداه سيدي محمد وهو الأكبر وسيدي أبو بكر خالي العذار جميل الصورة وتردد على الشيخ الوالد كثيراً وتلقى عنه بعض الرياضيات وترك عنده ولديه المذكورين مدة

إقامته بمصر، فكنا نطالع معهما سوية صحبة الشيخ سالم القيرواني والشيخ أحمد السوسي ونسهر غالب الليل نراعي المطالع والمغارب وممرات الكواكب بالسطح حذاء خيط المساترة، ونراجع الشيخ فيما يشكل علينا فهمه وهو معنا في ناحية أخرى وأوقفت سيدي أبا بكر على طريق رسم ربع الدائرة المقنطر والمجيب، توفي سيدي محمد بفاس سنة 1192، ومن تآليف المترجم حاشية قوله وأرخه الى آخره ابتداء التاريخ من الزاي الى زج مع حساب السنين بثلاثمائة على قاعدة المغاربة، إلا أنه يزيد واحداً عن سنة الوفاة فلعله مات سنة أربع وتسعين ومائة وألف كما يظهر ذلك بحساب التاريخ على البخاري في أربع مجلدات، وحاشية على الزرقاني شارع خليل، وشرحان على الأربعين النووية ومناسك حج، وشرح الجامع لسيدي خليل وشرح تحفة بن عاصم في القضاء والأحكام، والمنحة الثابتة في الصلاة الفائتة وفتح المتعال فيما ينتظم منه بيت المال، وحاشية على بن جزي المفسر، وحاشية على البيضاوي لم تكمل، وشرح المشارق للصاغاني ومنظومة فيما يختص بالنساء، وكلفه سلطان المغرب خطة القضاء في سنة 1203 فقبلها كرهاً وكانت فتاويه مسددة وأحكامه مؤيدة مع غاية التحرز والصيانة والإتقان، وبالجملة فكان عين الأعيان في عصره ومصره شهير الذكر وافر الحرمة مهيب الصورة يغلب جلاله على جماله قليل التبسم، ولما توفي مولاي محمد سلطان المغرب ووقع الاختلاف والاضطراب بين أولاده اجتمع الخاصة والعامة على رأي المترجم فاختار المولى سليمان وبايعه على الأمر بشرط السير على الخلافة الشرعية والسنن المحمدية، وبايعه الكافة بعده على ذلك وعلى نصرة الدين وترك البدع والمظالم والمكوس والمحارم وكان كذلك ولم يزل المترجم على طريقته الحميدة حتى توفي في هذه السنة، وتوفي بعده ابنه سيدي أبو بكر في سنة عشر ومائتين وألف،

ومات الإمام العلامة والوجيه الفهامة الشيخ أحمد بن محمد بن جاد الله ابن محمد الخناني المالكي البرهاني وجده الأخير يعرف بأبي شوشة وله مقام يزار بأم خنان بالجيزة نشأ في طلب العلم وحضر أشياخ الوقت ولازم السيد البليدي وصار معيداً لدروسه بالأزهر والأشرفية وانتفع بملازمته له انتفاعاً كلياً وانتسب إليه وأجازه إجازة مطولة بخطه، ونوه بشأنه، فلما توفي شيخه المذكور تصدر لإقراء الحديث مكانه بالمشهد الحسيني واجتمع عليه الناس وحضره من كان ملازماً لحضور شيخه من تجار المغاربة وغيرهم واعتقدوا صلاحه وتحبب إليهم وواسوه بالصلاة والزكوات والنذور وواظب الإقراء بالأزهر أيضاً وزيارة مشاهد الأولياء وإحياء لياليها بقراءة القرآن والذكر ويقوم: دائماً من الثلث الأخير من الليل ويذهب الى المشهد الحسيني ويصلي الصبح بغلس في جماعة، وزاد اعتقاد الناس فيه واتسعت دنياه مع المداومة على استجلابها وإمساكها، وبآخره اشترى داراً عظيمة بحارة كنامة المعروفة الآن بالعينية بالقرب من الأزهر وانتقل إليها وسكنها، وكان يخرج لزيارة قبور المجاورين في كل يوم جمعة قبل الشمس فترل العرب في بعض الجمع الى بين الكيان فأراد الهروب وكان جسيماً فسقط من على بغلته على

خربته فانكسر زره وحمل الى داره وعالج نفسه شهوراً حتى عوفي قليلاً، و لم يزل تعاوده الأمراض حتى توفي رحمه الله وما رأيته قط إلا وهو يتلو قرآناً أو يطالع كتاباً سامحه الله تعالى.

ومات الإمام الفاضل الصالح النجيب المفوه الناجح الشيخ محمد ابن أحمد بن خضر الخربتاوي المالكي الأزهري قرأ على والده وحضر دروس شيخنا الشيخ علي العدوي الصعيدي وبه تخرج وأنجب في العلوم وله سليقة جيدة في النثر والنظم وحصل كتباً نفيسة المقدار زيادة على الذي ورثه من والده، وله محبة في آل البيت ومدائح كثيرة، وهو ممن قرظ على شرح القاموس لشيخنا السيد محمد مرتضى تقريظاً بديعاً، و لم يزل المترجم مقبلاً على شأنه مواظباً على دروسه حتى توفي في هذه السنة رحمه الله.

ومات الأجل الصالح الناسك المسلك العارف الشيخ محمد بن عبد الحافظ أفندي أبو ذاكر الخلوتي الحنفي أخذ الطريق عن السيد مصطفى البكري والشيخ الحفني وحضر الفقه على العلامة الشيخ محمد الدلجي والشيخ أحمد الحماقي وأدرك الإسقاطي والمنصوري و لم يتزوج قط، وكف بصره سنة 1181 وانقطع في بيته إحدى وعشرين سنة بمفرده وليس عنده قريب ولا غريب ولا جارية ولا عبد ولا من يخدمه في شيء مطلقاً، وبيته متسع جهة التبانة وبابه مفتوح دائماً، وعنده الأغنام والدجاج والإوز والبط والجميع مطلوقون في الحوش وهو يباشر علفهم وإطعامهم وسقيهم الماء بنفسه ويطبخ طعامه بنفسه وكذلك يغسل ثيابه، واشتهر في الناس بأن الجن تخدمه وليس ببعيد لأنه كان من أهل المعارف والأسرار، ويأتي إليه الكثير من الطلبة للأخذ عنه والتلقي منه وكان له يد طولى في كل شيء ومشاركة جيدة في العلوم والمعارف والأسماء والروحانيات والأوفاق واستحضار تام في كل ما يسأل عنه، وعنده عدة كثيرة من السنانير ويعرفها بالواحدة بأسمائها وأنسابها وألوانها ويقول هذه تحفة بنت بستانة وهذه كمونة بنت ياسمين وهذه فلانة أخت فلانة الى غير ذلك، توفي رحمه الله تعالى في شهر شوال من هذه السنة.

ومات الإمام العلامة والرحلة الفهامة المعمر المتقدم الشيخ مصطفى المرحومي الشافعي ولد بمحلة المرحوم بالمنوفية وقرأ القرآن وحفظه وجوده، وحضر الى مصر المتون وتفقه على الأشياخ المتقدمين كالدفري والمدابغي والشيخ علي قايتباي والملوي والحفني وغيرهم ومهر في المعقول والمنقول وأملى الدروس بالأزهر وجامع أزبك وانتفع به الناس، وكان يتردد الى بيوت بعض الأعيان ويحبونه ويكرمونه ويستفيدون من فوائده ونوادره وكان له حافظة واستحضار للمناسبات والأشعار واللطائف لا يمل حديثه ومفاكهته، توفي في هذه السنة رحمه الله.

ومات الإمام العلامة الفقيه النحوي الأصولي الجدلي النحرير الفصيح المتقن المتفنن الشيخ علي الشهير بالطحان الأزهري المصري، حضر شيوخ العصر ولازم الشيخ الملوي والجوهري وكان معيد الدروس الأخير وبه تخرج وكان يقرأ الكتب ويقرر الدروس بدون مطالعة إلا أنه كان يغلب عليه الملل والسآمة وحب البطالة غالب أيامه ولا يتعفف عن الدنيا من أي وجه كان ويطلبها وإن قلت، وكانت سليقته جيدة في النثر والنظم، وله منظومة في الفقه ومنظومة في المنطق ومنظومتان في التوحيد كبرى وصغرى ومنظومة في العروض ومنظومة في البيان ومنظومة في الطب وله لاميتان على محاكاة لأمية بن الوردي كبرى الملوي على السمرقندية، توفي في أواخر شعبان من السنة.

ومات الإمام العلامة النبيه الوجيه الفاضل المستعد الشيخ يوسف ابن عبد الله بن منصور الينبلاويني الشهير برزه الشافعي تفقه

على بلدية الشيخ أحمد رزة وحضر دروس الشيخ الحفني والشيخ البراوي والشيخ عطية والشيخ الصعيدي وغيرهم من الأشياخ، وأنجب ودرس وأفاد ولازم الإقراء وكان إنساناً وجيهاً وحتشماً ساكن الجأش وقوراً بهي الشكل قانعاً بحاله لا يتداخل كغيره في أمور الدنيا مجمل الملابس لا يزيد على ركوب الحمار في بعض الأحيان لبعض الأمور الضرورية و لم يزل حتى تعلل وتوفي في هذه السنة رحمه الله تعالى.

ومات العلامة المفيد المفوه المجيد الشيخ عبد الرحمن بن علي بن الإمام العلامة عبد الرؤوف البشبيشي نشأ في حجر والده وحفظ القرآن، وحضر الأشياخ وتفقه في مذهب أبيه وجده وهم شافعيون واجتمع بالشيخ الوالد ولازمه ملازمة كلية وحضر عليه في مذهب أبي حنيفة وحفظ كثيراً من الفروع الغريبة في المذهب والرياضيات وأقرأني في حال الصغر شيئاً من القرآن وحروف الهجاء، وكان به بعض رعوته فانتقل الى مذهب أبي حنيفة وأخبر الوالد بذلك يظن سروره في انتقاله فلامه على فعله وانحط قدره عنده من ذلك الوقت، وذلك بعد موت والده في سنة 1187، وأملق حاله وتكدر باله وسافر بآخره الى دمياط وأقام بها مدة يفتي على مذهب الحنفية وراج أمره هناك لشغور الثغر عن مثله، ثم قدم مصر لأمر عرض له فأقام بمصر وأراد بيع داره ليصرف ثمنها في شؤونه فلم يجد من يشتريها بالثمن المرغوب وكان إنساناً حسناً يذاكر بفوائد مع حسن المعرفة وصحة الذهن، وربما تعلق ببعض فنون غريبة، ولذا قل حظه، رحمه الله في هذه السنة وحيداً في داره وهو جالس.

ومات المجذوب المعتقد السيد علي البكري أقام سنيناً متجرداً ويمشي في الأسواق عرياناً ويخلط في كلامه وبيده نبوت طويل يصحبه معه في غالب أوقاته، وقد تقدم ذكره وذكر المرأة التي تبعته المعروفة بالشيخة أمونة وكان يحلق لحيته وللناس فيه اعتقاد عظيم وينصتون الى تخليطاته ويوجهون ألفاظه ويؤلونها على حسب أغراضهم ومقتضيات أحوالهم ووقائعهم، وكان له أخ من مساتير الناس فحجر عليه ومنعه من الخروج وألبسه ثياباً ورغب الناس في زيارته وذكر مكاشفاته وخوارق كراماته، فأقبل الناس عليه من كل ناحية وترددوا لزيارته من كل جهة وأتوا إليه الهدايا والنذور وجروا على عوائدهم في التقليد، وازدحم عليه الخلائق وخصوصاً النساء فراج بذلك أمر أخيه واتسعت دنياه ونصبه شبكة لصيده ومنعه من حلق لحيته، فنبتت وعظمت وسمن بدنه وعظم جسمه من كثرة الأكل والراحة، وقد كان قبل ذلك عرياناً شقياناً يبيت غالب لياليه بالجوع طاوياً من غير أكل بالأزقة في الشتاء والصيف، وقيد به من يخدمه ويراعيه في منامه ويقظته وقضاء حاجته، ولايزال يحدث نفسه ويخلط في ألفاظه وكلامه وتارة يضحك وتارة يشتم ولابد من مصادفة بعض الألفاظ لما في نفس بعض الزائرين وذوي الحاجات فيعدون ذلك كشفاً واطلاعاً على ما في نفوسهم وخطرات قلوبهم ويحتمل أن يكون كذلك، فإنه كان من البله المجاذيب المستغرقين في شهود حالهم وسبب نسبتهم هذه أنهم كانوا يسكنون بسويقة البكري لا أنهم من البكرية، و لم يزل هذا حاله حتى توفي في هذه السنة، واجتمع الناس لمشهده من كل ناحية ودفنوه بمسجد الشرايبي بالقرب من جامع الرويعي في قطعة من المسجد، وعملوا على قبره مقصورة ومقاماً يقصد للزيارة واجتمع عند مدفنه في ليال وميعادات قراء ومنشدون، وازدحم عند أصناف الخلائق ويختلط النساء بالرجال، ومات أخوه أيضاً بعده بنحو سنتين.

ومات الوجيه المكرم والنبيه المفخم مصطفى بن صادق أفندي اللازجي الحنفي، ولد سنة 1174 ونشأ في حجر والده وحفظ القرآن وبعض المتون في صغره وحفظ البرجلي والشاهدي ومهر في اللغة التركية، وتفقه على أبيه وقرأ عليه علم الصرف

وحضر على بعض الأشياخ ولازم الشيخ محمد الفرماوي وأخذ عنه النحو وقرأ عليه مختصر السعد وغيره برواق الجيرت بالأزهر، ثم تصدر للإفادة والمطالعة لطلبة الأتراك المجاورين برواق الأروام ولبس له تاجاً وفراجة وعمل له مجلس وعظ على كرسي بالجامع المؤيدي وذلك قبل نبات لحيته وكان وسيماً جسيماً بهي الطلعة أبيض اللون رابي البدن فاجتمع لسماع وعظه ومشاهدة ذاته كثير من الناس من أبناء العرب والأتراك والأمراء والأجناد فيقرر لهم بالعربي والتركي بفصاحة وطلاقة لسان، وممن كان يحضره علي آغا مستحفظان وهام فيه وأحبه وصار يتردد إليه كثيراً ويذهب هو أيضاً الى داره كثيراً، وكان والده متولياً على وقف اسكندر ومشيخة التكية بباب الخرق فكان هو المتكلم على ذلك عوضاً عن أبيه، واتفق أنه حاسب المباشر على ذلك وهو الشيخ أحمد الصفطة وطالبه بما تأخر عليه فما طلبه فأغرى به علي آغا المذكور فطلب الشيخ أحمد المذكور ونكل به وشهره وعلقه على شباك السبيل بباب الخرق بقاووقه وهيئته واجتمع الناس للفرجة عليه يوماً كاملاً ثم أطلقه، فاشتهر أمر المترجم وهابه الناس وأكثر من التراداد الى بيوت الأمراء وعظموه وأحبوه وأكرموه لاتحاد الجنسية وارتباط الحيثية، ولما توفي مصطفى أفندي شيخ رواقهم انتبذ هو لطلب المشيخة وذهب الى مراد بك فألبسه فروة على مشيخة الرواق فتعصب أهل الرواق وأبوا مشيخته عليهم لحداثة سنه، واجتمعوا وذهبوا الى مراد بك فزجرهم ونهرهم وطردهم فرجعوا بقهرهم وسكتوا، واستمر شيخاً عليهم يأتي الى الرواق في كل يوم ويقرأ لهم الدرس كما كان من قبله واشتهر ذكره وعظمت لحيته وصار ذا وجاهة عظيمة، وسكن داراً عظيمة جهة التبانة من وقف رواقهم ودعا إليه الأعيان والأكابر وعمل لهم ولائم وقدم لهم التقادم والهدايا واحتفل به مصطفى آغا الوكيل وسعى له في أشغاله وكاتب الدولة في شأنه فأرسلوا له مرتباً بالضربخانة وقدره مائة وخمسون نصفاً في كل يوم واتسع حاله وأقبلت عليه الدنيا من كل جهة، ومات أبوه في سنة أربع ومائتين وألف، وكان ذا مكنة وحرص فأحرز مخلفاته أيضاً وباع تركته وكان سليط اللسان في حق الناس، فاتفق له أنه لما حضر حسن باشا الى مصر فحضر مرة الى زيارة المشهد الحسيني وجلس مع الشيخ السادات والشيخ البكري فدخل عليهم المترجم فجلس هنيهة ثم قام، فسأل عنه حسن باشا فأخبره الشيخ السادات عن أحواله وتكلمه في حق الناس فأمر بنفيه، فانزعج عليه والده ثم ذهب الى حسن باشا وكلمه فرق له ورحم شيبته وأمر برد ابنه فرجع من ليلته ولم يزل يستعى ويتحيل حتى أحضر حسن باشا الى داره وجدد معه صداقة وصحبة حتى كاد أن يأخذه صحبته، ولم يزل في فوعته وفورته حتى غار ماء حياته وانغلق عن الفتح باب قبره عند مماته وهو مقتبل الشبيبة في هذه السنة.

ومات الشيخ المحترم المبجل الشيخ أحمد بن الإمام العلامة سالم النفراوي المالكي، نشأ في حجر والده في رفاهية وتنعم ورياسة، ولما مات والده تعصب له الشيخ عبد الله الشبراوي وحاز له وظائف والده وتعلقاته وأجلسه للإقراء في مكان درس أبيه وأمر جماعة أبيه بالحضور عليه وكان الشيخ علي الصعيدي من أكبر طلبة أبيه فتطلع للجلوس في محله، وكان أهلاً لذلك، فعارضه الشيخ الشبراوي وأقصاه وصدر ولده لذلك مع قلة بضاعته ولثغة في لسانه فحقد ذلك في نفس الشيخ الصعيدي سنيناً وكان المترجم ذا دهاء ومكر وتصدى للقضايا والدعاوي، واتخذ له أعواناً واشتهر ذكره وعد من الكبار وترددت إليه الأمراء والأعيان وصار ذا صولة وهيبة ولما ظهر شأن علي بك كان يرعى له حقه وحالته التي وجده عليها ويقبل شفاعته ويكرمه، حتى أنه كان يأتي إليه بداره التي بالجيزة، فلما مات علي بك وانتقلت الرياسة الى محمد بك وكان له عناية بالشيخ الصعيدي

ويسمع لقوله وكان السيد محمد بدوي بن فتيح القباني مباشر المشهد الحسيني يعلم كراهة الشيخ الصعيدي الباطنية للمترجم فيرصد الوقت الذي يحضر فيه الشيخ الصعيدي عند الأمير ويفتح مذاكرته والتكلم في حقه، فيساعده الشيخ ويظهر المكمون في نفسه من المترجم ويذكرون مساويه وقبائحه وما بيده من الوظائف بغير حق وما تحت نظارته من الأوقاف المتخربة، حتى أوغروا صدر الأمير عليه فترع منه وظائفه وفرقها على من أشاروا عليه بتقليده إياها وأهانه، فعند ذلك تسلطت عليه الألسن وكثرت فيه الشكاوى وتجاسر عليه الأنذال وتطاول عليه الأرذال وهدموا بيته الذي بالجيزة لأنه كان تعدى في بنائه وأخذ قطعة من الطريق التي يسلك منها الناس، فعند ذلك خمل ذكره وبرد أمره واستمر على ذلك حتى توفي في هذه السنة غفر الله له وسامحه بمنه وكرمه.

سنة ثمان ومائتين وألف

فيها أوفى النيل أذرعه في سادس عشر المحرم الموافق لثامن عشر مسرى القبطي وأول برج السنبلة، وفيها انحلت الأسعار وبورك في رمي الغلال حتى أن الفدان الواحد زكا بقدر خمسة أفدنة وبلغ النيل الى الزيادة المتوسطة وثبت الى أول بابه وشمل الماء غالب الأرض بسبب التفات الناس لسد المجاري وحفر الترع وإصلاح الجسور.

وفي أوائل شهر صفر، وصل قابجي من الديار الرومية بطلب مال المصلحة والحلوان فأنزلوه في دار وهادوه ورتبوا له مصروفاً.

ومن الحوادث أن الناس انتظروا جاويش الحاج وتشوفوا لحضوره و لم يذهب إليهم في هذه السنة ملاقاة بالوش ولا بالاز لم وأرسل ابراهيم بك هجاناً يستخبر عن الحجاج فذهب ورجع ليلة الثالث والعشرين من شهر صفر وأخبر أن العرب تجمعوا على الحج من سائر النواحي عند مغاير شعيب ونهبوا الحجاج وكسروا المحمل وأحرقوه وقتلوا غالب الحجاج والمغاربة معهم، وأخذوا أحمالهم ودوابهم ونهبوا أثقالهم، وانجرح أمير الحج وأصابه ثلاث رصاصات وغاب خبره ثلاثة أيام ثم أحضره العرب وهو عريان في أسوأ حال وأخذوا النساء بأجمالهن والذي تبقى منهم أدخلوه الى قلعة العقبة وتركهم الهجان بها من غير ماء ولا زاد، فنزل بالناس من الغم والحزن تلك الليلة ما لا مزيد عليه، ثم إنهم عينوا محمد بك الألفي وعثمان بك الأشقر ليسافرا بسبب ذلك فخرجا في يوم الخميس سابع عشرين صفر وخطف أتباعهم في ذلك اليوم ما صادفوه من الجمال والبغال والحمير وقرب السقائين التي تنقل الماء من الخليج ونهبوا الخبز من الطوابين والمخابز والكعك والعيش من الباعة، وفي يوم خروجهم وصل جماعة من الحجاج ودخلوا في أسوأ حال من العري والجوع والتعب فلما وصلوا الى نخل تلاقوا مع باقي الحجاج على مثل ذلك ووجدوا أمير الحاج ذهب الى غزة وصحبته جماعة من الحجاج وأرسل يطلب الأمان، و لم يزوروا المدينة في هذه السنة وأرسل من صرة المدينة اثنين وثلاثين ألف ريال مع عرب حرب ضاع في هذه الحادثة من الأموال والمخزوم شيء كثير جداً وأخبروا أن مواسم هذا العام كان من أعظم المواسم لم يتفق مثله من مدة مديدة، وفي يوم الإثنين غرة ربيع الأول، دخل باقي الحجاج على مثل حالة من وصل منهم قبل ذلك،

وفي صبحها يوم الثلاثاء، عملوا الديوان بالقلعة واجتمع الأمراء والوجاقلية والمشايخ وقرئ المرسوم الذي حضر بصحبة الآغا فكان مضمونه طلب الحلوان والخزينة وقدر ذلك تسعة آلاف وأربعمائة كيس وعشرة آلاف وخمسة وأربعون نصفاً فضة تسلم ليد الآغا المعين من غير تأخير.

وفيه عملوا على زوجات أمير الحاج ثلاثين ألف ريال وأرسلوا الى بيت حسن كاشف المعمار فأخذوا ما فيه من الغلال وغيرها لأنه قتل في معركة العرب مع الحجاج وألبسوا زوجته الخاتم قهراً عنها ليزوجوها لمملوك من مماليك مراد بك وهي بنت علي آغا المعمار ووجدت على زوجها وجداً عظيماً وأرسلت جماعة لإحضار رمته من قبره الذي دفن فيه في صندوق على هيئة تابوت.

وفيه شرع الأمراء في عمل تفريدة على البلاد بسبب الأموال المطلوبة وقرروها عال وهو أربعمائة ريال ووسط ثلثمائة والدون مائة وخمسون وكتبوا أوراقها على الملتزمين ليحصلوها منهم.

وفي يوم الخميس، سافر حسن كتخدا أيوب بك بأمان لعثمان بك ليحضره من غزة ووصل المتسفرون بجثة حسن كاشف

المعمار.

وفي عشرين جمادى الأولى وصل عثمان بك طبل الاسماعيلي أمير الحاج الى مصر مكسوف البال ودخل الى بيته.

وفيه حضر الصدر الأعظم يوسف باشا الى الاسكندرية ليتوجه الى الحجاز فاعتنى الأمراء بشأنه وأرسلوا له ملاقاة وتقادم وهدايا وفرشوا له قصر العيني ووصل الى مصر وطلع من المراكب الى قصر العيني وأرسلوا له تقادم وضيافات ثم حضروا للسلام عليه في زحمة وكبكبة، فخلع على ابراهيم بك ومراد بك خلعاً ثمينة وقدم لهما حصانين بسرجين مرختين، ثم نزل الباشا المتولي بعد يومين وسلم عليه ورجع القلعة وأقاموا لخفارته عبد الرحمن بك الابراهيمي جلس بالقصر المواجه لقصر العيني وقد تخيلوا من حضوره وظنوا ظنوناً، وفي يوم الأحد ثالث جمادى الثانية، طلع يوسف باشا الى القلعة باستدعاء من الباشا المتولي فجلس عنده الى بعد الظهر ونزل في موكب حافل الى محله بقصر العيني، وأرسل له ابراهيم بك ومراد بك مع كتخدائهم هدية وهي خمسمائة أردب قمح ومائة أردب أرز وتعبيات أقمشة هندية وغير ذلك، وأقام بالقصر أياماً وقضوا أشغاله وهيؤوا له اللوازم والمراكب بالسويس وركب في أواسط جمادى الثانية وذهب الى السويس ليسافر الى جدة من القلزم وانقضت هذه السنة وحوادثها واستهلت أخرى.

من مات فيها من الأعيان ومن سارت بذكرهم الركبان

مات نادرة الدهر وغرة وجه العصر إنسان عين الأقاليم فريد عقد المجد النظيم جامع الفضائل والمحاسن ومظهر اسم الظاهر والباطن من لبس رداء النجابة في صباه ولاح عنوان المكارم على صحائف علاه و لم تقصر عليه أثواب مجده التي ورثها عن أبيه وجده الحسيب النسيب والنجيب الأريب السيد محمد أفندي البكري الصديقي شيخ سجادة البكرية ونقيب السادة الأشراف بمصر المحمية، تقلد بعد والده المنصبين وورث عنه السيادتين فسار فيهما سيرة الملوك ونثر فرائد المكارم من أسلاك السلوك فجوده حدث عن البحر ولا حرج وبراعة منطقه تلتج سلب الألباب والمهج مع حسن منظر، تتزاحم عليه وفود الأبصار وفيض نوال تضطرب لغيرتها منه البحار وقد اجتمع فيه من الكمال ما تضرب به الأمثال وأخبار غنية عن البيان مسطرة في صحف الإمكان زمانه كأنه عروس الفلك فكم قال له الدهر أما الكمال فلك، و لم يزل كذلك الى أن آذنت شمسه بالزوال وغربت بعد ما طلعت من مشرق الإقبال وقطفت زهرة شبابه وقد سقتها دموع أحبابه وكانت وفاته ليلة الجمعة ثامن عشر ربيع الثامن وخرجوا بجنازته من بيتهم بالأزبكية وصلي عليه بالأزهر في مشهد حافل ودفن عند أجداده بجوار الإمام الشافعي رضي الله عنه وبالجملة، فهو كان مسك الختام قلما تسمح بمثله الأيام، ولما مات تولى سجادة الخلافة البكرية ابن خاله سيدي الشيخ خليل أفندي وتقلد النقابة السيد عمر أفندي الأسيوطي.

ومات علامة العلوم والمعارف وروضة الآداب الوريقة وظلها الوارف جامع المزايا والمناقب شهاب الفضل الثاقب الإمام العلامة الشيخ أحمد ابن موسى بن داود أبو الصلاح العروسي الشافعي الأزهري، ولد سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف وقدم الأزهر فسمع على الشيخ أحمد الملوي الصحيح بالمشهد الحسيني وعلى الشيخ عبد الله الشبراوي الصحيح والبيضاوي والجلالين وعلى السيد البليدي البيضاوي في الأشرفية وعلى الشمس الحفني الصيح مع شرحه للقسطلاني ومختصر بن أبي جمرة والشمائل وابن

حجر على الأربعين والجامع الصغير، وتفقه على كل من الشبراوي والعزيزي والحفني والشيخ علي قايتباي الاطفيحي والشيخ حسن المدابغي والشيخ سابق والشيخ عيسى البراوي والشيخ عطية الأجهوري وتلقى بقية الفنون عن الشيخ علي الصعيدي لازمه السنين العديدة وكان معيداً لدروسه وسمع عليه الصحيح بجامع مرزه ببولاق، وسمع من الشيخ ابن الطيب الشمائل لما ورد مصر متوجهاً الى الروم وحضر دروس الشيخ يوسف الفني والشيخ ابراهيم الحلبي وابراهيم بن محمد الدلجي ولازم الشيخ الوالد، وأخذ عنه وقرأ عليه في الرياضيات والجبر والمقابلة وكتاب الرقائق للسبط وقوللي زاده على المجيب وكفاية القنوع والهداية وقاضي زادة وغير ذلك وتلقن الذكر والطريقة عن السيد مصطفى البكري ولازمه كثيراً واجتمع بعد ذلك على ولي عصره الشيخ أحمد العربان فأحبه ولازمه واعتنى به الشيخ وزوجه إحدى بناته وبشره بأنه سيسود ويكون شيخ الجامع الأزهر، فظهر ذلك بعد وفاته بمدة لما توفي شيخنا الشيخ أحمد الدمنهوري واختلفوا في تعيين الشيخ فوقعت الإشارة عليه واجتمعوا بمقام الإمام الشافعي رضي الله عنه كما تقدم واختاروه لهذه الخطة العظيمة، فكان كذلك واستمر شيخ الجامع على الإطلاق ورئيسهم بالاتفاق يدرس ويعيد ويملي ويفيد و لم يزل يراعي للحقير حق الصحبة القديمة والمحبة الأكيدة وسمعت من فوائده كثيراً ولازمت دروسه في المغني لابن هشام بتمامه وشرح جمع الجوامع للجلال المحلي والمطول وعصام على السمرقندية وشرح رسالة الوضع وشرح الورقات وغير ذلك، وكان رقيق الطباع مليح الأوضاع لطيفاً مهذباً إذا تحدث نفث الدر وإذا لقيته لقيت من لطفه ما ينعش ويسر، و لم تزل كؤوس فضله على اطلبة مجلوة حتى ورد موارد الموت، ودعاه الله تعالى بجوار الجنان وتلقاه جدثه بروح رحمة ورضوان، وذلك في حادي عشرين شعبان وصلي عليه بالأزهر في مشهد حافل، ودفن بمدفن صهره الشيخ العريان تغمده الله بالرحمة والرضوان، ومن تآليفه شرح على نظم التنوير في إسقاط التدبير للشيخ الملوي وهو نظم وحاشية على الملوي على السمرقندية وغير ذلك وخلف أولاده الأربعة كلهم فضلاء أذكياء نبلاء أحدهم الذي تعين بالتدريس في محله بالأزهر العلامة اللوذعي والفهامة الألمعي شمس الدين السيد محمد وأخوه النبيل الفاضل المتقن شهاب الدين السيد أحمد وأخوه الذكي اللبيب والفهيم النجيب السيد عبد الرحمن والنبيه الصالح والمفرد الناجح السيد مصطفى بارك الله فيهم.

ومات الخواجة المعظم والملاذ المفخم حائز رتب الكمال وجامع مزايا الأفضال سيدي الجامع محمود بن محرم أصل والده من الفيوم واستوطن مصر وتعاطى التجارة وسافر الى الحجاز مراراً واتسعت دنياه، وولد له المترجم فتربى في العز والرفاهية، ولما ترعرع وبلغ رشده وخالط الناس وشارك وباع واشترى وأخذ وأعطى ظهرت فيه نجابة وسعادة، حتى كان إذا مسك التراب صار ذهباً فانجمع والده وسلم له قياد الأمور فاشتهر ذكره ونما أمره وشاع خبره بالديار المصرية والحجازية والشامية والرومية وعرف بالصدق والأمانة والنصح، فأذعنت له الشركاء والوكلاء ووثقوا بقوله ورأيه وأحبه الأمراء المصرية وتداخل فيهم بعقل وحشمة وحسن سير وفطانة ومداراة وتؤدة وسياسة ولطف وأدب وحسن تخلص في الأمور الجسيمة، وعمر داره ووسعها وأتحفها وزخرفها وأنشأ بها قاعة عظيمة وأمامها فسحة مليحة الشكل وحول القاعة بستان بديع المثال وهي مطلة عليه من الجهتين، وزوج ولده سيدي أحمد الموجود الآن وعمل له مهماً عظيماً دعا إليه الأكابر والأعيان والتجار وتفاخر فيه الى الغاية وعمر مسجداً بجوار بيته بالقرب من حبس الرحبة فجاء في غاية الإتقان والحسن والبهجة ووقف عليه بعض جهات، ورتب فيه وظائف وتدريساً، وبالجملة كان إنساناً حسناً وقوراً محتشماً جميل الطباع مليح الأوضاع ظاهر العفاف كامل الأوصاف

حج في هذه السنة من القلزم، ورجع في البر مع الحجاج في إمارة عثمان بك الشرقاوي على الحج في أحمال مجملة وهيئة زائدة مكملة فصادفتهم شوبة فقضي عليه فيها ودفن بالخوف و لم يخلف في بابه مثله رحمه الله.

ومات الأمير حسن كاشف المعمار وأصله مملوك محمود بك وأعطاه لعلي آغا المعمار أخذه صغيراً ورباه ودربه في الأمور وزوجه ابنته وعمل لزواجهما مهماً وولائم، ولما مات سيده قام مقامه وفتح بيته ووضع يده على تعلقاته وبلاده، ونما أمره وانتظم في سلك الأمراء المحمدية لكونه في الأصل مملوك محمد بك وخشداشهم، وكان رئيساً عاقلاً ساكن الجأش جميل الصورة واسع العينين أحورهما، ولما حج في هذه السنة وخرجت عليهم العرب ركب وقاتلهم حتى مات شهيداً ودفن بمغاير شعيب ونهب متاعه وأحماله، وحزنت عليه زوجته الست حفيظة ابنة علي آغا حزناً شديداً وأرسلت مع العرب ونقلته الى مصر ودفنته عند أبيها بالقرافة وزوجته المذكورة هي الآن زوجة لسليمان بك المرادي.

ومات الأمير شاهين بك الحسني، وقد تقدم أنه كان حضر الى مصر رهينة وسكن ببيت بالقرب من الموسكي وهو مملوك حسن بك الجداوي أمره أيام حسن باشا وسكن ببيت مصطفى بك الكبير الذي على بركة الفيل المعروف سابقاً بشكر فره وصار من جملة الأمراء المعدودين ولما مات اسمعيل بك وحصل على ما تقدم من قدوم المحمديين وخروجهم، فحضر المترجم صحبة عثمان بك الشرقاوي رهينة عن سيده وأقام بمصر وكان سبب موته أن إنساناً كلمه عن أصول الصبغة التي تنبت بالغيطان ولها ثمر يشبه عنب الديب في عناقيد يصبغ منه القراشون مياه القناديل في المواسم والأفراح وإن من أكل من أصولها شيئاً أسهله إسهالاً مفرطاً و لم يذكر له المسكن لذلك ولعله كان يجهله فأرسل من أتى له بشيء منها من البستان وأكل منه فحصل له إسهال مفرط حتى غاب عن حسه، ومات وتسكين فعلها إذا بلغت غايتها أن يمتص شيئاً من الليمون المالح فإنها تسكن في الحال ويفيق الشخص كأن لم يكن به شيء، ومات الأمير أحمد بك الوالي بقبلي وهو أيضاً مملوك حسن بك الجداوي وقد تقدم ذكره ووقائعه مع أهل الحسينية وغيرهم في أيام زعامته.

سنة تسع ومائتين وألف

لم يقع بها شيء من الحوادث الخارجية سوى جور الأمراء وتتابع مظالمهم، واتخذ مراد بك الجيزة سكناً وزاد في عمارته واستولى على غالب بلاد الجيزة بعضها بالثمن القليل وبعضها غصباً وبعضها معاوضة، واتخذ صالح آغا أيضاً له داراً بجانبه وعمرها وسكنها بحريمه ليكون قريباً من مراد بك.

وفي سابع عشرين المحرم الموافق لعشرين شهر مسرى القبطي أوفى النيل أذرعه وكسر السد في صبحها بحضرة الباشا والأمراء وجرى الماء في الخليج.

وفي شهر صفر ورد الخبر بوصول صالح باشا والي مصر الى اسكندرية وأخذ محمد باشا في أهبة السفر ونزل وسافر الى جهة اسكندرية.

وفي عشرين شهر ربيع الأول وصل صالح باشا الى مصر وطلع الى القلعة.

وفي أواخره ورد الخبر بوصول تقليد الصدارة الى محمد باشا عزت المنفصل عن مصر وورد عليه التقليد وهو باسكندرية، وكان صالح آغا الوكيل ذهب صحبته ليشيعه الى اسكندرية فأنعم إليه بفرمان مرتب على الضربخانة باسم حريمه ألف نصف فضة في كل يوم.

وفي ليلة السبت خامس عشر ربيع الثاني أمطرت السماء مطراً غزيراً قبل الفجر وكان ذلك آخر بابه القبطي.

وفي شهر الحجة وقع به من الحوادث أن الشيخ الشرقاوي له حصة في قرية بشرقية بلبيس حضر إليه أهلها وشكوا من محمد بك الألفي وذكروا أن أتباعه حضروا إليهم وظلموهم وطلبوا منهم ما لا قدرة لهم عليه، واستغاثوا بالشيخ، فاغتاظ وحضر الى الأزهر وجمع المشايخ وقفلوا أبواب الجامع، وذلك بعد ما خاطب مراد بك وابراهيم بك فلم يبديا شيئاً، ففعل ذلك في ثاني يوم وقفلوا الجامع وأمروا الناس بغلق الأسواق والحوانيت، ثم ركبوا في ثاني يوم واجتمع عليهم خلق كثير من العامة وتبعوهم وذهبوا الى بيت الشيخ السادات وازدحم الناس على بيت الشيخ من جهة الباب والبركة بحيث يراهم ابراهيم بك وقد بلغه اجتماعهم فبعث من قبله أيوب بك الدفتردار، فحضر إليهم وسلم عليهم ووقف بين يديهم وسألهم عن مرادهم، فقالوا له: نريد العدل ورفع الظلم والجور وإقامة الشرع وإبطال الحوادث والمكوسات التي ابتدعتموها وأحدثتموها، فقال: لا يمكن الإجابة الى هذا كله فإننا إن فعلنا ذلك ضاقت علينا المعايش والنفقات، فقيل له: هذا ليس بعذر عند الله ولا عند الناس وما الباعث على الإكثار من النفقات وشراء المماليك والأمير يكون أميراً بالإعطاء لا بالأخذ، فقال: حتى أبلغ، وانصرف و لم يعد لهم بجواب، وانفض المجلس وركب المشايخ الى الجامع الأزهر واجتمع أهل الأطراف من العامة والرعية وباتوا بالمسجد، وأرسل ابراهيم بك الى المشايخ يعضدهم ويقول لهم أنا معكم وهذه الأمور على غير خاطري ومرادي، وأرسل الى مراد بك يخيفه عاقبة ذلك، فبعث مراد بك يقول: أجيبكم الى جميع ما ذكرتموه إلا شيئين ديوان بولاق وطلبكم المنكسر من الجامكية ونبطل ما عدا ذلك من الحوادث والظلم وندفع لكم جامكية سنة تاريخه أثلاثاً، ثم طلب أربعة من المشايخ عينهم بأسمائهم فذهبوا إليه بالجيزة فلاطفهم والتمس منهم السعي في الصلح على ما ذكر، ورجعوا من عنده وباتوا على ذلك تلك الليلة، وفي اليوم الثالث

حضر الباشا الى مترل ابراهيم بك واجتمع الأمراء هناك وأرسلوا الى المشايخ، فحضر الشيخ السادات والسيد النقيد والشيخ الشرقاوي والشيخ البكري والشيخ الأمير وكان المرسل إليهم رضوان كتخدا ابراهيم بك فذهبوا معه ومنعوا العامة من السعي خلفهم، ودار الكلام بينهم وطال الحديث وانعقد الصلح على أن يدفعوا سبعمائة وخمسين كيساً موزعة وعلى أن يرسلوا غلال الحرمين ويصرفوا غلال الشون وأموال الرزق ويبطلوا رفع الظلم المحدثة والكشوفيات والتفاريد والمكوس ما عدا ديوان بولاق وأن يكفوا أتباعهم عن امتداد أيديهم الى أموال الناس، ويرسلوا صرة الحرمين والعوائد المقررة من قديم الزمان، ويسيروا في الناس سيرة حسنة وكان القاضي حاضراً بالمجلس فكتب حجة عليهم بذلك وفرمن عليها الباشا وختم عليها ابراهيم بك وأرسلها الى مراد بك فختم عليها أيضاً وانجلت الفتنة، ورجع المشايخ وحول كل واحد منهم وأمامه وخلفه جملة عظيمة من العامة وهم ينادون حسب ما رسم ساداتنا العلماء بأن جميع المظالم والحوادث والمكوس بطالة من مملكة الديار المصرية، وفرح الناس وظنوا صحته وفتحت الأسواق وسكن الحال على ذلك نحو شهر ثم عاد كل ما كان مما ذكر وزيادة، ونزل عقيب ذلك مراد بك الى دمياط وضرب عليها الضرائب العظيمة وغير ذلك.

ومات الإمام العلامة والرحلة الفهامة بقية المحققين وعمدة المدققين الشيخ المعمر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الوهاب السمنودي المحلي الشافعي من بيت العلم والصلاح والرشد والفلاح وأصلهم من سمنود ولد هو بالمحلة وقدم الجامع الأزهر، وحضر على الشمس السجيني والعزيزي والملوي والشبراوي وتكمل في الفنون الغربية وتلقى عن السيد على الضرير والشيخ محمد الغلاني الكشناوي مشاركاً للشيخ الوالد والشيخ ابراهيم الحلبي وعاد الى المحلة، فدرس في الجامع الكبير مدة ثم أتى الى مصر بأهله وعياله ومكث بها وأقرأ بالجامع الأزهر درساً وتردد الى الأكابر والأمراء وأجلوه وقرأ في المحمدية بعد موت الشنويهي في المنهج وانضوى الى الشيخ أبي الأنوار السادات ويأتي إليه في كل يوم، وكان إنساناً حسناً بهي الشكل لطيف الطباع عليه رونق وجلالة، جميل المحادثة حسن الهيئة، توفي بعد أن تعلل دون شهر عن مائة وست عشرة سنة كامل الحواس إذا قام نهض نهوض الشباب ودفن ببستان المجاورين وكان يتكتم سني عمره رحمه الله.

ومات الإمام العلامة واللوذعي الفهامة رئيس المحققين وعمدة المدققين النحوي المنطقي الجدلي الأصولي الشيخ أحمد بن يونس الخليفي الشافعي الأزهري من قرابة الشهاب الخليفي، ولد سنة 1131، كما سمعته من لفظه وقرأ القرآن وحفظ المتون وحضر على كل من الشبراوي والحفني وأخيه الشيخ يوسف والسيد البليدي والشيخ محمد الدقري والدمنهوري وسالم النفراوي والطحلاوي والصعيدي، وسمع الحديث على الشهابين الملوي والجوهري، ودرس وأفاد بالجامع الأزهر وتقلد وظيفة الإفتاء بالمحمدية عندما انحرف يوسف بك على الشيخ حسن الكفراوي كما تقدم فاتخذ الشيخ أحمد أبا سلامة أميناً على فتاويه لجودة استحضاره في الفروع الفقهية، وله مؤلفات منها حاشية على شرح شيخ الإسلام على متن السمرقندية في آداب البحث، وأخرى على شرح الملوي في الاستعارات، وأخرى على شرح المذكور على السلم في المنطق، وأخرى على شرح شيخ الإسلام على آداب البحث وأخرى على شرح الشمسية في المنطق، وأخرى على متن الياسمينية في الجبر والمقابلة، وشرح على أسماء التراجم ورسالة متعلقة بالأبحاث الخمسة التي أوردها الشيخ الدمنهوري، ولازم الشيخ الوالد مدة وتلقى عنه بعض العلوم الغريبة وكملها بعد وفاته على تلميذه محمود أفندي النيشي وكان جيد التقرير غاية في التحرير ويميل بطبعه الى ذوي الوسامة

والصور الحسان من الجدعان والشبان، فإذا رجع من درسه خلع زي العلماء ولبس زي العامة وجلس بالأسواق وخالط الرفاق ويمشي كثيراً بين المغرب والعشاء بالخفيفة، نواحي داره جهة بين السيارج وغيرها، ويرى في بعض الأحيان على تلك الصورة في الأوقات المذكورة في نواح بعيدة عن داره وسافر مرة الى جهة قبلي في سفارة بين الأمراء أيام عابدي باشا، و لم يزل على ذلك الى أن توفي في أوائل رجب من هذه السنة سامحه الله.

ومات العمدة الجليل والنبيه النبيل العلامة الفقيه المفوه الشريف الضرير السيد عبد الرحمن بن بكار الصفاقسي نزيل مصر قرأ في بلاده على علماء عصره ودخل كرسي مملكة الروم فأكرم وانسلخ عن هيئة المغاربة ولبس ملابس المشارقة مثل التاج والفراجة وغيرها، وأثرى وقدم الى مصر وألقى دروساً بالمشهد الحسيني وتأهل وولد له ولد به فضيلة ونجابة واتحد بشيخ السادات الوفائية السيد أبي الأنوار فراج حاله وزاده شوكته على أبناء جنس، وتردد الى الأمراء وأشير إليه ودرس كتاب الغرر في مذهب الحنفية وتولى مشيخة رواق المغاربة بعد وفاة الشيخ عبد الرحمن البناني وسار فيها أحسن سيرة مع شهامة وصرامة وفصاحة لفظ في الإلقاء وكان جيد البحث مليح المفاكهة والمحادثة واستحضار اللطائف والمناسبات ليس فيه عربدة ولا فظاظة، ويميل بطبعه الى الحظ والخلاعة وسماع الألحان والآلات المطربة، توفي رحمه الله في هذه السنة وولى بعده على مشيخة رواقهم الشيخ سالم بن مسعود.

ومات الفقيه العلامة الصالح الصوفي الشيخ أحمد بن أحمد السماليجي الشافعي الأحمدي المدرس بالمقام الأحمدي بطندتاء ولد ببلده سماليج بالمنوفية وحفظ القرآن وحضر على الشيخ عطية الأجهوري والشيخ عيسى البراوي والشيخ محمد الخشني والشيخ أحمد الدردير ورجع الى طندتاء فاتخذها سكناً وأقام بها يقرئ دروساً ويفيد الطلبة ويفتي على مذهبه ويقضي بين المتنازعين من أهالي البلاد فراج أمره واشتهر ذكره بتلك النواحي ووثقوا بفتياه وقوله وأتوه أفواجاً بمكانه المسمى بالصف فوق باب المسجد المواجه لبيت الخليفة، وتزوج بامرأة جميلة الصورة من بلد الفرعونية وولد منها ولد سماه أحمد كأنما أفرغ في قالب الجمال وأودع بعينيه السحر الحلال، فلما ترعرع حفظ القرآن والمتون وحضر على أبيه في الفقه والفنون وكان نجيباً جيد الحافظة يحفظ كل شيء سمعه من مرة واحدة، ونظم الشعر من غير قراءة شيء في علم العروض، أول ما رأيته في سنة 1189 في أيام زيارة سيدي أحمد البدوي فحضر إلي وسلم علي وآنسني بحسن ألفاظه وجذبني بسحر ألحاظه ولما بلغ زوجه والده بزوجتين في سنة واحدة و لم يزل يجتهد ويشتغل حتى مهر وأنجب ودرس لجماعة من الطلبة، وحضر الى مصر مع والده مراراً، وتردد علينا واجتمع بنا كثيراً في مواسم الموالد المعتادة الى أن اخترمته في شبابه المنية وحالت بينه وبين الأمنية، وذلك في سنة ثلاث ومائتين وخلف ولداً صغيراً استأنس به جده المترجم، وصبر على فقد ابنه وترحم، وتوفي هو أيضاً في هذه السنة رحمهما الله تعالى.

ومات الرجل المعظم والملاذ المفخم الأمير حسين بن السيد محمد الشهيد بدرب الشمس القادري وأبوه محمد أفندي كاتب صغير بوجاق التفكجيان وهو ابن حسين أفندي باش اختيار تفكجيان تابع المرحوم حسن جوربجي تابع المرحوم رضوان بك الكبير الشهير صاحب العمارة ولما مات والد المترجم اجتمع الاختيارية وقلدوا ابنه المذكور منصب والده في بابه وكان إذ ذاك مقتبل الشبيبة وذلك في سنة ثلاث وستين ومائة، وألف ونوه بشأنه وفتح بي أبيه وعد في الأعيان واشتهر ذكره وكان نجيباً نبيهاً و لم يزل حتى صار من أرباب الحل والعقد وأصحاب المشورة، ولما استقل علي بك بإمارة مصر أخرجه هو وإخوته من

مصر ونفاهم الى بلاد الحجاز فأقاموا بها سبع سنوات الى أن استقل محمد بك الإمارة فأحضرهم وأكرمهم ورد إليهم بلادهم فاستمروا بمصر لا كالحالة الأولى مع الوجاهة والحرمة الوافرة، وكان إنساناً حسناً فطناً طعرف مواقع الكلام ويكره الظلم وهو الى الخير أقرب، واقتنى كتباً كثيرة نفيسة في الفنون وخصوصاً في الطب والعلوم الغريبة ويسمح بإعارتها لمن يكون أهلاً لها، ولما حضرته الوفاة أوصى أن لا يخرجوا جنازته على الصورة المعتادة بمصر بل يحضرها مائة شخص من القادرية يمشون أمامه في المشهد وهم يقرأون الصمدية سر الأغير وأوصى لهم بقدر معلوم من الدراهم فكان كذلك.

ومات الأمير محمد آغا بن محمد كتخدا أباظة، وقد تقدم أنه كان تولى الحسبة في أيام حسن باشا وسار فيها سيراً بشهامة وأخاف السوقة وعاقبهم وزجرهم واتفق أنه وزن جانباً من اللحم وجده مع من اشتراه ناقصاً وأخبره عن جزاره فذهب إليه وكملها بقطعة من جسد الجزار ثم انفصل عن ذلك وعمل كتخدا عند رضوان بك الى أن مات رضوان بك و لم يزل معدوداً في عداد الأمراء الأكابر، الى أن توفي في هذه السنة،.

ومات العمدة الصالح الورع الصوفي الضرير الشيخ محمد السقاط الخلوتي المغربي الأصل خليفة شيخنا الشيخ محمود الكردي حضر الى مصر وجاور بالأزهر وحضر على الأشياخ في فقه مذهبه وفي المعقول وأخذ الطريق على شيخنا الشيخ محمود المذكور ولقنه الأسماء على طريق الخلوتية والأوراد والأذكار، وانسلخ من زي المغاربة وألبسه الشيخ التاج وسلك سلوكاً تاماً ولازم الشيخ ملازمة كلية بحيث أنه لا يفارق منزله في غالب أوقاته، ولاحت عليه الأنوار وتحلى بحلل الأبرار وأذن له الشيخ بالتلقين والتسليك ولما انتقل الى رحمة الله تعالى صار هو خليفته بالإجماع من غير نزاع، وجلس في بيته وانقطع للعبادة واجتمع عليه الجماعة في ورد العصر والعشاء، ولقن الذكر للمريدين وسلك الطريق للطالبين وانجذبت القلوب إليه واشتهر ذكره، وأقبلت عليه الناس و لم يزل على حسن حاله حتى توفي في منتصف شهر ربيع الأول وصلي عليه بالأزهر في مشهد حافل.

ومات الذمي المعلم ابراهيم الجوهري رئيس الكتبة الأقباط بمصر وأدرك في هذه الدولة بمصر من العظمة ونفاذ الكلمة وعظم الصيت والشهرة مع طول المدة بمصر ما لم يسبق لمثله من أبناء جنسه فيما نعلم، وأول ظهوره من أيام المعلم رزق كاتب علي بك الكبير، ولما مات علي بك والمعلم رزق ظهر أمر المترجم ونما ذكره في أيام محمد بك فلما انقضت أيام محمد بك وترأس ابراهيم بك قلده جميع الأمور فكان هو المشار إليه في الكليات والجزئيات حتى دفاتر الروزنامة والميري وجميع الإيراد والمنصرف وجميع الكتبة والصيارف من تحت يده وإشارته، وكان من دهاقين العالم ودهاتهم لا يعزب عن ذهنه شيء من دقائق الأمور ويداري كل إنسان بما يليق به من المداراة ويحابي ويهادي ويواسي ويفعل ما يوجب انجذاب القلوب والمحبة ويهادي ويبعث الهدايا العظيمة والشموع الى بيوت الأمراء، وعند دخول رمضان يرسل الى غالب أرباب المظاهر ومن دونهم الشموع والهدايا والأرز والسكر والكساوي وعمرت في أيامه الكنائس وديور النصارى وأوقف عليها الأوقاف الجليلة والأطيان ورتب لها المرتبات العظيمة والأرزاق الدارة والغلال، وحزن ابراهيم بك لموته وخرج في ذلك اليوم الى قصر العيني حتى شاهد جنازته وهم ذاهبون به الى المقبرة، وتأسف على فقده تأسفاً زائد وكان ذلك في شهر القعدة من السنة.

سنة عشرة ومائتين وألف

لم يقع بها شيء من الحوادث التي يعتني بتقييدها سوى مثل ما تقدم من جور الأمراء والمظالم.

وفيها في غرة شهر الحجة عزل صالح باشا ونزل الى قصر العيني ليسافر فأقام هناك أياماً وسافر الى الاسكندرية.

ومات بها الإمام العلامة المفيد الفهامة عمدة المحققين والمدققين الصالح الورع المهذب الشيخ عبد الرحمن النحراوي الأجهوري الشهير بمقرى الشيخ عطية، خدم العلم وحضر فضلاء الوقت ودرس وتمهر في المعقول والمنقول ولازم الشيخ عطية الأجهوري ملازمة كلية، وأعاد الدروس بين يديه واشتهر بالمقرئ وبالأجهوري لشدة نسبته الى الشيخ المذكور ودرس بالجامع الأزهر وأفاد الطلبة وأخذ طريق الخلوتية عن الشيخ الحفني ولقنه الأذكار، وألبسه الخرقة والتاج وأجازه بالتلقين والتسليك وكان يجيد حفظ القرآن بالقراءات ويلازم المبيت في ضريح الإمام الشافعي في كل ليلة سبت يقرأ مع الحفظة بطول الليل، وكان إنساناً متواضعاً لا يرى لنفسه مقاماً، يحمل طبق الخبز على رأسه ويذهب به الى الفران ويعود به الى عياله فإن اتفق أن أحداً رآه ممن يعرفه حمله عنه وإلا ذهب به ووقف بين يدي الفران حتى يأتيه الدور ويخبز له، وكان كريم النفس جداً يجود وما لديه قليل و لم يزل مقبلاً على شأنه وطريقته حتى نزلت به الباردة وبطل شقه واستمر على ذلك نحو السنة، وتوفي الى رحمة الله تعالى، غفر الله له.

ومات العمدة العلامة والرحلة الفهامة الفقيه الفاضل ومن ليس له في الفضل مناضل الشيخ حسن بن سالم الهواري المالكي أحد طلبة شيخنا الصعيدي لازمه في دروسه العامة، وحصل بجده ما به ناموس جاهه أقامه وبعد وفاة شيخه ولي مشيخة رواق الصعايدة، وساس فيهم أحسن سياسة بشهامة زائدة مع ملازمته للدروس وتكلمه في طائفته مع الرئيس والمرؤوس وكان فيه صلابة زائدة وقوة جنان وشدة تجارى، واشترى خرابة بسوق القشاشين بالقرب من الأزهر وعمرها داراً لسكنه وتعدى حدوده وحاف على أماكن جيرانه، وهدم مكتب المدرسة السنانية، وكان مكتباً عظيماً ذا واجهتين وعامودين وأربع بوائك وزاوية جداره من الحجر النحيت عجيبة الصنعة في البروز والإتقان، فهدمه وأدخله في بنائه من غير تحاش أو خشية لوم مخلوق أو خوف خالق وأوقف أعوانه من الصعايدة المنتسبين للمجاورة، وطلب العلم يسخرون من يمر بهم من حمير الترابين وجمال الأعيان المارين عليهم فيستعملونها في نقل تراب الشيخ لأجل التبرك إما قهراً أو محاباة، ويأخذ من مياسير الناس والسوقة دراهم على سبيل القرض الذي لا يرد، وكذلك المؤن حتى تممها على هذه الصورة وسكن فيها وأحدق به الجلاوزة من الطلبة يغدون ويروحون في الخصومات والدعاوى ويأخذون الجعالات والرشوات من المحق والمبطل، ومن خالف عليهم ضربوه وأهانوه ولو عظيماً من غير مبالاة ولا حياء، ومن اشتد عليهم اجتمعوا عليه من كل فج حتى بوابين الوكائل وسكان الطباق وباعة النشوق وينسب الكل الى الأزهر، ومن عذلهم أو لامهم كفروه ونسبوه الى الظلم والتعدي والاستهزاء بأهل العلم والشريعة وزاد الحال وصار كل من رؤساء الجماعة شيخاً على انفراده يجلس في ناحية ببعض الحوانيت يقضي ويأمر وينهي، وفحش الأمر الى أن نادى عليهم حاكم الشرطة فانكفوا ومرض شيخهم بالتشيخ شهوراً وتوفي في هذه السنة رحمه الله تعالى.

ومات الإمام الفقيه العلامة والفاضل الفهامة عثمان بن محمد الحنفي المصري الشهير بالشامي ولد بمصر وتفقه على علماء

مذهبه كالسيد محمد أبي السعود والشيخ سليمان المنصوري والشيخ حسن المقدسي والشيخ الوالد وأتقن الآلات ودرس الفقه في عدة مواضع وبالأزهر وانتفع به الناس، وقرأ كتاب الملتقى بجامع قوصون وكان له حافظة جيدة واستحضار في الفروع ولا يمسك بيده كراساً عند القراءة ويلقي التقرير عن ظهر قلب مع حسن السبك، وألف متناً مفيداً في المذهب، ثم حج وزار قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقطن بالمدينة وطلب عياله في ثاني عام وباع ما يتعلق به وتجرد على المجاورة ولازم قراءة الحديث والفقه بدار الهجرة وأحبه أهل المدينة، وتزوج وولد له أولاد ثم تزوج بأخرى ولم يزل على ذلك حتى توفي رحمه الله تعالى في هذه السنة.

ومات العمدة الفاضل المفوه النبيه المناضل الحافظ المجود الأديب الماهر صاحب الشيخ شمس الدين بن عبد الله بن فتح الفرغلي المحمدي الشافعي البربائي نسبة الى سبرباي قرية بالغربية قرب طندتا، وبها ولد ونسبه يرجع الى القطب سيدي الفرغلي المحمدي من ولد سيدنا محمد بن الحنفية صاحب أبي تيج من قرى الصعيد، تفقه على علماء عصره وأنجب في المعارف والفهوم وعاني الفنون فأدرك من كل فن الحظ الأوفر، ومال الى فن الميقات والتقاويم فنال من ذلك ما يرومه، وألف في ذلك وصنف زيجاً مختصراً دل على سعة باعه ورسوخه في الفن ومعرفة القواعد والأصول ودقائق الحساب ونهج مسك الأدب والتاريخ والشعر ففاق فيه الأقران ومدح الأعيان، وصاحبناه وساجلناه كثيراً عندما كان يأتينا مصر وبطندتا في الموالد المعتادة، فكان طوداً راسخاً وبحراً زاخراً مع دماثة الأخلاق وطيب الأعراق ولين العريكة وحسن العشرة ولطف الشمائل والطباع، وكان يلي نيابة القضاء ببلده وبالجملة فكان عديم النظير في أقرانه لم أر من يدانيه في أوصافه الجميلة وله مصنفات كثيرة، منها الضوابط الجليلة في الأسانيد العلية ألفه سنة 1177 وذكر فيه سنده عن الشيخ نور الدين أبي الحسن سيدي علي بن الشيخ العلامة أبي عبد الله سيدي محمد العربي الفاسي المغربي الشهير بالسقاط، وسليقته في الشعر عذبة رائقة كلامه بديع مقبول في سائر أنواعه من المدح والرثاء والتشبيب والغزل والحماسة والجد والهزل، وله ديوان جمع فيه أمداحه صلى الله عليه وسلم وسماه عقود الفرائد توفي في شهر ربيع الأول من السنة ببلده ودفن هناك رحمه الله تعالى.

سنة إحدى عشرة واثنتي عشرة ومائتين وألف

لم يقع فيهما من الحوادث التي تتشوف لها النفوس أو تشتاق إليها الخواطر فتقيد في بطون الطروس سوى ما تقدمت إليه الإشارة من أسباب نزول النوازل وموجبات ترادف البلاء المتراسل ووقوع الإنذارات الفلكية والآيات المخوفة السماوية، وكلها أسباب عادية وعلامات من غير أن ينسب لتلك الآثار تأثيرات، فبالنظر في ملكوت السموات والأرض يستدلون وبالنجم هم يهتدون، فمن أعظم ذلك حصول الخسوف الكلي في منتصف شهر الحجة ختان سنة اثنتي عشرة بطالع مشرق الجوزاء المنسوب إليه إقليم مصر، وحضر طائفة الفرنسيس إثر ذلك في أوائل السنة التالية كما سيأتي خبر ذلك مفصلاً إن شاء الله تعالى.

من مات في هذين العامين ممن له ذكر وشهرة

مات العمدة العلامة والفقيه الفهامة الشيخ علي بن محمد الأشبولي الشافعي كان والده أحد العدول بالمحكمة الكبرى وكان ذا ثروة وشهرة، ولما كبر ولده المترجم حفظ القرآن والمتون واشتغل بالعلم، وحضر الدروس وتفقه على أشياخ الوقت ولازم الشيخ عيسى البراوي وتمهر في المعقول وأنجب وتصدر ودرس وانتظم في سلك الفضلاء والنبلاء وصار له ذكر وشهرة ووجاهة، ومات والده فأحرز طريفه وتالده وكان لأبيه دار بحارة كتامة المعروفة بالعينية بقرب الأزهر وأخرى عظيمة بقناطر السباع على الخليج وأخرى بشاطئ النيل بالجيزة، فكان ينتقل في تلك الدور ويتزوج حسان النساء مع ملازمته للإقراء والإفادة وحدثته نفسه بمشيخة الأزهر وكان بيده عدة وظائف وتداريس مثل جامع الآثار والنظامية، و لم يباشرها إلا نادراً ويقبض معلومها المرتب لها و لم يزل حتى تعلل وتوفي سنة 111.

ومات الأديب الماهر الصالح الجليس الأنيس السيد ابراهيم بن قاسم ابن محمد بن محمد بن علي الحسني الرويدي المكتب المكنى بأبي الفتح، ولد بمصر كما أخبر عن نفسه سنة 1127 وحفظ القرآن وجوده على الشيخ الحجازي غنام وجود الخط على الشيخ أحمد بن اسمعيل الأفقم على الطريقة المحمدية فمهر فيه، وأجازه فكتب بخطه الحسن الفائق كثيراً من المصاحف والأحزاب والدلائل والأدعية والقطع وأشير إليه بالرياسة في الفن، وكان إنساناً حسناً متمشدقاً يحفظ كثيراً من نوادر الأشعار وغرائب الحكايات وعجائب المناسبات وروايتها على أحسن أسلوب وأبلغ مطلوب وسمعت كثيراً من إنشاده لم يعلق بذهني منها شيء وقد تفرد بمحاسن لم يشاركه فيها أهل عصره، منها صحة الوضع وتكمله على أصوله بغاية التحرير توفي سنة إحدى عشرة رحمه الله تعالى.

ومات النبيه الأريب والفاضل النجيب الناظم الناثر المفوه اسمعيل أفندي بن خليل بن علي بن محمد بن عبد الله الشهير بالظهوري المصري الحنفي المكتب، كان إنساناً حسناً قانعاً بحاله يتكسب بالكتابة وحسن الخط وقد كان جوده وأتقنه على أحمد أفندي الشكري وكتب بخطه الحسن كثيراً من الكتب والسبع المنجيات ودلائل الخيرات والمصاحف، وكان له حاصل يبيع به من القهوة بوكالة البقل بقرب خان الخليلي، وله معرفة جيدة بعلم الموسيقى والألحان وضرب العود وينظم الشعر وله

مدائح وقصائد وموشحات توفي رحمه الله تعالى سنة 1211، ومات الأجل الأمثل والوجيه الأوحد المبجل حسين أفندي قلفة الشرقية، والده الأمير عبد الله من مماليك داود صاحب عيار، وتربى المترجم عند محمد أفندي البرقوقي وزوجه ابنته. وعانى قلم الكتابة واصطلاح كتابة الروزنامة ومهر في ذلك، فلما توفي محمد أفندي كتابة الروزنامة قلده قلفة الشرقية، و لم تطل مدى محمد أفندي، ومات بعد شهرين فاستولى المترجم على تعلقاته، وراج أمره واشترى بيتاً جهة الشيخ الظلام وانتقل إليه وسكن به وساس أموره واشتهر ذكره وانتظم في عداد الأعيان واقتنى السراري والجواري والمماليك والعبيد، وكان إنساناً لا بأس به جميل الأخلاق حسن العشرة مع الرفاق مهذب الطباع لين العريكة واقفاً على حدود الشريعة لا يتداخل فيما لا يعنيه مليح الصورة والسيرة، توفي رحمه الله أيضاً سنة 1211.

ومات العمدة العلامة النبيه الفهامة بضعة السلالة الهاشمية وطراز العصابة المطلبية الفصيح المفوه السيد حسين بن عبد الرحمن بن الشيخ محمد بن أحمد بن أحمد بن حمادة المترلاوي الشافعي خطيب جامع المشهد الحسيني وأم أبيه السيد عبد الرحمن فاطمة بنت السيد محمد العمري، ومنها أتاه الشرف حضر على الشيخ الملوي والحفني والجوهري والمدابغي والشيخ علي قايتباي والشيخ البسيوني والشيخ خليل المغربي، وأخذ أيضاً عن سيدي محمد الجوهري الصغير والشيخ عبد الله إمام مسجد الشعراني والشيخ سعودي الساكن بسوق الخشب وتضلع بالعلوم والمعارف، وصار له ملكة وحافظة ولسانة واقتدار تام واستحضار غريب، وينظم الشعر الجيد والنثر البليغ، وأنشأ الخطب البديعة وغالب خطبه التي كان يخطب بها بالمشهد الحسيني من إنشائه على طريقة لم يسبق إليها، وانضوى الى الشيخ أبي الأنوار السادات وشملته أنواره ومكارمه ويصلي به في بعض الأحيان ويخطب بزاويتهم أيام المواسم ويأتي فيهما بمدائح السادات وما تقتضيه المناسبات، توفي في منتصف شهر شعبان من السنة غفر الله لنا وله.

سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف

وهي أول سني الملاحم العظيمة والحوادث الجسيمة والوقائع النازلة والنوازل الهائلة، وتضاعف الشرور وترادف الأمور وتوالي المحن واختلال الزمن وانعكاس المطبوع وانقلاب الموضوع وتتابع الأهوال واختلاف الأحوال، وفساد التدبير وحصول التدمير وعموم الخراب وتواتر الأسباب وما كان ربك مهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون.

في يوم الأحد العاشر من شهر محرم الحرام من هذه السنة وردت مكاتبات على يد السعاة من ثغر الاسكندرية ومضمونها أن في يوم الخميس ثامنه حضر الى الثغر عشرة مراكب من مراكب الانكليز ووقفت على البعد بحيث يراها أهل الثغر، وبعد قليل حضر خمسة عشر مركباً أيضاً فانتظر أهل الثغر ما يريدون، وإذا بقارب صغير واصل من عندهم وفيه عشرة أنفار فوصلوا البر واجتمعوا بكبار البلد والرئيس إذ ذاك فيها والمشار إليه بالإبرام والنقض السيد محمد كريم الآتي ذكره، فكلموهم واستخبروهم عن غرضهم فأخبروا أنهم انكليز حضروا للتفتيش على الفرنسيس لأنهم خرجوا بعمارة عظيمة يريدون جهة من الجهات ولا ندري أين قصدهم فربما دهموكم فلا تقدرون على دفعهم ولا تتمكنوا من منعهم، فلم يقبل السيد محمد كريم منهم هذا القول وظن أنها مكيدة وجاوبوهم بكلام خشن، فقالت رسل الانكليز: نحن نقف بمراكبنا في البحر محافظين على الثغر لا نحتاج منكم إلا الإمداد بالماء والزاد بثمنه فلم يجيبوهم لذلك وقالوا هذه بلاد السلطان وليس للفرنسيس ولا لغيرهم عليها سبيل فاذهبوا عنا فعندها عادت رسل الانكليز وأقلعوا في البحر ليمتاروا من غير الاسكندرية وليقضي الله أمراً كان مفعولاً ثم إن أهل الثغر أرسلوا الى كاشف البحيرة ليجمع العربان ويأتي معهم للمحافظة بالثغر فلما قرئت هذه المكاتبات بمصر حصل بها اللغط الكثير من الناس وتحدثوا بذلك فيما بينهم وكثرت المقالات والأراجيف.
ثم ورد في ثالث يوم بعد ورود المكاتيب الأول مكاتبات مضمونها أن المراكب التي وردت الثغر عادت راجعة، فاطمأن الناس وسكن القيل والقال، وأما الأمراء فلم يهتموا بشيء من ذلك و لم يكترثوا به اعتماداً على قوتهم وزعمهم أنه إذا جاءت جميع الإفرنج لا يقفون في مقابلتهم وأنهم يدوسونهم بخيولهم.

فلما كان يوم الأربعاء العشرون من الشهر المذكور وردت مكاتبات من الثغر ومن رشيد ودمنهور بأن في يوم الاثنين ثامن عشره وردت مراكب وعمارات للفرنسيس كثيرة فأرسوا في البحر وأرسلوا جماعة يطلبون القنصل وبعض أهل البلد، فلما نزلوا إليهم عوقوهم عندهم، فلما دخل الليل تحولت منهم مراكب الى جهة العجمي وطلعوا الى البر ومعهم آلات الحرب والعساكر فلم يشعر أهل الثغر وقت الصباح إلا وهم كالجراد المنتشر حول البلد، فعندها خرج أهل الثغر وما انضم إليهم من العربان المجتمعة وكاشف البحيرة فلم يستطيعوا مدافعتهم ولا أمكنهم ممانعتهم و لم يثبتوا لحربهم، وانهزم الكاشف ومن معه من العربان، ورجع أهل الثغر الى التترس في البيوت والحيطان ودخلت الإفرنج البلد وانبث فيها الكثير من ذلك العدد، كل ذلك وأهل البلد لهم بالرمي يدافعون وعن أنفسهم وأهليهم يقاتلون ويمانعون، فلما أعياهم الحال وعلموا أنهم مأخوذون بكل حال وليس ثم عندهم للقتال استعداد لخلو الأبراج من آلات الحرب والبارود وكثرة العدو وغلبته طلب أهل الثغر الأمان فأمنوهم،

ورفعوا عنهم القتال ومن حصونهم أنزلوهم ونادى الفرنسيس بالأمان في البلد ورفع بنديراته عليها وطلب أعيان الثغر فحضروا بين يديه فألزمهم بجمع السلاح وإحضاره إليه وأن يضعوا الجوكار في صدورهم فوق ملبوسهم، والجوكار ثلاث قطع من جوخ أو حرير أو غير ذلك مستديرة في قدر الريال سوداء وحمراء وبيضاء توضع بعضها فوق بعض بحيث تكون كل دائرة أقل من التي تحتها حتى تظهر الألوان الثلاثة كالدوائر المحيط بعضها ببعض، ولما وردت هذه الأخبر مصر حصل للناس انزعاج وعول أكثرهم علي الفرار والهجاج وأما ما كان من حال الأمراء بمصر فإن ابراهيم بك ركب الى قصر العيني وحضر عنده مراد بك من الجيزة لأنه كان مقيماً بها، واجتمع باقي الأمراء والعلماء والقاضي وتكلموا في شأن هذا الأمر الحادث فاتفق رأيهم على أن يرسلوا مكاتبة بخبر هذا الحادث الى اسلامبول وأن مراد بك يجهز العساكر ويخرج لملاقاتهم وحربهم، وانفض المجلس على ذلك وكتبوا المكاتبة وأرسلها بكر باشا مع رسوله على طريق البرلياتية بالترياق من العراق وأخذوا في الاستعداد للثغر وقضاء اللوازم والمهمات في مدة خمسة أيام، فصاروا يصادرون الناس ويأخذون أغلب ما يحتاجون إليه بدون ثمن، ثم ارتحل مراد بك بعد صلاة الجمعة وبرز خيامه ووطاقه الى الجسر الأسود فمكث به يومين حتى تكامل العسكر وصناجقه وعلي باشا الطرابلسي وناصف باشا، فإنهم كانوا من أخصائيه ومقيمين معه بالجيزة وأخذ معه عدة كثيرة من المدافع والبارود وسار من البر مع العساكر الخيالة، وأما الرجال وهم الألداشات القلينجية والأروام والمغاربة فإنهم ساروا في البحر مع الغلايين الصغار التي أنشأها الأمير المذكور ولما ارتحل من الجسر الأسود أرسل الى مصر يأمر بعمل سلسلة من الحديد في غاية الثخن والمتانة طولها مائة ذراع وثلاثون ذراعاً لتنصب على البغاز عند برج مغيزل من البر الى البر، لتمنع مراكب الفرنسيس من العبور لبحر النيل، وذلك بإشارة علي باشا وأن يعمل عندها جسر من المراكب وينصب عليها متاريس ومدافع، ظناً منهم أن الإفرنج لا يقدرون على محاربتهم في البر وأنهم يعبرون في المراكب ويقاتلونهم وهم في المراكب وأنهم يصابرونهم ويطاولونهم في القتال حتى تأتيهم النجدة، وكان الأمر بخلاف ذلك فإن الفرنسيس عندما ملكوا الاسكندرية ساروا في طريق البر الغربي من غير ممانع، وفي أثناء خروج مراد بك والحركة بدت الوحشة في الأسواق وكثر الهرج بين الناس والأرجاف وانقطعت الطرق وأخذت الحرامية في كل ليلة تطرق أطراف البلد، وانقطع مشي الناس من المرور في الطرق والأسواق من المغرب، فنادى الآغا الوالي بفتح الأسواق والقهاوي ليلاً وتعليق القناديل على البيوت والدكاكين، وذلك لأمرين: الأول ذهاب الوحشة من القلوب وحصول الاستئناس والثاني الخوف من الدخيل في البلد.

وفي يوم الاثنين وردت الأخبار بأن الفرنسيس وصلوا الى دمنهور ورشيد وخرج معظم أهل تلك البلاد على وجوههم فذهبوا الى فوة ونواحيها والبعض طلب الأمان وأقام ببلده وهم العقلاء، وقد كانت الفرنسيس حين دخولهم بالاسكندرية كتبوا مرسوماً وطبعوه وأرسلوا منه نسخاً الى البلاد التي يقدمون عليها تطميناً لهم، ووصل هذا المكتوب مع جملة من الأسارى الذين وجدوهم بمالطة وحضروا صحبتهم وحضر منهم جملة الى بولاق، وذلك قبل وصول الفرنسيس بيوم أو بيومين ومعهم منه عدة نسخ ومنهم مغاربة وفيهم جواسيس وهم على شكلهم من كفار مالطة ويعرفون باللغات.

وصورة ذلك المكتوب: بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله لا ولد له ولا شريك له في ملكه، من طرف الفرنساوية المبني على أساس الحرية والتسوية، السر عسكر الكبير أمير الجيوش الفرنساوية بونابارته يعرف أهالي مصر جميعهم أن من زمان مديد

الصناجق الذين يتسلطون في البلاد المصرية يتعاملون بالذل والاحتقار في حق الملة الفرنساوية يظلمون تجارها بأنواع الإيذاء والتعدي، فحضر الآن ساعة عقوبتهم وأخرنا من مدة عصور طويلة هذه الزمرة المماليك المجلوبين من بلاد الأزابكة والجراكسة يفسدون في الإقليم الحسن الأحسن الذي لا يوجد في كرة الأرض كلها، فأما رب العالمين القادر على كل شيء فإنه قد حكم على انقضاء دولتهم، يا أيها المصريون، قد قيل لكم إنني ما نزلت بهذا الطرف إلا بقصد إزالة دينكم فذلك كذب صريح فلا تصدقوه، وقولوا للمفترين إنني ما قدمت إليكم إلا لأخلص حقكم من يد الظالمين وإنني أكثر من المماليك أعبد الله سبحانه وتعالى وأحترم نبيه والقرآن العظيم، وقولوا أيضاً لهم إن جميع الناس متساوون عند الله وإن الشيء الذي يفرقهم عن بعضهم هو العقل والفضائل والعلوم فقط، وبين المماليك والعقل والفضائل تضارب فماذا يميزهم عن غيرهم حتى يستوجبوا أن يتملكوا مصر وحدهم ويختصوا بكل شيء أحسن فيها من الجواري الحسان والخيل العتاق والمساكن المفرحة، فإن كانت الأرض المصرية التزاماً للمماليك فليرونا الحجة التي كتبها الله لهم، ولكن رب العالمين رؤوف وعادل وحليم، ولكن بعونه تعالى من الآن فصاعداً لا ييأس أحد من أهالي مصر عن الدخول في المناصب السامية وعن اكتساب المراتب العالية، فالعلماء والفضلاء والعقلاء بينهم سيدبرون الأمور وبذلك يصلح حال الأمة كلها، وسابقاً كان في الأراضي المصرية المدن العظيمة والخلجان الواسعة والمتجر المتكاثر وما أزال ذلك كله إلا الظلم والطمع من المماليك، أيها المشايخ والقضاة والأئمة والجربجية وأعيان البلد قولوا لأمتكم إن الفرنساوية هم أيضاً مسلمون مخلصون وإثبات ذلك أنهم قد نزلوا في رومية الكبرى وخربوا فيها كرسي الباب الذي كان دائماً يحث النصارى على محاربة الإسلام، ثم قصدوا جزيرة مالطة وطردوا منها الكواللرية الذين كانوا يزعمون أن الله تعالى يطلب منهم مقاتلة المسلمين، ومع ذلك الفرنساوية في كل وقت من الأوقات صاروا محبين مخلصين لحضرة السلطان العثماني وأعداء أعدائه أدام الله ملكه، ومع ذلك إن المماليك امتنعوا من إطاعة السلطان غير ممتثلين لأمره فما أطاعوا أصلاً إلا لطمع أنفسهم، طوبى ثم طوبى لأهالي مصر الذين يتفقون معنا بلا تأخير فيصلح حالهم وتعلو مراتبهم، طوبى أيضاً للذين يقعدون في مساكنهم غير مائلين لأحد من الفريقين المتحاربين فإذا عرفونا بالأكثر تسارعوا إلينا بكل قلب، لكن الويل ثم الويل للذين يعتمدون على المماليك في محاربتنا فلا يجدون بعد ذلك طريقاً الى الخلاص ولا يبقى منهم أثر.

المادة الأولى – جميع القرى الواقعة في دائرة قريبة بثلاث ساعات من المواضع التي يمر بها عسكر الفرنساوية فواجب عليها أن ترسل للسر عسكر من عندها وكلاء كيما يعرف المشار إليه أنهم أطاعوا وأنهم نصبوا علم الفرنساوية الذي هو أبيض وكحلي وأحمر، المادة الثانية – كل قرية تقوم على العسكر الفرنساوي تحرق بالنار.

المادة الثالثة – كل قرية تطيع العسكر الفرنساوي أيضاً تنصب صنجاق السلطان العثماني محبنا دام بقاؤه.

المادة الرابعة – المشايخ في كل بلد يختمون حالاً جميع الأرزاق والبيوت والأملاك التي تتبع المماليك وعليهم الاجتهاد التام لئلا يضيع أدنى شيء منها.

المادة الخامسة – الواجب على المشايخ والعلماء والقضاة والأئمة أنهم يلازمون وظائفهم وعلى كل أحد من أهالي البلدان أن يبقى في مسكنه مطمئناً وكذلك تكون الصلاة قائمة في الجوامع على العادة، والمصريون بأجمعهم ينبغي أن يشكروا الله سبحانه وتعالى لانقضاء دولة المماليك قائلين بصوت عالي أدام الله إجلال السلطان العثماني، أدام الله إجلال العسكر الفرنساوي، لعن

الله المماليك وأصلح حال الأمة المصرية.

تحريراً بمعسكر اسكندرية في 13 شهر سيدور سنة 1213 من إقامة الجمهور الفرنساوي، يعني في آخر شهر محرم سنة هجرية اه- بحروفه.

وفي يوم الخميس الثاني والعشرين من الشهر وردت الأخبار بأن الفرنسيس وصلوا الى نواحي فوة ثم الى الرحمانية.

واستهل شهر صفر سنة 1213 - وفي يوم الأحد غرة شهر صفر وردت الأخبار بأن في يوم الجمعة التاسع والعشرين من شهر محرم التقى العسكر المصري مع الفرنسيس فلم تكن إلا ساعة وانهزم مراد بك ومن معه، ولم يقع قتال صحيح وإنما هي مناوشة من طلائع العسكرين بحيث لم يقتل إلا القليل من الفريقين واحترقت مراكب مراد بك بما فيها من الجبخانة والآلات الحربية، واحترق بها رئيس الطبجية خليل الكردلي وكان قد قاتل في البحر قتالاً عجيباً فقدر الله أن علقت نار بالقلع وسقط منها نار الى البارود فاشتعلت جميعها بالنار واحترقت المركب بما فيه من المحاربين وكبيرهم وتطايروا في الهواء، فلما عاين ذلك مراد بك داخله الرعب وولى منهزماً وترك الأثقال والمدافع وتبعته عساكره، ونزلت المشاة في المراكب ورجعوا طالبين مصر ووصلت الأخبار بذلك الى مصر فاشتد انزعاج الناس، وركب ابراهيم بك الى ساحل بولاق وحضر الباشا والعلماء ورؤوس الناس وأعملوا رأيهم في هذا الحادث العظيم، فاتفق رأيهم على عمل متاريس من بولاق الى شبرا ويتولى الإقامة ببولاق ابراهيم بك وكشافه ومماليكه، وقد كانت العلماء عند توجه مراد بك تجتمع بالأزهر كل يوم ويقرأون البخاري وغيره من الدعوات، وكذلك مشايخ فقراء الأحمدية والرفاعية والبراهمة والقادرية والسعدية وغيرهم من الطوائف وأرباب الأشاير ويعملون لهم مجالس بالأزهر وكذلك أطفال المكاتب ويذكرون الاسم اللطيف وغير من الأسماء.

وفي يوم الإثنين حضر مراد بك الى بر انبابة وشرع في عمل متاريس هناك ممتدة الى بشتيل، وتولى ذلك هو وصناجقه وأمراؤه وجماعة من خشداشينه، واحتفل في ترتيب ذلك وتنظيمه بنفسه هو وعلي باشا الطرابلسي ونصوح باشا، وأحضروا المراكب الكبار والغلايين التي أنشأها بالجيزة وأوقفها على ساحل انبابة وشحنها بالعساكر والمدافع فصار البر الغربي والشرقي مملوئين بالمدافع والعساكر والمتاريس والخيالة والمشاة، ومع ذلك فقلوب الأمراء لم تطمئن بذلك، فإنهم من حين وصول الخبر من الاسكندرية شرعوا في نقل أمتعتهم من البيوت الكبار المشهورة المعروفة الى البيوت الصغار التي لا يعرفها أحد واستمروا طول الليالي ينقلون الأمتعة ويوزعونها عند معارفهم وثقاتهم، وأرسلوا البعض منها لبلاد الأرياف، وأخذوا أيضاً في تشهيل الأحمال واستحضار دواب للشيل وأدوات الارتحال، فلما رأى أهل البلدة منهم ذلك داخلهم الخوف الكثير والفزع واستعد الأغنياء وأولو المقدرة للهروب ولولا أن الأمراء منعوهم من ذلك وزجروهم وهددوا من أراد النقلة لما بقي بمصر منهم واحد.

وفي يوم الثلاثاء نادوا بالنفير العام وخروج الناس للمتاريس وكرروا المناداة بذلك كل يوم فأغلق الناس الدكاكين والأسواق وخرج الجميع لبر بولاق، فكانت كل طائفة من طوائف أهل الصناعات يجمعون الدراهم من بعضهم وينصبون لهم خياماً أو يجلسون في مكان خرب أو مسجد ويرتبون لهم فيما يصرف عليهم ما يحتاجون له من الدراهم التي جمعوها من بعضهم وبعض الناس يتطوع بالإنفاق على البعض الآخر ومنهم من يجهز جماعة من المغاربة والشوام بالسلاح والأكل وغير ذلك، بحيث أن جميع الناس بذلوا وسعهم وفعلوا ما في قوتهم وطاقتهم وسمحت نفوسهم بإنفاق أموالهم، فلم يشح في ذلك الوقت أحد بشيء

يملكه ولكن لم يسعفهم الدهر، وخرجت الفقراء وأرباب الأشاير بالطبول والزمور وأعلام والكاسات وهم يضجون ويصيحون ويذكرون بأذكار مختلفة، وصعد السيد عمر أفندي نقيب الأشراف الى القلعة فأنزل منها بيرقاً كبيراً سمته العامة البيرق النبوي، فنشره بين يديه من القلعة الى بولاق وأمامه وحوله ألوف من العامة بالنبابيت والعصي يهللون ويكبرون ويكثرون من الصياح ومعهم الطبول والزمور وغير ذلك، وأما مصر فإنها باقية خالية الطرق لا تجد بها أحداً سوى النساء في البيوت والصغار وضعفاء الرجال الذين لا يقدرون على الحركة، فإنهم مستترون مع النساء في بيوتهم والأسواق مصفرة والطرق مجفرة من عدم الكنس والرش وغلا سعر البارود والرصاص، بحيث يبيع الرطل البارود بستين نصفاً والرصاص بتسعين، وغلا جنس أنواع السلاح وقل وجوده، وخرج معظم الرعايا بالنبابيت والعصي والمساوق وجلس مشايخ العلماء بزاوية علي بك ببولاق يدعون ويبتهلون الى الله بالنصر، وأقام غيرهم من الرعايا البعض بالبيوت والبعض بالزوايا والبعض بالخيام.

ومحصل الأمر أن جميع من بمصر من الرجال تحول الى بولاق وأقام بها من حين نصب ابراهيم بك العرضي هناك الى وقت الهزيمة سوى القليل من الناس الذين لا يجدون لهم مكاناً ولا مأوى فيرجعون الى بيوتهم يبيتون بها ثم يصيحون الى بولاق، وأرسل ابراهيم بك الى العربان المجاورة لمصر ورسم لهم أن يكونوا في المقدمة بنواحي شبرا وما والاها، وكذلك اجتمع عند مراد بك الكثير من عرب البحيرة والجيزة والصعيد والخبيرية والقيعان وأولاد علي والهنادي وغيرهم وفي كل يوم يتزايد الجمع ويعظم الهول ويضيق الحال بالفقراء الذين يحصلون أقواتهم يوماً فيوماً لتعطل الأسباب واجتماع الناس كلهم في صعيد واحد، وانقطعت الطرق وتعدى الناس بعضهم على بعض لعدم التفات الحكام واشتغالهم بما دهمهم.

وأما بلاد الأرياف فإنها قامت على ساق يقتل بعضهم بعضاً وينهب بعضهم بعضاً وكذلك العرب غارت على الأطراف والنواحي، وصار قطر مصر من أوله الى آخره في قتل ونهب وإخافة طريق وقيام شر وإغارة على الأموال وإفساد المزارع وغير ذلك من أنواع الفساد الذي لا يحصى، وطلب أمراء مصر التجار من الإفرنج بمصر فحبسوا بعضهم بالقلعة وبعضهم بأماكن الأمراء وصاروا يفتشون في محلات الإفرنج على الأسلحة وغيرها، وكذلك يفتشون بيوت النصارى الشوام والأقباط والأروام والكنائس والأديرة على الأسلحة والعامة لا ترضى إلا أن يقتلوا النصارى واليهود، فيمنعهم الحكام عنهم ولولا ذلك المنع لقتلتهم العامة وقت الفتنة، ثم في كل يوم تكثر الإشاعة بقرب الفرنسيس الى مصر وتختلف الناس في الجهة التي يقصدون المجيء منها فمنهم من يقول إنهم واصلون من البر الغربي ومنهم من يقول بل يأتون من الشرقي ومنهم من يقول بل يأتون من الجهتين، هذا وليس لأحد من أمراء العساكر همة أن يبعث جاسوساً أو طليعة تناوشهم بالقتال قبل دخولهم وقربهم ووصولهم الى فناء المصر، بل كل من ابراهيم بك ومراد بك جمع عسكره ومكث مكانه لا ينتقل عنه ينتظر ما يفعل بهم وليس ثم قلعة ولا حصن ولا معقل، وهذا من سوء التدبير وإهمال أمر العدو.

ولما كان يوم الجمعة سادس الشهر وصل الفرنسيس الى الجسر الأسود وأصبح يوم السبت فوصلوا الى أم دينار، فعندها اجتمع العالم العظيم من الجند والرعايا والفلاحين المجاورة بلادهم لمصر ولكن الأجناد متنافرة قلوبهم منحلة عزائمهم مختلفة آراؤهم حريصون على حياتهم وتنعمهم ورفاهيتهم مختالون في رئيسهم مغترون بجمعهم محتقرون شأن عدوهم مرتبكون في رويتهم مغمورون في غفلتهم، وهذا كله من أسباب ما وقع من خذلانهم وهزيمتهم وقد كان الظن بالفرنسيس أن يأتوا من البرين بل

أشيع في عرضي ابراهيم بك أنهم قادمون من الجهتين فلم يأتوا إلا من البر الغربي.

ولما كان وقت القائلة ركب جماعة من العساكر التي بالبر الغربي وتقدموا الى ناحية بشتيل بلد مجاورة لانبابة فتلاقوا مع مقدمة الفرنسيس فكروا عليهم بالخيول فضربهم الفرنسيس ببنادقهم المتتابعة الرمي وأبلى الفريقان، وقتل أيوب بك الدفتردار وعبده الله كاشف الجرف وعدة كثيرة من كشاف محمد بك الإلفي ومماليكهم، وتبعهم طابور من الإفرنج في نحو الستة آلاف وكبيره ويزه الذي ولي على الصعيد بعد تملكهم، وأما بونابارته الكبير فإنه لم يشاهد الواقعة بل حضر بعد الهزيمة وكان بعيداً عن هؤلاء بكثير، ولما قرب طابور الفرنسيس من متاريس مراد بك ترامى الفريقان بالمدافع وكذلك العساكر المحاربون البحرية وحضر عدة وافرة من عساكر الأرنؤد من دمياط وطلعوا الى انبابة وانضموا الى المشاة وقاتلوا معهم في المتاريس، فلما غاين وسمع عسكر البر الشرقي القتال ضج العامة والغوغاء من الرعية واخلاط الناس بالصياح ورفع الأصوات بقولهم يا رب ويا لطيف ويا رجال الله ونحو ذلك، وكأنهم يقاتلون ويحاربون بصياحهم وجلبتهم، فكان العقلاء من الناس يصرخون عليهم ويأمرونهم بترك ذلك ويقولون لهم إن الرسول والصحابة والمجاهدين إنما كانوا يقاتلون بالسيف والحراب وضرب الرقاب لا برفع الأصوات والصراخ والنباح، فلا يستمعون ولا يرجعون عما هم فيه، ومن يقرأ ومن يسمع، وركب طائفة كبيرة من الأمراء والأجناد من العرضي الشرقي ومنهم ابراهيم بك الوالي وشرعوا في التعدية الى البر الغربي في المراكب فتزاحموا على المعادي لكون التعدية من محل واحد والمراكب قليلة جداً، فلم يصلوا الى البر الآخر حتى وقعت الهزيمة به على المحاربين، هذا والريح النكباء اشتد هبوبها وأمواج البحر في قوة اضطرابها والرمال يعلو غبارها وتنسفها الريح في وجوه المصريين فلا يقدر أحد أن يفتح عينيه من شدة الغبار، وكون الريح من ناحية العدو وذلك من أعظم أسباب الهزيمة كما هو منصوص عليه.

ثم إن الطابور الذي تقدم لقتال مراد بك انقسم على كيفية معلومة عندهم في الحرب وتقارب من المتاريس بحيث صار محيطاً بالعسكر من خلفه وأمامه ودق طبوله وأرسل بنادقه المتتالية والمدافع واشتد هبوب الريح وانعقد الغبار وأظلمت الدنيا دخان البارود وغبار الرياح وصمت الأسماع من توالي الضرب بحيث خيل للناس أن الأرض تزلزلت والسماء عليها سقطت. واستمر الحرب والقتال نحو ثلاثة أرباع ساعة ثم كانت هذه الهزيمة على العسكر الغربي، فغرق الكثير من الخيالة في البحر لإحاطة العدو بهم وظلام الدنيا والبعض وقع أسيراً في أيدي الفرنسيس وملكوا المتاريس، وفر مراد بك ومن معه الى الجيزة فصعد الى قصره وقضى بعض أشغاله في نحو ربع ساعة، ثم ركب وذهب الى الجهة القبلية، وبقيت القتلى والثياب والأمتعة والأسلحة والفرش ملقاة على الأرض ببر انبابة تحت الأرجل، وكان من جملة من ألقى نفسه في البحر سليمان بك المعروف بالآغا وأخوه ابراهيم بك الوالي فأما سليمان بك فنجا وغرق ابراهيم بك الصغير وهو صهر ابراهيم بك الكبير، ولما انهزم العسكر الغربي حول الفرنسيس المدافع والبنادق على البر الشرقي وضربوها وتحقق أهل البر الآخر الهزيمة فقامت فيهم ضجة عظيمة وركب في الحال ابراهيم بك والباشا والأمراء والعسكر والرعايا وتركوا جميع الأثقال والخيام كما هي لم يأخذوا منها شيئاً، فأما ابراهيم بك والباشا والأمراء فساروا الى جهة العادلية وأما الرعايا فهاجوا وماجوا ذاهبين الى جهة المدينة ودخلوها أفواجاً أفواجاً، وهم جميعاً في غاية الخوف والفزع وترقب الهلاك وهم يضجون بالعويل والنحيب ويبتهلون الى الله من شر هذا اليوم العصيب، والنساء يصرخن بأعلى أصواتهن من البيوت وقد كان ذلك قبل الغروب، فلما استقر ابراهيم بك بالعادلية أرسل يأخذ حريمه

وكذلك من كان معه من الأمراء فأركبوا النساء بعضهن على الخيول وبعضهن على البغال والبعض على الحمير والجمال والبعض ماش كالجواري والخدم، واستمر معظم الناس طول الليل خارجين من مصر البعض بحريمه والبعض ينجو بنفسه، ولا يسأل أحد عن أحد بل كل واحد مشغول بنفسه عن أبيه وابنه، فخرج تلك الليلة معظم أهل مصر البعض لبلاد الصعيد والبعض لجهة الشرق وهم الأكثر، وأقام بمصر كل مخاطر بنفسه لا يقدر على الحركة ممتثلاً للقضاء متوقعاً للمكروه، وذلك لعدم قدرته وقلة ذات يده وما ينفقه على حمل عياله وأطفاله ويصرفه عليهم في الغربة فاستسلم للمقدور ولله عاقبة الأمور، والذي أزعج قلوب الناس بالأكثر أن في عشاء تلك الليلة شاع في الناس أن الإفرنج عدوا الى بولاق وأحرقوها وكذلك الجيزة وأن أولهم وصل الى باب الحديد يحرقون ويقتلون ويفجرون بالنساء، وكان السبب في هذه الإشاعة أن بعض القلينجية من عسكر مراد بك الذي كان في الغليون بمرسي انبابة لما تحقق الكسرة أضرم النار في الغليون الذي هو فيه وكذلك مراد بك لما رحل من الجيزة أمر بانجرار الغليون الكبير من قبالة قصره ليصحبه معه الى جهة قبلي، فمشوا به قليلاً ووقف لقلة الماء في الطين وكان به عدة وافرة من آلات الحرب والجبخانة فأمر بحرقه أيضاً، فصعد لهيب النار من جهة الجيزة وبولاق ظنوا بل أيقنوا أنهم أحرقوا البلدين، فماجوا واضطربوا زيادة عما هم فيه من الفزع والروع والجزع، وخرج أعيان الناس وأفندية الوجاقات وأكابرهم ونقيب الأشراف وبعض المشايخ القادرين، فلما عاين العامة والرعية ذلك اشتد ضجرهم وخوفهم وتحركت عزائمهم للهروب واللحاق بهم، والحال أن الجميع لا يدرون أي جهة يسلكون وأي طريق يذهبون وأي محل يستقرون، فتلاحقوا وتسابقوا وخرجوا من كل حدب ينسلون وبيع الحمار الأعرج أو البغل الضعيف بأضعاف ثمنه وخرج أكثرهم ماشياً أو حاملاً متاعه على رأسه وزوجته حاملة طفلها ومن قدر على مركوب أركب زوجته أو ابنته ومشى هو على أقدامه، وخرج غالب النساء ماشيات حاسرات وأطفالهن على أكتافهن يبكين في ظلمة الليل، واستمروا على ذلك بطول ليلة الأحد وصحبها وأخذ كل إنسان ما قدر على حمله من مال ومتاع، فلما خرجوا من أبواب البلد وتوسطوا الفلاة تلقتهم العربان والفلاحون فأخذوا متاعهم ولباسهم وأحمالهم بحيث لم يتركوا لمن صادفوه ما يستر به عورته أو يسد جوعته، فكان ما أخذته العرب شيئاً كثيراً يفوق الحصر بحيث أن الأموال والذخائر التي خرجت من مصر في

تلك الليلة أضعاف ما بقي فيها بلا شك، لأن معظم الأموال عند الأمراء والأعيان وحريمهم وقد أخذوه صحبتهم وغالب مساتير الناس وأصحاب المقدرة أخرجوا أيضاً ما عندهم والذي أقعده العجز وكان عنده ما يعز عليه من مال أو مصاغ أعطاه لجاره أو صديقه الراحل ومثل ذلك أمانات وودائع الحجاج من المغاربة والمسافرين فذهب ذلك جميعه، وربما قتلوا من قدروا عليه أو دافع عن نفسه ومتاعه وسلبوا ثياب النساء وفضحوهن وهتكوهن وفيهم الخوندات والأعيان، فمنهم من رجع من قريب وهم الذين تأخروا في الخروج وبلغهم ما حصل للسابقين ومنهم من جازف متكلاً على كثرته وعزوته وخفارته فسلم أو عطب، وكانت ليلة وصباحها في غاية الشناعة جرى فيها ما لم يتفق مثله في مصر ولا سمعنا بما شابه بعضه في تواريخ المتقدمين، فما راء كم سمعا، ولما أصبح يوم الأحد المذكور والمقيمون لا يدرون ما يفعل بهم ومتوقعون حلول الفرنسيس ووقوع المكروه ورجع الكثير من الفارين وهم في أسوأ حال من العري والفزع فتبين أن الإفرنج لم يعدوا الى البر الشرقي وأن الحريق كان في المراكب المتقدم ذكرها، فاجتمع في الأزهر بعض العلماء والمشايخ وتشاوروا فاتفق رأيهم على أن يرسلوا مراسلة الى الإفرنج ينتظروا ما يكون من جوابهم، ففعلوا ذلك وأرسلوها صحبة شخص مغربي يعرف لغتهم وآخر صحبته،

فغابا وعاد فأخبرا أنهما قابلا كبير القوم وأعطياه الرسالة فقرأها عليه ترجمانه ومضمونها الاستفهام عن قصدهم، فقال على لسان الترجمان: وأين عظماؤكم ومشايخكم لم تأخروا عن الحضور إلينا لنرتب لهم ما يكون فيه الراحة، وضمنهم وبش في وجوههم فقالوا: نريد أماناً منكم، فقال: أرسلنا لكم سابقاً يعنون الكتاب المذكور فقالوا وأيضاً لأجل اطمئنان الناس، فكتبوا لهم ورقة أخرى مضمونها: من معسكر الجيزة خطاباً لأهل مصر، إننا أرسلنا لكم ف يالسابق كتاباً فيه الكفاية وذكرنا لكم أننا حضرنا إلا بقصد إزالة المماليك الذين يستعملون الفرنساوية بالذل والاحتقار وأخذ مال التجار ومال السلطان، ولما حضرنا الى البر الغربي خرجوا إلينا فقابلناهم بما يستحقونه وقتلنا بعضهم وأسرنا بعضهم ونحن في طلبهم حتى لم يبق أحد منهم بالقطر المصري، وأما المشايخ والعلماء وأصحاب المرتبات والرعية فيكونون مطمئنين وفي مساكنهم مرتاحين الى آخر ما ذكرته، ثم قال لهم: لابد أن المشايخ والشربجية يأتون إلينا لنرتب لهم ديواناً ننتخبه من سبعة أشخاص عقلاء يدبرون الأمور، ولما رجع الجواب بذلك اطمأن الناس وركب الشيخ مصطفى الصاوي والشيخ سليمان الفيومي وآخرون الى الجيزة فتلقاهم وضحك لهم، وقال: أنتم المشايخ الكبار فأعلموه أن المشايخ الكبار خافوا وهربوا فقال: لأي شيء يهربون اكتبوا لهم بالحضور ونعمل لكم ديواناً لأجل راحتكم وراحة الرعية وأجراء الشريعة، فكتبوا منه عدة مكاتبات بالحضور والأمان، ثم انفصلوا من معسكرهم بعد العشاء وحضروا الى مصر، واطمأن برجوعهم الناس وكانوا في وجل وخوف على غيابهم وأصبحوا فأرسلوا الأمان الى المشايخ فحضر الشيخ السادات والشيخ الشرقاوي والمشايخ ومن انضم إليهم من الناس الفارين من ناحية المطرية، وأما عمر أفندي نقيب الأشراف فإنه لم يطمئن و لم يحضر وكذلك الروزنامجي والأفندية وفي ذلك اليوم اجتمعت الجعيدية وأوباش الناس ونهبوا بيت ابراهيم بك ومراد بك اللذين بخطة قوصون وأحرقوهما، ونهبوا أيضاً عدة بيوت من بيوت الأمراء وأخذوا ما فيها من فرش ونحاس وأمتعة وغير ذلك وباعوه بأبخس الأثمان.

وفي يوم الثلاثاء عدت الفرنساوية الى بر مصر وسكن بونابارته ببيت محمد بك الالفي بالأزبكية بخط الساكت الذي أنشأه الأمير المذكور في السنة الماضية وزخرفه وصرف عليه أموالاً عظمية وفرشه بالفرش الفاخرة، وعند تمامه وسكناه فيه حصلت هذه الحادثة فأخلوه وتركوه بما فيه فكأنه إنما كان يبنيه لأمير الفرنسيس، وكذلك حصل في بيت حسن كاشف جركس بالناصرية، ولما عدى كبيرهم وسكن بالأزبكية كما ذكر استمر غالبهم بالبر الآخر و لم يدخل المدينة إلا القليل منهم ومشوا في الأسواق من غير سلاح ولا تعديل، صاروا يضاحكون الناس ويشترون ما يحتاجون إليه بأغلى ثمن فيأخذ أحدهم الدجاجة ويعطي صاحبهافي ثمنها ريال فرانسة، ويأخذ البيضة بنصف فضة قياساً على أسعار بلادهم وأثمان بضائعهم، فلما رأى منهم العامة ذلك أنسوا بهم واطمأنوا لهم وخرجوا إليهم بالكعك وأنواع الفطير والخبز والبيض والدجاج وأنواع المأكولات وغير ذلك مثل السكر والصابون والدخان والبن وصاروا يبيعون عليهم بما أحبوا من الأسعار وفتح غالب السوق الحوانيت والقهاوي.

وفي يوم الخميس ثالث عشر صفر أرسلوا بطلب المشايخ والوجاقلية عند قائمقام صاري عسكر فلما استقر بهم الجلوس خاطبوهم وتشاوروا معهم في تعيين عشرة أنفار من المشايخ للديوان وفصل الحكومات.

فوقع الاتفاق على الشيخ عبد الله الشرقاوي والشيخ خليل البكري والشيخ مصطفى الصاوي والشيخ سليمان الفيومي والشيخ

محمد المهدي والشيخ موسى السرسي والشيخ مصطفى الدمنهوري والشيخ أحمد العريشي والشيخ يوسف الشبرخيتي والشيخ محمد الدواخلي وحضر ذلك المجلس أيضاً مصطفى كتخدا بكر باشا والقاضي وقلدوا محمد آغا المسلماني أغات مستحفظان وعلي آغا الشعراوي والي الشرطة وحسن آغا محرم أمين احتساب، وذلك بإشارة أرباب الديوان فإنهم كانوا ممتنين من تقليد المناصب لجنس المماليك، فعرفوهم أن سوقة مصر لا يخافون إلا من الأتراك ولا يحكمهم سواهم وهؤلاء المذكورون من بقايا البيوت القديمة الذين لا يتجاسرون على الظلم كغيرهم، وقلدوا ذا الفقار كتخدا محمد بك كتخدا بونابارته ومن أرباب المشورة الخواجا موسى كانوا وكلاء الفرنساوي ووكيل الديوان حنا بينو.

وفيه اجتمع أرباب الديوان عند رئيسه فذكر لهم ما وقع من نهب البيوت فقالوا له هذا فعل الجعيدية وأوباش الناس فقال لأي شيء يفعلون ذلك وقد أوصيناكم بحفظ البيوت والختم عليها، فقالوا هذا أمر لا قدرة لنا على منعه وإنما ذلك من وظيفة الحكام، فأمروا الآغا والوالي أن ينادوا بالأمان وفتح الدكاكين والأسواق والمنع من النهب، فلم يسمعوا و لم ينتهوا واستمر غالب الدكاكين والأسواق معطلة والناس غير مطمئنين، وفتح الفرنسيس بعض البيوت المغلوقة التي للأمراء ودخلوها وأخذوا منها أشياء وتركوها مفتوحة، فعندما يخرجون منها يدخلها طائفة الجعيدية ويستأصلون ما فيها، واستمروا على ذلك عدة أيام ثم أنهم تتبعوا بيوت الأمراء وأتباعهم وختموا على بعضها وسكنوا بعضها، فكان الذي يخاف على داره من جماعة الوجاقلية أو من أهل البلد يعلق له بنديرة على باب داره أو يأخذ له ورقة من الفرنسيس بخطهم يلصقها على داره.

وفيه قلدوا برطلمين النصراني الرومي وهو الذي تسميه العامة فرط الرمان كتخدا مستحفظان وركب بموكب من بيت صاري عسكر وأمامه عدة من طوائف الأجناد والبطالين مشاة بين يده وعلى رأسه حشيشة من الحرير الملون وهو لابس فروة بزعادة وبين يديه الخدم بالحراب المفضضة ورتب له بيوك باشي وقلقات عينوا لهم مراكز باخطاط البلد يجلسون بها، وسكن المذكور ببيت يحيى كاشف الكبير بحارة عابدين أخذه بما فيه من فرش ومتاع وجواري وغير ذلك، والمذكور من أسافل نصارى الأروام العسكرية القاطنين بمصر، وكان من الطبجية عند محمد بك الالفي، وله حانوت بخط الموسكي يبيع فيه القوارير الزجاج أيام البطالة، وقلدوا أيضاً شخصاً افرنجياً وجعلوه أمين البحرين وآخر جعلوه آغات الرسالة وجعلوا الديوان ببيت قائد آغا بالأزبكية قرب الرويعي، وسكن به رئيس الديوان وسكن روتوي قائمقام مصر ببيت ابراهيم بك الوالي المطل على بركة الفيل وسكن شيخ البلد ببيت ابراهيم بك الكبير وسكن مجلون ببيت مراد بك على رصيف الخشاب وسكن بوسليك مدير الحدود ببيت الشيخ البكري القديم، ويجتمع عنده النصارى القبط كل يوم وطلبوا الدفاتر من الكتبة، ثم إن عساكرهم صارت تدخل المدينة شيئاً فشيئاً حتى امتلأت منها الطرقات وسكنوا في البيوت ولكن لم يشوشوا علي أحد، ويأخذون المشتروات بزيادة عن ثمنها، ففجر السوقة وصغروا أقراص الخبز وطحنوه بترابه وفتح الناس عدة دكاكين بجواره ساكنهم يبيعون فيها أصناف المأكولات مثل الفطير والكعك والسمك المقلي واللحوم والفراخ المحمرة وغير ذلك، وفتح نصارى الأروام عدة دكاكين لبيع أنواع الأشربة وخمامير وقهاوي، وفتح بعض الإفرنج البلدين بيوتاً يصنع فيها أنواع الأطعمة والأشربة على طرائقهم في بلادهم، فيشتري الأغنام والدجاج والخضارات والأسماك والعسل والسكر وجميع اللوازم ويطبخه الطباخون ويصنعون أنواع الأطعمة والحلاوات ويعمل على بابه علامة لذلك يعرفونها بينهم فإذا مرت طائفة بذلك المكان تريد الأكل دخلوا الى ذلك

المكان وهو يشتمل على عدة مجالس دون وأعلى، وعلى كل مجلس علامته ومقدار الدراهم التي يدفعها الداخل فيه، فيدخلون الى ما يريدون من المجالس وفي وسطه دكة من الخشب وهي الخوان التي يوضع عليها الطعام وحولها كراسي، فيجلسون عليها ويأتيهم الفراشون بالطعام على قوانينهم فيأكلون ويشربون على نسق لا يتعدونه، وبعد فراغ حاجتهم يدفعون ما وجب عليهم من غير نقص ولا زيادة ويذهبون لحالهم.

وفيه تشفع أرباب الديوان في أسرى المماليك فقبلوا شفاعتهم وأطلقوهم فدخل الكثير منهم الى الجامع الأزهر وهم في أسوأ حال وعليهم الثياب الزرق المقطعة، فمكثوا به يأكلون من صدقات الفقراء المجاورين به ويتكففون المارين وفي ذلك عبرة للمعتبرين.

وفي يوم السبت اجتمعوا بالديوان وطلبوا دراهم سلفة وهي مقدار خمسمائة ألف ريال من التجار المسلمين والنصارى القبط والشوام، وتجار الافرنج أيضاً فسألوا التخفيف فلم يجابوا فأخذوا في تحصيلها.

وفيه نادوا من أخذ شيئاً من نهب البيوت يحضر به الى بيت قائمقام وإن لم يفعل وظهر بعد ذلك حصل له مزيد الضرر ونادوا أيضاً على نساء الأمراء بالأمان وأنهن يسكن بيوتهن وإن كان عندهن شيء من متاع أزواجهن يظهرنه فإن لم يكن عندهن شيء من منتاع أزواجهن يصالحن على أنفسهن ويأمن في دورهن فظهرت الست نفيسة زوجة مراد بك وصالحت على نفسها وأتباعها من نساء الأمراء والكشاف بمبلغ قدره مائة وعشرون ألف ريال فرانسا.وأخذت في تحصيل ذلك من نفسها وغيرها ووجهوا عليها الطلب، وكذلك بقية النساء بالوسائط المتداخلين في ذلك كنصارى الشوام والإفرنج البلديين وغيرهم فصاروا يعملون عليهن إرهاصات وتخويفات، وكذلك مصالحات على الغز والأجناد المختفين والغائبين والفارين، فجمعوا بذلك أموالاً كثيرة، وكتبوا للغائبين أوراقاً بالأمان بعد المصالحة ويختم على تلك الأوراق المتقيدون بالديوان.

وفي يوم الأحد طلبوا الخيول والجمال والسلاح فكان شيئاً كثيراً وكذلك الأبقار والأثوار، فحصل فيها أيضاً مصالحات وأشاعوا التفتيش على ذلك وكسروا عدة دكاكين بسوق السلاح وغيره، وأخذوا ما وجدوه فيها من الأسلحة هذا وفي كل يوم ينقلون على الجمال والحمير من الأمتعة والفرش والصناديق والسروج وغير ذلك مما لا يحصى، ويستخرجون الخبايا والودائع ويطلبون البنائين والمهندسين والخدام الذين يعرفون بيوت أسيادهم بل يذهبون بأنفسهم ويدلونهم على أماكن الخبايا ومواضع الدفائن ليصير لهم بذلك قربة ووجاهة ووسيلة ينالون بها أغراضهم.

وفيه قبضوا على شيخ الجعيدية ومعه آخر وبندقوا عليهما بالرصاص ببركة الأزبكية ثم على آخرين أيضاً بالرميلة وأحضر النهابون أشياء كثيرة من الأمتعة التي نهبوها عندما داخلهم الخوف ودا على بعضهم البعض.

وفي يوم الثلاثاء طلبوا أهل الحرف من التجار بالأسواق وقرروا عليهم دراهم على سبيل القرض والسلفة مبلغاً يعجزون عنه وأجلوا لها أجلاً مقداره ستون يوماً فضجوا واستغاثوا وذهبوا الى الجامع الأزهر والمشهد الحسيني وتشفعوا بالمشايخ فتكلموا لهم ولطفوها الى النصف المطلوب ووسعوا لهم في أيام المهلة.

وفيه شرعوا في تكسير أبواب الدروب والبوابات النافذة وخرج عدة من عساكرهم يخلعون ويقلعون أبواب الدروب والعطف والحارات، فاستمروا على ذلك عدة أيام وداخل الناس من ذلك وهم وخوف شديد وظنوا ظنوناً وحصل عندهم فساد مخيلة

ووسوسة تجسمت في نفوسهم بألفاظ نطقوا بها وتصوروا حقيقتها وتناقلوها فيما بينهم، كقولهم إن عساكر الفرنسيس عازمون على قتل المسلمين وهم في صلاة الجمعة، ومنهم من يقول غير ذلك، وذلك بعد أن كان حصل عندهم بعض اطمئنان وفتحوا بعض الدكاكين فلما حصلت هاتان النكتتان انكمش الناس ثانية وارتجفت قلوبهم.

وفي عشرينه حضرت مكاتيب الحجاج من العقبة فذهب أرباب الديوان الى باش العسكر وأعلموه بذلك وطلبوا منه أماناً لأمير الحاج فامتنع وقال: لا أعطيه ذلك إلا بشرط أن يأتي في قلة ولا يدخل معه مماليك كثيرة ولا عسكر، فقالوا له: ومن يوصل الحجاج؟ فقال لهم: أنا أرسل لهم أربعة آلاف من العسكر يوصلونهم الى مصر، فكتبوا لأمير الحاج مكاتبة بالملاطفة وأنه يحضر بالحجاج الى الدار الحمراء وبعد ذلك يحصل الخير، فلم تصل إليهم الجوابات حتى كاتبهم ابراهيم بك يطلبهم للحضور الى جهة بلبيس فتوجهوا على بلبيس وأقاموا هناك أياماً وكان ابراهيم بك ومن معه ارتحل من بلبيس الى المنصورة وأرسلوا الحريم الى القرين، وفي ثالث عشرينه خرجت طائفة من العسكر الفرنساوي الى جهة العادلية وصار في كل يوم تذهب طائفة بعد أخرى ويذهبون الى جهة الشرق، فلما كان ليلة الأربعاء خرج كبيرهم بونابارته وكانت أوائلهم وصلت الى الخانكة وأبي زعبل وطلبوا كلفة من أبي زعبل فامتنعوا، فقاتلوهم وضربوهم وكسروهم ونهبوا البلدة وأحرقوها وارتحلوا الى بلبيس، وأما الحجاج فإنهم نزلوا ببلبيس واكترت حجاج الفلاحين مع العرب فأوصلوهم الى بلادهم بالغربية والمنوفية والقليوبجية وغيرها، وكذلك فعل الكثير من الحجاج فتفرقوا في البلد بحريمهم ومنهم من أقام ببلبيس وأما أمير الحاج صالح بك فإنه لحق بابراهيم بك وصحبته جماعة من التجار وغيرهم،

وفي ثامن عشرينه ملك الفرنساوية مدينة بلبيس من غير قتال وبها من بقي من الحجاج فلم يشوشوا عليهم وأرسلوها الى مصر وصحبتهم طائفة من عساكرهم ومعهم طبل، فلما كان ليلة الأحد غايته جاء الرائد الى الأمراء بالمنصورة وأخبرهم بوصول الإفرنج وقربهم منهم فركبوا نصف الليل وترفعوا الى جهة القرين وتركوا التجار وأصحاب الأثقال، فلما طلع النهار حضر إليهم جماعة من العربان واتفقوا معهم على أنهم يحملونهم الى القرين وحلفوا لهم وعاهدوهم على أنهم لا يخونونهم، فلما توسطوا بهم الطريق نقضوا عهدهم وخانوهم ونهبوا حملوهم وتقاسموا متاعهم وعروهم من ثيابهم وفيه كبير التجار السيد أحمد المحروقي، وكان ما يخصه نحو ثلثمائة ألف ريال فرانسة نقوداً ومتجراً م جميع الأصناف الحجازية وصنعت العرب معهم ما لا خير فيه ولحقهم عسكر الفرنساوية، فذهب السيد أحمد المحروقي الى صاري العسكر وواجهه وصحبته جماعة من العرب المنافقين، فشكا له ما حل به وبإخوانه فلامهم على تنقلهم وركونهم الى المماليك والعرب، ثم قبض على أبي خشبة شيخ بلد القرين وقال له: عرفني عن مكان المنهوبات، فقال: أرسل معي جماعة الى القرين، فأرسل معه جماعة دلهم على بعض الأحمال فأخذها الإفرنج ورفعوها ثم تبعوه الى محل آخر، فأوهمهم أنه يدخل ويخرج إليهم أحمالاً كذلك فدخل وخرج من مكان آخر وذهب هارباً، فرجع أولئك العسكر بجمل ونصف جمل لا غير وقالوا: هذا الذي وجدناه والرجل فر من أيدينا، فقال صاري عسكر: لابد من تحصيل ذلك فطلبوا منه الإذن في التوجه الى مصر فأصحب معهم عدة من عسكره أوصلوهم الى مصر وأمامهم طبل وهم في أسوأ حال، وصحبتهم أيضاً جماعة من النساء اللاتي كن خرجن ليلة الحادثة وهن أيضاً في أسوأ حالة تسكب عند مشاهدتهن العبرات.

واستهل شهر ربيع الأول بيوم الاثنين سنة 1213.

في ثانيه وصل الفرنساوية الى نواحي القرين وكان ابراهيم بك ومن معه وصلوا الى الصالحية وأودعوا مالهم وحريمهم هناك وضمنوا عليها العربان وبعض الجند، فأخبر بعض العرب الفرنساوية بمكان الحملة فركب صاري عسكر وأخذ معه الخيالة وقصد الإغارة على الحملة، وعلم ابراهيم بك بذلك أيضاً فركب هو وصالح بك وعدة من الأمراء والمماليك وتحاربوا معهم ساعة أشرف فيها الفرنسيس على الهزيمة لكونهم على الخيول، وإذا بالخبر وصل الى ابراهيم بك بأن العرب مالوا على الحملة يقصدون نهبها فعند ذلك فر بمن معه على إثره، وتركوا قتال الفرنسيس ولحقوا بالعرب وجلوهم عن متاعهم، وقتلوا منهم عدة وارتحلوا الى قطيا، ورجع صاري عسكر الى مصر وترك عدة من عساكره متفرقين في البلاد فدخل مصر ليلاً وذلك ليلة الخميس رابعه.

وفي يوم الجمعة خامسه لثالث عشر مسرى القبطي كان وفاء النيل المبارك، فأمر صاري عسكر بالاستعداد وتزيين العقبة كالعادة وكذلك زينوا عدة مراكب وغلايين ونادوا على الناس بالخروج الى النزهة في النيل والمقياس والروضة على عادتهم، أرسل صاري عسكر أوراقاً لكتخدا الباشا والقاضي وأرباب الديوان وأصحاب المشورة والمتولين للمناصب وغيرهم بالحضور في صحبها، وركب صحبتهم بموكبه وزينته وعساكره وطبوله وزموره الى قصر قنطرة السد وكسروا الجسر بحضرتهم وعملوا شنك مدافع ونفوطاً حتى جرى الماء في الخليج، وركب وهم صحبته حتى رجع الى داره، وأما أهل البلد فلم يخرج منهم أحد تلك الليلة للتنزه في المراكب على العادة سوى النصارى الشوام والقبط والأروام والإفرنج البلديين ونسائهم وقليل من الناس البطالين حضروا في صبحها.

وفيه تواترت الأخبار بحضور عدة مراكب من الانكليز الى ثغر الاسكندرية وأنهم حاربوا مراكب الفرنساوية الراسية بالمينا وكانت أشيعت هذه الأخبار قبل وتحدث الناس بها، فصعب ذلك على الفرنساوية واتفق أن بعض نصارى الشوام نقل عن رجل شريف يسمى السيد أحمد الزر ومن أعيان التجار بوكالة الصابون أنه تحدث بذلك، فأمروا بإحضاره وذكروا له ذلك فقال أنا حكيت ما سمعته من فلان النصراني، فأحضروه أيضاً وأمروا بقطع لسانيهما أو يدفع كل واحد منهما مائة ريال فرانسة نكالاً لهما وزجراً عن الفضول فيما لا يعنيهما، فتشفع المشايخ فلم يقبلوا فقال بعضهم أطلقوهما ونحن نأتيكم بالدراهم، فلم يرضوا، فأرسل الشيخ مصطفى الصاوي وأحضر مائتي ريال ودفعها في الحضرة فلما قبضها الوكيل ردها ثانياً إليه وقال فرقها على الفقراء، كما أشار وردها الى صاحبها، فانكف الناس عن التكلم في شأن ذلك، والواقع أن الانكليز حضروا في أثرهم الى الثغر وحاربوا مراكبهم فنالوا منهم وأحرقوا لقايق الكبير المسمى بنصف الدنيا وكان به أموالهم وذخائرهم وكان مصفحاً بالنحاس الأصفر واستمر الانكليز بمراكبهم بميناء الاسكندرية يغدون ويروحون يرصدون الفرنسيس، وفي ذلك اليوم سافر عدة من عساكرهم الى بحري والى الشرقية، ولما جرى الماء في الخليج منعوا دخول الماء الى بركة الأزبكية وسدوا قنطرة الدكة بسبب وطاقهم ومدافعهم وآلتهم التي فيها، وفيه سأل صاري العسكر عن المولد النبوي ولماذا لم يعملوه كعادتهم فاعتذر الشيخ البكري بتعطيل الأمور وتوقف الأحوال فلم يقبل، وقال لابد من ذلك وأعطى له ثلثمائة ريال فرانسا معاونة وأمر بتعلق تعاليق وأحبال وقناديل واجتمع الفرنساوية يوم المولد ولعبوا ميادينهم وضربوا طبولهم ودبادبهم وأرسل الطبلخانة الكبيرة الى بيت الشيخ البكري واستمروا يضربونها بطول النهار والليل بالبركة تحت داره، وهي عبارة عن طبلات

كبار مثل طبلات النوبة التركية وعدة آلات ومزامير مختلفة الأصوات مطربة، وعملوا في الليل حراقة نفوط مختلفة وسواريخ تصعد في الهواء.

وفي ذلك اليوم ألبس الشيخ خليل البكري فروة وتقلد نقابة الأشراف ونودي في المدينة بأن كل من كان له دعوى على شريف فليفعها الى النقيب.

وفيه ورد الخبر بأن ابراهيم بك والأمراء المصرية استقروا بغزة.

وفي خامس عشره سافر عدة كبيرة من عسكر الفرنساوية الى جهة الصعيد وكبيرهم ديزه وصحبتهم يعقوب القبطي ليعرفهم الأمور ويطلعهم على المخباءات.

وفي حضر القاصد الذي كان أرسله كبير الفرنساوية بمكاتبات وهدية الى أحمد باشا الجزار بعكا وذلك عند استقرارهم بمصر وصحبته أنفار من النصارى الشوام في صفة تجار ومعهم جانب أرز، ونزلوا من ثغر دمياط في سفينة من سفائن أحمد باشا فلما وصلوا الى عكا وعلم بها أحمد باشا أمر بذلك الفرنساوي فنقلوه الى بعض النقاير و لم يواجهه و لم يأخذ منه شيئاً وأمره بالرجوع من حيث أتى وعوق عنده نصارى الشوام الذين كانوا بصحبته.

وفيه حضر جماعة من عسكر الفرنساوية الى بيت رضوان كاشف بباب الشعرية وصحبتهم ترجمان ومهندس، فانزعجت زوجته وكان قبل ذلك بأيام صالحت على نفسها وبيتها بألف ريال وثلثمائة ريال وأخذت منهم ورقة ألصقتها على باب دارها، وردت ما كانت وزعته من المال والمتاع عند معارفها واطمأنت، فلما حضر إليها الجماعة المذكورون قالوا لها بلغ صاري عسكر أن عندك أسلحة وملابس للمماليك، فأنكرت ذلك فقالوا لازم من التفتيش فقالت دونكم فطلعوا من مكان وفتحوا مخبأة فوجدوا بها أربعة وعشرين شروالاً وبلكات وأمتعة وغير ذلك ووجدوا في أسلفها مخبأة أخرى بها عدة كثيرة من الطبنجات والأسلحة والبنادق وصناديق بارود وغير ذلك، فاستخرجوا جميع ذلك ثم نزلوا الى تحت السلالم وفجروا الأرض وأخرجوا منها دراهم كثيرة وحجاب ذهب في داخله دنانير، ثم أنزلوا صاحبة الدار ومعها جارية بيضاء وأخذوهما مع الجواري السود وذهبوا بهن، فأقمن عندهم ثلاثة أيام ونهبوا ما وجدوه بالدار من فرش وأمتعة ثم قرروا عليها أربعة آلاف ريال أخرى قامت بدفعها وأطلقوها، ورجعت الى دارها، وبسبب هذه الحادثة شددوا في طلب الأسلحة ونادوا بذلك، وإنهم بعد ثلاثة أيام يفتشون البيوت، وقال الناس إن هذه حيلة على نهب البيوت، ثم بطل ذلك وحصل بينها وبين مباشرها القبطي منافسة فذهب وأغرى بها ودل على ذلك.

وفي عشرينه قلدوا مصطفى بك كتخدا الباشا على إمارة الحاج فحضروا الى المحكمة عند القاضي ولبس الخلعة بحضرة مشايخ الديوان والتزم بونابارته بتشهيل مهمات الحج وعمل محلاً جديداً.

وفيه سأل أصحاب الحصص الالتزام في التصرف في حصصهم فطلبوا منهم حلواناً فلم يرتضوا بذلك، فواعدهم لتمام التحرير والإملاء، وقالوا كل من كان له التزام وتقسيط ناطق باسمه يحضره ويمليه ففعلوا ذلك في عدة أيام.

وفيه قدروا فرضة من المال على القرى والبلاد ونشروا بذلك أوراقاً وذكروا فيها أنها تحسب من المال وقيدوا بذلك الصيارف من القبط.

وفيه طلب صاري عسكر بونابارته المشايخ فلما استقروا عنده نهض بونابارته من المجلس ورجع وبيده طيلسانات ملونة بثلاثة ألوان كل طيلسان ثلاثة عروض أبيض وأحمر وكحلي، فوضع منها واحداً على كتف الشيخ الشرقاوي فرمى به الى الأرض واستفى وتغير مزاجه ونزلوا في البلاد مثل الحكام يحبسون ويضربون ويشددون في الطلب، وانتقع لونه واحتد طبعه، فقال الترجمان يا مشايخ أنتم صرتم أحباباً لصاري عسكر وهو يقصد تعظيمكم وتشريفكم بزيه وعلامته، فإن تميزتم بذلك عظمتكم العساكر والناس وصار لكم مترلة في قلوبهم، فقالوا له لكن قدرنا يضيع عند الله وعند إخواننا من المسلمين، فاغتاظ لذلك وتكلم بلسانه وبلغ عنه بعض المترجمين أنه قال عن الشيخ الشرقاوي إنه لا يصلح للرياسة ونحو ذلك فلاطفه بقية الجماعة واستعفوه من ذلك، فقال إن لم يكن ذلك فلازم من وضعكم الجوكار في صدوركم وهي العلامة التي يقال لها الوردة فقالوا أمهلونا حتى نتروى في ذلك واتفقوا على اثني عشر يوماً.

وفي ذلك الوقت حضر الشيخ السادات باستدعاء فصادفهم منصرفين، فلما استقر به الجلوس بش له وضاحكه صاري عسكر ولاطفه في القول الذي يعربه الرجمان وأهدى له خاتم الماس وكلفه الحضور في الغد عنده وأحضر له جوكار وأوثقه بفراجته فسكت وسايره وقام وانصرف، فلما خرج من عنده رفعه على أن ذلك لا يخل بالدين.

وفي ذلك اليوم نادى جماعة القلقات على الناس بوضع العلامات المذكورة المعروفة بالوردة وهي إشارة الطاعة والمحبة، فأنف غالب الناس من وضعها وبعضهم رأى أن ذلك لا يخل بالدين إذ هو مكره وربما ترتب على عدم الامتثال الضرر فوضعها، ثم في عصر ذلك اليوم نادوا بإبطالها من العامة وألزموا بعض الأعيان ومن يريد الدخول عندهم لحاجة من الحاجات بوضعها فكانوا يضعونها إذا حضر عندهم ويرفعونها إذا انفصلوا عنهم وذلك أيام قليلة وحصل ما يأتي ذكره فتركت.

وفي أواخره كانت انتقال الشمس لبرج الميزان وهو الاعتدال الخريفي، فشرع الفرنساوية في عمل عيدهم ببركة الأزبكية، وذلك اليوم كان ابتداء قيام الجمهور ببلادهم فجعلوا ذلك اليوم عيداً وتاريخاً، فنقلوا أخشاباً وحفروا حفراً وأقاموا بوسط بركة الأزبكية صارياً عظيماً بآلة وبناء وردموا حوله تراباً كثيراً عالياً بمقدار قامة وعملوا في أعلاه قالباً من الخشب محدداً لأعلى مربع الأركان ولبسوا باقيه على سمت القالب قماشاً ثخيناً طلوه بالحمرة الجزعة وعملوا أسفله قاعدة نقشوا عليها تصاوير سواد في بياض ووضعوا قبالة باب الهواء بالبركة شبه بوابة كبيرة عالية من خشب مقفص وكسوها بالقماش المدهون مثل لون الصاري وفي أعلى القوصرة طلاء أبيض وبه تصاوير بالأسود مصور فيه مثل حرب المماليك المصرية معهم وهم في شبه المنهزمين، بعضهم واقع على بعض وبعضهم ملتفت الى خلف وعلى موازاة ذلك من الجهة الأخرى بناحية قنطرة الدكة التي يدخل منها الماء الى البركة مثال بوابة أخرى على غير شكلها لأجل حراقة البارود، وأقاموا أخشاباً كثيرة منتصبة مصطفة منها الى البوابة الأخرى شبه الدائرة متسعة محيطة بمعظم فضاء البركة بحيث صار عمود الصاري الكبير المنتصف المذكور في المركز، وربطوا بين تلك الأخشاب حبالاً ممتدة وعلقوا بها صفين من القناديل، وبين ذلك تماثيل لحراقة البارود أيضاً وأقاموا في عمل ذلك عدة أيام.

واستهل شهر ربيع الثاني بيوم الأربعاء سنة 1213، فيه وردت الأخبار بأن مراد بك ومن معه لما بلغهم ورود الفرنسيين عليهم رجعوا الى جهة الفيوم، وأن عثمان بك الأشقر عدى الى البر الشرقي وذهب من خلف الجبل الى أستاذه ابراهيم بك

بغزة، وخرج جماعة من الفرنساوية الى جهة الشرق ومعهم عدة جمال وأحمال فخرج عليهم الغزو العرب الذين يصحبونهم فأخذوا منهم عدة جمال بأحمالها و لم يلحقوهم.

وفي ثالثه حشرت مكاتبة من ابراهيم بك خطاباً للمشايخ وغيرهم، مضمونها أنكم تكونون مطمئنين ومحافظين على أنفسكم والرعية، وأن حضرة مولانا السلطان وجه لنا عساكر وإن شاء الله تعالى عن قريب نحضر عندكم، فلما وردت تلك المكاتبة وقد كان سأل عنها بونابارته فأرسلوها له وقرئت عليه فقال: المماليك كذابون، ووافق أيضاً أنه حضر آغا رومي وكان معوقاً بالاسكندرية، فمر بالشارع وذهب لزيارة المشهد الحسيني فشاهده الناس فاستغربوا هيئته وفرحوا برؤيته وقالوا هذا رسول الحي حضر من عند السلطان بجواب للفرنسيس يأمرهم بالخروج من مصر، واختلفت رواياتهم وآراؤهم وأخبارهم وتجمعوا بالمشهد الحسيني وتبعوا بعضهم بعضاً، وصادف ذلك أن بونابارته في ذلك الوقت بلغه مما نقل وتناقل بين الناس أنه ورد مكتوب من المشايخ أيضاً وأخفوه، فركب من فوره وحضر الى بيت الشيخ السادات بالمشهد الحسيني وكان الوقت بعد الظهر فدخل على حين غفلة و لم يكن تقدم له مجيء وهو في كبكبة وخيول كثيرة وعساكر، فانزعج الشيخ وكان منحرف المزاج ونزل إليه وهو لا يعرف السبب في مجيئه في مثل هذا الوقت على هذه الصورة، فعندما شاهده سأله عن ذلك المكتوب، فقال: لا علم لي بذلك و لم يكن بلغه الخبر، ثم جلس مقدار ساعة وركب ومر بعسكره وطوافيه من باب المشهد والناس قد كثر ازدحامهم بالجامع والخطة وهم يلغطون ويخلطون، فلما نظروه وشاهد هو جمعيتهم داخله أمر من ذلك فصاحوا بأجمعهم وقالوا بصوت عال: الفاتحة، فشخص إليهم وصار يسأل من معه عن ازدحامهم فلطفوا له القول وقالوا له إنهم يدعون لك، وذهب الى داره وكانت نكتة غريبة وساعة اتفاقية عجيبة كاد ينشأ منها فتنة.

وفيه شرعوا في خلع البوابات والدروب غير النافذة أيضاً ونقلوا الجميع الى بركة الأزبكية عند رصيف الخشاب والبوابة الكبيرة يقطعونها نصفين ويرفعونها بالعتالين الى هناك، فاجتمع من ذلك شيء كثير جداً وامتلأ من رصيف الخشاب الى قريب وسط البركة.

وفي يوم السب حادي عشره كان يوم عيدهم الموعود به، فضربوا في صبيحته مدافع كثيرة. وضعوا على كل قائم من الخشب بنديرة من بنديراتهم الملونة وضربوا طبولهم، واجتمعت عساكرهم بالبركة الخيالة والرجالة واصطفوا صفوفاً على طرائقهم المعروفة بينهم، ودعوا المشايخ وأعيان المسلمين والقبطة والشوام، فاجتمعوا ببيت صاري عسكر بونابارته وجلسوا حصة من النهار ولبسوا في ذلك اليوم ملابس الافتخار، ولبس المعلم جرجس الجوهري كركه بطرز قصب على أكتافها الى أكمامها وعلى صدره شمسات قصب بأزرار وكذلك فلتيوس وتعمموا بالعمائم الكشميري، وركبوا البغال الفارهة، وأظهروا البشر والسرور في ذلك اليوم الى الغاية، ثم نزل عظماؤهم وصحبتهم المشايخ والقاضي وكتخدا الباشا فركبوا وذهبوا عند الصاري الكبير الموضوع بوسط البركة وقد كانوا فرشوا في أسفله بسطاً كثيرة، ثم إن العساكر لعبوا ميدانهم وعملوا هيئة حربهم وضربوا البنادق والمدافع، فلما انقضى ذلك اصطفت العساكر صفوفاً حول ذلك الصاري وقرأ عليهم كبير قسوسهم ورقة بلغتهم لا يدري معناها الأهم وكأنها كالوصية أو النصيحة أو الوعظ، ثم قاموا وانفض الجمع ورجع صاري عسكر الى داره فمد سماطاً عظيماً للحاضرين فلما كان الغروب أوقدوا جميع القناديل التي على الحبال والتماثيل والأحمال التي على البيوت،

وعند العشاء عملوا حراقة بارود وسواريخ ونفوط وشبه سواقي ودواليب من قار ومدافع كثيرة نحو ساعتين من الليل واستمرت القناديل موقدة حتى طلع النهار، ثم فكوا الحبال والتعاليق والتماثيل المصنوعة وبقيت البوابات المقابلة لباب الهواء والصاري الكبير وتحته جماعة ملازمون الإقامة عنده ليلاً ونهاراً من عساكرهم لأنه شعارهم وإشارة الى قيام دولتهم في زعمهم. وفي ثاني ليلة منه ركب كبيرهم الى بر الجيزة وسفر عساكر الى الجهة التي بها مراد بك وكذلك الى جهة الشرقية ومعهم مدافع على عجل، وفيه أرسل دبوي قائمقام الى الست نفيسة وطلب منها إحضار زوجة عثمان بك الطنبرجي فأرسلت الى المشايخ تستغيث بهم، فحضر إليها الشيخ محمد المهدي والشيخ موسى السرسي وقصدوا منعها فلم يمكنهم فذهبوا صحبتها ونظروا في قصتها، والسبب في طلبها أنهم وجدوا رجلاً فراشاً معه جانب دخان وبعض ثياب فقبضوا عليه وقرروه، فأخبر أنه تابعها وأنها أعطته ذلك ووعدته بالرجوع إليها لتسلمه شبكي دخان وفروة وخمسمائة محبوب ليوصل ذلك الى سيده، فهذا هو السبب في طلبها، فقالوا وأين الفراش فبعثوا لإحضاره، وسألوها فأنكرت ذلك بالمرة فانتظروا حضور الفراش الى بعد الغروب فلم يحضر، فقال لهم المشايخ: دعوها تذهب الى بيتها وفي غد تأتي وتحقق هذه القضية، فقال: دبوي نو نو، ومعناه بلغتهم النفي أي لا تذهب، فقالوا له: دعها تذهب هي ونحن نبيت عوضاً عنها فلم يرض أيضاً، وعالجوا في ذلك بقدر طاقتهم فلما أيسوا تركوها ومضوا، فباتت عندهم في ناحية من البيت وصحبتها جماعة من النساء المسلمات والنساء الإفرنجيات، فلما أصبح النهار ركب المشايخ الى كتخدا الباشا والقاضي فركبا معاً وذهبا الى بيت صاري عسكر الكبير فأحضرها وسلمها الى القاضي، و لم يثبت عليها شيء من هذه الدعوة، وقرروا عليها ثلاثة آلاف ريال فرانسة وذهبت الى بيت لها مجاور لبيت القاضي وأقامت فيه لتكون في حمايته.

وفي يوم الخميس نادوا في الأسواق بأن كل من كان عنده بغلة يذهب بها الى بيت قائمقام ببركة الفيل ويأخذ ثمنها، وإذا لم يحضرها بنفسه تؤخذ منه قهراً ويدفع ثلثمائة ريال فرانسا، وكان أحضرها باختياره يأخذ في ثمنها خمسين ريالاً قلت قيمتها أو كثرت، فغنم صاحب الخسيس وخسر صاحب النفيس، ثم ترك ذلك، وفيه نادوا بوقود قناديل سهارى بالطرق والأسواق وأن يكون على كل دار قنديل وعلى كل ثلاثة دكاكين قنديل وأن يلازموا الكنس والرش وتنظيف الطرق من العفوشات والقاذورات.

وفيه نادوا على الأغراب من المغاربة وغيرهم والخدامين البطالين ليسافروا الى بلادهم وكل من وجد بعد ثلاثة أيام يستأهل الذي يجري عليه وكرروا المناداة بذلك وأجلوهم بعدها أربعة وعشرين ساعة، فذهبت جماعة من المغاربة الى صاري عسكر وقالوا له أرنا طريقاً للذهاب فإن طريق البر غير مسلوكة والانكليز واقفون بطريق البحر يمنعون المسافرين ولا نقدر على المقام في الاسكندرية من الغلاء وعدم الماء بها فتركهم.

وفيه جعلوا ابراهيم آغات المتفرقة المعمار قبطان السويس وسافر معه أنفار ببيرق فرنساوي فخرج عليهم العربان في الطريق فنهبوهم وقتلوا ابراهيم آغا المذكور ومن بصحبته، و لم يسلم منهم إلا القليل، وفيه أهمل أمر الديوان الذي يحضره المشايخ ببيت قائد آغا فاستمروا أياماً يذهبون فلم يأتهم أحد فتركوا الذهاب فلم يطلبوا.

وفيه شرعوا في ترتيب ديوان آخر وسموه محكمة القضايا وكتبوا في شأن ذلك طوماراً. وشرطوا فيه شروطاً ورتبوا فيه ستة

أنفار من النصارى القبط وستة أنفار من تجار المسلمين وجعلوا قاضيه الكبير ملطي القبطي الذي كان كاتباً عند أيوب بك الدفتردار، وفوضوا إليهم القضايا في أمور التجار والعامة والمواريث والدعاوى وجعلوا لذلك الديوان قواعد وأركاناً من البدع السيئة، وكتبوا نسخاً من ذلك كثيرة أرسلوا منها الى الأعيان ولصقوا منها نسخاً في مفارق الطرق ورؤوس العطف وأبواب المساجد، وشرطوا في ضمنه شروطاً وفي ضمن تلك الشروط شروطاً أخرى بتعبيرات سخيفة يفهم منها المراد بعد التأمل الكثير لعدم معرفتهم بقوانين التراكيب العربية، ومحصله التحيل على أخذ الأموال كقولهم بأن أصحاب الأملاك يأتون بحججهم وتمسكاتهم الشاهدة لهم بالتمليك، فإذا أحضروها وبينوا وجه تملكهم لها إما بالبيع أو الانتقال لهم بالإرث، لا يكتفي بذلك بل يؤمر بالكشف عليها في السجلات ويدفع على ذلك الكشف دراهم بقدر عينوه في ذلك الطومار، فإن وجد تمسكه مقيداً بالسجل طلب منه بعد ذلك الثبوت ويدفع على ذلك الإشهاد بعد ثبوته وقبوله قدراً آخر ويأخذ بذلك تصحيحاً، ويكتب له بعد ذلك تمكين، وينظر بعد ذلك في قيمته، ويدفع على كل مائة اثنين فإن لم يكن له حجة أو كانت ولم تكن مقيدة بالسجل أو مقيدة ولم يثبت ذلك التقييد فإنها تضبط لديوان الجمهور وتصير من حقوقهم، وهذا شيء متعذر، وذلك أن الناس إنما وضعوا أيديهم على أملاكهم إما بالشراء أو بأيولتها لهم من مورثهم أو نحو ذلك بحجة قريبة أو بعيدة العهد أو بحجج أسلافهم ومورثيهم، فإذا طولبوا باثبات مضمونها تعسر أو تعذر لحادث الموت أو الأسفار أو ربما حضرت الشهود فلم تقبل، فإن قبلت فعل به ما ذكر، ومن جملة الشروط مقررات على المواريث والموتى ومقاديرها متنوعة في القلة والكثرة كقولهم إذا مات الميت يشاورون عليه ويدفعون معلوماً لذلك ويفتحون تركته بعد أربع وعشرين ساعة فإذا بقيت أكثر من ذلك ضبطت للديوان أيضاً ولا حق فيها للورثة، وإن فتحت على الرسم بإذن الديوان يدفع على ذلك الإذن مقرراً أو كذلك على ثبوت الوراثة، ثم عليهم بعد قبض ما يخصهم مقرر، وكذلك من يدعي ديناً على الميت يثبته بديوان الحشريات ويدفع على إثباته مقرر أو يأخذ له ورقة يستلم بها دينه فإذا استلمه رفع مقرراً أيضاً، ومثل ذلك في الرزق والأطيان بشروط وأنواع وكيفية أخرى غير ذلك والهبات والمبايعات والدعاوى والمنازعات والمشاجرات والإشهادات الجزئية والكليات، والمسافر كذلك لا يسافر إلا بورقة ويدفع عليها قدراً، وكذلك المولود إذا ولد ويقال له إثبات الحياة، وكذلك المؤاجرات وقبض أجر الأملاك وغير ذلك.

وفي نادى أصحاب الدرك على العامة بترك الفضول والكلام في أمور الدولة فإذا مر عليهم جماعة من العسكر مجروحون أو منهزمون لا يسخرون بهم ولا يصفقون عليهم كما هي عادتهم.

وفيه نهبوا أمتعة عسكر القلينجية الذين كانوا عسكراً عند الأمراء فأخذوا مكاناً بوكالة علي بك بساحل بولاق وبالجمالية وأخذوا متاعهم ومتاع شركائهم محتجين بأنهم قاتلوا مع المماليك وهربوا معهم.

وفيه أحضروا محمد كتخدا أبا سيف الذي كان سرداراً بدمياط من طرف الأمراء المصريين وكان سابقاً كتخدا حسن بك الجداوي فلما حضر حبسوه في القلعة وحبسوا معه فراشاً لابراهيم بك.

وفيه أمروا سكان القلعة بالخروج من منازلهم والنزول الى المدينة ليسكنوا بها، فنزلوا وأصعدوا الى القلعة مدافع ركزوها بعدة مواضع وهدموا بها أبنية كثيرة وشرعوا في بناء حيطان وكرانك وأسوار، وهدموا أبنية عالية وأعلوا مواضع منخفضة، وبنوا على بدنات باب العزب بالرميلة وغيروا معالمها وأبدلوا محاسنها ومحوا ما كان بها من معالم السلاطين وآثار الحكماء والعظماء،

وما كان في الأبواب العظام من الأسلحة والدرق والبلط والحوادث والحرب الهندية وأكر الفداوية، وهدموا قصر يوسف صلاح الدين ومحاسن الملوك والسلاطين ذوات الأركان الشاهقة والأعمدة الباسقة.

وفيه عينت عساكر الى مراد بك وذهبوا إليه ببحر يوسف جهة الفيوم.

وفي يوم الخميس سادس عشره نودي بأن كل من تشاجر مع نصراني أو يهودي يشهد أحد الخصمين على الآخر ويطلبه لبيت صاري عسكر.

وفيه قتلوا شخصين وطافوا برؤوسهما وهم ينادون عليهما يوقولون هذا جزاء من يأتي بمكاتيب من عند المماليك أو يذهب إليهم بمكاتيب.

وفيه نبهوا الناس بالمنع من دفن الموتى بالترب القريبة من المساكن كتربة الأزبكية والرويعي ولا يدفنون الموتى إلا في القرافات البعيدة، والذي ليس له تربة بالقرافة يدفن ميته في ترب المماليك، وإذا دفنوا يبالغون في تسفيل الحفر ونادوا أيضاً بنشر الثياب والأمتعة والفرش بالأسطحة عدة أيام، وتبخير البيوت بالبخورات المذهبة للعفونة كل ذلك للخوف من حصول الطاعون وعدوه، ويقولون إن العفونة تنحبس بأغوار الأرض فإذا دخل الشتاء وبردت الأغوار بسريان النيل والأمطار والرطوبات خرج ما كان منحبساً بالأرض من الأبخرة الفاسدة فيتعفن الهواء فيحصل الوباء والطاعون، ومن قولهم أيضاً إن مرض مريض لابد من الإخبار عنه فيرسلون من جهتهم حكيماً للكشف عليه إن كان مرضه بالطاعون أو بغيره ثم يرون رأيه فيه.

وفي يوم السبت ثامن عشره ذهبت جماعة من القواسة الذين يخدمون الفرنساوية وشرعوا في هدم التراكيب المبنية على المقابر بتربة الأزبكية وتمهيدها بالأرض فشاع الخبر بذلك، وتسامع أصحاب الترب بتلك البقعة فخرجوا من كل حدب ينسلون وأكثرهم النساء الساكنات بحارات المدابغ وباب اللوق وكرم الشيخ سلامة والفوالة والناصرة وقنطرة الأمير حسين وقلعة الكلاب، الى أن صاروا كالجراد المنتشر ولهم صياح وضجيج، واجتمعوا بالأزبكية ووقفوا تحت بيت صاري عسكر فترل لهم المترجمون واعتذروا بأن صاري عسكر لا علم له بذلك الهدم و لم يأمر به، وإنما أمر بمنع الدفن فقط فرجعوا الى أماكنهم ورفع الهدم عنهم.

وفيه كتبوا من المشايخ كتاباً ليرسلوه الى السلطان وآخر الى شريف مكة ثم إنهم بصموا منه عدة نسخ ولصقوها بالطرق والمفارق وصورته ملخصاً بعد الصدر وذكر ورودهم وقتالهم مع المماليك وهروبهم، وأن جماعة من العلماء ذهبت إليهم بالبر الغربي فأمنوهم وكذلك الرعية دون المماليك وذكروا فيه أنهم من أخصاء السلطان العثماني وأعداء أعدائه، وأن السكة والخطبة باسمه وشعائر الإسلام مقامة على ما هي عليه وباقية بمعنى الكلام السابق من قولهم إنهم مسلمون وإنهم محترمون القرآن والنبي وإنهم أوصلوا الحجاج المتشتتين وأكرموهم وأركبوا الماشي وأطعموا الجيعان وسقوا العطشان واعتنوا بيوم الزينة يوم جبر البحر وعملوا له شأناً ورونقاً استجلا بالسرور المؤمنين، وأنفقوا أموالاً برسم الصدقة على الفقراء، وكذلك اعتنوا بالمولد النبوي وأنفقوا أموالاً في شأن انتظامه واتفق رأينا ورأيهم على لبس حضرة الجناب المحترم آغا كتخدا بكر باشا والي مصر حالاً فاستحسنا ذلك لبقاء علقة الدولة العلية وهم أيضاً مجتهدون في إتمام مهمات الحرمين وأمرونا أن نعلمكم بذلك والسلام.

وفيه وقعت حادثة جزئية من جملة الجزئيات، وهو أن رجلاً صيرفياً بجوار حارة الجوانية وقع من لفظه أنه قال السيد أحمد

البدوي بالشرق والسيد ابراهيم الدسوقي بالغرب يقتلان كل من يمر عليهما من النصارى وكان هذا الكلام بمحضر من النصارى الشوام فجاوبه بعضهم وأسمعه قبيح القول ووقع بينهما التشاجر، فقام النصراني وذهب الى دبوي وأخبره بالقصة فأرسل وقبض على ذلك الصيرفي وحبسه وسمر حانوته وختم على داره، وتشفع فيه المشايخ عدة مرات فأطلقوه بعد يومين وأرسلوه الى بيت الشيخ البكري ليؤدب هناك بالضرب أو يدفع خمسمائة ريال فرانسة فضرب مائة سوط وأطلق الى سبيله وكذلك أفرجوا عن بقية المسجونين.

وفي يوم الإثنين طاف أصحاب الدرك على الأخطاط والوكائل فكتبوا أسماءها وأسماء البوابين وأمروهم أن لا يسكنوا أحداً من الأغراب ولا يطلقوا أحداً بلا إذن من آغات متحفظان.

وفي يوم الثلاثاء عمل المولد الحسيني وكان من العزم تركه في هذا العام فدس بعض المنافقين دسيسة عند الفرنسيس وذلك أنه وقعت المذاكرة بأن من المعتاد أن يعمل المولد الحسيني بعد المولد النبوي، فقال بونابارته و لم لم يعملوه؟ فقال ذلك المنافق غرض الشيخ السادات عدم عمله إلا إذا حضر المسلمون، فبلغ شيخ السادات ذلك فشرع في عمله على سبيل الاختصار وحضر صاري عسكر وشاهد الوقدة ورجع داره بعد العشاء.

وفيه حضر علماء الاسكندرية وأعيانها وكذلك رشيد ودمياط وبقية البنادر باستدعاء صاري عسكر ليحضروا الديوان الشرعين فيه لترتيب النظام الذي سبقت الإشارة إليه.

وفيه سافر أيضاً جماعة من الفرنسيس الى جهة مراد بك ومن معه التقوا معهم وتراموا ساعة ثم انهزموا عنهم وأطمعوهم في أنفسهم فتتبعوهم الى أسفل جبل اللاهون ثم خرجوا عليهم على مثل حالهم رجالاً وتراموا معهم وأكمنوا لهم وثبتوا معهم وظهر عليهم المصريون وقتل من الفرنساوية مقتلة كبيرة.

وفيه سقطت البوابة المصنوعة ببركة الأزبكية المقابلة لباب الهواء التي كانوا وضعوها في يوم عيدهم وقد تقدم شرحها ووصفها، وسبب سقوطها أنهم لما منعوا الماء من دخوله للبركة وسدوا القنطرة كما تقدم علا الماء في أرض البركة وتخلخلت الأرض فسقطت تلك البوابة.

وفي يوم الجمعة رابع عشرينه نبهوا على المشايخ والأعيان والتجار ومن حضر من الأقطار بالحضور الى الديوان العام ومحكمة النظام بكرة تاريخه وذلك ببيت مرزوق بك بحارة عابدين، فلما أصبح يوم السبت أعادوا التنبيه بحضورهم بالديوان القديم ببيت قائد آغا بالأزبكية فتوجه المشايخ المصريخ والذين حضروا من الثغور والبلاد وحضر الوجاقات وأعيان التجار ونصارى القبط والشوام ومديرو الديوان من الفرنسيس وغيرهم جمعاً موفوراً. فلما استقر بهم الجلوس شرع ملطي القبطي الذي عملوه قاضي في قراءة فرمان الشروط وفي المناقشة، فابتدر كبير المديرين في إخراج طومار آخر وناوله للترجمان فنشره وقرأه .

وملخصه ومضمونه: الأخبار بأن قطر مصر هو المركز الوحيد وأنه أخصب البلاد وكان يجلب إليه المتاجر من البلاد البعيدة، وأن العلوم والصنائع والقراءة والكتابة التي يعرفها الناس في هذه الدنيا أخذت عن أجداد أهل مصر الأول، ولكون قطر مصر بهذه الصفات طمعت الأمم في تملكه فملكه أهل بابل وملكه اليونانيون والعرب والترك الآن، إلا أن دولة الترك شددت في خرابه لأنها إذا حصلت الثمرة قطعت عروقها فلذلك لم يبقوا بأيدي الناس إلا اقدر اليسير وصار الناس لأجل ذلك مختفين تحت

حجاب الفقر وقاية لأنفسهم من سوء ظلمهم، ثم إن طائفة الفرنساوية بعدما تمهد أمرهم وبعد صيتهم بقيامهم بأمور الحروب اشتاقت لأنفسهم لاستخلاص مصر مما هي فيه وإراحة أهلها من تغلب هذه الدولة المفعمة جهلاً وغباوة فقدموا وحصل لهم النصرة ومع ذلك لم يتعرضوا لأحد من الناس و لم يعاملوا الناس بقسوة، وأن غرضهم تنظيم أمور مصر وإجراء خلجانها التي دثرت ويصير لها طريقان: طريق الى البحر الأسود، وطريق الى البحر الأحمر، فيزداد خصبها وريعها، ومنع القوي من ظلم الضعيف وغير ذلك، استجلا بالخواطر أهلها وإبقاء للذكر الحسن، فالمناسب من أهلها ترك الشغب وإخلاص المودة وإن هذه الطوائف المحضرة من الأقاليم يترتب على حضورها أمور جليلة لأنهم أهل خبرة وعقل، فيسألون عن أمور ضرورية ويجيبون عنها فينتج لصاري عسكر من ذلك ما يليق صنعه الى آخر ما سطروه من الكلام، قلت و لم يعجبني في هذا التركيب إلا قوله المفعمة جهلاً وغباوة بعد قوله بعد ذلك ومع ذ لم لم يتعرضوا لأحد الى آخر العبارة، ثم قال الترجمان نريد منكم مشايخ أن تختاروا شخصاً منكم يكون كبيراً ورئيساً عليكم ممتثلين أمره وإشارته، فقال بعض الحاضرين الشيخ الشرقاوي فقال نونو إنما ذلك يكون بالقرعة فعملوا قرعة بأوراق فطلع الأكثر على الشيخ الشرقاوي، فقال حينئذ يكون الشيخ عبد الله الشرقاوي هو الرئيس، فما تم هذا الأمر حتى زالت الشمس فأذنوا لهم في الذهاب وألزموهم بالحضور في كل يوم.

وفيه وقعت كائنة الحاج محمد بن قيمو المغربي التاجر الطرابلسي وهو أنه كان بينه وبين بعض نصارى الشوام المترجمين مافسة، فأنهى الى عظماء الفرنسيس أنه ذو مال وأنه شريك عبد الله المغربي تابع مراد بك، فأرسلوا بطلبه فذهب الى بيت الشيخ عبد الله الشرقاوي لنسابة بينهما، فقال الشيخ للقواسة المرسلين بعد سؤالهم عن سبب طلبهم له فقالوا لدعوة ليست شرعية، فقال لهم في غد أحضروا خصمه ويتداعى معه فإن توجه الحق عليه ألزمناه بدفعه. فرجعت الرسل وتغيب الرجل لخوفه فبعد مضي مقدار نحو ساعة حضر نحو الخمسين عسكرياً من الفرنسيس الى بيت الشيخ وطالبوه به، فأخبرهم أنه هرب، فلم يقبلوا عذره وألحوا في طلبه ووقفوا ببنادقهم وأرهبوا فركب المهدي والدواخلي الى صاري العسكر وأخبروه بالقضية وبهروب الرجل، فقال ولأي شيء يهرب، فقالوا من خوفه، فقال لولا أن جرمه كبير لما هرب وأنتم غيبتموه، وأظهر الحنق والغيظ فلاطفاه واستعطفا خاطر الترجمان فكلمه وسكن غيظه، ثم سأل عن متزله ومخزنه فأخبراه عنهما، فقال نذهب معكما من يختم عليهما حتى يظهر في غد، فاطمأنوا لذلك ورجعوا عند الغروب وختموا على مخزنه ومتزله، فلما أصبح النهار فلم يظهر الرجل فأخذوا ما وجدوه فيهما من البضائع والأمانات.

وفي يوم الأحدذهبوا الى الديوان وعملوا مثل عملهم الأول حتى تمموا أسماء المنتخبين بديوان مصر من الثغور المشايخ والوجاقلية والقبط والشوام وتجار المسلمين وذلك الترتيب غير ترتيب الديوان السابق.

وفي يوم الإثنين اجتمعوا بالديوان ونادى المنادي في ذلك اليوم بالأسواق على الناس بإحضارهم حجج أملاكهم الى الديوان والمهلة ثلاثون يوماً فإن تأخر عن الثلاثين يضاعف المقرر ومهلة البلاد ستون يوماً، ولما تكامل الجميع شرع ملطي في قراءة المنشور وتعدد ما به من الشروط مسطور وذكر من ذلك أشياء، منها أمر المحاكم والقضايا الشرعية وحجج العقارات وأمر المواريث، وتناقشوا في ذلك حصة من الزمن وكتبوا هذه الأربعة أشياء أرباب ديوان الخاصة يدبرون رأيهم في ذلك وينظرون المناسب والأحسن وما فيه الراحة لهم وللرعية، ثم يعرضون ما دبروه يوم الخميس وما بين ذلك له مهلة وانفض المجلس.

واستهل شهر جمادى الأولى يوم الخميس الموعود سنة 1213 واجتمعوا بالديوان ومعهم ما لخصوه واستأصلوه في الجملة، فأما أمر المحاكم والقضايا فالأولى إبقاؤها على ترتيبها ونظامها وعرفوهم عن كيفية ذلك، ومثل ذلك ما عليه أمر محاكم البلاد، فاستحسنوا ذلك إلا أنهم قالوا يحتاج الى ضبط المحاصيل وتقريرها على أمر لا يتعداه القضاة ولا نوابهم، فقرروا ذلك وهو أنه كان عشرة آلاف فما دونها يكون على كل ألف ثلاثون نصفاً، وإذا كان المبلغ مائة يكون على الألف خمسة عشر، فإن زاد على ذلك فعشرة، واتفقوا على تقرير القضاة ونوابهم على ذلك، وأما حجج العقارات فإنه أمر شاق طويل الذيل، فالمناسب فيه والأولى أن يجعلوا عليها دراهم من بادئ الرأي ليسهل تحصيلها ويحسن عليها السكوت ويكون المحصول أعلى وأدنى وأوسط، وبينوا القدر المناسب بتفصيل الأماكن وكتبوه وأبقوه حتى يرى الآخرون رأيهم فيه، وانفض الديوان وفي ذلك اليوم نودي في الأسواق بنشر الثياب والأمتعة خمسة عشر يوماً، وقيدوا على مشايخ الأخطاط والحارات والقلقات بالفحص والتفتيش، فعينوا لكل حارة امرأة ورجلين يدخلون البيوت للكشف عن ذلك فتصعد المرأة الى أعلى الدار وتخبرهم عن صحة نشرهم الثياب ثم يذهبون بعد التأكد على أهل المترل والتحذير من ترك الفعل وكل ذلك لذهاب العفونة الموجبة للطاعون، وكتبوا بذلك أوراقاً لصقوهم بحيطان الأسواق على عادتهم في ذلك.

وفيه حضر الى البيت البكري جم غفير من أولاد الكتاتيب والفقهاء والعميان والمؤذنين وأرباب الوظائف والمستحقين من الزمني والمرضى بالمرستان المنصوري وأوقاف عبد الرحمن كتخدا، وشكوا من قطع رواتبهم وخبزهم لأن الأوقاف تعطل إيرادها، واستولى على نظارتها النصارى القبط والشوام جعلوا ذلك مغنماً لهم فواعدهم على حضورهم الديوان وينهوا شكواهم ويتشفع لهم فذهبوا راجعين.

وفيه قدمت مراكب من جهة الصعيد وفيها عدة من العسكر مجروحين.

وفيه وضعوا على التلال المحيطة بمصر بيارق بيضاً فأكثر الناس من اللغط و لم يعلموا سبب ذلك.

وفي يوم الأحد اجتمعوا في الديوان وأخذوا فيما هم فيه فذكروا أمر المواريث فقال ملطي مشايخ أخبرونا عما تصنعونه في قسمة المواريث، فأخبروه بفروض المواريث الشرعية، فقال ومن أين لكم ذلك، فقالوا من القرآن، وتلوا عليهم بعض آيات المواريث فقال الإفرنج نحن عندنا لا نورث الولد ونورث البنت ونفعل كذا وكذا بحسب تحسين عقولهم لأن الولد أقدر على التكسب من البنت، فقال ميخائيل كحيل الشامي وهو من أهل الديوان أيضاً نحن والقبط يقسم لنا مواريثنا المسلمون، ثم التمسوا من المشايخ أن يكتبوا لهم كيفية القسمة ودليلها فسايروهم ووعدوهم بذلك- وانفضوا وفي ذلك اليوم عزلوا محمد آغا المسلماني آغات مستحفظان وجعلوه كتخدا أمير الحاج واستقروا بمصطفى آغا تابع عبد الرحمن آغا مستحفظان سابقاً عوضاً عنه ونودي بذلك.

وفي يوم الإثنين عملوا لهم ديواناً وكتبوا لهم كيفية قسمة المواريث وفروض القسمة الشرعية وحصص الورثة والآيات المتعلقة بذلك فاستحسنوا ذلك.

وفي يوم السبت عاشر جمادى الأولى عملوا الديوان وأحضروا قائمة مقررات الأملاك والعقار فجعلوا على الأقل ثمانية فرانسة والأوسط ستة والأدنى ثلاثة وما كان أجرته أقل من ريال في الشهر فهو معافى، وأما الوكائل والخانات والحمامات والمعاصر

والسيارج والحوانيت فمنها ما جعلوا عليه ثلاثين وأربعين بحسب الخمسة والرواج والاتساع، وكتبوا بذلك مناشير على عادتهم وألصقوها بالمفارق والطرق وأرسلوا منها نسخاً للأعيان وعينوا المهندسين ومعهم أشخاص لتمييز الأعلى من الأدنى وشرعوا في الضبط والإحصاء وطافوا ببعض الجهات لتحرير القوائم وضبط أسماء أربابها، ولما أشيع ذلك في الناس كثر لغطهم واستعظموا ذلك والبعض استسلم للقضاء فانتبذ جماعة من العامة وتناجوا في ذلك ووافقهم على ذلك بعض المتعممين الذي لم ينظر في عواقب الأمور و لم يتفكر أنه في القبضة مأسور، فتجمع الكثير من الغوغاء من غير رئيس يسوسهم ولا قائد يقودهم وأصبحوا يوم الأحد متحزبين وعلى الجهاد عازمين وأبرزوا ما كانوا أخفوه من السلاح وآلات الحرب والكفاح، وحضر السيد بدر وصحبته حشرات الحسينية وزعر الحارات البرانية ولهم صياح عظيم وهول جسيم، ويقولون بصياح في الكلام نصر الله دين الإسلام، فذهبوا الى بيت قاضي العسكر وتجمعوا وتبعهم ممن على شاكلتهم نحو الألف والأكثر فخاف القاضي العاقبة وأغلق أبوابه وأوقف حجابه فرجموه بالحجارة والطوب وطلب الهرب فلم يمكنه الهروب، وكذلك اجتمع بالأزهر العالم الأكبر وفي ذلك الوقت حضر دبوي بطائفة من فرسانه وعساكره وشجعانه فمر بشارع الغورية وعطف على خط الصنادقية وذهب الى بيت القاضي، فوجد ذلك الزحام فخاف وخرج من بين القصرين وباب الزهومة وتلك الأخطاط بالخلائق مزحومة، فبادروا إليه وضربوه وأثخنوا جراحاته وقتل الكثير من فرسانه وأبطاله وشجعانه، فعند ذلك أخذ المسلمون حذرهم وخرجوا يهرعون ومن كل حدب ينسلون ومسكوا أطراف الدائرة بمعظم أخطاط القاهرة كباب الفتوح وباب النصر والبرقية الى باب زويلة وباب الشعرية وجهة البندقانيين وما حاذاها، و لم يتعدوا جهة سواها وهدموا مساطب الحوانيت وجعلوا أحجارها متاريس للكرنكة لتعوق هجوم العدو في وقت المعركة ووقف دون كل متراس جمع عظيم من الناس، وأما الجهات البرانية والنواحي الفوقانية فلم يفزع منهم فازع و لم يتحرك منهم أحد و لم يسارع وكذلك شذ عن الوفاق مصر العتيقة وبولاق وعذرهم الأكبر قربهم من مساكن العسكر، و لم تزل طائفة المحاربين في الأزقة متترسين فوصل جماعة من الفرنساوية وظهروا من ناحية المناخلية وبندقوا على متراس الشوائين وبه جماعة من مغاربة الفحامين فقاتلوهم حتى أجلوهم وعن المناخلية أزالوهم، ذلك ذلك زاد الحال وكثر الرجف والزلزال وخرجت العامة عن الحد وبالغوا في القضية بالعكس والطرد، وامتدت أيديهم الى النهب والخطف والسلب فهجموا على حارة الجوانية، ونهبوا دور النصارى الشوام والأروام وما جاورهم من بيوت المسلمين على التمام، وأخذوا الودائع والأمانات وسبوا النساء والبنات، وكذلك نهبوا خان الملايات وما به من الأمتعة والموجودات، وأكثروا من المعايب و لم يفكروا في العواقب، وباتوا تلك الليلة سهرانين وعلى هذا الحال مستمرين، وأما الإفرنج فإنهم أصبحوا مستعدين على تلال البرقية والقلعة واقفين وأحضروا جميع الآلات من المدافع والقنابر والبنبات ووقفوا مستحضرين ولأمر كبيرهم منتظرين، وكان كبير الفرنسيس أرسل الى المشايخ مراسلة فلم يجيبوه عنها ومل من المطاولة هذا والرمي متتابع من الجهتين وتضاعف الحال ضعفين، حتى مضى وقت العصر وزاد القهر والحصر فعند ذلك ضربوا بالمدافع والبنبات على البيوت والحارات وتعمدوا بالخصوص الجامع الأزهر وجرروا عليه المدافع والقنبر، وكذلك ما جاوره من أماكن المحاربين كسوق الغورية والفحامين، فلما سقط عليهم ذلك ورأوه و لم يكونوا في عمرهم عاينوه نادوا يا سلام من هذه الآلام يا خفي الألطاف نجنا مما نخاف، وهربوا من كل سوق ودخلوا في الشقوق، وتتابع الرمي من القلعة والكيمان حتى تزعزعت الأركان وهدمت في مرورها حيطان الدور وسقطت في بعض القصور ونزلت في البيوت والوكائل وأصمت الآذان بصوتها الهائل، فلما عظم هذا

الخطب وزاد الحال والكرب ركب المشايخ الى كبير الفرنسيس ليرفع عنهم هذا النازل ويمنع عسكره من الرمي المتراسل ويكفهم كما تكف المسلمون عن القتال والحرب خدعة وسجال، فلما ذهبوا إليه واجتمعوا عليه عاتبهم في التأخير واتهمهم في التقصير، فاعتذروا إليه فقبل عذرهم وأمر برفع الرمي عنهم وقاموا من عنده وهم ينادون بالأمان في المسالك، وتسامع الناس بذلك فردت فيهم الحرارة وتسابقوا لبعضهم بالبشارة واطمأنت منهم القلوب وكان الوقت قبل الغروب، وانقضى النهار وأقبل الليل وغلب على الظن أن القضية لهاذل وأما الحسينية والعطوف البرانية فإنهم لم يزالوا مستمرين وعلى الرمي والقتال ملازمين، ولكن خانهم المقصود وفرغ منهم البارود والإفرنج أثخنوهم بالرمي المتتابع بالقنابر والمدافع، الى أن مضى من الليل نحو ثلاث ساعات وفرغت من عندهم الأدوات فعجزوا عن ذلك وانصرفوا وكف عنهم القوم وانحرفوا، وبعد هجعة من الليل دخل الإفرنج المدينة كالسيل، ومروا في الأزقة والشوارع لا يجدون لهم ممانع، كأنهم الشياطين أو جند إبليس، وهدموا ما وجدوه من المتاريس، ودخل طائفة من باب البرقية ومشوا الى الغورية وكروا ورجعوا وترددوا ما هجعوا، وعلموا باليقين أن لا دافع لهم ولا كمين وتراسلوا ارسالاً ركباناً ورجالاً ثم دخلوا الى الجامع الأزهر وهم راكبون الخيول وبينهم المشاة كالوعول. وتفرقوا بصحنه ومقصورته وربطوا خيولهم بقبلته وعاثوا بالأروقة والحارات وكسروا القناديل والسهارات وهشموا خزائن الطلبة والمجاورين والكتبة، ونهبوا ما وجدوه من المتاع والأواني والقصاع والودائع والمخبآت بالدواليب والخزانات ودشتوا الكتب والمصاحف على الأرض طرحوها وبأرجلهم ونعالهم داسوها، وأحدثوا فيه وتغوطوا وبالوا وتمخطوا وشربوا الشراب وكسروا أوانيه وألقوها بصحنه ونواحيه، وكل من صادفوه به عروه ومن ثيابه أخرجوه، وأصبح يوم الثلاثاء فاصطف منهم خرب بباب الجامع فكل من حضر للصلاةيراهم فيكر راجعاً ويسارع، وتفرقت طوائفهم بتلك النواحي أفواجاً واتخذوا السعي والطواف بها منهاجاً وأحاطوا بها إحاطة السوار ونهبوا بعض الديار بحجة التفتيش على النهب وآلة السلاح والضرب، وخرجت سكان تلك الجهة يهرعوا وللنجاة بأنفسهم طالبون، وانتهكت حرمة تلك البقعة بعد أن كانت أشرف البقاع ويرغب الناس في سكناها ويودعون عند أهلها ما يخافون عليه الضياع، والفرنساوية لا يمرون بها إلا نادراً ويحترمونها عن غيرها في الباطن والظاهر، فانقلب بهذه الحركة منها الموضوع وانخفض على غير القياس المرفوع، ثم ترددوا في الأسواق ووقفوا صفوفاً مئيناً وألوفاً فإن مر بهم أحد فتشوه وأخذوا ما معه وربما قتلوه. ورفعوا القتلى والمطروحين من الإفرنج والمسلمين، ووقف جماعة من الفرنسيس ونظفوا مراكز المتاريس وأزالوا ما بها من الأتربة والأحجار المتراكمة ووضعوها في ناحية لتصير طريق المرور خالية، وتحزبت نصارى الشوام وجماعة أيضاً من الأروام الذين انتهبت دورهم بالحارة الجوانية ليشكوا لكبير الفرنسيس ما لحقهم من الزربة واغتنموا الفرصة في المسلمين وأظهروا ما هو بقلوبهم كمين وضربوا فيهم المضارب وكأنهم شاركوا الإفرنج في النوائب وما قصدهم المسلمون ونهبوا ما لديهم إلا لكونهم منسوبين إليهم، مع أن المسلمين الذين جاوروهم نهبهم الذعر أيضاً وسلبوهم وكذلك خان الملايات المعلوم الذي عند باب حارة الروم فيه بضائع المسلمين وودائع الغائبين، فسكت المصاب على غصته واستعوض الله في قضيته لأنه إن تكلم لا تسمع دعواه ولا يلتفت الى شكواه، وانتدب برطلمين للعسس على من حمل السلاح أو اختلس وبث أعوانه في الجهات يتجسسون في الطرقات فيقبضون على الناس بحسب أغراضهم وما ينهيه النصارى من أبغاضهم فيحكم فيهم بمراده ويعمل برأيه واجتهاده. ويأخذ منهم الكثير ويركب في موكبه ويسير وهم موثوقون بين يديه بالحبال، ويسحبهم الأعوان بالقهر والنكال فيودعونهم السجونات ويطالبونهم بالمنهوبات ويقررونهم بالعقاب

والضرب، ويسألونهم عن السلاح وآلات الحرب، ويدل بعضهم على بعض فيضعون على المدلول عليهم أيضاً القبض، وكذلك فعل مثل ما فعله اللعين الآغا وتجبر في أفعاله وطغى. وكثير من الناس ذبحوهم وفي بحر النيل قذفوهم، ومات في هذين اليومين وما بعدهما أمم كثيرة لا يحصي عددها إلا الله، وطال بالكفرة بغيهم وعناديهم ونالوا من المسلمين قصدهم ومرادهم وأصبح يوم الأربع فركب فيه المشايخ أجمع، وذهبوا

لبيت صاري عسكر وقابلوه وخاطبوه في العفو ولاطفوه والتمسوا منه أماناً كافياً وعفواً ينادون به باللغتين شافياً لتطمئن بذلك قلوب الرعية ويسكن روعهم من هذه الرزية، فوعدهم وعداً مشوباً بالتسويف وطالبهم بالتبيين والتعريف عمن تسبب من المتعممين في إثارة العوام، وحرضهم على الخلاف والقيام فغالطوه عن تلك المقاصد، فقال على لسان الترجمان نحن نعرفهم بالواحد فترجوا عنده في إخراج العسكر من الجامع الأزهر، فأجابهم لذلك السؤال وأمر بإخراجهم في الحال، وأبقوا منهم السبعين أسكنوهم في الخطة كالضابطين ليكونوا للأمور كالراصدين وبالأحكام متقيدين. ثم أنهم فحصوا على المتهمين في إثارة الفتنة فطلبوا الشيخ سليمان الجوسقي شيخ طائفة العميان والشيخ أحمد الشرقاوي والشيخ عبد الوهاب الشبراوي والشيخ يوسف المصيلحي والشيخ اسمعيل البراوي وحبسوهم ببيت البكري، وأما السيد بدر المقدسي فإنه تغيب وسافر الى جهة الشام وفحصوا عليهم فلم يجدوه، وتردد المشايخ لتخليص الجماعة المعوقين فغولطوا، واتهم أيضاً ابراهيم أفندي كاتب البهار بأنه جمع له جمعاً من الشطار وأعطاهم الأسلحة والمساوق وكان عنده عدة من المماليك المخيفين والرجال المعدودين فقبضوا عليه وحبسوه ببيت الآغا.

وفي يوم الأحد ثامن عشره توجه شيخ السادات وباقي المشايخ الى بيت صاري عسكر الفرنسيين وتشفعوا عنده في الجماعة المسجونين ببيت الآغا وقائمقام والقلعة فقيل لهم وسعوا بالكم ولا تستعجلوا فقاموا وانصرفوا.

وفيه نادوا في الأسواق ولا أحد يشوش على أحد مع استمرار القبض على الناس وكبس البيوت بأدنى شبهة ورد بعضهم الأمتعة التي نهبت للنصارى.

وفيه توسط القلقجي لمغاربة الفحامين وجمع منهم ومن غيرهم عدة وافرة وعرضهم على صاري عسكر فاختار منهم الشباب وأولي القوة وأعطاهم سلاحاً وآلات حرب ورتبهم عسكراً ورئيسهم عمر المذكور وخرجوا وأمامهم البطل الشامي على عادة عسكر المغاربة، وسافروا جهة بحري بسبب أن بعض البلاد قام على عسكر الفرنساوية وقت الفتنة وقاتلوهم وضربوا أيضاً مركبين بها عدة من عساكرهم فحاربواهم وقاتلوهم، فلما ذهب أولئك المغاربة سكنوا الفتنة وضربوا عشماً وقتلوا كبيرها المسمى بابن شعير ونهبوا داره ومتاعه وماله وبهائمه وكان شيئاً كثيراً جداً وأحضروا إخوته وأولاده وقتلوهم و لم يتركوا منهم سوى ولد صغير جعلوه شيخاً عوضاً عن أبيهم، وسكن العسكر المغربي بدار عند باب سعادة ورتبوا له من الفرنسيس جماعة يأتون إليهم في كل يوم ويدربونهم على كيفية حربهم وقانونهم ومعنى إشاراتهم في مصافاتهم، فيقف المعلم والمتعلمون مقابلون له صفاً وبأيديهم بناقدهم فيشير إليهم بألفاظ لغتهم كأن يقول مردبوش، فيرفعونها قابضين بأكفهم على أسافلها ثم يقول مرش فيمشون صفوفاً الى غير ذلك.

وفيه سافر برطلمين الى ناحية سرياقوس ومعه جملة من العسكر بسبب الناس الفارين الى جهة الشرق فلم يدركهم وأخذ من في البلاد وعسف في تحصيلها ورجع بعد أيام.

وفي يوم الأربعاء خاطب الشيخ محمد المهدي صاري عسكر في أمر ابراهيم أفندي كاتب البهار وتلطف به بمعونة بوسليك المعروف بمدير الحدود وهو عبارة عن الروزنامجي ونقله من بيت الآغا الى داره وطلبوا منه قائمة كشف عما يتعلق بالمماليك بدفتر البهار.

وفي يوم الخميس سافر عدة من المراكب نحو الأربعين بها عسكر الفرنسيس الى جهة بحري.

وفي ليلة السبت رابع عشرينه حضر هجان من ناحية الشام وعلى يده مكاتبات وهي صورة فرمان وعليه طرة ومكتوب من أحمد باشا الجزار وآخر من بكر باشا الى كتخدائه مصطفى بك ومكتوب من ابراهيم بك خطاباً للمشايخ، وذلك كله بالعربي، ومضمون ذلك بعد براعة الاستهلال والآيات القرآنية والأحاديث والآثار المتعلقة بالجهاد ولعن طائفة الإفرنج والحط عليهم وذكر عقيدتهم الفاسدة وكذبهم ونحيلهم، وكذلك بقية المكاتبات بمعنى ذلك، فأخذها مصطفى بك كتخدا وذهب بها الى صاري عسكر، فلما اطلع عليها قال هذا تزوير من ابراهيم بك ليوقع بيننا وبينكم العداوة والمشاحنة، وأما أحمد باشا فهو رجل فضولي لم يكن والياً بالشام ولا مصر لأن والي الشام ابراهيم باشا، وأما والي مصر فهو عبد الله باشا بن العظم الذي هو الآن والي الشام فأنا أعلم بذلك وسيأتي بعد أيام والي ويقيم معه كما كانت المماليك مع الولاة. وورد خبر أيضاً بانفصال محمد عزت عن الصدارة وعزل كذلك أنفار من رجال الدولة، وفي مدة هذه الأيام بطل الاجتماع بالديوان المعتاد وأخذوا في الاهتمام في تحصين النواحي والجهات، وبنوا أبنية على التلول المحيطة بالبلد ووضعوا بها عدة مدافع وقنابر وهدموا أماكن بالجيزة وحصنوها تحصيناً زائداً، وكذلك مصر العتيقة ونواحي شبرا، وهدموا عدة مساجد منها المساجد المجاورة لقنطرة انبابة الرمة ومسجد المقس المعروف الآن بأولاد عنان على الخليج الناصري بباب البحر، وقطعوا نخيلاً كثيرة وأشجار الجيزة التي عند أبي هريرة قطعوها وحفروا هناك خنادق كثيرة وغير ذلك، وقطعوا نخيل جهة الحلي وبولاق وخربوا دوراً كثيرة وكسروا شبابيكها وأبوابها وأخذوا أخشابها لاحتياج العمل والوقود وغير ذلك.

وفي ليلة الأحد حضر جماعة من عسكر الفرنسيس الى بيت البكري نصف الليل وطلبوا المشايخ المحبوسين عند صاري عسكر ليتحدث معهم، فلما صاروا خارج الدار وجدوا عدة كثيرة في انتظارهم فقبضوا عليهم وذهبوا بهم الى بيت قائمقام بدرب الجماميز وهو الذي كان به دبوي قائمقام المقتول وسكنه بعده الذي تولى مكانه، فلما وصلوا بهم هناك عروهم من ثيابهم وصعدوا بهم الى القلعة فسجنوهم الى الصباح، فأخرجوهم وقتلوهم بالبنادق وألقوهم من السور خلف القلعة، وتغيب حالهم عن أكثر الناس أياماً وفي ذلك اليوم ركب بعض المشايخ الى مصطفى بك كتخدا الباشا وكلموه في أن يذهب معهم الى صاري عسكر ويشفع معهم في الجماعة المذكورين ظناً منهم أنهم في قيد الحياة، فركب معهم إليه وكلموه في ذلك، فقال لهم الترجمان اصبروا ما هذا وقته وتركهم وقام ليذهب في بعض أشغاله، فنهض الجماعة أيضاً وركبوا الى دورهم.

وفي يوم الثلاثاء حضر عدة من عسكر الفرنسيس ووقفوا بحارة الأزهر فتخيل الناس منهم المكروه ووقعت فيهم كرشة وأغلقوا الدكاكين وتسابقوا الى الهروب، وذهبوا الى البيوت والمساجد واختفت آراؤهم، ورأوا في ذلك أقضية بحسب تخمينهم وظنهم وفساد مخيلهم، فذهب بعض المشايخ الى صاري عسكر وأخبروه بذلك وتخوف الناس فأرسل إليهم، وأمرهم بالذهاب فذهبوا، وتراجع الناس وفتحوا الدكاكين ومر الآغا والوالي وبرطلمين ينادون بالأمان، وسكن الحال وقيل إن بعض كبرائهم حضر عند

القلق الساكن بالمشهد وجلس عنده حصة هؤلاء كانوا أتباعه ووقفوا ينتظرونه، ولعل ذلك قصداً للتخويف والإرهاب خشية من قيام فتنة لما أشيع قتل المشايخ المذكورين وهو الأرجح.

وفيه كتبوا أوراقاً وألصقوها بالأسواق تتضمن العفو والتحذير من إثارة الفتنة وأن من قتل من المسلمين في نظير من قتل من الفرنسيس.

وفيه شرعوا في إحصاء الأملاك والمطالبة بالمقرر فلم يعارض في ذلك معارض و لم يتفوه بكلمة والذي لم يرض بالتوت يرضى بحطبه.

وفيه أيضاً قلعوا أبواب الدروب والحارات الصغيرة غير النافذة وهي التي كانت تركت وسومح أصحابها وبرطلوا عليها وصالحوا عليها قبل الحادثة وبرطلوا القلقات والوسايط على إبقائها وكذلك دروب الحسينية، فلما انقضت هذه الحادثة ارتجعوا عليها وقلعوها ونقلوها الى ما جمعوه من البوابات بالأزبكية، ثم كسروا جميعها وفصلوا أخشابها ورفعوا بعضها على العربات الى حيث أعمالهم بالنواحي والجهات وباعوا بعضها حطباً للوقود، وكذلك ما بها من الحديد وغيره.

وفي ليلة الخميس هجم المنسر على بوابة سوق طولون وكسروها وعبروا منها الى السوق فكسروا القناديل وفتحوا ثلاثة حوانيت وأخذوا ما بها من متاع المغاربة التجار وقتلوا القلق الذي هناك وخرجوا بدون مدافع ولا منازع.

وفي يوم الخميس المذكور ذهب المشايخ الى صاري عسكر وتشفعوا في ابن الجوسقي شيخ العميان الذي قتل أبوه وكان معوقاً ببيت البكري فشفعهم فيه وأطلقوه.

واستهل شهر جمادى الثانية بيوم السبت سنة 1213.

فيه كتبوا عدة أوراق على لسان المشايخ وأرسلوها الى البلاد وألصقوا منها نسخاً بالأسواق والشوارع.

وصورتها: نصيحة من كافة علماء الإسلام بمصر المحروسة نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن ونبرأ الى الله من الساعين في الأرض بالفساد، نعرف أهل مصر المحروسة من طرف الجعيدية وأشرار الناس حركوا الشرور بين الرعية وبين العساكر الفرنساوية بعدما كانوا أصحاباً وأحباباً لسوية، وترتب على ذلك قتل جملة من المسلمين ونهبت بعض البيوت، ولكن حصلت ألطاف الله الخفية وسكنت الفتنة بسبب شفاعتنا عند أمير الجيوش بونابرته . وارتفعت هذه البلية لأنه رجل كامل العقل عنده رحمة وشفقة على المسلمين ومحبة الى الفقراء والمساكين ولولاه لكانت العسكر أحرقت جميع المدينة ونهبت جميع الأموال وقتلوا كامل أهل مصر، فعليكم أن لا تحركوا الفتن ولا تطيعوا أمر المفسدين ولا تسمعوا كلام المنافقين ولا تتبعوا الأشرار ولا تكونوا من الخاسرين سفهاء العقول الذين لا يقرأون العواقب لأجل أن تحفظوا أوطانكم وتطمئنوا على عيالكم وأديانكم، فإن الله سبحانه وتعالى يؤتي ملكه من يشاء ويحكم ما يريد، وتخبركم أن كل من تسبب في تحريك هذه الفتنة قتلوا من آخرهم وأراح الله منهم العباد والبلاد، ونصيحتنا لكم أن لا تلقوا بأيديكم الى التهلكة واشتغلوا بأسباب معايشكم وأمور دينكم وادفعوا الخراج الذي عليكم الدين النصيحة والسلام.

وفيه أمروا بقية السكان على بركة الأزبكية وما حولها بالنقلة من البيوت ليسكنوا بها جماعتكم المتباعدين منهم ليكون الكل في حومة واحدة، وذلك لما دخلهم من المسلمين حتى أن الشخص منهم صار لا يمشي بدون سلاح بعد أن كانوا من حين

دخولهم البلد لا يمشون به أصلاً إلا لغرض، والذي لم يكن معه سلاح يأخذ بيده عصا أو سوطاً أو نحو ذلك، وتنافرت قلوبهم من المسلمين وتحذروا منهم وانكف المسلمون عن الخروج والمرور بالأسواق من الغروب الى طلوع النهار، ومن جملة من انتقل من الدرب الأحمر الى الأزبكية كفرلي المسمى بأبي خشبة وهو يمشي بها بدون معين ويصعد الدرج ويهبط منها أسرع من الصحيح، ويركب الفرس ويرمحه وهو على هذه الحالة، وكان من جملة المشار إليهم فيهم والمدبر لأمور القلاع وصفوف الحروب ولهم به عناية عظيمة واهتمام زائد، كان يسكن ببيت مصطفى كاشف طرا وفي وقت الحادثة هجمت على الدار العامة ونهبوها وقتلوا منها بعض الفرنساوية وفر الباقون. فأخبروا من بالقلعة الكبيرة، فنزل منهم عدة وافرة وقف بعضهم خارج الدار بعد أن طردوا المزدحمين ببابها وضربوهم بالبندق، ودخل الباقون فقتلوا من وجدوه بها من المسلمين وكانوا جملة كثيرة، وكان بتلك الدار شيء كثير من آلات الصنائع والنظارات الغريبة والآلات الفلكية والهندسية والعلوم الرياضية وغير ذلك مما هو معدوم النظير كل آلة لا قيمة لها عند من يعرف صنعتها ومنفعتها، فبدد ذلك كله العامة وكسروه قطعاً، وصعب ذلك على الفرنسيس جداً وقاموا مدة طويلة يفحصون عن تلك الآلات ويجعلون لمن يأتيهم بها عظيم الجعالات. وممن قتل في وقعة هذه الدار الشيخ محمد الزهار.

وفي خامسه أفرجوا عن ابراهيم أفندي كاتب البهار وتوجه الى بيته.

وفي ثامنه قتلوا أربعة أنفار من القبط منهم إثنان من النجارين قيل إنهم سكروا في الخمارة ومروا في سكرهم وفتحوا بعض الدكاكين وسرقوا منها أشياء، وقد تكرر منهم ذلك عدة مرار فاغتاظ لذلك القبطة.

وفيه كتبوا عدة أوراق وأرسلوا منها نسخاً للبلاد وألصقوا منها بالأخطاط والأسواق، ذلك على لسان المشايخ أيضاً ولكن تزيد صورتها عن الأولى.

وصورتها نصيحة من علماء الإسلام بمصر المحروسة، نخبركم يا أهل المدائن والأمصار من المؤمنين، ويا سكان الأرياف من العربان والفلاحين أن ابراهيم بك ومراد بك وبقية دولة المماليك أرسلوا عدة مكاتبات ومخاطبات الى سائر الأقاليم المصرية لأجل تحريك الفتنة بين المخلوقات، وادعوا أنها من حضرة مولانا السلطان ومن بعض وزرائه بالكذب والبهتان. وبسبب ذلك حصل لهم شدة الغم والكرب الزائد واغتاظوا غيظاً شديداً من علماء مصر ورعاياها حيث لم يوافقوهم على الخروج معهم وتركوا عيالهم وأوطانهم، فأرادوا أن يوقعوا الفتنة والشر بين الرعية والعسكر الفرنساوية لأجل خراب البلاد وهلاك كامل الرعية، وذلك لشدة ما حصل لهم من الكرب الزائد بذهاب دولتهم وحرمانهم من مملكة مصر المحمية ولو كانوا في هذه الأوراق صادقين بأنها من حضرة سلطان السلاطين لأرسلها جهاراً مع أغوات معينين، ونخبركم أن الطائفة الفرنساوية بالخصوص عن بقية الطوائف الإفرنجية دائماً يحبون المسلمين وملتهم ويبغضون المشركين وطبيعتهم، أحباب لمولانا السلطان قائمون بنصرته وأصدقاء له ملازمون لمودته وعشرته ومعونته يحبون من والاه ويبغضون من عاداه، ولذلك بين الفرنساوية والموسكوف غاية العداوة الشديدة من أجل عداوة المسكوف القبيحة الرديئة. والطائفة الفرنساوية يعادون حضرة السلطان على أخذ بلادهم إن شاء الله تعالى ولا يبقون منهم بقية، فننصحكم أيها الأقاليم المصرية أنكم لا تحركوا الفتن ولا الشرور بين البرية ولا تعارضوا العساكر الفرنساوية بشيء من أنواع الأذية فيحصل لكم الضرر والهلاك، ولا تسمعوا كلام المفسدين ولا

تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون فتصبحوا على ما فعلتم نادمين وإنما عليكم دفع الخراج المطلوب منكم لكامل الملتزمين لتكونوا بأوطانكم سالمين وعلى أموالكم وعيالكم آمنين مطمئنين، لأن حضرة صاري عسكر الكبير أمير الجيوش بونابارته اتفق معنا على أنه لا ينازع أحداً في دين الإسلام ولا يعارضنا فيما شرعه الله من الأحكام، ويرفع عن الرعية سائر المظالم ويقتر على أخذ الخراج ويزيل ما أحدثه الظلمة من المغارم، فلا تعلقوا آمالكم بابراهيم ومراد وراجعوا الى مولاكم مالك الملك وخالق العباد، فقد قال نبيه ورسوله الأكرم الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها بين الأمم عليه أفضل الصلاة والسلام.

وفي ثالث عشره قتلوا شخصين عند باب زويلة أحدهما يهودي لم يتحقق السبب في قتلهما.

وفيه أخرجوا من بيت نسيب ابراهيم كتخدا صناديق ضمنها مصاغ وجواهر وأواني ذهب وفضة وأمتعة وملابس كثيرة.

وفي خامس عشره حضر جماعة من الفرنساوية بباب زويلة وفتحوا بعض دكاكين السكرية وأخذوا منها سكراً وضاع على أصحابه.

وفيه دلوا على إنسان عنده صندوقان وديعة لأيوب بك الدفتردار فطلبوه وأمروه بإحضارهما فأحضرهما بعد الإنكار والحجد عدة مرار فوجدوا ضمنهما أسلحة وجواهر وسبح لؤلؤ وخناجر مجوهرة وغير ذلك.

وفي عشرينه كتبوا عدة أوراق مطبوعة وألصقوها بالأسواق مضمونها أن في يوم الجمعة حادي عشرينه قصدنا أن نطير مركباً ببركة الأزبكية في الهواء بحيلة فرنساوية، فكثر لغط الناس في هذا كعادتهم فلما كان ذلك اليوم قبل العصر تجمع الناس والكثير من الإفرنج ليروا تلك العجيبة، وكنت بجملتهم، فرأيت قماشاً على هيئة الأدية على عمود قائم وهو ملون أحمر وأبيض وأزرق على مثل دائرة الغربال وفي وسطه مسرجة بها فتيلة مغموسة ببعض الأدهان، وتلك المسرجة مصلوبة بسلوك من حديد منها الى الدائرة وهي مشدودة ببكر وأحبال وأطراف الأحبال بأيدي أناس قائمين بأسطحة البيوت القريبة منها، فلما كان بعد العصر بنحو ساعة أوقدوا تلك الفتيلة فصعد دخانها الى ذلك القماش وملأه فانتفخ وصار مثل البكرة وطلب الدخان الصعود الى مركزه، فلم يجد منفذاً فجذبها معه الى العلو فجذبوها بتلك الأحبال مساعدة لها حتى ارتفعت عن الأرض فقطعوا تلك الحبال فصعدت الى الجو مع الهواء ومشت هنيهة لطيفة ثم سقطت طارتها بالفتيلة وسقط أيضاً ذلك القماش وتناثر منها أوراق كثيرة من نسخ الأوراق المبصومة، فلما حصل لها ذلك انكسف طبعهم لسقوطها و لم يتبين صحة ما قالوه من أنها على هيئة مركب تسير في الهواء بحكمة مصنوعة ويجلس فيها أنفار من الناس ويسافرون فيها الى البلاد البعيدة لكشف الأخبار وإرسال المراسلات، بل ظهر أنها مثل الطيارة التي يعملها الفراشون بالمواسم والأفراح.

وفي تلك الليلة طاف منهم أنفار بالأسواق ومعهم مقاطف بها لحوم مسمومة فأطعموها للكلاب فمات منها جملة كثيرة، فلما طلع النهار وجد الناس الكلاب مرمية وطرحى بالأسواق وهي موتى فاستأجروا لها من أخرجها الى الكيمان، وسبب ذلك أنهم لما كانوا يمرون في الليل وهم سكوت كانت الكلاب تنبحهم وتعدو خلفهم ففعلوا بها ذلك وارتاحوا هم والناس منها.

وفي خامس عشرينه سافر عدة عساكر الى جهة مراد بك وكذلك الى جهة كرداسة بسبب العربان وكذلك الى السويس والصالحية وأخذوا جمال السقائين بروایاها وحميرهم ولكن يعطونهم أجرتهم، فشح الماء وغلا وبلغت القربة عشرة أنصاف فضة.

وفيه ظفروا بعدة ودائع وخبايا بأماكن متعددة بها صناديق وأمتعة وأسلحة وأواني صيني وأواني نحاس قناطير وغير ذلك وانقضى هذا الشهر وما حصل به من الحوادث الكلية والجزئية التي لا يمكن ضبطها لكثرتها.

منها أنهم أحدثوا بغيط النوبي المجاور للأزبكية أبنية على هيئة مخصوصة منتزهة يجتمع بها النساء والرجال للهو والخلاعة في أوقات مخصوصة وجعلوا على كل من يدخل إليه قدراً مخصوصاً يدفعه أو يكون مأذوناً وبيده ورقة.

ومنها أنهم هدموا وبنوا بالمقياس والروضة وهدموا أماكن بالجيزة ومهدوا التل المجاور لنقطرة الليمون وجعلوا في أعلاه طاحوناً تدور في الهواء عجيبة وتطحن الأرادب من البر وهي بأربعة أحجار وطاحوناً أخرى بالروضة تجاه مساطب النشاب، وهدموا الجامع المجاور لقنطرة الدكة وشرعوا في ردم جهات حوالي بركة الأزبكية وهدموا الأماكن المقابلة لبيت صاري عسكر حتى جعلوها رحبة متسعة، وهدموا الأماكن المقابلة لها من الجهة الأخرى والجنائن التي خلف ذلك وقطعوا أشجارها، وردموا مكانها بالأتربة الممهدة على خط معتدل من الجهتين مبتدأ من حد بيت صاري عسكر الى قنطرة المغربي وجددوا القنطرة المذكورة، وكانت آلت الى السقوط وفعلوا بعدها كذلك على الوضع والنسق بحيث صار جسراً عظيماً ممتداً ممهداً مستوياً على خط مستقيم من الأزبكية الى بولاق قسمين: قسم الى طريق أبي العلا وقسم يذهب الى جهة التبانة وساحل النيل وبطريقة الطريق المسلوكة الواصلة من طريق أبي العلا وجامع الخطيري الى ناحية المدابغ، وحفروا في جانبي ذلك الجسر من مبدئه الى منتهاه خندقين وغرسوا بجانبه أشجاراً وسيسباناً، وأحدثوا طريقاً أخرى فيما بين باب الحديد وباب العدوى عند المكان المعروف بالشيخ شعيب حيث معمل الفواخير، وردموا جسراً ممتداً ممهداً مستطيلاً يبتدي من الحد المذكور وينتهي الى جهة المذبح خارج الحسينية، وأزالوا ما يتخلل بين ذلك من الأبنية والغيطان والأشجار والتلول وقطعوا جانباً كبيراً من التل الكبير المجاور لنقطرة الحاجب، وردموا في طريقهم قطعة من خليج بركة الرطلي وقطعوا أشجار بستان كاتب البهار المقابل لجسر بركة الرطلي وأشجار الجسر أيضاً والأبنية التي بين باب الحديد والرحبة التي بظاهر جامع المقس، وساروا على المنخفض بحيث صارت طريقاً ممتدة من الأزبكية الى جهة قبة النصر المعروفة بقبة العزب جهة العادلية على خط مستقيم من الجهتين. وقيدوا بذلك أنفاراً منهم يتعاهدون تلك الطرق ويصلحون ما يخرج منها عن قالب الاعتدال بكثرة الدوس وحوافر الخيول والبغال والحمير وفعلوا هذا الشغل الكبير والفعل العظيم في أقرب زمن، و لم يسخروا أحداً في العمل بل كانوا يعطون الرجال زيادة عن أجرتهم المعتادة ويصرفونهم من بعد الظهيرة ويستعينون في الأشغال وسرعة العمل بالآلات القريبة المأخذ السهلة التناول المساعدة في العمل وقلة الكلفة، كانوا يجعلون بدل الغلقان والقصاع عربات صغيرة ويداها ممتدتان من خلف يملؤها الفاعل تراباً أو طيناً أو أحجاراً من مقدمها بسهولة بحيث تسع مقدار خمسة غلقان، ثم يقبض بيديه على خشبتيها المذكورتين ويدفعها أمامه فتجري على عجلتها بأدنى مساعدة الى محل العمل فيميلها بإحدى يديه ويفرغ ما فيها من غير تعب ولا مشقة، وكذلك لهم فؤوس وقزم محكمة الصنعة متقنة الوضع وغالب الصناع من جنسهم ولا يقطعون الأحجار والأخشاب إلا بالطرق الهندسية على الزوايا القائمة والخطوط المستقيمة، وجعلوا جامع الظاهر بيبرس خارج الحسينية قلعة ومنارته برجاً ووضعوا على أسواره مدافع وأسكنوا به جماعة من العسكر، وبنوا في داخله عدة مساكن تسكنها العسكر المقيمة به وكان هذا الجامع معطل الشعائر من مدة طويلة وباع نظاره منه أنقاضاً وعمداً كثيرة.

ومنها أنهم أحدثوا على التل المعروف بتل العقارب بالناصرية أبنية وكرانك وأبراجاً ووضعوا فيها عدة من آلات الحرب والعساكر المرابطين فيه، وهدموا عدة دور من دور الأمراء وأخذوا أنقاضها ورخامها لأبنيتهم وأفردوا للمديرين والفلكيين وأهل المعرفة والعلوم الرياضية كالهندسة والهيئة والنقوشات والرسومات والمصورين والكتبة والحساب والمنشئين حارة الناصرية حيث الدرب الجديد وما به من البيوت، مثل بيت قاسم بك وأمير الحاج المعروف بأبي يوسف وبيت حسن كاشف جركس القديم والجديد الذي أنشأه وشيده وزخفره وصرف عليه أموالاً عظيمة من مظالم العبادة، وعند تمام بياضه وفرشه حدثت هذه الحادثة ففر مع الفارين وتركه فيه جملة كبيرة من كتبهم وعليها خزان ومباشرون يحفظونها ويحضرونها للطلبة ومن يريد المراجعة فيراجعون فيها مرادهم، فتجتمع الطلبة منهم كل يوم قبل الظهر بساعتين ويجلسون في فسحة المكان المقابلة لمخازن الكتب على كراسي منصوبة موازية لتختاة عريضة مستطيلة فيطلب من يريد المراجعة ما يشاء منها، فيحضرها له الخازن فيتصفحون ويراجعون ويكتبون حتى أسافلهم من العساكر، وإذا حضر إليهم بعض المسلمين ممن يريد الفرجة لا يمنعونه الدخول الى أعز أماكنهم ويتلقونه بالبشاشة والضحك وإظهار السرور بمجيئه إليهم، وخصوصاً إذا رأوا فيه قابلية أو معرفة أو تطلعاً للنظر في المعارف بذلوا له مودتهم ومحبتهم ويحضرون له أنواع الكتب المطبوع بها والأقاليم والحيوانات والطيور والنباتات وتواريخ القدماء وسير الأمم وقصص الأنبياء بتصاويرهم وآياتهم ومعجزاتهم وحوادث أممهم مما يحير الأفكار، ولقد ذهبت إليهم مراراً وأطلعوني على ذلك. فمن جملة ما رأيته كتاب كبير يشتمل على سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ومصورون به صورته الشريفة على قدر مبلغ علمهم واجتهادهم وهو قائم على قدميه ناظراً الى السماء كالمرهب للخليقة وبيده اليمنى السيف وفي اليسرى الكتاب وحوله الصحابة رضي الله عنهم بأيديهم السيوف، وفي صفحة أخرى صورة الخلفاء الراشدين، وفي الأخرى صورة المعراج والبراق وهو صلى الله عليه وسلم راكب عليه من صخرة بيت المقدس، وصورة بيت المقدس والحرم المكي والمدني، وكذلك صورة الأئمة المجتهدين وبقية الخلفاء والسلاطين ومثال اسلامبول وما بها من المساجد العظام كأياصوفية وجامع السلطان محمد وهيئة المولد النبوي وجمعية أصناف الناس لذلك وكذلك السلطان سليمان وهيئة صلاة الجمعة فيه وأبي أيوب الأنصاري وهيئة صلاة الجنازة فيه وصور البلدان والسواحل والبحار والأهرام وبرابي الصعيد والصور والأشكال والأفلام المرسومة وما يختص بكل بلد من أجناس الحيوان والطيور والنبات والأعشاب وعلوم الطب والتشريح والهندسيات وجر الأثقال وكثير من الكتب الإسلامية مترجم بلغتهم، ورأيت عندهم كتاب الشفاء للقاضي عياض ويعبرون عنه بقولهم شفاء شريف والبردة للبوصيري ويحفظون جملة من أبياتها، وترجموها بلغتهم، ورأيت بعضهم يحفظ سوراً من القرآن ولهم تطلع زائد للعلوم وأكثرها الرياضة ومعرفة اللغات واجتهاد كبير في معرفة اللغة والمنطق، ويدأبون في ذلك الليل والنهار، وعندهم كتب مفردة لأنواع اللغات وتصاريفهما واشتقاقاتها بحيث يسهل عليهم نقل ما يريدون من أي لغة كانت الى لغتهم في أقرب وقت، وعند توت الفلكي وتلامذته في مكانهم المختص بهم الآلات الفلكية الغريبة المتقنة الصنعة وآلات الارتفاعات البديعة العجيبة التركيب الغالية الثمن المصنوعة من الصفر المموه، وهي تركب ببراريم مصنوعة محكمة كل آلة منها عدة قطع تركب مع بعضها البعض برباطات وبراريم لطيفة، بحيث إذا ركبت صارت آلة كبيرة أخذت قدراً من الفراغ، وبها نظارات وثقوب ينفذ النظر منها الى المرئي وإذا انحل تركيبها وضعت في ظرف صغير. وكذلك نظارات للنظر في الكواكب وأرصادها ومعرفة

مقاديرها وأجرامها وارتفاعاتها واتصالاتها ومناظراتها وأنواع المنكابات والساعات التي تسير بثواني الدقائق الغريبة الشكل الغالية الثمن وغير ذلك، وأفردوا لجماعة منها بيت ابراهيم كتخدا السناري وهم المصورون لكل شيء ومنهم اريجوا المصور وهو يصور صور الآدميين تصويراً يظن من يراه أنه بارز في الفراغ بجسم يكاد ينطق، حتى أنه صور صورة المشايخ كل واحد على حدته في دائرة وكذلك غيرهم من الأعيان، وعلقوا ذلك في بعض

مجالس صاري عسكر، وآخر في مكان آخر يصور الحيوانات والحشرات وآخر يصور الأسماك والحيتان بأنواعها وأسمائها ويأخذون الحيوان أو الحوت الغريب الذي لا يوجد ببلادهم فيضعون جسمه بذاته في ماء مصنوع حافظ للجسم فيبقى على حالته وهيئته لا يتغير ولا يبلى ولو بقي زمناً طويلاً.

وكذلك أفردوا أماكن للمهندسين وصناع الدقائق وسكن الحكيم روياً ببيت ذي الفقار كتخدا بجوار ذلك، ووضع آلاته ومساحقه وأهوانه في ناحية، وركب له تنانير وكوانين لتقطير المياه والأدهان واستخراج الأملاح وقدوراً عظيمة وبرامات وجعل له مكاناً أسفل وأعلى وبهما رفوف عليها القدور المملوءة بالتراكيب والمعاجين والزجاجات المتنوعة وبها كذلك عدة من الأطباء والجرايحية.

وأفردوا مكاناً في بيت حسن كاشف جركس لصناعة الحكمة والطب الكيماوي وبنوا فيه تنانير مهندمة وآلات تقاطير عجيبة الوضع وآلات تصاعيد الأرواح وتقاطير المياه وخلاصات المفردات وأملاح الأرمدة المستخرجة من الأعشاب والنباتات واستخراج المياه الجلاءة والحلالة وحول المكان الداخل قوارير وأوان من الزجاج البلوري المختلف الأشكال والهيئات علي الرفوف والسدلات وبداخلها أنواع المستخرجات.

ومن أغرب ما رأيته في ذلك المكان أن بعض المفيدين لذلك أخذ زجاجة من الزجاجات الموضوع فيها بعض المياه المستخرجة، فصب منها شيئاً في كأس ثم صب عليها شيئاً من زجاجة أخرى فعلا المآن وصعد منه دخان ملون حتى انقطع وجف ما في الكأس وصار حجراً أصفر، فقلبه على البرجات حجراً يابساً أخذناه بأيدينا ونظرناه، ثم فعل كذلك بمياه أخرى فجمد حجراً أزرق وبأخرى فجمد حجراً أحمر ياقوتياً، وأخذ مرة شيئاً قليلاً جداً من غبار أبيض وضعه على السندال وضربه بالمطرقة بلطف فخرج له صوت هائل كصوت القرابانة انزعجنا منه فضحكوا منا، وأخذ مرة زجاجة فارغة مستطيلة في مقدار الشبر ضيقة الفم فغمسها في ماء قراح موضوع في صندوق من الخشب مصفح الداخل بالرصاص وأدخل معها أخرى على غير هيئتها وأنزلهما في الماء وأصعدهما بحركة انحبس بها الهواء في أحدهما، وأتى آخر بفتيلة مشتعلة وأبرز ذلك فم الزجاجة من الماء وقرب الآخر الشعلة إليها في الحال فخرج ما فيها من الهواء المحبوس وفرقع بصوت هائل أيضاً، وغير ذلك أمور كثيرة وبراهين حكيمة تتولد من اجتماع العناصر وملاقاة الطبائع، ومثل الفلكة المستديرة التي يديرون بها الزجاجة فيتولد من حركتها شرر يطير بملاقاة أدنى شيء كثيف ويظهر له صوت وطقطقة، وإذا مسك علقاتها شخص ولو خيطاً لطيفاً متصلاً بها ولمس آخر الزجاجة الدائرة أو ما قرب منها بيده الأخرى ارتج دنه وارتعد جسمه وطقطقت عظام أكتافه وسواعده في الحال برجة سريعة ومن لمس هذا اللامس أو شيئاً من ثيابه أو شيئاً متصلاً به حصل له ذلك ولو كانوا ألفاً أو أكثر، ولهم فيه أمور وأحوال وتراكيب غريبة ينتج منها نتائج لا يسعها عقول أمثالنا.

وأفردوا أيضاً مكاناً للنجارين وصناع الآلات والأخشاب وطواحين الهواء والعربات واللوازم لهم في أشغالهم وهندساتهم

وأرباب صنائعهم، ومكاناً آخر للحدادين وبنوا فيه كوانين عظاماً وعليها منافيخ كبار يخرج منها الهواء متصلاً كثيراً بحيث يجذبه النافخ من أعلى بحركة لطيفة، وصنعوا السندانات والمطارق العظام لصناعات الآلات من الحديد والمخارط وركبوا مخارط عظيمة لخرط القلوزات الحديد العظيمة ولهم فلكات مثقلة يديرها الرجال للمعلم الخراط للحديد بالأقلام المتينة الجافية، وعليها حق صغير معلق مثقوب وفيه ماء يقطر على محل الخرط لتبريد النارية الحادثة من الاصطكاك، وبأعلى هذه الأمكنة صناع الأمور الدقيقة مثل البركارات وآلات الساعات والآلات الهندسية المتقنة وغير ذلك.

شهر رجب سنة 1213

استهل بيوم الأحد في ثالثه قتلوا شخص من الأجناد يقال له مصطفى كاشف من جماعة حسين بك المعروف بشفت، وكان قد فر مع الفارين ثم رجع من غير استئذان وأقام أياماً مستتراً ببيت الشيخ سليمان الفيومي، فسلمه لمصطفى آغا مستحفظان ليأخذ له أماناً فأخبر الفرنسيس بشأنه وأغراهم عليه، فأمروه بقتله فقطع رأسه وطافوا بها ينادون عليها بقولهم: هذا جزاء من يدلخ الى مصر بغير إذن الفرنسيس.

وفي يوم الخميس حضر كبير الفرنسيس الذي بناحية قليوب وصحبته سليمان الشواربي شيخ الناحية وكبيرها، فلما حضر حبسوه بالقلعة قيل إنهم عثروا له على مكتوب أرسله وقت الفتنة السابقة الى سرياقوس لينهض أهل تلك النواحي في القيام ويأمرهم بالحضور وقت أن يرى الغلبة على الفرنسيس، ولما حبسوه وحبسوا معه أربعة من الأجناد أيضاً.

وفيه أحدثوا مرماراً يضربونه في كل يوم وقت الزوال لأن ذلك الوقت عندهم ابتداء اليوم.

وفي يوم الأربعاء عاشره نادوا في الأسواق بأن من أراد أن يشترى فرساً أو حماراً فليحضر يوم الجمعة ثالث عشره ببولاق ويشتري من الفرنساوية ما أحب ذلك، وكتبوا بذلك أوراقاً وألصقوها بالأسواق والأزقة وهي مطبوعة وعليها الصورة، ونصها: فليكن معلوماً عند كافة الرعايا المصرية أن في يوم الجمعة ثلاثة عشر من شهر رجب الساعة اثنين يباع في بولاق جملة خيل من المشيخة الفرنساوية، فلأجل هذا المشترى كل من أراد أن يقتني خيلاً فمنحنا له الإجازة أنه يقتني كما يريد ويشاء.

وفي يوم الإثنين سادس عشره سافر صاري عسكر بونابرته الى السويس وأخذ صحبته السيد أحمد المحروقي وابراهيم أفندي كاتب البهار، وأخذ معه أيضاً بعض المدبرين والمهندسين والمصورين وجرجس الجوهري والطون أبو طاقية وغيرهم، وعدة كثيرة من عساكر الخيالة والمشاة وبعض مدافع وعربات وتختروان وعدة جمال لحمل الذخيرة والماء والقومانية.

وفيه شرعوا في ترتيب الديوان على تنظيم آخر وعينوا له ستين نفراً منهم أربعة عشر يقال لهم خصوص وهم الذين يحضرون دائماً ويقال لهم الديوان الخصوصي والديوان الديمومي. والباقي بحسب الاقتضاء والأربعة عشر هم من المشايخ الشرقاوي والمهدي والصاوي والبكري والفيومي، ومن التجار المحروقي وأحمد محرم، ومن النصارى القبطة لطف الله المصري، ومن الشوام يوسف فرحات ومخاييل كحيل ورواحة الانكليزي وبودني وموسى كافر الفرنساوي، ومعهم وكلاء ومباشرون من الفرنسيس ومترجمون، وأما العمومي فأكثره مشايخ حرف وكتبوا بذلك طوماراً كبيراً بصموا منه نسخاً كثيرة وأرسلوا منها نسخاً كثيرة للأعيان وألصقوا منها بالأسواق على العادة، وأرسلوا الذين عينوا بالديوان أوراقاً بأسمائهم شبه التقارير وصورة صدر ذلك

الطومار المكتتب في شأن ذلك وقد أوردت ذلك وإن كان فيه بعض طول للاطلاع على ما فيه من التمويهات على العقول والتسلق على دعوى الخواص من البشر بفاسد التخيلات التي تنادي على بطلانها بديهة العقل، فضلاً عن النظر وهي مقولة على لسان بونابارته كبير الفرنسيس ونصه:

بسم الله الرحمن الرحيم، من أمير الجيوش الفرنساوية خطاباً الى كافة أهالي مصر الخاص والعام نعلمكم أن بعض الناس الضالين العقول الخليين من المعرفة وإدراك العواقب سابقاً أوقعوا الفتنة والشرور بين القاطنين بمصر فأهلكهم لله بسبب فعلهم ونيتهم القبيحة، والباري سبحانه وتعالى أمرني بالشفقة والرحمة على العباد، فامتثلت أمره وصرت رحيماً بكم شفوقاً عليكم، ولكن كان حصل عندي غيظ وغم شديد بحسب تحريك هذه الفتنة بينكم، ولأجل ذلك أبطلت الديوان الذي كنت رتبته لنظام البلد وصلاح أموالكم من مدة شهرين، والآن توجه خاطرنا الى ترتيب الديوان كما كان لأن حسن أحوالكم ومعاملتكم في المدة المذكورة إنساناً ذنوب الأشرار وأهل الفتنة التي وقعت سابقاً، أيها العلماء والأشراف أعلموا أمتكم ومعاشر رعيتكم بأن الذي يعاديني ويخاصمني إنما خصامه من ضلال عقله وفساد فكره فلا يجد ملجأ ولا مخلصاً ينجيه مني في هذا العالم، ولا ينجو من بين يدي الله لمعارضته لمقادير الله سبحانه وتعالى، والعاقل يعرف أن ما فعلناه بتقدير الله تعالى وإرادته وقضائه، ومن يشك في ذلك فهو أحمق وأعمى البصيرة، وأعلموا أيضاً أمتكم أن الله قدر في الأزل هلاك أعداء الإسلام وتكسير الصلبان على يدي، وقدر في الأزل أني أجيء من المغرب الى أرض مصر لهلاك الذين ظلموا فيها وإجراء الأمر الذي أمرت به، ولا يشك العاقل أن هذا كله بتقدير الله وإرادته وقضائه، وأعلموا أيضاً أمتكم أن القرآن لعظيم صرح في آيات كثيرة بوقوع الذي حصل وأشار في آيات أخرى الى أمور تقع في المستقبل، وكلام الله في كتابه صدق وحق لا يتخلف إذا تقرر هذا وثبتت هذه المقالات في آذانكم، فلترجع أمتكم جميعاً الى صفاء النية وإخلاص الطوية فإن منهم من يمتنع عن الغي وإظهار عداوتي خوفاً من سلاحي وشدة سطوتي، ولم يعلموا أن الله مطلع على السرائر يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، والذي يفعل ذلك يكون معارضاً لأحكام الله ومنافقاً وعليه اللعنة والنقمة من الله علام الغيوب، واعلموا أيضاً أني أقدر على إظهار ما في نفس كل أحد منكم، لأنني أعرف أحوال الشخص وما انطوى عليه بمجرد ما أراه، وإن كنت لا أتكلم ولا أنطق بالذي عنده، ولكن يأتي وقت ويوم يظهر لكم بالمعاينة أن كل ما فعلته وحكمت به فهو حكم إلهي لا يرد، وأن اجتهاد الإنسان غاية جهده ما يمنعه عن قضاء الله الذي قدره وأجراه على يدي، فطوبى للذين يسارعون في اتحادهم وهمتهم مع صفاء النية وإخلاص السريرة والسلام.

ورتبوا لأرباب الديوان الديمومي شهرية تدفع إليهم نظير تقيدهم بمصالح العامة والدعاوى وما يترتب عليه النظام بينهم وبين المسلمين.

وفي ثامن عشره طافوا على الطواحين واختاروا من كل طاحون فرساً أخذوها.

وفي رابع عشرينه حضر السيد المحروقي وكاتب البهار من السويس وكان ساري عسكر ذهب الى ناحية بلبيس فاستأذنوه في ذهابهم الى مصر، فأذن لهم وأرسل معهم خمسين عسكرياً ليوصلوهم الى مصر، فلما حضروا حكوا أن أهل السويس لما بلغهم مجيء الفرنساوية هربوا وأخلوا البلدة فذهبوا الى الطور وذهب البعض الى العرب بالبادية، فنهب الفرنسيس ما وجدوه بالبندر من البن والمتاجر والأمتعة وغير ذلك، وهدموا الدور وكسروا الأخشاب وخوابي الماء، فلما حضر كبيرهم وكان متأخراً عنهم كلمه التجار الذاهبون معه وأعلموه أن هذا الفعل غير صالح فاسترد من العسكر بعض الذي أخذوه ووعدهم باسترجاع الباقي

أو دفع ثمنه بمصر وأن يكتبوا قائمة بالمنهوبات، ثم إنه وجد مركبان حضرا الى قريب من السويس بهما بن ومتاجر فغرقت إحداهما فترلت طائفة من الفرنسيس في مراكب صغار، وذهبوا إليها في الغاطس وأخرجوها بالآلات ركبوها واصطنعوها من علم جر الأثقال، وفي مدة إقامته بالسويس صار يركب ويتأمل في النواحي وجهات ساحل البحر والميل ليلاً ونهاراً، وكان معه من الأم في هذه السفرة ثلاثة طيور دجاج محمرة ملفوفة في ورق وليس معه طباخ ولا فراش ولا فرش ولا خيمة وكل شخص من عسكره معه رغيف كبير مرشوق في طرف خربته يتزود منه ويشرب من سقاء لطيف من صفيح معلق في عنقه.

وفي يوم السبت حضر عدة من العسكر الفرنساوية من ناحية بلبيس ومعهم عدة من العربان نحو الثلاثين نفراً موثقون بالحبال، وأسروا أيضاً عدة من أولادهم ذكوراً وإناثاً ودخلوا بهم الى مصر يزفونهم بالطبول أمامهم ومعهم أيضاً ثلاثة حمول من حمول التجار وبعض جمال مما كان نهب منهم عند رجوعهم من الحج.

وفي ليلة الإثنين غايته حضر ساري عسكر من ناحية بلبيس الى مصر ليلاً وأحضر معه عدة عربان وعبد الرحمن أباظة أخو سليمان أباظة شيخ العيايدة وخلافه رهائن وضربوا أبو زعبل والمنير وأخذوا مواشيهم وحضروا بهم الى القاهرة وخلفهم أصحابهم رجالاً ونساء وصغاراً، وفي ذلك اليوم قتلوا شيخ العرب سليمان الشواربي شيخ قليوب ومعه أيضاً ثلاثة رجال يقال لهم عرب اشرقية فأنزلوهم من القلعة الى الرميلة على يد الآغا وقطعوا رؤوسهم وحملوا جثة الشواربي مع رأسه في تابوت وأخذه أتباعه في بلده قليوب ليدفن هناك عند أسلافه، وانقضى هذا الشهر وحوادثه الجزئية والكلية.

منها أن في ليلة السابع والعشرين منه أتت جماعة الى دار الشيخ محمد ابن الجوهري الكائن بالأزبكية بالقرب من باب الهواء، فخلعوا الشباك المطل على البركة ودخلوا منهم وصعدوا الى أعلى الدار، وكان بها ثلاثة من النساء الخدامات وابنة خدامة أيضاً وبواب الدار، ولم يكن رب الدار بها ولا الحريم بل كانوا قد انتقلوا الى دار أخرى لما سكن معظم العسكر بالأزبكية فاستيقظ النساء وصرخن فضربوهن وقتلوا منهن امرأة، واختفت البنت في جهة وعاثوا في الدار وأخذوا متاعاً ومصاغاً ونزلوا واستيقظ البواب فاختفى خوفاً منهم، فلما طلع النهار وشاع الخبر وكان ساري عسكر غائباً فلم يقع كلام في شأن ذلك، فلما قدم من سفره ركب مشايخ الديوان وأخبروه فاغتم لذلك وأظهر الغيظ وذم فاعل ذلك لما فيه من العار الذي يلحقه واهتم في الفحص عمن فعل ذلك وقت.

ومنها كثرة تعدي القلقات وتشديدهم على وقود القناديل بالأزقة هم من أهل البلد وإذا مروا بالليل ووجدوا قنديلاً أطفأه الهواء وفرغ زيته سمروا الحانوت أو الدار التي هو عليها ولا يقلعون مسماراً حتى صالحهم صاحبها على ما أحبوه من الدراهم، وربما تعمدوا كسر القناديل لأجل ذلك واتفق أن المطر أطفأ عدة قناديل بسوق أمير الجيوش بسبب كونها في ظروف من الورق والجريد، فابتل الورق وسال الماء فأطفأ القناديل فسمروا حوانيت السوق وأصبح أهلها صالحوا عليها ووقع مثل ذلك في طرق عديدة، فجمعوا في ذلك اليوم جملة من الدراهم وأمثال ذلك حتى في الأزقة والعطف غير النافذة حتى كان الناس ليس لهم شغل إلا القناديل وتفقد حالها وخصوصاً في ليل الشتاء الطويل.

شهر شعبان المعظم سنة 1213

استهل بيوم الثلاثاء، فيه قتلوا ثلاثة أنفار من الفرنسيس وبندقوا عليهم بالرصاص بالميدان تحت القلعة قيل إنهم من المتسلقين على الدور.

وفيه أخبر بأن مراد بك ومن معه ترفعوا الى قبلي ووصلوا الى عقبة الهواء وكلما قرب منهم عسكر الفرنساوية انتقلوا وقبلوا ولقد داخلهم من الفرنساوية خوف شديد ولم يقع بينهم ملاقاة ولا قتال.

وفيه قدمت رباعة تحمل البن الذي حضر من السويس بالمركب الداو يصحبه جماعة من الفرنساوية لخفارتها من قطاع الطريق.

وفي يوم الأحد سادسه نادى القبطان الفرنساوي السكاكن بالمشهد الحسيني على أهل تلك الخطة وما جاورها بفتح الحوانيت والأسواق لأجل مولد الحسين، وشدد في ذلك ووعد من أغلق حانوته بتسميره وتغريمه عشرة ريال فرانسة مكافأة له على ذلك، وكان السبب في ذلك والأصل فيه أن هذا المولد ابتدعه السيد بدوي بن فتيح مباشر وقف المشهد فكان قد اعتراه مرض الحب الإفرنجي فنذر على نفسه هذا المولد إن شفاه الله تعالى، فحصلت له بعض إفاقة فابتدأ به وأوقد في المسجد والقبة قناديل وبعض شموع، ورتب فقهاء يقرأون القرآن بالنهار مدارسة وآخرين بالمسجد يقرأون بالليل دلائل الخيرات للجزولي، ثم زاد الحال وانضم إليهم كثير من أهل البدع كجماعة العفيفي والسمان والعربي والعيسوية، فمنهم من يتحلق ويذكر الجلالة ويحرفها وينشد له المنشدون القصائد والموالات ومنهم من يقول أبياتاً من بردة المديح للبوصيري ويجاوبهم آخرون مقابلون لهم بصيغة صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وأما العيسوية فهم جماعة من المغاربة وما دخل فيهم من أهل الأهواء ينسبون الى شيخ من أهل المغرب يقال له سيدي محمد بن عيسى، وطريقتهم أنهم يجلسون قبالة بعضهم صفين ويقولون كلاماً معوجاً بلغتهم بنغم وطريقة مشوا عليها، وبين أيديهم طبول ودفوف يضربون عليها على قدر النغم ضرباً شديداً مع ارتفاع أصواتهم وتقف جماعة أخرى قبالة الذين يضربون بالدفوف فيضعون أكتافهم في أكتاف بعض لا يخرج واحد عن الآخر ويلتوون وينتصبون ويرتفعون وينخفضون ويضربون الأرض بأرجلهم كل ذلك مع الحركة العنيفة والقوة الزائدة، بحيث لا يقوم هذا المقام إلا كل من عرف بالقوة وهذه الحركات والإيقاعات على نمط الضرب بالدفوف فيقع بالمسجد دوي عظيم وضجات من هؤلاء ومن غيرهم من جماعة الفقراء كل أحد له طريقة وكيفية تباين الأخرى، هذا مع ما ينضم الى ذلك من جمع العوام وتحلقهم بالمسجد للحديث والهذيان وكثرة اللغط والحكايات والأضاحيك والتلفت الى حسبان الغلمان الذين يحضرون للتفرج والسعي خلفهم والافتتان بهم، ورمي قشور اللب والمكسرات والمأكولات في المسجد، وطواف الباعة بالمأكولات على الناس فيه وسقاة الماء، فيصير المسجد بما اجتمع فيه من هذه القاذورات والعفوش ملتحقاً بالأسواق الممتهنة ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. ثم زاد الحال على ذلك بقدوم جماعة الأشاير من الحارات البعيدة والقريبة وبين أيديهم مناور القناديل والجوامع العظيمة التي تحملها الرجال والشموع والطبول والزمور ويتكلمون بكلام محرف يظنون أنه ذكر وتوسلات يثابون عليها وينسبون من يلومهم أو يعترضهم الى الاعتزال والخروج والزندقة وغالبهم السوقة وأهل الحرف السافلة، ومن لا يملك قوت ليلته فتجد أحدهم يجتهد بقوة سعيه ويبيع متاعه أو يستدين الجملة من الدراهم ويصرفها في وقود القناديل وأجرة الطبالة والزمارة وكل يجتمع عليه ما هو من أمثاله من الحرافيش ثم يقطع ليلته تلك سهراناً ويصبح دايخاً كسلاناً ويظن أنه بات يتعبد ويذكر ويتهجد، واستمر هذا المولد أكثر من عشر سنين، ولم يزدد الناذر لذلك إلا مرضاً ومقتاً واستجلب خدمة الضريح ما

لاح لهم من خساف العقول مثل الشمع والدراهم، واتخذوا ذلك حبالة لأكل أموال الناس بالباطل، فلما حصلت هذه الحادثة بمصر ترك هذا المولد في جملة المتروكات ثم حصلت الفتنة التي حصلت وسكن هذا الفرنساوي في خط المشهد الحسيني لضبط تلك الجهة وفيه مسايرة ومداهنة، فصار يظهر المحبة للمسلمين ويلاطفهم ويدخل بيوت الجيران ويقبل شفاعة المتشفعين ويجل الفقهاء ويعظمهم ويكرمهم، وأبطل وقوف عسكره بالسلاح كعادتهم في غير هذه الجهة، وكذلك منع ما يفعله القلقات من أنواع التشديد على الناس في مثل القناديل فاطمأن به أهل الخطة وتراجعوا للبكور الى الصلاة في المساجد بعد تخوفهم من العسكر الذي رتب معهم وتركهم التكبير، فلما أنسوا به وعرفوا أخلاقه رجعوا لعادتهم ومشوا بالليل أيضاً بدون فزع وخوف وترجمانه على مثل طريقته وهو رجل شريف من أهل حلب، كان أسيراً بمالطة فاستخلصه الفرنسيس من جملة ما استخلصوه من أسرى مالطة وقدم معهم مصر، فلما أجلس هذا الضابط الخط، كان ترجمانه يهودياً فاحتال بعض أعيان الجهة ورتب هذا الشريف المذكور ليكون فيه راحة للناس ففتح له قهوة بالخط بالقرب من دار مخدومه

وجمع الناس للجلوس فيها والسهر حصة من الليل وأمرهم بعدم غلق الحوانيت مقداراً من الليل كعادتهم القديمة، فاستأنسوا بالاجتماعات والتسلي والخلاعات وعم ذلك جهات تلك الخطة ووافق ذلك هوى العامة لأن أكثرهم مطبوع على المجون والخلاعة، وتلك هي طبيعة الفرنساوية، فصاروا يجتمعون عنده للسمر والحديث واللعب والممازحة ويحضر معهم ذلك الضابط ومعه زوجته وهي من أولاد البلد المخلوعين أيضاً، فانساق الحديث لذكر هذا المولد الشهري وما يقع في لياليه من الجمعيات والمهرجان وحسنوا له إعادته فوافقهم على ذلك وأمر بالمناداة وفتح الحوانيت ووقود القناديل وشدد في ذلك.

وفي يوم الأربعاء كتبوا أوراقاً بتطيير طيارة ببركة الأزبكية مثل التي سبق ذكرها وفسدت. فاجتمعت الناس لذلك وقت الظهر وطيروها وصعدت الى الأعلى ومرت الى أن وصلت تلال البرقية وسقطت، ولو ساعدها الريح وغابت عن الأعين لتمت الحيلة وقالوا إنها سافرت الى البلاد البعيدة بزعمهم.

وفيه سافر الخواجة مجلون الى الصعيد والياً على جرجا لتحرير البلاد وقبض الأموال والغلال المتأخرة بالنواحي للغز.

وفيه سافرت قافلة بها أحمال كثيرة ومواش ونساء إفرنجيات وصناديق قيل إنهم أرسلوها الى الطور وصحبتهم عدة من العسكر.

وفي يوم الخميس عاشره، حضر طائفة من العسكر الفرنساوي الى وكالة ذي الفقار بالجمالية ففتحوا طبقة كانت لكتخدا علي باشا الطرابلسي وأخذوا ما وجدوه بها من الأمتعة، وختموا عدة حواصل وطباق بذلك الخان وبالوكالة الجديدة وغيرها للمسافرين والهاربين والقليونجية. وضبطوا ما بها وقبضوا على جماعة من الأتراك والقليونجية التجار وسجنوهم بالقلعة وصاروا يفتشون على من بقي منهم بالقاهرة وبولاق، خصوصاً الكرتلية الذين كانوا عسكراً لمراد بك وأخذوا الكثير من نصارى الأروام والقليونجية الذين كانوا مع مراد بك وبعضهم كان بمصر فأدخلوهم في عسكرهم وزيوهم بزيهم وأعطوهم أسلحة وانتظموا في سلكهم.

وفيه تواترت الأخبار أن علي باشا ونصوح باشا فارقا مراد بك وذهبا من خلف الجبل على الهجن الى جهة الشام وصحبتهم جماعة ابراهيم بك وكان ذهابهم في أواخر رجب.

وفيه نادوا بإبطال القناديل التي توقد في الليل على البيوت والدكاكين وأن يوقدوا عوضها في وسط السوق مجامع في كل مجمع أربع قناديل بين كل مجمع ثلاثون ذراعاً، ويقوم بذلك الأغنياء دون الفقراء ولا علاقة للقلقات في ذلك ففرح بذلك فقراء

الناس وانفرجت عنهم هذه الكربة.
وفيه نادوا أيضاً أن كل من كان له دعوى شرعية أو ظلامة فليذهب الى العلماء والقاضي.
وفيه ذهب طائفة من العسكر وضربوا عرب الكوامل ورجعوا بمنهوباتهم من الغنم والمعز والدجاج والاوز والحمير وغير ذلك.
وفيه حضر رجل من ناحية غزة يطلب أماناً للست فاطمة زوجة مراد بك ولابنة المرحوم محمد أفندي البكري وزوجها الأمير ذي الفقار وخشداشينه والخطاب للشيخ خليل البكري. فعرض ذلك على ساري عسكر وترجى عنده، فكتب له أماناً بحضورهم وأرسل لهم نفقة وكان ذلك حيلة منهم لتأتيهم النفقة وبعض الاحتياجات، وأخبر ذلك الرسول أن عبد الله باشا ابن العظم بغزة وابراهيم بك ومن معه خارج البلد وهم في ضيق وحصر وحيز عنهم داخل البلد.
وفيه ذهب عدة من العسكر الفرنساوية الى قطيا وشرعوا في بناء أبنية هناك، وأشيع سفر ساري عسكر الى جهة الشام والإغارة عليها.
وفي ليلة الأحد ثالث عشره، كان انتقال الشمس لبرج الدلو وهو أول شهر من شهورهم وعملوا تلك الليلة حراقة بارود وسواريخ كما هي عادتهم عند كل انتقال الشمس من برج الى برج.

وفي يوم الاثنين رابع عشره نادى المحتسب على اللحم الضاني بسبعة أنصاف الرطل وكان بثمانية واللحم الجاموسي بخمسة وكان بستة.
وفيه ذهب طائفة من العسكر وضربوا عرب العيايدة نواحي الخانكة وقتلوا منهم طائفة ونهبوهم ووجدوا من منهوبات الناس وأمتعة عسكر الفرنساوية وأوسلحتهم جملة فأخذوا ذلك مع ما أخذوه وأحضروا معهم بعض رجال ونساء حبسوهم بالقلعة، وفيه ذهب عدة من العسكر الى صنافير واجهور الورد وقرنفيل وكفر منصور وبلاد أخرى للتفتيش على العرب فأخذوا ما وجدوه للعرب من بهائم وغيرها، والذي عصى عليهم ضربوه ونهبوه أيضاً ونهبوا جمالاً وبهائم ممن لم يعص أيضاً، ودخلوا بذلك المدينة فصاروا يبيعون البقرة بريالين وثلاثة والنعجة وابنها بريال، فاشترى غالب ذلك نصارى القبط.
وفي يوم السبت قتلوا بالقلعة نحو التسعين نفراً وغالبهم من المماليك الذين وجدوهم هاربين في البلاد والذين عس عليهم الخبيث الآغا وبرطلمين والقلقات ووجدوهم مختفين في البيوت.
وفيه قبضوا على خمسة أنفار من اليهود وامرأتين فألقوا الجميع في بحر النيل وفيه نادوا بأن كل من اشترى شيئاً من منهوبات العرب التي نهبتها العسكر يحضره لبيت صاري عسكر.
وفيه كثر الاهتمام والحركة بسفر الفرنسيس الى جهة الشام وطلبوا وهيؤوا جملة من الهجن وأحضروا جمال عرب الترابين ليحملوا عليها الذخيرة والدقيق والعليق والبقسماط، ثم رسموا على الأهالي عدة كبيرة من الحمير وكذلك عدة من البغال، فطلب شيخ الحمارة وأمر بجمع ذلك وكذلك الركبدارية أمرهم بجمع البغال، فاختفى غالب أصحاب الحمير وخاف الناس على حميرهم، فامتنع خروج السائقين الذين ينقلون الماء بالقرب على الحمير وسقائين الجمال والبراسمية فحصل للناس ضيق بسبب ذلك.
وفي يوم الاثنين حادي عشرينه، كتبوا أوراقاً ولصقوها بالأسواق على العادة ونصها: الحمد لله وحده، هذا خطاب الى جميع

أهل مصر من خاص وعام من محفل الديوان الخصوصي من عقلاء الأنام علماء الإسلام والوجاقات والتجار الفخام، نعلمكم معاشر أهل مصر أن حضرة ساري عسكر الكبير بونابارته أمير الجيوش الفرنساوية صفح الصفح الكلي عن كامل الناس والرعية بسبب ما حصل من أراذل أهل البلد والجعيدية من الفتنة والشر مع العساكر الفرنساوية، وعفا عفواً شاملاً وأعاد الديوان الخصوصي في بيت قائد آغا بالأزبكية ورتبه من أربعة عشر شخصاً أصحاب معرفة وإتقان خرجوا بالقرعة من ستين رجلاً كان انتخبهم بموجب فرمان، وذلك لأجل قضايا حوايج الرعايا وحصول الراحة لأهل مصر من خاص وعام وتنظيمها على أكمل نظام وإحكام، كل ذلك من كمال عقله وحسن تدبيره ومزيد حبه بمصر وشفقته على سكانها من صغير القوم قبل كبيره، رتبهم بالمنزل المذكور كل يوم لأجل خلاص المظلوم من الظالم، وقد اقتص من عسكره الذين أساؤوا بمنزل الشيخ محمد الجوهري وقتل منهم اثنين بقراميدان، وأنزل طائفة منهم عن مقامهم العالي الى أدنى مقام لأن الخيانة ليست من عادة الفرنسيس خصوصاً مع النساء الأرامل، فإن ذلك قبيح عندهم لا يفعله إلا كل خسيس، ووضع القبض بالقلعة على رجل نصراني مكاس لأنه بلغه أنه زاد المظالم في الجمرك بمصر القديمة على الناس، ففعل ذلك بحسن تدبيره ليمتنع غيره من الظلم، ومراده رفع الظلم عن كامل الخلق ويفتح الخليج الموصل من بحر النيل الى بحر السويس لتخف أجرة الحمل من مصر الى قطر الحجاز الأفخم وتحفظ البضائع من اللصوص وقطاع الطريق وتكثر عليهم أسباب التجارة من الهند واليمن وكل فج عميق، فاشتغلوا بأمر دينكم وأسباب دنياكم واتركوا الفتنة والشرور ولا تطيعوا شيطانكم وهواكم وعليكم بالرضا بقضاء الله وحسن الاستقامة لأجل خلاصكم من أسباب العطب والوقوع في الندامة، رزقنا الله وإياكم التوفيق والتسليم ومن كانت له حاجة فليأت الى الديوان بقلب سليم، إلا من كان له دعوى شرعية فليتوجه الى قاضي العسكر المتولي بمصر المحمية بخط السكرية، والسلام عن أفضل الرسل على الدوام.

وفيه أرسلوا الوالي لينبه على السقائين بنقل الماء وعدم التعرض لهم ولحميرهم.

وفي ليلة الأربعاء ثالث عشرينه، خرج عدة كبيرة من العسكر وطلب كبير الفرنساوية بونابارته أن يأخذ معه مصطفى بك كتخدا الباشا المتولي أمير الحاج ويأخذ أيضاً قاضي العسكر بجمقشي زاده وأربعة أنفار من المتعممين وهم الفيومي والصاوي والعريشي والدواخلي وجماعة أيضاً من التجار والوجاقلية ونصارى القبط والشوام.

وفي سادس عشرينه، نادوا للناس بالأمان وفتح الأسواق ليلاً في رمضان حكم المعتاد.

وفيه انتقل قائمقام من بيته المطل على بركة الفيل وهو بيت ابراهيم بك الوالي وسكن بيت أيوب بك الكبير المطل على بركة الفيل وانتقلوا جميعهم الى بركة الأزبكية.

وفيه أعرض حسن آغا محرم المحتسب لساري عسكر أمر ركوبه المعتاد لإثبات هلال رمضان، فرسم له بذلك على العادة القديمة فاحتفل لذلك المحتسب احتفالاً زائداً وعمل وليمة عظيمة في بيته أربعة أيام أولها السبت وآخرها الثلاثاء، دعا في أول يوم العلماء والفقهاء والمشايخ والوجاقلية وغيرهم، وفي ثاني يوم التجار والأعيان، وكذلك ثالث يوم، ورابع يوم دعا أيضاً أكابر الفرنساوية وأصاغرهم، وركب يوم الثلاثاء بالأبهة الكاملة زيادة عن العادة وأمامه مشايخ الحرف بطبولهم وزمورهم وشق القاهرة على الرسم المعتاد ومر على قائمقام وأمير الحاج وساري عسكر بونابارته، ثم رجع بعد الغروب الى بيت القاضي

بين القصرين فأثبتوا هلال رمضان ليلة الأربعاء، ثم ركب من هناك بالموكب وأمامه المشاعل الكثيرة والطبول والزمور والنقاقير والمناداة بالصوم، وخلفه عدة خيالة عارية رؤوسهم وشعورهم مرخية على أقفيتهم بشكل بشيع مهول وانقضى شهر شعبان وحوادثه.

فمنها أن أهل مصر جروا على عادهم في بدعهم التي كانوا عليها وانكمشوا عن بعضها واحتشموها خوفاً من الفرنسيس فلما تدرجوا فيها وأطلق لهم الفرنساوية القيد ورخصوا لهم وسايروهم رجعوا إليها وانهمكوا في عمل مواليد الأضرحة التي يرون فرضيتها وأنها قربة تنجيهم بزعمهم من المهالك وتقربهم الى الله زلفى في المسالك، فرمحوا في غفلاتهم مع ما هم فيه من الأسر وكساد غالب البضائع وغلوها وانقطاع الأخبار ومنع الجالب ووقوف الانكليز في البحر وشدة حجزهم على الصادر والوارد، حتى غلت أسعار جميع الأصناف المجلوبة من البحر الرومي وانقطع أثر كثير من أرباب الصنائع التي كسدت لعدم طلابها، واحتاجوا الى التكسب بالحرف الدنيئة كبيع الفطير وقلي السمك وطبخ الأطعمة والمأكولات والأكل في الدكاكين وإحداث عدة قهاوي، وأما أرباب الحرف الدنيئة الكاسدة فأكثرهم عمل حماراً مكارياً حتى صارت الأزقة خصوصاً جهات العسكر مزدحمة بالحمير التي تكرى للتردد في شوارع مصر، فإن للفرنسيس بذلك عناية عظيمة ومغالاة في الأجرة، بحيث أن الكثير منهم يظل طول النهار فوق ظهر الحمار بدون حاجة سوى أن يجري به مسرعاً في الشارع، وكذلك تجتمع الباعة منهم ويركبون الحمير ويجهدونها في المشي والإسراع وهم يغنون ويضحكون ويصيحون ويتمسخرون، ويشاركهم المكارية في ذلك، كما أن لهم العناية وبذل الأموال والتردد الى حانات الراح والتغالي في شراء الفواكه والبوأطي والأقداح.

ومن طبعهم في الشرب أنهم يتعاطون لحد النشوة وترويح النفس، فإن زادوا عن ذلك الحد لا يخرجون من منازلهم، ومن سكر وخرج الي السوق ووقع منه أمر مخل عاقبوه وعزروه.

ومنها ترفع أسافل النصارى من القبط والشوام والأروام واليهود وركوبهم الخيول وتقلدهم بالسيوف بسبب خدمتهم للفرنسيس ومشيهم الخيلاء وتجاهرهم بفاحش القول واستذلالهم المسلمين، كل ذلك بما كسبت أيديهم، وما ربك بظلام للعبيد، والحال الحال والمركوز في الطبع مازال والبعض استهوته الشياطين ومرق والعياذ بالله من الدين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ومنها تواتر الأخبار من ابتداء شهر رجب بأن رجلاً مغربياً يقال له الشيخ الكيلاني كان مجاوراً بمكة والمدينة والطائف، فلما وردت أخبار الفرنسيس الى الحجاز وأنهم ملكوا الديار المصرية انزعج أهل الحجاز ويدعوهم الى الجهاد ويحضرهم على نصرة الحق والدين، وقرأ بالحرم كتاباً مؤلفاً في معنى ذلك فاتعظ جملة من الناس وبذلوا أموالهم وأنفسهم، واجتمع نحو الستمائة من المجاهدين وركبوا البحر الى القصير مع ما انضم إليهم من أهل ينبع وخلافه. فورد الخبر في أواخره أنه انضم إليهم جملة من أهل الصعيد وبعض أتراك ومغاربة ممن كان خرج معهم مع غز مصر عند وقعة انبابة، وركب الغز معهم أيضاً وحاربوا الفرنسيس، فلم تثبت الغز كعادهم وانهزموا وتبعهم هوارة الصعيد والمتجمعة من القرى وثبت الحجازيون، ثم انكفوا لقلتهم وذكلك بناحية جرجا وهرب الغز والمماليك الى ناحية اسنا وصحبتهم حسن بك الجداوي وعثمان بك حسن تابعه، ووقع بين أهل الحجاز والفرنسيس بعض حروب غير هذه المرة بعدة مواضع وينفصل الفريقان بدون طائل.

ومنها أن الفرنسيس عملوا كرنتيلة بجزيرة بولاق وبنوا هناك بناء فيحجزون بها القادمين من السفار أياماً معدودة كل جهة من الجهات القبلية لذلك وضجوا بالحرم وجردوا الكعبة، وأن هذا الشيخ صار يعظ الناس والبحرية بحسبها والله أعلم.

ثم استهل شهر رمضان المعظم بيوم الأربعاء سنة 1213.

فيه أخذ بونابارته في الاهتمام بالسفر الى جهة الشام وجهزوا طلباً كثيراً وصاروا في كل يوم يخرج منه طائفة بعد طائفة.

وفي يوم السبت، عمل ساري عسكر ديواناً وأحضر المشايخ والوجاقات وتكلم معهم في أمر خروجه للسفر وأنهم قتلوا المماليك الفارين بالصعيد وأجلوا باقيهم الى أقصى الصعيد، وأنهم متوجهون الى الفرقة الأخرى بناحية غزة فيقطعونهم ويمهدون البلاد الشامية، لأجل سلوك الطريق ومشي القوافل والتجارات براً وبحراً لعمار القطر وصلاح الأحوال، وأننا نغيب عنكم شهراً ثم نعود وعند عودنا نرتب النظام في البلاد والشرائع وغير ذلك، فعليكم ضبط البلد والرعية في مدة غيابنا ونبهوا مشايخ الأخطاط والحارات كل كبير يضبط طائفته خوفاً من الفتن مع العسكر المقيمين بمصر، فالتزموا له بذلك وكتبوا له أوراقاً مطبوعة على العادة في معنى ذلك وألصقوها بالطرق، وفي ذلك اليوم خرج القاضي ومصطفى كتخدا الباشا والمشايخ المعينون للسفر الى جهة العادلية وخرج أيضاً عدة كبيرة من عسكرهم ومعهم أحمال كثيرة حتى الأسرة والفرش والحصر وعدة مواهي ومحفات للنساء والجواري البيض والسود والحبوش اللاتي أخذوها من بيت الأمراء، وتزيا أكثرهن بزي نسائهم الإفرنجيات وغير ذلك.

وفي يوم الأحد خامسه ركب ساري عسكر الفرنسيس وخرج أيضاً الى العادلية وذلك في الساعة الرابعة بطالع الحمل وفيه القمر في تربيع زحل، وأبقى بمصر عدة من العسكر بالقلعة والأبراج التي بنوها على التلول وقائمقام وبوسليك وساري عسكر ويزه بجملة من العسكر في الصعيد وكذلك سواري عسكر الأقاليم كل واحد معه عسكر في جهة من الجهات وأخذ معه المديرين وأصحاب المشورة والمترجمين وأرباب الصنائع منهم كالحدادين والنجارين ومهندسي الحروب وكبيرهم أبو خشبة، بمصر ثم تراسل المتخلفون في الخروج كل يوم تخرج منهم جماعة.

وفي يوم الثلاثاء سابعه انتدب للنميمة ثلاثة من النصارى الشوام وعرفوهم أن المسلمين قاصدون الوثوب على الفرنسيس في يوم الخميس تاسعه، فأرسل قائمقام خلف المهدي والآغا فأحضرهما وذكر لهما ذلك، فقالا له: هذا كذب لا أصل له وإنما هذه نميمة من النصارى كراهة منهم في المسلمين، ففحص عمن اختلق ذلك فوجدهم ثلاثة من النصارى الشوام فقبضوا عليهم وسجنوهم بالقلعة حتى مضى يوم الخميس، فلم يظهر صحة ما نقلوه فأبقاهم في الاعتقال، ثم أن نصارى الشوام رجعوا الى عادتهم القديمة في لبس العمائم السود والزرق وتركوا لبس العمائم البيض والشيلان الكشميري الملونة والمشجرات، وذلك بمنع الفرنسيس لهم من ذلك، ونبهوا أيضاً بالمناداة في أول رمضان بأن نصارى البلد يمشون على عادتهم مع المسلمين أولاً، ولا يتجاهرون بالأكل ولا يشربون الدخان ولا شيئاً من ذلك بمرأى منهم كل ذلك لاستجلاب خواطر الرعية، حتى أن بعض الرعية من الفقهاء مر على بعض النصارى وهو يشرب الدخان فانتهزه، فرد عليه رداً شنيعاً، فنزل ذلك المتعمم وضرب النصراني واجتمع عليه الناس، وحضر حاكم الخطة فرفعهما الى قائمقام، فسأل من النصارى الحاضرين عن عادتهم في ذلك فأخبروه أن من عادتهم القديمة أنه إذا استهل شهر رمضان لا يأكلون ولا يأكلون في الأسواق ولا بمرأى من المسلمين أبداً

فضرب النصراني وترك المتعمم لسبيله.

وفي تاسع عشرينه أحضروا مراد آغا تابع سليمان بك الآغا ومعه آخر من الأجناد من ناحية قبلي فأصعدوهما القلعة قبل قتلهما.

وفي خامس عشرينه، ورد الخبر بأن الفرنساوية ملكوا قلعة العريش، وطاف رجل من أتباع الشرطة ينادي في الأسواق أن الفرنساوية ملكوا قلعة العريش وأسروا عدة من المماليك، وفي غد يعملون شكناً ويضربون مدافع، فإذا سمعتم ذلك فلا تفزعوا، فلما أصبح يوم الأحد حضر المماليك المذكورة وهم ثمانية عشر مملوكاً وأربعة من الكشاف وهم راكبون الحمير ومتقلدون بأسلحتهم ومعهم نحو المائة من عسكر الفرنسيس وأمامهم طبلهم، وخرج بعض الناس فشاهدهم، ولما وصلوا الى خارج القاهرة حيث الجامع الظاهري خرج الآغا وبرطلمين بطوافيهما ينتظرانهم ومعهم طبول وبيارق وطوائف، ومشوا معهم الى الأزبكية من الطريق التي أحدثوها ودخلوا بهم الى بيت قائمقام، فأخذوا سلاحهم وأطلقوهم، فذهبوا الى بيوتهم وفيهم أحمد كاشف تابع عثمان بك الأشقر وآخر يقال له حسن كاشف الدويدار وكاشفان آخران وهما يوسف كاشف الرومي واسمعيل كاشف تابع أحمد كاشف المذكور، وكان من خبرهم أنهم كانوا مقيمين بقلعة العريش وصحبتهم نحو ألف عسكري مغاربة وأرنؤد، فحضر لهم الفرنسيس الذين كانوا في المقدمة في أواخر شعبان فأحاطوا بالقلعة وحاربوهم من داخلها ونالوا منهم ما نالوه، ثم حضر إليهم ساري عسكر بجموعه بعد أيام وألحوا في حصارهم، فأرسل من بالعريش الى غزة فطلب نجدة فأرسلوا لهم نحو السبعمائة وعليهم قاسم بك أمين البحرين فلم يتمكنوا من الوصول الى القلعة لتحلق الفرنساوية بها وإحاطتهم حولها، فنزلوا قريباً من القلعة فكبستهم عسكر الفررنسيس بالليل فاستشهد قاسم بك وغيره وانهزم الباقون، و لم يزل أهل القلعة يحاربون ويقاتلون حتى فرغ ما عندهم من البارود والذخيرة، فطلبوا عند ذلك الأمان فأمنوهم ومن القلعة أنزلوهم وذلك بعد أربعة عشر يوماً، فلما نزلوا على أمانهم أرسلوهم الى مصر مع الوصية بهم وتخلية سبيلهم فحضروا الى مصر كما ذكر وأخذوا سلاحهم وخلوا سبيلهم وصاروا يترددون عليهم ويظمونهم ويلاطفونهم ويفرجونهم على صنائعهم وأحوالهم. وأما العسكر الذين كانوا معهم بقلعة العريش فبعضهم انضاف إليهم وأعطوهم جامكية وعلوفة وجعلوهم بالقلعة مع عسكر من الفرنسيس والبعض لم يرض بذلك، فأخذوا سلاحه وأطلقوهم في حال سبيلهم، وذهب الفرنسيس الى ناحية غزة وفي ذلك اليوم بعد الظهر عملوا الشنك الموعود به وضربوا عدة مدافع بالقلعة والأزبكية، وأظهر النصارى الفرح والسرور بالأسواق والدور وأولموا في بيوتهم الولائم وغيروا الملابس والعمائم وتجمعوا للهو والخلاعة وزادوا في القبح والشناعة.

وفي يوم الأربعاء، توفي أحمد كاشف المذكور فجأة وفي عصر ذلك اليوم حضر جماعة من الفرنسيس نحو الخمسة والعشرين هم راكبون الهجن وعلى رؤوسهم عمائم بيض ولابسون برانس بيضاً على أكتافهم، فذهبوا الى بيت قائمقام بالأزبكية، فلما أصبح يوم الخميس عملوا الديوان وقرأوا المكاتبة التي حضرت مع الهجانة، حاصلها أن الفرنسيس أخذوا غزة وخان يونس وأخبار مختلفة.

منها أنهم وجدوا ابراهيم بك ومن معه ارتحلوا من هناك وكانوا أرسلوا حريمهم وأثقالهم الى جبل نابلس، وقيل بل تحاربوا معهم وانهزموا، وفي ذلك اليوم بعد العصر بنحو عشرين درجة حضر عدة من الفرنسيس ومهم كبير منهم وهم راكبون الخيول

وعدة من المشاة، وفيهم جماعة لابسون عمائم بيضاً وجماعة أيضاً ببرانيط ومعهم نفير ينفخ فيه وبيدهم بيارق، وهي التي كانت عند المسلمين على قلعة العريش، الى أن وصلوا الى الجامع الأزهر فاصطفوا رجالاً وركباناً بباب الجامع وطلبوا الشيخ الشرقاوي فسلموه تلك البيارق وأمروه برفعها ونصبها على منارات الجامع الأزهر، فنصبوا بيرقين ملونين على المنارة الكبيرة ذات الهلالين عند كل هلال بيرقاً وعلى منارة أخرى بيرقاً ثالثاً، وعند رفعهم ذلك ضربوا عدة مدافع من القلعة بهجة وسروراً، وكان ذلك ليلة عيد الفطر، فلما كان عند الغرب ضربوا عدة مدافع أيضاً إعلاماً بالعيد، وبعد العشاء الأخيرة طاف أصحاب الشرطة ونادوا بالأمان وبخروج الناس على عادتهم لزيارة القبور بالقرافتين والاجتماع لصلاة العيد وأن يلبسوا أحسن ثيابهم، ولما ملكوا العريش كتبوا أوراقاً وأرسلوها الى البلاد ونصها: فرمان عام موجه من أمير الجيوش الى أهالي الشام قاطبة: بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين من طرف بونابارته أمير الجيوش الفرنساوية الى حضرة المفتين والعلماء وكافة أهالي نواحي غزة والرملة ويافا حفظهم الله تعالى، بعد السلام، نعرفكم أننا حررنا لكم هذه السطور نعلمكم أننا حضرنا في هذا الطرف لقصد طرد المماليك وعسكر الجزار عنكم، والى أي سبب حضور عسكر الجزار وتعديه على بلاد يافا وغزة التي ما كانت من حكمه، والى أي سبب أيضاً أرسل عساكره الى قلعة العريش بذلك هجم على أراضي مصر، فلا شك كان مراده إجراء الحروب معنا ونحن حضرنا لنحاربه، فأما أنتم يا أهالي الأطراف المشار إليها فلم نقصد لكم أذية ولا أدنى ضرر فأنتم استمروا في محلكم ووطنكم مطمئنين ومرتاحين وأخبروا من كان خارجاً عن محله ووطنه أن يرجع ويقيم في محله ووطنه ومن قبلنا عليكم ثم عليهم الأمان الكافي والحماية التامة، ولا أحد يتعرض لكم في مالكم وما تملكه يدكم، وقصدنا أن القضاة يلازمون خدمهم ووظائفهم على ما كانوا عليه وعلى الخصوص أن دين الإسلام لم يزل معتزاً ومعتبراً والجوامع عامرة بالصلاة وزيارة المؤمنين. إذ كل خير يأتي من الله تعالى، وهو يعطي النصر لمن يشاء، ولا يخفاكم أن جميع ما تأمر به الناس ضدنا فيغدو باطلاً ولا نفع لهم به لأن كل ما نضع به يدنا لابد من تمامه للخير، والذي يتظاهر بالغدر يهلك، ومن كل ما حصل تفهمون جيداً أننا نقمع أعداءنا ونعضد من يحبنا. وعلى الخصوص من كوننا متصفين بالرحمة والشفقة على الفقراء المساكين.ولما أخذوا غزة أرسلوا طوماراً بصورة الواقعة وبصموه نسخاً وقرئ بالديوان وألصقوا نسخه المطبوعة بالأسواق وصورته:

بسم الله الرحمن الرحيم، ولا عدوان إلا على الظالمين، نخبر أهل مصر وأقاليمها أنه حضر فرمان مكتوب من غزة من حضرة الجنرال اسكندر يرتبه خطاباً الى حضرة ساري عسكر دوجا وكيل الجيوش بمصر يخبره فيه بأن العساكر الفرنساوية باتوا ليلة تسعة عشر شهر رمضان في خان يونس، وفي فجر تلك الليلة توجهوا سائرين الى ناحية غزة فكشفوا قبل الظهر بساعة عسكر المماليك وعسكر الجزار جالسين تجاه غزة، فتوجه إليهم الجنرال مراراً مع عساكر الفرنساوية من خيالة ومشاة مراده اغتيال عسكر المماليك وعسكر الجزار، فلما انتبهوا له فروا هاربين ووقع بينه وبين أطراف العساكر بعض مضاربة يسيرة لم ينجرح فيها إلا شخصان من الفرنساوية، مات عسكري واحد ومات من عسكر المماليك والجزار ناس قلائل، وحين تشاغل ساري عسكر مراد بالمضاربة والمقاتلة دخل حضرة ساري عسكر كلهبر الذي كان حاكماً بالاسكندرية، وكان ساكناً بالأزبكية، الى بندر غزة وملكها من غي ر معارض له، ووجدوا فيها حواصل مشحونة بالذخائر من بقسماط وشعير وأربعمائة قنطار بارود واثني عشر مدفعاً وحاصلاً كبيراً مملوءاً بالخيام الكثيرة وجللاً وبنبات مهيئات محضرات كصنعة الإفرنج، هذا ما وقع لملكهم لغزة وقد أخبرناكم على ما وقع في كيفية ملك العريش سابقاً، فاستقيموا عباد الله وارضوا بقضاء الله وتأدبوا في أحكام

مولاكم الذي خلقكم وسواكم والسلام، ختام.
وانقضى شهر رمضان ووقع به قبل ورود هذه الأخبار من السكون والطمأنينة وخلو الطرقات من العسكر وعدم مرور المتخلفين منهم إلا في النادر واختفائهم بالليل جملة كافية وانفتاح الأسواق والدكاكين والذهاب والمجيء وزيارة الإخوان ليلاً والمشي على العادة بالفوانيس ودونها، واجتماع الناس للسهر في الدور والقهاوي ووقود المساجد صلاة التراويح وطواف المسحرين والتسلي بالرواية والنقول وترجي المأمول وانحلال الأسعار فيما عدا المجلوبات من الأقطار.
ومنها أن الفرنساوية صاروا يدعون أعيان الناس والمشايخ والتجار للإفطار والسحور ويعملون لهم الولائم ويقدمون لهم الموائد على نظام المسلمين وعادتهم ويتولى أمر ذلك الطباخون والفراشون، من المسلمين تطميناً لخواطرهم، ويذهبون هم أيضاً ويحضرون عندهم الموائد ويأكلون معهم في وقت الإفطار ويشاهدون ترتيبهم ونظامهم ويحذون حذوهم، ووقع منهم من المسايرة للناس وخفض الجانب ما يتعجب منه والله أعلم.

شهر شوال سنة 1213

استهل بيوم الجمعة وفي صبح ذلك اليوم ضربوا عدة مدافع لشنك العيد واجتمع الناس لصلاة العيد في المساجد والأزهر، واتفق أن إمام الجامع الأزهر نسي قراءة الفاتحة في الركعة الثانية، فلما سلم أعاد الصلاة بعدما شنع عليه الجماعة وخرج الرجال والنساء لزيارة القبور. فانتبذ بعض الحرافيش نواحي تربة باب النصر وأسرع في مشيه هو يقول: نزلت عليكم العرب يا ناس، فهاجت الناس وانزعجت النساء ورمحت الجعيدية والحرافيش وخطفوا ثياب النساء وأزرهن وما صادفوه من عمائم الرجال وغير ذلك، واتصل ذلك بتربة المجاورين وباب الوزير والقرافة حتى أن بعض النساء مات تحت الأرجل، و لم يكن لهذا الكلام صحة وإنما ذلك من مخترعات الأوباش لينالوا أغراضهم من الخطف بذلك.
وفيه ركب أكابر الفرنسيس وطافوا على أعيان البلد وهنوهم بالعيد وجاملهم الناس بالمدارة أيضاً.
وفي أوائله، وردت الأخبار بأن الأمراء المصرية القبليين تفرقوا من بعضهم فذهب مراد بك وآخرون الى نواحي ابراهيم بك ومنهم من ذهب الى ناحية أسوان والألفي عدى بجماعته الى ابر الشرقي.
وفي خامسه قدم الشيخ محمد الدواخلي من ناحية القرين متمرضاً وكان بصحبته الصاوي والفيومي متخلفين بالقرين، وسبب تخلفهم أن كبير الفرنسيس لما ارتحل من الصالحية أرسل الى كتخدا الباشا والقاضي والجماعة الذين بصحبتهم يأمرهم بالحضور الى الصالحية لأنهم كانوا يباعدون عنه مرحلة، فلما أرادوا ذلك بلغهم وقوف العرب بالطريق فخافوا من المرور. فذهبوا الى العرين فأقاموا هناك، واتخذ عسكر الفرنسيس جمالهم، فأقاموا بمكانهم، فتقلق هؤلاء الثلاثة وخافوا سوء العاقبة ففارقوهم وذهبوا للقرين، وتخلف عنهم الفيومي فأقام مع كتخدا الباشا والقاضي فحصل للدواخلي توعك فحضر الى مصر وبقي رفيقاه في حيرة.

وفي سابعه أحضر الآغا رجلاً ورمى عنقه عند باب زويلة وشنق امرأة على شباك السبيل تجاه الباب، والسبب في ذلك أن الفرنساوي حاكم خط الخليفة وجهة الركبية ويسي دلوي أحضر باعة الغلال بالرميلة وصادرهم ومنعهم من دفع معتاد الوالي،

فاجتمعوا وذهبوا الى كبير الفرنسيس الذي يقال له شيخ البلد وشكوا إليه وكان الأمير ذو الفقار حاضراً وهو يسكن تلك الجهة فعضدهم، وعرف شيخ البلد عن شكواهم فأرسل شيخ البلد الى دلوي فانتهره وأمره برد ما أخذه فأخبره أتباعه أن ذا الفقار هو الذي عضدهم وأنهى شكواهم الى كبيرهم، فقام دلوي المذكور ودخل على ذي الفقار في بيته وسبه وشتمه بلغته وفزع عليه ليضربه، فلما خرج من عنده قام وذهب الى كبيرهم وأخبره بفعل دلوي معه فأمر بإحضاره وحبسه بالقلعة. ثم أخبر بعض الناس شيخ البلد أن التعرض الذي وقع من دلوي لباعة الغلة إنما هو بإغراء خادمه، وعرفه أن خادمه المذكور مولع بامرأة رقاصة من الرميلة تأتيه بأشكالها هو وأضرابه وترقص لهم تلك المرأة في القهوة التي بخطهم ليلاً ونهاراً وتبيت معهم في البيت ويصبحون على حالهم، فلما حبس أميرهم اختفوا فدلوا على الرجل والمرأة فقبضوا عليهما وفعلوا بهما ما ذكر، ولا بأس بما حصل.

وفي ثامنه يوم الجمعة، نودي في الأسواق بموكب كسوة الكعبة المشرفة من قراميدان والتنبيه باجتماع الوجاقات وأرباب الأشاير وخلافهم على العادة في عمل الموكب، فلما أصبح يوم السبت اجتمع الناس في الأسواق وطريق المرور وجلسوا للفرجة فمروا بذلك وأمامها الوالي والمحتسب وعليهم القفاطين والبينشات وجميع الأشاير بطبولهم وزمورهم وكاساتهم ثم برطلمين كتخدا مستحفظان وأمامه نفر الينكجرية من المسلمين نحو المائتين أو أكثر وعدة كثيرة من نصارى الأروام بالأسلحة والملازمين بالبراقع، وهو لابس فروة عظيمة، ثم مواكب القلقات ثم موكب ناظر الكسوة وهو تابع مصطفى كتخدا الباشا وخلفه النوبة التركية، فكانت هذه الركبة من أغرب المواكب وأعجب العجائب لما اشتملت عليه من اختلاف الأشكال وتنوع الأمثال واجتماع الملل وارتفاع السفل وكثرة الحشرات وعجائب المخلوقات واجتماع الأضداد ومخالفة الوضع المعتاد وكان نسيج الكسوة بدار مصطفى كتخدا المذكور وهو على خلاف العادة من نسجها بالقلعة.

وفي يوم الأربعاء ثالث عشره حضر عدة من الفرنسيس وهم راكبون الهجن ومعهم عدة بيارق وآلام بعد الظهر، وأخبروا أن الفرنسيس ملكوا قلعة يافا وبيدهم مكاتبة من ساري عسكرهم بالإخبار عما وقع، فلما كان يوم الخميس واجتمع أرباب الديوان فقرأ عليهم تلك المراسلة بعد تعريبها وترصيفها على هذه الكيفية وهي عن لسان رؤساء الديوان الى الكافة، وذلك بإلزامهم وأمرهم بذلك.

وصورتها: بسم الله الرحمن الرحيم مالك الملك يفعل في ملكه ما يريد سبحان الحكم العدل الفاعل المختار ذي البطش الشديد، هذه صورة تمليك الله سبحانه وتعالى جمهور الفرنساوية لبندر يافا من الأقطار الشامية، نعرف أهل مصر وأقاليمها من سائر البرية أن العساكر الفرنساوية انتقلوا من غزة ثالث عشرين رمضان ووصلوا الى الرملة في الخامس والعشرين منه في أمن واطمئنان، فشاهدوا عسكر أحمد باشا الجزار هاربين بسرعة قائلين الفرار الفرار. ثم أن الفرنساوية وجدوا في الرملة ومدينة لد مقداراً كبيراً من مخازن البقسماط والشعير ورأوا فيها ألفاً وخمسمائة قربة مجهزة، جهزها الجزار يسير بها الى إقليم مصر مسكن الفقراء والمساكين، ومراده أن يتوجه إليها بأشرار العربان من سطح الجبل، ولكن تقادير الله تفسد المكر والحيل قاصداً سفك دماء الناس مثل عوائده الشامية وتجبره وظلمه مشهور لأنه تربية المماليك الظلمة المصرية، ولم يعلم من خسافة عقله وسوء تدبيره أن الأمر لله كل شيء بقضائه وتدبيره، وفي سادس عشرين شهر رمضان وصلت مقدمات الفرنساوية الى بندر يافا من الأراضي الشامية وأحاطوا بها وحاصروها من الجهة الشرقية والغربية، وأرسلوا الى حاكمها، وتحيل الجزار أن يسلمهم القلعة

قبل أن يحل به وبعسكره الدمار، فمن خسافة رأيه وسوء تدبيره سعى في هلاكه وتدميره و لم يرد لهم جواب وخالف قانون الحرب والصواب.

وفي أواخر ذلك اليوم السادس والعشرين تكاملت العساكر الفرنساوية على محاصرة يافا وصاروا كلهم مجتمعين وانقسموا على ثلاثة طوابير: الطابور الأول توجه على طريق عكا بعيداً عن يافا أربع ساعات، وفي السابع والعشرين من الشهر المذكور أمر حضرة ساري عسكر الكبير بحفر خنادق حول السور لأجل أن يعملوا متاريس أمينة وحصارات متقنة حصينة، لأنه وجد سور يافا ملآناً بالمدافع الكثيرة ومشحونة بعسكر الجزار الغزيرة.

وفي تاسع عشرين الشهر لما قرب حفر الخندق الى السور مقدار مائة وخمسين خطوة أمر حضرة ساري عسكر المشار إليه أن ينصب المدافع على المتاريس وأن يضعوا أهوان القنبر بإحكام وتأسيس، وأمر بنصب مدافع أخر بجانب البحر لمنع الخارجين إليهم من مراكب الميناء. لأنه وجد في الميناء بعض مراكب أعدها عسكر الجزار للهروب ولا ينفع الهروب من القدر المكتوب، ولما رأت عساكر الجزار الكائنون بالقلعة المحاصرون أن عسكر الفرنساوية قلائل في رأي العين للناظرين لمداراة الفرنساوية في الخنادق وخلف المتاريس، غرهم الطمع فخرجوا لهم من القلعة مسرعين مهرولين وظنوا أنهم يغلبون الفرنساوية، فهجم عليهم الفرنسيس وقتلوا منهم جملة كثيرة في تلك الواقعة وألجؤوهم للدخول ثانياً في القلعة.

وفي يوم الخميس غاية شهر رمضان حصل عند ساري عسكر شفقة قلبية وخاف على أهل يافا من عسكره إذا دخلوا بالقهر والإكراه فأرسل إليهم مكتوباً من رسول مضمونه: لا إله إلا الله وحده لا شريك له بسم الله الرحمن الرحيم، من حضرة ساري عسكر اسكندر برتيه كتخدا العسكر الفرنساوي الى حضرة حاكم يافا، نخبركم أن حضرة ساري عسكر الكبير بونابارته أمرنا أن نعرفك في هذا الكتاب أن سبب حضوره الى هذا الطرف إخراج عسكر الجزار فقط من هذه البلدة لأنه تعدى بإرسال عسكره الى العريش ومرابطته فيها، والحال أنها من إقليم مصر التي أنعم الله بها علينا فلا يناسبه الإقامة بالعريش لأنها ليست من أرضه، فقد تعدى على ملك غيره، ونعرفكم يا أهل يافا أن بندركم حاصرناه من جميع أطرافه وجهاته وربطناه بأنواع الحرب وآلات المدافع الكثيرة والجلل والقنابر وفي مقدار ساعتين ينقلب سوركم وتبطل آلاتكم وحروبكم ونخبركم أن حضرة ساري عسكر المشار إليه لمزيد رحمته وشفقته خصوصاً بالضعفاء من الرعية خاف عليكم من سطوة عسكره المحاربين إذا دخلوا عليكم بالقهر أهلكوكم أجمعين، فلزمنا أننا نرسل لكم هذا الخطاب أماناً كافياً لأهل البلد والأغراب، ولأجل ذلك أخر ضرب المدافع والقنابر الصاعدة عنكم ساعة فلكية واحدة وإني لكم لمن الناصحين، وهذا آخر جواب الكتاب فجعلوا جوابنا حبس الرسول مخالفين للقوانين الحربية والشريعة المطهرة المحمدية، وحالاً في الوقت والساعة هيج ساري عسكر واشتد غضبه على الجماعة وأمر بابتداء ضرب المدافع والقنابر الموجب للتدمير، وبعد مضي زمان يسير تعطلت مدافع يافا المقابلة لمدافع المتاريس وانقلب عسكر الجزار وبال وتنكيس، وفي وقت الظهر من هذا اليوم انخرق سور يافا وارتج له القوم ونقب من الجهة التي ضرب فيها المدافع من شدة النار ولا راد لقضاء الله ولا مدافع، وفي الحال أمر حضرة ساري عسكر بالهجوم عليهم وفي أقل من ساعة ملكت الفرنساوية جميع البندر والأبراج، ودار السيف في المحاربين واشتد بحر الحرب وهاج وحصل النهب فيها تلك الليلة.

وفي يوم الجمعة غرة شوال وقع الصفح الجميل من حضرة ساري عسكر الكبير ورق قلبه على أهل مصر من غني وفقير الذين كانوا في يافا وأعطاهم الأمان وأمرهم برجوعهم الى بلدهم مكرمين، وكذلك أمر أهل دمشق وحلب برجوعهم الى أوطانهم سالمين لأجل أن يعرفوا مقدار شفقته ومزيد رأفته ورحمته، يعفو عند المقدرة ويصفح وقت المعذرة، مع تمكينه ومزيد إتقانه وتحصينه وفي هذه الواقعة قتل أكثر من أربعة آلاف من عسكر الجزار بالسيف والبندق لما وقع منهم من الانحراف وأما الفرنساوية فلم يقتل منهم إلا القليل والمجروحون منهم ليسوا بكثير وسبب ذلك سلوكهم الى القلعة من طريق أمينة خافية عن العيون، وأخذوا ذخائر كثيرة وأموالاً غزيرة وأخذوا المراكب التي في المينة واكتسبوا أمتعة غالية ثمينة ووجدوا في القلعة أكثر من ثمانين مدفع و لم يعلموا مع مقادير الله أن آلات الحرب لا تنفع، فاستقيموا عباد الله وارضوا بقضاء الله ولا تعترضوا على أحكام الله وعليكم بتقوى الله واعلموا أن الملك لله يؤتيه من يشاء والسلام عليكم ورحمة الله.

فلما تحقق الناس هذا الخبر تعجبوا وكانوا يظنون بل يتيقنون استحالة ذلك خصوصاً ف المدة القليلة، ولكن المقضي كائن.

وفي يوم الجمعة خامس عشره شق جماعة من أتباع الشرطة في الأسواق والحمامات والقهاوي ونبهوا على الناس بترك الفضول والكلام واللغط في حق الفرنسيس، ويقولون لهم: من كان يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر فلينته ويترك الكلام في ذلك، فإن ذلك مما يهيج العداوة، وعرفوهم أنه إن بلغ الحاكم من المتجسسين عن أحد تكلم في ذلك عوقب أو قتل، فلم ينتهوا، وربما قبض على البعض وعاقبوه بالضرب والتغريم.

وفي ذلك اليوم، كان التحويل الربيعي وانتقال الشمس الى برج الحمل وهو أول شهر من شهورهم فعملوا ليلة السبت شنكاً وحراقة وسواريخ وتجمعوا بدار الخلاعة نساء ورجالاً وتراقصوا وتسابقوا وأوقدوا سراجاً وشموعاً وغير ذلك، وأظهر الأقباط والشوام مزيد الفرح والسرور.

وفي يوم السبت المذكور، أرسلوا الأعلام والبيارق التي أحضروها من قلعة يافا وعدها ثلاثة عشر وفيها من له طلائع فضة كبار الى الجامع الأزهر وكانوا أنزلوا أعلام قلعة العريش قبل ذلك بيوم من أعلى المنارات، وأرسلوا بدلها أعلام يافا وعملوا لها موكباً بطائفة من العسكر يقدمهم طبلهم وخلفهم الآغا بجماعته وطائفته والمحتسب ومدبرو الديوان، وخلفهم طبل آخر يضربون عليه بإزعاج شديد، وخلف ذلك الطبل جماعة من العسكر يحملون البنادق على أكتافهم كالطائفة الأولى وبعدهم عدة من العسكر على رؤوسهم عمائم بيض يحملون تلك الأعلام الكبار والبيارق المذكورة، وخلفهم جماعة خيالة من كبار العسكر وآخرون راكبون على حمير المكارية، فلما وصلوا الى باب الجامع الأزهر رتبوا تلك الأعلام ووضعوها على أعلى الباب الكبير فوق المكتب منشورة وبعضها على الباب الآخر من الجهة الأخرى عند حارة كتامة المعروفة الآن بالعينية، ولم يصعدوا منها على المنارات كما صنعوا في أعلام العريش.

وفي يوم الأحد سابع عشره، رتبوا أوامر وكتبوها في أوراق مبصومة وألصقوها بالأسواق إحداها بسبب مرض الطاعون وأخرى بسبب الضيوف الأغراب، ومضمون الأولى بتقاسيمه ومقالاته خطاباً لأهل مصر وبلاق ومصر القديمة ونواحيها: إنكم تمتثلون هذه الأوامر وتحافظون عليها ولا تخالفوها وكل من خالفها وقع له مزيد الانتقام والعقاب الأليم والقصاص

العظيم، وهي المحافظة من تشويش الكبة وكل من تيقنتم أو ظننتم أو توهمتم أو شككتم فيه ذلك في محل من المحلات أو بيت أو وكالة أو ربع، يلزمهم ويتحتم عليكم أن تعملوا كرنتيلة ويجب قفل ذلك المكان ويلزم شيخ الحارة أو السوق الذي فيه ذلك أن يخبر حالاً قلق الفرنساوية حاكم ذلك الخط والقلق يخبر شيخ البلد قائمقام مصر وأقاليمها، ويكون ذلك فوراً.

وكذلك كل ملة من سكان مصر وأقاليمها وجوانبها والأطباء إذا تحققوا وعلموا حصول ذلك المرض يتوجه كل طبيب الى قائمقام ويخبره ليأمره بما هو مناسب للصيانة والحفظ من التشويش، وكل من كان عنده خبر من كبار الأخطاط أو مشايخ الحارات وقلقات الجهات، و لم يخبر بهذا المرض يعاقب بما يراه قائمقام ويجازى مشايخ الحارات بمائة كرباج جزاء للتقصير، وملزوم أيضاً من أصابه هذا التشويش أو حصل في بيته لغيره من عائلته أو عشيرته وانتقل من بيته الى آخر أن يكون قصاصه الموت وهو الجاني على نفسه بسبب انتقاله، وكل رئيس ملة في خط إذا لم يخبر بالكبة الواقعة في خطه أو بمن مات بها أيضاً حالاً فورياً كان عقاب ذلك الرئيس وقصاصه الموت والمغسل إن كان رجلاً أو امرأة، إذا رأى الميت أنه مات بالكبة أوشك في موته و لم يخبر قبل مضي أربع وعشرين ساعة كان جزاؤه وقصاصه الموت، وهذه الأوامر الضرورية بلزوم أغات الينكجرية وحكام البلد الفرنساوية والإسلامية تنبيه الرعية واستيقاظهم لها، فإنها أمور مخفية، وكل من خالف حصل له مزيد الانتقام من قائمقام وعلى القلقات البحث والتفتيش عن هذه العلة الردية لأجل الصيانة والحفظ لأهل البلد والحذر من المخالفة والسلام.

ومضمون الثانية: الخطاب السابق من ساري عسكر دوجا الوكيل وحاكم البلد دسني قائمقام يلزم المدبرين بالديوان أنهم يشهرون الأوامر وينتبهوا لها، وكل من خالف يحصل له مزيد الانتقام، وهو أنه يتحتم ويلزم صاحب كل خمارة أو وكالة أو بيت الذي يدخل في محله ضيف أو مسافر أو قادم من بلدة أو إقليم أن يعرف عنه حالاً حاكم البلد، ولا يتأخر عن الإخبار إلا مدة أربعة وعشرين ساعة يعرفه عن مكانه الذي قدمه منه وعن سبب قدومه وعن مدة سفره ومن أي طائفة، أو ضيفاً أو تاجراً أو زائراً أو غريماً مخاصماً لابد لصاحب المكان من إيضاح البيان، والحذر ثم الحذر من التلبيس والخيانة، وإذا لم يقع تعريف عن كامل ما ذكر في شأن القادم بعد الأربعة وعشرين ساعة بإظهار اسمه وبلده وسبب قدومه يكون صاحب المكان متعدياً ومذنباً وخائناً وموالساً مع المماليك.

ونخبركم معاشر الرعايا وأرباب الخمامير والوكائل أن تكونوا ملزومين بغرامة عشرين ريالاً فرانسة في المرة الأولى، وأما في المرة الثانية فإن الغرامة تضاعف ثلاث مرات، ونخبركم أن الأمر بهذه الأحكام مشترك بينكم وبين الفرنسيس الفاتحين للخمامير والبيوت والوكائل والسلام.

وفيه اجتمعوا بالديوان وتفاوضوا في شأن مصطفى بك كتخدا الباشا المولى أمير الحاج، وهو أنه لما ارتحل مع ساري عسكر وصحبته القاضي والمشايخ الذين عينوا للسفر والوجاقلية والتجار، وافترق منهم عند بلبيس وتقدم هو الى الصالحية، ثم أنهم انتقلوا الى العرين فحضر جماعة من العساكر المسافرين فاحتاجوا الى الجمال فأخذوا جمالهم، فلما وصل ساري عسكر الى وطنه أرسل يستدعيهم الى الحضور فلم يجدوا ما يحملون عليه متاعهم، وبلغهم أن الطريق مخيفة من العرب فلم يمكنهم اللحاق به فأقاموا بالعرين بالعين المهملة عدة أيام وأهمل أمرهم ساري عسكر ثم أن الشيخ الصاوي والعريشي والدواخلي وآخرين خافوا عاقبة الأمر ففارقوهم وذهبوا الى القرين بالقاف وحصل للدواخلي توعك وتشويش فحضر الى مصر كما تقدم ذكر ذلك

وانتقل مصطفى بك المذكور والقاضي وصحبتهم الشيخ الفيومي وآخرون من التجار والوجاقلية الى كفور نجم وأقاموا هناك أياماً واتفق أن الصاوي أرسل الى داره مكتوباً وذكر في ضمنه أن سبب افتراقهم من الجماعة أنهم رأوا من كتخدا الباشا أموراً غير لائقة. فلما حضر ذلك المكتوب طلبه الفرنساوية المقيمين في مصر وقرأوه وبحثوا عن الأمور اللائقة فأولها بعض المشايخ أنه قصر في حقهم والاعتناء بشأنهم فسكتوا وأخذوا في التفحص. فظهر لهم خيانته ومخامرته عليهم واجتمع عليه الجبالي وبعض العرب العصاة وأكرمهم وخلع عليهم، وانتقل بصحبتهم الى منية غمر ودقدوس وبلاد الوقف، وجعل يقبض منهم الأموال وحين كانوا على البحر مر بهم مراكب تحمل الميرة والدقيق الى الفرنسيس بدمياط، فقاطعوا عليهم وأخذوا منهم ما معهم قهراً وأحضروا المراكبية بالديوان فحكوا على ما وقع لهم معه فأثبتوا خيانة مصطفى بك المذكور وعصيانه وأرسلوا هجاناً بإعلام ساري عسكرهم بذلك. فرجع إليهم بالجواب يأمرهم فيه بأن يرسلوا له عسكراً ويرسلوا الى داره جماعة ويقبضون عليه ويختمون على داره ويحبسون جماعته.

وفي يوم الأحد رابع عشرينه عينوا عليه عسكراً وأرسلوا الى داره جماعة ومعهم وكلاء فقبضوا على كتخدائه الذي كان ناظراً على الكسوة وعلى ابن أخيه ومن معهم وأودعوهم السجن بالجيزة، وضبطوا موجوداته وما تركه مخدومه بكر باشا بقائمة وأودعوا ذلك بمكان بالقلعة، فوجدوا غالب أمتعة الباشا وبرقه وملابسه وعبي الخيل والسروج وغيرها شيئاً كثيراً. وجدوا بعض خيول وجمال أخذوها أيضاً، فانقبض خواطر الناس لذلك، فإنهم كانوا مستأنسين بوجوده ووجود القاضي ويتوسلون بشفاعتهما عند الفرنسيس وكلمتهما عندهم مقبولة وأوامرهما مسموعة، ثم انهم أرسلوا أماناً للمشايخ والوجاقلية والتجار بالحضور الى مصر مكرمين، ولا بأس عليهم.

وفيه ورد الخبر بأن السيد عمر أفندي نقيب الأشراف حضر الى دمياط وصحبته جماعة من أفندية الروزنامة الفارين مثل عثمان أفندي العباسي وحسن أفندي كاتب الشهر ومحمد أفندي ثاني قلفة وباش جاجرت والشيخ قاسم المصلي وغيرهم، وذلك أنهم كانوا بقلعة يافا، فلما حاصرها الفرنساوية وملكوا القلعة والبلد لم يتعرضوا للمصريين وطلبهم إليه وعاتبهم على نقلهم وخروجهم من مصر، وألبسهم ملابس وأنزلهم في مركب وأرسلهم الى دمياط من البحر.

وفي يوم الإثنين نادوا في الأسواق على المماليك والغز والأجناد الأغراب بأنهم يحضرون الى بيت الوكيل ويأخذون لهم أورقاً بعد معرفتهم والتضمين على أنفسهم ومن وجد من غير وثيقة في يده بعد ذلك يستأهل الذي يجري عليه، وسبب ذلك إشاعة دخول الكثير منهم الى مصر خفية بصفة الفلاحين.

وفي يوم الثلاثاء نادوا في الأسواق والشوارع بأن من أراد الحج فليحج في البحر من السويس صحبة الكسوة والصرة، وذلك بعد أن عملوا مشورة في ذلك.

وفيه حضر إمام كتخدا الباشا ومعه مكتوب فيه الثناء على الفرنساوية وشكر صنيعهم واعتنائهم بعملهم موكب الكسوة والدعاء لهم وأنه مستمر على مودته ومحبته معهم ويطلب منهم الإجازة بالحضور الى مصر ليسافر بصحبة الكسوة والحجاج، فإن الوقت ضاق ودخل أوان السفر للحج، وفي آخر المكتوب: وإن بلغكم من المنافقين عنا شيء فهو كذب ونميمة فلا تصدقوه، فقرئ كتابه بالديوان، فلما فهمه الفرنسيس كذبوه و لم يصغوا إليه، وقالوا إن خيانته ثبتت عندنا فلا ينفعه هذا

الاعتذار، ثم كتبوا له جواباً وأرسلوه صحبة إمامه مضمونه إن كان صادقاً في مقالته فليذهب الى جهة ساري عسكر بالشام وأمهلوه ست ساعات بعد وصول الجواب إليه، وإن تأخر زيادة عليها كان كاذباً في مقالته وأمروا العسكر بمحاربته والقبض عليه.

وفيه كتبوا أوراقاً ونادوا بها في الشوارع وهي: يا أهل مصر نخبركم أن أمير الحاج رفعوه عن سفره بالحاج بسبب ما حصل منه وأن أهل مصر علماء ووجاقات ورعايا لم يخالطوه في هذا الأمر و لم ينسب لهم شيء، فالحمد لله الذي برأ أهل مصر من هذه الفتنة وهم حاضرون سالمون غانمون ما عليهم سوء، ومن كان مراده الحج يؤهل نفسه ويسافر صحبة الصرة والكسوة في البحر والمراكب حاضرة، والمعينون المحافظون من أهل مصر صحبة الحاج حاضرون يكون في علمكم أن تكونوا مطمئنين واتركوا كلام الحشاشين.

وفي يوم السبت غايته، حضر المشايخ والوجاقات والتجار ما خلا القاضي فإنه لم يحضر وتخلف مع مصطفى كتخدا وانقضى هذا الشهر، وما تجدد به من الحوادث التي منها أن الفرنساوية عملوا جسراً من مراكب مصطفة وعليها أخشاب مسمرة من بر مصر بالقرب من قصر العيني الى الروضة قريباً من موضع طاحون الهواء، تسير عليه الناس بدوابهم وأنفسهم الى البر الآخر، وعملوا كذلك جسراً عظيماً من الروضة الى الجيزة.

ومنها أن توت الفلكي رسم في فسحة دارهم العليا ببيت حسن كاشف جركس خطوط البسيطة لمعرفةفضل الدائر لنصف النهار على البلاط المفروش بطول الفسحة، ووضع لها بدل الشاخص دائرة مثقوبة بثقب عديدة في أعلى الرفوف مقابلة لعرض الشمس، يترل الشعاع من تلك الثقب ويمر على الخطوط المرسومة المقسومة ويعرف منه الباقي للزوال ومدارات البروج شهراً شهراً، وعلى كل برج صورته ليعلم منه درجة الشمس، ورسم أيضاً مزولة بالحائط الأعلى على حوش المكان الأسفل المشترك بين الدارين بشاخص على طريق وضع المنحرفات والمزاول، ولكن لساعات قبل الزوال وبعده خلاف الطريق المعروفة عندنا بوقت العصر، وفضل دائر الغروب وقوس الشفق والفجر، وسمت القبلة وتقسيم الدرج وأمثال ذلك لأجل تحقيق أوقات العبادة وهم لا يحتاجون الى ذلك، فلم يعانوه ورسم أيضاً بسيطة على مربعة من نحاس أصفر مترلة بخطوط عديدة في قاعدة عامود قصير طوله أقل من قامة قايم بوسط الجنينة وشاخصها مثلث من حديد يمر ظل طرفه على الخطوط المتقاطعة، وهي متقنة الرسم والصناعة وحولها معاريفها واسم واضعها بالخط الثلث العربي المجود حفراً في النحاس وفيها تنازيل الفضة على طريقة أوضاع العجم وغير ذلك.

ومنها أنهم لما سخطوا على كتخدا الباشا وقبضوا على أتباعه وسجنوهم وفيهم كتخداه الذي كان ناظراً على الكسوة فقيدوا في النظر على مباشرة إتمامها صاحبنا السيد اسمعيل الوهبي المعروف بالخشاب أحد العدول بالمحكمة، فنقلها لبيت أيوب جاويش بجوار مشهد السيدة زينب وتمموها هناك، وأظهروا أيضاً الاهتمام بتحصيل مال الصرة، وشرعوا في تحرير دفتر الإرسالية الخاصة.

واستهل شهر القعدة بيوم الأحد سنة 1213

في سادسه يوم الجمعة حضرت هجانة من الفرنسيس ومعهم مكاتبة، مضمونها أنهم أخذوا حيفا وبعدها ركبوا على عكا وضربوا عليها وهدموا جانباً من سورها، وأنهم بعد أربعة وعشرين ساعة يملكونها، وأنهم استعجلوا في إرسال هذه الهجانة لطول المدة والانتظار لئلا يحصل لأصحابهم القلق، فكونوا مطمئنين وبعد سبعة أيام نحضر عندكم بسلام.

وفيه حضرت مغاربة حجاج الى بر الجيزة فتحدث الناس وكثر لغطهم وتقولوا بأنهم عشرون ألفاً حضروا لينقذوا مصر من الفرنسيس، فأرسل الفرنسيس للكشف عليهم فوجدوهم طائفة من خلايا وقرى فاس مثل الفلاحين، فأذنوا لهم في تعدية بعض أنفار منهم لقضاء أشغالهم، فحضر شخص منهم الى الفرنسيس ووشى إليهم أنهم قدموا لمحاربتهم والجهاد فيهم، وأنهم اشتروا خيلاً وسلاحاً وقصدهم إثارة فتنة، فأرسل الفرنسيس إليهم جماعة ينظرون في أمرهم فذهبوا إليهم وتكلموا معهم ومع كبيرهم وعن الذي نقل عنهم، فقالوا: إنما جئنا بقصد الحج لا لغيره . ثم رجعوا وصحبتهم كبير المغاربة فعملوا الديوان في صبحها وأحضروه، وكذلك أحضروا الرجل الذي وشى عليهم فتكلموا مع كبير المغاربة وسألوه وناقشوه فقال: إنا لم نأت إلا بقصد الحج، فقيل له ولأي شيء تشترون الأسلحة والخيول، فقال نعم لازم لنا ذلك ضرورة فقيل له إنه نقل عنكم أنكم تريدون محاربة الفرنساوية وتقولون الجهاد أفضل من الحج، فقال هذا كلام لا أصل له، فقيل له إن الناقل لذلك رجل منكم، فقال إن هذا الرجل حرامي أمسكناه بالسرقة وضربناه فحمله الحقد على ذلك وإن هذه البلاد ليست لنا ولا لسلطاننا حتى نقاتل عليها، ولا يصح أن نقاتلكم بهذه الشرذمة القليلة وليس معنا إلا نصف قنطار بارود، ثم اتفقوا معه على أن يجمعوا سلاحهم ويقيم كبيرهم عندهم رهينة حتى يعدى جماعته ويسافروا ويلحقهم بعد يومين بالسلاح، فأجابهم الى ذلك، فشكروه وأهدوا له هدية، فلما كان يوم السبت خرجت عدة من العسكر الى بولاق ومعهم مدفعان ليقفوا للمغاربة حتى يعدوا البحر ويمشوا معهم الى العادلية، فلما رأى الناس خروج العسكر والمدافع فزعوا في المدينة وبولاق ورمحوا كعادتهم في كرشاتهم وصياحهم وأشاعوا أن الفرنسيس خرجت لقتال المغاربة فأغلقوا غالب الأسواق والدكاكين وأمثال ذلك من تخيلاتهم، فلم يعد المغاربة ذلك اليوم وعدوا في ثاني يوم ومشى معهم عسكر الفرنسيس الى العادلية وهم يضربون الطبول وأمامهم مدفع وخلفهم مدفع مع جملة من العساكر.

وفي يوم الثلاثاء عاشره سافر عدة من عسكر الفرنسيس الى عرب الجزيرة فإن مصطفى بك كتخدا الباشا ذهب إليهم والتجأ لهم فعينوا عليهم تلك العساكر.

وفي يوم الأربعاء فرجوا عن جماعة من القليونجية وغيرهم الذين كانوا محبوسين بالقلعة وفيهم المعلم نقولا النصراني الأرمني الذي كان رئيس مركب مراد بك الحربية التي أنشأها بالجيزة وأسكنوه ببيت حسن كتخدا بباب الشعرية.

وفيه حضر بن شديد شيخ عرب الحويطات بأمان وكان عاصياً فأعطوه الأمان وخلعوا عليه وسفروا معه قافلة دقيق وبقسماط العسكر بالشام.

وفي يوم السبت حادي عشرينه، حضر مجلون من الناحية القبلية وصحبته أموال البلاد والغنائم من بهائم وخلافها.

وفيه عملوا كرنتيلة عند العادلية لمن يأتي من بر الشام من العسكر الى ناحية شرق اطفيح بسبب محمد بيك الألفي.

وفيه حضر الذين كانوا ذهبوا الى عرب الجزيرة فضربوهم ونالوا منهم بعض النيل وأما مصطفى بك فلم تعلم عنه حقيقة حال

قيل إنه ذهب الى الشام.

وفي خامس عشرينه، وصلت مراسلة من المذكور خطاباً للمشايخ بالشام ويرجون الإفراج عن قريبه وكتخدائه ويتحفظون على الأمتعة التي أخذوها فإنها من متعلقات الدولة، فلما أطلعوهم على تلك المكاتبة قالوا لا يمكن الإفراج عن المذكورين حتى نتحقق أنه ذهب الى ساري عسكر ويأتينا منه خطاب في شأنه فإنه من الجائز أنه يكذب في قوله.

وفيه ثبت أن محمد بك الألفي مر من خلف الجبل وذهب الى عرب الجزيرة ومعه من جماعته نحو المائة وقيل أكثر، والتف عليه الكثير من الغز والمماليك المشردين بتلك النواحي، وقدم له العربان التقادم والكلف فأرسل له الفرنسيس عدة من العسكر.

وفي سابع عشرينه، لخص الفرنساوية طوماراً قرئ بالديوان وطبع منه عدة نسخ وألصقت بالأسواق على العادة، وكان الناس أكثروا من اللغط بسبب انقطاع الأخبار عن الفرنسيس المحاصرين لعكا والروايات عمن بالصعيد والكيلاني والأشراف الذين معه وغير ذلك.

وصورتها: من محفل الديوان الكبير بمصر، بسم الله الرحمن الرحيم ولا عدوان إلا على الظالمين، نخبر أهل مصر أجمعين أنه حضر جواب من عكا من حضرة ساري عسكر الكبير خطاباً منه الى حضرة ساري عسكر الوكيل بثغر دمياط تاريخه تاسع القعدة سنة تاريخه. يخبر فيه أننا أرسلنا لكم نقيرتين لدمياط، الأولى أرسلنا في خمسة وعشرين شوالاً والثانية في ثمانية وعشرين منه، أخبرناكم فيهما عن مطلوبنا إرسال جانب جلل وذخائر الى عساكرنا المحافظين في غزة ويافا لأجل زيادة المحافظة والصيانة، وأما من قبل العرضي فإن الجلل عندنا كثيرة والذخائر والمآكل والمشارب والخيرات غزيرة، حتى أنها زادت عندنا الجلل بكثرة جمعناها مما رمته الأعداء فكأن أعداءنا أعانونا، ونخبركم أننا عملنا لغماً مقدار عمقه ثلاثون قدماً، وسرنا به حتى قربناه الى السور الجواني بمسافة نحو ثمانية عشر قدماً وقد قربت عساكرنا من الجهة التي تحارب فيها حتى صار بينهم وبين السور ثمانية وأربعون قدماً بمشيئة الله تعالى، عند وصول كتابنا إليكم وقبل إتمام قراءته عليكم نكون ظافرين بملك قلعة عكا أجمعين، فإننا تهيأنا الى دخولها يأتيكم خبر ذلك بعد هذا الكتاب، وأما بقية إقليم الشام وما يلي عكا من البلاد فإنهم لنا طائعون وبالاعتناء ومزيد المحبة راغبون، يأتوننا بكل خير عظيم ويحضرون لنا أفواجاً بالهدايا الكثيرة والحب الجسيم من القلب السليم، وهذا من فضل الله علينا ومن شدة بغضهم الجزار باشا، ونخبركم أيضاً أن الجنرال بونوت انتصر على أربعة آلاف مقاتل حضروا من الشام خيالة ومشاة فقابلهم بثلثمائة عسكري مشاة من عسكرنا فكسروا التجريدة المذكورة وأوقع منهم نحو ستمائة نفس ما بين مقتول ومجروح، وأخذ منهم خمسة بيارق وهذا أمر عجيب لم يقع نظيره في الحروب، أن ثلثمائة نفس تهزم نحو أربعة آلاف نفس، فعلمنا أن النصرة من عند الله لا بالقلة ولا بالكثرة هذا آخر كتاب ساري عسكر الكبير الى وكيله بدمياط، وأرسل إلينا بالديوان حضرة الوكيل ساري عسكر دوجا الوكيل بمصر المحروسة يخبرنا بصورة هذا المكتوب ويأمرنا أننا نلزم الرعايا من أهل مصر والأرياف أن يلزموا الأدب والإنصاف ويتركوا الكذب والخراف، فإن كلام الحشاشين يوقع الضرر للناس المعتبرين، فإن حضرة ساري عسكر دوجا الوكيل بلغه أن أهل مصر وأهل الأرياف يتكلمون بكلام لا أصل له من قبل الأشراف، والحال أن الأشراف الذين يذكرونهم ويكذبون عليهم جاءت أخبارهم من حضرة ساري عسكر الصعيد، يخبر الوكيل دوجا بأن الأشراف المذكورين الذين صحبة الكيلاني قد مزقوا كل ممزق وانهزموا وتفرقوا فلم يكن الآن في بلاد

الصعيد شيء يخالف المراد، وسلم من الفتن والعناد، فأنتم يا أهل مصر ويا أهل الأرياف اتركوا الأمور التي توقعكم في الهلاك والتلاف وامسكوا أدبكم قبل أن يحل بكم الدمار ويلحقكم الندم والعار، والأولى للعاقل اشتغاله بأمر دينه ودنياه وأن يترك الكذب وأن يسلم لأحكام الله وقضاه، فإن العاقل يقرأ العواقب وعلى نفسه يحاسب هذا شأن أهل الكمال يتركون القيل والقال ويشتغلون بإصلاح الأحوال ويرجعون الى الكبير المتعال والسلام.

وفي هذا الشهر كتبوا أوراقاً بأوامر، ونصها: من محفل الديوان العمومي الى جميع سكان مصر وبولاق ومصر القديمة، إننا قد تأملنا وميزنا أن الواسطة الأقرب والأيمن لتلطيف أو لمنع الخطر الضروري وهو تشويش الطاعون عدم المخالطة مع النساء المشهورات لأنهن الواسطة الأولى للتشويش المذكور، فلأجل ذلك حتمنا ورتبنا ومنعنا الى مدة ثلاثين يوماً من تاريخه أعلاه لجميع الناس، إن كان فرنساوياً أو مسلماً أو رومياً أو نصرانياً أو يهودياً من أي ملة كان، كل من أدخل الى مصر أو بولاق أو مصر القديمة النساء المشهورات إن كان في بيوت العسكر أو من كان داخل المدينة فيكون قصاصه بالموت، كذلك من قبل النساء والبنات المشهورات بالعسكر إن دخلن من أنفسهن أيضاً يقاصصن بالموت .

من حوادث هذا الشهر، أنه حضر الى القلزم مركبان انكليزيان وقيل أربعة ووقفوا قبالة السويس وضربوا مدافع، ففر أناس من سكان السويس الى مصر وأخبروا بذلك أنهم صادفوا بعض داوات تحمل البن والتجارة فحجزوها ومنعوها من الدخول الى السويس.

ومنها أن طائفة من عرب البحيرة يقال لهم عرب الغز جاءوا وضربوا دمنهور وقتلوا عدة من الفرنسيس وعاثوا في نواحي تلك البلاد حتى وصلوا الى الرحمانية ورشيد وهم يقتلون من يجدونه من الفرنسيس وغيرهم وينهبون البلاد والزروعات.

ومنها أن الكيلاني المذكور آنفاً توفي الى رحمة الله تعالى وتفرقت طائفته في البلاد، حتى أنه حضر منهم جملة الى مصر وكان أكثر من يخامر عليهم أهل بلاد الصعيد فيوهمونهم معاونتهم وعند الحروب يتخلون عنهم وبعض البلاد يضيفون ويسلط عليهم الفرنسيس فيقبضون عليهم.

ومنها أنه حضر الى مصر الأكثر من عسكر الفرنسيس الذين كانوا بالجهة القبلية وضربوا في حال رجوعهم بني عدي من بلاد الصعيد مشهورة، وكان أهلها ممتنعين عليهم في دفع المال والكلف ويرون في أنفسهم الكثرة والقوة والمنعة، فخرجوا عليهم وقاتلوهم فملك عليهم الفرنسيس تلاً عالياً وضربوا عليهم بالمدافع فأتلفوهم وأحرقوا جرونهم، ثم كبسوا عليهم وأسرفوا في قتلهم ونهبهم وأخذوا شيئاً كثيراً وأموالاً عظيمة وودائع جسيمة للغز وغيرهم من مساتير أهل البلاد القبلية لظن منعتهم وكذلك فعلوا بالميمون.

واستهل شهر ذي الحجة بيوم الثلاثاء سنة 1213

في ثانيه خرج نحو الألف من عسكر الفرنسيس للمحافظة على البلاد الشرقية لتجمع العرب والمماليك على الألفي وكذلك تجمع الكثير من الفرنسيس وذهبوا الى جهة دمنهور، وفعلوا بها ما فعلوا في بني عدي من القتل والنهب لكونهم عصوا عليهم، بسبب أنه ورد عليهم رجل مغربي يدعى المهدوية ويدعو الناس ويحرضهم على الجهاد وصحبته نحو الثمانين نفراً، فكان يكاتب

أهل البلاد ويدعوهم الى الجهاد، فاجتمع عليه أهل البحيرة وغيرهم وحضروا الى دمنهور وقاتلوا من بها من الفرنساوية واستمر أياماً كثيرة تجتمع عليه أهل تلك النواحي وتفترق والمغربي المذكور تارة يغرب وتارة يشرق.

وفيه أشيع أن الألفي حضر الى بلاد الشرقية وقاتل من بها من الفرنسيس ثم ارتحل الى الجزيرة.

وفي سابعه حضر جماعة من فرنسيس الشام الى الكرنتيلة بالعادلية وفيهم مجاريح وأخبر عنهم بعضهم أن الحرب لم تزل قائمة بينهم وبين أحمد باشا بعكا وأن مهندس حروبهم المعروف بأبي خشبة عند العامة واسمه كفرللي مات وحزنوا لموته، لأن كان من دهاتهم وشياطينهم وكان له معرفة بتدبير الحروب ومكايد القتال وإقدام عن المصاف مع ما ينضم لذلك من معرفة الأبنية وكيفية وضعها وكيفية أخذ القلاع ومحاصرتها.

وفي يوم الأربعاء كان عيد النحر وكان حقه يوم الخميس وعند الغروب من تلك الليلة ضربوا مدافع من القلعة أعلاماً بالعيد وكذلك عند الشروق ولم يقع في ذلك العيد أضحية على العادة لعدم المواشي لكونها محجوزة في الكرنتيلة في شغل عن ذلك.

ومن الحوادث في ذلك اليوم أن رجلاً رومياً من باعة الرقيق عنده غلام مملوك ساكن في طبقة بوكالة ذي الفقار بالجمالية خرج لصلاة العيد ورجع الى طبقته فوجد ذلك الغلام متقلداً بسلاح ومتزيياً بمثل ملابس القليونجية، فقال له من أين لك هذا اللباس، فقال من عند جارنا فلان العسكري، فأمره بنزع ذلك لم يستمع له ولم ينزعها فشتمه ولطمه على وجهه، فخرج من الطبقة وحدثته نفسه بقتل سيده ورجع يريد ذلك، فوجد عند سيده ضيفاً فلم يتجاسر عليه لحضور ذلك الضيف، فوقف خارج الباب ورآه سيده فعرف من عينه الغدر، فلما قام ذلك الضيف قام معه وخرج وأغلق الباب على الغلام فصعد الغلام على السطح وتسلق الى سطح آخر ثم تدلى بحبل الى أسفل الخان وخرج الى السوق وسيفه مسلول بيده ويقول: الجهاد يا مسلمين اذبحوا الفرنسيس ونحو ذلك من الكلام، ومر الى جهة الغورية فصادف ثلاثة أشخاص من الفرنسيس فقتل منهم شخصاً وهرب الإثنان ورجع على إثره والناس يعدون خلفه من بعد الى أن وصل الى درب بالجمالية غير نافذ، فدخله وعبر الى دار وجدها مفتوحة وربها واقف على بابها، والفرنسيس تجمع منهم طائفة وظنوا ظنوناً أخر وبادروا الى القلاع وحضرت منهم طائفة من القلق يسألون عن ذلك المملوك، وهاجت العامة ورمحت الصغار وأغلق بعض الناس حوانيتهم، ثم لم تزل الفرنسيس تسأل عن ذلك المملوك والناس يقولون لهم ذهب من هنا حتى وصلوا الى ذلك الدرب، فدخلوه فلما أحس بهم نزع ثيابه وتدلى ببئر في تلك الدار فدخلوا الدار وأخرجوه من البئر وأخذوه، وسكنت الفتنة فسألوه عن أمره وما السبب في فعله ذلك. فقال إنه يوم الأضحية فأحببت أن أضحي على الفرنسيس، وسألوه عن السلاح، فقال إنه سلاحي فجسوه لينظروا في أمره وطلبوا سيده فوجدوه عند الشيخ المهدي، وأخذوا بعض جماعة من أهل الخان ثم أطلقوهم بدون شرر، وأخذوا سيده من عند المهدي وحبسوه، وحضر الآغا وبرطلمين الى الخان بعد العشاء وطلبوا البواب والخانجي والجيران وصعدوا الى الطباق وفتشوا على السلاح حتى قلعوا البلاط فلم يجدوا شيئاً، وأرادوا فتح الحواصل فمنعهم السيد أحمد بن محمود محرم فخرجوا وأخذوا معهم الخانجي وجيران الطبقة وجملة أنفار وحبسوهم أيضاً، وقتلوا المملوك في ثاني يوم، واستمر الجماعة في الحبس الى أن أطلقوهم بعد أيام عديدة من الحادثة.

وفي ذلك اليوم أيضاً مر نصراني من الشوام على المشهد الحسيني وهو راكب على حمار فرآه ترجمان ضابط الخطة ويسمى

السيد عبد الله فأمره بالترول إجلالاً للمشهد على العادة. فامتنع فانتهزه وضربه وألقاه على الأرض، فذهب ذلك النصراني الى الفرنسيس وشكا إليهم السيد عبد الله المذكور فأحضروه وحبسوه فشفع فيه مخدومه فلم يطلقوه، وادعى النصراني أنه كان بعيداً عن المشهد وأحضر من شهد له بذلك وأن السيد عبد الله متهور في فعله، وادعى أنه ضاع له وقت ضربه دراهم كانت في جيبه واستمر الترجمان محبوساً عدة أيام حتى دفع تلك الدراهم وهي ستة آلاف درهم.

وفيه أرسل فرنسيس مصر الى رئيس الشام ميرة على جمال العرب نحو الثمانمائة جمل وذهب صحبتها برطلمين وطائفة من العسكر فأوصلوها الى بلبيس ورجعوا بعد يومين.

وفيه حضر الى السويس تسعة داوات بها بن وبهار وبضائع تجارية وفيها لشريف مكة نحو خمسمائة فرق بن، وكانت الانكليز منعتهم الحضور فكاتبهم الشريف فأطلقوهم بعد أن حددوا عليهم أياماً مسافة التنقيل والشحنة، وأخذوا منهم عشوراً وسامح الفرنسيس بن الشريف من العشور لأنه أرسل لهم مكاتبة بسبب ذلك وهدية قبل وصول المراكب الى السويس بنحو عشرين يوماً، وطبعوا صورتها في أوراق وألصقوها بالأسواق وهي خطاب لبوسليك.

من مات في هذه السنة من الأعيان ومن له ذكر في الناس

مات الإمام العمدة الفقيه العلامة المحقق الفهامة المتقن المتفنن المتجرعين أعيان الفضاء الأزهرية الشيخ أحمد بن موسى بن أحمد بن محمد البيلي العدوي المالكي، ولد ببني عدي سنة إحدى وأربعين ومائة وألف وبها نشأ فقرأ القرآن، وقدم الجامع الأزهر ولازم الشيخ علي الصعيدي ملازمة كلية حتى تمهر في العلوم وبهر فضله في الخصوص والعموم، وكان له قريحة جيدة وحافظة غريبة يملي في تقريره خلاصة ما ذكره أرباب الحواشي مع حسن سبك والطلبة يكتبون ذلك بين يديه، وقد جمع من تقاريره على عدة كتب كان يقرأها حتى صارت مجلدات وانتفع بها الطلبة انتفاعاً عاماً، ودرس في حياة شيخه سنيناً عديدة واشتهر بالفتوح وكان الشيخ الصعيدي يأمر الطلبة بحضوره وملازمته، وكان في اتصاف زائد وتؤدة ومروءة، وتوجه الى الحق ولديه أسرار ومعارف وفوائد وتمائم وعلم بتتريل الأوفاق والوفق المئيني العددي والحرفي وطرائق تتريله بالتطويق والمربعات وغير ذلك، ولما توفي الشيخ محمد حسن جلس موضعه للتدريس بإشارة من أهل الباطن، ولما توفي الشيخ أحمد الدردير ولى مشيخة رواق الصعايدة وله مؤلفات منها مسائل كل صلاة بطلت على الإمام وغير ذلك. و لم يزل على حالته وإفادته وملازمة دروسه والجماعة حتى توفي في هذه السنة ودفن في تربة المجاورين رحمة الله تعالى عليه.

ومات العلامة الفاضل الفقيه الشيخ أحمد بن ابراهيم الشرقاوي الشافعي الأزهري، قرأ على والده وتفقه وأنجب و لم يزل ملازماً لدروسه حتى توفي والده فتصدر للتدريس في محله. واجتمعت عليه طلبة أبيه وغيرهم، ولازم مكانه بالأزهر طول النهار يملي ويفيد ويفتي على مذهبه ويأتي إليه الفلاحون من جيزة بلاده بقضاياها وخصوماتهم وأنكحتهم فيقضي بينهم ويكتب لهم الفتاوى في الدعاوى التي يحتاجون فيها الى المرافعة عند القاضي، وربما زجر المعاند منهم وضربه وشتمه، ويسمعون لقوله ويمتثلون لأحكامه، وربما أتوه بهدايا ودراهم. واشتهر ذكره وكان جسيماً عظيم اللحية فصيح اللسان، و لم يزل على حالته حتى اتهم في فتنة الفرنسيس المتقدمة ومات مع من قتل بيد الفرنساوية بالقلعة و لم يعلم له قبر.

ومات الشيخ الإمام العمدة الفقيه الصالح القانع الشيخ عبد الوهاب الشبراوي الشافعي الأزهري تفقه على أشياخ العصر وحضر دروس الشيخ عبد الله الشبراوي والحفني والبراوي وعطية الأجهوري، وغيرهم وتصدر للإقراء والتدريس والإفادة بالجوهرية وبالمشهد الحسيني ويحضر درسه فيه الجم الغفير من العامة ويستفيدون منه ويقرأ به كتب الحديث كالبخاري ومسلم، وكان حسن الإلقاء سلس التقرير جيد الحافظة جميل السيرة مقبلاً على شأنه، ولم يزل ملازماً على حالته حتى اتهم في إثارة الفتنة وقتل بالقلعة شهيداً بيد الفرنسيس في أواخر جمادى الأولى من السنة، ولم يعلم له قبر.

ومات الشاب الصالح والنبيه الفالح الفاضل الفقيه الشيخ يوسف المصيلحي الشافعي الأزهري. حفظ القرآن والمتون وحضر دروس أشياخ العصر كالشيخ الصعيدي واليراوي والشيخ عطية الأجهوري والشيخ أحمد العمروسي وحضر الكثير على الشيخ محمد المصيلحي، وأنجب وأملى دروساً بجامع الكردي بسويقة اللالا، وكان مهذب النفس لطيف الذات حلو الناطقة مقبول الطلعة خفيف الروح ولم يزل ملازماً على حاله، حتى اتهم أيضاً في حادثة الفرنسيس وقتل مع من قتل شهيداً بالقلعة.

ومات العمدة الشهير الشيخ سليمان الجوسقي شيخ طائفة العميان بزاويتهم المعروفة الآن بالشنواني، تولى شيخاً على العميان المذكورين بعد وفاة الشيخ الشبراوي وسار فيهم بشهامة وصرامة وجبروت وجمع بجاههم أموالاً عظيمة وعقارات، فكان يشتري غلال المستحقين المعطلة بالأبعاد بدون الطفيف ويخرج كشوفاتها وتحاويلها على الملتزمين ويطالبهم بها كيلاً وعيناً، ومن عصى عليه أرسل إليه الجيوش الكثيرة من العميان فلا يجد بداً من الدفع، وإن كانت غلاله معطلة صالحة بما أحب من الثمن، وله أعوان يرسلهم الى الملتزمين بالجهة القبلية يأتون إليه بالسفن المشحونة بالغلال والمعاوضات من السمن والعسل والسكر والزيت وغير ذلك، ويبيعها في سني الغلوات بالسواحل والرقع بأقصى القيمة، ويطحن منها على طواحينه دقيقاً ويبيع خلاصته في البطط بحارة اليهود ويعجن نخالته خبزاً لفقراء العميان يتقوتون به مع ما يجمعونه من الشحاذة في طوافهم آناء الليل وأطراف النهار بالأسواق والأزقة وتغنيهم بالمدائح والخرافات وقراءة القرآن في البيوت ومساطب الشوارع وغير ذلك ومن مات منهم ورثة الشيخ المترجم المذكور وأحرز لنفسه ما جمعه ذلك الميت، وفيهم من وجد له الموجود العظيم ولا يجد له معارضاً في ذلك، واتفق أن الشيخ الحفني نقم عليه في شيء فأرسل إليه من أحضره موثوقاً مكشوف الرأس مضروباً بالنعالات على دماغه وقفاه من بيته الى بيت الشيخ بالموسكي بين ملأ العالم، ولما انقضت تلك السنون وأهلها صار المترجم من أعيان الصدور المشار إليهم في المجالس تخشى سطوته وتسمع كلمته، ويقال قال الشيخ كذا وكذا وأمر الشيخ بكذا وصار يلبس الملابس والفراوي ويركب البغال وأتباعه محدقة به. وتزوج الكثير من النساء الغنيات الجميلات واشترى السراري البيض والحبش والسود، وكان يفرض الأكابر المقادير الكثيرة من المال ليكون له عليهم الفضل والمنة، ولم يزل حتى حمله التفاخر في زمن الفرنسيس على تولية كبر إثارة الفتنة التي أصابته وغيره، وقتل فيمن قتل بالقلعة ولم يعلم له قبر، وكان ابنه معوقاً ببيت البكري فلما علم بموته قلق وكاد يخرج من عقله خوفاً على ما يعلم مكانه من مال أبيه حتى خلص في ثاني يوم بشفاعة المشايخ ولم يكن مقصوداً بالذات، بل حضر ليعود أباه فحجزه القومة عليهم زيادة في الاحتياط.

ومات الأجل المفوه العمدة الشيخ اسمعيل البراوي بن أحمد البراوي الشفعي الأزهري وهو ابن أخي الشيخ عيسى البراوي الشهير الذكر، تصدر بعد وفاة والده في مكانه وكان قليل البضاعة إلا أنه تغلب عليه النباهة واللسانة والسلاطة، والتداخل،

وذلك هو الذي أوقعه في حبائل الفرنساوية وقتل مع من قتل شهيداً و لم يعلم له قبر غفر الله لنا وله.

ومات الوجيه الأجل الأمثل السيد محمد كريم، وخبره أنه كان في أول أمره قبانياً يزن البضائع في حانوت بالثغر، وعنده خفة في الحركة وتودد في المعاشرة، فلم يزل يتقرب الى الناس بحسن التودد ويستجلب خواطر حواشي الدولة وغيرهم: من تجار المسلمين والنصارى ومن له وجاهة وشهرة في أبناء جنسه حتى أحبه واشتهر ذكره في ثغر الإسكندرية، ورشيد ومصر، واتصل بصالح بك حتى كان وكيلاً بدار السعادة وله الكلمة النافذة في ثغر رشيد وتملكها وضواحيها، واسترق أهلها وقلد أمرها لعثمان خجا فاتحد به وبمخدومه السيد محمد المذكور واتصل بمراد بك بعد صالح آغا فتقرب إليه ووافق منه الغرض، ورفع شأنه على أقرانه وقلده أمر الديوان والجمارك بالثغر، ونفذت كلمته وأحكامه وتصدر لغالب الأمور وزاد في المكوسات والجمارك ومصادرات التجار خصوصاً من الإفرنج، ووقع بينه وبين السيد شهبة الحادثة التي أوجبت له الاختفاء بالصهريج وموته فيه، فلما حضر الفرنسيس ونزلوا الاسكندرية قبضوا على السيد محمد المذكور وطالبوه بالمال وضيقوا عليه وحبسوه في مركب، ولما حضروا الى مصر وطلعوا الى قصر مراد بك وفيها مطالعته بأخبارهم وبالحث والاجتهاد على حربهم وتهوين أمرهم وتنقيصهم، فاشتد غيظهم عليه فأرسلوا وأحضروه الى مصر وحبسوه، فتشفع فيه أرباب الديوان عدة مرار فلم يمكن الى أن كانت ليلة الخميس. فحضر إليه مجلون وقال له: المطلوب منك كذا وكذا من المال، وذكر له قدراً يعجز عنه وأجله اثنتي عشرة ساعة، وإن لم يحضر ذلك القدر وإلا يقتل بعد مضيها، فلما أصبح أرسل الى المشايخ والى اسيد أحمد المحروقي فحضر إليه بعضهم فترجاهم وتداخل عليهم واستغاث وصار يقول لهم اشتروني يا مسلمون، وليس بيدهم ما يفتدونه به، وكل إنسان مشغول بنفسه ومتوقع لشيء يصيبه، وذلك في مبادئ أمرهم، فلما كان قريب الظهر وقد انقضى الأجل أركبوه حماراً واحتاط به عدة من العسكر وبأيديهم السيوف المسلولة، ويقدمهم طبل يضربون عليه وشقوا به الصليبة الى أن ذهبوا الى الرميلة وكتفوه وربطوه مشبوحاً وضربوا عليه بالبنادق كعادتهم فيمن يقتلونه، ثم قطعوا رأسه ورفعوها على نبوت وطافوا بها بجهات الرميلة والمنادي يقول: هذا جزاء من يخالف الفرنسيس، ثم إن أتباعه أخذوا رأسه ودفنوها مع جثته. وانقضى أمره وذلك يوم الخميس خامس عشر ربيع الأول.

ومات الأمير ابراهيم بك الصغير المعروف بالوالي وهو من مماليك محمد بك أبي الذهب. وتقلد الزعامة بعد موت أستاذه ثم تقلد الإمارة والصنجقية في أواخر جمادى الأولى سنة 1192. وهو أخو سليمان بك المعروف بالآغا، وعندما كان هو والياً كان أخوه أغات مستحفظان وأحكام مصر والشرطة بينهما، وفي سنة سبع وتسعين تعصب مراد بك وابراهيم بك على المترجم وأخرجوه منفياً هو وأخوه سليمان بك وأيوب بك الدفتردار، ولما أمروه بالخروج ركب في طوائفه ومماليكه وعدى الى بر الجيزة، فركب خلفه علي بك أباظة ولاجين بك ولحقوا حملته عند المعادي فحجزوها وأخذوها وأخذوا هجنه ومتاعه وعدوا خلفه فأدركوه عند الأهرام فاحتالوا عليه وردوه الى قصر العيني، ثم سفروه الى ناحية السرو ورأس الخليج فأقام بها أياماً وكان أخوه سليمان بك بالمنوفية فلما أرسلوا بنفيه الى المحلة ركب بطوائفه وحضر الى مسجد الخضيري، وحضر إليه أخوه المترجم وركبا معاً وذهبا الى جهة البحيرة، ثم ذهبا الى طندتا، ثم ذهبا الى شرقية بلبيس، ثم توجها من خلف الجبل الى جهة

قبلي وكان أيوب بك بالمنصورة فلحق بهما أيضاً وكان بالصعيد عثمان بك الشرقاوي ومصطفى بك فالتفا عليهما وعصى الجميع وأرسل مراد بك وابراهيم بك محمد كتخدا أباظة وأحمد آغا شويكار الى عثمان بك ومصطفى بك يطلبانهما الى الحضور، فأبيا وقالا: لا نرجع الى مصر إلا بصحبة إخواننا وإلا فنحن معهم أينما كانوا، ورجع المذكوران بذلك الجواب، فجهزوا لهم تجريدة وسافر بها ابراهيم بك الكبير وضمهم وصالحهم وحضر بصحبة الجميع الى مصر فحنق مراد بك و لم يزل حتى خرج مغضباً الى الجيزة، ثم ذهب الى قبلي وجرى بينهما ما تقدم ذكره من إرسال الرسل ومصالحة مراد بك ورجوعه وإخراج المذكورين ثانياً فخرجوا الى ناحية القليوبية وخرج مراد بك خلفهم، ثم رجعوهم الى جهة الأهرام وقبض مراد بك عليهم ونفيهم الى جهة بحري، وأرسل المترجم الى طندتا ثم ذهبوا الى قبلي خلا مصطفى بك وأيوب بك ثم رجعوا الى مصر بعد خروج مراد بك الى قبلي واستمر أمرهم على ما ذكر، حتى ورد حسين باشا وخرج الجميع، وجرى ما تقدم ذكره وتولى المترجم إمارة الحاج و لم يسافر به، ولما رجعوا الى مصر بعد الطاعون وموت اسمعيل بك ورجب بك صاهره ابراهيم بك الكبير وزوجه ابنته كما تقدم، و لم يزل في سيادته وإمارته حتى حضر الفرنساوية ووصلوا الى بر انبابة، ومات هو في ذلك اليوم غريقاً، و لم تظهر رمته وذلك يوم السبت سابع صفر من السنة.

ومات الأمير علي بك الدفتردار المعروف بكتخدا الجاويشية وأصله مملوك سليمان أفندي من خشداشين كتخدا ابراهيم القازدغلي وكان سيده المذكور رغب عن الإمارة ورضي بحاله وقنع بالكفاف ورغب في معاشرة العلماء والصلحاء، وفي الانجماع عن أبناء جنسه والتداخل في شؤونهم، وكان يأتي في كل يوم الى الجامع الأزهر ويحضر دروس العلماء ويستفيد من فوائدهم ولازم دروس الشيخ أحمد السليماني من الفقه الحنفي الى أن مات، فتقيد بحضور تلميذه الشيخ أحمد الغزي كذلك، واقترن في حضوره بالشيخ عبد الرحمن العريشي وكان إذ ذاك مقتبل الشبيبة مجرداً عن العلائق فكان يعيد معه الدروس، فاتحد به لما رأى فيه من النجابة فجذبه الى داره وكساه وواساه، واستمر يطالع معه في الفقه ويعيد معه الدروس ليلاً وزوجه وأغدق عليه، وكان هو مبدأ زواجه و لم يزل ملازماً حتى توفي سليمان أفندي المذكور في سنة 1175 فتزوج المترجم بزوجة سيده واستمر هو وخشداشه الأمير أحمد بمترل أستاذهما وتتوق نفس المترجم للترفع والإمارة، فتردد الى بيوت الأمراء كغيره من الأجناد، فقلده علي بك الكبير كشوفية شرق أولاد يحيى في سنة 1182 فتقلدها بشهامة وقتل البغاة، وأخاف الناحية وجمع منها أموالاً واستمر حاكمها بها الى أن خالف محمد بك أبو الذهب على سيده علي بك. وخرج من مصر الى الجهة القبلية، فلما وصل الى الناحية كان المترجم أول من أقبل عليه بنفسه وما معه من المال والخيام، فسر به محمد بك وقربه وأدناه و لم يزل ملازماً لركابه حتى جرى ما جرى، وتملك محمد بك الديار المصرية فقلده أغاوية المتفرقة أياماً قليلة، ثم خيره في تقليد الصنجقية أو كتخدا الجاويشية، فقال له حتى استخير في ذلك، وحضر الى المرحوم الشيخ الوالد وذكر له ذلك فأشار عليه بأن يتقلد كتخدا الجاويشية فإنه منصب جليل واسع الإيراد وليس على صاحبه تعب ولا مشقة غفر ولا سفر تجاريد ولا كثرة مصايف، فكان كذلك، وذلك في سنة ست وثمانين وسكن ببيت سليمان آغا كتخدا الجاويشية بدرب الجماميز على بركة الفيل، ونما أمره واتسع حاله واشتهر وانتظم في عداد الأمراء، و لم يزل على ذلك الى أن مات محمد بك فاستقل بإمارة مصر ابراهيم بك ومراد بك فكان المترجم ثالثهما، واتحد بابراهيم بك اتحاداً عظيماً حتى كان ابراهيم بك لا يقدر على مفارقته

ساعة زمانية، وصار معه كالأخ الشقيق والصاحب الشفيق وصار في قبول ووجاهة عظيمة وكلمة نافذة في جميع الأمور ولم يزل على ذلك حتى حضر حسن باشا بالصورة المتقدمة وخرج ابراهيم بك ومراد بك وباقي الأمراء، فتخلف عنهم المترجم، وقد كان راسل حسن باشا سراً، فلما استقر حسن باشا أقبل عليه وسلمه مقاليد الأمور وقلده الصنجقية وأضاف إليه الدفتردارية وفوض إليه جميع الأمور الكلية والجزئية، فانحصرت فيه رياسة مصر وصار عزيزها وأميرها ووزيرها وقائد جيوشها ولا يتم أمر إلا عن مشورته ورأيه، واجتمع ببيته الدواوين وقلد الأمريات والمناصب كما يختار، وقرب وأدنى وأبعد وأقصى من يختار، واشتهر ذكره في إقليم مصر والشام والروم وأشار بتقليد مراد كاشف الصنجقية وإمارة الحاج وسموه محمد بك المبدول كراهة في اسم مراد، واشتهر بالمبدول ونجز له لوازم الحاج والصرة في أيام قليلة، وسافر بالحاج على النسق المعتاد وشهل أيضاً التجاريد والعساكر خلف الأمراء المطرودين واستمر مطلق التصرف في مملكة مصر بقية السنة.

ولما استهل رمضان أرسل لجميع الأمراء والأعيان البلكات والكساوي لهم ولحريمهم ومماليكهم بالأحمال وكذلك الى العلماء والمشايخ حتى الفقهاء الخاملين المحتاجين، وظن أن الوقت قد صفا له ولم يزل على ذلك حتى استقر اسمعيل بك وسافر حسن باشا وظهر له أمر حسن بك الجداوي وخشداشينه أخذ يناكد المترجم ويعارضه في جميع أموره وهو يسامح له في كل ما يتعرض له فيه ويساير حاله بينهم ويكظم غيظه ويكتم قهره، وهو مع ذلك وافر الحرمة، واعتراه صداع في رأسه وشقيقة زاد ألمه بها ووجعه أشهراً وأتلف إحدى عينيه وعوفي قليلاً، واستمر على ذلك حتى وقع الطاعون بمصر سنة خمس، ومات ابن له مراهق أحزنه موته، وكذلك ماتت زوجته وأكثر جواريه ومماليكه، ومات اسمعيل بك وأمراؤه ومماليكه ورضوان بك العلوي وبقي هو وحسن بك الجداوي فتجاذبا الإمارة ولم يرض أحدهما بالآخر، فوقع الاتفاق على تأمير عثمان بك طبل تابع اسمعيل بك ظناً منهما أنه يصلح لذلك وأنه لا يمالئ الأعداء، فكان الأمر بخلاف ذلك وكره الإمارة هو أيضاً لمناكدة حسن بك له وراسل الأمراء القبليين سراً حتى حضر وأعلى الصورة المتقدمة، وقصد حسن بك وعلي بك الاستعداد لحربهم وخرجوا الى ناحية طرا وتأهبوا لمبارزتهم، وصار عثمان بك يثبطهما ويظهر لهما أنه يدبر الحيل والمكايد ولم يعلما ضميره ولم يخطر ببالهما ولا غيرهما خيانته. بل كان كل منهما يظن بالآخر حتى حصل ما تقدم ذكره في محله وفر المترجم وحسن بك الى ناحية قبلي، فاستمر هناك مدة ثم انفصل عن حسن بك وسافر من القصير الى بحر القلزم وطلع الى المويلح، وأرسل بعض ثقاته فأخذ بعض الاحتياجات سراً وذهب من هناك الى الشام، واجتمع بأحمد باشا الجزار، ونزل بحيفا وأقام بها مدة راسل الدولة في أمره، فطلبوه إليهم، فلما قرب من اسلامبول أرسلوا إليه من أخذه وذهب به الى برصا، فأقام هناك وعينوا له كفايته في كل شهر، وولد له هناك أولاد ثم أحضروه في حادثة الفرنسيس وأعطوه مراسيم الى ابراهيم باشا ساري عسكر في ذلك الوقت، فلما وصل بيروت راسل أحمد باشا وأراد الاجتماع به وعلم أحمد باشا ما بيده من المرسومات الى ابراهيم باشا فتنكر له وانحرف طبعه منه وأرسل إليه يأمره بالرحيل، وصادف ذلك عزل ابراهيم باشا فارتحل مقهوراً الى نابلس فمات هناك بقهره، وحضر من بقي من مماليكه الى مصر وسكنوا بداره التي بها مملوكه عثمان كاشف وابنته التي تركها بمصر صغيرة وقد كبرت وتأهلت للزواج فتزوج بها خازنداره الذي حضر وهو الى الآن مقيم معها صحبة خشداشينه ببيتها الذي بدرب الحجر. وكان المترجم أميراً لا بأس به يميل الى فعل الخير حسن الاعتقاد ويحب أهل العلم والفضائل ويعظمهم ويكرمهم ويقبل شفاعاتهم، وفيه رقة

طبع وميل للخلاعة والتجاهر غفر الله له وسامحه.

ومات أيضاً الأمير أيوب بك الدفتردار وهو من مماليك محمد بك تولى الإمارة والصنجقية بعد موت أستاذه، وقد تقدم ذكره غير مرة، وكان ذا دهاء ومكر ويتظاهر بالانتصار للحق وحب الأشراف والعلماء ويشتري المصاحف والكتب ويحب المسامرة والمذاكرة وسير المتقدمين. ويواظب على اصلاة في الجماعة ويقضي حوائج السائلين والقاصدين بشهامة وصرامة وصدع للمعاند خصوصاً إذا كان الحق بيده، ويتعلل كثيراً بمرض البواسير وسمعت من لفظه رؤيا رآها قبل ورود الفرنسيس بنحو شهرين تدل على ذلك وعلى موته في حربهم.

ولما حصل ذلك وحضروا الى بر انبابة عدى المترجم قبل بيومين وصار يقول أنا بعت نفسي في سبيل الله، فلما التقى الجمعان لبس سلاحه بعدما توضأ وصلى ركعتين وركب في مماليكه. وقال اللهم إني نويت الجهاد في سبيلك، واقتحم مصاف الفرنساوية وألقى نفسه في نارهم. واستشهد في ذلك اليوم وهي منقبة اختص بها دون أقرانه بل ودون غيرهم من جميع أهل مصر.

ومات الأمير صالح بك أمير الحاج في تلك السنة وهو أيضاً من مماليك محمد بك أبي الذهب وتولى زعامة مصر بعد ابراهيم بك الوالي، وأحسن فيها السيرة و لم يتشك منه أحد و لم يتعرض لأحد بأذية، وتقلد أيضاً كتخدا الجاويشية عندما خرج ابراهيم بك مغاضباً لمراد بك. وكان خصيصاً به، فلما اصطلحا ورجع ابراهيم بك وعلي آغا كتخدا الجاويشية تقلد على منصبه كما كان واستمر المترجم بطالاً لكنه وافر الحرمة معدوداً في الأعيان، ولما خرجوا من مصر في حادثة حسن باشا أرسله وخشداشينه الى الروم، وكاد يتم لهم الأمر فقبض عليه حسن باشا وكان إذ ذاك بالعرضي في السفر، ولما رجعوا الى مصر بعد موت اسمعيل بك سكن ببيت البارودي وتزوج بزوجته وهي أم أيوب التي كان سرية مراد بك، ثم سافر ثانياً الى الروم بمراسلة وهدية، وقضى أشغاله ورجع بالوكالة وأخذ بيت الحبانية من مصطفى آغا وعزله من وكالة دار السعادة وسكن بالبيت، واختص بمراد بك اختصاصاً زائداً وبنى له داراً بجانبه بالجيزة وصار لا يفارقه قط، وصار هو بابه الأعظم في المهمات، وكان فصيح اللسان مهذب الطبع يفهم بالإشارة يظن من يراه أنه من أولاد العرب لطلاقة لسانه وفصاحة كلامه ويميل بطبعه الى الخلاعة وسماع الألحان والأوتار ويعرف طرقها ويباشر الضرب عليها بيده، ثم ولي الصنجقية، وتقلد إمارة الحج سنة 1213، وتمم أشغاله وأموره ولوازمه على ما ينبغي، وطلع بالحج في تلك السنة في أبهة عظيمة على القانون القديم في أمن وأمان ورخاء وسخاء، وراج موسم التجار في تلك السنة الى الغاية، وفي أيام غيابه بالحج وصل الفرنساوية الى القطر المصري وطار إليهم الخبر بسطح العقبة وأرسلوا من مصر مكاتبة بالأمان وحضوره بالحج في طائفة قليلة فأرسل إليهم ابراهيم بك يطلبهم الى بلبيس فعرج المترجم بالحاج الى بلبيس وجرى ما تقدم ذكره و لم يزل حتى مات بالديار الشامية وبعد مدة أرسلت زوجته فأحضرت رمته ودفنتها بمصر بتربة المجاورين.

ومات العمدة الفاضل والتحرير الكامل الفقيه العلامة السيد مصطفى الدمنهوري الشافعي، تفقه على أشياخ العصر وتمهر في المعقولات ولازم الشيخ عبد الله الشرقاوي ملازمة كلية. واشتهر بنسبته إليه، ولما ولي مشيخة الأزهر صار المترجم عنده هو صاحب الحل والعقد في القضايا والمهمات والمراسلات عند الأكابر والأعيان، وكان عاقلاً ذكياً وفيه ملكة واستحضار جيد

للفروع الفقهية، وكان يكتب على الفتاوي على لسان شيخه المذكور ويتحرى الصواب وعبارته سلسة جيدة، وكان له شغف بكتب التاريخ وسير المتقدمين، واقتنى كتباً في ذلك مثل كتاب السلوك والخلط للمقريزي وأجزاء من تاريخ العيني والسخاوي وغير ذلك، و لم يزل حتى ركب يوماً بغلته وذهب لبعض أشغاله، فلما كان بخطة الموسكي قابله خيال فرنساوي يخج فرسه فجفلت بغلة السيد مصطفى المذكور وألقته من على ظهرها وصادف حافر فرس الفرنساوي أذنه فرض صماخه فلم ينطق و لم يتحرك، فرفعوه في تابوت الى مترله ومات من ليلته رحمه الله.

ومات عبد الله كاشف الجرف وهو عبد اسمعيل كاشف الجرف تابع عثمان بك ذي الفقار الكبير، وكان معروفاً بالشجاعة والإقدام كسيده وأدرك بمصر إمارة وسيادة ونفاذ كلمة. واشترى المماليك الكثيرة والخيول المسومة والجواري والعبيد وعنده عدة من الأجناد والطوائف وعمر داراً عظيمة داخل الدرب المحروق، و لم يزل حتى قتل يوم السبت تاسع صفر بحرب الفرنساوية بانبابة، وكان جسيماً أسود ذا شهامة وفروسية مشهورة وجبروت.

ثم دخلت سنة أربع عشر ومائتين وألف

استهل شهر المحرم بيوم الأربعاء فيه حضر جماعة من الفرنسيس الى العادلية فضربوا خمسة مدافع لقدومهم، فلما كان في ثاني يوم عملوا الديوان وأبرزوا مكتوباً مترجماً ونسخته: صورة جواب من العرضي قدام عكا، وفي سابع عشرين فريبال الموافق لحادي عشر شهر الحجة 1213 من بونابارته ساري عسكر أمير الجيوش الفرنساوية الى محفل ديوان مصر، نخبركم عن سفره من بر الشام الى مصر، فإني بغاية العجلة بحضوري لطرفكم نسافر بعد ثلاثة أيام تمضي من تاريخه ونصل عندكم بعد خمسة عشر يوماً وجائب معي جملة محابيس بكثرة وبيارق ومحقت سراية الجزار وسور عكا وبالقنبر هدمت البلد ما أبقيت فيها حجراً على حجر وجميع سكانها انهزموا من البلد الى طريق البحر والجزار مجروح ودخل بجماعته داخل برج من ناحية البحر وجرحه يبلغ لخطر الموت، ومن جملة ثلاثين مركباً موسوقة عساكر الذين حضروا يساعدون الجزار ثلاثة غرقت من كثرة مدافع مراكبنا وأخذنا منها أربعة موقرة مدافع والذي أخذ هذه الأربعة فرقاطة من بتوعنا والباقي تلف وتبهدل والغالب منهم عدم وإني بغاية الشوق الى مشاهدتكم، لأني بشوف أنكم عملتم غاية جهدكم من كل قلبكم لكن جملة فلاتية دائرون بالفتنة لأجل ما يحركون الشر في وقت دخولي، كل هذا يزول مثل ما يزول الغيم عند شروق الشمس ومنتوره مات من تشويش هذا الرجل صعب علينا جداً والسلام. منتوره هذا ترجمان ساري عسكر وكان لبيباً متبحراً ويعرف باللغة التركية والعربية والرومية والطلياني والفرنساوي، ولما عجز الفرنساوية عن أخذ عكا وعزموا على الرجوع الى مصر أرسل بونابارته مكاتبة الى الفرنساوية المقيمين بمصر يقول فيها إن الأمر الموجب للانتقال عن محاصرة عكا خمسة عشر سبباً.

الأول، الإقامة تجاه البلدة وعدم الحرب ستة أيام الى أن جاءت الانكليز وحصنوا عكا باصطلاح الإفرنج.

الثاني، الستة مراكب التي توجهت من الاسكندرية فيها المدافع الكبار أخذها الانكليز قدام يافا.

الثالث، الطاعون الذي وقع في العسكر ويموت كل يوم خمسون وستون عسكرياً.

الرابع، عدم الميرة لخراب البلاد قريب عكا.

الخامس، وقعة مراد بك مع الفرنساوية في الصعيد مات فيها مقدار ثلثمائة فرنساوي.

السادس، بلغنا توجه أهل الحجاز صحبة الجيلاني لناحية الصعيد.

السابع، المغربي محمد الذي صار له جيش كبير وادعى أنه من سلاطين المغرب.

الثامن، ورود الانكليز تجاه الاسكندرية ودمياط.

التاسع، ورود عمارة الموسقو قدام رودس.

العاشر، ورود خبر نقض الصلح بين الفرنساوية والنيمساء.

الحادي عشر، ورود جواب مكتوب منا لتيبو أحد ملوك الهند كنا أرسلناه قبل توجهنا لعكا. وتيبو هذا هو الذي كان حضر الى اسلامبول بالهدية التي من جملتها طائران يتكلمان بالهندية والسرير والمنبر من خشب العود، وطلب منه الإمداد والمعاونة على الانكليز المحاربين له في بلاده فوعدوه ومنوه وكتبوا له أوراقاً وأوامر وحضر الى وذلك في سنة 1202 أيام السلطان عبد

الحميد وقد سبقت الإشارة إليه في حوادث تلك السنة، وهو رجل كان مقعداً تحمله أتباعه في تخت لطيف بديع الصنعة على أعناقهم، ثم إنه توجه الى بلاد فرانسا واجتمع بسلطانها وذلك قبل حضوره الى مصر واتفق معه على أمر في السر لم يطلع أحد غيرهما ورجع الى بلاده على طريق القلزم، فلما قدم الفرنساوية لمصر كاتبه كبيرهم بذلك السر لأنه اطلع عليه عند قيام الجمهور وتملكه خزانة كتب السلطان ثم إن تيبو المذكور بقي في حرب الانكليز الى أن ظفروا به في هذه السنة وقتلوه وثلاثة من أولاده فهذا ملخص معنى السبب.

الثاني عشر، موت كفرللي الذي عملت المتاريس بمقتضي رأيه وإذا تولى أمرها غيره يلزم نقضها ويطول الأمر وكفرللي هذا هو المعروف بأبي خشبة المهندس.

الثالث عشر، سماع أن رجلاً يقال له مصطفى باشا أخذه الانكليز من اسلامبول ومرادهم أن يرموه على بر مصر.

الرابع عشر، أن الجزار أنزل ثقله بمراكب الانكليز وعزم على أنه عندما تملك البلد يترل في مراكبهم ويهرب معهم.

الخامس عشر، لزوم ومحاصرة عكا ثلاثة شهور أو أربعة وهو مضر لكل ما ذكرناه من الأسباب، انتهى.

وفي يوم الثلاثاء سابعه، حضر جماعة أيضاً من العسكر بأثقالهم وحضرت مكاتبة من كبير الفرنساوية أنه وصل الى اصالحية وأرسل دوجا الوكيل ونبه على الناس بالخروج لملاقاته بموجب ورقة حضرت من عنده يأمر بذلك.

فلما كان ليلة الجمعة عاشره أرسلوا الى المشايخ والوجاقات وغيرهم فاجتمعوا بالأزبكية وقت الفجر بالمشاعل ودقت الطبول وحضر الحكام والقلات بمواكب وطبول وزمور ونوبات تركية وطبول شامية وملازمون وجاويشية وغير ذلك، وحضر الوكيل وقائمقام وأكابر عساكرهم وركبوا جميعاً بالترتيب من الأزبكية الى أن خرجوا الى العادلية فقابلوا ساري عسكر بونابارته هناك، وسلموا عليه ودخل معهم الى مصر من باب النصر بموكب هائل بعساكرهم وطبولهم وزمورهم وخيولهم وعرباتهم ونسائهم وأطفالهم في نحو خمس ساعات من النهار، الى أن وصل الى داره بالأزبكية وانفض الجمع وضربوا عدة مدافع عند دخولهم المدينة، وقد تغيرت ألوان العسكر القادمين واصفرت ألوانهم وقاسوا مشقة عظيمة من الحر والتعب وأقاموا على حصار عكا أربعة وستين يوماً حرباً مستقيماً ليلاً ونهاراً، وأبلى أحمد باشا وعسكره بلاء حسناً وشهد له الخصم.

وفيه قبضوا على اسمعيل القلق الخربطلي وهو المتولي كتخدا العزب وكان ساكناً بخط الجمالية، وأخذوا سلاحه وأصعدوه الى القلعة وحبسوه، والسبب في ذلك أنه عمل في تلك الليلة وليمة ودعا أحبابه وأصدقاءه وأحضر لهم آلات اللهو والطرب وبات سهراناً بطول الليل، فلما كان آخر الليل غلب عليهم السهر والسكر فناموا الى ضحوة النهار وتأخر عن الملاقاة، فلما أفاق ركب ولاقاهم عند باب النصر فنقموا عليه بذلك وفعلوا معه ما ذكر، ولما وصل ساري عسكر الفرنساوية الى داره بالأزبكية تجمع هناك أرباب الملاهي والبهالوين وطوائف الملاعبين والحواة والقرادين والنساء الراقصات والخلابيض ونصبوا أراجيح مثل أيام الأعياد والمواسم، واستمروا على ذلك ثلاثة أيام، وفي كل يوم من تلك الأيام يعملون شنكاً وحراقات ومدافع وسواريخ، ثم انفض الجمع بعد ما أعطاهم ساري عسكر دراهم وبقاشيش.

وفي يوم الأحد، عزلوا دستان قائمقام وتولى عوضه دوجا الذي كان وكيلاً عن ساري عسكر. وتهيأ المعزول للسفر الى جهة بحري وأصبح مسافراً وصحبته نحو الألف من العسكر، وسافر أيضاً منهم طائفة الى جهة البحيرة.

وفيه طلبوا من طوائف النصارى دراهم سلفة مقدار مائة وعشرين ألف ريال.

وفي خامس عشره أرسلوا الى زوجات حسن بك الجداوي وختموا على دورهن ومتاعهن وطالبوهن بالمال، وذلك لسبب أن حسن بك التف على مراد بك وصار يقاتل الفرنسيس معه. وقد كانت الفرنسيس كاتبت حسن بك وأمنته وأقرته على ما بيده من البلاد، وأن لا يخالف ويقاتل مع الأخصام فلم يقبل منهم ذلك، فلما وقع لنسائه ذلك ذهبن الى الشيخ محمد المهدي ووقعن عليه فصالح عليهن بمبلغ ثلاثة آلاف فرانسة.

وفي تاسع عشره هلك مخاييل كحيل النصراني الشامي وهو من رجال الديوان الخصوصي فجأة وذلك لقهره وغمه، وسبب ذلك أنهم قرروا عليه في السلفة ستة آلاف ريال فرانسة، وأخذ في تحصيلها، ثم بلغه أن أحمد باشا الجزار قبض على شريكه بالشام واستصفى ما وجده عنده من المال، فورد عليه الخبر وهو جالس يتحدث مع إخوانه حصة من الليل فخرجت روحه في الحال.

وفيه كتبوا أوراقاً وطبعوها وألصقوها بالأسواق وذلك بعد أن رجعوا من الشام واستقروا وهي من ترصيف وتنميق بعض الفصحاء.

وصورتها: من محفل الديوان الخصوصي بمحروسة مصر خطاباً لأقاليم مصر الشرقية والغربية والمنوفية والقليوبية والجيزة والبحيرة، النصيحة من الإيمان، قال تعالى في محكم القرآن: ولا تتبعوا خطوات الشيطان، وقال تعالى وهو أصدق القائلين في الكتاب المكنون: ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون، فعلى العاقل أن يتدبر في الأمور قبل أن يقع في المحذور، نخبركم معاشر المؤمنين أنكم لا تسمعوا كلام الكاذبين فتصبحوا على ما فعلتم نادمين، وقد حضر الى محروسة مصر المحمية أمير الجيوش الفرنساوية حضرة بونابارته محب الملة المحمدية ونزل بعسكره في العادلية سليماً من العطب والأسقام، ودخل الى مصر من باب النصر يوم الجمعة في موكب عظيم وشنك جليل فخيم وصحبته العلماء والوجاقات السلطانية وأرباب الأقلام الديوانية وأعيان التجار المصرية، وكان يوماً عظيماً مشهوداً، وخرجت أهل مصر لملاقاته فوجدوه وهو الأمير الأول بذاته وصفاته وظهر لهم أن الناس يكذبون عليه شرح الله صدره للإسلام، والذي أشاع عنه الأخبار الكاذبة العربان الفاجرة والغز الهاربة، ومرادهم بهذه الإشاعة هلاك الرعية وتدمير أهل الملة الإسلامية وتعطيل الأموال الديوانية، لا يحبون راحة العبيد، وقد أزال الله دولتهم من شدة ظلمهم أن بطش ربك لشديد، وقد بلغنا أن الألفي توجه الى الشرقية مع بعض المجرمين من عربان بلي والعيايدة الفجرة المفسدين يسعون في الأرض بالفساد وينهبون أموال المسلمين، إن ربك لبالمرصاد، ويزورون على الفلاحين المكاتيب الكاذبة ويدعون أن عساكر السلطان حاضرة والحال أنها ليس بحاضرة، فلا أصل لهذا الخبر ولا صحة لهذا الأثر، وإنما مرادهم وقوع الناس في الهلاك والضرر مثل ما كان يفعل ابراهيم بك في غزة، حيث كان، ويرسل فرمانات بالكذب والبهتان، ويدعي أنها من طرف السلطان ويصدقه أهل الأرياف خسفاء العقول ولا يقرأون العواقب فيقعون في المصائب وأهل الصعيد طردوا الغز من بلادهم خوفاً على أنفسهم وهلاك عيالهم وأولادهم، فإن المجرم يؤخذ مع الجيران وقد غضب الله على الظلمة ونعوذ بالله من غضب الديان، فكان أهل الصعيد أحسن عقلاً من أهل بحري بسبب هذا الرأي السديد، ونخبركم أن أحمد باشا الجزار سموه بهذا الاسم لكثرة قتله الأنفس، ولا يفرق بين الأخيار والأشرار وقد جمع الطموش

الكثيرة من العسكر والغز والعرب وأسافل العشيرة وكان مراده الاستيلاء على مصر وأقاليمها وأحبوا اجتماعهم عليه لأجل أخذ أموالها وهتك حريمها، ولكن لم تساعده الأقدار، والله يفعل ما يشاء ويختار، وقد كان أرسل بعض هذه العساكر الى قلعة العريش ومراده أن يصل الى قطيا فتوجه حضرة ساري عسكر أمير الجيوش الفرنساوية وكسر عسكر الجزار الذين كانوا في العريش، ونادوا: الفرار الفرار بعدما حصل بعسكرهم القتل والدمار وكانوا نحو ثلاثة آلاف، وملك قلعة العريش وأخذ غزة وهرب من كان فيها، وفروا، ولما دخل غزة نادى في رعيتها بالأمان وأمر بإقامة الشعائر الإسلامية وإكرام العلماء والتجار والأعيان، ثم انتقل الى الرملة وأخذ ما فيها من بقسماط وأرز وشعير وقرب أكثر من ألفي قربة كبار كان قد جهزها الجزار لذهابه الى مصر، ثم توجه الى يافا وحاصرها ثلاثة أيام ثم أخذها وأخذ ما فيها من ذخائر الجزار بالتمام، ومن نحوسات أهلها أنهم لم يرضوا بأمانه و لم يدخلوا تحت طاعته وإحسانه فدور فيهم السيف من شدة غيظه وقوة بأسه وسلطانه وقتل منهم نحو أربعة آلاف أو يزيدون، بعدما هدم سورها وأكرم من كان بها من أهل مصر وأطعمهم وكساهم وجهزهم في المراكب الى مصر، وغفرهم بعسكره خوفاً عليهم من العربان، وأجزل عطاياهم، وكان في يافا نحو خمسة آلاف من عسكر الجزار هلكوا جميعاً وبعضهم ما نجاه إلا الفرار، ثم توجه من يافا الى جبل نابلس فكسر من كان فيه من العساكر بمكان يقال له فاقوم وحرق خمسة بلاد من بلادهم وما قدر كان، ثم أخرب سور عكا وهدم قلعة الجزار التي كانت حصينة لم يبق فيها حجر على حجر، حتى إنه يقال كان هناك مدينة وقد كان بني حصارها وشيد بنيانها في نحو عشرين من السنين، وظلم في بنيانها عباد الله، وهكذا عاقبة بنيان الظالمين، ولما توجه إليه أهل بلاد الجزار من كل ناحية كسرهم كسرة شنيعة، فهل ترى لهم من باقية نزل عليهم كصاعقة من السماء، ثم توجه راجعاً الى

مصر المحروسة لأجل شيئين: الأول: أنه وعدنا برجوعه إلينا بعد أربعة أشهر والوعد عند الحردين.

والسبب الثاني: أنه بلغه أن بعض المفسدين من الغز والعربان يحركون في غيابه الفتن والشرور في بعض الأقاليم والبلدان، فلما حضر سكنت الفتنة وزالت الأشرار والفجرة من الرعية، وحبه لمصر وأقاليمها شيء عجيب ورغبته في الخير لأهلها ونيلها بفكره وتدبيره المصيب، ويرغب أن يجعل فيها أحسن التحف والصناعة، ولما حضر من الشام أحضر معه جملة من الأسارى من خاص وعام وجملة مدافع وبيارق اغتنمها في الحروب من الأعداء والأخصام، فالويل كل الويل لمن عاداه والخير كل الخيرلمن والاه، فسلموا يا عباد الله وارضوا بتقدير الله وامتثلوا لأحكام الله، ولا تسعوا في سفك دمائكم وهتك عيالكم ولا تتسببوا في نهب أموالكم ولا تسمعوا كلام الغز الهربانين الكاذبين ولا تقولوا إن في الفتنة إعلاء كلمة الدين، حاشا الله لم يكن فيها إلا الخذلان وقتل الأنفس وذل أمة النبي عليه الصلاة والسلام. والغز والعربان يطمعوكم ويغروكم لأجل أن يضروكم فينهبوكم، وإذا كانوا في بلد وقدمت عليهم الفرنسيس فروا هاربين منهم كأنهم جند إبليس، ولما حضر ساري عسكر الى مصر أخبر أهل الديوان من خاص وعام أنه يحب دين الإسلام ويعظم النبي عليه الصلاة والسلام ويحترم القرآن ويقرأ منه كل يوم بإتقان، وأمر بإقامة شعائر المساجد الإسلامية وإجراء خيرات الأوقاف السلطانية، وأعطى عوائد الوجاقلية وسعى في حصول أقوات الرعية فانظروا هذه الألطاف والمزية ببركة نبينا أشرف البرية، وعرفنا أن مراده أن يبني لنا مسجداً عظيماً بمصر لا نظير له في الأقطار، وأنه يدخل في دين النبي المختار عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، انتهى بحروفه.

وكان أشيع بمصر قبل مجيئهم وعودهم من الشام بأن ساري عسكر بونابارته مات بحرب عكا وتناقله الناس، وأنهم ولوا

أخلافه، فهذا هو السبب في قولهم في ذلك الطومار: وقد حضر سليماً من العطب فوجدوه هو الأمير الأول بذاته وصفاته الى آخر السياق المتقدم.

وفي ثاني عشرينه، أرسل ساري عسكر جماعة من العسكر وقبضوا على ملا زاده ابن قاضي العسكر ونهبوا بعضاً من ثيابه وكتبه وطلعوا به الى القلعة، فانزعج عليه عياله وحريمه ووالدته انزعاجاً شديداً، وفي صبحها اجتمع أرباب الديوان بالديوان وحضر إليهم ورقة من كبير الفرنسيس قرئت عليهم مضمونها أن ساري عسكر قبض على ابن القاضي وعزله وأنه وجه إليكم أن تقترعوا وتختاروا شيخاً من العلماء يكون من أهل مصر ومولوداً بها، يتولى القضاء ويقضي بالأحكام الشرعية، كما كانت الملوك المصرية يولون القضاء برأي العلماء للعلماء، فلما سمعوا ذلك أجاب الحاضرون بقولهم: إننا جميعاً نتشفع ونترجى عنده في العفو عن ابن القاضي فإنه إنسان غريب، ومن أولاد الناس الصدور وإن كان والده وافق كتخدا الباشا في فعله فولده مقيم تحت أمانكم، والمرجو انطلاقه وعوده الى مكانه فإن والدته وجدته وعياله في وجد وحزن عظيم عليه، وساري عسكر من أهل الشفقة والرحمة، وتكلم الشيخ السادات بنحو ذلك، وزاد في القول بأن قال: وأيضاً إنكم تقولوا دائماً إن الفرنساوية أحباب العثمانية وهذا ابن القاضي من طرف العثملي، فهذا الفعل مما يسيء الظن بالفرنساوية ويكذب قولهم، وخصوصاً عند العامة، فأجاب الوكيل بعدما ترجم له الترجمان بقوله لا بأس بالشفاعة ولكن بعد تنفيذ أمر ساري عسكر في اختيار قاض خلافه وألا تكونوا مخالفين ويلحكم الضرر بالمخالفة، فامتثلوا وعملوا القرعة فطلعت الأكثرية باسم الشيخ أحمد العريشي الحنفي، ثم كتبوا عرضحال بصورة المجلس والشفاعة وكتب عليه الحاضرون، وذهب به الوكيل الى ساري عسكر وعرفه بما حصل وبما تكلم به الشيخ السادات فتغير خاطره عليه وأمر بإحضاره آخر النهار، فلما حضر لامه وعاتبه، فتكلم بينهما الشيخ محمد المهدي ووكيل الديوان الفرنساوي بالديوان حتى سكن غيظه وأمره بالانصراف الى منزله بعد أن عوقه حصة من الليل، فلما أصبح يوم الجمعة عملوا جمعية في منزل دوجا قائمقام وركبوا صحبته الى بيت ساري عسكر ومعهم الشيخ أحمد العريشي، فألبسه فروة مثمنة وركبوا جميعاً الى المحكمة الكبيرة بين القصرين، ووعدهم بالإفراج عن ابن القاضي بعد أربع وعشرين ساعة، وقد كانت عياله انتقلوا من خوفهم الى دار السيد أحمد المحروقي وجلسوا عنده، ولما كان في ثاني يوم أفرجوا عنه ونزل الى عياله وصحبته أرباب الديوان والآغا ومشوا معه في وسط المدينة ليراه الناس ويبطل القيل والقال.

وفي تلك الليلة قتلوا شخصين: أحدهما علي جاويش رئيس الريالة الذي كان بالاسكندرية عند حضور الفرنسيس، والثاني قبطان آخره فلم يزالا بمصر يحبسونهما أياماً ثم يطلقونهما فحبسوهما آخراً فلم يطلقوهما حتى قتلوهما.

وفي صبيحة ذلك اليوم، قتلوا شخصين أيضاً من الأتراك بالرميلة.

وفيه أفرجوا عن زوجات حسن بك الجداوي.

وفي ثامن عشرينه جمعوا الوجاقلية وكتبوا أسماءهم.

وفي تاسع عشرينه، قبضوا على ثلاثة أنفار أحدهم يسمى حسن كاشف من أتباع أيوب بك الكبير، وآخر يسمى أبو كلس والثالث رجل تاجر من تجار خان الخليلي يسمى حسين مملوك الدالي ابراهيم فسجنوهم بالقلعة، فتشفع الشيخ السادات في حسين التاجر المذكور فأطلقوه على خمسة آلاف فرانسة.

واستهل شهر صفر الخير بيوم الجمعة سنة 1214

فيه أفرجوا عن بعض قرابة كتخدا الباشا وكان محبوساً بالجيزة ثم نقل الى القلعة مع كتخدا قريبه فأطلق وبقي الآخر.

وفي يوم الأحد ثالثه، حضر السيد عمر أفندي نقيب الأشراف سابقاً من دمياط الى مصر وكان مقيماً هناك من بعد واقعة يافا، ونزل مع الذين أنزلوهم من يافا الى البحر وفيهم عثمان أفندي العباسي وحسن أفندي كاتب الشهر وأخوه قاسم أفندي وأحمد أفندي عرفة والسيد يوسف العباسي والحاج قاسم المصلي وغيرهم، فمنهم من عوق بالكرنتيلة ومنهم من حضر من البر خفية فحضر بعض الأعيان لملاقاة السيد عمر وركبوا معه، بعد أن مكث هنيهة بزاوية علي بك التي بساحل بولاق، حتى وصل الى داره وتوجه في ثاني يوم مع المهدي وقابل ساري عسكر فبش له ووعده بخير ورد إليه بعض تعلقاته، واستمر مقيماً بداره والناس تغدو وتروح إليه على العادة.

وفي رابعه حضر أيضاً حسن كتخدا الجربان بأمان وكان بصحبته عثمان بك الشرقاوي، وفيه أشيع أن مراد بك ذهب الى ناحية البحيرة فراراً من الفرنسيس الذين بالصعيد.

وفي خامسه قتلوا عبد الله آغا أمير يافا وكان أخذ أسيراً وحبس ثم قتل.

وفيه قتل أيضاً يوسف جربجي أبو كلس ورفيقه حسن كاشف.

وفي سادسه عمل الشيخ محمد المهدي وليمة عرس لزواج أحد أولاده ودعا ساري عسكر وأعيان الفرنساوية فتعشوا عنده وذهبوا.

وفيه أحضروا أربعة عشر مملوكاً أسرى وأصعدوهم الى القلعة، قيل إنهم كانوا لاحقين بمراد بك بالبحيرة فآووا الى قبة يستظلون بها وتركوا خيولهم مع السواس، فنزل عليهم طائفة من العرب فأخذوا الخيول فمروا مشاة، فدل الفلاحون عليهم عسكر الفرنسيس فمسكوهم، وقيل إهم آووا الى بلده وطلبوا منهم غرامة فصالحوهم فلم يرضوا بذلك بدون ما طلبوا، فوعدوهم بالدفع من الغد، وكانوا أكثر من ذلك، وفيهم كاشف من جماعة عثمان بك الطنبرجي فذهب الفلاحون الى الفرنسيس وأعلموهم بمكانهم فحضروا إليهم ليلاً وفر من فر منهم وقتل من قتل وأسر الباقي، وأما الكاشف فيسمى عثمان التجأ الى كبير الفرنسيس فحماه وأخذه عنده وأحضروا الأسرى الى مصر وعليهم ثياب زرق وزعابيط وعلى رؤوسهم عراقي من لباد وغيره وأصعدوهم الى القلعة وقتلوا منهم في ثاني ليلة أشخاصاً.

وفي تاسعه، أحضروا أيضاً ستة أشخاص من المماليك وأصعدوهم الى القلعة وفي ذلك اليوم قتلوا أيضاً نحو العشرة من الأسرى المحابيسز.

وفي يوم الأحد عاشره ركب في عصريته ساري عسكر وعدى الى بر الجيزة وتبعته العساكر، ولم يعلم سبب ذلك، ولما صاروا بالجيزة ضربوا نجع البطران ودهشور بسبب نزول مراد بك عندهم، وفي هذا اليوم ظهر أن مراد بك رجع ثانياً الى الصعيد وشاع الخبر أيضاً أن عثمان بك الشرقاوي وسليمان آغا الوالي وآخرين مروا من خلف الجبل وذهبوا الى ناحية الشرق، فخرج عليهم جماعة من العسكر وفيهم برطلمين يني الرومي رئيس عسكر الأروام ومعهم عدة وافرة من أخلاط العسكر أروام وقبط والمماليك المنضمة إليهم وبعض فرنساوية. فأدركوهم بالقرب من بلبيس وأتوهم من خلاف الطريق المسلوكة، فدهموهم على

حين غفلة. وكان عثمان بك يغتسل، فلما أحسوا بهم بادروا للفرار وركبوا وركب عثمان بك بقميص واحد على جسده وطاقية فوق رأسه وهربوا، وتركوا ثيابهم ومتاعهم وحملتهم، وقدور الطعام على النار، ولم يمت منهم إلا مملوكان وأسروا منهم إثنين، ووجدوا على فراش عثمان بك مكاتبة من ابراهيم بك يستدعيهم الى الحضور إليه بالشام.

وفي ليلة الاثنين حادي عشره وردت أخبار ومكاتيب مع السعاة لبعض الناس من الاسكندرية وأبي قير وأخبروا بأنه وردت مراكب فيها عسكر عثمانية الى أبي قير فتبين أن حركة الفرنساوية وتعديتهم الى البر الغربي بسبب ذلك، وأخذوا صحبتهم جرجس الجوهري وفي ضحوة اليوم الثاني عدى الكثير من العسكر أيضاً واهتم حنا بينو المتولي على بحر بولاق بجمع المراكب وشحنها بالقومانية والذخيرة، وداخل الفرنساوية من ذلك وهم كبير، ولما عدى كبيرهم الى بر الجيزة أقام يوم الاثنين عند الأهرام حتى تجمعت العساكر وبعث بالمقدمة. وركب هو في يوم الثلاثاء ثاني عشره، وأرسل مكتوباً الى أرباب الديوان بالسلام عليهم والوصية بالمحافظة وضبط البلد والرعية كما فعلوا في غيبته السابقة.

وفي سادس عشره، ورد الخبر بأن عثمان خجا وصل الى قلعة أبي قير صحبة السيد مصطفى باشا فضربوا على القلعة وقاتلوا من بها من الفرنشاوية وملكوها وأسروا من بقي بها وعثمان خجا هذا هو الذي كان متولياً إمارة رشيد من طرف صالح بك وحج معه ورجع صحبته الى اشام، فلما توفي صالح بك سافر الى الديار الرومية وحضر صحبة مصطفى باشا المذكور. فلما تحققت هذه الأخبار كثر اللغط في الناس وأظهروا البشر وتجاهروا بلعن النصارى، واتفق أنه تشاجر بعض المسلمين بحارة البرابرة بالقرب من كوم الشيخ سلامة مع بعض نصارى الشوام، فقال المسلم للنصراني إن شاء الله تعالى بعد أربعة أيام نشتفي منكم وكلام من هذا المعنى، فذهب هذا النصراني الى الفرنسيس مع عصبة من جنسه وأخبروهم بالقصة وزادوا وحرفوا وعرفوهم أن قصد المسلمين إثارة فتنة، فأرسل قائمقام الى الشيخ المهدي وتكلم معه في شأن ذلك وحاججه وأصبحوا فاجتمعوا بالديوان، فقام المهدي خطيباً وتكلم كثيراً ونفى الريبة وكذب أقوال الأخصام، وشدد في تبرئة المسلمين، عما نسب إليهم وبالغ في الحطيطة والانتقاص من جانب النصارى، وهذا المقام من مقاماته المحمودة، ثم جمعوا مشايخ الأخطاط والحارات.

وفي ثامن عشره، وردت أخبار وعدة مكاتيب لكثير من الأعيان والتجار، وكلها على نسق واحد تزيد عن المائة، مضمونها بأن المسلمين وعسكر العثمانيين ومن معهم ملكوا الاسكندرية في ثالث ساعة من يوم السبت سادس عشر صفر، فصار الناس يحكي بعضهم لبعض، ويقول ابعض: أنا قرأت المكتوب الواصل الى فلان التاجر، ويقول الآخر مثل ذلك، ولم يكن لذلك أصل ولا صحة ولم يعلم من فعل هذه الفعلة واختلق هذه النكتة، ولعلها من فعل بعض النصارى البلديين ليوقعوا بها فتنة في الناس ينشأ منها القتل فيهم والأذية لهم وسبحان الله علام الغيوب.

وفي ليلة الأربعاء عشرينه، أشيع أن الفرنساوية تحاربوا مع العساكر الواردين على أبي قير. وأخذوا مصطفى باشا أسيراً وكذلك عثمان خجا وغيرهم، وأخبر الفرنسيس أنه حضرت لهم مكاتبة بذلك من أكابرهم، فلما طلع النهار ضربوا مدافع كثيرة من قلعة الجبل وباقي القلاع المحيطة وبصحن الأزبكية وعملوا في ليلتها، أعني ليلة الأربعاء، حراقة بالأزبكية من نفوط وبارود وسواريخ تصعد في الهواء.

وفي يوم الخميس ثامن عشرينه، وصلت عدة مراكب وبها أسرى وعساكر جرحى، وكذلك يوم الجمعة تاسع عشرينه حضرت مكاتبة من الفرنسيس بحكاية الحالة التي وقعت لم أقف على صورتها.

واستهل ربيع الأول بيوم السبت سنة 1214

في ثانيه، وصلت مراكب من بحري وفيها جرحى من الفرنساوية.

وفيه قبضوا على الحاج مصطفى البشتيلي الزيات من أعيان أهالي بولاق وحبسوه ببيت قائمقام، والسبب في ذلك أن جماعة من جيرانه وشوا عنه بأنه يدخل بعض حواصله الذي في وكالته عدة قدور مملوءة بالبارود فكبسوا على الحواصل فوجدوا بها ذلك أخبر الواشي فأخذوها وقبضوا عليه وحبسوه كما ذكر ثم نقلوه الى القلعة.

وفي سادسه، حضر أيضاً جملة من العسكر وكثر لغط الناس على عادتهم في رواية الأخبار.

وفيه حضرت حجاج المغاربة ووصلت صحبة الحج الشامي وأخبروا أنهم حجوا صحبته وأمير الحاج الشامي عبد الله باشا ابن العظم.

وفي ليلة الأحد تاسعه، حضر ساري عسكر الفرنساوية بونابارته ودخل الى داره بالأزبكية وحضر صحبته عدة أناس من أسرى المسلمين، وشاع الخبر بحضوره فذهب كثير من الناس الى الأزبكية ليتحققوا الخبر على جليته، فشاهدوا الأسرى وهم وقوف في وسط البركة ليراهم الناس، ثم أنهم صرفوهم بعد حصة من النهار فأرسلوا بعضهم الى جامع الظاهر خارج الحسينية، وأصعدوا باقيهم الى القلعة، وأما مصطفى باشا ساري عسكر فإنهم لم يقدموا به لمصر بل أرسلوه الى الجيزة مكرماً وأبقوا عثمان خجا بالاسكندرية، ولما استقر بونابارته في مترله ذهب للسلام عليه المشايخ والأعيان وسلموا عليه، فلما استقر بهم المجلس قال لهم على لسان الترجمان إن ساري عسكر يقول لكم، إنه لما سافر الى الشام كانت حالتكم طيبة في غيابه، وأما في هذه المرة فليس كذلك لأنكم كنتم تظنون أن الفرنسيس لا يرجعون بل يموتون عن آخرهم، فكنتم فرحانين ومستبشرين وكنتم تعارضون الآغا في أحكامه، وإن المهدي والصاوي ما هم بونو أي ليسوا بطيبين ونحو ذلك، وسبب كلامه هذا الحكاية المتقدمة التي حبسوا بسببها مشايخ الحارات، فإن الآغا الخبيث كان يريد أن يقتل في كل يوم أناساً بأدنى سبب فكان المهدي والصاوي يعارضانه ويتكلمان معه في الديوان ويوبخانه ويخوفانه سوء العاقبة، وهو يرسل الى ساري عسكر فيطالعه بالأخبار ويشكو منهما، فلما حضر عاتبهم في شأن ذلك فلاطفوه حتى انجلى خاطره وأخذ يحدثهم على ما وقع له من القادمين الى أبي قير والنصر عليهم وغير ذلك.

وفي يوم الثلاثاء حادي عشره، عمل المولد النبوي بالأزبكية ودعا الشيخ خليل البكري ساري عسكر الكبير مع جماعة من أعيانهم وتعشوا عنده وضربوا ببركة الأزبكية مدافع وعملوا حراقة وسواريخ ونادوا في ذلك اليوم بالزينة وفتح الأسواق والدكاكين ليلاً وإسراج قناديل واصطناع مهرجان، وورد الخبر بأن الفرنسيس أحضروا عثمان خجا ونقلوه من الاسكندرية الى رشيد فدخلوا به البلد وهو مكشوف الرأس حافي القدمين وطافوا به البلد يزفونه بطبولهم حتى وصلوا به الى داره، فقطعوا رأسه تحتها ثم رفعوا رأسه وعلقوها من شباك داره ليراها من يمر بالسوق.

وفي ثالث عشره، أشيع بأن كبير الفرنسيس سافر الى جهة بحري و لم يعلم أحد أي جهد يريد، وسئل بعض أكابرهم فأخبر أن ساري عسكر المنوفية دعاه لضيافته بمنوف حين كان متوجهاً الى ناحية أبي قير ووعده بالعود إليه بعد وصوله الى مصر، وراج ذلك على الناس وظنوا صحته.

ولما كان يوم الاثنين سادس عشره، خرج مسافراً من آخر الليل وخفي أمره على الناس.

وفي يوم الاثنين رابع عشرينه الموافق التاسع مسرى القبطي، كان وفاء النيل المبارك فنودي بوفائه على العادة، وخرج النصارى من القبطة والشوام والأروام وتأهبوا للخلاعة والقصف والتفرج واللهو والطرب، وذهبوا تلك الليلة الى بولاق ومصر العتيقة والروضة واكتروا المراكب ونزلوا فيها وصحبتهم الآلات والمغاني وخرجوا في تلك الليلة عن طورهم ورفضوا الحشمة وسلكوا مسلك الأمراء سابقاً من النزول في المراكب الكثيرة المقاذيف وصحبتهم نساؤهم وقحابهم و شرابهم وتجاهروا بكل قبيح من الضحك والسخرية والكفريات ومحاكاة المسلمين، وبعضهم تزيا بزي أمراء مصر وليس سلاحاً وتشبه بهم وحاكى ألفاظهم على سبيل الاستهزاء والسخرية وغير ذلك، وأجرى الفرنساوية المراكب المزينة وعليها البيارق وفيها أنواع الطبول والمزامير في البحر، ووقع في تلك الليلة بالبحر وسواحله من الفواحش والتجاهر بالمعاصي والفسوق ما لا يكيف ولا يوصف، وسلك بعض غوغاء العامة وأسافل العالم ورعاعهم مسالك تسفل الخلاعة ورذالة الرقاعة بدون أن ينكر أحد على أحد من الحكام أو غيرهم، بل كل إنسان يفعل ما تشتهيه نفسه وما يخطر بباله وإن لم يكن من أمثاله.

وأكثر الفرنسيس في تلك الليلة وصباحها من رمي المدافع والسواريخ من المراكب والسواحل وباتوا يضربون أنواع الطبول والمزامير، وفي الصباح ركب دوجا قائمقام وصحبته أكابر الفرنسيس وأكابر أهل مصر وحضروا الى قصر السد وجلسوا به، واصطفت العساكر ببر الروضة وبر مصر القديمة بأسلحتهم وطبولهم وبعضهم في المراكب لضرب المدافع المتتالية الى أن انكسر السد وجرى الماء في الخليج فانصرف.

وفي خامس عشرينه، طلبوا من كل طاحون من الطواحين فرساً.

وفي سادس عشرينه، كتبوا أوراقاً وألصقوها بالأسواق مضمونها أن الناس يذهبون الى بولاق يوم التاسع والعشرين ليحضروا سوق الخيل ويشتروا ما أحبوا من الخيل.

وفيه، ألصقوا أوراقاً أيضاً مضمونها بأن من كان عليه مال ميري ملزوم بغلاقه، ومن لم يغلق ما عليه بعد مضي عشرين يوماً عوقب بما يليق به، ونادوا بموجب ذلك بالأسواق.

وفي سابع عشرينه، كتبوا أوراقاً أيضاً مضمونها انقضاء سنة مؤاجرات أقلام المكوس ومن أراد استثمار شيء من ذلك فليحضر الى الديوان ويأخذ ما يريد بالمزاد.

وفيه أفرج عن الأنفار التي قدم بها الفرنساوية من غزة وحبست بالقلعة على مصلحة خمسة وسبعين كيساً دفعوا بعضها وضمنهم أهل وكالة الصابون في البعض الباقي، فأنزلوهم من القلعة على هذا الاتفاق بشرط أن لا يسافر منهم أحد إلا بعد غلاق ما عليه.

وفي ثامن عشرينه، تشفع أرباب الديوان في أهل يافا المسجونين بالقلعة أيضاً فوقع التوافق معهم على الإفراج عنهم بمصلحة

مائة كيس فاجتمع الرؤساء والتجار وترووا واشتوروا في مجلس خاص بينهم فاتفق الحال على تقسيطها وتأجيلها في كل عشرين يوماً خمسة وعشرين كيساً فدفع التجار خمسة وعشرين كيساً وأفرج عنهم من القلعة وأجلوا الباقي على الشرح المذكور.

وفيه ورد من بونابارته ساري عسكر الفرنساوية كتاب من الاسكندرية خطاباً لأهل مصر وسكانها فأحضر قائمقام دوجا الرؤساء المصرية وقرأ عليهم الكتاب، مضمونه أنه سافر يوم الجمعة حادي عشرين الشهر المذكور الى بلاد الفرنساوية لأجل راحة أهل مصر وتسليك البحر فيغيب نحو ثلاثة أشهر، ويقدم مع عساكره فإنه بلغه خروج عمارتهم ليصفوا له ملك مصر ويقطع دابر المفسدين، وأن المولى على أهل مصر وعلى رياسة الفرنساوية جميعاً كهلبر ساري عسكر دمياط، فتحير الناس وتعجبوا في كيفية سفره ونزوله البحر مع وجود مراكب الانكليز ووقوفهم بالثغر ورصدهم الفرنساوية من وقت قدومهم الديار المصرية صيفاً وشتاء، ولكيفية خلوصه وذهابه أنباء وحيل لم أقف على حقيقتها.

وفي يوم السبت تاسع عشرينه، قدم ساري عسكر كلهبر صبيحة ذلك اليوم فضربوا لقدومه المدافع من جميع القلاع وتلقته كبار الفرنساوية وأصاغرهم وذهب الى بيت بونابارته الذي كان ساكناً به وهو بيت الألفي بالأزبكية وسكن مكانه، وفي ذلك اليوم قدمت طائفة من العسكر من جهة الشرقية وصحبتهم منهوبات كثيرة من بلد عصت عليهم فضربوها ونهبوها ومعهم السبعين من الرجال والصغار وبعض النساء وهم موثوقون بالحبال فسجنوهم بالقلعة.

وفيه ذهب أكابر البلد من المشايخ والأعيان لمقابلة ساري عسكر الجديد للسلام عليه فلم يجتمعوا به ذلك اليوم ووعدوا الى الغد، فانصرفوا وحضروا في ثاني يوم فقابلوه فلم يروا منه بشاشة ولا طلاقة وجه مثل بونابارته، فإنه كان بشوشاً ويباسط الجلساء ويضحك معهم.

واستهل شهر ربيت الثاني بيوم الأحد سنة 1214

في أوائله، ابتدأوا في عمل مولد المشهد الحسيني وقهروا الناس وكرروا المناداة بفتح الحوانيت والسهر ووقود القناديل عشر ليالي متوالية آخرها ليلة الخميس ثاني عشره.

وفيه، طلب ساري عسكر الجديد من نصارى القبط مائة وخمسين ألف ريال فرانسة في مقابله بواقي سنة 1212، وشرعوا في تحصيلها.

وفي يوم الجمعة سادسه ركب ساري عسكر الجديد، من الأزبكية ومشى في وسط المدينة في موكب حافل حتى صعد الى اقلعة، وكان أمامه نحو الخمسمائة قواس وبأيديهم النبابيت وهم يأمرون الناس بالقيام والوقوف على الأقدام لمروره، وكان صحبته عدة كثيرة من خيالة الإفرنج وبأيديهم السيوف المسلولة والوالي والآغا وبرطلمين بمواكبهم، وكذلك القلقات والوجاقلية وكل من كان مولى من جهتهم ومنضماً إليهم ما عدا رؤساء الديوان من الفقهاء فلم يطلبوهم للحضور ولا للمشي في ذلك الموكب، ولما صعد الى القلعة ضربوا له عدة مدافع وتفرج على القلعة ثم نزل بذلك الموكب الى داره.

وفي يوم السبت سابعه، ركب أغات الينكجرية في أبهة عظيمة وجبروت وأمامه عدة من عسكر الفرنسيس، وأمامه المنادي يقول: حكم ما رسم ساري عسكر خطاباً للآغا: إن جميع الدعاوى والقضايا العامية لا تعمل إلا ببيت الآغا، وكل من تعدى

من الرعايا أو وقع منه قلة أدب يستأهل ما يجري عليه.

وفيه ركب ساري عسكر الكبير في موكب دون الأول ووصل الى بيت رئيس الديوان الشيخ عبد الله الشرقاوي ثم رجع الى داره.

وفي يوم الأحد ثامنه، عمل ساري عسكر وليمة في بيته ودعا الأعيان والتجار والمشايخ فتعشوا عنده ثم انصرفوا الى ديارهم.

وفي يوم الثلاثاء عاشره، كان آخر المولد الحسيني وحضر ساري عسكر الفرنساوية مع أعيانهم الى بيت شيخ السادات بعد العصر في موكب عظيم، وأمامه الآغا والمحتسب وعدة كبيرة من عسكرهم وبيدهم السيوف المسلولة، فتعشوا هناك وركبوا بعد المغرب وشاهدوا وقود القناديل.

وفي سادس عشره، نودي بنشر الحوائج، وكتبوا بذلك أوراقاً وألصقوها بالأسواق، وشددوا في ذلك بالتفتيش والنظر بجماعة من طرف مشايخ الحارات، ومع كل منهم عسكري من طرف الفرنساوية وامرأة أيضاً للكشف عن أماكن النساء، فكان الناس يأنفون من ذلك ويستثقلونه ويستعظمونه وتحدثهم أوهامهم بأمور يتخيلونها، كقولهم: إنما يريدون بذلك الاطلاع على أماكن الناس ومتاعهم مع أنه لم يكن شيء سوى التخوف من العفونة والوباء.

وفي عشرينه نودي بعمل مولد السيد علي البكري المدفون بجامع الشرايبي بالأزبكية بالقرب من الرويعي، وأمروا الناس بوقود قناديل بالأزقة في تلك الجهات وأذنوا لهم بالذهاب والمجيء ليلاً ونهاراً من غير حرج، وقد تقدم ذكر بعض خبر هذا السيد وأنه كان رجلاً من البله وكان يمشي بالأسواق عرياناً مكشوف الرأس والسوأتين غالباً، وله أخ صاحب دهاء ومكر لا يلتئم به، واستمر على ذلك مدة سنين، ثم بدا لأخيه فيه أمر لما رأى من ميل الناس لأخيه واعتقادهم فيه كما هي عادة أهل مصر في أمثاله، فحجر عليه ومنعه من الخروج من البيت وألبسه ثياباً وأظهر للناس أنه أذن له بذلك وأنه تولى القطبانية ونحو ذلك، فأقبلت الرجال والنساء على زيارته والتبرك به وسماع ألفاظه والإنصات إلى تخليطاته وتأويلها بما في نفوسهم، وطفق أخوه المذكور يرغبهم ويبث لهم في كراماته وأنه يطلع على خطرات القلوب والمغيبات وينطق بها في النفوس، فانهمكوا على الترداد إليه وقلد بعضهم بعضاً وأقبلوا عليه بالهدايا والنذور والإمدادات الواسعة من كل شيء وخصوصاً من نساء الأمراء والأكابر، وراج حال أخيه واتسعت أمواله ونفقت سلعته وصادت شبكته وسمن الشيخ من كثرة الأكل والدسومة والفراغ والراحة، حتى صار مثل البو العظيم، فلم يزل على ذلك الى أن مات في سنة سبع بعد المائتين كما تقدم، فدفنوه بمعرفة أخيه في قطعة حجر عليها من هذا المسجد من غير مبالاة ولا مانع، وعمل عليه مقصورة ومقاماً وواظب عنده بالمقرئين والمداحين وأرباب الأشاير والمنشدين بذكر كراماته وأوصافه في قصائدهم ومدحهم ونحو ذلك، ويتواجدون ويتصارخون ويمرغون وجوههم على شباكه وأعتابه، ويغرفون بأيديهم من الهواء المحيط به ويضعونه في أعبابهم، وصار ذلك المسجد مجمعاً وموعداً، فلما حضر الفرنساوية الى مصر تشاغل عنه الناس وأهمل شأنه في جملة المهملات وترك مع المروكات، فلما فتح أمر الموالد والجمعيات ورخص الفرنساوية ذلك للناس لما رأوا فيه من الخروج عن الشرائع واجتماع النساء واتباع الشهوات والتلاهي وفعل المحرمات، أعيد هذا المولد مع جملة ما أعيد.

واستهل شهر جمادى الأولى بيوم الجمعة سنة 1214

فيه اهتم الفرنسيس بعمل عيدهم المعتاد وهو عند الاعتدال الخريفي وانتقال الشمس لبرج الميزان، فنادوا بفتح الأسواق والدكاكين ووقود القناديل، وشددوا في ذلك وعملوا عزائم وولائم وأطعمة ثلاثة أيام آخرها يوم الإثنين، و لم يعملوه على هيئة العام الماضي من الاجتماع بالأزبكية عند الصاري العظيم المنتصب والكيفية المذكورة، لأن ذلك الصاري سقط وامتلأت البركة بالماء، فلما كان يوم الأحد نبهو على الأمراء والأعيان بالبكور الى بيت ساري عسكر. فاجتمع الجمع في صبح يوم الإثنين، فركب ساري عسكر معهم في موكب كبير وذهبوا الى قصر العيني فمكثوا هناك حصة وعرضت عليهم العساكر جميعها على اختلاف أنواعها من خيالة ورجالة وهم بأسلحتهم وزينتهم، ولعبوا لعبهم في ميدان الحرب، وخلع ساري عسكر على الشيخ الشرقاوي والقاضي وأغات الينكجرية خلع سمور، ثم رجع الى منازلهم، ثم نودي في جميع الأسواق بوقود أربع قناديل على كل دكان في تلك الليلة، ومن لم يفعل ذلك عوقب. ثم عملوا بالأزبكية حراقة نفوط ومدافع وسواريخ ولعبوا في المراكب طول ليلهم.

وفي سابعه، بعد عيد الصليب نقص ماء النيل وكان من أول زيادته قاصراً عن العادة وزيادته شحيحة، فضج الناس وانكبوا على شراء الغلة وازدحموا في الرقع والسواحل وطلب باعة الغلة الزيادة في السعر، فجمع الفرنساوية كل من كان له مدخل في تجارة الغلال وزجروهم وخوفوهم، وقالوا لهم: هذه الغلة الموجودة الآن إنما هي زراعة العام الماضي، وأما هذا العام فلا تخرج زراعته إلا في العام المقبل، فانزجروا وباعوا بالسعر الحاضر، وقد كاد يقع الغلاء العظيم لولا ألطاف الله ورحمته ونعمه العميمة الشاملة حصلت.

وفيه أرسلوا جملة عساكر من الفرنساوية الى مراد بك بناحية الفيوم وعليهم كبير فوقع بينهم وبينه أمور لم أتحقق تفصيلها، وترددت بينه وبين ساري عسكر الرسل والمراسلات ووقع بينه وبينهم الهدنة والمهاداة، واصطلح معهم على شروط منها تقليده إمارة الصعيد تحت حكمهم. وفي هذا الشهر كثرت الإشاعة باجتماع عساكر عثمانية جهة الشام، فكثر اهتمام الفرنساوية بإخراج الجيخانات والمدافع وآلات الحرب والقومانية والعساكر وتحصين الصالحية والفرين وبلبيس.

واستهل شهر رجب بيوم الجمعة سنة 1214

وفيه، كثرت الأقوال وتواترت الأخبار بوصول الوزير الأعظم يوسف باشا الى الديار الشامية وصحبته نصوح باشا وعثمان آغا كتخدا الدولة وحسين آغا نزله أمين ومصطفى أفندي الدفتردار وباقي رجال الدولة، وعسفوا في البلاد الشامية وضربوا عليهم الضرائب العظيمة وجبوا الأموال، فلما كان في منتصفه وردت الأخبار بوصولهم الى غزة والعريش وأنهم حاصروا قلعة العريش وقاتلوا من بها من عسكر الفرنساوية حتى ملكوها في تاسع عشره. واحتووا على ما كان فيها من الذخيرة والجبخانة وآلات الحرب، وصعد مصطفى باشا الذي باشر أخذ القلعة مع جملة من العسكر وبعض الأجناد المصرية وضربت النوبة وحصل لهم الفرح العظيم، فاتفق أنه وقعت نار على مكان الجبخانة والبارود المخزون بالقلعة، وكان شيئاً كثيراً فاشتعلت وطارت القلعة بمن فيها واحترقوا وماتوا وفيهم الباشا المذكور ومن معه ومحمد آغا أرنؤد الجلفي وغيره من المصرلية، ومات كثير ممن كان خارجاً عنها وبقربها مما نزل عليهم من النار والأحجار المتطايرة في أسرع وقت، ولما تحقق الفرنساوية أخذ

العريش وأن عساكر العثمانيين زاحفة الى جهة الصالحية تهيأ ساري عسكر الفرنساوية واستعد للخروج والسفر في أسرع وقت، وخرج بعساكره وجنوده الى الصالحية وقد كان قبل أخذ العثمانيين قلعة العريش أرسل الفرنساوية الى سينت كبير الانكليز مراسلات ليتوسط بينهم وبين العثمانيين، ثم ورد فرمان من حضرة الوزير قبل وصوله لجهة العريش خطاباً الى جمهور الفرنساوية باستدعاء رجلين من رؤسائهم وعقلائهم ليتشاور معهم ويتفق معهم على أمر يكون فيه المصلحة للفريقين على ما سيشترطونه بينهم، فوجهوا إليه من طرفهم بوسليك رئيس الكتاب وديزه ساري عسكر الصعيد، فترلوا في البحر على دمياط وطالت مدة غيابهم وبعث كلهبر ساري عسكر رسلاً من طرفه لاستفسار الأخبار.

واستهل شهر شعبان المعظم سنة 1214

فورد الخبر بقدومهما في اثنين وعشرين فيه الى الصالحية، فأرسلوا لهما الخيول وما يحتاجان إليه وحضرا الى مصر، وشاع أمر الصلح وحضر من طرف العثمانيين رئيس الكتاب والدفتردار لتقرير الصلح، وجنح كل من الفريقين الى ذلك لما فيه من كف الحرب وحقن الدماء، وأظهر الفرنساوية الخداع والخضوع حتى تم عقد الصلح على اثنين وعشرين شرطاً رسمت وطبعت في طومار كبير، وورد الخبر بذلك الى مصر وفرح الناس بذلك فرحاً شديداً. وأرسل ساري عسكر الفرنساوية مكاتبة بصورة الحال الى دوجا قائمقام، فجمع أهل الديوان وقرأ عليهم ذلك، ولما ورد ذلك الطومار المتضمن لعقد الصلح والشروط وعربوه وطبعوا منه نسخاً كثيرة فرقوا منها على الأعيان وألصقوا منها بالأسواق والشوارع.

وصورته: بما فيه من الفصول والشروط بالحرف الواحد ما عدا ترجمة الأسطر التي باللغة الفرنساوية وهذه صورة الشروط الواقعة لخلو مصر ما بين حضرة الجنرال ديزه متفرقة وحضرة بسليغ مدير الحدود العام نواب ساري العسكر العام كلهبر المفوضين بكامل السلطان. وجناب سامي المقام مصطفى رشيد أفندي دفتردار ومصطفى راسيه أفندي رئيس كتاب الوكلاء المفوضين بكامل السلطان عن جناب حضرة الوزير سامي المقام، أن للجيش الفرنساوي بمصر عندما قصد أن يوضح ما في نفسه من وفور الشوق لحقن الدماء ويرى نهاية الخصام المضر الذي قد حصل ما بين المشيخة الفرنساوية والباب العالي، فقد ارتضى أن يسلم بخلو الإقليم المصري بحسب هذه الشروط الآتي ذكرها، يأمل أن بهذا التسليم يمكن أن يتجه ذلك الى صلح العام في بلاد المغرب قاطبة.

الشرط الأول – أن الجيش الفرنساوي يلزمه أن يتنحى بالأسلحة والعزال بالأمتعة الى الاسكندرية ورشيد وأبو قير لأجل أن يتوجه وينتقل بالمراكب الى فرانسا إن كان ذلك في مراكبهم الخاص بهم أم في تلك التي يقتضي للباب العالي أن يقدمها لهم بقدر الكفاية، ولأجل تجهيز المراكب المذكورة بأقرب نوال فقد وقع الاتفاق بعد مضي شهر واحد من تقرير هذه الشروط يتوجه الى قلعة اسكندرية نائب من قبل الباب العالي وصحبته خمسون نفراً.

الشرط الثاني – فلا يدعن المهلة وتوقيف الحرب بمدة ثلاثة أشهر بالإقليم المصري وذلك من عهد إمضاء شروط الاتفاق هذه، وإذا صادف الأمر أن هذه المهلة تمضي قبل أن المراكب الواجب تجهيزها من قبل الباب العالي تحضر جاهزة، فالمهلة المذكورة يقتضي مطاولتها الى أن ينجز الرحيل على التمام والكمال، ومن الواضح أنه لابد عن إصراف الوسايط الممكنة من قبيل

الفريقين لكي لا يحصل ما يمكن وقوعه من التجسس، إن كان ذلك من الجيش أم من أهل البلاد إذا كانت هذه المهلة قد حصل الاتفاق بها لأجل راحتهم.

الشرط الثالث – فرحيل الجيش الفرنساوي يقتضي تدبيره بيد الوكلاء القادمين لهذه الغاية من قبل الباب الأعلى وساري العسكر كلهبر، وإذا حصل خصام ما بين الوكلاء المذكورين بوقت الرحيل في هذا الصدد فلينتخب من قبل حضرة سيد نهي سميت رجل لينهي المخاصمات المذكورة بحسب قواعد السياسة البحرية السالكون عليها ببلاد الانكليز.

الشرط الرابع – قطية والصالحية لابد من خلوهما عن الجيش الفرنساوي في ثامن يوم وأعظم ما يكون في عاشر يوم من إمضاء شروط الاتفاق هذه، ومدينة المنصورة يكون خلوها من بعد خمسة عشر يوماً، وأما دمياط وبلبيس من بعد عشرين يوماً، وأما السويس فيكون خلوه ستة أيام قبل مدينة مصر، وأما المحلات الكائنة في الجهة الشرقية من بحر النيل فيكون خلوها في اليوم العاشر، والدلطا أي الإقليم البحرية يكون خلوها خمسة عشر يوماً من بعد خلو مصر. ولكن من حيث أنها لابد أن تستمر بيد الفرنساوية الى أن يكون انحدار العسكر من جهات الصعيد فجهة الغربية وتعلقاتها كما ذكر فممكن أنه لا يتيسر خلوها إلا من بعد انقضاء وقت المهلة المعين إذا لم يمكن خلوها قبل هذا الميعاد، والمحلات التي تترك من الجيش فتسلم الى الباب الأعلى كما هي في حالها الآن.

الشرط الخامس – ثم إن مدينة مصر إن أمكن ذلك يكون خلوها بعد أربعين يوماً وأكثر ما يكون بمدة خمسة وأربعين يوماً من وقت إمضاء الشروط المذكورة.

الشرط السادس – إنه لقد وقع الاتفاق صريحاً على أن الباب الأعلى يصرف كل اعتناء في أن الجيش الفرنساوي الموجود في الجهة الغربية من بحر النيل عندما يقصد التنحي: بكامل ما له من السلاح والعزال لنحو معسكرهم لا تصير عليه مشقة ولا أحد يشوش عليه، إن كان ذلك مما يتعلق بشخص كل واحد منهم أو بأمتعته أو بكرامته، وذلك إما من أهالي البلاد وإما من جهة العسكر السلطاني العثملي.

الشرط السابع – وحفظاً لإتمام الشرط المذكور أعلاه وملاحظة لمنع ما يمكن وقوعه من الخصام والمعاداة فلابد عن استعمال الوسائط في أن عسكر الإسلام يكون دائماً متباعداً عن العسكر الفرنساوي.

الشرط الثامن – فمن تقرير وإمضاء هذه الشروط فكل من كان من الإسلام أم من باقي الطوائف من رعايا البلم الأعلى بدون تمييز الأشخاص أولئك الواقع عليها الضبط أم الذين واقع عليهم الترسيم ببلاد فرانسا أو تحت أمر الفرنساوية بمصر يعطى لهم الإطلاق والتعلق. وبمثل ذلك فكل الفرنساوية المسجونين في كامل البلدان والأساكل من مملكة العثملي وكذلك كامل الأشخاص من أيما طائفة كانت أولئك الذين كانوا في تعلق خدمة المراسلات والقناصل الفرنساوية لابد عن انعتاقهم.

الشرط التاسع – فترجيع الأموال والأملاك المتعلقة بسكان البلاد والرعايا من الفريقين أم دفع مبالغ أثمانها لأصحابها فيكون الشروع به حالاً من بعد خلو مصر، والتدبير في ذلك يكون بيد الوكلاء في اسلامبول المقامين بوجه خاص من الفريقين لهذا الصدد.

الشرط العاشر – فلا يحصل التشويش لأحد من سكان الإقليم المصري من أي ملة كانت. وذلك لا في أشخاصهم ولا في

أموالهم نظراً الى ما يمكن أن يكون قد حصل من الاتحاد ما بينهم وبين الفرنساوية من إقامتهم بأرض مصر.
الشرط الحادي عشر – ولابد أن يعطى للجيش الفرنساوي إن كان من قبل الباب الأعلى أو من قبل المملكتين المرتبطين معه، أعني بها مملكة انكلترة ومملكة المسكوب، فرمانات الإذن والأوراق المحافظة بالطريق وبمثل ذلك السفن اللازمة لرجع الجيش المذكور بالأمن والأمان الى بلاد فرانسا.
الشرط الثاني عشر – وعند نزول الجيش الفرنساوي المذكور الكائن بمصر الآن فالباب الأعلى وباقي الممالك المتحدة معه يعاهدون بأجمعهم أنهم من وقت يترلون بالمراكب الى حين وصولهم الى أراضي فرانسا لا يحصل عليهم شيء قط مما يكدرهم، وبنظير ذلك فحضرة الجنرال كلهبر ساري العسكر لعام يعاهد من قبله وصحبته الجيش الفرنساوي الكائن بمصر بأنه لا يصدر منهم ما يؤول الى المعاداة على الإطلاق، مادامت المدة المذكورة وذلك لا ضد العمارة ولا ضد بلدة من بلدان الباب الأعلى وباقي الممالك المرتبطة معه، وكذلك أن السفن التي يسافر بها الجيش المشار إليه ليس لها أن ترى في حد من الحدود إلا بتلك التي تختص بأراضي فرانسا ما لم يكن ذلك في حادث ما ضروري.
الشرط الثالث عشر – ونتيجة ما قد وقع الاتفاق عليه من الإمهال المشترط أعلاه بما يلاحظ خلو الإقليم المصري، فالجهات الواقع بينهم هذا الاشتراط قد اتفقوا على أنه إذا حضر في حد هذه المدة المذكورة مركب من بلاد فرانسا بدون معرفة غلايين الممالك المتحدة ودخل بمينا اسكندرية فلازم عن سفره حالاً، وذلك من بعد أن يكون قد تحوج بالماء والزاد اللازم، ويرجع الى فرانسا وذلك بسندات أوراق الإذن من قبل الممالك المتحدة، وإذا صادف الأمر أن مركباً من هذه المراكب يحتاج الى الترقيع فهذه لا غير يباح لها الإقامة الى أن ينتهي إصلاحها المذكور، وفي الحال من ثم تتوجه الى بلاد فرانسا نظير التي قد تقدم القول عنها عند أول ريح يوافقها.
الشرط الرابع عشر – وقد يستطيع حضرة الجنرال كلهبر ساري العسكر العام أن يرسل خبراً الى أرباب الأحكام الفرنساوية في الحال ومن يصحب هذا الخبر لابد أن تعطى له أوراق الإذن بالإطلاق كما يقتضي ليسهل بهذه الواسطة وصول الخبر الى أصحاب الحكم بفرانسا.

الشرط الخامس عشر – وإذا قد اتضح أن الجيش الفرنساوي يحتاج الى المعاش اليومي مادامت الثلاثة أشهر المعينة لخلو الإقليم المصري وكذلك لمعاش الثلاثة الأشهر الأخرى التي يكون مبتدأها من يوم نزولهم بالمراكب، فقد وقع الاتفاق على أنه يقدم له مقدار ما يلزم من القمح واللحم والأرز والشعير والتبن، وذلك بموجب القائمة التي تقدمت الآن من وكلاء الجمهور الفرنساوي إن كان ذلك مما يخص إقامتهم أو ما يلاحظ سفرهم، والذي يكون قد أخذه الجيش المذكور مقدار ما كان من شؤونه وذلك من بعد إمضاء هذه الشروط فينخصم مما قد لزم ذاته بتقدمته الباب الأعلى.
الشرط السادس عشر – ثم إن الجيش الفرنساوي منذ ابتدأ وقوع إمضاء هذه الشروط المذكورة ليس له أن يفرد على البلاد فردة ما من الفرائد قطعاً بالإقليم المصري، لا بل وبالعكس فإنه يخلي للباب الأعلى كامل فرد المال وغيره مما يمكن توجيه قبضه، وذلك الى حين سفرهم. وبمثل ذلك الجمال والهجن والجبخانة والمدافع وغير ذلك مما يتعلق بهم ولا يريدون أن يحملوه معهم، ونظير ذلك شون الغلال الواردة لهم من تحت المال وأخيراً مخازن الخراج فهذه كلها لابد عن الفحص عنها وتسعيرها

من أناس وكلاء موجهين من قبل الباب الأعلى لهذه الغاية ومن أمين البحر الانكليزي وبرفقة الوكلاء المتصرفين بأمر الجنرال كلهبر ساري العسكر، وهذه الأمتعة لابد عن قبولها من وكلاء الباب الأعلى المتقدم ذكرهم بموجب ما وقع عليه السعر الى حد قدر مبلغ ثلاثة آلاف كيس التي تقتضي للجيش الفرنساوي المذكور لسهولة انتقاله عاجلاً ونزوله بالمراكب، وإذا كانت الأسعار في هذه الأمتعة المذكورة لا توازي المبلغ المرقوم أعلاه فالخسيس والنقص في ذلك لابد عن دفعه بالتمام من قبل الباب الأعلى على جهة السلفة، تلك التي يلزم بوفائها أرباب الأحكام الفرنساوية بأوراق التمسكات المدفوعة من الوكلاء المعينين من الجنرال كلهبر ساري العسكر العام لقبض واستلام المبلغ المذكور.

الشرط السابع عشر – ثم إنه إذا كانت تقتضي للجيش الفرنساوي بعض مصاريف لخلوهم مصر فلابد أن تقبض وذلك من بعد تقرير تمسك الشروط المذكورة القدر المحدد أعلاه بالوجه الآتي ذكره، أعني فمن بعد مضي خمسة عشر يوماً خمسمائة كيس، وفي غلاق الثلاثين يوماً خمسمائة كيس أخرى، وبتمام الأربعين يوماً ثلثمائة كيس أخرى، وعند تمام الخميس يوماً ثلثمائة كيس شرحه، وعند غلاق الستين يوماً ثلثمائة كيس أخرى، وفي السبعين يوماً ثلثمائة كيس أخرى، وعند تمام الثمانين يوماً ثلثمائة كيس أخرى، وعند غلاق التسعين يوماً خمسمائة كيس أخرى، وكل هذه الأكياس المذكورة هي عن كل كيس خمسمائة غرش عثملي، ويكون قبضها على سبيل السلفة من يد الوكلاء المعينين لهذه الغاية من قبل الباب الأعلى، ولكي يسهل إجراء العمل بما وقع الاعتماد عليه فالباب الأعلى من بعد وضع الإمضاء على النسختين من الفريقين يوجه حالاً الوكلاء الى مدينة مصر والى بقية البلاد المستمر بها الجيش.

الشرط الثامن عشر – ثم إن فرد المال الذي يكون قد قبضه الفرنساوية من بعد تاريخ تحرير الشروط المذكورة وقبل أن يكون قد اشتهر هذا الاتفاق في الجهات المختلفة بالإقليم المصري فقد تخصم من قدر مبلغ الثلاثة آلاف كيس المتقدم القول عنها.

الشرط التاسع عشر – ثم إنه لكي يسهل خلو المحلات سريعاً فالنزول في المراكب الفرنساوية المختصة بالحمولة والموجودة في المين بالإقليم المصري مباح به مادامت مدة الثلاثة أشهر المذكورة المعينة للمهلة، وذلك من دمياط ورشيد حتى الى الاسكندرية، ومن اسكندرية حتى الى رشيد ودمياط.

الشرط العشرون – فمن حيث أنه للطمأن الكلي في جهات البلاد الغربية يقتضي الاحتراس الكلي لمنع الوبا الطاعوني عن أنه يتصل هناك، فلا يباح ولا لشخص من المرضى أو من أولئك الذين مشكوك بهم برائحة من هذا الداء الطاعوني أن ينزل بالمراكب، بل أن المرضى بعلة الطاعون أو بعلة أخرى أينما كانت تلك التي بسببها لا يقتضي أن يسمح بسفرهم بمدة خلو الإقليم المصري الواقع عليها الاتفاق يستمرو نفي بيمارستان المرضي حيث هم الآن تحت أمان جناب الوزير الأعظم عالي الشأن، ويعالجونهم الأطباء من الفرنساوية أولئك الذين يجاورونهم بالقرب منهم الى أن يتم شفاهم، يسمح لهم بالرحيل الشيء الذي لابد عن اقتضاء الاستعجال به بأسرع ما يمكن، ويحصل لهم ويبدو نحوهم ما ذكر في الشرطين الحادي عشر والثاني عشر من هذا الاتفاق نظير ما يجري على باقي الجيش، ثم إن أمير الجيش الفرنساوي يبذل جهده في إبراز الأوامر الأشد صرامة لرؤساء العساكر النازلة بالمراكب بأن لا يسمحوا لهم بالنزول بمينا خلاف المين التيتعين لهم من رؤساء الأطباء، تلك المين التي يتيسر لهم بها أن يقضوا أيام الكارنتينة بأوفر السهولة من حيث أنها من مجرى العادة ولابد عنها.

الشرط الحادي والعشرون - فكل ما يمكن حدوثه من المشاكل التي تكون مجهولة و لم يمكن الاطلاع عليها في هذه الشروط فلابد عن تجاوزها بوجه الاستحباب ما بين الوكلاء المعينين لهذا القصد من قبل الجناب الوزير الأعظم عالي الشأن وحضرة الجنرال كلهبر ساري العسكر العام بوجه يسهل ويحصل الإسراع بالخلو.

الشرط الثاني والعشرون - وهذه الشروط لا تعد صحيحة إلا من بعد إقرار الفريقين وتبديل النسخ وذلك بمدة ثمانية أيام ومن بعد حصول هذا الإقرار لابد عن حفظ هذه الشروط الحفظ اليقين من الفريقين كليهما.

صح وثبت وتقرر بختوماتنا الخاصة بنا بالمعسكر حيث وقعت المداولة بحد العريش في شهر يلويوز سنة ثمان من إقامة المشيخة الفرنساوية وفي رابع عشرينه شهر كانون الثاني غربي من سنة ألف وثمانمائة، الواقع، في ثامن عشرين شهر شعبان هلالية سنة 1224 هجرية. الممضيين الجنرال متفرقة ذره البلدي بوسيهلغ المفوضين بكامل سلطانه الجنرال كلهبر وجناب سامي مقام مصطفى رشيد أفندي دفتردار ومصطفى راسيسه أفندي رئيس الكتاب المفوضين بكامل سلطان جناب الوزير الأعظم عالي الشأن، منقولة عن النسخة الأصلية الموافقة لتلك الموجهة بالفرنساوية الى الوكلاء العثملي، بدلاً من التي قد وجهوها باللغة التركي ممضي دزه وبوسيهلغ تقرير الجنرال ساري العسكر العام، محرر في آخر السنة التركية التي بقيت محفوظة بيد الوزير الأعظم، إنني أنا الواضع اسمي أدناه الجنرال ساري العسكر العام أمير الجيش الفرنساوي بالإقليم المصري أثبت وأقرر شروط الاتفاق المذكور أعلاه للحصول على إجرائه بالعمل بالنوع والصورة إن كان من اللازم أن أتيقن بأن الاثنين وعشرين شرطاً المشروحة الى الآن هي موافقة على التدقيق باللغة الفرنساوية الممضي عليها من الوكلاء أصحاب ولاية الوزير الأعظم والمقررة من جناب عالي الشأن، الترجمة التي لابد عن الاعتماد بإجرائها كل مرة إن كان لسبب أم لآخر، ممكن حصول بعض الاختلافات، ومن ثم فتقلد بعض المشاكل.

صح وجرى بمحل العسكر العام بالصالحية في ثامن شهر يلويوز سنة ثمان من المشيخة. ممضي كلهبر عن نسخة صحيحة الجنرال متفرقة رأس صاحب ختام في الجيش الفرنساوي. ممضي داماس انتهى بحروفه وما فيه من خطأ أو تحريف فهو طبق الأصل المطبوع بالمطبعة الفرنساوية باللغة العربية، و لم أغير منه سوى ما في تواريخ الأشهر والسنين بالأرقام الهندية والله أعلم.

استهل شهر رمضان المعظم بيوم الأحد سنة 1214

في ثانيه حضر ساري عسكر الفرنساوية كلهبر الى ناحية العادلية وصحبته آغا من رجال الدولة العثمانية يسمى محمد آغا فأرسل ساري عسكر الى حسن آغا نجاتي المحتسب يأمره بأن يتلقاه وينزله في بيته ويكرمه إكراماً زائداً، فلما كان بعد العشاء دخل ذلك الآغا الى مصر في موكب فحصل للناس ضجة عظيمة وازدحموا على مشاهدتهم له والفرجة عليه، وارتفعت أصواتهم وعلا ضجيجهم وركبوا على مصاطب الدكاكين والسقائف وانطلقت النساء والزغاريت من الطيقان، واختلفت آراؤهم في ذلك القادم و لم يعلموا ما هو، فدخل من باب النصر وشق القاهرة و لم يزل سائراً حتى وصل الى بيت حسن آغا بسويقة اللالا، فنزل هناك فلما استقر به الجلوس ازدحم الناس والأعيان للسلام عليه، ولمشاهدته بالمشاعل والفوانيس. فلما كان صبح تلك الليلة عمل ديواناً وجمع العلماء والوجاقلية وأعيان الناس وكبار النصارى من الأقباط والشوام، فلما تكاملوا

أبرز لهم فرماناً من الوزير فقرئ عليهم بالمجلس، فدل مضمونه على أنه أغات الجمارك أي المكوس بمصر بولاق ومصر القديمة، وفيه التحكير على جميع الواردات من أصناف الأقوات فيشتريها بالثمن الذي يسعره هو بمعرفة المحتسب ويودعه في المخازن، وأبرز فرماناً آخر قرئ بالمجلس، مضمونه أن الوزير أقام مصطفى باشا الذي كان أسر بأبي قير وكيلاً عنه وقائمقام بمصر الى حين حضوره وأن السيد أحمد المحروقي كبير التجار ملزوم ومقيد بتحصيل الثلاثة آلاف كيس المعينة لترحيل الفرنساوية.

وانفض المجلس على ذلك، وأخذ السيد أحمد المحروقي في تحصيل ذلك القدر من الناس وفرضوه على التجار وأهل الأسواق والحرف، وشرعوا في تحكير الأقوات فغلت أسعارها وضاقت مؤن الناس ودهى الناس من أول أحكامهم بهاتين الداهيتين، وكان أول قادم منهم أمير المكوسات ومحكر الأقوات وأول مطلوبهم مصادرة الناس وأخذ المال منهم وتغريمهم، واجتهد السيد أحمد المحروقي في توزيع ذلك وجمعه في أيام قليلة، فكان كل من توجه عليه مقدار من ذلك اجتهد في تحصيله وأخرجه عن طيفه قلب وانشراح خاطر وبادر بالدفع من غير تأخير لعلمه أن ذلك لترحيل الفرنساوية، ويقول سنة مباركة ويوم سعيد بذهاب الكلاب الكفرة، كل ذلك بمشاهدة الفرنسيس ومسمعهم وهم يحقدون ذلك عليهم، وحضر مصطفى باشا من الجيزة وسكن ببيت عبد الرحمن كتخدا بحارة عابدين.

وأرسل الوزير فرمانات الى البلاد وعين المعينين والمباشرين بطلب المال والغلال والكلف من الأقاليم، وأرسل الى البنادر وجعل في كل بندر أميراً ووكيلاً لجمع الغلال والمطلوبات من الذخيرة وجمعها بالحواصل، ولا يخفى ما يحصل في ضمن ذلك من الجزئيات التي سيتضح بعضها فيما بعد، وأما الرعايا وهمج الناس من أهل مصر فإنهم استولى عليهم سلطان الغفلة ونظروا للفرنسيس بعين الاحتقار وأنزلوهم عن درجة الاعتبار وكشفوا نقاب الحياء معهم بالكلية وتطاولوا عليهم بالسب واللعن والسخرية و لم يفكروا في عواقب الأمور و لم يتركوا معهم للصلح مكاناً، حتى أن فقهاء المكاتب كانوا يجمعون الأطفال ويمشون بهم فرقاً وطوائف حسبة وهم يجهرون ويقولون كلاماً مقفى بأعلى أصواتهم بلعن النصارى وأعوانهم وأفراد رؤسائهم، كقولهم: الله ينصر السلطان ويهلك فرط الرمان، ونحو ذلك، وظنوا فروغ القضية و لم يملكوا لأنفسهم صبراً حتى تنقضي الأيام المشروطة، على أن ذلك لم يثمر إلا الحقد والعداوة التي تأسست في قلوب الفرنسيس وأوجبت ما حصل بعد ذلك من وقوع العذاب البئيس.

وقال الشعبي من جملة كلام: وصادفنا فتنة لم نكن فيها بررة أتقياء ولا فجرة أقوياء، وأخذ الفرنساوية في أهبة الرحيل وشرعوا في بيع أمتعتهم وما فضل عن سلاحهم ودوابهم، وسلموا غالب الثغور والقلاع كالصالحية وبلبيس ودمياط والسويس، ثم إن العثمانيين تدرجوا في دخول مصر وصار في كل يوم يدخل منهم جماعة بعد جماعة، وأخذوا يشاركون الناس في صناعاتهم وحرفهم مثل القهوجية والحمامية والخياطين والمزينين وغيرهم، فاجتمع العامة وأصحاب الحرف الى مصطفى باشا قائمقام وشكوا إليه، فلم يلتفت لشكواهم لأن ذلك من سنن عساكرهم وطرائقهم القبيحة.

ووصل الخبر بوصول حضرة الوزير الى بلبيس وصحبته الأمراء المصرية وأرسلوا الى مراد بك ومن معه بالحضور الى العرضي فأجاب بالاعتذار عن الحضور لأنه في الصعيد. فلم يقبلوا عذره فأكدوا عليه بالحضور فاستأذن الفرنساوية سراً فاستأذنوا له في المقابلة، وكان سفيره في ذلك عثمان بك البرديسي، ثم إنه حضر وقابل الوزير بصحبة ابراهيم بك وخلع عليهما، ورجع مراد

بك فخيم جهة العادلية وحضر حسن آغا نزله أمين ودخل مصر وأخلى افرنساوية قلعة الجبل وباقي القلاع التي أحدثوها ونزلوا منها، فلم يطلع إليها أحد من العثمانيين و لم يلتفتوا لتحصينها ولا ربطها بالعساكر والجبخانة، وأعرضوا عن المحاذرة وركبهم الغرور لأجل نفاذ المقدور، وحضر أيضاً غالب المصريين الفارين من مصر وقت مجيء الفرنساوية إليها من الأغوات والوجاقلية والأفندية والكتبة مثل ابراهيم أفندي الروزنامجي وثاني قلفة وغيرهما بنسائهم وأولادهم يظنون فروغ القضية والذي خافوا منه وقعوا فيه، كما ستراه، وأرسل ابراهيم بك الى السيد أحمد المحروقي يطلب كساوى وثياباً وطرابيش وسراويل للمماليك ولخاصة نفسه، فأرسل إليه مطلوبه وأخرجت لهم الخيام والتراتيب والنظام، وهيأت نساء الأمراء والأجناد احتياجاهم وترتيباهم وجروا على عادهم في العالي، ولازمت الخدم والفراشون الغدو والرواح الى خيم ساداهم وهم راكبون البغال والرهونات والحمير الفارهة، وفي جحورهم تعابي الثياب والبقج المزركشة بالذهب والفضة. وكذلك الخدم الذين يحملون الخوانات وطبالي الأطبخة والأطعمة وعليها الأغطية الحرير والوشي الملون، وهم يتغنون برفع أصواهم ويتجاوبون بكلام وسخريات ولعن للنصارى البلدية والفرنسيس بمرأى منهم ومسمع، الى غير ذلك مما يحرك الحفائظ ويوغر الصدور.

ولما استقر الوزير بمدينة بلبيس وذلك في الثاني والعشرين من شهر رمضان، استأذن العلماء والتجار والأعيان المصرية مصطفى باشا في التوجه للسلام، فاستأذن ثم أذن لهم، فذهبوا أيضاً الى ساري عسكر كلهبر واستأذنوه فأذن لهم أيضاً فذهبوا عند ذلك للسلام عليه فوصلوا الى نصوح باشا والي مصر وسلموا عليه وباتوا بوطاقه، فلما وصلوا إليه واستقر بهم الجلوس سأل عن أسمائهم وكذلك عن التجار وأكابر النصارى، ثم خلع عليهم خلعاً وانصرفوا من عنده، فطافوا على أكابر الدولة بالعرضي وكذلك على الأمراء المصرية ورجعوا الى مصر ودخلوها وعليهم تلك الخلع، وصحبتهم قاضي العسكر وهو لابس قبوط أسود، ووصل نصوح باشا والأمراء الى جهة الخانكاه ثم الى المطرية.

وفيه، حضر درويش باشا والي الصعيد الى خارج القاهرة جهة الشيخ قمر فمكث أياماً ثم توجه الى قبلي، وصحبته نحو المائة نفر وكذلك ذهبت طائفة الى السويس والى دمياط والمنصورة وانبثوا في البلاد ودخلوا مصر شيئاً فشيئاً.

واستهل شهر شوال سنة 1214

في سابعه، وقعت حادثة بين عسكر الفرنساوية والعثمانية وهي أول الحوادث التي حصلت بينهم، وهو أن جماعة من عسكر العثمانية تشاجروا مع جماعة من عسكر الفرنساوية فقتل بينهم شخص فرنساوي ووقعت في الناس زعجة وكرشة، وأغلقوا الحوانيت وعمل العثمانية متاريس وتترسوا بها بناحية الجمالية وما والاها واجتمعوا هناك ووقع بينهم مناوشة قتل فيها أشخاص قليلة من الفريقين وكادت تكون فتنة، وباتوا ليلتهم عازمين على الحرب فتوسطت بينهم كبراء العسكر في تمهيد ذلك، وأزالوا المتاريس وانكف الفريقان، وبحث مصطفى باشا عمن أثار الفتنة وهم ستة أنفار وأرسلهم الى ساري عسكر الفرنساوية فلم يطب خاطره بذلك. وقال لابد من خروج عسكرهم الى عرضيهم حتى تنقضي الأيام المشروطة، وإذا دخل منهم أحد الى المدينة لا يدخلون إلا بطريقة وبدون سلاح، فعند ذلك أمر مصطفى باشا بخروج الداخلين من العساكر ولا يبقى منهم أحد، ووقف جماعة من الفرنساوية خارج باب النصر فإذا أراد أحد من العسكر أو من أعيان العثمانية الدخول الى المدينة، فعند وصوله إليهم يترل عندهم وينزع ما عليه من السلاح ويدخل وصحبته شخص أو شخصان موكلان به يمشيان أمامه حتى

يقضي شغله ويرجع، فإذا وصل الى الفرنساوية الملازمين خارج البلد أعطوه سلاحه فيلبسه ويمضي الى أصحابه، فكان هذا شأنهم.

وفي منتصفه، توجه جماعة من أعيان الفرنساوية الى الاسكندرية بمتاعهم وأثقالهم وفيهم دوجا قائمقام وديزه ساري عسكر الصعيد وبوسليك رئيس الكتاب ومدير الحدود، ونزل جماعة منهم الى البحر يريدون السفر الى بلادهم فتعرض لهم الانكليز يريدون معاكستهم، فأرسلوا الى ساري عسكر بمصر وعرفوه الحال فأرسل بذلك الى الوزير فأجابه بجواب لم يرتضه وأصبح زاحفاً الى سطح الخانكاه وكان ذلك آخر أيام المهلة المتفق عليها في دخول الوزير الى مصر وخروج الفرنساوية منها، فلما رأوا ذلك طلبوا ثمانية أيام أجلة زيادة على أيام المهلة، فأجيبوا الى ذلك، ووصل الأمراء المصرية وعرضي نصوح باشا وجملة من العساكر العثمانية الى ناحية المطرية ونصبوا خيامهم ووطاقهم هناك، ثم إن الفرنساوية جعلوا الثمانية أيام المذكورة ظرفاً لجمع عساكرهم وطوائفهم من البلاد القبلية والبحرية ونصبوا وطاقهم بساحل البحر متصلاً بأطراف مصر، ممتداً من مصر القديمة الى شبرا، وترددوا الى نواحي القلاع وهي لم يكن بها أحد، وشرعوا واجتهدوا في رد الجبخانة والذخيرة وآلات الحرب والبارود والجلل والمدافع والبنب على العربات ليلاً ونهاراً، والناس يتعجبون من ذلك. ومصطفى باشا قائمقام ومن معه يشاهدون ذلك ولا يقولون شيئاً، والبعض يقول إن الوزير أرسل إليهم وأمرهم برد ذلك كما كان ونحو ذلك من الخرافات التي لا تروج على الفطن. ويقال إن الفرنساوية أرسل إليهم بعض أصدقائهم من الانكليز وعرفوهم أن الوزير اتفق مع الانكليز على الإحاطة بالفرنساوية إذا صاروا بظاهر البحر، فلما حصل منهم معهم ما سبقت الإشارة إليه تحققوا ذلك وأرسلوا ليوسف باشا بذلك، فلم يجبهم بجواب شاف وعجل بالرحيل والقدوم ناحية مصر، وقد كان الفرنساوية عندما تراسلوا وترددوا جهة والعرضي تفرسوا في عرضي العثمانيين وعساكرهم وأوضاعهم وتحققوا حالهم وعلموا ضعفهم عن مقاومتهم، فلما حصر ما ذكر تأهبوا للمقاومة والمحاربة وردوا آلاتهم الى القلاع، فلما تمموا أمر ذلك وحصنوا الجهات وأبقوا من أبقوه وقيدوه بها من عساكرهم واستوثقوا من ذلك خرجوا بأجمعهم الى ظاهر المدينة جهة قبة النصر وانتشروا في تلك النواحي، و لم يبق بداخل المدينة منهم إلا من كان بداخل القلاع وأشخاص ببيت الألفي بالأزبكية وبعض بيوت الأزبكية، وغلب على ظن الناس أنهم برزوا للرحيل.

وفي العشرين منه طلبوا مصطفى باشا وحسن آغا نزله أمين، فلما حضرا إليهم أرسلوهما للجيزة، فلما كان اليوم الثالث والعشرين من شوال ركب ساري عسكر كلهبر قبل طلوع الفجر بعساكره وصحبتهم المدافع وآلات الحرب وقسم عساكره طوابير، فمنهم من توجه الى عرضي الوزير ومنهم من مال على جهة المطرية فضربوا عليها فلم يسعهم إلا الجلاء والفرار وتركوا خيامهم ووطاقهم، وركب نصوح باشا ومن كان معه وطلبوا جهة مصر، فتركهم الفرنساوية ولحقوا بالذاهبين من إخوانهم الى جهة العرضي فلما قاربوه أرسلوا الى الوزير يأمرونه بالرحيل بعد أربع ساعات فلم يسعه إلا الارتحال والفرنساوية في أثره، وغالب عساكره مفرقون ومنتشرون في البلاد والقرى والنواحي لجمع المال ومقررات الفرض وظلم الفقراء.

وأما أهل مصر فإنهم لما سمعوا صوت المدافع كثر فيهم اللغط والقيل والقال و لم يدركوا حقيقة الحال، فهاجوا ورمحوا الى

أطارف البلد وقتلوا أشخاصاً من الفرنساوية صادفوهم خارجين من البلد ليذهبوا الى أصحابهم، وذهبت شرذمة من عامة أهل مصر فانتهبت الخشب وبعض ما وجدوه من نحاس وغيره حيث كان عرضي الفرنساوية، وخرج السيد عمر أفندي نقيب الأشراف والسيد أحمد المحروقي وانضم إليهما أتراك خان الخليلي والمغاربة الذين بمصر وكذلك حسين آغا شتن أخو أيوب بك الصغير وتبعهم كثير من عامة أهل البلد، وتجمعوا على التلول خارج باب النصر وبأيدي الكثير منهم النبابيت والعصي والقليل معه السلاح، وكذلك تحزب كثير من طوائف العامة والأوباش والحشرات وجعلوا يطوفون بالأزقة وأطارف البلد ولهم صياح وضجيج وتجاوب بكلمات يقفوها من اختراعاتهم وخرافاتهم، وقاموا على ساق وخرج الكثير منهم الى خارج البلدة على تلك الصورة، فلما تضحى النهار حضر بعض الأجناد المصريين ودخلوا مصر وفيهم المجاريح وطفق الناس يسألونهم فلم يخبروهم بشيء لجهلهم أيضاً حقيقة الحال، ثم لم يزل الحال كذلك الى أن دخل وقت العصر فوصل جمع عظيم من العامة ممن كان خارج البلدة ولهم صياح وجلبة على الشرح المتقدم، وخلفهم ابراهيم بك، ثم أخرى وخلفهم سليم آغا، ثم أخرى كذلك وخلفهم عثمان كتخدا الدولة، ثم نصوح باشا ومعه عدة وافرة من عساكرهم وصحبتهم السيد عمر النقيب والسيد أحمد المحروقي وحسن بك الجداوي وعثمان بك المرادي وعثمان بك الأشقر وعثمان بك الشرقاوي وعثمان آغا الخازندار وابراهيم كتخدا مراد بك المعروف بالسناري وصحبتهم مماليكهم وأتباعهم، فدخلوا من باب النصر وباب الفتوح ومروا على الجمالية حتى وصلوا الى وكالة ذي الفقار، فقال نصوح باشا عند ذلك للعامة: اقتلوا النصارى وجاهدوا فيهم، فعندما سمعوا منه ذلك القول صاحوا وهاجوا ورفعوا أصواتهم ومروا مسرعين يقتلون من يصادفونه من نصارى القبط والشوام وغيرهم، فذهبت طائفة الى حارات النصارى وبيوتهم التي بناحية بين الصورين وباب الشعرية وجهة الموسكي، فصاروا يكسبون الدور ويقتلون من يصادفونه من الرجال والنساء والصبيان وينهبون ويأسرون حتى اتصل ذلك بالمسلمين المجاورين لهم، فتحزبت النصارى واحترسوا وجمع كل منهم ما قدر عليه من العسكر الفرنساوي والأروام، وقد كانوا قبل ذلك محترسين وعندهم الأسلحة والبارود والمقاتلون لظنهم وقوع هذا الأمر، فوقع الحرب بين الفريقين وصارت النصارى تقاتل وترمي بالبندق والقرابين من طبقات الدور على المجتمعين بالأزقة من العامة والعسكر ويحامون عن أنفسهم، والآخرون يرمون من أسفل ويكبسون الدور ويتسورون عليها، وبات نصوح باشا وكتخدا الدولة وابراهيم بك وبعض من صناجق مصر والكشاف والأتباع وطوائف من العساكر بخط الجمالية بوكالة ذي الفقار، فلما أصبح الصباح أرسلوا الى المطرية وأحضروا منها ثلاثة مدافع فوجدوها مسدودة الفالية فعالجوها حتى فتحوها، وقام ناصف باشا وشمر عن ساعديه وشد وسطه ومشى وصحبته الأمراء المصرية على أقدامهم، وجروا أمامهم الثلاثة مدافع وسحبوها الى الأزبكية وضربوا منها على بيت الألفي، وكان به أشخاص مرابطون من عساكر الفرنساوية فضربوهم أيضاً بالمدافع والبنادق واستمر الحرب بين الفريقين الى آخر النهار، فسكن الحرب وباتوا ينادون بالسهر، وفي هذا اليوم وضع أهل مصر والعسكر متاريس بالأطراف كلها وبجهة الأزبكية وشرعوا في بناء بعض جهات السور واجتهدوا في تحصين البلد بقدر الطاقة، وبات الناس في هذه الليلة خلف المتاريس، فلما أظلم الليل أطلق الفرنساوية المدافع والبنب على البلد من القلاع ووالوا الضرب بالخصوص على خط الجمالية لكون المعظم مجتمعاً بها، فلما عاين ذلك الجميع أجمع رأي الكبراء والرؤساء على الخروج من البلد في تلك الليلة لعجزهم عن المقاومة وعدم آلات الحرب وعزة الأقوات والقلاع بيد الفرنساوية ومصر لا يمكن محاصرتها لاتساعها وكثرة أهلها، وربما طال الحال فلا يجدون الأقوات لأن غالب قوت

أهلها يجلب من قراها في كل يوم، وربما امتنع وصول ذلك إذا تجسمت الفتنة، فاتفقوا على الخروج بالليل. وتسامح الناس بذلك فتجهز المعظم للخروج، وغصت الخطة الجمالية وما والاها من الأخطاط بازدحام الناس الذين يريدون الخروج من المدينة، وركب بعضهم

بعضاً وازدحمت تلك النواحي بالحمير والبغال والخيول والهجن والجمال المحملة بالأثقال، وباتوا على تلك الصورة ووقع للناس في هذه الليلة من الكرب والمشقة والانزعاج والخوف ما لا يوصف، وتسامع أهل خان الخليلي من الألداشات وبعض مغاربة الفجامين والغورية ذلك، فجاءوا للجمالية وشنعوا على من يريد الخروج وعضدهم طائفة عساكر الينكجرية، وعمدوا الى خيول الأمراء فحبسوها ببيت القاضي والوكائل، وأغلقوا باب النصر، وبات في تلك الليلة أصحابهم بالجمالية وفي أزقة الحارات أيضاً، وكل متهيئ للخروج.

فلما حصل ذلك وأصبح يوم السبت فتهيأ كرباء العساكر والعساكر ومعظم أهل مصر ما عدا الضعيف الذي لا قوة له للحرب، وذهب المعظم الى جهة الأزبكية، وسكن الكثير في البيوت الخالية والبعض خلف المتاريس، وأخذوا عدة مدافع زيادة عن الثلاثة المتقدمة وجدت مدفونة في بعض بيوت الأمراء، وأحضروا من حوانيت العطارين من المثقلات التي يزنون بها البضائع من حديد وأحجار استعملوها عوضاً عن الجلل للمدافع، وصاروا يضربون بها بيت ساري عسكر بالأزبكية، واستمر عثمان كتخدا بوكالة ذي الفقار بالجمالية وكان كل من قبض على نصراني ويهودي أو فرنساوي أخذه وذهب به الى الجمالية حيث عثمان كتخدا ويأخذ عليه البقشيش، فيحبس البعض حتى يظهر أمره ويقتل البعض ظلماً وربما قتل العامة من قتلوه وأتوا برأسه لأجل البقشيش، وكذلك كل من قطع رأساً من رؤوس الفرنساوية يذهب بها إما لنصوح باشا بالأزبكية وإما لعثمان كتخدا بالجمالية ويأخذوا في مقابلة ذلك الدراهم، وبعد أيام أغلقوا باب القرافة وباب البرقية وباقي الأبواب التي في أطراف البلد، وزاد الناس في اصطناع المتاريس وفي الاحتراس، وجلس عثمان بك الأشقر عند متاريس باب اللوق وناحية المدابغ وعثمان بك طبل عند متاريس المحجر ومحمد بك المبدول عند الشيخ ريحان ومحمد كاشف أيوب وجماعة أيوب بك الكبير والصغير عند الناصرية ومصطفى بك الكبير بقناطر السباع وسليمان كاشف المحمودي عند سوق السلاح وأولاد القرافة والعامة وزعر الحسينية والعطوف عند باب النصر مع طائفة من الينكجرية وباب الحديد وباب القرافة وجماعة خان الخليلي والجمالية عند باب البرقية المعروف الآن بالغريب، وبالجملة كل من كان في حارة من أطراف البلد انضم الى العسكر الذي بجهته، بحيث صار جميع أهل مصر والعساكر كلها واقفة بأطراف البلد عند الأبواب والمتاريس والأسوار، وبعض عساكر من العثمانية وما انضم إليهم من أهل مصر المتسلحين مكثت بالجمالية، إذا جاء صارخ من جهة من الجهات أمدوه بطائفة من هؤلاء، وصار جميع أهل مصر إما بالأزقة ليلاً ونهاراً، وهو من لا يمكنه القتال. وأما بالأطراف وراء المتاريس وهو من عنده إقدام وتمكن من الحرب، ولم ينم أحد ببيته سوى الضعيف والجبان والخائف، وناصف باشا وابراهيم بك وجماعاتهم وعسكر من الينجرية والأرنؤد والدلاة وغيرهم جهة الأزبكية ناحية باب الهواء، والرحبة الواسعة التي عند جامع أزبك والعتبة الزرقا وأنشاء عثمان كتخدا معملاً للبارود ببيت قائد آغا بخط الخرنفش وأحضر القندقجية والعربجية والحدادين والسباكين لإنشاء مدافع وبنبات وإصلاح المدافع التي وجدوها في بعض البيوت، وعمل العجل والعربات والجلل وغير ذلك من المهمات الجزئية، وأحضروا لهم

ما يحتاجون إليه من الأخشاب وفوع الأشجار والحديد، وجمعوا الى ذلك الحدادين والنجارين والسباكين وأرباب الصنائع الذين يعرفون ذلك، فصار هذا كله يصنع ببيت القاضي والخان الذي بجانبه والرحبة التي عند بيت القاضي من جهة المشهد الحسيني، واهتم لذلك اهتماماً زائداً وأنفق أموالاً جمة وأرسلوا فأحضروا المدافع الكائنة بالمطرية، فكانوا كلما أدخلوا مدفعاً أدخلوه بجمع عظيم من الأوباش والحرافيش والأطفال ولهم صياح ونباح وتجاوب بكلمات، مثل قولهم: الله ينصر السلطان ويهلك فرط الرمان وغير ذلك، وحضر محمد بك الألفي في ثاني يوم وتترس بناحية السويقة التي عند درب عبد الحق وعطفة البيدق وصحبته طوائفه ومماليكه وأشخاص من العثمانية، وبذل الهمة وظهرت منه ومن مماليكه شجاعة وكذلك كشافة وخصوصاً اسمعيل بك كاشف المعروف بأبي قطية، فإنه لم يزل يحارب ويزحف حتى ملك ناحية رصيف الخشاب وبيت مراد بك الذي أصله بيت حسن بك الأزبكاوي، وبيت أحمد آغا شويكار وتترس فيهما وحسن بك الجداوي تترس بناحية الرويعي. وربما فارق متراسه في بعض الليالي لنصرة جهة أخرى، وحضر أيضاً رجل مغربي يقال إنه الذي كان يحارب الفرنسيس بجهة البحيرة سابقاً، والتف عليه طائفة من المغاربة البلدية وجماعة من الحجازية ممن كان قدم صحبة الجيلاني الذي تقدم ذكره، وفعل ذلك الرجل المغربي أموراً تنكر عليه، فكان يتجسس على البيوت التي بها الفرنسيس والنصارى فيكبس عليهم ومعه جمع من العوام والعسكر فيقتلون من يجدونه منهم وينهبون الدار ويسحبون النساء ويسلبون ما عليهن من الحلي والثياب، ومنهم من قطع رأس البنية الصغيرة طمعاً فيما على رأسها وشعرها من الذهب وتتبع الناس عورات بعضهم البعض وما دعتهم إليه حظوظ أنفسهم وحقدهم وضغائنهم، واتهم الشيخ خليل البكري بأنه يوالي الفرنسيس ويرسل إليهم الأطعمة. فهجم عليه طائفة من العسكر مع بعض أوباش العامة ونهبوا داره وسحنوه مع أولاده وحريمه وأحضروه الى الجمالية وهو ماش على أقدامه ورأسه مكشوفة، وحصلت له إهانة بالغة وسمع من العامة كلاماً مؤلماً وشتماً فلما مثلوه بين يدي عثمان كتخدا هاله ذلك واغتم غماً شديداً. ووعده بخير وطيب خاطره، وأخذه سيدي أحمد بن محمود محرم التاجر مع حريمه الى داره وأكرمهم وكساهم، وأقاموا عنده حتى انقضت الحادثة، وباشر السيد أحمد المحروقي وباقي التجار ومساتير الناس الكلف والنفقات والمآكل والمشارب وكذلك جميع أهل مصر، كل إنسان سمح بنفسه وبجميع ما يملكه، وأعان بعضهم بعضاً، وفعلوا ما في وسعهم وطاقتهم من المعونة، وأما الفرنساوية فإنهم تحصنوا بالقلاع المحيطة بالبلد وببيت الألفي وما والاه من البيوت الخاصة بهم والبيوت القبطة المجاورين لهم، واستمر الناس بعد دخول الباشا والأمراء ومن معهم من العسكر الى مصر أياماً قليلة، وهم يدخلون ويخرجون من باب الفتوح وباب العدوى، وأهل الأرياف القريبة تأتي بالميرة والاحتياجات من السمن والجبن واللبن والغلة والتبن والغنم، فيبيعونه على أهل مصر، ثم يرجعون الى بلادهم، كل ذلك و لم يعلم أحد حقيقة حال الفرنساوية المتوجهين مع كبيرهم للحرب، واختلفت الروايات والأخبار، وأما الوزير فإنه لما ارتحل بالعرضي تخلف عنه ببلبيس جملة من العسكر، وأما عثمان بك حسن وسليم بك أبو دياب ومن معهما فإنهما تقاتلا مع الفرنساوية ثم رجعا الى بلبيس فحاصروا من بها، وكان عثمان بك وسليم بك وعلي باشا الطرابلسي وبعض وجاقلية خرجوا منها وذهبوا الى ناحية العرضي، فحارب الفرنساوية من بلبيس من العسكر، و لم يكن لهم بهم طاقة، فطلبوا الأمان فأمنوهم وأخذوا سلاحهم وأخرجوهم حيث شاؤوا، فذهبوا أشتاتاً في الأرياف يتكففون الناس ويأوون الى المساجد الخربة، ومات أكثرهم من العري والجوع، ثم لما لحق عثمان بك ومن معه بالعرضي ناحية الصالحية وتكلموا مع الوزير وأوجعوه بالكلام، فاعتذر إليهم بأعذار ومنها عدم الاستعداد للحرب

وتركه معظم الجبخانة والمدافع الكبار بالعريش، اتكالاً على أمر الصلح الواقع بين الفريقين، وظنه غفلة الفرنساوية عما دبره عليهم مع الانكليز، فقال له عثمان بك: أرسل معنا العساكر وانتظرنا هنا، فخاطب العسكر وبذل لهم الرغائب، فامتنعوا و لم يمتثل منهم إلا المطيع والمتطوع، وهم نحو الألف، وعادوا على أثرهم وجمعوا منهم من كان مشتتاً ومنتشراً في البلاد ورجعوا يريدون محاربة الفرنساوية، فنزلوا بوهدة بالقرب من القرين لكونهم نظروه في قلة من عسكره وعلمهم بقرب من ذكر منهم، فضاربوهم بالنبابيت والحجارة، وأصيب سرج ساري عسكر بنبوت فانكسر وسقط ترجمانه الى الأرض، وتسامع المسلمون فركبوا لنجدتهم، واستصرخ الفرنساوية عساكرهم فلحقوا بهم ووقع الحرب بين الفريقين حتى حال بينهما الليل، فانكف الفريقان وانحاز كل فريق ناحية، فلما دخل الليل واشتد الظلام أحاط العسكر الفرنساوي بعساكر المسلمين فأصبح المسلمون وقد رأوا إحاطة العسكر بهم من كل جانب، فركبت الخيالة وتبعتهم المشاة واخترقوا تلك الدائرة، وسلم منهم من سلم وعطب من عطب، ورجعوا على إثرهم الى الصالحية، فعند ذلك ارتحل الوزير ورجع الى الشام، وأما مراد بك فإنه بمجرد ما عاين هجوم الفرنسيس على اباشا والأمراء بالمطرية. وكان هو بناحية الجبل ركب من ساعته هو ومن معه ومروا من سفح الجبل، وذهب الى ناحية دير الطين ينتظر ما يحصل من الأمور، وأقام مطمئناً على نفسه، واعتزل الفريقين، واستمر على صلحه مع الفرنساوية، هذا حاصل خبر الشرقيين، ولما تحقق الباشا والأمراء الذين انحصروا بمصر ذلك أخفوه بينهم وأشاعوا خلافة لئلا تنحل عزائم الناس عن القتال وتضعف نفوسهم، واستمر الباشا يظهر كتابة المراسلات وإرسال السعاة في طلب النجدة والمعونة. وربما افتعلوا أجوبة فزوروها على الناس فتزوج عليهم وتسرى في غفلتهم، ويقولون للناس في كل وقت إن حضرة الصدر الأعظم مجتهد في محاربة الفرنسيس، وفي غد أو بعد غد يقوم بالعساكر

والجنود بعد قطع العدو، وعند حضوره ووصوله يحصل تمام الفتح وتهدم العساكر القلاع وتقلبها على من يبقى من الفرنساوية، وبعد ذلك ينظم البلاد ويريح العباد، واجتهدوا فيما أنتم فيه وتابعوا المناداة على الناس والعسكر باللسان العربي والتركي بالتحريض والاجتهاد والحرص على الصبر والقتال وملاقاة العدو ونحو ذلك، ووصل طائفة من عسكر الفرنساوية ورجعوا من عرضيهم نجدة لأصحابهم الذين بمصر، فقويت بهم نفوس الكائنين بمصر ووقفت منهم طائفة خارج باب النصر وخارج باب الحسينية، ونهبوا زاوية الدمرداش وما حولها كقبة الغوري والمنيل، وحضر نحو خمسمائة من عسكر الأرنؤد، وهم الذين كان الوزير وجههم الى القرى لقبض الكلف والفرض، فلما قربوا من مصر عارضهم عسكر الفرنساوية الواقفة على التلول الخارجة، فحاموا ودافعوا عن أنفسهم وخلصوا منهم ودخلوا الى مصر، وفرح الناس لقدومهم وضجت القلعة بحضورهم واشتدت قواهم، واتفقوا أن يقولوا للناس إذا سئلوا أنهم حاضرون مدداً، وسيأتي في إثرهم عشرون ألفاً وعليهم كبير ونحو ذلك، وأما بولاق فإنها قامت على ساق واحد، وتحزم الحاج مصطفى ابشتيلي وأمثاله وهيجوا العامة وهيأوا عصيهم وأسلحتهم ورمحوا وصفحوا، وأول ما بدؤوا به أنهم ذهبوا الى وطاق الفرنسيس الذي تركوه بساحل البحر وعنده حرسية منهم، فقتلوا من أدركوه منهم ونهبوا جميع ما فيه من خيام ومتاع وغيره، ورجعوا الى البلد وفتحوا مخازن الغلال والودائع التي للفرنساوية وأخذوا ما أحبوا منها وعملوا كرانك حوالي البلد ومتاريس، واستعدوا للحرب والجهاد، وقوي في رأسهم العناد واستطالوا على من كان ساكناً ببولاق من نصارى القبط والشوام، فأوقعوا بهم بعض النهب وربما قتل منهم أشخاص، هذا ما كان من أمر هؤلاء، وأما ما كان من أمر ساري عسكر الفرنساوية ومن معه، فإنه لما استوثق بهزيمة الوزير وعدم عوده ونجاته

بنفسه لم يزل لخفه حتى بعد عن الصالحية، فأبقى بها بعضاً من عسكر الفرنسيس محافظين، وكذلك بالقرين وبلبيس ورجع الى مصر، وقد بلغت الأخبار بما حصل من دخول ناصف باشا والأمراء وقيام الرعية، فلم يزل حتى وصل الى داره بالأزبكية، وأحاطت العساكر الفرنساوية بالمدينة وبولاق من خارج، ومنعوا الداخل من الدخول والخارج من الخروج، وذلك بعد ثمانية أيام من ابتداء الحركة، وقطعوا الجالب عن البلدين وأحاطوا بها إحاطة السوار بالمعصم، فكانت جماعة من المفوضين لهم المحصورين داخل المدينة كبعض القبطة ونصارى الشوام وغيرهم يهربون إليهم ويتسلقون من الأسوار والحيطان بحريمهم وأولادهم، فعند ذلك اشتد الحرب وعظم الكرب وأكثروا من الرمي المتتابع بالمكاحل والمدافع، وأكثروا وأوصلوا وقع القنابر والبنبات من أعالي التلول والقلعات خصوصاً البنبات الكبار على الدوام والاستمرار آناء الليل وأطراف النهار، في الغدو والبكور والأسحار، وعدمت الأقوات وغلت أسعار المبيعات وعزت المأكولات وفقدت الحبوب والغلات، وارتفع وجود الخبز من الأسواق وامتنع الطوافون به على الأطباق، وصارت العساكر الذين مع الناس بالبلد يخفظون ما يجدونه بأيدي الناس من المآكل والمشارب، وغلا سعر الماء المأخوذ من الآبار أو الأسبلة، حتى بلغ سعر القربة نيفاً وستين نصفاً، وأما البحر فلا يكاد يصل إليه أحد، وتكفل التجار ومساتير الناس والأعيان بكلف العساكر المقيمين بالمتاريس المجاورة لهم فألزموا الشيخ السادات بكلفة الذين عند قناطر السباع، وهم مصطفى بك ومن معه من العساكر، وأما أكابر القبط مثل جرجس الجوهري وفلتيوس وملطي فإنهم طلبوا الأمان من المتكلمين من المسلمين لكونهم انحصروا في دورهم وهم في وسطهم، وخافوا على نهب دورهم إذا خرجوا فارين، فأرسلوا إليهم الأمان فحضروا وقابلوا الباشا والكتخدا والأمراء وأعانوهم بالمال واللوازم، وأما يعقوب فإنه كرنك في داره بالدرب الواسع جهة الرويعي واستعد استعداداً كبيراً بالسلاح والعسكر المحاربين وتحصن بقلعته التي كان شيدها بعد الواقعة الأولى، فكان معظم حرب حسن بك الجداوي معه هذا والمناداة في كل وقت بالعربي والتركي على الناس بالجهاد والمحافظة على المتاريس، واتهم مصطفى آغا مستحفظان بموالاته للفرنساوية، وأنه عنده في بيته جماعة من الفرنسيس. فهجمت العساكر على داره بدرب الحجر فوجدوا أنفاراً قليلة من الفرنسيس، فقاتلوا

وحاموا عن أنفسهم وقتل منهم البعض وهرب البعض على حمية حتى خلصوا الى الناصرية، وأما الآغا فإنهم قبضوا عليه وأحضروه بين يدي عثمان كتخدا ثم تسلمه الانكشارية وخنقوه ليلاً بالوكالة التي عند باب النصر ورموا جيفته على مزبلة خارج البلد، واستقر عوضه شاهين كاشف الساكن بالخرنفش، فاجتهد وشدد على الناس وكرر المناداة ومنعهم من دخول الدور وكل من وجده داخل داره مقته وضربه، فكان الناس يبيتون بالأزقة والأسواق حتى الأمراء والأعيان، وهلكت البهائم من الجوع لعدم وجود العلف من التين والفول والشعير والدريس. بحيث صار ينادي على الحمار أو البغل المعدد الذي قيمته ثلاثون ريالاً وأكثر بمائة نصف فضة أو ريال واحداً وأقل، ولا يوجد من يشتريه، وفي كل يوم يتضاعف الحال وتعظم الأهوال وزحف المسلمون على جهة رصيف الخشاب، وترامى الفريقان بالمدافع والنيران حتى احترق ما بينهم من الدور، وكان اسمعيل بك كاشف الألفي تحصن ببيت أحمد آغا شويكار الذي كان بيته، وقد كان الفرنساوية جعلوا به لغماً بالبارود المدفون، فاشتعل ذلك اللغم ورفع ما فوقه من الأبنية والناس وطاروا في الهواء، واحترقوا عن آخرهم، وفيهم اسمعيل كاشف المذكور، وانهدم جميع ما هناك من الدور والمباني العظيمة والقصور المطلة على البركة، واحترق جميع البيوت التي من عند بين المفارق بقرب جامع عثمان كتخدا الى رصيف الخشاب والخطة المعروفة بالساكت بأجمعها الى الرحبة المقابلة لبيت الألفي سكن

ساري عسكر الفرنساوية، وكذلك خطة الفوالة بأسرها، وكذلك خط الرويعي بالسباط العظيمين وما في ضمن ذلك من البيوت الى حد حارة النصارى، وصارت كلها تلالاً وخرائب كأنها لم تكن مغني صبابات ولا مواطن أنس ونزاهات، وقد جنت عليها أيدي الزمان وطوارق الحدثان حتى تبدلت محاسنها وأقفرت مساكنها، وهكذا عقبى سوء ما عملوا، فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا.

وأرسلوا الى مراد بك يطلبونه للحضور أو يرسلوا الأمراء والأجناد التي عنده فأرسل يعتذر عن الحضور ويقول إنه محافظ على الجهة التي هو فيها، فأرسلوا إليه بالإرسال والاستكشاف عن أمر الوزير، فأرسل يخبر أنه أرسل هجاناً الى الشرق من نحو عشرة أيام والى الآن لم يحضر، وأن الفرنساوية إذا ظفروا بالعثمانية لا يقتلونهم ولا يضربونهم وأنتم كذلك معهم. فاقبلوا نصحي واطلبوا الصلح معهم واخرجوا سالمين، فلما بلغهم تلك الرسالة حنق حسن بك الجداوي وعثمان بك الأشقر وغيرهم وسفهوا رأيه وقالوا: كيف يصح هذا الأمر وقد دخلنا الى البلد وملكناها فكيف نخرج منها طائعين؟ ونحو ذلك، هذا مما لا يكون أبداً، فأشار ابراهيم بك برجوع البرديسي وصحبته عثمان بك الأشقر ليقول الأشقر لمراد بك ما يقوله، فلما اجتمع به ورجع لم يرجع على ما كان عليه حال ذهابه وفترت همته وجنح لرأي مراد بك، واستمر الحال على ما هو عليه من اشتعال نيران الحرب وشدة البلاء والكرب ووقوع البنبات على الدور والمساكن من القلاع والهدم والحرق وصراخ النساء من البيوت والصغار من الخوف والجزع والهلع، مع القحط وفقد المآكل والمشارب وغلق الحوانيت والطوابين والمخابز. ووقوف حال الناس من البيع والشراء وتفليس الناس وعدم وجدان ما ينفقونه إن وجدوا شيئاً. واستمر ضرب المدافع والقناير والبنادق والنيران ليلاً ونهاراً حتى كان الناس لا يهنأ لهم نوم ولا راحة ولا جلوس لحظة لطيفة من الزمن ومقامهم دائماً أبداً بالأزقة والأسواق، وكأنما على رؤوسهم الجميع الطير، وأما النساء والصبيان فمقامهم بأسفل الحواصل والعقودات تحت طباق الأبنية الى غير ذلك.

وفي أثناء ذلك فرضوا على الناس من أهل الأسواق وغيرهم مائة كيس فردوها على بعض الناس كالسادات والصاري، وصار مؤونة غالب الناس الأرز ويطبخونه بالعسل واللبن. ويبيعون ذلك في طشوت وأوان بالأسواق، وفي كل ساعة تهجم العساكر الفرنساوية على جهة من الجهات ويحاربون الذين بها ويملكون منهم بعض المتاريس، فيصيحون على بعضهم بالمناداة يتسامع الناس ويصرخون على بعضهم البعض، ويقولون: عليكم بالجهة الفلانية الحقوا إخوانكم المسلمين، فيرمحون الى تلك الخطة والمتاريس حتى يجلوهم عنها وينتقلون الى غيرها، فيفعلون كذلك، وكان المحتمل لغالب هذه المدافعات حسن بك الجداوي، فإنه كان عندما يبلغه زحف الفرنساوية على جهة من الجهات يبادر هو ومن معه للذهاب لنصرة تلك الجهة، ورأى الناس من إقدامه وشجاعته وصبره على مجالدة العدو ليلاً ونهاراً ما ينبئ عن فضيلة نفس وقوة قلب وسمو همة، وقل أن وقع حرب في جهة من الجهات إلا وهو مدير رحاها ورئيس كماتها، هذا والآغا والوالي يكررون المناداة وكذلك المشايخ والفقهاء، والسيد أحمد المحروقي والسيد عمر النقيب يمرون كل الوقت ويأمرون الناس بالقتال ويحرضونهم على الجهاد، وكذلك بعض العثمانية يطوفون من أتباع الشرطة وينادون باللغة التركية مثل ذلك وجرى على الناس ما لا يسطر في كتاب و لم يكن لأحد في

حساب ولا يمكن الوقوف على كلياته فضلاً عن جزئياته، منها عدم النوم ليلاً ونهاراً وعدم الطمأنينة وغلو الأقوات وفقد الكثير منها خصوصاً الأدهان، وتوقع الهلاك كل لحظة والتكليف بما لا يطاق ومغالبة الجهلاء على العقلاء وتطاول السفهاء على الرؤساء، وتهور العامة ولغط الحرافيش وغير ذلك، مما لا يمكن حصره، و لم يزل الحال على هذا المنوال الى نحو عشرة أيام، وكل هذا والرسل من قبل الفرنساوية وهم عثمان بك البرديسي تارة ومصطفى كاشف ورستم تارة أخرى، والاثنان من أتباع مراد بك، يترددون في شأن الصلح وخروج العساكر العثمانية من مصر والتهديد بحرقها وهدمها إذا لم يتم هذا الغرض، واستمروا على هذا العناد، ثم نصب الفرنساوية في وسط البركة فساطاً لطيفاً وأقاموا عليه علماً وأبطلوا الرمي تلك الليلة، وأرسلوا رسولاً من قبلهم الى الباشا والكتخدا والأمراء يطلبون المشايخ يتكلمون معهم في شأن هذا الأمر، فأرسلوا الشرقاوي والمهدي والسرسي والفيومي وغيرهم، فلما وصلوا الى ساري عسكر وجلسوا خاطبهم على لسان الترجمان بما حاصله أن ساري عسكر قد أمن أهل مصر أماناً شافياً وأن الباشا والكتخدا ومن معهما من العساكر العثمانية يخرجون من مصر ويلحقون بالعرضي، وعلى الفرنساوية القيام بما يحتاجون إليه من المؤونة والذخيرة حتى يصلوا الى معسكرهم، وأما الأجناد المصرية الداخلة معهم فمن أراد منهم المقام بمصر من المماليك والغز الداخلين معهم فليقم وله الإكرام، ومن أراد الخروج فليخرج، والجرحى من العثملي يجردون من سلاحهم وإن كان يأخذه الكتخدا فليأخذه وعلينا أن نداويهم حتى يبرأوا، ومن أقام بعد البرء منهم فعلينا مؤونته ومن أراد الخروج بعد برئه فليخرج، وعلى أهل مصر الأمان فإنهم رعيتنا، وتوافقوا على ذلك وتراضوا عليه، ولما كان الغد وشاع أمر الموادعة واستفيض أمر الصلح على هذا، قالوا لهم لأي شيء تفعلون هذا الفعل وهذه المحاربات والوزير ولى مهزوماً ورجع هارباً ولا يمكن عوده في هذا الحين إلا أن يكون بعد ستة أشهر، فاعتذروا له بأن هذا من فعل ناصف باشا وكتخدا الدولة: وابراهيم بك ومن معهم، فإنهم هم الذين أثاروا الفتنة وهيجوا الرعايا ومنوا الناس الأماني الكاذبة والعامة لا عقول لهم، فقالوا لهم بعد كلام طويل: قولوا لهم يتركون القتال ويخرجون فيلحقون بوزيرهم، فإنهم لا طاقة لهم على حربنا ويكونون سبباً لهلاك الرعية وحرق البلدين مصر وبولاق، فقالوا له: نخشى أنهم إذا امتثلوا وجنحوا للموادعة وخرجوا وذهبوا الى ساري عسكرهم تنتقمون منا ومن الرعايا بعد ذلك، فقالوا: لا نفعل ذلك فإنهم إذا رضوا ومنعوا الحرب اجتمعنا معكم وإياهم وعقدنا صلحاً ولا نطالبكم بشيء، والذي قتل منا في نظير الذي قتل منكم وزودناهم وأعطيناهم ما يحتاجون من خيل وجمال، وأصبحنا معهم من يوصلهم الى مأمنهم من عسكرنا، ولا نضر أحداً بعد ذلك، فلما رجع المشايخ بهذا الكلام وسمعه الانكشارية والناس قاموا عليهم وسبوهم

وشتموهم وضربوا الشرقاوي والسرسي ورموا عمائمهم وأسمعوهم قبيح الكلام، وصاروا يقولون: هؤلاء المشايخ ارتدوا وعملوا فرنسيس ومرادهم خذلان المسلمين وأنهم أخذوا دراهم من الفرنسيس، وتكلم السفلة والغوغاء من أمثال هذا الفضول وتشدد في ذلك الرجل المغربي الملتف عليه أخلاط العالم، ونادى من عند نفسه: الصلح منقوض وعليكم بالجهاد، ومن تأخر عنه ضرب عنقه، وكان السادات ببيت الصاري فتحير واحتال بأن خرج وأمامه شخص ينادي بقوله: الزموا المتاريس، ليقي بذلك نفسه من العامة ووافق ذلك أغراض العامة لعدم إدراكهم لعواقب الأمور، فالتوا عليهم وتعضد كل بالآخر وأن غرضه هو في دوام الفتنة فإن بها يتوصل لما يريد من النهب والسلب والتصور بصوره الإمارة باجتماع الأوغاد عليه وتكفل الناس له بالمأكل والمشرب هو ومن انضم إليه، واشتطاط في المآكل مع فقد الناس لا دون ما يؤكل حتى أنه كان إذا نزل جهة من

جهات المدينة لإظهار أنه يريد المعونة أو الحرس فيقدمون له بالطعام فيقول: لا آكل إلا الفراخ، ويظهر أنه صائم فيكلف أهل تلك الجهة أنواع المشقات والتكلفات بتعنته في هذه الشدة بطلب أفحش المأكولات وما هو مفقود، ثم هو مع ذلك لا يغني شيئاً بل إذا دهم العدو تلك الجهة التي هو فيها فارقها وانتقل لغيرها، وهكذا كان ديدنه، ثم هو ليس ممن له في مصر ما يخاف عليه من مسكن أو أهل أو مال أو غير ذلك بل كما قيل: لا ناقتي فيها ولا جملي، فإذا قدر ما قدر تخلص مع حزبه الى بعض الجهات والتحق بالريف أو غيره، وحينئذ يكون كآحاد الناس ويرجع لحالته الأولى وتبطل الهيئة الاجتماعية التي جعلها لجلب الدنيا فخاً منصوباً ومخرق بها على سخاف العقول وإخفاء الأحلام، وهكذا حال الفتن تكثر فيها الدجاجلة ولو أن نيته ممحضة لخصوص الجهاد لكانت شواهد علانيته أظهر من نار على علم، أو اقتحم كغيره ممن سمعنا عنهم من المخلصين في الجهات وفي بيع أنفسهم في مرضاة رب العباد لظا الهيجاء، و لم يتعنت على الفقراء و لم يجعل همته في السلب مصروفة وحال سلوكه عند الناس ليست معروفة:

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

وبالجملة فكان هذا الرجل سبباً في تهدم أغلب المنازل بالأزبكية، ومن جملة ما رميت به مصر من البلاء، وكان ممن ينادى به عليه حين أشيع أمر الصلح وتكلم به الأشياخ: الصلح منقوض وعليكم بالجهاد ومن تأخر ضرب عنقه، وهذا منه أفتيات وفضول ودخول فيما لا يعني حيث كان في البلد مثل الباشا والكتخدا والأمراء المصرية، فما قدر هذا الأهوج حتى ينقض صلحاً أو يبرمه وأي شيء يكون هو حتى ينادي أو ينصب نفسه بدون أن ينصبه أحد لذلك: لكنها الفتن يشتنسر بها البغات سيما عند هيجان العامة وثوران الرعاع والغوغاء إذ كان ذلك مما يوافق أغراضهم، على أن المشايخ لم يأمروا بشيء و لم يذكروا صلحاً ولا غيره إنما بلغوا صورة المجلس الذي طلبوا لأجله لحضرة الكتخدا، فبمجرد ذلك قامت عليهم العامة هذا المقام وسبوهم وشتموهم بل وضربوهم، وبعضهم رموا بعمامته الى الأرض، وأسمعوهم قبيح الكلام وفعلوا معهم ما فعلوا، وصاروا يقولون: لولا أن الكفرة الملاعين تبين لهم الغلب والعجز ما طلبوا المصالحة والموادعة وأن بارودهم وذخيرتهم فرغت، ونحو ذلك من الظنون الفاسدة، و لم يردوا عليهم جواباً بل ضربوا بالمدافع والبنادق فأرسلوا أيضاً رسلاً يسألونهم عن الجواب الذي توجه به المشايخ، فأرسل إليهم الباشا والكتخدا يقولان لهم: إن العساكر لم يرضوا بذلك ويقولون لا نرجع عن حربهم حتى نظفر بهم أو نموت عن آخرنا، وليس في قدرتنا قهرهم على الصلح، فأرسل الفرنساوية جواب ذلك في ورقة يقولون في ضمنها: قد عجبنا من قولكم إن العساكر لم ترض بالصلح وكيف يكون الأمير أميراً على جيش ولا ينفذ أمره فيهم، ونحو ذلك، وأرسلوا أيضاً رسولاً الى أهل بولاق يطلبونهم للصلح وترك الحرب ويحذرونهم عاقبة ذلك فلم يرضوا، وصمموا على العناد فكرروا عليهم المراسلة، وهم لا يزدادون إلا مخالفة وشغباً، فأرسلوا في خامس مرة فرنساوياً يقول: أمان أمان سوا سوا، وبيده ورقة من ساري عسكر فأنزلوه من على فرسه وقتلوه، وظن كامل أهل مصر أنهم إنما يطلبون صلحهم عن عجز وضعف، وأشعلوا نيران القتال وجدوا في الحرب من غير انفصال. والفرنساوية لم يقصروا كذلك، وراسلوا رمي المدافع والقنابر والبندق المتكاثر، وحضر الألفي الى عثمان كتخدا برأي ابتدعه ظن أن فيه الصواب وهو أن يرفعوا على هلالات المنارات أعلاماً نهاراً ويوقدون عليها القناديل ليلاً ليرى ذلك العسكر القادم فيهتدي ويعلمون أن البلد بيد المسلمين، وأنهم

منصورون، وكذلك صنع معهم أهل بولاق، وذلك لغلبة ظن الناس أن هناك عسكراً قادمين لنجدتهم.

وظن أهل بولاق أن الباعث على ذلك نصرتهم فصمموا على ذلك للحرب، واستمر هذا الحال بين الفريقين الى يوم الخميس ثاني عشرينه الموافق لعاشر برموده القبطي وسادس نيسان الرومي، فغيمت السماء غيماً كثيفاً وأرعدت رعداً مزعجاً عنيفاً وأمطرت مطراً غزيراً وسيلت سيلاً كثيراً، فسالت المياه في الجهات وتوحلت جميع السكك والطرقات فاشتغل الناس بتجفيف المياه والأوحال، ولطخت الأمراء والعساكر بسراويلهم ومراكيبهم بالطين . والفرنساوية هجموا على مصر وبولاق من كل ناحية و لم يبالوا بالأمطار لأنهم في خارج الأفنية وهي لا تتأثر بالمياه كداخل الأبنية، وعندهم الاستعداد والتحفظ والخفة في ملابسهم وما على رؤوسهم، وكذلك أسلحتهم وعددهم وصنائعهم، بخلاف المسلمين، فلما حصل ذلك اغتنموا الفرصة وهجموا على البلدين من كل ناحية وعملوا فتائل مغمسة بالزيت والقطران وكعكات غليظة ملوية على أعناقهم معمولة بالنفط والمياه المصنوعة المقطرة التي تشتعل ويقوى لهبها بالماء، وكان معظم كبستهم من ناحية باب الحديد وكوم أبي الريش وجهة بركة الرطلي وقنطرة الحاجب وجهة الحسينية والرميلة، فكانوا يرمون المدافع والبنبات من قلعة جامع الظاهر وقلعة قنطرة الليمون، ويهجمون أيضاً وأمامهم المدافع وطائفة خلفهم بواردية يقال لهم السلطات يرمون بالبندق المتتابع، وطائفة بأيديهم الفتائل والكعكات المشتعلة بالنيران يلهبون بها السقائف وضرف الحوانيت وشبابيك الدور، ويزحفون على هذه الصورة شيئاً فشيئاً. والمسلمون أيضاً بذلوا جهدهم وقاتلوا بشدة همتهم وعزمهم، وتحول الآغا وأكثر الناس الى تلك الجهة وزلزلوا في ذلك اليوم والليلة زلزالاً شديداً، وهاجت العامة وصرخت النساء والصبيان، ونطوا من الحيطان، والنيران تأخذ المتوسطين بين الفئتين من كل جهة، هذا والأمطار تسح حصة من النهار وكذلك بالليل من ليلة الجمعة، وكذلك الرعد والبرق، وعثمان بك الأشقر الابراهيمي وعثمان بك البرديسي المرادي ومصطفى كاشف رستم يذهبون ويجيئون من الفرنسيس الى المسلمين ومن الفرنسيس إليهم ويسعون في الصلح بين الفريقين.

ثم إنهم هجموا على بولاق من ناحية البحر ومن ناحية بوابة أبي العلا بالطريقة المذكورة بعضها، وقاتل أهل بولاق جهدهم ورموا بأنفسهم في النيران حتى غلب الفرنسيس عليهم وحصروهم من كل جهة وقتلوا منهم بالحرق والقتل وبلوا بالنهب والسلب، وملكوا بولاق وفعلوا بأهلها ما يشيب من هوله النواصي، وصارت القتلى مطروحة في الطرقات والأزقة واحترقت الأبنية والدور والقصور وخصوصاً البيوت والرباع المطلة على البحر وكذلك الأطارف، وهرب كثير من الناس عندما أيقنوا بالغلبة فنجوا بأنفسهم الى الجهة القبلية، ثم أحاطوا بالبلد ومنعوا من يخرج منها واستولوا على الخانات والوكائل والحواصل والودائع والبضائع وملكوا الدور وما بها من الأمتعة والأموال والنساء والخوندات والصبيان والبنات ومخازن الغلال والسكر والكتان والقطن والأبازير والأرز والأدهان والأصناف العطرية، وما لا تسعه السطور ولا يحيط به كتاب ولا منشور، والذي وجدوه منعكفاً في داره أو طبقته و لم يقاتل و لم يجدوا عنده سلاحاً نهبوا متاعه وعروه من ثيابه ومضوا وتركوه حياً، وأصبح من بقي من ضعفاء أهل بولاق وأهلها وأعيانها الذين لم يقاتلوا فقراء لا يملكون ما يستر عوراتهم. وذلك يوم الجمعة ثالث عشرينه، وكان محمد الطويل كاتب الفرنساوية أخذ منهم أماناً لنفسه وأوهم أصحابه أنه يحارب معهم، وفي وقت هجوم

العساكر انفصل إليهم واختفى البشتيلي. فدلوا عليه وقبضوا على وكيله وعلى الرؤساء، فحبسوا البشتيلي بالقلعة والباقي ببيت ساري عسكر وضيقوا عليهم حتى منعوهم البول، وفي اليوم الثالث أطلقوهم وجمعوا عصبة البشتيلي من العامة وسلموهم البشتيلي، وأمروهم أن يقتلوه بأيديهم لدعواهم أنه هو الذي كان يحرك الفتنة ويمنعهم الصلح، وأنه كاتب عثمان كتخدا بمكتوب قال فيه: إن الكلب دعانا للصلح فأبينا منه وأرسله مع رجل ليوصله الى الكتخدا فوقع في يد ساري عسكر كلهبر، فحركه ذلك على أخذ بولاق وفعله فيها الذي فعله وقوبل على ذلك بأن أسلم الى عصبته، وأمروا أن يطوفوا به البلد ثم يقتلوه ففعلوا ذلك وقتلوه بالنبابيت، وألزم أهل بولاق بأن يرتبوا ديواناً لفصل الأحكام. وقيدوا فيه تسعة من رؤسائهم ثم بعد مضي يومين ألزموا بغرامة مائتي ألف ريال، وأما المدينة فلم يزل الحال بها على النسق المتقدم من الحرب والكرب والنهب والسلب الى سادس عشرينه حتى ضاق خناق الناس من استمرار الانزعاج والحريق والسهر وعدم الراحة لحظة من الليل والنهار، مع ما هم فيه من عدم القوت، حتى هلكت الناس وخصوصاً الفقراء والدواب، وإيذاء عسكر العثمانلي للرعية وخطفهم ما يجدونه معهم، حتى تمنوا زوالهم ورجوع الفرنسيس على حالتهم التي كانوا عليها، والحال كل وقت في الزيادة وأمر المسلمين في ضعف لعدم الميرة والمدد والفرنساوية بالعكس، وفي لك يوم يزحفون الى قدام والمسلمون الى وراء، فدخلوا من ناحية باب الحديد وناحية كوم أبي الريش وقنطرة الحاجب وتلك النواحي، وهم يحرقون بالفتائل والنيران الموقدة ويملكون المتاريس الى أن وصلوا من ناحية قنطرية الحروبي وناحية باب الحديد الى قرب باب الشعرية.

وكان شاهين آغا هناك عند المتاريس فأصابته جراحه، فقام من مكانه ورجع القهقرى، فعند رجوعه وقعت الهزيمة ورجع الناس يدوسون بعضهم البعض.

وملك الفرنساوية كوم أبي الريش وصاروا يحاربون من كوم أبي الريش وهم في العلو والمسلمون أسفل منهم، وكان المحروقي زور كتاباً على لسان الوزير وجاء به رجل يقول إنه رسول الوزير وإنه اختفى في طريق خفية ونط من السور، وإن الوزير يقدم بعد يومين أو ثلاثة وإنه ترك بالصالحية، وإن ذلك كذب لا أصل له وأن يكتب جواباً عن فرمان كتبوه على لسان المشايخ والتجار، وأرسلوه الى الوزير في أثناء الواقعة.

هذا والبرديسي ومصطفى كاشف والأشقر يسعون في أمر الصلح الى أن تموه على كف الحرب، وأن الفرنساوية يمهلون العثمانية والأمراء ثلاثة أيام حتى يقضوا أشغالهم ويذهبون حيث أتوا، وجعلوا الخليج حداً بين الفريقين لا يتعدى أحد من الفريقين بر الخليج الآخر وأبطلوا الحرب وأخمدوا النيران وتركوا القتال وأخذ العثمانية والأمراء والعسكر في أهبة الرحيل وقضاء أشغالهم، وزودهم الفرنساوية وأعطوهم دراهم وجمالاً وغير ذلك، وكتبوا بعقد الصلح فرماناً مضمونه أنهم يعوقون عندهم عثمان بك البرديسي وعثمان بك الأشقر ويرسلون ثلاثة أنفار من أعيانهم يكونون بصحبة عثمان كتخدا، حتى يصل الى الصالحية، وأن يوصلهم ساري عسكر داماس بثلثمائة من العسكر خوفاً عليهم من العرب، وأن من جاء منهم من جهة يرجع إليها، ومن أراد الخروج من أهل مصر معكم فليخرج ما عدا عثمان بك الأشقر، فإنه إذا رجع الثلاثة مع الفرنساوية يذهب مع البرديسي الى مراد بك بالصعيد، وأرسلوا الثلاثة المذكورين الى وكالة ذي الفقار بالجمالية وأجلسوهم بمسجد الجمالي صحبة نصوح باشا فهاجت العامة وراموا قتلهم وهموا بقتل عثمان كتخدا فأغلق دونهم باب الخان، ومنع نصوح باشا

العامة من الهجوم على المسجد، وركب المغربي فتوجه الى الحسينية وطلب محاربة الفرنسيس، فحضر أهل الحسينية الى عثمان كتخدا يستأذنونه في موافقة ذلك المغربي أو منعه. فأمر بمنعه وكفهم عن القتال، وركب المحروقي عند ذلك ومر بسوق الخشب، وقدامه المناداة بأن لا صلح ولزوم المتاريس، ثم فتح باب الوكالة وخرج منها عسكر بالعصي، فهاجوا في العامة ففروا وسكن الحال.

واستهل شهر ذي الحجة بيوم الجمعة سنة 1215

فيه خرج العثمانية وعساكرهم وابراهيم بك وأمراؤه ومماليكه والألفي وأجناده ومعهم السيد عمر مكرم النقيب والسيد أحمد المحروقي الشاه بندر وكثيرون من أهل مصر، ركباناً ومشاة. الى الصالحية، وكذلك حسن بك الجداوي وأجاده، وأما عثمان بك حسن ومن معه فرجعوا صحبة الوزير، فلم يسع ابراهيم بك وحسن بك ترك جماعتهما خلفهما وذهابهم بأنفسهم الى قبلي، بل رجعا بجماعتهما على إثرهما وذاقوا وبال أمرهم وانكشف الغبار عن تعسة المسلمين وخيبة أمل الذاهبين والمتخلفين، وما استفاد الناس من هذه العمارة وما جرى من الغارة إلا الخراب والسخام والهباب، فكانت مدة الحرب والحصر بما فيها من الثلاثة أيام الهدنة سبعة وثلاثين يوماً، وقع بها من الحروب والكروب والانزعاج والشتات والهياج وخراب الدور وعظائم الأمور وقتل الرجال ونهب الأموال وتسلط الأشرار وهتك الأحرار، وخصوصاً ما أوقع الفرنساوية بالناس بعد ذلك مما سيتلى عليك بعضه، وخرب في هذه الواقعة عدة جهات من أخطاط مصر الجليلة مثل جهة الأزبكية الشرقية من حد جامع عثمان والفوالة وحارة كتخدا رصيف الخشاب وخطة الساكت، الى بيت ساري عسكر بالقرب من قنطرة الدكة. وكذلك جهة باب الهواء الى حارة النصارى من الجهة القبلية، وأما بركة الرطلي وما حولها من الدور والمنتزهات والبساتين فإنها صارت كلها تلالاً وخرائب وكيمان أتربة وقد كانت هذه البركة من أجل منتزهات مصر قديماً وحديثاً وبالقرب منها المقصف المعروف بدهليز الملك والبرنج والجسر، وكانت تعرف ببركة الطوابين، ثم عرفت ببركة الحاجب منسوبة للأمير بكتمر الحاجب من أمراء الملك الناصر محمد بن قلاوون لأنه هو الذي احتفرها، وأجرى إليها الماء من الخليج الناصري، وبنى القنطرة المنسوبة إليه وعمر عليها الدور والمناظر، وبنى على الجسر الفاصل بينها وبين الخليج دوراً بهية، وكان هذا الجسر من أجل المنتزهات وقد خربت منازله في القرن العاشر في واقعة السلطان سليم خان مع الغوري، وصار محله بستاناً عظيماً قطع أشجاره وغالب نخيله الفرنساوية.

ومما تخرب أيضاً حارة المقس من قبل سوق الخشب الى باب الحديد، وجميع ما في ضمن ذلك من الحارات والدور صارت كلها خرائب متهدمة محترقة تسكب عند مشاهدتها العبرات ويتذكر بها ما يتلى في حق الظالمين من الآيات، فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعقلون، وقال تعالى وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً وكنا نحن الوارثين، وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولاً يتلو عليهم آياتنا، وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون.
وقال تعالى وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول، فدمرناها تدميراً.

ودخل الفرنساوية الى المدينة يسعون والى الناس بعين الحقد ينظرون، واستولوا على ما كان اصطنعه وأعده العثمانية والقنابر والبارود وآلات الحرب جميعها، وقيل إنهم حاسبوهم على كلفته ومصاريفه وقبضوا ذلك من الفرنساوية.

وركب المشايخ والأعيان عصر ذلك اليوم وذهبوا الى كبير الفرنسيس، فلما وصلوا الى داره ودخلوا عليه وجلسوا ساعة أبرز إليهم ورقة مكتوب فيها: النصرة لله الذي يريد أن المنصور يعمل بالشفقة والرحمة مع الناس، وبناء على ذلك ساري عسكر العام يريد أن ينعم بالعفو العام والخاص على أهل مصر وعلى أهل بر مصر، ولو كانوا يخالطون العثملي في الحروب. وأنهم يشتغلون بمعايشهم وصنائعهم، ثم نبه عليهم بحضورهم الى قبة النصر بكرة تاريخه.

ثم قاموا من عنده وشقوا المدينة وطافوا بالأسواق وبين أيديهم المناداة للرعية بالاطمئنان والأمان، فلما أصبح ذلك اليوم ركبت المشايخ والوجاقلية وذهبوا الى خارج باب النصر. وخرج أيضاً القلقات والنصارى القبط والشوام وغيرهم، فلما تكامل حضور الجميع رتبوا موكباً وساروا ودخلوا من باب النصر وقدامهم جماعة من القواسة يأمرون الناس بالقيام وبعض فرنساوية راكبين خيلاً وبأيديهم سيوف مسلولة ينهرون الناس ويأمرونهم بالوقوف على أقدامهم، ومن تباطأ في القيام أهانوه، فاستمرت الناس وقوفاً من ابتداء سير الموكب الى انتهائه، ثم تلا الطائفة الآمرة للناس بالوقوف جمع كثير من الخيالة الفرنساوية بأيديهم سيوف مسلولة وكلهم لابسون جوخاً أحمر وعلى رؤوسهم طراطير من الفراوي على غير هيئة خيالتهم ومشاتهم، ثم تتالى بعد هؤلاء طوائف العساكر ببوقاتهم وطبولهم وزمورهم واختلاف أشكالهم وأجناسهم وملابسهم من خيالة ورجالة، ثم الأعيان والمشايخ والوجاقلية وأتباعهم، الى أن قدم ساري عسكر الفرنساوية وخلف ظهره عثمان بك البرديسي وعثمان بك الأشقر. وخلفهم طوائف من خيالة الفرنسيس.

ولما انقضى أمر الموكب نادوا بالزينة فزينت البلد ثلاثة أيام، آخرها يوم الثلاثاء مع السهر ووقود القناديل ليلاً، ثم دعاهم في يوم الأربعاء وعمل لهم سماطاً عظيماً على طريقة المصرلية.

وقلدوا في ذلك اليوم محمد آغا الطناني أغات مستحفظان، وركب ونادى بالأمان وأعطوا البكري بيت عثمان كاشف كتخدا الحج، وهو بيت البارودي الثاني، فسكن به وشرع في تنظيمه وفرشه، ولبسوه في ذلك اليوم فروة سمور، فقاموا من عنده فرحين مطمئنين مستبشرين.

فلما كان يوم الخميس سابعه ذهب الى مراد بك بجزيرة الذهب باستدعاء فمد لهم أسمطة عظيمة وانبسط معهم وافتخر افتخاراً زائداً وأهدى الى بعضهم هدايا جليلة وتقادم عظيمة. وأعطاه ما كان أرسله درويش باشا معونة للباشا والأمراء من الأغنام وغيرها، وكانت نحو الأربعة آلاف رأس وولوه إمارة الصعيد من جرجا الى أسنا، ورجع عائداً الى داره بالأزبكية،

فلما كان في صبحها يوم الجمعة ثامنه بكروا بالذهاب الى بيت ساري عسكر ولبسوا أفخر ثيابهم وأحسن هيآتهم، وطمع كل واحد منهم وظن أن ساري عسكر يقله في هذا اليوم أجل المناصيب، أو ربما حصل التغيير والتبديل في أهل الديوان، فيكون في الديوان الخصوصي، فلما استقربهم الجلوس في الديوان الخارج أهملوا حصة طويلة لم يؤذن لهم و لم يخاطبهم أحد، ثم فتح باب المجلس الداخل وطلبوا الى الدخول فيه فدخلوا وجلسوا حصة مثل الأولى، ثم خرج إليهم ساري عسكر وصحبته الترجمان وجماعة من أعيانهم فوضع له كرسي في وسط المجلس وجلس عليه، ووقف الترجمان وأصحابه حواليه واصطف الوجاقلية والحكام من ناحية، وأعيان النصارى والتجار من ناحية، وعثمان بك الأشقر والبرديسي أيضاً حاضران، وكلم ساري عسكر

الترجمان كلاماً طويلاً بلغتهم حتى فرغ، فالتفت الترجمان الى الجماعة وشرع يفسر لهم مقالة ساري عسكر ويترجم عنها بالعربي والجماعة يسمعون، فكان ملخص ذلك القول إن ساري عسكر يطلب منكم عشرة آلاف ألف الى آخر العبارة الآتية، وأما هذه العبارة فإنه قالها المهدي: فقط إننا لما حضرنا الى بلدكم هذه نظرنا أن أهل العلم هم أعقل الناس، والناس بهم يقتدون ولأمرهم يمتثلون، ثم أنكم أظهرتم لنا المحبة والمودة وصدقنا ظاهر حالكم فاصطفيناكم وميزناكم على غيركم، واخترناكم لتدبير الأمور وصلاح الجمهور فرتبنا لكم الديوان وغمرناكم بالإحسان وخفضنا لكم جناح الطاعة وجعلناكم مسموعين القول مقبولين الشفاعة، وأوهمتونا أن الرعية لكم ينقادون ولأمركم ونهيكم يرجعون، فلما حضر العثملي فرحتم لقدومهم وقمتم لنصرهم، وثبت عند ذلك نفاقكم لنا، فقالوا له: نحن ما قمنا مع العثملي إلا عن أمركم لأنكم عرفتمونا أننا صرنا في حكم العثملي من ثاني شهر رمضان، وأن البلاد والأموال صارت له وخصوصاً وهو سلطاننا القديم وسلطان المسلمين، وما شعرنا إلا بحدوث هذا الحادث بينكم وبينهم على حين غفلة، ووجدنا أنفسنا في وسطهم فلم يمكننا التخلف عنهم. فرد عليهم الترجمان ذلك الجواب ثم أجابهم بقوله: ولأي شيء لم تمنعوا الرعية عما فعلوه من قيامهم ومحاربتهم بنا؟، فقالوا: لا يمكننا ذلك خصوصاً وقد تقوتوا علينا بغيرنا وسمعتم ما فعلوه معنا من ضربنا وبهدلتنا عندما أشرنا عليهم بالصلح وترك القتال، فقال لهم: وإذا كان الأمر كما ذكرتم ولا يخرج من يدكم تسكين الفتنة ولا غير ذلك فما فائدة رياستكم، وايش يكون نفعكم إلا الضرر لأنكم إذا حضر أخصامنا قمتم معهم وكنتم وإياهم علينا، وإذا ذهبوا رجعتم إلينا معتذرين، فكان جزاؤكم أن نفعل معكم كما فعلنا مع أهل بولاق من قتلكم عن آخركم وحرق بلدكم وسبي حريمكم وأولادكم، ولكن حيث أننا أعطيناكم الأمان فلا ننقض أماننا ولا نقتلكم، وإنما نأخذ منكم الأموال، فالمطلوب منكم عشرة آلاف ألف فرنك، عن كل فرنك ثمانية وعشرون فضة يكون فيها ألف ألف فرانسة، عنها خمس عشرة خزنة رومي بثلاث عشرة خزنة مصري، منها خمسمائة ألف فرانسة على مائتين، على الشيخ السادات خاصة من ذلك خمسمائة وخمسة وثلاثون ألفاً، والشيخ محمد بن الجوهري خمسون ألفاً. وأخيه الشيخ فتوح خمسون ألفاً، والشيخ مصطفى الصاوي خمسون ألفاً، والشيخ العناني مائتان وخمسون ألفاً، نقطتعها من ذلك نظير نهب دور الفارين مع العثملي، مثل المحروقي والسيد عمر مكرم وحسين آغا شتن وما بقي تدبرون رأيكم فيه وتوزعونه على أهل البلد، وتتركون عندنا منكم خمسة عشر شخصاً، انظروا من يكون فيكم رهينة عندنا حتى تغلقوا ذلك المبلغ، وقام من فوره ودخل مع أصحابه الى داخل وأغلق بينه وبينهم الباب.

ووقف الحرس على الباب الآخر يمنعون من يخرج من الجالسين، فبهت الجماعة وامتقعت وجوههم ونظروا الى بعضهم البعض وتحيرت أفكارهم، ولم يخرج عن هذا الأمر إلا البكري والمهدي، لكون البكري حصل له ما حصل في صحائفهم، والمهدي حرق بيته بمرأى منهم. وكان قبل ذلك نقل جميع ما فيه بداره بالخرنفش ولم يترك به إلا بعض الحصر، ولم يكن به غير بعض الخدم، وكان يستعمل المداهنة وينافق الطرفين بصناعته وعادته، ولم تزل الجماعة في حيرتهم وسكرتهم وتمنى كل منهم أنه لم يكن شيئاً مذكوراً، ولم يزالوا على ذلك الحال الى قريب العصر حتى بال أكثرهم في ثيابه وبعضهم شرشر ببوله من شباك المكان، وصاروا يدخلون على نصارى القبط ويقعون في عرضهم، فالذي انحشر فيهم ولم يكن معدوداً من الرؤساء أخرجوه بحجة أو سبب وبعضهم ترك مداسه وخرج حافياً وما صدق بخلاص نفسه.

هذا والنصارى والمهدي يتشاورون في تقسيم ذلك وتوزيعه وتدبيره وترتيبه في قوائم حتى وزعوها على الملتزمين وأصحاب الحرف حتى على الحواة والقردتية والمخيظين والتجار وأهل الغورية وخان الخليلي والصاغة والنحاسين والدلالين والقبانين وقضاة المحاكم وغيرهم. كل طائفة مبلغ له صورة ثمل ثلاثين ألف فرانسا وأربعين ألفاً، وكذلك بياعون التنباك والدخان والصابون والخردجية والعطارون والزياتون والشواؤون والجزارون والمزينون وجميع الصنائع والحرف، وعملوا على أجرة الأملاك والعقار والدور أجرة سنة كاملة، ثم أنهم استأذنوا للمشايخ الخالص يتوجه حيث أراد والمشبوك يلزمون به جماعة من العسكر حتى يغلق المطلوب منه، فأما الصاوي وفتوح بن الجوهري فحبسوهما ببيت قائمقام والعناني هرب فلم يجدوه، وداره احترقت فأضافوا غرامته على غرامة الشيخ السادات كملت بها مائة وخمسون ألف فرانسة، وانفض المجلس على ذلك وركب ساري عسكر من يومه ذلك وذهب الى الجيزة، ووكل يعقوب القبطي يفعل في المسلمين ما يشاء وقائمقام والخازندار لرد الجوابات وقبض ما يتحصل وتدبير الأمور والرهونات، ونزل الشيخ السادات وركب الى داره فذهب معه عشرة من العسكر وجلسوا على باب داره، فلما مضت حصة من الليل حضر إليه مقدار عشرة من العسكر أيضاً فأركبوه وطلعوا به الى القلعة وحبسوه في مكان، فأرسل الى عثمان بك البرديسي وتداخل عليه، فشفع فيه فقالوا له: أما القتل فلا نقتله لشفاعتك وأما المال فلابد من دفعه ولابد من حبسه وعقوبته حتى يدفعه، وقبضوا على فراشه ومقدمه وحبسوهما. ثم أنزلوه الى بيت قائمقام فمكث به يومين ثم أصعدوه الى القلعة ثانياً وحبسوه في حاصل ينام على التراب ويتوسد بحجر، وضربوه تلك الليلة، فأقام كذلك يومين ثم طلب زين الفقار كتخدا فطلع إليه هو وبرطلمان فقال لهما: أنزلوني الى داري حتى أسعى وأبيع متاعي وأشهل حالي. فاستأذنوا له وأنزلوه الى داره فأحضر ما وجده من الدراهم فكانت تسعة آلاف ريال معاملة. عنها ستة آلاف ريال فرانسة، ثم قوموا ما وجدوه من المصاغ والفضيات والفراوي والملابس وغير ذلك بأبخس الثمن، فبلغ ذلك خمسة عشر ألف فرانسة، فبلغ المدفوع بالنقدية والمقومات أحداً وعشرين ألف فرانسة، والمحافظون عليه من العسكر ملازمونه، ولا يتركونه يطلع الى حريمه ولا الى غيره، وكان وزع حريمه وابنه الى مكان آخر، وبعد أن فرغوا من الموجودات جاسوا خلال الدار يفتشون ويحفرون الأرض على الخبايا حتى فتحوا الكنيفات ونزلوا فيها فلم يجدوا شيئاً، ثم نقلوه الى بيت قائمقام ماشياً وصاروا يضربونه خمسة عشر عصا في الصباح ومثلها في الليل، وطلبوا زوجته وابنه فلم يجدوهما فأحضروا محمداً السندوبي تابعه وقرروه، حتى عاين الموت حتى عرفهم بمكانهما، فأحضروهما وأودعوا ابنه عند أغات الانكشارية وحبسوا زوجته معه، فكانوا يضربونه بحضرتها وهي تبكي وتصيح وذلك زيادة في الإنكاء، ثم أن المشايخ وهم الشرقاوي والفيومي والمهدي، والشيخ محمد الأمير وزين الفقار كتخدا تشفعوا في نقلها من عنده فنقلوها الى بيت الفيومي، وبقي الشيخ على حاله وأخذوا مقدمه وفراشه وحبسوهما وتغيب أكثر أتباعه واختفوا، ثم وقعت المراجعة والشفاعة في غرامة الشيخ فتوح الجوهري والصاوي فأضعفوها وجعلوها على كل واحد منها خمسة عشر ألف فرانسة ورد الباقي على الفردة العامة.

وأما الشيخ محمد ابن الجوهري فإنه اختفى فلم يجدوه فنهبوا داره ودار نسيبه المعروف بالشويخ ثم أنه توسل بالست نفيسة زوجة مراد بك، فأرسلت الى مراد بك وهو بالقرب من الفشن فأرسل من عنده كاشفاً وتشفع فيه فقبلوا شفاعته ورفعوها عنه وردوها أيضاً علي الفردة العامة، ثم أنهم وكلوا بالفردة العامة وجميع المال يعقوب القبطي، وتكفل بذلك وعمل الديوان

لذلك ببيت البارودي، وألزموا الآغا بعدة طوائف كتبوها في قائمة بأسماء أربابها وأعطوه عسكراً وأمره بتحصيلها من أربابها، وكذلك علي آغا الوالي الشعراوي وحسن آغا المحتسب وعلي كتخدا سليمان بك، فنهبوا على الناس بذلك وبثوا الأعوان بطلب الناس وحبسهم وضربهم، فدهى الناس بهذه النازلة التي لم يصابوا بمثلها ولا ما يقاربها.
ومضى عيد النحر و لم يلتفت إليه أحد بل و لم يشعروا به ونزل بهم من البلاء والذل ما لا يوصف، فإن أحد الناس غنياً كان أو فقيراً لابد وأن يكون من ذروي الصنائع أو الحرف فيلزمه دفع ما وزع عليه في حرفته أو في حرفيته وأجرة داره أيضاً سنة كاملة، فكان يأتي على الشخص غرامتان أو ثلاثة ونحو ذلك، وفرغت الدراهم من عند الناس واحتاج كل الى القرض فلم يجد الدائن من يدينه لشغل كل فرد بشأنه ومصيبته، فلزمهم بيع المتاع فلم يوجد من يشتري، وإذا أعطوهم ذلك لا يقبلونه، فضاق خناق الناس وتمنوا الموت فلم يجدوه، ثم وقع الترجي في قبول المصاغات والفضيات، فأحضر الناس ما عندهم فيقوم بأبخس الأثمان. وأما أثاثات البيوت من فرش ونحاس وملبوس فلا يوجد من يأخذه، وأمروا بجمع البغال ومنعوا المسلمين من ركوبها مطلقاً سوى خمسة أنفار من المسلمين، وهم الشرقاوي والمهدي والفيومي والأمير وابن محرم والنصارى المترجمين وخلافهم لا حرج عليهم، وفي كل وقت وحين يشتد الطلب وتنبث المعينون والعسكر في طلب الناس، وهجم الدور وجرجرة الناس حتى النساء من أكابر وأصاغر وبهدلتهم وحبسهم وضربهم، والذي لم يجدوه لكونه فر وهرب يقبضون على قريبه أو حريمه أو ينهبون داره، فإن لم يجدوا شيئاً ردوا غرامته على أبناء جنسه وأهل حرفته.
وتطاولت النصارى من القبط والنصارى الشوام على المسلمين بالسب والضرب، ونالوا منهم أغراضهم وأظهروا حقدهم، و لم يبقوا للصلح مكاناً، وصرحوا بانقضاء ملة المسلمين وأيام الموحدين، هذا والكتبة والمهندسون والبناؤون يطوفون ويحررون أجر المكان والعقارات والوكائل والحمامات ويكتبون أسماء أربابها وقيمتها.
وخرجت الناس من المدينة وجلوا عنها وهربوا الى القرى والأرياف، وكان ممن خرج من مصر صاحبنا النبيه العلامة الشيخ حسن المشار إليه فيما تقدم، فتوجه لجهة الصعيد وأقام بأسيوط فأقام بها نحو ثمانية عشر شهراً.
ثم أن أكثر الفارين رجع الى مصر لضيق القرى وعدم ما يتعيشون به فيها وانزعاج الريف بقطاع الطريق والعرب والمناسر بالليل والنهار والقتل فيما بينهم وتعدي القوي على الضعيف. واستمرت الطرق محفرة والأسواق معفرة والحوانيت مقفولة والعقول مخبولة والنفوس مطبوقة والغرامات نازلة والأرزاق عاطلة والمطالب عظيمة والمصائب عميمة والعكوسات مقصودة والشفاعات مردودة، وإذا أراد الإنسان أن يفر الى أبعد مكان وينجو بنفسه ويرضى بغير أبناء جنسه لا يجد طريقاً للذهاب وخصوصاً من الملاعين الأعراب الذين هم أقبح الأجناس وأعظم بلاء محيط بالناس، وبالجملة فالأمر عظيم والخطب جسيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد.
وفي عشرينه انتقلوا بديوان الفردة من بيت البارودي الى بيت القيسرلي بالميدان، ووقع التشديد في الطلب والانتقام بأدنى سبب، وانقضى هذا العام وما جرى فيه من الحوادث العظام إقليم مصر والشام والروم والبيت الحرام.
فمنها وهو أعظمها تعطيل الثغور ومنع المسافرين براً وبحراً، ووقوف الانكليز بثغر الاسكندرية ودمياط يمنعون الصادر والوارد، وتخطوا أيضاً بمراكبهم الى بحر القلزم.
ومنها انقطاع الحج المصري في هذا العام أيضاً حتى لم يرجع المحمل بل كان مودوعاً بالقدس، فلما حضر العساكر الإسلامية

أحضروه صحبتهم الى بلبيس.

فيقال إن السيد بذرا رجع به الى جبل الخليل.

ومنها وقوف العرب وقطاع الطريق بجميع الجهات القبلية والبحرية والشرقية والغربية والمنوفية والقليوبية والدقهلية وسائر النواحي، فمنعوا السبيل ولو بالخفارة وقطعوا طريق السفار ونهبوا المارين من أبناء السبيل والتجار، وتسلطوا على القرى والفلاحين وأهالي البلاد والحرف بالعري والخطف للمتاع والمواشي من البقر والغنم والجمال والحمير وإفساد المزارع ورعيها، حتى كان أهل البلاد لا يمكنهم الخروج ببهائمهم الى خارج القرية للرعي أو للسقي لترصد العرب لذلك، ووثب أهل القرى على بعضهم بالعرب، فداخلوهم وتطاولوا عليهم وضربوا عليهم الضرائب، وتلبسوا بأنواع الشرور، واستعان بعضهم على بعض، وقوي القوي على الضعيف وطمعت العرب في أهل البلاد، وطلبوهم بالثارات والعوائد القديمة الكاذبة، وآن وقت الحصاد فاضطروا لمسالمتهم لقلة الضم، فلما انقضت حروب الفرنسيس نزلوا الى البلاد واحتجوا عليهم بمصادقتهم العرب، فضربوهم ونهبوهم وسبوهم وطالبوهم بالمغارم والكلف الشاقة، فإذا انقضوا وانتقلوا عنهم رجعت العرب على أثرهم، وهكذا كان حالهم وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون.

ومنها أن النيل قصر مده في هذه السنة فشرقت البلاد وارتحل أهل البحيرة الى المنوفية والغربية فاستحسن رحيل عربان البحيرة لأنه بقي لهم في الحي نخيل.

ومنها أنه لما حضرت العثمانية وشاع أمر الصلح وخضوع الفرنساوية لهم، نزل طائفة من الفرنسيس الى المنوفية وطلبوا من أهلها كلفة لرحيلهم، فلما مروا بالمحلة الكبيرة تعصب أهلها واجتمعوا الى قاضيها، وخرج لحربهم، فأكمن الفرنسيس لهم وضربوا عليهم طلقاً بالمدافع البنادق فقتلوا منهم نيفاً وستمائة إنسان، ومنهم القاضي وغيره، ولم ينج منهم إلا من فر وكان طويل العمر، وكذلك أهل طنتداء عند حضورهم إليهم وصل إليهم رجل من الجزارين المنتسبين للعثمانية من جهة الشرق لزيارة سيدي أحمد البدوي، وهو راكب على فرس وحوله نحو الخمسة أنفار، وكان بعض الفرنسيس بداخل البلدة يقضون بعض أشغالهم، فصاحت السوقة والبياعون عند رؤية ذلك الرجل بقولهم: نصر الله دين الإسلام، وهاجوا وماجوا ولقلقت النساء بألسنتهن وصاحت الصبيان وسخروا بالفرنسيس، وتراموا بما على رؤوسهم. وضربوهم وجرحوهم وطردوهم فتسحبوا من عندهم فغابوا ثلاثة أيام، ورجعوا بجمعي عسكرهم ومعهم الآلات من المدافع، فاحتاطوا بالبلدة وضربوا عليهم مدفعاً ارتجوا له، ثم هجموا عليه ودخلوا إليهم وبأيديهم السيوف المسلولة ويقدمهم طبلهم، وطلبوا خدمة الضريح الذين يقال لهم أولاد الخادم، وهم ملتزمو البلدة وأكابرها ومتهمون بكثرة الأموال من قديم الزمان، وكانوا قبل ذلك بنحو ثلاثة أشهر قبضوا عليهم بإغراء القبط وأخذوا منهم خمسة عشر ألف ريال فرانسة بحجة مسالمتهم للعرب، فلما وصلوا الى دورهم طلبوهم فلم يمكنهم التغيب خوفاً على نهب الدور وغير ذلك، فظهروا لهم فأخذوهم الى خارج البلد وقيدوهم، وأقاموا نحو خمسة أيام خارجها يأخذون في كل يوم ستمائة ريال سوى الأغنام والكلف، ثم ارتحلوا وأخذوا المذكورين صحبتهم الى منوف وحبسوهم أياماً، ثم نقلوهم الى الجيزة أيام الحرابة بمصر.

فلما انقضت تلك الأيام وسرحوا في البلاد، نزلت طائفة في طنتداء وهم بصحبتهم وقرروا عليهم أحداً وخمسين ألف ريال فرانسة، وعلى أهل البلدة كذلك، بل أزيد وأقاموا حول البلد محافظين عليهم وأطلقوا بعضهم، وحجزوا المسمى بمصطفى الخادم لأنه صاحب الأكثر في الوظيفة والالتزام وطالبوه بالمال، وفي كل وقت ينوعون عليه العقاب والعذاب والضرب حتى على كفوف يديه ورجليه، ويربطونه في الشمس في قوة الحر والوقت مصيف وهو رجل جسيم كبير الكرش، فخرجت له نفاخات في جسده، ثم أخذوا خليفة المقام أيضاً وذهبوا به الى منوف ثم ردوه وولوه رئاسة جمع الدراهم المطلوبة من البلد، فوزعت على الدور والحوانيت والمعاصر وغير ذلك، واستمروا على ذلك الى انقضاء العام حتى أخذوا عساكر المقام وكانت من ذهب خالص زنتا نحو خمسة آلاف مثقال، وأما المحلة الكبرى فإنهم رجعوا عليها وقرروا عليها نيفاً ومائة ألف ريال فرانسة وأخذوا في تحصيلها وتوزيعها، وهجموا دورها وتتبع المياسير من أهلها، كل ذلك مع استمرار طلب الكلف الشاقة في كل يوم منها ومن طنتداء والتعنت عليهم وتسلط طوائف الكشوفية التابعين لهم الذين هم أقبح في الظلم من الفرنسيس بل ومن العرب، فإنهم معظم البلاد أيضاً، فإنهم هم الذين يعرفون دسائس أهل البلاد ويشيعون أحوالهم ويتجسسون على عوراتهم ويغرون بهم. واستمروا على ذلك أيضاً ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون.

ومنها أنه لما وقع الصلح بين العثمانية والفرنساوية أرسل الوزير فرمانات للثغور بإطلاق الأسافيل وحضور المراكب والتجار بالبضائع وغيرها الى ثغر الاسكندرية وصحبتها ثلاثة غلايين سلطانية، وسفن مشحونة بالذخيرة لحضرة الوزير، ولوازم العسكر العثماني، فلما قربوا من الثغر أقاموا البنديرات وضربوا مدافع للشنك، فطمعهم الفرنساوية وأظهروا لهم المسالمة وأظهروا لهم بنديرة العثماني فدخلوا الى المينا ورموا مراسيم ووقعوا في فخ الفرنسيس، فاستولوا على الجميع وأخذوا مدافعهم وسلاحهم وحبسوا القبابطين وأعيان التجار وأخذوا الملاحين والمتسببين من البحرية والنصارى الأروام، وهم عدة وافرة، أعطوهم سلاحاً وزيوهم بزيهم وأضافوهم الى عسكرهم، وأرسلوهم الى مصر فكانوا أقبح مذكور في تسلطهم على إيذاء المسلمين، ثم أخرجوا شحنة المراكب من بضائع ويميش وحازوه بأجمعه لأنفسهم. وبقي الأمر على ذلك، وكان ذلك في أواسط شهر القعدة.

ومنها أنه بعد نقض الصلح أرسل الفرنسيس عسكراً الى متسلم السويس الذي كان تولاها من طرف العثمانية، فتعصب معه أهل البندر فحاربوهم فغلبهم الفرنسيس وقتلوهم عن آخرهم ونهبوا البندر وما فيه من البن والبهار بحواصل التجار وغير ذلك.

ومنها أن مراد بك عند توجهه للصعيد بعد انقضاء الصلح أخذ ما جمعه درويش باشا من الصعيد من أغنام وخيول وميرة، وكان شيئاً كثيراً، فتسلم الجميع منه وعدى درويش باشا الى الجهة الشرقية متوجهاً الى الشام، وأرسل مراد بك جميع ذلك للفرنساوية بمصر.

ومنها أيضاً انقضاء المحاربة واستيلاء الفرنسيس على المخازن والغلا التي كان جمعها العثمانية من البلاد الشرقية وبعض البلاد الغربية والقليوبية، وكذلك الشعير والأتبان، طلب الفرنساوية مثل ذلك من البلاد وقرروا على النواحي غلالاً وشعيراً وفولاً وتبناً، وزادوا خيلاً وجمالاً، فوقع على كل إقليم زيادة عن ألف فرس وألف جمل، سوى ما يدفع مصالحة على قبولها للوسائط وهو نحو ثمنها أو أزيد، وكذلك التعنت في نقض الغلال وغربلتها وغير ذلك. وكل ذلك بإرشاد القبطة وطوائف البلاد، لأنهم

هم الذين تقلدوا المناصب الجليلة وتقاسموا الأقاليم والتزموا لهم بجمع الأموال، ونزل كل كبير منهم الى إقليم وأقام بسرة الإقليم مثل الأمير والعساكر الفرنساوية، وهو في أبهة عظيمة وصحبته الكتبة والصيارف والأتباع والأجناد من الغز البطالة وغيرهم والخيام والخدم والفراشون والطباخون والحجاب، وتقاد بين يديه الجنائب والبغال والرهونات والخيول المسومة والقواسة، والمقدمون، وبأيديهم الحراب المفضضة والمذهبة والأسلحة الكاملة والجمال الحاملة، ويرسل الى ولايات الإقليم من جهته المتسوفين من القبط أيضاً بمنزلة الكشاف، ومعهم العسكر من الفرنساوية والطوائف والجاويشية والصرافين والمقدمين على الشرح المذكور، فيترلون على البلاد والقرى ويطلبون المال والكلف الشاقة بالعسف، ويؤجلوهم بالساعات، فإن مضت و لم يوفوهم المطلوب حل بهم ما حل من الحرق والنهب والسلب والسبي، وخصوصاً إذا فر مشايخ البلدة من خوفهم وعدم قدرتهم، وإلا قبضوا عليهم وضربوهم بالمقارع والكسارات على مفاصلهم وركبهم، وسحبوهم معهم في الحبال وأذاقوهم أنواع النكال، وخاف من بقي فصانعوهم وأتباعهم بالبراطيل والرشوات وانضم إليهم الأسافل من القبط والأراذل من المنافقين، وتقربوا إليهم بما يستميلون قلوبهم به وما يستجلبونه لهم من المنافع والمظالم، وأجهدوا أنفسهم في التشفي من بعضهم وما يوجب الحقد والتحاسد الكامن في قلوبهم، الى غير ذلك ما يتعذر ضبطه، وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون.

من مات في هذه السنة

ممن له ذكر مات الإمام الفاضل الصالح العلامة الشيخ عبد العليم ابن محمد بن محمد بن عثمان المالكي الأزهري الضرير، حضر دروس الشيخ علي الصعيدي رواية ودراية فسمع عليه جملة من الصحيح والموطأ والشمائل والجامع الصغير ومسلسلات بن عقيلة، وروى عن كل من الملوي والجوهري والبليدي والسقاط والمنير والدردير والتاودي بن سودة حين حج ودرس وأفاد من البكائين عند ذكر الله سريع الدمعة كثير الخشية وكان يعرف أشياء في الرقي والخواص وفوائد القرينة وأم الصبيان ثم ترك ذلك لرؤيا منامية رآها وأخبرني بها، توفي في هذه السنة ودفن ببستان المجاورين.

ومات العمدة الفاضل والنبيه الكامل صاحبنا العلامة الوجيه الشيخ شامل أحمد بن رمضان بن مسعود الطرابلسي المقري الأزهري، حضر من بلده طرابلس الغرب الى مصر في سنة إحدى وتسعين وجاور بالأزهر وكان فيه استعداد، وحضر دروس الشيخ أحمد الدردير والبيلي والشيخ أبي الحسن الغلقي، وسمع على شيخنا السيد مرتضى المسلسل بالأولية وغير المسلسل أيضاً وأخذ منه الإجازة في سنة اثنتين وتسعين، ولما مات الخواجا حسن البناني من تجار المغاربة فتوصل الى أن تزوج بزوجته بنت الغرياني وسكن بدارها الواسعة بالكعكيين . وتجمل بالملابس وتودد للناس بحس المعاشرة ومكارم الأخلاق، وكان سموح النفس جداً دمث الطباع والأخلاق جميل العشرة ولما عزل السيد عبد الرحمن السفاقسي الضرير من مشيخة رواقهم، كان المترجم هو المتعين لذلك دون غيره فتولى مشيخة الرواق بشهامة وكرم ونوه بذكره وزادت شهرته وكان وجيهاً طويل القامة بهي الطلعة بشوشاً، ولما حصلت واقعة الفرنسيس خرج تلك الليلة مع الفارين وذهب الى بيت المقدس وتوفي هناك في هذه السنة.

ومات السيد الأفضل والسند الأكمل المقري بن المقري والفهامة الذي بكل فن على التحقيق يدري بدر أضاء في سماء العرفان

وعارف وضح دقائق المشكلات بإتقان فلله دره من فاضل أبرز درر اللطائف من كنوزها وكشف عن مخدرات الفهوم لثامها فأظهر الأنفس من نفيسها والأعز من عزيزها فلا غرو فإنه بذلك حقيق كيف لا وما ذكر من بعض صفاته التي به تليق العلامة الشريف الحسن بن علي البدري العوضي ربي في حجر أبيه وحفظ القرآن والمتون وأخذ عن أبيه علم القراءات وأتقن القراءات الأربعة عشر بعد أن أتقن العربية والفقه وباقي العلوم وحضر أشياخ الوقت وتمهر وأنجب وقرأ الدروس ونظم الشعر الجيد وشهد له الفضلاء وله ديوان مشهور بأيدي الناس وامتدح الأعيان وبينه وبين الصلاحي وقاسم ابن عطاء الله مطارحات ذكرنا منها طرفاً في ترجمتها، وله أيضاً تآليف وتقييدات وتحقيقات ورسائل في فنون شتى ورسالة بليغة في قوله تعالى استكبرت أم كنت من العالين وكان الباعث على تأليفها مناقشة حصلت بينه وبين الشيخ أحمد يونس الخليفي في تفسير الآية بمجلس علي بك الدفتردار فظهر بها على الشيخ المذكور وأجاره الأمير المذكور بأن رتب له تدريساً بالمشهد الحسيني ورتب له معلوماً بوقته وقدره كل يوم عشرة أنصاف فضة يستغلها من جانب الوقف في كل شهر واستمر بقبضها حتى ماتفي شعبان من هذه السنة رحمه الله ولم يخلف بعده مثله في الفضائل والمعارف.

ثم دخلت سنة خمسة عشر ومائتين وألف

كان ابتداء المحرم يوم الأحد، في خامسه، أصعدوا الشيخ السادات الى القلعة وكان أرسل الى كبار القبط بأن يسعوا في قضيته ورهن حصصه ويغلق الذي عليه فردوا عليه بأنه لابد من تشهيل قدر نصف الباقي أولاً ولا يمكن غير ذلك وأما الحصص فليست في تصرفه ولما تكرر إرساله للنصارى وغيرهم نقلوهم الى القلعة ومنعوه الاجتماع بالناس وهي المرة الثالثة.

وفيه أشيع حضور مراكب وغلايين من ناحية الروم الى ثغر الاسكندرية وسافر ساري عسكر كلهبر وصحبته الفرنساوية فغاب أياماً ثم عاد الى مصر و لم يظهر لهذا الخبر أثر.

وفيه طلبوا عسكراً من القبط فجمعوا منهم طائفة وزيوهم بزيهم وقيدوا بهم من يعلمهم كيفية حربهم ويدربهم على ذلك وأرسلوا الى الصعيد فجمعوا من شبابهم نحو الألفين وأحضروهم الى مصر وأضافوهم الى العسكر.

وفي حادي عشرينه أعادو الشيخ أحمد العريشي الى القضاء كما كان وعملوا له موكباً وركب معه أعيان الفرنسيس وسواري عساكرهم بطبولهم وزمورهم والمشايخ والتجار والأعيان وبجانبه قائمقام عبد الله منو الذي كان ساري عسكر برشيد فلم يزالوا معه حتى أوصلوه الى المحكمة الكبرى بعد أن شقوا به المدينة.

وفي ذلك اليوم أعني يوم السبت وقعت نادرة عجيبة وهو أن ساري عسكر كلهبر كان مع كبير المهندسين يسيران بداخل البستان الذي بداره بالأزبكية فدخل عليه شخص حلبي وقصده فأشار إليه بالرجوع وقال له ما فيش وكررها فلم يرجع وأوهمه أن له حاجة وهو مضطر في قضائها فلما دنا منه مد إليه يده اليسار كأنه يريد تقبيل يده فمد إليه الآخر يده فقبض عليه وضربه بخنجر كان أعده في يده اليمنى أربع ضربات متوالية فشق بطنه وسقط الى الأرض صارخاً فصاح رفيقه المهندس فذهب إليه وضربه أيضاً ضربات وهرب فسمع العسكر الذين خارج الباب صرخة المهندس فدخلوا مسرعين فوجدوا كلهبر مطروحاً وبه بعض الرمق و لم يجدوا القاتل فانزعجوا وضربوا طبلهم وخرجوا مسرعين وجروا من كل ناحية يفتشون على القاتل واجتمع رؤساؤهم وأرسلوا العساكر الى الحصون والقلاع وظنوا أنها من فعل أهل مصر فاحتاطوا بالبلد وعمروا المدافع وحرروا القنابر وقالوا لابد من قتل أهل مصر عن آخرهم ووقعت هوجة عظيمة في الناس وكرشة وشدة انزعاج وأكثرهم لا يدري حقيقة الحال و لم يزالوا يفتشون عن ذلك القاتل حتى وجدوه مترويأً في البستان المجاور لبيت ساري عسكر المعروف بغيط مصباح بجانب حائط منهدم فقبضوا عليه فوجدوه شامياً فأحضروه وسألوه عن اسمه وعمره وبلده فوجدوه حلبياً واسمه سليمان فسألوه عن محل مأواه فأخبرهم أنه يأوي ويبيت بالجامع الأزهر فسألوه عن معارفه ورفقائه وهل أخبر أحداً بفعله وهل شاركه أحد في رأيه وأقره على فعله أو نهاه عن ذلك وكم له بمصر من الأيام أو الشهور وعن صنعته وملته وعاقبوه حتى أخبرهم بحقيقة الحال فعند ذلك علموا ببراءة أهل مصر من ذلك وتركوا ما كانوا عزموا عليه من محاربة أهل البلد وقد كانوا أرسلوا أشخاصاً من ثقاقم تفرقوا في الجهات والنواحي يتفرسون في الناس فلم يجدوا فيهم قرائن دالة على علمهم بذلك ورأوهم يسألون من الفرنسيس عن الخبر فتحققوا من ذلك براءتهم من ذلك ثم أنهم أمروا بإحضار الشيخ عبد الله الشرقاوي والشيخ أحمد العريشي القاضي وأعلموهم بذلك وعوقوهم الى نصف الليل وألزموهم بإحضار الجماعة الذين ذكرهم القاتل

وأنه أخبرهم بفعله فركبوا وصحبتهم الآغا وحضروا الى الجامع الأزهر وطلبوا الجماعة فوجدوا ثلاثة منهم و لم يجدوا الرابع فأخذهم الآغا وحبسهم ببيت قائمقام بالأزبكية ثم أهم رتبوا صورة محاكمة على طريقتهم في دعاوى القصاص وحكموا بقتل الثلاثة أنفار المذكورين مع القاتل وأطلقوا مصطفى أفندي البرصلي لكونه لم يخبره بعزمه وقصده فقتلوا الثلاثة المذكورين لكونه أخبرهم بأنه عازم على قصده صبح تاريخه و لم يخبروا عنه الفرنسيس فكأهم شاركوه في الفعل وانقضت الحكومة على ذلك وألقوا في شأن ذلك أوراقاً ذكروا فيها صورة الواقعة وكيفيتها وطبعوا منها نسخاً كثيرة باللغات الثلاث الفرنساوية والتركية والعربية وقد كنت أعرضت عن ذكرها لطولها وركاكة تركيبها لقصورهم في اللغة ثم رأيت كثيراً من الناس تتشوق نفسه الى الاطلاع عليها لتضمينها خبر الواقعة وكيفية الحكومة ولما فيها من الاعتبار وضبط الأحكام من هؤلاء الطائفة الذين يحكمون العقل ولا يتدينون بدين وكيف وقد تجارى على كبيرهم ويعسوبهم رجل آفاقي أهوج وغدره وقبضوا عليه وقرروه و لم يعجلوا بقتله وقتل من أخبر عنهم بمجرد الإقرار بعد أن عثروا عليه ووجدوا معه آلة القتل مضمخة بدم ساري عسكرهم وأميرهم بل رتبوا حكومة ومحاكمة وأحضروا القاتل وكرروا عليه السؤال والاستفهام مرة بالقول ومرة بالعقوبة ثم أحضروا من أخبر عنهم وسألوهم على انفرادهم ومجتمعين ثم نفذوا الحكومة فيهم بما اقتضاه التحكيم وأطلقوا مصطفى أفندي البرصلي الخطاط حيث لم يلزمه حكم و لم يتوجه عليه قصاص كما يفهم جميع ذلك من فحوى المسطور بخلاف ما رأيناه بعد ذلك من أفعال أوباش العساكر الذين يدعون الإسلام ويزعمون أهم مجاهدون وقتلهم الأنفس وتجاريهم على هدم البنية الإنسانية بمجرد شهواتهم الحيوانية مما سيتلى عليك بعضه بعد.

صورة ترجمة الأوراق المذكورة

بيان شرح الاطلاع على جسم ساري عسكر العام كلهبر يوم الخامس والعشرين من شهر بريال من السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوي نحو الواضعون أسماءنا وخطنا فيه باش حكيم والجرايحي من أول مرتبة، الذي صار مرتبة باش جرايحي في غيبته انتهينا حصة ساعتين بعد الظهر الى بيت ساري عسكر العام في الأزبكية بمدينة مصر وكان سبب روحتنا هو أننا سمعنا دقة الطبل وغاغة الناس التي كانت تخبر أن ساري عسكر العام كلهبر انغدر وقتل وصلنا له فرأينا في آخر نفس فحصنا عن جروحاته فتحقق لنا أنه قد انضرب بسلاح مدبب وله حد وجروحاته كانت أربعة الأول منها تحت البز في الشقة اليمنى الثاني أوطى من الأول جنب السرة الثالث في الذراع الشمال نافذ من شقة لشقة والرابع في الخد اليمين فهذا حررنا البيان بالشرح في حضور الدفتردار سارتلون الذي وضع اسمه فيه كمثلنا لأجل أن يسلم البيان المذكور الى ساري عسكر مدير الجيوش تحريراً في سراية ساري عسكر العام في النهار والسنة بعد الظهر بإمضاء باش حكيم وخط الجرايحي من أول مرتبة كازابيانكا والدفتردار سارتلون شرح جروحات الستوين بروتاين المهندس نهار تاريخه خمسة وعشرين من شهر بريال السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوي في الساعة الثالثة بعد الظهر نحن الواضعون أسماءنا وخطنا فيه باش حكيم وجرايحي من أول مرتبة الذي صار مرتبة باش جرايحي في غيبته انطلبنا من الدفتردار سارتلون أننا نعمل بيان شرح جروحات الستوين بروتاين المهندس وعضو من أعضاء مدرسة العلماء في بر مصر الذي انغدر هو أيضاً في جنب ساري عسكر العام كلهبر مدبر الجيوش

ومضروب ستة أمرار بسلاح مدبب وله حد وهذا بيان الجروحات الأول في جنب الصدغ الثاني في الكف في عظمة الإصبع الخنصر الثالث بين الضلوع الشمالية الخامس في الشدق الشمالي والسادس في الصدر من الشقة الشمالية وشق نحو العرق ثم الى تأييد ذلك وضعنا أسماءنا وخطنا فيه برفقة الدفتردار سارتلون تحريراً في سراية ساري عسكر مدبر الجيوش في اليوم والشهر والسنة والساعة المرموقة أعلاه بإمضاء باش حكيم وخط الجرايحي من أول مرتبة كازابيانكا والدفتردار سارتلون عن.

أول فحص سليمان الحلبي

نهار تاريخه، خمسة وعشرين في شهر برريال من السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوي في بيت ساري عسكر داماس مدبر الجيوش واحد فسيال من ملازمين بيت عسكر العام حضر وبيده ماسك راجل من أهل البلد مدعياً أن هذا هو الذي قتل ساري عسكر العام كلهبر المتهوم المذكور انعرف من الستوين بروتاين المهندس الذي كان مع ساري عسكر حين انغدر لأنه أيضاً انضرب برفقته بالخنجر ذاته وانجرح بعض جروحات.

ثانياً المتهوم المذكور كان انشاف بين جماعة ساري عسكر من حد الجيزة وانوجد مخبى في الجنينة التي حصل فيها القتل وفي الجنينة نفسها انوجد الخنجر الذي به انجرح ساري عسكر وبعض حوائج أيضاً بتوع المتهوم فحالاً بدئ الفحص بحضور ساري عسكر منو الذي هو أقدم أقرانه في العسكر وتسلم في مدينة مصر والفحص المذكور صار بواسطة الخواجا براشويش كاتم سر وترجمان ساري عسكر العام ومحرر من يد الدفتردار سارتلون الذي أحضره ساري عسكر منو لأجل ذلك المتهوم المذكور.

سئل عن اسمه وعمره ومسكنه وصنعته فجاوب أنه يسمى سليمان ولادة بر الشام وعمره أربعة وعشرون سنة ثم صنعته كاتب عربي وكانت سكنته في حلب.

سئل كم زمان له في مصر فجاوب أنه بقي له خمسة أشهر وأنه حضر في قافلة وشيخها يسمى سليمان بوريجي.

سئل عن ملته فجاوب أنه من ملة محمد وأنه كان سابقاً سكن ثلاث سنين في مصر وثلاث سنين أخرى في مكة والمدينة.

سئل هل يعرف الوزير الأعظم وهل له مدة ما شافه فجاوب أنه ابن عرب ومثله ليس يعرف الوزير الأعظم.

وسئل عن معارفه في مدينة مصر فجاوب أنه لم يعرف أحداً وأكثر قعاده في الجامع الأزهر وجملة ناس تعرفه وأكثرهم يشهدون في مشيه الطيب.

سئل هل راح صباح تاريخه الجيزة فجاوب نعم وأنه كان قاصد ينشبك كاتب عند أحد ولكن ما قسم له نصيب.

سئل عن الناس الذين كتب لهم أمس فجاوب أن كلهم سافروا.

سئل كيف يمكن أنه لم يعرف أحداً من الذين كتب لهم في الأيام الماضية وكيف يكونون كلهم سافروا فجاوب أنه ليس يعرف الذين كان يكتب لهم وأن غير ممكن أن يفتكر أسماهم.

سئل من هو الآخر في الذين كتب لهم فجاوب أنه يسمى محمد مغربي السويسي بياع عرقسوس وأنه ما كتب لأحد في الجيزة.

سئل ثانياً عن سبب روحته للجيزة فجاوب دائماً أنه كان قاصداً أن ينشبك كاتباً.

سئل كيف مسكوه فيجنينة ساري عسكر فجاوب أنه ما انمسك في الجنينة بل في عارض الطريق فذاك الوقت انقال له انه ما

ينجيك إلا الصحيح لأن عسكر الملازمين مسكوه في الجنينة وفي المحل ذاته انوجدت السكينة وفي الوقت انعرضت عليه فجاوب صحيح أنه كان في الجنينة ولكن ما كان مستخبي بل قاعد لأن الخيالة كانت ماسكة الطرق وما كان يقدر أن يروح للمدينة وأن ما كان عنده سكينة و لم يعرف أن كان هذا موجود في الجنينة.

سئل لأي سبب كان تابع ساري عسكر من الصبح فجاوب أنه كان مراده فقط يشوفه.

سئل هل يعرف حتة قماش خضرة التي باينة مقطوعة من لبسه وكانت انوجدت في المحل الذي انغدر فيه ساري عسكر فجاوب بأن هذه ما هي تعلقه.

سئل إن كان تحدث مع أحد في الجيزة وفي أي محل نام فجاوب أنه ما تكلم مع ناس إلا لأجل مشترى بعض مصالح وأنه نام في الجيزة في جامع فأشاروا له على جروحاته التي ظاهرة في دماغه وقيل له إن هذه الجروحات بينت أنه هو الذي غدر ساري عسكر لأن أيضاً الستوين بروتاين الذي كان معه عرفه وضربه كم عصاية الذين جرحوه فجاوب أنه ما انجرح إلا ساعة ما مسكوه.

سئل هل كان تحدث نهار تاريخه مع حسين كاشف أو مع مماليكه فجاوب أنه ما شافهم ولا كلمهم فلما أن كان المتهوم لم يصدق في جواباته أمر ساري عسكر أنهم يضربونه حكم عوائد البلاد فحالاً انضرب لحد أنه طلب العفو ووعد أنه يقر بالصحيح فارتفع عنه الضرب وانفكت له سواعده وصار يحكي من أول وجديد كما هو مشروح.

سئل كم يوم له في مدينة مصر فجاوب أنه له واحد وثلاثين يوماً وأنه حضر من غزة في ستة أيام على هجين.

سئل لأي سبب حضر من غزة فجاوب لأجل أن يقتل ساري عسكر العام.

سئل من الذي أرسله لأجل أن يفعل هذا الأمر فجاوب أنه أرسل من طرف أغات الينكجرية وأنه حين رجعل عساكر العثملي من مصر الى بر الشام أرسلوا الى حلب بطلب شخص يكون قادراً على قتل ساري عسكر العام الفرنساوي ووعدوا لكل من يقدر على هذه المادة أن يقدموه في الوجاقات ويعطوه دراهم ولأجل ذلك هو تقدم وعرض روحه لهذا.

سئل من هم الناس الذين تصدروا له في هذه المادة في بر مصر وهل سارر أحداً على نيته فجاوب أن ما أحد تصدر له وأنه راح سكن في الجامع الأزهر وهناك شاف السيد محمد الغزي والسيد أحمد الوالي والشيخ عبد الله الغزي والسيد عبد القادر الغزي الذين ساكنون في الجامع المذكور فبلغهم على مراده فهم أشاروا عليه أنه يرجع عن ذلك لأن غير ممكن أن يطلع من يده ويموت فرط وأن كان لازم يشخصوا واحداً غيره في قضاء هذه المادة ثم أنه كل يوم كان يتكلم معه في الشغل المذكور وأن أمس تاريخه قال لهم إنه رائح يقضي مقصوده ويقتل ساري عسكر وأنه توجه الى الجيزة حتى ينظر إن كان يطلع من يده وأن هناك قابل النواتية بنوع قنجة ساري عسكر فاستخبر عليه منهم إن كان يخرج براً فسألوه ايش طالب منه فقال لهم إن مقصوده يتحدث معه فقالوا له إنه كل ليلة ينزل في جنينة ثم صباح تاريخه شاف ساري عسكر معدياً للمقياس وبعده ماشي الى المدينة فتبعه لحين ما غدره هذا الفحص صار من حضرة ساري عسكر منو بحضور باقي سواري العساكر الكبار وملازمين ببيت ساري عسكر العام ثم انختم بإمضاء ساري منو والدفتردار سارتلون في اليوم والشهر والسنة المحررة أعلاه ثم انقرا على المتهوم وهو أيضاً خط يده واسمه بالعربي سليمان إمضاء ساري عسكر عبد الله منو إمضاء عسكر داماس إمضاء الجنرال والتين

إمضاء الجنرال موراند إمضاء الجنرال مارتينه إمضاء دفتردار البحر لروا إمضاء الدفتردار سارتلون إمضاء الترجمان لوماكا إمضاء الترجمان حنا روكه إمضاء داميانوس براشويش كاتم السر وترجمان ساري عسكر العام.

فحص الثلاثة مشايخ

المتهمين نهار تاريخه خمسة وعشرين في شهر برريال السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوي في الساعة الثامنة بعد الظهر حضروا في مترل ساري عسكر العام أمير الجيوش الفرنساوية السيد عبد الله الغزي ومحمد الغزي والسيد أحمد الوالي وهم الثلاثة متهومين في قتل ساري عسكر العام كلهبر فساري عسكر منو أمر بفحصهم فبدئ ذلك حالاً في حضور بعض سواري العساكر المجتمعين لذلك وبواسطة الستوين لوماكا الترجمان كما يذكر أدناه السيد عبد الله الغزي هو الذي سئل أولاً لوحده.
سئل عن اسمه وعن مسكنه وصنعته فجاوب أنه يسمى السيد عبد الله الغزي ولادة غزة ومسكنه في مصر في الجامع الأزهر وهناك كان كاره مقرئ القرآن وأنه لم يعرف كم عمره ولكن تخمينه يجيء ثلاثين سنة.
سئل إن كانت سكنته في الجامع الأزهر هل يعرف جميع الغرباء الذين يدخلونه فجاوب أنه ساكن ليل ونهار ويعرف الغرباء الذين فيه.
سئل هل يعرف رجلاً حضر من بر الشام من مدة شهر فجاوب أن من مدة خمسين يوم ما شاف أحداً حضر من بر الشام فقيل له إن رجلاً من طرف عرضي الوزير حضر من مدة ثلاثين يوماً قال إنه يعرفك والظاهر أنك لم تتكلم بالصدق فجاوب أنه ملهي دائماً في وظيفته وأنه ما شاف أحداً من بر الشام بل سمع أن قافلة كانت وصلت من ناحية الشرق فقيل له أيضاً إن ناساً حضروا من بر الشام يقولون إنهم تكلموا معه ويعرفون فجاوب أن هذا غير ممكن وأنهم يقابلوه مع الذي فتن عليه.
سئل هل يعرف واحداً اسمه سليمان كاتب عربي حضر من حلب من مدة ثلاثين يوماً فجاوب لا فقيل له إن هذا الرجل يحقق أنه شافه وأنه أخبره ببعض أشياء لازمة فجاوب أنه ما شافه وأن هذا الرجل كذاب وأنه يريد أن يموت إن كان ما يحكي الصحيح فحالاً ساري عسكر نده الى محمد الغزي الذي هو أيضاً متهوم في قتل ساري عسكر وبدئ الفحص كما يذكر.
سئل عن اسمه وعمره ومسكنه وصنعته فجاوب أنه يسمى الشيخ محمد الغزي وعمره نحو خمسة وعشرين سنة ولادة غزة وسكن بمصر في الجامع الأزهر ثم صنعته مقرئ القرآن من مدة خمس سنين وما يخرج من الجامع إلا لكي يشتري ما يأكل.
سئل هل يعرف الغرباء الذين يجيئون يسكنون في الجامع فجاوب أن في بعض الأوقات يحضر ناس غرباء وأما البواب فهو الذي يقارشهم ومن قبله ينام بعض ليالي في الجامع والبعض في بيت الشيخ الشرقاوي.
سئل هل يعرف رجلاً يسمى سليمان حضر من بر الشام من مدة ثلاثين يوماً فجاوب أنه لم يعرفه وأنه غير ممكن أن يشوف كل الناس لأن الجامع كبير قوي.
سئل أنه يحكي على الذي تكلم به معه سليمان فإن المذكور يحقق أنه تكلم معه في الجامع فجاوب أنه يعرفه من مدة ثلاث سنين وأنه كان عنده خبر أنه راح مكة وأما من بعده ما شافه و لم يعرف إن كان رجع أم لا.
سئل هل السيد عبد الله الغزي يعرفه أيضاً فجاوب نعم فقيل له محقق إن أمس تاريخه سليمان المذكور تحدث معه حصة طيبة

وأن الشواهد موجودة فجاوب أن هذا صحيح سئل لأي سبب كان بدأ يقول إنه ما شافه فجاوب أن تخمينه ما قال هذا وأن المترجمين غلطوا.

سئل هل سليمان المذكور ما بلغه عن شيء مذنب قوي وتحقيقاً لذلك معلوم عندنا أنه كان قصده يحوشه فجاوب أنه لم يعرف هذا الأمر وأن سليمان المذكور راح وجاء كام مرة الى مصر وبقي له هنا مقدار شهر فقيل له إنه موجود شواهد أن سليمان المذكور كان أخبره أن مراده أن يغدر ساري عسكر العام وأنه أراد أن يمنعه فجاوب أنه ما بلغه عن هذا الأمر بل أمس تاريخه قال له إنه رائح ويمكن أن ما بقى يرجع فبعده أحضرنا عبد الله الغزي لأجل ينفحص ثانياً كما يذكر أدناه.

سئل لأي سبب قال إنه لم يعرف سليمان الحلبي حين سألوه عنه بحيث أن موجودة شواهد أن هذا له في مصر واحد وثلاثون يوماً وأنه تقابل وإياه جملة مرات وتحدث معه أكثر الأيام فجاوب حقاً أنه لم يعرفه.

سئل هل يعرف واحد يسمى محمد الغزي الذي هو مثله مقرئ القرآن في جامع الأزهر فجاوب نعم.

سئل السيد عبد الله المذكور لأي سبب أنكر ذلك فجاوب أنهم لخبطوا عليه السؤال وأن هذا الوقت بحيث أنهم سألوه عن سليمان الذي في حلب فيقر أنه يعرفه فقيل له إنه معلوم عندنا أنه شافه مراراً كثيرة وتحدث معه فجاوب أنه بقي له ثلاثة أيام ما شافه.

سئل هل أنه ما قصد يمنعه عن قتل ساري عسكر العام فجاوب أنه ما قال له أبداً على هذا الأمر وأنه لو كان بلغه منه ذلك كان منعه بكل قدرته.

سئل لأي سبب ما يحكي الصحيح بحيث أنه موجودة عليه شواهد فجاوب أنه غير ممكن يوجد عليه شواهد وأنه ما شاف سليمان المذكور إلا لأجل أن يسلموا على بعض حين تقابلوا.

سئل هل سليمان ما أخبره أبداً عن سبب مجيئه الى مصر فجاوب حاشا فبعد ذلك أخروا الاثنين المذكورين وأحضروا السيد أحمد الوالي الذي هو متهوم وسئل كما يذكر.

سئل عن اسمه وعمره ومسكنه وصنعته فجاوب أنه يسمى السيد أحمد الوالي ولادة غزة وصنعته مقرئ القرآن في الجامع الأزهر من مدة عشر سنين و لم يعرف كم عمره.

سئل هل يعرف الغرباء الذين يدخلون في الجامع فجاوب أن وظيفته يقرأ ولا ينتبه الى الغرباء فقيل له إن بعض الغرباء الذين حضروا هناك عن قريب يقولون إنهم شافوه في الجامع فجاوب أنه ما شاف أحداً.

سئل هل شاف رجلاً حضر من بر الشام من طرف الوزير وهذا الرجل قال إنه يعرفه فجاوب لا وإن كانوا يقدروا يحضروا هذا الرجل حتى يقابله.

سئل هل يعرف سليمان الحلبي فجاوب أنه يعرف واحداً يسمى سليمان الذي كان يروح يقرأ عند واحد أفندي وكان طالب أنه يستقيم في الجامع وأن هذا الرجل قال إنه من حلب ومن مدة عشرين يوماً كان شافه وبعدها ما قابله ثم كان قال له إن الوزير في يافا وإن عساكره ما كان عندهم دراهم وكانوا يفوتوه.

سئل هل هذا الرجل المذكور ما هو تحت حمايته فجاوب أنه لم يعرفه طيباً حتى يضمنه.

سئل هل الاثنان الآخران المتهومان معارفه وهل أن الثلاثة تحدثوا سواء عن قريب أم أمس تاريخه مع سليمان المذكور فجاوب لا بل إنه يعرف أن سليمان المذكور كان حضر لزيارة الجامع وأنه وضع في الجامع جملة أوراق مضمونها أنه كان قوي متعبداً لخالقه.

سئل هل المذكور أمس أيضاً ما وضع أوراقاً في الجامع فجاوب أن ما عنده خبر بذلك.

سئل هل ما منع سليمان عن فعل ذنب بليغ فجاوب أنه أبداً ما حدثه بهذا الشيء ولكن قال له إن مراده يفعل شيء جنون وأنه عمل كل جهده حتى يرجعه.

سئل ايش هو الجنان الذي قاصد يعمله وحدثه عليه فجاوب أنه قال له إنه كان مراده يغازي في سبيل الله وإن هذه المغازاة هي قتل واحد نصراني وليكن ما أخبره باسمه وأنه قصد يمنعه بقوله إن ربنا أعطى القوة للفرنساوية ما أحد يقدر يمنعهم حكم البلاد فبعد هذا المتهوم المذكور انشال لمحلة وهذا الفحص تحتم بحضور سواري العساكر المجموعين بإمضاء ساري عسكر منو والدفتردار سارتلون الذي هو ذاته حرر هذا الفحص ساري عسكر منو ثم بعد قراءته على المتهومين وضعوا أسماءهم وخطهم بالعربي تحريراً في اليوم والشهر والسنة المحررة أعلاه ثلاثة إمضاءات بالعربي إمضاء ساري عسكر منو إمضاء الدفتردار سارتلون إمضاء الترجمان لوماكا ساري عسكر العام منو أمير الجيوش الفرنساوية في مصر.

المادة الأولى – أن ينشأ ديوان قضاة لأجل أن يشرعوا على الذين غدروا ساري عسكر العام كلهبر في اليوم الخامس والعشرين من شهر برريال.

المادة الثانية – القضاة المذكورون يكونوا تسعة وهم ساري عسكر رينيه ساري عسكر فرياند ساري عسكر روبين الجنرال موراند رئيس المعمار بريراند الوكيل رجينيه دفتردار البحر لرو والدفتردار سارتلون في وظيفة مبلغ والوكيل لبهر في وظيفة وكيل الجمهور.

المادة الثالثة – القضاة المذكورون ينظر لهم كاتم سر.

المادة الرابعة – القضاة المذكورون مفوضون الأمر في الكشف والتفتيش وحوش كل من يريدوا حتى أنهم يطلعوا على الذين لهم حصة في الذنب المذكور أو يكون عندهم خبرة، المادة الخامسة – القضاة المذكورون يتفقوا على العذاب اللائق الى موت القاتل ورفقائه.

المادة السادسة – القضاة المذكورون يجتمعوا من نهار تاريخه الذي هو السادس والعشرون من شهر برريال لحد خلاص الشريعة المذكورة إمضاء ساري عسكر منو وهذه نسخة من الأصل إمضاء الجنرال رنه كتخدا مدبر الجيوش الفرنسية.

شرح اجتماع القضاة

في السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوي

في اليوم السادس والعشرين من شهر برريال حكم أمر ساري عسكر العام منو أمير الجيوش الفرنساوي المحرر في نهار تاريخه اجتمعوا في بيت ساري عسكر رينيه المذكور وساري عسكر وبين ودفتردار البحر لو والجنرال مارتينه عوضاً عن ساري

عسكر فرياند حكم أمر ساري عسكر منو ثم الجنرال موراند ورئيس العسكر جرجه ورئيس العمارة برتراند ورئيس المدافع فاورو الوكيل رجيه والدفتردار سارتلون في رتبة مبلغ والوكيل أبهر في وظيفة وكيل الجمهور لأجل قضاء شريعة قتل ساري عسكر العام كلهبر الذي انغدر أمس تاريخه القضاة المذكورون اجتمعوا مع شيخهم ساري عسكر رينيه وعلى قرار أمر ساري عسكر منو المشروح أعلاه وحكم المادة الثالثة المحررة فيه استخصوا كاتم السر لهم الوكيل بينه الذي حلف كما هي العوائد ولزم وظيفته ثم القضاة المذكورون وكلوا ساري عسكر رينيه والمبلغ الدفتردار سارتلون في التفتيش والحبس لكل من اكتشفوا عليه حكم ما هو محرر في المادة الرابعة المحررة أعلاه وهذا لكي يظهروا رفقاء القاتل ثم أن السكينة التي وجدت مع القاتل حين انمسك تبقى عند كاتم السر لأجل يظهرها في الوقت الذي يلزم ثم وعدوا المجلس لصباح تاريخه في الساعة الرابعة قبل الظهر ثم حرروا خط يدهم مع كاتم السر إمضاء الوكيل رجنيه إمضاء رئيس المعمار بريراند إمضاء رئيس المدافع فاور إمضاء رئيس العسكر جرجه إمضاء الجنرال موراند إمضاء الجنرال مارتينه إمضاء دفتردار البحر لرو إمضاء ساري عسكر روبين إمضاء ساري عسكر رينيه إمضاء كاتم السر بينه إقرار الشهود نهار تاريخه في ستة وعشرين شهر برريال السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوي نحن الواضعون أسماءنا فيه الدفتردار سارتلون المسمى من حضرة ساري عسكر العام منو أمير الجيوش في وظيفة مبلغ حكم الأمر الذي خرج من طرفه.

انتشار القضاة في شرع القاتلين ساري عسكر العام كلهبر والسيتوين بينه المسمى من القضاة المذكورين في مرتبة كاتم السر أنه حضر بين يدنا يوسف برين عسكري خيال من الطبجية الملازمين بيت ساري عسكر العام وقال لنا هو ورفيقه خيال أيضاً يسمى روبرت مسكوا المسلم سليمان المتهوم في غدر ساري عسكر العام وأنهم وجدوه في الجنينة التي معمول فيها الحمامان الفرنساويان الملتزقان بجنينة ساري عسكر وأنهم رأوه مخبأ بين حيطان الجنينة المهدودة وأن الحيطان المذكورة كانت ملغمطة بدم في بعض نواحي وأن سليمان المذكور كان أيضاً ملغمطاً بدم وأنهم مسكوه في هذه الحالة وأن بعده التزموا يضربوه بالسيف لأجل يمشوه ثم برين المذكور قال إن بعد حوشة سليمان بساعة في الموضع ذاته الذي كان مخبأ فيه شاف سكينة بدمها وأنه سلم السكينة في بيت ساري عسكر العام فقربنا إليه إقراره هذا وسألناه هل فيه شيء زائد أم ناقص فجاوب إن هذا كل الذي فعله وعاينه ثم حرر خط يده معنا إمضاء برين الخيال إمضاء سارتلون إمضاء كاتم السر بينه ثم حرر أيضاً بين أيدينا الشاهد الثاني وهو السيتوين روبرت الخيال أحد الطبجية الملازمين وقال إنه حين كان يفتش على الذي قتل ساري عسكر دخل في الجنينة التي فيها الحمامان الفرنساويان لزق جنينة ساري عسكر العام وهناك شاف برفقة برين المذكور سليمان الحلبي مستخبى في ركن حيطان مهدودة وكان ملغمط دم وفي رأسه شرموطة زرقاء وأن في هذه الحالة عرفت أن هذا هو القاتل وأن الحيطان التي كان فات عليها كانت أيضاً ملغمطة دم وأن حين مسكوه بان منه وهم وأن بعد حوشته بساعة شاف برفقة السيتوين برين في الموضع ذاته سكينة بدمها وأنهم سلموها في بيت ساري عسكر العام والسكينة المذكورة كانت مخبية تحت الأرض فقرأنا عليه إقراره هذا ثم سألناه إن كان ما فيه زائد أم ناقص فجاوب أن هذا هو الذي فعله وشافه ثم حرر خط يده معنا حرر بمدينة مصر في النهار والشهر والساعة المحررة أعلاه إمضاء روبرت الخيال إمضاء سارتلون إمضاء كاتم السر بينه أنا الدفتردار سارتلون المبلغ رحت الى بيت السيتوين بروتاين لأنه كان راقداً بسبب جروحاته، ثم استلمت منه التبليغ الآتي أدناه:

أنا حنا قسطنطين بروتاين المهندس وعضو أعضاء مدرسة العلم في بر مصر أنني كنت أتمشور تحت الكعبية الكبيرة التي في جنينة ساري عسكر وتطل على بركة الأزبكية وكنت برفقة ساري عسكر العام فنظرت رجلاً لابساً عثملي خارج من مبتدأ التكعيبة من جنب الساقية فأنا كنت بعيد كام خطوة عن ساري عسكر أنادي على الغفراء فانتبهت لأجل أشوف السيرة رأيت أن الرجل المذكور يضرب ساري عسكر بالسكينة ذاقها كام مرة فارتميت على الأرض وفي الوقت سمعت ساري عسكر يصرخ ثانياً فهميت ورحت قريباً من ساري عسكر فرأيت الرجل يضربه فهو ضربني ثانياً كام سكينة التي رمتني وغيبت صوابي وما عدت نظرت شيا غير أنني أعرف طيب أننا قعدنا مقدار ستة دقائق قبل ما أحد يسعفنا فبعده قريت هذا الإقرار على السيتوين بروتاين وسألته هل فيه زائد أم ناقص فجاوب أن هذا الذي فعله وعاينه ثم حرر خط يده معنا إمضاء بروتاين إمضاء سارتلون إمضاء كاتم السر بينه والسيتوين بروتاين بعدما ختم الورقة أعلاه قال إن مقصوده يضيف عليها أن بعد غدر ساري عسكر بزمان قليل حين شاف سليمان الحلبي الذي هو متهوم في غدره وغدر ساري عسكر العام عرفه أنه هو ذاته الذي كان ضرب ساري عسكر وبعده ضربه سليمان المذكور كام سكينة غيبت صوابه فقرينا عليه أيضاً هذه الإضافة فجاوب أنها حاوية الحق وما فيها زائد ولا ناقص ثم ختمها معنا إمضاء بروتاين سارتلون إمضاء كاتم السر بينه نهار تاريخه ستة وعشرين في شهر برريال السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوي أنا الواضع اسمي فيه مبلغ القضاة المأمور في شرع قتلة ساري عسكر العام كلهبر ذهبت الى مساعدين ساري عسكر المذكور لأجل أن أسمع إقرارهم ثم كان معي كاتم السر بينه وهم قالوا لنا كما يذكر أدناه السيتوين فورتونه دهوج ابن أربعة وعشرين سنة فسيال في طابور الخيالة ومساعد عند ساري عسكر كلهبر قال إنه في اليوم الخامس والعشرين من شهر برريال كان ساري عسكر العام حين حضر الى الأزبكية يشوف بيته الذي كان داير فيه العمارة وأنه شاف رجلاً بعمة خضراء ودلق وحش وكان دائماً تابع ساري عسكر حين كان

دائر يتفرج على المحلات وأنه هو وخلافه حسبوا هذا الرجل من جملة الفعلة فما أحد سأله ولكن حين نزل ساري عسكر من بيته الى الجنينة لأجل ينفذ الى جنينة ساري عسكر داماس السيتوين دهوج شاف الرجل المذكور مدسوس بين جماعة ساري عسكر فنهره وطرده برا فبعد ساعتين حين انغدر ساري عسكر السيتوين دهوج المذكور عرف دلق الخائن لأنه كان رماه جنب ساري عسكر وبعده حين انمسك الرجل فعرفه أنه هو الذي قبل بشويه طرده من الجنينة ثم قرئ هذا المضمون على السيتوين دهوج المذكور لأجل بيان هل يوجد شيء خلافه يزيد أن ينقص فجاوب أن هذا الحق حكم ما عاين وفعل ثم حرر خط يده مع كاتم السر تحريراً في اليوم والشهر والسنة المحررة أعلاه إمضاء السيتوين دهوج إمضاء سارتلون إمضاء بينه كاتم السر.

ثاني فحص سليمان الحلبي

نهار تاريخه ستة وعشرين من شهر برريال السنة الثامنة من انتشار الجمهوري الفرنساوي نحن الواضعون أسماءنا فيه الدفتردار سارتلون برتيه مبلغ والوكيل بينه في رتبة كاتم سر القضاة المنقامين الى شرع كل من هو متهوم في غدر ساري عسكر العام كلهبر أحضر سليمان الحلبي لأجل نسأله من أول وجديد عن صورة غدر وقتل ساري عسكر وهذا صار بواسطة السيتوين براشويش كاتم سر وترجمان ساري عسكر العام كما يذكر أدناه.

سئل المذكور عن قصة ساري عسكر فجاوب أنه حضر من غزة مع قافلة حاملة صابون ودخان وأنه كان راكب هجين وبحيث أن القافلة كانت خائفة أن تنزل بمصر توجهت الى ريف يسمى الغيطة في ناحية الألفية وهناك استكرى حماراً من واحد فلاح وحضر لمصر ولكن لم يعرف الفلاح صاحب الحمار ثم أن أحد آغا وياسين آغا من أغوات الينكجرية بحلب وكلوه في قتل ساري عسكر العام بسبب أنه يعرف مصر طيب بحيث أنه سكن فيها سابق ثلاث سنوات وأنهم كانوا وصوه أنه يروح ويسكن في الجامع الأزهر وأن لا يعطي سره لأحد كلياً بل يوعي لروحه ويكسب الفرصة في قضاء شغله لأنها دعوة تحب السر والنباهة ثم يعمل كل جهده حتى يقتل ساري عسكر لكن حين وصل الى مصر التزم يسارر الأربعة مشايخ الذين أخبر عنهم لأنه لو كان ما قال لهم، فما كانوا يسكنونه في الجامع وأنه كان كل يوم يتحدث معهم في هذا الأمر وأن المشايخ المذكورين قصدوا يغيروا عقله عن هذا الفعل بقولهم إنه ما يقدر عليه وهو ما دعاهم لمساعدته لأنه كان يعرفهم بليدين وأن اليوم الذي قصد التوجه فيه ليقتل ساري عسكر قابل أحدهم الذي هو محمد الغزي فعرفه أن مقصوده أن يتوجه الى الجيزة ليفعل هذا الغدر وأن تخمينه أنه مثل المجنون من حين أراد أن يقضي هذا الأمر لأنه لو كان له عقل ما حضر من غزة لهذا الأمر وأن الأوراق التي وضعها هي بعض آيات من القرآن لأنه عوائد الكتبة أولاد العرب وضعوا ذلك في الجامع وأنه ما أخذ دراهم من أحد في مصر لأن الأغوات كانوا أعطوا له كفايته وأن الأفندي الذي كان يروح يقرأ عنده يسمى مصطفى أفندي وكان يقرأ عليه نهار الاثنين والخميس تبع العادة ولكن ما أخبره بسر خوفاً أن ينشهر وأما من قبل الأربعة مشايخ المذكورين صحيح أنه قال لهم كل شيء لأنهم من أولاد بلاده ثم حقق لهم أنه ناوي أن يغازي في سبيل الله.

سئل أين كان هو حين رجع الوزير من بر مصر في ابتداء شهر جرمنيال الموافق لشهر الإسلام ذي القعدة فجاوب أنه كان في القدس حاجج من حين كان الوزير أخذ العريش.

سئل أين شاف أحمد آغا الذي يقول إنه عرض عليه مادة قتل ساري عسكر وفي أي يوم قال له ذلك فجاوب أنه حين انكسر الوزير رجع الى العريش وغزة في أواخر شوال أو في أوائل شهر ذي القعدة الموافق لشهر جرمنيال الفرنساوي وأن أحمد آغا المذكور هو من جملة أغوات الوزير ولكن كان رسم عليه في غزة من حين أخذ العريش وحين رجع أرسله الى القدس في بيت المتسلم ثم أنه يوم وصوله توجه سلم عليه في بيت المتسلم وشكا له من ابراهيم باشا متسلم حلب الذي كان يظلم أباه الذي يسمى الحاج محمد أمين بياع سمن وحططوه غرامات زائدة ومن الجملة واحدة قبل سفر الوزير من الشام ثم وقع بعرضه بشأن ذلك ثم أنه رجع عند أحمد آغا ثاني يوم وأن الآغا في وقتها قال له إنه محب ابراهيم باشا وأنه ما يقصر ويوصيه في راحة أبيه ولكن بشرط أنه يروح يقتل أمير الجيوش الفرنساوية ثم في ثالث ورابع يوم كرر عليه أيضاً هذا السؤال وحالاً أرسله الى ياسين آغا في غزة لأجل أن يعطي له مصروفه وأنه من بعد هذا الكلام بأربعة أيام سافر من القدس الى الخليل وهناك قعد كام يوم وما وصله ولا مكتوب من أحمد آغا وأما أحمد آغا المذكور كان أرسل خداماً الى غزة لأجل يخبر ياسين آغا بالذي اتفقوا عليه.

سئل كم يوم قعد في الخليل فجاوب عشرين يوماً.

سئل لأي سبب قعد عشرين يوماً في الخليل وهل في هذه المدة ما وصله مكاتيب من الاثنين الأغوات فجاوب أن السكة كانت

ملآنة عرب وأنه خائف منهم فالتزم يستنظر سفر القافلة التي سافر برفقتها وأنه كان في غزة في أواخر شهر ذي القعدة الموافق لغرة شهر فلوريال الفرنساوي.

سئل ايش عمل في غزة وايش قال له ياسين آغا فجاوب أن ثاني يوم وصوله راح شاف الآغا والمذكور قال له إنه يعرف الشغل الذي هو سبب مشواره هذا وإنه أسكنه في الجامع الكبير وهناك مرار عديدة كان يروح يشوفه ليلاً ونهاراً ويتحدث معه في هذا الأمر ووعده أنه يرفع الغرائم عن أبيه وأنه دائماً يجعل نظره عليه في كل ما يلزمه ثم بلغه عن كل الذي كان لازم يفعله كما شرح أعلاه وهذا صار سراً بينهم ثم أعطى له أربعين قرشاً لمصروف السفر وبعد عشرة أيام سافر من غزة راكب هجين ووصل هنا بعد ستة أيام كما عرف سابقاً وأن سفره من غزة كان في أوائل شهر ذي الحجة الموافق الى نصف شهر فلوريال الفرنساوي فبقي باين أنه حين غدر ساري عسكر كان له واحد وثلاثيون يوماً في مدينة مصر.

سئل هل يعرف الخنجر الملغمط دم الذي قتل به ساري عسكر فجاوب نعم يعرفه.

سئل من أين أحضر هذا الخنجر وهل أحد من الأغوات أعطاه له أم أحد خلافهم فجاوب أنه ما أحد أعطاه له وإنما بحيث أنه كان قاصد قتل ساري عسكر توجه الى سوق غزة واشترى أول سلاح شافه.

سئل هل أن أحمد آغا أو ياسين آغا ما حدثاه أصلاً عن الوزير وعشموه بشيء من طرفه إن كان يقدر يقتل ساري عسكر فجاوب لا بل أنهم ذاتهم وعدوه أنهم يساعدوه في كل ما يلزمه إن كان يخرج هذا الشيء من يده.

سئل هل أن الوزير نادى في تلك النواحي بقتل الفرنساوية فجاوب أنه لا يعلم بل يعرف أن الوزير كان أرسل طاهر باشا لأجل يعين الذين كانوا بمصر وأنه رجع حين شاف العثملي مقبلين لبر الشام من مصر.

سئل هل هو فقط الذي توكل في هذه الإرسالية فجاوب أن تخمينه هكذا لأن هذا الكلام قد حصل سراً ما بينه وبين الأغوات.

سئل كيف كان يعمل حتى أنه كان يعرف الأغوات بالذي فعله فجاوب أنه كان قصده يروح هو بنفسه يخبرهم أو يرسل لهم حالاً ساعي فبعد خلاص الفحص المذكور انقرأ على المتهوم وهو حرر خط يده مع المبلغ وكاتم السر والترجمان حرر بمصر في اليوم والشهر والسنة المحررة أعلاه إمضاء سليمان الحلبي بالعربي إمضاء كاتم السر بينه.

مقابلة المتهمين مع بعضهم نهار تاريخه ستة وعشرين من شهر برريال السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوي أنا الواضع اسمي فيه مبلغ القضاة المنقامين لشرع كل من هو متهوم في قتل ساري عسكر العام كلهبر أحضرنا الشيخ محمد الغزي لأجل تجدد فحصه ونقابله مع سليمان الحلبي قاتل ساري عسكر ولهذا كان موجود معنا السيتوين بينه كاتم سر القضاة المذكورين وصار كما يذكر أدناه.

سئل الشيخ محمد الغزي هل يعرف سليمان الحلبي الموجود ههنا فجاوب نعم.

سئل سليمان الحلبي هل يعرف الشيخ محمد الغزي الموجود ههنا فجاوب نعم.

سئل محمد الغزي هل أن سليمان الحلبي ما قال له من قيمة واحد وثلاثين يوماً أنه حضر من بر الشام من طرف أحمد آغا وياسين آغا لأجل ساري عسكر العام وهو كل يوم ما حدثه في هذا الشغل حتى أنه في آخر يوم قال له إنه رائح الى الجيزة

حتى يغدر ساري عسكر فجاوب أن هذا ما له أصل لكن حين شافوا بعضاً وقع بينهم سلام فقط ومن قبل آخر يوم الذي نوى فيه سليمان على الرواح الى الجيزة جاب له ورق وحبر وقال له إنه ما يرجع إلا غداً فقيل إنه ما يخبر بالصحيح لأن سليمان يحقق أنه أخبره بهذه السيرة كل يوم وأن عشية قبل غدر ساري عسكر كان قال له إنه رائح لقضاء هذا الأمر فجاوب أن هذا الرجل يكذب.

سئل هل كان يروح مراراً عديدة يبيت عند الشيخ الشرقاوي وهل في الأيام الأخيرة ما راح بات عنده فجاوب أن من حين دخول الفرنساوية ما راح أبداً بات عنده وأما قبل دخول الفرنساوية كان يبيت عنده بعض مرار فقيل له إنه ما يحكي الصحيح لأن في فحص أمس قال إنه كان يروح مراراً عديدة يبيت عند الشيخ الشرقاوي فجاوب أنه ما قال ذلك.

سئل سليمان الحلبي هل يقدر يثبت على الشيخ محمد الحاضر بأنه كل يوم كان يخبره على نيته في قتل ساري عسكر وخصوصاً عشية النهار الذي صباحه صار القتل فجاوب نعم وأنه ما قال إلا الصحيح وأن الشيخ محمد الغزي ما كان يقر بالحق أمرنا بضربه كعادة البلد فحالاً انضرب لحد أنه طلب العفو ووعد أنه يحكي على كل شيء فارتفع عنه الضرب.

سئل هل سليمان أخبره على ضميره في قتل ساري عسكر فجاوب أن سليمان كان قال له إنه حضر من غزة لأجل أنه يغازي في سبيل الله بقتل الكفرة الفرنساوية وأنه معه عن ذلك بقوله إنه يحصل له من ذلك ضرر وما عرفه أنه مراده يغدر ساري عسكر إلا الليلة التي راح فيها الى الجيزة وصباحها قتله.

سئل لأي سبب ما حضر أخبرنا على سليمان المذكور فجاوب أنه أبداً ما كان يصدق أن واحداً مثل هذا يقدر على قتل ساري عسكر الذي الوزير بذاته ما قدر عليه.

سئل هل أخبر بالذي قال له عليه سليمان لأحد من المدينة وخصوصاً الى الشيخ الشرقاوي فجاوب أنه ما أخبر أحداً بذلك وحتى إذا وضعوه تحت القتل ما يقول بذلك.

سئل هل يعرف أحداً خلاف سليمان حضر لأجل غدر الفرنساوية وأين هم قاعدين فجاوب أنه ما يعرف وأن سليمان ما قال له على أحد.

سئل سليمان المذكور أنه يشهر رفقاءه فجاوب أنه لم يعرف أحد في مصر وأن تخمينه ما فيه غيره الذي قاصد قتله الفرنساوية فبعد هذا صرفنا محمد الغزي المذكور لحبسه وأبقينا سليمان لأجل نقابله مع السيد أحمد الوالي الذي حالاً أحضرنا لأجل ذلك.

سئل هل يعرف سليمان الحلبي الموجود ههنا فجاوب نعم.

سئل أيضاً سليمان هل يعرف السيد أحمد الوالي الموجود ههنا فجاوب هو أيضاً نعم.

سئل السيد أحمد الوالي هل أن سليمان ما أخبره على نيته في قتل ساري عسكر وخصوصاً في العشية التي قصد بها التوجه لذلك فجاوب أن سليمان حين وصل من مدة ثلاثين يوماً كان قال له إنه حضر حتى يغازي في الكفرة وأنه نصحه عن ذلك بقوله إن هذا شيء غير مناسب وما أخبره على سيرة ساري عسكر.

سئل سليمان المذكور أنه يبين هل حدثه أحمد الوالي في قتل ساري عسكر وكم يوم له ما حدثه فجاوب أن في أوائل وصوله قال له إنه حضر بصدد الغزو في الكفار وأن السيد أحمد ما رضي له بذلك ثم بعد ستة أيام أخبره على نيته في قتل ساري عسكر ومن بعدها عاد حدثه بذلك وقبل الغدر بأربعة أيام ما كان قابله فقيل للسيد أحمد الوالي إنه لم يصدق في قوله لأنه

ينكر أن سليمان ما أخبره بأنه كان ناوي بقتل ساري عسكر فجاوب الآن لما فكره سليمان افتكر أنه أخبره.
سئل لأي سبب ما أشهر سليمان المذكور فجاوب أنه ما أشهره لسببين الأول أنه كان يخمن أنه يكذب والثاني ما كان مستعنيه في فعل مادة مثل هذه.
سئل هل سليمان ما عرفه برفقائه وهل هو ما تحدث مع أحد بذلك وخصوصاً مع الشيخ الجامع الذي هو ملزوم يخبره بكل ما يجري فجاوب أن سليمان ما قال له على رفقائه وهو ما أخبر بذلك أحداً ولا أيضاً شيخ الجامع.
سئل هل يعرف الأمر الذي خرج من ساري عسكر العام بأن كل من شاف عثملي في البلد يخبر عنه فجاوب أنه ما دري بذلك.
سئل هل سكن سليمان بالجامع لسبب أنه قال على مراده في قتل ساري عسكر فجاوب لا لأن كل أهل الإسلام تقدر تسكن في الجمع.

سئل سليمان هل أنه ما قال بأنهم ما كانوا يريدون يسكنوه لولا أنه قال لهم على سبب مجيئه لمصر فجاوب أن كامل الغرباء لازم يخبروا عن سبب حضورهم وأما هو يقول الحق إن ما أحد من المشايخ ارتضى على مقصوده فبعد هذا أرسلنا السيد أحمد الوالي الى حبسه وبقي سليمان الحلبي لأجل مقابلة السيد عبد الله الغزي الذي أحضرناه في الحال.
سئل سليمان هل يعرف السيد عبد الله الغزي الموجود ههنا فجاوب نعم.
سئل السيد عبد الله الغزي هل ما بلغه نية سليمان في قتل ساري عسكر فجاوب وأقر أن يوم حضور سليمان عرفه أنه حضر يغازي في الكفرة وأنه مراده يقتل ساري عسكر وأنه قصد يمنعه عن ذلك.
سئل لأي سبب ما شكاه فجاوب أنه كان يظن أن سليمان المذكور يتوجه عند المشايخ الكبار وأن المذكورين يمنعوه ولكن من الآن صار يخبر بالذين يحضرون بهذه النية.
سئل هل يعرف أن سليمان أخبر أحداً خلافه في مصر فجاوب أن ما عنده علم بذلك.
سئل هل يعرف أنه موجود بمصر ناس خلاف سليمان متوكلين في قتل الفرنساوية فجاوب أن ما عنده خبر وأن تخمينه لم يوجد أحد.
فبعد ذلك انقرأ هذا الفحص على الأربعة المتهومين وهم سليمان الحلبي ومحمد الغزي والسيد أحمد الوالي والسيد عبد الله الغزي، وسألوهم هل جواباتهم هذه صحيحة ولا فيها زائد ولا ناقص فأربعتهم جاوبوا لا ثم حرروا خط يدهم معنا بالعربي برفقة الاثنين المترجمين وكاتم السر حرر بمدينة مصر في اليوم والشهر والسنة المحررة أعلاه إمضاء المتهومين بالعربي إمضاء الترجمان لوماكا إمضاء دمياسومر براشويش كاتم السر وترجمان ساري عسكر العام إمضاء المبلغ سرتلون إمضاء كاتم السر بينه بعد خلاص الفحص المشروح أعلاه أنا المبلغ سارتلون سألت الأربعة المتهومين المذكورين أنهم يختاروا لهم واحداً ليتكلم عنهم قدام القضاة ويحامي عنهم والمذكورون قالوا إن ما هم عارفون من يختاروا فأورينا لهم الترجمان لوماكا لأجل يمشي لهم في ذلك.

بيان فحص مصطفى أفندي

نهار تاريخه ستة وعشرين شهر برريال السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوي أنا المبلغ سارتلون وبينه كاتم سر القضاة المنتشرين لشرع كل من كان له جرة في قتل ساري عسكر العام كلهبر أحضرنا مصطفى أفندي لكي نفحص منه على الذي قد حصل.

سئل عن اسمه وعمره ومسكنه وصنعته فجاوب بأنه يسمى مصطفى أفندي ولادة برصة في بر أناضول وعمره واحد وثمانون سنة وساكن في مصر ثم صنعته معلم كتاب.

سئل هل من مدة شهر شاف سليمان الحلبي فجاوب أن هذا الرجل مشدوده من مدة ثلاث سنين وأنه من مدة عشرة أو عشرين يوماً حضر عنده وبات ليلة ومن حيث أنه رجل فقير قال له يروح يفتش له عن محل غيره.

سئل هل سليمان المذكور ما أخبره أنه حضر من بر الشام حتى يقتل ساري عسكر العام فجاوب لا بل حضر عنده ليسلم عليه فقط لكونه معلمه من قديم.

سئل هل سليمان ما عرفه عن سبب حضوره لهذا الطرف وهل هو نفسه ما استخبر عن ذلك فجاوب أن كل اجتهاده كان في أنه يصرفه من عنده بحيث أنه رجل فقير بل سأله عن سبب حضوره فأخبره لأجل يتقن القراءة.

سئل هل يعرف بأن سليمان راح عند ناس من البلد وخصوصاً عند أحد من المشايخ الكبار فجاوب أنه لا يعرف شيئاً لأنه ما شافه إلا قليلاً وأنه لم يقدر يخرج كثيراً من بيته بسبب ضعفه وكبره.

سئل هل أنه ما يعلم القرآن إلا مشاديده فجاوب نعم.

سئل هل أن القرآن يرضى بالمغازاة ويأمر بقتل الكفرة فجاوب ما يعرف ايش هي المغازاة التي في القرآن ينبي عنها.

سئل هل يعلم مشاديده هذه الأشياء فجاوب واحد اختيار مثله ما له دعوة في هذه الأشياء بل أنه يعرف أن القرآن ينبي عن المغازاة وأن كل من قتل كافراً يكسب أجراً.

سئل هل علم هذا الغرض لسليمان فجاوب أنه ما علمه إلا الكتابة فقط.

سئل هل عنده خبر أن أمس تاريخه رجل مسلم قتل ساري عسكر الفرنساوية الذي ما هو من ملته وهو بموجب تعليم القرآن هذا الرجل فعل طيب ومقبول عند النبي محمد فجاوب أن القاتل يقتل وأما هو يظن أن شرف الفرنساوية هو من شرف الإسلام وإذا كان القرآن يقول غيره شيا هو ما له علاقة فحالاً قدمنا سليمان المذكور وقابلناه بمصطفى أفندي ثم سألناه هل شاف مصطفى أفندي مراراً كثيرة وهل بلغه عن نيته فجاوب أنه ما شافه سوى مرة واحدة لأجل أنه يسلم عليه بحيث أنه معلمه القديم وبما أنه رجل اختيار وضعيف قوى ما رأى مناسب يخبره عن ضميره.

سئل هل هو من ملة المغازين وهل أن المشايخ سمحوا له في قتل الكفار في مصر ليكتب له أجر ويقبل عند النبي محمد فجاوب أنه ما فتح سيرة المغازاة إلا الى الأربعة مشايخ فقط الذين سماهم.

سئل هل أنه ما تحدث مع الشيخ الشرقاوي فجاوب أنه ما شاف هذا الشيخ لأنه ما هو من ملته بسبب أن الشيخ الشرقاوي شافعي وهو حنفي فبعد هذا قرينا على سليمان ومصطفى أفندي إقرارهم هذا فجاوبوا أن هذا هو الحق وما عندهم ما يزيدوا ولا ينقصوا ثم حرروا خط يدهم برفقة الترجمان ونحن حرر بمصر في اليوم والشهر والسنة المحررة أعلاه إمضاء الإثنين المتهومين

بالعربي إمضاء لوماكا الترجمان إمضاء سارتلون إمضاء كاتم السر بينه.

هذه الرواية المنقولة في اليوم السابع والعشرين من شهر برريال السنة الثامنة من إقامة الجمهور الفرنساوي عن الوكيل سارتلون بحضور مجمع القضاة المفوضين لمحاكمة قاتل ساري عسكر العام كلهبر وأيضاً لمحاكمة شركاء القاتل المذكور: يا أيها القضاة إن المناحة العامة والحزن العظيم الذي نحن مشتملون بهما الآن يخبران بعظم الخسران الذي حصل الآن بعسكرنا لأن ساري عسكرنا في وسط نصراته وممجاده ارتفع بغتة من بيننا تحديد قاتل رذيل ومن يد مستأجرة من كبراء ذوي الخيانة والغيرة الخبيثة والآن أنا معين ومأمور لاستدعاء الانتقام للمقتول وذلك بموجب الشريعة من القاتل المسفور وشركائه كمثل أشنع المخلوقات لكن دعوني ولو لحظة خالطاً فيض دموع عيني وحسراتي بدموعكم ولوعاتكم التي سببها هذا المفدي الأسيف والمكرم المنيف فقلبي احتسب جداً اهتياجه لتأدية تلك الجزية لمستحقها فوظيفتي كأنها ليست في الرؤية إلا ألماً بتغريق المهيب بماء هذه المصنوعة الشنيعة التي بوقوعها ارتبكت سمعتم الآن قراءة إعلام وفحص المتهمين وباقي المكتوبات عما جرى منهم وقط ما ظهر سيئة أظهر من هذه السيئة التي أنتم محاكمون فيها من صفة الغدارين ببيان الشهود وإقرار القاتل وشركائه والحاصل كل شيء متحد ورامي الضياء المهيب لمناورة ذا القتل الكريه، إني أنا راوي لكم سرعة الإعمال جاهد نفسي إن ظفرت لمنع غضبي منهم منها فلتعلم بلاد الروم والدنيا بكمالها أن الوزير الأعظم سلطنة العثمانية ورؤساء جنود جنود عسكرها رذلوا أنفسهم حتى أرسلوا قتال معدوم العرض الى الجريء والأنجب كلهبر الذي لا استطاعوا بتقهيره وكذلك ضعوا الى عيوب مغلوبيتهم المجرم الظالم بالذي ترأسوا قبل السماء والأرض تذكروا جملتكم تلك الدول العثمانية المحاربين من اسلامبول ومن أقاصي أرض الروم وأناضول واصلين منذ ثلاثة شهور بواسطة الوزير لتسخير وضبط بر مصر وطالبين تخليتها بموجب الشروط الذي بتفقيتهم بذاتهم مانعوا إجراءها والوزير أغرق بر مصر وبر الشام بمناداته مستدعي بها قتل عام الفرنساوية وعلى الخصوص هو عطشان لانتقامه لقتل سر عسكرهم وفي لحظة الذين هم أهالي مصر محتفين بأغويات الوزير كانوا محرومين شفقات ومكارم نصيرهم وفي دقيقة الذين هم أسارى ومجروحين العثملية هم مقبولين ومرعبين في دور ضيوفنا وضعفائنا تقيد الوزير بكل وجوه بتكميل سوء غفارته تلوه منذ زمان طويل واستخدم لذلك آغا مغضوباً منه ووعد له إعادة لطفه وحفظ رأسه الذي كان بالخطر إن كان يرتضي بذا الصنع الشنيع وهذا المغوي هو أحمد آغا المحبوس بغزة منذ ما ضبط العريش وذهب للقدس بعد انهزام الوزير في أوائل شهر جرمينال الماضي والآغا المرقوم محبوس هناك بدار متسلم البلد وفي ذلك الملجأ فهو مفتكر بإجراء السوء الخبيث الذي يستثقل التقدير لا فهيم ولا معه تدبير سيما هو عامل شيء لإجراء انتقام الوزير وسليمان الحلبي شب مجنون وعمره أربعة وعشرون سنة وقد كان بلا ريب متدنس بالخطايا ظهر عند ذا الآغا يوم وصوله القدس ويترجى صيانته لحراسة أبيه تاجر بحلب من أذيات ابراهيم باشا والي حلب يرجع له سليمان يوم غدره فقد كان استفتش الآغا عن احتيال أصل وفصل ذا الشب المجنون وعلم أنه مشتغل بجامع بين قراء القرآن وأنه هو الآن بالقدس للزيارة وأنه قد حج سابقاً بالحرمين وأن العته النسكي هو منصوب في أعلى رأسه المضطرب من زيغانه وجهالاته بكمالة إسلامه وباعتماده أن المسمى منه جهاد وتمليك غير المؤمنين فمما أنهى وأيقن أن هذا هو الإيمان ومن ذلك الآن مار ما بقي تردد أحمد آغا في بين ما نوى منه فوعد له حمايته وإنعامه وفي الحال أرسله الى ياسين آغا ضابط مقدار من جيوش الوزير بغزة وبعثه بعد أيام لمعاملته وأقبضه الدراهم اللازمة له وسليمان قد

امتلأ من خباثته وسلك بالطرق فمكث واحد وعشرين يوم في بلد الخليل بجبرون منتظر فيه قبيلة لذهاب البادية وكل مستعجل ووصل غزة في أوائل شهر فلوريال الماضي وياسين آغا مسكنه بالجامع لاستحكام غيرته والمجنون يواجهه مراراً وتكراراً بالنهار والليل مدة عشرة أيام مكثه بغزة يعلمه وبعد ما أعطاه أربعين غرشاً أسدياً ركبه بعقبية الهجين الذي وصل مصر بعد ستة أيام وممتن بخنجر دخل بأواسط شهر فلوريال الى مصر التي قد سكنها سابقاً ثلاث سنين وسكن بموجب تربياته بالجامع الكبير ويتحضر فيه للسيئة التي هو مبعوث لها ويستدعي الرب تعالى بالمناداة وكتب المناجاة وتعليقها بالسور مكانه بالجامع المذكور: علاه وتأنس مع الأربعة مشايخ الذين قرأ والقرآن مثله وهم مثله مولودين ببر الشام وسليمان أخبرهم بسبب مراسلته وكان كل ساعة معهم متآمرين به لكن ممنوعين بصعوبة ومخطرات الوحدة محمد الغزي والسيد أحمد الوالي وعبد الله الغزي وعبد القادر الغزي هم معتمدين سليمان بارتهان ما نواه ولا عاملوا شيء لممانعته أو لبيانه وعن مداومة سكوتهم به صاروا مسامحين ومشتركين في قبحة القاتل هو منتظر واحد وثلاثين يوم معدودة بمصر فعقبة جزم توجهه الى الجيزة وبذاك اليوم أعقد سره الى الشركاء المذكورين أعلاه وكان كل شيء صار سهل جزم القاتل بمصنوعته الشنيعة وبيوم الغدوة طلع السر عسكر من الجيزة متوجهاً مصر وسليمان طوى الطرق ولحقه هلقدر حتى لزم أن يطردوه مراراً مختلفة لكن هو المكار عقيب غداراً تعداه وفي يوم الخامس والعشرين من شهرنا الجاري وصل واختفى في جنينة السر عسكر لتقبيل يده فالسر عسكر لا أبى على قيافة فقره وفي حال ما السر عسكر ترك له يده ضربه سليمان بخنجره ثلاثة جروح وقصد الستوين بروتاين الذي هو رئيس المعمار ومصاحب العرفاء وجاهد لحماية السر عسكر لكن ما نفع جسارته فهو بذاته وقع أيضاً مجروح عن يد القاتل المسفور بستة جروحات وبقي لا مستطيع شيء وهكذا وقع بلا صيانة وهو الذي كان من الأماجد في الحرب ومخاطرات الغزا وهو أول اذين مضوا برياسة عسكر دولة الجمهور الفرنساوي المنصور الرهن الرهين وهو فتح ثانياً بر مصر حينئذ بهجوم سحائب من العثمانية فكيف اقتدر واضم الوجع العميق الجملة الى دموع الأجناد الى لوعات الرؤساء وجميع الجنرالية أصحابه بالمجاهدة والمماجدة بالمناحة ومواهة العسكر أنتم جميعاً تنعوه والمحاسنات تستأهله وتنبغي له القاتل سليمان ما قدر يهرب من مغاشاة الجيوش غضوبين له الدم ظاهر في ثيابه وخنجره واضطرابه ووحشة وجهه وحاله كشفوا جرمه وهو بالذات مقر بذنبه بلسانه ومسمي شركاء وهو كمادح نفسه للقتل الكريه صنع يديه وهو مستريح بجواباته للمسائل وينظر محاضر سياسات عذابه بعين رفيعة والرفاهية هي الثمر المحصول من العصمة والتفاوه فكيف تظهر بوجوه الآثمين ومسامحينهم شركاء سليمان الأثيم كانوا مرتهنين سره للقتل الذي حصل من غفلتهم وسكوتهم قالوا باطلاً أنهم ما صدقوا سليمان هو مستعدد بذا الإثم وقالوا باطلاً أيضاً أن لو كانوا صدقوا ذا المجنون كانوا في الحال شايعين خيانته لكن الأعمال شهود تزور وتنبئ أنهم قابلوا القاتل وما غيروا له نية إلا خوف مهلكتهم ومصممين لهلكة غيرهم ولا هم مستعذرين وجهاً من الوجوه لا حكى لهم شيء من مصطفى أفندي بما أن لا ظهر شيء عند ذاك الشيب يثبت معاقرته بشكل العذاب اللائق للمذنبين هو تحت اصطفاكم بموجب الأمر من الذي أنتم مأمورون بعقيبه لمحاكمة السيئين وأظن أن يليق أن تصنعوا لهم من العذابات العادية ببلاد مصر ولكن عظمة الإثم تستدعي أن يصير عذابه مهيباً فإن سألتوني أجبت أنه يستحق الخوزقة وأن قبل كل شيء تحرق يد ذا الرجل الأثيم وأنه هو يموت بتعذيبه ويبقى جسده لمأكول الطيور وبجهة المسامحين له يستحقون الموت لكن بغير عقوبة كما قلت لكم ونبهت فليعلم الوزير والعملية الظالمين تحت أمره حد جزاء الآثمين الذين ارتكبوا بقصد انتقامهم لعدم المروءة أنهم عدموا من عسكرنا واحد مقدام

سبب دائمي دموعنا ولوعتنا الأبدية فلا يحسبوا ولا يأملوا بإقلال جزائنا إنما خليفة السر عسكر المرحوم هو رجل قد شهر شجاعة ومضى قدماه بصفاء ضمير منير وهو مشار إليه بالبنان لمعرفته بتدبير الجنود والجمهور المنصور وهو يهدينا بالنصرة وأما أولئك المعدومون القلب والعرض فلا احمرت وجوههم بانتقامهم وانهزامهم باق ثم عدم اعتبارهم بالتواريخ لأبداهم باقين بالرذالة لا نفع لهم قدام العالم إلا اكتساب خجالتهم ولعدم المبالاة حالاً كشفتها لهم أثبت محاكمات كما يأتي بيانها.

أولاً – أن سليمان الحلبي مثبت اسمه الكريه بقتل السر عسكر كلهبر فلهذا هو يكون مدحوضاً بتحريق يده اليمنى وبتحريقه حتى يموت فوق خازوقه وجيفته باقية فيه لمأكولات الطيور.

ثانياً – أن الثلاثة مشايخ المسمين محمد الغزي وعبد الله الغزي وأحمد الغزي يكونون متبينين منكم أنهم شركاء لهذا القاتل فلذلك يكونون مدحوضين بقطع رؤوسهم.

ثالثاً – أن الشيخ عبد القادر الغزي يكون مدحوضاً بذلك العذاب.

رابعاً – أن إجراء عذابهم يصير بعودة المجتمعين لدفن السر عسكر وأمام العسكر وناس البلد لذاك الفعل موجودين فيه.

خامساً – أن مصطفى أفندي تبين غير مثبوت مسامحته وهو مطلوق الى ما نرى.

سادساً – أن ذا الإعلام وبيناته وما جرى بطبع في خمس نسخ ويؤول من لسان الفرنساوي بالعربي والتركي لتلزيقها بمحلات بلاد بر مصر بكمالها بموجب المأمور حرر بمصر القاهرة في اليوم السابع وعشرين من شهرنا بريريال سنة ثمانية من إقامة الجمهور المنصور ممضي سارتلون.

الفتوى الخارجة من طرف ديوان القضاة

المنتشرين بأمر ساري عسكر العام منو أمير الجيوش الفرنساوية في مصر

لأجل شرعية كل من له جرة في غدر وقتل ساري عسكر العام كلهبر في السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوي وفي اليوم السابع والعشرين من شهر بريريال اجتمعوا في بيت ساري عسكر رينيه المذكور وساري عسكر روبين ودفتردار البحر لرو والجنرال مارتينه والجنرال مورانه ورئيس العسكر جوجه ورئيس المدافع فاور ورئيس المعمار برترنه والوكيل رجينه والدفتردار سارتلون في رتبة مبلغ، والوكيل لبهر في رتبة وكيل الجمهور والوكيل بينه في رتبة كاتم السر وهذا ما صار حكم أمر ساري عسكر العام منو أمير الجيوش الفرنساوية الذي صدر أمس وأقام القضاة المذكورين لكي يشرعوا على الذي قتل ساري عسكر العام كلهبر في اليوم الخامس والعشرين من الشهر ولكي يحكموا عليه بمعرفتهم فحين اجتمعوا القضاة المذكورون وساري عسكر رينيه الذي هو شيخهم أمر بقراءة الأمر المذكور أعلاه الخارج على يد ساري عسكر منو ثم بعده المبلغ قرأ كامل الفحص والتفتيش الذي صدر منه في حق المتهومين وهم سليمان الحلبي والسيد عبد القادر الغزي ومحمد الغزي وعبد الله الغزي وأحمد الوالي ومصطفى أفندي فبعد قراءة ذلك أمر ساري عسكر رينيه بحضور المتهومين المذكورين قدام القضاة وهم من غير قيد ولا رباط بحضور وكيلهم والأبواب مفتحة قدام كامل الموجودين فحين حضروا ساري عسكر رينيه وكامل القضاة سألوهم جملة سؤالات وهذا بواسطة الخواجا براشويش الترجمان فهم ما جاوبوا إلا بالذي كانوا قالوه حين

انفحصوا فساري عسكر رينيه سألهم أيضاً إن كان مرادهم يقولوا شيئاً مناسباً لتبرئتهم فأجابوه بشيء فحالاً ساري عسكر المذكور أمر بدرهم الى الحبس مع الخفراء عليهم ثم أن ساري عسكر رينيه التفت الى القضاة وسألهم إيش رأيهم في عدم حديث المتهومين وأمر بخروج كامل الناس من الديوان وقفل المحل عليهم لأجليستشاروا بعضهم من غير أن أحداً يسمعهم ثم انوضع أول سؤال وقال: سليمان الحلبي ابن أربعة وعشرين سنة وساكن بحلب متهم بقتل ساري عسكر العام وجرح السيتوين بروتاين المهندس وهذا صار في جنينة ساري عسكر العام في خمسة وعشرين من الشهر الجاري فهل هو مذنب فالقضاة المذكورون ردوا كل واحد منهم لوحده والجميع بقول واحد أن سليمان الحلبي مذنب.

السؤال الثاني – السيد عبد القادر الغزي مقرئ قرآن في الجامع الأزهر ولادة غزة وساكن في مصر متهوم أنه بلغه بالسر في غدر ساري عسكر العام وما بلغ ذلك وقصد الهروب فهل هو مذنب فالقضاة جاوبوا تماماً أنه مذنب.

ثم وضع السؤال الثالث وقال: محمد الغزي ابن خمسة وعشرين سنة ولادة غزة وساكن في مصر مقرئ قرآن في الجامع الأزهر متهوم أنه بلغه بالسر في غدر ساري عسكر وأنه حين ذلك الغادر كان نوى الرواح لقضاء فعله بلغه أيضاً وهو ما عرف أحداً بذلك فهل هو مذنب فالقضاة جاوبوا تماماً أنه مذنب.

السؤال الرابع: – عبد الله الغزي ابن ثلاثين سنة ولادة غزة ومقرئ قرآن في الجامع الأزهر متهوم أنه كان يعرف في غدر ساري عسكر وأنه ما بلغ أحداً بذلك فهل هو مذنب فالقضاة جاوبوا تماماً أنه مذنب.

السؤال الخامس – أحمد الوالي ولادة غزة مقرئ قرآن في جامع الأزهر متهوم أن عنده خبر في غدر ساري عسكر وأنه ما بلغ أحداً بذلك فهل هو مذنب فالقضاة جاوبوا تماماً أنه مذنب.

السؤال السادس – مصطفى أفندي ولادة برصة في بر أناضول عمره واحد وثمانين سنة ساكن في مصر معلم كتاب ما عنده خبر بغدر ساري عسكر فهل هو مذنب فالقضاة تماماً جاوبوا بأنه غير مذنب وأمروا بإطلاقه فبعد ذلك القاضي وكيل الجمهور طلب أنهم يفتوا بالموت على المذنبين المشروحين أعلاه فالقضاة تشاوروا مع بعضهم ليعتمدوا على جنس عذاب لائق لموت المذنبين أعلاه ثم بدؤوا بقراءة خامس مادة من الأمر الذي أخرجه أمس ساري عسكر منو بسبب ذلك والذي بموجبه أقامهم قضاة في فحص وموت كل من كان له جرة في غدر وقتل ساري عسكر العام كلهبر ثم اتفقوا جميعهم أن يعذبوا المذنبين ويكون لافق للذنب الذي صدر وأفتوا أن سليمان الحلبي تحرق يده اليمين وبعده يتخوزق ويبقى على الخازوق لحين تأكل رمته الطيور وهذا يكون فوق التل الذي برا قاسم بك ويسمى تل العقارب وبعد دفن ساري عسكر العام كلهبر وقدم كامل العسكر وأهل البلد الموجودين في المشهد ثم أفتوا بموت السيد عبد القادر الغزي مذنب أيضاً كما ذكر أعلاه وكل ما تحكم يده عليه يكون حلال للجمهور الفرنساوي ثم هذه الفتوى الشرعية تكتب وتوضع فوق الذيت الذي مختص بوضع رأسه وأيضاً أفتوا على محمد الغزي وعبد الله الغزي وأحمد الوالي أن تقطع رؤوسهم وتوضع على نبابيت وجسمهم يحرق بالنار وهذا يصير في المحل المعين أعلاه ويكون ذلك قدام سليمان الحلبي قبل أن يجري فيه شيء هذه الشريعة والفتوى لازم أن ينطبعا باللغة التركية والعربية والفرنساوية م كل لغة قدر خمسمائة نسخة لكي يرسلوا ويعلقوا في المحلات اللازمة والمبلغ يكن مشهل في هذه الفتوى تحريراً في مدينة مصر في اليوم والشهر والسنة المحررة أعلاه ثم ان القضاة حطوا خط يدهم بأسمائهم برفقة كاتم

السر ممضي في أصله ثم هذه الشريعة والفتوى انقرت وتفسرت على المذنبين بواسطة السيتوين لو ما كان الترجمان قبل قصاصهم فهم جاوبوا أن ما عندهم شيء يزيدوا ولا ينقصوا على الذي أقروا به في الأول فحالاً قضوا أمرهم في ثمانية وعشرين من شهر برريال حكم الاتفاق وقبل نصف النهار بساعة واحدة حرر بمصر في ثمانية وعشرين برريال السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوي ثم ختموا بأصله الدفتردار سارتلون وكاتم السر بينه وهذه نسخة من الأصل إمضاء بينه كاتم السر آه وهذا آخر ما كتبوه في خصوص هذه القضية ورسموه وطبعوه بالحرف الواحد و لم أغير شيئاً مما رقم إذ لست ممن يحرف الكلم وما فيه من تحريف فهو كما في الأصل والله أعلم.

ولما فرغوا من ذلك اشتغلوا بأمر ساري عسكرهم المقتول وذلك بعد موته بثلاثة أيام كما ذكر ونصبوا مكانه عبد الله جاك منو ونادوا ليلة الرابع من قتلته وهي ليلة الثلاثاء خامس عشرين المحرم في المدينة بالكنس والرش في جهات حكام الشرطة فلما أصبحوا اجتمع عساكرهم وأكابرهم وطائفة عينها القبط والشوام وخرجوا بموكب مشهده ركباناً ومشاة وقد وضعوه في صندوق من رصاص مسنم الغطاء ووضعوا ذلك الصندوق على عربة وعليه برنيطته وسيفه والخنجر الذي قتل به وهو مغموس بدمه وعملوا على العربة أربعة بيارق صغار في أركانها معمولة بشعر أسود ويضربون بطبولهم بغير الطريقة المعتادة وعلى اطبول خرق سود والعسكر بأيديهم البنادق وهي منكسة الى أسفل وكل شخص منهم معصب ذراعه بخرقة حرير سوداء ولبسوا ذلك الصندوق بالقطيفة السوداء وعليها قصب مخيش وضربوا عند خروج الجنازة مدافع وبنادق كثيرة وخرجوا من بيت الأزبكية على باب الخرق الى درب الجماميز الى جهة الناصرية فلما وصلوا الى تل العقارب حيث القلعة التي بنوها هناك ضربوا عدة مدافع وكانوا أحضروا سليمان الحلبي والثلاثة المذكورين فأمضوا فيهم ما قدر عليهم ثم ساروا بالجنازة الى أن وصلوا باب قصر العيني فرفعوا ذلك الصندوق ووضعوه على علوة من التراب يوسط تخشيبة صنعوها وأعدوها لذلك وعملوا حولها درابزين وفوقه كساء أبيض وزرعوا حوله أعواد سرو ووقف عند بابها شخصان من العسكر ببنادقهما ملازمان ليلاً ونهاراً يتناوبان الملازمة على الدوام وانقضى أمره واستقر عوضه في السر عسكرية قائمقام عبد الله جاك منو وهو الذي كان متولياً على رشيد من قدومهم وقد كان أظهر أنه أسلم وتسمى بعبد الله وتزوج بامرأة مسلمة وقلدوا عوضه في قائمقامية بليار فلما أصبح ثاني يوم حضر قائمقام والآغا الى الأزهر ودخلا إليه وشقا في جهاته وأروقته وزواياه بحضرة المشايخ.

وفي يوم الخميس حضر ساري عسكر عبد الله جاك منو وقائمقام لو الآغا وطافوا به أيضاً وأرادوا حفر أماكن للتفتيش على السلاح ونحو ذلك ثم ذهبوا فشرعت المجاورون به في نقل أمتعتهم منه ونقل كتبهم وإخلاً الأروقة ونقلوا الكتب المرقوفة بها الى أماكن خارجة عن الجامع وكتبوا أسماء المجاورين في ورقة وأمروهم أن لا يبيت عندهم غريب ولا يؤوا إليهم آفاقياً مطلقاً وأخرجوا منه المجاورين من طائفة الترك ثم أن الشيخ الشرقاوي والمهدي والصاوي توجهوا في عصريتها عند كبير الفرنسيس منو واستأذنوه في قفل الجامع وتسميره فقال بعض القبطة الحاضرين للأشياخ وهذا لا يصح ولا يتفقهذا لا يصح ولا يتفق فحنق عليه الشيخ الشرقاوي وقل اكفونا شر دسائسكم يا قبطة وقصد المشايخ من ذلك منع الريبة فإن للأزهر سعة لا يمكن الإحاطة بمن يدخله فربما دس العدو من يبيت به واحتج بذلك على إنجاز غرضه ونبل مراده من المسلمين والفقهاء ولا يمكن الاحتراس من ذلك فإذن كبير الفرنسيسي بذلك لما فيه من موافقة غرضه باطناً فلما أصبحوا قفلوه وسمروا أبوابه من سائر

الجهات.

وفي غايته، جمعوا الوجاقلية وأمروهم بإحضار ما عندهم من الأسلحة فأحضروا ما أحضروه فشددوا عليهم في ذلك فقالوا لم يكن عندنا غير الذي أحضرناه فقالوا وأين الذي كنا نرى لمعانه عند متاريسكم فقالوا تلك أسلحة العساكر العثمانية والأجناد المصرية وقد سافروا بها.

واستهل شهر صفر بيوم الثلاثاء سنة 1215

في أوائله سافر بعض الأعيان من المشايخ وغيرهم الى بلاد الأرياف بعيالهم وحريمهم وبعض بعث حريمه وأقام هو مسافر الشيخ محمد الحريري وصحب معه حريم الشيخ السحيمي وصهره الشيخ المهدي فلما رآهم الناس عزم الكثير منهم على الرحلة وأكثروا المراكب والجمال وغير ذلك فلما أشيع ذلك كتب الفرنسيس أوراقاً ونادوا في الأسواق بعدم انتقال الناس ورجوع المسافرين ومن لم يرجع بعد خمسة عشر يوماً نهبت داره فرجع أكثر الناس ممن سافر أو عزم على السفر إلا من أخذ له ورقة بالإذن من مشاهير الناس أو احتج بعذر كائن في خدمة لهم أو قبض خراج أو مال أو غلال من التزامه.

وفيه قرروا فردة أخرى وقدرها أربعة ملايين وقدر المليون مائة وستة وثمانون ألف فرانسة وكان الناس ما صدقوا قرب تمام الفردة الأولى بعدما قاسوا من الشدائد ما لا يوصف ومات أكثرهم في الحبوس وتحت العقوبة وهرب الكثير منهم وخرجوا على وجوههم الى البلاد ثم دهوا بهذه الداهية أيضاً فقرروا على العقار والدور مائتي ألف فرانسة وعلى الملتزمين مائة وستين ألفاً وعلى التجار مائتي ألف وعلى أرباب الحرف المستورين ستين ألفاً وأسقطوا في نظير المنهوبات مائة ألف وقسموا البلدة ثمانية أخطاط وجعلوا على كل خطة منها خمسة وعشرين ألف ريال ووكلوا بقبض ذلك مشايخ الحارات والأمير الساكن بتلك الخطة مثل المحتسب بجهة الحنفي وعمر شاه وسويقة السباعين ودرب الحجر ومثل ذي الفقار كتخدا جهة المشهد الحسيني وخان الخليلي والغورية والصنادقية والأشرفية وحسن كاشف جهة الصليبة والخليفة وما في ضمن كل من الجهات والعطف والبيوت فشرعوا في توزيع ذلك على الدور الساكنة وغير الساكنة وقسموها عال وأوسط ودون وجعلوا العال ستين ريالاً والوسط أربعين والدون عشرين ويدفع المستأجر قدر ما يدفع المالك والدار التي يجدونها مغلقة وصاحبها غائب عنها يأخذون ما عليها من جيرانها.

وفي سادس عشرينه، أفرجوا عن الشيخ السادات ونزل الى بيته بعد أن غلق الذي تقرر عليه واستولوا على حصصه وأقطاعه وقطعوا مرتباته وكذلك جهات حريمه والحصص الموقوفة على زاوية أسلافه وشرطوا عليه عدم الاجتماع بالناس وأن لا يركب بدون إذن منهم ويقتصد في أمور معاشه ويقلل أتباعه.

شهر ربيع الأول سنة 1215

فيه نادوا على الناس الخارجين من مصر من خوف الفردة وغيرها بأن من لم يحضر من بعد اثنين وثلاثين يوماً من وقت المناداة نهبت داره وأحيط بموجوده وكان من المذنبين واشتد الأمر بالناس وضاقت منافسهم وتابعوا نهب الدور بأدنى شبهة ولا شفيع

تقبل شفاعته أو متكلم تسمع كلمته واحتجب ساري عسكر عن الناس وامتنع من مقابلة المسلمين وكذلك عظماء الجنرالات وانحرفت طباعهم عن المسلمين زيادة عن أول واستوحشوا منهم ونزل بالرعية الذل والهوان وتطاولت عليهم الفرنساوية وأعوانهم وأنصارهم من نصارى البلد الأقباط والشوام والأروام بالإهانة حتى صاروا يأمروهم بالقيام إليهم عند مرورهم ثم شددوا في ذلك حتى كان إذا مر بعض عظمائهم بالشارع و لم يقم إليه بعض الناس على أقدامه رجعت إليه الأعوان وقبضوا عليه وأصعدوه الى الحبس بالقلعة وضربوه واستمر عدة أيام في الاعتقال ثم يطلق بشفاعة بعض الأعيان.

وفيه أنزلوا مصطفى باشا من الحبس وأهدوا إليه هدايا وأمتعة وأرسلوه الى دمياط فأقام بها أياماً وتوفي الى رحمة الله تعالى.

شهر ربيع الثاني سنة 1215

فيه اشتد أمر المطالبة بالمال وعين لذلك رجل نصراني قبطي يسمى شكر الله فنزل بالناس منه ما لا يوصف فكان يدخل الى دار أي شخص كان لطلب المال وصحبته العسكر من الفرنساوية والفعلة وبأيديهم القزم فيأمرهم بهدم الدار إن لم يدفعوا له المقرر وقت تاريخه من غير تأخير الى غير ذلك وخصوصاً ما فعله ببولاق فإنه كان يحبس الرجال مع النساء ويدخن عليهم بالقطن والمشاق وينوع عليهم العذاب ثم رجع الى مصر يفعل كذلك.

وفيه أغلقوا جميع الوكائل والخانات على حين غفلة في يوم واحد وختموا على جميعها ثم كانوا يفتحونها وينهبون ما فيها من جميع البضائع والأقمشة والعطر والدخان خاناً بعد خان فإذا فتحوا حاصلاً من الحواصل قوموا ما فيه بما أحبوا بأبخس الأثمان وحسبوا غرامته فإن بقي لهم شيء أخذوه من حاصل جاره وإن زاد له شيء أحالوه على جاره الآخر كذلك وهكذا ونقلوا البضائع على الجمال والحمير والبغال وأصحابها تنظر وقلوبهم تتقطع حسرة على مالهم وإذا فتحوا مخزناً دخله أمناؤهم ووكلاؤهم فيأخذون من الودائع الخفيفة أو الدراهم وصاحب المحل لا يقدر على التكلم بل ربما هرب أو كان غائباً.

وفيه حرروا دفاتر العشور وأحصوا جميع الأشياء الجليلة والحقيرة ورتبوها بدفاتر وجعلوها أقلاماً يتقلدها من يقوم بدفع مالها المحرر وجعلوا جامع أزبك الذي بالأزبكية سوقاً لمزاد ذلك بكيفية يطول شرحها وأقاموا على ذلك أياماً كثيرة يجتمعون لذلك في كل يوم ويشترك الإثنان فأكثر في القلم الواحد وفي الأقلام المتعددة.

وفيه كثر الهدم في الدور وخصوصاً في دور الأمراء ومن فر من الناس وكذلك كثر الاهتمام بتعمير القلاع وتحصينها وإنشاء قلاع في عدة جهات وبنوا بها المخازن والمساكن وصهاريج الماء وحواصل الجبخانات حتى ببلاد الصعيد القبلية.

واستهل شهر جمادى الأولى سنة 1215

والأمور من أنواع ذلك تتضاعف والظلومات تتكاثف وشرعوا في هدم أخطاط الحسينية وخارج باب الفتوح وباب النصر من الحارات والدور والبيوت والمساكن والمساجد والحمامات والحوانيت والأضرحة فكانوا إذا دهموا داراً وركبوها للهدم لا يمكنون أهلها من نقل متاعهم ولا أخذ شيء من أنقاض دارهم فينهبونها ويهدمونها وينقلون الأنقاض النافعة من الأخشاب والبلاط الى حيث عمارتهم وأبنيتهم وما بقي يبيعون منه ما أحبوا بأبخس الأثمان ولوقود النيران وما بقي من كسارات الكشاب

يحزمه الفعلة حزماً ويبيعونه على الناس بأغلى الأثمان لعدم حطب الوقود ويباشر غالب هذه الأفاعيل النصارى البلدية فهدم للناس من الأملاك والعقار ما لا يقدر قدره وذلك مع مطالبتهم بما قرر على أملاكهم ودورهم من الفردة فيجتمع على الشخص الواحد النهب والهدم والمطالبة في آن واحد وبعد أن يدفع ما على داره أو عقاره وما صدق أنه غلق ما عليه إلا وقد دهموه بالهدم فيستغيث فلا يغاث فترى الناس سكارى وحيارى ثم بعد ذلك كله يطالب بالمنكسر من الفردة وذلك أنهم لما قسموا الأخطاط كما تقدم وتولى ذلك أمير الخطة وشيخ الحارة والكتبة والأعوان وزعوا ذلك برأيهم ومقتضي أغراضهم فأول ما يجتمعون بديوانهم يشرع الكتبة في كتابة التنابيه وهي أوراق صغار باسم الشخص والقدر المقرر عليه وعلى عقاره بحسب اجتهادهم ورأيهم وعلى هامشها كراء طريق المعينين ويعطون لكل واحد من أولئك القواسة عدة من تلك الأوراق فقبل أن يفتح الإنسان عينيه ما يشعر إلا والمعين واقف بابه وبيده ذلك التنبيه فيوعدوه حتى ينظر في حاله فلا يجد بداً من دفع حق الطريق فما هو إلا أن يفارقه حتى يأتيه المعين الثاني بتنبيه آخر فيفعل معه كالأول وهكذا على عدد الساعات فإن لم يوجد المطلوب وقف ذلك القواس على داره ورفع صوته وشتم حريمه أو خادمه فيسعى الشخص جهده حتى يغلق ما تقرر عليه بشفاعة ذي وجاهة أو نصراني وما يظن أنه خلص إلا والطلب لاحقه أيضاً بمعين وتنبيه فيقول ما هذا فيقال له إن الفردة لم تكمل وبقي منها كذا وكذا وجعلنا على العشرة خمسة أو ثلاثة أو ما سولت لهم أنفسهم فيرى الشخص أن لابد من ذلك فما هو إلا أن خلص أيضاً إلا وكرة أخرى وهكذا أمراً مستمراً ومثل ذلك ما قرر على الملتزمين فكانت هذه الكسورات من أعظم الدواهي المقلقة ونكسات الحمى المطبعة.

وفي خامسه كان عيد الصليب وهو انتقال الشمس لبرج الميزان والاعتدال الخريفي وهو أول سنة الفرنسيس وهي السنة التاسعة من تاريخ قيامهم ويسمى عندهم هذا الشهر وندمير وذلك يوم عيدهم السنوي فنادوا بالزينة بالنهار والوقدة بالليل وعملوا شنكات ومدافع وحراقات ووقدات بالأزبكية والقلاع وخرجوا صبح ذلك اليوم بمواكبهم وعساكرهم وطبولهم وزمورهم الى خارج باب النصر وعملوا مصافهم فقرئ عليهم كلام بلغتهم على عادتهم وكأنه مواعظ حربية ثم رجعوا بعد الظهر.

وفي هذه السنة، زاد النيل زيادة مفرطة لم يعهد مثلها فيما رأينا حتى انقطعت الطرقات وغرقت البلدان وطف الماء من بركة الفيل وسال الى درب الشمسي وكذلك حارة الناصرية وسقطت عدة دور من المطلة على الخليج ومكث زائداً الى آخر توت.

واستهل شهر جمادى الثانية سنة 1215

فيه قرروا على مشايخ البلدان مقررات يقومون بدفعها في كل سنة أعلى وأوسط وأدنى فالأعلى وهو ما كانت بلده ألف فدان فأكثر خمسمائة ريال والأوسط وهو ما كانت خمسمائة فأزيد ثلثمائة ريال والأدنى مائة وخمسون ريالاً وجعلوا الشيخ سليمان الفيومي وكيلاً في ذلك فيكون عبارة عن شيخ المشايخ وعليه حساب ذلك وهو من تحت يد الوكيل الفرنساوي الذي يقال له بريدون فلما شاع ذلك ضجت مشايخ البلاد لأن منهم من لا يملك عشاءه فاتفقوا على أن وزعوا ذلك على الأطيان وزادت في الخراج واستملوا البلاد والكفور من القبطة فأملوها عليهم حتى الكفور التي خربت من مدة سنين بل سموا أسماء من غير مسميات.

وفيه شرعوا في ترتيب الديوان على نسق غير الأول من تسعة أنفار فيه خصوصي وعمومي على ما سبق شرحه بل هو ديوان واحد مركب من الشيخ الأمير والشيخ الصاوي وكاتبه والشيخ موسى السرسي والشيخ تسعة رؤساء هم الشيخ الشرقاوي رئيس الديوان والمهدي كاتب السر خليل البكري والسيد علي الرشيدي نسي ساري عسكر والشيخ الفيومي والقاضي الشيخ اسمعيل الزرقاني وكاتب سلسلة التاريخ السيد اسمعيل الخشاب والشيخ علي كاتب عربي وقاسم أفندي كاتب رومي وترجمان كبير القس رفائيل وترجمان صغير الياس فخر الشامي والوكيل الكمشاري فوريه ويقال له مدبر سياسة الأحكام الشرعية ومقدم وخمسة قواسة متعممين لا غير وليس فيهم قبطي ولا وجاقلي ولا شامي ولا غير ذلك وليس واختاروا لذلك بيت رشوان بك الذي بحارة عابدين وكان يسكنه برطلمان فانتقل منه الى بيت الجلفي بالخرنفش وعمر وبيض وفرشت قاعة الحريم بمجلس الديوان فرشاً فاخراً وعينوا عشر جلسات في كل شهر وانتقل إليها فوريه وسكنها بأتباعه وأعدوا للمترجمين والكتبة من الفرنساوية مكاناً خاصاً يجلسون به في غير وقت الديوان على الدوام لترجمة أوراق الوقائع وغيرها وجعلوا لها خزائن للسجلات وفتحوا أيضاً بجانبها داراً نفذوها إليها وشرعوا في تعميرها وتأنيقها وسموها بمحكمة المتجر وأخذوا يرتبون أنفاراً من تجار المسلمين والنصارى يجلسون بها للنظر في القضايا المتعلقة بقوانين التجار والكبير على ذلك كله فوريه و لم يتم ذلك المكان الثاني.

وفي خامس عشره شرعوا في جلسة الديوان وصورته أنه إذا تكامل حضور المشايخ يخرج إليهم الوكيل فوريه وصحبته المترجمون فيقومون له فيجلس معهم ويقف الترجمان الكبير رفائيل ويجتمع أرباب الدعاوى فيقفون خلف الحاجز عند آخر الديوان وهو من خشب مقفص وله باب كذلك وعنده الجاويش يمنع الداخلين خلاف أرباب الحوائج ويدخلهم بالترتيب الأسبق فالأسبق فيحكي صاحب الدعوة قضيته فيترجمها له الترجمان فإن كانت من القضايا الشرعية فإما أن يتمها قاضي الديوان بما يراه العلماء أو يرسلوها الى القاضي الكبير بالمحكمة إن احتاج الحال فيها الى كتابة حجج أو كشف من السجل وإن كانت من غير جنس القضايا الشرعية كأمور الالتزام أو نحو ذلك، يقول الوكيل ليس هذا من شغل الديوان فإن ألح على أرباب الديون في ذلك يقول اكتبوا عرضاً لساري عسكر فيكتب الكاتب العربي والسيد اسمعيل يكتب عنده في سجله كل ما قال المدعى عليه وما وقع في ذلك من المناقشة وربما تكلم قاضي الديوان في بعض ما يتعلق بالأمور الشرعية ومدة الجلسة من قبيل الظهر بنحو ثلاث ساعات الى الأذان أو بعده بقليل بحسب الاقتضاء ورتبوا لكل شخص من مشايخ الديوان التسعة أربعة عشر ألف فضة في كل شهر عن كل يوم أربعمائة نصف فضة وللقاضي والمقيد والكاتب العربي والمترجمين وباقي الخدم مقادير متفاوتة تكفيهم وتغنيهم عن الارتشاء وفي أول جلسة من ذلك اليوم عملت المقارعة لرئيس الديوان وكاتب السر فطلعت للشرقاوي والمهدي على عادتهما وكذلك الجاويشية والترجمان وكتبت تذكرة من أهل الديوان خطاً بالساري عسكر يخبرونه فيها بما حصل من تنظيم الديوان وترتيبه وسر الناس بذلك لظنهم أنه انفتح لهم باب الفرج بهذا الديوان ولما كانت الجلسة الثانية ازدحم الديوان بكثرة الناس وأتوا إليه من كل فج يشكون.

وفي ثالث عشرينه، أمروا بجمع الشحاذين أي السؤال بمكان وينفق عليهم نظار الأوقاف.

وفيه أيضاً أمروا بضبط إيراد الأوقاف وجمعوا المباشرين لذلك وكذلك الرزق الأحباسية والأطيان المرصدة على مصالح المساجد

والزوايا وأرسلوا بذلك الى حكام البلاد والأقاليم.

وفي غايته حضر رجل الى الديوان مستغيث بأهله وإن قلق الفرنسيس قبض على ولده وحبسه عند قائمقام وهو رجل زيات وسبب ذلك أن امرأة جاءت إليه لتشتري سمناً فقال لها لم يكن عندي سمن فكررت عليه حتى حنق منها فقالت له كأنك تدخره حتى تبيعه على العثملي تريد بذلك السخرية فقال لها نعم رغماً عن أنفك وأنوف الفرنسيس فنقل عنه مقالته غلام كان معها حتى أنهوه الى قائمقام فأحضره وحبسه ويقول أبوه أخاف أن يقتلوه فقال الوكيل لا لا يقتل بمجرد هذا القول وكن مطمئناً فإن الفرنساوية لا يظلمون كل هذا الظلم فلما كان في اليوم الثاني قتل ذلك الرجل ومعه أربعة لا يدري ذنبهم وذهبوا كيوم مضى.

واستهل شهر رجب الفرد سنة 1215

والطلب والنهب والهدم مستمر ومتزايد وأبرزوا أوامر أيضاً بتقرير مليون على الصنائع والحرف يقومون بدفعه في كل سنة قدره مائة ألف وستة وثمانون ألف ريال فرانسة ويكون الدفع على ثلاث مرات كل أربعة أشهر يدفع من المقرر الثلث وهو إثنان وستون ألف فرانسة فدهى الناس وتحيرت أفكارهم واختلطت أذهانهم وزادت وساوسهم، وأشيع أن يعقوب القبطي تكفل بقبض ذلك من المسلمين ويقلد في ذلك شكر الله وأضرابه من شياطين أقباط النصارى واختلفت الروايات فقيل إن قصده أن يجعلها على العقار والدور وقيل بل قصده توزيعها بحسب الفردة وذلك عشرها لأن الفردة كانت عشرة ملايين فالذي دفع عشرة يقوم بدفع واحد على الدوام والاستمرار ثم قيدوا لذلك رجلاً فرنساوياً يقال له دناويل وسموه مدبر الحرف فجمع الحرف وفرض عليهم كل عشرة أربعة فمن دفع عشرة في الفردة يدفع أربعة الآن فعورض في ذلك بأن هذا غير منقول فقال هذا باعتبار من خرج من البلد ومن لم يدخل في هذه الفردة كالمشايخ والفارين فإن الذي جعل عليهم أضيف على من بقي فاجتمع التجار وتشاوروا فيما بينهم في شأن ذلك فرأوا أن هذا شيء لا طاقة للناس به من وجوه الأول وقف الحال وكساد البضائع وانقطاع الأسفار وقلة ذات اليد وذهاب البقية التي كانت في أيدي الناس في الفرد والدواهي المتتابعة الثاني أن الموكلين بالفردة السابقة وزعوا على التجار والمتسببين وكل من كان له اسم في الدفتر من مدة سنين ثم ذهب ما في يده وافتقر حاله وخلا حانوته وكيسه فألزموه بشخص من ذلك وكلفوه به وكتب اسمه في دفتر الدافعين ويلزم ما يلزمهم وليس ذلك في الإمكان الثالث أن الحرفة التي دفعت مثلاً ثلاثين ألفاً يلزمها ثلاث آلاف في السنة على الرأي الأول وعلى الثاني اثنا عشر ألفاً وقد قل عددهم وغلقت أكثر حوانيتهم لفقرهم وهجاجهم وخصوصاً إذا ألزموا بذلك المليون فيفر الباقي ويبقى من لا يمكنه الفرار ولا قدرة للبعض بما يلزم الكل.

وفيه أمر الوكيل بتحرير قائمة تتضمن أسماء الذين تقلدوا قضاء البلاد من طرف القاضي والذين لم يتقلدوا وأخبر أن السر في ذلك أن مناصب الأحكام الشرعية استقر النظر فيها له وأنه لابد من استئناف ولايات القضاة حتى قاضي مصر بالقرعة من ابتداء سنة الفرنساوية ويكتب لمن تطلع له القرعة تقليد من ساري عسكر الكبير فكتبت له القائمة كما أشار.

وفي رابعه قتل جماعة بالرميلة وغيرها ونودي عليهم هذا جزاء من يتداخل في الفرنسيس والعثملي.

وفي سادسه عملت القرعة على طهابل زاد تكرارها ثلاث مرات لقاضي مصر واستقرت للعريشي على ما هو عليه وخرج له التقليد بعد مدة طويلة.

وفي ثامنه قتل غلام وجارية بباب الشعرية ونودي عليهما هذا جزاء من خان وغش وسعى بالفساد فيقال إنهما كانا يخدمان فرنساوياً فدسا له سماً وقتلاه.

وفي تاسعه حضر جماعة من الوجاقلية الى الديوان وهم يوسف باشا جاويش ومحمد آغا سليم كاتب الجاويشية وعلي آغا يحيى باشجاويش الجراكسة ومصطفى آغا أبطال ومصطفى كتخدا الرزاز وذكروا أنهم كانوا تعهدوا بباقي الفردة المطلوبة من الملتزمين وقدرها خمسة وعشرين ألف ريال وقد استدانوا لذلك قدراً من البن بخمسة وثالثين ألف ريال فرانسة ليوفوا ما عليهم من الديون وأنهم أرسلوا الى حصصهم يطالبون الفلاحين بما عليهم من الخراج فامتنع الفلاحون من الدفع وأخبروا أن الفرنساوية خرجوا عليهم ومنعوهم من دفع المال للملتزمين فكتب لهم عرض حال في شأن ذلك وأرسل الى ساري عسكر و لم يرجع جوابه.

وفي رابع عشره، صنع الجرنال بليار المعروف بقائمقام عزومة لمشايخ الديوان والوجاقلية وأعيان التجار وأكابر نصارى القبط والشوام ومد لهم أسمطة حافلة وتعشوا عنده ثم ذهبوا الى بيوتهم.

وفي ثاني عشرينه، طيف بامرأتين في شوارع مصر بين يدي الحاكم ينادي عليهما هذا جزاء من يبيع الأحرار وذلك أنها باعتا امرأة لبعض نصارى الأروام بتسعة ريالات.

وفيه، طلب الخواجة الفرنسيسي المعروف بموسى كافو من الوجاقلية بقية الفردة المتقدم ذكرها فأجابوا بأن سبب عجزهم عن غلاقها توقف الفلاحين عن دفع المال بأمر الفرنساوية وعدم تحصيلهم المال من بلادهم ثم أحيلوا بعد كلام طويل على استيفاء الخازندار لأن ذلك من وظائفه لا من وظائف الديوان.

وفي سابع عشرينه، حضر الوجاقلية ومعهم بعض الأعيان وحريمات ملتزمات يستغيثون بأرباب الديوان ويقولون إنه بلغنا أن جمهور الفرنساوية يريدون وضع أيديهم على جميع الالتزام المفروج عنه الذي دفعوا حلوانه ومغارمه ولا يرفع أيدي الملتزمين عن التصرف في الالتزام جملة كافية وقد كان قبل ذلك أنهى الملتزمون الذين لم يفرجوا لهم عن حصصهم إما لفرارهم وعودهم بالأمان وإما لقصر أيديهم عن الحلوان وإما لشراقي بلادهم وإما لانتظارهم الفرج وعود العثمانيين فيتكرر عليهم الحلوان والمغارم فلما طال المطال وضاق حال الناس عضروا أمرهم وطلبوا من مراحم الفرنساوية الإفراج عن بعض ما كان بأيديهم ليتعيشوا به ووقع في ذلك بحث طويل ومناقشات يطول شرحها ثم ما كفى حتى بلغهم أن القصد نزع المفروع عنه أيضاً ونزع أيدي المسلمين بالكلية وأنهم يستشفعون بأهل الديوان عند ساري عسكر بأن يبقى عليهم التزامهم يتعيشون به ويقضون ديونهم التي استدانوها في الحلوان ومغارم الفردة فقال فوريه الوكيل هل بلغكم ذلك من طريق صحيح فقالوا نعم بلغنا من بعض الفرنساوية وقال الشيخ خليل البكري وأنا سمعته من الخازندار وقال الشيخ المهدي مثل ذلك وأنهم يريدون تعويضهم من أطيان الجمهور فقال الملتزمون إن بيدنا الفرمانات والتمسكات من سلفكم بونابارته ومن السلاطين السابقين ونوابهم وقائمون بدفع الخراج وأنهم ورثوا ذلك عن آبائهم وأسلافهم وأسيادهم وإذا أخذ منهم الالتزام اضطروا الى الخروج من البلد والهجاج

وخراب دورهم ويصبحون صعاليك ولا يأتمنهم الناس وطال البحث في ذلك والوكيل مع هذا كله ينكر وقوع ذلك مرة ويناقش أخرى الى أن انتهى الكلام بقوله إن الكلام في هذا وأمثاله ليس من وظيفتي فإني حاكم سياسة الشريعة لا مدبر أمر البلاد نعم من وظيفتي المعاونة والنصح فقط.

وفي خامس عشرينه، اتفق أن جماعة من أولاد البلد خرجوا الى النزهة جهة الشيخ قمر ومعهم جماعة آلاتية يغنون ويضحكون فنزل إليهم جماعة من العسكر الفرنساوية المقيمين بالقلعة الظاهرية خارج الحسينية وقبضوا عليهم وحبسوهم وأرسلوا شخصاً منهم الى شيخ البلد بليار وأخبروه بمكانهم ليستفسر عن شأنهم فلقيه ثم رده الى القلعة الظاهرية ثانياً فبات عند أصحابه ثم طلبهم في ثاني يوم فذهبوا وصحبتهم جماعة من العسكر بالبندق تحرسهم فقابلوه ومن عليهم بالإطلاق وذهبوا الى منازلهم.

وفيه، منعوا الآغا والوالي والمحتسب من عوائدهم على الحرف والمتسببين فإنها اندرجت في أقلام العشور ورتبوا لهم جامكية من صندوق الجمهور يقبضونها في كل شهر.

واستهل شهر شعبان سنة 1215

فيه أجيب الملتزمون بإبقاء التزامهم عليهم وأنكروا ما قيل في رفع أيديهم وعوتب من صدق هذه الأكذوبة وإن كانت صدرت من الخازندار فإنما كانت على سبيل الهزل أو يكون التحريف من الترجمان أو الناقل.

وفيه حضر التجار الى الديوان وذكروا أمر المليون وأن قصدهم أن يجعلوه موزعاً على الرؤوس ولا يمكن غير ذلك وطال الكلام والبحث في شأن ذلك ثم انحط الأمر على تفويض ذلك لرأي عقلاء المسلمين وأنهم يجتمعون ويدبرون ويعملون رأيهم في ذلك بشرط أن لا يتداخل معهم في هذا الأمر نصراني أو قبطي وهم الضامنون لتحصيله بشرط عدم الظلم وأن لا يجعلوا على النساء ولا الصبيان ولا الفقهاء ولا الخدامين شيئاً وكذلك الفقراء ويراعى في ذلك حال الناس وقدرهم وصناعتهم ومكاسبهم ثم قالوا نرجو أن تضيفوا إلينا بولاق ومصر القديمة فلم يجابوا الى ذلك لكونهم جعلوهما مستقلين وقرروا عليهما قدراً آخر خلاف الذي قرروه على مصر.

وفيه لخصوا عرضاً ولطفوا فيه العبارة لساري عسكر فأجيبوا الى طلبهم ما عدا بولاق ومصر القديمة وأخرجوا من أرباب الحرف الصيارفة والكيالين والقبانية وجعلوا عليهم بمفردهم ستين ألف ريال خلاف ما يأتي عليهم من المليون أيضاً يقومون بدفعها في كل سنة والسر في تخصيص الثلاث حرف المذكورة دون غيرها أن صناعتهم من غير رأس مال.

وفيه أفردوا ديواناً لذلك ببيت داود كاشف خلف جامع الغورية وتقيد لذلك السيد أحمد الزرو وأحمد بن محمود محرم وابراهيم أفندي كاتب البهار وطائفة من الكتبة وشرعوا في تحرير دفاتر بأسماء الناس وصناعاتهم وجعلوها طبقات فيقولون فلان من نمرة عشرة أو خمسة أو ثلاثة أو اثنين أو واحد ومشوا على هذا الاصطلاح.

وفيه أبطلوا عشور الحرير الذي يتوجه من دمياط الى المحلة الكبرى.

وفيه أرسل ساري عسكر يسأل المشايخ عن الذين يدورون في الأسواق ويكشفون عوراتهم ويصيحون ويصرخون ويدعون الولاية وتعتقدهم العامة ولا يصلون صلاة المسلمين ولا يصومون هذا جائز عندكم في دينكم أو هو محرم فأجابوه بأن ذلك

حرام ومخالف لديننا وشرعنا وسنتنا فشكرهم على ذلك وأمر الحكام بمنعهم والقبض على من يرونه كذلك فإن كان مجنوناً ربط بالمارستان أو غير مجنون فإما أن يرجع عن حالته.

وفيه أرسل رئيس الأطباء الفرنساوي نسخاً من رسالة ألفها في علاج الجدري لأرباب الديوان لكل واحد نسخة على سبيل المحبة والهدية ليتناقلها الناس ويستعملوا ما أشار إليه فيها من العلاجات لهذا الداء العضال فقبلوا منه ذلك وأرسلوا له جواباً شكراً له على ذلك وهي رسالة لا بأس بها في بابها.

وفي حادي عشره وجدت امرأة مقتولة بغيط عمر كاشف بالقرب من قناطر السباع فتوجه بسبب الكشف عليها رسول القاضي والآغا وأخذوا الغيطانية وحبسوهم وكان بصحبتهم أيضاً القبطان الحاكم بالخط و لم يظهر القاتل ثم أطلقوا الغيطانية بعد أيام.

وفيه كمل المكان الذي أنشؤوه بالأزبكية عند المكان المعروف بباب الهواء وهو المسمى في لغتهم بالكمرى وهو عبارة عن محل يجتمعون به كل عشر ليال واحدة يتفرجون به على ملاعيب يلعبها جماعة منهم بقصد التسلي والملاهي مقدار أربع ساعات من الليل وذلك بلغتهم ولا يدخل أحد إليه إلا بورقة معلومة وهيئة مخصوصة.

وفي سادس عشره ذكروا في الديوان أن ساري عسكر أمر وكيل الديوان أنه يذكر لمشايخ الديوان أن قصده ضبط وإحصاء من يموت ومن يولد من المسلمين وأخبرهم أن ساري عسكر بونابارته كان في عزمه ذلك وأن يقيد له من يتصدى لذلك ويرتبه ويدبره ويعمل له جامكية وافرة فلم يتم مرامه والآن يريد تتميم ذلك ويطلب منه التدبير في ذلك وكيف يكون وذكر لهم أن في ذلك حكماً وفوائد منها ضبط الأنساب ومعرفة الأعمار فقال بعض الحاضرين وفيه معرفة انقضاء عدة الأزواج أيضاً ثم اتفق الرأي على أن يعلموا بذلك قلقات الحارات والأخطاط وهم يقيدون على مشايخ الحارات والأخطاط بالتفحص عن ذلك من خدمة الموتى والمغسلين والنساء القوابل وما في معنى ذلك ثم ذكر الوكيل أن ساري عسكر ولد له مولود فينبغي أن تكتبوا له تهنئة بذلك المولود الذي ولد له من المرأة المسلمة الرشيدية وجواباً عن هذا الرأي فكتبوا ذلك في ورقة كبيرة وأوصلها إليه الوكيل فوريه.

وفي غايته سقطت منارة جامع قوصون سقط نصفها الأعلى فهدم جانباً من بوائك الجامع ونصفها الأسفل مال على الأماكن المقابلة له بعطفة الدرب النافذ لدرب الأغوات وبقي مسنداً كذلك قطعة واحدة الى يومنا هذا وأظن أن سقوطها من فعل الفرنسيس بالبارود.

واستهل شهر رمضان سنة 1215

ثبت هلاله ليلة الجمعة وعملت الرؤية وركب المحتسب ومشايخ الحرف بالطبول والزمور على العادة وأطلقوا له خمسين ألف درهم لذلك نظير عوائده التي كان يصرفها في لوازم الركبة.

وفي خامسه وقع السؤال والفحص عن كسوة الكعبة التي كانت صنعت على يد مصطفى آغا كتخدا الباشا وكملت بمباشرة حضرة صاحبنا العمدة الفاضل الأريب الأديب الناظم الناثر السيد اسمعيل الشهير بالخشاب ووضعت في مكانها المعتاد بالمسجد الحسيني وأهمل أمرها الى حد تاريخه وربما تلف بعضها من رطوبة المكان وخرير السقف من المطر فقال الوكيل إن ساري

عسكر قصده التوجه بصحبتكم يوم الخميس قبل الظهر بنصف ساعة الى المسجد الحسيني ويكشف عنها فإن وجد بها خللاً أصلحه ثم يعيدها كما كانت وبعد ذلك يشرع في إرسالها الى مكانها بمكة، وتكسى بها الكعبة على اسم المشيخة الفرنساوية فقالوا لهم شأنكم وما تريدون وقرئ في المجلس فرمان بمضمون ذلك.

وفي ذلك اليوم قرئ فرمان مضمونه أنه وردت مكاتبات من فرانسا بوقوع الصلح بينهم وبين أهل الجزائر وتونس بشروط ممضاة مرضية وقد أطلقا الإذن للتجار من أهل الجهتين بالسفر للتجارة فمن سافر له الحماية والصيانة في ذهابه وإيابه وإقامته باسم دولة الجمهور الفرنساوية الى آخره و لم يظهر لذلك أثر.
وفيه قرئ تقليد الشيخ أحمد العريشي بقضاء مصر ووصل أيضاً تقليد القضاء بدمياط لأحمد أفندي عبد القادر وأبيار للعلامة الشيخ رضوان نجا ومحلة مرحوم للشيخ عبد الرحمن طاهر الرشيدي وذلك على موجب القرعة السابقة من مدة شهرين أو أكثر وقرئ ذلك بالديوان و لم يحصل بعد ذلك غيرهم فلما كان صبح ذلك اليوم أرسل شيخ البلد بليار الى العريشي ومشايخ الديوان والوجاقلية فلما تكاملوا خلع على القاضي العريشي فروة سمور بولايته القضاء وركب بصحبته الجميع وجملة من العساكر الفرنساوية وشيخ البلد بجانبه ومشوا من وسط المدينة الى أن وصلوا المحكمة بين القصرين فجلسوا ساعة من النهار وقرئ تقليده بحضرة الجميع ووكيل الديوان فوريه ثم رجعوا الى منازلهم.
وفي يوم الخميس الموعود بذكره توجه الوكيل ومشايخ الديوان الى المشهد الحسيني لانتظار حضور ساري عسكر الفرنسيس بسبب الكشف على الكسوة وازدحم الناس زيادة على عادتهم في الازدحام في رمضان فلما حضر ونزل عن فرسه عند الباب وأراد العبور للمسجد رأى ذلك الازدحام فهاب الدخول وخاف من العبور وسأل ممن معه عن سبب هذا الازدحام فقالوا له هذه عادة الناس في نهار رمضان يزدحمون دائماً على هذه الصورة في المسجد ولو حصل منكم تنبيه كنا أخرجناهم قبل حضوركم فركب فرسه ثانياً وكر راجعاً وقال نأتي في يوم آخر وانصرف حيث جاء وانصرفوا.

وفي ليلة السبت تاسعه حصلت كائنة سيدي محمود وأخيه سيدي محمد المعروف بأبي دفية وذلك أن سيدي محمود المذكور كان بينه وبين علي باشا الطرابلسي صداقة ومحبة أيام إقامته بالجيزة وحج صحبته في سنة تسع ومائتين وألف فلما وقعت حادثة الفرنساوية وخرج علي باشا المذكور مع من خرج الى الشام ووردت العساكر العثمانية صحبة يوسف باشا الوزير في العام الماضي وصحبته علي باشا المذكور وله به مزيد الوصلة والعناية والمرجع في المشورة لخبرته بالأقطار المصرية ومعرفته أهالي البلاد استشاره في شخص يعرفه يكون عيناً بمصر ليراسله ويطالعه بالأخبار فأشار عليه بمحمود أفندي المذكور فكانوا يراسلونه ويطالعهم بالأخبار سراً فلما قدموا الى مصر في السنة الماضية وجرى ما جرى من نقض الصلح ورجوع الوزير و لم يزل سيدي محمود تأتيه المراسلات بواسطة السيد أحمد المحروقي أيضاً ولأن علي باشا ارتحل الى الديار الرومية فيطالعهم كذلك بالأخبار مع شدة الحذر خوفاً من سطوة الفرنساوية وتجسس عيونهم المقيدة لذلك فكان يذهب القاصد ويرد له الجواب فلما كان في التاريخ ورد عليه رسول ومعه جواب وأربعة أوراق مكتوبة باللغة الفرنساوية وفيها الأمر بتوزيعها ووضعها في أماكن معينة حيث سكن الفرنساوية فوزع اثنين وقصد وضع الثالثة في موضع جمعيتهم فلم يمكنه ذلك إلا ليلاً فأعطاها خادمه وأمره أن

يشكها بمسمار في حائط ذلك المكان وهو بالقرب من الحمام المعروف بحمام الكلاب ففعل وتلكأ في الذهاب فاطلع عليه بعض الفرنسيس من أعلى الدار فترل إليه وأخذ الورقة وقبضوا على ذلك الخادم وصادف ذلك مرور حسن القلق وهو يتوقع نكتة تكون له بها الوجاهة عند الفرنساوية فاغتنم هذه الفرصة وقبض على الخادم مع الفرنساوية وسيده ينظر إليه من بعيد وعلم أنه وقع في خطب لا ينجيه منه إلا الفرار فرفع الى داره وتناجي مع أخيه واستشاره فيما وقع فيه وكيف يكون العمل فأشار عليه بالاختفاء ويستمر أخوه بالمترل مستهدفاً للقضاء وليكون وقاية على مترله وعرضه وليس هو مقصوداً بالذات فكان كذلك وتغيب سيدي محمود وأصبح الطلب قاصده فلما لم يجده قبضوا على أخيه سيدي محمد أفندي ومن كان معه بالبيت وهو الشيخ خليل المنير وقرابته اسمعيل حلبي ونسيبه البرنوسي والسقاء وشيخ حارتهم وحبسوهم ببيت قائمقام وهم سبعة أنفار بالخادم المقبوض عليه أولاً وأوقفوا حرساً بدارهم واجتهدوا في الفحص عن سيدي محمود وتكرار السؤال عليه من أخيه ورفقائه أياماً فلما لم يقفوا له على خبر أحاطوا بالدار ونهبوا ما فيها وصحبتهم الخادم يدلهم على المتاع والمخبآت ثم أصعدوهم الى القلعة وضيقوا عليهم وأرسلوا خلف الشواربي شيخ قليوب ومن كان ينتقل عندهم وألزموهم بإحضاره فأنكروه وجحدوه ثم أطلقوا خادمه بعد أن أعطوه خمسين ريالاً فرانسة وجعلوا له ألفاً إن دلهم عليه وقيدوا به عيناً يتبعه أينما توجه فاستمر أياماً يغدو ويروح في مظناته فلما لم يقع له على خبر فردوه الى السجن ثانياً عند أصحابه و لم يزالوا حتى فرج الله عنهم وأما المطلوب فوقع له مزيد المشقة في مدة اختفائه وتبرأ منه غالب أصحابه ومعارفه من العربان وغيرهم وتنكروا منه و لم يزل حتى استقر عند شيخ العرب موسى أبي حلاوة وأولاده بناحية أمييه بالقليوبية باطلاع الشواربي فأكرموه وواسوه وأخفوا أمره و لم يزل مقيماً عندهم في غاية الإكرام حتى فرج الله عنه.

ولما كان يوم الخميس رابع عشره، تقيد للحضور بسبب الكشف على الكسوة استوفوا خازندار الجمهور وفوريه وكيل الديوان فحضر صحبتهم المشايخ والقاضي والآغا والوالي والمحتسب بعدما أخلى المسجد من الناس وأحضروا خدامين الكسوة الأقدمين وحلوا رباطاتها، وكشفوا عليها فوجدوا بها بعض خلل فأمروا بإصلاحه ورسموا لذلك ثلاثة آلاف فضة وكذلك رسموا للخدمة الذين يخدمونها ألف نصف فضة ولخدمة الضريح ألف نصف ثم ركبوا الى منازلهم ثم طويت ووضعت في مكانها بعد إصلاحها.

وفي رابع عشرينه ضربت مدافع كثيرة بسبب ورود مركبين عظيمين من فراسن افيهما عساكر وآلات حرب وأخبار بأن بونابارته أغار على بلاد النيمسا وحاربهم وحاصرهم وضايقهم وأنهم نزلوا على حكمه وبقي الأمر بينهم وبينه على شروط الصلح وأنه استغنى عن هذه الأشياء المرسلة وسيأتي في أثرهم مركبان آخران فيهما أخبار تمام الصلح ويستدل بذلك على أن مملكة مصر صارت في حكم الفرنسيس لا يشركهم غيرهم فيها هكذا قالوا وقرؤوه في ورقة بالديوان.

واستهل شهر شوال سنة 1215

فيه بدا أمر الطاعون فانزعج الفرنساوية من ذلك وجردوا مجالسهم من الفرش وكنسوها وغسلوها وشرعوا في عمل كرنتينات ومحافظات.

وفي ثامنه قال وكيل الديوان للمشايخ إن حضرة ساري عسكر بعث إلي كتاباً معناه إيضاح ما يتعلق بأمر الكرنتينه ويرى رأيكم في ذلك وهل توافقون على رأي الفرنساوي أم تخالفون فقالوا حتى تنظر ما هو المقصود فقال حضرة أرباب الديون يجب عليهم أن يعملوا الطريق الذي يكون سبباً لانقطاع هذه العلة فإننا نبغي لهم ولغيرهم الخير فإن أجابوا فذاك وإلا فليزموا ولو قهراً وربما استعملنا القصاص ولو بالموت عند المخالفة ومن الذي يتغافل عما يكون سبباً لقطع هذا الداء فإن رأينا قد انعقد على ذلك ويجب أن يتفق معنا أرباب الديوان لأن حفظ الصحة واجب ولذا نرى كثيراً من الناس ولاسيما المتشرعون يستعمل الطبيب عند المرض وغايته حفظ الصحة وما نحن فيه من ذلك ونذكر لكم أن بلاد الغرب قد اعتمدوا فعل الكرنتينة الآن فعلماء القاهرة أولى بأن لا يتأخروا عن استعمال الوسائط إذ قد ربطت الأسباب بالمسببات فقيل له وما الذي تأمرون به أن يفعل فقال هو الحذر لا غير وهو الغاية والنتيجة وهو أنه إذا دخل الطاعون بيتاً ألا يدخل فيه أحد ولا يخرج منه أحد مع ما يترتب على ذلك من القوانين المختصة به وخدمة المريض وعلاجه وسيوضح لكم ذلك فيما بعد يعني أن تذعنوا للطاعة وعدم المخالفة وظل البحث والمناقشة في ذلك بين أرباب الديوان والوكيل وانفض المجلس على أن الوكيل سيفاوض ساري عسكر في ذلك ثم يدبرون أمراً وطريقة يكون فيها الراحة للناس البلدية والفرنساوية فإن ذلك فيه مشقة على أهل البلد لعدم إلفتهم لهذه الأمور.

وفي ثالث عشره ضربت عدة مدافع من القلاع لا يدرى سببها.

وفي رابع عشره قرئ فرمان من ساري عسكر بالديوان وألصقت منه نسخ في مفارق الطرق والأسواق.

ونصه: بعد البسملة والحمدلة من عبد الله جاك منو سر عسكر أمير عام جيوش دولة جمهور الفرنساوية بالشرق ومظاهر حكومتها ببر مصر حالاً الى كامل الأهالي كبير وصغير غني وفقير المقيمين حالاً بمحروسة مصر وبمملكة مصر الناس الذين هم من الأشقياء والمفسدين ولا يفتشون إلا على الإضرار بالناس وإضراركم يظهرون في وسط المدينة بينكم أخباراً رديئة تزويراً لتخويفكم وتخويف المملكة وكل ذلك كذب وافتراء فإنما نحن نخبركم جميعاً أن كلاً من الأهالي المذكورة من أي طائفة وملة كان الذي يثبت عليه بالإشهاد أو النشر من نفسه بينكم تلك الأخبار الرديئة المكذوبة تخويفاً لكم وإضلالاً بالناس ففي الحال ذلك الرجل يمسك وترمى رقبته بوسط واحدة طرق مصر ويا أهالي مصر انتبهوا وتذكروا هذه الكلمات وكونوا مسترحين البال ومترفهين الحال إنما دولة الجمهور الفرنساوي حاضرة لحمايتكم وصيانتكم ولكن ناظر كذلك الى تعذيب العصاة والسلام على من اتبع الهدى والصدق والاستقامة تحرير في شهر وافتور سنة تسع الموافق لحادي عشر شهر شوال انتهى.

فعلم الناس من ذلك الفرمان ورود شيء وحصول شيء على حد كاد المرتاب أن يقول خذني وليس للناس ذكر ولا فكر إلا في بواقي الفردة وما لزمهم في المليون ولا شغل لكل فرد إلا بتحصيل ما فرض عليه ولعل ذلك بسبب الأوراق الواصلة على يد سيدي محمود أبي دفية باللغة الفرنساوية التي تقدم ذكرها واشتهر أيضاً أنه وردت عليهم أخبار بوصول مراكب انكليز جهة أبي قير وفي ذلك المجلس سئل الوكيل عن ضرب المدافع لأي شيء فقال لابد وأن أحيط علمكم ببعض ذلك في هذا المجلس وهو أن الفرنساوية كانت تحارب القرانات والآن وقع صلح بينهم وبين القرانات ما عدا الانكليز فإنه الآن مضيق عليه وربما كان ذلك سبباً لرضاه بالدخول في الصلح وقد خرج من فرانسا عمارة ربما توجهت على الهند وربما أنهم يقدمون الى مصر

وقد وصل لساري عسكر أمر من المشيخة بوصول مراكب الموسقو التي تحمل الذخائر الى الفرنساوية وأن يمكنهم من دخول اسكندرية وقد خرج سنة غلايين من فرانسا الى بحر الهند فربما قدموا بعد ذلك الى جهة السويس وبورود هذه الأخبار تعين خلوص مصر الى جمهور الفرنساوية وفي سالف الزمان كانت جميع القرانات التي بالجهة الشمالية ضداً للفرنساوية وقد زالت الآن هذه الضدية ومتى انقضى أمر الحرب عمت الرحمة والرأفة والنظر بالملاطفة للرعية والذي أوجب الاغتصاب والعسف إنما هو الحرب ولو دامت المسالمة لما وقع شيء من هذا فقال بعض أهل الديوان سنة الملوك العفو والصفح وما مضى لإبعاد فارحموا واعفوا عما سلف فقال الوكيل قد وقع الامتحان و لم يبق إلا السلم والمسامحة.

وفيه قبضوا على القلق المعروف بعمر آغا وهو أغات المغاربة المرتبة عندهم عسكراً وعلى شخصين آخرين يدعى أحدهما علي جلبي والآخر مصطفى جلبي وسجنا بالقلعة وسبب ذلك أنه حضر الى مصطفى جلبي مكتوب من نسيبه بجهة الشام يطلب منه بعض حوائج فقرئ ذلك المكتوب بحضرة عمر القلق ورفيقه الآخر فوشي بهم رجل قواس فقبضوا على الجميع وكان مصطفى جلبي المذكور سكن ببيته محمد أفندي ثاني قلفة فدخلوا يفتشون عليه في الدار فلم يجدوه فألزموا به محمد أفندي المذكور وأزعجوه وأحاط به عدة من العسكر و لم يمكنوه من القيام من مجلسه ولا من اجتماعه بأحد وبعد أن وجدوا ذلك الإنسان لم يفرجوع عن محمد أفندي بل استمر معهم في الترسيم ووجدوا مكاناً بالدار به أسلحة وأمتعة فنهبوه وانتهبت الدار والحارة وحصل عندهم غاية الكرب والمشقة حتى أن بعض جيران ذلك المحل كبر عنده الخوف وغلب عليه الوهم فمات فجأة رحمه الله ثم فرج الله عن محمد أفندي بعد ثلاثة أيام وأطلق عمر القلق لظهور براءته و لم يكن له جرم غير العلم والسكوت وانتقل محمد أفندي من تلك الدار وما صدق بخلاصة منها وبقي علي جلبي ومصطفى جلبي في الحبس وفي سابع عشره، استفيضت الأخبار بوصول مراكب الى أبي قير كما تقدم.

وفي ثامن عشره، خرج جملة من العسكر الفرنساوية وسافروا الى الجهة البحرية براً وبحراً.

وفي عشرينه، اجتمع أهل الديوان فيه على العادة فبدأ الوكيل يقول إنه كان يظن أنه يكون حرب ولكن وردت أخبار أن المراكب التي حضرت الى اسكندريةوهي نحو مائة وعشرين مركباً قد رجعت فقيل له وما هذه المراكب فقال مراكب فيها طائفة من الانكليز وصحبتهم جماعة من الأروام ليس فيها مراكب كبار إلا قليل جداً وباقيها صغار تحمل الذخيرة ثم قال إن حضرة ساري عسكر قد كان وجه إليكم فرماناً في شأن ذلك قبل أن يتبين الأمر وهو وإن كان قد فات موضعه من حيث أنه كان يظن أن هناك حرباً ولكن من حيث كونه قد برز الى الوجود فينبغي أن يتلى على مسامعكم ثم أمر رفائيل الترجمان بقراءته ونصه: من عبد الله جاك منو سر عسكر أمين عام جيوش دولة جمهور الفرنساوية بالشرق ومظاهر حكومتها ببر مصر حالاً الى جميع الكبير والصغير الأغنياء والفقراء المشايخ والعلماء وجميعهم الذين يتبعون الدين الحق والحاصل لجميع أهالي بر مصر سلمهم الله بمقام السر عسكر الكبير بمصر في أربعة عشر شهر ونتوز سنة تسع من قيام الجمهور الفرنساوية واحد ولا ينقسم ثم كتب تحت ذلك البسملة ولفظ الجلالة وتحته أن الله هو هادي الجنود ويعطي النصرة لمن يشاء والسيف الصقيل في يد ملاكه يسابق دائماً الفرنساوية ويضمحل أعداؤهم أن الانكليزية الذين يظلمون كل جنس للشر في كل المواضع فهم ظهروا في السواحل وإن كان يتجرأوا يضعوا أرجلهم في البر فيرتدوا في الحال على أعقابهم في البحر والعثمانيين متحركين كهؤلاء

الانكليزية يعملون أيضاً بعض حركات فإن كان يقدموا ففي الحال يرتدوا وينقلعوا في غبار وعفار البادية فأنتم يا أهالي مملكة ومحروسة مصر إني أنا أخبركم إن كان تسلكوا في طريق الخائفين الله وتبقوا مستريحين في بيوتكم ومقيمين كما كنتم في أشغالكم وأغراضكم فحينئذ لا خوف عليكم ولكن إن كان واحد منكم يسلك للفساد وإضلالكم بالعداوة ضد دولة الجمهور الفرنساوي فأقسمت بالله العظيم وبرسوله الكريم أن رأس ذلك المفسد ترمى تلك الساعة فتذكروا في كل المواقع حين محاصرة مصر الأخيرة وجرى دماء آفائكم ونسائكم وأولادكم في كل مملكة مصر وخصوصاً محروسة مصر وخواصكم انتهبوا تحت الغارات وطرحوا عليكم فردة قوية غير المعتاد فأدخلوا في عقولكم وأذهانكم كل ما قلت لكم الآن والسلام على كل من هو في طريق الخير فالويل ثم الويل على كل من يبعد من طريق الخير ممضي خالص الفؤاد عبد الله جاك منو.

وفي ذلك اليوم، عملوا شنكاً وضربوا عدة مدافع من القلاع فارتاع الناس لذلك واضطربوا اضطراباً شديداً فسئل من الفرنسيس فأخبروا أن ذلك سرور بقدوم مركبين من فرانسة الى اسكندرية.

وفي ذلك اليوم أيضاً، وقع بمجلس الديوان بين الوكيل والمشايخ مفاوضة ومناقشة وذلك أنه لما أشيع خبر ورود المراكب الى أبي قير شحت الخلال وارتفعت من الرقع على العادة وزادت أثمانها فتفاوضوا في شأن ذلك وأنه لابد من الاعتناء من الحكام وزجر الباعة وطواف المحتسب وشيخ البلد على الرقع والسواحل ولما قرئ الفرمان المذكور قال بعض الحاضرين العقلاء لا يسعون في الفساد وإذا تحركت فتنة لزموا بيوقم فقال الوكيل ينبغي للعقلاء ولأمثالكم نصيحة المفسدين فإن البلاء يعم المفسد وغيره فقال بعضهم هذا ليس بجيد بل العقاب لا يكون إلا على المذنب قال تعالى كل نفس بما كسبت رهينة وقال آخر من أهل المجلس ولا تزروا وزرة وزر أخرى فقال الوكيل المفسدون فيما تقدم وهاجوا الفتنة فعمت العقوبة والمدافع والبنبات لا عقل لها حتى تميز بين المفسد والمصلح فإنها لا تقرأ القرآن وقال آخر المخلص نيته تخلصه فقال الوكيل إن المصلح من يشمل صلاحه الرعية فإن صلاحه في حد ذاته يخصه فقط والثاني أكبر نفعاً وطال البحث والمناقشة في نحو ذلك، فلما كان عصر ذلك اليوم ورد فرمان من ساري عسكر الى وكيل الديوان فأرسل خلف الشيخ اسمعيل الزرقاني فاستدعاه وسلمه إليه وأمره أن يطوف به على مشايخ الديوان في بيوتهم فيقرؤه وهو مبني على جواب المناقشة المذكورة وصورته بعد البسملة والجلالة من عبد الله جاك منو سر عسكر أمير عام جيوش دولة جمهور الفرنساوية بالشرق ومظاهر حكومتها ببر مصر حالاً الى كافة المشايخ والعلماء الكرام المقيمين بمحفل الديوان المنيف بمحروسة مصر أدام الله تعالى فضائلهم وألهمهم الحكمة الواجبة لإجراء فرائضهم نرسل لحضراتكم يا مشايخ ويا علماء الكرام نداء جديداً خطاباً الى جميع أهالي مملكة مصر وخصوصاً أهل محروسة مصر ولا شبهة لي في تقييدكم لتنبيههم بكل ما هو محرر فيها وغير ذلك تذكروا أن هذا التنبيه هو غرضكم إنما حضراتكم ههنا رجال دولة الجمهور الفرنساوي فيبقى في عقولكم وأذهانكم كل ما وقع حين قصاص مصر الأخيرة تفهموا بناء على ذلك كيف هو واجب الى أمنيتكم وراحتكم ضبط الخلائق لأه إن كان يصير أصغر الحركات فلابد ثقلها يقع على رؤوسكم وغير ذلك ورد لنا في الحال أخبار من فرانسا أنه كملت المصالحة مع إمبراطور النمسا وأن قيصر الروسيا بيزو أقام المحاربة ضد دولة العثمانية والسلام.

ولما أصبح ثاني يوم، اجتمع المشايخ ببيت الشيخ عبد الله الشرقاوي وحضر الآغا والوالي والمحتسب وأحضروا مشايخ الحارات

وكبراء الأخطاط ونصحوهم وأنذروهم وأمروهم بضبط من هو دونهم وأن لا يغفلوا أمر عامتهم وحذروهم وخوفوهم العاقبة وما يترتب على قيام المفسدين وجهل الجاهلين وأنهم هم المأخوذون بذلك كما أن من فوقهم مأخوذ عنهم فالعاقل يشتغل بما يعنيه على أنه لم يبق في الناس إلا رسوم هافتة وانفصلوا على ذلك هذا وديوان المليون يعملون فيه بالجد والاجتهاد وبث المعينين من القواسة والفرنساوية في المطالبة بالثلث والكسرة الباقية من الفردة والتشديد في أمر الكرنتينة وإزعاج الناس من ذلك وخوفهم من حصول الطاعون وأشاعوا فيما بينهم أن من أصابه هذا الداء في مكان كشفوا عليه فإن كان مريضاً بذلك الداء أخذوا ذلك المصاب الى الكرنتينة عندهم وانقطع خبره عن أهله إلا أن كان له أجل باق ويشفى من ذلك ويعود إليهم صحيحاً وإلا فلا يراه أهله بعد ذلك أصلاً ولا يدرى خبره لأنه إذا مات أخذه الموكلون بالكرنتينة ودفنوه بثيابه في حفرة وردموا عليه التراب وأما داره فلا يدخلها أحد ولا يخرج منها مدة أربعة أيام ويحرقون ثيابه التي تختص به ويقف على بابه حرس فإن مر أحد ولمس الباب أو الحد المحدود قبضوا عليه وأدخلوه الدار وكرتنوه وإن مات الشخص في بيته وظهر أنه مطعون جمعوا ثيابه وفرشه وأحرقوها وغسله الغاسل وحمله الحمالون لا غير وأخرجوه من غير مشهد وأمامه ناس تمنع المارين من التقرب منه فإن قرب منه أحد كرتنوه في الحال وبعد دفنه يكرتنون على كل من باشره بغسل أو حمل أو دفن فلا يخرجون إلا لخدمة أخرى مثلها بشريط لا مساس فهال الناس هذا الفعل واستبشعوه وأخذوا في الهرب والخروج من مصر الى الأرياف لذلك والتوهم وقوع الفتنة بورود أخبار المراكب الى أبي قير وتحذر الفرنساوية واستعدادهم وتأهبهم ونقل أمتعتهم الى القلعة.

وفي تاسع عشره، خرجت عساكر كثيرة بحمولهم وفرشهم وذهبوا الى جهة الشرق وأشيع حضور عرضي العثمانية ووصولهم الى العريش صحبة يوسف باشا الوزير.

وفيه، أصعدوا الشيخ السادات الى القلعة من غير إهانة.

وفي يوم الثلاثاء، رابع عشرينه قبضوا أيضاً على حسن آغا المحتسب وأصعدوه الى القلعة أيضاً بشخص يخدمه فحبسوه بالبرج الكبير فأما الشيخ السادات فسأل الموكل به عن ذنبه وجرمه الموجب لحبسه فقال لم يكن إلا الحذر من إثارة تلك الفتن في البلد وإهاجة العامة لبغضك الفرنسيس لما سبق لك منهم من الإيذاء وأما المحتسب فإن الشيخ البكري والسيد أحمد الزور ذهبا الى قائمقام والى ساري عسكر وتكلما في شأنه فأجابهما بأن هذا لم يكن من شغلكما وقيل للسيد أحمد إنك رجل تاجر وذاك أمير وليس من جنسك حتى تشفع فيه فقال إننا محتاجون إليه لأجل مساعدته معنا في قبض المليون ولا نعرف له ذنباً يوجب حبسه لأنه ناصح في خدمة الفرنسيس فقالا على لسان الترجمان الله يعلم ذنبه وساري عسكر وهو أيضاً يعلم ذلك من نفسه ولما سجنوه لم يقلدوا مكانه غيره فكان كتخداه يركب مع الآغا وأمامهم الميزان ونوبة الحسبة وفيه نادوا في الأسواق بالأمان وعدم الانزعاج من أمر الكرنتينه وأن من مات لا تحرق إلا ثيابه التي على بدنه لا غير وكان أشيع في الناس ما تقدم وزادوا على ذلك حرق الدار التي يموت فيها أيضاً وأن قصدهم أيضاً عمل كرنتينه على البلد بتمامها فحصل من هذا المشاع في الناس كرب عظيم ووهم جسيم فنودي بذلك ليسكن روع الناس.

وفي يوم الخميس سادس عشرينه، أرسل كبير الفرنسيس وطلب رؤساء الديوان والتجار فحضروا الى منزله فأعلمهم أنه مسافر الى بحري وترك بمصر قائمقام بليار وجملة من العسكر والكتبة والمهدنسي وأوصاهم بأن يكون نظرهم على البلد وكان في

العزم حبسهم رهينة فاستثار في ذلك فاقتضى رأيهم تأخير ذلك وركب من فوره مسافراً و لم يرجع من هذه السفرة الى مصر وحضر الجماعة الى اديوان واجتمعوا بالوكيل فوريه فأخبرهم أنه حضر الى ناحية أبي قير طائفة من الانكليز وصحبتهم طائفة من المالطية وأخرى نابلطية وطلعوا الى قطعة أرض رخوة بين سلسولين من الماء وأن الفرنساوية محيطون بهم من كل جهة.

وفي سابع عشرينه، رجعت العساكر التي كانت توجهت الى جهة الشرق بحمولهم وأثقالهم وصحبتهم ساري عسكر الشرقية رينه فسافروا من يومهم ولحقوا بكبيرهم براً وبحراً أو أخبروا عنهم أنهم لم يزالوا سائرين حتى وصلوا الى الصالحية وأرسلوا هجانة الى العريش فلم يجدوا أحداً فكروا راجعين وأشاعوا أن الجهة الشرقية لم يأت إليها أحد مطلقاً وأصل الخبر أن ساري عسكر رينه كاشف القليوبية والشرقية أخبره بعض عربان المويلح بأنهم شاهدوا مراكب انكليزية ترددت بالقلزم فأرسل بخبر ذلك الى ساري عسكر منو ويقول له في ضمن ذلك ويشير عليه بأن تيوجه صحبة جانب من العسكر ويحصن نواحي الاسكندرية خوفاً من ورود الانكليز تلك الناحية وأن رينه يتكفل له بمن يرد الى ناحية الشرق وأكد عليه في ذلك فأجابه ساري عسكر بقوله إن الانكليز لا يأتون من هذه الناحية وأنهم يأتون من ساحل الشام ويأمره الارتحال والذهاب الى الصالحية يرابط فيها فتوانى في الحركة وأرسل إليه ثانياً بمعنى الجواب الأول ويحثه على تحصين ثغور الاسكندرية وترددت بينهما المراسلات في ذلك ومضت أيام فيما بين ذلك فورد الخبر للفرنساوية بورود مراك الانكليز وترددها تجاه الاسكندرية ثم رجوعها فكتب ساري عسكر منو يقول لرينه إنهم تراؤوا ليوهموا بأن قصدهم ورود الاسكندرية ثم غابوا وأنهم رجعوا ليطلعوا بناحية الطينة ويستحثه على الرحلة والذهاب الى الصالحية فلم يسعه إلا الامتثال والارتحال وكتب إليه كتاباً يقول فيه إنهم لا يريدون إلا ثغر الاسكندرية وإنما لم يسعفهم الريح فلا تغتر برجوعهم وأنه رحل امتثالاً للأمر ويشير عليه هو أيضاً بعدم تأخره عن الذهاب الى الاسكندرية ويقبل إشارته فلم يستمع وتأخر عن ذلك ورحل رينه الى جهة البركة و لم يستعجل الذهاب ثم انتقل الى الزوامل ثم الى بلبيس وفي كل يوم ووقت يرسل إليه ساري عسكر منو ويأمره بالذهاب الى الصالحية وهو يتلكأ في الرحيل ثم أرسل له آخراً يقول له إنه وردت علينا أخبار بأن يوسف باشا الوزير متحرك الى القدوم ويحتم عليه في الرحيل الى الصالحية فعند ذلك جمع رينه سواري عسكره وعرض عليهم ذلك وسفه رأيه وأن هذا الخبر لا أصل له وأنا أعلم أننا لا نصل الى الصالحية حتى يأتي الخبر بخلاف ذلك ويأتينا الأمر بالرجوع والذهاب الى الاسكندرية فلا نستفيد إلا التعب والمشقة وارتحل بمن معه من غير استعجال فوصلوا الى القرين في ثلاثة أيام وإذا بمراسلة ساري عسكر منو الى رينه يخبره بأن الانكليز وصلوا الى أبي قير وطلعوا الى البر وتحاربوا مع أمير الاسكندرية ومن معه من الفرنساوية وظهروا عليهم ويستعجله في الرجوع والذهاب الى الاسكندرية فقال رينه هذا ما كنت أخمنه وأظنه وارتحل راجعاً وعدى على بر انبابة بعساكره وتقدم ساري عسكر منو وسبقه الى الاسكندرية.

شهر القعدة سنة 1215

في ثالثه أمر وكيل الديوان أرباب الديوان بأن يكتبوا لساري عسكر مكتوباً بالسلام ففعلوا ما أمروا به.
وفي سادسه، توفي محمد آغا مستحفظان مطعوناً مرض يوم السبت وتوفي ليلة الأحد فوضعوه في نعش وخرج به الحمالون لا

غير وأمامه الطرادون ولم يعملوا له مشهداً ولا جماعة وكرتنوا داره وأغلقوها على من فيها ولم يقلدوا عواضه أحداً بل أذنوا لعبد العال أن يركب عوضاً عنه وذلك بمعونة نصر الله النصراني ترجمان قائمقام فاستقر عبد العال المذكور أغات مستحفظان ومحتسباً فكان ذلك من جملة النوادر والعبر فإن عبد العال هذا كان من أسافل العامة وكان أجير البعض من نصارى الشوام بخان الحمزاوي يخدمه ثم توسط بمصطفى آغا السابق بسبب معرفته للنصارى المترجمين حتى تقدم بوساطته وقلدوه الأغاوية فجعله كتخداه ومشيره فلما تولى محمد آغا تقيد معه كما كان مع مصطفى آغا ولكن دون الحالة التي كان عليها مع ذلك لصلاحية محمد آغا المقتول فلما توفي في هذا الوقت ترك لعبد العال أمر المنصب لإشغال الفرنساوية بما هو الأهم من انفتاح الحروب والطاعون وغير ذلك.

وفي يوم الثلاثاء تاسعه، أشيع في الناس وصول العثمانيين الى ناحية غزة وأن جواسيسهم وصلوا الى العريش وقدمت الهجانة الى الفرنساوية بالخبر فلما كان عشاء تلك الليلة طلبوا المشايخ الى الديوان فلما تكامل حضورهم حضر فوريه الوكيل وصحبته آخر من الفرنسيس من طرف قائمقام فتكلم فوريه كلاماً كثيراً ليزيل عنهم الوهم ويؤانسهم بزخرف القول كقوله إنه يحب المسلمين ويميل بطبعه إليهم وخصوصاً العلماء وأهل الفضائل ويفرح لفرحهم ويغتم لغمهم ولا يحب لهم إلا الخير وسياسة الأحكام تقتضي بعض الأمور المخالفة للمزاج وأن ساري عسكر قبل ذهابه رسم لهم رسوماً وأمرهم بإجرائها والمشي عليها في أوقاتها وأنه عند سفره قصد أن يعوق المشايخ وأعيان الناس ويتركهم في الترسيم رهينة عن المسلمين فلما ظهر له وتحقق أن الذين وردوا الى أبي قير ليسوا من المسلمين وإنما هم انكليزية ونابلطية وأعداء للفرنساوية وللمسلمين أيضاً وليسوا من ملتهم حتى يتعصبوا من أجلهم والآن بلغنا أن يوسف باشا الوزير وعساكر العثمانية تحركوا الى هذا الطرف فلزم الأمر لتعويق بعض الأعيان وذلك من قوانين الحروب عندنا بل وعندكم ولا يكون عندكم تكدر ولا هم بسبب ذلك فليس إلا الإعزاز والإكرام أينما كنتم والوكيل دائماً نظره معهم ولا يغفل عن تعليل مزاجهم في كل وقت ويوم، ثم انتهى الكلام وانقضى المجلس على تعويق أربعة أشخاص من المشايخ وهم الشيخ الشرقاوي والشيخ المهدي والشيخ الصاوي والشيخ الفيومي فأصعدوهم الى القلعة في الساعة الرابعة من الليل مكرمين وأجلسوهم بجامع سارية ونقلوا الى مكانهم الشيخ السادات فاستمر معهم بالمسجد وأمروا الأربعة الباقية من أعضاء الديوان وهم البكري والأمير السرسي وكاتبه أن يكون نظرهم على البلد ويجتمعون بشيخ البلد ولا ينقطعون عنه وأن المشايخ المحجوزين لا خوف عليهم ولا ضرروهم معززون مكرمون وأطلقوا لكل شيخ منهم خادماً يطلع إليه وينزل ليقضي له أشغاله وما يحتاج إليه من منزله والذي يريد من أحبابهم وأصحابهم زيارتهم يأخذ له ورقة بالإذن من قائمقام ويطلع بها فلا يمنع وكذلك أصعدوا ابراهيم أفندي كاتب البهار وأحمد ابن محمود محرم وحسين قرا ابراهيم ويوسف باشجاويش تفكجيان وعلي كتخدا يحيى أغات الجراكسة ومصطفى آغا أبطال وعلي كتخدا النجدلي ومحمد أفندي سليم ومصطفى أفندي جمليان ورضوان كاشف الشعراوي وغيرهم وأمروا المشايخ الباقية والذين لم يحبسوا بتقيدهم ونظرهم الى البلدة والعامة وأنهم يترددون على بليار قائمقام ويعلمونه بالأمور التي ينشأ عنها الشرور والفتن وأهمل ديوان المليون والمطالبة بثلثه وكذلك كسرة الفردة ونفس الله عن الناس وكذلك تسوهل في أمر الكرنتينة وإجازة الأموات وعدم الكشف عليهم وتصديق الناس بما يخبرون به في مرض من يموت وذلك لكثرة أشغالهم وحركاتهم وتحصنهم ونقل متاعهم وصناديقهم وفرشهم

وذخائرهم الى القلعة الكبيرة على الجمال والحمير ليلاً ونهاراً والطاعون متعلق فيهم ويموت منهم العدة الكثيرة في كل يوم.

وفي حادي عشره، أفرجوا عن الشيخ سليمان الفيومي وأنزلوا من القلعة ليكون مع من لم يحبس وأمرهم الوكيل بالتقيد والحضور الى الديوان على عادتهم ولا يهملونه فكانوا يحضرون ويجلسون حصة يتحدثون مع بعضهم ولا يرد عليهم إلا القليل من الدعاوى ثم ينصرفون الى منازلهم وكذلك أمروا الشيخ أحمد العريشي القاضي بأن يحضر ويجلس من غير سابقة له بذلك وذلك حفظاً للناموس لا غير.

وفي ثالث عشره، نقل الكمشاري فوريه الوكيل متاعه الى القلعة وصعد إليها فلم يترل وأرسل الى الشيخ سليمان الفيومي تذكرة يأمره فيها بأن ينقل فراش المجلس ويودعه في مكان بداره ففعل ما أمره به و لم يتركوا به إلا الحصر وأمر بحضور أرباب الديوان على عادتهم فكانوا يفرشون سجاجيدهم ويجلسون عليها حصة الجلوس ثم ينصرفون.

وفي رابع عشره، نقلوا حسن آغا المحتسب من البرج الى جامع سارية صحبة المشايخ وكذلك فوريه الوكيل جعل سكنه الجامع المذكور وأظهر أن قصده مؤانستهم وليس إلا لضيق مساكن القلعة وازدحام الفرنسيس وكثرة ما نقلوه إليها من الأمتعة والذخائر والفلال والأحطاب مع ما هدموه من أماكنها حتى أنهم سدوا أبواب الميدان وجعلوه من جملة حقوقها فكانوا يترلون إليه ويصعدون منه من باب السبع حدرات.

وفي تاسع عشره، ورد مكتوب من كبير الفرنسيس من ناحية اسكندرية مؤرخ بثالث عشر القعدة وهو جواب عن المكتوب المرسل إليه السابق ذكره وصورته بعد الصدر المعتاد من عبد الله جاك منو سر عسكر أمير عام جيوش الفرنساوية بالشرق ومظاهر حكومتها ببر مصر حالاً الى كامل المشايخ والعلماء الكرام المقيمين بالديوان المنيف بمحروسة مصر أدام الله فضائلهم ورد لنا مكتوبكم العزيز ورأينا بكامل السرور ما فصلتم لنا به وثبت من مفهومنا صدق ودادكم لنا ولعساكر دولة جمهور الفرنساوية ودمتم حضراتكم وكافة أهالي مصر بالحمية والاستقامة الموعودة ومعلوم على فضائلكم أن الله يهدي كلا فما النصر إلا منه ووضعت عليه اعتمادي وما توفيقي إلا به وبرسوله الكريم عليه السلام الدائم وإن ابتغيت النصرة فما هو إلا لسهولة خيراتي الى بر مصر وسكان ولايتها وخير أمور أهلها والله تعالى يكون دائماً معكم ويكرم وجوهكم بالسلامة.

وفيه سمع ونقل عن بعض الفرنسيس أنه وقع الحرب بين الفرنساوية والانكليزية وكانت الهزيمة على الفرنساوية وقتل بينهم مقتلة كبيرة وانحازوا الى داخل الاسكندرية ووقع بينهم الاختلاف واتهم منو ساري عسكر رينه وداماص ورابه منهما ما رابه وكان سبباً لهزيمته فيما يظن ويعتقد فقبض عليهما وعزلهما من إمارتهما وذلك أن رينه وداماص لما ذهبا على الصورة المتقدمة ونظر رينه وأرسل من كشف على متاريس الانكليز فوجدها في غاية الوضع والإتقان فاجتمعوا للمشورة على عادتهم ودبروا بينهم أمر المحاربة فرأى ساري عسكر منو رأيه فلم يعجب رينه ذلك الرأي وإن فعلنا ذلك وقعت الغلبة علينا وإنما الرأي عندي كذا وكذا ووافقه على ذلك داماص وكثير من عقلائهم فلم يرض بذلك منو وقال أنا ساري عسكر وقد رأيت رأيي فلم يسعهم مخالفته وفعلوا ما أمر به فوقعت عليهم الهزيمة وقتل منهم في تلك الليلة خمسة عشر ألفاً وتنحى رينه وداماص ناحية و لم يدخلا في الحرب بعسكرهما فاغتاظ منه ونسبهما للخيانة والمخامرة عليه وتسفيههم لرأيه وأكد ذلك عنده أنهما لما حضرا الى الاسكندرية أخذا معهما أثقالهما وما كان لهما بمصر لعلمهما عاقبة الأمر وسوء رأي كبيرهما فاشتد إنكاره عليهما وعزل

عنهما العسكر وحبسهما ثم أطلقهما ونزلا الى المراكب مع عدة من أكابرهم وسافر الى بلادهما وكان منو أرسل الى بونابارته يخبر عن ورود الانكليز ويستنجده فأرسل إليه عسكراً فصادفوا الجماعة المذكورين في الطريق فأخبروهم عن الواقع وردوهم من أثناء الطريق وقد أشاروا لذلك في بعض مكاتباهم وأخبر أيضاً المخبرون أن الانكليز أطلقوا حبوس المياه الملحة حتى أغرقت طرق الاسكندرية وصارت جميعها لجة ماء و لم يبق لهم طريق مسلوك إلا من جهة العجمي الى البرية وأن الانكليز تترسوا اقبالهم من جهة الباب الغربي.

وفيه ورد الخبر بأن حسين باشا القبطان ورد بعساكره جهة أبي قير وطلع عسكره من المراكب الى البر وقويت القرائن الدالة على صحة هذه الأخبار وظهرت لوائح ذلك الفرنسيس مع شدة تجلدهم وكتمان أمرهم وتنميق كلامهم.

وفيه، سدوا باب البرقية المعروف بباب الغريب وبنوه فضاق خناق الناس بسبب الخروج الى القرافة بالأموات فكان الذي مدفنه ببستان المجاورين يخرج بجنازته من باب النصر ويمرون بها من خلف السور المسافة الطويلة حتى ينتهوا الى مدفنهم فحصل للناس مشقة شديدة وخصوصاً مع كثرة الأموات فكلم يوم الأحد حادي عشرينه بعض المشايخ قائمقام في شأن ذلك فأرسل الى قبطان الخنطة ففتح باباً صغيراً من حائط السور جهة كفر الطماعين على قدر النعش والحمالين والمشاة.

وفي ثاني عشرينه، سافر جماعة من أعيان الفرنساوية الى جهة بحري وهم استوف الخازندار العام ومدبر الحدود وفوريه وكيل الديوان وشنانيلو مدبر أملاك الجمهور وبرنار وكيل دار الدرب وريج خازندار دار الضرب ولابرت رئيس مدرسة المكتب وحافظ سجلاهم وكتبهم وأخذوا معهم طائفة من رؤساء القبط وفيهم جرجس الجوهري وأشيع في الناس بأن سفرهما لتقرير الصلح وليس كذلك.

وفي ثالث عشرينه، توكل بحضور الديوان كمثاري يقال له جيرار.

وحضر يوم الجمعة سادس عشرينه، بصحبة كاتب سلسلة التاريخ محبنا الفاضل العمدة السيد اسمعيل المعروف بالخشاب وحضرة قاسم أفندي أمين الدين كاتب الديوان فلما استقر به الجلوس أخبر أنه ورد كتاب من كبيرهم جاك منو باللغة الفرنساوية مضمونه أنه مقيم بسكندرية وهو مؤرخ بعشرين القعدة ومثل ذلك من الكلام فارغ.

وفيه، قدم ثلاثة أنفار من العرب صحبة جماعة من الفرنسيس وذهبوا بهم الى بيت قائمقام فاستفسر منهم فاختل كلامهم وتبين كذبهم فأمر بحبسهم.

وفيه، حضر جماعة من الفرنسيس من جهة الشرق ومعهم دواب كثيرة وآلات حرب ومروا في شارع المدينة ومنعوا الناس من شرب الدخان خوفاً على البارود من النار و لم يعلم سبب قدومهم ثم تبين أنهم الذين كانوا محافظين بالصالحية وبعد أيام حضر أيضاً الذين كانوا بالقرين وكذلك الذين كانوا ببلبيس وناحية الشرق شيئاً بعد شيء.

شهر ذي الحجة الحرام سنة 1215

فيه حصل الاجتماع بالديوان وأخبر الوكيل أن كبيرهم قد بعث أخباراً بالأمس منها أنه قد مات جماعة من كبراء الانكليز وأن أكثر عساكرهم مريضون بمرض الزحير والرمد وربما يحصل الصلح عن قريب ويرجعون الى بلادهم وأن العطش مضارهم

وبعثوا عدة مراكب لتأتيهم بالماء فتعذر عليهم ذلك ثم سأل عن أحوال البلد وسكون الرعية والغلال والأقوات فأجيب بأن البلد مطمئنة والرعية ساكنة والغلال موجودة فقال لابد من اعتنائكم بجميع هذه الأمور الموجبة للراحة.

وفيه، أشيع أن الانكليز ومن معهم من العثمانية ملكوا ثغر رشيد وأبراجها وحاربوا من كان بها من الفرنسيس حتى أجلوهم عنها ودخلوها.

وفي ذلك اليوم قبضوا على نيف وستين من مغاربة الفحامين وطولون والغورية ونفوهم وذلك من فعل عبد العال الآغا.

وفيه، أمر بليار قائمقام بركوب أحد المشايخ صحبة عبد العال ويمرون بشوارع المدينة فكان يركب معه مرة الشيخ محمد الأمير ومرة الشيخ سليمان الفيومي وذلك لتطمئن الرعية.

وفي سادسه قرئ مكتوب زعموا أنه حضر من ساري عسكر منو من جهة الاسندرية وصورته بعد البسلمة والجلالة والصدر المعتاد الى حضرات كافة المشايخ العلماء الكرام المستشارين بمحفل اديوان المنيف بمحروسة مصر أدام الله تعالى فضائلهم وما النصرة إلا من الله وبشفاعة رسوله الكريم عليه السلام الدائم العساكر الفرنساوية والانكليزية هما الى هذا الآن حصيران قبلهما فحصنا أطرافنا بمتاريس وخنادق لا تغلب ولا تهجن وغير ذلك يلزم نخبر حضراتكم لتهدية تمشياتكم ولأجل انتظامها أن سلطان الروسية المحمية أعلن ببواسطة مرسله الى حضرة السلطان سليم أذعن الأمر الى عساكره لأجل مايتجانبوا ويتراووا ويخلو من بر مصر جميعاً وإلا لابد من سلطان الروسيات الجمعية الإقامة بالمحاربة بمعية مائة ألف عسكرية ضد العثمانية وضد قسطنطينية فبناء على ذلك أرسل السلطان سليم أوامره بفرمانه خطابه الى عساكره لتخلية بر مصر ولكامل من بالبر المذكور لكي وثم ولكن ذهب الانكليزية كفاً للارتشاء بعض من مقدار العسكر العثمانية وبتقديم امتثالهم الى أوامر سلطانهم فأعلنوا وأخبروا كل ذلك الى أهالي مصر فانتظموا كما كنتم دائماً بالخير واعتمدوا واعتنوا بحماية وصيانة دولة الجمهور الفرنساوية والله تعالى يديم فضائلكم عن الإلهام بالخير والسلامات حرر في الخامس والعشرين من شهر جرمينيال سنة تسعة الموافق لثلاثة ذي الحجة سنة ألف ومائتين وخمسة عشر وكتب بألفاظه وحروفه من خط منشئه لوماكا الترجمان ثم قال الترجمان إن الفرنساوي الذي حمل هذا الكتاب نقل لي عن سر عسكر أنه ناشر لكم ألوية الشكر على قيامكم بوظائفكم فدوموا على ذلك فأجيب السمع والطاعة ثم أن بعض الحاضرين من المشايخ أخبر بأن رجلاً من المنوفية يقال له موسى خالد كان الفرنساوية أحسنوا إليه وقدموه على أقرانه فلما خرجوا من الموفية أفسد في البلاد وقطع الطريق ولا يتمكن أحد من أهل هذه الجهة أن يخرج من بلده لتحصيل معاشه وأنه قبض على الشيخ عابدين القاضي وصادره في نحو ثلاثة آلاف ريال وكذلك صادر كثيراً من أغنياء منوف وغيرها وأخذ أموالهم فقال الوكيل ستسكن الفتنة ويعاقب المفسدون ثم أمر بكتابة مكاتيب ممضاة من مشايخ الديوان خطاباً للتجار والمتسببين ولمشايخ البلاد يأمروهم بإرسال الغلال والأقوات الى مصر فكتبوا للمحلة الكبرى منوف والمصورة والفشن وبني سويف.

وفيه كتبوا جواباً من مشايخ الديوان لكبير الفرنسيس جواباً عن المكتوب المذكور آنفاً.

وفيه، ذكر قائمقام بليار لبعض الرؤساء أنه إذا رجع ساري عسكر منصوراً ودامت أهل البلد على طاعتهم وسكونهم رفع عنهم نصف المليون والظلم.

وفي عاشره، أفرجوا عن ابن محرم التاجر بتوسل والدته بقائمقام بليار على مصلحة ألفين ريال فرانسة.
وفيه، خرج عبد العال الى ناحية أبي زعبل ورجعل ومعه ثلاثة أشخاص من الفلاحين ضرب عنق أحدهم.
وفي ثاني عشره، قبض عبد العال على أناس من الغورية والصاغة ومرجوش وغيرهم وألزمهم بمال وسئل عن ذلك فقال لهم أفعله من قبل نفسي بل عن أمر من الفرنسيس.
وفيه، حفروا خندقاً عند تلال البرقية فكان الذين يخرجون بالأموات يصعدون بهم من فوق التل ثم يترلون ويمرون على سقالة من الخشب على الخندق المحفور فحصل للناس غاية المشقة واتفق أن ميتاً سقط على رقاب الحمالين وتدحرج الى أسفل التل.
وفيه، ورد الخبر بموت مراد بك بالوجه القبلي بالطاعون وكان موته رابع الشعر ودفن بسوهاج عند الشيخ العارف وأقيم عزاؤه عند زوجته الست نفيسة وبنت له قبراً بمدفن علي بك واسمعيل بك بالقرافة بالقرب من قبة الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه وأشيع نقله إليه ثم ترك ذلك وبطل وكان الفرنساوية عندما اصطلح معهم وأعطوه إمارة الصعيد رتبوا لزوجته المذكورة في كل شهر مائة ألف فضة واستمرت تقبض ذلك حتى أخرج الفرنساوية جوابات الى الأمراء المرادية يعزونهم في أستاذهم وتقريراً الى عثمان بك الجوخدار المعروف بالطنبرجي بأن يكون أميراً ورئيساً على خشداشينه وعوضاً عن مراد بك ويستمرون على أمريتهم وطاعتهم.

وفيه، حضرت جوابات المراسلات التي أرسلت الى البلاد بسبب الغلال والأقوات بأن المتسببين والتجار أجابوا بالسمع والطاعة غير أن المانع لهم قطاع الطريق وتعدى العرب ومنعهم السبيل وأن أبواب البلدان مغلوقة بحيث لا يمكن الخروج منها فإذا أمنت الطرق حضر المطلوب وكلام هذا معناه وأما الساعي المرسل الى المنصورة فإنه رجع من أثناء لطريق و لم يمكنه الوصول إليها لأن العساكر القادمة قد دخلوها وصارت في حكمهم.
وفيه، أي في هذا الشهر زاد أمر الطاعون وطعن مصطفى آغا أبطال بالقلعة فلما ظهر فيه ذلك رفعوه بطريق مهانة وأنزلوه الى الكرنتينه بباب العزب وألقوه بها ثم تكلم في شأنه أرباب الديوان فأنزلوه الى داره فمات بها وكذلك وقع لحسين قرا ابراهيم التاجر وعلي كتخدا النجدلي وذلك في أوائله وفي كل يوم يموت من الفرنسيس الكائنين بالقلعة الثلاثون والأربعون ويترلون بهم من كرنتينة القلعة على الأخشاب مثل الأبواب كل ثلاثة أو أربعة سواء يحملهم الحمالون وأمامهم إثنان من الفرنسيس يمنعون الناس ويباعدونهم عن القرب منهم الى أن يخرجوا بهم من باب القرافة فيلقونهم في حفر عميقة قد أعدها الحفارون ويهيلون عليهم التراب حتى يعلوهم ثم يلقون صفا آخر ويغطونهم بالتراب وهكذا حتى تمتلئ الحفرة ويبقى بينها وبين الأرض نحو الذراع فيكبسونها بالتراب والأحجار ويحفرون أخرى غيرها كذلك فيكون في الحفرة الواحدة إثنا عشر وستة عشر وأكثر فوق بعضهم البعض وبينهم التراب ويرمونهم بثيابهم وأغطيتهم وتواسيمهم التي في أرجلهم وذلك المكان الذي يدفنون به في العلوة الكائنة خارج مزار القادرية بين الطريقين الموصلين الى جهة مزار الإمام الشافعي رضي الله عنه وفيه، أنهى مشايخ الديوان تعرض عبد العال لمصادرة الناس وطلب المال بعد تأمينهم وتبشيرهم برفع نصف المليون عنه فأجيبوا بأن ذلك على سبيل القرض لتعطل المال الميري واحتياج العسكر الى النفقة وقيل لهم أيضاً إن كان يمكنكم أن تكتبوا الى البلاد بدفع الميري رفعنا الطلب عن الناس فقالوا هذا غير ممكن لحصول البلاد في حيازة القادمين وقطع الطريق من وقوف العرب بها وعدم

الانتظام وإنما القصد الملاطفة والرفق فإن وظيفتنا النصح والوساطة في الخير.

وفي يوم الخميس سادس الحجة حضر استوف الخازندار وجرجس الجوهري ومن معهما من القبطة وغيرهم ما عدا الفرنسيس الذين ذهبوا معهم فأرسلت أوراق بحضور مشايخ الديوان والتجار والأعيان من الغد فلما كان في صبحها حصلت الجمعية وأحضر الخازندار والوكيل وعبد العال وعلي آغا الوالي وبعض التجار كالسيد أحمد الزور والحاج عبد الله التاودي شيخ الغورية والحاج عمر الملطيلي التاجر بخان الخليلي ومحمود حسن وكليمان الترجمان فتكلم استوف وترجم عنه الترجمان بقوله إن ساري عسكر الكبير منو يقرئكم السلام ويثني عليكم كثيراً وسينجلي هذا الحادث إن شاء الله تعالى ويقدم في خير ويرى أهل مصر ما يسرهم وقد هلك من الانكليز خلق كثير وباقيهم أكثرهم مرمودون الأعين وبمرض الزحير وجاءت طائفة منهم الى الفرنساوية وانضموا إليهم من جوعهم وعطشهم ولتعلموا أن الفرنساوية ليسلموا في رشيد قهراً عنهم بل تركوها قصداً وكذلك أخلينا دمياط لأجل أن يطمعوا ويدخلوا الى البلاد وتتفرق عساكرهم فنتمكن عند ذلك من استئصالهم ونخبركم أنه قد وردت الى اسكندرية مركب من فرانسا وأخبرت أن الصلح قد تم مع كامل القرانات ما عدا الانكليز فإنهم لم يدخلوا في الصلح وقصدهم عدم سكون الحرب والفتن ليستولوا على أموال الناس واعلموا أن المشايخ المحبوسين بالقلعة وغيرهم لا بأس عليهم وإنما القصد من تعويقهم وحبسهم رفع الفتن والخوف عليهم وشريعة الفرنساوية اقتضت ذلك ولا يمكن مخالفتها ومخالفتها كمخالفة القرآن العظيم عندكم وقد بلغنا أن السلطان العثملي أرسل الى عسكره بالكف عن الفرنساوية والرجوع عن قتالهم فخالف عليه بعض السفهاء منهم وخرجوا عن طاعته وأقاموا الحرب بدون إذنه فأجابه بعض الحاضرين بقوله إن القصد حصول الراحة والصلح والفرنساوية عندنا أحسن حالاً من الانكليز لأننا قد عرفنا أخلاقهم ونعلم أن الانكليز إنما يريدون بانضمامهم الى العثملية تنفيذ أغراضهم فقط فإنهم يدلون العثملي ويغرونه حتى يوقعوه في المهالك ثم يتركوه كما فعلوا سابقاً ثم قال الخازندار إن الفرنساوية لا يحبون الكذب و لم يعهد عليهم فلازم أن تصدقوا كل ما أخبروكم به فقال بعض الحاضرين إنما يكذب الحشاشون والفرنساوية لا يأكلون الحشيش ثم قال الخازندار إن وقع من أهل مصر فشل أو فساد عوقبوا أكثر من عام أول واعلموا أن الفرنساوية لا يتركون الديار المصرية ولا يخرجون منها أبداً لأنها صارت بلادهم وداخلة في حكمهم وعلى الفرض والتقدير إذا غلبوا على مصر فإنهم يخرجون منها الى الصعيد ثم يرجعون إليها ثانياً ولا يخطر في بالكم قلة عساكرهم فإنهم على قلب رجل واحد وإذا اجتمعوا كانوا كثيراً وطال الكلام في مثل هذه التمويهات والخرافات وأجوبة الحاضرين بحسب المقتضيات ثم قال الخازندار القصد منكم معاونة الفرنساوية ومساعدتهم وغلاق نصف المليون وتشفع بعد ذلك عند ساري عسكر في فوات النصف الثاني حكم ما عرفكم قائمقام بليار فاجتهدوا في غلاقه من الأغنياء واتركوا الفقراء فأجابوا في آخر الكلام بالسمع والطاعة فقال لكن ينبغي التعجيل فإن الأمر لازم لأجل نفقة العسكر ثم قال لهم ينبغي أن تكتبوا جواباً بالساري عسكر تعرفوانه فيه عن راحة أهل البلد وسكون الحال وقيامكم بوظائفكم وهو إن شاء الله يحضر إليكم عن قريب وانفض المجلس وكتب الجواب المأمورية وأرسل.

وفيه، ورد الخبر بوصول طاهر باشا الأرنؤدي بجملة من العساكر الأرنؤدية الى أبي زعبل.

وفيه، خرج عدة من عساكر الفرنساوية وضربوا أربع قرى من الريف بعلة موالاة العرب وقطاع الطريق فنهبوهم وحضروا الى

مصر بمتاعهم ومواشيهم.

وفيه أرسل بليار قائمقام يطلب من الوجاقلية بقية ما عليهم من المال المتأخر من فردة الملتزمين وقدره اثنا عشر ألف ريال وإن تأخروا عن الدفع أحاط العسكر بيوتهم ونقلهم الى أضيق الحبوس بل واستعملهم في شيل الأحجار فاعتذروا بضيق ذات يدهم وحبسهم فتصدر إليهم السيد أحمد الزور وتشفع عند قائمقام بأن يقوموا بدفع أربعة آلاف ريال ويؤجلوا بالباقي ويترلوا من القلعة لتحصيل ذلك فأجابه وأنزل علي آغا يحيى أغات الجراكسة ويوسف باشجاويش الى بيت عبد العال وحبسهم بمكان بداره وحبس معهم مصطفى كتخدا الرزاز فكان يتهددهم ويرسل إليهم أعوانه يقولون لهم شهلوا ما عليكم وإلا ضربكم الآغا بالكرابيج فسبحان الفعال لما يريد فإن عبد العال هذا الذي يتهددهم ربما كان لا يقدر على الوصول الى الوقوف بين يدي بعض أتباعهم فضلاً عنهم.

وفيه، أحاط الفرنسيس بمترل حسن آغا الوكيل المتوفي قبل تاريخه وذلك بسبب أنه وجد ببيته غلام فرنساوي مختف أسلم وحلق رأسه وقبضوا على أحد خشداشينه وحبسوه لكونه علم ذلك و لم يخبر به.

وفيه، حضرت رسل من طرف عرضي الوزير لقائمقام بليار فاجتمعوا به وخلا بهم ووجههم من ليلتهم فلما حصلت الجمعية بالديوان سئل الوكيل عن ذلك فقال نعم إنهم أرسلوا يطلبون الصلح.

وفي ثامن عشره، أفرجوا عن ابراهيم أفندي كاتب البهار ليساعد في قبض نصف المليون، وفي رابع عشرينه، قبضوا على أبي القاسم المغربي شيخ رواق المغاربة وحبسوه بالقلعة بسبب أنه كان يتكلم في بعض المجالس ويقول أنا شيخ المغاربة وأحكم عليهم ويتباهى بمثل هذا القول فنقل عنه ذلك الى عبد العال والفرنسيس وظنوا صحة قوله وأنه ربما أثار فتنة فقبضوا عليه وحبسوه وكذلك حبسوا محمد أفندي يوسف ثاني قلفة وآخر يقال له عبيد السكري.

وفي خامس عشرينه، أبرزوا مكتوباً وزعموا أنه حضر من ساري عسكرهم وقرئ بالديوانية وصورته بعد الصدر خطاباً الى كافة العلماء والمشايخ الكرام بمحفل الديوان المنيف بمحروسة مصر حالاً أدام الله تعالى فضائلهم ورد لنا مكتوبكم وانشرح قلبي من كل ماشهدتم لنا فيه بأنه يثبت عقلكم السليم وصدقكم وتقييد قلوبكم في طارق الدستور فدوموا مهتدين بهذه الملكة ولابد لفضائلكم من دولة جمهورنا كامل الوفاء من حسن رضا واطمئنان عليكم منها ومن طرف عمدة أصحاب الجراءة والشجاعة حضرة القونصل أولها بونابارته وعلى الخصوص من طرفنا وكان ضد أوامري أن الستويان فوريه الذي كنت وضعته قرب فضائلكم ترك ذلك الموضع وتوجه الى اسكندرية وما تلك الفعلة إلا من نقص جسارته في ذي الوقعة فبدلناه جنب فضائلكم بالستويان جيرار رجل واجب الاستوصاء لأجل عرضه وفضله وخصوصاً لأجل غيرته وجسارته فلذلك هو كسب اعتمادي فاعتمدوا الى كل ما هو قائل بفضائلكم من جانبنا وبمنه وعونه تعالى عن قرب نواجهكم بمصر بخير وسلامة ودوموا حسب تدبيراتكم لتنظيم البلد ومماسكة الطاعة بين الأمة الحامدة والسياسة بين غيرهم وكذلك نرجو من رب الأجناد بحرمة سيد العباد أن تشدوا قلوبكم توكلاً له لأن عوننا اسمه العظيم حرر في ثلاثة عشر فلوريال سنة تسعة موافقاً لثمانية عشر ذي الحجة سنة ألف ومائتين وخمسة عشر ممضي عبد الله جاك منو انتهى بألفاظه وحروفه.

وفي سادس عشرينه، أعادوا فرش الديوان بأمر الوكيل جيرار.

وفيه، أفرجوا عن محمد كاشف سليم الشعراوي بشفاعة حسين كاشف وسافر الى جهة الصعيد.

وفي ثامن عشرينه وردت الأخبار بوصول ركاب الوزير يوسف باشا الى مدينة بلبيس وذلك يوم الجمعة رابع عشرينه.

وفيه أخبر وكيل الديوان أن ساري عسكر أرسل كتاباً الى الست نفيسة بالتعزية ورتب لها في كل شهر مائة ألف نصف وأربعين.

وانقضت هذه السنة بحوادثها وما حصل فيها فمنها توالي الهدم والخراب وتغيير المعالم وتنويع المظالم وعم الخراب خطة الحسينية خارج باب الفتوح والخروبي فهدموا تلك الأخطاط والجهات والحارات والدروب والحمامات والمساجد والمزارات والزوايا والتكايا وبركة جناق وما بها من الدور والقصور المزخرفة وجامع الجنبلاطية العظيم بباب النصر وما كان به من القباب العظام المعقودة من الحجر المنحوت المربعة الأركان الشبيهة بالأهرام والمنارة العظيمة ذات الهلالين واتصل هدم خارج باب النصر بخارج باب الفتوح وباب القوس الى باب الحديد حتى بقي ذلك كله خراباً متصلاً واحداً وبقي سور المدينة الأصلي ظاهراً مكشوفاً فعمروه ورموا ما تشعث منه وأوصلوا بعضه ببعض بالبناء ورفعوا بنيانه في العلو وعملوا عند كل باب كرانك وبدنات عظاماً وأبواباً داخلة وخارجة وأخشاباً مغروسة بالأرض مشبكة بكيفية مخصوصة وركزوا عند كل باب عدة من العسكر مقيمين وملازمين ليلاً ونهاراً ثم سدوا باب الفتوح بالبناء وكذلك باب البرقية وباب المحروق وأنشأوا عدة قلاع فوق التلال البرقية ورتبوا فيها العساكر وآلات الحرب والذخيرة وصهاريج الماء وذلك من حد باب النصر الى باب الوزير وناحية الصوة طولاً فمهدوا أعالي التلال وأصلحوا طرقها وجعلوا لها مزالق وانحدارات لسهولة الصعود والهبوط بقياسات وتحريرات هندسية على زوايا قائمة ومنفرجة وبنوا تلك القلاع بمقادير بين أبعادها وهدموا أبنية رأس الصوة حيث الحطابة وباب الوزير تحت القلعة الكبيرة وما بذلك من المدارس القديمة المشيدة والقباب المرتفعة وهدموا أعالي المدرسة النظامي ومنارتها وكانت في غاية من الحسن وجعلوها قلعة ونبشوا ما بها من القبور فوجدوا الموتى في توابيت من الخشب فظنوا داخلها دراهم فكسروا بعضها فوجدوا بها عظام الموتى فأنزلوا تلك التوابيت وألقوها الى خارج فاجتمع أهل تلك الجهة وحملوها وعملوا لها مشهداً بجمع من الناس ودفنوها داخل التكية المجاورة لباب المدرج وجعلوا تلك المدرسة قلعة أيضاً بعد أن هدموا منارتها أيضاً وكذلك هدموا مدرسة القانبية والجامع المعروف بالسب سلاطين وجامع الجركسي وجامع خوند بركة الناصرية خارج باب البرقية وكذلك أبنية باب القرافة ومدارسها ومساجدها وسدوا الباب وعملوا الجامع الناصري الملاصق له قلعة بعد أن هدموا منارته وقبابه وسدوا أبواب الميدان من ناحية الرميلة وناحية عرب اليسار وأوصلوا سهور باب القرافة بجامع الزمر وجعلوا ذلك الجامع قلعة وكذلك عدة قلاع متصلة بالمجراة التي كانت تنقل الماء الى القلعة الكبيرة وسدوا عيونها وبواكيها وجعلوها سوراً بذاتها و لم يبقوا منها إلا قوصرة واحدة من ناحية الطبي جهة مصر القديمة جعلوها باباً ومسلكاً وعليها الكرنك والغفر والعسكر الملازمين الإقامة بها ولقبض المكس من الخارج والداخل وسدوا الجهة المسلوكة من ناحية قنطرة السد بحاجز خشب مقفص وعليه باب بقفل مقفص أيضاً وعليه حرسجية ملازمون القيام عليه وذلك حيث سواقي المجراة التي كانت تنقل الماء الى القلعة وحفروا خلف ذلك خندقاً.

وأما ما أنشأوه وعمروه من الأبراج والقلاع والحصون بناحية ثغر الاسكندرية ورشيد ودمياط وبلاد الصعيد فشيء كثير جداً

وذلك كله في زمن قليل.

ومنها تخريب دور الأزبكية وردم رصيفاها بالأتربة وتبديل أوضاعها وهدم خطة قنطرة الموسكي وما جاورها من أول القنطرة المقابلة للحمام الى البوابة المعروفة بالعتبة الزرقاء حيث جامع أزبك وما كان في ضمن ذلك من الدور والحوانيت والوكائل وكوم الشيخ سلامة فيسلك المار من على القنطرة في رحبة متسعة تنتهي الى رحبة الجامع الأزبكي وهدموا بيت الصابونجي ووصلوه بجسر عريض ممتد ممهد حتى ينتهي الى قنطرة الدكة وفي متوسط ذلك الجسر ينعطف جسرآخر الى جهة اليسار عند بيت الألفي حيث سكن ساري عسكر ممتد ذلك الجسر الى قنطرة المغربي ومنها يمتد الى بولاق على خط مستقيم الى ساحل البحر حيث موردة التبن والشون وزرعوا بحافتيه السيسبان والأشجار وكذلك برصيفات الأزبكية وهدموا المسجد المجاور لقنطرة الدكة مع ما وجدوه من الأبنية والغيطان وعملوا هناك بوابة وكرنكاً وعسكراً ملازمين الإقامة والوقوف ليلاً ونهاراً وذلك عند مسكن بليار قائمقام وهي دار جرجس الجوهري وما جاوره وكان في عزمهم إيصال ما انتهوا الى هدمه بقنطرة الموسكي الى سور باب البرقية ويهدمون من حد حمام الموسكي حتى يتصل المهدوم بناحية الأشرفية ثم الى خان الخليلي الى اسطبل الطارمة المعروف الآن بالشنواني الى ناحية كفر الطماعين الى البرقية ويجعلون ذلك طريقاً واحداً متسعاً وبحافتيه الحوانيت والخانات وبها أعمدة وأشجار وتكاعيب وتعاريش وبساتين من أولها الى آخرها من حد باب البرقية الى بولاق فلما انتهوا في الهدم الى قنطرة الموسكي تركوا الهدم ونادوا بالمهلة ثلاثة أشهر وشرعوا في أبنية حوائط بحافتي القنطرة ومعاطف ومزالق الى حارة الإفرنج وحارة النباقة وذلك بالحجر النحت المتقن الوضع وكذلك عمروا قناطر الخليج المتهدمة داخل مصر وخارجها على ذلك الشكل مثل قنطرة السد والقنطرة التي من بين أراضي الناصرية وطريق مصر القديمة وقنطرة الليمون وقنطرة قدبدار وقنطرة الأوز وغير ذلك ثم فاجأهم حادث الطاعون ووصول القادمين فتركوا ذلك واشتغلوا بأمور التحصين وسيأتي تتمة ذلك ومنها توالي خراب بركة الفيل وخصوصاً بيوت الأمراء التي كانت بها وأخذوا أخشابها لعمارة القلاع ووقود النيران والبيع وكذلك ما كان بها من الرصاص والحديد والرخام وكانت هذه البركة من جملة محاسن مصر وفيها يقول أبو سعيد الأندلسي وقد ذكر القاهرة وأعجبني في ظاهرها بركة الفيل لأنها دائرة كالبدر والمناظر فوقها كالنجوم وعادة السلطان أن يركب فيها بالليل ويسرج أصحاب المناظر على قدر هممهم وقدرتهم فيكون بذلك لها منظر عجيب.

وتخرب أيضاً جامع الرويعي وجعلوه خمارة وبعض جامع عثمان كتخدا القزدغلي الذي بالقرب من رصيف الخشاب وجامع خير بك حديد الذي يدرب الحمام بقرب بركة الفيل وجامع البنهاوي والطرطوشي والعدوي وهدموا جامع عبد الرحمن كتخدا المقابل لباب الفتوح حتى لم يبق به إلا بعض الجدران وجعلوا جامع أزبك سوقاً لبيع أقلام المكوس.

ومنها أنهم غيروا معالم المقياس وبدلوا أوضاعه وهدموا قبته العالية والقصر البديع الشاهق والقاعة التي بها عامود المقياس وبنوها على شكل آخر لا بأس به لكنه لم يتم وهي على ذلك باقية الى الآن ورفعوا قاعدة العامود العليا ذراعاً وجعلوا تلك الزيادة من قطعة رخام مربعة ورسموا عليها من جهاتها الأربع قراريط الذراع.

ومنها أنهم هدموا مساطب الحوانيت التي بالشوارع ورفعوا أحجارها مظهرين أن القصد بذلك توسيع الأزقة لمرور العربات الكبيرة التي ينقلون عليها المتاع واحتياجات البناء من الأحجار والجبس والجير وغيره والمعنى الخفي الشافي خوفاً من التترس بها

عند حدوث الفتن كما تقدم وكانوا وصلوا في هدم المساطب الى باب زويلة ومن الجهة الأخرى الى عطفة مرجوش فهدموا مساطب خط قناطر السباع والصليبة ودرب الجماميز وباب سعادة وباب الخرق الى آخر باب الشعرية ولو طال الحال لهدموا مساطب العقادين والغورية والصاغة والنحاسين الى آخر باب النصر وباب الفتوح فحصل لأرباب الحوانيت غاية الضيق لذلك وصاروا يجلسون في داخل فجوات الحوانيت مثل الفيران في الشقوق وبعض الزوايا والجوامع والرباع التي درجها خارج عن سمت حائط البناء لما هدموا درجه وبسطته بقي باب مدخله معلقاً فكانوا يتوصلون إليه بدرج من الخشب مصنوع يضعونه وقت الحاجة ويرفعونه بعدها وذلك عمل كثير.

ومنها تبرج النساء وخروج غالبهن عن الحشمة والحياء وهو أنه لما حضر الفرنسيس الى مصر ومع البعض منهم نساؤهم كانوا يمشون في الشوارع مع نسائهم وهن حاسرات الوجوه لابسات الفستانات والمناديل الحرير الملونة ويسدلن على مناكبهن الطرح الكشميري والمزركشات المصبوغة ويركبن الخيول والحمير ويسوقونها سوقاً عنيفاً مع الضحك والقهقهة ومداعبة المكارية معهم وحرافيش العامة فمالت إليهم نفوس أهل الأهواء من النساء الأسافل والفواحش فتداخلن معهم لخضوعهم للنساء وبذلك الأموال لهن وكان ذلك التداخل أولاً مع بعض احتشام وخشية عار ومبالغة في إخفائه فلما وقعت الفتنة الأخيرة بمصر وحاربت الفرنسيس بولاق وفتكوا في أهلها وغنموا أموالها وأخذوا ما استحسنوه من النساء والبنات صرن مأسورات عندهم فزيوهن بزي نسائهم وأجروهن على طريقتهن في كامل الأحوال فخلع أكثرهن نقاب الحياء بالكلية وتداخل مع أولئك المأسورات غيرهن من النساء الفواجر. ولما حل بأهل البلاد من الذل والهوان وسلب الأموال واجتماع الخيرات في حوز الفرنسيس ومن والاهم وشدة رغبتهم في النساء وخضوعهن لهن وموافقة مرادهم وعدم مخالفة هواهن ولو شتمته أو ضربته بتاسومتها فطرحن الحشمة والوقار والمبالاة والاعتبار واستملن نظراءهن واختلسن عقولهن لميل النفوس الى الشهوات وخصوصاً عقول القاصرات وخطب الكثير منهم بنات الأعيان وتزوجوهن رغبة في سلطانهم ونوالهم فيظهر حالة العقد الإسلام وينطق بالشهادتين لأنه ليس له عقيدة يخشى فسادها وصار مع حكام الأخطاط منهم النساء المسلمات متزييات يزهم ومشوا معهم في الأخطاط للنظر في أمور الرعية والأحكام العادية والأمر والنهي والمناداة وتمشي المرأة بنفسها أو معها بعض أترابها وأضيافها على مثل شكلها وأمامها القواسة والخدم وبأيديهم العصي يفرجون لهن الناس مثل ما يمر الحاكم ويأمرن وينهين في الأحكام. ومنها أنه لما أوفى النيل أذرعه ودخل الماء الى الخليج وجرت فيه السفن وقع عند ذلك من تبرج النساء واختلاطهن بالفرنسيس ومصاحبتهم لهن في المراكب والرقص والغناء والشرب في النهار والليل في الفوانيس والشموع الموقدة وعليهن الملابس الفاخرة والحلي والجواهر المرصعة وصحبتهم آلات الطرب وملاحو السفن يكثرون من الهزل والمجون ويتجاوبون برفع الصوت في تحريك المقاديف بسخيف موضوعاتهم وكتائف مطبوعاتهم وخصوصاً إذا دبت الحشيشة في رؤوسهم وتحكمت في عقولهم فيصرخون ويطبلون ويرقصون ويزمرون ويتجاوبون بمحاكاة ألفاظ الفرنساوية في غنائهم وتقليد كلامهم شيء كثير.
وأما الجواري السود فإنهن لما علمن رغبة القوم في مطلق الأنثى ذهبن إليهم أفجواجاً فرادى وأزواجاً فنططن الحيطان وتسلقن إليهم من الطيقان ودلوهم على مخبآت أسيادهن وخبايا أموالهم ومتاعهم وغير ذلك.

ومنها أن يعقوب القبطي لما تظاهر مع الفرنساوية وجعلوه ساري عسكر القبطة جمع شبان القبط وحلق لحاهم وزياهم بزي مشابه لعسكر الفرنساوية مميزين عنهم بقبع يلبسونه على رؤوسهم مشابه لشكل البرنيطة وعليه قطعة فروة سوداء من جلد الغنم في غاية البشاعة مع ما يضاف إليها من قبح صورهم وسواد أجسامهم وزفارة أبدانهم وصيرهم عسكره وعزوته وجمعهم من أقصى الصعيد وهدم الأماكن المجاورة لحارة النصارى التي هو ساكن بها خلف الجامع الأحمر وبنى له قلعة وسورها بسور عظيم وأبراج وباب كبير يحيط به بدنات عظام وكذلك بنى أبراجاً في ظاهر الحارة جهة بركة الأزبكية وفي جميع السور المحيط والأبراج طيقاناً للمدافع وبنادق الرصاص على هيئة سور مصر الذي رمه الفرنساوية ورتب على باب القلعة الخارج والداخل عدة من العسكر الملازمين للوقوف ليلاً ونهاراً وبأيديهم البنادق على طريقة الفرنساوية ومنها قطعهم الأشجار والنخيل من جميع البساتين والجنائن الكائنة بمصر وبولاق ومصر القديمة والروضة وجهة قصر العيني وخارج الحسينية وبساتين بركة الرطلي وأرض الطبالة وبساتين الخليج بل وجيمع القطر المصري كالشرقية والغربية والمنوفية ورشيد ودمياط كل ذلك لاحتياجات عمل القلاع وتحصين الأسوار في جميع الجهات وعمل العجل والعربات والمتاريس ووقود النار وكذلك المراكب والسفن وأخذ أخشابها أيضاً مع شدة الاحتياج إليها وعدم إنشاءالناس سفناً جديدة لفقرهم وعدم الخشب والزفت والقار والحديد وباقي اللوازم حتى أنهم حال حلولهم الديار المصرية وسكنهم بالأزبكية كسروا جميع القنج والأغربة التي كانت موجودة تحت بيوت الأعيان بقصد التتره وكذلك ما كان ببركة الفيل، وبسبب ذلك شحت البضائع وغلت الأسعار وتعطلت الأسباب وضاقت المعايش وتضاعفت أجر حمل التجارات في السفن لقلتها.

ومنها هدم القباب والمدافن الكائنة بالقرافة تحت القلعة خوفاً من تترس المحاربين بها فكانوا يهدمون ذلك بالبارود على طريقة اللغم فيسقط المكان بجميع أجزائه من وقود البارود وانحباسه في الأرض فيسمع له صوت عظيم ودوي فهدموا شيئاً كثيراً على هذه الصورة وكذلك أزالوا جانباً كبيراً من الجبل المقطم بالبارود من الجهة المحاذية للقلعة خوفاً من تمكن الخصم منها والرمي على القلعة.

ومنها زيادة النيل الزيادة المفرطة التي لم يعد مثلها في هذه السنين حتى غرقت الأراضي وحوصرت البلاد وتعطلت الطرق فصارت الأرض كلها لجة ماء وغرق غالب البلاد التي على السواحل فتهدم من دورها شيء كثير وأما المدينة فإن الماء جرى من جهة الناصرية الى الطريق المسلوكة وطفح من بركة الفيل الى درب الشمسي وطريق قنطرة عمر شاه.

ومنها استمرار انقطاع الطرق وأسباب المتاجر وغلول البضائع المجلوبة من البلاد الرومية والشامية والهندية والحجازية والمغرب حتى غلت أسعار جميع الأصناف وانتهى سعر كل شيء الى عشرة أمثاله وزيادة على ذلك فبلغ الرطل الصابون الى ثمانين نصفاً واللوزة الواحدة بنصفين وقس على ذلك وأما الأشياء البلدية فإنها كثيرة موجودة وغالبها يباع رخيصاً مثل السمن والعسل النحل والأرز والغلال وخصوصاً الأرز فإنه بيع في أيامهم بخمسمائة نصف فضة الأردب وكانت النصارى باعة العسل النحل يطوفون به في بلاليص محملة على الحمير ينادون عليه في الأزقة بأرخص الأثمان.

ومنها وقوع الطاعون بمصر والشام وكان معظم عمله ببلاد الصعيد أخبرني صاحبنا العلامة الشيخ حسن المعروف بالعطار المصري نزيل أسيوط مكاتبة ونصه ونعرفكم يا سيدي أنه قد وقع في قطر الصعيد طاعون لم يعهد و لم تسمع بمثله وخصوصاً

ما وقع منه بأسيوط وقد انتشر هذا البلاء في جميع البلاد شرقاً وغرباً وشاهدنا منه العجائب في أطواره وأحواله وذلك أنه أباد معظم أهل البلاد وكان أكثره في الرجال سيما الشبان والعظماء وكل ذي منقبة وفضيلة وأغلقت الأسواق وعزت الأكفان وصار المعظم من الناس بين ميت ومشيع ومريض وعائد حتى أن الإنسان لا يدري بموت صاحبه أو قريبه إلا بعد أيام ويتعطل الميت في بيته من أجل تجهيزه فلا يوجد النعش ولا المغسل ولا من يحمل الميت إلا بعد المشقة الشديدة وأن أكبر كبير إذا مات لا يكاد يمشي معه ما زاد على عشرة أنفار تكترى وماتت العلماء والقراء والملتزمون والرؤساء وأرباب الحرف ولقد مكثت شهراً بدون حلق رأسي لعدم الحلاق وكان مبدأ هذا الأمر من شعبان وأخذ في الزيادة في شهر ذي القعدة والحجة حتى بلغ النهاية القصوى فكان يموت كل يوم من أسيوط خاصة زيادة على الستمائة وصار الإنسان إذا خرج من بيته لا يرى إلا جنازة أو مريضاً أو مشتغلاً بتجهيز ميت ولا يسمع إلا نائحة أو باكية وتعطلت المساجد من الأذان والإمامة لموت أرباب الوظائف واشتغال من بقي منهم بالمشي أمام الجنائز والصبح والسهر وتعطيل الزرع من الحصاد ونشف على وجه الأرض وأبادته الرياح لعدم وجدان من يحصده وعلى التخمين أنه مات الثلثان من الناس هذا مع سعي العرب في البلاد بالفساد والتخويف بسبب خلو البلاد من الناس والحكام الى أن قال ولو شئت أن أشرح لك يا سيدي ما حصل من أمر الطاعون لملأت الصحف مع عدم الإيفاء وتاريخه ثامن عشرين الحجة سنة تاريخه.

من مات في هذه السنة من الأعيان

مات الإمام الألمعي والذكي اللوذعي من عجنت طينته بماء المعارف وتآخت طبيعته مع العوارف العمدة العلامة والنحرير الفهامة فريد عصره ووحيد دهره الشيخ محمد بن أحمد بن حسن بن عبد الكريم الخالدي الشافعي الشهير بابن الجوهري وهو أحد الإخوة الثلاثة وأصغرهم ويعرف هو بالصغير ولد سنة إحدى وخمسين ومائة وألف ونشأ في حجر والده في عفة وصون وعفاف وقرأ عليه وعلى أخيه الأكبر الشيخ أحمد ابن أحمد وعلى الشيخ خليل المغربي والشيخ محمد الفرماوي وغيرهم من فضلاء الوقت وأجازه الشيخ محمد الملوي بما في فهرسته وحضر دروس الشيخ عطية الأجهوري في الأصول والفقه وغير ذلك فلازمه وبه تخرج في الإلقاء وحضر الشيخ علي الصعيدي والبراوي وتلقى عن الشيخ الوالد حسن الجبرتي كثيراً من العلوم ولازم التردد عليه والأخذ منه مع الجماعة ومنفرداً وكان يحبه ويميل إليه ويقبل بكليته عليه وحج مع والده في سنة ثمان وستين وجاور معه فاجتمع بالشيخ السيد عبد الله الميرغني صاحب الطائف واقتبس من أنواره واجتنى من ثماره وكان آية في الفهم والذكاء والغوص والاقتدار على حل المشكلات وأقرأ الكتب وألقى الدروس بالأشرفية وأظهر التعفف والانجماع عن خلطة الناس والذهاب والترداد الى بيوت الأعيان والتزهد عما بأيديهم فأحبه الناس وصار له أتباع ومحبون وساعده على ذلك الغنى والثروة وشهرة والده وإقبال الناس عليه ومدحتهم له وترغيبهم في زيادته وتزوج ببنت الخواجا الكريمي وسكن بدارها المجاورة لبيت والده بالأزبكية واتخذ له مكاناً خاصاً بمنزل والده يجلس فيه في أوقات وكل من حضر عند أبيه في حال انقطاعه من الأكابر أو من غيرهم للزيارة أو للتلقي يأمره بزيارة ابنه المترجم والتلقي عنه وطلبهم الدعاء منه ويحكي لهم عنه مزايا وكرامات ومكاشفات ومجاهدات وزهديات فازداد اعتقاد الناس فيه وعاشر العلماء والفضلاء من أهل عصره ومشايخه وقرنائه وتردد

عليهم وترددوا عليه ويبيتون عنده ويطعمهم ويكرمهم ويتتره معهم في أيام النيل مع الحشمة والكمال ومجانبة الأمور المخلة بالمروءة ولما مات أخوه الكبير الشيخ أحمد وقد كان تصدر بعد والده في إقراء الدروس أجمع الخاص والعام على تقدم المترجم في إقراء الدروس في الأزهر والمشهد الحسيني في رمضان فامتنع من ذلك وواظب على حالة انجماعه وطريقته وإملائه الدروس بالأشرفية وحج في سنة سبع وثمانين ومائة وألف وجاور سنة وعقد دروساً بالحرم وانتفع به الطلبة ثم عاد الى وطنه وزاد في الانجماع والتحجب عن الناس في أكثر الأوقات فعظمت رغبة الناس فيه ورد هداياهم مرة بعد أخرى وأظهر الغنى عنهم فازداد ميل الناس إليه وجبلت قلوبهم على حبه واعتقاده وتردد الأمراء وسعوا لزيارته أفواجاً وربما احتجب عن ملاقاتهم وقلد بعضهم بعضاً في السعي و لم يعهد عليه أنه دخل بيت أمير قط أو أكل من طعام أحد قط إلا بعض أشياخه المتقدمين وكانت شفاعته لا ترد عند الأمراء والأعيان مع الشكيمة والصدع بالأمر والمناصحة في وجوههم إذا أتوا إليه وازدادت شهرته وطار صيته ووفدت عليه الوفود من الحجاز والغرب والهند والشام والروم وقصدوا زيارته والتبرك به وحج أيضاً في سنة تسع وتسعين لما حصلت الفتنة بين أمراء مصر فسافر بأهله وعياله وقصد المجاورة فجاور سنة وأقرأ هناك دروساً واشترى كتباً نفيسة ثم عاد الى مصر واستمر على حالته في انجماعه وتحجبه عن الناس بل بالغ في ذلك ويقرئ ويملي الدروس بالأشرفية وأحياناً براويتهم بدرب شمس الدولة وأحياناً بمتزله بالأزبكية ولما توفي الشيخ أحمد الدمنهوري وتولى مشيخة الأزهر الشيخ عبد الرحمن العريشي الحنفي باتفاق الأمراء والمتصدرين من الفقهاء وهاجت حفائظ الشافعية ذهبوا إليه وطلبوه للمشيخة فأبى ذلك ووعدهم بالقيام لنصرتهم وتولية من يريدونه فاجتمعوا ببيت الشيخ البكري واختاروا الشيخ أحمد العروسي لذلك وأرسلوا الى الأمراء فلم يوافقوا على ذلك فركب المترجم بصحبة الجمع الى ضريح الإمام الشافعي و لم يزل حتى نقض ما أبرمه العلماء والأمراء ورد المشيخة الى الشافعية وتولى الشيخ أحمد العروسي وتم له الأمر كما تقدم ذلك في ترجمة العريشي ولما توفي الشيخ أحمد العروسي كان المترجم غائباً عن مصر في زيارة سيدي أحمد البدوي فأهمل الأمر حتى حضر وتولى الشيخ عبد الله الشرقاوي بإشارته و لم يزل وافر

الحرمة معتقداً عند الخاص والعام حتى حضر الفرنساوية واختلت الأمور وشارك الناس في تلقي البلاء وذهب ما كان له بأيدي التجار ونهب بيته وكتبه التي جمعها وتراكمت عليه الهموم والأمراض وحصل له اختلاط و لم يزل حتى توفي يوم الأحد حادي عشرين شهر القعدة سنة تاريخه بحارة برجوان وصلي عليه بالأزهر في مشهد حافل ودفن عند والده وأخيه بزاوية القادرية بدرب شمس الدولة وبالجملة فكان من محاسن مصر والفريد في العصر ذهنه وقاد ونظمه مستجاد وكان رقيق الطبع لطيف الذات مترفهاً في مأكله وملبسه.

ومات الأجل الأمثل العمدة الوجيه السيد عبد الفتاح بن أحمد ابن الحسن الجوهري أخو المترجم المذكور وهو أسن منه وأصغر من أخيه الشيخ أحمد ولد سنة إحدى وأربعين ومائة وألف ونشأ في حجر أبيه وحضر الشيخ الملوي وبعض دروس أبيه وغيره و لم يكن معتنياً بالعلم و لم يلبس زي الفقهاء وكان يعاني التجارة ويشارك ويضارب ويحاسب ويكاتب فلما توفي أخوه الأكبر الشيخ أحمد وامتنع أخوه الأصغر الشيخ محمد من التصدر للإقراء في محله اتفق الحال على تقدم المترجم حفظاً للناموس وبقاء لصورة العلم الموروث فعند ذلك تزيا بزي الفقهاء ولبس التاج والفراجة الواسعة وأقبل على مطالعة العلم وخالط أهله وصار يطالع ويذاكر وأقرأ دروس الحديث بالمشهد الحسيني في رمضان مع قلة بضاعته وذلك بمعونة الشيخ مصطفى بن الشيخ محمد

الفرماوي فكان يطالع الدرس الذي يمليه من الغد ويتلقى عنه مناقشات الطلبة وثبت على ذلك حتى ثبتت المشيخة وتقررت العالمية كل ذلك مع معاناته التجارة وتردد الى الحرمين وأثرى واقتنى كتباً نفيسة وعروضاً وحشماً واشترى المماليك والعبيد والجواري والأملاك والالتزام ولم يزل حتى حصلت حوادث الفرنساوية وصادروه وأخذوا منه خمسة عشر ألف فرانسة وداخله من ذلك كرب وانفعال زائد فسافر الى بلدة جارية في التزامه يقال لها كوم النجار فأقام بها أشهراً ثم ذهب الى شيبين الكوم بلدة أقاربه وأقام بها الى أن مات في هذه السنة وذلك بعد وفاة أخيه الشيخ محمد بنحو خمسة أيام ودفن هناك رحمه الله تعالى.

ومات الإمام العلامة الثقة الهمام النحرير الذي ليس له في فضله نظير أبو محمد أحمد بن سلامة الشافعي المعروف بأبي سلامة اشتغل بالعلم وحضر العلوم النقلية والنحوية والمنطقية وتفقه على كثير من علماء الطبقة الأولى كالشيخ علي قايتباي والحفني والبراوي والملوي وغيرهم وتبحر في الأصول والفروع وكان مستحضراً للفروع الفقهية والمسائل الغامضة في المذاهب الأربعة ويغوص ذهنه وقياسه في الأصول الغريبة ومطالعة كتب الأصول القديمة التي أهملها المتأخرون وكان الفضلاء يرجعون في ذلك إليه ويعتمدون قوله ويعولون في الدقائق عليه إلا أن الدهر لم يصافه على عادته وعاش في خمول وضيق عيش وخشونة ملبس وفقد رفاهية بحيث أن من يراه لا يعرفه لرثاثة ثيابه وكان مهذباً حسن المعاشرة جميل الخلق والنادرة مطبوعاً فيه صلاح وتواضع ونزل مؤقتاً في مسجد عبد الرحمن كتخدا الذي أنشأه تجاه باب الفتوح بمعلوم قدره ثمانية أنصاف يتعيش بها مع ما يرد عليه من بعض الفقهاء والعامة الذين يحتاجون إليه في مراجعة المسائل والفتاوى فلما خرب المسجد المذكور في حادثة الفرنسيس وجهات أوقافه انقطع عنه ذلك المعلوم وكان ذا عائلة ومع ذلك لا يسأل شيئاً ولا يظهر فاقة توفي يوم الأحد حادي عشرين جمادى الآخرة من السنة عن خمسة وسبعين سنة تقريباً رحمه الله.

ومات الأمير مراد بك محمد مات بسهاج قادماً الى مصر باستدعاء الفرنسيس ودفن بها عند الشيخ العارف وكان موته رابع شهر الحجة كما تقدم وهو من مماليك محمد بك أبي الذهب ومحمد بك مملوك علي بك وعلي بك مملوك ابراهيم كتخدا القازدغلي اشترى محمد بك مراد بك المذكور في سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف وذلك في اليوم الذي قتل فيه صالح بك الكبير فأقام في الرق أياماً قليلة أعتقه وأمره وأنعم عليه بالإقطاعات الجليلة وقدمه على أقرانه وتزوج بالست فاطمة زوجة الأمير صالح بك وسكن باره العظيمة بخط الكبش.

ولما مات علي بك تزوج بسريته أيضاً وهي الست نفيسة الشهيرة الذكر بالخير ولما انفرد محمد بك بإمارة مصر كان هو وابراهيم بك أكبر أمرائه المشار إليهما دون غيرهما فلما سافر محمد بك الى الديار الشامية محارباً للظاهر عم أقام عوضه في إمارة مصر ابراهيم بك وأخذ صحبته مراد بك وباقي أمرائه فلما مات محمد بك بعكا اجتمع أمراؤه على رأي مماليكه في رئاسة مراد بك فتقدم وقدمه عليهم وحملوا جثة سيدهم وحضروا بأجمعهم الى مصر فاتفق رأي الجميع على إمارة من استخلفه سيدهم وقدمه دون غيره وهو ابراهيم بك ورضي الجميع بتقدمه ورياسته لوفور عقله وسكون جأشه فاستقر بمشيخة مصر ورياستها ونائب نوابها ووزرائها وعكف مراد بك على لذاته وشهواته وقضى أكثر زمانه خارج المدينة مرة بقصره الذي أنشأه بالروضة وأخرى بجزيرة الذهب وأخرى بقصر قايماز جهة العادلية كل ذلك مع مشاركته لابراهيم بك في الأحكام والنقض والإبرام والإيراد والإصدار ومقاسمة الأموال والدواوين وتقليد مماليكه وأتباعه الولايات والمناصب وأخذ في بذل الأموال

وإنفاقها على أمرائه وأتباعه فانضم إليه بعض أمراء علي بك وغيره ممن مات أسيادهم كعلي بك المعروف بالملط وسليمان بك الشابوري وعبد الرحمن بك عثمان فأكرمهم وواساهم ورخص لمماليكه في هفواتهم وسامحهم في زلاتهم وحظي عنده كل جريء غشوم عسوف ذميم ظلوم فانقلبت أوضاعهم وتبدلت طباعهم وشرهت نفوسهم وعلت رؤوسهم فتناظروا وتفاخروا وطمعوا في أستاذهم وشمخت آنافهم عليه وأغاروا حتى على ما في يده واشتهر بالكرم والعطاء فقصده الراغبون وامتدحه الشعراء والغاوون وأخذا الشيء من غير حقه وأعطاه لغير مستحقه.

ثم لما ضاف عليه المسلك ورأى أن رضا العالم غاية لا تدرك أخذ يتحجب عن الناس فعظم فيه الهاجس والوسواس وكان يغلب على طبعه الخوف والجبن مع التهور والطيش والتورط في الإقدام مع عدم الشجاعة و لم يعهد عليه أنه انتصر في حرب باشرها أبداً على ما فيه من الادعاء والغرور والكبر والخيلاء والصلف والظلم والجور.

ولما قدم حسن باشا الى مصر وخرج المترجم مع خشداشينه وعشيرته هاربين الى الصعيد حتى انقضت أيام حسن باشا واسمعيل بك ومن كان معه ورجعوا ثانياً بعد أربع سنين وشيء من الشهور من غير عقد ولا حرب تعاظم في نفسه جداً واختص بمساكن اسمعيل بك وجعل إقامته بقصر الجيزة وزاد في بنائه وتنميقه وبنى تحته رصيفاً محكماً وأنشأ بداخله بستاناً عظيماً نقل إليه أصناف النخيل والأشجار والكروم واستخلص غالب بلاد إقليم الجيزة لنفسه شراء ومعاوضة وغصباً وعمر أيضاً قصر جزيرة الذهب وجعل بها بستاناً عظيماً وكذلك قصر ترسا وبستان المجنون وصار يتنقل في تلك القصور والبساتين ويركب للصيد في غالب أوقاته واقتنى المواشي من الأبقار والجواميس الحلابة والأغنام المختلفة الأجناس فكان عنده بالجيزة من ذلك شيء كثير جداً وعمل له ترسخانة عظيمة وطلب صناع آلات الحرب من المدافع والقنابر والبنب والجلل والمكاحل واتخذ بها أيضاً معامل البارود خلاف المعامل التي في البلد وأخذ جميع الحدادين والسباكين والنجارين فجمع الحديد المجلوب والرصاص والفحم والحطب حتى شحت جميع هذه الأدوات لكونه كان يأخذ كل ما وجده منها وكذلك حطب القرطم والترمس والذرة لحرق قمام الجير والجبس للعمارة وأوقف الأعوان في كل جهة يحجزون المراكب التي تأتي من البلاد بالأحطاب يأخذونها ويجمعونها للطلب ويبيعون لأنفسهم ما أحبوا ويأخذون الجعالات على ما يسمحون به أو يطلقونه لأربابه بالوسائط والشفاعات وأحضر أناساً من القليونجية ونصارى الأروام وصناع المراكب فأنشأوا له عدة حربية وغلايين وجعلوا بها مدافع وآلات حرب على هيئة مراكب الروم صرف عليها أموالاً عظيمة ورتب بها عساكر وبحرية وأدر عليهم الجماكي والأرزاق الكثيرة وجعل عليهم رئيساً كبيراً رجلاً نصرانياً وهو الذي يقال له نقولا بنى له داراً عظيمة بالجيزة وأخرى بمصر وله عزوة وأتباع من نصارى الأروام المرتبين عسكراً وكان نقولا المذكور يركب الخيل ويلبس الملابس الفاخرة ويمشي في شوارع مصر راكباً وأمامه وخلفه قواسة يوسعون له الطريق في مروره على هيئة ركوب الأمراء كل ذلك خطرات من وساوسه لا يدري أحد لأي شيء هذا الاهتمام ولأي حاجة إنفاق هذا المال في الخشب والحديد وإعطاؤه لنصارى الأروام واختلفت آراء الناس في ذلك من قائل إن ذلك خوفاً من خشداشينه وقائل من مخافة العثمانية كما تقدم في قضية حسن باشا والبعض يظن خلاف ذلك وليس غير الوهم والتخيل الفاسد والخوف شيء وبقيت آلات الحرب جميعها والبارود بحواصله والجلل والبنبات حتى أخذ جميعه الفرنسيس فيقال إنه كان بحواصل الترسخانة من جنس الجلل أحد عشر ألف جلة كذا نقل عن معلم الترسخانة أخذ

جميع ذلك الفرنسيس يوم استيلائهم على الجيزة والقصر.

ومما اتفق أنه وقعت مشاجرة في بعض نصارى الأروام القليونجية وبعض السوقة بمصر القديمة، فتعصب النصارى على أهل البلد وحاربوهم وقتلوا منهم نيفاً وعشرين رجلاً، وانتهت الشكوى الى الأمير، فطلب كبيرهم فعصى عليه وامتنع من مقابلته وعمر مدافع المراكب ووجهها جهة قصره، فلم يسعه إلا التغافل وراحت على من راح، واستوزر رجلاً بربرياً وهو المسمى بابراهيم كتخدا السناري وجعله كتخداه ومشيره، وبلغ من العظمة ونفوذ الكلمة بإقليم مصر ما لم يبلغه أعظم أمير بها، وبنى له داراً بالناصرية واقتنى المماليك الحسان والسراري البيض والحبوش والخدم، وتعلم اللغة التركية والأوضاع الشيطانية واختص ذلك السناري أيضاً ببعض رعاع الناس وجعله متخدا يأتمر بأمره ويتوصل به أعاظم الناس في قضاء أشغالهم، ولما حسن لمراد بك الإقامة بالجيزة واختار السكن بها وزين له شيطانه العزلة عن خشداشينه وأقرانه وترك لابراهيم بك أمر الأحكام والدواوين ومقتضيات نواب السلطنة العثمانية مع كونه لا ينفذ أمراً دون رأيه ومشورته، واحتجب هو عن الاجتماع بالناس بالكلية.
حتى عن الأمراء الكبار من أقرانه، كان السفير بينه وبينهم ابراهيم كتخدا المذكور فكان هو عبارة عنه وربما نقض القضايا التي انبرم أمرها عند ابراهيم بك أو غيره بنفسه أو عن لسان مخدومه، وأقام المترجم على عزلته بالبر الغربي نحو الست سنوات متوالية لا يعدى الى البر الشرقي أبداً ولا يحضر الديوان ولا يتردد الى ااقران، وإذا حضر الباشا المولى على مصر ووصل الى بر انبابة ركب وسلم عليه مع الأمراء ورجع الى قصره فلا يراه بعد ذلك أبداً. وتعاظم في نفسه وتكبر على أقرانه وأبناء جنسه فتزاحمت على سدته الطلاب وتكالبت على جيفته الكلاب فانزوى من نبشهم وتوارى من نهشهم، فإذا بلغه قدوم من يختشيه أو وصول من يرتجيه وكان يستحي من رده أو يخشى عاقبة صده ركب في الحال وصعد الى الجبال وربما وصله الغريم على غفلة، فيجده قد شمع الفتلة، فإن صادفه واجتمع عليه أعطاه ما في يديه أو وعده بالخير أو وهبه ملك الغير فما يشعر الميسور إلا ولقمته قد اختطفتها النسور.
ثم أخذ يعبث بدواوين الأعشار والمكوسات والبهار فيحول عليهم الحوالات ويتابع لمماليكه ختم الوصولات فتجاذب هو وابراهيم بك ذلك الإيراد وتعارضت أوراقهما وخافا في المعتاد ثم اصطلحا على أن تكون له الدواوين البحرية ولقسيمه ما يرد من الأصناف الحجازية وما انضاف الى قلم البهار وحسب في دفاتر التجار فانفرد كل منهما بوظيفته وفعل بها من الإجحاف ما سطر في صحيفته فأحدث المترجم ديواناً خاصاً بنفر رشيد على الغلال التي تحمل الى بلاد الافرنج وسموه ديوان البدعة وأذن ببيع الغلال لمن يحملها الى بلاد الإفرنج أو غيرها وجعل على كل أردب ديناراً خلاف البراني والتزم بذلك رجل سراج من أعوانه الموصوفين بالجور وسكن برشيد وبقيت له بها وجاهة وكلمة نافذة فجمع من ذلك أموالاً وإيراداً عظيماً وكانت هذه البدعة السيئة من أعظم أسباب قوة الفرنسيس وطمعهم في الإقليم المصري مع ما أضيف الى ذلك من أخذ أموالهم ونهب تجاراتهم وبضاعاتهم من غير ثمن واقتدى به أمراؤه وتناظروا في ذلك وفعل كل منهم ما وصلت إليه همته واستخرجته فطنته واختص بالسيد محمد كريم الاسكندري ورفع شأنه بين أقرانه فمهد له الأمور بالثغر به وأجرى أحكامه به وفتح له باب المصادرات والغرامات ودله على مخبآت الأمور وأخذ أموال التجار من المسلمين وأجناس الإفرنج حتى تجسمت العداوة بين المصريين والفرنسيس وكان هو من أعظم الأسباب في تملك الفرنسيس للثغر كما ذكر ذلك في قتلته وذلك أنه لما خرجت

مراكب الفرنساوية وعمارقم لا يدري أحد لأي جهة يقصدون تبعهم طائفة الانكليز الى الاسكندرية فلم يجدوهم وكانوا ذهبوا أولاً الى جهة مالطة فوقف الانكليزية قبالة الاسكندرية وأرسلوا قاصدهم الى الثغر يسألون عن خبر الفرنساوية فردهم الكذور رداً عنيفاً فأخبروه الخبر على جليته وأنهم أخصامهم وعلموا بخروجهم فاقتفوا أثرهم ونريد منكم أن تعطونا الماء والزاد بثمنه ونقف لهم على ظهر البحر فلا نمكنهم من العبور الى ثغركم فلم يقبل منهم و لم يأذن في تزويدهم فذهبوا ليتزودوا من بعض الثغور فما هو إلا أن غابوا في البحر نحو الأربعة أيام إلا والفرنسيس قد حضروا وكان ما كان.

ومما سولت به نفس المترجم بإرشاد بعض الفقهاء عمارة جامع عمرو ابن العاص وهو الجامع العتيق وذلك أنه لما خرب هذا الجامع بخراب مدينة الفسطاط وبقيت تلالاً وكيماناً وخصوصاً ما قرب من ذلك الجامع و لم يبق بها بعض العمار إلا ما كان من الأماكن التي على ساحل النيل وخربت في دولة القزدغلية وأيام حسن باشا لما سكنتها عساكره و لم يبق بساحل النيل إلا بعض أماكن جهة دار النحاس وفم الخليج يسكنها أتباع الأمراء ونصارى المكوس وبها بعض مساجد صغار يصلي بها السواحلية والنواتية وسكان تلك الخطة من القهوجية والباعة والجامع العتيق لا يصل إليه أحد لبعده وحصوله بين الأتربة والكيمان وكان فيما أدركنا الناس يصلون به آخر جمعة في رمضان فتجتمع به الناس على سبيل التسلي من القاهرة ومصر وبولاق وبعض الأمراء أيضاً والأعيان ويجتمع بصحنه أرباب الملاهي من الحواة والقراداتية وأهل الملاعب والنساء الراقصات المعروفات بالغوازي فبطل ذلك أيضاً من نحو ثلاثين سنة لهدمه وخراب ما حوله وسقوط سقفه وأعمدته وميل شقته اليمنى بل وسقوطها بعد ذلك فحسن ببال المترجم هذه وتجديده بإرشاد بعض الفقهاء ليرقع به دينه الخلق فاهتم لذلك وقيد به نديمه الحاج قاسم المعروف بالمصلي فجعله مباشراً على عمارته وصرف عليه أموالاً عظيمة أخذها من غير حلها ووضعها في غير محلها وأقام أركانه وشيد بنيانه ونصب أعمدته وكمل زخرفته وبنى به منارتين وجدد جميع سقفه بالخشب النقي وبيضه جميعه فتم على أحسن ما يكون وفرشه بالحصر الفيومي وعلق به القناديل وحصلت به الجمعية آخر جمعة برمضان سنة اثنتي عشرة ومائتين وألف فحضر الأمراء والأعيان والمشايخ وأكابر الناس وعامتهم وبعد انقضاء الصلاة عقد له الشيخ عبد الله الشرقاوي مجلساً وأملى حديث من بنى لله مسجداً وآية إنما يعمر مساجد الله وعند فراغه ألبس فروة من السمور وكذلك الخطيب فلما حضرت الفرنساوية في العام القابل جرى عليه ما جرى على غيره من الهدم والتخريب وأخذ أخشابه حتى أصبح بلقعاً أشوه مما كان فيا ليتها لم تتصدق وبالجملة فمناقب المترجم لا تحصى وأوصافه لا تستقصى وهو كان من أعظم الأسباب في خراب الإقليم المصري بما تجدد منه ومن مماليكه وأتباعه من الجور والتهور ومسامحته لهم فلعل الهم يزول بزواله.

ومات الأمير حسن بك الجداوي مملوك علي بك وهو من خشداشين محمد بك أبي الذهب مات بغزة بالطاعون وكان من الشجعان الموصوفين والأبطال المعروفين ولما انفرد علي بك بمملكة مصر ولاه إمارة جدة فلذلك لقب بالجداوي وذلك سنة أربع وثمانين ومائة وألف وابتلي فيها بأمور ظهرت بها شجاعته وعرفت فروسيته ولذلك خير يطول شرحه ولما حصلت الوحشة بين اسمعيل بك والمحمديين كان المترجم ممن نافق معه وعضده هو وخشداشينه رضوان بك وعبد الرحمن بك وكانت لهم الغلبة ونما أمره عند ذلك وظهر شأنه بعد أن كان خمل ذكره وهو الذي تجاسر على قتل يوسف بك في بيته بين مماليكه

وعزوته ثم خامر على اسمعيل بك وانقلب مع المحمديين عندما خرج لمحاربتهم بالصعيد فخادعوه وراسلوه وانضم إليهم بمن معه ورجعوا الى مصر وفر اسمعيل بك بمن معه الى الشام واستقر هو وخداشينه في مملكة مصر مشاركين لهم مظهرين عليهم الشمم طامعين في خلوص الأمر لهم متوقعين بهم الفرصة مع التهور الموجب لتحذر الآخرين منهم الى أن استعجلوا إشعال نار الحرب فجرى ما جرى بينهم من الحروب والمحاصرة بالمدينة وانجلت عن خذلانهم وهزيمتهم وظهور المحمديين عليهم وقتل بها عدة من أعيانهم ومواليهم ومن انضم إليهم وربما عوقب من لا جناية له كما سطر ذلك في محله وفر المترجم مع بعض من بقي من عشيرته الى القليوبجية فقبض عليه وأتى به أتى مصر ففر الى بولاق بمفرده والتجأ الى بيت الشيخ الدمنهوري فأحاط به العساكر فنط من سطح الدار وخلص الى الزقاق وسيفه مشهور في يده فصادف جندياً فقتله وأخذ فرسه فركبه وفر والعساكر خلفه تريد أخذه وتتلاحق به من كل جهة وهو يراوغهم ويقاتلهم حتى خلص الى بيت ابراهيم بك فأمنه واتفقوا على إرساله الى جدة فلما أقلع به في القلزم أمر رئيس المركب أن يذهب به الى القصير وخوفه القتل إن لم يفعل فذهب به الى القصير فتوجه منها الى أسنا وعلمت به عشيرته وخشداشينه ومماليكه فتلاقوا به واستقر أمرهم بها بعد وقائع يطول شرحها فأقام نيفاً وعشر سنين حتى رجع إليهم اسمعيل بك بعد غيبته الطويلة وانضم إليهم واصطلح معهم الى أن كان ما كان من وصول حسن باشا الى الديار المصرية وإخراج المحمديين وإدخاله للمذكور مع اسمعيل بك ورضوان بك وأتباعهم وتأميرهم بمصر واستقرارهم بها بعد رجوع حسن باشا الى بلاده ووقوع الطاعون الذي مات به اسمعيل بك ورضوان بك وغيرهم من الأمراء فاستقل بمن بقي من الأمراء وفعل معهم من التهور والحمق والشر ما أوجب لهم بغض النعيم والحياة معه وخامر عليه من كان يأمن إليه فلم يسعه ومن معه إلا الفرار ورضي ذاك لنفسه بالذل والعار ودخلت المحمديون الى مصر المحمية واستقر هو كما كان بالجهة القبلية فأقام على ذلك سبع سنين وبعض أشهر الى أن وقعت حادثة الفرنسيس واستولوا على الإقليم المصري وحضرت العساكر بصحبة الوزير يوسف باشا ووقع ما وقع من الصلح ونقضه وانحصر المترجم مع من انحصر بالمدينة المصرلية والعثمانية فقاتل وجاهد وأبلى بلاء حسناً شهد له بالشجاعة والإقدام كل من العثمانية والفرنساوية والمصرلية فلما انفصل الأمر وخرجوا الى الجهة الشامية لم يزل محرصاً ومرابطاً ومجتهداً حتى مات بالطاعون في هذه السنة وفاز بالشهادتين وقدم على كريم يغفر الذنوب جميعاً أنه هو الغفور الرحيم وأمراؤه الموجودون الآن عثمان بك المعروف بالحسيني وأحمد بك أمره الوزير عوضاً عن أستاذه.

ومات الأمير عثمان بك المعروف بطبل وهو من مماليك اسمعيل بك أمره في سنة اثنتين وتسعين ثم خرج مع سيده وتغرب معه في غيبته الطويلة فلما رجع الى مصر في أيام حسن باشا تولى إمارج الحج في سنة خمس ومائتين وألف وكان سيده يقدمه على أقرانه ويظن به النجاح ولما طعن وعلم أنه مفارق الدنيا أحضره وأوصاه وحذره من أعدائه وقال له إني حصنت لك مصر وسورتها وصيرتها بحيث تملكها بنت عمياء فلما مات سيده تشوق للإمارة حسن بك الجداوي وعلي بك الدفتردار فلم يرض كل منهما بالآخر وتخوفا من بعضهما فاتفق رأيهما على تأمير عثمان بك المذكور كبيراً عوضاً عن سيده وسكن داره وعقدوا الدواوين عنده فتزل عن إمارة الحج لحسن بك تابع حسن بك قصبة رضوان واشتغل هو بأمور الدولة ومشيخة مصر فلم يفلح وخامر مع أخصامه وأخصام سيده والتف عليهم سراً وصدق تمويهاتهم وخذل نفسه ودولته وذلك غيظاً من حسن بك كما

سبقت إليه الإشارة وكل من حسن بك وعثمان بك الجداوي وعلي بك الدفتردار يتخوف نفاق صاحبه لتكرر ذلك منهما في الوقائع السابقة وانحراف طبع كل عن صداقة الآخر الباطنية و لم يخطر ببالهما بل ولا ببال أحد من المجانين فضلاً عن العقلاء ركون المشار إليه الى أعدائه وأعداء سيده العداوة الموروثة فكانا كلما شرعا في تدبير شيء من مكايد الحرب ثبطهما وأقعدهما وهما يظنان نصحه وقعتقدان خلوصه ومعرفته ولكونه تعلم سياسة الحروب من سيده لكثرة تجاربه وسياحته و لم يعلما أنه يمهد لنفسه طريقاً مع الأعداء الى أن كان ما كان من مساعدته لهم بالتغافل والتقاعد حتى تحولوا الى الجهة الشرقية وخص إليهم بمن انضم إليه من عشيرته فلم يسع الباقين إلا الهرب وأسلم هو نفسه لأعدائه فأظهروا له المحبة وولوه إمارة الحج حكم عهدهم بذلك وأن تكون له إمارة الحج مادام حياً فخرج في تلك السنة أميراً على الحج أعني سنة ست ومائتين وألف وكذلك سنة سبع ونهب الحج في تلك السنة وفر المترجم الى غزة فصودرت زوجاته واقتسمت أقطاعه ورجع بعد حين الى مصر وأهمل أمره وأقام بطالاً واستمر كآحاد الطائفة من الأجناد ويغدو ويروح إليهم ويرجو رفدهم الى أن حدثت حادثة الفرنسيس فخرج مع من خرج الى الشام و لم يزل هناك حتى مات بالطاعون في السنة المذكورة وكان دائماً يقول عند تذكره الدولة والنعيم ذلك تقدير العزيز العليم.

ومات الأمير عثمان بك المعروف بالشرقاوي وهو من مماليك محمد بك أبي الذهب أيضاً الكبار وتأمر في أيامه وعرف بالشرقاوي لكونه تولى الشرقية ووقع منه ظلم وجبروت بعد موت أستاذه وصادر كثيراً من الناس في أموالهم ثم انكف عن ذلك وزعم أن ذلك كان بإغراء مقدمه فشهره وقتله و لم يزل في إمارته حتى مات في الشام بالطاعون.

ومات أيوب بك الكبير وهو أيضاً من مماليك محمد بك وكان من خيارهم يغلب عليه حب الخير والسكون ويدفع الحق لأربابه وتأمر على الحج وشكرت سيرته واقتنى كتباً نيسة واستكتب الكثير من المصاحف والكتب بالخطوط المنسوبة وكان لين الجانب مهذب النفس يحب أهل الفضائل ذا ثروة وعزوة وعفة لا يعرف إلا الجد ويجتنب الهزل ويلوم ويعترض على خشداشينه في أفعالهم ولا يعجبه سلوكهم ولا يهمل حقاً توجه عليه وإذا ساوم شيئاً وقال له البائع هذا بعشرة يقول له بل هو بخمسة مثلاً وهذا ثمنها حالاً وقد يكون ذلك رأس مالها أو بزيادة قليلة ويرضي البائع بذلك ويقبض الثمن في المجلس وهكذا كان شأنه وطريقته.

ومات الأمير مصطفى بك وهو أيضاً من مماليك محمد بك تولى الصعيد وإمارة الحج عدة مرار وكان فظاً غليظاً متمولاً بخيلاً شحيحاً في إمارته على الحج ترك زيارة المدينة لخوفه من العرب وشحه بعوائدهم وقلة اعتنائه بشعائر الدين وانتقد ذلك على المصريين من الدولة وغيرها وكان ذلك من أعظم ما اجترحه من القبائح.

ومات الأمير سليمان بك المعروف بالآغا توفي بأسيوط بالطاعون وهو أيضاً من مماليك محمد بك الكبير وهو أخو ابراهيم بك المعروف بالوالي صهر ابراهيم بك الكبير وهو الذي مات غريقاً في وقعة الفرنسيس الأولى بإنبابة مدبراً فاراً فسقط في البحر وغرق وكان هو وأخوه المترجم قبل تقلدهما الصنجقية أحدهما والي الشرطة والآخر أغات مستحفظان فلم يزالا يلقبان بذلك حتى ماتا وكان المترجم محباً لجمع المال وله أقطاع واسعة خصوصاً بجهة قبلي وفي آخر أمره استوطن أسيوط لأنها كانت في أقطاعه وبنى بها قصراً عظيماً وأنشأ بعض بساتين وسواقي واقتنى أبقاراً وأغناماً كثيرة ومما اتفق له أنه جز صوف الأغنام

وكانت أكثر من عشرة آلاف ثم وزعه على الفلاحين وسخرهم في غزله بعد أن وزنه عليهم ثم وزعه على القزازين فنسجوه أكسية ثم جمع التجار وباعه عليهم بزيادة عن السعر الحاضر فبلغ ذلك مبلغاً عظيماً.

ومات الأمير قائد آغا وهو من مماليك محمد بك أيضاً وكان يلقب أيام كشوفيته بقائد نار لظلمه وتجبره وولي أغات مستحفظان في سنة ثمان وتسعين ومائة وألف فأخاف العامة وكان يتنكر ويتزيا بأشكال مختلفة ويتجسس على الناس وذلك أيام خروج ابراهيم بك الى قبلي ووحشته من مراد بك وانفراد مراد بك بإمارة مصر فلما تصالحا ورجع ابراهيم بك رد الأغاوية لعلي بك فحنق المترجم لذلك وقلق قلقاً عظيماً وترامى على الأمراء وصار يقول إن لم يردوا لي منصبي قتلت علي آغا أو قتلت نفسي فلما حصل منه ذلك عزلوا علي آغا وقلدوا سليم آغا أمين البحرين أغاوية مستحفظان و لم يبلغ غرضه و لم ترض نفسه بالخمول وأكثر عنده من الأعوان والأتباع فيحضرون بين يديه الشكاوى والدعاوى ويضرب الناس ويحبسهم ويصادرهم في أموالهم ويركب وبين يديه العدة الوافرة من القواسة والخدم يحملون بين يديه الحراب والقرابين والبنادق وخلفه الكثير من الأجناد والمماليك واتخذ له جلساء وندماء يباسطونه ويضاحكونه و لم يزل كذلك حتى خرج مع عشيرته الى الصعيد عند حضور حسن باشا فاستولى على كثير من حصص الأقطاع فلما رجعوا في أواخر سنة خمس بعد المائتين سكن دار جوهر آغا دار السعادة سابقاً بالخرنقش وقد كان مات في الطاعون وتزوج سريته قهراً واستكثر من المماليك والجند وتاقت نفسه للإمارة وتشوف الى الصنجقية وسخط على زملائه والأمراء الذين لم يلبوا دعوته و لم يبلغوه أمنيته وصارت جلساؤه وندماؤه لا يخاطبونه إلا بالإمارة ويقولون له يا بك ويكره من يخاطبه بدون ذلك وكان له من الأولاد الذكور اثنا عشر ولداً لصلبه يركبون الخيول ماتوا في حياته وكان له أخ من أقبح خلق الله في الظلم اتخذ له أعواناً وأتباعاً وليس عنده ما يكفيهم فكان يخطف كل ما مر بخطته بباب الشعرية من قمح وتين وشعير وغير ذلك ولا يدفع له ثمناً هلك قبله بنحو ست سنين بناحية قبلي وأتوا بجيفته الى مصر مقرفصاً ودفن بمدفن أخيه بتربة المجاورين ومن جملة أفاعيله القبيحة أنه كان يجرد سيفه ويضرب رقاب الحمير ويزعم أنه يقطعها في ضربة واحدة و لم يزل المترجم أخوه على حالته حتى خرج من مصر عند مجيء الفرنسيس وعاد بصحبة عرضي العثملي ومات قاسم بك مع من مات من الأمراء والصناجق بالشام فقلده الوزير الصنجقية فيمن تقلد وأدرك أمنيته فأقام قليلاً وهلك فيمن هلك بالطاعون فكان كما قال القائل فكان كالمتمني أن يرى فلقاً من الصباح فلما آن رآه عمي.

ومات أيضاً حسن كاشف المعروف بجركس وهو أيضاً من مماليك محمد بك وإشراق عثمان بك الشرقاوي وكان من الفراعنة وهو الذي عمر الدار العظيمة بالناصرية وصرف عليها أموالاً عظيمة فما هو إلا أن تمم بناءها و لم يكمل بياضها حتى وصلت الفرنسيس فسكنها الفلكيون والمدبرون وأهل الحكمة والمهندسون فلذلك صينت من الخراب كما وقع بغيرها من الدور لكون عسكرهم لم يسكنوا بها وتقلد المذكور الصنجقية بالشام أيضاً ثم هلك بالطاعون.

ومات الأمير حسن كتخدا المعروف بالجربان بالشام أيضاً وأصله من مماليك حسن بك الأزبكاوي وكان ممتهناً في المماليك فسموه بالجربان لذلك فلما قتل أستاذه بقي هو لا يملك شيئاً فجلس بحانوت جهة الأزبكية يبيع فيها تنباكاً وصابوناً ثم سافر الى المنصورة فأقام بها مدة تحت قصر محمود جربجي ثم رجع الى مصر في أيام دولة علي بك وتنقلت به الأحوال فأنعم عليه

علي بك بآمرية بناحية قبلي فلما حصلت الوحشة بين علي بك ومحمد بك وخرج محمد بك من مصر الى قبلي خرج إليه المترجم ولاقاه وقدم بين يديه ما كان عنده من الخيام واليرق والخيول وانضم إليه ولم يزل حتى تملك محمد بك واستوزر اسمعيل آغا الجلفي وكان يبغض المترجم لأمور بينهما فلم يزل حتى أوغر عليه صدر مخدومه وأدى به الحال الى الإقصاء والبعد الى أن انضم الي مراد بك وتقرب منه وكان مفوهاً ليناً مشاركاً قد حنكته الأيام والتجارب فجعله كتخداه ووزيره واشتهر ذكره وعمر داراً بناحية باب اللوق بالقرب من غيط الطواشي وصار من الأعيان المعدودين وقصدته أرباب الحاجات واحتجب في غالب الأوقات واتحد به محمد آغا البارودي فقربه من مراد بك وبلغ الى ما بلغ معه وكان يعتري المترجم مرض شبيه بالصرع فينقطع به أياماً عن السعي والركوب ولم يزل حتى مات مع من مات بالشام.

ومات الأمير قاسم بك المعروف بالموسقو وكان من مماليك ابراهيم بك وكان لين الجانب قليل الأذى إلا أنه كان شيخاً لا يدفع حقاً توجه عليه ولما مات خشداشه حسن بك الطحطاوي تزوج بزوجته وشرع في بناء السبيل المجاور لبيته بحارة قوصون بالقرب من الداودية فما قرب إتمامه إلا وقد قدمت الفرنسيس لمصر فخربوه وشعثوا بنيانه وخرقوا حيطانه وأخذوا عواميده وبقي على حالته مثل ما فعلوه بدور تلك الخطة وغيرها ومات أيضاً المترجم بالشام.

ومات علي آغا كتخدا الجاويشية وهو من مماليك الدمياطي ونسب الى محمد بك وأخيه ابراهيم بك ورقاه واختص به ووالاه أغات مستحفظان في سنة اثنتين وتسعين ومائة وألف فلم يزل الى سنة ثمان وتسعين فخرج مع ابراهيم بك الى المنية عندما تغاضب مع مراد بك فلما تصالحا قلد الأغاوية كما كان فحنق قائد آغا وكان ما كان من عزله وولاية سليم آغا كما سبق الإلماع بذلك عند ذكر قائد آغا ثم تقلد كتخدا الجاويشيه في سنة ست ومائتين وألف ولم يزل متقلداً ذلك حتى خرج مع من خرج في حادثة الفرنسيس وكان ذا مال وثروة مع مزيد شح وبخل واشترى دار عبد الرحمن كتخدا القازدغلي العظيمة التي بحارة عابدين وسكنها وليس له من المآثر إلا السبيل والكتاب الذي أنشأه بجوار داره الأخرى بدرب الحجر وهو من أحسن المباني وقد حماه الله من تخريب الفرنسيس وهو باق الى يومنا هذا ببهجته ورونقه.

ومات الأمير يحيى كاشف الكبير وهو من مماليك ابراهيم بك الأقدمين وكان لطيف الطباع حسن الأوضاع وعنده ذوق وتودد عطاردياً يحسب الرسومات والنقوش والتصاوير والأشكال ودقائق الصناعات والكتب المشتملة على ذلك مثل كليلة ودمنة والنوادر والأمثال واهتم في بناء السبيل المجاور لداره بخطة عابدين فرسم شكله قبل الشروع فيه في قرطاس بمعونة الأسطا حسن الخياط ثم سافر الى الاسكندرية وأحضر ما يحتاجه من الرخام والأعمدة المرمر الكبيرة والصغيرة وأنواع الأخشاب وحفر أساسه وأحكم وضعه واستدعى الصناع والمرخمين فتأنقوا في صناعته ونقش رخامه على الرسم الذي رسمه لهم كل ذلك بالحفر بالآلات في الرخام وموهوه بالذهب فما هو إلا أن ارتفع بنيانه وتشيدت أركانه وظهر للعيان حسن قالبه وكاد يتم ما قصده من حسن مآربه حتى وقعت حادثة الفرنسيس فخرج مع من خرج قبل إتمامه وبقي على حالته الى الآن ولما خرج سكن داره برطلمين واستخرج مخبأة بين داره والسبيل فيها ذخائره ومتاعه فأوصلها للفرنسيس.

ومات الأمير رشوان كاشف وهو من مماليك مراد بك وكان له أقطاع بالفيوم فكان معظم إقامته بها فاحتكر الورد وما يخرج من مائه والخل المتخذ من العنب والخيش واتجر في هذه البضائع بمراده واختياره وتحكم في الإقليم تحكم الملاك في أملاكهم وعبيدهم وذلك قوة واقتدار.

ومات الأمير سليم كاشف بأسيوط مطعوناً وهو من مماليك عثمان بك المعروف بالجرجاوي من البيوت القديمة وخشداش عبد الرحمن بك عثمان المتوفى في سنة خمس ومائتين وألف بالطاعون الذي مات به اسمعيل بك وخلافه وتزوج ابنته بعد موته وكان ملتزماً بحصة من أسيوط وشرق الناصري واستوطن بأسيوط وبنى بها داراً عظيمة وعدة دور صغار وأنشأ بها عدة بساتين وغرس بها وبشرق الناصري أشجاراً كثيرة وعمر عدة قناطر وحفر ترعاً وصنع جسوراً وأسبلة في مفاوز الطرق وأنشأ داراً بمصر بالمناخلية بسوق الأنماطيين واشترى داراً جليلة كانت لسليمان بك المعروف بأبي نبوت بحارة عابدين وعمرها وزخرفها وأنشأ بأسيوط جامعاً عظيماً ومكتباً فما هو إلا أن أكمل بنيانه حتى قدمت الفرنسيس فاتخذوه سجناً يسجنون به ثم لما قابل المذكور الفرنسيس وأمنوه أخذ في إصلاح ما تشعث من البناء وتقيم العمارة و لم يساعده الوقت إذ ذاك لقلة الأخشاب وآلات البناء فاشتغل بذلك على قدر طاقته فلما فرغ البناء وقارب التمام و لم يبق إلا اليسير وقع الطاعون بأسيوط فمات والمسجد باق على ما هو عليه الآن وهو من المباني العظيمة المزخرفة على هيئة مساجد مصر وكان المذكور ذا بأس وشدة وإقدام وشجاعة وتهور مشابه لحسن بك الجداوي في هذه الفعال وموائده مبسوطة وطعامه مبذول وداره بأسيوط مقصداً للوارد والقاصد والصادر من الأمراء وغيرهم وله إغداقات وصدقات وأنواع من البر ومحبة في العمارة وغراس الأشجار واقتناء الأنعام وكان متزوجاً بثلاث زوجات إحداهن ابنة سيده عثمان بك توفيت بعصمته والثانية ابنة خشداشه عبد الرحمن المذكور آنفاً والثالثة زوجة علي كاشف المعروف بجمال الدين وكان ذا بأس وله صولة وظلم وتجاوزو على سفك الدماء فبذلك خافته عرب الناحية وأهل القرى وقاتل العرب مراراً وقتل منهم الكثير وبسكناه بأسيوط كثرت عمارتها وأمنت طرقها براً وبحراً واستوطنها الكثير من الناس لحمايتها وعدم صولة أحد على أهلها وله مهاداة مع الأمراء المصرية وأرباب الحل والعقد بها والمتكلمين عندهم فيرسل إليهم الغلال والعبيد والجواري السود والطواشية وغير ذلك وله عدة مماليك بيض وسود أعتق كثيراً من جملتهم عزيرتا الأمير أحمد كاشف المعروف بالشعراوي رقيق حواشي الطبع مهذب الأخلاق ذو فروسية في ركوب الخيل ومحبة في العلماء واللطفاء وهو من جملة محاسن سيده.

ومات كل من الأمير باكير بك والأمير محمد بك تابع حسين بك كشكش كلاهما بالشام ومات غير هؤلاء ممن لم تحضرني أسماؤهم.

واستهلت سنة ست عشرة ومائتين وألف بيوم الخميس

وباستهلالها خف أمر الطاعون وفي ليلة الجمعة تلك أرسل عبد العال الآغا وأحضر الشيخ محمد الأمير ليلاً الى مترله فبيته عنده ولما أصبح النهار طلع به الى القلعة وحبسه عند المشايخ بجامع سارية والسبب في ذلك أن ولد الشيخ المذكور كان من جملة من يستحث الناس على قتال الفرنسيس في الواقعة السابقة بمصر، فلما انقضت هرب الى جهة بحري ثم حضر بعد مدة الى مصر فأقام أياماً ثم رجع الى قوة بإذن من الفرنسيس، فلما حصلت هذه الحركة وتحذروا شدة التحذر وآخذوا الناس بأدنى شبهة، وتقرب إليهم المنافقون بالتجسس والإغراء ذكر بعضهم ذلك لقائمقام، وأدخل في مسامعه أن ابن الشيخ المذكور ذهب الى عرضي الوزير والتف عليهم، فأرسل قائمقام الى الشيخ قبل تاريخه، فلما حضر سأله عن ولده المذكور فأخبره أنه مقيم بفوة، فقال له: لم يكن هناك وإنما هو عند القادمين، قال له: لم يكن ذلك وإن شئتم إرسلت إليه بالحضور، فقال له: أرسل إليه وأحضره، فقام من عنده على ذلك وأمهله ثمانية أيام مدة مسافة الذهاب والمجيء، ثم خاطبه على لسان وكيل الديوان أيضاً فوعده بحضوره أو حضور الجواب بعد يومين، واعتذر بعدم أمن الطريق فلما انقضى اليومان أمروا عبد العال بطلبه وإصعاده الى القلعة ففعل.

وفيه حضر جملة من عساكر الفرنساوية من جهة بحري وتواترت الأخبار بوصول القادمين من الانكليز والعثمانية الى الرحمانية وتملكهم القلعة ومابالقرب منها من الحصون الكائنة بالعطف وغيره، وذلك يوم السبت خامس عشرين الحجة.

وفيه حضرت زوجة ساري عسكر كبير الفرنسيس بصحبة أخيها السيد علي الرشيدي أحد أعضاء الديوان وكان خرج بها من رشيد حين ما ملكها القادمون، ونزل بها في مركب وأرسى بها قبالة الرحمانية، فلما حصلت واقعة الرحمانية وأخذت قلعتها حضر بها الى مصر بعد مشقة وخوف من العربان وقطاع الطريق وغير ذلك، فأقامت هي وأخوها ببيت الألفي بالأزبية نحو ثلاثة أيام ثم صعدا الى القلعة.

وفيه قربت العساكر القادمة من الجهة الشرقية وحضرت طوالعهم الى القليوبية والمنير والخانكة لأخذ الكلف، فتأهب قائمقام بليار للقائهم وأمر العساكر بالخروج من أول الليل، ثم خرج هو في آخر الليل، فلما كان يوم الأحد رابعه رجع قائمقام ومن معه ووقع بينه وبينهم مناوشة، فلم يثبت الفرنسيس لقلتهم ورجعوا مهزومين وكتموا أمرهم و لم يذكروا شيئاً.

وفي خامسه رفعوا الطلب عن الناس بباقي نصف المليون وأظهروا الرفق بالناس والسرور بهم لعدم قيامهم عند خروجهم للحرب وخلوا البلدة منهم وكان يظنون منهم غير ذلك.

وفيه أخذت جملة من عدد الطواحين وأصعدت الى القلعة وأكثروا من نقل الماء والدقيق والأقوات إليها وكذلك البارود والكبريت والجلل والقنابر والبنب، ونقلوا ما في الأسوار والبيوت من الأمتعة والفرش والأسرة وحملوه إليها و لم يبقوا بالقلاع الصغار إلا مهمات الحرب.

وفيه طلبوا الزياتين وألزموهم بمائتي قنطار شيرج وسمروا جملة من حوانيتهم، وخرج جماعة من الجزارين لشراء الغنم من القرى القريبة، فقبض عليهم عساكر العثمانية القادمة ومنعوهم من العود بالغنم والبقر، وكذلك منعوا الفلاحين الذين يجلبون الميرة

والأقوات الى المدينة. فانقطع الوارد من الجهات البحرية والقليوبية وعزت الأقوات وشح اللحم والسمن جداً، وأغلقت حوانيت الجزارين، واجتهد الفرنساوية في وضع متاريس خارج البلد من الجهة الشرقية والبحرية وحفروا خنادق وطلبوا الفعلة للعمل فكانوا يقبضون على كل من وجدوه ويسوقونهم للعمل، وكذلك فعلوا بجهة القرافة وألقوا الأحجار العظيمة والمراكب ببحر انبابة لتمنع المراكب من العبور وابتدأوا المتاريس البحرية من باب الحديد ممدودة الى قنطرة الليمون الى قصر إفرنج أحمد الى السبتية الى مجرى البحر.

وفي ثامنه بعث قائمقام بليار فأحضر التجار وعظماء الناس وسألهم عن سبب غلق الحوانيت فقالوا له من وقف الحال والكساد والجلاء والموت، فقال لهم: من كان موجوداً حاضراً فألزموه بفتح حانوته وإلا فأخبروني عنه، ونزلت الحكام فنادت بفتح الحوانيت والبيع والشراء.

وفي عاشره شرعوا في هدم جانب من الجيزة من الجهة البحرية، وقربت عساكر الانكليز القادمة من البر الغربي الى البلد المسماة بنادر عند رأس ترعة الفرعونية.

وفيه تواترت الأخبار بأن العساكر الشرقية وصلت أوائلها الى بنها وطحلا بساحل النيل، وأن طائفة من الانكليز رجعوا الى جهة اسكندرية، وأن الحرب قائم بها، وأن الفرنساوية محصورون بداخل الاسكندرية والانكليز ومن معهم من العساكر يحاربون من خارج وهي في غاية المنعة والتحصين، وأن الانكليز بعد قدومهم وطلوعهم الى البر ومحاربتهم لهم المرات السابقة أطلقوا الحبوس عن المياه السائلة من البحر المالح منه الى الجسر المقطوع حتى سالت المياه وعمت الأراضي المحيطة بالاسكندرية وأغرقت أطياناً كثيرة وبلاداً ومزارع، وأنهم قعدوا في الأماكن التي يمكن الفرنسيس النفوذ منها بحيث أنهم قطعوا عليهم الطرق من كل ناحية.

وفي ثاني عشره نزلت امرأة من القلعة بمتاعها واختفت بمصر فأحضر الفرنسيس حكام الشرطة وألزموهم بإحضارها، وهذه المرأة اسمها هوى كانت زوجة لبعض الأمراء الكشاف. ثم أنها خرجت عن طورها وتزوجت نقولا وأقامت معه مدة، فلما حدثت هذه الحوادث جمعت ثيابها واحتالت حتى نزلت من القلعة وهي على حمار ومتاعها محمول على حمار آخر فنزلت عند بعض العطف وأعطت المكارية الأجرة وصرفتهم من خارج واختفت، فلما وقع عليها التفتيش وأحضروا المكارية، قالوا: لا نعلم غير المكان الذي أنزلناها به وأعطتنا الأجرة عنده. فشددوا على المكارية ومنعوهم من السروح وقبضوا على أهل الحارة وحبسوهم، ثم أحضروا مشايخ الحارات وشددوا عليهم وعلى سكان الدور وأعلموهم أنه إن وجدت المرأة في حارة من الحارات و لم يخبروا عنها نهبوا جميع دور الحارة وعاقبوا سكانها، فحصل للناس غاية الضجر والقلق بسبب اختفائها وتفتيش أصحاب الشرطة، وخصوصاً عبد العال فإنه كان يتنكر ويلبس زي النساء ويدخل البيوت بحجة التفتيش عليها فيزعج أرباب البيوت والنساء ويأخذ منهن مصالح ومصاغاً ويفعل ما لا خير فيه ولا يخشى خالقاً ولا مخلوقاً.

وفي خامس عشره، قبضوا على ألطون أبي طاقية النصراني القبطي وحبسوه بالقلعة وألزموه بمبلغ دراهم تأخرت عليه من حساب البلاد.

وفي سادس عشره أفرجوا عن محمد أفندي يوسف ونزل الى بيته وكذلك الشيخ مصطفى الصاوي لمرضه.

وفيه انقضت دعوة تهمة الشيخ خليل البكري، ومحصلها أن خادم مملوكه ذهب عن لسان المملوك الى بليار قائمقام وأخبره أنه وصل الى أستاذه الشيخ خليل البكري المذكور فرمان من عرضي الوزير بالأمان، وكان هذا بإغراء عبد العال ليوقعه في الوبال ويحرك عليه الفرنسيس لحزازة بينه وبينه، فلما حضر الشيخ خليل على عادته عند قائمقام سأله عن ذلك. فجحده فأحضروا الخادم الذي بلغ ذلك فصدق على ذلك وأسند الى المملوك سيده فأحضروا المملوك وسألوه، فقال نعم، فقالوا له وأين الفرمان، فقال قرأه وقطعه، فقال الفرنساوية وكيف يقطعه هذا دليل الكذب لأنه لا يصح أن يتلقاه بالقبول ثم يقطعه، فقيل له ومن أتى به، قال فلان، فألزموا الشيخ بإحضار ذلك الرجل وحبس المملوك عند عبد العال يومين، وحضر الرجل فسألوه فجحد و لم يثبت عليه وظهر كذب الغلام والخادم، فعند ذلك طلب الشيخ غلامه فقال قائمقام إن قصاصه في شريعتنا أن يقطع لسانه، فتشفع فيه سيده وأخذه بعد أمور وكلام قبيح قاله الغلام في حق سيده.

وفيه حضر حسين كاشف اليهودي الى قائمقام وأخبره أن الأمراء الذين بالصعيد خرجوا عن طاعة الفرنساوية وردوا مكاتبتهم التي أرسلوها لهم بعد موت مراد بك، وأنهم مروا وتوجهوا الى بحري من البر الغربي وعثمان بك الأشقر ذهب من خلف الجبل الى جهة الشرق، فلما حصل ذلك ركب قائمقام وذهب للست نفيسة وأمنها وطيب خاطرها وأخبرها أنها في أمان هي وجميع نساء الأمراء والكشاف والأجناد ولا مؤاخذة عليهن بما فعله رجالهن.

وفي عشرينه، توكل رجل قبطي يقال له عبد الله من طرف يعقوب بجمع طائفة من الناس لعمل متاريس، فتعدى على بعض الأعيان وأنزلهم من على دوابهم وعسف وضرب بعض الناس على وجهه حتى أسال دمه، فتشكى الناس من ذلك القبطي وأنهوا شكواهم الى بليار قائمقام، فأمر بالقبض على ذلك القبطي وحبسه بالقلعة، ثم فردوا على كل حارة رجلين يأتي بهما شيخ الحارة وتدفع لهما أجرة من شيخ الحارة.

وفيه وردت الأخبار بأن الوزير وصل دجوة.

وفي يوم الإثنين سمع عدة مدافع على بعد وقت الضحوة.

وفي ذلك اليوم قبل العصر طلبوا مشايخ الديوان فاجتمعوا بالديوان وحضر الوكيل والترجمان وطلبهم للحضور الى قائمقام، فلما حصلوا عنده، قال لهم على لسان الترجمان نخبركم أن الخصم قد قرب منا ونرجوكم أن تكونوا على عهدكم مع الفرنساوية وأن تنصحوا أهل البلد والرعية بأن يكونوا مستمرين على سكونهم وهدوهم ولا يتداخلوا في الشر والشغب، فإن الرعية بمنزلة الولد وأنتم بمنزلة الوالد، والواجب على الوالد نصح ولده وتأديبه وتدريبه على الطريق المستقيم التي يكون فيها الخير والصلاح، فإنهم إن داموا على الهدوء حصل لهم الخير ونجوا من كل شر، وإن حصل منهم خلاف ذلك نزلت عليهم النار وأحرقت دورهم ونهبت أموالهم ومتاعهم ويتمت أولادهم وسبيت نساؤهم وألزموا بالأموال والفرد التي لا طاقة لهم بها، فقد رأيتم ما حصل في الوقائع السابقة فاحذروا من ذلك فإنهم لا يدرون العاقبة ولا نكلفكم المساعدة لنا ولا المعاونة لحرب عدونا، وإنما نطلب منكم السكون والهدوء لا غير، فأجابوه بالسمع والطاعة وقولهم كذلك، وقرئ عليهم ورقة بمعنى ذلك، وأمروا الآغا وأصحاب الشرطة بالمناداة على الناس بذلك وأنهم ربما سمعوا ضرب مدافع جهة الجيزة فلا يترعجوا من ذلك فإنه شنك وعيد لبعض أكابرهم، وأن يجتمع من الغد بالديوان الأعيان والتجار وكبار الأخطاط ومشايخ الحارات ويتلى عليهم

ذلك، فلما كان ضحوة يوم الثلاثاء اجتمعوا كما ذكر وحصلت الوصية والتحذير وانتهى المجلس وذهبوا الى محلاهم.

وفي ذلك اليوم أشيع حضور الوزير الى شلقان وكذلك عساكر الانكليز بالناحية الغربية وصلوا الى أول الوراريق.

وفي يوم الجمعة، غايته اجتمع المشايخ والوكيل بالديوان على العدة وحضر استوف الخازندار وترجم عنه رفاييل بقوله إنه يثني على كل من القاضي والشيخ اسمعيل الزرقاني باعتنائهما فيما يتعلق بأمر المواريث وبيت المال والمصالح على التركات المختومة، لأن الفرنساوية لم يبق لهم من الإيراد إلا ما يتحصل من ذلك، والقصد الاعتناء أيضاً بأمر البلاد والحصص التي انحلت بموت أربابها، فلازم أيضاً من المصالحة والحلوان والمهلة في ذلك ثمانية أيام، فمن لم يصالح على الالتزام الذي له فيه شبهة في تلك المدة ضبطت حصته ولا يقبل له عذر بعد ذلك، واعلموا أن أرض مصر استقر ملكها للفرنساوية فلازم من اعتقادكم ذلك وأركزوه في أذهانكم كما تعتقدون وحدانية الله تعالى، ولا يغرنكم هؤلاء القادمون وقربهم، فإنه لا يخرج من أيديهم شيء أبداً وهؤلاء الانكليز ناس خوارج حرامية وصناعتهم إلقاء العداوة والفتن والعثملي مغتر بهم، فإن الفرنساوية كانت من الأحباب الخلص للعثملي فلم يزالوا حتى أوقعوا بينه وبينهم العداوة والشرور، وأن بلادهم ضيقة وجزيرتهم صغيرة ولو كان بينهم وبين الفرنساوية طريق مسلوك من البر لا تمحي أثرهم ونسي ذكرهم من زمان مديد، وتأملوا في شأنهم وأي شيء خرج من أيديهم، فإن لهم ثلاثة أشهر من حين طلوعهم الى البر والى الآن لم يصلوا إلينا، والفرنسيس عند قدومهم وصلوا في ثمانية عشر يوماً، فلو كان فيهم همة أو شجاعة لوصلوا مثل وصولنا، وكلام كثير من هذا النمط في معنى ذلك من بحر الغفلة، ثم ذكر البكري والسيد أحمد الزر وأنه حضر مكتوب من رشيد على يد رجل حناوي لآخر من منية كنانة يذكر فيه أنه حضر الى اسكندرية مراكب وعمارة من فرانسا، وأن الانكليز رجعت إليهم، وأن الحرب قائمة على ظهر البحر، فقال الخازندار يمكن ذلك وليس ببعيد، ثم نقلوا ذلك الى بليار قائمقام فطلب الرجل الراوي لذلك، فأحضر الزر ورجلاً شرقاوياً حلف لهم أنه سمع ذلك بأذنه من الرجل الواصل الى منية كنانة من رشيد.

شهر صفر الخير سنة 1216 استهل بيوم السبت

وفي ذلك اليوم قبل المغرب مشى عبد العال الآغا وشق في شوارع المدينة وبين يديه منادي يقول: الأمن والأمان على جميع الرعايا، وفي غد تضرب مدافع وشنك من الفلا في الساعة الرابعة، فلا تخافوا ولا تترعجوا، فإنه حضرت بشارة بوصول بونابارته بعمارة عظيمة الى الاسكندرية وأن الانكليز رجعوا القهقرى، فلما أصبح يوم الأحد في الساعة الرابعة من الشروق ضربت عدة مدافع وتابعوا ضربها من جميع القلاع، وصعد أناس الى المنارات ونظروا بالنظارات فشاهدوا عساكر الانكليز بالجهة الغربية وصلوا الى آخر الورايق وأول انبابة ونصبوا خيامهم أسفل انبابة، وعند وصولهم الى مضاربهم ضربوا عدة مدافع فلما سمعها الفرنساوية ضرب الآخرون تلك المدافع التي ذكروا أنها شنك وأما العساكر الشرقية فوصلت أوائلهم الى منية الأمراء المعروفة بمنية السيرج والمراكب فيما بينها من البرين بكثرة، فعند ذلك عزت الأقوات وشحت زيادة على قلتها وخصوصاً السمن والجبن والأشياء المجلوبة من الريف، ولم يبق طرق مسلوكة الى المدينة إلا من جهة باب القرافة وما يجلب من جهة البساتين من القمح والتبن، فيأتي ذلك الى عرصة الغلة بالرميلة ويزدحم عليه النساء والرجال بالمقاطف فيسمع لهم ضجة

عظيمة، وشح اللحم أيضاً وغلا سعره لقلة المواشي والأغنام فوصل سعر الرطل تسعة أنصاف والسمن خمسة وثلاثين نصفاً والبصل بأربعمائة فضة القنطار والرطل الصابون بثمانين فضة والسيرج عشرين نصفاً وأما الزيت فلا يوجد البتة وغلت الأبزاز جداً، واتفق الى قصة غريبة وهو أني احتجت الى بعض أنيسون فأرسلت خادمي الى الأبزارية على العادة يشتري لي منه بدرهم فلم يجده وقيل له إنه لا يوجد إلا عند فلان هو يبيع الأوقية بثلاثة عشر نصفاً، ثم أتاني منه بأوقيتين بعد جهد في تحصيله فحسبت على ذلك سعر الأردب فوجدته يبلغ خمسمائة ريال أو قريباً من ذلك، فكان ذلك من النوادر الغريبة.

وفي يوم الإثنين ثالثه، حصلت الجمعية بالديوان وحضر التجار ومشايخ الحارات والآغا وحضر مكتوب من بليار قائمقام خطاباً بالأرباب الديوان والحاضرين، يذكر فيه أن حضر إليه مكتوب من كبيرهم منوباً بالإسكندرية صحبة هجانة فرنسيس وصلوا إليهم من طريق البرية. مضمونه أنه طيب بخير والأقوات كثيرة عندهم يأتي بها العربان إليهم، وبلغهم خبر وصول عمارة مراكب الفرنساوية الى بحر الخزر وأنها من قريب تصل الاسكندرية، وأن العمارة حاربت بلاد الانكليز واستولت على شقة كبيرة منها فكونوا مطمئنين الخاطر من طرفنا ودوموا على هدوئكم وسكونكم، الى آخر ما فيه من التمويهات وكل ذلك لسكون الناس وخوفاً من قيامهم في هذه الحالة، وكان وصول هذا المكتوب بعد نيف وأربعين يوماً من انقطاع أخبر من في اسكندرية ولا أصل لذلك.

وفي ذلك اليوم قتل عبد العال رجلاً ذكروا أنه وجد معه مكتوب من بعض النساء مرسل الى بعض أزواجهن بالعرضي، قتل ذلك الرجل بباب زويلة ونودي عليه: هذا جزاء من ينقل الأخبار الى العثملي والانكليز.

وفيه وصلت العساكر الشرقية الى العادلية وامتد العرضي منها الى قبلي منية السيرج وكذلك الغربية الى انبابة، ونصبوا خيامهم بالبرين والمراكب بينهم في النيل وضربوا عدة مدافع وخرج عدة من الفرنساوية خيالة فتراموا معهم وأطلقوا بنادق ثم انفصلوا بعد حصة من الليل ورجع كل الى مأمنه واستمر هذا الحال على هذا المنوال يقع بينهم في كل يوم.

وفي سادسه، زحفت العساكر الشرقية حتى قربوا من قبة النصر وسكن ابراهيم بك زاوية الشيخ دمرداش، وحضر جماعة من العسكر وأشرفوا على الجزارين من حائط المذبح وطلبوا شيخ الجزارين ووجدوا ثلاثة أنفار من الفرنسيس، فضربوا عليهم بنادق فأصيب أحدهم في رجله، فأخذوه وهرب الإثنان، وأصيب جزار يهودي ووقع بين الفريقين مضاربة على بعد وقتل بعض قتلى وأسر بعض أسرى، ولم يزل الضرب بينهم الى قريب العصر والفرنسيس يرمون من القلعة الظاهرية وقلعة نجم الدين والتل ولا يتباعدون عن حصونهم.

وفي سابعه وقعت مضاربة بين الفريقين ببنادق ومدافع من الصباح الى العصر أيضاً.

وفيه أشيع موت السيد أحمد لمحروقي بدجوة وكان مريضاً بها وامتنع الوارد من الجهة البحرية بالكلية.

وفيه قبضوا على رجل يشبه خدام ظنوه جاسوساً فأحضروه عند قائمقام فسألوه فلم يقر بشيء فضربوه عدة مرار حتى ذهل عقله وصار كالمختل، وكرروا عليه الضرب والعقاب وضربوه بالكرابيج على كفوفه ووجهه وراسه، حتى قيل إنهم ضربوه نحو ستة آلاف كرباج وهو على حاله ثم أودعوه الحبس.

وفيه أطلقوا محبوساً يقال الشيخ سليمان حمزة الكاتب وكان محبوساً بالقلعة من مدة أشهر فطلق على مصلحة ألفي ريال.

وفي ثامنه وقعت مضاربة أيضاً بطول النهار ودخل نحو خمسة وعشرين نفراً من عسكر العثمانية الى الحسينة وجلسوا على مساطب القهوة وأكلوا كعكاً وخبزاً وفولاً مصلوقاً وشربوا قهوة ثم انصرفوا الى مضربهم وأخذ الفرنساوية عسكرياً من أتباع محمد باشا والى غزة والقدس المعروف بأبي مرق فحبسوه ببيت قائمقام وأغلقوا في ذلك اليوم باب النصر وباب العدوي.

وفيه زحفت عساكر البر الغربي الى تحت الجيزة، فحضر في صبحها بني وأخبر قائمقام فركب من ساعته وعدى الى بر الجيزة، فسمع الضرب أيضاً من ناحية الجيزة وسمعت طبول الأمراء ونقاقيرهم، واستمر الأمر الى يوم الثلاثاء حادي عشره، فبطل الضرب في وقت الزوال، ولما حصلوا جهة الجيزة انتشروا الى قبلي منها ومنعوا المعادي من تعدية البر الشرقي فانقطع الجالب من الناحية القبلية أيضاً فامتنع وصول الغلال والأقوات والبطيخ والعجور والخضراوات والخيار والسمن والجبن والمواشي، فعزت الأقوات وغلت الأسعار في الأشياء الموجودة منها جداً، واجتمع الناس بعرصة الغلة بالرميلة يريدون شراء الغلة فلم يجدوها فكثر ضجيجهم، وخرج الأكثر منهم بمقاطفهم الى جهة البساتين ورجع الباقون من غير شيء، فأحضر عبد العال القبانية وألزمهم بإحضار السمن وضرب البعض منهم فأحضروا له في يومين أربعة عشر رطلاً بعد الجهد في تحصيلها، وبيعت الدجاجة بأربعين نصفاً وامتنع وجود اللحم من الأسواق واستمر الأمر على ذلك الأربعاء والخميس والمضاربة بين الفريقين ساكنة، وأشيع وقوع المسالمة والمراسلة بينهما والمتوسط في ذلك الانكليز وحسين قبطان باشا فانسر الناس وسكن جأشهم لسكون الحرب.

وفي ذلك اليوم أغلقوا باب القرافة وباب المجراة و لم يعلم سبب ذلك، ثم فتحوهما عند الصباح من يوم الجمعة ورفعوا عشور الغلة.

وفي يوم الاثنين سابع عشره أطلقوا المحبوسين بالقلعة من أسرى العثمانية وأعطوا كل شخص مقطع قماش وخمسة عشر قرشاً، وأرسلوهم الى عرضي الوزير وكان بلغ بهم الجهد من الخدمة والفعالة وشيل التراب والأحجار وضيق الحبس والجوع ومات الكثير منهم وكذلك أفرجوا عن جملة من العربات والفلاحين.

وفي ليلة الإثنين المذكور سمع صوت مدفع بعد الغروب عند قلعة جامع الظاهر خارج الحسينية ثم سمع منها أذان العشاء والفجر، فلما أضاء النهار نظر الناس فإذا البيرق العثماني بأعلاها والمسلمون على أسوارها، فعلموا بتسليمها، وكان ذلك المدفع إشارة الى ذلك ففرح الناس وتحققوا أمر المسالمة، وأشيع الإفراج عن الرهائن من المشايخ وغيرهم وباقي المحبوسين في الصباح وأكثر الفرنساوية من النقل والبيع في أمتعتهم وخيولهم ونحاسهم وجواريهم وعبيدهم وقضاء أشغالهم.

وفي ذلك اليوم أنزلوا عدة مدافع من القلعة وكذلك من قلعة باب البرقية وأمتعة وفرش وبارود، وفي يوم الثلاثاء عمل الديوان وحضر الوكيل وأعلن بوقوع الصلح والمسالمة، ووعد أن في الجلسة الآتية يأتي إليهم فرمان الصلح وما اشتمل عليه من الشروط ويسمعونه جهاراً.

وفي ذلك اليوم أكثر اهتمام الفرنساوية بنقل الأمتعة من القلعة الكبيرة وباقي القلاع بقوة السعي.

وفيه أفرجوا عن محمد جلبي أبي دفية واسمعيل القلق ومحمد شيخ الحارة بباب اللوق والبرنوسي نسيب أبي دفية والشيخ خليل المنير وآخرين تكملة ثمانية نفار ونزلوا الى بيوتهم.

وفيه سافر عثمان بك البرديسي الى الصعيد وعلى يده فرمانات للبلاد بالأمن والأمان وسوق المراكب بالغلال والأقوات الى

مصر ويلاقي ستة آلاف من عسكر الانكليز حضروا من القلزم الى القصير.
وفيه شنق الفرنساوية شخصاً منهم على شجرة ببركة الأزبكية قيل إنه سرق.
وفيه أرسل الفرنساوية الى الوزير وطلبوا منه جمالاً ينقلون عليها متاعهم فأمر لهم بإرسال مائتي جمل وقيل أربعمائة مساعدة لهم، وفيها من جمال طاهر باشا وابراهيم بك.

وفي يوم الخميس عشرينه، أفرجوا عن بقية المسجونين والمشايخ وهم الشيخ السادات والشيخ الشرقاوي والشيخ الأمير والشيخ محمد المهدي وحسن آغا المحتسب ورضوان كاشف الشعراوي وغيرهم، فنزلوا الى بيت قائمقام وقابلوه وشكروه، فقال للمشايخ إن شئتم اذهبوا فسلموا على الوزير فإني كلمته ووصيته عليكم.
وفيه حضر الوزير ومن معه من العساكر الى ناحية شبرا وكذلك الانكليز وصحبتهم قبطان باشا الى الجهة الغربية والعساكر تجاههم ونصبوا الجسر فيما بينهم أعلى البحر وهو من مراكب مرصوصة مثل جسر الجيزة، بل يزيد عنه في الإتقان بكونه من ألواح في غاية الثخن وله درابزين من الجهتين أيضاً وهو عمل الانكليز.
وفيه ألصقوا أوراقاً بالطرق مكتوبة بالعربي والفرنساوي وفيها شرطان من شروط الصلح التي تتعلق بالعامة ونصها: ثم أنه أراد الله تعالى بالصلح ما بين عسكر الفرنساوية وعساكر الانكليز وعساكر العثمانية، ولكن مع هذا الصلح أنفسكم وأديانكم ومتاعكم ما أحد يقارشكم ورؤوس عساكر الثلاثة جيوش قد اشترطوا بهذا كما ترونه، الشرط الثاني عشر: كل واحد من أهالي مصر المحروسة من كل ملة كانت الذي يريد أن يسافر مع الفرنساوية يكون مطلق الإرادة، وبعد سفره كامل ما يبقى عياله ومصالحه ما أحد يعارضهم، الشرط الثالث عشر: لا أحد من أهالي مصر المحروسة من كل ملة كانت يكون قلقاً من قبل نفسه ولا من قبل متاعه. جميع الذين كانوا بخدمة الجمهور الفرنساوي بمدة إقامة الجمهور بمصر، ولكن الواجب أن يطيعوا الشريعة، ثم يا أهالي مصر وأقاليمها جميع الملل أنتم ناظرون لحد آخر درجة الجمهور الفرنساوي ناظر لكم ولراحتكم، فيلزم أنتم أيضاً تسلكون في الطريق المستقيمة وتفتكرون أن الله جل جلاله هو الذي يفعل كل شيء، وعليه إمضاء بليار قائمقامز
وفي يوم الجمعة عملوا الديوان وحضر المشايخ والوكيل، فقال الوكيل هل بلغكم بقية الشروط الثلاثة عشر، فقالوا لا، فأبرز ورقة من كمه بالقلم الفرنساوي فشرع يقرؤها والترجمان يفسرها، وهي تتضمن الأحد عشر شرطاً الباقية، فقال إن الجيش الفرنساوي يلزم أن يخلوا القلاع ومصر ويتوجهوا على البر بمتاعهم الى رشيد وينزلوا في مراكب ويتوجهوا الى بلادهم، وهذا الرحيل ينبغي أن يسرع به وأقل ما يكون في خمسين يوماً، وأن يساق الجيش من طريق مختصر وسر عسكر الانكليز والمساعد يلزم أن يقوما لهم بجميع ما يحتاجونه من نفقة ومؤونة وجمال ومراكب، والمحل الذي يبدأ منه السعي يكون بالتراضي بين الجمهور والانكليز والمساعد وكامل الأمتعة والأثقال تتوجه من البحر ومعهم جيش من الفرنساوي لأجل الحراسة، ولابد من كون المؤونة التي تترتب لهم كالمؤونة التي كانوا يعطونها هم لجيش الانكليز ورؤسائهم، وعلى رؤساء عساكر الانكليز وحضرة العثملي القيام بنفقة الجميع. والحكام المتقيدون بذلك يحضرون لهم المراكب ليسفروهم الى فرانسا من جهة البحر المحيط. ولن يقدم كل من حضرة العثملي والانكليز أربعة مراكب للعليق والعلف للخيل التي يأخذونها في المراكب، وأن يسيروا معهم مراكب للمحافظة عليهم الى أن يصلوا الى فرانسا، وأن الفرنساوية لا يدخلون مينة إلا مينة فرانسا والأمناء والوكلاء يقدمون

لهم ما يحتاجون إليه نظراً لكفاية عساكرهم، والمدبرون والأمناء والوكلاء والمهندسون الفرنساوية يستصحبون معهم ما يحتاجونه من أوراقهم وكتبهم ولو التي شروها من مصر، وكل من أهل الإقليم المصري إذا أراد التوجه معهم فهو مطلق السراح مع الأمن على متاعه وعياله، وكذلك من داخل الفرنساوية من أي ملة كانت فلا معارضة له إلا أن يجري على أحواله السابقة. ويجرحى الفرنساوية يتخلفون بمصر ويعالجهم الحكماء وينفق عليهم حضرة العثلمي، وإذا عوفوا توجهوا الى فرانسا بالشروط المتقدم ذكرها، وحكام العثملي يتعهدون من بمصر منهم ولابد من حاكمين من طرف الجيشين يتوجهان بمركبين الى طولون فيرسلون خبراً الى فرانسا ليطلعوا حكامها على الصلح وسائر الرسوم، وكل جدال وخصام صدر بين شخصين من الفرنساوية فلابد أن يقام شخصان حاكمان من الطائفتين ليتكلما في الصلح ولا يقع في ذلك نقض عهد الصلح، وعلى كل طائفة معين من العثملي والفرنساوي أن تسلم ما عندها من الأسرى ولابد من رهائن من كل طائفة واحد يكون عند الطائفة الأخرى حتى يتوصلوا الى فرانسا، ثم قال الوكيل: وقد علمنا بالشروط وما ندري ماذا يكون، فقيل له هذه شروط عليها علامة القبول وهذا الصلح رحمة للجميع وسيكون الصلح العام، قال الوكيل إني أرجو أن يكون هذا الصلح الخصوصي مبدأ للصلح العمومي.

وفيه كثر خروج الناس ودخولهم من الأتباع والباعة والمتنكرين من نقب البرقية المعروف بالغريب، فصار الحرسجية من الفرنساوية يأخذون من الداخل والخارج دراهم ولا يمنعونهم. فلما علم الناس بذلك كثر ازدحامهم، فلما أصبحوا منعوهم فدخلوا وخرجوا من باب القرافة فلم يمنعهم الواقفون به من الفرنسيس بل كانوا يفتشون البعض ويمنعون البعض، وكل ذلك حذراً من أفعال الطموش وسوء أخلاقهم، وتولد الشر بسببهم وقد دخل بعضهم أكابر الانكليز وصحبتهم فرنساوية يفرجونهم على البلدة والأسواق، وكذلك دخل بعض أكابر العثمانية فزاروا قبر الإمام الشافعي والمشهد الحسيني والشيخ عبد الوهاب الشعراوي والفرنساوية ينتظرونهم بالباب.

وفي ليلة الإثنين رابع عشرينه نادوا في الأسواق برمي مدافع في صبحه وذلك لنقل رمة كلهبر فلا يرتاع الناس من ذلك، فلما كان في صبح ذلك اليوم أطلقوا مدافع كثيرة ساعة نبش القبر بالقرب من قصر العيني وأخرجوا الصندوق الرصاص الموضوع فيه رمته ليأخذوه معهم الى بلادهم.

وفيه أرسلوا أوراقاً ورسلاً للاجتماع بالديوان وهو آخر الدواوين، فاجتمع المشايخ والتجار وبعض الوجاقلية واستوف الخازندار والوكيل والترجمان، فلما استقر بهم الجلوس أخرج الوكيل كتاباً مختوماً وأخبر أن ذلك الكتاب من ساري عسكر منو بعث به الى مشايخ الديوان، ثم ناوله لرئيس الديوان ففضه وناوله للترجمان فقرأه والحاضرون يسمعون، وصورته: بعد البسملة والجلاة والصدر، نخبركم أنا علمنا بكثرة الانبساط أنكم تهتدون بكثرة الحكمة والإنصاف في الموضع الذي أنتم مستمرون فيه وإن لم تقدروا لتنظيم أهالي البلد بالهدى والطاعة الموجبة منه لحكومة الفرنساوي، فالله تعالى بسعادة رسوله الكريم عليه السلام الدائم ينعم عليكم في الدارين عض خيراتكم، وأخبرنا المقدام الجسور بونابارته المشهور عن كل ما فعلتم حاكماً ونافعاً بوصايا لأجلكم سارة رضي واستراح لتلك الفعال الجيدة وعرفني أيضاً أنه عن قريب يرسل لكم بذاته جواب جميع مكاتيبكم إليه، فدمتم الآن بخير الهدى وبقوته تعالى نرى فضائلكم عن قريب ونواجه سكان محروسة مصر كما هو مأمولنا، لكن يسركم أن

الجمهور المنصور غلب في أقاليم الروم جميع أعدائه وبعون الله هادي كل شيء سيغلب كذلك العدا في مصر. واعتمدوا بأكثر الاعتماد على الستويان جيرار هذا الذي وضعناه قربكم لأنه هو رجل مشهور بالعدل والاستقامة، ونوجه إلى همكم النصيحة الى زوجتنا الكريمة السيدة زبيدة وولدنا العزيز سليمان مراد، أن كليهما حالا كائنان في حصننا في مصر الخ، وذكر كثيراً من أمثال هذه الخرافات والتمويهات، ثم أخرج ورقة بالفرنساوي وقرأها بنفسه حتى فرغ منها، ثم قرأ ترجمتها بالعربي الترجمان رفاييل، ومضمونها: حصول الصلح وتمويهات وهلسيات ليس في ذكرها فائدة، ولما انتهى من قراءتها أبرز أيضاً استوف الخازندار ورقة وقرأها بالفرنساوي. ثم قرأ ترجمتها بالعربي الترجمان، وهي في معنى الأولى.

وركب المشايخ وخرجوا للسلام على الوزير يوسف باشا الذي يقال له الصدر الأعظم. والسلام على القادمين معه أيضاً من أعيان دولتهم والأمراء المصرية، وكانوا عزموا على الذهاب في الصباح فعوقوا لبعد الديوان، وأما الشيخ السادات فإنه خرج للسلام من أول النهار. وكتب لهم قائمقام أوراقاً للحرسجية لأنهم مستمرون في منع الناس من الدخول والخروج وأبواب البلد مغلقة، وكان خروجهم من طريق بولاق، فلما وصلوا الى العرضي سلموا على ابراهيم بك وتوجه معهم الى الوزير، فلما وصلوا الى اصيوان أمروهم برفع الطياسانات التي على أكتافهم وتقدموا للسلام عليه، فلم يقم لقدومهم فجلسوا ساعة لطيفة وخرجوا من عنده. وسلموا أيضاً على محمد باشا المعروف بأبي مرق وعلي المحروقي والسيد عمر مكرم وباتوا تلك الليلة بالعرضي ثم عادوا الى بيوتهم.

وفي ثاني يوم عدوا الى البر الغربي وسلموا على قبطان باشا ورجعوا الى منازلهم.

وفيه أرسل ابراهيم بك أماناً لأكابر القبط فخرجوا أيضاً وسلموا ورجعوا الى دورهم. وأما يعقوب فإنه خرج بمتاعه وعازقه وعدى الى الروضة، وكذلك جمع إليه عسكر القبط وهرب الكثير منهم واختفى، واجتمعت نساؤهم وأهلهم وذهبوا الى قائمقام وبكوا وولولوا وترجوه في إبقائهم عند عيالهم وأولادهم فإنهم فقراء وأصحاب صنائع ما بين نجار وبناء وصائغ وغير ذلك، فوعدهم أنه يرسل الى يعقوب أنه لا يقهر منهم من لا يريد الذهاب والسفر معه.

وفيه ذهب بليار قائمقام وصحبته ثلاثة أنفار من عظماء الفرنسيس الى العرضي وقابلوا الوزير، فخلع عليهم وكساهم فراوي سمور ورجعوا.

وفي يوم الأربعاء تاسع عشره، خرج المسافرون مع الفرنساوية الى الروضة والجيزة بمتاعهم وحريمهم وهم جماعة كثيرة من القبط وتجار الإفرنج والمترجمين وبعض مسلمين ممن تداخل معهم، وخاف على نفسه بالتخلف وكثير من نصارى الشوام والأروام مثل يني وبرطلمين ويوسف الحموي، وعبد العال الآغا أيضاً طلق زوجته وباع متاعه وفراشه وما ثقل عليه حمله من طقم وسلاح وغيره فكان إذا باع شيئاً يرسل خلفه المشتري ويلزمه بإحضار ثمن في الحال قهراً و لم يصحب معه إلا ما خف حمله وغلا ثمنه.

وفيه حضر وكيل الديوان الى الديوان وأحضر جماعة من التجار وباع لهم فراش المجلس بثمن قدره ستة وثلاثون ألف فضة على ذمة السيد أحمد الزرو.

وفي ذلك اليوم أيضاً فتحوا باب الجامع الأزهر وشرعوا في كنسه وتنظيفه.

وفي ذلك اليوم وما بعده دخل بعض الانكليز ومروا بأسواق المدينة يتفرجون وصحبتهم إثنان أو واحد من الفرنسيس يعرفونهم الطرق.

وأشيع في ذلك اليوم ارتحال الفرنساوية ونزولهم من القلاع وتسليمهم الحصون من الغد وقت الزوال.

فلما أصبح يوم الخميس ومضى وقت الزوال لم يحصل ذلك فاختلفت الروايات، فمن الناس من يقول يترلون يوم الجمعة ومنهم من يقول إنهم أخذوا مهلة ليوم الإثنين، وبات الناس يسمعون لغط العساكر العثمانية وكلامهم ووطء نعالاتهم، فنظروا فإذا الفرنساوية خرجوا بأجمعهم ليلاً وأخلوا القلعة الكبيرة وباقي القلاع والحصون والمتاريس وذهبوا الى الجيزة والروضة وقصر العيني ولم يبق منهم شبح يلوح بالمدينة وبولاق ومصر العتيقة والأزبكية، ففرح الناس كعادتهم بالقادمين وظنوا فيهم الخير وصاروا يتلقونهم ويسلمون عليهم ويباركون لقدومهم والنساء يلقلقن بألسنتهن من الطيقان وفي الأسواق، وقام للناس جلبة وصياح وتجمع الصغار والأطفال كعادتهم ورفعوا أصواتهم بقولهم نصر الله السلطان ونحو ذلك، وهؤلاء الداخلون ودخلوا من نقب الغريب المثقوب في السور وتسلقوا أيضاً من ناحية العطوف والقرافة، وأما باب النصر والعدوي فهما على حالهما مغلوقان لم يأذنوا بفتحهما خوفاً من تزاحم العسكر ودخولهم المدينة دفعة واحدة فيقع فيهم الفشل والضرر بالناس، وباب الفتوح مسدود بالبناء، فلما تضحى النهار حضر قبي قول وفتح باب النصر والعدوي وأجلس بهما جماعة من الينكجرية ودخل الكثير من العساكر مشاة وركباناً أجناساً مختلفة، ودخلت بلوكات الينكجرية وطافوا بالأسواق ووضعوا نشاناتهم وزنكهم على القهاوي والحوانيت والحمامات، فامتعض أهل الأسواق من ذلك وكثر الخبز واللحم والسمن والشيرج بالأسواق وتواجدت البضائع وانحلت الأسعار وكثرت الفاكهة مثل العنب والخوخ والبطيخ وتعاطى بيع غالبها الأتراك والأرنؤد، فكانوا يتلقون من يجلبها من الفلاحين بالبحر والبر ويشترونها منهم بالأسعار الرخيصة ويبيعونها على أهل المدينة وبولاق بأغلى الأثمان، ووصلت مراكب من جهة بحري وفيها البضائع الرومية واليميش من البندق واللوز والجوز والزبيب والتين والزيتون الرومي.

فلمما كان قبل صلاة الجمعة وإذا بجاويشية وعساكر وأغوات وتلا ذلك حضرة يوسف باشا الصدر فشق من وسط المدينة وتوجه الى المسجد الحسيني فصلى فيه الجمعة وزار المشهد الحسيني، ودعاه حضرة الشيخ السادات الى داره المجاورة للمشهد فأجابه فدخل معه وجلس هنيهة، ثم ذهب الى الجامع الأزهر فتفرج عليه وطاف بمقصورته وأروقته وجلس ساعة لطيفة، وأنعم على الكناسين والخدمة بدراهم وكذلك خدمة المسجد الحسيني، ثم ركب راجعاً الى وطاقه بناحية الحلي بشاطئ النيل، وعملوا في ذلك الوقت شنكاً وضربوا مدافع كثيرة من العرضي والقلعة ودخل قلقات الينكجرية وجلسوا برؤوس العطف والحارات وكل طائفة عندها بيرق ونادوا بالأمان البيع والشراء، وطلب أولئك القلقات من أهل الأخطاط المآكل والمشارب والقهوات وألزموهم بذلك، وانحاز الفرنساوية الى جهة قصر العيني والروضة والجيزة الى حد قلعة الناصرية وفم الخليج وعليها بنديراتهم، ووقف حرسهم عند حدهم يمنعون من يأوي الى جهتهم من العثمانية، فلا يمر العثماني إلا الى الجهة الموصلة الى بولاق وأما إذا كان من أهل البلد فيمر حيث أراد، وفي مدة إقامة المشار إليه بساحل الحلي ببولاق خرب عساكره ما قرب منهم من الأبنية والسواقي والمتريز الذي صنعه الفرنساوية من حد باب الحديد الى البحر وأخذوا ما بذلك من الأفلاق الكثيرة المتهدمة والأخشاب المنجرة المرصوصة فوق المتريز وتحته وف يالخندق، فخربوا ذلك جميعه في هذه المدة القليلة وذلك لأجل وجود

النار والمطابخ.

وفي يوم السبت دخل قبي قول وهو المسمى عند المصريين كتخدا الينكجرية وشق المدينة وأمر بمحو نشانات الانكشارية من الحوانيت و لم يترك إلا القهاوي.

واستهل شهر ربيع الأول بيوم الأحد سنة 1216

فيه ركب أغات الينكجرية الكبير العثملي وشق المدينة وخلفه سليم آغا المصري ودخل الكثير من العساكر والأجناد المصرية بمتاعهم وعازقهم وأحمالهم وطلبوا البيوت وسكنوها، ودخل محمد باشا المعروف بأبي مرق الغزي وهو المرشح لولاية مصر وسكن ببيت الهياتم بالقرب من مشهد الأستاذ الحنفي، وأرسل الى المشايخ وكبار الحارات وطلب منهم التعريف عن البيوت الخالية بالأخطاط.

وفي يوم الثلاثاء ثالثه، حضر حسين باشا القبطان من الجيزة ودخل المدينة وتوجه الى المشهد الحسيني فزاره وذبح به خمس جواميس وسبعة كباش واقتمتها خدمة الضريح، وحلق تاج المقام بأربعة شيلان كشميري، وأخذ قياس المقام ليصنع له ستراً جديداً، وفرق عليهم وعلى الفقراء نحو ألفي محبوب ذهب اسلامبولي.

وفي ذلك اليوم وقعت حادثة وهو أن شخصاً من العسكر بالجمالية شرب من العرقسوسي شربة عرقسوس و لم يدفع له ثمنها فكلم العرقسوسي القلق الانكشاري فأحضره وأمره بدفع ثمنها ونهره وأراد ضربه فاستل ذلك العسكري الطبنجة وضرب ذلك الحاكم فقتله وهرب الى حارة الجوانية ودخل الى دار وامتنع فيها وصار يضرب بالرصاص على كل من قصده فقتل خمسة أنفار ومر شخصان من الأرنؤد بتلك الخطة فقتلهما الانكشارية لكون الغريم أرنؤدياً من جنسهما، فلما أعياهم أمره حرقوا عليه الدار فخرج خارباً من النار فقبضوا عليه وقتلوه ومات تسعة أشخاص في شربة عرقسوس.

ووقع في ذلك اليوم أيضاً أن شخصين من القليونجية دخلا الى دار رجل نصراني فأخذا من بيته بقعتين من الثياب وخرجا فوجدا شخصين مارين من الفلاحين فسخراهما في حمل البقجتين فخرج النصراني وشكا الى القلق فأمر بالقبض على الشخصين العسكريين فتخلصا وهربا بعد أن انجرح أحدهما وأخذوا الشخصين المسخرين فقطعوا رؤسوهما ظلماً وعدواناً وذلك من مبداىٔ قبائحهم.

وفي يوم الأربعاء، رابعه ارتحل الفرنساوية وأخلوا قصر العيني والروضة والجيزة وانحدروا الى بحر الوراريق وارتحل معهم قبطان باشا ومعظم الانكليز ونحو الخمسة آلاف من عسكر الأرنؤد ومن الأمراء المصرية عثمان بك الأشقر ومراد بك الصغير وأحمد بك الكلارجي وأحمد بك حسن فكانت مدة الفرنساوية وتحكمهم بالديار المصرية ثلاث سنوات واحداً وعشرين يوماً فإنهم ملكوا بر انبابة والجيزة وكسروا الأمراء المصرية يوم السبت تاسع شهر صف سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف وكان انتقالهم ونزولهم من القلاع وخلو المدينة منهم وانخلاعهم عن التصرف والتحكم ليلة الجمعة الحادي والعشرين من شهر صفر سنة ست عشرة ومائتين وألف فسبحان من لا يزول ملكه ولا يتحول سلطانه.

وفي ذلك اليوم، حضر السيد عمر أفندي نقيب الأشراف وصحبته السيد أحمد المحروقي شاه بندر التجار بمصر وعليهما خلعتا

سمور وتوجها الى دورهما.

وفيه نبهوا على موكب حضرة الوزير يوسف باشا من الغد فلما أصبح يوم الخميس خامسه اجتمع الناس من جميع الطوائف وسائر الأجناس وهرع الناس للفرجة وخرجت البنت من خدرها واكتروا الدور المطلة على الشارع بأغلى الأثمان وجلس الناس على السفائف والحوانيت صفوفاً وانجر الموكب من أول النهار الى قريب الظهر ودخل من باب النصر وشق من وسط المدينة وأمامه العساكر المختلفة من الأرنؤد وأرط الينكجرية والعساكر الشامية والأمراء المصرلية والمغاربة والقليونجية وطاهر باشا باشة الأرنؤد وابراهيم باشا والي حلب ومحمد باشا والي مصر والكتبة ورئيس الكتاب وكتخدا الدولة والأغوات الكبار بالطبول والنقرزانات وقاضي العسكر ونواب القضاء والعلماء المصرية ومشايخ التكايا والدراويش وأقبل المشار إليه وأمامه الملازمون بالبراقع والجاويشية والسعاة والجوخدارية وعليه كرك صوف سنجابي مطرز مخبش وعلى رأسه شلنج بفصوص الماس وخلفه إثنان عن يمينه وشماله ينثرون دراهم الفضة البيضاء ضربخانة اسلامبول على المتفرجين من النساء والرجال وخلفه أيضاً العدة الوافرة من أكابر أتباعه وبعدهم الكثير من عسكر الأرنؤد وموكب الخازندار وخلفه النوبة التركية المختصة به ثم المدافع وعربات الجبخانات وعملوا وقت الموكب شنكاً ضربوا فيه مدافع كثيرة فكان ذلك اليوم يوماً مشهوداً وموسماً وبهجة وعيداً عمت المسلمين فيه المسرات ونزلت في قلوب الكافرين الحسرات ودقت البشائر وقرت النواظر وأمروا بوقود المنارات سبع ليال متواليات فلله الحمد والمنة على هذه النعمة ونرجو من فضله أن يصلح فساد القلوب، ويوفق أولي الأمر للخير والعدل المطلوب ويلهمهم سلوك سواء السبيل القويم ويهديهم الى الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين وممن قدم بصحبة ركاب المشار إليه من أكابر دولتهم ابراهيم باشا والي حلب وابراهيم باشا المعروف بأبي مرق وخليل أفندي الرجائي الدفتردار ومحمود أفندي رئيس الكتاب وشريف آغا نزله أمين ومحمد آغا جيجي باشا الشهير بطوسون ووقع الاختيار بأن يكون سكن المشار إليه ببيت رشوان بك بحارة عابدين تجاه بيت عبد الرحمن كتخدا القزدغلي.

وفي يوم الجمعة، نودي بإبطال كلف القلفات وإبطال شرك العسكر لأرباب الحرف إلا من شارك برضاه وسماحة نفسه فلم يمتثلوا لذلك واستمر أكثرهم على الطلب من الناس.

وفي يوم الأحد، نودي بأن لا أحد يتعرض بالأذية لنصراني ولا يهودي سواء كان قبطياً أو رومياً أو شامياً فإنهم من رعايا السلطان والماضي لا يعاد والعجيب أن بعض نصارى الأروام الذين كانوا بعسكر الفرنسيس تزيوا بزي العثمانية وتسلحوا بالأسلحة واليطقانات ودخلوا في ضمنهم وشمخوا بآنافهم وتعرضوا بالأذية للمسلمين في الطرقات بالضرب والسب باللغة التركية ويقولون في ضمن سبهم للمسلم فرنسيس كافر ولا يميزهم إلا الفطن الحاذق أو يكون له بهم معرفة سابقة.

وفيه، أرسلوا هجاناً الى الحجاز ومعه فرمان بخبر الفتح والنصر وارتحال الفرنساوية من أرض مصر ودخول العثمانية ومكاتبات من التجار لشركائهم بإرسال المتاجر الى مصر.

وفيه أرسلوا فرمانات أيضاً الى أقاليم المصرية والقرى بعدم دفع المال الى الملتزمين ولا يدفعون شيئاً إلا بفرمان من الوزير.

وفي يوم الإثنين، قتلوا شخصاً بالرميلة يسمى حجاجاً كان متولي الأحكام ببولاق أيام لفرنسيس وجار وعسف وقتل معه آخر يقال إنه أخوه.

وفيه، أيضاً قتلوا أشخاصاً بالأزبكية وجهات مصر.
وفيه، ركب الوزير بثياب التخفيف وشق المدينة وتأمل في الأسواق وأمر بمنع العسكر من الجلوس على حوانيت الباعة وأرباب الصنائع ومشاركتهم في أرزاقهم ثم توجه الى المشهد الحسيني فزاره ثم عبر الى دار السيد أحمد المحروقي وشرفه بدخوله إليه فجلس ساعة ثم ركب وأعطى أتباعه عشرين ديناراً وذكر له أنه إنما قصد بحضوره إليه تشريفه وتشريف أقرانه وتكون له منقبة وذلك على ممر الأزمان وأما العسكر فلم يمتثلوا ذلك الأمر إلا أياماً قليلة ووقع بسبب ذلك شكاوي ومشاكلات ومرافعات عند العظماء.
وفي يوم الثلاثاء، وصل قاصد من دار السلطنة على يده شال شريف من حضرة الهنكار السلطان سليم خان خطاباً لحضرة الوزير ومعه خنجر مرصع بفصوص الماس وهو جواب عن رسالته بدخول بلبيس.

وفيه، نودي بتزيين الأسواق من الغد تعظيماً ليوم المولد النبوي الشريف فلما أصبح يوم الأربعاء كررت المناداة والأمر بالكنس والرش فحصل الاعتناء وبذل الناس جهدهم وزينوا حوانيتهم بالشقق الحرير والزردخان والتفاصيل الهندية مع تخوفهم من العسكر وركب المشار إليه عصر ذلك اليوم وشق المدينة وشاهد الشوارع وعند المساء أوقدوا المصابيح والشموع ومنارات المساجد وحصل الجمع بتكية الكلشني على العادة وتردد الناس ليلاً للفرجة وعملوا مغاني ومزامير في عدة جهات وقراءةقرآن وضجت الصغار في الأسواق وعم ذلك سائر أخطاط المدينة العامرة ومصر وبولاق وكان من المعتاد القديم أن لا يعتني بذلك إلا بجهة الأزبكية حيث سكن الشيخ البكري لأن عمل المولد من وظائفه وبولاق فقط.
وفي يوم الخميس ثاني عشره سافر سليمان آغا وكيل دار السعادة وصحبته عدة هجانة الى ناحية الشام لإحضار المحمل الشريف وحريمات الأمراء الى مصر.
وفيه افتتحوا ديوان مزاد الأعشار والمكوس وذلك ببيت الدفتردار ولله الأمر من قبل ومن بعد.
وفيه حضر اليسرجي الذي جلب مملوك الشيخ البكري الذي تقدم ذكره الى بيت القاضي وأحضروا الشيخ خليلاً البكري وادعى عليه أنه قهره في أخذ المملوك بالفرنسيس وأخذه منه بدون القيمة وأنه كان أحضره على ذمة مراد بك وطال بينهما النزاع وآل الأمر بينهما الى انتزاع المملوك من المذكور وقد كان أعتقه وعقد له على ابنته فأبطلوا العتق وفسخوا النكاح وأخذ المملوك عثمان بك الطنبرجي المرادي ودفع للشيخ دراهمه ولجلابه باقي الثمن وتجرع فراقه.
وفي يوم الجمعة ركب الوزير وحضر الى الجامع الأزهر وصلى به الجمعة وخلع على الخطيب فرجية صوف وفي ذلك اليوم احترق جامع قايتباي الكائن بالروضة المعروف بجامع السيوطي والسبب في ذلك أن الفرنسيس كانوا يصنعون البارود بالجنينة المجاورة للجامع فجعلوا ذلك الجامع مخزناً لما يصنعوه فبقي ذلك بالمسجد وذهب الفرنسيس وتركوه كما هو وجانب كبريت في أنخاخ أيضاً فدخل رجل فلاح ومعه غلام وبيده قصبة يشرب بها الدخان وكأنه فتح ماعوناً من ظروف البارود لأخذ منه شيئاً ونسي المسكين القصبة بيده فأصابت البارود فاشتغل جميعه وخرج له صوت هائل ودخان عظيم واحترق المسجد واستمرت النار في سقفه بطول النهار واحترق الرجل والغلام.
وفي يوم الأحد خامس عشره، أشيع بأنه كتب فرمان على النصارى أنهم لا يلبسون الملونات ويقتصرون على لبس الأزرق

والأسود فقط فبمجرد الإشاعة وسماع ذلك ترصد جماعة القلقات لمن يمر عليهم من النصارى ومن لم يجدوه بثياب ملونة يأخذوا طربوشه ومداسه الأحمر ويتركوا له الطاقية والشد الأزرق وليس القصد من أولئك القلقات الانتصار للدين بل استغناء السلب وأخذ الثياب ثم أن النصارى صرخوا الى عظمائهم فأنهوا شكواهم فنودي بعدم التعرض لهم وأن كل فريق يمشي على طريقته المعتادة.

وفي يوم الإثنين، طلب الوزير من التجار مائة كيس وعشرة أكياس سلفة من عشور البهار وألزمهم بإحضارها من الغد فاجتمع المستعدون لجمع الفردة في أيام الفرنساوية كالسيد أحمد الزور وكاتب البهار وأرادوا توزيعها على المحترفين كعادتهم فاجتمع أرباب الحرف الدنيئة وذهبوا الى بيت الوزير والدفتردار واستغاثوا وبكوا فرفعوا عنهم الطلب وألزموا بها المياسر.

وفيه قلدوا محمد آغا تابع قاسم بك موسقو الابراهيمي وجعلوه والياً عوضاً عن علي آغا الشعراوي.

وفي ثامن عشرينه الموافق لثالث مسرى القبطي كان وفاء النيل المبارك وركب محمد باشا المعروف بأبي مرق المرشح لولاية مصر في صبحها الى قنطرة السد وكسروا جسر الخليج بحضرته وفرق العوائد وخلع الخلع ونثر الذهب والفضة.

وفيه عزل الوزير القاضي وهو قاضي العرضي الذي كان ولاه الوزير قاضي العسكر بمصر نائباً عمن يؤول إليه القضاء باسلامبول، فلما تولى ذلك حصل منه تعنت في الأحكام وطمع فاحش وضيق على نواب القضاء بالمحاكم ومنعهم من سماع الدعاوي و لم يجرهم على عوائدهم وأراد أن يفتح باباً في الأملاك والعقار ويقول إنها صارت كلها ملكاً للسلطان لأن مصر قد ملكها الحربيون وبفتحها صارت ملكاً للسلطان فيحتاج أن أربابها يشترونها من الميري ثانياً ووقع بينه وبين الفقهاء المصرية مباحثات ومناقشات وفتاوى وظهروا عليه ثم تحامل عليه بعض أهل الدولة وشكوه الى الوزير فعزله وقلد مكانه قدسي أفندي نقيب الأشراف بحلب سابقاً ونقل المعزول متاعه من المحكمة مدة ولايته خمسة عشر يوماً.

وفي ذلك اليوم أيضاً خلع الوزير على الأمير محمد بك الألفي فروة سمور وقلده إمارة الصعيد وليرسل المال والغلال ويضبط مواريث من مات بالصعيد بالطاعون فبرز خيامه من يومه الى ناحية الآثار وأسكن داره بالأزبكية رئيس أفندي.

وفي يوم الجمعة حضر الوزير الى جامع المؤيد وصلى به الجمعة.

وفيه قبضوا على عرفة بن المسرى وحبس ببيت الوزير بسبب أخيه ابراهيم كان شيخ مرجوش وتقيد بقبض فردة الفرنسيس، ثم ذهب الى المحلة وتوفي بها فغمزوا على أخيه عرفة المذكور وقبضوا عليه وحبسوه وأرسلوا فرماناً الى المحلة بضبط ماله وما يتعلق به وبأخيه عند شركائهما ثم نهبوا بيت المذكور.

وفي يوم الثلاثاء رابع عشرينه، طلبت ابنة الشيخ البكري وكانت ممن تبرج مع الفرنسيس بمعينين من طرف الوزير فحضروا الى دار أمها بالجودرية بعد المغرب وأحضروها ووالدها فسألوها عما كانت تفعله فقالت إني تبت من ذلك فقالوا لوالدها ما تقول أنت فقال أقول إني بريء منها فكسروا رقبتها وكذلك المرأة التي تسمى هوى التي كانت تزوجت نقولا القبطان. ثم أقامت بالقلعة وهربت بمتاعها وطلبها الفرنساوية وفتش عليها عبد العال وهجم بسببها عدة أماكن كما تقدم ذكر ذلك، فلما دخلت المسلمون وحضر زوجها مع من حضر وهو اسمعيل كاشف المعروف بالشامي أمنها وطمنها وأقامت معه أياماً فاستأذن الوزير في قتلها فأذنه فخنقها في ذلك اليوم أيضاً ومعها جاريتها البيضاء أم ولده وقتلوا أيضاً امرأتين من أشباههن.

وفي يوم الأربعاء أرسلوا طائفة معينين من طرف محمد باشا أبي مرق الى أخي الشواربي شيخ قليوب فأحضروه على غير صورة ماشياً مكتوفاً مسحوباً مضروباً من قليوب الى مصر فحبسوه ببيت الوزير ثم حضر أخوه وصالح عليه بعشرة أكياس قام بدفعها وأطلق قيل إن السبب في ذلك أن جماعة من أتباع محمد باشا ذهبوا الى قليوب وطلبوا تبناً فطردهم الساكن وأعطاهم دارهم ذهبوا عنه وتركوه وإن عاند سبوه وضربوه وشتمهم وردهم من غير شيء وقيل إن ذلك بإغراء ابن المحروقي لضغين بينه وبينهم قديم.

وفي آخره، تحرر ديوان العشور فكان المتحصل ستة عشر ألف كيس.

وفيه تشاجر طائفة من الينكجرية مع طائفة من الانكليز بالجيزة وقتل بينهما أشخاص فنودي على الينكجرية ومنعوا من التعدي الى بر الجيزة.

وفيه كثر اشتغال طائفة العسكر بالبيع والشراء في أصناف المأكولات وتسلطوا على الناس بطلب الكلف ورتبوا على السوقة وأرباب الحوانيت دراهم يأخذونها منهم في كل يوم ويأخذون من الخابز الخبز من غير ثمن وكذلك يشربون والقهوة من القهاوي ويحتكرون ما يريدون من الأصناف ويبيعونها بأغلى الأثمان ولا يسري عليهم حكم المحتسب وكذلك تسلطوا على الناس بالأذية بأدنى سبب وتعرضوا للسكان في منازلهم فتأتي منهم الطائفة ويدخلون الدار ويأمرون أهلها بالخروج منها ليسكونها فإن لاطفهم الساكن وأعطاهم دراهم ذهبوا عنهم وتركوه وإن عاند سبوه وضربوه ولو عظيماً وإن شكا الى كبيرهم قوبل بالتبكيت ويقال له ألا تفسحوا لإخوانكم المجاهدين الذين حاربوا عنكم وأنقذوكم من الكفار الذين كانوا يسومونكم سوء العذاب ويأخذون أموالكم ويفجرون بنسائكم وينهبون بيوتكم وهم ضيوفكم أياماً قليلة فما يسع المسكين إلا يكلفهم بما قدر عليه وإن أسعفته العناية فانصرفوا عنه بأي وجه فيأتي إليه خلافهم وإن سكنوا داراً أخربوها وأما القلقات والينكجرية الذين تقيدوا بحارات النصارى فإنهم كلفوهم أضعاف ما كلفوا به المسلمين ويطلبون منهم بعد كلف المأكل واللوازم مصروف الجيب وأجرة الحمام وغير ذلك وتسلطت عليهم المسلمون بالدعاوي والشكاوي على أيدي أولئك القلقات فيخلصون منهم ما لزمهم بأدنى شبهة ولا يعطون المدعي إلا القليل من ذلك والمدعي يكتفي بما حصل له من التشفي والظفر بعدوه وإذا تداعي شخص على شخص أو امرأة مع زوجها ذهب معهم أتباع القلق الى المحكمة إن كانت الدعوى شرعية فإذا تمت الدعوى أخذ القاضي محصوله ويأخذ مثله أتباع القلق على قدر تحمل الدعوى.

واستهل شهر ربيع الثاني بيوم الثلاثاء سنة 1216

فيه أفرج عن عرفة بن المسيري وصولح عليه بخمسة عشر كيساً وكتب له فرمان برد منهوباته وعدم التعرض لتعلقاته بالمحلة.

وفي يوم الأربعاء ثانيه، أمر الوزير الوجاقلية بلبس القواويق على عادتهم القديمة فأخبروا ابراهيم بك فقال الأمر عام لنا ولكم أو لكم فقط فقالوا لا ندري فسأل ابراهيم بك الوزير المشار إليه فقال له بل ذلك عام فلما كان يوم الجمعة حادي عشره لبس الوجاقلية والأمراء المصرية زيهم من القواويق المختلفة الأشكال على عادتهم القديمة حسب الأمر بذلك وكذلك الأمراء الصناجق وحضروا في يوم الجمعة بديوان الوزير ونظر إليهم وأعجب بهيآتهم واستحسن زيهم ودعا لهم وأثنى عليهم وأمرهم

أن يستمروا على هيئتهم وذلك على ما هم فيه من التفليس وغالبهم لا يملك عشاء ليلته فضلاً عن كونه يقتني حصاناً وشنشاراً وخدماً ولوازم لابد منها ولا غنى للمظهر عنها.

وفيه حضرت جماعة من عسكر القبط الذين كانوا ذهبوا بصحبة الفرنساوية فتخلفوا عنهم ورجعوا الى مصر.

وفيه أرسلوا تنابيه للملتزمين بطلب بواقي مال سنة ثلاث عشرة وأربع عشرة فاعتذروا بأهم ممنوعون من التصرف فمن أين يدفعون البواقي.

وفي يوم الخميس نبهوا على العساكر المتداخلة في الينكجرية وغيرهم بالسفر.

وفيه كتبت فرمانات باللغة العربية بترصيف صاحبنا العلامة السيد اسمعيل الوهبي المعروف بالخشاب وأرسلت الى البلاد الشرقية والمنوفية والغربية مضمونها الكف عن أذية النصارى واليهود أهل الذمة وعدم التعرض لهم وفي ضمنه آيات قرآنية وأحاديث نبوية والاعتذار عنهم بأن الحامل لهم على تداخلهم مع الفرنساوية صيانة أعراضهم وأموالهم.

وفي يوم الجمعة، أحضروا رمة زوجة ابراهيم بك وعملوا لها قبراً بجانب أخيها محمد بك أبي الذهب بمدرسته المقابلة للجامع الأزهر ودفنوها به.

وفي يوم السبت خامسه، ورد الخبر بوفاة أحمد بك حسن أحد الأمراء الذين توجهوا صحبة حسين باشا القبطان والفرنساوية وكان القبطان وجهه الى عرب الهنادي الذين يحملون الميرة الى الفرنسيس المحصورين باسكندرية وضم إليه عدة من العسكر فحاربهم وقاتلهم عدة مرار فأصابته رصاصة دخلت في جوفه فرجع الى مخيمه ومات من ليلته وكان يضاهي سيده في الشجاعة والفروسية.

وفيه اطلعوا للملتزمين التصرف في سنة خمس عشرة ليقضوا ما لهم وما عليهم من البواقي ومال الميري والمضاف ويدفعوا جميع ذلك الى الخزينة بأوراق مختومة من ابراهيم بك وعثمان بك والقصد من ذلك اطمئنانهم بالجباية والرجاء بالتصرف في المستقبل ووعدهم بذلك سنة تاريخه بعد دفعهم الحلوان مع أن الفرنساوية لما استقر أمرهم بمصر ونظروا في الأموال الميرية والخراج فوجدوا ولاة الأمور يقبضون سنة معجة ونظروا في الدفاتر القديمة واطلعوا على العوائد السالفة ورأوا ذلك كان يقبض أثلاثاً مع المراعاة في ري الأراضي وعدمه فاختاروا الأصلح في أسباب العمار وقالوا ليس من الإنصاف المطالبة بالخراج قبل الزراعة بسنة وأهملوا وتركوا سنة خمس عشرة فلم يطالبوا الملتزمين بالأموال الميرية ولا الفلاحين بالخراج فتنفست الفلاحون وراج حالهم وتراجعت أرواحهم مع عدم تكليفهم كثرة المغارم والكلف وحق طرق المعينين ونحو ذلك.

وفي يوم الثلاثاء ثامنه، وصلت قافلة شامية وبها بضائع وصابون ودخان وحضر السيد بدر الدين المقدسي والحاج سعودي الحناوي وآخرون وتراجع سعر الصابون والقناديل الخليلي والدخان.

وفيه ورد الخبر بسفر الفرنساوية ونزولهم المراكب من ساحل أبي قير.

وفي يوم الأحد حبس حسن آغا محرم المنفصل عن الحسبة وطولب بمائتي كيس وذلك معتاد الحسبة في الثلاث سنوات التي تولاها أيام الفرنساوية فإنه لما تقلد أمر الحسبة في أيامهم منعوه من أخذ العوائد والمشاهرات من السوقة وجعلوا له مرتباً في كل يوم يأخذه من الأموال الديوانية نظير خدمته وكذلك أتباعه وطالبوه أيضاً بأربعة آلاف قرش كان أعطاها له نزله أمين عند

حضورهم في العام الماضي لمشتروات الذخيرة ثم نقض الصلح عقيب ذلك وخرجوا من مصر وبقيت بذمته فأخبر أن الفرنساوية علموا بها وأخذوها منه وأعطوه ورقة بوصول ذلك إليهم فلم يقبلوا منه ذلك، وبقي معتقلاً وادعوا عليه أيضاً بتركة الآغا الذي كان نزيله ومات عنده واحتوى على موجوده فأخبر أيضاً أن الفرنسيس أخذوا منه ذلك أيضاً وأعطوه سنداً فلم يقبلوا منه ذلك واستمر محبوساً.

وفي يوم الإثنين رابع عشره، نودي على أن أهل البلدة لا يصاهرون العساكر العثمانية ولا يزوجونهم النساء وكان هذا الأمر كثر بينهم وبين أهل البلد وأكثرهم النساء اللاتي دون مع الفرنساوية ولما حضر العثمانية تحجبن وتنقبن وتوسط لهن أشباههن من الرجال والنساء وحسنوهن للطلاب ورغبوا فيهن الخطاب فأمهروهن المهور الغالية، وأنزلوهن الناصب العالية وفي ذلك اليوم أيضاً نودي على أهل الذمة بالأمن والأمان وأن المطلوب منهم جزية أربع سنوات.

وفي قبض على جربجي موسى الجيزاوي وعمل عليه عشرون كيساً.

وفيه قبض محمد باشا أبو مرق على مقدمه مصطفى الطاراتي وضربه علقة وحبسه وألزمه بمبلغ دراهم.

وفيه سافر الانكليزية الذين بالجيزة والروضة الى جهة الاسكندرية وأشيع أن الحرب قائمة بين العساكر والفرنسيس الاسكندرانية، من يوم الإثنين سابعه، فطلبوا المراكب حتى شح وجودها وضاق الحال بالمسافرين واستمر طلبهم ونزولهم عدة أيام، وكذلك نبهوا على الكثير من العساكر الإسلامية بالسفر.

وفي يوم الخميس، نقضت الأوامر بتصرف الملتزمين في البلاد وقيدت صيارف من نصارى القبط بالترول الى البلاد لقبض الأموال في غير أوانها لطرف الدولة.

وفي يوم الجمعة ثامن عشره، لبس الأمراء الكبار القواويق على رؤوسهم.

وفيه قبض من مصطفى الطاراتي المعتقل المتقدم ذكره خمسة عشر ألف ريال ولم يزل معتقلاً وقيل إنه غمز عليه فوجد له في مكان صندوقان ضمنهما ذهب نقد عين ومصطفى هذا كان كلارجياً عند قائد آغا حين كان بمصر فلما خرج الأمراء مقدماً عند بونابارته، ثم عند كلهبر. فلما وقعت الفتنة السابقة وظهر يعقوب القبطي وتولى أمر الفردة وجمع المال تقيد بخدمته وتولى أمر اعتقال المسلمين وحبسهم وعقوبتهم وضربهم فكان يجلس على الكرسي وقت القائلة ويأمر أعوانه بإحضار أفراد المحبوسين من التجار وأولاد الناس فيمثل بين يديه ويطالبه بإحضار ما فرض عليه مما لا طاقة له به ولا قدرة له على تحصيله فيعتذر بخلو يده ويترجى إمهاله فيزجره ويسبه ويأمر بضربه فيبطحونه ويضرب بين يديه ويرده الى السجن بعد أن يأمر أعوانه أن يذهب الى داره وصحبته الجماعة من عسكر الفرنسيس ويهجمون على حريمه وأمثال ذلك.

وفي يوم الأحد، وردت أخبار من اسكندرية بتملك العساكر الإسلامية والانجليزية متاريس الفرنساوية وأخذهم المتاريس الى جهة العجمي وباب رشيد وجانباً من اسكندرية القديمة وتخطت المراكب وعبرت الى المينة وأن الفرنساوية انحصروا داخل الأبراج وأخذ منهم نحو المائة وسبعين أسيراً وقتل منهم عدة وافرة ووقعت بين الفريقين مقتلة عظيمة لم يقع نظيرها وقتل الكثير من عسكر قبطان باشا وكذلك من الانجليز، ثم انجلت الحرب عما ذكر، فلما ورد الخبر بذلك ضربوا عدة مدافع وسر الناس بذلك.

وفيه ورد الخبر بوصول سليمان صالح الى بلبيس وصحبته المحمل والحريمات وأحضر معه رمة سيده صالح بك ليدفنها بمصر بالقرافة فخرج أناس لملاقاتهم، وأخذوا معهم حمير مكارية لكراوي النساء وهدبه.

وفي يوم الإثنين، وصل سليمان آغا الى بركة الحاج وصحبته المحمل ونساء الأمراء القادمين من الشام ومعه أيضاً رمة صالح بك ليدفنها بقرافة مصر، فخرج الناس لملاقاتهم وأخذوا معهم حمير مكارية لركوب النساء وهديات ونودي في عصريته بعمل موكب من الغد وطاف ألاي جاويش بزيه المعتاد وخلفه القلبجية وهم ينادون يارن ألاي، فلما أصبح يوم الثلاثاء ثاني عشرينه عمل الموكب، وانجر الألاي ودخل المحمل من باب النصر وشقوا به من الشارع الأعظم وصادف ذلك اليوم يوم مولد المشهد الحسيني والأسواق مزينة وعلى الحوانيت الشقق الحرير والزردخات والتفاصيل وتعاليق القناديل ومشى في الموكب رسوم لوجاقلية والأوده باشية وأكثر الأمراء والمشايخ والعلماء ونقيب الأشراف ونبه على جميع الأشراف تلك الليلة بالحضور في صبح ذلك اليوم للمشي في ذلك الموكب فمشى كل من كان له عمامة خضراء يكبرون ويهللون فكانوا عدداً كثيراً وكل من وجدوه بالطريق وعلى رأسه خضار جذبوه وسحبوه قهراً وأمروه بالمشي وإن أبى ضربوه وسبوه وبكتوه بقولهم، ألست من المسلمين وكذلك تجمع أرباب الأشاير ومشوا على عادتهم بطبولهم وزمورهم وخباطهم وخرقهم وخورهم وصياحهم، فلم يزالوا حتى وصلوا الى قراميدان وتسلم المحمل محمد باشا أبو مرق من سليمان آغا الذي وصل به ولكونه عوضاً عن سيده أمير الحاج صالح بك، ثم صعدوا به الى القلعة وأودعوه هناك وعملت وقدة وشنك تلك الليلة.

وفي ذلك اليوم، شرعوا في فتح باب الفتوح، وكان القصد إدخال المحمل منه لضيق باب الاستثناء الثاني الذي جدده الفرنساوية عند باب النصر، فلم يتأت ذلك لمتانة البناء واستمروا ثلاثة أيام يهدمون في البناء الذي على الباب من داخل، فلم يمكن ودفنوا صالح بك بتربة أعدت له بقرافة المجاورين والعجب أن الناس من القديم يتمنون أن يقبروا بالأرض المقدسة لكونها عش الأنبياء والصديقين وهؤلاء الثلاثة بالعكس فما هو إلا لتطهيرها منهم.

وفيه ورد خبر باسكندرية بانقضاء الحرب وطلب الفرنسيس الصلح بعد وقوع الغلبة ليهم وهزيمتهم وأخذ منهم عدة أسرى وانحصروا في الأبراج فأمنوهم وأجلوهم خمسة أيام آخرها يوم الخميس سابع عشرينه.

وفيه ألزموا حسن آغا المحتسب بالنقلة من داره وهو في الحبس فأرسل الى حريمه وأتباعه فانتقلوا الى مكان آخر.

وفيه ورد الخبر أيضاً بورود عثمان كتخدا الدولة الذي كان بمصر في العام السابق وباشر الحروب بمصر وصحبته آخر يقال له شريف أفندي.

وفي سادس عشرينه قدم محمد أفندي المعروف بشريف أفندي الدفتردار وقدم بصحبته عثمان كتخدا الدولة وسكن شريف أفندي بدرب الجماميز وسكن الكتخدا بمترل حسن آغا المحتسب سابقاً بسويقة اللالا.

وفي غايته عمل شنك ومدافع كثيرة وذلك لوصول خبر بتسليم الاسكندرية وسبب تأخرهم الى هذه المدة بعد وقوع الصلح انتظار الأمر بالانتقال من بونابارته، وذلك أنه لما وقع الصلح المتقدم أرسل ساري عسكر منو تطريدة الى فرانسا بالخبر الى بونابارته وانتظر الجواب فورد عليه الأمر بالانتقال والحضور، فعند ذلك نزلوا متاعهم الى المراكب وسافروا الى بلادهم.

شهر جمادى الأولى استهل بيوم الخميس سنة 1216

فيه قرئت فرمانات صحبة عثمان كتخدا وفيها التنويه بذكر أعيان الكتبة الأقباط والوصية بهم مثل جرجس الجوهري واصف وملطي ومقدمهم في تحرير الأموال الميرية.

وفيه انفصل مولانا السيد محمد المعروف بقدسي أفندي عن القضاء وسافر ذلك اليوم، وذلك بمراده واستعفائه وطلبه وتقلد القضاء عوضه عبد الله أفندي قاضي الميري وكاتب الجمرك وحضر في ذلك اليوم الى المحكمة.

وفي يوم السبت ثالثه، أفرج عن حسن آغا المحتسب بشفاعة عثمان كتخدا وحسن آغا وكيل قبطان باشا من غير شيء وتوجه الى دار بجوار داره.

وفيه تجمع النساء والفلاحون والملتزمون والوجاقلية ببيت الوزير بسبب الالتزام والمنع من التصرف وحضور الفلاحين للضيق عليهم بطلب المال الى ملتزميهم ومطالبتهم إياهم بما قبضوه منهم، فلما اجتمعوا وصرخوا سأل الوزير عن ذلك فأخبروه، فأمر بكتابة فرمان بالإطلاق والإذن للملتزمين بالتصرف ووجهوا الأمر الى الدفتردار، فكتب عليه ثم الى الروزنامجي كذلك، ثم توجهوا الى دفتردار الدولة فتوقف وبقي الأمر زجاجاً أياماً، وذلك أن القوم يريدون أموراً مبطونة في نفوسهم وأطماعاً مركوزة في طباعهم.

وفي يوم الإثنين، نودي بالزينة ثلاثة أيام أولها الأربعاء وآخرها الجمعة تاسعه سروراً بتسليم الاسكندرية فزينت المدينة وعملت الوقدات بالأسواق والمغاني للفرجة ليلاً ونهاراً وكل ليلة يعمل شنك نفوط وسواريخ وبارود ببركة الغرابين المطل عليها بيت الوزير.

وفيه حضر نحو ستة أنفار من أعيان الانكليز وصحبتهم جماعة من العثمانية يفرجونهم على مواطن مزارات المسلمين فدخلوا الى المشهد الحسيني وغيره بمداساتهم فتفرجوا وخرجوا.

وفيه تحاسب السيد أحمد المحروقي مع السيد أحمد الزرو على شركة بينهما فتأخر علي الزرو أحد وعشرون كيساً فألزمه بإحضارها وحبسه بسجن قواس باشا وأمره بالتضييق عليه، ولما أصبح يومالسبت لغط الناس باستمرار الزينة سبعة أيام، وانتظروا الإذن في رفع التعاليق، فلم يؤذن لهم بشيء، فاستمروا طول النهار في اختلاف وحل وربط، ثم أذن لهم قبيل الغروب برفعها بعدما عمروا القناديل، وكان الناس يبيتون سهارى بالحوانيت والقلقات يطوفون بالأسواق، فمن وجدوه نائماً نبهوه بإزعاج.

وفي يوم الإثنين ثاني عشره، وقع من طوائف العسكر عربدة بالأسواق وتخطفوا أمتعة الناس ومن باعة المآكل كالشواء والفطير والبطيخ والبلح فانزعجت الناس ورفعوا متاعهم من الحوانيت وأخلوا منها وأغلقوها فحضر إليهم بعض أكابرهم وراطنهم فانكفوا ورق الحال وتبين أن السبب في ذلك تأخير علائفهم، وذلك أن من عادتهم القبيحة أنه إذا تأخرت عنهم علائفهم فعلوا مثل ذلك بالرعية وأثاروا الشرور، فعند ذلك يطلبون خواطرهم ويعدونهم أو يدفعون لهم.

وفيه ورد الخبر بتولية محمد باشا خسرو على مصر وهو كتخدا حسين باشا القبودان فألبس الوزير وكيله خلعة عوضاً عنه وأشيع عزل محمد باشا أبي مرق وسفره الى بلاده وحضر السفار أيضاً من جهة رشيد واسكندرية وأخبروا بأن الفرنساوية لم يزالوا باسكندرية وبنديراتهم على الأبراج وأن القبطان ومن معه لم يدخلوها وإنما يدخلها معهم الانكليزية وأنهم ينتظرون الى الآن الجواب والإذن من شيختهم وما أشيع قبل ذلك فلا أصل له، وأما الطائفة الأخرى التي سافرت من مصرفاتهم نزلوا

وسافروا على وفق الشرط من أبي قير كما تقدم.

وفي يوم الخميس ثاني عشرينه، وردت مكاتبة من قبطان باشا بطلب عثمان بك المرادي وعثمان بك البرديسي وابراهيم كتخدا السناري والحاج سلامة تابعه وآخرين فسافروا في يوم السبت رابع عشرينه.

وفي ليلة السبت المذكور قتلوا شخصاً يسمى مصطفى الصيرفي من خط الصاغة قطعوا رأسه تحت داره عند حانوته وسبب ذلك أنه كان يتداخل في نصارى القبط والذين يتعاطون الفرد ويوزعونها، وتولى فردة أهل الصاغة وسوق السلاح وتجاهر بأمور نقمت عليه وأضر أشخاصاً وأغري به فحبس أياماً، ثم قتل بأمر الوزير وترك مرمياً ثلاث ليال، ثم دفن وفي صبيحة قتله طاف المشاعلي بالخطة ودوائرها مثل الجمالية والضببية والنحاسين وباب الزهومة وخان الخليلي فجبي من أرباب الحوانيت دارهم ما بين خمسة أنصاف فضة وعشرة وعند شيله جبى القلقات أيضاً ما يزيد على المائة قرش، وذلك من جملة عوائدهم القبيحة.

وفيه هرب السيد أحمد الزرو، فلم يعلم له خبر وذلك بعدما أطلق بضمانة السيد أسعد وابن محرم فكتب الوزير عدة فرمانات وأرسلها صحبة هجانة الى جهة الشام وختموا على دوره ولم يعلم هروبه إلا بعد أربعة أيام لما داخله من الخوف بقتل الصيرفي المذكور.

وفي يوم الخميس تاسع عشرينه، عقد ابراهيم بك الكبير عقد ابنته عديلة هانم التي كانت تحت ابراهيم بك الصغير المعروف بالوالي الذي غرق بواقعة الفرنسيس بانبابة على الأمير سليمان كاشف مملوك زوجها الأول على صداق ألفين ريال وحضر العقد الشيخ السادات والسيد عمر النقيب والفيومي وبعض الأعيان.

وفي يوم الجمعة، غايته قتل شخص أيضاً بسوق السلاح وهو من ناحية المنصورة وجبى المشاعلية والقلقات دراهم من أرباب الحوانيت مثل ذلك المذكور فيما تقدم، وانقضى هذا الشهر وحوادثه التي منها الارتباك في أمر حصص الالتزام والمزاد في المحلول وعدم الراحة والاستقرار على شيء يرتاح الناس عليه، ومثل ذلك الرزق الأحباسية والأوقاف وحضر شخص تولى النظر والتفتيش على جميع الأوقاف المصرية السلطانية وغيرها، وبيده دفاتر ذلك فجمع المباشرين واستملاهم وكذلك كاتب المحاسبة وبث المعينين لإحضار النظار بين يديه وحسابهم على الإيراد والمصرف وأظهر أنه يريد بذلك تعمير المساجد وإجراء شروطات الأوقاف وآخر مثله لتحرير الأوقاف والمساجد الكائنة بالقرى المصرية وانضمت إليه الأغوات وطلب كل من كان له أدنى علاقة بذلك واستمروا على ذلك بطول السنة، ثم انكشف الأمر وظهر أن المراد من ذلك ليس إلا تحصيل الدراهم فقط وأخذ المصالحات والرشوات بقدر الإمكان بعد التعنت في التحرير والتعلل بإثبات المدعي في الإيراد والمصرف خصوصاً إذا كان الشخص ضعيفاً وليس من أرباب الوجاهة والمتجوهين أو بينه وبين الكتبة حزازة باطنية. ثم يحررون دفتراً ويحررون الفائظ، ثم يطلبون منه إيراد ثلاث سنوات أو أربع، ولم يزل حتى يصالح على نفسه بما أمكنه، ثم يختمون له ذلك الدفتر ويتركونه وما يدين إن شاء عمر. وإن شاء آخر فإن انتهت إليهم بعد ذلك شكوى في ناظر وقف سبقت له مصالحة لا تسمع شكوى الشاكي ولا يلتفت إليها ويفعلون هذا الفعل في كل سنة.

ومنها زيادة النيل الزيادة المفرطة عن المعتاد وعن العام الماضي أيضاً حتى غطى الذراع زاده الفرنساوية على عامود المقياس فإن

الفرنساوية لما غيروا معالم المقياس رفعوا الخشبة المركبة على العامود وزادو فوق العامود قطعة رخام مربعة مهندمة وجعلوا ارتفاعها مقدار ذراع مقسوم بأربعة وعشرين قيراطاً، وركبوا عليها الخشبة فسترها الماء أيضاً ودخل الماء بيوت الجيزة ومصر القديمة، وغرقت الروضة، و لم يقع في هذا النيل حظوظ، ولا نزهة للناس كعادتهم في البرك والخلجان والمراكب وذلك لاشتغال الناس بالهموم المتوالية وخصوصاً الخوف من أذى العسكر وانحراف طباعهم وأوضاعهم، وعدم المراكب وتخريب الفرنسيس أماكن النزاهة وقطع الأشجار وتلف المقاصف التي كانت تجلس بها أولاد البلد مثل دهليز الملك والجسر والرصيف، وغير ذلك مثل الكازروني والمغربي وناحية قنطرة السد وقصر العيني والقصور.

ومنها أن محمد بك المعروف بالمنفوخ المرادي، حصل عنده وحشة من قبطان باشا فحضر الى ناحية الأهرام بالجيزة، وطلب الحضور عند الوزير يستجير به فذهب إليه خشداشه عثمان بك البرديسي وحادثه وأشار عليه بالرجوع الى جهة القبطان، فأقام أياماً، ثم رجع الى ناحية اسكندرية والسبب في ذلك، ما حصل في الواقعة التي قتل بها أحمد بك الحسيني قيل إن ذلك بنفاقه عليه، واتضح ذلك للقبطان وأحضرت العرب مراسلته إليهم بذلك فانحرف عليه القبطان، فلما علم ذلك داخله الخوف، ثم أرسل إليه الأمراء والقبطان أماناً فرجع بعد أيام.

ومنها حضور الجمع الكثير من أهالي الصعيد هروباً من الألفي وما أوقعه بهم من الجور والمظالم والتقارير والضرائب والغرائم، وحضر أيضاً الشيخ عبد المنعم الجرجاوي والشيخ العارف وخلافهم يتشكون مما أنزله على بلادهم، وطلب متروكات الأموات، وأحضر ورثتهم وأولادهم وأطفالهم ومن توسط أو ضبط أو تعاطى شيئاً من القضاة والفقهاء وحبسهم وعاقبهم وطالبهم، وطلب استئصال ما بأيديهم، ونحو ذلك كل ذلك بأمن من الدولة وغير ذلك معين. فحضروا فصالحوا على تركة سليم كاشف بإثنين وعشرين ألف ريال بعد أن ختموا على دوره، بعد أن أزعجوا حريمه وعياله ونطوا من الحيطان، ثم حضروا الى مصر وأمثال ذلك.

ومنها كثرة تعدي العسكر بالأذية للعامة وأرباب الحرف فيأتي الشخص منهم ويجلس على بعض الحوانيت، ثم يقوم فيدعي ضياع كيسه، أو سقوط شيء منه، وإن أمكنه اختلاس شيء فعل أو يبدلون الدنانير الزيوف الناقصة، النقص الفاحش بالدراهم الفضة قهراً أو يلاقشون النساء في مجامع الأسواق من غير احتشام ولا حياء وإذا صرفوا دراهم أو أبدلوها، اختلسوا منها وانتشروا في القرى والبلدان ففعلوا كل قبيح، فتذهب الجماعة منهم الى القرية وبيدهم ورقة مكتوب باللغة التركية يوهمونهم أنهم حضروا إليهم بأوامر ما برفع الظلم عنهم، أو ما يتدعونه من الكلام المزور ويطلبون حق طريقهم مبلغاً عظيماً ويقبضون على مشايخ القرية ويلزمونهم بالكلف الفاحشة ويخطفون الأغنام ويهجمون على النساء وغير ذلك مما لا يحيط به العلم، فطفشت الفلاحون وحضر أكثرهم الى المدينة حتى امتلأت الطرق والأزقة منهم، أو يركب العسكري حمار المكاري قهراً ويخرج به الى جهة الخلاء فيقتل المكاري ويذهب بالحمار فيبيعه بساحة الحمير وإذا انفردوا بشخص أو بشخصين خارج المدينة أخذوا دراهمهم أو شلحوهم ثيابهم أو قتلوهم بعد ذلك، وتسلطوا على الناس بالسب والشتم ويجعلونهم كفرة وفرنسيس، وغير ذلك وتمنى أكثر الناس وخصوصاً الفلاحين أحكام الفرنساوية.

ومنها أن أكثرهم تسبب في المبيعات وسائر أصناف المأكولات والخضارات ويبيعونها بما أحبوا من الأسعار، ولا يسري عليهم

حكم المحتسب، ولا غيره وكذلك من تولى منهم رياسة حرفة من الحرف كالمعمارجية أو غيرهم، قبض من أهل الحرفة معلوم أربع سنوات وتركهم. وما يدينون فيسعرون كل صنف بمرادهم، وليس له هو التفات لشيء سوى ما يأخذه من دراهم الشكاوي فغلا بسبب ذلك الجبس والجير وأجر الفعلة والبنائين خصوصاً، وقد احتاج الناس لبناء ما هدمه الفرنسيس، وما تخرب في الحروب بمصر وبولاق وجهات خارج البلد حتى وصل الأردب الجبس الى مائة وعشرين نصف فضة والجير بخمسين نصف فضة، وأجرة البناء أربعين فضة والفاعل عشرين، وأما الغلة فرخيصة وكذلك باقي الحبوب بكثرتها مع أن الرغيف ثلاثة آواق بنصف، لما ذكر من عدم الاتفات الى الأحكام والتسعيرات.

واستهلت جمادى الثانية بيوم السبت سنة 1216

فيه تفكك الجسر الكبير المنصوب من الروضة الى الجيزة، وذلك من شدة الماء وقوته فتحللت رباطاته وانتزعت مراسيه وانتشرت أخشابه تفرقت سفنه وانحدرت الى بحري.

وفي ليلة الأحد ثانيه، حصلت زلزلة في ثالث ساعة من الليل.

وفي يوم الإثنين ثالثه، قطعوا رأس مصطفى المقدم المعروف بالطاراتي بين المفارق بباب الشعرية، وذلك بعد حبسه أياماً عديدة، وضربه وعقابه حتى تورمت أقدامه وطاف مع المعينين عدة أيام يتداين بواقي ما قرر عليه، ودخل داراً نافذة وأجلس الملازمين له ببابها وهم لا يعلمون بنفوذها وأوهم أنه يريد التداين من صاحب الدار ونفذ من الجهة الأخرى واختفى في بعض الزوايا فاستعوقه الجماعة ودخلوا الى الدار، فلم يجدوه وعلموا بنفوذها فقبضوا على خدمة الدار وضربوهم، فلم يجدوا عندهم علماً منه، فأطلقوهم وأوقعوا عليه الفحص والتفتيش فرآه شخص ممن صادره في أيام الفردة، فصادفه في صبحها خارج باب القرافة فقبض عليه. وأحضره بين يدي جماعة القلق فدل عليه، فقبضوا عليه وقتلوه بعد القبض عليه بثلاثة أيام وتركوه مرمياً تحت الأرجل وسط الطريق وكثرة الازدحام ثلاث ليال وفعلوا عادتهم في جبي الدراهم من تلك الخطة.

وفيه ورد فرمان من محمد باشا والي مصر، بأن يتأهبوا لموكبه على القانون القديم، فكتبوا تنابيه للوجاقلية والأجناد بالتهيؤ للموكب.

وفي يوم الثلاثاء، وصل شمس الدين بك أمير اخور كبير ومرجان آغا دار السعادة فأرسلوا تنابيه الى الوجاقلية والأمراء والمشايخ ومحمد باشا وابراهيم باشا فاجتمعوا ببيت الوزير. وحضر المذكوران بعد الظهر فخرج الوزير ولاقاهما من المجلس الخارج، فسلماه كيساً بداخله خط شريف فأخذه وقبله وأحضرا له بقجة بداخلها خلعة سمور عظيمة فلبسها وسيفاً تقلد به وشلنج جوهر وضعه على رأسه، ودخل صحبتهما الى القاعة حيث الجمع ففتح الكيس وأخرج منه الفرمان، ففتحه وأخرج منه ورقة صغيرة فسلمها لرئيس أفندي فقرأها باللغة التركية والقوم قيام على أقدامهم مضمونها الخطاب لحضرة الوزير الحاج يوسف باشا وحسين باشا القبطان والباشات والأمراء والعساكر المجاهدين والثناء عليهم والشكر لصنيعهم، وما فتحه الله على يديهم وإخراجهم الفرنسيس، ونحو ذلك، ثم وعظ بعض الأفندية بكلمات معتادة ودعوا السلطان والوزير والعساكر الإسلامية، وتقدم ابراهيم باشا ومحمد باشا وطاهر باشا وباقي الأمراء، فقبلوا ذيل الخلعة وانصرفوا وضربوا مدافع كثيرة من القلعة في ذلك

الوقت، وفي ذلك اليوم ألبس الوزير الأمراء والبلات فراوي وخلعاً وشلنجات ذهب على رؤوسهم.
وفيه حضرت أطواخ بولاية جدة لمحمد باشا توسون أغات الجبجية وهو إنسان لا بأس به.
وفيه حضر القاضي الجديد من الروم ووصل الى بولاق وهو صاحب المنصب فأقام ثلاثة أيام وصحبته عياله وحريمه، فلما كان يوم السبت ثامنه حضر بموكبه الى المحكمة، وذهب إليه الأعيان في صبحها وسلموا عليه وله مسيس بالعلم.
وفي يوم الثلاثاء حادي عشره، عمل الوزير الديوان وحضر عنده الأمراء، فقبض على ابراهيم بك الكبير، وباقي الأمراء الصناجق وحبسهم وأرسل طاهر باشا بطائفة من العسكر الأرنؤد الى محمد بك الألفي بالصعيد، وكان أشيع هروبه الى جهة الواحات، وذهبت طائفة الى سليم بك أبي دياب، وكان مقيماً بالمنيل، فلما أخذ الخبر طلب الهرب، وترك حملته، فلما حضرت العسكر إليه، فلم يجدوه فنهبوا القرية وأخذوا جماله وهي نحو السبعين وهجنه وهي نيف وثلاثون هجيناً، وذهبت إليه طائفة بناحية طرا فقاتلهم ووقع بينهم بعض قتلى ومجاريح. ثم هرب الى جهة قبلي من على الحاجز، ووقفت طائفة العسكر والأرنؤد بالأخطاط والجهات. وخارج البلد يقبضون على من يصادفونه من المماليك والأجناد ونودي في ذلك اليوم بالأمن والأمان على الرعية والوجاقلية، وأطلق الوزير مرزوق بك ورضوان كتخدا ابراهيم بك وسليمان آغا كتخداه المسمى بالحنفي وأحاطت العسكر بالأمراء المعتقلين واختفى باقيهم. ونودي عليهم وبالتوعد لمن أخفاهم أو آواهم وباتوا بليلة كانت أسوأ عليهم من ليلة كسرتهم وهزيمتهم من الفرنسيس وخاب أملهم وضاع تعبهم وطمعهم، وكان في ظنهم أن العثملي يرجع الى بلاده، ويترك لهم مصر ويعودون الى حالتهم الأولى يتصرفون في الأقاليم كيفما شاؤوا فاستمروا في الحبس، ثم تبين أن سليم بك أبا دياب ذهب الى عند الانكليز والتجأ إليهم بالجيزة وألبس لوزير سليمان آغا تابع صالح آغا زي العثمانيين وجعله سلحور وأمره أن يتهيأ ليسافر الى اسلامبول في عرض الدولة.

وفي يوم الإثنين سابع عشره، سافر اسمعيل أفندي شقبون كاتب حوالة الى رشيد باستدعاء من الباشا والي مصر.
وورد الخبر بوصول كسوة للكعبة من حضرة السلطان، فلما كان يوم الأربعاء حضر واحد أفندي وآخرون وصحبتهم الكسوة فنادوا بمرورها في صبحها يوم الخميس، فلما أصبح يوم الخميس المذكور ركب الأعيان والمشايخ والأشاير وعثمان كتخدا المنوه بذكره لإمارة الحج وجمع من الجاويشية والعساكر والقاضي، ونقيب الأشراف وأعيان الفقهاء وذهبوا الى بولاق.
وأحضروها وهم أمامها وفردوا قطع الحزام المصنوع من المخيش ثلاث قطع والخمسة مطوية، وكذلك البرقع ومقام الخليل، كل ذلك مصنوع بالمخيش العال والكتابة غليظة محوفة متقنة وباقي الكسوة في سحاحير على الجمال، وعليها أغطية جوخ أخضر ففرح الناس بذلك. وكان يوماً مشهوداً وأخبر من حضر أنه عندما وصل الخبر بفتح مصر، أمر حضرة السلطان بعملها فصنعت في ثلاثين يوماً، وعند فراغها أمرهم بالسير بها ليلاً، وكان الريح مخالفاً فعندما حلوا المراسي اعتدل الريح بمشيئة الله تعالى، وحضروا الى اسكندرية في أحد عشر يوماً.
وفيه وردت الأخبار بأن حسين باشا القبطان لم يزل يتحيل وينصب الفخاخ للأمراء الذين عنده وهم محترزون منه وخائفون من الوقوع في حباله، فكانوا لا يأتون إليه إلا وهم متسلحون ومحترزون وهو يلاطفهم ويبش في وجوههم الى أن كان اليوم الموعود به عزم عليهم في الغليون الكبير الذي يقال له أزج عنيرلي، فلما طلعوا الى الغليون وجلسوا، فلم يجدوا القبودان

فأحسوا بالشر وقيل إنه كان بصحبتهم فحضر إليه رسول، وأخبره أنه حضر معه ثلاثة من السعاة بمكاتبة فقام ليرى تلك المراسلة، فما هو إلا أن حضر إليهم بعض الأمراء وأعلمهم أنه ورد خط شريف باستدعائهم الى حضرة مولانا السلطان وأمرهم بترع السلاح فأبوا ونهض محمد بك المنفوخ وسل سيفه وضرب ذلك الكبير فقتله، فما وسع البقية إلا أنهم فعلوا كفعله وقاتلوا من بالغليون من العساكر وقصدوا الفرار، فقتل عثمان بك المرادي الكبير وعثمان بك الأشقر ومراد بك الصغير وعلي بك أيوب ومحمد بك المنفوخ ومحمد بك الحسيني الذي قامر عوضاً عن أحمد بك الحسيني وابراهيم كتخدا السناري وقبض على الكثير منهم وأنزلوهم المراكب، وفر البقية مجروحين الى عند الانكليز وكانوا واقعين عليهم من ابتداء الأمر فاغتاظ الانكليز وانحازوا الى اسكندرية وطردوا من بها من العثمانيين وأغلقوا أبواب الأبراج وحضر منهم عدة وافرة وهم طوابير بالسلاح والمدافع واحتاطوا بقبطان باشا من البر والبحر فتهيأ عساكره لحربهم فمنعهم فطلب الانجليز بروزه بعساكره لحربهم فقال لم يكن بيننا وبينكم حرب واستمر جالساً في صيوانه فحضر إليه كبير الانجليز وتكلم معه كثيراً وصمم على أخذ بقية الأمراء المسجونين فأطلقهم له فتسلمهم وأخذ أيضاً المقتولين ونقل عرضي الأمراء من محطتهم الى جهة الاسكندرية وعملوا مشهداً للقتلى مشى به عساكر الانجليز على طريقتهم في موت عظمائهم ووصل الخبر الى من بالجيزة من الانكليز وذلك ثاني يوم من قبض الوزير على الأمراء ففعلوا كفعلهم وأخذوا حذرهم وضربوا بعض المدافع ليلاً وشرعوا في ترتيب آلة الحرب.

وفي ذلك اليوم، طلع محمد باشا توسون والي جدة الساكن بيت طرا الى القلعة وصعد معه جملة من العسكر وشرعوا في نقل قمح ودقيق وقومانية وملؤوا الصهاريج وشاع ذلك بين الناس فارتاعوا وداخلهم الوسواس من ذلك واستمروا ينقلون الى القلعة مدافع وبارود أو آلات حرب.

وفي يوم الإثنين رابع عشرينه، حضر كبير الانجليز الذي بالجيزة فألبسه الوزير فروة وشلنجاً.

وفي ذلك اليوم، خلع الوزير على عثمان آغا المعروف بقبي كتخدا وقلده على إمارة الحج.

وفي ذلك اليوم، وقع بين عسكر المغاربة والانكشارية فتنة ووقفوا قبالة بعضهم ما بين الغورية والفحامين وأغلقت الناس حوانيتهم بسوق الغورية والعقادين والصاغة والنحاسين ولم يزالوا على ذلك حتى حضر أغات الانكشارية وسكنت الفتنة بين الفريقين.

وفي الخميس سابع عشرينه، مروا بزفة عروس بسوق النحاسين وبها بعض انكشارية فحصلت فيهم ضجة ووقع فيهم فشل فخطفوا ما على العروس وبعض النساء من المصاغ المزينات به وفي أثناء ذلك مر شخص مغربي فضربه عسكري رومي بارودة فسقط ميتاً عند الأشرفية فبلغ ذلك عسكر المغاربة فأخذوا سلاحهم وسلوا سيوفهم وهاجت حماقتهم وطلعوا يرمحون من كل جهة وهم يضربون البندق ويصرخون فأغلقت الناس الحوانيت وهرب قلق الأشرفية بجماعته وكذلك قلق الصنادقية وفزعت الناس ولم يزالوا على ذلك من وقت الظهر الى الغروب ثم حال بينهم الليل وقتل المغاربة أربعة أشخاص وأصبحوا محترسين من بعضهم فحضر أغات الانكشارية على تخوف وجلس بسبيل الغورية وحضر الكثير من عقلاء الانكشارية وأقاموا بالغورية وحوالي جهة الكعكيين والشوائين حيث سكن المغاربة واستمر السوق مغلقاً ذلك اليوم ورجعت القلقات الى مراكزها وبردت القضية وكأنهم اصطلحوا وراحت على من راح.

وانقضى هذا الشهر بحوادثه التي منها استمرار نقل الأدوات الى القلعة وكذلك مراكز باقي القلاع مع أنهم حربوا أكثرها.
ومنها زيادة تعدي العسكر على السوقة والمحترفين والنساء وأخذ ثياب من ينفردون به من الناس في أيام قليلة.
ومنها استمرار مكث النيل على الأرض وعدم هبوطه حتى دخل شهر هاتور وفات أوان الزراعة وعدم تصرف الملتزمين وهجاج الفلاحين من الأرياف لما نزل بهم من جور العسكر وعسفهم في البلاد حتى امتلأت المدينة من الفلاحين ونودي عليهم عدة مرار بذهابهم الى بلادهم.
ومنها أن الوزير أمر المصرلية بتغيير زيهم وأن يلبسوا زي العثمانية فلبس أرباب الأقلام والأفندية والقلقات القواويق الخضر والعنتريات وضيقوا أكمامهم ولبس مصطفى آغا وكيل دار السعادة سابقاً وسليمان آغا تابع صالح آغا وخلافهما.

واستهل شهر رجب الفرد سنة 1216

سافر سليمان آغا تابع صالح آغا الى اسلامبول.
وفيه أمر الوزير الأمراء المحبوسين بأن يكتبوا كتاباً الى الانكليز بأنهم أتباع السلطان وتحت طاعته وأمره إن شاء أبقاهم في إمارتهم وإن شاء قلدهم مناصب في ولايات أخرى وإن شاء طلبهم يذهبون إليه فلا دخل لكم بيننا وبينه وكلام في معنى ذلك فأرسلوا يقولون إن هذا الكلام لا عبرة به فإنهم مسجونون وتحت أمركم ومكتوب المقهور المكره لا يعمل به فإن كان ولابد فأرسلوهم إلينا لنخاطبهم ونعلم ضميرهم وحقيقة حالهم فلما كان ليلة الإثنين تاسعه أحضر الوزير ابراهيم بك والأمراء وأعلمهم أن قصده إرسالهم الى بر الجيزة عند الانجليز ليتفسحوا ذلك اليوم ويخبروهم أنهم مطيعون للسلطان وتحت أوامره وأن المراسلة التي أرسلوها عن طيب قلب أمنهم وليسوا مكرهين في ذلك فأظهر ابراهيم بك القنع عن الذهاب وأنه لا غرض له في الذهاب الى مخالفين الدين فجزن عليه ووعده خيراً وعاهدهم وحلفهم فنزلوا وركبوا من عنده في الصباح وما صدقوا بالخلاص وعدوا الى الجيزة وذهبوا الى عند الانجليز فتبعهم أتباعهم ومماليكهم يرمحون إليهم ويلحقون بهم فأقاموا هناك ولم يرجعوا فانتظر الوزير رجوعهم خمسة أيام وأرسل إليهم يدعوهم الى الرجوع حكم عهدهم فامتنع ابراهيم بك وتكلم بما في ضميره من قهره من الوزير وخيانته له.
وفي يوم السبت، عملوا جمعية ببيت الشيخ السادات واجتمع المشايخ والوجاقلية وذلك بأمر من الوزير وأرسل إليهم مكاتبة وفي ضمنها النصيحة والرجوع الى الطاعة فأرسلوا في جواب الرسالة يقولون إنهم ليسوا مخافين ولا عاصين وأنهم مطيعون لأمر الدولة وإنما تأخرهم بسبب خوفهم وخصوصاً ما وقع لإخوانهم باسكندرية وأنهم لم يذهبوا الى عند الانجليز إلا لعلمهم أنهم عسكر السلطان ومن المساعدين له على أعدائه ومتى ظهر لهم أمر يرتاحون فيه رجعوا الى الطاعة ونحو ذلك من الكلام.
وفي يوم الجمعة سابع عشرينه، حضر عابدي بك نسيب مولانا الوزير فخرج إليه غالب أعيان العثمانية والجاويشية وطاهر باشا وعسكر الأرنؤد وتلقوه ودخل بحموله في موكب جليل وكان حضرة الوزير حاصلاً عنده توعك وغالب أوقاته محتجب عن ملاقاة الناس.
وفيه، ورد الخبر بسفر قبطان باشا من ساحل أبي قير الى اديار الرومية في منتصف الشهر وأما محمد باشا الوالي على مصر فإنه

لم يزل مقيماً بأبي قير وحضر خازنداره وسكن ببيت البكري بالأزبكية.

واستهل شهر شعبان بيوم الثلاثاء سنة 1216

فيه حضر يوسف أفندي وبيده مرسوم بولايته على نقابة الأشراف فبات ببولاق وأرسل ناساً يعلمون بحضوره فلم يخرج لملاقاته أحد ثم أن بعض الناس أحضر إليه فرساً فركبه في ثاني يوم وحضر الى مصر وأشاع أنه متولي نقابة الأشراف ومشيخة المدرسة الحبانية وخبر ذلك الإنسان أنه كان يبيع الخدرة واليميش بحانوت بخان الخليلي وهو من متصوفة الأتراك الذين يتعاطون الوعظ والإقراء باللغة التركية فمات شيخ رواق الأروام بالأزهر فاشتاقت نفسه للمشيخة على الرواق المذكور فتولاها بمعونة بعض سفهائهم فنقم عليه الطائفة أموراً واختلاسات من الوقف فتعصبوا عليه وعزلوه وولوا مكانه السيد حسين أفندي المولى الآن فحنق من ذلك وداخله قهر عظيم وحقد على حسين أفندي المذكور وأضمر له في نفسه المكروه فدعاه يوماً الى داره ودس له سماً في شرابه فنجاه الله من ذلك وشربت ابنة يوسف أفندي الداعي تلك الكاسة المسمومة غلطاً وماتت وشاع ذلك وتواترت حكايته بين الناس ورجع كيده عليه وذاق وبال أمره.

ثم أنه سافر الى اسلامبول وأقام هناك مدة إقامة الفرنسيس بمصر و لم يزل يتحيل ويتداخل في بعض حواشي الدولة وعرض بطلب النقابة ومشيخة الحبانية فأعطوه ذلك لعدم علمهم بشأنه وظنهم أنه أهل لذلك بقوله لهم إنه كان شيخاً على الأزهر ومعرفته بالعلم فلما حصل بمصر وظهر أمره تجمعت أعيان الأشراف وقالوا لا يكون هذا حاكماً ولا نقيباً علينا أبداً وتنوقل خبره وظهر حاله لأكابر الدولة وحضرة الصدر الأعظم فلم يصغوا إليه و لم يسعفوه وأهمل أمره وهكذا شأن رؤساء الدولة أدام الله بقاءهم إذا تبين لهم الصواب في قضية لا يعدلون الى خلافه.

من الحوادث

أنه تقيد بأبواق القاهرة بعض من نصارى القبط ومعهم بعض من العسكر فصاروا يأخذون دراهم من كل من وجدوا معه شيئاً سواء كان داخلاً أو خارجاً بحسب اجتهادهم وكذلك ما يجلب من الأرياف وزاد تعديهم فعم الضرر وعظم الخطب وغلت الأسعار وكل من ورد بشيء يبيعه يشتط في ثمنه ويحتج بأنه دفع عليه كذا وكذا من دراهم المكس فلا يسع المشتري إلا التسليم لقوله والتصديق له وقبول عذره والسبب في ذلك أن الذين تقيدوا بديوان العشور بساحل بولاق دس عليهم بعض المتقيدين معهم من الأقباط بأن كثيراً من المتاجر التي يؤخذ عليها العشور يذهب بها أربابها من طريق البر ويدخلون بها في أوقات الغفلة تحاشياً عن دفع ما عليها وبذلك لا يجتمع المال المقرر بالديوان فيلزم أن يتقيد بكل باب من يترقب لذلك ويرصده ويأخذ ما يخص الديوان من ذلك فأذن كبراء الديوان بذلك فانفتح لهم بذلك الباب فولجوه و لم يحسبوا للعاقبة من حساب وزادوا في الجور والفضائح وأظهروا ما في نفوسهم من القبائح فساءت الظنون واستغاثت المستغيثون وأكثر سخاف الأحلام مما لا طائل تحته من الكلام إلى أن زاد التشكي وأنهى الأمر الى الوزير فأمر بإبطال ذلك وانجلت تلك الغمة.

وفيه، أيضاً عرض طائفة القبانية وتشكوا مما رتب عليهم من الجمرك السنوي فأطلق لهم الأمر برفعه عنهم.

وفيه قبضوا على رجل من المفسدين بإقليم المنوفية يقال له راضي النجار وأحضروه الى مصر وقطعت رأسه بالرميلة.
وفي خامسه، نزل محمد باشا توسون والي جدة من القلعة في موكب وتوجه الى العادلية قاصداً السفر الى جدة.
وفي يوم الأربعاء تاسعه، قبضوا على ثلاثة من النصارى الأروام المتزيين بزي العساكر الانكشارية ويعملون القبائح بالرعية فرموا رقابهم أحدهم بالدرب الأحمر والثاني بسوق السلاح عند الرفاعي والثالث بالرميلة.

وفي يوم الخميس عاشره، أيضاً قطعوا رأس علي جلبي تابع حسين أغاشنن بباب الخرق بين المفارق بأمر من الوزير والسبب في ذلك أن المرحوم يوسف باشا المذكور الكبير المتوفى بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام كان أودع عند حسين أغاشنن وديعة فلما ملك الفرنسيس مصر وجرى ما جرى من ورود العرضي والصلح ونقضه فاعتقد قصار العقول أن الأمر انتهى للفرنسيس فتجاوزوا الحد وأغروا ببعضهم وتتبعوا العورات وكشفوا عن المستورات ودلوا الفرنسيس على المخبآت وتقربوا إليهم بكل ما وصلت إليه همتهم وراجت به سلعتهم والمسكين المقتول مد يده الى بعض ودائع سيده فاختلس منها وتوسع في نفسه وركب الخيول واتخذ له خدماً وتداخل مع الفرنسيس وحواشيهم فاستخفوا عقله فاستفسروا منه فأخبرهم بالوقائع والخبايا فاستخرجوها ونقلوها وكانت شيئاً كثيراً جداً وأظهر أن ذلك لم يكن بواسطته ليواري ما اختلسه لنفسه ويكون له عذر في ذلك فلما حضر له سيده صحبة العرضي ذهب إليه وتملق له وربط في رقبته منديلاً فأهمل أمره الى هذا الوقت حتى اطمأن خاطره ثم أنه أخبر بقصته الوزير لعلمه أنه سيطالب بوديعة يوسف باشا فأمره بأن يرفع قصته الى القاضي ويثبت تلك الدعوى لتبرأ ساحته عند الدولة ففعل ثم أمر الوزير بقتل علي جلبي المذكور فقتل وترك من ميا ثلاثة أيام بلياليها.
شهر رمضان المعظم سنة 1216 استهل بيوم الأربعاء و لم يعمل فيه شنك الرؤيا على العادة خوفاً من عربدة العساكر والمحتسب كان غائباً فركب كتخداه بدلاً عنه بموكبه فقط و لم يركب معه مشايخ الحرف فذهب الى المحكمة وثبت الهلال تلك الليلة ونودي بالصوم من الغد.
وفيه، أمر الوزير محمد باشا العربي بالسفر الى البلاد الشامية فبرز خيامه الى خارج باب النصر وخرج هو في ثالثه وسافر وأشيع سفر الوزير أيضاً وذلك بعد أن حضرت أجوبة من الباب الأعلى.
وفي ثالثه، ارتحل محمد باشا المذكور.
وفي خامسه، انتقل رئيس أفندي من بيت الألفي وسكن في بيت اسمعيل بك وشرعوا في تعميره وإصلاحه لسكن والي مصر.
وفي ثاني عشره، وصل محمد باشا والي مصر الى شلقان.
وفي ثالث عشره، ضربت عدة مدافع من الجيزة صباحاً ومساء فقيل إنه حضر ستة قناصل الى الجيزة.
وفي خامس عشره، حضر القناصل المذكورون الى بيت الوزير وقابلوه فخلع عليهم خلعاً ورجعوا الى أماكنهم في الجيزة.
وفي ذلك اليوم، وصل محمد باشا والي مصر الى جهة بولاق ونصب وطاقه بالقرب من المكان المعروف بالحلي ثم انتقل الى جهة قبة النصر فلما كان يوم الجمعة سابع عشره وصل الى المدينة من باب النصر في موكبه وطوائفه على غير الهيئة المعتادة و لم يلبس الطلخان تأدباً مع الوزير لحصوله بمصر فتوجه الى بيت الوزير وأفطر معه.
وفي تلك الليلة عزل خليل أفندي الرجائي من دفتردارية الدولة وقلد عوضه حسن أفندي باش محاسب وسببه أن الوزير طلب

خلعاً ليخلعها على والي مصر وقناصل الانكليز فتأخر حضورها فحنق وسأل عن سبب تأخير المطلوب فقال الرسول إن الخازندار قال حتى استأذن الدفتردار فحنق الوزير وأمر بحبس الخازندار وعزل الدفتردار وهرب السفير الذي كان بينهما.

وفيه انتقل الأمراء المصرلية المرادية من الجيزة الى جزيرة الذهب ونصبوا وطاقهم بها وأرسلوا ما كان عندهم من الحريم الى دورهم بمصر واستمر ابراهيم بك وعثمان بك الحسيني ومحمد بك المبدول وقاسم بك أبو سيف بالجيزة، و لم يعلم حقيقة حالهم، ثم في ثاني يوم لحق ابراهيم بك وباقي الجماعة بالآخرين وخرج إليهم طلبهم ومتاعهم وأغراضهم، فلما كان ليلة الإثنين تاسع عشره ركبوا ليلاً بأجمعهم الى الصعيد من الجهة الغربية وتخلف عنهم قاسم بك أبو سيف لمرضه وكذلك تخلف عنهم محمد آغا أغات المتفرقة وآخرون.

وفي عشرينه، نودي بالأمان على المماليك وأتباعهم ومن تخلف عنهم أو انقطع منهم وكذلك في ثاني يوم.

وفيه قلد محمد باشا والي مصر حسن آغا وألبسه على جرجا.

وفي ثامن عشرينه، عزل الباشا محمد آغا المعروف بالزربة من الكتخدائية وهو من المصرلية وولاه كشوفية الغربية وتقلد عوضه في الكتخدائية يوسف آغا أمين الضربخانة سابقاً وتقلد كشوفية المنوفية وتقلد كشوفية القليوبية.

وفي ليلة الأربعاء تاسع عشرينه، ذهب يوسف أفندي الى عند والي مصر فقلده نقابة الأشراف وألبسه فروة بعد أن كان أهمل أمره.

وفيه عزل أغات الانكشارية وتولى آخر عوضه من العثمانية ونزل المعزول الى بولاق ليسافر الى جهة الصعيد.

شهر شوال سنة 1216

استهل بيوم الخميس في ثالثه يوم السبت خرج جاليش الوزير الى قبة النصر ونودي بخروج العساكر ويكون آخر خروجهم يوم الإثنين فشرعوا في الخروج بأحمالهم ودوابهم، فلما كان يوم الإثنين خامسه خرج الوزير على حين غفلة الى قبة النصر وتتابع خروج الأثقال والأحمال والعساكر وحصل منهم في الناس عربدة وأذية وأخذ بعضهم من عطارين القصر ابن ثلاثة أرطال بن ثمنها مائة وعشرون نصفاً فرمى له عشرين نصفاً فصرخ الرجل، وقال أعطني حقي فضربه وقتله فأغلق الناس الحوانيت وانكفوا في دورهم فاستمرت جميع حانيت البلدة مغلوقة حتى سافرت العساكر وانتقلت من قبة النصر ولازم حضرة محمد باشا والي مصر وطاهر باشا على المرور والطواف بالشوارع بالتبديل وثياب التخفيف ليلاً ونهاراً ولولا ذلك لحصل من العسكر ما لا خير فيه.

وفيه كتبت فرمانات وألصقت بالشوارع ومفارق الطرق مضمونها بأن لا أحد يتعرض بأذية لغيره وكل من كان له دعوى أو شكية فليرفع قصته الى الباشا وكل إنسان يمشي في زيه وقانونه القديم ويلازموا على الصلوات بالجماعة في المساجد ويوقدوا قناديل ليلاً على البيوت والمساجد والوكائل والخانات التي بالشوارع ولا يمر أحد من العسكر من بعد الغروب والذي يمشي بعد الغروب من أهل البلد يكون معه فانوس أو سراج ويبيعون ويشترون بالحظ والمصلحة ولا أحد يخفي عنده أحداً من عسكر العرضي والذي يبقى منهم بيده يعاقب وأن القهاوي المحدثة جميعها تغلق ولا يفتح لا القهاوي القديمة الكبار ولا يبيت

أحد من العسكر في قهوة ولا يبيعون المسكرات ولا يشتروها إلا الكفرة سراً وأمثال ذلك فانسرت القلوب بتلك الفرمانات واستبشروا بالعدل.

وفيه خرجت عساكر، وسافرت الى جهة قبلي وعدهم ستة آلاف وذلك بسبب الأمراء المصرلية الهربانين وقرر لهم بأن من أتى برأس صنجق فله ألف دينار أو كاشف فله ثلثمائة أو جندي أو مملوك فله مائة.

وفي يوم السبت، ركب الوزير من قبة النصر وارتحل العرضي الى الخانكة وعند ركوبه حضر إليه السيد عمر أفندي النقيب وبعض المتعممين لوداعه فأعطاهم صرراً وقرؤوا له الفاتحة وركب وخرج أيضاً في ذلك اليوم بقية المشايخ وذهبوا الى الخانكة أيضاً ودعوه ورجعوا.

وفي يوم الإثنين ثاني عشره، أحضر الباشا محمد آغا الوالي وسليم آغا المحتسب وأمر برمي رقابهما فقطعوا رأس الوالي تحت بيت الباشا على الجسر والمحتسب عند باب الهواء وختم على دورهما في تلك الساعة وشاع خبر ذلك في البلد، فارتاع الناس لذلك واستعظموه وداخل الخوف أهل الحرف مثل الجزارين والخبازين وغيرهم وعلقوا اللحم الكثير بحوانيتهم وباعوه بتسعة أنصاف بعد أن كانوا يبيعونه بأحد عشر مع قلته واحتكاره وكانوا نبهوا عليهم قبل ذلك فلم يستمعوا.

وفي صبحها يوم الثلاثاء، قلد علي آغا الشعراوي الزعامة عوضاً عن محمد آغا المقتول وزين الفقار كتخدا أمين احتساب عوضاً عن سليم آغا أرنؤد المقتول أيضاً واجتمعوا ببيت القاضي، وحضر أرباب الحرف وعملوا قائمة تسعيرة لجميع المبيعات من المأكولات وغيرها فعملوا اللحم الضاني بثمانية أنصاف والماعز بسبعة والجاموسي بستة وأن لا يباع فيه شيء من السقط مثل الكبدة والقلب وغير ذلك والسمن المسلي بمائة وثمانين نصفاً العشرة أرطال بعد أن كانت بثلثمائة وأربعين والزبد العشرة بمائتين وستين بعد أن كانت بمائتين وأربعين. وجميع الخضراوات تباع بالرطل حتى الفجل والليمون والجبل الذي بخيره بثلاثة أنصاف بعد عشرة والخبز رطل بنصف فضة وكذلك جميع الأشياء العطرية والأقمشة العشرة أحد عشر والراوية الماء بعشرة أنصاف بعد عشرين، وغير ذلك ورسموا بأن الرطل في الأوزان مطلقاً يكون قباني اثنى عشر وقية وأبطلوا الرطل الزياتي الذي يوزن به الأدهان والأجبان والخضراوات وهو أربعة عشر وقية، فلم يستمر من هذه الأوامر بعد ذلك سوى نقص الأرطال ولما برزت هذه الرسوم هرع الناس لشراء اللحم والمأكولات حتى فرغ الخبز من الأفران وشق المحتسب فقبض على جماعة من الخبازين وخزم آنافهم وعلق فيها الخبز وكذلك الجزارون خزمهم وعلق في آنافهم اللحم وأكثر حضرة الباشا وعظماء أتباعه من التجسس وتبديل الشكل والملبوس والمرور والمشي ولزموا الأدب ومشى كل أحد في طريقته ودربه ومشت النساء كعادتهن في الأسواق لقضاء أشغالهن، فلم يتعرض لهن أحد من العسكر، كما كانوا يفعلون.

وفي يوم الخميس خامس عشره، ارتحل الوزير من بلبيس.

وفي يوم السبت سابع عشره، سافر خليل أفندي الرجائي الدفتردار المعزول في البحر من طريق دمياط وانتقل شريف أفندي الدفتردار الى الدار التي كان بها الأول وهي دار البارودي بباب الخرق.

وفي يوم الاثنين تاسع عشره، كان موكب أمير الحاج عثمان بك وصحبته المحمل على العادة وخرج في أبهة ورونق وانسرت القلوب في ذلك اليوم الى لقائه ونجز له جميع اللوازم مثل الصرة وعوائد العربان وغير ذلك وكان المتقيد بتشهيل ذلك وبجميع

اللوازم حضرة شريف أفندي الدفتردار.
وفي يوم الثلاثاء سابع عشرينه، شنقوا ثلاثة أنفار في جهات مختلفة تزيوا بزي العسكر يقال إنهم من الفرنسيس افتقدوهم من العسكر المتوجه الى الحج.
وفي ذلك اليوم، عمل حضرة الباشا ديواناً وأرسل الجاويشية الى جميع المشايخ والعلماء وخلع عليهم خلعاً سنية زيادة على العادة أكثر من سبعين خلعة، وكذلك على الوجاقلية والأفندية وجبر خاطر الجميع وكانت العادة في هذا التلبيس أن يكون عند قدومه والسبب في تأخيره لهذا الوقت تعويق حضور المراكب التي بها تلك الخلع.
وفي يوم الخميس تاسع عشرينه، انتقل أمير الحاج بالركب من الحصوة الى البركة.
وفيه ركب حضرة محمد باشا الى الإمام الشافعي فزاره وأنعم على الخدمة بستين ألف فضة وألبسهم خلعاً وفرق دنانير ودراهم كثيرة في غير محلها وكذلك يوم الجمعة ركب وتوجه الى المشهد الحسيني، فصلى الجمعة وخلع على الإمام الراتب والخطيب وكبير الخدمة فراوي وفرق دراهم كثيرة في طريقه ورجع من ناحية الجمالية وكان في موكب جليل على الغاية.
وفيه أمر المشار إليه بنصف عدة مشانق عند أبواب المدينة برسم الباعة والمتسببين والخبازين وغيرهم وأكثر أرباب الدرك من المرور والتجسس والتخويف وعلقوا عدة أناس من الباعة على حوانيتهم وخزموهم من آنافهم فرخص السعر وكثرت البضائع والمأكولات وحصل الأمن في الطرق وانكفت العربان وقطاع الطريق فحضرت الفلاحون من البلاد وكثر السمن والجبن والأغنام وكبر العيش وكثر وجوده وانحط سعر السمن عن التسعيرة عشرين نصفاً لكثرته ولله الحمد وهاب الناس هذا الباشا وخافوه وصاروا يترنمون به في البلاد والأرياف ويغنون بذكره حتى الصبيان في الأسواق ويقولون سيدي يا محمد باشا يا صاحب الذهب الأصفر وغير ذلك وكان في مبدأ أره يظنه الظمآن ماء.

شهر القعدة سنة 1216

استهل بيوم السبت فيه نهبت العربان قافلة التجار الواصلة من السويس.
وفي ثانيه، حضر السيد أحمد الزرو الخليلي التاجر بوكالة الصابون بديوان الباشا وتداعى على جماعة من التجار وثبت له عليهم عشرة آلاف ريال فأمر الباشا بسجنهم.

وفي رابعه يوم الثلاثاء، حضر السيد أحمد المذكور الى بيت الباشا فأمر بقتله فقبض عليه جماعة من العسكر وقطعوا رأسه عند المشنقة حيث قنطرة المغربي على قارعة الطريق وختموا على موجوده وأخذ الباشا ما ثبت له على المحبوسين والسبب في ذلك أوشى الى الباشا أنه كان يحب الفرنسيس ويميل إليهم ويسالمهم وعند خروجهم هرب الى الطور خوفاً من العثمانية، ثم حضر بأمان من الوزير.
وفي يوم الجمعة، حضر المشار إليه الى الجامع الأزهر بالموكب فصلى به الجمعة وخلع على الخطيب فروة سمور وفرق ونثر دراهم ودنانير على الناس في ذهابه وإيابه وتقيد قبي كتخداه واسمعيل أفندي شقبون بتوزيع دراهم على الطلبة والمجاورين بالأروقة والعميان والفقراء ففرقوا فيهم نحو خمسة أكياس.

وفيه عمل الشيخ عبد الله الشرقاوي وليمة لزواج ابنه ودعا حضرة المشار إليه فحضر في يوم الأحد ثانيه، وحضر أيضاً شريف أفندي وعثمان كتخدا الدولة فتغدوا عنده وأنعم على ولد الشيخ بخمسة أكياس رومية وألبسه فروة سمور وفرق على الخدم والفراشين والقراء دنانير ودراهم بكثرة وكذلك دفع عثمان كتخدا وشريف أفندي كل واحد منهم كيساً وانصرفوا.

وفي يوم الأربعاء خامسه، حضر الباشا محمد أغات المعروف بالوسيع أغات المغاربة وأمر بقتله فقطعوا رأسه على الجسر ببركة الأزبكية قبالة بيت الباشا لأمور نقمها عليه وكتبت في ورقة وضعت عند رأسه.

وفي يوم الخميس سادسه، توفي قاسم بك أبو سيف على فراشه.

وفي منتصفه، وردت الأخبار من الجهة البحرية بضياع نحو الخمسين مركباً حلت مراسيها من ثغر اسكندرية مشحونة بمتاجر وبضائع، وكانت معوقة بكرنتينة الانكليز، فلما أذنوا لهم بالسراح، فما صدقوا بذلك فصادفتهم فرتونة خرجت عليهم فضاعوا بأجمعهم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وفيه طلب الباشا المشايخ وتكلم معهم في شأن الشيخ خليل البكري وعزله عن وظيفته وسأل رأيهم في ذلك فقالوا له الرأي لحضرتكم، فقال إن الشيخ خليلاً لا يصلح لسجادة الصديق وأريد عزله عنها من غير ضرر عليه بل أعطيه إقطاعاً لنفقته والقصد أن تروا رأيكم بعد اختلاف كبير على تقليد ذلك لمحمد سعد من أولاد جلال الدين، فلما حضروا في اليوم الثاني أخبروه بذلك، وأنه يستحقها إلا أنه فقير، فقال إن الفقر ليس بعيب فأحضروه وألبسه فروة سمور وأركبه فرساً بعباءة مزركشة، وأنعم عليه بثمانين ألف درهم وكان من الفقراء المحتاجين للدرهم الفرد، ولما ذهب للسلام على الشيخ السادات، خلع أيضاً فروة سمور عليه.

وفي يوم الإثنين رابع عشرينه، توفي الى رحمة الله الشيخ مصطفى الصاوي الشافعي، وكان عالماً نجيباً وشاعراً لبيباً وقد ناهز الستين.

وفيه جهزت عدة من العسكر الى قبلي.

وفيه نودي بأن خراج الفدان مائة وعشرون نصفاً، وكذلك نودي برفع عوائد القاضي والأفندي التي كانت تؤخذ على إثبات الجامكية والجراية والرفق بعوائد تقاسيط الالتزام والإقطاع. وكتبوا بذلك أوراقاً وألصقت بالأسواق، وفي آخرها لا ظلم اليوم أي مما تقرر قبل اليوم فإن الفدان بلغ في بعض القرى بمصاريفه ومغارمه أربعة آلاف نصف فضة وأما بدعة القاضي وعوائد التقاسيط فزادت عن أيام الوزير وزاد على ذلك إهمال الأوراق ببيت الباشا لأجل العلامة شهرين وأربعة حتى يسأم صاحبها وتحفى أقدامه من كثرة الذهاب والمجيء ومقاساة الذل من الخدل والأتباع ورفع التفتيش والرشوة على التعجيل أو يتركها وربما ضاعت بعد طول المدة فيحتاج الى استئناف العمل.

شهر ذي الحجة الحرام سنة 1216

استهل بيوم الأحد في رابعه، حضر خمسة أشخاص من الكشاف القبالي من أتباع ابراهيم بك الوالي الى مصر بأمان، فقابلوا حضرة والي مصر وأنعم عليهم وألبسهم خلعاً.

وفيه أنعم على خدامهم وفيه عمل الانكليز كرنتينة بالجيزة ومنعوا من يدخلها ومن يخرج منها وذلك لتوهم وقوع الطاعون

وورود الأخبار بكثرته في جهة قبلي وبعض البلاد البحرية وأما المدينة ففيها بعض تنقير.

وفي يوم الإثنين تاسعه، كان يوم الوقوف بعرفة وعملوا في ذلك اليوم شنكاً ومدافع وحضرت أغنام وعجول كثيرة للأضحية حتى امتلأت منها الطرقات وازدحمت الناس وأفراد العسكر على الشراء وغيمت السماء في ذلك اليوم وأمطرت مطراً كثيراً حتى توحلت الأزقة ونودي بفتح الحوانيت والقهاوي والمزينين ليلاً وإظهار الفرح ولاسرور وإظهار بهجة العيد واستمر ضرب المدافع في الأوقات الخمسة، ونودي أيضاً بالمواظبة على الاجتماع للصلوات في المساجد وحضور الجمعة من قبل الصلاة بنصف ساعة وأن يسقوا العطاش من الأسبلة ولا يبيعون ماءها وأشيع سفر الانكليز وسفر عثمان كتخدا الدولة وتشهيل الخزينة.

وفي خامس عشره، حضر قاصد من الديار الرومية بمكاتبات وتقرير نقابة الأشراف للسيد عمر وعزل يوسف أفندي، فلما كان في صبحها يوم الأحد ركب السيد عمر المذكور وتوجه الى عند الباشا فألبسه خلعة سمور، ثم حضر الى عند الدفتردار كذلك، وكانت مدة ولاية يوسف أفندي المعزول شهرين ونصفاً.

وفي يوم الأربعاء ثامن عشره، خرج أحمد آغا خورشيد أمير الاسكندرية الى بولاق قاصداً السفر الى منصبه وركب الباشا لوداعه في عصريته وضربوا عدة مدافع من بولاق وبر انبابة ونودي في ذلك اليوم بأن لا أحد يواري أحداً من الانكليز أو يخبيه وكل من فعل ذلك عوقب.

وفي خامس عشرينه، قبضوا على امرأة سرقت أمتعة من حمام وشنقوها عند باب زويلة وانقضت هذه السنة وما تجدد بها من الحوادث التي جملتها أن شريف أفندي الدفتردار أحدث على الرزق الأحباسية المرصدة على الخيرات والمساجد وغيرها مال حماية على كل فدان عشرة أنصاف فضة وأقل وأكثر في جميع الأراضي المصرية القبلية والبحرية وحرروا بذلك دفاتر فكل من كان تحت يده شيء من ذلك قل أو كثر يكتب له عرضحال ويذهب به الى ديوان الدفتردار، فيعلم عليه علامته وهي قوله قيد بمعنى أنه يطلب قيوده من محله التي تثبت دعواه، ثم يذهب بذلك العرضحال الى كاتب الرزق فيكشف عليها في الدفاتر المختصة بالإقليم الذي فيه الارصاد بموجب الإذن بتلك العلامة فيكتب له ذلك تحتها بعد أن يأخذ منه دراهم ويطيب خاطره بحسب كثرة الطين وقلته وحال الطالب ويكتب تحته علامته، فيرجع به الى الدفتردار فيكتب تحته علامة غير الأولى فيذهب به الى كاتب الميري فيطالبه حينئذ بسنداته وحجج تصرفه ومن أين وصل إليه ذلك، فإن سهلت عليه الدنيا ودفع له ما أرضاه كتب له تحت ذلك عبارة بالتركيب لثبوت ذلك وإلا نعنت على الطالب بضروب من العلل وكلفه بثبوت كل دقيقة يراها في سنداته وعطل شغله فما يسع ذلك الشخص إلا بذل همته في تتميم غرضه بأي وجه كان، إما أن يستدين أو يبيع ثيابه ويدفع ما لزمه، فإن ترك ذلك وأهمله بعد اطلاعهم عليه حلوه عنه ورفعوه وكتبوه لمن يدفع حلوانه ثلاث سنوات أو أكثر وكتبوا له سنداً جديداً يكون هو المعول عليه بعد ويقيد بالدفاتر ويبطل اسم الأول وما بيده من الوقفيات والحجج والإفراجات القديمة ولو كانت عن أسلافه، ثم يرجع كذلك الى الدفتردار فيكتب له علامة لكتابة الاعلام فيذهب به الى الإعلامجي فيكتب له عبارة أيضاً في معنى ما تقدم ويختم تحتها بختم كبير فيه اسم الدفتردار ويأخذ على ذلك دراهم أيضاً، وبعد ذلك يرجع الى الدفتردار فيقرر ما يقرره عليها من المال يقال له مال الحماية، ثم يذهب بها الى بيت الباشا ليصحح عليها بعلامته ويطول عند

ذلك انتظاره لذلك، ويتفق إهمالها الشهرين والثلاثة عند الفرمانجي. وصاحبها يغدو ويروح في كل يوم حتى تحفى قدماه ولا يسهل به تركها بعدما قاساه من التعب وصرفه من الدراهم، فإذا تمت علامتها دفع أيضاً المعتاد الذي على ذلك ورجع بها الى بيت الدفتردار، فعند ذلك يطلبون منه ما تقرر عليها فيدفعه عن تلك السنة، ثم يكتبون له سنداً جديداً ويطالب بمصروفه أيضاً وهو شيء له صورة أيضاً فلا يجد بداً من دفعه ولايزال كذلك يغدو ويروح مدة أيام حتى يتم له المراد.

ومنها المعروف بالجامكية ومرتبات الغلال بالأنبار، وذلك أن من جملة الأسباب في رواج حال أهل مصر المتوسطين وغناهم ومدار حال معاشهم وإيرادهم في السابق هذان الشيئان وهما الجامكية والغلال التي يقال لها الجرايات التي رتبها الملوك السالفة من الأموال الميرية للعساكر المنتسبة للوجاقات والمرابطين بالقلاع الكائنة حوالي الإقليم، ومنها ماهو للأيتام والمشايخ والمتقاعدين ونحوهم وكانت من أرواج الإيراد لأهل مصر وخصوصاً أهل الطبقة الذين ليس لهم إقطاع ولا زراعات ولا تجارات كأهل العلم ومساتير أولاد البلد والأرامل ونحوهم، وثبت وتقرر إيرادها وصرفها في كل ثلاثة أشهر من أول القرن العاشر الى أواخر الثاني عشر، بحيث تقرر في الأذهان عدم اختلالها أصلاً، ولما صارت بهذه المثابة تناقلوها بالبيع والشراء والفراغ وتغالوا في أثمانها ورغبوا فيها وخصوصاً لسلامتها من عوارض الهدم والبناء، كما في العقار وأوقفوها وأرصدوها ورتبوها على جهات الخيرات والصهاريج والمكاتب ومصالح المساجد ونفقات أهل الحرمين وبيت أهل المقدس، وأفتى العلماء بصحة وقفها لعلة عدم تطرق الخلل، فلما اختلت الأحوال وحدثت الفتن وطمع الحكام والولاة في الأموال الميرية ضعف شأنها ورخص سعرها وانحط قدرها وافتقر أربابها، و لم تزل في الانحطاط والتسفل، حتى بيع الأصل والإيراد بالغبن الفاحش جداً وتعطل بسبب ذلك متعلقاتها. و لم يزل حالها في اضطراب الى أن وصل هؤلاء القادمون وجلس شريف أفندي الدفتردار المذكور ورأى الناس فيه مخايل الخير لما شاهدوه فيه من البشاشة وإظهار الرفق والمكارم غرض الناس عليه شأن العلوفة المذكورة والغلال فلم يمانع في ذلك وكتب الإذن على الأوراق كعادته وذهب بها أربابها الى ديوان الكتبة وكبيرهم يسمى حسن أفندي باش محاسب، وهو من العثمانيين، عارض في حسابها وقال: إن العثماني اسم لواحد الأقجة وصرفه عندنا بالروم كل ثلاث أقجات بنصف فضة، وما في دفاتركم يزيد في الحساب الثلث، فعورض وقيل له إن الأقجة المصري كل اثنين بنصف بخلاف اصطلاح الروم وهذا أمر تداولنا عليه من قديم الزمان، و لم يزل حتى فقد ذلك المشروع ومشوا على فقد الثلاث، ورضي الناس بذلك لظنهم رواج الباقي، وعند استقرار الأمر بذلك أخذوا يتعنتون على الناس في الثبوت وقد كان الناس اصطلحوا في أكثرها عند فراغها على عدم تغيير الأسماء التي رقمت بها وخصوصاً بعد ضعفها فيبيعها البائع ويأخذها المشتري بتمسك البيع فقط ويترك سند الأصل بما فيه من الاسم القديم عنده أو تكون باسم الشخص ويموت، وتبقى عند أولاده، فجعلوا معظمها بهذه الصورة وأخذوه لأنفسهم وأعطوا منه لأغراضهم بعد رفع الثلث الأصل وثلث الإيراد وضاعت على أربابها مع كونهم فقراء، وكذلك فعلوا في أوراق الغلال وجعلوها بدارهم عن كل أردب خمسون نصفاً غلا أو رخص، وزاد في القيود التي تكتب على العرضحالات المصطلحين عليها بأن يكتب عليها أيضاً قاضي العسكر بعد حسابهم مقدار العلوفة والغلال ويأخذ على كل عثماني نصفين أو أقل أو أكثر وعلى كل أردب قرشاً رومياً، وكل ذلك حيلة على أخذ المال بطريق شيطاني، وحرروا ما حرروه ودفعوا للناس ما دفعوه مقسطاً على الجمع والشهور. رضوا بذلك وفرحوا به لظنهم

دوامه، واستعوضوا الله فيما ذهب لهم وختموا الدفتر على مقدار ما عرض عليهم، وما ظهر بعد ذلك لا يعمل به ويذهب في المحلول، ولما انقضت هذه السنة الأخرى وافتتح الناس الطلب قيل لهم إن الذي أخذتموه هو عن السنة القابلة وقد قبضتموها معجلة وعزل شريف أفندي الدفتردار في إثرها ووصف خليل أفندي الرجائي واضطربت الأحوال و لم ينفع القيل والقال كما يأتي.

من مات في هذه السنة

مات الشيخ العمدة الإمام خاتمة العلماء والأعلام ومسك ختام الجهابذة ذوي الإفهام ومن افتخر به عصره على الأعصار وصاح بلبل فصاحته في الأمصار، يتيمة الدهر وشامة وجه أهل العصر، العالم المحقق والنحرير المدقق، بديع الزمان والتاج المرصع على رؤوس الأقران الناظم الناثر الفصيح الباهر الشيخ مصطفى بن أحمد المعروف بالصاوي والده كان من أعيان التجار بمصر وأصل مرباهم بالسويس بساحل القلزم وصاوي نسبة الى بلدة بشرقية بلبيس تسمى الصوة وهي على غير القياس، وهي بلدة والده، ثم انتقل منها الى السويس وكان يبيع بها الماء وولد له بها المترجم، فارتحل به الى مصر وسكن بحارة الحسينية مدة وأتى بولده المترجم الى الجامع الأزهر واشتغل بالقراءة فحفظ القرآن والمتون واشتغل بالعلم وحضر دروس الأشياخ ولازم الشيخ عيسى البراوي وتخرج به ومهر وأنجر وأقرأ الدروس، وختم الختوم وشهد له الفضاء، وكان لطيف الذات مليح الصفات رقيق حواشي الطبع مشاراً إليه في الإفراد والجمع مهذب الأخلاق جميل الأعراق، وحاله وفضله كثير، و لم يزل يقرر ويفيد ويملي ويعيد حتى قطفت يد الأجل نواره وأطفأت رياح المنية أنواره.

ومات الأمير عثمان بك الأشقر الإبراهيمي وهو من مماليك ابراهيم بك الكبير الموجود الآن اشتراه ورباه وأعتقده وجعله خازنداره مدة، ثم قلده الإمارة والصنجقية في سنة 1129 وعرف بالأشقر لشقرته، ولما انتقل أستاذه الى بيت سيده محمد بك بعطفة قوصون سكن مكانه بدرب الجماميز وصار له مماليك وأتباع، وانتظم في عداد الأمراء وخرج مع سيده في الحوادث، وتغرب معه في البلاد القبلية، وطلع أميراً بالحج في سنة 1210 وعاد في أمن وأمان، ولما حصلت حادثة الفرنسيس كان هو مع من كان بالبر الغربي وذهب الى الصعيد، ثم مر من خلف الجبل ولحق بأستاذه ببر الشام، و لم يزل حتى رجع مع أستاذه والأمراء بصحبة عرضي الوزير في المرة الثانية، ثم سافر مع حسين باشا القبودان فقتل مع من قتل بأبي قير ودفن بالاسكندرية وكان ذا حشمة وسكون وحسن عشرة مع ما فيه من الشح.

ومات الأمير عثمان بك الجوخدار المعروف بالطنبرجي المرادي وهو من مماليك مراد بك. اشتراه ورباه ورقاه وقلده الإمارة والصنجقية في سنة 1197، ولما وصل حسن باشا الجزايرلي الى مصر وخرج مع سيده وباقي الأمراء من مصر على الصورة المتقدمة، ووقع بينهم ما وقع من الحروب والمهادنة حضر هو وحسين بك المعروف بشفت وعبد الرحمن بك الابراهيمي الى مصر رهائن، ولما سافر حسن باشا الى الروم أخذهم صحبته بإغراء اسمعيل بك، فأقاموا هناك، ثم نفوهم الى ليميا فاستمروا بها ومات بها حسين بك خشداشه المذكور، ثم رجع المترجم وعبد الرحمن بك بعد وقوع الطاعون وموت اسمعيل بك وأتباعهما الى مصر. فلم يزالوا حتى حصل ما حصل من ورود الفرنسيس وموت مراد بك في أخريات أيامهم. فوقع اختيار المرادية على

تأميره عوضاً عن سيده بإشارة خشداشه محمد بك الألفي وانتقل بعشيرته الى الجهة البحرية وانضموا الى عرضي الوزير، ووصلوا الى مصر فكان هو وابراهيم بك الألفي ثاني اثنين يركبان معاً ويترلان معاً، و لم يزل حتى سافر القبودان بعدما مكر مكره مع الوزير سراً على خيانة المصريين فأرسل يستدعيه هو وعثمان بك البرديسي فسافراً امتثالاً للأمر فأوقع بهما ما تقدم وقتل المترجم ونجا البرديسي، ودفن بالاسكندرية. وكان أميراً لا بأس به وجيه الشكل عظيم اللحية ساكن الجأش فيه تؤدة وعقل، وسبب تلقبه بالطنبرجي أنه كان في عنفوان أمره مولعاً بسماع الآلات وضرب الطنبور.

ومات الأمير مراد بك المعروف بالصغير وهو من مماليك محمد بك أبي الذهب وانتمى الى سليمان بك الآغا واستمر ملازماً له ومنسوباً إليه مدة أعوام وكان يعرف بمراد كاشف وله إيراد واسع ومماليك ثم تقلد الإمارة والصنجقية في 1206 فزادت وجاهته، و لم يزل كذلك حتى سافر مع عثمان بك الأشقر وأحمد بك الحسني مع القبودان وقتل كذلك بأبي قير ودفن بالاسكندرية.

ومات الأمير قاسم بك أبو سيف وهو مملوك عثمان بك أبي سيف الذي سافر بالخزينة، ومات بالروم، وذلك سنة 1180 وهي آخر خزينة رأيناها سافرت الى اسلامبول على الوضع القديم وعثمان بك هذا مملوك عثمان بك أبي سيف الذي كان من جملة القاتلين لعلي بك الدمياطي وخليل بك قطامش ومحمد بك قطامش في ولاية راغب باشا كما تقدم، وخدم المترجم مراد بك وكان يعرف بقاسم كاشف أبي سيف وكان له إقطاع والتزام وإيراد، واشتهر ذكره في أيام مراد بك وبنى داره التي بالناصرية وأنفق عليها أموالا جمة وكان له ملكة وفكرة في هندسة البناء واستأجر قطعة عظيمة من أراضي البركة الناصرية اتجاه داره من وقف المولوية وسورها بالبناء، وبنى في داخلها قصراً مزخرفاً برحبة متسعة، وقسم تلك الأرض بتقاسيم للمزارع وحولها طرق ممهدة مستطيلة ومجار للمياه التي تصل إليها أيام النيل ومجار أخرى عالية مبنية بالمؤن والخافقي من داخلها تجري فيها المياه من السواقي ويحيط بذلك جميعه أشجار الصفصاف المتدانية القطاف، وبداخل تلك البركة المنقسمة النخيل والأشجار ومزارع المقاثئ والبرسيم والغلة وغيرها يسرح فيها النظر من سائر جهاتها وتنشرح النفوس في أرجائها ومساحاتها، وجعل السواقي في ناحية تجتمع مياهها في حوض وبأسفله أنابيب تتدفق منها المياه الى حوض أسفل منه وعنده مجلس ومساطب للجلوس، وتجري منه المياه الى المجاري المخففة المرتفعة، ومنها تنصب من مصبات من حجر الى أحواض أسفل منها صغار وتجري الى مساقي المزارع وعند كل مصب منها محل للجلوس وعليه أشجار تظله وبوسطه أيضاً ساقية بفوهتين تجري منها المياه أيضاً والقصر يشرف على ذلك كله وحول رحبة القصر وطرق الممشاة كروم العنف والتكاعيب وأباح للناس الدخول إليها والتنزه في رياضها والتفسح في غياضها والسروح في خلالها والتفيؤ في ظلالها، وسماها حديقة الصفصاف والآس لمن يريد لحظو والائتناس، ونقش ذلك في لوح من الرخام وسمره في أصل شجرة يقرؤها الداخلون إليها فأقبل الناس على الذهاب إليها للتنزاهة ووردوا عليها من كل جهة وعملوا فيها قهاوي ومساقي ومفارش واتخاخاً يفرشها القهوجية للعامة، وقللاً وأباريق واجتمع بها الخاص والعام وصار بها مغان وآلات وغواني ومطربات، والكل يرى بعضهم بعضاً وجعل بها كراسي للجلوس وكنيفات لقضاء الحاجة، وجعل للقصر فرشاً ومساند ولوازم ومخادع لنفسه ولمن يأتي إليه بقصد التنزاهة من أعيان الأمراء والأكابر، فيبيتون به الليالي ولا يحتاجون لسوى الطعام فيأتي إليهم من دورهم، وزاد بها الحال حتى امتنع من الدخول

إليها أهل الحياء والحشمة، وأنشأ تجاهها أيضاً على يسار السالك الى طريق الخلاء بستاناً آخر على خلاف وضعها وأخبرني المترجم أيضاً من لفظه أنه أنشأ بستاناً بناحية قبلي أعجب وأغرب من ذلك ولما حضر حسن باشا الجزايرلي الى مصر وخرج منها أمراؤها تخلف المترجم عن مخدومه واستقر بمصر فقلدوه الإمارة والصنجقية في سنة 1201 فعظمت أمرته وزادت شهرته وتقلد إمارة الحج مرتين ولما أوقع العثمانية بالأمراء المصرلية ما أوقعوه وانفصلوا من حبس الوزير وانضموا الى الانكليز بالجيزة ثم انتقلوا الى جزيرة الذهب وارتحلوا منها الى قبلي تخلف عنهم المترجم لمرض اعتراه وحضر الى مصر ولازم الفراش و لم يزل حتى مات في يوم الخميس سادس القعدة من السنة وكان يخضب لحيته بالسواد مدة سنين رحمه الله.

ومات ابراهيم كتخدا السناري الأسود وأصله من برابرة نقلة وكان بواباً في مدينة المنصور وفيه نباهة فتداخل في الغز القاطنين هناك مثل الشابوري وغيره بكتابة الرقى وضرب الرمل ونحو ذلك، ولبس ثياباً بيضاء ثم تعاشر مع بعضهم وركب فرساً وانتقل الى الصعيد مع من اختلط بهم، وتداخل في أتباع مصطفى بك الكبير و لم يزل حتى اعتشر بالأمير المذكور وتعلم اللغة التركية فاستعمله في مراسلاته وقضاياه، فنقل فتنة ونميمة بين الأمراء فأراد مراد بك قتله، فالتجأ الى حسين بك وخدمه مدة ثم تحيل والتجأ الى مراد بك وعاشره وألبه ولازمه في الغربة والأسفار، واشتهر ذكره وكثر ماله وصار له التزام وإيراد، وبنى داره التي بالناصرية وصرف عليها أموالاً واشترى المماليك الحسان والسراري البيض وتداخل في القضايا والمهمات العظيمة والأمور الجسيمة وصار من أعظم الأعيان المشار إليهم بمصر، ونمى ذكره وعظم شأنه وباشر بنفسه الأمور من غير مشورة الأمراء فكان يحل ما يعقده الأمراء الكبار ولما تحجب مخدومه بقصر الجيزة كان المترجم لسان حاله في الأمر والنهي وبيده مقاليد الأشياء الكلية والجزئية ولا يحجب عن ملاقاة مخدومه في أي وقت شاء، فينهي إليه ما يريد تنفيذه بحسب غرضه واتخذ له أتباعاً وخدماً يقضون القضايا ويسعون في المهمات ويتوسطون لأرباب الحاجات ويصانعهم الناس حتى الأكابر ويسعون الى دورهم، وصاروا من أرباب الوجاهات والثروات و لم يزل ظاهر الأمر نامي الذكر حتى وقعت الحوادث وسافر الفرنساوية ودخل العثمانية ورجع قبودان باشا الى أبي قير فأرسل يطلبه في جملة من استدعاهم إليه وقتل مع من قتل ودفن بالاسكندرية.

محرم الحرام ابتداء سنة ألف ومائتين وسبع عشرة هجرية

استهل بيوم الإثنين فيه تواترت الأخبار بحصول الصلح العمومي بين القرانات جميعاً ورفع الحروب فيما بينهم.

وفيه، ترادفت الأخبار بأمر عبد الوهاب وظهور شأنه من مدة ثلاث سنوات من ناحية نجد ودخل في عقيدته قبائل من العرب كثيرة وبث دعاته في أقاليم الأرض ويزعم أنه يدعو الى كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله ويأمر بترك البدع التي ارتكبها الناس ومشوا عليها الى غير ذلك.

وفيه، سافر عثمان كتخدا الدولة الى الديار الرومية ونزل الى بولاق وضربوا له عدة مدافع وأخذ صحبته الخزينة وسافر معه مختار أفندي ابن شريف أفندي دفتردار مصر.

وفي هذه الأيام، حصلت أمطار متتابعة وغيام ورعود وبروق عدة أيام وذلك في أواسط نيسان الرومي.

وفي ذلك اليوم، نبهوا على الوجاقات والعساكر بالحضور من الغد الى الديوان لقبض الجامكية فلما كان في صبحها يوم الثلاثاء

نصبوا صيواناً كبيراً ببركة الأزبكية وحضر العساكر والجاقلية بترتيبهم، ونزل الباشا بموكبه الى ذلك الصيوان وهو لابس على رأسه الطلخان والقفطان الأطلس وهو شعار الوزارة ووضعوا الأكياس وخطفوها على العادة القديمة فكان وقتاً مشهوداً.
وفي يوم الثلثاء تاسعهو حضر كبير الانكليز من الاسكندرية ونصبوا وطاقهم ببر انبابة فلما كان يوم الأربعاء يوم عاشوراء عدى كبير الانكليز ومعه عدة من أكابرهم، فتهيأ لملاقاته الباشا واصطفت العساكر عند بيت الباشا ووصل الانكليز الى الأزبكية وطلعوا الى عند الباشا وقابلوه، فخلع عليهم وقدم لهم خيلاً وهدية، ثم نزلوا وركبوا ورجعوا الى وطاقهم وعند ركوبهم ضربوا لهم عدة مدافع فلم يعجب الباشا ضربها فأمر الطبجية لكونهم لم يضربوها على نسق واحد.

وفيه وردت الأخبار بأن الانكليز أخلوا القلاع بالاسكندرية وسلموها لأحمد بك خورشيد وذلك يوم الإثنين ثامنه وأبطلوا الكرنتيبه أيضاً وحصل الفرج للناس وانطلق سبيل المسافرين براً وبحراً وأخذ الباشا في الاهتمام بتشهيل الانكليز المسافرين الى السويس والقصير، وما يحتاجون إليه من الجمال والأدوات وجميع ما يلزم، ولما حضر الانكليز الى عند الباشا فدعوه الى الحضور الى عندهم فوعدهم على يوم الجمعة، فلما كان يوم الجمعة ثالث عشره ركب الباشا وصحبته طاهر باشا في نحو الخمسين وعدى الى الجيزة بعد الظهر ووقفت عساكر الانكليز صفوفاً رجالاً وركباناً وبأيديهم البنادق والسيوف وأظهروا زينتهم وأبهتهم، وذلك عندهم من التعظيم للقادم فنزل الباشا ودخل القصر فوجدهم كذلك صفوفاً بدهليز القصر ومحل الجلوس، فجلس عندهم ساعة زمانية وأهدوا له هدايا وتقادم وعند قيامه ورجوعه ضربوا له عدة مدافع على قدر ما ضرب لهم هو عند حضورهم إليه فلقد أخبرني بعض خواصهم أن الباشا ضرب لهم سبعة عشر مدفعاً ولقد عددت ما ضربه الانكليز للباشا فكان كذلك، وأخبرني حسين بك وكيل قبطان باشا وكان بصحبة الباشا عند ذهابه الى الانكليز قال كنا في نحو الخمسين والانكليز في نحو الخمسة آلاف، فلو قبضوا علينا في ذلك الوقت لملكوا الإقليم من غير ممانع، فسبحان المنجي من المهالك وإذا تأمل العاقل في هذه القضية يرى فيها أعظم الاعتبارات والكرامة لدين الإسلام، حيث سخر الطائفة الذين هم أعداء للملة هذه لدفع تلك الطائفة ومساعدة المسلمين عليهم وذلك مصداق الحديث الشريف وقوله صلى الله عليه وسلم: إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر، فسبحان القادر الفعال، واستمرت طائفة كبيرة بالاسكندرية من الانكليز حتى يريد الله.
وفي ذلك اليوم، سافرت الملاقاة للحجاج بالوش.
وفيه وصلت مكاتبات من أهل القدس ويافا والخليل يشكون ظلم محمد باشا أبي مرق وأنه أحدث عليهم مظالم وتفاريد ويستغيثون برجال الدولة، وكذلك عرضوا أمرهم لأحمد باشا الجزار وحضر الكثير من أهل غزة ويافا والخليل والرملة هروباً من المذكور، وفي ضمن المكاتبات أنه حفر قبور المسلمين والأشراف والشهداء بيافا ونبشهم ورمى عظامهم وشرع يبقى في تلك الجبانة سوراً يتحصن به، وأذن للنصارى ببناء دير عظيم لهم ومكنهم أيضاً من مغارة السيدة مريم بالقدس وأخذ منهم مالاً عظيماً على ذلك وفعل من أمثال هذه الفعال أشياء كثيرة.
وفيه حضر جماعة من العسكر القبالي وصحبتهم أربعة رؤوس من المصرلية وفيهم رأس علي كاشف أبي دياب وتواترت الأخبار بوقوع معركة بين العثمانية والمصرلية، وكانت الغلبة على العثمانية وقتل منهم الكثير وذلك عند أرمنت ورأس عصبة المصرلية الألفي وصحبته طائفة من الفرنسيس وتجمع عليهم عدة من عسكر الفرنساوية والعثمانية طمعاً في بذلهم وأن عثمان بك حسن

انفرد عنهم وأرسل يطلب أماناً ليحضر فأرسلوا له أماناً فحضر الى باشة الصعيد وخلع عليه فروة سمور وقدم له خيلاً وهدية.
وفيه، ورد الخبر بموت محمد باشا توسون والي جدة وكذلك خازنداره.
وفي يوم السبت رابع عشره، شرع الانكليز المتوجهون الى جهة السويس في تعدية البر الشرقي ونصبوا وطاقهم عند جزيرة بدران وبعضهم جهة العادلية، وذهبت طائفة منهم جهة البر الغربي متوجهين الى القصير واستمروا يعدون عدة أيام ويحضر أكابرهم عند الباشا ويركبون فيرمون لهم مدافع حال ركوبهم الى أماكنهم.
وفي يوم الإثنين ثاني عشرينه، عدى حسين بك وكيل القبطان الى الجيزة وتسلمها من الانكليز وأقام بها وسكن بالقصر.
وفي خامس عشرينه، وصل الى ساحل بولاق آغا وعلى يده مثالات وأوامر وحضر أيضاً عساكر رومية فأرسلوا عدة منهم الى الجيزة فركب ذلك الآغا في موكب من بولاق الى بيت الباشا فخلع عليه وقدم له تقدمة وضربوا له عدة مدافع.
وفيه حضر ططري من ناحية قبلي بالأخبار بما حصل بين العثمانية والمصرلية وطلب جبخانة ولوازمها.
وفيه وصلت الأخبار بأن أحمد باشا أرسل عسكر الى أبي مرق من البر والبحر فأحاطوا بيافا وقطعوا عنها الجالب واستمروا على حصاره.

وفيه اتخذ الباشا عسكراً من طائفة التكرور الذين يأتون الى مصر بقصد الحج فعرضهم واختار منهم جملة وطلبوا الخياطين، ففصلوا لهم قناطيش قصاراً من جوخ أحمر وألبسة من جوخ أزرق وصدريات وجميعها ضيقة مقطمة مثل ملابس الفرنسيس وعلى رؤوسهم طراطير حمر، وأعطوهم سلاحاً وبنادق وأسكنوهم بقلعة الجامع الظاهري خارج الحسينية وجعلوا عليهم كبيراً يركب فرساً ويلبس فروة سمور وجمع الباشا أيضاً العبيد السود، وأخذهم من أسيادهم بالقهر وجعلهم طائفة مستقلة وألبسهم شبه ما تقدم وأركبهم خيلاً وجعلهم فرقتين صغاراً وكباراً واختارهم للركوب إذا خرج الى الخلاء وعليهم كبير يعلمهم هيئة اصطفاف الفرنسيس وكيفية أوضاعهم والإشارات بمرش وأردبوش، وكذلك طلب المماليك وغصب ما وجده منهم من أسيادهم واختص بهم وألبسهم شبه لبس المماليك المصرلية وعمائم شبه البحرية الأروام وبلكات وشراويل، وأدخل فيهم ما وجده من الفرنسيس وجعل لهم كبيراً أيضاً من الفرنسيس يعلمهم الكر والفر والرمي بالبنادق وفي بعض الأحيان يلبسون زرديات وخوداً وبأيديهم السيوف المسلولة وسموا ذلك كله النظام الجديد.

واستهل شهر صفر الخير بيوم الأربعاء سنة 1217

في ثانيه، وصل سعيد آغا وكيل دار السعادة وهو فحل أسمر فحضر عند الباشا فقابله وخلع عليه وقدم له تقدمة وضربوا له عدة مدافع أيضاً.
وفي يوم الخميس تاسعه، عمل الباشا ديواناً وحضر القاضي والعلماء والأعيان وقرأوا خطاً شريفاً حضر بصحبة وكيل دار السعادة بأنه ناظر أوقاف الحرمين.
وفي يوم الإثنين ثالث عشره، قتل الباشا ثلاثة أشخاص من النصارى المشاهير وهم ألطون أبو طاقية وابراهيم زيدان وبركات معلم الديوان سابقاً، وفي الحال أرسل الدفتردار فختم على دورهم وأملاكهم وشرعوا في نقل ذلك الى بيت الدفتردار على

الجمال ليباع في المزاد فبدأوا بإحضار تركة ألطون أبي طاقية فوجد له موجود كثير من ثياب وأمتعة ومصاغ وجواهر وغيرها وجوار سود وحبوش وساعات، واستمر سوق المزاد في ذلك عدة أيام.

وفيه تواترت الأخبار بأن بونابارته خرج بعمارة كبيرة ليحارب الجزائر وأنه انضم الى طائفة الفرنسيس الاسبانيول والنامرطان، وتفرقوا في البحر وكثر اللغط بسبب ذلك وامتنع سفر المراكب ورجع الانكليز الى قلاع الاسكندرية واستمرت هذه الإشاعة مدة أيام، ثم ظهر عدم صحة هذه الأخبار وأن ذلك من اختلافات الانكليز.

وفي يوم الخميس سابع عشره، حضر جاويش الحاج وصحبته مكاتبات الحجاج من العقبة وضربوا لحضوره مدافع وأخبروا بالأمن والرخاء والراحة ذهاباً وإياباً ومشوا من الطريق السلطاني وتلقتهم العربان وفرحوا بهم، فلما كان يوم الإثنين وصل الحجاج ودخلوا الى مصر.

وفي صبحها دخل أمير الحاج وصحبته المحمل.

وفي يوم الخميس ثالث عشرينه، سافر حسين آغا شنن وزين الفقار كتخدا وصحبتهما علي كاشف لملاقاة عثمان بك حسن وأخلوا له دار عبد الرحمن كتخدا بحارة عابدين.

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشرينه، حضر عثمان بك حسن فأرسل إليه الباشا أعيان أتباعه من الأغوات وغيرهم والجنائب فحضر بصحبتهم، وقابل حضرة الباشا وخلع عليه خلعة وقدم له تقدمة وذهب الى الدار التي أعدت له حضر صحبته صالح بك غيطاس وخلافه من الأمراء البطالين ومعهم نحو المائتين من الغز والمماليك، سكن كل من الأمراء والكشاف في مساكن أزواجهم، فكانوا يركبون في كل يوم الى بيت عثمان بك ويذهبون صحبته الى ديوان الباشا. ورتب له خمسة وعشرين كيساً في كل شهر.

واستهل شهر ربيع الأول بيوم الخميس سنة 1217

فيه شرعوا في عمل المولد النبوي وعملوا صواري ووقدة قبالة بيت الباشا وبيت الدفتردار والشيخ البكري ونصبوا خياماً في وسط البركة، ونودي في يوم الخميس ثامنه بتزيين البلد وفتح الأسواق والحوانيت والسهر بالليل ثلاث ليال أولها صبح يوم الجمعة وآخرها الأحد ليلة المولد الشريف فكان كذلك.

وفي ليلة المولد، حضر الباشا الى بيت الدفتردار باستدعاء وتعشى هناك واحتفل لذلك الدفتردار، وعمل له حراقة نفوط وسواريخ حصة من الليل.

وفيه وصلت الأخبار بكثرة عربدة الأمراء القبالي وتجمع عليهم الكثير من غوغاء الخوف والهوارة والعربان ووصلوا الى غربي أسيوط وخافتهم العساكر العثمانية وداخلهم الرعب منهم وتحصن كل فريق في الجهة التي هو فيها، وانكمشوا عن الإقدام عليهم وهابوا لقاءهم مع ما هم عليه من الظلم والفجور والفسق بأهل الريف والعسف بهم وطلبهم الكلف الشاقة والقتل والحرق، وذلك هو السبب الداعي لنفور أهل الريف منهم وانضمامهم الى المصرلية، ومن جملة أفاعيلهم التي ضيقت المنافس وأحرجت الصدور حتى أعاظم الدولة حجزهم المراكب ومنعهم السفار حتى تعطلت الأسباب وامتنع حضور الغلال من الجهة

القبلية، وخلت عرصات الغلة والسواحل من الغلال مع كثرتها في بلاد الصعيد، ولولا تشديد الباشا في عدم زيادة سعر الغلة لغلت أسعارها وأمر بأن لا يدخلوا الى الشون والحواصل شيئاً من الغلة، بل يباع ما يرد على الفقراء حتى يكتفوا وفي كل وقت يرسلون أوراقاً وفرمانات الى العساكر بإطلاق المراكب فلا يمتثلون ويحجز الواحد منهم أو الإثنان المركب التي تحمل الألف أردب. ويربطونها بساحل الجهة التي هم بها وتستمر كذلك من غير منفعة وربما مرت بهم شرعوا في تسفير عساكر أيضاً وساري عسكرهم طاهر باشا وأخذ في المراكب الحشونة بالغلة فيأخذون منها النواتية والريس يستخدمونهم في مركبهم ويأخذ غيرهم المركب فيرمي ما بها من الغلال على بعض السواحل إن لم يجدوا من يشتريه، ويأخذون المراكب فيربطونها عندهم وأمثال ذلك مما تقصر عنه العبارة، ولما تواترت هذه الأخبار عن الأمراء القبالي التشهيل والسفر، فلما كان يوم الخميس خامس عشره عدى الى البر الغربي وتبعته العساكر.

وفي ذلك اليوم، حضرت مكاتبة من الأمراء القبالي ملخصها أن الأرض ضاقت عليهم واضطرهم الحال والضيق وفراق الوطن الى ما كان منهم وأنهم في طاعة الله والسلطان، و لم يقع منهم ما يوجب إبعادهم وطردهم وقتلهم، فإنهم خدموا وجاهدوا وقاتلوا مع العثمانية وأبلوا مع الفرنساوية فجوزوا بضد الجزاء ولا يهون بالنفس الذل والإقبال على الموت، فإما أن تعطونا جهة نتعيش فيها أو ترسلوا لنا أهلنا وعيالنا وتشهلوا لنا مراكب على ساحل القصير فنسافر فيها الى جهة الحجاز أو تعينوا لنا جهة نقيم بها نحن خمسة أشهر مسافة ما نخاطب الدولة في أمرنا ويرجع لنا الجواب ونعمل في رقابكم لأرقابنا وورد الخبر عنهم أنهم رجعوا القهقرى الى قبلي، فلما حضرت تلك المكاتبة فاشتوروا في ذلك وكتبوا لهم جواباً بإمضاء الباشا والدفتردار والمشايخ حاصله الأمان لما عدا ابراهيم بك والألفي والبرديسي وأبا دياب. فلا يمكن أن يؤذن لهم بشيء حتى يرسلوا الى الدولة ويأتي الإذن بما تقتضيه الآراء، وأما بقيتهم فلهم الأمان والإذن بالحضور الى مصر ولهم الإعزاز والإكرام ويسكنون فيما أحبوا من البيوت ويرتب لهم ما يكفيهم من التراتيب والالتزام وغير ذلك، مثل ما وقع لعثمان بك حسن فإنهم رتبوا له خمسة وعشرين كيساً في كل شهر ومكنوه مما طلبه من خصوص الالتزام. ورفعوها عمن كان أخذها بالحلوان وهذه أول قضية شنيعة ظهرت بقدومهم واستمر طاهر باشا مقيماً بالبر الغربي.

وفي هذا الشهر، كمل تتميم عمارة المقاييس على ما كان عمره الفرنسيس على طرف الميري وأنشأ به الباشا طيارة في علوه عوضاً عن الطيارة القديمة التي هدمها الفرنسيس، وأنشأ أيضاً مصطبة في مرمى النشاب بالناصرية وجعل فيها كشكاً لطيفاً مزيناً بالأصباغ ودرابزين حول المصطبة المذكورة.

ومن الحوادث بسكندرية

حضر قليون وفيه تجار وبزرجانية يقال له قليون مهر دار الدولة فأرسلوا بالمينة الغربية. وطلع منه قبطان وبعض التجار الى البلدة وأقام نحو يومين أو ثلاثة، فطلع رجل نصراني وأخبر الانكليز أنه مات به رجل بالطاعون ومات قبله ثلاثة أيضاً، فطلبوا القبطان فهرب. فأرسلوا الى المركب وأحضروا اليازجي وتحققوا القضية وأحرقوا المراكب بما فيها وأشهروا اليازجي وعروه من ثيابه وسحبوه بينهم في الأسواق، وكلما مروا به على جماعة من العثمانية مجتمعين على مصاطب القهاوي بطحوه بين أيديهم وضربوه ضرباً شديداً، و لم يزالوا يفعلون به ذلك حتى قتلوه.

ووقع أيضاً أن خورشيد حاكم الاسكندرية أحدث مظالم ومكوساً على الباعة والمحترفين. فذهب بعض الانكليز يشتري سمكاً فطلب السماك منه زيادة في الثمن عن المعتاد، فقال له الانكليز لأي شيء تطلب زيادة عن العادة، فعرفه بما أحدث عليهم من المكس فرجع الانكليزي وأخبر كبراءه فتحققوا القضية وأحضروا المنادي وأمروه بالمناداة بإبطال ما أحدثه العثمانية من المكوس والمظالم، فخرج المنادي وقال حسبما رسم الوزير محمد باشا وخورشيد آغا بأن جميع الحوادث المحدثة بطالة، فسمعوه يقول ذلك، فأحضروه وضربوه ضرباً شديداً وعزروه على ذلك القول وقالوا له قل في مناداتك حسبما رسم ساري عسكر الانكليز.

ووقع أيضاً أن جماعة من العسكر أرادوا القبض على امرأة من النساء اللاتي يصاحبن الانكليز فمنعها منهم عسكر الانكليز فتضاربوا معهم فقتل من الانكليز إثنان فاجتمع الانكليز وأرسلوا الى خورشيد بأن يخرج الى خارج البلدة ويحاربهم، فامتنع من ذلك فأمروه بالترول من القلعة وأسكنوه في دار بالبلد ومنعوا عسكره من حمل السلاح مطلقاً مثل الانكليزية. واستمروا على ذلك.

واستهل شهر ربيع الثاني سنة 1217

فيه حضر أحمد آغا شويكار من عند القبالي ومحمد كاشف صحبته من جماعة الألفي ومعهم مكاتبات وأشيع طلبهم الصلح، فأقاموا عدة أيام محجوبين عن الاجتماع بالناس، ثم سافروا في أواسطه و لم يظهر كيفية ما حصل وبطل سفر طاهر باشا الى الجهة القبلية ورجع الى داره بعد أيام من رجوعه.

وفيه عمل مولد المشهد الحسيني ودعا شيخ السادات الباشا في خامسه وتعشى هناك ورجع الى داره.

وفيه تقلد السيد أحمد المحروقي أمين الضربخانة وفرق ذهباً كثيراً في ذلك اليوم ببيت الباشا وعمل له ليلة بالمشهد الحسيني ودعا الباشا والدفتردار وأعيان الدولة والعلماء وأو لم لهم وليمة عظيمة وأوقد بالمسجد وقدة كبيرة وقدم للباشا تقدمة وفي صبحها أرسل مع ولده هدية وتعبية أقمشة نفيسة فخلع عليه الباشا فروة سمور.

وفي غرة هذا الشهر، شرع الباشا في هدم الأماكن المجاورة لمترله التي تهدمت واحترقت في واقعة الفرنسيس ليبنيها مساكن للعساكر المختصة به وتسمى عندهم بالقشلة وذلك قبالة مترله من المكان المعروف بالساكت الى جامع عثمان كتخدا حيث رصيف الخشاب، واهتم لذلك اهتماماً عظيماً، ورسم بعمل فردة على البلاد أعلى وأوسط وأدنى وأرسلوا المعينين لقبض ذلك من البلاد، مع ما الفلاحون فيه من الظلم والجور من العساكر والمباشرين وحق الطرد وفرد الانكليز.

وفي منتصفه كملت عمارة مشهد السيدة زينب بقناطر السباع، وكان من خبره أن هذا المشهد كان أنشأه وعمره عبد الرحمن كتخدا القازدغلي في جملة عمائره، وذلك في سنة 1174 فلم يزل على ذلك الى أن ظهر به خلل ومال شقه، فانتدب لعمارته عثمان بك المعروف بالطنبرجي المرادي في سنة اثنتي عشرة ومائتين وألف فهدمه وكشف أنقاضه وشرع في بنائه وأقام جدرانه ونصبوا أعمدته وأرادوا عقد قناطره فحصلت حادثة الفرنسيس، وجرى ما جرى، فبقي على حالته الى أن خرج الفرنسيس من أرض مصر وحضرت الدولة العثمانية فعرض خدمة الضريح الى الوزير يوسف باشا، فأمر بإتمامه وإماله على طرف الميري، ثم

وقع التراخي في ذلك الى أن استقر قدم محمد باشا في ولاية مصر فاهتم لذلك فشرعوا في إكماله وتتميمه وتسقيفه، وتقيد لمباشرة ذلك ذو الفقار كتخدا، فتم على أحسن ما كان، وأحدثوا به حنفية وفسحة وزخرفوه بالنقوشات والأصباغ، ولما كان يوم الجمعة رابع عشره حصلت به الجمعية وحضر الباشا والدفتردار والمشايخ وصلوا به الجمعة وبعد انقضاء الصلاة عقد الشيخ محمد الأمير المالكي درس وظيفته وأملى إنما يعمر مساجد الله الآية والأحاديث المتعلقة بذلك وثم المجلس وخلع عليه الباشا بعد ذلك خلعة وكذا الإمام.

وفيه نصب الباشا خيمة عند بيته بقرب الهدم يجلس بها حصة كل يوم لمباشرة العمل وربما باشر بنفسه ونقل بعض الأنقاض، فلما عاينه الأغوات والجوخدارية بادروا الى الشيل ونقل التراب بالغلقان، فلما أشيع ذلك حضر طاهر باشا وأعيان العساكر فنقلوا أيضاً وطلبوا المساعدة وحضر طائفة من ناحية الرميلة وعرب اليسار ومعهم طبول وزمور فسأل عن ذلك فقال له المحتسب ذو الفقار: هؤلاء طائفة من طوائفي حضروا لأجل المساعدة فشكرهم على ذلك وأمرهم بالذهاب فبقي منهم طائفة وأخذوا في شيل التراب بالأغلاق ساعة والطبول تضرب لهم، فانسر الباشا من ذلك وحسن القرناء للباشا المساعدة وأن الناس تحب ذلك، فرتبوا ذلك وأحضروا قوائم أرباب الحرف التي كتبت أيام فرد الفرنسيس ونبهوا عليهم بالحضور. فأول ما بدأوا بالنصارى الأقباط فحضروا ويقدمهم رؤساؤهم جرجس لجوهري وواصف وفلتيوس ومعهم طبول وزمور، وأحضر لهم أيضاً مهتار باشا النوبة التركية وأنواع الآلات والمغنين حتى البرامكة بالرباب فاشتغلوا نحو ثلاث ساعات، وفي ثاني يوم حضر منهم أيضاً كذلك طائفة.

ولما انقضت طوائف الأقباط حضر النصارى الشوام والأروام، ثم طلبوا أرباب الحرف من المسلمين فكان يجتمع الطائفتان والثلاثة ويحضرون معهم عدة من الفعلة يستأجرونهم ويحضرون الى العمل ويقدمهم الطبول والزمور والمجرية وذلك خلاف ما رتبه مهتار باشا. فيصير بذلك ضجة عظيمة مختلطة من نوبات تركية وطبول شامية ونقاقير كشوفية ودبادب حربية وآلات موسيقية وطبلات بلدية وربابات برامكية، كل ذلك في الشمس والغبار والعفار. وزادوا في الطنبور نغمة، وهي أنهم بعد أن يفرغوا من الشغل ويأذنوا لهم بالذهاب يلزمونهم بدارهم يقبضها مهتار باشا برسم البقشيش على أولئك الطبالين والزمارين فيعطيهم النزر اليسير ويأخذ لنفسه الباقي، وذلك بحسب رسمه واختياره، فيأتي على الطائفة المائة قرش والخمسون قرشاً ونحو ذلك، فيركب في ثاني يوم ويذهب الى خطتهم ويلزمهم بإحضار الذي قرره عليهم فيجمعونه من بعضهم ويدفعونه، وإذا حضرت طائفة و لم تقدم بين يديها هدية أو جعالة طولوا عليهم المدة وأتعبوهم ونهروهم واستحثوهم في الشغل، ولو كانوا من ذوي الحرف المعتبرة كما وقع لتجار الغورية والحريرة، وإذا قدموا بين أيديهم شيئاً خففوا عليهم وأكرموهم ومنعوا أعيانهم وشيوخهم من الشغل وأجلسوهم بخيمة مهتار باشا وأحضر لهم الآلات والمغاني، فضربت بين أيديهم كما وقع ذلك لليهود واستمر هذا العمل بقية الشهر الماضي الى وقتنا هذا، فاجتمع على الناس عشرة أشياء من الرذالة وهي السخرة والمعونة وأجرة الفعلة والذل ومهنة العمل وتقطيع الثياب ودفع الدراهم وشماتة الأعداء من النصارى وتعطيل معاشهم وعاشرها أجرة الحمام.

وفي يوم الأربعاء ثاني عشره الموافق لسادس مسرى القبطي، كان وفاء النيل المبارك وكسر السد في صبحها يوم الخميس بحضرة الباشا والقاضي والشنك المعتاد وجرى الماء في الخليج و لم يطف مثل العادة ومنعوا دخول السفن والمراكب المعدة للنزهة وذلك

بسبب أذية العساكر العثمانية.

وفي منتصفه حضر قصاد من الططر وعلى يدهم مكاتبات من الدولة بوقوع الصلح العام من الدولة والقرانات وعثمان باشا ومن معه من المخالفين على الدولة من جهة الروملي فعملوا شنكاً ومدافع ثلاثة أيام تضرب في كل وقت من الأوقات الخمسة وكتبوا أوراقاً وألصقوها في مفارق الطرق بالأسواق وقد تقدم مثل ذلك وأظنه من المختلقات.

وفي أواخره، حضر حريم الباشا من الجهة الرومية وهما اثنتان إحداهما معتوقة أم السلطان والأخرى معتوقة أخته زوجة قبطان باشا، وصحبتهما عدة سراري، فأسكنهن ببيت الشيخ خليل البكري، وقد كان عمره قبل حضورهن وزخرفه ودهنوه بأنواع الصباغات والنقوش وفرشوه بالفرش الفاخرة، وفرش المحروقي مكاناً وكذلك جرجس الجوهري فرش مكاناً وأحمد بن محمد واعتنوا بذلك اعتناءً زائداً، حتى أن جرجس فرش بساطاً من الكشمير وغير ذلك وعمل وليمة العقد وعقد على الثنتين في آن واحد بحضرة القاضي والمشايخ وأهدوا لكل من الحاضرين بقجة من ظرائف الأقشمة الهندية والرومية وعملوا شنكاً وحراقة بالأزبكية عدة ليال.

واستهل شهر جمادى الأولى بيوم الاثنين سنة 1217

في يوم الاثنين ثامنه شنقوا ثلاثة من عساكر الأروام أحدهم بباب زويلة والثاني بباب الخرق والثالث بالأزبكية بالقرب من جامع عثمان كتخدا وقتلوا أيضاً شخصاً بالنحاسين.

وفي يوم الثلاثاء تاسعه، عمل الباشا ديواناً وفرق الجامكية على الوجاقلية.

وفيه وردت الأخبار بوقوع حادثة بين الأمراء القبالي والعثمانية، وذلك أن شخصاً من العثمانية يقال له أجدر موصوفاً بالشجاعة والإقدام أراد أن يكبس عليهم على حين غفلة ليكون له ذكر ومنقبة في أقرانه، فركب في نحو الألف من العسكر المعدودين وكانوا في طرف الجبل بالقرب من الهو، فسبق العين الى الى الأمراء وأخبرهم بذلك، فلما توسطوا سطح الجبل وإذا بالمصرلية أقبلت عليهم في ثلاثة طوابير فأحاطوا بهم فضرب العثمانية بنادقهم طلقاً واحداً لا غير ونظروا وإذا بهم في وسطهم وتحت سيوفهم، ففتكوا فيهم وحصدوهم و لم ينج منهم إلا القليل وأخذ كبيرهم أجدر المذكور أسيراً وانجلت الحرب بينهم وأحضروا أجدر بين يدي الألفي فقال له لأي شيء سموك أجدر، فقال الأجدر معناه الأفعى العظيم وقد صرت من أتباعك، فقال لكن يحتاج الى تطريمك وإخراج سمك أولاً وأمر به، فأخذوه وقلعوا أسنانه، ثم قتلوه وأخذوا جميع ما كان معهم ومن جملة ذلك أربعة مدافع كبار.

وفيه قلدوا أحمد كاشف سليم إمارة أسيوط وعزل أميرها مقدار بك العثماني بسبب شكوى أهل النواحي من ظلمه.

وفي منتصفه، تواترت الأخبار برجوع الأمراء القبالي الى بحري وأنهم وصلوا الى بني عدي فنهبوا غلالها ومواشيها وقبضوا أموالها وأعطوهم وصولات بختمهم وكذلك الحواوشة وما جاور ذلك من البلاد فشرع العثمانية بمصر في تشهيل جريدة وعساكر.

وفيه حضرت أيضاً عساكر كثيرة من هبود الأتراك والأرنؤد فأحضروا مشايخ الحارات وأمروهم بإخلاء البيوت لسكناهم،

فأزعجوا الكثير من الناس وأخرجوهم من دورهم بالقهر. فحصل للناس غاية الضرر وضاق الحال بالناس، وكلما سكنت منهم طائفة بدار أخربوها وأحرقوا أخشابها وطيقانها وأبوابها وانتقلوا الى غيرها فيفعلون بها كذلك، ومن تكلم أو دافع عن دار وبخ بالكلام، وقيل له عجب كنتم تسكنون الفرنسيس وتخلون لهم الدور وأمثال ذلك من الكلام القبيح الذي لا أصل له، ولما شرعوا في تشهيل التجريدة حصلت منهم أمور وأذية في الناس كثيرة، فمنها أنهم طلبوا الحمّارة المكارية وأمروهم بإحضار ستمائة حمار وشددوا عليهم في ذلك، فقيل إنهم لما جمعوها أعطوهم أثمانها في كل حمار خمسة ريالات بعدته ولجامه، مع أن فيها ما قيمته خمسون ريالاً خلاف عدته، ثم ما كفاهم ذلك بل صاروا يخطفون حمير الناس من أولاد البلد بالقهر وكذلك حمير السقائين التي تنقل الماء من الخليج حتى امتنعت السقاؤون بالكلية، وبلغ ثمن القربة الكتافي من الخليج عشرة أنصاف فضة، وتعدى بالخطف أيضاً من ليس بمسافر فكانوا ينزلون الناس من على حميرهم ويذهبون بها الى الساحة ويبيعونها، والبعض تبعهم واشترى حماره بالثمن فخبى جميع الناس حميرهم في داخل الدور، فكان يأتي الجماعة من العسكر وينصتون بآذانهم على باب الدار ويتبعون نهيق الحمير وبعض شياطينهم يقف على الدور ويقول رز ويكررها فينهق الحمار فيعلمون به ويطلبونه من البيت، فإما أخذوه أو افتداه صاحبه بما أرادوه وغير ذلك.

وفيه حضر قاضي سكندرية الى مصر وذلك أنه لما حضر من اسلامبول طلع الى داره وحضرت إليه الدعاوى فأخذ منهم المحصول على الرسم المعتاد فأرسل إليه الانجليز ولاموه على عدم حضوره إليهم وقت قدومه وقالوا له إن أقمت هنا بتقليدنا إياك فلا نأخذ من أحد شيئاً ونرتب لك ثلاثة قروش في كل يوم وإلا فاذهب حيث شئت فحضر الى مصر بذلك السبب.

شهر جمادى الثانية سنة 1217

في خامسه سافرت العساكر الى الأمراء القبالي وسافر أيضاً عثمان بك الحسني وباقي العساكر المعزولين وأمير العساكر العثمانية محمد علي سرششمه، وكان الباشا أرسل ابراهيم كاشف الشرقية بجواب إليهم، فرجع في ثامنه بجواب الرسالة، وأعطاه الألفي ألفي ريال، وقدم له حصانين وحاصل تلك الرسالة كما تقدم الأمان لجميع الأمراء المصرلية، وأنهم يحضرون الى مصر ويقيمون بها ولهم ما يرضيهم من الفائظ وغيره، ما عدا الأربعة الأمراء وهم ابراهيم بك والألفي والبرديسي وأبا دياب، فإنهم مطلوبون الى حضرة السلطان يتوجهون إليه مع الأمن عليهم ويعطيهم مناصب وولايات كما يحبون، فإن لم يرضوا بذلك فيأخذوا إقطاع أسنا ويقيمون بها، فلما وصل ابراهيم آغا المذكور الى أسيوط وأرسل إليهم أرسلوا إليه أحمد آغا شويكار ومحمد كاشف الألفي فانتظروه خارج الجبانة فخرج إليهم ولاقوه وأخذوه وصحبتهم الى عرضيهم وأنزلوه بوطاق بات به، فلما أصبح الصباح طلبوه الى ديوانهم فحضر ووقف عساكرهم صفوفاً ببنادقهم وفيهم كثير على هيئة اصطفاف الفرنسيس وعملوا له شنكاً ومدافع. ثم أعطاهم المكاتبة بحضرة الجميع فقرؤوها ثم تكلم الألفي وقال: أما قولكم نذهب الى اسلامبول ونقابل السلطان ينعم علينا، فهذا مما لا يمكن وإن كان مراده أن ينعم علينا فإننا في بلاده وأنعامه لا يتقيد بحضورنا بين يديه، وأما بقية إخواننا فهم بالخيار إن شاؤوا أقاموا معنا وإلا ذهبوا وكل إنسان أمير نفسه وأما كون حضرة الباشا يعطينا إقطاع أسنا فلا يكفينا هذا وإنما يكفينا من أسيوط الى آخر الصعيد ونقوم بدفع خراجه فإن لم يرضوا بذلك فإن الأرض لله ونحن خلق الله

نذهب حيث شئنا ونأكل من رزق الله ما يكفينا ومن أتى إلينا حاربناه حتى يكون من أمرنا ما يكون ثم استقروا بنقطرة اللاهون وكسروا القنطرة وشرعوا في قبض الأموال من بلاد الفيوم فلما رجع ابراهيم كاشف بذلك الجواب ركب الباشا في صبحها الى الآثار واستعجل العسكر بالذهاب فعدوا الى البر الغربي وتأخر عنهم عثمان بك الحسني والغز المصرلية وباتوا بطرا.
وفيه شنق الباشا رجلا طبجياً في المشنقة التي عند قنطرة الغربي، ثم أن عثمان بك أرسل الى الباشا يطلب حسين آغا شنن ومصطفى آغا الوكيل ليتفاوض معهما في كلام فأرسل له ابراهيم آغا كاشف الشرقية فأعطاه الخلعة التي خلعها الفرنسيس وبلوت معهم، ثم أني حضرت بأمان طائعاً فلم أجاز ولم يحصل ما كنت أؤمله ولم يوفوا معي وعداً وأنا لا أقاتل إخواني المسلمين وأختم عملي بذلك ولا أقيم بمصر آكل الصدقة وإنما أذهب سائحاً في بلاد الله وكان في ظن عثمان بك أنه إذا أتى الى مصر على هذه الصورة يجعله الباشا أمير البلد أو أمير الحاج.
وفيه أمر الباشا محمد كتخدا المعروف بالزربة بالسفر الى جهة قبلي فاستعفى من ذلك، فأمر بقتله فشفع فيه يوسف كتخدا الباشا وقال إن له حرمة، وقد كان في السابق كتخدا لأفندينا ولا يناسب قتله على هذه الصورة فأمر بسفره الى جهة البحيرة محافظاً فسافر من يومه وأما عثمان بك فإنه ركب وذهب الى جهة قبلي مشرقاً على غير الرسم، وأشيع ذلك في الناس ولغطوا به، فلما تحقق العثمانية ذلك رسموا الطوائف العسكر أن يقيموا منهم طوائف بالقلاع التي على التلول ونصبوا عليها بيارق وأوقفوا حرساً على أبواب المدينة يمنعون من يخرج من المدينة من الغز الخيالة المصرلية، فمن خرج الى بولاق أو غيرها فلا يخرج إلا بورقة من كتخدا الباشا.
وفي ليلة الجمعة عاشره، أمر الباشا بكبس بيوت الأمراء الحسنية ونهب ما بها من الخيول والجمال والسلاح.

وفيه حضر أغات التبديل الى بيت الخربطلي بعطفة خشقدم وبه جماعة من عسكر المغاربة فكبس عليهم وقبض على جماعة منهم وكتفهم وكشف رؤوسهم وأحاطت بهم عساكره وسحبوهم وأخذوا ما وجدوه في جيوبهم على هيئة شنيعة ومروا بهم على الغورية ثم على النحاسين وباب الشعرية حتى انتهوا بهم الى الأزبكية على حارة النصارى ودخلوا بهم بيت الباشا وهم لا يعملون لهم ذنباً فلما مثلوا بين يدي كتخدا الباشا ذكر لهم أن بجوارهم دير للنصارى وأنهم فتحوا طاقاً صغيراً يطل على الدير فقالوا لا علم لنا بذلك وأخبروا أن جماعة من الأرنؤد ساكنون معهم بأعلى الدار فيحتمل أن ذلك من فعلهم فأرسلوا من كشف على ذلك فوجدوه، كما قال المغاربة فأطلقوهم بعد هذه الجرسة الشنيعة ومرورهم بهم الى حارة النصارى وأخذ دراهمهم ومتاعهم والأمر لله وحده.
وفيه، أشيع مرور جماعة من الغز القبالى على جهة الجيزة الى جهة سكندرية وكذلك جماعة من الانجليز من سكندرية الى قبلي.
وفيه، تداعى مصطفى خادم مقام سيدي أحمد البدوي مع نسيبه سعد بسبب ميراث أخته فقال مصطفى أنا أحاسبه على خمسين ألف ريال فقال سعد أنا أستخرج منه مائتي ألف ريال بشرط أن تعوقوه هنا وتعطوني خادمه وجماعة من العسكر ففعلوا ذلك وعوقوه ببيت السيد عمر النقيب وتسلم سعد خادمه والعسكر ذهب بهم الى طندتا فعاقبوا الخادم فأقر على مكان أخرجوا منه ستة وثلاثين ألف ريال فرانسه، ثم فتحوا بئراً مردومة بالأتربة وأخرجوا منها ريالات فرانسه وأنصافاً وأرباعاً وفضة عددية كلها مخلوطة بالأتربة وقد ركبها الصدأ والسواد فأحضروها وجلوها في قاعة اليهود ولم يزالوا يستخرجون حتى

غلقوا مائة وسبعة وثمانين ألف وسبعمائة وكسوراً وآخر الأمر أخرجوا خبيئة لا يعلم قدرها ثم حصل العفو ورجع العسكر وأخذوا كراء طريقهم وأخذوا من أولاد عمه عشرة أكياس.

وفي يوم السبت حادي عشره، كان آخر التسخير في نقل التراب من العمارة وكان آخر ذلك طائفة الخردة من الغياش والقرادتية وأرباب الملاعيب وبطل الزمر والطبل واستمر الفعلة في حفر الأساس ورشح عليهم الماء بأدنى حفر لكون أن ذلك في وقت النيل والبركة ملآنة بالماء حول ذلك.

وفي خامس عشره، خرجت عساكر ودلاة أيضاً وسافروا الى قبلي.

وفي ثالث عشرينه، سافر عساكر في نحو الأربعين مركباً الى جهة البحيرة بسبب عرب بني علي فإنهم عانوا بالبحيرة ودمنهور.

ومن الحوادث السماوية

أن في تلك الليلة وهي ليلة الأربعاء ثاني عشرينه احمرت السماء بالسحاب عند غروب الشمس حمرة مشوبة بصفرة ثم انجلت وظهر في أثرها برق من ناحية الجنوب في سحاب قليل متقطع وازداد وتتابع من غير فاصل حتى كان مثل شعلة النفط المتوقدة المتوجة بالهواء واستمر ذلك الى ثالث ساعة من الليل ثم تحول الى جهة المغرب وتتابع لكن بفاصل على طريقة البرق المعتاد واستمر الى خامس ساعة ثم أخذ في الاضمحلال وبقي أثره غالب الليل وكان ذلك ليلة سادس عشرين درجة من برج الميزان وحادي عشر بابه القبطي وثامن تشرين أول الرومي ولعل ذلك من الملاحم المنذرة بحادث من الحوادث.

وفيه، ورد الخبر بورود مركب من فرانسا وبها الجي وقنصل وصحبتهما عدة فرنسيس فعمل لهم الانكليز شنكاً ومدافع بالاسكندرية فلما كان ليلة الثلاثاء ثامن عشرينه وصل ذلك الألجي لملاقاتهم خازنداره وصحبته عدة عساكر خيالة وبأيديهم السيوف المسلولة فقابلوهم وضربوا لهم مدافع من بولاق والجيزة والأزبكية وركبوا الى دار أعدت لهم بحارة البنادقة وحضروا في صبحها الى عند الباشا وقابلوه وقدم لهم خيلاً معدة وأهدى لهم هدايا وصاروا يركبون في هيئة وأبهة معتبرة وكان فيهم جبير ترجمان بونابارته.

وفيه، وردت الأخبار بأن الغز القبالي نهبوا بلاد الفيوم وقبضوا أموالها ونهبوا غلالها ومواشيها وحرقوا البلاد التي عصت عليهم وقتلوا ناسها حتى قتلوا من بلدة واحدة مائة وخمسين نفراً وأما العثمانية الكائنون بالفيوم فإنهم تحصنوا بالبلدة وعملوا لهم متاريس بالمدينة وأقاموا داخلها.

شهر رجب الفرد سنة 1217

استهل بيوم الجمعة فيه رموا أساس عمارة الباشا وكان طلب من الفلكيين أن يختاروا له وقتاً لوضع الأساس، ففعلوا ذلك وكان بعد اثني عشر يوماً من يوم تاريخه فاستبعده وأمر برمي الأساس في اليوم المذكور.

ورب النجم يفعل ما يشاء.

وفيه، أحضروا أربعة رؤوس فوضعت عند باب الباشا زعموا أنهم من قتلى الغز المصرلية.

وفي خامسه، يوم الثلاثاء سافر الألجي الفرنساوي وأصحابه فترلوا الى بولاق وأمامهم مماليك الباشا بزينتهم وهم لابسون الزروخ والخود وبأيديهم السيوف المسلولة وخلفهم العبيد المختصة بالباشا وعلى رؤوسهم طراطير حمر وبأيديهم البنادق على كواهلهم فلم يزالوا صحبتهم حتى نزلوا ببيت راشتو ببولاق، ثم رجعوا ثم نزلوا المراكب الى دمياط وضربوا لهم مدافع عند تعويمهم السفن.

وفيه، أشيع انتشار الأمراء القبالي الى جهة بحري وحضروا الى إقليم الجيزة وطلبوا منها الكلف حتى وصلوا الى وردان.

وفيه، حضر محمد كتخدا المعروف بالزربة الذي كان كتخدا الباشا وتقدم أنه كان أمره بالسفر الى قبلي فامتنع وأذن له بالسفر الى البحيرة محافظاً فلما تقدم طوائف الأمراء الى بحري فمر منهم جماعة قليلة على محمد كتخدا الزربة المذكور فلم يتعرض لهم مع قدرته على تعويقم فبلغ الباشا ذلك فحقدها عليه وأرسل إليه وطلبه الى الحضور فحضر فلما كان يوم السبت تاسعه طلبه الباشا في بكرة النهار فلما أحضر بقتله فترل به العسكر ورموا رقبته عند باب الباشا ثم نقلوه الى بين المفارق قبالة حمام عثمان كتخدا فاستمر مرمياً عرياناً الى قبيل الظهر ثم شالوه الى بيته وغسلوه في حوش البيت سكنه ودفنوه وعند موته أرسل الدفتردار فختم على داره وأخرج حريمه وفي ثاني يوم أحضروا تركته ومتاعه وباعوا ذلك ببيت الدفتردار.

وفيه، وردت مكاتبات من الديار الرومية وفيها الخبر بعزل شريف أفندي الدفتردار وولاية خليل أفندي الرجائي المنفصل عن الدفتردارية عام أول فحزن الناس لذلك حزناً عظيماً فإن أهل مصر لم يروا راحة من وقت دخول العثمانية الى مصر بل من نحو أربعين سنة سوى هذه السنة التي باشرها هو فإنه أرضى خواطر الصغير قبل الكبير والفقير قبل الغني وصرف الجامكية وغلال الأنبار عيناً وكيلاً وكان كثير الصدقات ويحب فعل الخير والمعروف وكان مهذباً في نفسه بشوشاً متواضعاً وهو الذي أرسل يطلب الاستعفاء من الدفتردارية لما رأى من اختلال أحكام الباشا.

وفي يوم الإثنين حادي عشره، عدى يوسف كتخدا الباشا الى بر انبابة وعدى معه الكثير من العسكر ونصب العرضي ببر انبابة على ساحة البحر وأشيع وصول الأمراء الى ناحية الجسر الأسود وقطعوا الجسر لأجل تصفية المياه وانحدارها من الملق لأجل مشي الحافر ثم رجعوا الى ناحية المنصورية وبشتيل واستمر خروج العساكر العثمانية التي كانت جهة قبلي الى بر انبابة وهم كالجراد المنتشر ونصبوا وطاقهم ظاهر انبابة واستمر خروج العساكر والطلب ونقل البقسماط والجبخانة على الجمال والحمير ليلاً ونهاراً وأخذوا المراكب ووسقوها معهم في البحر وغصبوا ما وجدوه من السفن قهراً وانتشرت عساكرهم وخيامهم ببر انبابة حتى ملأوا الفضاء بحيث يظن الرائي لهم أنهم متى تلاقوا مع الغز المصرلية أخذوهم تحت أقدامهم لكثرتهم واستعدادهم بحيث كان أوائل العرضي عند الوراريق وآخرهم بالقرب من بولاق التكر ورطولا ثم أن الأمراء رجعوا الى ناحية وردان والطرانة.

وفي يوم الجمعة خامس عشره، انتقل العرضي من بر انبابة وحلوا الخيام وفي ثاني يوم خرجت عساكر خلافهم ونصبت مكانهم وسافروا وخرج خلافهم وهكذا دأبهم في كل يوم تخرج طائفة بعد أخرى.

وفيه، رسم الباشا بألف أردب فتح أنعام تفرق على طلبة العلم المجاورين والأروقة بالجامع الأزهر ففرقت بحسب الأغراض وأنعم أيضاً بعد أيام بألف أردب أخرى فعل بها كذلك.

وإنها خطرات من وساوسه   يعطي ويمنع لا بخلاً ولا كرما

وفي يوم الأحد سابع عشره، وصلت جماعة ططر وأخبروا بتقليد شريف محمد أفندي الدفتردار ولاية جدة.
وفي يوم الثلاثاء تاسع عشره، خرج طاهر باشا ونصب وطاقه جهة انبابة للمحافظة وخرجت عساكره ونصبت وطاقاتهم ببر انبابة أيضاً متباعدين عن بعضهم البعض واستمروا على ذلك.

وفي يوم الجمعة ثاني عشرينه، حضر رجل من طرف الدولة يقال له حجان وهو رجل عظيم من أرباب الأقلام وعلى يده فرمان فأرسل الباشا الى شريف أفندي الدفتردار والقاضي والمشايخ وجمعهم بعد صلاة الجمعة وقرئ عليهم ذلك الفرمان وهو خطاب الى حضرة الباشا وملخصه أننا اخترناك لولاية مصر لكونك ربيت بالسراية، ولما نعلمه منك من العقل والسياسة والشجاعة وأرسلنا إليك عساكر كثيرة وأمرناك بتقال الخائنين وإخراج الأربعة أنفار من المناصب في غير إقليم مصر وإكرامهم غاية الإكرام إن امتثلوا الأوامر السلطانية وأطلقنا لك التصرف في الأموال الميرية لنفقة العسكر واللوازم وما عرفناه موجب تأخير أمرهم لهذا الوقت فإن كان لقلة العساكر أرسلنا إليك كذلك إن لم يمتثلوا وكل من انضم إليهم كان مثلهم ومن شذ عنهم وطلب الأمان فهو مقبول وعليه الأمان الى آخر ما ذكر من ذلك المعنى.
وفي يوم السبت ثالث عشرينه، كتبت أوراق بمعنى ذلك وألصقت بالطرقات.
وفي خامس عشرينه، تواترت الأخبار بوقوع معركة بين العثمانيين والأمراء المصرلية بأراضي دمنهور وقتل من العساكر العثمانية مقتلة عظيمة وكانت الغلبة للمصرليين وانتصروا على العثمانيين وصورة ذلك أنه لما تراءى الجمعان واصطفت عساكر العثمانيين الرجالة ببنادقهم واصطفت الخيالة بخيولهم وكان الألفي بطائفة من الأجناد نحو الثلاثمائة قريباً منهم وصحبتهم جماعة من الانكليز، فلما رأوهم مجتمعين لحربهم قال لهم الانكليز ماذا تصنعون قالوا نصدمهم ونحاربهم قال الانكليز انظر واما تقولون إن عساركرهم الموجهين إليكم أربعة عشر ألفاً وأنتم قليلون قالوا النصر بيد الله فقالوا دونكم فساقوا إليهم خيولهم، واقتحموا الى الخيالة فقتل منهم من قتل فانهزم الباقون وتركوا الرجالة خلفهم، ثم كروا على الرجالة فلم يتحركوا بشيء وطلبوا الأمان فساقوا منهم نحو السبعمائة مثل الأغنام وأخذوا الجبخانة والمدافع وغالب الحملة والانكليز وقوف على علوة ينظرون الى الفريقين بالنظارات، فلما تحقق الباشا ذلك اهتم في تشهيل عساكر ومدافع وعدوا الى بر انبابة ونصبوا وطاقهم هناك. وانتقل طاهر باشا الى ناحية الجيزة.

استهل شهر شعبان بيوم السبت سنة 1217

فيه شرعوا في عمل متاريس جهة الجيزة وقبضوا على أناس كثيرة من ساحل مصر القديمة ليسخروهم في العمل.
وفيه حضر الكثير من العساكر المجاريح وجمع الباشا النجارين والحدادين، وشرع في عمل شركفلك فاشتغلوا فيه ليلاً ونهاراً حتى تمموه في خمسة أيام وحملوه على الجمال وأنزلوه المراكب وسفروه الى دمنهور.
في سادسه وفي عاشره كتبوا عدة أوراق وختم عليها المشايخ ليرسلوها الى البلاد خطا بالمشايخ البلاد والعربان مضمونها معنى ما تقدم وكتبوا كذلك نسخاً وألصقت بالأسواق، وذلك بإشارة بعض قرناء الباشا المصرلية وهي بمعنى التحذير والتخويف لمن يسالم الأمراء المصرلية وخصوصاً المغضوب عليهم مطرودين السلطنة العصاة الى آخر معنى ما تقدم.

وفي هذه الأيام كثرت الغلال حتى غصت بها السواحل والحواصل ورخص سعرها حتى بيع القمع بمائة وعشرين نصفاً الأردب واستمرت الغلال معرمة في السواحل ولا يوجد من يشتريها، وكان شريف أفندي الدفتردار أنشأ أربعة مراكب كبار لغلال الميري، ولما حصلت النصرة للمصرلية على العثمانية خصوصاً هذه المرة مع كثرتهم وقوتهم واستعدادهم ضبغوا فيها واحتكروها، ووقفوا على سواحل النيل يمنعون الصادر والوارد منهم ومن غيرهم، وأما الباشا فإنه سخط على العساكر وصار يلعنهم ويشتمهم في غيابهم وحضورهم.

وفيه حضرت جماعة من أشراف مكة وعلمائها هروبا من الوهابيين وقصدهم السفر الى اسلامبول يخبرون الدولة بقيام الوهابيين ويستنجدون بهم لينقذوهم منهم ويبادروا لنصرهم عليهم فذهبوا الى بيت الباشا والدفتردار وأكابر البلد وصاروا يحكون ويشكون وتنقل الناس أخبارهم وحكاياتهم.

استهل شهر رمضان المعظم سنة 1217

عملت الرؤية ليلة الأحد وركب المحتسب ومشايخ الحرف على العادة و لم ير الهلال، وكان غيماً مطبقاً فلزم إتمام عدة شعبان ثلاثين يوماً فانتدب جماعة ليلة الأحد وشهدوا أنهم رأوا هلال شعبان ليلة الجمعة فقبله القاضي وحكم به تلك الليلة على أن ليلة الجمعة التي شهدوا برؤيته فيها لم يكن للهلال وجود البتة وكان الاجتماع في سادس ساعة من ليلة الجمعة المذكور بإجماع الحساب والدساتير المصرية والرومية على أنه لم ير الهلال ليلة السبت الأحد يد البصر في غاية العسر والعجب وشهر رجب كان أوله الجمعة وكان عسر الرؤية أيضاً وأن الشاهد بذلك لم يتفوه به إلا تلك الليلة فلو كانت شهادته صحية لأشاعها في أول الشهر ليوقع ليلة النصف التي هي من المواسم الإسلامية في محلها حيث كان حريصاً على إقامة شعائر الإسلام.

وفيه حضرت جماعة من أشراف مكة وغيرها.

وفي خامس عشرينه، حضر خليل أفندي الرجائي الدفتردار في قلة من أتباعه وترك أثقاله بالمراكب وركب من مدينة فوة، وحضر على البر وذلك بسبب وقوف جماعة من الأمراء المصرلية ناحية النجيلة يقطعون الطريق على المارين في المراكب ولما حضر نزل ببيت اسمعيل بك بالأزبكية.

وفي غايته وقع ما هو أشنع مما وقع في غرته، وذلك أن ليلة الإثنين غايته، كان بالسماء غيم مطبق ومطر ورعد وبرق متواتر وأوقدت قناديل المنارات والمساجد وصلى الناس التراويح واستمر الحال الى سابع ساعة من الليل وإذا بمدافع كثيرة وشنك من القلعة والأزبكية ولغط الناس بالعيد وذكروا أن جماعة حضروا من دمنهور البحيرة وشهدوا أنهم رأوا هلال رمضان ليلة السبت فذهبوا الى بيت الباشا فأرسلهم القاضي فتوقف القاضي في قبول شهادتهم فذهبوا الى الشيخ الشرقاوي فقبلهم، وأيدهم وردهم الى القاضي وألزمه بقبول شهادتهم فكتبوا بذلك إعلاماً الى الباشا وقضوا بتمام عدة رمضان بيوم الأحد ويكون غرة شوال صبحها يوم الإثنين وأصبح الناس في أمر مريج منهم الصائم ومنهم الفاطر فلزم من ذلك أنهم جعلوا رجب ثمانية وعشرين يوماً وشعبان تسعة وعشرين وكذلك رمضان والأمر لله وحده.

شهر شوال سنة 1217

كان أوله الحقيقي يوم الثلاثاء وجزم غالب الناس المفطرين بقضاء يوم الإثنين.

وفي خامسه، وصلت أثقال خليل أفندي الرجائي الدفتردار.

وفيه طلبوا ألف كيس سلعة من التجار وأرباب الحرف فوزعت وقبضت على يد السيد أحمد المحروقي وهي أول حادثة وقعت بقدوم الدفتردار.

وفي يوم الخميس عاشره، نصب جاليش شريف باشا المعبر عنه بالطوخ عند بيته بالأزبكية وضربت له النوبة التركية وأهدى له الباشا خياماً كثيرة وطقماً ولوازم.

وفي يوم الإثنين ثاني عشرينه، كان خروج أمير الحاج بالموكب والمحمل المعتاد الى الحصوة وكان ركب الحجاج في هذه السنة عالماً عظيماً، وحضر الكثير من حجاج المغاربة من البحر وكذلك عالم كثير من الصعيد وقرى مصر البحرية والأروام وغير ذلك.

وفي يوم الخميس خامس عشرينه، خرج شريف باشا في موكب جليل ونصب وطاقه عند بركة الشيخ قمر فأقام به الى أن يسافر الى جدة من القلزم، وانتقل خليل أفندي الرجائي الدفتردار الى دار شريف باشا بالأزبكية.

وفي غايته، حضر أولاد الشريف سرور شريف مكة هروباً من الوهابيين ليستنجدوا بالدولة فترلوا ببيت المحروقي بعدما قابلوا محمد باشا والي مصر وشريف باشا والي جدة.

شهر ذي القعدة الحرام سنة 1217

استهل بيوم الأربعاء فيه تقدم الناس بطلب الجامكية فأمرهم الدفتردار بكتابة عرض حالات فثقل عليهم ذلك فقالوا إننا كتبنا عرضحالات في السنة الماضي، وأخذنا سنداتنا من الدفتردار المنفصل ودفع لنا سنة ستة عشر فقيل لهم إنه دفع لكم سنة معجلة والحساب لا يكون إلا من يوم التوجيه فضجوا من ذلك وكثر لغط الناس بسبب ذلك وأكثروا من التشكي من الدفتردار.

وفي سادسه، اجتمع الكثير من النساء بالجامع الأزهر وصاحوا بالمشايخ وأبطلوا دروسهم فاجتمعوا بقبلته، ثم ركبوا الى الباشا فوعدهم بخير حتى ينظر في ذلك وبقي الأمر وهم في كل يوم يحضرون وكثر اجتماعهم بالأزهر وباب الباشا فلم يحصل لهم فائدة من ذلك سوى أن رسم لهم بمواجب آخر سنة تاريخه معجلة، ولم يقبضوا منها إلا ما قل بسبب تتابع الشرور والحوادث.

وفي حادي عشره يوم السبت ارتحل شريف باشا الى بركة الحج متوجهاً الى السويس.

وفيه ارتحل حجاج المغاربة وكانوا كثيرين فسافر أغنياؤهم والكثير من فقرائهم من طريق البر وآخرون من السويس على القلزم.

وفي رابع عشره، حضر ططريات الى الباشا وعلى يدهم شالات شريفة وبشارة بتقريره على السنة الجديدة وزيد له تشريف تترخانية ومعناه مرتبة عالية في الوزارة فضربوا شنكاً ومدافع متوالية يومين.

وفيه أشيع انتقال الأمراء المصرلية من جهة البحيرة وقبلوا الى ناحية الجسر الأسود وأشيع أيضاً أن جماعة منهم نزلوا بصحبة جماعة من الانكليز الى البحر قاصدين التوجه الى اسلامبول وانتقل كتخدا بك خلفهم بعساكره ولكن لم يتجاسروا على

الإقدام عليهم.

وفيه وصلت الأخبار من الجهات الشامية بهروب محمد باشا أبي مرق من يافا واستيلاء عساكر أحمد باشا الجزار عليها وذلك بعد حصاره فيها سنة وأكثر.

وفي رابع عشره، حضر كتخدا الباشا وتقدم الأمراء المصرلية الى جهة قبلي حتى عدوا الجيزة وحصل منهم ومن العساكر العثمانية الضرر الكثير في مرورهم على البلاد من التفاريد والكلف ورعي الزروع وقطع الطرق براً وبحراً وكان أغات الجو الى القبلية وهو نجيب أفندي كتخدا الدفتردار وصحبته أرباب مناصب عدوا الى الجيزة متوجهين الى الصعيد ونصبوا خيامهم ببر الجيزة فصادفوهم وهجموا عليهم وقتلوا منهم من وجدوه وهرب الباقون. فاستولوا على خيامهم ووطاقهم، وكذلك كتخدا الدفتردار خرج الى مصر القديمة متوجهاً الصعيد لقبض الغلال والأموال فاستمر مكانه وتأخر لعدم المراكب وخوفاً من المذكورين.

وفيه ورد الخبر بنزول شريف باشا الى المراكب بالقلزم يوم الخميس سادس عشره.

وفي يوم الأربعاء ثاني عشرينه، طلبوا أيضاً خمسة آلاف كيس سلفة من التجار ثلاثة آلاف كيس ومن الملتزمين ألفا كيس وشرعوا في توزيعها فانزعج الناس وأغلق أهل الغورية حوانيتهم وكذا خلافهم وهرب أهل وكالة الصابون الى الشام على الهجن واختفى أكثر الناس مثل السكرية وأهل مرجوش وخلافهم فطلبهم المعينون ولزموا بيوتهم وسمروا مطابخ السكر وكذلك عملوا فردة على البلاد أعلى وأوسط وأدنى الأعلى خمسمائة ريال والأوسط ثلثمائة والأدنى مائة وخمسون.

وفيه تحقق الخبر بنزول طائفة الانكليز وسفرهم من ثغر الاسكندرية في يوم السبت حادي عشره ونزل بصحبتهم محمد بك الألفي وصحبته جماعة من أتباعه.

وفي خامس عشرينه، حضر أحمد باشا والي دمياط وكانوا أرسلوا له طوخاً ثالثاً وأنه يحضر ويتوجه لمحافظة مكة وكذلك قلدوا آخر باشاوية المدينة يسمى أحمد باشا وضعوا لهما عسكراً يسافرون صحبتهم للمحافظة من الوهابيين وأخذوا في التشهيل.

وفي هذه الأيام كثر تشكي العسكر من عدم الجامكية والنفقة فإنه اجتمع لهم جامكية نحو سبعة أشهر، وقد قطع عليهم الباشا رواتبهم وخرجهم لقلة الإيراد وكثرة المطلوبات وكراهته لهم فصار كبراؤهم يترددون ويكثرون من مطالبة الدفتردار حتى كان يهرب من بيته غالب الأيام وأشيع بالمدينة قيام العسكر وأنهم قاصدون نهب أمتعة الناس فنقل أهل الغورية وخلافهم بضائعهم من الحوانيت وامتنع الكثير منهم من فتح الحوانيت وخافهم الناس حتى في المرور. وخصوصاً أوقات المساء فكانوا إذا انفردوا بأحد شلحوه من ثيابه وربما قتلوه، وكذلك أكثروا من خطف النساء والمردان.

وفي ليلة الثلاثاء ثامن عشرينه، كان انتقال الشمس لبرج الحمل وأول فصل الربيع، وفي تلك الليلة هبت رياح شمالية شرقية هبوباً شديداً مزعجاً واستمرت بطول الليل قبل افجر اشتد هبوبها، ثم سكنت عند الشروق وسقط تلك الليلة دار بالحبالة بالرميلة ومات بها نحو ثلاثة أشخاص وداران أيضاً بطولون وغير ذلك حيطان وأطارف أماكن قديمة، ثم تحولت الريح غربية قوية واستمرت عدة أيام ومعها غيم ومطر.

وفيه وصل الأمراء المصرلية الى الفيوم فأخذوا كلفاً ودراهم كثيرة فردوها على البلاد، ثم سافروا الى الجهة القبلية.

وفيه ورد الخبر بأن المراكب التي بها ذخيرة أمير الحاج بالقلزم المتوجهة الى الينبع والمويلح، غرقت بما فيها ومركب الجميعي من

جملتها.

وفيه حضر مصطفى بيناشا الذي كان أيام الوزير بمصر الى بلبيس وهو موجه بطلب مبلغ دراهم فأقام ببلبيس حتى أرسلوها له، ثم ذهب الى دمياط وصحبته نحو الأربعمائة من الأرنؤد ليسافر من البحر.

وفيه توجه المحروقي والكثير من الناس لزيارة سيدي أحمد البدوي لمولد الشرنبلالية وأخذ معه عدة كثيرة من العسكر خوفاً من العربان، ووصل إليه فرمان بطلب دراهم من أولاد الخادم ومن أولاد البلد فدلوا على مكان لمصطفى الخادم فاستخرجوا منه ستة آلاف ريال وطلبوا من كل واحد من أولاد عمه مثلها.

شهر ذي الحجة الحرام سنة 1217

استهل بيوم الجمعة في يوم الإثنين رابعه، قتلوا شخصاً عسكرياً نصرانياً عند باب الخرق قتله أغات التبديل بسبب أنه كان يقف عند باب داره بحارة عابدين هو ورفيقان له ويخطفون من يمر بهم من النساء في النهار الى أن قبض عليه وهرب رفيقاه.

وفيه أيضاً أخرجوا من دار بحارة خشقدم قتلى كثيرة نساء ورجالاً من فعل العسكر.

وفيه عدى ابراهيم باشا الى بر الجيزة.

وفي يوم الأحد عاشره، كان عيد الأضحى في ذلك اليوم حضر من الأمراء القبالي مكاتبة على يد الشيخ سليمان الفيومي خطاباً للمشايخ فأخذها بختمها وذهب بها الى الباشا ففتحها واطلع على ما فيها، ثم طلب المشايخ فحضروا إليه وقت العصر.

وفي يوم الجمعة خامس عشره، حضرت مكاتبات من الديار الحجازية يخبرون فيها عن الوهابيين أنهم حضروا الى جهة الطائف فخرج إليهم شريف مكة الشريف غالب فحاربهم فهزموه، فرجع الى الطائف وأحرق داره التي بها وخرج هارباً الى مكة فحضر الوهابيون الى البلدة وكبيرهم المضايفي نسيب الشريف، وكان قد حصل بينه وبين الشريف وحشة فذهب مع الوهابيين، وطلب من مسعود الوهابي أن يؤمره على العسكر الموجه لمحاربة الشريف، ففعل فحاربوا الطائف وحاربهم أهلها ثلاثة أيام حتى غلبوا فأخذ البلدة الوهابيون واستولوا عليها عنوة وقتلوا الرجال وأسروا النساء ولأطفال وهذا دأبهم مع من يحاربهم.

وفي ذلك اليوم، مر أربعة أنفار من العسكر وأخذوا غلاماً لرجل حلاق بخط بين السورين عند القنطرة الجديدة فعارضهم الأوسط الحلاق في أخذ الغلام فضربوا الحلاق وقتلوه، ثم ذهبوا بالغلام الى دارهم بالخطة فقامت في الناس ضجة وكرشة وحضر أغات التبديل فطلبهم فكرنكوا بالدار وضربوا عليه البنادق من الطيقان فقتلوا من أتباعه ثمانية أنفار، ولم يزالوا على ذلك الى ثاني يوم فركب الباشا في التبديل، ومر من هناك وأمر بالقبض عليهم فثقبوا عليهم من خلف الدار وقبضوا عليهم بعدما قتلوا وجرحوا آخرين فشنقوهم ووجدوا بالدار مكاناً خرباً أخرجوا منه زيادة عن ستين امرأة مقتولة وفيهن من وجودها وطفلها مذبوح معها في حضنها.

وفيه حضر علي آغا الوالي الى بيت أحمد آغا شويكار بضرب سعادة وأخرج منه قتلى كثيرة وأمثال ذلك شيء كثير.

وفي خامس عشره أيضاً، أمر الباشا الوجاقلية أن يخرجوا جهة العادلية لأجل الخفر من العربان فإنهم فحش أمرهم وتجاسروا في

التعرية والخطف حتى على نواحي المدينة بل وطريق بولاق، وغير ذلك، فلما كان في ثاني يوم ركب الوجاقلية بأهتهم وبيارقهم وحضروا الى بيت الباشا وخرجوا من هناك الى وطاقهم الذي أعدوه لأنفسهم خارج القاهرة وشرعوا أيضاً في تعمير قصر من القصور الخارجة التي خربت أيام الفرنسيس.
وفي تاسع عشره، سافر جماعة الوجاقلية المذكورين وصحبتهم عدة من العسكر الى جهة عرب الجزيرة بسبب إغارة موسى خالد، ومن معه على البلاد وقطع الطرق فلاقاهم المذكور وحاربهم وهزمهم الى وردان وذهب هو الى جهة البحيرة.
وفي رابع عشرينه يوم الأحد، كان عيد النصارى الكبير في ليلتها وهي ليلة الإثنين وقع الحريق في الكنيسة التي بحارة الروم، وفي صبحها أشاع ذلك فركب إليها أغات الانكشارية والوالي وأحضروا السقائين والفعلة الذين يعملون في عمارة الباشا حتى أخذوا الناس المجتمعة بسوق المؤيد بالأنماطيين وحضر الباشا أيضاً في التبديل واجتهدوا في إطفائها بالماء والهدم حتى طفئت في ثاني يوم واحترق بها أشياء كثيرة وذخائر وأمتعة ونهبت أشياء.

وفيه وردت أخبار بأن الأمراء المصرلية وصلوا الى منية بن خصيب فأرسلوا الى حاكمها بأن ينتقل منها ويعدي هو ومن معه من العسكر الى البر الشرقي حتى أنهم يقيمون بها أياماً ويقضون أشغالهم، ثم يرحلون فأبوا عليهم وحصنوا البلدة وزادوا في عمل المتاريس وحاكمها المذكور سليم كاشف تابع عثمان بك الطنبرجي المرادي المقتول فإنه سالم العثمانيين وانضم إليهم فألبسوه حاكماً على المنية وأضافوا إليه عساكر فذهب إليها ولم يزل مجتهداً في عمل متاريس ومدافع حتى ظن أنه صار في منعة عظيمة فلما أجابهم بالامتناع حضروا الى البلدة وحاربهم أشد المحاربة مدة أربعة أيام بلياليها حتى غلبوا عليهم ودخلوا البلدةوأطلقوا فيها النار وقتلوا أهلها وما بها من العسكر، ولم ينج منهم إلا من ألقى نفسه في البحر وعام الى البر الآخر أو كان قد هرب قبل ذلك، وأما سليم كاشف فإنهم قبضوا عليه حياً وأخذوه أسيراً الى ابراهيم بك فوبخه وأمر بضربه فضربوه علقة بالنبابيت.
وفيه وصلت هجانة من شريف باشا بمكاتبة للباشا والدفتردار يخبر فيها أنه وصل الى الينبع وهو عازم على الركوب من هناك على البر ليدرك الحج ويترك أثقاله تتوجه في المركب الى جدة.
وفي غايته وصل سلحدار باشا وصحبته أغات المقرر الذي تقدمت بشارته، فلما وصلوا الى بولاق أرسل الباشا في صبحها إليهم فركبوا في موكب الى بيت الباشا وضربوا لهم مدافع وحضر المشايخ والقاضي والأعيان والوجاقات فقرئ عليهم ذلك وفيه الأمر بتشهيل غلال للحرمين والحث والأمر بمحاربة المخالفين.
وفيه بعثوا نحو ألف من العسكر الى جهة أسيوط للمحافظة فساروا على الهجن من البر الشرقي.
وفيه أرسلوا أوراقاً الى التجار وأرباب الحرف بطلب باقي الفردة وهو القدر الذي كان تشفع فيه المحروقي وأخذوا في تحصيله.

وانقضت هذه السنة وما وقع بها من الحوادث الكلية التي ذكر بعضها وأما الجزئية فلا يمكن الإحاطة ببعضها فضلاً عن كلها لكثرتها واختلاف جهاتها واشتغال البال عن تتبع حقائقها ونسيان الغائب بالأشنع القبيح بالأقبح، فمن الكلية التي عم الضرر بها زيادة المكوس أضعاف المعتاد في كل ثغر ذهاباً وإياباً، ومنها توالي الفرد والسلف والمظالم على أهل المدينة والأرياف وحق

طرق المعينين وكلفهم الخارجة عن الحد والمعقول بأدنى شكوى ولو بالباطل فبمجرد ما يأتي الشاكي بعرضحال شكواه يكتب له ورقة ويعين بها عسكري أو اثنان أو أكثر بحسب اختيار الشاكي وطلبه للتشفي من خصمه فبمجرد وصوله الىالمشكي بصورة منكرة وسلاح كثير متقلد به فلا يكون له شغل إلا طلب خدمته ولا يسأل عن الدعوى ولا عن صورتها ويطلب طلباً خارجاً عن المعقول كألف قرش في دعوى عشرة قروش وخصوصاً إذا كانت الشكوى على فلاح في قرية، فيحصل أشنع من ذلك من إقامتهم عندهم وطلبهم وتكليفهم الذبائح والفطور بما يشترطونه ويقترحونه عليهم وربما يذهب الشخص الذي يكون بينه وبين آخر عداوة قديمة أو مشاحنة أو دعوى قضى عليه فيها بحرق من زمان طويل فيقدم له عرضحال ويعين له مباشراً بفرمان ويذهب هو فلا يظهر ويذهب المعين في شغله والمشكي لا يرى الشامي ولا يدري من أين جاءته هذه المصيبة ويمكن أنه من بعد خلاصه من أمر المباشر يحضر الى بيت الباشا ويفحص عن خصمه ويعرفه فينهي دعواه ويظهر حجته بأنه على الحقث وأن خصمه على الباطل فيقال له عين على خصمك أيضاً فإن أجاب الى ذلك رسم له بفرمان ومعين آخر كذلك وإلا ترك أجره على الله ورجع فضاق ذرع الناس من هذه الحال وكرهوا هذه الأوضاع، وربما قتل الفلاحون المعينين وهربوا من بلادهم وجلوا عن أوطانهم خوف الغائلة، ولم يزل هذا دأبهم حتى نفرت منهم القلوب وكرهتهم النفوس وتمنوا لهم الغوائل وعصت أهل النواحي وعربدت العربان وقطعوا الطرق وعلموا خيانتهم فخانوهم ومكالبتهم فكالبوهم، وانتمى عربان الجهة القبلية الى الأمراء المصرلية وساعدوهم عليهم، ولما انحدر الأمراء الى جهة بحري انضمت إليهم جميع قبائل الجهة العربية والهنادي وعرب البحيرة وخلافهم، فلما وقعت الحروب بين الأمراء والعثمانيين وكانت الغلبة للأمراء والعربان زادت جسارتهم عليهم ورصدوا لهم الغوائل وقطعوا عليهم وعلى المسافرين الطرق بحراً وبراً، فمن ظفروا به ومانعهم نهبوا متاعه وقتلوه وإلا سلبوه وتركوه فحش الأمر جداً قبلي وبحري حتى وقف حال الناس، ورضوا عن أحكام الفرنسيس ومنها أن الباشا لم قتل الوالي والمحتسب وعمل قائمة تسعيرة للمبيعات وأن يكون الرطل اثنتي عشرة أوقية في جميع الأوزان وأبطلوا الرطل الزياتي الذي يوزن به السمن والجبن والعسل واللحم وغير ذلك وهو أربع عشرة أوقية، لم ينفذ من تلك الأوامر شيء سوى نقص الأرطال، ولم يزل ذو الفقار محتسباً حتى رتب المقررات على المتسببين زيادة عن القانون الأصلي وجعل منها قسط الخزينة للباشا وللكتخدا وخلافهما، ورجعت الأمور في الأسعار أقبح وأغلى مما كانت عليه في كل شيء واستمر الرطل اثنتي عشرة أوقية لا غير وكثر ورود الغلال أيام النيل ورخص سعرها والرغيف على مقدار رغيف الغلاء، ومنها أن الفضة الأنصاف العددية صاروا يأخذونها من دار الضرب أول بأول ويرسلونها الى الروم والشام زيادة الصرف ولا يترل الى الصيارف منها إلا القليل حتى شحت بأيدي الناس جداً ووقف حالهم في شراء لوازم البيوت ومحقرات الأمور ويدور الأسانن بالريال أو المحبوب أو المجر وهو في يده طول النهار فلا يجد مصارفته وأغلقت غالب الصيارف حوانيتهم بسبب ذلك، وبسبب أذية العسكر فإنهم يأتون إليهم ويلزمونهم بالمصارفة فيقول له الصيرفي ليس عندي فضة فلا يقبل عذره ويفزع عليه بيطقانه أو بارودته وإن وجد عنده المصارفة، وكان المحبوب أو البندقي ناقصاً في الوزن لا يستقيم في نقصه، ولا يأخذ إلا صرفه كاملاً، وإذا اشترى شيئاً من سوقي أعطاه بندقياً وطلب باقيه، ولم يكن عند البائع باقيه أخذ الذي اشتراه والبندقي وذهب ولا يقدر المسبب على استخلاص حقه منه وإن وجد معه باقي الصارفة، وأخذ ذلك البندقي ونقد عند الصراف، وكان ناقصاً وهو الغالب لا يقدر الصيرفي أن يذكر نقصه فإن قال إنه ينقص كذا فزع عليه وسبه وبعضهم أدخل إصبعه في عين

الصراف وأمثال ذلك.ف وأمثال ذلك.
ومنها شحة المراكب حتى أن المسافر يمكث الأيام الكثيرة ينتظر مركباً فلا يجد وربما أخذوها بعد تمام وسقها فنكتوه وأخذوها وإن مرت على الأمراء المصرلية، ومن انضم إليهم تعرضوا لها ونهبوا ما بها من الشحنة وأخذوا المركب واستمر هذا الحال على الدوام، فكان ذلك من أعظم أسباب التعطيل أيضاً.
ومنها تسلط العسكر على خطف الناس وسلبهم وقتلهم وخصوصاً في أواخر هذه السنة حتى امتنعت الناس من المرور في جهات سكنهم إلا أن يكونوا في عزوة ومنعة وقوة ولا تكاد ترى شخصاً يمر في الأسواق السلطانية من بعد المغرب، وقبيل العشاء وإذا اضطر الإنسان الى المرور تلك الأوقات، فلا يمر إلا كالمجازف على نفسه وكأنما على رسه الطير فيقال إن فعلهم هذه الفعائل من عوائدهم الخبيثة إذا تأخرت نفقاتهم، فعلوا ذلك مع العامة على حد قول القائل خلص تارك من جارك، وذلك كله بسبب تأخير جماكيهم وقطع خرجهم نحو خمسة أشهر والباشا يسوقهم ويقول هؤلاء لا يستحقون فلساً وأي شيء خرج من يدهم وطول المدى نكلفهم ونعطيهم، وما ستروا أنفسهم مع الغز المصرلية، ولا مرة فلا حاجة لنا بهم بل يخرجون عني ويذهبون حيث شاؤوا فليس منهم إلا الزرية والفنطزية وهم يقولون لا نخرج ولا نذهب حتى نستوفي حقنا على دور النصف الفضة الواحد وإن شئنا أقمنا وإن شئنا ذهبنا. ومنها استمرار الباشا على الهمة والاجتهاد في العمارة والبناء، وطلب الأخشاب والمؤن حتى عز جميع أدوات العمارة وضاق حال الناس بسبب احتياجهم لعمارة أماكنهم التي تخربت في الحوادث السابقة، وبلغ سعر الأردب الجبس مائة وعشرين نصفاً والجير المخلوط أربعين نصفاً وأجرة المعلم في اليوم خمسة وأربعين نصفاً ويتبعه آخر مثل ذلك والفاعل اثنين وعشرين نصفاً وأحدثوا أخذ إجازة من المعمارجي وهو أن الذي يريد بناء ولو كانوناً لا يقدر أن يأتيه البناء حتى يأخذ ورقة من المعمارجي ويدفع عليها خمسين نصفاً، ولم يزل الاجتهاد في العمارة المذكورة حتى أقاموا جانباً من القشلة وهي عبارة عن وكالة يعلوها طباق وأسفلها اصطبلات وحولها من داخل حواصل ومن خارج حوانيت وقهوة، فعندما تمت الحوانيت ركبوا عليها درفها وأسكنوا بها قهوجياً ومزيناً من أتباع الباشا وخياطين وعقادين وسروجية الباشا وغير ذلك، ولم يكمل تسقيف الطباق وعملوا لها بوابة عظيمة بمصاطب وهدموا حائط الرحبة المقابلة لبيت الباشا الخارجة، وعمرت وأنشئت بالحجر النحت المحكم الصنعة وعملوا لها باباً عظيماً ببدنات وأبراج عظيمة وبها طاقات عليا وسفلى، وصفوا بها المدافع العظيمة وبركة الرحبة مثل ذلك وعملوا لها باباً آخر قبالة باب القشلة، بحيث صار بينها وبين القشلة رحبة متسعة يسلك منه المارون الى جهة بولاق على الجسر الذي عمله الفرنسيس ويخرجون أيضاً في سلوكهم من بوابة عظيمة الى طريق بولاق من الجهة الغربية بحائط حجر متصلة من الرحلة حيث البوابة المواجهة للقشلة الى آخر القشلة، وعلى هذه البوابة من الجهتين مدافع مركبة على بدنات وأبراج وطيقان مهندمة وبأسفلها من داخل مصطبة كبيرة من حجر وبها باب يصعد منه الى تلك الأبراج والجبخانة والعساكر جلوس على تلك المصاطب الخارجة والداخلة لابسين الأسلحة وبنادقهم مرصوصة بدائر الحيطان وبداخل الرحبة الوسطانية مدافع عظيمة مرصوصة بطول الرحبة يميناً وشمالاً، وكذلك بداخل الحوش الجواني الأصلي وبأسفل البركة نحو المائتي مدفع مرصوصة أيضاً وعربيات وصناديق جبخانة وآلات حرب وغير ذلك والجبخانة الكبيرة لها محل مخصوص بالحوش الداخل الأصلي ولها خزنة وطبجية وعربجية.

ومنها أنه عدم البصل الأحمر حتى بيع الرطل بسعر القنطار في الزمن السابق وعدم الملح أيضاً بسبب احتكاره وعدم المراكب التي تجلبه من بحري لما ترتب عليهم من زيادة الجمرك. وعدم مكاسبهم فيه لأن الذي تولى على جمرك الملاحة صار يأخذه من أصحابه على ذمته بسعر قليل معلوم ويبيعه على ذمته بسعر كثير لمن يسافر به الى جهة قبلي، وذلك خلاف ما يأخذه من المراكب التي تحمله فامتنع المتسببون فيه من تجارته فعز وجوده في آخر السنة حتى بيع الربع بثمانين نصفاً من ثلاثة أنصاف وضجت الناس من ذلك، فأرسل ذلك الملتزم ثلاثة مراكب على ذمته ووسقها ملحاً وصار يبيع الربع بعشرين نصفاً ويبيعه المسبب بثلاثين. وهذا لم يعهد فيما تقدم من السنين وعدم أيضاً الصابون بسبب تأخر القافلة حتى بيع بأغلى ثمن، ثم حضرت القافلة فانحل سعره وتواجد، وغير ذلك مما لا يمكن الإحاطة به ونسأل الله تعالى حسن العاقبة.

سنة ثمان عشرة ومائتين وألف

شهر محرم الحرام سنة 1218 استهل بيوم السبت في ذلك اليوم وقعت زعجة عظيمة في الناس وحصلت كرشات في مصر وبولاق حوانيتهم ورفعوا منهاما خف من متاعهم من الدكاكين وبعضهم ترك حانوته وهرب والبعض سقط متاعه من يده، و لم يشعر من شدة ما لحقهم من الخوف والإرجاف، و لم يعلم سبب ذلك فيقال إن السبب في ذلك أن جماعة من كبار العسكر ذهبوا الى الباشا وطلبوا جماكيهم المنكسرة وخرجهم، فقال لهم اذهبوا الى الدفتردار فذهبوا الى الدفتردار، فقال لهم جمكيتكم عند محمد علي فذهبوا الى محمد علي وكانوا وعدوهم بقبض جامكيتهم في ذلك اليوم، فلما ذهبوا الى محمد علي قال لهم لم أقبض شيئاً فعملوا معه شراسة، وضرب بيتهم بعض بنادق وهاجت العسكر عند بيت محمد علي سرششمه فحصلت هذه الزعجة في مصر وبولاق، ثم سكن ذلك بعد أن وعدهم بعد ستة أيام.

وفيه وردت عدة تقارير وبها جبخانة وجملة من العسكر وصحبتهم ابراهيم آغا الذي كان كاشف الشرقية عام أول، وكان توجه الى اسلامبول فحضر وصحبته ذلك، فحملوا الجبخانة وطلعوها الى القلعة فيقال إنها متوجهة الى جدة بسبب فتنة الحجاز، وقيل غير ذلك.

وفي يوم الجمعة سابعه، ثارت العسكر وحضروا الى بيت الدفتردار فاجتمعوا بالحوش وقفلوا باب القيطون وطردوا القواسة، وطلع جمع منهم فوقفوا بفسحة المكان الجالس به الدفتردار ودخل أربعة منهم عند الدفتردار فكلموه في إنجاز الوعد، فقال لهم إنه اجتمع عندي نحو الستين ألف قرش، فإما أن تأخذوها أو تصبروا كم يوم حتى يكمل لكم المطلوب، فقالوا لابد من التشهيل فإن العسكر تلقلقوا من طول المواعيد فكتب ورقة وأرسلها الى الباشا بأن يرسل إليه جانب دراهم تكملة للقدر الحاصل عنده في الخزينة فرجع الرسول وهو يقول لا أدفع ولا آذن بدفع شيء فإما أن يخرجوا ويسافروا من بلدي أو لابد من قتلهم عن آخرهم فعندما رجع بذلك الجواب، قال له ارجع إليه وأخبره أن البيت قد امتلأ بالعساكر فوق وتحت وإني محصور بينهم، فعند وصول المرسال وقبل رجوعه أمر الباشا بأن يديروا المدافع ويضربوها على بيت الدفتردار وعلى العسكر، فما يشعر الدفتردار إلا وجلة وقعت بين يديه فقام من مجلسه الى مجلس آخر وتتابع الرمي واشتعلت النيران في البيت وفي الكشك الذي أنشأه ببيت جده المجاور لبيته، وهو من الخشب والحجنة من غير بياض فلم يكمل فالتهب بالنار، فترل الى أسفل والأرنؤد محيطة به وبات تحت السلالم الى الصباح ونهب العسكر الخزينة والبيت. و لم يسلم إلا الدفتردار والأوراق وضعوها في صناديق وشالوها، وكان ابتداء رمي المدافع وقت صلاة الجمعة، وأما أهل البلد فإنهم كانوا متخوفين ومتطيرين من قومة أو فزعة تحصل من العسكر قبل ذلك، فلما عاين الناس تجمعهم ببيت الدفتردار شاع ذلك في المدينة، ومر الوالي يقول للناس، ارفعوا متاعكم واحفظوا أنفسكم وخذوا حذركم وأسلحتكم فأغلق الناس الدكاكين والدروب وهاجوا وماجوا، فلما سمعوا ضرب المدافع زاد تطيرهم وتخيلوا هجوم العسكر ونهب البلد، بل ودخول البيوت ولا راد يردهم ولا حاكم يمنعهم، ونادى المنادي معاشر الناس وأولاد البلد، كل من كان عنده سلاح فليلبسه واجتمعوا عند شيخ مشايخ الحارات يذهب بكم الى بيت الباشا، وحضرت أوراق من الباشا لأهل الغورية، ومغاربة الفحامين وتجار خان الخليلي وأهل طولون يطلبهم بأسلحتهم والحضور

عنده والتحذير من التخلف فذهب بعض الناس فأقاموهم عند بيت حريم الباشا وبيت بن المحروقي المجاور له وهو بيت البكري القديم فباتوا ليلتهم هناك، وحضر حسن آغا والي العمارة عشاء تلك الليلة، وطاف على الناس يحرضهم على القيام ومعاونة الباشا، وتجمع بعض الأوباش بالعصي والمساوق وتحزبوا أحزاباً وعملوا متاريس عند رأس الوراقين وجهة العقادين والمشهد الحسيني، فلما دخل الليل بطل الرمي الى الصباح فشرعوا في الرمي بالمدافع والقنابر من الجهتين وتترست العساكر بجامع أزبك وبيت الدفتردار وبيت محمد علي وكوم الشيخ سلامة وداخل الناس خوف عظيم من هذه الحادثة، وأما القلعة الكبيرة فإن الباشا مطمئن من جهتها لأنه مقيد بها الخازندار ومعه عدة من الأرنؤد وغيرهم وقافل أبوابها، ولما كان يوم الجمعة أمس تاريخه قبل حصول الواقعة، وحضر أغات الانكشارية والوجاقلية لأجل السلام على عادتهم ودخلوا عند كتخدا بك فقال لهم نبهوا على أهل البلد بغلق الدكاكين والأسواق والاستعداد فإن العكر حاصل عندهم قلة أدب، فلما طلعوا عند الباشا أعلموه بمقالة كتخدا بك فقال لهم نعم، فقال له أغات الانكشارية يا سلطانم ينبغي الاحتفاظ بالقلعة الكبيرة قبل كل شيء فقال إن بها الخازندار وأوصيته بالاحتفاظ وغلق الأبواب فقال له الآغا لكن ينبغي أن نترك عند كل باب من خارج قدر خمسين انكشارياً، فقال وايش فائدتهم ما عليكم من هذا الكلام تريدون تفريق عساكري، اذهبوا لما أمرتكم به وذلك لأحل إنقاذ القضاء وحضر طاهر باشا أيضاً في ذلك الوقت وهو كالمحب ومكمن العداوة فلم يقابله الباشا وأمره بأن يذهب الى داره ولا يقارش، فلما كان في صبحها يوم السبت رتب الباشا عساكره على طريقة الفرنسيس، وهو المسمى بالنظام الجديد فخرجوا بأسلحتهم وبنادقهم وخيولهم، وهم طوابير ومروا حوالي البركة وانقسموا فرقتين فرقة أتت على رصيف الخشاب وفرقة على جهة باب الهواء ليأخذوا الأرنؤدية بينهم ويحصروهم من الجهتين، فلما حضرت الفرقة التي من ناحية رصيف الخشاب قاتلوا الأرنؤدية، فعند ذلك أركبوا الدفتردار وأخذوه الى بيت طاهر باشا ومعه أتباعه

وانهزم الأرنؤدية من تلك الجهة وانحصروا جهة جامع أزبك واشتغلوا بمحاربة الفرقة الأخرى وتحققوا الهزيمة والخذلان وعندما وصلت عساكر الباشا الى بيت الدفتردار والمحروقي وبيت حريم الباشا اشتغلوا بالنهب، وإخراج الحريم وتركوا القتال وتفرقوا بالمنهوبات وفترت همة الفرقة الأخرى وجرى أكثرهم ليخطف شيئاً ويغنم مثلهم، وقالوا نحن نقاتل ونموت لا على شيء وأصحابنا ينهبون ويغنمون فهزموا أنفسهم لذلك وتراجع الأرنؤدية واشتدت عزيمتهم ورجع البعض منهم الى عساكر الباشا فهزموا من بقي منهم وملكوا الجهة التي كانوا أجلوهم عنها فعند ذلك ظهر طاهر باشا وركب الى الرميلة وتقدم الى باب العزب فوجده مغلوقاً فعالج الطاقات الصغار التي في حائط باب العزب القريبة من الأرض المعدة لرمي المدافع من أسفل ففتح بعضها ودخل منها بعض عسكر فتلاقوا مع الأرنؤد المحافظين داخل الباب فالتف بعضهم على بعض. ثم طلعوا عند الخازندار وكان عنده ابن أخت طاهر باشا ممرضاً قبل ذلك بأيام وصحبته طائفة أيضاً فالتفوا على بعضهم وصاروا عصبة وطلبوا مفاتيح القلعة من الخازندار فمانعهم ولما رأى منهم العين الحمراء سلمهم المفاتيح فنزلوا وفتحوا الأبواب لطاهر باشا وحبسوا الخازندار وأنزلوا من القلعة مدافع وبنبات وجبخانة الى الأزبكية لجماعتهم وكذلك قيدوا بالقلعة طبجية وعساكر كل ذلك ومحمد باشا لا يدري بشيء من ذلك فلم يشعر إلا والضرب نازل عليه من القلعة فسأل ما هذا فقيل له إنهم ملكوا القلعة فسقط في يده وعند ذلك، نزل طاهر باشا من القلعة وشق من وسط المدينة وهو يقول بنفسه مع المنادي أمان واطمئنان افتحوا دكاكينكم وبيعوا واشتروا ما عليكم بأس وطاف يزور الأضرحة والمشايخ والمجاذيب ويطلب منهم الدعاء ورفع الناس المتاريس من الطرق

وانكفوا عن مقارشة العسكر وكذلك لم يحصل أذية من العسكر لأحد من الرعية وأمروا بفتح مخابز العيش والمآكل وأخذوا واشتروا عن غير إجحاف ولا بخس فلما علم الباعة منهم ذلك ذهبوا إليهم بالعيش والكعك والجبن والفطير والسميط وغير ذلك ودخلوا فيهم يبيعون عليهم وهم يشترون منهم بالمصلحة وصار بعض أولاد البلد يذهب الى الفرجة ويدخل بينهم ويمر من وسطهم فلا يتعرضون لهم ويقولون نحن مع بعضنا وأنتم رعية فلا علاقة لكم بنا ووجدوا مع البعض سلاحاً ذهب به عندما أرسل الباشا ونادى بالناس فردوهم بلطف وكل ذلك على غير القياس، وطاهر باشا لم يكن له شغل إلا الطواف بالمدينة والأسواق وخارج البلد ويقول للفلاحين الذين يجلبون الحطب والجلة والسمن والجبن من الأرياف كونوا على ما أنتم عليه وهاتوا أسبابكم وبيعوا واشتروا وليس عليكم باس، وحضر إليه الوالي فأمره بالمرور والمناداة بالأمن للناس، واستمر الحرب بين الفريقين نهار السبت واشتد ليلة الأحد طول الليل، فما أصبح النهار حتى زحف عساكر الأرنؤد الى جامع عثمان كتخدا والي حارة النصارى من الجهة الأخرى وطلعوا الى التلول التي بناحية بولاق وملكوا بولاق وهجموا على مناخ الجمال الذي بالقبر من الشيخ فرج فقتلوا من به من عسكر التكرور وهرب من بقي منهم عرياناً وقبضوا على منش القبطان وعدوا بالغليون الى بر انبابة ونهبوا ما فيه وكان به مال القبطان وذخائره التي جمعها من مظالم المراكب والمسافرين والقادمين شيئاً كثيراً، وكذلك ذهبت طائفة منهم الى قصر العيني وقبضوا على من به من عبيد الباشا وعروهم وأخذوهم أسرى ونهبوا بيت السيد أحمد المحروقي بالأزبكية وهو بيت البكري القديم وقد كان أخلاه لنفسه وعمره وسكنه بحريمه فنهبوا منه شيئاً كثيراً يفوق الحصر وأخرجوا منه النساء بعدما فتشوهن أو افتدين أنفسهن وكذلك بيت حريم الباشا الملاصق له بعدما أرسل الباشا عساكره قبل بيوم فنقل منه الحريم عنده بطولهن لا غير ونهبوا بيت جرجس الجوهري وأخذوا منه أشياء نفيسة كثيرة وفراوي مثمنة وحريم بيت الباشا لم يتمكنوا منه إلا بعد انفضاض القضية بيومين بسبب أن المحافظين عليه كانوا ثمانية عشر فرنساوياً فحاصروا فيه هذه المدة حتى خرجوا منه بأمان وأما سكان تلك الخطة فإنهم كانوا يذهبون الى طاهر باشا أو محمد علي فيرسل معهم عسكراً لخفارتهم حتى ينقلوا أمتعتهم أو أمكنهم الى جهات بعيدة عن ذلك المحل ليأمنوا على أنفسهم من الحرب وهرب المحروقي وابنه عند الباشا ولاحت لوائح الخذلان على

الباشا واستعد للفرار فإنه لما بات تلك الليلة لم يجد عليقاً ولا خبزاً فعلقوا على الخيل أرزاً وتعشى الباشا بالبقسمات وأرسل الى حارة النصارى فطلب منهم خبزاً فأرسلوا له خبزاً فخطفه الأرنؤد في الطريق، و لم يصل إليه ثم أن عسكر الأرنؤد أحضروا آلة بنية ووضعوها بالبركة وضربوا بها على بيت الباشا فوقعت واحدة الى الباذاهنج فالتهب فيه النار فأرادوا إطفاءها فلم يجدوا سقائين تنقل الماء ويقال إن الخازندار الذي كان بالقلعة لما قبضوا عليه التزم لهم بحرق بيت الباشا ويطلقوه فأرسل بعض أتباعه الى مكانه الذي ببيت الباشا فأوقدوا فيه النار في ذلك الوقت واشتعلت في الأخشاب والسقوف وسرت الى مساكن الباشا فعند ذلك نزل الباشا الى أسفل وأنزل الحريم وعددهن سبع عشرة امرأة فأركبهن بغالاً وأمر الدلاة والهوارة أن يتقدموهن وركب صحبتهن المحروقي وابنه وترجمانه وصيرفيه وعبيده وفراشوه وتأخر الباشا حتى أركب الحريم ثم ركب في مماليكه ومن بقي من عسكره وأتباعه وركب معه حسين أغاشنن وبعض أغوات وصحبته ثلاث هجن وخرج الى جزيرة بدران فعندما أشيع ركبوه هجمت عساكر الأرنؤد على البيت واشتغلوا بالنهب هذا والنار تشتعل فيه وكان ركوبه قبيل أذان العصر من يوم الأحد تاسع المحرم وخرج خلفه عدة وافرة من عسكر الأرنؤد فرجع عليهم وهزمهم مرتين وقيل ثلاثاً وأما المحروقي ومن معه

فإنهم تشتتوا من بعضهم خلف الدلاة و لم يلحقوهم، وانقطع حزام بغلته فنزل عنها فأدركه العساكر المتلاحقة بالباشا فعروه وشلحوه هو وأتباعه وابنه وأخذوا منهم نحو عشرين ألف دينار اسلامبولي نقدية وقيل جواهر بنحو ذلك فأدركهم عمر آغا بيناشي المقيم ببولاق فوقعوا عليهم فأمنهم وأخذهم معه الى بولاق وباتوا عنده الى ثاني يوم وأخذ لهم أماناً وحضر الى طاهر باشا وقابله وكذلك جرجس الجوهري ونهب العسكر بيت الباشا وأخذوا منه شيئاً كثيراً وباتت النار تلتهب فيه والدخان صاعد الى عنان السماء حتى لم يبق فيه إلا الجدران التحتانية الملاصقة للأرض واحترقت وانهدمت تلك الأبنية العظيمة المشيدة العالية وما به من قصور والمجالس والمقاعد والرواشن والشبابيك والقمريات والمناظر والتنهات والخزائن والمخادع وكان هذا البيت من أضخم المباني المكلفة فإنه إذا حلف الحالف أنه صرف على عمارته من أول الزمان الى أن احترق عشر خزائن من المال أو أكثر لا يحنث فإن الألفي لما أنشأه صرف عليه مبالغ كثيرة وكان أصل هذا المكان قصراً عمره وأنشأه السيد ابراهيم ابن السيد سعودي اسكندر من فقهاء الحنفية وجعل في أسفله قناطر وبوائك من ناحية البركة وجعلها برسم النزهة لعامة الناس، فكان يجتمع بها عالم من أجناس الناس وأولاد البلد شيء كثير وبها قهاوي وبياعون وفكهانية ومغاني وغير ذلك، ويقف عندها مراكب وقوارب بها من تلك الأجناس فكان يقع بها وبالجسر المقابل لها من عصر النهار الى آخر الليل من الخط والنزاهة ما لا يوصف، ثم تداول ذلك القصر أيدي الملاك وظهر علي بك وقساوة حكمه فسدوا تلك البوائك ومنعوا الناس عنها لما كان يقع بها في الأحيان من اجتماع أهل الفسوق والحشاشين، ثم اشترى ذلك القصر الأمير أحمد آغا شويكار وباعه بعد مدة فاشتراه الأمير محمد بك الألفي في سنة إحدى عشرة ومائتين وألف وشرع في هدمه وتعميره وإنشائه على الصورة التي كان عليها وكان غائباً جهة الشرقية فرسم لكتخداه صورته في كاغد بكيفية وضعه فحضر ذو الفقار كتخدا وهدم ذلك القصر وحضر الجضران ووضع الأساس وأقام الدعائم ووضع سقوف الدور السفلى فحضر عند ذلك مخدومه، فلم يجده على الرسم الذي حدده له فهدمه ثانياً وأقام دعائمه على مراده واجتهد في عمارته وطلب له الصناع والمؤن من الأحجار والأخشاب المتنوعة حتى شجت المؤن في ذلك الوقت وأوقفت أربعة من أمرائه على أربع جهاته وعمل على ذمة العمارة طواحين للجبس، وقمن الجير وأحضر البلاط من الجبل قطعاً كباراً ونشرها على قياس مطلوبه وكذلك الرخام، وذلك خلاف أنقاض رخام المكان وأنقاض الأماكن التي اشتراها وهدمها وأخذ أخشابها وأنقاضها ونقلها على الجمال. وفي المراكب لأجل ذلك فمنها البيت الكبير الذي أنشأه حسن كتخدا الشعراوي على بركة الرطلي وكان به شيء كثير من الأخشاب والأنقاض والشبابيك والرواشن نقلت جميعها الى العمارة فصار كل من الأمراء المشيدين

يبني وينقل ويبيع ويفرق على من أحب حتى بنوا دوراً من جانب تلك العمارة والطلب مستمر حتى أتموه في مدة يسيرة وركب على جميع الشبابيك شرائح الزجاج أعلى وأسفل وهو شيء كثير جداً وفي المخادع المختصة به ألواح الزجاج البلور الكبار التي يساوي الواحد منها خمسمائة درهم وهو كثير أيضاً، ثم فرشه جميعه بالبسط الرومي والفرش الفاخر وعلقوا به الستائر والوسائل المزركشة وطوالات المراتب كلها مقصبات وبنى به حمامين علوياً وسفلياً الى غير ذلك فما هو إلا أن تم ذلك فأقام به نحو عشرين يوماً، ثم خرج الى الشرقية فأقام هناك وحضر الفرنسيس فسكنه ساري عسكر بونابارته فعمر فيه أيضاً عمارة، ولما سافر وأقام مكانه كلهبر عمر فيه أيضاً، فلما قتل كلهبر وتولى عوضه عبد الله منو لم يزل مجتهداً في عمارته وغير معاليمه وأدخل فيه المسجد وبنى الباب على الوضع الذي كان عليه وعقد فوقه القبة المحكمة وأقام في أركانها الأعمدة بوضع

محكم متقن وعمل السلالم العراض التي يصعد منها الى الدور العلوي والسفلي من على يمين الداخل وجعل مساكنه كلها تنفذ الى بعضها البعض على طريقة وضع مساكنهم واستمر يبني فيه ويعمر مدة إقامته الى أن خرج من مصر، فلما حضر العثمانية وتولى على مصر محمد باشا المذكور رغب في سكنى هذا المكان وشرع في تعميره هذه العمارة العظيمة حتى أنه رتب لحرق الجير فقط إثني عشر قميناً تشتغل على الدوام والجمال التي تنقل الحجر من الجبل ثلاث قطارات كل قطار سبعون جملاً وقس على ذلك بقية اللوازم ورموا جميع الأتربة في البركة حتى ردموا منها جانباً كبيراً ردماً غير معتدل حتى شوهوا البركة وصارت كلها كيماناً وأتربة والعجب أن منتهى الرغبة في سكن هذه البركة وأمثالها إنما هو تسريح النظر وانبساط النفس باتساعها وإطلاقها وخصوصاً أيام النيل حين تمتلئ بالماء فتصير لجة ماء بركارية مملوءة بالزوارق والقنج والشطيات المعدة للنزهة تسرح فيها ليلاً ونهاراً وعند دخول المساء يوقدون القناديل بدائرها في جميع قواطين البيوت فيصير لذلك منظر بهيج لاسيما في الليالي المقمرة فيختلط ضحك الماء في وجه البدر والقناديل وانعكاس خيالها كأنها أسفل الماء أيضاً وصدى أصوات القيان والأغاني في ليال لا تعد من الأعمار إذ الناس ناس والزمان زمان فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم الى أن كان ما كان ووقعت هذه الحوادث فتضاعف المسخ والتشويه والعجب أنه لما وقعت الحرابة بين الفرنساوية والعثمانية وأهل مصر وأقام الحرب 36 يوماً وهم يضربون على ذلك البيت بالمدافع والقنابر، لم يصبه شيء ولم ينهدم منه حجراً واحداً ولما وقعت هذه الحرابة بين الباشا وعسكره احترق وانهدم في ليلة واحدة وكذلك احترق بيت الدفتردار وهو بيت ثلاثة ولية الذي كان أنشأه رضوان كتخدا الجلفي وكان بيتاً عظيماً ليس له نظير في عمارته وزخرفته وكلفته وسقوفه من أغرف ما صنعته أيدي بني آدم في الدقة والصنعة وكله منقوش بالذهب واللازورد والأصباغ وعلى مجالسه العليا قباب مصنعة وأرضه كلها بالرخام الملون فاحترق جميعه، ولم يبق به شيء إلا بعض الجدران اللاطئة بالأرض وسكنت الفتنة وشق الوالي علي آغا الشعراوي وذو الفقار المحتسب وأغات الانكشارية ونادوا بالأمان والبيع والشراء فكانت مدة ولاية هذا الباشا على مصر سنة وثلاثة أشهر وواحداً وعشرين يوماً، وكان سيئ التدبير ولا يحسن التصرف ويحب سفك الدماء ولا يتروى في ذلك ولا يضع شيئاً في محله ويتكرم على من لا يستحق ويبخل على من يستحق وفي آخر مدته داخله الغرور وطاوع قرناء السوق المحدقين به والتفت الى المظالم والفرد على الناس وأهل القرى حتى أنهم كانوا حرروا دفاتر فردة عامة على الدور الأماكن بأجرة ثلاث سنوات، وقيل أشنع من ذلك فأنقذ الله منه عباده وسلط عليه جنده وعساكره، وخرج مرغوماً مقهوراً على هذه الصورة، ولم يزل في سيره الى أن نزل بقليوب بعد الغروب فعشاه الشواربي شيخ قليوب، ثم سار ليلاً الى دجوة فأنزل الحريم والأثقال في ثلاثة مراكب وسار هو الى جهة بنها وغالب جماعته تخلفوا عنه بمصر وكذلك الكتخدا وديوان أفندي والخازندار الذي كان بالقلعة والسلحدار وخليل أفندي خزنة كاتب.

وفي يوم الإثنين عاشره، نودي بالأمان أيضاً وأن العساكر لا يتعرضون لأحد بأذية وكل من تعرض له عسكري بأذية ولو قليلة فليشتكه الى القلق الكائن بخطته ويحضره الى طاهر باشا فينتقم له منه.

وفي يوم الخميس وقت العصر، حضر الآغا والوجاقلية الى بيت القاضي وأعلموه باجتماعهم في غد عند طاهر باشا ويتفقون على تلبيسة قائمقام ويكتبون عرض محضر بحاصل ما وقع.

وفي ذلك اليوم، حضر جعفر كاشف تابع ابراهيم بك وبيده مراسلة خطاباً للعلماء والمشايخ وقيل إنه كان بمصر من مدة أيام، وكان يجتمع بطاهر باشا كل وقت بالشيخونية، فلما أصبح يوم الجمعة رابع عشره اجتمع المشايخ عند القاضي، وركبوا صحبته وذهبوا عند طاهر باشا وعملوا ديواناً وأحضر القاضي فروة سمور ألبسها لطاهر باشا ليكون قائمقام حتى تحضر له الولاية أو يأتي وال وكلموه على رفع الحوادث والمظالم وظنوا فيه الخيرية واتفقوا على كتابة عرضحال بصورة ما وقع وقرأوا المكتوب الذي حضر من عند الأمراء القبالى وهو مشتمل على آيات وأحاديث وكلام طويل ومحصله أنهم طائعون وسممتثلون ولم يحصل منهم تعد ولا محاربة وإنما إذا حضروا الى جهة أو بلدة وطلبوا المرور عليها أو قضاء حاجة من بندر منعهم الحاكم والعساكر التي بها ونابذ بالمحاربة والطرد ومع ذلك إذا وقعت بيننا محاربة لا يثبتون لنا وينهزمون ويفرون وقد تكرر ذلك المرة بعد المرة ولا يخفى ما يترتب على ذلك من النهب والسلب وهتك الحرائر وقد وقع لنا لما حضرنا بالمنية فحصل ما حصل وبدؤونا بالطرد والإبعاد حصل ما حصل مما ذكر وعوقب من لا جنى وذنب الرعية والعباد في رقابكم وقد التمسنا من ساداتنا المشايخ أن يتشفعوا لنا عند حضرة الوزير ويعطينا ما يقوم بمؤونتنا ومعايشنا فأبى حضرة الوزير إلا إخراجنا من القطر المصري كلياً وبعثتم تحذرونا مخالفة الدولة العلية مستدلين علينا بقوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول أولي الأمر منكم. ولم تذكروا لنا آية تدل على أننا نخرج من تحت السماء ولا آية تدل على أننا نلقى بأيدينا الى التهلكة وذكرتم لنا أن حريمنا وأولادنا بمصر وربما ترتب على المخالفة وقوع الضرر بهم وقد تعجبنا من ذلك فإننا إنما تركنا حريمنا ثقة بأنهم في كفالتكم وعرضكم على أن المروءة تأبى صرف الهمة الى امتداد الأيدي للحريم والرجال للرجال على أن أملك دوراً والله يقلب الليل والنهار والملك بيد الله يؤتيه من يشاء قل الله مالك الملك الآية، فلما قرئ ذلك بتفاصيله تعجب السامعون له فكأنما كانوا ينظرون من خلف حجاب الغيب وأخذ ذلك المكتوب طاهر باشا وأودعه في جيبه، ثم قال الحاضرون، فما يكون الجواب قال حتى نتروى في ذلك، ثم كتب لهم جواباً يخبرهم فيه بما وقع ويأمرهم بأنهم يحضرون بالقرب من مصر لربما اقتضى الحال الى المعاونة.

وفي يوم الإثنين سابع عشره، كتبوا العرض المحضر بصورة ما وقع وختم عليه المشايخ والوجاقلية وأرسلوه الى اسلامبول وأما محمد باشا المهزوم فإنه لم يزل في سيره حتى وصل الى المنصورة وفرد على أهلها تسعين ألف ريال وكذلك فرد على علي ما أمكنه من بلاد الدقهلية والغربية فرداً ومظالم وكلفاً وصادف في طريقه بعض المعينين حاضرين بمبالغ الفردة السابقة فأخذها منهم.

وفي ليلة الثلاثاء، بعد المغرب ثامن عشره أرسل طاهر باشا عدة من العسكر فقبضوا على جماعة من بيوتهم وهم أغات الانكشارية ومصطفى كتخدا الرزاز ومصطفى آغا الوكيل وأيوب كتخدا الفلاح وأحمد كتخدا علي والسيد أحمد المحروقي فأنزلوه الى بيته في ثاني يوم وعملوا عليه ستمائة ولزم العسكر بيته، وكذلك بقية الجماعة منهم من عمل عليه مائتا كيس وأقل وأكثر وأقاموا في الترسيم.

وفي يوم الجمعة حادي عشرينه، ركب طاهر باشا بالموكب والملازمين وصلى الجمعة بجامع الحسين.

وفيه وردت الأخبار بأن الأمراء المصرية رجعوا الى قبلي ووصلوا الى قرب بني سويف.

وفيه تشفع شيخ السادات في مصطفى آغا الوكيل وأخذه الى بيته وعملوا عليه مائتين وعشرين كيساً، فلما كان يوم الأحد

أرسل طاهر باشا يطلب مصطفى آغا الوكيل من عند شيخ السادات فركب معه شيخ السادات وسعيد آغا وكيل دار السعادة وذهبا صحبته الى بيت طاهر باشا. فلما طلعوا الى أعلى الدرج خرج عليهم جماعة من العسكر وجذبوا مصطفى آغا من بينهم وقبضوا عليه وأنزلوه الى أسفل وأخذوه الى القلعة ماشياً على أقدامه فحنق الشيخ السادات ودخل على طاهر باشا وتشاجر معه فأطلعه على مكتوب مرسل من محمد باشا إليه فقال هذا لا يؤاخذ به وإنما يؤاخذ إذا كان المكتوب منه الى محمد باشا، ثم انحط الأمر على أنه لا يقتله ولا يطلقه ثم أن طاهر باشا ركب ليلاً وذهب الى شيخ السادات وأخذ خاطره بعد ما فزع من حضوره إليه في ذلك الوقت.

وفي ثالث عشرينه، أطلعوا يوسف كتخدا الباشا الى القلعة وألزموه بمال وكذلك خزنة كاتب.

وفيه، خرج أمير الأزلام لملاقاة الحجاج فنصب وطاقه بقبة النصر وأقام هناك.

وفيه حضر هجان على يده مكاتيب كر مؤرخة في عشرين شهر الحجة مضمونها أن الوهابيين أحاطوا بالديار الحجازية وأن شريف مكة غالب تداخل مع شريف باشا وأمير الحاج المصري والشامي وأرشاهم على أن يتعوقوا معه أياماً حتى ينقل ماله ومتاعه الى جدة وذلك بعد اختلاف كبير وحل وربط وكونهم يجتمعون على حربه ثم يرجعون على ذلك الى أن اتفق رأيهم على الرحيل فأقاموا مع الشريف اثني عشر يوماً، ثم رحلوا ورحل الشريف بعد أن أحرق داره ورحل شريف باشا أيضاً الى جدة.

وفيه قبضوا على أنفار من الوجاقلية أيضاً المستورين وطلبوا منهم دراهم وعملوا على طائفة القبط الكتبة خمسمائة كيس بالتوزيع.

وفي خامس عشرينه، قبضوا على جماعة منهم وحبسوهم وكذلك عملوا على طائفة اليهود مائة كيس.

وفيه حضر أحمد آغا شويكار الى مصر بمراسلة من الأمراء القبالى.

وفي يوم الأربعاء سادس عشرينه، سافرت التجريدة المعينة لمحمد باشا وكبيرها حسن بك أخو طاهر باشا فنزلوا في مراكب وفي البر أيضاً.

وفي يوم الخميس قبضوا على المعلم ملطي القبطي من أعيان كتبة القبط وهو الذي كان قاضياً أيام الفرنسيس فرموا رقبته عند باب زويلة وكذلك قطعوا رأس المعلم حنا الصبحاني أخي يوسف الصبحاني من تجار الشوام عند باب الخرق في ذلك اليوم وأقاما مرميين الى ثاني يوم.

وفي يوم السبت غايته، رجع أحمد آغا شويكار بجواب من الباشا الى رفقائه وأشيع وصول ابراهيم بك ومن معه الى زاوية المصلوب ووصلت مقدماتهم الى بر الجيزة يقبضون الكلف من البلاد.

وفيه أفرجوا عن يوسف كتخدا الباشا بعد أن دفع ثمانين كيساً ونزل من القلعة الى داره.

وفيه أرسل طاهر باشا الى مصطفى أفندي رامز الكاتب وابراهيم أفندي الروزنامجي وسليمان أفندي فأخذوهم عند عبد الله أفندي رامز الروزنامجي الرومي.

شهر صفر 1218

استهل بيوم الأحد في ثانيه حضر الأمراء القبالي الى الشيخ الشيمي.

وفي ليلة الأربعاء رابعه، خنقوا أحمد كتخدا علي باش اختيار الانكشارية ومصطفى كتخدا الرزاز العزب وكانا محبوسين بالقلعة وضربوا وقت خنقهما مدفعين في الساعة الثالثة من الليل ورموهما الى الخارج.

وفي صبحها يوم الأربعاء، حضر جواب من العسكر الذين ذهبوا لمحاربة محمد باشا مضمونه أنه انتقل من مكانه وذهب الى جهة دمياط وأنه تخلف عنه من العسكر الذين معه وأرسلوا يطلبون منهم الأمان، فلم يجاوبوهم حتى يستأذنوا في ذلك فأجابهم طاهر باشا بأن يعطوهم أماناً ويضموهم إليهم.

وفي ذلك اليوم، أشيع أن طاهر باشا قاصد التعدية الى البر الغربي ليسلم على الأمراء المصرلية في ذلك الوقت أمر بإحضار حسن آغا محرم فارتاع من ذلك وأيقن بالموت، فلما حضر بين يديه خلع عليه فروة وجعله معمارجي باشا وأعطاه ألفي فرانسه وأمره أن يتقيد بتعمير القلعة وما صدق أن خرج من بين يديه وسكن روعه في ذلك الوقت حضر إليه طائفة من الانكشارية وهم الذين كانوا حضروا في أول المحرم في النقاير مع الجبخانة ليتوجهوا الى الديار الحجازية وأنزلوهم بجامع الظاهر خارج الحسينية وحصلت كائنة محمد باشا وهم مقيمون على ما هم عليه، ولما خرج محمد باشا وظهر عليه طائفة الأرنؤد شمخوا على الانكشارية وصاروا ينظرون إليهم بعين الاحتقار مع تكبر الانكشارية ونظرهم في أنفسهم أنهم فخذ السلطنة وأن الأرنؤد خدمهم وعسكرهم وأتباعهم، ولما فرد الفرد طاهر باشا وصادر الناس صار يدفع الى طائفة الأرنؤد جماكيهم المنكسرة أو يحولهم بأوراق على المصادرين وكلما طلب الانكشارية شيئاً من جماكيهم قال لهم ليس لكم عندي شيء ولا أعطيكم إلا من وقت ولايتي فإن كان لكم شيء فاذهبوا وخذوه من محمد باشا فضاق خناقهم وأوعز صدورهم وبيتوا أمرهم مع أحمد باشا والي المدينة، فلما كان في هذا اليوم ركب الجماعة المذكورون من جامع الظاهر وهم نحو المائتين وخمسين نفراً بعددهم وأسلحتهم كما هي عادتهم وخلفهم كبراؤهم، وهم اسمعيل آغا ومعه آخر يقال له موسى آغا وآخر فذهبوا على طاهر باشا وسألوه في جماكيهم فقال لهم ليس لكم عندي إلا من وقت ولايتي وإن كان لكم شيء مكسور فهو مطلوب لكم من باشتكم محمد باشا، فألحوا عليه فنتر فيهم فعاجلوه بالحسام وضربه أحدهم فطير رأسه ورماها من الشباك الى الحوش وسحبت طوائفهم الأسلحة وهاجوا في أتباعه فقتل منهم جماعة واشتعلت النار في الأسلحة والبارود الذي في أماكن أتباعه فوقع الحريق والنهب في الدار ووقع في الناس كرشات وخرجت العساكر الانكشارية وبأيديهم السيوف المسلولة ومعهم ما خطفوه من النهب فانزعجت الناس وأغلقوا الأسواق والدكاكين وهربوا الى الدور وأغلقوا الأبواب وهم لا يعلمون ما الخبر وبعد ساعة شاع الخبر وشق الوالي والآغا ينادون بالأمن والأمان حسب ما رسم أحمد باشا وكرروا المناداة بذلك، ثم نادوا باجتماع الانكشارية البلدية وخلافهم عند أحمد باشا على طائفة الأرنؤد وقتلهم وأخرجهم من المدينة فتحزبوا أحزاباً ومشوا طوائف وتجمع الأرنؤد جهة الأزبكية وفي بيوتهم الساكنين فيها وصار الانكشارية إذا ظفروا بأحد من الأرنؤد أخذوا سلاحه وربما قتلوه وكذلك الأرنؤد يفعلون معهم مثل ذلك هذا والنهب والحريق عمال في بيت طاهر باشا وفرج الله عن المعتقلين والمحبوسين على المغارم والمصادرات وبقيت جثة طاهر باشا مرمية، لم يلتفت إليها أحد ولم يجسر أحد من أتباعه على الدخول الى البيت وإخراجها ودفنها وزالت دولته انقضت سلطنته في لحظة فكانت مدة غلبته ستة وعشرين يوماً ولو طال عمره زيادة على ذلك

لأهلك الحرث والنسل وكان صفته أسمر اللون نحيف البدن أسود اللحية قليل الكلام بالتركي فضلاً عن العربي ويغلب عليه لغة الأرنؤدية وفيه هوس وانسلاب وميل للمسلوبين والمجاذيب والدراويش وعمل له خلوة بالشيخونية، وكان يبيت فيها كثيراً ويصعد مع الشيخ عبد الله الكردي الى السطح في الليل ويذكر معه، ثم سكن هناك بحريمه، وقد كان تزوج بامرأة من نساء الأمراء، وكان يجتمع عنده أشكال مختلفة الصور فيذكر معهم، ولما رأوا منه ذلك خرج الكثير من الأوباش وتزيا بما سولت له نفسه وشيطانه ولبس له طرطوراً طويلاً ومرقعة ودلفاً وعلق له جلاجل وبهرجان وعصا مصبوغة وفيها شخاشيخ وشراريب وطبلة يدق عليها ويصرخ ويزعق ويتكلم بكلمات مستهجنة وألفاظ موهمة بأنه من أرباب الأحوال، ونحو ذلك ولما قتل أقام مرمياً الى ثاني يوم لم يدفن، ثم دفنوه من غير رأس بقبة عند بركة الفيل وأخذ بعض الينكجرية رأسه وذهبوا بها ليوصلوها الى محمد باشا يأخذوا منه البقشيش فلحقهم جماعة من الأرنؤد فقتلوهم وأخذوا الرأس منهم ورجعوا بها ودفنوها مع جثته وكتب أحمد باشا مكتوباً الى محمد باشا يعلمه بصورة الواقعة ويستعجله للحضور وكذلك المحروقي وسعيد آغا أرسل كل واحد مكتوباً بمعنى ذلك وظنوا تمام المنصف، ولما نهبوا بيته نهبوا ما جاوره من دور

الناس من الحبانية الى ضلع السمكة الى درب الجماميز، ثم ان أحمد باشا أحضر المشايخ وأعلمهم بما وقع وأمرهم بالذهاب الى محمد علي ويخاطبوه بأن يذعن الى الطاعة، فلما ذهبوا إليه وخاطبوه في ذلك أجاب بأن أحمد باشا لم يكن والياً على مصر بل إنما هو والي المدينة المنورية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وليس له علاقة بمصر وأنا كنت الذي وليت طاهر باشا لكونه محافظ الديار المصرية من طرف الدولة وله شبهة في الجملة وأما أحمد باشا فليس له جرة ولا شبهة فهو يخرج خارج البلدويأخذ معه الانكشارية ونجهزه ويسافر الى ولايته فقاموا من عنده على ذلك واستمر الانكشارية على ما هم عليه من النهب وتتبع الأرنؤد وتحزبوا وتسلحوا وعملوا متاريس على جهاتهم ونواحيهم الى آخر النهار فنادوا على الناس بالسهر والتحفظ والدكاكين تفتح والقناديل تعلق وبات الناس على تخوف ولما أصبح نهار الخميس مر الوالي والآغا ينادون بالأمان برسم حكم أحمد باشا، ثم أن أحمد باشا أرسل أوراقاً الى المشايخ بالحضور فذهبوا إليه فقال لهم أريد منكم أن تجمعوا الناس والرعية وتأمروهم بالخروج على الأرنؤد وقتلهم فقالوا سمعاً وطاعة وأخذوا في القيام، فقال لهم لا تذهبوا وكونوا عندي وأرسلوا للناس كما أمرتكم فقالوا له إن عادتنا أن يكون جلوسنا في المهمات بالجامع الأزهر ونجتمع به ونرسل الى الرعية فإنهم عند ذلك لا يخالفون وكان مصطفى آغا الوكيل حاضراً فرادهم في ذلك وعرف منهم الانفكاك فلم يزالوا حتى تخلصوا وخرجوا، وكان أحمد باشا أرسل أحضر الدفتردار ويوسف كتخدا الباشا وعبد الله أفندي رامز الروزنامجي وغالب أكابر العثمانية ومصطفى آغا الوكيل كان مرهوناً عند شيخ السادات، كما تقدم فعندما سمع بقتل طاهر باشا ركب بجماعته وأبهته وأخذ معه عدة من الانكشارية وذهب الى عند أحمد باشا ووقف بين يديه يعاضده ويقويه وأما محمد علي والأرنؤد فإنهم مالكون القلعة الكبيرة ويجمعون أمرهم ويراسلون الأمراء، فلما أصبح ذلك اليوم عدى الكثير من المماليك والكشاف الى بر مصر ومروا في الأسواق وعدى أيضاً محمد علي وقابلهم في بر الجيزة ورجع وعدى الكثير منهم من ناحية انبابة ومعهم عربان كثيرة وساروا الى جهة خارج باب النصر وباب الفتوح وأقاموا هناك وأرسل ابراهيم بك ورقة الى أحمد باشا يقول فيها إنه بلغنا موت المرحوم طاهر باشا عليه الرحمة والرضوان فأنتم تكونون مع أتباعكم الأرنؤد حالاً واحداً ولا تتداخلوا مع الانكشارية، فلما كان ضحوة النهار ذهب جماعة من الانكشارية الى جهة الرميلة فضربوا عليهم من القلعة مدافع فولوا وذهبوا

ثم بعد حصة ضربوا أيضاً عدة مدافع متراسلة على جهة بيت أحمد باشا وكان ساكناً في بيت علي بك الكبير بالداودية، فعند ذلك أخذ أمره في الانحلال وتفرق عنه غالب الانكشارية البلدية ووافق أن المشايخ لما خرجوا من عنده وركبوا لم يزالوا سائرين الى أن وصلوا جامع الغورية فنزلوا به وجلسوا وهم في حيرة متفكرين فيما يصنعون فعندما سمعوا صوت المدافع قاموا وتفرقوا وذهبوا الى بيوهم، ثم أن ابراهيم بك أرسل ورقة الى أحمد باشا قبيل العصر يأمره فيها بتسليم الذين قتلوا طاهر باشا ويخرج الى خارج البلد ومعه مهلة الى حادي عشر ساعة من النهار ولا يقيم الى الليل وإن خالف، فلا يلومن إلا نفسه، فلما رأى حال نفسه مضمحلاً لم يجد بداً من الامتثال إلا أنه يجد جمالاً يحمل عليها أثقاله فقال للرسول سلم عليه وقل له يرسل لي جمالاً وأنا أخرج وأما تسليم القاتلين، فلا يمكن فقال له أما بحضور الجمال فغير متيسر في هذا الوقت لبعد المسافة فقال له وكيف يكون العمل فقال يركب حضرتكم ويخرج ووقت ما حضرت الجمال الليلة أو غداً حملت الأثقال ولحقتكم خارج البلد فعند ذلك قام وركب وقت العصر وتفرق من كان معه من أعيان العثمانية مثل الدفتردار وكتخدا بك والروزنامجي وذهبوا الى محمد علي والتجؤوا إليه فأظهر لهم البشر والقبول وخرج أحمد باشا في حالة شنيعة وأتباعه مشاة بين يديه وهم يعدون في مشيهم وعلى أكتافهم وسائد وأمتعة خفيفة فعندما خرج من البيت دخل الأرنؤد ونهبوا جميع ما فيه، ولم يزل سائراً حتى خرج من المدينة من باب الفتوح فوجد العسكر والعربان وبعض كشاف ومماليك مصرية محدقة بالطرق فدخل مع الانكشارية الى قلعة الظاهر وأغلقوها عليهم وخرج

خلفهم عدة وافرة من الأرنؤد والكشاف المصرلية والعرف والغز وأحاطوا بهم وأقاموا على ذلك تلك الليلة وبعد العشاء مر الوالي وأمامه المناداة بالأمان حسب ما رسم ابراهيم بك حاكم الولاية وأفندينا محمد علي فكانت مدة الولاية لأحمد باشا يوماً وليلة لا غير وفي ذل اليوم نهبوا بيت يوسف كتخدا بك وأخرجوا منه أشياء كثيرة أخذ ذلك جميعه الأرنؤد وأصبح يوم الجمعة فركب المشايخ والأعيان وعدوا الى بر الجيزة وسلموا على ابراهيم بك والأمراء.

وفيه استأذن الدفتردار وكتخدا بك محمد علي في الإقامة عنده أو الذهاب فأذن لهما بالتوجه الى بيوهما فركبا قبيل الظهر وسارا الى بيت الدفتردار وهو بيت البارودي فدخل كتخدا بك مع الدفتردار لعلمه بنهب بيته فنزلا وجلسا مقدار ساعة وإذا بجماعة من كبار الأرنؤد ومعهم عدة من العسكر وصلوا إليهما وعند دخولهم طلبوا المشاعلي من بيت علي آغا الشعراوي وهو تجاه بيت البارودي، فلم يجدوه فذهب معهم رفيق له وليس معه سلاح فدخلوا الدار وأغلقوا الباب، وعلم أهل الخطة مرادهم فاجتمع الكثير من الأوباش والجعيدية والعسكر خارج الدار يريدون النهب ولما دخلوا عليهما قبضوا أولاً على الدفتردار وشلحوه من ثيابه وهو يقول عيبتر وأصابه بعضهم بضربة على يده اليمنى وأخرجوه الى فسحة المكان وقطعوا رأسه بعد ضربات وهو يصيح مع كل ضربة لكون المشاعلي لا يحسن الضرب، ولم يكن معه سلاح بل ضربه بسلاح بعض العسكر الحاضرين، ثم فعلوا ذلك بيوسف كتخدا بك وهو ساكت لم يتكلم وأخذوا الرأسين وتركوهما مرميين وخرجوا بعدما نهبوا ما وجدوه من الثياب والأمتعة بالمكان وكذلك ثياب أتباعهم وخرج أتباعهم في أسوأ حال يطلبون النجاح بأرواحهم ومنهم من هرب وطلع الى حريم البارودي الساكنات في البيت وصرخ النساء وانزعجن وكانت الست نفيسة المرادية في ذلك المترل أيضاً في تلك الأيام، فعندما رأت وصول الجماعة أرسلت الى سليم كاشف المحرمجي فحضر في ذلك الوقت فكلمته في أن يتلافى الأمر فوجده قد تم، فخرج بعد خروجهم بالرأسين فظن الناس أنها فعلته ثم حضر محمد علي في إثر ذلك وطرد الناس المجتمعين

للنهب وختم على المكان وركب الى داره، ثم أن علي آغا الشعراوي استأذن محمد علي في دفنهما فأذن له فأعطى شخصاً ستمائة نصف فضة لتجهيزهما وتكفينهما فأخذها وأعطى منها الآخر مائتين نصف لا غير فأخذها وذهب فوضعهما في تابوت واحد من غير رؤوس وكانوا ذهبوا برؤوسهما الى الأمراء بالجيزة و لم يردوهما، و لم يدفنا معهما، ثم رفعهما بالتابوت الى ميضاة جامع السلطان شاه المجاور للمكان وهو مكان قذر فغسلهما وكفنهما في كفن حقير ودفنهما في حفرة تحت حائط بتربة الأزبكية من غير رؤوس، فهذا ما كان من أمرهما وأما الذين في قلعة الظاهر فإنهم انحصروا وأحاط بهم الأرنؤد والغز والعربان وليس عندهم ما يأكلون ولا ما يشربون فصاروا يرمون عليهم من السور القرابين والبارود وهم كذلك يرمون عليهم من أسفل وجمعوا أتربة وعملوها كيماناً عالية وصاروا يرمون عليهم منها كذلك بقية نهار الجمعة وليلة السبت اشتد الحرب بينهم بطول الليل وفي الصباح أنزلوا من القلعة مدافع كباراً وبنبة وجبخانة وأصعدوها على التلول وضربوا عليهم من قبيل العصر فعند ذلك طلبوا الأمان وفتحوا باب القلعة وخرج أحمد باشا وصحبته شخصان وهما اللذان قتلا طاهر باشا فأخذوهم وعدوا بهم الى الجيزة وبطل الحرب والرمي وبقي طائفة الانكشارية دال القلعة وحولهم العساكر، فلما ذهبوا بهم الى الجيزة أرسلوا أحمد باشا الى قصر العيني وأبقوا الإثنين، وهم اسمعيل آغا وموسى آغا بالقصر الذي بالجيزة ونودي بالأمان للرعية حسب ما رسم ابراهيم بك وعثمان بك البرديسي ومحمد علي.

وفي يوم السبت حضر أحمد بك أخو محمد علي الى جهة خان الخليلي لإجراء التفتيش على منهوبات الأرنؤد التي نهبها الانكشارية وأودعوها عند أصحابهم الأتراك ففتحوا عدة حوانيت وقهاوي وأماكن وأخذوا ما فيها وأجلسوا طوائف من عسكر الأرنؤد على الخانات والوكائل والأماكن وشلحوا ناساً كثيرة من ثيابهم وربما قتلوا من عصي عليهم فتخوف أهل خان الخليلي، ومن جاورهم واستمر الأرنؤد كلما مرت منهم طائفة ووجدوا شخصاً في أي جهة قبة شبه ما بالأتراك قبضوا عليه وأخذوا ثيابه وخصوصاً إن وجدوا شيئاً معه من السلاح أو سكيناً فتوقى أكثر الناس وانكفوا عن المرور في أسواق المدينة فضلاً عن الجهات البرانية.

وفيه كثر مرور الغز والكشاف المصرلية وترددوا الى المدينة وعلى أكتافهم البنادق والقرابين وخلفهم المماليك والعربان فيذهبون الى بيوتهم ويبيتون بها ويدخلون الحمامات ويغيرون ثيابهم ويعودون الى بر الجيزة وبعضهم أمامه المناداة بالأمان عند مروره بوسط المدينة.

وفيه كتبت أوراق بطلب دراهم فردة على البلاد الموفية والغربية كل بلد ألف ريال وذلك خلاف مضايف العرب وكلفهم.

وفي يوم الإثنين قتلوا شخصاً بباب الخرق يقال إنه كان من أكبر المتحزبين على الأرنؤد وجمع منهوبات كثيرة.

وفيه أيضاً قتلوا اسمعيل آغا وموسى آغا وهما اللذان كان قتلا طاهر باشا وتقدم أنهم كانوا أخذوهما بالأمان صحبة أحمد باشا فأرسلوا أحمد باشا الى قصر العيني وبقي الإثنان بقصر الجيزة فأخذوهما وعدوا بهما الى البر الآخر وقطعوا رأسيهما عند الناصرية وأخذوا الرأسين وذهبوا بهما الى زوجة طاهر باشا بالشيخونية ثم طلعوهما الى أخي طاهر باشا بالقلعة.

وفيه، تقلد سليم آغا أغات مستحفظان سابقاً الأغاوية كما كان وركب وشق المدينة بأعوانه وأمامه جماعة من العسكر الأرنؤد وليسوا أيضاً حسين آغا أمين خزنة مراد بك وقلدوه والي الشرطة ولبسوا محمداً المعروف بالبرديسي كتخدا قائد آغا

وجعلوه محتسباً وشق كل منهم بالمدينة وأمامهم المناداة بالأمن والأمان والبيع والشراء.
وفيه، أخرجوا الانكشارية الذين بقلعة الظاهر وسفروهم الى جهة الصالحية وصحبتهم كاشفان وطائفة من العرب بعدما أخذوا سلاحهم ومتاعهم بل وشلحوهم ثيابهم والذي بقي لهم بعد ذلك أخذته العرب وذهبوا في أسوأ حال وأنحس بال وهم نحو الخمسمائة إنسان ومنهم من التجأ الى بعض المماليك والغز فستر عليه وغير هيئته وجعله من أتباعه وكذلك الانكشارية الذين كانوا مخفيين التجأوا الى المماليك وانتموا إليهم وخدموهم فسبحان مقلب الأحوال وحضر سليم كاشف المحرمجي وسكن بقلعة الظاهر وكتب الى إقليم القليوبية أوراقاً وقرر على كل بلد ألف ريال ومن كل صنف من الأصناف سبعين مثل سبعين خروف وسبعين رطل سمن وسبعين رطل بن وسبعين فرخة وهكذا وحق طريق المعين لقبض ذلك خمسة وعشرون ألف فضة من كل بلد.
وفي يوم الأربعاء حادي عشره، حضر محمد عليوعبد الله أفندي رامز الروزنامجي ورضوان كتخدا ابراهيم بك الى بيت الدفتردار المقتول وضبطوا تركته فوجد عنده نقود ثلثمائة كيس وقيمة عروض وجواهر وغيرها نحو ألف كيس.
وفيه، أرسل ابراهيم بك فجمع الأعيان والوجاقلية وأبرز لهم فرمانات وجدوها عند الدفتردار المقتول مضمونها تقريرات مظالم منها أن المماليك المصرلية كانوا أحدثوا على الغلال التي تباع الى بحربرا علن كل أردب محبوب فيقرر ذلك بحيث يتحصل من ذلك للخزينة العامة عشرة آلاف كيس في السنة فإن نقصت عن ذلك القدر أضر ذلك بالخزينة ومنها تقرير المليون الذي كان قرره الفرنسيس على أهالي مصر في آخر مدتهم ويوزع ذلك على الرؤوس والدور والعقار والأملاك ومنها أن الحلوان عن المحلول ثلاث سنوات ومنها أنه يحسب المضاف والبراني الى ميري البلاد وغير ذلك.
وفي يوم الخميس ثاني عشره، عمل عثمان بك البرديسي عزومة بقصر العيني وحضر ابراهيم بك والأمراء ومحمد علي ورفقاؤه وبعد انقضاء العزومة ألبسوا محمد علي ورفقاءه خلعاً وقدموا لهم تقادم.
وفي يوم الجمعة، كذلك عملوا عزومة لابن أخي طاهر باشا المقيم بالقلعة وصحبته عابدي بك ورفقاؤهم بقصر العيني وخلعوا عليهم وقدموا لهم تقادم أيضاً.

وفي يوم الأحد خامس عشره، نزل ابن أخي طاهر باشا من القلعة ومن معه من أكابر الأرنؤد وأعيانهم وعساكرهم بعزالهم ومتاعهم وما جمعوه من المنهوبات وهو شيء كثير جداً وسلموا القلعة الى الأمراء المصرلية وطلع أحمد بك الكلارجي الى باب الانكشارية وأقام به وعبد الرحمن بك ابراهيم الى باب العزب وسليم آغا مستحفظان الى القصر فعند ذلك اطمأن الناس بنزولهم من القلعة فإنهم كانوا على تخوف من إقامتهم بها وكثر فيهم اللغط بسبب ذلك فلم يزل الأمراء يدبرون أمرهم حتى أنزلوهم منها وبقي بها طائفة من الأرنؤد وعليهم كبير يقال له حسين قبطان.
وفيه، ورد الخبر أن محمد باشا لما قربت منه العساكر التي كان أرسلها له طاهر باشا ارتحل الى دمياط كما تقدم.
وفي يوم الإثنين، وردت مكاتبات من الديار الحجازية مؤرخة في منتصف محرم وفيها الإخبار باستيلاء الوهابيين على مكة في يوم عاشوراء وأن الشريف غالب أحرق داره وارتحل الى جدة وأن الحجاج أقاموا بمكة ثمانية أيام زيادة عن المعتاد بسبب الارتباك قبل حصول الوهابيين بمكة ومراعاة للشريف حتى نقل متاعه الى جدة ثم ارتحل الحجاج وخرجوا من مكة طالبين

زيارة المدينة فدخل الوهابيون بعد ارتحال الحج بيومين.

وفي يوم الأربعاء ثامن عشره، أخرجوا باقي الانكشارية والدلاة والسجمان وكانوا مجتمعين بمصر القديمة فتضرر منهم المارة وأهل تلك الجهة بسبب قبائحهم وخطفهم أمتعة الناس بل وقتلهم وكان تجمعهم على أن يذهبوا الى جهة الصعيد ويلتفون على حسن باشا بجرجا وينضمون إليه والى من بناحية الصعيد من أجناسهم فذهب منهم من أخبر الأمراء المصرلية بذلك فضبطوا عليهم الطرق واتفق أن جماعة منهم وقفوا لبعض الفلاحين المارين بالبطيخ والخضار فحجزوهم وطلبوا منهم دارهم فمر بهم بعض مماليك من أتباع البرديسي فاستجار بهم الفلاحون فكلموهم فتشاحنوا معهم وسحبوا على بعضهم السلاح فقتل مملوك منهم فذهبوا الى سيدهم وأعلموه فأرسل الى ابراهيم بك فركب الى العرضي ناحية بولاق التكرور وترك مكانه بقصر الجيزة محمد بك بشتك وكيل الألفي وشركوا عليهم الطرق وأمروهم بالركوب والخروج من مصر الى جهة الشام واللحوق بجماعتهم فركبوا من هناك ومروا على ناحية الجبل من خلف القلعة الى جهة العادلية وأمامهم وخلفهم بعض الأمراء المصرلية ومعهم مدفعان وهم نحو ألف وخمسمائة وأزيد، فلما خرجوا وتوسطوا البرية عروا الكثير منهم ومن المتخلفين والمتأخرين عنهم وأخذوا أسلحتهم وقتلوا كثيراً منهم ورجع المماليك ومعهم الكثير من بنادقهم وسلاحهم يحملونه معهم ومع خدامهم فلما رجع المماليك بهذه الصورة ووقف العسكر الأرنؤدية على أبواب المدينة انزعج الناس كعادتهم في كرشاتهم وأغلقوا الدكاكين وعين للسفر معهم حسين كاشف الألفي يذهب معهم الى القنطرة ونودي في عصريته بالأمان وخروج من تخلف من الانكشارية وكل من وجد منهم بعد ثلاثة أيام فدمه وماله هدر.

وفي يوم الخميس، مر الوالي والمناداة أمامه على الأتراك والانكشارية والبشناق والسجمان بالخروج من مصر والتحذير لمن آواهم أو ثاواهم وكلما صادف في طريقه شخصاً من الأتراك قبض عليه وسأله عن تخلفه فيقول أنا من المتسببين والمتأهلين من زمان بمصر فيطلب منه بينة على ذلك ويسلمه عسكر الأرنؤد فيودعونه في مكان مع أمثاله حتى يتحققوا أمره.

وفيه، مر بعض المماليك بجهة الميدان ناحية باب الشعرية فصادفوا جماعة من العسكر المذكورين يحملون متاعاً لهم فاشتكوا بهم وأرادوا أخذ سلاحهم ومتاعهم فمانعوهم وتضاربوا معهم فقتل بينهم شخصان من الانكشارية وشخصان من المماليك أحدهما فرنساوي.

وفيه، حضر أيضاً ثلاثة من المماليك الى وكالة الصاغة الى رجل رومي ططري وسألوه عن جواري سود عنده لمحمد باشا وأنهم يطلبونهن لعثمان بك البرديسي فأنكر ذلك وشهد جيرانه أنهن ملكه واشتراهن ليتجر فيهن فلم يزالوا حتى أخذوا منه ثلاثة على سوم الشراء، وذهب معهن فلما بعدوا عن الجهة فزعوا عليه وطردوه وذهبوا بالجواري فذهب ذلك الططري الى محمد علي فأرسل الى البرديسي ورقة بطلب الجواري أو ثمنهن ففحص عنهن حتى ردهن الى صاحبهن.

وفيه حضر أيضاً جماعة من المماليك الى بيت عثمان أفندي بجوار ضريح الشيخ الشعراني وهو من كتبة ديوان محمد باشا فأخذوا خيله وسلاحه ومتاعه التي بأسفل الدار.

وفي يوم الجمعة، نهبوا دار أحمد أفندي الذي كان شهر حوالة وكاشف الشرقية في العام الماضي فأخذوا جميع ما عنده حتى ثيابه التي على بدنه وقتلوا خادمه على باب داره قتله الوالي زاعماً أنه هو الذي دل عليه.

وفي يوم السبت، مر سليم آغا وأمامه المناداة على الأغراب الشوام والحلبية والرومية يجتمعون بالجمالية يوم تاريخه فلم يجتمع منهم أحدز وفي يوم الأحد، حضر الشريف عبد الله ابن سرور وصحبته بعض أقاربه من شرفاء مكة وأتباعهم نحو ستين نفراً وأخبروا أنهم خرجوا من مكة مع الحجاج وأن عبد العزيز بن مسعود الوهابي دخل الى مكة من غير حرب وولى الشريف عبد المعين أميراً على مكة والشيخ عقلياً قاضياً وأنه هدم قبة زمزم والقباب التي حول الكعبة والأبنية التي أعلى من الكعبة وذلك بعد أن عقد مجلساً بالحرم وباحثهم على ما الناس عليهم من البدع والمحرمات المخالفة للكتاب والسنة وأخبروا أن الشريف غالباً وشريف باشا ذهبا الى جدة وتحصنا بها وأنهم فارقوا الحجاج في الجديدة.

وفيه، كتبوا عرضحالين أحدهما بصورة ما وقع لمحمد باشا مع العساكر ثم قيام الانكشارية وقتلهم لطاهر باشا ثم كرة الأرنؤد على الانكشارية لما أثاروا الفتنة مع أحمد باشا حتى اختلت أحوال المدينة وكاد يعمها الخراب لولا قرب الأمراء المصرلية وحضورهم فسكنوا الفتنة وكفوا أيدي المتعدين والثاني يتضمن رفع الإحداثات التي في ضمن الأوامر التي كانت مع الدفتردار التي تقدمت الإشارة إليها.

وفيه عزم الأمراء على التوجه الى جهة بحري فقصد البرديسي وصحبته محمد بك تابع محمد بك المنفوخ جهة دمياط ومعهم محمد علي وعلي بك أيوب وغيرهم وصحبتهم الجم الكثير من العساكر والعربان و لم يتخلف إلا ابراهيم بك وأتباعه والحكام وسافر سليمان كاشف البواب الى جهة رشيد وصحبته عساكر أيضاً.

وفي يوم الثلاثاء، عدى الكثير الى البر الشرقي.

وفي يوم الأربعاء خامس عشرينه، قدم جاويش الحجاج بمكاتيب العقبة وأخبروا بموت الكثير من الناس بالحمى والإسهال وحصل لهم تعب شديد من الغلاء أيضاً ذهاباً وإياباً ومات الشيخ أحمد العريشي الحنفي ودفن بنبط ومات أيضاً محمد أفندي باش جاجرت ودفن بالينبع والشيخ علي الخياط الشافعي.

وفيه، عدى ابراهيم بك الى قصر العيني وركب مع البرديسي الى جهة الحلي وودعه ورجع الى قصر العيني فأقام به وجلس ابنه مرزوق بك في مضرب النشاب واستمر وكيل الألفي مقيماً بقصر الجيزة.

وفيه، وردت الأخبار بأن محمد باشا لما ارتحل من المنصورة الى دمياط أبقى بفارسكور ابراهيم باشا ومملوكه سليم كاشف المنوفية بعدة من العسكر فتحصنوا بها فلما حضر رليهم حسن بك أخو طاهر باشا بالعساكر تحاربوا معهم وملكوا منهم فارسكور فنهبوها وأحرقوها وفسقوا بنسائها وفعلوا ما لا خير فيه قتل سليم كاشف المنوفية المذكور أيضاً ثم أن بعض أكابر العسكر المنهزمين أرسل الى حسن بك يطلب منه أماناً وكان ذلك خديعة منهم فأرسل لهم أماناً فحضروا إليه وانضموا لعسكره وسهلوا له أمر محمد باشا وأنه في قلة وضعف وهم مع ذلك يراسلون أصحابهم ويشيرون عليهم بالعود والتثبت الى أن عادوا وتأهبوا للحرب ثانياً وخرج إليهم حسن بك بعساكره وخلفه المنضافون إليه من أولئك، فلما أن نشبت الحرب بينهم أخذوهم مواسطة فأثخنوهم ووقعت فيهم مقتلة عظيمة وانهزموا الى فارسكور فتلقاهم أهل البلدة وكملوا قتلهم ونزلوا عليهم بالنبابيت والمساوق والحجارة جزاء لما فعلوه معهم حتى اشتفوا منهم، و لم ينج منهم إلا من كان في عزوة أو هرب الى جهة أخرى وحضر الكثير منهم الى مصر في أسوأ حال.

وفي يوم الجمعة والسبت، حضر الكثير من حجاج المغاربة وصحبتهم مصاروة وفلاحون كثيرة.

وفي حضرت مكاتبة من الديار الرومية على يد شخص يسمى صالح أفندي الى سكندرية فأرسل خورشيد أفندي حاكم الاسكندرية يستأذن في حضوره بمكاتبة على يد راشته قنصل النيمسا فذهب راشته الى ابراهيم بك وأخبره وأطلعه على المكتوب الذي حضر له فبعد ساعة وصل الخبر بوصول صالح أفندي المذكور الى بولاق فأرسل ابراهيم بك رضوان كتخدا وأحمد بك الأرنؤدي وأمرهما بأن يأخذا ما معه من الأوراق ويأمراه بالرجوع بغير مهلة ولا يدعاه يطلع الى البر ففعلا ذلك ومضمون ما في تلك الأوراق خطاب لطاهر باشا وأنه بلغنا ما حصل من محمد باشا من الجور والظلم وقطع علوفات العسكر وأنهم قاموا عليه وأخرجوه وهذه عادة العساكر إذا انقطعت علوفاتهم وأننا وجهنا له ولاية سنانيك وأن طاهر باشا يستمر على المحافظة وأحمد باشا قائمقام الى أن يأتي المتولي وخطاب لمحمد باشا بمعنى ذلك والسر في تقليد أحمد باشا قائمقام دون طاهر باشا أن طاهر باشا أرنؤد وليس له إلا طوخان ومن قواعدهم القديمة أنهم لا يقلدون الأرنؤد ثلاثة أطواخ أبداً.

وفي يوم السبت المذكور دخل الكثير من الحجاج آخر النهار وفي الليل.

وفي يوم الأحد، دخل الجم الغفير من الحجاج ومات الكثير من الداخلين في ذلك اليوم وكثير مرضى وحصل لهم مشقة عظيمة وشوب وغلاء وخصوصاً بعد مجاوزتهم العقبة وبلغت الشربة الماء ديناراً والبطيخة دينارين وكان حجاج كثير وأكثرهم أوباش الناس من الفلاحين والنساء وغير ذلك وخرج سليم آغا مستحفظان وصحبته جماعة من الانكشارية والكشاف والأجناد والعسكر فاستلموا المحمل من أمير الحاج وأمروه لا يدخل المدينة بل يقيم بالبركة حتى يحاسبوه ويسافر بمن معه من العسكر الى جهة الشام ثم رجعوا بالمحمل ودخلوا به المدينة وقت الظهر على خلاف العادة، وحضر صحبة الحجاج كثير من أهل مكة هروباً من الوهابي ولغط الناس في خبر الوهابي واختلفوا فيه فمنهم من يجعله خارجياً وكافراً وهم المكيون ومن تابعهم وصدق أقوالهم ومنهم من يقول بخلاف ذلك لخلو غرضه وأرسل الى شيخ الركب المغربي كتاباً ومعه أوراق تتضمن دعوته وعقيدته وصورتها.

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ونشهد أن محمداً عبده ورسوله من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصي الله ورسوله فقد غوى ولا يضر إلا نفسه ولن يضر الله شيئاً وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً أما بعد فقد قال الله تعالى قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين وقال الله تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا، وقال تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً فأخبر سبحانه أنه أكمل الدين وأتمه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وأمرنا بلزوم ما أنزل إلينا من ربنا وترك البدع والتفرق والاختلاف، وقال تعالى اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكرون وقال تعالى وإن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون والرسول صلى الله عليه وسلم قد أخبرنا بأن أمته تأخذ مأخذ القرون قبلها شبراً بشبر وذراعاً بذراع وثبت في الصحيحين وغيرهما عنه صلى

الله عليه وسلم أنه قال لتتبعن سنن من كان قبلكم حذواً القذة بالقذة حتى لو دخلوا حجر ضب لدخلتموه قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن وأخبر في الحديث الآخر أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة قالوا من هي يا رسول الله قال من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي إذا عرف هذا فمعلوم ما قد عمت به البلوى من حوادث الأمور التي أعظمها الإشراك بالله والتوجه الى الموتى وسؤالهم النصر على الأعداء وقضاء الحاجات وتفريج الكربات التي لا يقدر عليها إلا رب الأرض والسموات وكذلك التقرب إليهم بالنذور وذبح القربان والاستغاثة بهم في كشف الشدائد وجلب الفوائد الى غير ذلك من أنواع العبادة التي لا تصلح إلا لله وصرف شيء من أنواع العبادة لغير الله كصرف جميعها لأنه سبحانه وتعالى أغنى الأغنياء عن الشرك ولا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً، كما قال تعالى فاعبد الله مخلصاً له الدين ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار فأخبر سبحانه أنه لا يرضى من الدين إلا ما كان خالصاً لوجهه وأخبر أن المشركين يدعون الملائكة والأنبياء والصالحين ليقربوهم الى الله زلفى ويشفعوا لهم عنده وأخبر أنه لا يهدي من هو كاذب كفار، وقال تعالى ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون فأخبر أنه من جعل بينه وبين الله وسائط يسألهم الشفاعة فقد عبدهم وأشرك بهم وذلك أن الشفاعة كلها لله، كما قال تعالى من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه، وقال تعالى فيومئذ لا تنفع الذين ظلموا معذرتهم، وقال تعالى يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولاً وهو سبحانه وتعالى لا يرضى إلا التوحيد، كما قال تعالى ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون فالشفاعة حق ولا تطلب في دار الدنيا إلا من الله، كما قال تعالى وإن المساجد لله، فلا تدعوا مع الله أحداً وقال تعالى ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذاً من الظالمين فإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم وهو سيد الشفعاء وصاحب المقام المحمود وآدم، فمن دونه تحت لوائه لا يشفع إلا بإذن الله لا يشفع ابتداء بل يأتي فيخر لله ساجداً فيحمده بمحامد يعلمه إياها، ثم يقال ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع. ثم يحد له حداً فيدخلهم الجنة فكيف بغيره من الأنبياء والأولياء وهذا الذي ذكرناه لا يخالف فيه أحد من العلماء المسلمين بل قد أجمع عليه السلف الصالح من الأصحاب والتابعين والأئمة الأربعة وغيرهم ممن سلك سبيلهم ودرج على منهاجهم وأما ما حدث من سؤال الأنبياء والأولياء من الشفاعة بعد موتهم وتعظيم

قبورهم ببناء القباب عليها وإسراجها والصلاة عندها واتخاذها أعياداً وجعل السدنة والنذور لها فكل ذلك من حوادث الأمور التي أخبر بها النبي صلى الله عليه وسلم أمته وحذر منها، كما في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان وهو صلى الله عليه وسلم حمى جناب التوحيد أعظم حماية وسد كل طريق يؤدي الى الشرك فنهى أن يجصص القبر وأن يبني عليه، كما ثبت في صحيح مسلم من حديث جابر وثبت فيه أيضاً أنه بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأمره أن لا يدع قبراً مشرفاً إلا سواه ولا تمثالاً إلا طمسه ولهذا قال غير واحد من العلماء يجب هدم القباب المبنية على القبور لأنها أسست على معصية الرسول صلى الله عليه وسلم، فهذا هو الذي أوجب الاختلاف بيننا وبين الناس حتى آل بهم الأمر الى أن كفرونا وقاتلونا واستحلوا دماءنا وأموالنا حتى نصرنا الله عليهم وظفرنا بهم وهو الذي ندعو الناس إليه ونقاتلهم عليه بعدما نقيم عليهم الحجة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم

وإجماع السلف الصالح من الأمة ممتثلين لقوله سبحانه وتعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، فمن لم يجب الدعوة بالحجة والبيان قالتناه بالسيف والسنان، كما قال تعالى لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وندعو الناس الى إقامة الصلوات في الجماعات الى الوجه المشروع وإيتاء الزكاة وصيام شهر رمضان وحج بيت الله الحرام ونأمر بالمعروف وننهي عن المنكر، كما قال تعالى الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور فهذا هو الذي نعتقده وندين الله به، فمن عمل بذلك فهو أخونا المسلم له ما لنا وعليه ما علينا، ونعتقد أيضاً أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم المتبعين للسنة لا تجتمع على ضلالة وأنه لاتزال طائفة من أمته على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك أقول إن كاد كذلك فهذا ما ندين الله به ونحن أيضاً وهو خلاصة لباب التوحيد وما علينا من المارقين والمتعصبين وقد بسط الكلام في ذلك ابن القيم في كتابه إغاثة اللهفان والحافظ المقريزي في تجريد التوحيد والإمام اليوسي في شرح الكبرى وشرح الحكم لابن عباد وكتاب جمع الفضائل وقمع الرذائل وكتاب مصايد الشيطان وغير ذلك انتهى.

وفي ذلك اليوم، نودي على المتخلفين من الانكشارية بالسفر صحبة أمير الحاج وقبضوا على أنفار منهم وأخرجوهم ومنعوا أيضاً حجاج المغاربة من الدخول الى المدينة ومن دخل منهم لأجل حاجة فليدخل من غير سلاح فذهبوا الى بولاق وأقاموا هناك.

وفي يوم الإثنين، مر الوالي بناحية الجمالية فوجد إنساناً من أكابر غزة يسمى علي آغا شعبان حضر الى مصر من جملة من حضر مع العرضي وكان مهندساً في عمارة الباشا، ثم عين لسد ترعة الفرعونية لمعرفة بأمور الهندسة فوجده جالساً على دكان يتنزه حصة وفرسه وخدمه وقوف أمامه فطلبه وأمره بالركوب معه فركب وذهب صحبته فكان آخر العهد به وكان في جيبه ألف دينار ذهباً بإخبار أخيه خلاف الورق فأخذ ثيابه وفرسه وما معه وخنقه وأخفى أمره وأنكره وكان رجلاً لا بأس به.

شهر ربيع الأول سنة 1218

استهل بيوم الثلاثاء، وفي يوم السبت خامسه أحمد باشا والعساكر الانكشارية الذين جمعوهم من المدينة وسافر صحبتهم من العساكر الذين كانوا صحبة أمير الحاج والجميع كانوا نحو ألفين وخمسمائة وأما أمير الحاج فإنهم عفوا عنه من السفر ودخل المدينة بخاصته.

وفي هذا اليوم، حضر علي كتخدا من جهة قبلي وهو كتخدا حسن باشا الى جرجا ومعه مكاتبة الى الأمراء المصرلية وأنه وصل الى أسيوط فكتبوا له أماناً بالحضور الى مصر بمن معه من العسكر ورجع علي كتخدا بذلك في ثاني يومه فقط.

وفيه ورد الخبر بوصول أنجد بك الى ثغر دمياط بالريالة الى محمد باشا.

وفي يوم الأربعاء تاسعه، سافر الشريف عبد الله ابن سرور الى سكندرية متوجهاً الى اسلامبول وأنعم عليه ابراهيم بك بخمسين ألف فضة.

وفي يوم الجمعة، كان المولد النبوي ونادوا بفتح الدكاكين ووقود القناديل فأوقدت الأسواق تلك الليلة والليلة التي قبلها ولكن

دون ذلك وأما الأزبكية، فلم يعمل بها وقدة إلا قبالة بيت البكري لاستيلاء الحراب عليها.

وفي ثاني عشره، سفروا جبخانة وجللاً وباروداً الى جهة بحري وأشيع بأن كثيراً من العسكر المصحوبين بالتجريدة ذهبوا الى محمد باشا وكذلك طائفة من الانكشارية المطرودين الذين خلصوا الى طريق دمياط.

وفي يوم الأربعاء سادس عشره، وردت مكاتبات من عثمان بك البرديسي بالخبر بوقوع الحرب بينهم وبين محمد باشا وعساكره.

وفي يوم الإثنين رابع عشره، وقع بين الفريقين مقتلة عظيمة وكانوا ملكوا منه متاريس القنطرة البيضاء قبل ذلك، ثم هجم المصريون في ذلك اليوم عليهم هجمة عظيمة وكبسوا على دمياط بمخامرة بعض رؤساء عساكر الباشا وفتكوا في عسكر الباشا بالقتل وقتلت خواصه وأتباعه وقتل حسين كتخدا شنن ومصطفى أغات التبديل ونهبوا دمياط وأسروا النساء وافتضوا الأبكار وأخذوهم أسرى وصاروا يبيعونهم على بعضهم وفعلوا أفعالاً شنيعة من الفسق والفجور وأخذوا حتى ما على أجساد الناس من الثياب ونهبوا الخانات والبيوت والوكائل وجميع أسباب التجار التي بها من أصناف البضائع الشامية والرومية والمصرية وكان شيئاً كثيراً يفوق الحصر وما بالمراكب حتى بيع الفرد الأرز الذي هو نصف أردب بثلاثة عشر نصفاً وقيمته ألف نصف والكيس الحرير الذي قيمته خمسمائة ريال بريالين الى غير ذلك والأمر لله وحده والتجأ الباشا الى القرية وتترس بها فأحاطوا به من كل جهة فطلب الأمان فأمنوه فنزل من القرية وحضر الى البرديسي وخطف عمامته بعض العسكر، ولما رآه البرديسي ترجل عن مركوبه إليه وتمنى بالسلام عليه وألبسه عمامة وأنزله في خيمة بجانب خيمته متحفظاً به، ولما وصل الخبر بذلك الى مصر ضربوا مدافع كثيرة من قصر العيني والقلعة والجيزة ومصر العتيقة واستمر ذلك ثلاثة أيام بلياليها في كل وقت.

وفي عصريتها، حضر جوخدار البرديسي وهو الذي قتل حسين آغا شنن وحكى بصورة الحال فألبسه ابراهيم بك فروة وأنعم عليه ببلاد المقتول وبيته وزوجته وأملاكه وجعله كاشف الغربية وذهب الى وكيل الألفي أيضاً فخلع عليه فروة سمور وصار يبدر الذهب في حال ركوبه.

وفي يوم الجمعة، ذهب المذكور الى مقام الإمام الشافعي وأرخى لحيته على عادتهم التي سنها السدنة ليعفيها بعد ذلك من الحلق.

وفي ذلك اليوم، عمل ابراهيم بك ديواناً ببيت ابنته بدرب الجماميز وحضر القاضي والمشايخ ولبس خلعة وتولى قائمقام مصر وضربت في بيته النوبة التركية.

وفي عشرينه ورد الخبر بوصول علي باشا الطرابلسي الى اسكندرية والياً على مصر عوضاً عن محمد باشا وحضر منه فرمان خطاباً للأمراء يعلمهم بوصوله ويذكر لهم أنه متولي على الأقطار المصرية عوضاً عن محمد باشا من اسكندرية الى أسوان و لم يبلغ الدولة موت طاهر باشا ولا دخولكم الى مصر ومعنا أوامر لطاهر باشا وأحمد باشا أنهم يتوجهون بالعساكر الى الحجاز بسبب الوهابيين، فلما وصلنا الى اسكندرية بلغنا موت طاهر باشا وحضوركم الى المدينة بمعاونة الأرنؤدية وقتل رجال الدولة والانكشارية وقتل من معهم وإخراج من بقي على غير صورة الى غير ذلك وهذا غير مناسب ولا نرضى لكم بهذا على هذا الوجه فإننا نحب لكم الخير ولنا معكم عشرة سابقة ومحبة أكيدة ونطلب راحتكم في أوطانكم ونسعى لكم فيها على وجه

جميل وكان المناسب أن لا تدخلوا المدينة إلا بإذن الدلوة فإن تظاهركم بالخلاف والعصيان مما يوجب لكم عدم الراحة فإن سيف السلطنة طويل فربما استعان السلطان عليكم ببعض المخالفين الذين لا طاقة لكم بهم، ثم قال لهم في ضمن ذلك إن لنا معكم بعض كلام لا يحتمله الكتاب وعن قريب يأتيكم إثنان من طرفنا عاقلان تعملون معهما مشاورة فكتبوا له جواباً حاصله أن محمد باشا لما كان متولياً، لم نزل نترجى مراحمه وهو لا يزداد معنا إلا قسوة ولا يسمح لنا بالإقامة بالقطر المصري جملة وجرد علينا التجاريد والعساكر من كل جهة وينصرنا الله عليه في كل مرة الى أن حصل بينه وبين عساكره وحشة بسبب جماكيهم وعلوفاتهم فقاموا عليه وحاربوه وأخرجوه من مصر بمعونة طاهر باشا، ثم قامت الانكشارية على طاهر باشا وقتلوه ظلماً، وقامت العساكر على بعضهم البعض وكنا حضرنا الى جهة الجيزة باستدعاء طاهر باشا، فلما قتل طاهر باشا بقيت المدينة رعية من غير راع وخافت الرعية من جور العساكر وتعديهم، فحضر إلينا المشايخ والعلماء واختيارية الوجاقلية واستغاثوا بنا فأرسلنا من عندنا من ضبط العساكر وأمن المدينة والرعية وأما محمد باشا فإنه نزل الى دمياط وظلم البلاد والعباد وفرد عليها الفرد الشاقة وحرقها فتوجه عثمان بك البرديسي لتأمين أهالي القرى الى أن وصل ال ظاهر دمياط فأقام بمن معه خارج المدينة، فما يشعر إلا ومحمد باشا صدمهم ليلاً وحاربهم فحاربوه فنصرهم الله عليه وانهزمت عساكره وقبض عليه وهو الآن عندنا في الإعزاز والإكرام ونحن الآن على ذلك حتى يأتينا العفو وأما قولكم إننا نخرج من مصر فهذا لا يمكن ولا تطاوعنا جماعتنا وعساكرنا على الخروج من أوطانهم بعد استقرارهم فيها، وأما قولكم إن حضرة السلطان يستعين علينا ببعض المخالفين فإننا لا نستعين إلا بالله وإننا أرسلنا عرضحال نطلب العفو ونترجى الرضا ومنتظرون الجواب.

وفي ثاني عشرينه، حضر واحد آغا ومعه آخر فضربوا له مدافع وعملوا ديواناً وتكلم معهم وتكلم المشايخ الحاضرون في ظلم العثمانيين وما أحدثوه من المظالم والمكوس واتفقوا على كتابة عرضحال الى الباشا فكتبوا ذلك وأمضوا عليه ونادوا في الأسواق برفع ما أحدثه الفرنساوية والعثمانية من المظالم وزيادة المكوس ودفعوا الى الآغا الواصل ألف ريال حق طريقه وسافر.

وفيه وصل الخبر بأن سليمان كاشف لما وصل الى رشيد وبها جماعة من العثمانية وحاكمها ابراهيم أفندي، فلما بلغه وصول سليمان كاشف أخلى له البلد وتحصن في برج مغيزل فعبر سليمان كاشف الى البلد وخرج يحاصر ابراهيم أفندي فهم على ذلك وإذا بالسيد علي باشا القبطان وصل الى رشيد وأرسل الى سليمان كاشف يعلمه بحضوره وحضور علي باشا والي مصر ويقول ما هذا الحصار فقال له نحن نقاتل كل من كان من طرف حسين قبطان باشا وأما من كان من طرف الوزير يوسف باشا فلا نقاتله وارتحل من رشيد الى الرحمانية ودخل السيد علي القبطان الى رشيد.

وفي ثالث عشرينه، سافر جوخدار البرديسي الى ولاية الغربية، وكان شاهين كاشف المرادي هناك يجمع الفردة وتوجه الى طندتا وعمل على أولاد الخادم ثمانين ألف ريال فحضروا الى مصر ومعهم مفاتيح مقام سيدي أحمد البدوي هاربين وتشكوا وتظلموا وقالوا لابراهيم بك لم يبق عندنا شيء فإن الفرنساوية نهبونا وأخذوا أموالنا، ثم أن محمد باشا أرسل المحروقي فحفر دارنا وأخذ منا نحو ثلثمائة ألف ريال، ولم يبق عندنا شيء جملة كافية.

وفي يوم الإثنين تاسع عشرينه، وصل محمد باشا الى ساحل بولاق وصحبته المحافظون عليه وهم جماعة من عسكر الأرنؤد الذين كانوا سابقاً في خدمته وجماعة من الأجناد المصرلية ولم يكن معه من أتباعه إلا ست مماليك فقط، فإن مماليكه المختصين به

اختار منهم البرديسي من اختاره واقتسم باقيهم الأرنؤد ومنهم من يخدم الأرنؤد المحافظين عليه ووافق أن ذلك اليوم كان جمع سيدي أحمد البدوي ببولاق على العادة فنصبوا له خيمة لطيفة بساحل البحر وطلع إليها فرأى جمع الناس فظن أُنهم اجتمعوا للفرجة عليه فقال ما هذا فأخبروه بصورة الحال. وكان ابراهيم بك في ذلك اليوم حضر الى بولاق ودخل الى بيت السيد عمر النقيب الأشراف باستدعاء فجلس عنده ساعة، ثم ركب الى ديوان بولاق فترل هناك ساعة أيضاً، ثم ركب الى بيته بحارة عابدين، فلما وصل الباشا، كما ذكر حضر إليه سليم كاشف المحرمجي وأركبه حصاناً وركب مماليكه حميراً وذهبوا به الى بيت ابراهيم بك بحارة عابدين فوجدوا ابراهيم بك طلع الى الحريم، فلم يترل إليه و لم يقابله فرجع به سليم كاشف الى بيت حسن كاشف جركس وهو بيت البرديسي فبات به، فلما كان في الصباح ركب ابراهيم بك الى قصر العيني فركب المحرمجي وأخذ معه الباشا وذهب به الى قصر العيني فقابل ابراهيم بك هناك وسلم عليه وحضر الألفي وباقي الأمراء بجموعهم وخيولهم فترامحوا تحت القصر وتسابقوا ولعبوا بالجريد، ثم طلع أكابرهم الى أعلى القصر فصاروا يقبلون يد ابراهيم بك والباشا جالس حتى تحلقوا حواليهما، ثم أن ابراهيم بك قدم له حصاناً وقام وركب مع المحرمجي الى بيت حسن كاشف بالناصرية فسبحان المعز المذل القهار.

وفي ثاني يوم غايته، ركب ابراهيم بك الألفي وذهبا الى الباشا وسلما عليه في بيت البرديسي وهادياه بثياب وأمتعة وبعد أن كانوا يترجون عفوه ويتمنون الرضا منه ويكونوا تحت حكمه صار هو يترجى عفوهم ويؤمل رفدهم وإحسانهم وبقي تحت حكمهم فالعياذ بالله م زوال النعم وقهر الرجال.

شهر ربيع الثاني سنة 1218

استهل بيوم الأربعاء في ثانيه ضربت مدافع كثيرة بسبب إقامة بنديرة الانجليز بمصر.

وفيه عدى البرديسي من المنصورة الى البر الغربي متوجهاً الى جهة رشيد.

وفي يوم السبت رابعه، وردت هجانة من ناحية الينبع وأخبروا أن الوهابيين جلوا عن جدة ومكة بسبب أنهم جاءتهم أخبار بأن العجم زحفوا على بلادهم الدرعية وملكوا بعضها والأوراق فيها خطاب من شريف باشا وشريف مكة لطاهر باشا على ظن حياته.

وفي يوم الإثنين، نادى الآغا والوالي بالأسواق على العثمانية والأتراك والأغراب من الشوام والحلبية بالسفر والخروج من مصر فكل من وجد بعد ثلاثة أيام فدمه هدر وأمروا عثمان بك أمير الحاج بالسفر على جهة الشام من البر ويسافر المنادي عليهم صحبته وكذلك ابراهيم باشا.

وفي يوم الأربعاء، خرج عثمان بك الى جهة العادلية وخرج الكثير من أعيان العثمانية معه وتتابع خروجهم في كل يوم وصاروا يبيعون متاعهم وثيابهم وهم خزايا حيارى في أسوأ حال وأكثرهم متأهل ومتزوج ومنهم من نهب وسلب وصار لا يملك شيئاً، فلما تكامل خروجهم وسافروا في عاشره وهم زيادة عن ألفين وبقي منهم أناس التجأوا الى بعض المصرلية والانجليز وانتموا إليهم.

وفيه وصلت الأخبار بأن البرديسي وصل الى رشيد وأن السيد علي باشا ريس القبطانية تحصن ببرج مغيزل وغالب أهلها جلا

عنها خوفاً من مثل حادثة دمياط، ولما دخل عثمان بك البرديسي الى رشيد فرد على أهلها مبلغ دراهم يقال ثمانين ألف ريال. وفي ثالث عشره، حضر قنصل الفرنسيس فعملوا له شنكاً ومدافع وأركبوه من بولاق بموكب جليل وقدامه أغات الانكشارية والوالي وأكابر الكشاف وحسين كاشف المعروف بالإفرنجي وعساكره الذين مثل عسكر الفرنسيس وهيئته لم يتقدم مثلها بين المسلمين ونصب بنديرته في بركة الأزبكية من ناحية قنطرة الدكة على صاري طويل مرتفع في الهواء واجتمع إليه كثير من النصارى الشوام والأقباط وعملوا جمعيات وولائم وازدحموا على بابه، وحضر صحبة كثير من الذين هربوا عند دخول المسلمين مع الوزير وكان المحتفل بذلك حسين كاشف الإفرنجي.

وفي ثامن عشره، وصلت مكاتبة من البرديسي الى ابراهيم بك يخبر فيها أنه، لما وصل الى رشيد وتحصن السيد علي باشا بالبرج، أرسل إليه فبعث له حسن بك قرابة علي باشا الطرابلسي الوالي، فتكلم معه وقال له ما المراد إن كان حضرة الباشا والياً على مصر فليأت على الشرط والقانون القديم ويقيم معنا على الرحب والسعة وإن كان خلاف ذلك، فأخبرونا به الى أن انتهى الكلام بيننا وبينه على مهلة ثلاثة أيام ورجع وانتظرنا بعد مضي الميعاد بساعتين، فلم يأتنا منهم جواب فضربنا عليهم في يوم واحد مائة وخمسين قنطاراً من البارود وأنكم ترسلون لنا أعظم ما يكون عندكم في البنب والمدافع والبارود فشهلوا المطلوب وأرسلوه في ثاني يوم صحبة حسين الإفرنجي وتراسل الطلب خلفه ولحقوا به عدة أيام.

وفي عشرينه، وصل حسن باشا الذي كان والي جرجا الى مصر العتيقة فركب ابراهيم بك للسلام عليه وحضر الطبجية الى جبهانته فأخذوها وطلعوا بها الى القلعة وكذلك الجمال أخذها الجمالة والعسكر ذهبوا الى رفقائهم الذين بمصر وطولب بالمال واستمر بمصر العتيقة مستحفظاً به من كل ناحية.

وفي يوم السبت خامس عشرينه، وقعت نادرة وهي أن محمد باشا طلب من سليم كاشف المحرمجي أن يأذن له في أن يركب الى خارج الناصرية بقصد التفسح فأرسل سليم كاشف يستأذن ابراهيم بك في ذلك فأذن له بأن يركب ويعمل رماحة، ثم يأتي إليه بقصر العيني فيتغدى عنده، ثم يعود وأوصى على ذبح أغنام ويعملون له كباباً وشواء فأركبه سليم كاشف بمماليكه وعدة من مماليك المحرمجي وصحبته ابراهيم باشا، فلما ركب وخرج الى خارج الناصرية أرسل جواده ورمحه وتبعه مماليكه من خلفه فظن المماليك المصرلية أنهم يعملون رماحة ومسابقة، فلما غابوا عن أعينهم ساقوا خلفهم، ولم يزالوا سائقين الى الأزبكية وهو شاهر سيفه وكذلك بقية الطاردين والمطرودين فدخل الى أحمد بك الأرنؤدي وضرب بعض المماليك فرسه ببارودة فسقط وذلك عند وصوله الى بيت أحمد بك المذكور ووصل الخبر الى سليم كاشف فركب على مثل ذلك بباقي أتباعه وهم شاهرون السيوف ورامحون الخيول واتصل الخبر بابراهيم بك فأمر الكشاف بالركوب وأرسل الى البواقي بالطلوع الى القلعة وحفظ أطارف البلد فركب الجميع وتفرقوا رامحين وبأيديهم السيوف والبنادق فانزعجت الناس وترامحوا وأغلقوا الحوانيت واختلفت رواياتهم وظنوا وقوع الشقاق بين الأرنؤد والمصرلية وكذلك المماليك المصرلية أيقنوا ذلك وطلع الكثير منهم الى القلعة، ولما دخل محمد باشا عند أحمد بك ومن معه من أكابر الأرنؤد قاموا في وجهه ووبخوه بالكلام وقبضوا عليه وعلى مماليكه وأخذوا ما وجدوه معهم من الدراهم وكان في جيب الباشا خاصة ألف وخمسمائة دينار، وحضر سليم كاشف المحرمجي عند ذلك فسلموه له فأركبه الباشا اكديشاً لأن فرسه أصيب ببارودة من بعض المماليك اللاحقين به وذلك عند وصوله الى بيت أحمد

بك وركب معه أحمد بك أيضاً وأخذوه الى عند ابراهيم بك بقصر العيني فخلع ابراهيم بك على أحمد بك فروة سمور وقدم له حصاناً بسرجه وسكنت الفتنة ونعوذ بالله من الخذلان ومعاداة الزمان.

وفي يوم الأحد سادس عشرينه، وردت الأخبار ومكاتبة من البرديسي بنصرتهم على العثمانية واستيلائهم على برج رشيد بعد أن حاربوا عليه نيفاً وعشرين يوماً وأسروا السيد علي القبطان وآخرين معه وعدة كثيرة من العسكر وأرسلوهم الى جهة الشرقية ليذهبوا على ناحية الشام بعد أن قتل منهم من قتل، فعند ذلك عملوا شنكاً وضربوا مدافع كثيرة وكذلك في ثاني يوم وثالث يوم.

وفي يوم الأربعاء تاسع عشرينه، كسفت الشمس وقت الضحوة وكان المنكسف تسعة أصابع وهو نحو الثلثين وأظلم الجو وابتداؤه الساعة واحدة وثمان دقائق ونصف وتمام الانجلاء في ثالث ساعة وست عشرة دقيقة وكان ذلك في أيام زيادة النيل نسأل الله عفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة.

شهر جمادى الأولى سنة 1218

استهل بيوم الجمعة في ثانيه الموافق لخامس عشر مسرى القبطي وفي النيل سبعة عشر ذراعاً وكسر سد الخليج صبحها بحضرة ابراهيم بك قائمقام والقاضي وجرى الماء في الخليج على العادة.

وفيه وردت الأخبار بأن علي باشا كسر السد الذي ناحية أبي قير الحاجز على البحر المالح وهذا السد من قديم الزمان من السدود العظام المتينة السلطانية وتتفقده الدول على ممر الأيام بالمرمة والعمارة إذا حصل به أدنى خلل، فلما اختلت الأحوال وأهمل غالب الأمور وأسباب العمارات انشرم منه شرم فسالت المياه المالحة على الأراضي والقرى التي بين رشيد وسكندرية وذلك من نحو ستة عشر عاماً، فلم يتدارك أمره واستمر حاله يزيد وخرقه يتسع حتى انقطعت الطرق واستمر ذلك الى واقعة الفرنسيس، فلما حضرت الانكليز والعثمانية شرموه أيضاً من الناحية البحرية لأجل قطع الطرق على الفرنسيس فسالت المياه المالحة على الأراضي الى قريب دمنهور واختلطت بخليج الأشرفية، وشرقت الأراضي وخربت القرى والبلاد وتلفت المزارع وانقطعت الطرق وحول الاسكندرية من البر وامتنع وصول ماء النيل الى أهل الاسكندرية، فلم يصل إليهم إلا ما يصلهم من جهة البحر في النقاير أو ما خزنوه من مياه الأمطار بالصهاريج وبعض العيون المستعذبة، فلما استقر العثمانيون بمصر حضر شخص من طرف الدولة يسمى صالح أفندي معين لخصوص السد وأحضر معه عدة مراكب بها أخشاب وآلات وبذل الهمة والاجتهاد في سد الجسر فأقام العمل في ذلك نحو سنة ونصف حتى قارب الإتمام وفرح الناس بذلك غاية الفرح واستبشر أهل القرى والنواحي، فما هو إلا وقد حصلت هذه الحوادث وحضر علي باشا الى الثغر وخرج الأجناد المصرلية وحاربوا السيد علي باشا القبطان على برج وشيد فخاخ حضورهم الى الاسكندرية ففتحه ثانياً ورجع التلف، كما كان وهذهب ما صنعه صالح أفندي المذكور في الفارغ بعدما صرف عليه أموالاً عظيمة وأما أهل سكندرية، فإنهم جلوا عنها ونزل البعض في المراكب وسافر الى أزمير وبعضهم الى قبرص ورودس والأضات وبعضهم اكترى بالأيام وأقاموا بها على الثغر، ولم يبق بالبلدة إلا الفقراء والعواجز والذين لا يجدون ما ينفقونه على الرحلة وهم أيضاً مستوفزون وعم بها الغلاء لعدم الوارد وانقطاع الطرق

وقيل إن علي باشا المذكور فرد عليهم مالاً وقبض على ستة أنفار من أغنياء المغاربة واتهمهم أنهم كتبوا كتاباً للبرديسي يعدونه أنه إذا حضر يدلونه على جهة يملك منها البلد بمعونة عسكر المغاربة فأخذ منهم مائة وخمسين كيساً بشفاعة القبطان الذي في البيليك بالثغر واجتهد في حفر خندق حول البلد واستعملهم في ذلك الحفر وفي عزمه أن يطلق فيه ماء البحر المالح فإن فعل ذلك حصل به ضرر عظيم فقد أخبر من له معرفة ودراية بالأمور أنه ربما خرب إقليم البحيرة بسبب ذلك واجتهدوا أيضاً في تحصين المدينة زيادة عن فعل الفرنسيس والانكليز.

وفي يوم السبت تاسعه، وصل السيد علي القبطان الى مصر وطلع الى قصر العيني وقابل ابراهيم بك فخلع عليه فروة سمور وقدم له حصاناً معدداً وأكرمه وعظمه وأنزلوه عند علي بك أيوب وأعطوه سرية بيضاء وجارية حبشية وجاريتين سوداوين للخدمة ورتبوا له ما يليق به وهو رجل جليل من عظماء الناس وعقلائهم وأخبر القادمون البرديسي والأجناد المصريين ارتحلوا من رشيد الى دمنهور قاصدين الذهاب الى سكندرية وأرسلوا بطلب ذخيرة وجبخانة ومماليك وعساكر.

وفي أرادوا عمل فردة وأشيع بين الناس ذلك فانزعجوا منه واستمر الرجاء والخوف أياماً، ثم انحط الرأي على قبض مال الجهات ورفع المظالم والتحرير من البلاد والميري عن سنة تاريخه من الملتزمين ويؤخذ من القبط ألف وأربعمائة كيس هذا مع توالي وتتابع الفرد والكلف على البلاد حتى خرب الكثير من القرى والبلاد وجلا أهلها عنها خصوصاً إقليم البحيرة فإنه خرب عن آخره، ثم أن البرديسي استقر بدمنهور وبعدما أبقى برشيد مملوكه يحيى بك ومعه جملة من العساكر وكذلك بناحية البغاز وهم كانوا من وقت محاصرة البرج حتى منعوا عنه الإمداد الذي أتاه من البحر وكان ما كان وشحن البرديسي برج مغيزل بالذخيرة والجبخانة وأنزلوا برشيد عدة فرد ومغارم وفتحوا بيوت الراحلين عنها ونهبوها وأخذوا أموالهم من الشوادر والحواصل والأخشاب والأحطاب والبن والأرز وقلت الأقوات فيهم والعليق فعلفوا الدواب بشعير الأرز بل والأرز المبيض وغير ذلك مما لا تضبطه الأقلام ولا تحيط به الأوهام.

وفي منتصف هذا الشهر في أيام النسئ نقص النيل نقصاً فاحشاً وانحدر من على الأراضي فانزعج الناس وازدحموا على مشترى الغلال وزاد سعرها، ثم استمر يزيد قيراطاً وينقص قيراطين الى أيام الصليب وانكبت الخلائق على شراء الغلال ومنع الغنى من شراء ما زاد على الأردب ونصف أردب والفقير لا يأخذ الأويبة فأقل ويمنعون الكيل بعد ساعتين فتذهب الناس الى ساحل بولاق ومصر القديمة ويرجعون من غير شيء واستمر سليم آغا مستحفظان يتزل الى بولاق في كل يوم صار الأمراء يأخذون الغلال القادمة بمراكبها قهراً عن أصحابها ويخزنوها لأنفسهم حتى قلت الغلة وعز وجودها في العرصات والسواحل وقل الخبز من الأسواق والطوابين وداخل الناس وهم عظيم وخصوصنا مع خراب البلاد بتوالي الفرد والمغارم وعز وجود الشعير والتبن وبيعت الدواب والبهائم بالسعر الرخيص بسبب قلة العلف واجتمع بعض المشايخ وتشاوروا في الخروج الى الاستسقاء، فلم يمكنهم ذلك لفقد شروطها وذهبوا الى ابراهيم بك وتكلموا معه في ذلك، فقال لهم وأنا أحب ذلك فقالوا له وأين الشروط التي من جملتها رفع المظالم وردها والتوبة والإقلاع عن الذنوب وغير ذلك فقال لهم هذا أمر لا يمكن ولا يتصور ولا أقدر عليه ولا أحكم إلا على نفسي فقالوا إذاً نهاجر من مصر فقال وأنا معكم، ثم قاموا وذهبوا.

وفي أواخره، وردت الأخبار برجوع البرديسي ومن معه من العساكر وقد كان أشيع أنهم متوجهون الى الاسكندرية، ثم ثنى

عزمه عن ذلك لأمور الأول وجود القحط فيهم، وعدم الذخيرة والعلف والثاني إلحاح العسكر بطلب جماكيهم المنكسرة وما يأخذونه من المنهوبات لا يدخل في حساب جماكيهم والثالث العجز عن أخذ الاسكندرية لوعر الطريق وانقطاع الطرق بالمياه المالحة فلو وصلوها وطال عليهم الحصار لا يجدون ما يأكلون ولا ما يشربون.

واستهل شهر جمادى الثانية سنة 1218 بيوم الأحد

في أوائله نقص ماء النيل ووقف ماء الخليج وازدحم السقاؤون على نقل الماء الى الصهاريج والأسبلة ليلاً ونهاراً من الخليج وقد تغير ماؤه بما يصب فيه من الخرارات والمراحيض، ولم يترل بالأراضي التي بين بولاق والقاهرة قطرة ماء وزاد ضجيج الناس وارتفعت الغلات من السواحل والعرصات بالكلية فكانت الفقراء من الرجال والنساء يذهبون بغلقانهم الى السواحل ويرجعون بلا شيء وهم يبكون ويولولون.

وفي سادسه، وصل البرديسي ومن معه من العساكر الى بر الجيزة وخرج الأمراء وغيرهم وعدوا لملاقاتهم، فلما أصبح يوم السبت عدى محمد علي والعساكر الأرنؤدية الى بر مصر وكذلك البرديسي فخرجت إليهم الفقراء بمقاطفهم وغلقانهم وعيطوا في وجوههم فوعدهم بخير وأصبح البرديسي مجتهداً في ذلك وأرسل محمد علي وخازنداره ففتحوا الحواصل التي ببولاق ومصر العتيقة وأخرجوا منها الغلال الى السواحل واجتمع العالم الكثير من الرجال والنساء فأذنوا لكل شخص من الفقراء بويبه غله لا غير، فكان الذي يريد الشراء يذهب الى خازندار البرديسي ويأخذ منه ورقة بعد المشقة والمزاحمة ويذهب بها فيكيلون له ويدفع ثمنها لصاحب الغلة وما رتبوه عليها فحصل للناس اطمئنان واشترى الخبازون أيضاً وفتحوا الطوابين والخابز وخبزوا وباعوا فكثر الخبز والكعك بالأسواق وجعلوا سعر القمح ستة ريالات الأردب والفول خمسة ريالات، وكذلك الشعير إن وجد وكان السعر لا ضابط له منهم من كان يشتريه بثمانية وتسعة وسبعة خفية، ممن توجد عنده الغلة في مصر أو الأرياف، فعند ذلك سكن روع الناس واطمأنت نفوسهم وشبعت عيونهم ودعوا لعثمان بك البرديسي.

وفي هذا الشهر، تحقق الخبر بجلاء الوهابي عن جدة ومكة ورجوعه الى بلاده وذلك بعد أن حاصر جدة وحاربها تسعة أيام وقطع عنها الماء، ثم رحل عنها وعن مكة ورجع الشريف غالب الى مكة وصحبته شريف باشا ورجع كل شيء الى حاله الأول ورد المكوس والمظالم.

وفي يوم الأحد، وصل البرديسي الى بيته بالناصرية وهو بيت حسن كاشف جركس وبيت قاسم بك وقد فرشا له ونقلوا محمد باشا من بيت جركس الى دار صغيرة بجواره وعليه الحرس.

وفي يوم الإثنين، عملوا ديواناً عند ابراهيم بك فاجتمع فيه هو والبرديسي والألفي وتشاوروا في أمر جامكية العسكر فوزعوا على أنفسهم قدراً وكذلك على باقي الأمراء والكشاف والأجناد كل منهم على قدر حاله في الإيراد والمراعاة، فمنهم من وزع عليه عشرون كيساً ومنهم عشرة وخمسة وإثنان وواحد ونصف واحد وطلبوا من جمرك البهار قدراً كبيراً، فعملوا على كل فرقتين مائة ريال وفتحوا الحواصل وأخرجوا منها متاع الناس وباعوه بالبخس على ذلك الحساب وأصحابه ينظرون وأخذوا ابن الحضارمة والينبعاوية بحيث وقف الفرق البن بستة ريالات على صاحبه وأخذوا من ذلك الأصل ألف فرق بن

وأخرجت من الحواصل وحملت.
وفي يوم السبت رابع عشره، أنزلوا فردة أيضاً على أهل البلد ووزعوها على التجار وأرباب الحرف، كل طائفة قدراً من الأكياس خمسين فما دونها الى عشرة وخمسة وبث الأعوان للمطالبة فضج الناس وأغلقوا حوانيتهم وطلبوا التخفيف بالشفاعات والرشوات للوسائط والنصارى فخفف عن البعض وبعد منتصف الشهر انقلب الوضع المشروع في الغلة وانعكس الحال الى أمر شنيع وهو أنهم سعروها كل أردب بستة ريالات بظاهر الحال ولا يبيع صاحب الغلة غلته إلا بإذن من القيم بعدما يأخذ منه نصف الغلة أو الثلث أو الربع على حسب ضعفه وقوته من غير ثمن وإذا أراد ذو الجاه الشراء ذهب أولاً سراً وقدم المصلحة والهدية الى بيت القيم فعند ذلك يؤذن له في مطلوبه فيكيلون له الغلة ليلاً وصار يتأخر في حضوره الى الساحل الى قريب الظهر فيذهب الناس والفقراء فينتظرونه وإذا حضر ازدحموا عليه وتقدم أرباب المصانعات والوسايط فيؤذن لهم ويؤخذ منهم عن كل أردب ريال يأخذها القيم لنفسه زيادة عن الثمن وعن الكلفة وهي نحو الخمسين فضة خلاف الأجرة ويرجع الفقراء من غير شيء وأطلقوا للمحتسب أن يأخذ في كل يوم أربعمائة أردب منها مائتان للخبازين ومائتان توضع بالعرصات داخل البلد فكان يأخذ ذلك الى داره ولا يضعون بالعرصات شيئاً ويعطي للخبازين من المائتين خمسين أردباً أو ستين ويبيع الباقي بأغراضه بما أحب من الثمن ليلاً فضج الناس وشح الخبز من الأسواق وخاطب بعض الناس الأمراء الكبار في شأن ذلك، واستمر الحال على ذلك الى آخر الشهر والأمر في شدة وتسلط العسكر والمماليك على خطف ما يصادفونه من الغلة أو التبن أو السمن فلا يقدر من يشتري شيئاً من ذلك أن يمر به ولو قل حتى يكتري واحداً عسكرياً أو مملوكاً يحرسه حتى يوصله الى داره وإن حضرت مركب بها غلال وسمن وغنم من قبلي أو بحري أخذوها ونهبوا ما فيها جملة، فكان ذلك من أعظم أسباب القحط والبلاء.
وفي عشرينه، مات محمد بك الشرقاوي وهو الذي كان عوض سيده عثمان بك الشرقاوي.

شهر رجب الفرد سنة 1218

استهل بيوم الثلاثاء، فيه رفعوا خازندار البرديسي من الساحل وقلدوا محمد كاشف تابع سليمان بك الآغا أمين البحرين والساحل ورفق بالأمر واستقر سعر الغلة بألف ومائتين نصف فضة الأردب فتواجدت بالرقع والساحل وقل الخطف، وأما السمن فقل وجوده جداً حتى بيع الرطل بستة وثلاثين نصفاً فيكون القنطار بأربعين ريالاً، وأما التبن فصار يباع بالقدح إن وجد وسرب الناس بهائمهم من عدم العلف.
وفيه حضر واحد انكليزي وصحبته مملوك الألفي وبعض من الفرنسيس فعملوا لهم شنكاً ومدافع وأشيع حضور الألفي الى سكندرية، ثم تبين أن هذا الانكليزي أتى بمكاتبات، فلما مر على مالطة وجد ذلك المملوك، وكان قد تخلف عن سيده لمرض اعتراه فحضر صحبته الى مصر فأشيع في الناس أن الألفي حضر الى الاسكندرية وأن هذا خازنداره سبقه بالحضور الى غير ذلك.

وفيه حضر أيضاً بعض الفرنسيس بمكاتبة الى القنصل بمصر وفيها الطلب بباقي الفردة الى بذمة الوجاقلية فخاطب القنصل

الأمراء في ذلك فعملوا جمعية وحضر المشايخ وتكلموا في شأن ذلك، ثم قالوا إن الوجاقلية الذين كانت طرفهم تلك الفردة، مات بعضهم وهو يوسف باشجاويش ومصطفى كتخدا الرزاز، وهم عظماؤهم ومن بقي منهم لا يملك شيئاً، فلم يقبلوا هذا القول، ثم اتفق الأمر على تأخير هذه القضية الى حضور الباشا ويرى رأيه في ذلك. وحضر أيضاً صحبة أولئك الفرنسيس الخبر بموت يعقوب القبطي فطلب أخوه الاستيلاء على مخلفاته فدافعته زوجته وأرادت أخذ ذلك على مقتضى شريعة الفرنسيس، فقال أخوه إنها ليست زوجته حقيقة بل هي معشوقته، ولم يتزوج بها على ملة القبط، ولم يعمل لها الإكليل الذي هو عبارة عن عقد النكاح فأنكرت ذلك، فأرسل الفرنسيس يستخبرون من قبط مصر عن حقيقة ذلك، فكتبوا لهم جواباً بأنها لم تكن زوجته على مقتضى شرعهم وملتهم، ولم يعمل بينهم الإكليل فيكون الحق في تركته لأخيه لا لها.

وفيه ورد الخبر بوقوع حادثة بالاسكندرية بين عساكر العثمانية وأجناس الإفرنج المقيمين بها واختلفت الرواة في ذلك وبعد أيام، وصل من أخبر بحقيقة الواقعة وهي أن علي باشا رتب عنده طائفة من عسكره على طريقة الإفرنج فكان يخرج بهم في كل يوم الى جهة المنشية ويصطفون ويعملون مرش وأردبوش، ثم يعودون ذلك مع انحراف طبيعتهم عن الوضع في كل شيء فخرجوا في بعض الأيام، ثم عادوا فمروا بمساكن الإفرنج ووكالة القنصل، فأخرج الإفرنج رؤوسهم من الطيقان نساء ورجالاً ينظرون ركبهم ويتفرجون عليهم، كما جرت به العادة فضربوا عليهم من أسفل بالبنادق فضرب الإفرنج عليهم أيضاً، فلم يكن إلا أن هجموا عليهم دخلوا يحاربونهم في أماكنهم والإفرنج في قلة، فخرج القناصل الستة ومن تبعهم ونزلوا الى البحر وطلعوا غليون الريالة وكتبوا كتاباً بصورة الواقعة وأرسلوه الى اسلامبول والى بلادهم، وأما العسكر أتباع الباشا، فإنه لما خرج الإفرنج وتركوا أماكنهم دخلوا إليها ونهبوا متاعهم وما أمكنهم وأرسل الى القناصل خورشيد باشا فصالحهم وأخذ بخواطرهم واعتذر إليهم، وضمن لهم ما أخذ منهم فرجعوا بعد علاج كبير وجمع الباشا علماء البلدة وأعيانها. وطلب منهم كتابة عرض محضر على ما يمليه على غير صورة الحال فامتنعوا عن الكتابة إلا بصورة الواقع وكان المتصدر للرد الشيخ محمد المسيري المالكي فمقته ووبخه، ومن ذلك الوقت صار يتكلم في حقه ويزدريه إذا حضر مجلسه وسكنت على ذلك.

وفي يوم الجمعة رابعه، اجتمع المشايخ وذهبوا الى ابراهيم بك وكلموه بسبب ما أخذوه من حصة الالتزام بالحلوان أيام العثمانيين، ثم استولى على ذلك جماعتهم وأمروهم فطمنهم بالكلام اللين على عادته، وكلموه أيضاً على خبز الجراية المرتبة لفقراء الأزهر فأطلق لهم دراهم تعطى للخباز يعمل بها خبزاً.

وفي ثامنه كتبوا مراسلة على لسان المشايخ وأرسلوها الى علي باشا باسكندرية مضمونها طلبه لمنصبه والحضور الى مصر ليحصل الاطمئنان والسكون وتأمين الطرقات ويبطل أمر الاهتمام بالعساكر والتجاريد ولأجل الأخذ في تشهيل أمور الحج وإن تأخر عن الحضور ربما تعطل الحج في هذه السنة ويكون هو السبب في ذلك الى غير ذلك من الكلام.

وفي عاشره، سافر جعفر كاشف الابراهيمي رسولاً الى أحمد باشا الجزار بعكا لغرض باطني لم يظهر.

وفي هذه الأيام، كثرت الغلال بالساحل والعرصات ووصلت مراكب كثيرة، وكثر الخبز بالأسواق وشبعت عيون الناس، ونزل السعر الى ثمانية ريالات وسبعة وانكفوا عن الخطف إلا في التبن.

وفي منتصفه، فتحوا طلب مال الميري ومال الجهات ورفع المظالم عن سنة تاريخه وعين لطلبها من البلاد أمراء كبار ووجهت الغربية والمنوفية لعسكر الأرنؤد فزاد على ذلك حق الطرق للمعينين للطلب والاستعجالات وتكثير المغارم والمعينين وكلفهم

على من يتوانى في الدفع هذا، وطلب الفردة مستمر حتى على أعيان الملتزمين ومن تأخر عن الدفع ضبطوا حصته وأخذوها وأعطوها لمن يدفع ما عليها من مياسير المماليك فربما صالح صاحبها بعد ذلك عليها واستخلصها من واضع اليد إن أمكنه ذلك.

وفي أواخره نبهوا على تعمير الدور التي أخربها الفرنسيس فشرع الناس في ذلك وفردوا كلفها على الدور والحوانيت والرباع والوكائل وأحدثوا على الشوارع السالكة دروباً كثيرة، لم تكن قبل ذلك وزاد الحال وقلد أهل الأخطاط بعضهم، كما هو طبيعة أهل مصر في التقليد في كل شيء حتى عملوا في الخطة الواحدة دربين وثلاثة واهتموا لذلك اهتماماً عظيماً وظنوا ظنوناً بعيدة وأنشأوا بدنات وأكتافاً من أحجار منحوتة وبوابات عظيمة ولزم لبعضها هدم حوانيت اشتروها من أصحابها وفردوا أثمانها عن أهل الخطة.

وفي أواخره أيضاً نجزت عمارة عثمان بك البرديسي في الأبراج والبوابات التي أنشأها بالناصرية فإنه أنشأ بوابتين عظيمتين بالرحبة المستطيلة خارج بيته الذي هو بيت حسن كاشف جركس إحداهما عند قناطر السباع والأخرى عند المزار المعروف بكعب الأحبار وبنى حولهما أبراجاً عظيمة وبها طيقان وبداخلها مدافع أفواهها بارزة تضرب الى خارج ونقل إليها مدافع الباشا التي كانت بالأزبكية فسبحان مقلب الأحوال.

وفيه نزل ابراهيم بك والبرديسي وحسين بك اليهودي الى بولاق وأخذوا ما وجدوه بساحل الغلة وأرسلوه الى بحري فارتج الناس من ذلك وعزت الغلال وزاد سعرها بعد الانحلال.

شهر شعبان سنة 1218

أوله يوم الأربعاء، وفيه وصل كاتب ديوان علي باشا الذي يقال له ديوان أفندي وعلى يديه مكاتبة وهي صورة خط شريف وصل من الدولة مضمونه الرضا عن الأمراء المصرلية بشفاعة صاحب الدولة الصدر الأعظم يوسف باشا وشفاعة علي باشا والي مصر وأن يقيموا بأرض مصر ولكل أمير فائظ خمسة عشر كيساً لا غير وحلوان المحلول ثمان سنوات، وأن الأوسبة والمضاف والبراني يضم الى الميري وأن الكلام في الميري والأحكام والثغور الى الباشا والروزنامجي الذي يأتي صحبة الباشا والجمارك والمقاطعات على النظام الجديد للدفتردار الذي يحضر أيضاً، فلما قرئ ذلك بحضرة الجمع من الأمراء والمشايخ أظهروا البشر وضربوا مدافع، ثم اتفق الرأي على إرسال جواب ذلك الفرمان فكتبوا جواباً مضمونه مختصراً أنه وصل إلينا صورة الخط الشريف وحصل لنا بوروده السرور بالعفو والرضا وتمام السرور حضوركم لتنتظم الأحوال وأعظمها تشهيل الحج الشريف وأرسلوه ليلة الإثنين ثانية صحبة رضوان كتخدا ابراهيم بك ومحمود باشجاويش الانكشارية وصحبتهما من الفقهاء السيد محم ابن الدواخلي من طرف الشيخ الشرقاوي.

وفي هذه الأيام، كثر عيث العسكر وعربتهم في الناس فخطفوا عمائن وثياباً وقبضوا على بعض أفراد وأخذوا ثيابهم وما في جيوبهم من الدراهم.

وفيه وصل قاضي عسكر مصر، وكان معوقاً بالاسكندرية من جملة المحجوز عليهم.

وفي يوم الجمعة عاشره، وقف جماعة من العسكر في خط الجامع الأزهر في طلوع النهار وشلحوا عدة أناس وأخذوا ثيابهم وعمائمهم فانزعج الناس ووقعت فيهم كرشة وصلت الى بولاق ومصر العتيقة وأغلقوا الدكاكين واجتمع الناس وذهبوا الى الشيخ الشرقاوي والسيد عمر النقيب والشيخ الأمير فركبوا الى الأمراء وعملوا جمعية وأحضروا كبار العساكر وتكلموا معهم، ثم ركب الآغا والوالي وأمامه عدة كبيرة من عسكر الأرنؤد وخلافهم والمنادي ينادي بالأمن والأمان للرعية وإن وقع من العسكر والمماليك خطف شيء يضربوه وإن لم يقدروا عليه فليأخذوه الى حاكمه، ومثل هذا الكلام الفارغ وبعد مرور الحكام بالمناداة خطفوا عمائم ونساء.

وفي ليلة الأربعاء ثامنه، حضر الوالي الى قصر الشوك ونزل عند رجل من تجار خان الخليلي يسمى عثمان كجك فتعشى عنده، ثم قبض عليه وختم على بيته وأخذه صحبته وخنقه تلك الليلة ورماه في بئر فاستمر بها أياماً حتى انتفخ فأخرجوه وأخذته زوجته فدفنته وسببه أنه كان يجتمع بالعثمانيين ويغريهم بنساء الأمراء وأن بعضهم اشترى منه أواني نحاساً ولم يدفع له الثمن فطالب حريمه أيام محمد باشا، فلم تدفع له فعين عليها جماعة من عسكر محمد باشا ودخل بها الى دارها وطالبها فقالت ليس عندي شيء فطلع الى داخل الحريم وصحبته العسكر ودخل الى المطبخ وأخذ قدور الطعام من فوق الكوانين وقلب ما فيها من الطعام وأخذها وخرج.

وفي يوم الأحد ثاني عشره، نبه القاضي الجديد على أن نصف شعبان ليلة الثلاثاء وأخبر أن أتباعه شاهدوا الهلال ليلة الثلاثاء وهم عند البغاز على أن الهلال كان ليلة الأربعاء عسر الرؤية جداً فكان هذا أول أحكامه الفاسدة.

وفي يوم الأربعاء، أشيع أن الأمراء في صبحها قاصدون عمل ديوان ببيت ابراهيم بك ليلبسوا ستة من الكشاف ويقلدوهم صناجق عوضاً عمن هلك منهم وهم سليمان كاشف مملوك ابراهيم بك الوالي الذي تزوج عديلة بنت ابراهيم بك الكبير عوضاً عن سيده وعبد الرحمن كاشف مملوك ابراهيم عثمان بك المرادي الذي قتل بأبي قير الذي تزوج امرأج سيده أيضاً وعمر كاشف مملوك عثمان بك الأشقر الذي تزوج امرأة سيده أيضاً ومحمد كاشف مملوك المنفوخ ورستم كاشف مملوك عثمان بك الشرقاوي ومحمد كاشف مملوك سليمان بك الآغا وتزوج ابنته أيضاً، فلما وقع الاتفاق على ذلك تجمع الكشاف الكبار ومماليك مراد بك وآخرون من طبقتهم وخرجوا غضاباً نواحي الآثار، ثم اصطلحوا على تلبيس خمسة عشر صنجقاً.

فلما كان يوم الأحد تاسع عشره عملوا ديواناً بالقلعة وألبسوا فيه خمسة عشر صنجقاً .وهم أربعة من طرف ابراهيم بك الكبير وهم صهراه سليمان زوج عديلة هاشم ابنة الأمير ابراهيم بك الكبير عوضاً عن سيده واسمعيل كاشف مملوك رشوان بك الذي تزوج بزوجة سيدة زينب هانم ابنة الأمير ابراهيم بك أيضاً ومحمد كاشف الغربية وعمر تابع عثمان كاشف الأشقر الذي تزوج بامرأته وخليل آغا كتخدا ابراهيم بك ومن طرف البرديسي حسين آغا الوالي وسليمان خازندار مراد بك وشاهين كاشف مراد ومحمد تابع محمد بك المنفوخ المرادي ورستم تابع عثمان الشرقاوي وعبد الرحمن كاشف تابع عثمان الطنبرجي الذي تزوج بامرأته ومن طرف الألفي عثمان آغا الخازندار وحسين كاشف المعروف بالوشاش وصالح كاشف وعباس كاشف تابع سليمان بك الآغا ولبسوا حسن آغا مراد والياً عوضاً عن حسين المذكور،وفيه ورد بوصول طائفة من الانكليز الى القصير وهم يزيدون على الألفين.

وفي عشرينه، حضر مكتوب من رضوان كتخدا ابراهيم بك من اسكندرية يخبر فيه أنه وصل الى اسكندرية وقابل الباشا ووعد بالحضور الى مصر وأنه يأمر بتشهيل أدوات الحج ولوازمه وأطلق أربعة وأربعين نقيرة حضرت الى رشيد ببضائع للتجار.

وفيه حضر جعفر كاشف الابراهيمي من الديار الشامية وقد قابل أحمد باشا الجزار وأكرمه ورجع بجواب الرسالة وسافر ثانياً بعد أيام.

وفيه قلدوا سليمان بك الخازندار ولاية جرجا وخرج بعسكره الى مصر القديمة وجلس هناك بقصر المحرمجي فاتفق أن جماعة من عسكره الأتراك الذين انضموا إليهم من العثمانية تشاجروا مع العساكر البحرية جماعة حسين بك اليهودي بسبب امرأة رقاصة في قهوة فقتل من الأتراك ثلاثة ومن البحرية أربعة وانجرح منهم كذلك جماعة فحنق حسين بك وتترس بالمقياس وبالمراكب ووجه المدافع الى القصر وضرب بها عليه وكان سليمان بك غائباً عن القصر فدخلت جلة داخل القصر من الشباك بين جماعة من الأمراء كانوا جالسين هناك ينتظرون رب المكان ففزعوا وخرجوا من المجلس وبلغ سليمان بك الخبر فذهب الى البرديسي وأعلمه فأرسل البرديسي يطلب حسين بك فامتنع من الحضور والتجأ الى الألفي فأرسل البرديسي خبراً الى الألفي بعزل حسين بك عن قبطانية البحر وتولية خلافه، فلم يرض الألفي بعزله وقال لا يذهب ولا يعزل وترددت بينهم الرسل وكادت تكون فتنة، ثم انحط الأمر على أن حسين بك يطلع الى القلعة يقيم بها يومين أو ثلاثة تطبيباً لخاطر سليمان بك وإخماداً للفتنة فكان كذلك واستمر على ما هو عليه.

وفي يوم الأحد سادس عشرينه، ألبس ابراهيم بك عثمان كاشف تابع علي آغا كتخدا جاويشان واستقروا به كتخدا جاويشان عوضاً عن سيده وكان شاغراً من مدة حلول الفرنساوية.

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشرينه، ركب حسن بك أخو طاهر باشا في عدة وافرة وحضر الى بيت عثمان بك البرديسي بعد العصر على حين غفلة وكان عند الحريم فانزعج من ذلك ولم يكن عنده في تلك الساعة إلا أناس قليلة فأرسل الى مماليكه فلبسوا أسلحتهم وأرسلوا الى الأمراء والكشاف والأجناد بالحضور وتوانى في النزول حتى اجتمع الكثير منهم وصعد بعض الأمراء الى القلعة وحصل بعض قلقة، ثم نزل الى التنهة وأذن لأخي طاهر باشا بالدخول إليه في قلة من أتباعه وسأله عن سبب حضوره على هذه الصورة فقال نطلب العلوفة ووقع بينهما بعض كلام، وقام وركب، ولم يتمكن من غرضه وأرسل البرديسي الى محمد علي فحضر إليه وفاوضه في ذلك، ثم ركب من عنده بعد المغرب.

وفي تلك الليلة، نادوا بعمل الرؤية فاجتمع المشايخ عند القاضي وكلموه في ذلك فرجع عما كان عزم عليه ونادوا بها ليلة الخميس فعملت الرؤية تلك الليلة وركب المحتسب بموكبه على العادة الى بيت القاضي، فلم يثبت الهلال تلك الليلة ونودي بأنه من شعبان وأصبح الناس مفطرين، فلما كان في صبحها حضر بعض المغاربة وشهدوا برؤيته فنودي بالإمساك وقت الضحى وترقب الناس الهلال ليلة الجمعة، فلم يره إلا القليل من الناس بغاية العمر وهو في غاية الدقة والخفاء.

شهر رمضان المعظم سنة 1218

استهل بيوم الجمعة في ثانيه، قرروا فردة على البلاد برسم نفقة العسكر أعلى وأوسط وأدنى ستين ألفاً وعشرين ألفاً وعشرة مع ما الناس فيه من الشراقي والغلاء والكلف والتعايين وعيت العسكر وخصوصاً بالأرياف.

وفيه نزلت الكشاف الى الأقاليم وسافر سليمان بك الخازندار الى جرجا والياً على الصعيد وصالح بك الألفي الى الشرقية.

وفي ثامنه، وصل الى ساحل بولاق عدة مراكب بها بضائع رومية ويميش وهي التي كان أطلقها الباشا وفيها حجاج وقرمان.

وفيه حضر ساع من اسكندرية وعلى يده مكتوب من رضوان كتخدا ومن بصحبته يخبرون بأن الباشا كان وعدهم بالسفر يوم الإثنين وبرز خيامه وخازنداره الى خارج البلد فورد عليه مكاتبة من أمراء مصر يأمرونه بأن يحضر من طريق البر على دمنهور ولا يذهب الى رشيد فانحرف مزاجه م ذلك وأحضر الرسل الذين هم رضوان كتخدا ومن معه وأطلعهم على المكاتبة وقال لهم كيف تقولون إني حاكمكم وواليكم، ثم يرسلون يتحكمون على أني لا أذهب الى مصر على هذا الوجه فأرسلوا بخبر ذلك.

وفي يوم الأربعاء ثالث عشره، غيمت السماء غيماً مطبقاً وأمطرت مطراً متتابعاً من آخر ليلة الأربعاء الى سادس ساعة من ليلة الخميس وسقط بسببها عدة أماكن قديمة في عدة جهات وبعضها على سكانها وماتوا تحت الردم وزاد منها بحر النيل وتغير لونه حتى صار لونه أصفر مما سال فيه من جبل الطفل وبقي على ذلك التغير أياماً إلا أنه حصل بها النفع في الأراضي والمزارع.

وفي منتصفه، ورد الخبر بخروج الباشا من الاسكندرية وتوجهه الى الحضور الى مصر على طريق البر وشرعوا في عمل المراكب التي تسمى بالعقبة لخصوص ركوب الباشا وهي عبارة عن موكب كبير قشاشي يأخذونها من أربابها قهراً وينقشونها بأنواع الأصباغ والزينة والألوان ويركبون عليها مقعداً مصنوعاً من الخشب المصنع وله شبابيك وطيقان من الخرط وعليه بيارق ملونة وشراريب مزينة وهو مصفح بالنحاس الأصفر ومزين بأنواع الزينة والستائر والمتكفل بذلك أغات الرسالة فلما خرج الباشا من الاسكندرية أرسل محمود جاويش والسيد محمد الدواخلي الى يحيى بك يقولان له إن حضرة الباشا يريد الحضور الى رشيد في قلة وأما العساكر فلا يدخل أحد منهم الى البلد بل يتركهم خارجها، فلما وصلوا الى يحيى بك وأرادوا يقولون له ذلك وجدوه جالساً مع عمر بك كبير الأرنؤد الذي عنده وهم يقرؤون جواباً أرسله الباشا الى عمر بك المذكور يطلبه لمساعدته والخروج معه أمسكه بعض أتباع يحيى بك مع الساعي فلما سمعوا ذلك قالوا لبعضهم أي شيء هذا وتركوا ما معهم من الكلام وحضروا الى حصر صحبة رضوان كتخدا.

وفي يوم الجمعة سادس عشره، ضربوا مدافع كثيرة من القلعة وغيرها لورود الخبر بموت حسين قبطان باشا وتولية خلافه.

وفي عشرينه، أشيع سفر الألفي لملاقاة الباشا وصحبته أربعة من الصناجق وأبرز الخيام من الجيزة من جهة انبابة وأخذوا في تشهيل ذخيرة وبقسماط وجبخانة وغير ذلك.

وفي رابع عشرينه، عدى الألفي ومن معه الى البر الشرقي وأشيع تعدية الباشا الى بر المنوفية فلما عدوا الى البر الشرقي انتقلوا بعرضيهم وخيامهم الى جهة شبرا وشرعوا في عمل مخابز العيش في شلقان.

وفيه، حضر واحد بيان آغا يسمى صالح أفندي وعلى يده فرمان فأنزلوه ببيت رضوان كتخدا ابراهيم بك ولا يجتمع به أحد.

وفي غايته، وصل الباشا الى ناحية منوف وفردوا له فرداً على البلاد وأكلوا الزروعات وما أنبتته الأرض، وانقضى هذا الشهر

وما حصل به من عربدة الأرنؤد وخطفهم عمائم الناس وخصوصاً بالليل حتى كان الإنسان إذا مشى يربط عمامته خوفاً عليها وإذا تمكنوا من أحد شلحوا ثيابه وأخذوا ما معه من الدراهم ويترصدون لمن يذهب الى الأسواق مثل سوق انبابة في يوم السبت لشراء الجبن والزبد والأغنام والأبقار فيأخذون ما معهم من الدراهم ثم يذهبون الى السوق وينهبون ما يجلبه الفلاحون من ذلك للبيع فامتنع الفلاحون عن ذلك إلا في الناد خفية وقل وجوده وغلا السمن حتى وصل الى ثلثمائة وخمسين نصف فضة العشرة أرطال قباني وأما التبن فصار أعز من التبر وبيع قنطاره بألف نصف فضة إن وجد وعز وجود الحطب الرومي حتى بلغ سعر الحملة ثلثمائة فضة وكذا غلا سعر باقي الأحطاب وباقي الأمور المعدة للوقود مثل البقمة وجلة البهائم وحطب الذرة ووقفت الأرنؤد لخطف ذلك من الفلاحين فكانوا يأتون بذلك في آخر الليل وقت الغفلة ويبيعونه بأغلى الأثمان وعلم الأرنؤد ذلك فرصدوهم وخطفوهم ووقع منهم القتل في كثير من الناس حتى في بعضهم البعض وغالبهم لم يصم رمضان و لم يعرف لهم دين يتدينون به ولا مذهب ولا طريقة يمشون عليها إباحية أسهل ما عليهم قتل النفس وأخذ مال الغير وعدم الطاعة لكبيرهم وأميرهم وهم أخبث منهم فقطع الله دابر الجميع وأما ما فعله كشاف الأقاليم في القرى القبلية والبحرية من المظالم والمغارم وأنواع الفرد والتساويف فشيء لا تدركه الأفهام ولا تحيط به الأقلام وخصوصاً سليمان كاشف البواب بالمنوفية فنسأل الله العفو والعافية وحسن العاقبة في الدين والدنيا والآخرة.

استهل شهر شوال بيوم السبت 1218

وفي ثانيه سبع رجلاً تاجراً من وكالة التفاح ثلاثة من العسكر فهرب منهم الى حمام الطنبدي فدخلوا خلفه وقتلوه داخل الحمام وأخذوا ما في جيبه من الدراهم وغيرها وذهبوا وحضر أهله وأخذوه في تابوت ودفنوه و لم ينتطح فيه شاتان وقتل في ذلك اليوم أيضاً رجل عند حمام القيصرلي وغير ذلك.

وفيه، وصل الباشا الى ناحية شلقان وصحبته عساكر كثيرة انكشارية وغيرهم وأكثرهم من الذين خرجوا مطرودين من مصر وصحبته نحو ستين مركباً في البحر بها أثقاله ومتاعه وعساكر أيضاً.

وفيه، ركب الألفي والأمراء ما عدا ابراهيم بك والبرديسي فإنهما لم يخرجا من بيوتهما وذهبوا الى مخيمهم بشبرا وخرج أيضاً محمد علي وأحمد بك وأتباعهم وأبقوا عند بيوتهم طوائف منهم.

وفيه، وقعت مشاجرة بين الأرنؤدية جهة بيوت سواري العسكر بسبب امرأة قتل فيها نحو خمسة أنفار بالأزبكية.

وفي ثالثه أوقفوا على أبواب المدينة جماعة من العسكر بأسلحتهم فانزعج الناس وارتاعوا من ذلك وأغلقوا الدروب والبوابات ونقلوا أمتعتهم وبضائعهم من الدكاكين وأكثروا من اللغط وصار العسكر الواقفون بالأبواب يأخذون من الداخل والخارج دراهم ويفتشون جيوبهم ويقولون لهم معكم أوراق فيأخذون بحجة ذلك ما في جيوبهم.

وفي رابعه، غيروا العسكر بأجناد من الغز المصرلية فجلس على كل باب كاشف ومعه جماعة من العسكر فكان الكاشف الذي على باب الفتوح يأخذ ممن يمر به دراهم فإن بزي الفلاح بأن كان لابس جبة صوف أو زعبوط أخذ منه ما في جيبه أو عشرة أنصاف إن كان فقيراً وإن كان من أولاد البلد ومجمل الصورة أو لابس جوخة ولو قديمة طالبه بألف نصف فضة أو حبسه حتى يسعى عليه أهله ويدفعوها عنه ويطلقه وسدوا باب الوزير وباب المحروق وقفلوا باب البرقية المعروف بالغريب بعد أن

كانوا عزموا على سده بالبناء ثم تركوه بسبب خروج الأموات.

وفيه، نودي بوقود القناديل ليلاً على البيوت والوكائل وكل ثلاثة دكاكين قنديل وفي صبحها خامسه شق الوالي وسمر عدة حوانيت بسبب القناديل وشدد في ذلك.

وفيه، انتقل الألفي ومن معه من الأمراء الى ناحية شلقان ونصبوا خيامهم قبال عرضي الباشا فحضر إليه بعض أتباع الباشا وكلموه عن نزوله في ذلك المكان ونصب الخيام في داخل الخيام ودوسهم لهم فقال لهم هذه مترلتنا ومحطتنا فلم يسع الباشا وأتباعه إلا قلعهم الخيام والتأخر فهذه كانت أول حقارة فعلها المصرلية في العثمانية ونصب محمد علي وأحمد بك وعساكرهم جهة البحر ثم أن خدم الألفي أخذوا جمالاً ليحملوا عليها البرسيم فترلوا بها الى بعض الغيطان فحضر أميراخور الباشا بالجمال لأخذ البرسيم أيضاً فوجدوا جمال الألفي وأتباعه فنهروهم وطردوهم فرجعوا الى سيدهم وأخبروه فأمر بعض كشافه بالركوب إليهم فركب رامحاً الى الغيط وأحضر أميراخور الباشا وقطع رأسه قبالة صيوان الباشا ورجع الى سيده بالجمال ورأس أميراخور فذهب أتباع الباشا وأخبروه بقتل أميراخور وأخذ الجمال فحنق وأحضر رضوان كتخدا ابراهيم بك وتكلم معه ومن جملة كلامه أنا فعلت معكم ما فعلت وصالحت عليكم الدولة و لم تزل تضحك على ذقني وأنا أطاوعك وأصدق تمويهاتك الى أن سرت الى ههنا فأخذتم تفعلون معي هذه الفعال وتقتلون أتباعي وترذلوني وتأخذون حملتي وجمالي فلاطفه رضوان كتخدا في الجواب واعتذر إليه وقال له هؤلاء صغار العقول ولا يتدبرون في الأمور وحضرة أفندي شأنه العفو والمسامحة ثم خرج من بين يديه وأرسل الى أتباع الألفي فأحضر منهم الجمال وردها الى وطاق الباشا وحضر إليه عثمان بك يوسف المعروف بالخازندار وأحمد آغا شويكار فقابلاه وأخذا بخاطره و لم يخرج إليه أحد من الأمراء سواهما.

وفي خامسه، نادوا بخروج العساكر الأرنؤدية الى العرضي، وكل من بقي منهم و لم يكن معه ورقة من كبيره فدمه هدر، وصار الوالي بعد ذلك كلما صادف شخصاً عسكرياً من غير ورقة قبض عليه وغيبه، واستمر يفتش عليهم ويتجسس على أماكنهم ليلاً ونهاراً ويقبض على من يجده متخلفاً، والقصد من ذلك تمييز الأرنؤدية من غيرهم المتداخلين فيهم، وكذلك من مر على المتقيدين بأبواب المدينة وذلك باتفاق بين المصرلية والأرنؤدية لأجل تميزه من بعضهم وخروج غيرهم.

وفيه، أطلعوا السيد على القبطان أخا علي باشا الى القلعة،وفي سادسه، خرج البرديسي الى جهة شلقان و لم يخرج ابراهيم بك و لم ينتقل من بيته فنصب خيامه على موازاة خيام الألفي وباقي الأمراء كذلك الى الجبل والأرنؤدية جهة البحر، وقد كان الباشا أرسل الى محمد علي وكبار الأرنؤدية وغيرهم من قبائل العربان ومشايخ البلاد المشهورين مكاتبات قبل خروجه من الاسكندرية يستميلهم إليه ويعدهم ويمنيهم إن قاموا بنصرته ويحذرهم ويخوفهم إن استمروا على الخلاف وموافقة العصاة المتغلبين، فنقل الأرنؤدية ذلك الى المصرلية وأطلعوهم على المكاتبات سراً فيما بينهم، واتفقوا على رد جواب المراسلة من الأرنؤدية بالموافقة على القيام معه إذا حضر الى مصر، وخرج الأمراء لملاقاته والسلام عليه فيكون هو وعساكره من أمامهم والأرنؤدية المصرية من خلفهم، فيأخذونهم مواسطة فيستأصلونهم والموعد بشلفان. وسهلوا له أمر الأمراء المصرلية وأنهم في قلة لا يبلغون ألفا ولول بلغوا ذلك، فمن المنضمين إليهم من خلاف قبيلتهم وهم أيضاً معنا في الباطن، ودبروا له تدبيراً

ومناصحات تروج على الأباليس، منها أن يختار من عسكره قدر كذا من الموصوفين بالشجاعة والمعرفة بالسباحة والقتال في البحر ويجعلهم في السفن قبالته في البحر، وأن يعدوا بالعساكر البرية الى البر الشرقي من مكان كذا، ويجعل الخيالة والرجالة معه على صفة ذكروها له، ولما وصل الى الرحمانية أرسل لهالأرنؤد مكاتبة سراً بأن يعدي الى البر الشرقي وبينوا له صواب ذلك. وهو يعتقد نصحهم، فعدى الى البر الشرقي، فلما حضر الى شلقان رتب عساكره وجعلهم طوابير وجعل كل بينباشا في طابور، وعملوا متاريس ونصبوا المدافع وأوقفوا المراكب بما فيها من العساكر والمدافع بالبحر على موازاة العرضي، فخرج الألفي، كما ذكر بمن معه من الأمراء المصرلية والعساكر الأرنؤدية وأرسل الى الباشا بالانتقال والتأخر، فلم يجد بداً من ذلك فتأخر الى زفيتة، ونزل ونصب هناك وطاقه ومتاريسه، وفي وقت تلك الحركة تسلل حسين بك الإفرنج ومن معه من العساكر بالغلايين والمراكب واستعلوا على مراكب الباشا واحتاطوا بها، وضربوا عليهم بالبنادق والمدافع وساقوهم الى جهة مصر، وأخذوهم أسرى وذهبوا بهم الى الجيزة، بعدما قتلوا من كان فيهم من العساكر المحاربين وكبيرهم يسمى مصطفى باشا أخذوه أسيراً أيضاً، وكان بالمراكب أناس كثيرة من التجار وصحبتهم بضائع وأسباب رومية كان الباشا عوقهم بسكندرية، فترلوا في المراكب ليصلوا ببضائعهم وطمعاً في عدم دفعهم الجمرك، فوقعوا أيضاً في الشرك وارتكبوا فيمن ارتبك، ولما تأخر الباشا عن مترلته واستقر بأراضي زفيتة، أحاطت به المصريون والعربان وتحلقوا حوله ووقفوا لعرضيه بالرصد، فكل من خرج عن الدائرة خطفوه ومن الحياة أعدموه، وأرسل إليه الألفي علي كاشف الكبير، فقال له حضرة ولدكم الألفي يسلم عليكم ويسأل عن هذه العساكر المصحوبين بركابكم، وما الموجب لكثرتها، وهذه هيئة النابذين لا مسالمين، والعادة القديمة أن الولاة لا يأتون إلا بأتباعهم وخدمهم المختصين بخدمتهم، وقد ذكروا لكم ذلك وأنتم بسكندرية، فقال: نعم وإنما هذه العساكر متوجهة الى الحجاز تقوية لشريف باشا على الخارجي، وعندما نستقر بالقلعة نعطيهم جماكيهم ونشلهم ونرسلهم، فقال: إنهم أعدوا لكم قصر العيني تقيمون به فإن القلعة خربها الفرنسيس وغيروا أوضاعها فلا تصلح لسكناكم كما لا يخفاكم ذلك، وأما العسكر فلا يدخلون معكم بل ينفصلون عنكم ويذهبون الى بركة الحاج فيمكثون هناك حتى نشهل لهم احتياجاتهم ونرسلهم، ولسنا نقول ذلك خوفاً منهم وإنما البلدة في قحط وغلاء والعساكر العثمانية منحرفوا الطباع ولا يستقيم حالهم مع الأرنؤدية، ويقع بينهم ما يوجب الفشل والتعب لنا ولكم.

وفي ليلة الجمعة رابع عشره، حصل خسوف للقمر جزئي بعد رابع ساعة من الليل ومقدار المنخسف أربع أصابع وثلث وانجلى في سابع ساعة إلا شيئاً يسيراً.

وفي ذلك اليوم، أرسل البرديسي الى شيخ السادات تذكرة صحبة واحد كاشف من أتباعه يطلب عشرين ألف ريال سلفة، فلاطفه ورده بلطف، فرجع الى مخدومه وأبقى ببيت الشيخ جماعة من العسكر فوبخه على الرجوع من غير قضاء حاجة، وأمره بالعود ثانياً، فعاد إليه في خامس ساعة من الليل وصحبته جماعة أخرى من العسكر، فأزعجوا أهل البيت، وأرسلت عديلة هانم ابنة ابراهيم بك الى المعينين، تأمرهم أن لا يعملوا قلة أدب، وأرسلت الى أبيها لأن مترلها بجواره، فاهتم لذلك وأرسل خليل بك الى البرديسي فكفه عن ذلك بعد علاج وسعي ورفع المعينين.

وفي ليلة الخميس عشرينه، وصلت أخبار ومكاتبات من الأمراء الذين ذهبوا بصحبة الباشا يخبرون فيها بموت الباشا بالقرين،

فضربوا مدافع كثيرة بعد العشاء ونصف الليل، ومضمون ما ذكروه في المراسلة أن الباشا أراد أن يكسبهم بمن معه ليلاً وكان معهم سائس يعرف بالتركي فحضر إليهم وأخبرهم فتحذروا منهم، فلما كبسوهم وقعت بينهم محاربة وقتل منهم عدة من المماليك وخازندار محمد بك المنفوخ، وانجرح المنفوخ أيضاً جرحاً بليغاً، وأصيب الباشا وصاحبه من غير قصد والليل ليس له صاحب، فقضى عليه وكان ذلك مقدوراً، وفي الكتاب مسطوراً، وأنكم ترسلوا لنا أماناً بالحضور الى مصر ولا ذهبنا الى الصعيد، هذا ما قالوه والواقع أنهم لما سافروا معه كان بصحبته خمسة وأربعون نفساً لا غير، والعساكر التي كانت سافرت قبله نجعت الى الصالحية أو ذهبت حيث شاء الله، وكان أمامه عسكر المغاربة وخلفه الأمراء المصرلية، فلما وصلوا الى أراضي القرين ونزلوا هناك عمل المغاربة مع الخدم مشاجرة وجسموها الى أن تضاربوا بالسلاح فقامت الأجناد المصرلية من خلفهم، فصار الباشا ومن معه في الوسط والتحموا عليهم بالقتال ففر من أتباعه أربعة عشر نفساً الى الوادي وثلاثة عشر رموا بأنفسهم في ساقية قريبة منهم من حلاة الروح، وضرب الباشا بعض المماليك منهم بقرابينة فأصابته وقتل معه ابن أخته حسن بك وكتخداه وباقي الثمانية عشر.

فلما سقط الباشا وبه رمق، رأى أحد الأميرين فقال له: في عرضك يا فلان إن معي كفناً داخل الخرج فكفني فيه وادفني ولا تتركني مرمياً، فلما انقضى ذلك أعطى ذلك الأمير لبعض العرب دنانير وأعطاه الكفن الذي أوصاه عليه وقال له: اذهب الى مقتلهم وخذ الباشا فكفنه وادفنه في تربة، ففعل كما أمره وحفروا لباقيهم حفراً وواراهم فيها، وانقضى أمرهم، هذا أخبار بعض تلك البلاد المشاهدين للواقعة، وكل ذلك وبال فعله وسوء سريرته وخبث ضميره فلقد بلغنا أنه قال لعسكره: إن بلغت مرادي من الأمراء المصريين وظفرت بهم وبالأرنؤد أبحت لكم المدينة والرعي ثلاثة أيام تفعلون بها ما شئتم، والدليل على ذلك ما فعله بالاسكندرية مدة إقامته بها من الجور والظلم ومصادرات الناس في أموالهم وبضائعهم وتسلط عساكره عليهم بالجور والخطف والفسق وترذيله لأهل العلم وإهانته لهم، حتى أنه كان يسمى الشيخ محمد المسيري الذي هو أجل مذكور في الثغر بالمزور، وإذا دخل عليه مع أمثاله وكان جالساً اتكأ ومد رجليه قصداً لإهانتهم.

خبر علي باشا المترجم المذكور

كان أصله من الجزائر مملوك محمد باشا حاكم الجزائر، فلما مات محمد باشا وتولى مكانه صهره أرسله بمراسلة الى حسين قبطان باشا، وكان أخوه المعروف بالسيد علي مملوكاً للدولة ومذكوراً عند قبطان باشا ومتولي الريالة، فنوه بذكره، فقلده قبطان باشا ولاية طرابلس وأعطاه فرمانات ويرق، فذهب إليها وجيش له جيوشاً ومراكب، وأغار على متوليها وهو أخو حمودة باشا صاحب تونس وحاربه عدة شهور حتى ملكها بمخامرة أهلها، لعلمهم أنه متوليها من طرف الدولة، وهرب أخو حمودة باشا عند أخيه بتونس، فلما استولى علي باشا المذكور على طرابلس أباحها لعسكره ففعلوا بها أشنع وأقبح من التمرلكنية من النهب وهتك النساء والفسق والفجور وسبه حريم متوليها وأخذهن أسرى وفضحهن بين عسكره، ثم طالبهم بالأموال، وأخذ أموال التجار وفرد على أهل البلد وأخذ أموالهم، ثم أن المنفصل حشد وجمع جموعاً ورجع الى طرابلس وحاصره أشد المحاصرة، وقام معه المغرضون له من أهل البلدة والمقروصون من علي باشا، فلما رأى الغلبة على نفسه نزل الى

المراكب بما جمعه من الأموال والذخائر وأخذ معه غلامين جميلين من أولاد الأعيان شبه الرهائن وهرب الى اسكندرية، وحضر الى مصر، والتجأ الى مراد بك فأكرمه وأنزله مترلاً حسناً عنده بالجيزة وصار خصيصاً به، وسبب مجيئه الى مصر و لم يرجع الى القبطان علمه أنه صار ممقوتاً في الدولة، لأن من قواعد الدولة العثمانيين أهم، إذا أمروا أميراً في الولاية و لم يفلح، مقتوه وسلبوه وربما قتلوه وخصوصاً إذا كان ذا مال، ثم حج المترجم في سنة سبع ومائتين وألف من القلزم، وأودع ذخائره عند رشوان كاشف المعروف بكاشف الفيوم لقرابة بينهما من بلادهما، ولما كان بالحجاز، ووصل الحجاج الطرابلسية ورأوه وصحبته الغلامان، ذهبوا الى أمير الحاج الشامي وعرفوه عنه وعن الغلامين وأنه يفعل بهما الفاحشة، فأرسل معهم جماعة من أتباعه في حصة مهملة، وكبسوا عليه على حين غفلة، فوجدوه راقداً ومعه أحد الغلامين فسبه الطرابلسية ولعنوه وقطعوا لحيته وضربوه بالسلاح وجرحوه جرحاً بالغاً وأهانوه وأخذوا منه الغلامين وكادوا يقتلونه لولا جماعة من جماعة أمير الحاج، ثم رجع الى مصر من البحر أيضاً ، وأقام في مترلته عند مراد بك زيادة عن ست سنوات الى أن حضر الفرنسيس الى الديار المصرية، فقاتل مع الأمراء وتغرب معهم في قبلي وغيره، ثم انفصل معهم وذهب الى خلف الجبل وسار الى الشام فأرسله الوزير يوسف باشا بعد الكسرة بمكاتبات الى الدولة، فلم يزل حتى وقعت هذه الحوادث وقامت العسكر على محمد باشا وأخرجوه، ووصل الخبر الى اسلامبول فطلب ولاية مصر على على ظن بقاء حبل الدولة العثمانية وأوامرها بمصر، وليس بها إلا طاهر باشا والأرنؤد، وجعل على نفسه قدراً عظيماً من المال ووصل الى الاسكندرية وبلغه انعكاس الأمر وموت طاهر باشا وطرد الينكجرية وانضمام طائفة الأرنؤد للمصرلية وتمكنهم من البلدة، فأراد أن يدبر أمراً ويصطاد العقاب بالغراب فيجوز بذلك سلطنة مجددة ومنقبة مؤبدة، فلم تنفعه التدابير و لم تسعفه المقادير فكان كالباحث على حتفه بظلفه الجادع بيده مارن أنفه، و لم يعلم أنها القاهرة كما قهرت جبابرة وكادت فراعنة.

إذا لم يكن عون من الله للفتى ... فأول ما يجني عليه اجتهاده

وكان صفته أبيض اللون عظيم اللحية والشوارب أشقرهما قليل الكلام بالعربي يحب اللهو والخلاعة.

ولما انقضى أمره، وأرسل سليمان بك ومحمد بك مكاتبات الى شاهين بك ونظرائه بما ذكروا أن يأخذوا لهم أماناً من ابراهيم بك البرديسي، فكتبوا لهم أماناً بعد امتناع منهما وإظهار التغير والغضب والتأسف على التفريط منهما في قتله.

وفي يوم الخميس المذكور عملوا ديواناً وأحضروا صالح آغا قابجي باشا الذي حضر أولاً. ونزل ببيت رضوان كتخدا ابراهيم بك، وقرأوا الفرمان الذي معه وهو يتضمن ولاية علي باشا والأوامر المعتادة لا غير، وليس فيها ما كان ذكره علي باشا من الجمارك والالتزام وغيره.

وتكلم الشيخ الأمير في ذلك المجلس، وذكر بعض كلمات ونصائح في اتباع العدل وترك الظلم، وما يترتب عليه من الدمار والخراب، وشكا الأمراء المتآمرون من أفعال بعضهم البعض وتعدى الكشاف النازلين في الأقاليم وجورهم على البلاد، وأنه لا يتحصل لهم من التزامهم وحصصهم ما يقوم بنفقاتهم، فاتفق الحال على إرسال مكاتبات للكشاف بالحضور والكف عن البلاد.

وأما مصطفى باشا فإنهم أنزلوه في مركب مع أتباع الباشا الذين كانوا بقصر العيني وسفروهم الى حيث شاء الله.

وفيه وصل الألفي من سرحته الى مصر القديمة، فأقام في قصره الذي عمره هناك وهو قصر البارودي يومين، ثم عدى الى الجيزة ودخل أتباعه بالمنهوبات من الجمال والأبقار والأغنام. ومعهم الجمال محملة بالقمح الأخضر والفول والشعير لعدم البرسيم، فإنهم رعوا ما وجدوه في حال ذهابهم وفي رجوعهم لم يجدوا خلاف الغلة فرعوها وحملوا باقيها على الجمال ولو شاء ربك ما فعلوه.

وفي ثاني عشرينه، وقعت معركة بين الأرنؤدية وعسكر التكرور بالقرب من الناصرية بسبب حمل برسيم، وضربوا على بعضهم بنادق رصاص، وقتل بينهم أنفار، واستمروا على مضاربة بعضهم البعض نحو سبعة أيام وهم يترصدون لبعضهم في الطرقات.

وفي خامس عشرينه، عملوا ديواناً وقرأوا فرماناً وصل من الدولة مع الططر خطاباً لعلي باشا والأمراء، بتشهيل أربعة آلاف عسكري وسفرهم الى الحجاز لمحاربة الوهابيين، وإرسال ثلاثين ألف أردب غلال الى الحرمين، وأنهم وجهوا أربع باشات من جهة بغداد بعساكر. وكذلك أحمد باشا الجزار أرسلوا له فرماناً بالاستعداد والتوجه لذلك، فإن ذلك من أعظم ما تتوجه إليه الهمم الإسلامية وأمثال ذلك من الكلام والترفق، وفيه بعض القول بالحسب والمروءة بتنجيز المطلوب من الغلال، وإن لم تكن متيسرة عندكم تبذلوا الهمة في تحصيلها من النواحي والجهات بأثمانها على طرف الميري بالسعر الواقع.

وفيه تقيد لضبط مخلفات علي باشا صالح أفندي ورضوان كتخدا ونائب القاضي وباشكاتب.

وفيه حضر الأمراء الذين توجهوا بصحبة الباشا الى الشرقية، وفي هذا اليوم حضر عثمان كاشف البواب الذي كان بالمنوفية، وترك خيامه وأثقاله وأعوانه على ما هم عليه، وحضر في قلة من أتباعه.

وفيه نقلوا عسكر التكرور من ناحية قناطر السباع الى جهة أخرى، وأخرجوا سكاناً كثيرة من دورهم جهة الناصرية، وأزعجوهم من مواطنهم وأسكنوا بها عساكر وطبجية.

وفيه أنزلوا السيد علي القبطان من القلعة الى بيت علي بك أيوب، كما كان وهذا السيد علي. هو أخو علي باشا المقتول، كما ذكر، وأصله مملوك وليس شريف، كما يتبادر الى الفهم من لفظ سيد، أنها وصف خاص للشريف، بل هي منقولة من لغة المغاربة، فإنهم يعبرون عن الأمير بالسيد بمعنى المالك وصاحب السيادة.

وفي سادس عشرينه، أنزلوا محمل الحاج من القلعة مطوياً من غير هيئة، وأشيع في الناس دورانه الى بيت ابراهيم بك صحبة أحد الكشاف وطائفة من المماليك، واتفق الرأي على سفره من طريق بحر القلزم صحبة محمود جاويش مستحفظان، ومعه الكسوة والصرة، وكان حضر الكثير من حجاج الجهة القبلية بجمالهم ودوابهم ومتاعهم، فلما تحققوا عدم السفر حكم المعتاد. باعوا جمالهم ودوابهم بالرميلة بأبخس الأثمان لعدم العلف، بعدما كلفوها بطول السنة، وما قاسوه أيضاً في الأيام التي أقاموها بمصر في الانتظار والتوهم.

شهر ذي القعدة سنة 1218

استهل بيوم الإثنين، فيه أنزلوا حسين قبطان ومن معه من عسكر الأرنؤد من القلعة، وكانوا نحو الأربعمائة، فذهبوا الى بولاق، وسكنوا بها بعدما أخرجوا السكان من دورهم بالقهر عنهم. و لم يبق بالقلعة من أجناسهم سوى الطبجية المتقيدين بخدمة المصرلية.

وفيه ألبس ابراهيم بك كتخداه رضوان خلعة، وأشيع أنه قلده دفتردارية مصر، وذهب الى البرديسي، فخلع عليه أيضاً، وكذلك الألفي وذلك إكراماً له وتنويهاً بذكره جزاء فعله ومجيئه بالباشا وتحيله عليه.

وفي ليلة الجمعة خامسه، وصلت مكاتبات من يحيى بك البرديسي حاكم رشيد، يخبر فيها بوصول محمد بك الألفي الكبير الى ثغر رشيد يوم الأربعاء ثالثه، وقد طلع على أبي قير وحضر الى ادكو، ثم الى رشيد في يوم الأربعاء المذكور، وقصده الإقامة برشيد ستة أيام. فلما وصلت تلك الأخبار عملوا شنكاً، وضربوا مدافع كثيرة بعد الغروب وكذلك بعد العشاء وفي طلوع النهار، من جميع الجهات من الجيزة ومصر القديمة وبيت البرديسي والقلعة. وأظهروا البشر والفرح، وشرعوا في تشهيل الهدايا والتقادم، وأضمروا في نفوسهم السوء له ولجماعته المتآمرين حسداً لرئاسته عليهم وخمولهم بحضوره، فهاجت حفائظهم وكتموا حقدهم وتناجوا فيما بينهم وبيتوا أمرهم مع كبار العسكر، وأرسل البرديسي كتاباً الى مملوكه يحيى بك نابعه حاكم رشيد، يأمره فيه بقتل الألفي هناك، وركب هو الى المنيل وعدى شاهين بك ومحمد بك المنفوخ واسمعيل بك صهر ابراهيم بك وعمر بك الإبراهيمي الى بر الجيزة ليلة الأحد، ونصبوا خيامهم ليستعدوا الى السفر من آخر الليل صحبة الألفي الصغير، وعدى أيضاً قبلهم حسين بك الوشاش الألفي ونصب خيامه بحري منهم، فلما كان في خامس ساعة من الليل أرسلوا الى حسين بك يطلبونه إليه فحضر مع مماليكه، وقد رتبوا جماعة منهم تأتي بخيول ومشاعل من جهة القصر، فقالوا له: أين الخيول فإننا راكبون في هذا الوقت للملاقاة. وها هو أوك الألفي قد ركب وهو مقبل، فنظر فرأى المشاعل والخيول، فلم يشك في صحة ذلك، ولم يخطر بباله خيانتهم له، فأمر مماليكه أن يذهبوا الى خيولهم ويركبوا ويأتوه بفرسه. فأسرعوا الى ذلك وبقي هو وحده ينتظر فرهسه، فعاجلوه وغدروه وقتلوه بينهم، وأرسلوا الى ابرديسي بالخبر وكان محمد علي وأحمد بك والأرنؤدية عدوا قبلي الجيزة ليلاً، وكمنوا بمكان ينتظرون الإشارة ويتحققون وقوع الدم بينهم، فلما علموا ذلك حضروا الى القصر وأحاطوا به، وكان طبجي الألفي مخامراً أيضاً، فعطل فوالي المدافع، واستمروا في ترتيب الأمراء على القصر الى آخر الليل، فحضر الى األفي من أيقظه وأعلمه بقتل حسين بك وإحاطتهم بالقصر. فأراد الاستعداد للحرب وطلب الطبجي فلم يجده، وأعلموه بما فعل بالمدافع، فأمر بالتحميل وركب في جماعته الحاضرين، وخرج من الباب الغربي وسار مقبلاً، فركب خلفه الأمراء المذكورون وساروا مقدار ملقتين حتى تعبت خيولهم، ولم يكن معهم خيول كثيرة لأنهم لم يكونوا يظنون خروجه من القصر، واشتغل أكثر أتباعهم بالنهب، لأنه عندما ركب الألفي وخرج من القصر، دخله العسكر والأجناد ونهبوا ما فيه من الأثقال والأمتعة والفرش وغيرها. وكان كاتبه المعلم غالي ساكناً بالجيزة، وكذلك كثير من أتباعه ومقدميه، فذهبوا الى دورهم فنهبوها وأخذوا ما عند كاتبه المذكور من الأموال، ثم نهبوا دور الجيزة عن آخرها، ولم يتركوا بها جليلاً ولا حقيراً حتى عروا ثياب النساء وفعلوا بها مثل ما فعلوا بدمياط، وأصبح الناس بالمدينة يوم الأحد لايعلمون شيئاً من ذلك إلا أنهم سمعوا الصراخ ببيت حسين بك جهة التبانة، وقيل إنه قتل ببر الجيزة، فصار الناس في تعجب وحيرة، واختلفت رواياتهم ولم يفتحوا دكاكينهم ونقلوا أسبابهم منها، وظلوا غالب اليوم لم يعلموا سر قتل حسين بك إلا من صراخ أهل بيته، وكل ذلك وقع وابراهيم بك جالس في بيته، ويسأل ممن يدخل إليه عن الخبر، وأحضر محمود جاويش المعين للسفر بالمحمل، وصير في الصرة والكتبة، واشتغل معهم ذلك اليوم في عدد مال اصرة وحسابها ولوازم ذلك، وبعد العصر أشيع المرور بالمحمل، فاجتمع الناس للفرجة

فمروا به من الجمالية الى قراميدان قبل الغروب، وأصبح يوم الإثنين ثامنه ركب ابراهيم بك وأمراؤه الى قراميدان وسلم المحمل، واجتمع الناس للفرجة على العادة فمروا به من الشارع الأعظم الى العادلية، وأمامه الكسوة في أناس قليلة وطبل وأشاير، وعينوا للذهاب معه أربعمائة مغربي من الحجاج، رتبوا لهم جامكية ثلاثين نفراً من عسكر الأرنؤد، هذا ما كان من هؤلاء، وأما ما كان من أمر الألفي الكبير، فإنه لما حضر الى رشيد يوم الأربعاء ثالثه كما تقدم، قابله يحيى بك وعمل له شنكاً وطعاماً وما يليق به وسأله عن مدة إقامته برشيد، فقال له أريد الإقامة ستة أيام حتى نستريح، ونزل ببيت مصطفى عبد الله التاجر، ولم يكن معه إلا خاصة

مماليكه وجوخداره تتمة ستة عشر، فاستأذنه يحيى بك في إرسال الخبر الى مصر ليأتي الأمراء الى ملاقاته، فلم يرض بذلك، ثم أنه لم يقم برشيد إلا ليلة واحدة، وأنزل أمتعته في أربع مراكب من الرواحل، وانتقل آخر الليل الى بيت البطروشي القنصل، وأمر بتنقيل المتاع الى مراكب النيل، وأهدى له البطروشي غراباً من صناعة الانكليز مليح الشكل نزل هو به وسار الى مصر، وكان قصده الحضور بغتة فعندما يصلهم الخبر يصبحون يجدونه في الجيزة، ولما وصل الخبر بحضوره وعملوا الشنك، جهز له الألفي الصغير بحض الاحتياجات وأرسلها في الذهبية والقنجة صحبة الخواجا محمود حسن وخلافه. فنزلوا من بولاق وانحدروا بعد الظهر من يوم السبت، فاجتمعوا به عند نادر نصف الليل، فلما أصبح الصباح حضر إليه سليمان كاشف البواب، وقابله ورجع معه الى منوف العلا، فأقام هناك يوم الأحد وبات هناك، ودخل الحمام وسار منها بعد طلوع النهار وهم يسحبون المراكب باللبان لمخالفة الريح، فلم يزل سائراً الى الظهيرة، فلاقاه عدة من عسكر الأرنؤد الموجهة إليه في أربعة مراكب في مضيق الترعة، فسلم عليهم فردوا عليه السلام فسألهم بعض أتباعه بالتركي وقال لهم: أين تريدون فقال نريد الألفي، فقال لهم ها هو الألفي فسكتوا، ثم تلاغى الملاحون مع بعضهم فأعلموهم الخبر فنقلوه الى الألفي فكذب ذلك وقال: هذا شيء لا يكون ولا يصح، إن إخواننا يفعلون ذلك معي وأنا سافرت وتغربت سنة لأجل راحتنا، ولعلها حادثة بينهم وبين العسكر، ثم أن طائفة منهم أدركت الغراب الذي قدمهله البطروشي، وكان متأخراً عن المراكب فصعدوا إليه وأخذوا ما فيه من المتاع، فأخبروه بذلك ونظر فرآهم يفعلون ذلك. فأرسل إليهم بعض من معه من الأتراك ليستخبر عن شأنهم وأمرهم، ولم ينتظر رجوعه بالجواب، ولكنه أخذ بالجزم، ونزل في الحال الى القنجة مع المماليك وصحبته الخواجا محمود حسن، وأمرهم أن يمسكوا المقاذيف ففعلوا ذلك، وهو يستحثهم حتى خرجوا من الترعة الى البحر، فلاقاهم طائفة أخرى في سفينتين وفيهم سراج باشا تابع البرديسي، وكان بعيداً عنهم فأعماهم الله عنه وكأنهم لم يظنوه إياه، ولم يزل يجد في السير حتى وصل الى شبرا الشهابية. فنظر الى رجل ساع وأعلمه أنه مرسل من بيت سليمان كاشف البواب بخبر الواقع، فعند ذلك تحقق الخبر، وطلع الى البر وأمر بتغريق القنجة، ومشى مع المماليك على أقدامهم وتخلف عنه الخواجا محمود حسن بشبرا، فلم يزالوا يجدون السير حتى وصلوا الى ناحية قرنفيل. ودخل الى نجع عرب الحويطات والتجأ الى امرأة منهم فأجارته ولبت دعوته وركبته فرساً وأصحبت معه شخصين هجانين، وركب معهما وصار الى قرب الخانكة ليلاً والمماليك معه مشاة، فقابلهم جماعة من عرب بلي وكبيرهم يقال له سعد ابراهيم فاحتاطوا به، فاشتغل المماليك بحربهم فتركهم وسار مع الهجانة الى ناحية الجبل ومضى، فسمع الأجناد القريبون منهم وفيهم البرديسي صوت البنادق بين العرب والمماليك، فأسرعوا إليهم وسألوهم عن سيدهم، فقالوا إنه كان معنا وفارقنا الساعة، فأمر البرديسي من معه من المماليك والأجناد أن يسرعوا خلفه ويتفرقوا في الطرق وكل

من أدركه فليقتله في الحال، فذهبوا خلفه فلم يعثر به أحد منهم، وخرم عليه سعد ابراهيم بجماعة قليلة من طريق يعرفها، فرمى لهم ما معه من الذهب والجوهر والكرك الذي على ظهره فاشتغلوا به، وتركهم وسار وغاب أمره.

وفي حال جلوسه عند العرب مر عليهم طائفة من الأجناد سائرين، لأنهم لما فعلوا فعلتهم في الجيزة لم يبق لهم شغل إلا هو، وأخذوا في الاحتياط عليه ما أمكن، فأرسلوا عسكراً في المراكب وانبثت طوائفهم في الجهات البحرية شرقاً وغرباً، فذهبت طائفة منهم الى الشرقية وطائفة الى القليوبية وكذلك المنوفية والغربية والبحيرة، وسلكوا طريق الجبل الموصلة الى قبلي، وذهب حسين بك ورستم بك الى صالح بك الألفي الذي بالشرقية، وذهب شاهين بك الى سليمان كاشف البواب من البر الغربي ليقطع عليه الطريق، وذهب علي بك أيوب ومحمد علي على جهة القليوبية ليلحقه بمنوف، فلما وصل الى دجوة تعوق بسبب قلة المعادي، فلما وصل الى منوف فوجدوه، عدى الى الجهة الأخرى فأخذوا متروكاته التي تركها وهي بعض خيول وجمال وخمسين زلعة سمن مسلي، وعملوا على أهل البلد أربعة آلاف ريال قبضوها منهم ورجعوا، وكان عندما بلغه الخبر الإجمالي لم يكذب المخبر وذلك بعد مفارقة الألفي له بنحو ثلاث ساعات، فعدى في الحال الى الجهة الغربية بأثقاله وعساكره، فوجد أمامه شاهين بك فأرسل يطلب منه أماناً، فأجابه الى ذلك وأرسل الى مصر من يأتي بالأمان واطمأن شاهين ليلاً، فلما أصبح شاهين بك وجده قد ارتحل فرجع بخفي حنين، وعدى الى القليوبية فبلغه خبر الألفي وما وقع له مع العرب، فطلبهم فأخبروه أنه غاب عنهم في الجبل من الطريق الفلاني. فقبل عليهم وأحضرهم صحبته مشنوقين في عمائمهم، ووجد المماليك فقبض عليهم وأرسلهم الى البرديسي.

وأما مراكبه فإنه عندما نزل الى القنجة وفارقها، أردكها العسكر الذين قابلوه في المراكب. ونهبوا ما فيها وكان بها شيء كثير من الأموال وظرائف الانكليز والأمتعة والجوخ والأسلحة والجواهر، فإنه لما وصل الى اقرالي أكرمه إكراماً كثيراً وأهدى إليه تحفاً غريبة، وكذلك أكابرهم، وأعطاه جملة كبيرة من المال على سبيل الأمانة يرسل له بها غلالاً وأشياء من مصر، واشترى هو لنفسه أشياء بأربعة آلاف كيس يدفعها الى القنصل بمصر، وأرسل له بها القرالي بوليصة، وأهدى له صورة نفسه من جوهر ونظارات وآلات وغير ذلك، وأما الألفي الصغير فإنه ذهب الى جهة قبلي، وفرد الفرد والكلف على ابلاد ومن عصي عليه أو توانى في دفع المطلوب، نهبهم وحرقهم، وأما صالح بك الألفي فإنه لما وصل إليه الخبر وقدوم الموجهين إليه، ركب في الحال من زنكلون، وترك حملته وأثقاله، فلم يدركوه أيضاً.

وفي يوم الثلاثاء، أحضروا مماليك الألفي الكبير وجوخداره الى بيت البرديسي، وأرسل ابراهيم بك والبرديسي مكاتبات الى الأمراء بقبلي، وهم سليمان بك الخازندار حاكم جرجا. وعثمان بك حسن بقنا، ومحمد بك المعروف بالغربية الابراهيمي، يوصونهم ويحذرونهم من التفريط في الألفي الصغير والكبير إن وردا عليهما، وأما شاهين بك فإنه عدى الى الشرقية واجتهد في التفتيش، ثم رجع يوم الثلاثاء المذكور وأمامه العرب المتهمون بأنهم يعرفون طريقه وأنهم أدركوه، فأعطاهم جوهراً كثيراً وتركوه، وأحضروا صحبتهم حقاً من خشب وجدوه مرمياً في بعض الطرق، فأحضر البرديسي مماليك الألفي وأراهم ذلك الحق، فقالوا نعم كان مع أستاذنا وفي داخله جوهر ثمين، وأرسلوا عدة من المماليك والهجانة الى الطريق التي ذكرها العرب، وأحضر البرديسي ابن شديد وسأله، فأخبره أنه لم يكن حاضراً في نجعه وأن أمه أو خالته هي التي أعطته الفرس والهجانة، فوبخه

ولامه، فقال له: هذه عادة العرب من قديم الزمان، يجيرون طنيبهم ولا يخفرون ذمتهم، فحبسه أياماً ثم أطلقه، وقيل إنه مر عليه علي بك أيوم ومحمد علي ومن معهم من العسكر وهو في خيش العرب وهو يراهم، وأعماهم الله عن تفتيش النجع وعن السؤال أيضاً.

وفي ذلك اليوم، خرج عثمان بك يوسف وحسين بك الوالي وأحمد آغا شويكار الى جهة الشرقية، ومرزوق بك الى اقليوبية، يفتشون على الألفي.

وفيه شرعوا في تشهيل تجريدة الى الألفي الصغير وأميرها شاهين بك وصحبته محمد بك المنفوخ وعمر بك وابراهيم كاشف.

وفي يوم الجمعة ثاني عشره، سافرت قافلة الحجاج بالمحمل الى السويس.

وفي يوم السبت، حضر علي بك أيوب ومحمد علي من سرحتهما على غير طائل.

وفيه سافر قنصل الانكيز من مصر بسبب هذه الحادثة، فإنه لما وقع ذلك اجتمع بابراهيم بك والبرديسي، وتكلم معهما ولامهما على هذه الفعلة، وكلمهما كلاماً كثيراً، منه أنه قال لهما: هذا الذي فعلتماه لأجل نهب مال القرالي، ومطلوب مني أربعة آلاف كيس وهي البوليصة الموجهة الى الألفي، وغير ذلك، فلاطفاه وأرادا منعه من السفر فقال: لا يمكن أني أقيم ببلدة هذا شأنها. وطريقتنا لا نقيم إلا في البلدة المستقيمة الحال، ثم نزل مغضباً وسافر وأراد أيضاً قنصل الفرنسيس السفر فمنعاه.

وفي يوم السبت، طلب العسكر جماكيهم من الأمراء وشددوا في الطلب، واستقلوا الأمراء في أعينهم وتكلموا مع محمد علي وأحمد بك وصادق آغا كلاماً كثيراً، فسعوا في الكلام مع الأمراء المصرلية فوعدوهم الى يوم الثلاثاء، ومات بقطر المحاسب كاتب البرديسي يوم الأحد، فلما كان يوم الثلاثاء اجتمع العسكر ببيت محمد علي وحصل بعض قلقة، فحولهم على القبط بمائتي ألف ريال منها خمسون على غالي كاتب الألفي، وثلاثون على تركة بقطر المحاسب، والمائة والعشرون موزعة عليهم، فسكن الاضطراب قليلاً.

وفي يوم الثلاثاء المذكور رجع مرزوق بك من القليوبية.

وفي يوم الأربعاء سابع عشره، توفي ابراهيم أفندي الروزنامجي، وفيه حصل رجات وقلقات بسبب العسكر وجماكيهم، وأرادوا أخذ القلعة، فلم يتمكنوا من ذلك، وقفل الناس دكاكينهم .وقتلوا رجلاً نصرانياً عند حارة الروم، وخطفوا بعض النساء وأمتعة وغير ذلك، وركب محمد علي ونادى بالأمان.

وفي يوم السبت عشرينه، حضر سليمان كاشف البواب بالأمان ودخل الى مصر.

وفي يوم الأحد أفرجوا عن كشاف الألفي المحبوسين.

وفيه حضر عثمان بك يوسف من ناحية الشرقية، واستمر هناك حسين بك الوالي ورستم بك، وذهب المنفوخ واسمعيل بك الى ناحية شرق اطفيح لأنه أشيع أن الألفي ذهب عند عرب المعازة، فقبضوا على جماعة منهم وحبسوهم، وأرسلوا مائة هجان الى جميع النواحي وأعطوهم دراهم يفتشون على الألفي.

وفيه شرعوا في عمل فردة على أهل البلد، وتصدى لذلك المحروقي، وشرعوا في كتب قوائم لذلك، وزعوها على العقار والأملاك أجرة سنة يقوم بدفع نصفها المتستأجر والنصف الثاني يدفعه صاحب الملك.

وفي يوم الأربعاء رابع عشرينه، شرح كتاب الفردة والمهندسون ومع كل جماعة شخص من الأجناد، وطافوا بالأخطاط يكتبون قوائم الأملاك ويصقعون الأجر، فترل بالناس ما لا يوصف من الكدر مع ما هم فيه من الغلاء، ووقف الحال وذلك خلاف ما قرروه على قرى الأرياف، فلما كان في عصر ذلك اليوم، نطق أفواه الناس بقولهم الفردة بطالة، وباتوا على ذلك وهم ما بين مصدق ومكذب.

وفي يوم الخميس خامس عشرينه، أشيع إبطال الفردة مع سعي الكتبة والمهندسين في التصقيع والكتابة، وذهبوا الى نواحي باب الشعرية ودخلوا درب مصطفى، فضج الفقراء والعامة والنساء وخرجوا طوائف يصرخون وبأيديهم دفوف يضربون عليها ويندبن وينعين ويقلن كلاماً على الأمراء مثل قولهن: ايش تأخذ من تفليسي يا برديسي، وصبغن أيديهن بالنيلة وغير ذلك، فاقتدى بهن خلافهن وخرجوا أيضاً ومعهم طبول وبيارق وأغلقوا الدكاكين، وحضر الجمع الكثير الى الجامع الأزهر وذهبوا الى المشايخ فركبوا معهم الى األمراء، ورجعوا ينادون بأبطالهم، وسر الناس بذلك وسكن اضطرابهم، وفي وقت قيام العامة، كان كثير من العسكر منتشرين في الأسواق فداخلهم الخوف وصاروا يقولون لهم: نحن معكم سوا سوا أنتم رعية ونحن عسكر، و لم نرض بهذه الفردة وعلوفاتنا على الميري ليست عليكم، أنتم أناس فقراء، فلم يتعرض لهم أحد، وحضر كتخدا محمد علي مرسلاً من جهته الى الجامع الأزهر وقال مثل ذلك ونادى به في الأسواق، ففرح الناس وانحرفت طباعهم عن الأمراء ومالوا الى العسكر. وكانت هذه الفعلة من جملة الدسائس الشيطانية، فإن محمد علي لما حرش العساكر على محمد باشا، خسروا وأزال دولته وأوقع به ما تقدم ذكره بمعونة طاهر باشا والأرنؤد، ثم بالأتراك عليه حتى أوقع به أيضاً، وظهر أمر أحمد باشا وعرف أنه إن تم له الأمر ونما أمر الأتراك لا يبقون عليه، فعاجله وأزاله بمعونة الأمراء المصرلية، واستقر معهم حتى أوقع باشتراكهم قتل الدفتردار والكتخدا، ثم محاربة محمد باشا بدمياط حتى أخذوه أسيراً، ثم التحيل على علي باشا الطرابلسي حتى أوقعوه في فخهم وقتلوه ونهبوه، كل ذلك وهو يظهر المصافاة والمصادقة للمصريين وخصوصاً البرديسي، فإنه تآخى معه وجرح كل منهما نفسه ولحس من دم الآخر. واغتر به البرديسي وراج سوقه عليه وصدق وتعضد به واصطفاه دون خشداشينه وتحصن بعساكره وأقامهم حوله في الأبراج، وفعل بمعونتهم ما فعله بالألفي وأتباعه، وشردهم وقص جناحه بيده وشتت البواقي وفرقهم بالنواحي في طلبهم، فعند ذلك استقلوهم في أعينهم وزالت هيبتهم من قلوبهم وعملوا خيانتهم وسفهوا رأيهم واستضعفوا جانبهم وشمخوا عليهم وفتحوا باب الشر بطلب العلوفة مع الأحجام، خوفاً من قيام أهل البلد معهم ولعلمهم بميلهم الباطني إليهم، فاضطروهم الى عمل ذهه الفردة، ونسب فعلها للبرديسي فثارت العامة وحصل ما حصل، وعند ذلك تبرأ محمد علي والعسكر من ذلك، وساعدوهم في رفعها عنهم، فمالت قلوبهم إليهم ونسوا قبائحهم وابتهلوا الى الله في إزالة الأمراء وكرهوهم وجهروا بالدعاء عليهم، وتحقق العسكر منهم ذلك وانحرف الأمراء على الرعية باطناً، بل أظهر البرديسي الغيظ والانحراف من أهل مصر، وخرج من بيته مغضباً الى جهة مصر القديمة وهو يلعن أهل مصر ويقول لابد من تقريرها عليهم ثلاث سنوات، وأفعل بهم وأفعل حيث لم يمتثلوا لأوامرنا، ثم أخذوا يدبرون على العسكر، وأرسلوا الى جماعتهم المتفرقين في الجهات القبلية والبحرية يطلبونهم للحضور، فأرسلوا الى حسين بك الوالي ورستم بك من الشرقية، واسمعيل بك صهر ابراهيم بك ومحمد بك المنفوخ ليأتينا من شرق اطفيح، والفريقان كانوا لرصد الألفي وانتظاره، وأرسلوا الى سليما بك حاكم الصعيد

بالحضور من أسيوط بمن حوله من الكشاف والأمراء، والى يحيى بك حاكم رشيد وأحمد بك حاكم دمياط، وأصعدوا محمد باشا المحبوس الى القلعة، وعلم الأرنؤدية منهم ذلك، فبادروا واجتمعوا بالأزبكية في يوم الأحد ثامن عشرينه، فارتاع الناس وأغلقوا الحوانيت والدروب، وذهب جمع من العسكر الى ابراهيم بك واحتاطوا بمهمات بيته بالداودية، وكذلك ببيت البرديسي بالناصرية، وتفرقوا على بيوت باقي الأمراء والكشاف والأجناد، وكان ذلك وقت العصر والبرديسي عنده عدة كبيرة من العسكر المختصين به ينفق عليهم ويدر عليهم الأرزاق والجماكي والعلوفات، ومنهم الطبجية وغيرهم. وعمر قلعة الفرنسيس التي فوق تل العقارب بالناصرية، وجددها بعد تخريبها ووسعها، وأنشأ بها أماكن وشحنها بآلات الحرب والذخيرة والجبخانة، وقيد بها طبجية وعساكر من الأرنؤدية وذلك خلاف المتقيدين بالأبراج والبوابات التي أنشأها قبالة بيته بالناصرية، جهة قناطر السباع والجهة الأخرى كما سبق ذكر ذلك، فلما علم بوصول العساكر حول
دائرته، وكان جالساً صحبة عثمان بك يوسف، فقال وقال له: كن أنت في مكاني هنا حتى أخرج وأرتب الأمر وأرجع إليك وتركه وركب الى خارج، فضربوا عليه الرصاص، فخرج على وجهه بخاصته وهجنه ولوازمه الخفيفة، وذهب الى ناحية مصر القديمة وذلك في وقت الغروب، وكان العسكر نقبوا نقباً من الجنينة التي خلف داره ودخلوا منه وحصلوا بالدار فوجدوه قد خرج بمن معه من المماليك والأجناد، فقاتلوا من وجدوه، وأوقعوا النهب في الدار وانضم إليهم أجناسهم المتقيدون بالدار وقبضوا على عثمان بك يوسف ومماليكه، وشلحوهم ثيابهم وسحبوهم بينهم عرايا مكشوفي الرؤوس، وتسلمهم طائفة منهم على تلك الصورة، وذهبوا بهم الى جهة الصليبة فأودعوهم بدار هناك.

وفي سابع ساعة من الليل، أرسل محمد علي جماعة من العسكر ومعهم فرمان، وصل من أحمد باشا خورشيد حاكم الاسكندرية بولايته على مصر، فذهبوا به الى القاضي وأطلعوه عليه وأمروه أن يجمع المشايخ في الصباح ويقرأه عليهم ليحيط علم الناس بذلك، فلما أصبح أرسل إليهم، فقالوا لا تصح الجمعية في مثل هذا اليوم مع قيام الفتنة، فأرسله إليهم واطلعوا عليه. وأشيع ذلك بين الناس، وأما ابراهيم بك فإنه استمر مقيماً ببيته بالداودية، وأمر مماليكه وأتباعه أن يجلسوا برؤوس الطرق الموصلة إليه، فجلس منهم جماعة وفيهم عمر بك تابعه بسبيل الدهشة المقابل لباب زويلة، وكذلك ناحية تحت الربع والقربية، وجهة سويقة لاجين والداودية. وصار العسكر يضربون عليهم وهم كذلك، ودخل عليهم الليل فلم يزالوا على ذلك الى اصباح. واضمحل حالهم وقتل الكثير من المماليك والأجناد، ووصل إليهم خبر خروج البرديسي، فعند ذلك طلبوا الفرار والنجاة بأرواحهم، وعلم ابراهيم بك بخروج البرديسي، وأنه إن استمر على حاله أخذ فركب في جماعة في ثاني ساعة من النهار وخرجوا على وجوههم والرصاص يأخذهم من كل ناحية، فلم يزل سائراً حتى خرج الى الرميلة وهدم في طريقه أربعة متاريس. وأصيب بعض مماليك وخيول وخدامين، وأصيب رضوان كتخداه وطلعت روحه عند الرميلة. فأنزلوه عند باب العزب وأخذوا ما معه من جيوبه ثم شالوه الى داره ودفنوه، وقبضوا على عمر بك تابع الأشقر الابراهيمي من سبيل الدهيشة هو ومماليكه، وأما الذين بالقلعة من الأمراء فإنهم أصبحوا يضربون بالمدافع والقنابر على بيوت الأرنؤد بالأزبكية الى الضحوة الكبرى، فلما تحققوا خروج ابراهيم بك والبرديسي ومن أمكنه الهروب، لم يسعهم إلا أنهم أبطلوا الرمي، وتهيؤوا للفرار ونزلوا من باب الجبل ولحقوا بابراهيم بك، فقام عليهم عسكر المغاربة ومنعوهم من أخذهم، ونهب المغاربة الضربخانة وما فيها من

الذهب والفضة والسبائك حتى العدد والمطارق، وتسلم العسكر القلعة من غير مانع، و لم تثبت المصرلية للحرب نصف يوم في القلعة، و لم ينفع اهتمامهم بها طول السنة من التعمير والاستعداد، وما شحنوه بها من الذخيرة والجبخانة وآلات الحرب وملأوا ما بها من الصهاريج بالماء الحلوة وقام أحمد بك الكلارجي وعبد الرحمن بك الابراهيمي وسليم آغا مستحفظان من وقت مجيئهم الى مصر، متقيدين ومرتبطيهن بها ليلاً ونهاراً، لا يترلون الى بيوتهم إلا ليلة في الجمعة بالنوبة، إذا نزل أحدهم أقام الآخران، وطلع محمد علي إليها ونزل وبجانبه محمد باشا خسرو ورفقاؤه وأمامهم المنادي ينادي بالأمان حكم ما رسم محمد باشا ومحمد علي، وأشيع في الناس رجوع محمد باشا الى ولاية مصر، فبادر المحروقي الى المشايخ، فركبوا الى بيت محمد علي يهنون الباشا بالسلامة والولاية، وقدم له المحروقي هدية وأقام على ذلك بقية يوم الإثنين ويوم الثلاثاء، فكان مدة حبسه ثمانية أشهر كاملة، فإنه حضر الى مصر بعد كسرته بدمياط في آخر ربيع الأول وهو آخر يوم منه وأطلق في آخر يوم من ذي القعدة، وخرج الأمراء على أسوأ حال من مصر، و لم يأخذوا شيئاً مما جمعوه وكتروه من المال وغيره إلا ما كان في جيوبهم أو كان منهم خارج البلد مثل سليم كاشف أبي دياب، فإنه كان مقيماً بقصر العيني، أو الغائبين منهم جهة قبلي وبحري، وأما من كان داخل البلد فإنه لم يخلص له سوى ما كان في جيبه فقط، ونهب العسكر أموالهم وبيوتهم وذخائرهم وأمتعتهم وفرشهم، وسبوا حريمهم وسراريهم وجواريهم وسحبوهن بينهم من شعورهن، وتسلطوا على بعض بيوت الأعيان من الناس المجاورين لهم ومن لهم بهم أدنى نسبة أو شبهة، بل وبعض الرعية إلا من تداركه الله برحمته أو التجأ الى بعض منهم أو صالح على بيته بدراهم يدفعها لمن التجأ إليه منهم، ووقع في تلك الليلة واليومين بعدها ما لا يوصف من تلك الأمور، وخربوا أكثر البيوت وأخذوا أخشابها ونهبوا ما كان بحواصلهم من الغلال والسمن والأدهان، وكان شيئاً كثيراً، وصاروا يبيعونه على من يشتريه من الناس ولولا اشتغالهم بذلك لما نجا من الأمراء المصرلية الذين كانوا بالبلدة أحد، ولو رجع الأمراء عليهم وهم مشتغلون بالنهب، لتمكنوا منهم ولكن غلب عليهم الخوف والحرص على الحياة والجبن، وخابت فيهم الظنون، وذهبت نفختهم في الفارغ وجازاهم الله ببغيهم وظلمهم وغرورهم

وخصوصاً ما فعلوه مع علي باشا من الحيل، حتى وقع في أيديهم، ثم رذلوه وأهانوه وقتلوا عسكره ونهبوا أمواله، ثم طردوه وقتلوه فإنه وإن كان خبيثاً لم يعمل معهم ما يستحق ذلك كله، وأعظم منه ما فعلوه مع أخيهم الألفي الكبير بعدما سافر لحاجتهم وراحتهم وصالح عليهم ورتب لهم ما فيه راحتهم وراحة الدولة معهم بواسطة الانكليز وغاب في البحر المحيط سنة، وقاسى هول الأسفار والفراتين في البحر فجاوزه بالتشريد والتشتيت والنهب وقتل أتباعه وحبسهم وبصلهم، واتخذوهم أعداء وأخصاماً من غير جرم ولا سابقة عداوة معهم إلا الحسد والحقد وحذراً من رئاسته عليهم، وكانت هذه الفعلة سبباً لنفور قلوب العسكر منهم واعتقادهم خيانتهم وقلتهم في أعينهم، فإن الألفي وأتباعه وكانوا يرون في أنفسهم أن الشخص منهم يدوس برجله الجماعة من في غفلتهم ومشتغلون بما هم فيه من مغارم الفلاحين وطلب الكلف، فلما أرسلوا لهم بالحضور لم يسهل بهم ترك ذلك و لم يستعجلوا الحركة حتى يستوفوا مطلوباتهم من القرى، الى أن حصل ونزل بهم ما نزل و لم يقع لهم منذ ظهورهم أشنع من هذه الحادثة، وخصوصاً كونها على يد هؤلاء وكانوا يرون في أنفسهم أن الشخص منهم يدرس برجله الجماعة من العسكر، وأحسنوا ظنهم فيهم واعتقدوا أنهم صاروا أتباعهم وجندهم مع أنهم كانوا قادرين على إزالتهم من الإقليم، وخصوصاً عندما خرجوا من المدينة لملاقاة علي باشا، وأخرجوا جميع العسكر وحازوهم الى جهة البحر. وحصنوا

أبواب البلد بمن يثقون به من أجنادهم، ورسموا لهم رسوماً امتثلوها، فلو أرسلوا لهم بعد إيقاعهم بعلي باشا أقل أتباعهم وأمروهم بالرحلة، لما وسعتهم المخالفة، حتى ظن كثير ممن له أدنى فطنة حصول ذلك، فكان الأمر بخلاف ذلك ودخلوا بعد ذلك وهم بصحبتهم ضاحكين من غفلة القوم ومستبشرين برجوعهم، ودخولهم الى المدينة ثانياً، وعند ذلك تحقق لذوي الفطن سوء رأيهم وعدم فلاحهم، وزادوا في الطنبور نغمة بما صنعوه مع الألفي، وكان العسكر يهابون جانبه ويخافون أتباعه ويخشونهم وخصوصاً لما سمعوه بوصوله على الهيئة المجهولة لهم، داخلهم من ذلك أمر عظيم، استمر في أخلاطهم يوماً وليلة الى أن أجلاه البرديسي ومن معه بشؤم رأيهم وفساد تدبيرهم، وفرقوا جمعهم في النواحي حرصاً على قتل الألفي وأتباعه، فعند ذلك زالت هيبتم من قلوب العسكر وأوقعوا بهم ما أوقعوه ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله.

شهر ذي الحجة الحرام استهل بيوم الثلاثاء سنة 1218

فيه تقلدوا علي آغا الشعراوي والياً على مصر.

وفيه نهبوا بيت محمد آغا المحتسب وقبضوا عليه وحبسوه.

وفي ليلة الأربعاء، أنزلوا محمد باشا خسرو وابراهيم باشا الى بولاق، وسفروهما الى بحري ومعهما جماعة من العسكر، وكانت ولايته هذه الولاية الكذابة شبيهة بولاية أحمد باشا، الذي تولى بعد قتل طاهر باشا يوماً ونصفاً، وكان قد اعتقد في نفسه رجوعه لولاية مصر، حتى أنه لما نزل من القلعة الى بيت محمد علي، نظر الى بيته من الشباك مهدوماً منخرباً فطلب في ذلك الوقت المهندسين وأمرهم بالبناء وذلك من وساوسه، يقال إن السبب في سفره إخوة طاهر باشا، فإنهم داخلهم غيظ شديد،ورأى محمد علي نفرتهم وانقباضهم من ذلك وعلم أنه لا يستقيم حاله معهم وربما تولد بذلك شر، فعجل بسفره وذهابه.

ومن الاتفاقات العجيبة أيضاً أن طاهر باشا لما غدر بمحمد باشا أقام بعده اثنين وعشرين يوماً، وكذلك لما غدر المصرلية بالألفي لم يقيموا بعد ذلك إلا مثل ذلك.

وفيه صعد عابدي بك أخو طاهر باشا بالقلعة، وأقام بها.

وفي ليلة الخميس ثالثه، أطلقوا عثمان بك يوسف وسافر الى جماعته جهة قبلي، يقال إنه افتدى نفسه منهم بمال، وأطلقوه ومعه خمسة مماليك، وأعطوه خمسة جمال وأربعة هجن وخيلاً.

وفيه أفرجوا عن محمد آغا المحتسب، وأبقوه في الحسبة على مصلحة عملوها عليه وقام بدفعها، وركب وشق في المدينة وعمل تسعيرة ونادى بها في الشوارع والأسواق، وأما الأمراء فإنهم باتوا أول ليلة جهة البساتين وفي ثاني يوم ذهبوا الى حلوان وحضر إليهم حسين بك الوالي ورستم بك من الشرقية، ومروا من تحت القلعة وانفصلوا من العسكر الذين كانوا معهم في المطرية، وتركوا لهم الحملة، ووصل إليهم أيضاً يحيى بك من ناحية رشيد وأحمد بك من دمياط، وذهبوا إليهم ووصل يحيى بك من ناحية الجيزة وأحضر معه عرباناً كثيرة من الهنادي وبني علي وغيرهم، ونزلوا بإقليم الجيزة، ونهبوا البلاد وأكلوا المزروعات واستمروا على ذلك وانتشروا الى أن صارت أوائلهم بزاوية المصلوب وأواخرهم بالجيزة.

وفيه كتبوا مكاتبات من نساء الأمراء المصرلية بأهم لا يتعرضون لأحد من العساكر الكائنة بقبلي، وإن قتل منهم أحد اقتصوا من حريمهم وأولادهم بمصر.

وفي يوم الجمعة حضر محمد بك المبدول بأمان، ودخل الى مصر.

وفي يوم الأحد سادسه أصعدوا عمر بك وبقية الكشاف وبعض الأجناد المصرية الى القلعة.

وفي عدى كثير من العسكر الى بر الجيزة، ووقع بينهم وبين العرب بعض مناوشات، وقتل أناس كثيرة من الفريقين.

وفي سابعه، ظهر محمد بك الألفي الكبير من اختفائه وكان متواريه بشرقية بلبيس برأس الوادي عند شخص من العربان يسمى عشيبة، فأقام عنده مدة هذه الأيام وخلص إليه صالح تابعه بما معه من المال، وكان البرديسي استدل على مكانه وأحضر أناساً من العرب وجعل لهم مالاً كثيراً عليه، وأخذوا في التحيل عليه فحصلت هذه الحوادث وجوزي البرديسي بنيته وخرج من مصر كما ذكر، وكانوا في تلك المدة يشيعون عليه إشاعات، مرة بموته ومرة بالقبض عليه وغير ذلك، فلما حصل ما حصل وانجلت الطرق من المراصدين اطمأن حينئذ. وركب في عدة من الهجانة وصحبته صالح بك تابعه ومروا من خلف الجبل وذهب الى شرق اطفيح، ونزل عند عرب المعازة، وتواتر الخبر بذلك.

وفي تاسعه وصل أحمد باشا خورشيد الى منوف، فتقيد السيد أحمد المحروقي وجرجس الجوهري بتصليح بيت ابراهيم بك بالداودية وفرشه.

وفي ليلة الإثنين رابع عشره، وصل الباشا الى ثغر بولاق، فضربوا شنكاً ومدافع وخرج العساكر في صبحها والوجاقلية وركب ودخل من باب النصر وأمامه كبار العساكر بزينتهم. ولم يلبس الشعار القديم بل ركب بالتخفيفة وعليه قبوط مجرور وخلفه النوبة التركية، ودخل الى الدار التي أعدت له بالداودية، وقدموا له التقادم وعملوا بها تلك الليلة شنكاً وسواريخ.

وفي يوم الثلاثاء خامس عشره، مر الوالي وأمامه المنادي وبيده فرمان من الباشا ينادي به على الرعية بالأمن والأمان والبيع والشراء.

وفي منتصفه، حضر عبد الرحمن بك الابراهيمي وكان في بشبيش بناحية بحري، فطلب أماناً وحضر الى مصر.

وفي يوم الجمعة، تحول الباشا من الداودية الى الأزبكية وسكن ببيت البكري حيث كان حريم محمد باشا، فركب قبل الظهر في موكب وذهب الى المشهد الحسيني وصلى الجمعة هناك. ورجع الى الأزبكية.

وفيه فتحوا طلب مال الميري من السنة القابلة لضرورة النفقة، فاغتنم الملتزمون لذلك لضيق الحال وتعطل الأسباب وعدم الأمن، وتوالى طلب الفرد من البلاد فلو فضل للملتزم شيء، لا يصل إليه إلا بغاية المشقة وركوب الضرر، لوثوب الخلائق من العربان والفلاحين والأجناد والعساكر على بعضهم البعض من جميع النواحي القبلية والبحرية، ثم أن الوجاقلية وبعض المشايخ راجعوا في ذلك، فانحط الأمر بعد ذلك على طلب نصف مال الميري من سنة تسعة عشر وبواقي سنة سبعة عشر وثمانية عشر، وكذلك باقي الحلوان الذي تأخر على المفلسين. وكتبوا التنابيه بذلك وقالوا من لم يقدر على الدفع فليعرض تقسيطه على المزاد، هذا والأجناد والعرب محيطة ببر الجيزة والعسكر من داخل الأسواد لا يجسرون على الخروج إليهم. وحجزوا المراكب الواردة بالغلال وغيرها حتى لم يبق بالسواحل شيء من تلك الغلة أبداً. ووصل سعر الأردب القمح إن وجد خمسة عشر

ريالاً.

وفي يوم الأحد عشرينه، وصل العسكر الذين كانوا صحبة سليمان بك حاكم الصعيد، فدخلوا الى البلدة وأزعجوا كثيراً من الناس وسكنوا البيوت بمصر القديمة بعدما أخرجوهم منها وأخذوا فرشهم ومتاعهم، وكذلك فعلوا ببولاق ومصر عندما حضر الذين كانوا ببحري.

وفيه قلدوا الحسبة لشخص عثمانلي من طرف الباشا، وعزلوا محمد آغا المحتسب، وكذلك عزلوا علي آغا الشعراوي، وقلدوا الزعامة لشخص آخر من أتباع الباشا، وقلدوا آخر أغات مستحفظان.

وفي ليلة الثلاثاء ثاني عشرينه، خرجت عساكر كثيرة وعدت الى البر الغربي، ووقعت في صبحها حروب بينهم وبين المصرلية والعربان، وكذلك في ثاني يوم ودخلت عساكر جرحى كثيرة وعملوا لهم متاريس عند ترسة والمعتمدية، وتترسوا بها والمصرلية والعربان يرمحون من خارج وهم لا يخرجون إليهم من المتاريس، واستمروا على ذلك الى يوم الأحد سابع عشرينه.

وفي ذلك اليوم، ضربوا مدافع ورجع محمد علي والكثير من العساكر، وأشيع ترفع المصرلية الى فوق، ووقع بين العربان اختلاف وأشاعوا نصرتهم على المصرلية وأنهم قتلوا منهم أمراء وكشافاً ومماليك وغير ذلك.

وفي ذلك اليوم شنقوا شخصاً بباب زويلة وآخر بالحبانية وهما من الفلاحين، و لم يكن لهما ذنب، قيل إنه وجد معهما بارود اشترياه لمنع الصائلين عليهم من العرب، فقالوا إنكم تأخذونه الى المحاربين لنا، وكان شيئاً قليلاً.

وفيه نزل جماعة من العسكر جهة قبة الغوري ومعهم نحو ثلاثين نفراً بجمالهم، فقرطوا القمح المزروع وكان قد بدا صلاحه، فطارت عقول الفلاحين واجتمعوا وتكاثروا عليهم وقبضوا على ثلاثة أشخاص منهم وهرب الباقون، فدخلوا بهم المدينة ومعهم الأحمال وصحبتهم طبل وأطفال ونساء، وذهبوا تحت بيت الباشا فأمر بقتل شخص منهم لأنه شامي وليس بأرنؤدي ولا انكشاري، فقتلوه بالأزبكية فوجدوا على وسطه ستمائة بندقي ذهب وثلثمائة محبوب ذهب والله أعلم، وانقضت السنة وما حصل بها من الحوادث.

وأما من مات فيها ممن له ذكر فمات الفقيه العلامة والنحرير الفهامة الشيخ أحمد اللحام اليونسي المعروف بالعريشي الحنفي، حضر من بلدته خان يونس في سنة ثمان وسبعين ومائة وألف، وحضر أشياخ الوقت، وأكب على حضور الدروس وأخذ البيلي والشيخ محمد الجناحي والصبان والفرماوي وغيرهم، وتفقه على الشيخ عبد الرحمن العريشي ولازمه، وبه تخرج وحضر على شيخ الوالد في الدر المختار من أول كتاب البيوع الى كتاب الإجارة بقراءته وذلك سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف، و لم يزل ملازماً للشيخ عبد الرحمن ملازمة كلية. وسافر صحبته الى اسلامبول في سنة تسعين لبعض المقتضيات وقرأ هناك الشفاء والحكم بقراءة المترجم، وعاد صحبته الى مصر و لم يزل ملازماً له حتى حصل للعريشي ما حصل ودنت وفاته، فأوصى إليه بجميع كتبه واستمر عوضه في مشيخة روانق الشوام، وقرأ الدروس في محله وكان فصيحاً مستحراً متفسلفاً من المعقولات والمنقولات، وقصدته الناس في الإفتاء واعتمدوا أجوبته، وتداخل في القضايا والدعاوى، واشتهر ذكره واشترى داراً واسعة بسوق الزلط بحارة المقس خارج باب الشعرية، وتجمل بالملابس وركب البغال وصار له أتباع وخدم، وهرعت الناس والعامة والخاصة في دعاويهم وقضاياهم وشكاويهم إليه، وتقلد نيابة القضاء لبعض قضاة العساكر أشهراً، ولما حضرت الفرنساوية الى

مصر، وهرب القاضي الرومي بصحبة كتخدا الباشا كما تقدم، تعين المترجم للقضاء بالمحكمة الكبيرة. وألبسه كلهبر ساري عسكر الفرنساوية خلعة مثمنة، وركب بصحبة قائمقام في موكب الى المحكمة، وفوضوا إليه أمر النواب بالأقاليم، ولما قتل كلهبر، انحرف عليه الفرنساوية لكون القاتل ظهر من رواق الشوام وعزلوه، ثم تبينت براءته من ذلك الى أن رتبوا الديوان في آخر مدقهم، ورسم عبد الله جاك منو باختيار قاضي بالقرعة، فلم تقم إلا على المترجم، فتولاه أيضاً وخلعوا عليه، وركب مثل الأول الى المحكمة واستمر بها الى أن حضرت العثمانيون وقاضيهم، فانفصل عن ذلك ولازم بيته مع مخالطة فصل الخصومات والحكومات والإفتاء، ثم قصد الحج في هذه السنة فخرج مع الركب وتمرض في حال رجوعه، وتوفي ودفن بنبط رحمه الله.

ومات الشيخ الإمام العمدة الفقيه الصالح المحقق الشيخ علي المعروف بالخياط الشافعي حضر أشياخ الوقت وتفقه على الشيخ عيسى البراوي ولازم دروسه وبه تخرج واشتهر بالعلم والصلاح وأقرأ الدروس الفقهية والمعقولية وانتفع به الطلبة وانقطع للعلم والإفادة، ولما وردت ولاية جدة لمحمد باشا توسون طلب إنساناً معروفاً بالعلم والصلاح فذكر له الشيخ المترجم فدعاه إليه وأكرمه وآساه وأحبه وأخذه صحبته الى الحجاز وتوفي هناك رحمه الله.

ومات الرئيس المبجل المهذب محمد أفندي باش جاجرت الروزنامة وأصله تربية محمد أفندي كاتب كبير الينكجرية وتمهر في صنعة الكتابة وقوانين الروزنامة وكان لطيف الطبع، سليم الصدر، محبوباً للناس، مشهور بالذوق وحسن الأخلاق مهذباً في نفسه متواضعاً يسعى في حوائج إخوانه وقضاء مصالحهم المتعلقة بدفاترهم، قانعاً بحاله مترفهاً في مآكله وملبسه واقتنى كتباً نفيسة ومصاحف، وتجتمع ببيته الأحباب ويدير عليهم سلاف أنسه المستطاب مع الحشمة والوقار وعدم الملل والغفار، ولما اختلفت الأحوال وترادفت الفتن ضاق صدره من ذلك واستوحش من مصر وأحوالها، فقصد الهجرة بأهله وعياله الى الحرمين وعزم على الإقامة هنا، فلما حصل هناك رأى فيها الاختلاف والخلل، كذلك بسبب ظلم الشريف غالب وأتباعه وإغارة الوهابيين على الحرمين، وفتن العربان، فلم يستحسن الإقامة هناك واشتاق لوطنه فعزم على العودة على مصر فمرض بالطريق وتوفي ودفن بالينبع رحمه الله.

ومات الأمير حسين بك الذي عرف بالوشاش وهو من مماليك محمد بك الألفي، وكان يعرف أولاً بكاشف الشرقية لأنه كان تولى كشوفيتها وكان صعب المراس، شديد البأس، قوي الجنان. قلبه مع نحافة جسمه أعظم من جبل لبنان لا يهاب كثرة الجنود، وتخشى سطوته الأسود، ولما أجمعوا على خيانة الألفي وأتباعه قال لهم ابراهيم بك الكبير على ما بلغنا لا يتم مرامكم بدون البداءة بالمترجم فإن أمكنكم ذلك وإلا فلا تفعلوا شيئاً، فلم يزالوا يديرون عليه ويتملقونه له ويظهرون له خلاف ما يبطنون حتى تمكنوا من غدره على اصورة المتقدمة وسبب تلقبه بالوشاش أنه كان طلع لملاقاة الحجاج بمنزلة الوش في سنة ورود الفرنساوية، فلما لاقى الحجاج وأمير الحاج صالح بك رجع صحبتهم الى اشام وحصل منه بعد ذلك المواقف الهائلة مع الفرنساوية مع أستاذه ومنفرداً في الجهات القبلية والشامية، ولما انجلت الحوادث وارتحلت الفرنساوية من الديار المصرية واستقرت المصريون بعد حوادث العثمانية تآمر المترجم في ستة عشر صنجقاً المتآمرين وظهر شأنه، واشتهر فيما بينهم، ونفذت أوامره فيهم ونغص عليهم وناكدهم وعاندهم، وأغار على ما بأيديهم حتى ثقلت وطأته عليهم، فلم يزالوا يحتالون عليه حتى أوقعوه في حبال صيدهم وهو لا يخطر بباله خيانتهم وغدروه بينهم، كما ذكر.

ومات الأمير رضوان كتخدا ابراهيم بك وهو أغنى مماليكه رباه وأعتقه وجعله جوخداره. وكان يعرف أولاً برضوان الجوخدات واستمر في الجوخدارية مدة طويلة، ولما رجع مع أستاذه في أواخر سنة خمس ومائتين وألف بعد موت اسمعيل بك وأتباعه الى مصر أرخى لحيته وتقلد كتخدائية أستاذه، وتزوج ببعض سراريه وسكن دار عبدي بك بناحية سويقة العزى، ثم انتقل منها الى دار مكة على بركة الفيل تجاه بيت شكر فره وعمرها، وصارت له وجاهة بين الأمراء والأعيان، وباشر فصل الخصومات والدعاوى وازدحم الناس ببيته واشتهر ذكره وعظم شأنه وقصدته أرباب الحاجات، وأخذ الرشوات والجعالات، وكان يقرأ ويكتب ويناقش ويحاجج ويعاشر الفقهاء ويباحثهم ويميل بطبعه إليهم ويحب مجالستهم ولا يمل منهم وعنده حلم وسعة صدر وتؤدة وتأن في الأمور وإذا مهر له الحق لا يعدل عنه وعنده دهقنة ومداهنة وقوة خرم، ولما حضر علي باشا الطرابلسي على الصورة المتقدمة كان المترجم والمتعين في الإرسال إليه، فلم يزل يتحيل عليه حتى انخدع له وأدخل رأسه الجراب وصدق تمويهاته وحضر به الى مصر وأوردوه بعد الموارد وحاز بذلك منقبة بين أقرانه ونوه بعد بشأنه وخلعوا عليه الخلع وعرضوا عليه الإدارة فأباها، واستمر على حالته معدوداً في أرباب الرياسة وتأتي الأمراء الى داره، ولم يزل حتى ثارت العسكر على من بالبلدة من الأمراء. وحصروا ابراهيم بك ببيته وخرج في ثاني يوم هارباً والمترجم خلفه والرصاص يأخذهم من كل ناحية فأصيب في دماغه فمال عن جواده واستند على الخدم وذلك جهة الدرب الأحمر، فلم يزل في غشوته حتى خرجت روحه بالرميلة فأنزلوه عند باب العزب واحتاط به المتقيدون بالباب وأخذوا ما في جيوبه، ثم أحضروا له تابوتاً وحملوه فيه الى داره فغسلوه وكفنوه ودفنوه بالقرافة سامحه الله فإنه كان من خيار جنسه، لولا طمع فيه ولقد بلوته سفراً وحضراً يافعاً وكهلاً، فلم أر ما يشينه في دينه، عفوفاً طاهر الذيل وقوراً محتشماً فصيح اللسان حسن الرأي قليل الفضول بعيد النظر.

ومات العمدة الشريف السيد ابراهيم أفندي الروزنامجي وهو ابن أخي السيد محمد الكماحي الروزنامجي المتوفى سنة سبعة ومائتين وألف وأصلهم روميون الجنس، وكان في الأصل جربجياً، ثم عمل كاتب كشيدة وكان يسكن داراً صغيرة بجوار دار عمه، واستمر على ذلك خامل الذكر، فلما توفي عمه السيد محمد انتبذ عثمان أفندي العباسي المنفصل عن الروزنامة سابقاً يريد العود إليها عن شوق وتطلع لها وظنه شغور المنصب عن المتأهل إليه سواه، فلم تساعده الأقدار لشدة مراسه وسأل ابراهيم بك عن شخص من أهل بيت المتوفى فذكر له السيد ابراهيم المرقوم وخوله وعدم تحمله لأعباء ذلك المنصب، فقال لابد من ذلك قطعاً لطمع المتطلعين والتزم بمراعاته ومساعدته وطلبه ونقله من حضيض الخمول الى أوج السعادة والقبول، فتقلد ذلك وساس الأمور بالرفق والسير الحسن، واشترى داراً عظيمة بدرب الأغوات وسكنها، واستمر على ذلك الى أن ورد الفرنساوية الى مصر فخرج مع من خرج هارباً الى اشام، ثم رجع مع من رجع، ولم يزل حتى تمرض وتوفي في يوم الأربعاء سادس عشر القعدة من السنة رحمه الله.

واستهلت سنة تسعة عشر ومائتين وألف

فكان ابتداء المحرم بيوم الخميس فيه ركب الوالي العثملي وشق من وسط المدينة فمر على سوق الغورية فأنزل شخصاً من أبناء التجار المحتشمين، وكان يتلو في القرآن فأمر الأعوان فسحبوه من حانوته وبطحوه على الأرض وضربوه عدة عصي من غير جرم ولا ذنب وقع منه، ثم تركه وسار الى الأشرفية فأنزل شخصاً من حانوته وفعل به مثل ذلك، فانزعج أهل الأسواق وأغلقوا حوانيتهم واجتمع الكثير منهم وذهبوا الى بيت الباشا يشكون فعل الوالي. وسمع المشايخ بذلك فركبوا أيضاً الى بيت الباشا وكلموه فأظهر الحنق والغيظ على الوالي، ثم قاموا وخرجوا من عنده فتبعهم بعض المتكلمين في بيت الباشا وقال لهم: إن الباشا يريد قتل الوالي والمناسب منكم الشفاعة فرجعوا الى الباشا وشفعوا في الوالي وأرسل سعيد آغا الوكيل وأحضروا له المضروب وأخذ بخاطره، وطيب نفسه بكلمات ورجع الجميع كما ذهبوا وظنوا عزل الوالي، فلم يعزل.

وفيه رجع المصرلية والعربان وانتشروا بإقليم الجيزة حتى وصلوا الى انبابة وضربوها ونهبوها وخرج أهلها على وجوههم وعدوا الى البر الشرقي وأخذ العسكر في أهبة التشهيل والخروج لمحاربتهم.

وفي يوم الجمعة ثانيه، سافر السيد علي القبطان الى جهة رشيد وخرج بصحبته جماعة كثيرة من العساكر الذين غنموا الأموال من المنهوبات، فاشتروا بضائع وأسباباً ومتاجر ونزلوا بها صحبته وتبعهم غيرهم من الذين يريدون الخلاص والخروج من مصر، فركب محمد علي الى وداع السيد علي المذكور ورد كثيراً من العساكر المذكورة ومنعهم عن السفر.

وفي سادسه، خرج محمد علي وأكابر العسكر بعساكرهم وعدوا الى بر انبابة ووصلوا ونصبوا وطاقهم وعملوا لهم عدة متاريس وركبوا عليها المدافع واستعدوا للحرب، فلما كان يوم الأحد حادي عشره كبس المماليك والعربان وقت الغلس على متاريس العسكر وحملوا على متراس حملة واحدة فقتلوا منهم وهرب من بقي وألقوا بأنفسهم في البحر، فاستعد من كان بالمتاريس الأخرى وتابعوا رمي المدافع وخرجوا للحرب، ووقع بينهم مقتلة عظيمة أبلى فيها الفريقان نحو أربع ساعات، ثم انجلت الحرب بينهم وترفع المصرلية والعربان وانكفوا عن بعضه، وفي وقت الظهر أرسلوا سبعة رؤوس من الذين قتلوا من المصرلية في المعركة وشقوا بهم المدينة، ثم علقوها بباب زويلة وفيهم رأس حسين بك الوالي وكاشفين ومنهم حسن كاشف الساكن بحارة عابدين ومملوكان وعلقوا عند رأس حسين بك الوالي المذكور صليباً من جلد زعموا أنهم وجدوه معه وأصيب اسمعيل بك صهر ابراهيم بك ومات بعد ذلك ودفن بأبي صير.

وفي ثاني عشره، حصلت أعجوبة ببيت بالغربية به بغلة تدور بالطاحون فزنقوها بالإدارة فأسقطت حملاً ليس فيه روح فوضعوه في مقطف ومروا به من وسط المدينة وذهبوا به الى بيت القاضي، وأشيع ذلك بين الناس وعاينوه.

وفي يوم السبت سابع عشره، حضر علي كاشف المعروف بالشغب بثلاث معجمات وتشديد الشين وفتح الغين وسكون الباء رسولاً من جهة الألفي ووصل الى جهة البساتين وأرسل الى المشايخ يعلمهم بحضوره لبعض أشغال فركب المشايخ الى الباشا وأخبروه بذلك فأذن بحضوره، فحضر ليلاً ودخل الى بيت الشيخ الشرقاوي، فلما أصبح النهار أشيع ذلك وركب معه المشايخ والسيد عمر النقيب وذهبوا به الى بيت الباشا فوجدوه راكباً في بولاق فانتظروه حصة الى أن حضر فتركوا عنده علي كاشف

المذكور ورجعوا الى بيوقم واختلى به الباشا حصة وقابله بالبشر، ثم خلع عليه فروة سمور وقدم له مركوباً بعدة كاملة وركب الى بيته وأمامه جملة من العسكر مشاة، وقدم له محمد علي أيضاً حصاناً.

وفي شرعوا في عمل شركفلك للحرب بالأزبكية.

وفي يوم الإثنين تاسع عشره، ورد ططري وعلى يده بشارة الباشا بتقليده ولاية مصر ووصول القابجي الذي معه التقليد والطوخ الثالث الى رشيد وطوخان لمحمد علي وحسن بك أخي طاهر باشا أحمد بك فضربوا عدة مدافع وذهب المشايخ والأعيان للتهنئة.

وفي يوم الثلاثاء قتل الباشا ثلاثة أشخاص أحدهم رجل سروجي وسبب ذلك أن الرجل السروجي له أخ أجير عند بعض الأجناد المصرلية، فأرسل لأخيه فاشترى له بعض ثياب ونعالات، وأرسلها مع ذلك الرجل فقبضوا عليه وسألوه فأخبرهم فأحضروا ذلك الرجل السروجي، وأحضروا أيضاً رجلاً بيطاراً متوجهاً الى بولاق معه مسامير ونعالات فقبضوا عليه واقموه أنه يعدي الى ابر الآخر ليعمل لأخصامهم نعالات للخيل فأمر الباشا بقتله، وقتل السروجي والرجل الذي معه الثياب فقتلوهم ظلماً.

وفي يوم الأربعاء، حضر القابجي الذي على يده البشرى وهو خازندار الباشا، وكان أرسله حين كان بسكندرية ويسموها المجسدة، و لم يحضر معه أطواخ، ولا غير ذلك، فضربوا له شنكاً ومدافع.

وفيه خلع الباشا على السيد أحمد المحروقي فروة سمور وأقره على ما هو عليه أمين الضربخانة وشاه بندر وكذلك خلع على جرجس الجوهري وأقره باش مباشر الأقباط علي ما هو عليه.

وفيه رجع علي كاشف الشغب بجواب الرسالة الى الألفي.

وفيه تحقق الخبر بموت يحيى بك وكان مجروحاً من المعركة السابقة.

وفي يوم الخميس، عمل الباشا الديوان وحضر المشايخ والوجاقلية وقرأوا المرسوم بحضرة الجمع ومضمونه: إننا كنا صفحنا رضينا عن الأمراء المصرلية على موجب الشروط التي شرطناها عليهم بشفاعة علي باشا والصدر الأعظم فخانوا العهود ونقضوا الشروط وطقوا وبغوا وظلموا وقتلوا الحجاج وغدروا علي باشا المولى عليهم وقتلوه وهبوا أمواله ومتاعه فوجهنا عليهم العساكر في ثمانين مركباً بحرية، وكذلك أحمد باشا الجزار بعساكر البرية للانتقام منهم، ومن العسكر الموالين لهم، فورد الخبر بقيام العساكر عليهم ومحاربتهم له وقتلهم وإخراجهم، فعند ذلك رضينا عن العسكر لجبرهم ما وقع منهم من الخلل الأول، وصفحنا عنهم صفحاً كلياً وأطلعنا لهم السفر والإقامة متى شاؤوا وأينما أرادوا من غير حرج عليهم، ولينا حضرة أحمد باشا خورشيد كامل الديار المصرية لما علمنا فيه من حسن التدبير والسياسة ووفور العقل والرئاسة، الى غير ذلك، وعملوا شنكاً وحراقة وسواريخ بالأزبكية ثلاث ليال ومدافع تضرب في كل وقت من الأوقات الخمسة من القلعة وغيرها.

وفيه تواترت الأخبار بأن الأمراء القبالي عملوا وحسات وقصدهم التعدية الى البر الشرقي.

وفي يوم الأحد خامس عشرينه، عدى الكثير منهم على جهة حلوان وانتقل الكثير من العسكر من بر الجيزة الى بر مصر فخاف أهل المطرية وغيرها وجلوا عنها وهربوا الى البلاد وحضر كثير منهم الى مصر خوفاً من وصول القبالي.

وفي يوم الخميس حادي عشرينه، سافر الشيخ الشرقاوي الى مولد سيدي أحمد البدوي واقتدى به كثير من العامة وسخاف

العقول، وكان المحروقي وجرجس الجوهري مسافرين أيضاً وشهلوا احتياجاتهم واستأذنوا الباشا فأذن لهم، فلما تبين لهم تعدية المصرلية الى الجهة الشرقية امتنعوا من السفر، ولم يمتنع الشيخ الشرقاوي ومن تابعه.

وفي يوم الثلاثاء سابع عشرينه، وصل فريق منهم الى جهة قبة باب النصر والعادلية من خلف الجبل ورمحوا خلف باب النصر من خارج وباب الفتوح ونواحي الشيخ قمر والدمرداش ونهبوا الوايلي وما جاوره، وعبروا الدور وعروا النساء وأخذوا دسوتهم وغلالهم وزروعهم، وخرج أهل تلك القرى على وجوههم ومعهم بعض شوالي وقصاع ودخل الكثير منهم الى مصر.
وفي يوم الأربعاء، جمع الباشا ومحمد علي العسكر واتفقوا على الخروج والمحاربة، وأخرجوا المدافع والشركفلكات الى خارج باب النصر وشرعوا في عمل متاريس، وفي آخر النهار ترفع المصرلية والعرب وتفرقوا في إقليم الشرقية والقليوبية، وهم يسعون في الفساد ويهلكون الحصاد فما وجدوه مدروساً من البيادر أخذوه، أو قائماً على ساقه رعوه، أو غير مدروس أحرقوه، أو كان من المتاع نهبوه، أو من المواشي ذبحوه وأكلوه، وذهب منهم طائفة الى بلبيس فحاصروا بها كاشف الشرقية يومين ونقبوا عليه الحيطان حتى غلبوه وقتلوا من معه من العسكر وأخذوه أسيراً ومعه إثنان من كبار العسكر، ثم نهبوا البلد وقتلوا من أهلها نحو المائتين وحضر أبو طويلة شيخ العائد عند الأمراء ولامهم وكلمهم على هذا النهب وقال لهم: هذه الزروعات غالبها للعرب والذي زرعه الفلاح في بلاد الشرق شركة مع العرب وأن هبود العرب المصاحبين لكم ليس لهم رأس مال في ذلك فكفوهم وامنعوهم ويأتيكم كفايتكم، وأما النهب فإنه يذهب هدراً، فلما سمع كبار العرب المصاحبين لهم من الهنادي وغيرهم قوله. هبود العرب اغتاظوا منه وكادوا يقتلونه، ووقع بين العربان منافسة واختلاف، وكذلك حصروا كاشف القليوبية فدخل بمن معه جامع قليوب وتترس به وحارب ثلاث ليال وأصيب كثير من المحاربين له، ثم تركوه ففر بمن بقي معه الى البحر ونزل في قارب وحضر الى مصر وأخذوا حملته ومتاعه وجبخانته، وطلبوا مشايخ النواحي مثل شيخ الزوامل والعائد وقليوب وألزموهم بالكلف وفردوا على القرى الفرد والكلف الشاقة، مثل ألف ريال وألفين وثلاثة وعينوا بطلبها العرب وعينوا لهم خدماً وحق طرق، خلاف المقرر عشرين ألف فضة وأزيدذ ومن استعظم شيئاً من ذلك أو عصى عليهم حاربوا القرية ونهبوها وسبوا نساءها وقتلوا أهلها وأحرقوا جرونهم وقل الواردون الي المدينة بالغلال وغيرها فقلت من الرقع وازدحم الناس على ما يوجد من القليل فيها، واحتاج العسكر الى الغلال لأخبازهم لأنهم لم يكن عندهم شيء مدخر فأخذوا ما وجدوه في العرصات، فزاد الكرب ومنعوا من يشتري زيادة على ربع من الكيل ولا يدركه إلا بعد مشقة بستين نصفاً وإذا حضر للبعض من الناس غلة من مزرعته القريبة لا يمكنه إيصالها الى داره إلا بالتجوه والمصانعة والمغرم لقلقات الأبواب وأتباعهم فيحجزون ما يرونه داخل البلد من الغلة متعللين بأنهم يريدون وضعها في العرصات القريبة منهم فيعطونها للفقراء بالبيع فيعطونهم درهم ويطلقونهم.
وفي أواخره طلبوا جملة أكياس لنفقة العسكر فوزعوا جملة أكياس على الأقباط والسيد أحمد المحروقي وتجار البهار ومياسير التجار والملتزمين، وطلبوا أيضاً مال الجهات والتحرير وباقي مسميات المظالم عن سنة تاريخه معجلة.
وفي يوم الخميس تاسع عشرينه، خرج الكثير من العسكر ورتبوا أنفسهم ثلاث فرق في ثلاث جهات وردوا الخيول إلا القليل، ووقع بينهم مناوشات قتل فيها أنفار من الفريقين.

شهر صفر الخير سنة 1219

استهل بيوم الجمعة، فيه نادوا على الفلاحين والخدامين البطالين بالخروج من مصر، وكل من وجد بعد ثلاثة أيام وليس بيده ورقة من سيده يستاهل الذي يجري عليه.

وفي ثانيه طاف الأعوان وجمعوا عدة من الناس العتالين وغيرهم ليسخروهم في عمل المتاريس وجر المدافع.

وفي خامسه قبض الوالي على شخص يشتري طربوشاً عتيقاً من سوق العصر بسويقة لاجين. واتهمه أنه يشتري الطرابيش للأخصام من غير حجة ولا بيان، ورمى رقبته عند باب الخرق ظلماً.

وفي سابعه نزل الأرنؤد من القلعة وتسلمها الباشا وطلع إليها وضربوا لطلوعه عدة مدافع ورجع الى داره آخر النهار.

وفيه أشيع قدوم سليمان بك حاكم جرجا ووصوله الى بني سويف، وفي عقبه الألفي الصغير أيضاً.

وفيه هجم طائفة من الخيالة في طلوع الفجر على المذبح السلطاني وأخذوا ثورين أحدهما من المذبح والآخر من بعض الغيطان وهرب الجزارون.

وفي يوم السبت تاسعه، طلع الباشا الى القلعة وسكن بها وضربوا له عدة مدافع.

وفيه حضر كاشف الشرقية المقبوض عليه ببلبيس ومعه إثنان، وقد أفرج عنهم الأمراء المصرلية وأطلقوهم، فلما وصلوا الى الباشا خلع عليهم وألبسهم فراوي جبراً لخاطرهم.

وفيه وصل الخبر بوقوع حرب بين العسكر والمصرلية والعربان وحضر عدة جرحى وكانت لواقعة عند الخصوص وبهتيم وجلا أهل تلك القرى، وخرجوا منها وحضروا الى مصر بأولادهم وقصاعهم، فلم يجدوا لهم مأوى ونزل الكثير منهم بالرميلة.

وفيه حضر أناس من الذين ذهبوا الى مولد السيد البدوي وفيهم عرايا ومجاريح وقتلى وقد وقفت لهم العرب وقطعت عليهم الطرق فتفرقوا فرقاً في البحر والبحر وحصر العرب طائفة كبيرة منهم بالقرطيين وحصل لهم ما لا خير فيه، وأما الشيخ الشرقاوي فإنه ذهب الى المحلة الكبيرة وأقام بها أياماً، ثم ذهب مشرقاً الى بلده القرين.

وفيه حضر مصطفى آغا الأرنؤدي هجاناً برسالة من عند الألفي وفيها طلب أتباعه الذين بمصر، فلم يأذنوا لهم في الذهاب إليه واحتجوا بعدم تحقق صداقته للعثمانية.

وفيه ورد الخبر بتوجه سليمان بك الخازندار حاكم جرجا الى جهة بحري وأنه وصل الى بني سويف وأن الألفي الصغير في أثره بحري منية ابن خصيب والألفي الكبير مستقر بأسيوط يقبض في الأموال الديوانية والغلال وأشيع صلحه مع عشيرته سراً ومظهر خلاف ذلك مع العثمانية.

وفي يوم الأحد عاشره، أحضروا جماعة من الوجاقلية عند كتخدا الباشا، فلما استقروا في الجلوس كلموهم وطلبوا منهم سلفة وحبسوا رضوان كاشف الذي بباب الشعرية وطلبوا منه عشرين كيساً، وكذلك طلبوا من باقي الأعيان مثل مصطفى آغا الوكيل وحسن آغا محرم ومحمد أفندي سليم وابراهيم كتخدا الرزاز وخلافهم مبالغ مختلفة المقادير وعملوا على أقباط ألف كيس وحلف الباشا أنها لا تنقص عن ذلك، وفردوا عن البنادر مثل دمياط ورشيد وفوة ودمنهور والمنصورة وخلافها مبالغ أكياس ما بين ثمانين كيساً ومائة كيس وخمسين كيساً وغير ذلك لنفقة العسكر وأحضر الباشا الروزنامجي واتهمه في التقصير.

وفي يوم الإثنين أرسل الباشا الوالي والمحتسب الى بيت الست نفيسة زوجة مراد بك وطلبها فركبت معهما وصحبتها امرأتان فطلعا بهن الى القلعة، وكذلك أرسلوا بالتفتيش على باقي نساء الأمراء فاختفى غالبهن وقبضوا على بعضهن، وذلك كله بعد عصر ذلك اليوم، فلما حصلت الست نفيسة بين يديه قام إليها أجلها، ثم أمرها بالجلوس وقال لها على طريق اللوم يصح أن جاريتك منور تتكلم مع صادق آغا وتقول له يسعى في أمر المماليك العصاة وتلتزم له بالمكسور من جامكية العسكر فأجابته إن ثبت أن جاريتي قالت ذلك فأنا المأخوذة به دونها فأخرج من جيبه ورقة وقال لها وهذه، وأشار الى الورقة فقالت: وما هذه الورقة أرنيها فإني أعرف أن أقرأ لأنظر ما هي فأدخلها ثانياً في جيبه، ثم قالت له أنا بطول ما عشت بمصر وقدري معلوم عند الأكابر وخلافهم والسلطان ورجال الدولة وحريمهم يعرفوني أكثر من معرفتي بك، ولقد مرت بنا دولة الفرنسيس الذين هم أعداء الدين، فما رأيت منهم إلا التكريم. وكذلك سيدي محمد باشا كان يعرفني ويعرف قدري، ولم نر منه إلا المعروف، وأما أنت فلم يوافق فعلك فعل أهل دولتك ولا غيرهم فقال، ونحن أيضاً لا نفعل غير المناسب فقالت له وأي مناسبة في أخذك لي من بيتي بالوالي مثل أرباب الجرائم، فقال أنا أرسلته لكونه أكبر أتباعي فإرساله من باب التعظيم، ثم اعتذر إليها وأمرها بالتوجه الى بيت الشيخ السحيمي بالقلعة وأجلسوها عنده بجماعة من العسكر، وأصبح الخبر شائعاً بذلك، فتكدرت خواطر الناس لذلك. وركب القاضي ونقيب الأشراف والشيخ السادات والشيخ الأمير وطلعوا الى الباشا وكلموه في أمرها، فقال لا بأس عليها وإني أنزلتها ببيت الشيخ السحيمي مكرمة حسماً للفتنة لأنها حصل منها ما يوجب الحجز عليها، فقالوا نريد بيان الذنب، وبعد ذلك إما العفو أو الانتقام فقال: إنها سعت مع بعض كبار العسكر تستميلهم الى المماليك العصاة ووعدتهم بدفع علوفاتهم وحيث أنها تقدر على دفع العلوفة فينبغي أنها تدفع العلوفة فقالوا له إن ثبت عليها ذلك، فإنها تستحق ما تأمرون به فيحتاج أن تتفحص على ذلك، فقام إليها الفيومي والمهدي وخاطباها في ذلك. فقالت هذا كلام لا أصل له وليس لي في المصرلية زوج حتى أبي الخاطر بسببه، فإن كان قصده مصادرتي، فلم يبق عندي شيء وعلي ديون كثيرة فعالوا إليه وتكلموا معه وراددهم فقال: الشيخ الأمير للترجمان قل لأفندينا هذا أمر غير مناسب ويترتب عليه مفاسد، وبعد ذلك يتوجه علينا اللوم فإن كان كذلك فلا علاقة لنا بشيء من هذا الوقت أو نخرج من هذه البلدة وقام قائماً على حيله يريد الذهاب فأمسكه مصطفى آغا الوكيل وخلافه، وكلموا الباشا في إطلاقها، وأنها تقيم ببيت الشيخ السادات فرضي بذلك وأنزلوها ببيت الشيخ السادات، وكانت عديلة هانم ابنة ابراهيم بك عندما وصلها الخبر ذهبت الى بيته أيضاً.

وفيه شنقوا شخصاً على السبيل بباب الشعرية شكا منه أهل حارته وأنه يتعاطى القيادة ويجمع بين الرجال والنساء وغير ذلك.

وفي يوم الخميس رابع عشره، كتبوا أوراقاً وألصقوها بالأسواق بطلب ميري سنة تاريخه المعجلة بالكامل، وكانوا قبل ذلك طلبوا نصفها، ثم اضطرهم الحال بطلب الباقي وعملوا قوائم بتوزيع خمسة آلاف كيس استقر منها على طائفة القبطة خمسمائة كيس بعد الألف وجملة على الملتزمين خلاف ما أخذ منهم قبل ذلك وعلى الست نفيسة وبقية نساء الأمراء ثمانمائة كيس.

وفيه خطف العرب جراية العسكر من عند الزاوية الحمراء.

وفيه وصل سليمان بك الخازندار وعدى إلى جهة طرا فخرج عدة من العسكر خلاف المرابطين هناك قبل ذلك من العسكر والمغاربة فقصد المرور من خلف الجبل واللحوق بجماعته جهة المشرق في آخر الليل فوقف له العسكر وضربوا عليه بالمدافع الكثيرة، واستمر الضرب من الفجر إلى عصر يوم الجمعة ونفذ بمن معه على حماية وقتلوا منه مملوكاً واحداً وحضروا برأسه إلى تحت القلعة.

وفيه رجع الكثير من عسكر الأرنؤد وغيرهم ودخلوا إلى المدينة يطلبون العلوفة، واستمر من بقي منهم ببهتيم وبلقس ومسطرد وقد أخرجوا أهاليها منها ونهبوها واستولوا على ما فيها من غلال وأتبان وغير ذلك وكرنكوا فيها ونقبوا الحيطان برمي بنادق الرصاص من الثقوب وهم مستترون من داخلها ونصبوا خيامهم في أسطحة الدور وجعلوا المتاريس من خارج البلدة وعليها المدافع، فلا يخرجون إلى خارج ولا يبرزون إلى ميدان الحرب، وكل من قرب منهم من الخيالة المقاتلين رموا عليه بالمدافع والرصاص ومنعوا عن أنفسهم واستمروا على ذلك.

وفيه وردت مكاتبات إلى التجار من الحجاز وأخبروا بأن الحجاج أدركوا الحج والوقوف بعرفة ودخلوا قبل الوقوف بيومين وأخبروا أيضاً بوفاة شريف باشا إلى رحمة الله تعالى، وكان من خيار الدولة العثمانيين، ووردت أخبار أيضاً من البلاد الشامية بوفاة أحمد باشا الجزار في سادس عشرين المحرم.

وفي يوم السبت سادس عشره، أرسلوا تنابيه إلى أرباب الحرف والصنائع بطلب دراهم وزعت عليهم مجموعها خمسمائة كيس فضج الناس وتكدروا مع ما هم فيه من وقف الحال وغلاء الأسعار في كل شيء وأصبحوا على ذلك يوم الأحد، فلم يفتحوا الحوانيت وانتظروا ما يفعل بهم محضر منهم طائفة إلى الجامع الأزهر ومر الآغا والوالي ينادون بالأمان، وفتح الدكاكين، فلم يفتح منهم إلا القليل.

وفيه سرح سليم كاشف المحرمجي إلى جهة بحرى وأشيع وصول الألفي الصغير إلى المنية وأصبح يوم الاثنين اجتمع الكثير من غوغاء العامة والأطفال بالجامع الأزهر ومعهم طبول وصعدوا إلى المنارات يصرخون ويطلبون وتحلقوا بمقصورة الجامع يدعون ويتضرعون ويقولون يا لطيف وأغلقوا الأسواق والدكاكين ووصل الخبر إلى الباشا بل سمعهم من القلعة، فأرسل قاصداً إلى السيد عمر النقيب يقول أننا دافعنا عن الفقراء فقال له أن هؤلاء الناس وأرباب الحرف والصنائع كلهم فقراء وما كفاهم ما هم فيه من القحط والكساد ووقف الحال حتى تطلبوا منهم مغارم لجوامك العسكر وما علاقتهم بذلك فرجع الرسول بذلك، وحضر الآغا ومعه عدة من العسكر وجلس بالغورية وهو يأمر الناس بفتح الحوانيت ويتوعد من يتخلف، فلم يحضر أحد و لم يسمعوا لقوله وفي وقت العصر رجع القاصد، ومعه فرمان برفع الغرامة عن المذكورين ونادى المنادي بذلك، فاطمأن الناس وتفرقوا وذهبوا إلى بيتهم، وخرج الأطفال يرمحون ويصرخون ويفرحون.

وفي ذلك اليوم، عدى محمد علي وجمع كثير من العسكر والمغاربة إلى بر الجيزة وبرزوا إلى خارج، فترل عليهم جملة من العرب فحاربوهم فقتل بينهم أنفار وانجرح منهم كذلك، ثم ترفعوا عنهم فرجعوا ومعهم رأس من العرب، ومع المغاربة قتيل منهم في تابوت وهم يقولون طردناهم وخطفوا بعض مواش وأغنام في طريقهم من الرعيان فقتلوهم وأخذوها منهم.

وفي تاسع عشره، حضر كتخدا الباشا كاتب البهار وأمره بإحضار ستمائة فرق بن فاعتذر إليه بعدم وجود ذلك، فقال إنما نأخذها بأثمانها، فقال له ليس علي إلا التعريف، وقد عرفتك أن هذا القدر لا يوجد وإن أردت فأرسل معي من تريد وتكشف على حواصل التجار والخانات فطافوا على الخانات وفتحوا الحواصل، فلم يجدوا إلا سبعين فرقاً وأكثرها عليه نشانات كبار العسكر من مشترواتهم فرجعوا من غير شيء، ثم نودي في إثر ذلك بالأمان.

وفيه وقعت معركة بسوق الصاغة بين بعض العسكر الذين يتحشرون في أيام الأسواق في الدلالين والباعة ويعطلون عليهم دلالتهم وصناعتهم ومعايشهم وضربوا على بعضهم بالرصاص، ففزع الناس وحصلت كرشة وظن من لا يعلم الحقيقة من العسكر أنها قومة فهربوا يميناً وشمالاً وطلبوا النجاة والتواري ووافق مرور آغات الإنكشارية في ذلك الوقت، فانزعج هو ومن معه وطلب الهرب، ثم انكشف الغبار وظهر شخص عسكري مطروح وبه رمق وآخر مجروح فرجع الآغا وأمر بحمله في تابوت ونادى بالأمان.

وفي يوم الجمعة ثاني عشرينه، قبل المغرب ضربوا مدافع كثيرة من القلعة، وكذلك في صبحها يوم السبت و لم يظهر لذلك سبب سوى ما يقولونه من التمويهات من وصول الأطواخ وعساكر ودلاة برية تارة بحرية أخرى.

وفيه أشيع وقوع معركة بين المصرلية والعثمانية، وأخذوا منهم متاريس بلقس ومدافع، ووصل منهم جرحى دخلوا ليلاً وحضر من المصرلية طائفة ناحية شلقان وقطعوا الطريق على السفار في البحر، وأخذوا مركبين وأحرقوا مراكب وامتنع الواصلون والذاهبون وارتفعت الغلال من الرقع والعرصات وغلا سعرها، فخرج إليهم مراكب يقال لها الشلنبات وضربوا عليهم بالمدافع وأجلوهم عن ذلك الموضع، ووصل بعض مراكب من المعوقين.

وفي يوم الثلاثاء سادس عشره، أرسل الباشا إلى المشايخ فذهبوا إليه فاستشارهم في خروجه إلى الحرب وخروجهم صحبته مع الرعية، فلم يصوبوا رأيه في ذلك، وقالوا له إذا انهزم العسكر تأمر غيرهم بالخروج وإذا كانت الهزيمة علينا وأنت معنا من يخرج بعد ذلك وانفض المجلس على غير طائل.

وفي أواخره يوم الأربعاء ويوم الخميس، وقع بينهم مساجلات ومحاربات ومغالبات واحترقت جبخانة العثمانيين وقيل أخذ باقيها رجع منهم قتلى ومجارح وانجرح عابدي بك أخو طاهر باشا واحترق أشخاص من الطبجية ودخل سلحدار الباشا والوالي وأمامهما رأس واحدة بشوارب كأنه من المماليك.

وفي عصرية ذلك اليوم، وأخرجوا عساكر ومعهم مدافع وجبخانة أيضاً محملة على نيف وثلاثين جملاً.

وفيه ضيقوا على نساء الأمراء في طلب الغرامة وألزموا بقبضها وتحصيلها الست نفيسة وعديلة هانم ابنة إبراهيم بك فوزعتاها بمعرفتهما على باقي النساء وأرسلوا عساكر يلازمون بيتهن حتى يدفعن ما التزمن به فاضطر أكثرهن لبيع متاعهن، فلم يجدن.

من يشتري لعموم المضايقة والكساد وانقضى هذا الشهر والحال على ما هو عليه من استمرار الحروب والمحاصرات بين الفريقين وانقطاع الطرق براً وبحراً، وتسلط العربان واستغنامهم تفاشل الحكام وانفكاك الأحكام، وكذلك تسلط الفلاحين المقاومين من سعد وحرام على بعضهم البعض بحسب المقدرة والقوة والضعف وجهل القائمين المتآمرين بطرائق سياسة الإقليم ولا يعرفون من الأحكام إلا أخذ الدراهم بأي وجه، كان وتمادى قبائح العسكر بما لا تحيط به الأوراق والدفاتر بحيث أنه لا يخلو يوم من زعجان ورجفات وكرشات في غالب الجهات، إما لأجل امرأة أو أمرد أو خطف شيء أو تنازع، وطلب شر بأدنى سبب مع العامة والباعة أو مشاحنه مع السوقة والمتسببين بسبب إبدال دنانير ذهب ناقص بدراهم فضة كاملة المصارفة من صيارف أو باعة أو غير ذلك وتعطل أسباب المعايش وغلو الأسعار في كل شيء وقلة المجلوب ومنع السبل، ووصل سعر الأردب القمح ستة عشر ريالاً والفول والشعير أكثر من ذلك، لقلته وعزته وإذا حضر منه شيء أخذوه لاحتياج العليق قهراً بأبخس الثمن عند وصوله المأمن وأجرة طحين الويبة من القمح ستة وأربعون نصفاً مع ما يسرقه الطحانون منها ويخلطونه فيها وأجرة خبيزها عشرون نصفاً بحيث حسب ثمن الأردب بع غربلته وأجرته ومكسه وكلفته وطحينه وخبيزه إلى أن يصير خبزاً أربعة وعشرون ريالاً فسبحان اللطيف الخبير المدبر ومن خفي لطفه كثرة الخبز وأصناف الكعك والفطير في الأسواق وسعر الرطل من اللحم الجفط بما فيه من العظم والكبد تسعة أنصاف والجاموسي سبعة أنصاف الرطل والراوية الماء ثلاثون نصفاً والسمن القنطار بألفين وأربعمائة نصف وشح الأرز وقل وجوده وغلا ثمنه ووصل سعر الأردب إلى خمسة وعشرين ريالاً والجبن القريش بثمانية عشر نصفاً للرطل وأما الخضات فعز وجودها وغلا ثمنها بحيث أن الرطل من البامية بما فيها من الخشب الذي يرمى من وقت طلوعها إلى أن بلغت حد الكثرة بثمانية أنصاف كل رطل والرطل قباني اثنتا عشرة أوقية وعز وجود البن وغلا سعره حتى بلغ في هذا الشهر الرطل سبعين ونصفاً والسكر العادة الصعيدي خمسة وأربعون نصفاً الرطل الواحد والعسل الأبيض الغير الجيد ثلاثون نصفاً والعسل الأسود خمسة عشر نصفاً والعسل القطر عشرون نصفاً الرطل والصابون أربعة وعشرون نصفاً كل ذلك بالرطل القباني الذي عمله محمد باشا فلا جزاه الله خيراً والشيرج بألفين فضة القنطار وورد الكثير من الحطب الرومي ورخص سعره إلى مائة وعشرين نصفاً الحملة بعد ثلاثمائة نصف، وأما أنواع البطيخ والعبدلاوي فلم يشتره أكثر الناس لقلته وغلو ثمنه فإنه بيعت الواحدة بعشرين نصفاً فأقل فأكثر والخيار بخمسة أنصاف الرطل من وقت طلوعه إلى أن بلغ حد الكثرة وبقي بحال لا تقبله الطبيعة البشرية، فعند ذلك بيع بنصفين وأما الفاكهة فلا يشتريها إلا أفراد الأغنياء أو مريض يشتهيها أو امرأة وحمى لغلوها فإن رطل الخوخ بخمسة عشر نصفاً والتفاح الأخضر كذلك وقس على وذلك لقلة المجلوب وخراب البساتين وغلو علف البهائم وحوز المتسببين وأخذ الرشوات منهم وتركهم وما يدينون، وأما الإتيان فإنها كثرت انحل سعرها عما كانت.

شهر ربيع الأول سنة 1219 استهل بيوم السبت

فيه، وقع هرج ومرج وإشاعات، ثم تبين أن طائفة من العربان والمماليك وصلوا إلى خارج باب النصر وظاهر الحسينية وناحية الزاوية الحمراء وجزيرة بدران جهة الحلى ورمحوا على من صادفوه بتلك النواحي وحالوا بين العسكر الخارجين وبين عرضيهم وأخذوا ما معهم من الجراية والعليق والجبخانة فترل الباشا ومعه عساكر وذهب إلى جهة بولاق، ثم إلى ناحية الزاوية الحمراء

وأغلقوا أبواب المدينة ثم رجع الباشا بعد العصر ودخل من باب العدوي وطلع إلى القلعة وهو لابس برنساً ثم تكرر بينهم وقائع وخروج عساكر ودخول خلافهم ونزول الباشا وطلوعه.
وفي رابعه، حضر الشيخ عبد الله الشرقاوي من غيبته بالقرين بعد ذهابه إلى المحلة من طندتا.

وفي يوم الخميس سادسه، حضر هجانة بمكاتبة من عند الألفي الكبير للباشا، وفيها الأخبار بعزمه على الحضور إلى مصر هو وعثمان بك حسن ويلتمس أن يخلوا له الجيزة وقصر العيني لينظر في هذا الأمر والفساد الواقع بمصر، فكتب له الباشا جواباً ملخصه على ما نقل إلينا أنك في السابق عرفتنا أنك مذعن للطاعة وأرسلنا لك بالإذن والإقامة بجرجا وما عرفنا موجب هذا الحضور فإن كنت طائعاً وممتثلاً ما كنت ولك الولاية والحكم بالإقليم القبلي وأرسل المال والغلال ونحو ذلك من الكلام وسافروا بالجواب يوم السبت ثامنه.
وفيه ترفع الأمراء المصرلية إلى ناحية مشتهروينها وانتقلوا من مترلتهم وأشاع العسكر ذهابهم وهروبهم.
وفيه وردت مكاتبات من الحجاز وأخبروا فيها بموت محمود جاويش الذي سافر بالمحمل وكذلك الحاج يوسف صير في الصرة وأن طائفة من الوهابيين حاصروا جدة، ولم يملكوها وأن ببلاد الحجاز غلاء شديداً لمنع الوارد عنهم والأردب القمح بثلاثين ريالاً فرانس عنها من الفضة العددية خمسة آلاف وأربعمائة.
وفي يوم السبت ثامنه، أرسلوا فعلة وعمالاً لعمل متاريس وأبنية بناحية طرا وكذلك بالجيزة وأرسلوا هناك مراكب حربية يسمونها الشلنبات.
وفي يوم الثلاثاء، خرج محمد علي وحسن بك أخو طاهر باشا إلى جهة القليوبية وصحبتهم عساكر كثيرة وأدوات وعدى طائفة من الأمراء إلى بر المنوفية وهرب حاكم المنوفية من منوف.
وفي ثالث عشره، ورد الخبر بوصول مراكب داوات من القلزم إلى السويس وفيها حجاج والمحمل وأخبروا بمحاصرة الوهابيين لمكة والمدينة وجدة، وأن أكثر أهل المدينة ماتوا جوعاً لعزة الأقوات والأردب القمح بخمسين فرانساً إن وجد والأردب الأرز بمائة فرانساً وقس على ذلك.
وفي خامس عشره يوم السبت، وصلت مراكب وفيها طائفة من العسكر وهم الذين يسمونهم النظام الجديد الذين يقلدون محاربة الإفرنج وأشاعوا أنهم خمسة آلاف وعشرة آلاف ووصل صحبتهم الآغا الذي كان حضر بالمجدة والبشارة للباشا بالتقليد والأطواخ، ورجع إلى إسكندرية فحضر أيضاً وضربوا لوصوله مدافع وشنكا جهة بولاق وأرسلوا له خيولاً ويرقاً وطبلخانات، وأركبوه من بولاق وشق من وسط المدينة وأمامه وخلفه أتباع الباشا والوالي والجنبيات وعسكر النظام الجديد وهم دون المائة شخص والآغا المذكور ومعه أوراق في أكياس حرير ملون وخلفه آخر راكب ومعه بقجة يقال أن بداخلها خلعة برسم الباشا وآخر معه صندوق صغير وعليه دواة كتابة منقوشة بالفضة وخلفهم الطبلخانات، فلما وصولا إلى القلعة ضربوا لوصولهم مدافع كثيرة من القلعة وعمل الباشا ديواناً في ذلك الوقت بعد العصر وقرؤوا التقليد المذكور.
وفي ذلك اليوم، وصلت طائفة من العربان إلى جهة بولاق وجزيرة بدران وناحية المذبح وخطفوا ما خطفوه وذهبوا بما أخذوه.
وفيه ورد الخبر بوصول الألفي الكبير إلى ناحية بني سويف وعثمان بك حسن في مقابلته بالبر الشرقي.

وفي يوم الاثنين، وصل قاصد من الألفي بمكتوب خطاباً للمشايخ العلماء مضمونه أنه لا يخفاكم أننا كنا سافرنا سابقاً لقصد راحتنا وراحة البلاد ورجعنا بأوامر وحصل لنا ما حصل، ثم توجهنا إلى جهة قبلي، واستقرينا بأسيوط بعد حصول الحادث بين إخواننا الأمراء والعسكر وخروجهم من مصر، وأرسلنا إلى أفندينا الباشا بذلك فأنعم علينا بولاية جرجا ونكون تحت الطاعة فامتثلنا ذلك وعزمنا على التوجه حسب الأمر فبلغنا مصادرة الحريم والتعرض لهم، بما لا يليق من الغرائم وتسليط العساكر عليهم ولزومهم لهم فثنينا العزم واستخرنا الله تعالى في الحضور إلى مصر لننظر في هذه الأحوال فإن التعرض للحريم والعرض لا تهضمه النفوس وكلام كثير من هذا المعنى، فلما وصلتهم المكاتبة أخذوها إلى الباشا وأطلعوه عليها فقال في الجواب أنه تقدم تركوا نساءهم للفرنسيس وأخذوا منهم أموالاً، وأني كنت أعطيت جرجا ولعثمان بك قناً وما فوق ذلك من البلاد، وكان في عزمي أن أكاتب الدولة وأطلب لهم أوامر ومراسيم بما فعلته لهم وبراحتهم فحيث أنهم لم يرضوا بفعلي وغرتهم أمانيهم فليأخذوا على نواصيهم.

وفيه شرعوا في حفر خندق قبلي الإمام الليث بن سعد ومتاريس.

وفي ذلك اليوم، أرسل محمد علي إلى مصطفى آغا الوكيل وعلي كاشف الصابونجي، فلما حضرا إليه عوقهما إلى الليل، ثم أرسلهما إلى القلعة بعد العشاء ماشيين ومعهما عدة من العسكر فحبسا بها.

وفي يوم الخميس عشرينه، عمل الباشا ديواناً وحضر المشايخ والوجاقلية وأظهر زينته وتفاخره في ذلك الديوان وأوقف خيوله المسومة بالحوش وخيول شجر الدر واصطفت العساكر بالأبواب والحوش والديوان ووقفت أصناف الديوان باختلاف أشكالهم والسعاة بالطاسات المذهبة على رؤوسهم وخرج الباشا بالشعار والهيبة وعلى رأسه الطلخان بالطراز إلى الديوان الكبير المعروف بديوان الغورى، وقد أعدوا له كرسياً بغاشية جوخ أحمر وبساط مفروشاً خلاف الموضع القديم فجلس عليه وزعقت الجاويشية وأحضر التقليد فقرأه ديوان أفندي بحضور الجمع الكبير، ثم قرأ فرمانين آخرين مضمون أحدهما أكثر كلاماً من الثاني ملخصه الولاية وحكاية الحال الماضية من ولاية علي باشا وشفاعته في الأمراء المصرية، بشرط توبتهم ورجوعهم، ثم عودهم إلى البغي والفجور وغدر علي باشا المذكور وظلمهم الرعية بمعونة العسكر، ثم قيام الرعية والعسكر عليهم حتى قتلوهم وأخرجوهم من مصر، فعند ذلك صفحنا عن العسكر وعفونا عما تقدم منهم وأمرناهم بأن يلازموا الطاعة ويكونوا مع أحمد باشا خورشيد بالحفظ والصيانة والرعاية لكافة الرعية والعلماء وإبعاد أهل الفساد والمعتدين وطردهم وتشهيل لوازم الحج والحرمين من الصرة والغلال ونحو ذلك من الكلام المحفوظ المعتاد المنمق، ولما انقضى أمر قراءة الأوراق، قام الباشا إلى مجلسه الداخل، وخل إليه المشايخ فخلع عليهم فراوى سمور، وكذلك الوجاقية والكتبة والسيد أحمد المحروقي، ثم عملوا شنكاً ومدافع كثيرة وطبولاً، وأحضر في ذلك الوقت المعلم جرجس وكبار الكتبة وعدتهم اثنان وعشرون قبطياً، ولم تجر عادة بإحضارهم فخلع عليه أيضاً، ثم نزلوا إلى بيت المحروقي فتغدوا عنده، ثم عوقهم إلى العصر، ثم طلبهم الباشا إلى القلعة فحبسهم تلك الليلة واستمروا في الترسيم وطلب منهم ألف كيس.

وفي يوم السبت ثاني عشرينه، أفرجوا عن مصطفى آغا الوكيل وعلي كاشف الصابونجي على ثلاثمائة كيس.

وفيه حضر محمد علي وحسن بك أخو طاهر باشا وطلعا إلى القلعة فخلع عليهما الباشا وهنأه بالولاية واستقر بمحمد علي

والي جرجا وحسن بك والي الغربية وضربوا لذلك مدافع كثيرة وشنكاً، وعملوا تلك الليلة حراقة وسواريخ من الأزبكية وجهة الموسكي والحال أنهم لا يقدرون أن يتعدوا بر الجيزة ولا شلقان فإن طوائف عسكر الألفي وصلوا إلى بر الجيزة وأخذوا منها الكلف والأمراء البحرية منتشرون ببر الغربية والمنوفية.

وفيه هرب شخص من كبار الأرنؤد يقال له إدريس آغا كان بجماعته جهة برشوم التين، فركب إلى المصرلية ولحق بهم وتبعه جماعته وهم نحو المائة وخمسين شخصاً.

وفيه أرسل الباشا آغاة الإنكشارية ليقبض على علي كاشف من أتباع الألفي من بيته بسوق الأنماطيين فأرسل إلى الأرنؤد فأرسلوا له جماعة منعوا الآغا من أخذه وجلسوا عنده فأرسل الباشا من طرفه جماعة أقاموا محافظين عليه في بيته، ثم أن سليمان آغا كبير الأرنؤد الذي التجأ إليهم المذكور، حضر إليه وأخذه إلى داره بالأزبكية وصحبته الأمير مصطفى البردقجي الألفي أيضاً.

وفي يوم الاثنين، وصل شخص رومي بمراسلة من عند الألفي إلى الباشا، فعندما قرأ الباشا المراسلة أمر بقتله حالاً فرموا عنقه برحبة القلعة وحضر أيضاً مملوك بمراسلة من عند عثمان بك حسن يذكر فيها حضوره مع الألفي وأنه غتر بكلامه وتمويهاته عليه وأن بيده أوامر شريفة من الدولة ومن حضرة الباشا بالحضور وأمثال ذلك فكتب له جواباً وخلع على ذلك المملوك ورجع سالماً.

وفي يوم الأربعاء سادس عشرينه، أفرجوا عن النصارى الأقباط بعد ما قرروا عليهم ألف كيس خلاف البراني وقدره مائتان وخمسون كيساً، ونزلوا إلى بيوتهم بعد العشاء الأخيرة في الفوانيس.

وفيه وصل الألفي الصغير وانتشرت خيوله إلى بر أنبابة، فرموا عليهم مدافع من المراكب وبولاق ورفعوا الغلة من الرقع وأشيع أن الألفي الكبير وصل إلى الشوبك وعثمان بك حسن، وصل إلى حلوان ورجع إبراهيم بك والبرديسي، وباقي الأمراء إلى ناحية بنها بعدما طافوا المنوفية والغربية، وقبضوا الكلف والفرد وخرج كثير من العسكر إلى معسكرهم ناحية شلقان وما وازاها إلى الشرق وخرج أيضاً عدة من العسكر إلى ناحية طر والجيزة.

وفيه أرسل الألفي الصغير ورقة لشخص من كبار العسكر مقطوع الأنف، كان من أتباعه حين كان بمصر يطلبه للحضور إليه ويعده بالإكرام ولن يكون، كما كان في مترلته عنده فأخذ الورقة والرسول إلى الباشا فأمر بقتل المرسال، وهو رجل فلاح فقطعوا رأسه بالرميلة، وأنعم على مقطوع الأنف بعشرين ألف نصف فضة وشكره وقبل ذلك بأيام وصلت هجانة من العريش وأخبروا بورود عساكر من الدلاة وغيرهم معونة لمن بمصر، واختلفت الروايات في عدهم فالمكثر من كذابي العثمانية يقولون عشرة آلاف والمقل من غيرهم يقولون ألفان أو ثلاثة.

وفي يوم الأربعاء، تواترت الأخبار بقربهم من الصالحية وانتقل الأمراء البحرية إلى بلبيس وركب منهم عدة وافرة لملاقاة العسكر الواردين، وخرج كثير من العسكر الخيالة والرجالة إلى جهة الشرقية ببلبيس، ونقلوا عرضيهم من ناحية البحر وردوا الكثير من أثقالهم إلى المدينة.

وفي يوم الخميس، أحضر الباشا طائفة من اليهود وحبسهم وطلب منهم ألف كيس واستمروا في الحبس.

وفيه رجع الألفي الصغير من ناحية أنبابة إلى جهة الشيمي باستدعاء سيده وأشاع العثمانية أنهم ذهبوا ورجعوا من حيث أتوا لعجزهم وعدم قدرتهم عليهم، وكان في ظنهم أمور لا تتم لهم كما ظنوا ولحقتهم جميع العساكر من الجهة الشامية.

وفيه أرسلوا ملاقاة للعساكر الواردين وفيها قومانية وجبخانة ولوازم على ستين جملاً ومعهم هجانة، فعندما توسطوا البرية أحاط بهم العربان وأخذوهم.

وفيه تسحب أشخاص من كبار العسكر بأتباعهم وذهبوا إلى المصريين وانضموا إليهم فمنهم من ذهب إلى قبلي ومنهم من ذهب إلى بحري.

وفيه عدي الألفي الكبير والصغير إلى البر الشرقي عند عثمان بك وترفعت مراكبهم إلى قبلي.

وفيه حضر عابدي بك وحسن بك من البحر إلى بولاق وانتقل محمد علي إلى طنط جهة براشيم التين بعد مقتلة وقعت بينهم وبين المصرلية وانهزموا وذهبوا إلى تلك الجهة.

وفي يوم الأحد غايته، أفرجوا عن طائفة اليهود بعد أن قرروا عليهم مائتي كيس خلاف البراني.

وفيه حضر خازندار الباشا من الديار الرومية إلى ساحل بولاق وصحبته أمتعة ولوازم للباشا وأشياء في صناديق.

استهل شهر ربيع الثاني بيوم الاثنين سنة 1219

فيه ركب الخازندار المذكور وطلع إلى القلعة من وسط المدينة ونزل لملاقاته أغوات الباشا والجاويشية والشفاسية وحضر صحبته نحو خمسين عسكرياً مشوا أمامه وخلفه والصناديق التي حضرت معه خلفه محملة على الجمال والجاويشية أمامه يضربون على طبلات حكم العادة في ركوباتهم ومعه عدة كبيرة من أتباع الباشا وأمامه الجنبيات والخيول.

وفيه وصلت مراكب من الديار الحجازية إلى السويس وفيها حجاج ومغاربة، و لم يصل منهم إلا القليل وأكثرهم قتله العسكر الذي بقي بمكة بعد موت شريف باشا ومن انضم إليهم من أجناسهم وقد حصل منهم غاية الضرر والفساد والقتل حتى في داخل الحرم لأن الشريف غالباً ضمهم إليه ورتب لهم جامكية واستمروا معه على هذا الحال الفظيع.

وفيه أنبهم أمر العسكر الدلاة القادمين من الجهة الشامية واضطربت الروايات عن أخبارهم فمنهم من قال أن المصرلية وقفوا لهم بالطرق وقاتلوهم ورجع من نجا منهم بنفسه ومنهم من قال أنهم لما بلغهم قطع الطريق عليهم رجعوا من حيث أتوا وبعضهم طلب الأمان وانضم إليهم ومنهم من قال أن فرقة منهم ذهبت من فم الرمانة من طريق دمياط وقيل أنهم حضروا بثمانين رأساً منهم إلى بلبيس.

وفي يوم الأربعاء، خرج الوالي بعدة من العسكر وصحبته مدافع وجبخانة واستقر بزاوية الدمرداش.

وفي يوم الخميس رابعه، هجم الأمراء القبالي وهم الألفي وأتباعه وعثمان بك حسن ومن انضم إليهم من طرا وملكوا منها البرج الذي من ناحية الجبل بعد ما ضربوا عليه من أعلى الجبل وتعدوا إلى ناحية البساتين وتركوا، ومن فيها خلف ظهورهم وتحاربوا من طوابير العسكر وكانوا أنفاراً قليلة ونظرهم الباشا من قلعته فزعق على السلحدار، فركب في عدة من الشفاسية وخرج إليهم، فعندما واجهوهم لم يثبتوا وولوا بعدما سقط منهم أنفار.

وفيه وصل جواب من الأمراء القبالي إلى المشايخ يذكرون فيه أنهم يخاطبون الباشا في إخماد الحرب وصلحه معهم فإن ذلك أصلح له ويكونون معه على ما يحب وما يأمر به ويرتاح من علوفة العسكر التي أوجبت له المصادرات وسلب الأموال وخراب الإقليم وأن يختار من العسكر طائفة معلومة معدودة يقيمون بمصر ويأمر الباقي بالسفر إلى بلادهم، فلما خاطبوه بذلك وأطلعوه على المكاتبة أبي وقال ليس لهم عندي إلا الحرب.

وفي يوم الجمعة، حصلت أيضاً بينهم محاربة وأصيب من المراكب الحربية التي يسمونها الشلنبات اثنتان غرقت إحداهما وأحرقت الثانية واتهم الباشا الطبجية فقتل منهم خمسة اثنان بالقلعة وثلاثة بالرميلة.

وفي يوم السبت، حضر محمد علي من بحري وذهب إلى جهة القرافة فأقام بمقام عقبة بن عامر الجهني ووقع في ذلك اليوم محاربات أيضاً.

وفي يوم الأحد، أشيع حضور الأمراء القبالي إلى ناحية بهتيم وأنهم أرسلوا إلى المطرية بالجلاء عنها ومحت العرب نواحي بولاق والجهات البرانية وضربوا عليهم مدافع، وفي ذلك اليوم نظر الباشا وكبار العسكر إلى جهة البساتين، فلم يروا أحداً من المصرلية فركب محمد علي وأخذ معه عدة وافرة ودخلوا تلك الجهة، فلم يروا أمامهم أحداً، فلم يزالوا سائرين وإذا بكمين خرج عليهم من جانب الجبل فأوقع معهم وقعة قوية حتى أصخنوهم وقتل منهم من قتل حتى لحقوا بالمشاة الرجالة فضربوا عليهم طلقاً وولوا مدبرين، فصار محمد علي يستحثهم ويردهم ويحرضهم، فلم يسمعوا له ورجعوا وفيهم جرحى كثيرة طلعوا بطائفة منهم إلى القلعة ودخل الباقون إلى المدينة وطلبوا طائفة المزينين لمداواة الجرحى بالقلعة وأخذوا في ذلك اليوم برج الدير الذي كان بأيدي العسكر جهة البحر بطرا وقتلوا من به من العسكر وأعطوا لمن بقي الأمان وهم نحو الثلاثين شخصاً.

وفي يوم الاثنين ثامنه، وصل المصرلية الذين كانوا جهة المشرق ووصلت مقدماتهم إلى جهة العادلية وناحية الشيخ قمر بل وعند الكيمان خارج باب النصر فأغلقوا باب النصر وباب الفتوح والعدوى، وهربت سكان الحسينية وحصلت كرشة بالجمالية، ولم يخرج إليهم أحد من العسكر بل أخذوا يضربون المدافع من أعلى السور ودخل محمد بك المنفوخ إلى الحسينية، وجلس بمسجد البيومي وانتشر المماليك والأتباع على الدكاكين والقهاوى، واستمر ضرب المدافع إلى بعد الظهر، ثم أن المصرلية ترفعوا عن الحسينية إلى اليشبكية فبطل الرمي ودخل الوالي وأمامه ثلاثة رؤوس تبين أنها رؤوس مغاربة من مقاطيع الحجاج المرضى كانوا مطروحين خارج القاهرة.

وفيه طلب جماعة المماليك السيد بدرا المقدسي فخرج إليهم من داره خارج باب الفتوح فأخذوه عند البرديسي وإبراهيم بك فأسر إليه إبراهيم بك بأن يكون سفيراً بينهم وبين الباشا في الصلح معهم وأنه لا يستقيم حاله مع العسكر ولا يرتاح معهم وليعتبر بما فعلوه مع محمد باشا، وأما نحن فنكون معه على ما ينبغي من الطاعة والخدمة وحضر في أواخر النهار، فلما أصبح يوم الثلاثاء ركب وطلع إلى الباشا وبلغه ذلك فقال له الباشا على سبيل الاختبار والمسايرة قولك صحيح ومن يرجع إليهم بالجواب، فقال أنا فحقدها عليه، ثم قام من عنده فأرسل خلفه وعوقه عند الخازندار، فذهب إليه في ثاني يوم شيخ السادات والسيد عمر النقيب وترجوا في إطلاقه فامتنع، وقال أخاف عليه أن يقتله العسكر ولا بأس عليه ولا يصلح إطلاقه في هذا الوقت وبعد خمسة أيام يكون خيراً فإنه مقيم عند الخازندار في إكرام، وفي مكان أحسن من داره وهذا رجل اختيار يفعل هذه الفعال يخرج إلى المخالفين متنكراً ويرجع من عندهم بكلام، ثم يطلب العود إليهم ثانياً.

وفي ليلة الثلاثاء المذكور، حضر محمد عليه الباشا بعد الغروب وقبض منه خمسين كيساً وقيل ثمانين ورجع إلى معسكره فجمع العسكر وتكلم معهم وفرق عليهم الدراهم واتفق معهم على الركوب والهجوم علي من بطرا في تلك الليلة على حين غفلة، وكان كاتبهم قبل ذلك يلاطفهم ويظهر العجز ويطلب معهم الصلح وأمثال ذلك وفي ظن أولئك صدقه وعدم قدرتهم على مقاومتهم وملاقاتهم، فلما مضى نحو خمس ساعات من الليل ركب محمد علي في نحو أربعة آلاف فراساناً ورجالاً، فلما قربوا من الحرس في آخر السادسة ترجلوا وقسموا أنفسهم ثلاثة طوابير ذهب قسم منهم جهة الدير والثاني جهة المتاريس والثالث جهة الخيل والجماعة وهم صالح بك الألفي ومن معه في غفلتهم ونومهم مطمئنين، وكذلك حرسهم، فلم يشعروا إلا وقد صدموهم فاستيقظ القوم وبادروا إلى الهرب والنجاة فملكوا منهم الدير وأبراج طرا وكان بها عسكر العثمانيين إلى هذا الوقت محصورين، وقد أشرفوا على طلب الأمان وأخذوا مدفعين كانا بالمتراس وبعض أمتعة وثمان هجن وثلاثة عشر فرساً وقتل بينهم بعض أشخاص وانجرح كذلك ورجع محمد علي والعسكر على الفور من آخر الليل ومعه خمسة رؤوس فيها رأس واحدة لم يعلم رأس من هي والباقي رؤوس عربان أو سياس أو غير ذلك وزعموا أن تلك الرأس هي رأس صالح بك وأرسلوا المبشرين آخر الليل إلى الأعيان ليأخذوا البقاشيش وأشاعوا أنهم قبضوا على الألفي الصغير وأحضروه معهم حياً والباقي رموا بأنفسهم إلى البحر، ولما طلع محمد علي إلى الباشا خلع عليه الفروة التي حضرت هل من الدولة وعلقوا تلك الرؤوس على السبيل بالرميلة وضربوا شنكا من القلعة ومدافع وأظهروا السرور وداروا بالأسواق يضربون بالطنابير وشمخ المغرضون بآنافهم على المغرضين للمصرلية، ثم تبين عدم صحة تلك الإشاعة وأن تلك الرأس رأس بعض الأجناد، و لم يمسك الألفي كما قالوا.

وفي يوم الأربعاء عاشره، وصل من بحري ثلاث شلنبات كان الباشا أرسل بطلبها عوضاً عما تلف فعندما وصلوا إلى جهة باسوس وهناك مركز للمصرلية على جرف عال أقعدوا به ليمنعوا من يمر بالمراكب فضربوا عليهم وضرب من في المراكب الحربية أيضاً على من في البر فكان ضرب من في البر يصيب من في البحر وضربهم لا يصيبهم لعلو الجرف عليهم فاحترقت جبخانة إحدى الشلنبات واحترق ما فيها بها وغرقت الثانية ويقال أن الثالثة، لم تكن من المراكب الحربية بل هي مكب معاش، وكان حضر في خفارتهم عدة من المراكب المسافرين فخافوا ورجعوا وقبضوا على بعض قواويس بها غلال فأخذوا ما فيها، فلما شاع ذلك بالمدينة رفعوا ما كان موجوداً من الغلة بالعرصات وشحت الغلال وعدم الفول والشعير وبيع ربع الويبة من الفول بتسعين نصفاً وقل وجود الخبز من الأسواق وخطف بعض العسكر ما وجدوه من الخبز ببعض الأفران وأخذوا الدقيق من الطواحين وصار بعض العسكر يدخل بعض البيوت ويطلبون منهم الأكل والعليق لدوابهم.

وفي يوم الخميس والجمعة اشتد الحال وبيع ربع الويبة من القمح بسبعين نصفاً وثمانين نصفاً وعدم الفول واشترى بعض من وجده ربعاً بمائة نصف فضة فيكون الأردب على ذلك الحساب بألفين وأربعمائة نصف وخرج عساكر كثيرة ووقعت حروب بين الفريقين ورع القبليون إلى طرا وحاربوا عليها، وكانوا شرعوا في عمارة ما تهدم من أبراجها ونقلوا إليها الذخيرة والقومانية والجبخانة والعسكر وأخذوا جمال السقائين لنقل الماء إلى الصهريج الذي ببرج طرا ودار الآغا والوالي على المخازن ببولاق ومصر وأخذوا منها ما وجدوه من الغلة وأمروا ببيعه على الناس بخمسين نصفاً الربع وأخذوا لأنفسهم ما وجدوه من الشعير والفول.

وفي يوم السبت، قلدوا حسن آغانجاتي الحسبة فخافته السوقة واجتهدوا في تكثير العيش والكعك والمأكولات بقدر إمكانهم واجتهد هو أيضاً في الفحص على الغلال المخزونة وبيعها للخبازين، وأما اللحم الضاني فإنه انعدم بالكلية لعدم ورود الأغنام.

وفيه شح ورود الغلة في العرصات وذهب أناس إلى برانبابة فاشتروا الربع بثمانين نصفاً وأزيد من ذلك والقول بمائة وعشرين وعلق أكثر الناس على بهائمهم ما وجدوه من أصناف الحبوب مثل الحمص والعدس وهم المياسير من الناس وأما غيرهم فاقتصروا على التبن وأما العنب والتين في وقت وفرهما، فلم يظهر منهما إلا القليل وبيع الرطل من العنب بأربعة عشر نصفاً والتين بسبعة أنصاف وذلك بعد سلوك الطريق ومشي السفن.

وفي يوم الأحد رابع عشره، اجتمعت العساكر الكثيرة للحرب عند شبرا ورموا على بعضهم بالمدافع والقرابين والبنادق من ضحوة النهار، ثم التحم الحرب بين الفريقين واشتد الجلاد بينهما إلى بعد منتصف النهار، وصبر الفريقان وقتل بينهما عدة كبيرة من العسكر الأرنؤد وطائفة المماليك والعربان، فقتل من أكابر العسكر أربعة أو خمسة ودخلوا بهم المدينة وانكف الفئتان وانحاز إلى معسكرهما وبعد هجمة من الليل اجتمع العسكر من الإنكشارية والأرنؤدية وغيرهم وكبسوا على متاريس شبرا وبها حسين بك المعروف بالإفرنجي وعلي بك أيوب ومعهما عسكر من الأرنؤد الذين انضموا إليهما ومنهم الرماة والطبجية فأجلوهم عن المتاريس وملكوها منهم، ووقع بينهم قتلى كثيرة وقتل من عسكر حسين بك المذكور نحو مائة وستين نفراً وعدة من مماليك علي بك أيوب خلاف الجرحى وزحفوا على باقي المتاريس فملكوا منهم متاريس شلقان وباسوس وانهزم المصرلية إلى جهة الشرق بالخانكة وأبي زعبل وقيل أن العسكر المنضمين إليهم المتقيدين بالمتاريس هم الذين خامروا عليهم وانهزموا عن المتاريس حتى كانوا هم السبب في هزيمتهم، فلما أصبح النهار حضروا بسبعة رؤوس فيها ثلاثة من الأجناد الملتحين وثلاثة بشوارب ورأس أسود فعلقوها بباب زويلة ومن الثلاثة أجناد رأس له لحية طويلة شائبة شبيهة بلحية إبراهيم بك الكبير فقال بعض الناس هذه رأس إبراهيم بك بلا شك وأشيع ذلك بينهم، فاجتمع الناس من كل ناحية للنظر إليه، ووصل الخبر إلى الباشا، فأحضر عبد الرحمن بك والمزين الذي كان يحلق له لمعرفتهما به وآخرين وطلب الرأس فأحضروها وتأملوها، فمنهم من اشتبهت عليه ومنهم من أنكرها لعلامات يعرفها به وهي الصلع وسقوط الأسنان، ثم أعيدت إلى مكانها على ذلك الاشتباه، ثم أنهم عملوا شنكا ومدافع لذلك، ثم طلبها محمد علي أيضاً وفعل مثل ذلك وردها أيضاً، ثم رفعوها في الليل واستمر الفرح والشنك يومين والناس بين ناف ومثبت ومسلم ومنكر ومعاند مكابر، حتى وردت خدم من معسكرهم وأخبروا بحياة إبراهيم بك وأنه بوطاقه جهة الشرق فزال الشك وأرسل المصريون إلى بيوتهم أوراقاً.

وفي ليلة الاثنين المذكور، وقع خسوف قمري وطلع من المشرق منخسفاً آخذاً في الانجلاء، ومقدار المنخسف منه عشرة أصابع وتم انجلاؤه في ثاني ساعة من الليل، وكان بأول برج الدلو.

وفي ليلة الخميس، وصل أمير أخور الصغير من الديار الرومية، وطلع إلى بولاق في صبحها وركب إلى القلعة، فأنزله الباشا ببيت رضوان كتخدا إبراهيم بك بدرب الجماميز، و لم يعلم ما بيده من الأوامر، ثم تبين أن من الأوامر التي معه إخراج خمسمائة من العسكر إلى بندر ينبع البحر يقيمون بها محافظين لها من الوهابيين، ويدفع لهم جامكية سنة كاملة وذخيرتها وما يحتاجون إليه من مؤونة وغلال وجبخانة.

وفي يوم الثلاثاء، قرؤوا تلك الأوامر وفيها أنه تعين محمد باشا أبو مرق بعساكر الشام إلى الحجاز، فأحضر الباشا كبار العسكر وعرض عليهم ذلك الأمر، وقال لهم أنه ورد لي إذن عام في تقليد من أقلده فمن أحب منكم قلدته أمرية طوخ أو طوخين فامتنعوا من ذلك، وقالوا نحن لا نخرج من مصر، ولا نتقلد منصباً خارجاً عنها، ووصلت الأخبار في هذه الأيام أن الوهابيين ملكوا الينبع.

وفيه وردت الأخبار بأن الألفي عدى إلى البر الشرقي، وكان قبل ذلك عدى إلى البر الغربي وانتشرت عساكره إلى الجسر الأسود، ثم رجعوا وعدوا إلى البر الشرقي.

وفي يوم الأربعاء سابع عشره، ركب الأمراء المصرلية وانتقلوا من الخانكة ومروا من خلف الجبل بحملاقم وأثقالهم وذهبوا إلى جهة قبلي، وخاب سعيهم، و لم ينالوا غرضهم وكان في ظنهم أنهم إذا حصلوا بالقرب من المدينة خرج إليهم الكثير من العسكر وانضم إليهم لمقدمات سبقت منهم مراسلات وكلام وقع بينهم وبين أتباعهم ومماليكهم المجتمعين عند أكابرهم وذبهم عنهم وعن بيوقم وحريمهم، بل وإخراج بعض الأتباع والمماليك بمطلوبات إلى أسيادهم خفية وليلاً حتى استقر في أذهان كثير من العقلاء ممالآت كثير من البنباشايات ورؤساء العسكر مع المصرلية وعندما تحقق العسكر ذهابهم، دخلوا إلى المدينة بأثقالهم وحمولهم وانتشروا بها حتى ملؤا الأزقة والطرق والبيوت وقدمت السفن المعوقة وتواجدت الغلال بالرقع وتخلف عنهم أناس كانوا منضمين إليهم طلبوا أماناً بعد ذلك، وحضروا بعد ذلك إلى مصر وقدمت عساكر ودلاة في المراكب ودخلوا البيوت بمصر وبولاق وأخرجوا منها أهلها وسكنوها وإذا سكنوا داراً أخربوها وكسروا أخشابها وأحرقوها لوقودهم فإذا صارت خراباً تركوها وطلبوا غيرها ففعلوا بها كذلك وهذا دأبهم من حين قدومهم إلى مصر حتى عم الخراب سائر النواحي وخصوصاً بيوت الأمراء والأعيان وبواقي دور بركة الفيل وما حولها من بيوت الأكابر والقصور التي كانت يضرب بأدناها المثل، وفي ذلك يقول صاحبنا العلامة الشيخ حسن العطار وأما بركة الفيل فقد رميت بكل خطب جليل، وأورثت العين بوحشتها بكاء وعويلاً والقلب بذكر ما سلف من مباهجها حزناً طويلاً.

وفي يوم الثلاثاء ثالث عشرينه، طلع المشايخ عند الباشا وشفعوا في السيد بدر المقدسي فأطلقه، ونزل إلى داره.

وفي يوم الخميس خامس عشرينه، قلدوا علي آغا الوالي على العسكر المعين إلى الينبع أميراً وضربوا له مدافع، وفرح الناس بعزله من الولاية فإن كان أخبث من تقلد الولاية من العثمنية، وكان الباشا يراعي خاطره ولا يقبل فيه شكوى وتعين للسفر معه عدة من العسكر من أخلاط مصر البطالين أروام وخلافهم.

وفيه قلدوا مناصب كشوفية الأقاليم لأشخاص من العثمانية.

وفي ثامن عشرينه، تشاجر شخص من العسكر مع شخص حكيم فرنساوي عند حارة الإفرنج بالموسكي فأراد العسكري قتل الفرنساوي فعاجله الفرنساوي فضربه فقتله وفر هارباً، فاجتمع العسكر وأرادوا نهب الحارة، فوصل الخبر إلى محمد علي فركب في الوقت ومنع العسكر من النهب، وأغلق باب الحارة وقبض على وكيل قنصل الفرنساوية، وأخذه معه وحبسه عنده، حتى سكن العسكر.

وفي تلك الليلة، مر جماعة من العسكر بخط الدرب الأحمر فأرادوا أخذ قنديل من قناديل السوق، فقام عليهم الخفير يريد منعهم

فذبحوه وأخذوا القنديل فأصبح الناس فرأوا الخفير مذبوحاً وسمعوا القصة من سكان الدور بالخطة، ووجدوا أيضاً عسكرياً مقتولاً جهة الموسكي، وغير ذلك حوادث كثيرة في كل يوم من أخذ النساء والمردان والأمتعة والمبيعات من غير ثمن وانقضى الشهر.

وفيه استقر الأمراء المصرلية جهة صول والبرنبل وما قابلهما من البر الغربي، واستمر عثمان بك حسن والبرديسي وأتباعهما بالبر الشرقي وشرعوا في بناء متاريس وقلاع بساحل البحر من الجهتين، وأرسل الباشا إلى جهة دمياط ورشيد يطلب عدة مراكب وشلنبات لاستعداد الحروب واجتهد في ملء صهاريج القلعة، وطلبوا السقائين وألزموهم بذلك فشح الماء بالمدينة، وغلا سعره لذلك ولغلو العليق، حتى بلغ ثمن الراوية أربعين نصفاً بعد المشقة في تحصيله، لأنه لم يبق إلا الروايا الملاكي لأكابر الناس فيمنعها العطاش عند مرورها قهراً، ويدفعون ثمنها بالزيادة، واتفق شدة الحر وتوالى هبوب الرياح الحارة وجفاف الجو وتأخير زيادة النيل.

شهر جمادى الأولى سنة 1219

استهل بيوم الثلاثاء، في ذلك اليوم كان مولد المشهد الحسيني، ونزل الباشا وزار المشهد ودخل عند شيخ السادات باستدعاء وتغدى عنده، ثم ركب راجعاً قبل الظهر إلى القلعة، ولم يقع في ليالي المولد حظ للناس، ولا انشراح صدور كالعادة بسبب أذية العسكر واختلاطهم بهم وتكديرهم عليهم في الحوانيت والأسواق، حتى أنهم في آخر الليلة التي كان من عادتهم يسهرونها مع ليال قبلها إلى الصباح أغلقوا الحوانيت وأطفؤا القناديل من بعد أذان العشاء، وذهبوا إلى دورهم.

وفيه قرروا فردة غلال على البلاد قمح وشعير وتين أعلى وأوسط وأدنى الأعلى خمسة عشر أردباً وخمسة عشر حمل تين والأوسط عشرة والأدنى خمسة على أن إقليم القليوبية لم يبق به إلا خمسة وعشرون قرية فيها بعض سكان والباقي خراب ليس فيها ديار، ولا نافخ نار ومجموع المطلوب ثمانية آلاف أردب خلاف التين، وذلك برسم ترحيلة علي باشا إلى الينبع ثم قرروا فردة، كذلك أيضاً وقدرها ألف وخمسمائة كيس رومية.

وفي يوم الجمعة رابعه، جمع الباشا المشايخ في ديوان خاص بسبب مكتوب حضر من الأمراء المصريين خطاباً للمشايخ مضمونه أنهم يسعون بينهم وبين الباشا، فيما يكون فيه الراحة للبلاد والعباد وأنه يخرج هذه العساكر فإنهم إن داموا بالإقليم كملوا خرابه وهتكوه بأفاعيلهم وظلمهم وفسقهم، وطلب العلوفات التي لا يفي ببعضها خراج الإقليم، وأما نحن فإننا مطيعون السلطنة وخدامون بلا جامكية ولا علوفة، وإن لم يفعل ذلك يعطينا جهة قبلي تتعيش فيها وإن أرادوا الرحب فليخرجوا الناس بعيداً عن الأبنية ويحاربونا في الميدان والله يعطي النصر لمن يشاء إلى آخر ما قالوه، فقال الباشا للمشايخ، اكتبوا لهم يأخذوا جهة أسنا ومقبلاً، فقالوا نحن لا نكتب شيئاً، اكتبوا لهم مثل ما تعوفون وانفض المجلس.

وفيه عزم جماعة من أكابر العسكر على السفر إلى بلادهم وهم أحمد بك رفيق محمد علي وصادق آغا وخلافهما، وأخذوا في تشهيل أنفسهم وبيع متاعهم، ونزلوا إلى بولاق عند عمر آغا، ونزل محمد علي لوداعهم ببيت عمر آغا، فاجتمع العسكر وأحاطوا بهم ومنعوهم من السفر قائلين لهم أعطونا علوفاتنا المنكسرة، وإلا عطلناكم ولا ندعكم تسافرون بأموال مصر،

ومنهوباتها فأخذوا خواطرهم، ووعدوهم على أيام وامتنعوا من السفر.
وفي يوم الثلاثاء ثامنه، تقلد شخص من العثمانيين الزعامة عوضاً عن علي آغا الذي تولى باشة السفر للينبع.
وفي عاشره، اجتمع العسكر وطلبوا علوفاتهم من الباشا فدفعوا للأرنؤد جامكية شهر.
وفي ليلة الجمعة حادي عشر جمادى الأولى الموافق لثاني عشر مسرى القبطي، أوفى النيل المبارك سبعة عشر ذراعاً وكسر سد الخليج في صبح يوم السبت، يحضر الباشا والقاضي ومحمد علي وباقي كبار العسكر وجميع العسكر، وكان جمعاً مهولاً، وضرب الجميع بنادقهم، وجرى الماء بالخليج وركبوا القوارب والمراكب ودخلوا فيه وهم يضربون بالبنادق، وكذلك من كان منهم بالقواطين والبيوت، وكان الموسم خاصاً بهم دون أولاد البلد وخلافهم، وكذلك سكنوا بيوت الخليج مع قحابهم من النساء ومات في ذلك اليوم عدة أشخاص نساء ورجالاً أصيبوا من بنادقهم، ومما وقع أنه أصيب شخص من أولاد البلد برصاصة منهم ومات، وحضر أهله يصرخون وأرادوا أخذه ليواروه فمنعهم الوالي وطلب منهم ثلاثة آلاف درهم فضة، ولم يمكنهم من شيله حتى صالحوه على ألف وخمسمائة، وكذلك من كان منهم بالقواطين والبيوت، أذن لهم في أخذه ومواراته، ونظر بعضهم إلى أعلى بيوت الخليج، فرأى امرأة جالسة في الطاقة فضربها برصاصة فأصابتها في دماغها وماتت من ساعتها، وغير ذلك مما لم تتحقق أخباره.
وفي يوم الأحد ثالث عشره، خرج علي باشا الوالي المسافر إلى الينبع خارج البلد، وأقام جهة العادلية، وارتحل يوم السبت تاسع عشره ومعه مائة عسكري لا غير، وذهب إلى جهة السويس.

وفيه أرسل الباشا إلى المشايخ والوجاقلية، وتكلم معهم في توزيع فردة على أهل مصر لغلاق جامكية العسكر فدافعوا بما أمكنهم من المدافعة فقال هذا الذي نطلبه إنما نأخذه على سبيل القرض، ثم نرده إليهم، فقالوا له لم يبق بأيدي الناس ما يقرضونه ويكفي الناس ما هم فيه من الغلاء ووقف الحال، وغير ذلك فالتفت إلى الوجاقلية، وقال كيف يكون العمل فقال أيوب كتخدا نعمل جمعية مع السيد أحمد المحروقي ويحصل خير فركن الباشا على ذلك، ثم اجتمعوا مع المذكور واتفقوا أنهم يطلبونها بكيفية ليس فيها شناعة، ولا بشاعة، وهي أنهم قرروا على الوجاقلية قدراً من الأكياس، وكتبوا بها تنابيه بأسماء أشخاص منها ما جعلوا عليه عشرين كيساً وعشرة وخمسة وأقل وأكثر، وكذلك وزعوا على أشخاص من تجار البن وخان الخليلي ومغاربة أغراب، وأهل الغورية وخلافهم من تراخي في الدفع، قبضوا عليه وأودعوه في أضيق الحبوس ووضعوا الحديد في يديه ورجليه ورقبته ومنهم من يوقفونه على قدميه، والجتزير مربوط بالسقف، وأرسلوا العسكر إلى بيوتهم فجلسوا بها يأكلون ويسكرون ويطلبون من النساء المصروف خلاف الأكل الذي يطلبونه ويشتهونه وهو ثمن الشراب والدخان والفاكهة، بل ويأتون بالقحاب معهم ويضربون بالبندق والرصاص بطول الليل والنهار وأمثال ذلك.
وفي يوم الخميس رابع عشرينه، أرسل الباشا عسكراً فقبض على الأمير علي المدني صهر ابن الشيخ الجوهري وحبسه فركب إليه المشايخ وكلموه في شأنه وقالوا، أنه رجل وجاقلي من خيار الناس، وما السبب في القبض عليه وما ذنبه الموجب لذلك فقال أنه رجل قبيح ولي عليه دعوة شرعية، وإذا كان من خيار الناس ومن الوجاقلية لأي شيء يعمل كتخدا عند صالح بك الألافي، وأنه عند هروب مخدومه من الشرقية أخذ ما كان معه من المال على أربعة جمال ودخل بها إلى داره، وعندي بينة

تشهد عليه بذلك فأنا أطالبه بالمال الذي عنده وقاموا ونزلوا من غير طائل.

وفي يوم السبت سادس عشرينه، توفي الشيخ موسى الشرقاوي الشافعي، وكان من أعيان العلماء الشافعية.

وفي يوم الاثنين ثامن وعشرينه، أحضروا المحمل من السويس فترل كتخدا الباشا والآغا والوالي وأكابر العسكر وعدة كبيرة من العسكر وعملوا له الموكب وشقوا به البلد وخلفه الطبل والزمر.

وفي أواخره، وصلت قوافل البن من السويس فحجزها الباشا وأخذها وأعطى أصحاب البن وثائق بثمن البن لأجل، ووكل في بيعه وحول به العسكر يأخذونه من أصل علوفاتهم قلبغ ثمن المحجوز تسعمائة كيس وانهمك المشترون على الشراء ومنعوا القبانية من الوزن إلا بحضور المقيدين بذلك وانقضى هذا الشهر وحوادثه، وما وقع فيه من عكوسات العسكر من الخطف والقتل والدعاوى الكذب وشهاداتهم الزور لبعضهم فيما يدعونه وتواطئهم على ذلك، فيكتب له عرضحال ويشكو أنه غصبه في مدة سابقة قبل ذلك، طلق منه زوجته قهراً بعد أن كان صرف عليها مبلغ دراهم كثيرة في المهر والنفقة والكسوة ويكتبون له عليه علامة الباشا ويأخذ صحبته أشخاصاً معينين من أقرانه فيسحبون المدعي عليه إلى المحكمة فلا يثبت عليه ذلك، فيكتب له القاضي إعلاماً بعدم صحة الدعوى بدراهم يدفعها على ذلك الإعلام فيذهبون إلى ديوان الباشا ويخبرون الكتخدا ببطلان الدعوى ويطلعون على الإعلام بحضرة الخصم وهو يظن البراح والخلاص من تلك الدعوة الباطلة فيقول الكتخدا للخصم أعط المباشرين خدمتهم خمسة أكياس واذهب وأمثال ذلك فإن وجد شافعاً أو مغيثاً توسط له أو تشفع في تخفيف ذلك قليلاً أو ضمنه أو دفع عنه وأنقذه وإلا حبس كغيره وذاق في الحبس أنواع العذاب حتى يدفع ما قرره عليه الكتخدا، واتفق أن جماعة من سكان المحجر شكو أنظار جامع وسبيل ومدرسة متخربة من أيام الفرنسيس ومعطلة الشعائر والإيراد فأمر الكتخدا بإحضار النظار وهم ناس فقراء وعواجز وسألهم فأخبروا بتعطيل الإيراد فأحضروا مباشرين الأوقاف فحاسبوهم، فلم يطلع عليهم شيء فقال الكتخدا أعطوا المباشرين خدمتهم، فلما فرغوا من ذلك بعد مشقة عظيمة قالوا هاتوا محصول الخزينة فقالوا وما يكون محصول الخزينة، قالوا ثلاثون كيساً من كل ناظر عشرة أكياس فبهت الجماعة وتحيروا في أمرهم، ولم يعلموا ما يقولون وفي الحال جذبوهم إلى الحبس وفيهم رجل من جماعة المشهدية عاجز لا يقدر على القيام فسعى عليه حريمة وخشداشينه وصالحوا عليه بكيسين وخلصوه، وأما الاثنان الآخران فاستمرا في الحبس والحديد مدة طويلة وأمثال ذلك.

وفي أواخره، أفرجوا عن السيد علي المدني بعدما قرروا عليه أربعة آلاف ريال خلاف البراني وأمثال ذلك كثير.

شهر جمادى الثانية سنة 1219

استهل بيوم الخميس فيه حضر القاضي الجديد إلى جهة بولاق وركب في يوم الجمعة، فطلع إلى القلعة وسلم على الباشا ورجع إلى المحكمة، وكان عندما وصل إلى رشيد أرسل إلى الباشا ليأمر له بعمارة المحكمة فأمر الباشا أصحابها بالعمارة وأمرهم بالاجتهاد في ذلك.

وفيه، فقد اللحم وشح وجوده وكذلك السكر والعسل، وأما العسل الأبيض فبلغ الرطل خمسين نصفاً إن وجد لعدم الوارد من ناحية قبلي وقلة المرعى بالجهة البحرية واستقر الألفي الكبير جهة اللاهون وبقية الجماعة جهة المنية وأسيوط وعثمان بك حسن

بجبل الطير بالبر الشرقي.

وفي خامسه أشيع سفر محمد علي إلى بلاده وكذلك أحمد بك وغيرهم من أكابرهم وشرعوا في بيع جمالهم وبلادهم ومتاعهم وكثر لغط الناس بسبب ذلك وكثر إفساد العساكر وخطفهم وأغلق أهل الأسواق الدكاكين وخاف الناس المرور وتطيروا منهم وخصوصاً الإنكشارية.

وفي يوم الثلاثاء سادسه، مر محمد علي وخلفه عدة كبيرة من العسكر وهو ماش على أقدامه، وكذلك حسن بك أخو طاهر باشا وعابدي بك وآغات الإنكشارية والوالي وجلس منهم جماعة جهة الغورية وخان الخليلي ساعة ثم ذهبوا وكأهم يطمنون الناس وأمام بعضهم المناداة بالتركي بالأمن والأمان وفتح الدكاكين وكل من تعرض لكم اقتلوه وفي أثر مرورهم وقع الخطف والتعرية.

وفي ذلك اليوم أواخر النهار مت مركبان فيهما عسكر أرنؤد بالخليج المرخم، ومعهم امرأة وبتلك الجهة عسكر إنكشارية ساكنون ببيت المجنون فضربوا عليهم رصاصاً من الشبابيك فقتل منهم جماعة، وهرب من نجا أو عرف العوم فتحزب الأرنؤد وجاء منهم طائفة لذلم البيت فلم يجدوا به أحداً، فأرسل محمد علي إلى حسن بك وتكلم معه في شأن ذلك.

وفي صبحها يوم الأربعاء، قتلوا ثلاثة وقيل خمسة ناحية الموسكي يقال أنه بسبب تلك الحادثة وقيل بسبب آخر.

وفيه، سافر جماعة من العسكر وأخذوا المراكب، وأرسلوا إلى سكندرية ودمياط ورشيد وغيرها بطلب المراكب فشحت المراكب، ووقف حال المسافرين وتعطلوا عن الرواح والمجيء وغلا سعر القمح والسمن وعدم اللحم، وكذلك باقي الأسباب والمأكولات زيادة عن الواقع، وإذا وصلت مراكب نزل في المراكب الكبيرة الخمسة أنفار أو العشرة والحال أنها تسع المائة وساروا ينهبون في طريقهم ما يصادفونه من المسافرين ويقتلونهم ويطلبون من البلاد الكلف والمأكل وغير ذلك.

وفي يوم السبت سابع عشره، سافر أحمد بك وعلي بك أخو طاهر باشا.

وفيه، قلد الباشا سلحداره ولاية جرجا وبرز خيامه جهة دير العدوية.

وفي يوم الخميس ثاني عشرينه، وصلت مراكب من الشلنبات الحربية فضربوا لها مدافع من القلعة.

وفي يوم الأحد تعدى جماعة من العسكر وخطفوا عمائم الناس واتفق أن الشيخ إبراهيم السجيني مر من جهة الداودية وهو راكب بهيئته فأخذوا طيلسانه من على كتفه وعمامة تابعه وقتلوا من بعضهم أنفاراً.

وفي يوم الاثنين، نزل الآغا ونادى على العسكر بالخروج والسفر إلى التجريدة وكل من كان مسافر إلى بلاده فليسافر.

وفيه هربت زوجة عثمان بك البرديسي مع العرب إلى زوجها بقبلي فلما بلغ الخبر الباشا أحضر أخاها والمحروقي وسألهما عنها فقالا، لم نعلم بهروبها فعوق أخاها عنده ثم أطلقه بشفاعة المحروقي.

شهر رجب الفرد سنة 1219

استهل بيوم السبت فيه انتقل العسكر المسافرون من دير العدوية إلى ناحية طرا وسافر قبل ذلك بأيام كاشف بني سويف ويقال له محمد أفندي.

وفي يومي الاثنين والثلاثاء، نادى الآغاوات التبديل بخروج العسكر المسافرين وكثر أذى العسكر للناس وخطفوا الحمير، وتعطلت أشغال الناس في السعي إلى مصالحهم ونقل بضائعهم.

وفي يوم الأربعاء، سافرت التجريدة براً وبحراً وتأخر محمد علي عن السفر إلى بلاده، كما كان أشيع ذلك واشتهر أنه مسافر إلى جهة قبلي وورد الخبر باستقرار كاشف بني سويف بها و لم يكن بها أحد من المصرلية.

وفي يوم الأحد تاسعه، نزل الباشا إلى وليمة عرس مدعواً ببيت السيد محمد بن الدواخلي بحارة الجعيدية وكفر الطماعين، ونزل في حال مروره ببيت السيد عمر أفندي نقيب الأشراف فجلس عنده ساعة وقدم له حصانين.

وفي حادي عشره، نزل الباشا في التبديل ومر من سوق السمكرية فرأى عسكرياً يشتري كوز صفيح فأعطاه خمسة أنصاف فأبى السمكري إلا بعشرة فأبى، و لم يدفع له إلا خمسة فرآه الباشا فقال له أعطه ثمنه، فقال له وإيش علاقتك وهو لم يعرفه فقال له أما تخاف من الباشا فقال الباشا على زبي فضربه الباشا وقتله ومضى.

وفي يوم الاثنين سابع عشره، أحضروا أربعة رؤس وضعوها تجاه باب زويلة وأشاعوا أنهم من مقتلة وقعت بينهم وبين القبالى وأشاعوا أنه بعد يومين تصل رؤس كثيرة ووصل أيضاً جملة أسرى طلعوا بهم إلى القلعة.

وفي يوم الأربعاء، طلع محمد علي إلى القلعة فخلع عليه الباشا فروة سمور على سفره إلى قبلي وبرز بوطاقه إلى خارج.

وفي يوم الأربعاء سادس عشرينه، اتهموا قادري آغا بأنه يكاتب الأمراء المصرلية القبالى ومنعوه من السفر إلى قبلي وأمروه بأن يسافر إلى بلاده، فركب في عسكره وذهب إلى بولاق وفتح وكالة علي بك الجديدة ودخل فيها بعسكره وامتنع بها وانضم إليه كثير من العسكر، فحضر إليه محمد علي وكلمهم وكذلك حضر إليهم الباشا ببولاق فلم يمتثلوا وقالوا لا نسافر ولا نذهب إلا بمرادنا وأعطونا المنكسر من علوفاتنا فتركوهم ونادوا على خبازين بولاق لا يبيعون عليهم الخبز ولا المأكولات فأرسل قادري آغا إلى المحتسب، وقال له نحن نأخذ العيش بثمنه فإن منعتموه من الأسواق طلعنا إلى البيوت وأخذنا ما فيها من الخبز ويترتب على ذلك ما يترتب من الإفساد فأخبروا الباشا بذلك فأطلقوا لهم بيع الخبز وغيره واستمر على ذلك أياماً.

وفيه شرعوا في تحرير فردة على البلاد وكتبوا دفاترها إلا على ثمانون ألف فضة ودون ذلك ويتبعها على كل بلد جملان وسمن وأغنام وقمح وتبن وشعير.

وفي أواخره حصلت نوة وتتابع مرور الغيوم وحصل رعد هائل ودخل الليل فكثر الرعد والبرق وتبعه المطر، ثم حضر أناس بعد أيام من جهة شرقية بلبيس وأخبروا أنه نزل بناحية مشتول صواعق أهلكت نحو العشرين من بني آدم وأبقاراً وأغناماً وعميت أعين أشخاص من الناس.

وفي هذا الشهر، شرعوا في عمل كسوة الكعبة بيد السيد أحمد المحروقي فقيد بها وكيله بذلك، وشرعوا في عملها في بيت الملا بحارة المقاصيص.

شهر شعبان سنة 1219

استهل بيوم الأحد في رابعه حضر لحسن بك طوخان، وطلع إلى القلعة ونزل إلى الباشا ولبس خلعة من خلع الباشا وقاووقاً، وركب ونزل من القلعة وأمامه الجاويشية والسعاة والملازمون وضربت له النوبة بمعنى أنه صار عوضاً عن أخيه.

وفي يوم الخميس، نزل قادري آغا ومن معه من العسكر في المراكب وسافر جهة بحري وسافر خلفهم عدة من الدلاة.

وفيه أشيع إبطال الفردة في هذا الوقت، ثم قرروا مطلوبات دون ذلك.

وفي يوم الخميس ثاني عشره، نودي بخروج العسكر إلى السفر لجهة قبلي ولا يتأخر منهم من كان مسافراً فشرعوا في الخروج وقضاء حوائجهم، وصاروا يخطفون حمير الناس والجمال.

وفي يوم الجمعة، وصل قاصد من الديار الرومية وعلى يده فرمان جواب على مراسلة للباشا بإرسال باشة الينبع لمحافظتها من الوهابيين، وأنه أعطاه ذخيرة شهرين وبأن يرسل إليه ما يحتاجه من الذخيرة، وكذلك محمد باشا والي جدة يعطي له ما يحتاجه من الذخيرة لأجل حفظ الحرمين والوصية برعية مصر، ودفع المخالفين وأمثال ذلك فعمل الباشا الديوان في ذلك اليوم وقرأوا الفرمان وضربوا عدة مدافع.

وفيه مات الشيخ حجاب.

وفي يوم السبت رابع عشره، سافر محمد علي.

وفيه هرب علي كاشف السلحدار الألفي ومن بمصر من جماعته، فلما وصل الخبر إلى الباشا أرسل إلى بيوتهم، فلم يجد فيها أحداً فسمروها وقبضوا على الجيران، ونهبوا بعض البيوت.

وفي سابع عشره، سافر حسن باشا أيضاً ونادوا على العسكر بالخروج.

وفي تاسع عشره، حضر طائفة من الدلاة نحو المائتين وخمسين نفراً فأنزلهم الباشا بقصر العيني.

وفي يوم الثلاثاء المذكور سابع عشره، عمل السيد أحمد المحروقي وليمة ودعا الباشا إلى داره، فنزل إليه وتغدى عنده وجلس نحو ساعتين، ثم ركب وطلع إلى القلعة فأرسل المحروقي خلفه هدية عظيمة وهي بقج قماش هندي وتفاصيل ومصوغات مجوهرة وشمعدانات فضة وذهب وتحائف وخيول له ولكبار أتباعه صحبة ولده وترجمانه وكتخداه وخلع عليهم الباشا فراوى سمور.

وفي يوم الأحد ثاني عشرينه، توفي السيد أحمد المحروقي فجأة، وكان جالساً مع أصحابه حصة من الليل فأخذته رعدة فدثروه ومات في الحالفي سادس ساعة من الليل فسبحان الحي الذي لا يموت، وركب ابنه وطلع إلى الباشا فوعده الباشا بخير، وأرسل القاضي وديوان أفندي وختم على بيته وحواصله، ثم حضروا في ثاني يوم فضبطوا موجوداته وكتبوها في دفاتر وأودعوها في مكان، وختموا عليها وأرسلوا علم ذلك إلى الدولة صحبة صالح أفندي، وكان على أهبة السفر فعوقوه حتى حرروا ذلك، وسافر في يوم الجمعة سابع عشرينه.

وفي يوم الأربعاء خامس عشرينه، أحضروا إحدى وعشرين رأساً لا يعلم ما هي وهي متغيرة محشوة بالتبن وأشاعوا أنها من ناحية المنية، وأنهم حاربوا عليها وملكوها، ولم يظهر لذلك أثر بين.

وفي يوم السبت ثامن عشرينه، ألبس الباشا ابن السيد المحروقي فروة سمور وقفطاناً على دار الضرب وعلى ما كان أبوه عليه من خدمة الدولة والالتزام، ونزل من القلعة صحبة القاضي إلى المحكمة، ثم رجع إلى بيته.

وفي ذلك اليوم بعد العصر، وقع ربع بجوار حمام المصبغة جهة الكعكيين على الحمام، فهدم ليوان المسلخ، فمات من به من النساء والأطفال والبنات ثلاثة عشر، وخرج الأحياء من داخله وهم عرايا ينفضن غبرات الأتربة والموت، وحضر الآغا والوالي ومنعوا من رفع القتلى إلا بدراهم، ونهبوا متاع النساء، وقبضوا على الشيخ محمد العجمي مباشر وقف الغوري ليلاً وأزعجوه لأن ثلث الحمام جار في الوقف والحال أن الحمام لم يسقط، وإنما هدمه ما سقط عليه، وكذلك طلبوا ملاك الربع، وهم الشيخ عمر الغرياني وشركاؤه، فذهبوا إلى بيت الشيخ الشرقاوي والتجؤا إليه، ثم أن القاضي كلم الباشا في أمر المردومين وذكر له طلب الحاكم دراهم على رفعهم واجتماع مصيبتين على أهليهم والتمس منه إبطال ذلك الأمر، فكتب فرماناً بمنع ذلك، ونودي به في البلدة وسجل.

وفي ليلة الاثنين، عمل موسم الرؤية ثبوت هلا رمضان، وركب المحتسب ومشايخ الحرف على العادة من بيت القاضي، و لم يثبت الهلال تلك الليلة، ونودي أنه من شعبان، وانقضى شهر شعبان وقادري آغا عاص جهة شابور في قرية وصالح آغا، ومن معه من العساكر مستمرون على حصاره وصحبتهم أخلاط من العربان وجلا أهل شابور عنها وخرجوا على وجوههم، مما نزل بهم من النهب وطلب الكلف وغير ذلك من العاصي منهم والطائع، فإن كلا الفريقين تسلطوا على نهب البلاد وطلب الكلف وغيرها، وإذا مرت بهم مركب نهبوها، وأخذوا ما فيها فامتنع ورود المراكب وزاد الغلاء، وامتنع وجود السمن وإذا وجد بيع العشرة أرطال بخمسمائة نصف فضة وستمائة، ولا يوجد وبيع الرطل من البصل في بعض الأيام بثمانية أنصاف والأردب الفول بثمانية عشر ريالاً والقمح بستة عشر ريالاً والرطل الشمع الدهن بأربعين نصفاً والشيرج بخمسة وثلاثين نصفاً، وأما زيت الزيتون فنادر الوجود وقس على ذلك.

شهر رمضان سنة 1219

استهل بيوم الثلاثاء في ثانيه، حضر صالح آغا الذي كان يحاصر قادري آغا وضربوا له مدافع وتحقق أن قادري طلب أماناً فأرسلوا مع من معه إلى دمياط وذلك بعد أن ضيقوا عليه وحضر إليه كاشف البحيرة وضايقه من الجهة الأخرى، وفرغت ذخيرته، فند ذلك أرسل إلى كاشف البحيرة فأمنه.

وفي سابعه، وصل جماعة من الإنكليز إلى مصر، وهم نحو سبعة عشر شخصاً وفيهم فسيال كبير وآخر كان بصحبة علي باشا الطرابلسي.

وفي عاشره، سافر صالح آغا إلى جهة بحري قيل ليأتي بجانم أفندي الدفتردار فإنه لم يزل عاصياً عن الحضور إلى مصر.

وفيه ركب الباشا في التبديل ونزل من جهة التبانة فوجد في طريقه عسكرياً يأخذ حمل تبن من صاحبه قهراً فكلمه وهو لم يعرفه فأغلظ في الجواب فقتله، ثم نزل إلى جهة باب الشعرية وخرج على ناحية قناطر الإوز فوجد جماعة من العسكر غاصبين قصعة زبدة من رجل فلاح، وهو يصيح فأدركهم وهم سبعة وفيهم شخص ابن بلد أمرد لابس ملابس العسكر فأمر بقتلهم فقبضوا على ثلاثة منهم وفيهم ابن البلد وقتلوهم وهرب الباقون ثم نزل إلى ناحية قنطرة الدكة، وقتل شخصين أيضاً وبناحية بولاق كذلك وبالجملة فقتل في ذلك اليوم نيفاً وعشرين شخصاً وأراد بذلك الإخافة فانكف العسكر عن الإيذاء قليلاً وتواجد

السمن وبعض الأشياء مع غلو الثمن.

وفيه تواترت الأخبار بوقوع حرب بين العسكر والأمراء المصريين في المنية وقتل من الأمراء صالح بك الألفي ومراد بك من الصناجق الجدد المقلدين الإمارة خارج مصر، وهو زوج امرأة قاسم بك وخازندار البرديسي سابقاً موسقو، و لم تزل الحرب قائمة بين الفريقين، وأرسلوا بطلب ذخيرة وعلوفة فأرسلوا لهم بقسماطاً وغيره.

وفي عشرينه، حضر إلى الباشا بعض الرواد وأخبره أن طائفة من عرب أولاد علي نزلوا ناحية إليهرام بالجيزة، وهم مارون يريدون الذهاب إلى ناحية قبلي فركب في عسكره إليهم، فوجدهم قد ارتحلوا ووجد هناك قبيلة يقال لهم الجوابيص نازلين بنجعهم هناك، وهم جمعة مرابطون من خيار العرب، لم يعهد منهم ضرر ولا أذية لأحد فقتل منهم جماعة ونهب نجعهم وجمالهم وأغنامهم، وأحضر صحبته عدة أشخاص منهم وعدى إلى مصر بمنهوباهم، وقد با ع الأغنام والمعز للجزارين قهراً، وكذلك الجمال باعوا منها جملة بالرميلة.

وفي سادس عشرينه، نهب العربان قافلة التجار الواصلة من السويس وهي نيف وأربعة آلاف جمل من البن والبهار والقماش، وأصيب فيها كثير من فقراء التجار وسلبت أموالهم وأصبحوا لا يملكون شيئاً.

وفيه حضر صالح آغا وصحبته جانم أفندي الدفتردار فأسكنه الباشا بالقلعة وذكر جانم أفندي المذكور ومن معه للباشا أهم رأوا هلال رمضان ليلة الاثنين صاموه بالإسكندرية ذلك اليوم، وكذلك صاموه في رشيد وقوة وغالب بلاد بحري، وحضر أيضاً الشيخ سليمان الفيومي قبل ذلك بأيام وحكى ذلك، فلم يعمل به القاضي، وقال أن رؤى الهلال ليلة الأربعاء أفطرانا، وإن لم ير فهو من رمضان، فلما كان بعد عصر ذلك اليوم ضربت مدافع من القلعة فاشتبه على الناس الأمر، وذهب جماعة إلى القاضي وسألوه، فقال لا علم لي بذلك وأرسل في المساء جماعة من أتباعه وباش كاتب إلى منارة المارستان فصعدوا إليها وطلع معهم آخرون وترقبوا رؤية الهلال، فلم يروه وأخبروا القاضي بذلك فأمر بالصوم، ونادوا به وأوقدوا المنارات والقناديل وصلوا التراويح بالمساجد وتحقق الناس الصيام من الغد، فلما كان بعد العشاء الأخيرة ضربت مدافع كثرة وسواريخ وشنك فوقع الارتباك فأرسل القاضي ينادي بالصوم، وذكروا أن هذا السموع شنك لإخبار وردت بملك لمنية، وحضر المبشر بذلك لابن السيد أحمد المحروقي، وخلع عليه خلعة، وكذلك بقية الأعيان وبعد حصة مر الوالي ينادي بالفطر والعيد فزاد الارتباك، وركب بعض المشايخ إلى القاضي، وسأله فأخبر أنه لم يأمر بذلك، و لم يثبت لديه رؤية الهلال وأن غداً من رمضان، فخرجوا من عنده يقولون ذلك للناس ويأمروهم بالصوم وانحط الأمر على ذلك وطافت المسحرون على العادة، فلما كان في سادس ساعة من الليل أرسل الباشا إلى القاضي، وطلبه فطلع إليه فعرفه بشهادة الجماعة الواصلين من بحري، وأحضرهم بين يديه فشهدوا برؤية هلال أول الشهر ليلة الاثنين، وهم نحو الشعرين شخصاً، فما وسع القاضي إلا قبول شهادهم، وخصوصاً لكوهم أتراكاً، ونزل القاضي ينادي بالفطر ويأمر بطفي القناديل من المنارات وأصبح كثير من الناس لا علم له بما حصل آخراً في جوف الليل وبالجملة، فكانت هذه الحادثة من النوادر وتبين أن خبر المنية لا أصل له بل هو من جملة اختلاقاهم، وانقضى شهر رمضان وكان لا بأس به في قصر النهار لأنه كان في غاية الانقلاب الشتوي والراحة بسبب غياب العسكر وقلتهم بالبلدة، وبعدهم، و لم يحصل فيه من الكدورات العامة خصوصاً على الفقراء سوى غلاء الأسعار في كل شيء، وكما تقدم ذكر ذلك في شعبان.

شهر شوال سنة 1219

استهل بيوم الأربعاء في ثالثه، سافر السيد محمد بن المحروقي وجرجس الجوهري ومعهما جملة من العسكر إلى جهة القليوبية بسبب القافلة المنهوبة.

وفي سادسه، طلبوا مال الميري عن سنة عشرين معجلة بسبب تشهيل الحج وكتبوا التنابيه بطلب النصف حالاً وعينوا بها عساكر عثمانية وجاويشية وشفاسية فدهى الملتزمون بذلك مع أن أكثرهم أفلس وباق عليهم بواق من سنة تاريخه وما قبلها لخراب البلاد وتتابع الطلب والفرد والتعايين والشكاوى والتساويف ووقوف العربان بسائر النواحي وتعطيل المراكب عن السعر لعدم الأمن وغصبهم ما يرد من السفائن والمعاشات ليرسلوا فيها الذخيرة والعسكر والجبخانة معونة للمحاربين على المنية.

وفي عاشره، طلبوا طائفة من المزينين وأرسلوهم إلى قبلي لمداواة الجرحى.

وفيه تواترت الأخبار بحصول مقتلة عظيمة بين المتحاربين وأن العسكر حملوا على المنية حملة قوية من البر والبحر، وملكوا جهة منها، وحضر المبشرون بذلك ليلة الأربعاء أواخر رمضان، كما تقدم وعملوا الشنك لذلك الخبر فورد بعد ذلك ساعتين برجوع الأخصام ثانياً ومقاتلتهم حتى هزموهم وأجلوهم عن ذلك، وذلك هو الحامل على المغالطة والمناداة في سابع ساعة بثبوت العيد وإفطار الناس ذلك اليوم.

وفي يوم السبت ثامن عشره، نزل الباشا إلى قراميدان وحضر القاضي والدفتردار، وأمير الحاج فسلمه الباشا المحمل، ونزلوا بقطع الكسوة أمام أمير الحاج، وركب أمامه الآغا والوالي والمحتسب وناظر الكسوة بهيئة محتقرة من غير نظام، ولا ترتيب ومن خلفهم المحمل على جمل صغير أعرج.

وفيه أرسل العسكر يطلبون العلوفة والمعونة، فعمل الباشا فردة على الأعيان وعلى أتباعه، وجمع لهم خمسمائة كيس وعين للسفر بذلك صالح آغا وعدة عساكر وجبخانة وذخيرة.

وفي عشرينه، رجع ابن المحروقي وجرجس الجوهري، وأحضرا معهما بعض أحمال قليلة بعد ما صرفا أضعافها في مصالح وكساوى للعرب وغير ذلك.

وفيه ورد الخبر بوصول دفتردار جديد إلى ثغر سكندرية وهو أحمد أفندي الذي كان بمصر سابقاً وعمل قبطاناً بالسويس في أيام محمد باشا وشريف أفندي، فكتب الباشا عوضاً للدولة بأنهم راضون على جانم أفندي الدفتردار وأن أهل البلد ارتاحوا عليه، وطلبوا إبقاءه دون غيره وختم عليه القاضي والمشايخ والإختيارية وبعثوه إلى الدولة وأرسلوا إلى الدفتردار الواصل بعدم المجيء، ويذهب إلى قبرص حتى يرجع الجواب، فاستمر باسكندرية.

وفي أواخره تواترت الأخبار بأن جماعة من الأمراء القبالي ومن معهم من العربان حضروا إلى ناحية الفشن، وحضر أيضاً كاشف الفيوم مجروحاً ومعه بعض عسكر ودلاة في هيئة وتتابه ورود كثير من أفراد العسكر إلى مصر وأشيع انتقالهم من أمام المنية إلى البر الشرقي بعد وقائع كثيرة ومحاربات.

وفي يوم الخميس غايته، برز أمير الحاج المسافر بالمحمل، وخرج إلأى خارج ومعه الصرة، أو ما تيسر منها وعين للسفر معه

عثمان آغا الذي كان كتخدا محمد باشا بجماعة من العسكر لأجل المحافظة ليوصلوه إلى السويس ويسافر من القلزم مثل عام أول.

وفيه ورد الخبر بضياع ثلاث داوات بالقلزم وأنها تلفت بالقرب من الحساني وتلف بها كثير من أموال التجار وصرر النقود، وكان بها قاضي المدينة أحمد أفندي المنفصل عن قضاء مصر فغرق وطلعت أولاده ورجعوا إلى مصر، بعد أيام وسافروا إلى بلادهم.

وورد الخبر بأن القبليين قتلوا حسين بك المعروف باليهودي بعد أن تحققوا خيانته ومخامرته، وانقضى هذا الشهر.

شهر القعدة الحرام سنة 1219

استهل بيوم الجمعة، فيه قرر الباشا فردة على البلاد فجعل على كل بلد من البلاد العال مائة ألف فضة والدون ستين ألفاً وعين لذلك ذا الفقار كتخدا الألفي على الغربية وعلي كاشف الصابونجي على المنوفية وحسن آغا نجاتي المحتسب على الدقهلية، وذلك خلاف ما تقرر على البنادر من عشرين كيساً وثلاثين وخمسين ومائة وأقل وأكثر.

وفي ليلة الجمعة ثامنه، حضروا بعلي آغا يحيى المعروف بالسبع قاعات ميتاً من سملوط، وقد كانوا أرسلوه ليكون كتخدا لحسن بك أخي طاهر باشا، وكان المحروقي أرسله إلى بشبيش فتوعك هناك فطلب الباشا رجلاً من الرؤساء يجعله كتخدا لحسن بك فأشاروا عليه بعلي آغا هذا فطلبه من المحروقي فأرسل بإحضاره، فحضر في اليوم الذي مات فيه المحروقيوسافر بعد أيام إلى قبلي فزاد به المرض هناك، ومات بسملوط، فأحضروه إلى مصر بعد موته بخمسة أيام، وخرجوا بجنازته في يوم الجمعة من بيته المجاور لبيت المحروقي، وصلوا عليه بالأزهر ودفن إلى رحمة الله تعالى.

وفي ثاني عشره، علقوا ثلاثة رؤوس بباب زويلة لا يدري أحد من هم.

وفي خامس عشره، تواترت الأخبار بوقوع حرب بين العسكر والأمراء القبالي وملك العسكر جهة من المنية بعدما اصطدموا عليها من البر والبحر فوصل الأخصام وحالوا بينهم وبين عسكرهم والمتاريس وأجلوهم، وقتل من قتل بين الفريقين واحترق عدة مراكب من العسكر، وما فيها من المتاع والجبخانة، وأرسلوا بطلب ذخيرة وجبخانة وثياب وغير ذلك وانتشر عسكر القبليين إلى جهة بحري حتى وصلوا إلى زاوية المصلوب وحاصروا من في بوش والفشن، وبني سويف، وكذلك من بالفيوم وشرع الباشا واجتهد في تجهيز المطلوبات، وتشهيل الاحتياجات.

وفيه حضرت سعاة من ثغر سكندرية وأخبروا بورود عدة مراكب إنجليزية إلى المينا وسألوا أهل الثغر عن مراكب فرنسيس وردت المينا أم لا، ثم قضوا بعض أشغالهم وذهبوا.

وفي ليلة الأربعاء رابع عشره، وقعت حادثة وهو أن كشفاً من أكابر الأرنؤد سكن ببيت ابن السكري الذي بالقرب من الحلوجي ويتردد عليه رجل من المنتسبين إلى الفقهاء يسمى الشيخ أحمد البراني خبيث الأفعال يصلي إماماً بالذكور، فرأى ماراً به مع فراشه فضربه بالخنجر والنبابيت حتى ظن هلاكه، وأخرجه أتباعه وحملوه إلى منزله في خامس ساعة من الليل، وبه بعض رمق، ومات بعد ذلك وأخبر المشايخ بذلك، ورفع القتيل إلى المحكمة وتغيب القاتل، وامتنع المشايخ من حضور الجامع

والتدريس بسبب ذلك وبسبب أولاد سعد الخادم سدنة ضريح سيدي أحمد البدوي وقد كانوا شكوا بعضهم وتعين بسبب ذلك كاشف علي أحمد بن الخادم وهجم داره، وقبض على بناته ونسائه ونبشوا داره وفحروا أرضها للتفتيش على المال، وطالت قصتهم من أواخر الشهر الماضي، لوقت تاريخه وتكلم المشايخ مراراً مع الباشا في أمرهم، وهو يغالط طمعاً في المال، وقد كان سمع همتهم بكثرة المال، وأن محمد باشا خسر وأخذ منهم سابقاً في أيام ولايته مائة وخمسة وثمانين ألف ريال خلاف حق الطريق، وذلك من مصطفى الخادم، وهو الذي يشكو الآن قسمه ويقول أنه هو الذي شكاني وتسبب في مصادرتي، وهو مثلي في الإيراد، وعنده مثل ما عندي، فلما حضروا الدار وفتشوا وقرروا نساءه وأتباعه، فلم يظهر له شيء قادرجوا هذه القضية في دعوة المقتول، وامتنعوا من حضورهم الأزهر وأشيع امتناعهم من التدريس والإفتاء، فحضر إليهم سعيد آغا الوكيل وتلطف بهم وطلب منهم تسكين هذه الفتنة، وأنه يتكفل بتمام المطلوب واستمر الحال على ذلك إلى يوم الثلاثاء تاسع عشره، فحضر الكتخدا الباشا وسعيد آغا وصالح آغا إلى بيت الشيخ الشرقاوي، واجتمع هناك الكثير من المتعممين، وتكلموا كثيراً ورمحوا المراتب، وقالوا لا بد من حضور الخصم القاتل والمرافعة معه إلى الشرع، ورفع الظلم عن أولاد الخادم وعن الفلاحين وأمثال ذلك وهم يقولون في الجواب سمعاً وطاعة في كل ما تأمرون به، وانقضى المجلس على ذلك، وذهبوا حيث أتوا، فلما كان العصر من ذلك اليوم حضر سعيد آغا وصحبته القاتل إلى المحكمة وأرسلوا إلى المشايخ، فحضروا المجلس وأقيمت الدعوى، وحضر ابن المقتول وادعى بقتل أبيه وذكر أنه أخبر قبل خروج روحه أن القاتل له الكاشف صاحب المترل فسئل فأنكر ذلك، وقال أنه كان إماماً عنده يصلي به الأوقات، وأنه لم يأت إلينا تلك الليلة التي حصل له فيها هذا الحادث فطلب القاضي من ابن المقتول بينة تشهد بقول أبيه، فلم يجدوا إلا شخصاً سمع من المقتول ذلك القول، وأفتى المالكي أنه يعتبر قول المقتول في مثل ذلك لأنه في حالة يستحيل عليه فيها الكذب وذلك نص مذهبهم، ولا بد من بينة تشهد على قوله، فطلب القاضي الشطر الثاني، فلم يوجد على أن هناك من كان حاضراً بالمجلس وقت الضرب ومشاهداً للحادثة، وكتم الشهادة خوفاً على نفسه وانفض المجلس وأهمل الأمر، حتى يأتوا بالبينة.

وفي يوم الأحد، عزم على السفر محمد أفندي حاكم أسنا سابقاً بمراكب الذخيرة والجبخانة واللوازم وصحبته عدة من العساكر لخفارتها.

شهر الحجة الحرام سنة 1219

استهل بيوم الأحد، في سابعه، وردت أخبار بوقوع حرب بين العسكر والمصريين القبليين وهو أن العسكر حملوا على المنية حملة عظيمة في غفلة وملكوها، فاجتمعت عليهم الغز والعربان، وكبسوا عليهم، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وأخرجوهم منها وأجلوهم عنها ثانياً، وذلك في سابع عشرين القعدة.

وفي يوم الأحد ثامنه، طلع يوسف أفندي الذي كان تولى نقابة الأشراف في أيام محمد باشا، ثم عزل عنها إلى القلعة فقبض عليه صالح آغاقوش وضربه ضرباً مبرحاً، وأهانه إهانة زائدة، وأنزلوه أواخر النهار وحبسوه ببيت عمر أفندي النقيب، ثم تشفع فيه الشيخ السادات فأفرجوا عنه تلك الليلة، وذهب إلى داره ليلاً، وذلك بسبب دعوى تصدر فيها المذكور وتكلم كلاماً في حق الباشا، فحقدوا عليه ذلك، وفعلوا معه ما فعلوا، و لم ينتطح فيها عتران.

وفي ثالث عشره، طلع المشايخ إلى الباشا يهنئونه بالعيد، فأخرج لهم ورقة حضرت إليه من محمد أفندي حاكم أسنا سابقاً الذي سافر بالذخيرة آنفاً، واستمر ببني سويف، و لم يقدر على الذهاب إلى قبلي ومضمون تلك الورقة أن البرديسي قتل الألفي غيلة، و لم يكن لهذا الكلام صحة.

وفيه وردت الأخبار بقدوم طائفة من الدلاة على طريق الشام وبالغواني عددهم فيقولون اثنا عشر ألف وأكثر، وأنهم وصلوا إلى الصالحية وأنهم طالبون علوفة وذخيرة، فشرعوا في تشهيل ملاقاة للمذكورين، وطلبوا من تجار البهار خمسمائة كيس وزعوها، وشرعوا في جمعها.

وفيه وصلت طائفة من القبالي والعرب إلى بلاد الجيزة، وطلبوا من البلاد داهم وكلفاً، ومن عصى عليهم من البلاد، ضربوه وعدى كتخدا الباشا وجملة من العساكر إلى بر الجيزة، وشرعوا في تحصينها، وعملوا بها متاريس، وتردد الكتخدا في التزول والتعدية إلى هناك، والرجوع، ثم أنه عدى في رابع عشره وأقام هناك، وأحضروا ثلاثة رؤوس من العرب في ذلك اليوم، وفي يوم الجمعة رجع الكتخدا، وأشيع رجوع المذكورين.

وفيه قرروا فردة أخرى على البلاد لأجل عسكر الدلاة القادمين وجعلوا على كل بلد عشرين أردب فول وعشرين خروفاً وعشرين رطل سمن وعشرين رطل بن وعشرة قناطير عيش وربع أردب وسدس أرز أبيض ومثله برغل وكلفة المطبخ ألف فضة، وذلك خلاف حق الطريق والاستعجالات المتتابعة، وكلها بمقررات وحق طرقات.

وفي يوم الأربعاء ثامن عشره، حضر ططري من ناحية قبلي وأخبر أن العسكر دخلوا إلى المنية وملكوها، فضربوا مدافع كثيرة من القلعة وعملوا شنكاً، وأظهر العثمانية وأغراضهم الفرح والسرور وكأنهم ملكوا مالطة وبالغوا في الأخبار والروايات الكذب في القتلى، وغير ذلك والحال أن الأخصام خرجوا منها وزحموها، و لم يبقوا بها ما ينقره الطير، و لم يقع بينهم كبير قتال، بل أن العسكر لما دهموها من الناحية القبلية، و لم يكن بها إلا القليل من المصريين وباقيهم خارجها من الناحية الأخرى فتحاربوا مع من بها وهزموهم فولى أصحابهم وتركوهم بالبلدة فدخلوها، فلم يجدوا بها شيئاً .

وفي يوم الخميس، وصل آغات المقرر وهو عبد أسود وطلع إلى القلعة بموكب، وعملوا له شنكاً ومدافع وقرؤوا المقرر في ذلك اليوم بحضرة الجمع.

وفي يوم الأحد ثاني عشرينه، وصلت طائفة من العرب بناحية الجيزة فوصل الخبر إلى الكاشف الذي بها، وهو دملي عثمان كاشف الذي قتل الشيخ أحمد البراني المتقدم ذكره، فإنه بعد تلك الحادثة قلدوه كشوفية الجيزة، وذهب إليها وأقام بها، فلما بلغه ذلك ركب على الفور في نحو خمسة وعشرين خيالاً، ورمحوا عليهم فانهزموا أمامهم فطمع فيهم وذهب خلفهم إلى ناحية برنشت، فخرج عليه كمين آخر واحتاطوا به وقتلوه وقطعوا رأسه وستة أنفار معه، وذهبوا برؤوسهم على مزاريق واقتص الله منه فكان بينه وبين قتله للمذكور دون الشهر، وكان مشهوراً فيهم بالشجاعة والإقدام.

وفيه اجتهدوا في تشهيل علوفة وذخيرة وجبخانة وسفروها مع جملة من العسكر نحو الخمسمائة في يوم الاثنين ثالث عشرينه.

وفي يوم الأربعاء خامس عشرينه، وصل الدلاة إلى الخانكة، فحضر منهم طائفة، ودخلوا إلى مصر فردوهم إلى أصحابهم حتى يكونوا بصحبتهم في الدخول.

وفي يوم الخميس، نزل كتخدا الباشا وصالح آغاقوش وخرجوا إلى جهة العادلية لملاقاة الدلاة المذكورين وكبيرهم يقال له ابن كور عبد الله .

وفي يوم الجمعة، دخل الدلاة المذكورون وصحبتهم الكتخدا وصالح آغاقوش وكاشف الشرقية وكاشف القليوبية وطوائف العسكر ومعهم نقاقير الطبول، وهم نحو الألفين وخمسمائة أجناس مختلفة وأشكال مجتمعة، فذهبوا إلى ناحية مصر القديمة ونواحي الآثار، وانقضت السنة، وما حصل بها من الغلاء وتتابع المظالم والفرد على البلاد وإحداث الباشا له مرتبات وشهريات على جميع البلاد، والقبض على أفراد الناس بأدنى شبهة، وطلب الأموال منهم وحبسهم واشتد الضنك في آخر السنة وعدم القمح والفول والشعير وغلا ثمن كل شيء ولولا اللطف على الخلائق بوجود الذرة حتى لم يبق بالرقع والعرصات سواه، واستمرت سواحل الغلال خالية من الغلة هذا العام من العام الماضي، وبطول هذه السنة امتنع الوارد من الجهة القبلية، ومع ذلك اللطف حاصل من المولى جل شأنه، ولم يقع قحط ولا موت من الجوع، كما رأينا في العلوات السابقة من عدم الخبز في الأسواق وخطف أطباق العيش والكعك وأكل القشور وما يتساقط من قشور الخضروات وغير ذلك.

وأما من مات في هذه السنة من الأعيان

فقد مات العمدة العلامة والتحرير الفهامة الفقيه النبيه الأصولي النحوي المنطقي الشيخ موسى السرسي الشافعي أصله من سرس الليانة بالمنوفية وحضر إلى الأزهر ولازم الاستفادة وحضور الأشياخ من الطبقة الثانية كالشيخ عطية الأجهوري والشيخ عيسى البراوي والشيخ محمد الفرماوي وغيرهم، وتمهروا نجب في المعقولات والمنقولات وإقراء الدروس، وأفاد الطلبة وانطوى إلى الشيخ حسن الكفراوي مدة ورافقه في الإفتاء والقاضاي، ثم إلى شيخنا الشيخ أحمد العروسي، وصار من خاصة ملازميه وتخلق بأخلاقه وألزم أولاده بحضور دروسه المعقولية وغيرها، دون غيره لحس إلقائه وجودة تفهيمه وتقريره، واشتهر ذكره وراش جناحه وراج أمره بانتسابه للشيخ المذكور، واشترى أملاكاً واقتنى عقاراً بمصر وببلده سرس ومنوف ومزارع وطواحين ومعاصر، واشترى دار نفيسة بدرب عبد الحق بالأزبكية، وعدد الأزواج واشترى الجواري والعبيد والحبشيات الحسان، وكان حلو المفاكهة حسن المعاشرة عذب الكلام مهذب النفس جميل الأخلاق ودوداً قليل الادعاء محباً لإخوانه مستحضراً للفروع الفقهية وكان يكتب على غالب الفتاوى عن لسان الشيخ العروسي، ويعتمده في النقول والأجوبة عن المسائل الغامضة والفروع المشكلة وله كتابات وتحقيقات، ولم يزل مشتغلاً بشأنه حتى تعلل أياماً بدار بميدان القطن مطلة على الخليج، وتوفي يوم السبت سادس عشرين جمادى الأولى من السنة.

ومات الجناب المكرم والمشير المفخم الوزير الكبير والدستور الشهير أحمد باشا الشهير بالجزار وأصله من بلاد البشناق، وخدم عند المرحوم علي باشا حكيم أوغلي، وعمل عنده شفاسياً وحضر صحبته إلى مصر في ولايته الثانية سنة إحدى وسبعين ومائة وألف فتشوقت نفسه إلى الحج واستأذن مخدومه فأذن له في ذلك، وأوصى عليه أمير الحاج إذ ذاك صالح بك القاسمي فأخذه صحبته وأكرمه وواساه رعاية لخاطر علي باشا ورجع معه إلى مصر، فوجد مخدومه قد انفصل من ولاية مصر، وسافر إلى الديار الرومية، ووصل نعيه بعد أربعة أشهر من ذهابه فاستمر المترجم بمصر وتزيا بزي المصريين وخدم عند عبد الله بك تابع علي بك بلوط قبان وتعلم الفروسية على طريق الأجناد المصرية فأرسل علي بك عبد الله بك بتجريدة إلى عرب البحيرة فقتلوه

فرجع المترجم مع باقي أصحابه إلى مصر فقلده علي بك كشوفية البحيرة، وقال له ارجع إلى الذين قتلوا أستاذك وخلص ثأره، فذهب إليهم وخادعهم واحتال عليهم وجمعهم في مكان وقتلهم وهم نيف وسبعون كبيراً وبذلك سمي بالجزار، ورجع منصوراً وأحبه علي بك لنجابته وشجاعته، وتنقل عنده في الخدم والمناصب والأمريات ثم قلده الصنجقية وصار من جملة أمرائه، ولما خرج علي بك منفياً خرج صحبته ورافقه في الغربة والتنقلات والوقائع، ولم يزل حتى رجع علي بك وصحبته صالح بك من الجهة القبلية وقتل خشداشينه وغيرهم، ثم عزم على غدر صالح بك وأسر بذلك إلى خاصته ومنهم المترجم، فلم يسهل به ذلك، وتذكر ما بينه وبين صالح بك من المعروف السابق فأسر به إليه وحذره، فلما اختلى صالح بك بعلي بك عرض له بذلك فحلف له علي بك أنه باق على مصافاته، وكذب المخبر إلى أن كان ما كان من قتلهم وغدرهم لصالح بك، كما تقدم وإحجام المترجم وتأخره عن مشاركته لهم في دمه ومناقشتهم له بعد الانفصال فتجسم له الأمر فتنكر، وخرج هارباً من مصر في صورة شخص جزائرلي، وتفقده علي بك وأحاط بداره وكان يسكن ببيت شكر فره بالقرب من جامع أزبك اليوسفي، فلم يجدوه وسار المذكور إلى سكندرية، وسافر إلى الروم، ثم رجع إلى البحيرة وأقام بعرب الهنادي وتزوج هناك، ولما أرسل علي بك التجاريد إلى ابن حبيب والهنادي حارب المترجم معهم، ثم سار إلى بلاد الشام فاستمر هناك في هجاج وتنقلات ومحاربات، واشترى مماليك واجتمع لديه عصبة واشتهر أمره في تلك النواحي، ولم يزل على ذلك إلى أن مات الظاهر عمر في سنة تسع وثمانين ومائة وألف، ووصل حسن باشا الجزائرلي إلى عكا فطلب من يكون كفؤاً للإقامة بحضنها فذكروا له المترجم فاستدعاه وقلده الوزارة وأعكاه الأطواخ والبيرق، وأقام بحصن عكا وعمر أسوارها وقلاعها وأنشأ بها البستان والمسجد واتخذ له جنداً كثيفاً واستكثر من شراء المماليك وآغار على تلك النواحي، وحارب جبل الدروز مراراً وغنم منهم أموالاً عظيمة ودخلوا في طاعته وضرب عليهم وعلى غيرهم الضرائب وجبيت إليه الأموال من كل ناحية حتى ملأ الخزائن وكنز الكنوز وصار يصانع أهل الدولة ورجال السلطنة، ويتابع إرسال الهدايا والأموال إليهم، وتقلدوا ولاية بلاد الشام وولى على البلاد نواباً وحكاماً من طرفه، وطلع بالحج الشامي مراراً وأخاف النواحي وعاقب على الذنب الصغير بالقتل والحبس والتمثيل وقطع الآناف والآذان والأطراف، ولم يغفر زله عالم لعلمه أو ذي جاه لوجاهته، وسلب النعم عن كثير جداً من ذوي النعم واستأصل أموالهم ومات في محبسه ما لا يحصى من الأعيان والعلماء وغيرهم ومنهم من أطال حبسه سنين، حتى مات واتفق أنه استراب من بعض سراريه ومماليكه فقتل من قويت فيه الشبهة وحرقهم، ونفى الباقي الجميع ذكوراً وإناثاً بعد أن مثل بهم وقطع آنافهم وأخرجهم من عكا وطردهم وسخط على من أواهم أو تاواهم ولو في أقصى البلاد، وحضر الكثير منهم إلى مصر وخدموا عند الأمراء، وانضوى نحو العشرين منهم وخدموا عند علي بك كتخدا الجاويشية، فلما بلغ المترجم ذلك تغير خاطره من طرفه وقطع حبل وداده بعد أن كان يراسله ويواصله دون غيره من أمراء مصر، وكان ذلك سبب استيحاشه منه إلى أن مات، ولما فعل بهم ذلك تعصب عليه مملوكاه سليم باشا الكبير، وسليمان باشا الصغير وهو الموجود الآن وانضم إليهما المتآمرون من خشداشينهما، وغيرهم غيظاً على ما فعله بخشداشينهم وعلمهم بوحدته وانفراده، وحاصروه بعكا، ولم يكن معه إلا القليل من العساكر البرانيين والفعلة والصناع الذين يستعملهم في البناء فألبسهم طراطير مثل الدلاة وأصعدهم إلى الأسوار مع الرماة والطبجية ورآهم المخالفون عليه، فتعجبوا وقالوا أنه يستخدم الجن وكبس عليهم في غفلة من الليل وحاربهم، وظهر عليهم وأذعنوا لطاعته وتفرق عنهم المساعدون لهم، ثم تتبعهم واقتص منهم وكاد البلاد، وقهر العباد،

ونصبت الدولة فخاخاً لصيده مراراً، فلم يتمكنوا من ذلك، فلم يسعهم بعد ذلك إلا مسالمته ومسايرته وثبت قدمه، وطار صيته في جميع الممالك الإسلامية والقرانات الإفرنجية والثغور واشتهر ذكره وراسله ملوك النواحي وراسلهم وهادوه وهابوه وبنى عدة صهاريج وملأها بالزيت والسمن والعسل والسيرج والأرز وأنواع الغلة وزرع ببستانه سائر أصناف الفواكه والنخيل والأعناب الكثيرة وجدد دولته ثانياً، واشترى مماليك وجواري بدلاً عن الذين أبادهم وبالجملة، فكان من غرائب الدهر وأخباره لا يفي القلم بتسطيرها ولا يسعف الفكر بتذكارها، ولو جمع بعضها جاءت مجلدات، ولو لم يكن له من المناقب إلا استظهاره على الفرنساوية، وثباته في محاربتهم له أكثر من شهرين، و لم يغفل فيها لحظة لكفاه، وكان يقول أن الفرنساوية لو اجتهدوا في إزالة جبل عظيم لأزالوا في أسرع وقت وقد تقدم بعض خبر ذلك في محله وكان يقول أنا المنتظر وأنا أحمد المذكور في الجفور الذي يظهر بين القصرين، واستخرج له كثير من الذين يدعون معرفة الاستخراج عبارات وتأويلات ورموزاً وإشارات ويقولون المراد بالقصرين مكانان جهة الشام أو المحملان أو نحو ذلك من الوساوس، و لم يزل حتى توفي في آخر هذا العام على فراشه، وكن سليمان باشا تابعه غائباً بالحجاز في إمارة الحج الشامي، فلما علم أنه مفارق الدنيا أحضر إسماعيل باشا والي مرعش، وكان في محبسه يتوقع منه المكروه في كل وقت فأقامه وكيلاً عنه إلى حضور سليمان باشا من الحج، وأعطاه الدفاتر وعرفه بعلوفة العسكر وأوصاه، فلما انقضى نحبه ودفنوه صرف النفقة، واتفق مع طه الكردي وصالح الدولة وتحصن بعكا وحضر سليمان باشا فامتنعا عليه، و لم يمكنه الدخول إليها، فاستمر إسماعيل باشا إلى أن أخرجه أتباع المترجم بحيلة وملكوا سليمان باشا بعد أمور، لم تتحقق كيفيتها وذلك في السنة التالية.

ومات عين الأعيان ونادرة الزمان شاه بندر التجار والمرتقي بهمته إلى سنام الفخار النبيه النجيب والحسيب النسيب السيد أحمد بن أحمد الشهير بالمحروقي الحريري، كان والده حريرياً بسوق العنبريين بمصر، وكان رجلاً صالحاً منور الشيبة معروفاً بصدق اللهجة والديانة والأمانة بين أقرانه وولد له المترجم، فكان يدعو له كثيراً في صلاته وسائر تحركاته، فلما ترعرع خالط الناس، وكتب وحسب وكان على غاية من الحذق والنباهة، وأخذ وأعطى وباع واشترى وشارك وتداخل مع التجار وحاسب على الألوف، واتحد بالسيد أحمد بن عبد السلام وسافر معه إلى الحجاز وأحبه وامتزج به امتزاجاً كلياً، بحيث صارا كالتوأمين أو روح حلت بدنين، ومات عمدة التجار العرايشي، وهو بالحجاز وهو أخو السيد أحمد بن عبد السلام في تلك السنة، فأحرز مخلفاته وأمواله ودفاتر شركائه، فتقيد المترجم بمحاسبة التجار والشركاء والوكلاء ومحاققتهم فوفر عليه لكوكا من الأموال واستأنف الشركات والمعاوضات، وعد ذلك من سعادة مقدم المترجم ومرافقته له، ورجع صحبته إلى مصر وزادت محبته له ورغبته فيه، وكان لابن عبد السلام شهرة ووصلة بأكابر الأمراء كأبيه وخصوصاً مراد بك، فيقضي له ولأمرائه لوازمهم اللازمة لهم ولأتباعهم واحتياجاهم من التفاصيل والأقمشة الهندية وغيرها، وينوب عنه المترجم في غالب أوقاته وحروكاته ولشدة امتزاج الطبيعة بينهما، صار يحاكيه في ألفاظه ولغته، وجميع اصطلاحاته في الحركات والسكنات والخطرات، واشتهر ذكره به عند التجار والأعيان والأمراء، واتحدا بمحمد آغا البارودي كتخدا مراد بك اتحاداً زائداً، وأتحفاه بالجرايا وخصصاه بالمزايا، فراج به عند مخدومه شأنهما وارتفع بالزيادة قدرهما ولما تأمر إسماعيل بك واستوزر أيضاً البارودي، استمر حالهما كذلك بل وأكثر إلى أن حصل الطاعون، ومات به السيد أحمد بن عبد السلام في شعبان، فاستقر المترجم في مظهره ومنصبه

شاه بندر التجار بواسطة البارودي أيضاً وسعايته وسعادة طالعه وسكن داره العظيمة التي عمرها بجوار الفحامين محل دكة الحسبة القديم، وتزوج بزوجاته، واستولى على حواصله ومخازنه، واستقل بها من غير شريك ولا وارث، وعند ذلك زادت شهرته، وعظم شأنه ووجاهته ونفذت كلمته على أقرانه، ولم يزل طالعه يسمو وسعده يزيد وينمو وعاد مراد بك والأمراء المصريون بعد موت إسماعيل بك وانقلاب دولته إلى إمارة مصر فاختص بخدمته وقضاء سائر أشغاله، وكذلك إبراهيم بك وباقي الأمراء، وقدم لهم الهدايا والظرائف، وواسى الجميع أعلاهم وأدونهم بحسن الصنع، حتى جذب إليه قلوب الجميع، ونافس الرجال وانعطفت إليه الآمال وعامل تجار النواحي والأمصار من سائر الجهات والأقطار، واشتهر ذكره بالأراضي الحجازية، وكذا بالبلاد الشامية والرومية، واعتمدوه وكاتبوه واسلوه وأودعوه الودائع وأصناف التجارات والبضائع، وزوج ولده السيد محمد، وعلم له مهاباً عظيماً افتخر فيه إلى الغاية، ودعا الأمراء والأكابر والأعيان، وأرسل إليهم إبراهيم بك ومراد بك الهدايا العظيمة المحملة على الجمال الكثيرة، وكذلك باقي الأمراء ومعها الأجراس التي لها رنة تسمع من البعد ويقدمها جمل عليه طبل نقارية، وذلك خلاف هدايا التجار وعظماء الناس والنصارى الأروام والأقباط الكتبة، وتجار الإفرنج والأتراك والشوام والمغاربة، وغيرهم وخلع الخلع الكثيرة، وأعطى البقشيش والإنعامات والكساوى، ولا يشغله أمر عن أمر آخر يمضيه أو غرض ينفذه ويقضيه، كما قيل أخو عزمات لا يريد على الذي يهم به من مفظع الأمر صاحباً، إذا هم ألقى بين عينيه عزمه وفكب عن ذكر العواقب جانباً.

وحج في سنة اثنتي عشرة ومائتين وألف، وخرج في تجمل زائد وجمال كثيرة وتختروانات ومواهي ومسطحات وفراشين، وخدم وهجن وبغال وخيول، وكان يوم خروجه يوماً مشهوداً، اجتمع الكثير من العامة والنساء، وجلسوا بالطريق للفرجة عليه، ومن خرج معه لتشييعه ووداعه من الأعيان التجار الراكبين والراجلين معه منهم وبأيديهم البنادق والأسلحة، وغير ذلك وبعث بالبضائع والذخائر والقومانية والأحمال الثقيلة على طريق البحر لمرساة الينبع وجدة وعند رجوع الركب، وصل الفرنساوية إلى بر مصر ووصلهم الخبر بذلك، وأرسل إبراهيم بك إلى صالح بك أمير الحاج يطلبه مع الحجاج إلى بلبيس، كما تقدم وذهب بصحبتهم المترجم، وجرى عليه ما ذكر من نهب العرب متاعه وحموله، وكان شيئاً كثيراً، حتى ما كان عليه من الثياب وانحصر بطريق القرين، فلم يجد عند ذلك بداً من مواجهة الفرنساوية، فذهب إلى ساري عسكر بونابارته وقابله فرحب به وأكرمه ولامه على فراره وركونه للمماليك، فاعتذر إليه بجهل الحال فقبل عذره واجتهد له في تحصيل المنهوبات، وأرسل في طلب المتعدين، واستخلص ما أمكن استخلاصه له ولغيره وأرسلهم إلى مصر وأصحب معهم عدة من العساكر لخفارتهم ويقدمهم طبلهم وهم مشاة بالأسلحة بين أيديهم، حتى أدخلوهم إلى بيوتهم، ولما رجع ساري عسكر إلى مصر تردد عليه وأحله محل القبول، وارتاح إليه في لوازمه وتصدى للأمور وقضايا التجار، وصار مرعي الجانب عنده، ويقبل شفاعاته ويفصل القوانين بين يديه ويدي أكابرهم، ولما رتبوا الديوان تعين من الرؤساء فيه، وكاتبوا التجار أهل الحجاز وشريف مكة بواسطته، واستمر على ذلك حتى سافر بونابارته، ووصل بعد ذلك عرضي العثمانية والأمراء المصرية، فخرج فيمن خرج لملاقاتهم، وحصل بعد ذلك ما حصل من نقض الصلح والحروب واجتهد المترجم في أيام الحرب وساعد وتصدى بكل همته وصرف أموالاً جمة في المهمات والمؤن إلى أن كان ما كان من ظهور الفرنساوية وخروج المحاربين من مصر ورجوعهم، فلم يسعه إلا

الخروج معهم والجلاء عن مصر، فنهب الفرنساوية داره، وما يتعلق به، ولما استقر يوسف باشا الوزير جهة الشام آنسه المترجم وعاضده واجتهد في حوائجه واقترض الأموال وكاتب التجار وبذل همته وساعده بما لا يدخل تحت طوق البشر ويراسل خواصه بمصر سراً فيطالعونه بالأخبار والأسرار إلى أن حصل العثمانيون بمصر، فصار المترجم هو المشار إليه في الدولة والتزم بالإقطاعات والبلاد، وحضر الوزير إلى داره، وقدم إليه التقادم والهدايا وباشر الأمور العظيمة والقضايا الجسيمة، وما يتعلق بالدول والدواوين والمهمات السلطانية، وازدحم الناس ببابه، وكثرت عليه الأتباع والأعوان والقواسة والفراشون وعساكر رومية ومترجمون وكلارجية ووكلاء، وحضرت مشايخ البلاد والفلاحون الكثيرة بالهدايا والتقادم والأغنام والجمال والخيول وضارقت داره بهم فاتخذ دوراً بجواره وأنزل بها الوافدين، وجعل بها مضايف وحبوساً وغير ذلك.

ولما قصد يوسف باشا الوزير السفر من مصر وكله على تعلقاته وخصوصياته، وحضر محمد باشا خسرو فاختص به أيضاً اختصاصاً كلياً ويلم إليه المقاليد الكلية والجزئية وجعله أمير الضربخانه وزادت صولته وشهرته وطار صيته واتسعت دائرته وصار بمنزلة شيخ البلد بل أعظم، ونفدت أوامره في الإقليم المصري والرومي والحجازي والشامي ودرك من العز والجاه والعظمة، ما لم يتفق لأمثاله من أولاد البلد وكان ديوان بيته أعظم الدواوين بمصر وتغرب وجهاء الناس لخدمته والوصول لسدته ووهب وأعطى وراعى جانب كل من انتمى إليه وأغدق عليه، وكان يرسل الكساوى في رمضان للأعيان والفقهاء والتجار وفيها الشالات الكشميري ويهب المواهب وينعم الإنعامات ويهادي أحبابه ويسعفهم ويواسيهم في المهمات، وعمل عدة أعراس وولائم، وزاره محمد باشا المذكور في داره مرتين أو ثلاثة باستدعاء، وقدم له التقادم والهدايا والتحايف والرخوت المثمنة والخيول والتعابي من الأقمشة الهندية والمقصبات، ولما ثارت العسكر على محمد باشا، وخرج فاراً، كان بصحبته في ذلك الوقت فركب أيضاً يريد الفرار معه واختلفت بينهما الطرق فصادفته طائفة من العسكر فقبضوا عليه وعروا ثيابه وثياب ولده ومن معه، وأخذوا منه جوهراً كثيراً ونقوداً ومتعاً فلحقه عمر بك الأرنؤدي الساكن ببولاق وأدركه وخلصه من أيديهم وأخذه إلى داره وحماه وقابل به محمد علي وغيره، وذهب إلى داره واستقر بها إلى أن انقضت الفتنة وظهر طاهر باشا فساس أمره معه حتى قتل، وحضر الأمراء المصريون فتداخل معهم، وقدم لهم وهاداهم واتحد بهم وبعثمان بك البرديسي فأبقوه على حالته ونجز مطلوبات الجميع و لم يتضعضع للمزعجات، و لم يتقهقر من المفزعات حتى أنهم لما أرادوا تقليد الستة عشر صنجقاً في يوم أحضره البرديسي تلك الليلة وأخبره بما اتفقوا عليه ووجده مشغول البال متحيراً في ملزوماتهم فهون عليه الأمر وسهله وقضى له جميع المطلوبات واللوازم للستة عشر أميراً في تلك الليلة وما أصبح النهار إلا وجميع المطلوبات من خيول ورخوت وفراوى وكساوى ومزركشات وذهب وفضة برسم الإنعامات والبقاشيش ومصروف الجيب حاضر لديه بين يديه حتى تعجب هو والحاضرون من ذلك، وقال له مثلك من يخدم الملوك وأعطاه في ذلك اليوم فارسكور زيادة عما بيده، ولما ثارت العسكر على الأمراء المصريين وأخرجوهم من مصر وأحضروا حمد باشا خورشيد من سكندرية وقلدوه ولاية مصر، وكان كبعض الأغوات مختصر الحال هيا له رقم الوزارة والرخوت والخلع واللوازم في أسرع وقت وأقرب مدة، و لم يزل شأنه في الترفع والصعود وطالعه مقارناً للسعود وحاله مشهور وذكر منشور حتى فاجأته المنية وحالت بينه وبين الأمنية، وذلك أنه لما دعا الباشا في يوم الثلاثاء سابع عشر شهر شعبان نزل إلى داره وتغدى عنده، وأقام نحو ساعتين، ثم ركب وطلع إلى القلعة فأرسل

في أثره هدية جليلة صحبة ولده والسيد أحمد الملا ترجمانه وفي بقج قماش هندي وتفاصيل ومصوغات مجوهرة وشمعدانات فضة وتحايف وخيول مرختة وبدونها برسمه ورسم كبار أتباعه، ومضى على ذلك خمسة أيام، فلما كان ليلة الأحد ثاني عشرين شعبان المذكور جلس حصة من الليل مع أصحابه يحادثهم ويملي الكتبة والمراسلات والحسابات فأخذته رعدة ، وقال إني أجد برداً فدثروه ساعة ثم أرادوا إيقاظه إلى حريمه فحركوه فوجدوه خالصاً قد فارق الدنيا من تلك الساعة التي دثروه فيها فكتلوا أمره حتى ركب ولده السيد محمد إلى الباشا في طلوع النهار وأخبره، ثم رجع إلى داره وحضر ديوان أفندي والقاضي وختموا على خزانته وحواصله وأشهروا موته وجهزوه وكفنوه وصلوا عليه بالأزهر في مشهد حافل ثم رجعوا به إلى زاوية العربي تجاه داره ودفنوه مع السيد أحمد بن عبد السلام، وانقضى أمره، ثم أن الباشا ألبس ولده محمد فروة وقفطاناً على الضربخانه، وما كان عليه والده من خدمة الدولة والالتزام، ونزل من القلعة صحبة القاضي، ثم ذهب إلى داره بارك الله فيه وأعانه على وقته.

ومات الأمير المبجل علي آغا يحيى وأصله مملوك يحيى كاشف تاع أحمد بك السكري الذي كان كتخدا عند عثمان بك الفقاري الكبير المتقدم ذكرهما، ولما ظهر علي بك وأرسل محمد بك ومن معه إلى جهة قبلي بعد قتل صالح بك، كان الأمير يحيى في جملة الأمراء الذين كانوا بأسيوط، ووقع لهم ما تقدم ذكره من الهزيمة وتشتتوا في البلاد فذهب الأمير يحيى إلى إسلامبول وصحبته مملوكه المترجم وأقام هناك إلى أن مات، فحضر الأمير علي تابعه إلى مصر في أيام محمد بك وتزوج ببنت أستاذه وسكن بحارة السبع قاعات واشتهر بها وعمل كتخدا عند سليمان آغا الوالي إلى أن تقلد سليمان آغا المذكور آغاوية مستحفظان فصار المترجم مقبولاً عنده ويتوسط للناس عنده في القضايا والدعاوي، واشتهر ذكره من حينئذ وارتاح الناس عليه في غالب المقتضيات وباشر فصل الحكومات بنفسه، وكان قليل الطمع لين الجانب، ولما تقلد مخدومه الصنجقية بقي معه على حالته في القبول والكتخدائية وزادت شهرته وتداخل في الأمور الجسيمة عند الأمراء، ولما حضر حسن باشا وخرج مخدومه من مصر مع من خرج، وظهر شأن إسماعيل بك والعلويين استوزره حسن بك الجداوي وعظم أمره أيضاً في أيامه مع مباشرته لوازم مخدومه الأول وقضاء أشغاله سراً واشترى دار مصطفى آغا الجراكسة التي بجوار العربي بالقرب من الفحامين، وانتقل من السبع قاعات وسكن بها وسافر مراراً إلى الجهة القبلية سفيراً بين الأمراء البحرية والقبلية في المراسلات والمصالحات، وكذلك في بعض المقتضيات بالبلاد البحرية، و لم يزل وافر الحرمة حتى كانت دولة العثمانيين، ونما أمر السيد أحمد المحروقي فانضوى إليه لقرب داره منه فقيده ببعض الخدم وجبي الأموال من البلاد الجسيمة فأرسله قبل موته إلى جهة بشبيش فمرض بها، فلما تأمر حسن بك أخو طاهر باشا على التجريدة الموجهة إلى ناحية قبلي طلبوا رجلاً من المصريين يكون رئيساً عاقلاً يكون كتخدا فأشاروا على المترجم فطلبه الباشا من السيد أحمد المحروقي فأرسل إليه بالحضور فوصل في اليوم الذي توفي فيه المحروقي فأقام أياماً حتى قضى أشغاله وسافر وهو متوعك وتوفي بسملوط في ثالث القعدة، وحضر برمته في ليلة الجمعة ثامنه وخرجوا بجنازته من بيته وصلوا عليه بالأزهر ودفنوه بالقرافة رحمه الله تعالى وغفر له.

واستهلت سنة عشرين ومائتين وألف

فكان ابتداء المحرم يوم الاثنين، ولما نزل الدلاة جهة البساتين وتلك النواحي فأكلوا زروعات الناس ونهبوا دوراً بدير الطين وطلبوا علوفات زائدة رتب لهم الباشا الجرايات والعليق والجامكية وقدرها ستمائة كيس في كل شهر.

وفي ثامنه، سافر أناس كثيرة لزيارة مولد سيدي أحمد البدوي المعتاد وسافر أيضاً الشيخ الشرقاوي، وحضر هناك كاشف الغربية وحصل منه قبائح كثيرة وقبض على خلائق كثيرة وبلصهم وحبسهم وخوزق أناساً كثيرة من غير ذنب ولا يقبل شفاعة أحد في شيء.

وفيه أشيع قدوم محمد علي وحسن باشا إلى مصر، وذلك أنهما لما سمعا بوصول طائفة الدلاة وأن أحمد باشا أرسل إليهم وطلبهم ليتعاضد بهم ويقوي بهم ساعده على الأرنؤدية عزموا على الرجوع إلى مصر ليتلافوا أمرهم قبل استفحال الأمر.

وفي يوم الخميس حادي عشره، طلب الباشا المشايخ وعمر أفندي النقيب والوجا قليلة وأرباب الديوان، فلما اجتمعوا قال لهم أن محمد علي وحسن باشا راجعان من قبلي من غير إذن وطالبان شراً فإما أن يرجعا من حيث أتيا ويقاتلا المماليك وإما أن يذهبا إلى بلادهما أو أعطيهما ولا يات ومناصب في غير أراضي مصر ومعي أمر من السلطان ووكيل مفوض ودستور مكرم أعزل من أشاء وأولي من أشاء، وأعطي من أشاء وأمنع من أشاء، ثم أخرج من جيبه ورقة صغيرة في كيس حرير أخضر وأخبرهم أنها بخط السلطان بما ذكر فأنتم تكونون معي وتقيمون عندي صحبة كبار الوجاقلية فقالوا له أن الشيخ الشرقاوي والشيخ البكري والشيخ المهدي غائبون عن مصر، فقال نرسل لهم بالحضور فكتبوا لهم أوراقاً من الباشا وأرسلوها إليهم مع السعاة يستعجلونهم للحضور، ثم اتفقوا على أن يبيت عنده بالقلعة في كل ليلة اثنان من المتعممين واثنان من الجاقلية وأعدوا لهم مكاناً بالضربخانه وأمر بأن يذهب الدلاة والعسكر الباقية إلى ناحية طرا والجيزة وأخذوا مدافه وجبخانه، ووصل محمد علي وحسن باشا إلى ناحية طرا ومعهم عساكرهم، فلم يجسر الدلاتية على ممانعتهم وكاد لهم محمد علي مكايد منها أنه أرسل إليهم يقول، إنما جئنا في طلب العلائف ولسنا مخالفين ولا معاندين، فقال الدلاتية لبعضهم إذا كان الأمر كذلك فلا وجه للتعرض لهم وأخلوا من طريقهم، ودخل الكثير من طوائف عساكرهم ورجع الدلاتية إلى أماكنهم بدير الطين وقصر العيني والآثار ونزل كتخدا الباشا وعمر بك الأرنؤدي فتكلما مع الدلاتية فقالوا أن القوم لم يكن عندهم خلاف ولا تعدو إذا كنتم تمنعون وتحاربون من يطلب حقه، فكذلك تفعلون معنا إذا خدمناكم زمناً، ثم طلبنا علائفنا فرجع الكتخدا وعمر بك الأرنؤدي وتتابع دخول أولئك في كل يوم طائفة بعد أخرى وسكنوا الدور والبيوت.

وفي يوم الأربعاء، ذهب إليهم سعيد آغا وقابجي باشا الأسودان وسلما على محمد علي وحسن باشا ثم رجعا.

وفي يوم الجمعة تاسع عشره، دخل محمد علي بعد العصر وهب إلى بيته بالأزبكية ودخل حسن باشا في صبحها ودخلت طوائفهم، وأخذوا الحمير والبغال وجمال السقائين لينقلوا عليها متاعهم ودخلوا البيوت وأزعجوا السكان وأخرجوهم من مساكنهم وفتحوا البيوت المسدودة وكثرت أخلاطهم بالأسواق ومنع الباشا المشايخ والوجاقلية من الذهاب إلى محمد علي والسلام عليه، واستمر الأمر على القلقلة واللقلقة والتوحش وأخذ محمد علي في التدابير على أحمد باشا وخلعه.

شهر صفر الخير سنة 1220

استهل بيوم الأربعاء والأمر على ما هو عليه وسعيد آغا ساع ومجتهد في إجراء الصلح ويركب تارة إلى الباشا وتارة إلى محمد علي وإلى حسن باشا ويطلع من المشايخ في كل ليلة اثنان، وكذلك اثنان من الوجاقلية يبيتون بمكان في دار الضرب وينزلون في الصباح، ولم يعقل لذلك معنى، وفي كل وقت يقع التشاحن بين أفراد العسكر في الطرقات ويقتلون بعضهم بعضاً، وحضر سليمان كاشف البواب ومر من خلف الجيزة وذهب إلى جهة وردان وطلب الأموال من البلاد والكلف وعدى خازنداره إلى بر المنوفية ومعه عدة كثيرة من العربان بطلب الأموال من البلاد ومن عصى عليهم من البلاد ضربوهم ونهبوهم وحرقوا أجرانهم وكاشف المنوفية داخل منوف لا يقدر على الخروج إلى خارج، وحضر أيضاً محمد بك الألفي إلى ناحية أبي صير الملق وانتشرت طوائفه وعربانه بإقليم الجيزة ومصر مشحونة بأخلاط العسكر وأجناسهم المختلفة داخل المدينة وخارجها والدالاتية جهة مصر القديمة وقصر العيني والآثار ودير الطين يأكلون الزروعات ويخطفون ما يجدونه مع الفلاحين والمارين ويأخذون ما معهم ويخطفون النساء والأولاد بل ويلوطون في الرجال الاختيارية.

وفي أوله، حضر سكان مصر القديمة نساء ورجالاً إلى جهة الجامع الأزهر يشكون ويستغيثون من أفعال الدالاتية ويخبرون أن الدالاتية قد أخرجوهم من مساكنهم وأوطانهم قهراً عنهم ولم يتركوهم يأخذون ثيابهم ومتاعهم بل ومنعوا النساء أيضاً عندهم وما خلص منهم إلا من تسلق ونط من الحيطان، وحضروا على هذه الصورة فركب المشايخ إلى الباشا وخاطبوه في أمرهم، فكتب فرماناً خطاباً للدالاتية بالخروج من الدور وتركها إلى أصحابها، فلم يمتثلوا، ولم يسمعوا ذلك وخوطب الباشا ثانياً وأخبروه بعصيانهم، فقال أنهم مقيمون ثلاثة أيام، ثم يسافرون وزاد الضجيج والجمع، فاجتمع المشايخ في صبحها يوم الخميس بالأزهر وتركوا قراءة الدروس، وخرجت سربة من الأولاد الصغار يصرخون بالأسواق ويأمرون الناس بغلق الحوانيت، وحصل بالبلدة ضجة ووصل الخبر إلى الباشا بذلك فأرسل كتخداه إلى الأزهر، فلم يجد أحداً، وكان المشايخ انتقلوا بعد الظهر إلى بيتهم لأغراض نفسانية وفشل مستمر فيهم، فلما ير أحداً ذهب إلى بيت الشيخ الشرقاوي وحضر هناك السيد عمر أفندي وخلافه فكلموه وأوهموه، ثم قام وانصرف وفي حال خروجه رجمه الأولاد بالحجارة وسبوه وشتموه وبقي الأمر على السكوت إلى يوم الجمعة عاشره والمشايخ تاركون الحضور إلى الأزهر وغالب الأسواق والدكاكين مغلقة واللغط والوسوسة دائران وبطل طلوع المشايخ والوجاقلية ومبيتهم بالقلعة، وفي ذلك اليوم نزل أحمد باشا من القلعة ودخل بيت سعيد آغا، وذلك أنه ورد قاصد من إسلامبول وعلى يده تقليد لمحمد علي بولاية جدة فامتنع من طلوع القلعة فوقع الاتفاق على أن الباشا ينزل إلى بيت سعيد آغا ويخلع على محمد علي ناك، فلما حضر الباشا هناك وحضر محمد علي وحسن باشا وأخوه عابدي بك وتقلد محمد علي باشا ولاية جدة ولبس فروة وقاووقاً وخرج يريد الركوب، ثارت عليه العسكر وطلبوا منه العلوفة، فقال لهم هاهو الباشا عندكم وركب هو وذهب إلى داره بالأزبكية وصار يفرق وينثر الذهب بطول الطريق، ثم أن العسكر ساروا إلى أحمد باشا ومنعوه من الركوب، فلم يزل إلى بعد الغروب فلاطفهم حسن باشا ووعدهم، ثم ذهب مع حسن باشا إلى داره وأشيع في المدينة حبسه وفرح الناس وباتوا مسرورين، فلما طلع النهار يوم السبت تبين أنه طلع ثانياً إلى القلعة في آخر الليل وطلع صحبته عابدي آغا بك فاغتم الناس ثانياً.

وفي ذلك اليوم، طلب الباشا من ابن المحروقي وجرجس الجوهري ألفي كيس، وأشيع أنه عازم على عمل فردة على أهل البلد وطلب أجرة الأملاك بموجب قوائم الفرنساوية.

وفيه ركب الدلاة وذهبوا إلى قليوب ودخلوها واستولوا عليها وعلى دورها وربطوا خيولهم على أجرانها، وطلبوا من أهلها النفقات والكلف وعملوا على الدور دراهم يطلبونها منهم في كل يوم وقرروا على دار شيخ البلد الشواربي كل يوم مائة قرش وحبسوا حريمهم عن الخروج، وكان الشواربي بمصر فوصل إليه الخبر بذلك واستمروا على ذلك حتى أخذوا النساء والبنات والأولاد وصاروا يبيعونهم فيما بينهم، وبعد أيام أرسل إليهم محمد علي وقرر لهم الكلف على البلاد فصاروا يقبضونها ومن عصى عليهم ضربوه ونهبوه وأرسلوا إلى بلدة يقال لها أبو الغيط فامتنعت عليهم وخرج أهلها ودفنوا متاعهم بالجزيرة المقابلة للقرية، فركبوا عليهم وحاربوهم فقتل من الفلاحين زيادة عن مائة شخص ودلهم بعض الناس من الفلاحين على خباياهم بالجزيرة فذهبوا إليها واستخرجوها، وكانت أشياء كثيرة والأمر لله وحده لا شريك له والمشايخ تاركون الحضور إلى الأزهر وغالب الأسواق والدكاكين مغلقة، وبطل طلوع المشايخ والوجاقلية ومبيتهم بالقلعة، فحضر الآغا إلى نواحي الأزهر ونادى بالأمان وفتح الدكاكين في العصر، فقال الناس وأي شيء حصل من الأمان وهو يريد سلب الفقراء ويأخذ أجر مساكنهم ويعمل عليهم غرامات وباتوا في هرج ومرج، فلما أصبح يوم الأحد ثاني عشره ركب المشايخ إلى بيت القاضي، واجتمع به الكثير من المتعممين والعامة والأطفال حتى امتلأ الحوش والمقعد بالناس وصرخوا بقولهم شرع الله بيننا وبين هذا الباشا الظالم ومن الأولاد من يقول يا لطيف ومنهم من يقول يا رب يا متجلي أهلك العثملي، ومنهم من يقول حسبنا الله ونعم الوكيل وغير ذلك وطلبوا من القاضي أن يرسل بإحضار المتكلمين في الدولة لمجلس الشرع فأرسل إلى سعيد آغا الوكيل وبشير آغا الذي حضر قبل تاريخه وعثمان آغا قبي كتخدا والدفتردار والشمعدانجي، فحضر الجميع واتفقوا على كتابة عرضحال بالمطلوبات ففعلوا ذلك، وذكروا فيه تعدي طوائف العسكر والإيذاء منهم للناس وإخراجهم من مساكنهم والمظالم والفرد وقبض مال الميري المعجل وحق طرق المباشرين ومصادرة الناس بالدعاوى الكاذبة وغير ذلك، وأخذوه معهم ووعدوه برد الجواب، في ثاني يوم وفي تلك الليلة أرسل الباشا مراسلة إلى القاضي يرفق فيها الجواب ويظهر الامتثال ويطلب حضوره إليه من الغد مع العلماء لعمل معهم مشورة، فلما وصلته التذكرة حضر بها إلى السيد عمر أفندي واستشاروا في الذهاب، ثم اتفقوا على عدم التوجه إليه وغلب على ظنهم أنها منه خديعة وفي عزمه شيء آخر لأنه حضر بعد ذلك من أخبرهم أنه كان أعد أشخاصاً لاغتيالهم في الطريق وينسب ذلك الفعل لأوباش العسكر أن لو عوتب بعد ذلك.

فلما أصبحوا يوم الاثنين، اجتمعوا ببيت القاضي وكذلك اجتمع الكثير من العامة فمنعوهم من الدخول إلى بيت القاضي وقفلوا بابيه وحضر إليهم أيضاً سعيد آغا والجماعة، وركب الجميع وذهبوا إلى محمد علي وقالوا له أنا لا نريد هذا الباشا حاكماً علينا ولا بد من عزله من الولاية فقال ومن تريدونه يكون والياً قالوا له لا نرضى إلا بك وتكون والياً علينا بشروطنا لما نتوسمه فيك من العدالة والخير فامتنع أولاً، ثم رضي وأحضروا له كركاً وعليه قفطان، وقام إليه السيد عمر والشيخ الشرقاوي فألبساه له وذلك وقت العصر ونادوا بذلك في تلك الليلة في المدينة وأرسلوا إلى أحمد باشا الخبر بذلك، فقال إني

مولى من طرف السلطان فلا أعزل بأمر الفلاحين ولا أنزل من القلعة إلا بأمر من السلطنة وأصبح الناس وتجمعوا أيضاً فركب المشايخ ومعهم الجم الغفير من العامة وبأيديهم الأسلحة والعصي وذهبوا إلى بركة الأزبكية حتى ملؤها وأرسل الباشا إلى مصر العتيقة فحمل جمالاً من البقسماط والذخيرة والجبخانة وأخذ غلاله من عرصة الرميلة وطلع عمر بك الأرنؤدي الساكن ببولاق عند الباشا بالقلعة، ثم أن محمد علي باشا والمشايخ كتبوا مراسلة إلى عمر بك وصالح آغا قوش المعضدين لأحمد باشا المخلوع يذكرون لهما ما اجتمع عليه رأى الجمهور من عزل الباشا، ولا ينبغي مخالفتهم وعنادهم، لما يترتب على ذلك من الفساد العظيم وخراب الإقليم فأرسلا يقولان في الجواب أرونا سنداً شرعياً في ذلك، فاجتمع المشايخ في يوم الخميس سادس عشره ببيت القاضي ونظموا سؤالاً، وكتب عليه المفتون وأرسلوه إليهم، فلم يتعقلوا ذلك، واستمروا على خلافهم وعنادهم، ونزل كثير من أتباع الباشا بثيابهم إلى المدينة وانحل عنه طائفة الينكجرية، ولم يبق معه إلا طوائف الأرنؤد المغرضون لصالح آغاقوش وعمر آغا.

وفي هذه الأيام، حضر محمد بك الألفي ومن معه من أمرائه وعربانه وانتشروا جهة الجيزة واستقر الألفي بالمنصورية قرب إليهرام وانتشرت أتباعه إلى الجسر الأسود وأرسل مكاتبة إلى السيد عمر أفندي والشيخ الشرقاوي ومحمد علي باشا يطلب له جهة يستقر فيها هو وأتباعه، فكتبوا له بأن يختار له جهة يرتاح فيها ويتأنى حتى تسكن الفتنة القائمة بمصر واستمر أحمد باشا المخلوع ومن معه على الخلاف والعناد وعدم النزول من القلعة ويقول لا أنزل حتى يأتيني أمر من السلطان الذي ولاني وأرسل تذكرة إلى القاضي يذكر فيها أن العسكر الذين عنده بالقلعة لهم جامكية منكسرة في المدة الماضية، وأنهم كانوا محولين على مال الجهات ورفع المظالم سنة تاريخه معجلاً فتقبضونها وترسلونها وتعينوا لنا ولهم خرجاً ومصاريف إلى حين حضور جواب من الدولة وليس في إقامتنا بالقلعة ضرر أو خراب على الرعية فإننا لا نريد إضراراهم فأجابه القاضي بقوله أما ما كان من الجامكية المحولة فإنها لازمة عليكم من إيراد المدة التي قبضتموها في المدة السابقة، ومن قبيل ما ذكرتموه من عدم ضرر الرعية فإن إقامتكم بالقلعة هو عين الضرر، فإنه حضر يوم تاريخه نحو الأربعين ألف نفس بالمحكمة وطالبون نزولكم أو محربتكم فلا يمكننا دفع قيام هذا الجمهور وهذا آخر المراسلات بيننا وبينكم والسلام فأجابوه بمعنى الجواب الأول واجتهد السيد عمر أفندي النقيب وحرض الناس على الاجتماع والاستعداد وركب هو والمشايخ إلى بيت محمد علي باشا ومعهم الكثير من المشايخ والعامة والوجقلية والكل بالأسلحة والعصي والنبابيت ولازموا السهر بالليل في الشوارع والحارات ويسرحون أحزاباً وطوائف ومعهم المشاعل ويطوفون بالجهات والنواحي وجهات السور، ثم اتفقوا على محاصرة القلعة، فأرسل محمد علي باشا عساكره في جهات الرميلة والحطابة والطرق النافذة مثل باب القرافة والحصرية وطريق الصليبية وناحية بيت آقبردى وجلسوا بالمحمودية والسلطان حسن وعملوا متاريس في تلك الجهات، وذلك في تاسع عشره ومنعوا من يطلع ومن ينزل من القلعة وأغلق أهل القلعة الأبواب ووقفوا على الأسوار يبكت بعضهم بعضاً بالكلام ويترامون بالبنادق وصعدوا على منارة السلطان حسن يرمون منها إلى القلعة.

وفي يوم الأربعاء ثاني عشرينه، ركب السيد عمر أفندي والمشايخ ومعهم جمع كبير من الناس إلى الأزبكية وبعد ركوبهم حضر الجمع الكثير من العامة والعصب وطوائف الأجناد والوجاقلية وعصب النواحي وأهل الحسينية والعطوف والقرافة والرميلة

والحطابة والصليبية وجميع الجهات ومعهم الطبول والبيارق حتى غصت بهم الأزقة، فحضروا إلى جهات الجامع الأزهر، ثم رجعوا إلى الأزبكية ولحقوا بالمشايخ وخرج لمشايخ من عند محمد علي باشا وذهبوا إلى حسن بك أخي طاهر باشا، ثم رجعوا واستمر الحال على ذلك إلى ليلة الجمعة، فترل بين المغرب والعشاء عدة من العسكر كبيرة وفتحوا بابا القلعة بالرميلة وأرادوا الهجوم على المتاريس فتابعوا عليهم بالرمي، فلم يزالوا يترامون إلى بعد العشاء الأخيرة، ثم رجعوا وعندما سمع الناس صوت الرمي ذهبوا أرسالاً إلى جهات المتاريس ثم عادوا بعد رجوع المذكورين إلى القلعة كل ذلك وحسن باشا طاهر ومن معه من الأرنؤد يراعون من بالقلعة من أجناسهم لأن غالبهم منهم، فلما كان يوم الجمعة رابع عشرينه طلع عابدي بك أخو حسن باشا إلى القلعة ونزل عمر بك وأمروا برفع المتاريس وتفرق من بها، وأشيع نزول الباشا من الغدو بات الناس على ذلك ليلة السبت، وهم على ما هم عليه من التجمع والسروح والحيرة.

وفي صبح يوم السبت، مر ثلاثة من العسكر الشجعان بناجية مرجوش فصادفوا غلاماً حمامياً من اللاونجية خرج ليشتري قهوة فأرادوا أخذه ففر منهم فضربوه برصاصة وقتلوه وذلك في صلاة الحنفي فتبعهم الناس فوصلوا إلى النحاسين وعطفوا على خان الخليلي وأرادوا الخلوص إلى جهة المشهد الحسيني فأغلقوا في وجوههم البوابة، فضربوا على المتبعين لهم فقتلوا شخصاً وجرحوا آخر وخرجوا من القبو إلى ناحية الصنادقية وفرغ ما معهم من البارود فطلعوا إلى ربع وكالة الشبراوي، فاجتمع الناس وكسروا باب الربع، فترلوا يريدون الهروب فقتلهم الناس وذهبت أرواحهم إلى النار.

وفي ذلك اليوم، ركب السيد عمر أفندي في قلة من الناس وذهب إلى بيت حسن بك أخي طاهر باشا، وكان هناك عمر بك الذي نزل من القلعة فوقع بينه وبين السيد عمر مناقشة في الكلام طويلة ومن جملة ما قال كيف تعزلون من ولاه السلطان عليكم، وقد قال الله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فقال له أولو الأمر العلماء وحملة الشريعة والسلطان العادل وهذا رجل ظالم وجرت العادة من قديم الزمان أن أهل البلد يعزلون الولاة وهذا شيء من زمان حتى الخليفة والسلطان إذا سار فيهم بالجور فإنهم يعزلونه ويخلعونه، ثم قال وكيف تحصرونا وتمنعون عنا الماء والأكل وتقاتلونا نحن كفرة حتى تفعلوا معنا ذلك قال نعم، قد أفتى العلماء والقاضي بجواز قتلكم ومحاربتكم لأنكم عصاة، فقال أن القاضي هذا كافر فقال: إذا كان قاضيكم كافراً فكيف بكم وحاشاه الله من ذلك إنه رجل شرعي لا يميل عن الحق وانفصل المجلس على ذلك وخاطبه الشيخ السادات في مثل ذلك، فلم يتحول عن الخلاف والعناد هذا والأمر مستمر من اجتماع الناس وسهرهم وطوافهم بالليل واتخاذهم الأسلحة والنبابيت حتى أن الفقير من العامة كان يبيع ملبوسه أو يستدين ويشتري به سلاحاً وحضرت عربان كثيرة من نواحي الشرق وغيره.

وفي يوم الاثنين، ركب السيد عمر وصحبته الوجاقلية وأمامه الناس بالأسلحة والعدد والأجناد وأهل خان الخليلي والمغاربة شيء كثير جداً ومعهم بيارق ولهم جلبة وازدحام، بحيث كان أولهم بالموسكي وآخرهم جهة الأزهر وانفصل الأمر على رجوع عمر بك إلى القلعة ونزول عابدي بك بعد أن فضوا أشغالهم وعبوا ذخيرتهم واحتياجهم من الماء والزادة والغنم ليلاً ونهاراً في مدة الثلاثة أيام المذكورة، وقد كانوا أشرفوا على طلب الأمان وتبين أنهم إنما فعلوا ذلك من باب المكر والخديعة، واتفق الحال على إعادة المحاصرة وصعد المغرضون إلى القلعة ونزل أشخاص من المغرضين لأهل البلد إليهم، ورجع السيد عمر

إلى مترله وأخذ في أسباب الإحاطة بالقلعة كالأول، وذلك بعد العشاء ليلة الثلاثاء، ووقع إليه تمام في صبحها بذلك وجمعوا الفعلة والعربجية، وشرعوا في طلوع طائفة من العسكر والعرب وغيرهم إلى الجبل وأصعدوا مدافع ورتبوا عدة جمال لنقل الاحتياجات والخبز وروايا الماء تطلع وتترل في كل يوم مرتين، وطلع إليهم الكثير من باعة الخبز والكعك والقهاوى وغير ذلك.

شهر ربيع الأول استهل بيوم الخميس سنة 1220

والأمر على ذلك مستمر من تجمع الناس وسهرهم بالليل في سائر الأخطاط.

وفي ليلة الثلاثاء سادسه، تحرك العسكر وطلبوا العلوفة من محمد علي فقال لهم ليس لكم عندي علوفة حتى يترل أحمد باشا من القلعة ونحاسبه وتأخذوا علائفكم منه فلم يمتثلوا وتركوا المتاريس التي حوالي القلعة فتفرقوا وذهبوا فذهب جماعة من الرعية وتترسوا مواضعهم.

وفي ليلة الخميس ثامنه، حضرت طائفة من العسكر الساكنين بناحية المظفر وقت الغروب وضربوا على من بالمتاريس من الأجناد والرعية على حين غفلة وخطفوا عمائم وأسلحة وأجلوهم عن المتراس وجلسوا به فتسامع أهل الرميلة فاجتمعوا وحضروا إليهم وكبيرهم حجاج الخضي وإسماعيل جودة وهجموا عليهم وقتلوا منهم أنفاراً وانحاز باقيهم إلى الوكالة فأغلقوها عليهم فحضر ذو الفقار كتخدا ودافع عنهم وأخرجهم ثم أرسل إلى محمد علي وأمرهم بالهروب من تلك الجهة.

وفي يوم الجمعة قتل العسكر شخصاً بناحية المظفر وآخر بناحية قنطره الأمير حسين.

وفي يوم السبت عاشره، حصل من بعض أفراد العسكر قبائح وقتلوا بعض أنفار وحمارين وبغلين وقبض العامة أيضاً على أشخاص منهم وقتلوا منهم أيضاً وحضر طائفة من الأرنؤد وملكوا سبيل اسكندر بباب الخرق وحضر أيضاً طائفة ببيت السيد عمر أفندي النقيب فقام فيهم الحرس الواقفون عند باب البيت فهرب منهم طائفة خيالة ودخل منهم البعض فحجزوهم ووقعى في الناس هوزعات وكرشات ثم أحضر حسن آغا نجاتي المحتسب وأمر الأفندي بالمناداة فمر وأمامه المنادي يقول حسبما رسم السيد عمر الأفندي والعلماء لجميع الرعايا بأن يأخذوا حذرهم وأسلحتهم ويحترسوا في أماكنهم وأخطاطهم وإذا تعرض لهم عسكري بأذية قابلوه بمثلها وإلا فلا يتعرضوا له وأخذ الناس يعملون متاريس في رؤس الأخطاط ثم تركوا ذلك وحضر أيضاً شخص من طرف محمد علي ونادى بمثل ذلك ومعه أيضاً شخص ينادي بالتركي بمعنى ذلك.

وفي الليلة الماضية حضر كتخدا محمد علي ليلاً ومعه فرمان أرسله أحمد باشا المخلوع إلى الدلاة يطلبهم للحضور ويذكر لهم أنه يجب عليهم معاونته صيانة لعرض السلطنة وإقامة لناموسها وناموس الدين وأن الفلاحين محاصرونه ومانعون عند الأكل والشرب فلما وصل ذلك الفرمان إليهم بقليوب أرسلوه إلى محمد علي وأرسله محمد علي إلى السيد عمر أفندي النقيب.

وفي يوم الأحد حادي عشره، وقعت أيضاً مناوشات وتعدى بعض العسكر ودخلوا باب زويلة ووصلوا إلى العقادين فخرجت عليهم طائفة المغاربة وغيرهم فتترس منهم جماعة بجامع الفاكهاني فحصروهم به وقبضوا على نحو العشرة أنفار فأخذهم السيد محمد المحروقي ودافع عنهم العامة وقتل من الفريقين بعض أنفار وحضر عابدي بك وطلبهم فسلموهم إليه ورجع.

وفي تلك الليلة أيضاً ذهب جماعة من العسكر إلى جهة الرميلة يطلبون أنفاراً منهم ساكنين بتلك الناحية أخذ أهل الرميلة سلاحهم وحبسوهم عندهم فذهبت امرأة من المتزوجات بهم فأخبرتهم فحضر منهم طائفة أواخر النهار وطلبوهم فلم يسلموا فيهم وحاربوهم وهزموهم إلى جهة الصليبة وقتل بينهم أنفار ورجع العسكر واختلطت القضية واشتبه أمرها على أهل البلد فلا يعرف كلا الفريقين الصاحب من العدو فتارة يتشابك العسكر مع أهل البلد وكذلك أهل البلد معهم وتارة يتشابك فرقة منهم مع الكائنين بالقلعة وتارة الفريقان يساعد بعضهم بعضاً وإذا رقع بين الكائنين بنواحي الرميلة مع العسكر فرح من بالقلعة وأغروا أولاد البلد بهم ومنهم من يغري العسكر على أولاد البلد ويقولون لهم بلسانهم وبالعربي اضربوا الفلاحين ونحو ذلك وبالجملة فهي قضية مشكلة بين أوباش مختلفة وطباع معوجة منحرفة ومضت ليالي المولد الشريف و لم يشعر بها أحد.

وفيه، حضر كبار الدلاة فخلع عليهم محمد علي باشا خلعاً وكساوي وسافروا ثم ارتحلوا من قليوب يريدون الذهاب إلى محاربة الألفي وأتباعه ومن معهم من العرب فأنهم أفحشوا في نهب البلاد ونهب الأموال ما لم يسمع بمثله و لم يتقدم نظيره فساروا على البلاد والقرى يأخذون الكلف وينهبون ويقتلون ويفسقون في النساء والأولاد و لم يذهبوا إلى ما وجهوا إليه.

وفي ليلة الأربعاء رابع عشره، حضر كتخدا محمد علي وجرجس الجوهري إلى بيت السيد عمر وحضر أيضاً الشيخ الشرقاوي والشيخ الأمير والقاضي وتشاوروا على أمر ورأي رآه محمد علي باشا وأما علي باشا السلحدار الذي جهة مصر القديمة فإنه أخذ في استمالة العسكر وفتنتهم وانضم إليهم كثير منهم ووعدهم بعلائفهم وصار يراسل أحمد باشا سراً ويرسل إليه الخبز واللحم والسكر والذخيرة على الجمال من باب صغير فتحوه من عرب اليسار من داخل.

وفي ليلة السبت، أجمع رأي علي باشا السلحدار على مكيدة يصنعها وهو أنه يركب فيمن معه ويهجم على المتاريس من جهة الصليبة وأرسل إلى مخدومه يعلمه بذلك وأنه إذا هجم من تلك الناحية يساعده هو من القلعة برمي الدافع والقنابر على البلد والمتاريس فتترعج الناس ويتم لهم ما مكروه وكتب رجب آغا وسليمان آغا وهما كبؤرا عسكر علي باشا المذكور تذكرة عن عندهما خطاباً للسيد عمر أفندي النقيب وباقي المشايخ مضمونها أنهما يريدان الحضور إلى جهة القلعة ويسعيان في أمر يكون فيه الراحة للفريقين وتسكين الفتنة ويلتمسان من المخاطبين أنهم يرسلون إلى من بالمتاريس من العمة بأن يخلوا لهما طريقاً ولا يتعرضون لهما فحضر إلى السيد عمر أفندي النقيب من أخبره بذلك الاتفاق بعد الفجر قبل حضور التذكرة فأرسل إلى من بالنواحي والجهات وأيقظهم وحذرهم فاستعدوا وانتظروا وراقبوا النواحي فنظروا إلى ناحية القرافة فرأوا الجمال التي تحمل الذخيرة الواصلة من علي باشا إلى القلعة ومعها أنفار من الخدم والعسكر وعدتهم ستون جملاً فخرج عليهم حجاج الخضري ومن معه من أهالي الرميلة وحاربوهم وأخذوا منهم تلك الجمال وقتلوا شخصين من العسكر وقبضوا على ثلاثة وحضروا بهم وبرؤس المقتولين إلى بيت السيد عمر فأرسلهم إلى محمد علي باشا فأمر بقتل الآخرين فلما رأى من بالقلعة ذلك فعندها رموا بالمدافع والقنابر على البلد وبيت محمد علي وحسن باشا وجهة الأزهر و لم يزالوا يراسلون الرمي من أول النهار إلى بعد الظهر فلم يترعج أهل البلد من ذلك لما ألفوه من أيام الفرنسيس وحروبهم السابقة ثم رموا كذلك من العشاء إلى سادس ساعة من الليل فلم يجبهم أحد و لم يرموا عليهم شيئاً من الجبل مع استعدادهم لذلك وأصبحوا يوم الأحد فواصلوا الرمي بطول النهار وكذلك ليلة الاثنين ويوم الاثنين هذا.

وفي كل ليلة يطلع إلى الجبل أربعة عشر جملاً تحمل قرب الماء على كل بعير أربع قرب وستة أقفاص خبز على ثلاثة جمال

نقلتين في كل يوم وأصعدوا جبخانة وجللاً وقنابر وضربوا عليهم في ذلك اليوم ضرباً قليلاً واستمر ذلك ليلة الثلاثاء ويوم الثلاثاء فأكثروا الرمي وسقطت قنابر وجلل في عدة أماكن مع الضرر القليل وباتوا على ذلك ليلة الأربعاء ويومه وليلة الخميس ويومه إلى آخر النهار وبطل الرمي تلك الليلة فقال الناس أنهم تركوا ذلك احتراماً لليلة الجمعة.

وفي تلك الليلة، حضر جماعة من أهل الأطارف ليلاً وحرقوا باب الجبل وأوقدوا فيه النار فظن أهل الجبل أن أهل القلعة يريدون الخروج فضربوا عليهم مدافع فتنبه من بالقلعة وأسرعوا إلى جهة باب الجبل وضربوا بالرصاص فلما تحقق من بالجبل القضية رموا عليهم أيضاً وتسامع الناس كثرة الضرب الرصاص فلم يعلموا الحقيقة ورجع من أتى إلى الباب من غير طائل فلما طلع النهار ظهر الأمر.

وفي اليوم الثاني بعد الظهر تسلق جماعة من العسكر القلعاوية على سلالم صنعوها من حبال ونزلوا إلى جهة المحجر لأخذ شيء من الأكل والشرب وهم نحو العشرين فتنبه الناس لهم واجتمعوا بالخطة وأخذوا ما أخذوه من أهل الدور من الخبز والدقيق وقرب الماء وصعدوا من حيث أتوا وأعادوا الرمي بالمدافع والقنابر من عصر يوم الجمعة وليلة السبت واستمروا على ذلك وسقط بسبب ذلك حيطان وبعض من أبنية الدور وخرج كثير من الناس وبعدوا عن جهات الضرب وخصوصاً جهة الأزهر وذهبوا إلى ناحية الحسينية والأطارف وخرجت النساء هاربات إلى تلك النواحي وبولاق وانزعجوا من أوطانهم.

وفي يوم الأحد، أرسل كتخدا محمد علي باشا إلى السيد عمر وأشار عليه بإرسال العتالين والشيالين إلى ناحية قلعة الفرنساوية التي بقنطرة الليمون لرفع المدفع الكبير الذي هناك وأرسلوا أشخاصاً من الإنكليز يتقيدون بذلك فجمعوا الرجال والأبقار وذهبوا إلى هناك وأحضروه وأخرجوه من باب البرقية يريدون وضعه عند باب الوزير حيث مجرى السيل ليرموا به على برج القلعة واستمروا في جره يومين.

وفي ذلك اليوم، نزل أيضاً ستة أشخاص يريدون أخذ الماء من صهريج جهة الحطابة فضرب عليهم من هناك من المترسين فهربوا وطلعوا من حيث نزلوا.

وفي ليلة الثلاثاء، نصبوا المدفع المذكور وضربوا به وضربوا أيضاً من أعلى الجبل ومن بالقلعة يضربون على البلد يواصلون الضرب بالمدافع والقنابر والبنبات الكبار والآلات المحرقة واستمروا على ذلك إلى ليلة الجمعة الأخرى فسكن الرمي تلك الليلة وأصيب كثير من الدور والحيطان والأبنية وأصابت أشخاصاً قتلتهم ووزن بعض البنبات فبلغ وزنها بما فيها قنطارين.

شهر ربيع الثاني سنة 1220

استهل بيوم الجمعة، فيه وردت أخبار من ثغر سكندرية بورود قابجي وهو صالح آغا الذي كان يابقاً بمصر ببيت رضوان كتخدا إبراهيم بك وعلى يده جوابات بالراحة فحصلت ضجة في الناس وفرحوا ورمحوا بطول ذلك اليوم، وعملوا شنكاً تلك الليلة التي هي ليلة السبت ورموا سواريخ في سائر النواحي وضربوا بنادق وقرابين بالأزبكية وخارج باب الفتوح وباب النصر والمدافع التي على أبراج الأبواب ولما سمع من بالقلعة ومن بمصر القديمة ظنوا أن العساكر الذين في قلوبهم مرض تحاربوا مع أهل البلد فرموا من القلعة بالمدافع والبنب، وحضر علي باشا ومن معه من جهة مصر القديمة، ونزل من القلعة طائفة من العسكر

جهة عرب اليسار وتترسوا هناك، فاجتمع عليهم حجاج وأهل الرميلة ومن معهم من عسكر محمد علي وتحاروا مع المترسين والواصلين وضربوا من القلعة على محاربيهم وعلى أهل البلد وكذلك من بالجبل ومن بالذنجزية يضربون على القلعة المدافع والسواريخ، ونزل أيضاً طائفة وهجموا على الذنجزية وأرادوا سد فلوة المدفع الكبير فضربوا عليهم وقتل كبيرهم ومعه آخر وأخذوا سلاحهم ورؤسهما، وأحضروهما إلى السيد عمر وحصل بالبلدة تلك الليلة من ضرب النار من كل ناحية ما هو عجيب من المستغربات واختلط الشنك بالحرب وصار الضرب من الجبل على القلعة بالبنب والمدافع والسواريخ، وكذلك من القلعة على البلدة وعلى الذنجزية ومنها على القلعة والمحاربين مع بعضهم البعض والشنك من كل جهة، واجتماع الناس والعامة بالأخطاط والنواحي وضربوا طبولاً ومزامير ونقرزانات، وكانت ليلة من الغرائب، وأصبحوا على الحال الذي هم عليه من الرمي بالمدافع والبنب.

وفي يوم الأحد، سافرت أنفار من الوجاقلية وغيرهم لملاقاة صالح آغا وصحبتهم طائفة من العسكر أرسلها محمد علي باشا في مركب لخفارته وقد كانوا اتفقوا على سفر بعض المتعممين، ثم بطل ذلك وأرسل السيد عمر أفندي باشجاويش والسيد عثمان البكري وسلحدار محمد علي والخواجه عمر المطيلي وبكتاش وأحمد أوده باشا.

وفي ليلة الثلاثاء، أشيع وصول القابجي إلى بولاق ليلاً، فخرج كثير من العامة لملاقاته أفواجاً واصطفوا في الأسواق للفرجة عليه، واستمروا على ذلك الرج بطول النهار، ولم يصل أحد، ثم تبين عدم وصوله وأنه وصل إلى ثغر رشيد، وفي ذلك اليوم وقت الشروق حصلت زلزلة عظيمة وارتجت الأرض نحو أربع درجات.

وفي يوم الأربعاء، سافر جماعة من المتعممين وهم السيد محمد الدواخلي وابن الشيخ الأمير والشيخ بدوي الهيثمي وابن الشيخ العروسي، واستمر الحال على ذلك اليوم، ويوم الخميس والجمعة ولم يبطل رمي المدافع والبنب ليلاً ونهاراً في غالب الأوقات ما عدا ليلة الجمعة ويومها إلى العصر.

وفي ليلة الاثنين، وصل الخبر بوصول القابجي إلى قليوب وأنه طلع إلى بر فوة وسار من هناك، وحضر في ذلك اليوم المشايخ الذين كانوا ذهبوا لملاقاته، فلما أشيع ذلك اجتمع الناس وطوائف العامة وخرجوا من آخر الليل وهم بالأسلحة والعدد والطبول إلى خارج باب النصر ووقفوا بالشوارع والسقائف للفرجة، وكذلك النساء والصبيان وازدحموا ازدحاماً زائداً، ووصل الآغا المذكور وصحبته سلحدار الوزير إلى زاوية مرداش ونزلا هناك وعمل لهما إسماعيل الطبجي الفطور فأكلاه وشربا القهوة وركبا وانجرت الطوائف والغوغاء من العامة وهم يضربون بالبنادق والقرابين والمدافع من أعلى سور باب النصر والفتوح واستمر مرورهم نحو ثلاث ساعات وخرج كتخدا محمد علي وأكابر الأرنؤد وطائفة من العسكر كبيرة والوجاقلية وكثير من الفقهاء العاملين رؤس العصب وأهالي بولاق ومصر القديمة والنواحي والجهات مثل أهل باب الشعرية والحسينية والعطوف وخط الخليفة والقرافتين والرميلة والحطابة والحبالة وكبيرهم حجاج الخضري وبيده سيف مسلول وكذلك ابن شمعة شيخ الجزارين وخلافه ومعهم طبول وزمور والمدافع والقنابر والبنبات نازلة من القلعة فلم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى الأزبكية فنزلوا بيت محمد علي باشا وحضر المشايخ والأعيان وقرؤوا المرسوم الذي معه ومضمونه الخطاب لمحمد علي باشا والي جدة سابقاً ووالي مصر حالاً من ابتداء عشرين ربيع أول حيث رضي بذلك العلماء والرعية وأن أحمد باشا معزول عن مصر وأن

يتوجه إلى سكندرية بالإعزاز والإكرام حتى يأتيه الأمر بالتوجه إلى بعض الولايات وسكن صالح آغا القابجي المذكور ببيت الخواجا محمود حسن بالأزبكية وسكن السلحدار عند السيد محمد بن المحروقي.

وفي يوم الثلاثاء، ركب السيد عمر في جمع كثير من العسكر من أولاد البلد والمغاربة والصعائدة والأتراك والكل بالأسلحة وذهب إلى عند علي باشا وجلس عنده حصة وذهب إلى القابجي وسلم عليه وذهب إلى السلحدار أيضاً وسلم عليه ورجع.

وفيه بطل الرمي من القلعة وكذلك أبطلوا الرمي عليها من الجبل والذنجزية مع بقاء المحاصرة والمتاريس حول القلعة من الجهات ومنع الواصل إليهم واستمرار من بالجبل ويطلع إليهم في كل يوم الجمال الحاملة للخبز وقرب الماء واللوازم وأما الدلاة فاستقروا بمحلة أبي علي وطلبوا الفرد والكلف من البلاد ووصل محمد بك الألفي إلى دمنهور البحيرة فتمنعوا عليه فحاصر البلد وضربوا عليه أياماً كثيرة.

وفيه، وقع بباب الشعرية مناوشة بين العسكر وأولاد البلد بسبب سكن البيوت وكذلك جهة باب اللوق وبولاق ومصر القديمة وقتل بينهم أنفار وقتل أيضاً المتكلم بمصر القديمة وحصلت زعجات في الناس.

وفي يوم الأربعاء، مر بعض أولاد البلد بجهة الخرنفش فضربه بعض عسكر حجو الساكن ببيت شاهين كاشف فقتله فثارات أهل الناحية وتضاربوا بالرصاص واجتمع العسكر بتلك الناحية ودخلوا من حارة النصارى النافذة من بين السورين وصعدوا إلى البيوت ونقبوا نقوباً وصاروا يضربون على الناس من الطيقان واجتمع الناس وانزعجوا وبنوا متاريس عند رأس الخرنفش ومرجوش وناحية الباسطية براس الدرب وتحاربوا وقتل بينهم أشخاص من الفريقين ونهب العسكر وعدة دور وتسلقوا على بيت حسن بك مملوك عثمان الحمامي الحكيم وذبحوه ونهبوا بيته الذي براس الخرنفش وكذلك رجل زيات وعبد صالح آغا الجلفي وحسن ابن كاتب الخردة وكانت واقعة شنيعة استمرت إلى العصر وحضر الآغا وكتخدا محمد علي فلم تسكن الفتنة وحضر أيضاً إسماعيل الطبجي هذه الحادثة أن رجلاً عسكرياً اشترى من رجل خردجي ملاعق ثم ردها من الغد فلم يرض وتسابا فضربه العسكري فصاح الخردجي وقال ما حيل من الله يضرب النصراني الشريف فاجتمع عليه الناس وقبضوا عليه وسحبوه إلى بيت النقيب فلما قربوا من البيت ضربوه وقتلوه وأخرجوه إلى تل البرقية ورموه هناك فحصل بسبب ذلك ما ذكر.

وفيه، أرسلوا صورة المكاتبة الواردة مع صالح آغا إلى الباشا فلم يمتثل وامتنع من النزول وقال أنا متول بخطوط شريفة وأوامر منيفة ولا أنعزل بورقة مثل هذه وطلب الاجتماع بصالح آغا السلحدار يخاطبهم مشافهة وينظر في كلامهم وكيفية مجيئهم فلم يرضوا بطلوع المذكورين إليه.

وفي يوم الخميس، وقع بين حجاج الخضري والعسكر مقاتلة جهة طيلون وقتل بينهم أشخاص.

وفيه، تواترت الأخبار بقدوم الأمراء المصريين القبليين إلى جهة مصر.

وفيه، اجتمع الشيخ الشرقاوي والشيخ الأمير وغالب المتعممين وقالوا إيش هذا الحال وما تداخلنا في هذا الأمر والفتن واتفقوا أنهم يتباعدون عن الفتنة وينادون بالأمان وأن الناس يفتحون حوانيتهم ويجلسون بها وكذلك يفتحون أبواب الجامع الأزهر ويتقيدون بقراءة الدروس وحضور الطلبة وركبوا إلى محمد علي وقالوا له أنت صرت حاكم البلدة والرعية ليس لهم مقارشة في

عزل الباشا ونزوله من القلعة وقد أتاك الأمر فنفذه كيف شئت وأخبروه برأيهم فأجابهم إلى ذلك وركب الآغا وصحبته بعض المتعممين ونادوا في المدينة بالأمن والأمان والبيع والشراء وأن الناس يتركون حمل الأسلحة بالنهار وإذا وقع من بعض العسكر قباحة رفعوا أمره إلى محمد علي وإن كان من الرعية رفعوه إلى بيت السيد عمر النقيب وإذا دخل الليل حملوا الأسلحة وسهروا في أخطاطهم على العادة وتحفظوا على أماكنهم فلما سمع الناس ذلك أنكروه وقالوا إيش هذا الكلام حينئذ نصير طعمة للعسكر بالنهار وخفراء بالليل والله لا نترك حمل أسلحتنا ولا نمتثل لهذا الكلام ولا هذه المناداة ومر الآغا ببعض العامة المتسلحين فقبض عليهم وأخذ سلاحهم فازدادوا قهراً وباتوا على ذلك واجتمعوا عند السيد عمر النقيب وراجعوه في ذلك فاعتذر وأخبر بأن هذا الأمر على خلاف مراده.

وفي ليلة الجمعة، المذكورة حصل خسوف قمر كلي وكان ابتداؤه من بعد العشاء الأخيرة بنصف ساعة وانجلى في سابع ساعة وأصبح يوم الجمعة فحضر عند السيد عمر كتخدا بك وعابدي بك في جمع من العسكر وجلسوا عنده ساعة وذكروا له أن في عضرها يرسلون إلى الباشا الكائن بالقلعة ويجتمعون عليه بالنزول فإن أبى جدوا في قتاله ومحاربته وذكروا أنه ممالئ الأمراء القبالي وهو الذي أرسل بحضورهم ومطعمهم في المملكة فلزم الاجتهاد في إنزاله من القلعة ثم يتفرغون لمحاربة القادمين ويخرجون إليهم بالعساكر ثم قاموا من عنده وذهبوا إلى بيت القاضي وحضر حجو آغا الذي كان يحارب بالخرنفش فرجع صحبته كتخدا بك عند السيد عمر ليأخذ بخاطره وصحبته طائفة من العسكر فوقفوا متفرقين ودخل منهم طائفة إلى بيت الشيخ الشرقاوي وباقيهم بالشارع وتجمع حولهم أهالي البلد بالأسلحة فاتفق بينهم انطلاق بندقية إما خطأ أو قصداً فهاجت الناس وماجت واجتمعوا من كل ناحية وخرج جاويشية النقابة إلى نواحي الدائرة ينادون في الناس ويقولون عليكم ببيت السيد عمر النقيب يا مسلمين انجدوا إخوانكم وحصلت من تلك البندقية التي انطلقت فزعة عظيمة وصاح السيد عمر على الناس من الشباك يأمرهم بالسكون والهجوع فلم يسمعوا له ونزل إلى أسفل ووقف بباب داره يصيح بالناس فلا يزدادون إلا خباطاً وأقبلوا طوائف من كل جهة فصار يأمرهم بالمرور والخروج إلى جهة باب البرقية و لم يزالوا على ذلك إلى بعد صلاة الجمعة حتى سكن الحال وقام حجو والكتخدا حتى تغديا مع السيد عمر وركبا وذهبا ونودي في عصر ذلك اليوم بالأمان وفتح الحوانيت والبيع والشراء ولا يرفعون معهم السلاح بل يحملونه معهم في حوانيتهم تحذراً من غدر العسكر وفتحوا أبواب الأزهر.

وفي يوم السبت، فتح الناس بعض الحوانيت ونزل المشايخ إلى الجامع الأزهر وقرؤوا بعض الدروس ففترت همم الناس ورموا الأسلحة وأخذوا يسبون المشايخ ويشتمونهم لتخذيلهم إياهم وشمخ عليهم العسكر وشرعوا في أذيتهم وتعرضوا لقتلهم وإضرارهم.

وفي يوم الأحد، قتلوا أشخاصاً في جهات متفرقة وضج الناس وأغلقوا الدكاكين وكثرت شكاويهم وأقلقوا السيد عمر النقيب وهو يعتذر إليهم ويقول لهم اذهبوا إلى الشيخ الشرقاوي والشيخ الأمير فهما اللذان أمرا الناس برمي السلاح، فلما زادت الشكوى نادوا في الناس بالعود إلى حمل السلاح والتحذر.

وفيه وصل الأمراء القبليون إلى قرب الجيزة وعدى منهم طائفة إلى البر الشرقي جهة دير الطين والبساتين وهم عباس بك

ومحمد بك المنفوخ ورشوان كاشف وهدموا قلاع طرا وساووها بالأرض.

وفي يوم الاثنين، ركب محمد علي وخرج إلى جهة مصر القديمة وصحبته حسن باشا وأخوه عابدي بك، فترل بقصر يلفيه وأقاموا إلى العصر، وخرج كثير من العسكر إلى ناحية مصر القديمة، ثم ركب محمد علي وحسن باشا وأخوه إلى أخر النهار وساقوا إلى جهة البساتين ومعهم العساكر أفواجاً، فلما قربوا من الأمراء المصريين تقهقروا إلى خلف ورجعوا إلى جهة قبلي وقيل عدوا إلى بر الجيزة وانضم إليهم علي باشا الذي بالجيزة واستمر محمد علي ومن معه بمصر القديمة وتراموا بالمدافع.

وفي يوم الثلاثاء، حضر أيضاً جماعة من القبليين إلى الجيزة وتراموا بالمدافع والبنب من البرين ذلك اليوم وليلة الأربعاء.

وفيه عدى طائفة الدلاة الكائنين بالبر الغربي وانضم إليهم المقيمون بجزيرة بدران وحضروا إلى بولاق وهجموا على البيوت وأخرجوا سكانها قهراً عنهم وأزعجوهم من أوطانهم وسكنوها وربطوا خيولهم بخانات التجار، ووكالة الزيت، فحضر الكثير من أهالي بولاق إلى بيت السيد عمر وتظلموا وتشكوا فأرسل إلى كتخدا بك يمنعهم من ذلك، فلم يمتنعوا واستمروا على فعلهم وقبائحهم.

وفيه طلب محمد علي باشا دراهم سلفة من النصارى والتجار وقرروا فردة على البلاد والبنادر وهي أول طلبة طلبها بعد رآسته.

وفيه أرسلوا بنائين وخمسمائة فاعل لبناء ما تهدم من حصون طرا.

وفي يوم الخميس حادي عشرينه، وردت أخبار بوصول قبطان باشا إلى ثغر سكندرية وأبي قير وصحبته مراكب كثيرة لا يعلم المرسون أخبار من بها، فاجتمع المشايخ واتفقوا على كتابة عرضحال يرسلونه إليه مع بعض المتعممين، ثم اختلفت آراؤهم في ذلك، فلما كان يوم الاثنين ورد الخبر بورود سلحدار قبطان المذكور إلى شلقان فأعرضوا عن ذلك.

وفيه وقع طائفة من العسكر الكائنين ببولاق وأهل البلد مناوشة بسبب نقب البيوت وقتل بينهم أنفار واستظهر عليهم أهل بولاق.

وفي يوم الثلاثاء، وصل السلحدار إلى بولاق وركب من هناك إلى المكان الذي أعد له وصحبته مكاتبة إلى أحمد باشا المخلوع ومضمونها الأمر بالترول من القلعة ساعة وصول الجواب إليه من غير تأخير وحضوره إلى الإسكندرية وجواب آخر إلى محمد علي بإبقائه في القائمقامية حيث ارتضاه الكافة والعلماء والوصية بالسلوك والرفق بالرعية والكلام المحفوظ المعتاد الذي لا أصل له وأن يقلد من قبله باشا على عسكر يعين إرساله إلى البلاد الحجازية ويسهل له جميع احتياجاته من الجبخانة وسائر الاحتياجات واللوازم فأرسلوا إلى أحمد باشا المخلوع بجوابه فقال حتى يطلع إلى السلحدار الواصل ويخاطبني مشافهة.

وفي صبح يوم الأربعاء، قبض المحافظون على خيال مقبل من جهة مصر القديمة يريد الطلوع إلى القلعة من آخر النهار وجدوا معه أوراقاً فأخذوه إلى محمد علي باشا فوجدوا في ضمنها خطاباً إلى الباشا المخلوع من علي باشا وياسين بك الكائنين بالجيزة مضمونها أنه في صبح يوم الجمعة نطلق من الجيزة سبعة سواريخ تكون إشارة بيننا وبينكم، فعندما تروها تضربون بالمدافع والبنب على بيت محمد علي، ونحن نعدى إلى مصر القديمة ويصل البرديسي من خلف الجبل إلى جهة العادلية ويأتي باقي المصريين من ناحية طرا ويقوم من بالبلدة على من فيها فيشغلون الجهات ويتم المرام بذلك، فلما اطلع محمد علي على ذلك

وكان القاضي حاضراً عنده اشتد غيظه على ذلك الرجل ووجده من الأكراد فاستجار بالقاضي، فلم يجره وأمر به فأخذوه وقتلوه ورموه ببركة الأزبكية.

وفي يوم الخميس أحضروا سبعة رؤوس وعلقوها على السبيل المواجه لباب زويلة ذكروا أنها من ناحية دمنهور وعلى أحدها ورقة مكتوبة أنها رأس شاهين بك الألفي وأخرى سلحداره وهي متغيرة جداً ومحشوة تبناً ولا يظهر لها خلق، ولم يكن لذلك صحة.

وفيه أخبر الإخباريون بأن الألفي ارتحل من دمنهور، ولم ينل منها غرضه وأنه كبس على سليمان كاشف البواب ونهب ما معه وقيل أنه قتل وفي رواية وقع إلى البحر وهرب باقي أتباعه إلى جهة المنوات في أسوأ حال وأخذ منه شيئاً كثيراً وهو ما جمعه في هذه السرحة، وذلك خلاف ما جمعه في العام الماضي عندما كان كاشفاً بمنوف، ومن ذلك أنه لما قتل موسى خالداً أخذ منه مالاً كثيراً، وذلك خلاف ما دل عليه من خباياه.

وفي تلك الليلة، طلع السلحدار المذكور وصحبته صالح آغا القابجي الذي وصل قبله إلى القلعة واجتمع بأحمد باشا المخلوع وتكلما معه فقال أنا لست بعاص ولا مخالف للأوامر وإنما لصالح آغا وعمر علائف نحو خمسمائة كيس باقية، ولم يبق عندي شيء سوى ما على جسدي من الثياب، وقد أخذ العسكر المحاربون موجوداتي جميعاً فإذا طيبتم خواطرهما نزلت في الحال فترلا بذلك الجواب، ثم ترددوا في الكلام والعقد والإبرام ولم يحسن السكوت على شيء.

وفيه وصل الأمراء القبالي إلى حلوان وعلي بك أيوب دخل إلى الجيزة صحبة من بها وسليمان بك خارجها.

وفي يوم الجمعة، عدى ياسين بك من الجيزة إلى متاريس الروضة، ولم يكن بها سوى الطبجية، فطلعوا إليهم وقبضوا على بعضهم، وأخذوا منهم ثلاثة مدافع وسدوا فالية المدفع الكبير وآخر رموه إلى البحر، فثارت رجة بمصر القديمة والروضة وضربوا بالمدافع والرصاص ورجع الواصلون من الجيزة إلى أماكنهم وحضر الألفي إلى جهة الطرانة.

وفيه حضر صالح آغا القابجي إلى السيد عمر النقيب وأخبره أنهم تواعدوا مع أحمد باشا في عصر غد من يوم السبت إما أن يترل أو يستمر على عصيانه، فلما كان يوم السبت في الميعاد أفرجوا عن ضعفاء الرعية الكائنين بالقلعة، وكذلك النساء بعدما أخذوا ما معهم من الأمتعة والثياب وأبقوا عندهم الشبان والأقوياء للمعاونة في الأشغال، وأظهروا المخالفة وامتنعوا من الترول وباتوا على ذلك، وكث اللغط في الناس وانقضى شهر ربيع الثاني على ذلك.

شهر جمادى الأولى سنة 1220

استهل بيوم الأحد، فيه ضربوا ثلاثة مدافع من القلعة وقت الشروق وكأنها إشارة وعلامة لأصحابهم.

وفي يوم الاثنين، سبح جماعة من الجيزة إلى جهة أنبابة، وكان ببولاق طائفة من العسكر يترامحون بجهة ديوان العشور فضربوا عليهم مدافع فحصل ببولاق ضجة، وركب محمد علي باشا أواخر النهار وذهب إلى بولاق ونزل ببيت عمر بك الأرنؤدي ووضب جملة من العسكر وعدوا ليلاً وطلعوا ناحية بشتيل وحضروا إلى جهة أنبابة يوم الثلاثاء وتحاربوا مع من بها حتى أجلوهم عنها وعملوا هناك متاريس في مقابلتهم، واستمروا على ذلك يتضاربون بالمدافع.

وفي يوم السبت، سابعه طلع بشير آغا القابجي وصالح آغا السلحدار إلى القلعة وتكلموا مع أحمد باشا ومن معه، وقد كانت وردت مكاتبات من قبكان باشا في أمر أحمد باشا، ثم نزلوا وصحبتهم كتخدا أحمد باشا إلى بيت سعيد آغا الوكيل وركبوا معه إلى بيت محمد علي باشا واختلوا مع بعضهم، ثم طلع طالح آغا وأربعة من عظمائهم، ثم نزلوا، ثم طلعوا وترددوا في الذهاب والإياب ومرادة الخطاب وبات الكتخدا أسفل وطلب القلعاويون شروطاً وعلائفهم الماضية، وغير ذلك وانتهى الكلام بينهم على نزول أحمد باشا المخلوع في يوم الاثنين وتسليم القلعة والجبخانة.

وأصبح يوم الاثنين، فطلبوا جمالاً لحمل أثقالهم فأرسلوا إلى السيد عمر فجمع لهم من جمال الشواغرية مائتي جمل، فنقلوا عليها متاعهم وفرشهم، وأنزل الباشا حريمه إلى بيت مصطفى آغا الوكيل، ونزل كثير من عساكرهم وخدمهم وهم متغيروا الصور، وذهب أكثرهم بعزالهم إلى بولاق ونهبوا بيوت الرعايا التي بالقلعة، وأخذوا ما وجدوه فيها من المتاع، وطلع حسن آغا سرششمه بجملة من العسكر إلى القلعة وانقضى ذلك اليوم، ولم ينقض نزولهم، وحضر الوالي أيضاً وقت العشاء إلى بيت السيد عمر وطلب خمسين جملاً، فلم يتيسر إلا بعضها.

وأصبح يوم الثلاثاء، فأنزلوا باقي متاعهم ونزل الباشا المخلوع من باب الجبل في رابع ساعة من النهار على جهة باب النصر ومر من خارجه إلى جهة الخروبي، وذهب إلى بولاق وصحبته كتخدا محمد علي باشا وعمر بك وصالح آغا قوش، ونزل صحبته مدافع تعوق بعضها عند الذنجزية لضعف الأكاديش وسكن ببيت السيد عمر النقيب وسكن صالح آغا ببيت شيخ السادات، وذلك عاشر جمادى الأولى واطمأن الناس بعض الاطمئنان مع بقاء التحرز وأرسل السيد عمر فنادى تلك الليلة باستمرار الناس على التحرز والسهر وضبط الجهات فإن القوم لا أمان لهم وانحشروا في داخل المدينة والوكائل والبيوت ولا يتركون قبائحهم، وأما الأمراء المصرلية فإنهم وصلوا إلى التبين، واجتمعوا هناك ما عدا علي بك أيوب وسليمان بك وعباس بك فإنهم بالجيزة مع علي باشا وياسين بك، وأما الدالاتية الأنجاس فإنهم مستمرون على نهب البلاد وسلب الأموال وأذية العباد. ونهبوا كاشف الغربية وهجموا على سمنود وهي مدينة عظيمة فنهبوا بيوتها وأسواقها وأخذوا ما فيها من الودائع والأموال وسبوا النساء وفعلوا أفعالاً شنيعة تقشعر منها الأبدان، ثم انتقلوا إلى المحلة الكبرى وهم الآن بها أما محمد بك الألفي فإنه حاصر دمنهور مدة مديدة، فلم يتمكن منها، ثم ارتحل عنها ورجع مقبلاً، ووصل ناحية الطرانة، وأما قبطان باشا، فإنه لم يزل مقيماً على ساحل أبي قير.

وفي يوم الخميس، وصلت الأخبار بذهاب قبطان باشا إلى سكندرية وفي يوم الأحد، خامس عشره نزل أحمد باشا المخلوع إلى المراكب من بولاق وسافر إلى جهة بحري وأتباعه المختصين به وتخلف عنه كتخداه وعمر بك وصالح قوش والدفتردار وكثير من أتباعه، ولم يسهل بهم مفارقة أرض مصر وغنائمها مع أنهم مجتهدون في خرابها.

وفيه وصل الألفي الكبير والصغير إلى بر الجيزة.

وفي يوم الاثنين، اتفق جماعة من الأرنؤد، وقصدوا الذهاب إلى بر الجيزة فوصل خبرهم إلى محمد علي باشا فأرسل إليهم عسكراً ومعهم جحو فلحقهم عند المعادي بحري بولاق، فقتلوا منهم نحو عشرين وهرب باقيهم وتفرقوا.

وفي بنى حجاج الخضري حائطاً وبوابة على الرميلة عند عرصات الغلة.

وفي يوم الأربعاء، سابع عشره قبض محمد علي باشا على جرجس الجوهري ومعه جماعة من الأقباط فحبسهم ببيت كتخداه

وطلب حسابه من ابتداء خمس عشرة، وأحضر المعلم غالي الذي كان كاتب الألفي بالصعيد وألبسه منصبه في رآسة الأقباط، وكذلك خلع على السيد محمد ابن المحروقي خلع الاستمرار على ما كان عليه أبواه من أمانة الضربخانة وغيرها.

وفي تلك الليلة، قتل شخص كبير بيكباشي تحت بيت الباشا بالأزبكية وضربوا لموته مدفعاً، وذلك لأمر نقموه عليه.

وفيه سافر كتخدا بك إلى جهة المنوفية وقبض على كاشفها وأخذ ما معه من الأموال التي جمعها من منهوبات البلاد ودل على ودائعه وأخذها أيضاً ووجد له غلالاً كثيرة ومواشي وغير ذلك وفي يوم الجمعة عشرينه، الموافق لحادي عشر مسى أوفى النيل المبارك أذرعه ونودي بذلك، وأشيع في ذلك اليوم وصول فرقة من الأمراء المصريين من خلف الجبل وبات الناس مستعدين للفرجة على موسم الخليج على العادة فأمر الباشا بإخراج الخيام والنظام إلى ناحية الجسر وعمل الحراقة، ثم أمر بكسر السد ليلاً فما طلع النهار إلا والماء يجري في الخليج و لم يذهب الباشا ولا القاضي ولا أحد من الناس، و لم يشعروا بذلك وكان قد بلغه ورود الأمراء فتأخر عن الخروج وهم ظنوا خروجه مع العسكر إلى خارج المدينة وفي وقت الشروق من ذلك اليوم، وصل طائفة من الأمراء إلى ناحية المذبح وكسروا بوابة الحسينية ودخلوا من باب الفتوح في كبكبة عظيمة وخلفهم نقاقير كثيرة وجمال وأحمال فشقوا من بين القصرين حتى وصلوا إلى الأشرفية وشخص لهم الناس وضجوا بالسلام عليهم وبقولهم نهار مبارك وسعيد والحمد لله على السلامة وشخص الناس وبهتوا وخمنوا التخامين، فلما وصلوا عطفة الخراطين افترقوا فرقتين، فدخل عثمان بك وحسن وشاهين بك المرادي وأحمد كاشف سليم وعباس بك وغيرهم كشاف وأجناد ومماليك وعبيد كثيرة نحو الألف وخلف كل طائفة نقاقير وهجن وبأيديهم البنادق والسيوف والأسلحة ومروا بالجامع الأزهر وذهبوا إلى بيت السيد عمر والشيخ الشرقاوي فامتنع السيد عمر من مقابلتهم، فدخلوا إلى بيت الشيخ الشرقاوي، وحضر عندهم السيد عمر فطلبوا منهم النجدة وقيام الرعية فقالوا لهم هذا لا يصح، و لم يكن بيننا وبينكم موعد ولا استعداد والأولى ذهابكم وإلا أحاطت بنا وبكم العساكر وقتلونا معكم، فعند ذلك ركبوا وخرجوا من باب البرقية وبعد خروجهم حضر في أثرهم حسن بك الأرنؤدي في عدة وافرة من العسكر وهم مشاة، وخرج خلفهم فوجدهم خرجوا إلى الخلاء فرجع على أثره، وأما الفرقة الأخرى فإنهم وصلوا إلى باب زويلة وتقدموا قليلاً إلى جهة الدرب الأحمر فضرب عليهم العسكر الساكنون هناك بالرصاص فرجعوا القهقرى إلى داخل باب زويلة وأرادوا الدخول إلى جامع المؤيد والكرنكة بتلك الناحية، فضرب عليهم المغاربة والمرابطون هناك فأصيب منهم أشخاص وقوي جأش العسكر الذين جهة الدرب الأحمر لما سمعوا ضرب الرصاص وتنبه غيرهم واجتمعوا لمعاونتهم وانصرع منهم ثلاثة أشخاص وقعوا إلى الأرض، فلما عاينوا ذلك ولوا الأدبار وتبعهم العسكر يضربون في أقفيتهم، فلم يزالوا في سيرهم إلى النحاسين، وقد أغلق الناس بوابة الكعكيين، وكذلك بوابة الخراطين وبوابة البندقانيين، وكان جحو الساكن بالخرنفش عندما سمع بدخولهم لحقه الفزع والخوف، فخرج من بيته بعسكره يريد الفرار وخرج من عطفة الخرنفش وذهب إلى جهة باب النصر لظنه أنه لا يمكنه الخروج من باب الفتوح الذي دخلوا منه، فلما وصل إلى باب النصر وجده مغلقاً وامتنع المرابطون عليه من فتحه فعاد على أثره وذهب إلى باب الفتوح، فلم يجد به أحمد فاطمأن حينئذ، وعلم سوء رأيهم فأغلقه وأجلس عنده جماعة من أتباعه ورجع على أثره إلى جهة بين القصرين فصادف أدبار الجماعة والعسكر في أقفيتهم

بالرصاص فعند ذلك قوي جأشه وضرب في وجوههم هو ومن معه من العسكر فاختبل القوم وسقط في أيديهم، وعلموا أنه قد أحيط بهم فترلوا عن خيولهم ودخل منهم جماعة كثيرة جامع البرقوقية، وذهب منهم طائفة كبيرة بخيولهم نحو المائة إلى جهة باب النصر فوجدوه مغلقاً فترلوا أيضاً عن خيولهم ودخلوا العطوف ونطوا من السور إلى الخلاء وتفرق منهم جماعة اختفوا في الجهات وبعض الوكائل والبيوت، ولما انحصر الذين دخلوا جامع البرقوقية وأغلقوا على أنفسهم الباب احتطت بهم العسكر وأحرقوا الباب وتسور أيضاً عليهم جماعة من العطفة التي بظاهر البرقوقية وقبضوا عليهم وعروهم ثيابهم وأخذوا ما معهم من الذهب والنقود والأسلحة المثمنة وذبحوا منهم نحو الخمسين مثل الأغنام وسحبوا نحو ذلك العدد بالحياة وهم عرايا مكشوفوا الرؤوس حفاة الأقدام موثوقو الأيدي يضربونهم ويصفعونهم على أقفيتهم ووجوههم ويسبونهم ويشتمونهم ويسحبونهم على وجوههم حتى ذهبوا بهم وبرؤوس القتلى إلى بيت الباشا بالأزبكية، وكان قد استعد للفرار وتحير

في أمره، ونزل إلى أسفل يريد الركوب وإذا بالعسكر داخلون عليه ومعهم الرؤوس والأسرى في أيديهم، فعند ذلك سكن جأشه وامتلأ فرحاً ولما مثل بين يديه أحمد بك تابع البرديسي الذي كان أميراً بدمياط وحسن شبكة ومن معهما، قال لأحمد بك يا أحمد بك وقعت في الشرك فطلب ماء فحلوا كتافه وأتوا بماء يشرب فنظر لمن حوله وخطف يقطاناً من وسط بعض الواقفين وهاج فيهم وأراد قتل محمد علي باشا وقتل أنفاراً، فقام الباشا وهرب إلى فوق وتكاثروا عليه وقتلوه ووضعوا باقي الجماعة في جنازير وفي أرجلهم القيود وربطوهم بالحوش وهم على الحالة التي حضروا فيها من العري والحقارة والذلة.

وفي ثاني يوم، أحضروا الجزارين وأروهم بسلخ الرؤوس بين يدي المعتقلين وهم ينظرون إلى ذلك، وأحضروا جماعة من الاسكافية فحشوها تبناً وخيطوها.

وفي ليلة الاثنين، خرج عابدي بك بعساكر الأرنؤد براً وبحراً إلى جهة طرا فالتقى مع من بها من المصريين وكان بها إبراهيم بك الكبير وابنه مرزوق بك وأمراؤهم فقتل من عسكر الأرنؤد عدة كبيرة وولوا منهزمين، وحضروا إلى مصر وغرق من مراكبهم مركبان في ليلة الثلاثاء.

وفي تلك الليلة، قتلوا المعتقلين ما عدا حسن شبكة ومعه اثنان قيل أنهم عملوا على أنفسهم ثلاثمائة كيس فأبقوهم وقتلوا الباقي قتلاً شنيعاً وعذبوهم في القتل من أول الليل إلى آخره، ثم قطعوا رؤوسهم وحشوها تبناً ووسقوها في مركب وأرسلوها إلى الإسكندرية وعدتهم ثلاثة وثمانون رأساً وفيهم من غير جنسهم وأناس جربجية ملتزمون واختيارية التجؤوا إليهم ورافقوهم في الحضور وبعثوا من يوصلهم إلى إسلامبول وكتبوا في المراسلة أنهم حاربوهم وقاتلوهم وحاصروهم حتى أفنوهم واستأصلوهم ولم يبقوا منهم باقية وهذه الرؤوس رؤوس أعيانهم وأكابرهم، فكان عدة من قتل في هذه الحادثة من المعروفين المنصبين مراد بك تابع عثمان بك حسن وقبطان بك تابع البرديسي وسليم بك الغريبة وأحمد بك الدمياطي وعلي بك تابع خليل بك ونحو الخمسة والعشرين من مماليكهم وأتباعهم، ونجا حسن بك شبكة واثنان معه دون أتباعه وباقيهم أشخاص مجهولة فيهم فرنساوية وأرنؤدية، ولم يتفق للأمراء المصرية أقبح، ولا أشنع من هذه الحادثة وربط الله على قلوبهم وأعمى أبصارهم وغل أيديهم.

وفي يوم الأربعاء، حضر طائفة الدلاة إلى ناحية الخانكة بعدما طافوا إقليم الغربية والمنوفية والشرقية والدقهلية، وفعلوا أفعالاً شنيعة من النهب والسلب والقتل والأسر والفسق وما لا يسطر ولا يذكر ولا يمكن الإحاطة ببعضه.

وفيه أفرجوا عن جرجس الجوهري ومن معه على أربعة آلاف وثمانمائة كيس وأن يبقى على حاله فشرع في توزيعها على باقي الأقباط وعلى نفسه وعلى كبرائهم وصيارفهم ما عدا فلتيوس وغالي وحولت عليه التحاويل وحصل لهم كرب شديد وضج فقراؤهم واستغاثوا.

وفي يوم الجمعة، خرج عدة كبيرة من العسكر إلى ناحية الشرق لمحاربة الدلاة وأميرهم عمر بك تابع عثمان بك الأشقر ومحمد بك المبدول وكثير من الأجناد المصرية وحسن باشا الأرنؤدي.

وفي يوم السبت، رجع القرابة المشاة وذهب الخيالة خلفهم متباعدين عنهم بمرحلة، فكان شأنهم أن الدلاة المذكورين إذا وردوا قرية نهبوها وأخذوا ما وجدوه فيها وأخذوا الأولاد والبنات وارتحلوا فيأتي خلفهم العرب التابعون خلفهم فيطلبون الكلف والعليق وينهبون أيضاً ما أمكنهم ثم يرتحلون أيضاً خلفهم فتنزل بعدهم التجريدة فيفعلون أقبح من الفريقين من النهب والسلب حتى ثياب النساء وأخذ الدلاة من عرب العائد خمسمائة جمل، وذهبوا على طريق رأس الوادي.

وفيه ورد الخبر بوصول كتخدا بك إلى منوف وقبض على كاشفها وأخذ منه ما جمعه، ثم أنه فرد على البلاد التي وجد بها بعض العمار أموالاً من ألف ريال فأزيد وحصر ذلك في قائمة وهي نحو الستين بلداً وأرسل يستأذن في ذلك ويطلب عدم الرفع عن شيء منها ليحصل قدراً يستعان على علائف العسكر وجماكيهم وليكمل خراب الإقليم، وانقضى شهر جمادى الأولى.

شهر جمادى الثانية سنة 1220

استهل بيوم الاثنين، في ثانيه، وصل ولدا محمد علي باشا إلى ساحل بولاق فركب أغوات الباشا واستقبلوهما وأحضروهما إلى الأزبكية وعملوا لهما شنكاً تلك الليلة.

وفي ثالثه، طلع محمد علي باشا إلى القلعة وأجلس ابنه الكبير بها وضربوا له في ذلك الوقت مدافع.

وفي رابعه، رجع عابدي بك ومن بصحبته من المصرلية من جهة الشرق وقد وصلوا خلف الدلاة إلى حد العائد، ثم رجعوا وذهب الدلاة إلى جهة الشام بما معهم من المال والغنائم والجمال والأحمال وعدتها أكثر من أربعة آلاف جمل وما نهبوه من البلاد وأسروه من النساء والصبيان وغير ذلك وكانوا من نقمة الله على خلقه، و لم يحصل من مجيئهم وذهابهم إلا زيادة الضرر، و لم يحصل الباشا المخلوع الذي استدعاهم لنضرته إلا الخذلان وكان في عزمه وظنه أنهم يصيرون أعوانه وأنصاره ويستعين بهم وبطائفة الينكجرية على إزالة الطائفة الأخرى فانتحس بقدومهم وأورثه الله ذلهم وتخلوا عنه وخذلوه وضاع عليه ما صرفه عليهم في استدعائهم وملاقاتهم وخلعهم وتقدماتهم ومصارفهم وعلائفهم وخرجهم، و لم ينفعوه بنافعة بل كانوا من الضرر الصرف عليه وعلى الإقليم، وكان كلما خوطب وعوقب في أمر أو فعل يقول اصبروا حتى تأتي الدالاتية ويحصل بعد ذلك النظام، فلم يحصل بوصولهم إلا الفساد وانتقضت دولته وانعست قضيته.

وفيه شرعوا في عمل دفتر فردة على البلاد التي بقي فيها بعض الرمق.

وفي خامسه، حضر كتخدا بك ليلاً وأشار بإبطال ذلك الدفتر لما فيه من الإشاعة والشناعة واتفق مع الباشا والمتكلمين أنه

يفعل ذلك باجتهاده ورأيه ورجع في تلك الليلة وشرع في التحصيل مع الجور والعسف الزائد كما هو شأنهم.
وفيه سافر أيضاً جانم أفندي الدفتردار وسافر صحبته قابجي باشا الأسود المسمى بشير آغا.
وفيه سافر بعض كبرائهم إلى جهة السويس ليأتي بالمحمل.
وفي يوم الجمعة، ورد أحمد أفندي من سكندرية وهو الذي كان أتى بالدفتردارية في العام السابق ومنعه أحمد باشا خورشيد من الورود وكتبوا في شأنه عرضحال من المشايخ والوجاقلية بمنعه وإبقاء جانم أفندي واستمر بالإسكندرية إلى هذا الوقت وحضر الآن بمراسلة من قبطان باشا وأحضر صحبته تقرير السعيد آغا على الوكالة وإبقائه على ما هو عليه ونظر الخاصكية لسليمان آغا حافظ.
وفي يوم الأحد رابع عشره، تغيب جرجس الجوهري فيقال أنه هرب و لم يظهر خبره وطلب محمد علي فلتيوس وغالي وجرجس الطويل.
وفي يوم الاثنين، حضر محمد كتخدا الألفي بجواب من مخدومه وقابل محمد علي باشا وذهب إلى بيته لقضاء أشغاله.
وفيه وصلت القافلة والمحمل وأراد الباشا نهب قافلة التجار فصالحوا على أحمالهم بألف كيس ودخل المحمل في ذلك اليوم صحبة المسفر.
وفيه طلب الباشا حسن آغا نجاتي المحتسب والأمير إبراهيم الرزاز، وطلب أن يقلد حسن آغا كتخدا الحج والأمير إبراهيم ديودار بشرط أن يكلفا أنفسهما من مالهما فاعتذرا بعدم قدرتهما على ذلك فحبسهما وطلب من كل واحد منهما خمسمائة كيس وعزل حسن آغا وقلد عوضه آخر يسمى قاضي أوغلي على الحسبة.
وفي يوم الثلاثاء، ظهر الخبر عن جرجس الجوهري بأنه ركب من دير مصر العتيقة وذهب إلى الأمراء المصرلية بناحية التبين.
وفي يوم الأربعاء سابع عشره، توفي الشيخ محمد الحريري مفتي الحنفية.
وفي يوم الجمعة تاسع عشره، توفي حسن أفندي ابن عثمان الأماحي الخطاط.
وفيه قلدوا علي جلبي بن أحمد كتخدا على كشوفية القليوبية ولبس القفطان وركب بالملازمين.
وفيه سافر محمد كتخدا الألفي عائداً إلى مخدومه وذهب صحبته السلحدار وموسى البارودي.
وفي عشرينه، تقلد الحسبة شخص يقال له عبد الله قاضي أوغلي وكذلك تقلد قبله بأيام إبراهيم الحسيني الزعامة وهو حليق اللحية وتقلد محمد من مماليك إسماعيل بك ويعرف بالألفي وهو زوج هانم ابنة بنت إسماعيل بك آغاوية مستحفظان.

وفيه أفرجوا عن حسن آغا المحتسب وإبراهيم الرزاز وقرروا على الأول خمسة وستين كيساً وعلى الثاني خمسة عشر كيساً يقومان بدفعها.
وفيه أنزلوا قوائم على البلاد والحصص التي كانت تحت التزام جرجس الجوهري إلى المزاد فاشتراها القادرون والراغبون.
وفي حادي عشرينه، قلدوا ياسين بك كشوفية بني سويف والفيوم وكذلك لبسوا كاشفاً على منفلوط وغيرها.
وفي أواخره، حضر محمد كتخدا الألأفي والسلحدار وذكرا مطلوبات الألفي وهو أنه يطلب كشوفية الفيوم وبني سويف والجيزة والبحيرة ومائتي بلد التزام وأنه يأتي إلى الجيزة ويقيم بها ويكون تحت طاعة محمد علي باشا وتشاوروا في ذلك أياماً

وأما باقي الأمراء المصرليين فإنهم انتقلوا من مكانهم وترفعوا إلى جهة قبلي بناحية بياضة، ثم اتفق الرأي على أن يعطوهم من فوق جرجاً ويترل بها الحاكم المولى عليها من العثمانية وأن المصريين القبالي اقتسموا بينهم البلاد ويقومون بدفع المال والغلال الميرية، وكل ذلك لا أصل له ولا حقيقة من الطرفين وكتبوا للألفي مكاتبات بذلك وأن يكون في ضمنهم.

وفي أواخره أيضاً احتاج محمد علي باشا إلى باقي علوفة العسكر فتكلم مع المشايخ في ذلك وأخبرهم بأن العسكر باق لهم ثلاثة آلاف كيس لا نعرف لتحصيلها طريقة، فانظروا رأيكم في ذلك وكيف يكون العمل و لم يبق إلا هذه النوبة ومن هذا الوقت إذا قبض العسكر باقي علائفهم سافروا إلى بلادهم، و لم يبق منهم إلا المحتاج إليهم وأرباب المناصب ولا يأخذون بعد ذلك علائف فكثر التروي في ذلك ولغط الناس بالفردة وتقرير أموال على أهل البلد وانحط الأمر بعد ذلك على قبض ثلث الفائظ من الحصص والالتزام فضج الناس وقالوا هذه تصير عادة، و لم يبق للناس معايش فقال نكتب فرماناً ونلتزم بعدم عود ذلك ثانياً ونرقم فيه لعن الله من يفعلها مرة أخرى، ونحو ذلك من التمويهات الكاذبة إلى أن رضي الناس واستقر أمرها وشرعوا في تحريرها وطلبها.

شهر رجب الفرد سنة 1220

استهل بيوم الأربعاء، وفي حادي عشره، سافر محمد كتخدا الألفي بالجواب المتقدم إلى مخدومه بعد أن قضى أشغاله واحتياجاته من أمتعة وخيام وسروج، وغير ذلك وخرج ياسين بك وباقي الكشاف المسافرون إلى الجيزة وطلبوا المراكب حتى عز وجودها وامتنع ورودها من الجهة البحرية.

وفي ثالث عشره، سافر المذكورون بعساكرهم وسافر أيضاً علي باشا سلحدار أحمد باشا خورشيد المنفصل إلى سكندرية وأما قبطان باشا فإنه لم يزل بثغر سكندرية.

وفي منتصفه، برز طاهر باشا الذاهب إلى البلاد الحجازية بعساكره إلى خارج باب النصر.

وفيه وردت الأخبار بأن الوهابيين استولوا على المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم بعد حصارها نحو سنة ونصف من غير حرب بل تحلقوا حولها وقطعوا عنها الوارد وبلغ الأردب الحنطة بها مائة ريال فرانسة، فلما اشتد بهم الضيق سلموها ودخلها الوهابيون، و لم يحدثوا بها حدثاً غير منع المنكرات وشرب التنباك في الأسواق وهدم القباب ما عدا قبة الرسول صلى الله عليه وسلم.

وفي تاسع عشره، وقع بالأزبكية معركة بين العسكر قتل بها واحد من أعيانهم واثنان آخران ورجل سائس وبغل وفرس وحمار.

وفي خامس عشرينه، ورد الخبر بسفر القبطان وأحمد باشا خورشيد من ثغر سكندرية.

وفيه حضر أهل رشيد يتشكون إلى السيد عمر النقيب والمشايخ ويذكرون أن محمد علي باشا أرسل يطلب منهم أربعين ألف ريال فرانسة على ثلاثة عشر نفراً من التجار بقائمة.

وفيه حضر محمود بك الذي كان بالمنية وتواترت الأخبار بوصول الغز المصريين إلى أسيوط وملكوها، وأما الألأفي فإنه جهة الفيوم ووقع بينه وبين جماعة ياسين بك محاربة وظهر عليهم وأرسل ياسين بك يطلب عسكراً وذخيرة.

وفي خامس عشرينه، ركب المشايخ والسيد عمر النقيب إلى محمد علي وترجوا عنده في أهل رشيد فاستقرت غرامتهم على

عشرين ألف فرانسة وسافروا على ذلك وأخذوا في تحصيلها.

وفيه طلب بترك الدير واحتجوا عليه بهروب جرجس الجوهري وانحط الأمر على المصالحة بمائة وأربعين كيساً وزعها النصارى على بعضهم ودفعوها.

شهر شعبان سنة 1220

استهل بيوم الجمعة، فيه أمر محمد علي باشا برفع حصص الالتزام التي على النساء وكتبوا قوائم مزادها وانحط الأمر على المصالحات بقدر حالهن، وغير ذلك أمور كثيرة وجزئيات وتحيلات على استنضاح الأموال لا يمكن ضبطها.

وفي أواخره زوج محمد علي حسن الشماشرجي تابعه ببنت سليم كاشف الأسيوطي وهي بنت عبد الرحمن بك تابع عثمان بك الجرجاوي وهي ربيبة أحمد كاشف تابع سليم كاشف المذكور فعقدوا عقدها وعملوا لها مهما ببيت أمها هانم بحارة عابدين، واحتفل بذلك محمد علي وأمر بأن يعمل لها زفة مثل زفف الأمراء المتقدمين ونبهوا على أرباب الحرف فعملوا لهم عربات وملاعيب وسخريات قاموا بكلفها من مالهم الموزع على أفرادهم وداروا بازفة يوم الخميس غاية شعبان، وحضر محمد علي إلى مدرسة العوريه مع أولاده ليرى ذلك وعمل له السيد محمد المحروقي ضيافة في ذلك اليوم، وأحضر إليه الغداء بالمدرسة، ولما انقضى أمر الزفة شرعوا في عمل موكب المحتسب ومشايخ الحرف لرؤية رمضان وحضروا إلى بيت القاضي، و لم يثبت الهلال تلك الليلة وانقضى شهر شعبان.

واستهل شهر رمضان بيوم السبت سنة 1220

وفي هذا اليوم شح وجود اللحم وغلا سعره لعدم المواشي وتوالى الظلم والعسف والفرد والكلف على القرى والبلاد حتى بلغ الرطل اللحم الجفيط الهزيل خمسة وعشرين نصفاً إن وجد والجاموسي اثني عشر نصفاً وامتنع وجود الضاني بالأسواق بالكلية رأساً ولما استهل رمضان انكب الناس على من يوجد من جزارين اللحم الخشن، وكذلك شح وجود السمن وعم بالكلية، وإذا وجد منه شيء خطفه العسكر وذهبوا به إلى سوق أنبابة يوم السبت أول رمضان ونهبوا ما وجدوه مع الفلاحين من الزبد والجبن وغير ذلك وزاد فحشهم وقبحهم وتسلطهم على إيذاء الناس وكثروا بالبلد وانحشروا من كل جهة وتسلطوا على تزوج النساء قهراً اللاتي مات أزواجها من الأمراء المصرلية ومن أبت عليهم أخذوا ما بيدها من الالتزام والإيراد وأخرجوها من دارها ونهبوا متاعها، فما يسعها إلا الإجابة والرضا بالقضاء وتزوج بعضهم بزوجة حسن بك الجداوي وهي بنت أحمد بك شنن وأمثالها، و لم ينفعهن الهروب ولا الاختفاء ولا الالتجاء وتزيوا بزي المصريين في ملابسهم، وركبوا الخيول المسومة بالسروج المذهبة والقلاعيات والرخوت المكلفة وأحدق بهم الخدم والأتباع والقواسة والسواس والمقدمون، ووصل كل صعلوك منهم لما لا يخطر على باله أو يتوهمه أو يتخيله ولا في عالم الرؤيا مع انحراف الطبع والجهل المركب وعمى البصيرة والفظاظة والقساوة والتجارى وعدم الدين والحياء والخشية والمروءة ومنهم من تزوج الاثنتين والثلاث وصار له عدة دور.

وفيه تواترت الأخبار بما حصل لياسين بك وأنه بعد انهزامه هرب بجماعة قليلة، وذهب عند سليمان بك المرادي وانضم إليه.

وفي ثالث عشره، نهبوا بيت ياسين بك المذكور وأخذوا ما فيه ونفوا محمد أفندي أباه وأنزلوه في مركب وذهبوا به إلى بحري وقيل أنهم قتلوه.

وفيه وردت الأخبار بأنه غرق بمينا الإسكندرية أحد عشر غليوناً من الكبار، وذلك أنه في أواخر شعبان هبت رياح غربية عاصفة ليلاً فقطعت مراسي المراكب ودفعتها الرياح إلى البر فانكسرت وتلف ما فيها من الأموال والأنفس، ولم ينج منها إلا القليل، وكذلك تلف ثمان وأربعون مركباً واصلة من بلاد الشام إلى دمياط ببضائع التجار.

وفيه حضر جماعة من الألفية إلى بر الجيزة وطلبوا كلفاً من إقليم الجيزة وقبضوها ورجعوا إلى الفيوم ومضى في أثرهم عربان أولاد علي من ناحية البحيرة وعاثوا بأراضي الجيزة، فعينوا لهم طاهر باشا الذي كان مسافراً إلى بلاد الحجاز وخرج بعساكره وخيامه وموكبه إلى خارج باب النصر ونصب وطاقه وصار يضرب في كل ليلة مدافعه وطبله ونوبت واستمر مقيماً على ذلك نحو ثلاثة شهور وهم يجمعون له الأموال ويفردون الفرد على الأقاليم ويقولون برسم تشهيل العسكر المسافر للخوارج واستخلاص البلاد الحجازية من أيديهم، ولم يزالوا يحتجون بعدم أخذ النفقة وفي كل يوم يتسللون شيئاً بعد شيء ويدخلون إلى المدينة ويتفرقون إلى الجهات حتى لم يبق منهم إلا القليل، ثم أنهم ارتحلوا من مخيمهم بحجة العرب وطردهم من الجيزة، فلما عدوا إلى الجيزة دخلوا إلى دورها وسكنوها غصباً عن أهلها واستولوا على فراشهم متاعهم، ولم يخرج منهم أحد للعرب، ولم يتعدوا خارج السور وبطل أمر السفرة المذكورة.

وفي تاسع عشره، أرسل محمد علي من قبض على الآغا الشمعدانجي وعثمان آغا كتخدا بك سابقاً وقت المغرب وأنزلوهما إلى بولاق في مركب وذهبوا بهما يقال أنهم قتلوهما ومعهما اثنان أيضاً من كبار العسكر، ولم يعلم سبب ذلك وأنزلوا حصصهم في المزاد.

وفيه فتحوا طلب الميري من الملتزمين عن سنة إحدى وعشرين مع أن سنة تاريخه لم يستحق منها الثلث وكانوا فتحوها معجلة لقدر الاحتياج وقبضوا نصفها وطلبوا النصف الآخر بعد أربعة أشهر وأما هذه فطلبوها بالكامل قبل أوانها بسنة وخصوصاً في شهر رمضان مع الناس فيه من ضيق المعاش وغلو الأسعار في كل شيء بل وهدم وجود الأقوات ووقوف العسكر خارج المدينة يخطفون ما يأتي به الفلاحون من السمن والجبن والتبن والبيض وغير ذلك ومن دونهم العرب ومثل ذلك في البحر والمراكب حتى امتنع وجود المجلوبات براً وبحراً، وطلبوا المراكب لسفر العساكر بالتجاريد فتسامع القادمون فوقفوا عن القدوم خوفاً من النهب والتسخير ولم يبق بسواحل البحر مركب ولا قارب وبطل ديوان العشور، ووصل سعر العشرة أرطال السمن ستمائة نصف فضة إن وجد والعشرة من البيض بخمسة عشر فضة إن وجد والدجاجة بأربعين نصفاً والرطل الصابون بستين نصفاً، ولم يزل يتزايد حتى وصل الرطل إلى مائة وعشرين والراوية الماء بأربعين نصفاً والرطل القشطة بستين نصفاً والرطل السمك الطري بستة عشر نصفاً والقديد المملوح بعشرة أنصاف وقد كان يباع بنصفين وبالعدد من غير وزن والحوت الفسيخ بأربعين نصفاً وقس على ذلك.

وفي عشرينه، رجع خازندار طاهر باشا إلى جهة العادلية ثانياً ومعه جملة من العسكر وصاروا يضربون في كل ليلة مدفعين واستمر طاهر باشا بالجيزة.

وفيه كتب محمد علي باشا مكاتبة الأمراء القبالي وأرسل بها مصطفى آغا الوكيل وعلي كاشف الصابونجي ليصطلحوا على أمر.

وفيه وصل أيضاً جماعة من الألفية إلى جهة سقارة وبلاد الجيزة وطلبوا منها كلفة ودراهم فأمر محمد علي بخروج العساكر فتلكؤا واحتجوا بطلب العلوفة فعزم على الخروج بنفسه، فلما كان ليلة الأربعاء سادس عشرينه طلب كبار العساكر وركب معهم إلى مصر القديمة وشرعوا في التعدية بطول الليل وهم محمد علي وعسكره وخواصه وعابدي بك وعمر بك وصالح قوش والدلاة وكبيرهم وعلي كاشف الذي تزوج بنت شنن وأتباعه في تجمل وكبير الدلاة وطائفته وركب الجميع وقت الشروق وبرزوا إلى الفضاء وانفرد كل كبير بعسكره خمسة طوابير وستة ونظروا على البعد منهم فرأوا خيالة من العربان وغيرهم متفرقين كل جماعة في ناحية فحمل كل طابور على جماعة منهم فانهزموا أمامهم فساقوا خلفهم فخرج عليهم كمائن من خلفهم ووقع بينهم الضراب وحمل علي كاشف وآخر يقال له أوزي في جماعتهم فرأوه مجملاً فظنوه محمد علي فاحتاطوا به وتكاثروا عليه وأخذوه أسيراً هو ومن معه وفر من نجا منهم، ووقعت فيهم الهزيمة ورجع الجميع القهقرى وعدوا إلى بر مصر من غير تأخير، وذهب من الأرنؤد طائفة إلى الأخصام وانضموا إليهم.

وفي هذه الأيام، وقع بين أهل الأزهر منافسات بسبب أمور وأغراض نفسانية يطول شرحها وتحزبوا حزبين حزب مع الشيخ عبد الله الشرقاوي وحزب مع الشيخ محمد الأمير وهم الأكثر وجعلوا الشيخ الأمير ناظراً على الجامع وكتبوا له تقريراً بذلك من القاضي، وختم عليه المشايخ والشيخ السادات والسيد عمر أفندي النقيب وكانت النظارة شاغرة من أيام الفرنسيس، وكان يتقلدها أحد الأمراء، فلما خرج الأمراء من مصر صارت تابعة للمشيخة لوقت تاريخه فانفعل لذلك الشيخ الشرقاوي، ولما فعلوا ذلك اجتهد الشيخ الأمير في النظر لخدمة الجامع بنفسه وبابنه وأحضر الخدمة وكنسوا الجامع وغسلوا صحنه ومسحوه وفرشوا المقصورة بالحصر الجدد وعلقوا قناديل البوائك، وصار كل يوم يقف على الخدمة ويأمرهم بالتنظيف وغسل الميضاة والمراحيض وأمر بغلق الأبواب من بعد صلاة العشاء ما عدا الباب الكبير ورتبوا له بواباً وطردوا من يبيت به من الأغراب الذين يلتفون بالحصر ويلوثونها ببولهم وغائطهم ونحو ذلك.

وفي غايته ليلة الأحد التي هي ليلة العيد، عدى طائفة من العسكر إلى بر الجيزة وانضموا إلى الأخصام وحصل في العسكر ارتجاج واختلافات وعملوا شنكاً في تلك الليلة في الأزبكية بعدما أثبتوا هلال شوال بعد العشاء الأخيرة، وقد كانوا أسرجوا المساجد وصلوا التراويح، ثم أطفؤا المنارات في ثالث ساعة من الليل.

شهر شوال سنة 1220

استهل بيوم الأحد المذكور وجميع الأمور مرتبكة والحال على ما هو عليه من الاضطراب، ولم يحصل في شهر رمضان للناس جمع حواس ولا حظوظ ولا أمن وانكف الناس عن المرور في الشوارع ليلاً خوفاً من أذية العسكر، وفي كل وقت يسمع الإنسان أخباراً ونكات وقبائح من أفاعيلهم من الخطف والقتل وأذية الناس.

وفي رابعه، قلدوا مناصب كشوفات الأقاليم وتهيؤا للذهاب وعملوا قوائم فرد ومظالم على البلاد خلاف ما تقدم وخلاف ما

يأخذه الكشاف لأنفسهم، وما يأخذونه قبل نزولهم وذلك أنه عندما يترشح الشخص منهم اتقليد المنصب يرسل من طرفه معينين إلى الإقليم الذي سيتولى عليه بأوراق البشارات وحق طرق باسم المعينين إما عشرين ألفاً أو أكثر أو أقل فإذا قبضوا ذلك اتبعوها بأوراق أخرى ويسمونها أوراق تقبيل اليد وفيها مثل ذلك أو أكثر أو أقل، ثم كذلك أوراق لبس القفطان ونحو ذلك، وقد يتفق بعد ذلك جميعه أنه يتولى خلافه ويستأنف العمل إلى غير ذلك، هذا وكتخدا بك مستمر في سرحاته بالأقاليم وجمع الأموال والعسف والجور مرة بالمنوفية ومرة بالغربية ومرة بالشقية، ولا يقرر إلا الأكياس من الشهريات والمغارم وحق الطرق والاستعجالات المترادفة مما لا يحيط به دفتر ولا كتاب.

وفي ثامنه توفي إبراهيم أفندي كاتب البهار وترك ولداً صغيراً فقلدوا مملوكه حسناً في منصبه وكيلاً عن ولده.

وفي هذه الأيام، كثر تحرك العسكر والمناداة عليهم بالخروج إلى نواحي طرا والجيزة، وذلك بسبب أن بعض الألأفية عدى إلى ناحية الشرق وأخذوا كلفاً من البلاد وبعضهم وصل إلى وردان بالبر الغربي.

وفي عاشره، حضر جملة من الدالاتية وغيرهم من ناحية الشام فمنهم من حضر في البحر على دمياط ومنهم من حضر في البر وعدى طاهر باشا الذي كان مسافراً على جدة.

وفيه أيضاً سافرت القافلة المتوجهة إلى السويس وصحبتها نحو المائتين من العسكر وعليهم كبير من طرف طاهر باشا بدلاً عنه، وسافر صحبتهم حسن أفندي القاضي المنفصل ليكون قاضياً بمكة حسب القانون.

وفي خامس عشره، وصلت قوافل التجار من السويس فأرسل محمد علي وفتح الحواصل، وأراد أخذ بضائع التجار وفروق البن فانزعج التجار بوكائل الجالية وغيرها، وذلك بعد أن دفعوا عشورها ونولونها وأجرها وما جعلوه عليها من المغارم السابقة وانحط الأمر على المصالحة عن كل فرق خمسون ريالاً، ولم ينتطح في ذلك شاتان.

وفي حادي عشرينه، حضر كتخدا بك إلى مصر بعد ما جمع الأموال من الأقاليم وفعل ما فعله من الفرد والمظالم الخارجة عن الحد.

وفي يوم الأربعاء خامس عشرينه، توفي عثمان أفندي العباسي.

شهر ذي القعدة سنة 1220

استهل بيوم الثلاثاء والاجتهاد حاصل بخروج العسكر للتجريدة في كل يوم ونصبوا عرضيهم ببر الجيزة وناحية طرا من ابتداء شعبان، كما تقدم وفي كل يوم يخرجون طوائف ويعودون كذلك.

وفي يوم الأربعاء تاسعه، حضر مصطفى آغا الوكيل وعلي كاشف الصابونجي وعلي جاويش الفلاح الذين كانوا توجهوا إلى قبلي لأجل الصلح وحضر صحبتهم نيف وثلاثون مركباً من السفار والمتسببين فيها غلال وأدهان وجلود وتمر وغير ذلك، ولم يعلم حقيقة ما حصل.

وفي يوم الجمعة حادي عشره، نودي على العسكر بالخروج من الغد بالتركي والعربي والتحذير من التأخير.

وفي يوم الأحد، رجع مصطفى آغا بجواب ثانياً هجانا من طريق البر.

وفي يوم الاثنين رابع عشره، أخرجوا المحمل والكسوة وعين للسفر بهما من القلزم مصطفى جاويش العنتبلي ومعه صراف الصرة دفعوا له ربعها وثمنها وهذا لم يتفق نظيره.

وفي يوم الثلاثاء خامس عشره، ورد نحو السبعين ططرياً ومعهم البشارة لمحمد علي باشا بوصول الأطواخ إلى رودس، ووصل معهم أيضاً مراسيم بمنصب الدفتردارية لأحمد أفندي الملقب بجديد وهو الذي كان وصل في العام الأول بالدفتردارية إلى سكندرية في أيام أحمد باشا خورشيد وجانم أفندي الدفتردار ومنعوه عنها وكتبوا في شأنه عرضاً للدولة بعدم قبوله وأن أهل البلد راضون على جانم أفندي، فلما حصل ما حصل لخورشيد باشا وعزل عن مصر وعزل أيضاً جانم أفندي حضر أيضاً أحمد أفندي المذكور بمراسيم أخر وفيها الوكالة لسعيد آغا مجددة له ونظر الخاصكية لحافظ سليمان، واستمر من ذلك الوقت بمصر فوصل إليه الأمر بتقليد الدفتردارية، وكان حسن أفندي الروزنامجي هو المتقلد لذلك فلما كان يوم الخميس سابع عشره اجتمع بديوان محمد علي صالح آغا قابجي باشا وسعيد آغا ونقيب الأشراف وبعض المشايخ ولبس أحمد أفندي خلعة الدفتردارية وشرطوا عليه أنه لا يحدث حوادث كغيره فإن حصل منه شيء عزلوه وعرضوا في شأنه وقبل ذلك على نفسه.

وفي يوم الجمعة ثامن عشره، ارتحلت القافلة وصحبتها الكسوة والمحمل أواخر النهار من ناحية قايت باي بالصحراء وذهبوا إلى جهة السويس ليسافروا من القلزم.

وفيه وصلت الأخبار بأن بونابارته كبير الفرنسيس ركب في جمع كبير وأغار على بلاد النمساوية وحاربهم حرباً عظيماً، وظهر عليهم وملك تختهم وقلاعهم وطلب ملكهم بعد خروجه من حصونه فأعاده لممالكته بعد ما شرط عليه شروطه، وملك غير ذلك من القرانات والحصون، ثم سار إلى بلاد الموسقو ووقع بينه وبينهم هدنة على ثلاثة أشهر.

وفي يوم الأربعاء ثالث عشرينه، خرج حسن باشا طاهر إلى ناحية مصر القديمة.

وفي يوم السبت سادس عشرينه، حضر مبشرون بحصول مقتلة عظيمة وأنهم أخذوا من الأخصام جملة عسكر أسرى ورؤوس فضربوا مدافع لذلك وأظهروا السرور.

وفي يوم الأحد، وصلت الرؤوس والأسرى وهي إحدى وعشرون رأساً وذراع مقطع وسبعة عشر أسيراً ليس فيهم من يعرف ولا من جنس الأجناد وغالبهم فلاحون فأعطى محمد علي لكل أسير نصف دينار وأطلقهم ووضعوا الرؤوس والذراع عند باب زويلة.

وفيه وصلت القافلة من السويس، ووصل أيضاً صحبتهم جنرال من الإنكليز راكب في تخت وحملته ومتاعه على نحو سبعين جملاً فذهب عند قنصلتهم، فلما كان يوم الأربعاء غايته ركب في التخت وذهب عند محمد علي بالأزبكية فتلقاه وعمل له شنكاً ومدافع وقدم له هدية وتقادم ثم رجع إلى مكانه.

شهر ذي الحجة الحرام سنة 1220

استهل بيوم الخميس، فيه حضر مصطفى آغا الوكيل وعلي كاشف الصابونجي من الجهة القبلية، وقد تقدم أنهما ذهبا وعادا، ثم رجعا ثانياً على الهجن لتقرير الصلح، ثم رجعا و لم يظهر أثر لذلك الصلح وحكى الناس عنهما أن المذكورين لما ذهبا إلى

أسيوط وجدا إبراهيم بك قد انتقل إلى ناحية طحطا واجتمعا بعثمان بك حسن والبرديسي، فلم يرضيا بالتوجيه الذي وجه به إليهم وهو من حدود جرجا وقالا لا يكفينا إلا من حدود المنية فأن الفرنساوية كانوا أعطوا حكم البلاد القبلية من حدود المنية لمراد بك بمفرده فكيف أنه يكفينا نحن الجميع من جرجا وشرطوا أيضاً أنه إن استقر الصلح على مطلوبهم لا بد من إخلاء الإقليم من هذه العساكر الذين لا يتحصل منهم إلا الضرر والخراب والدمار والفساد، ولا يبقى الباشا منهم إلا مقدار ألأفي عسكري وقالوا أنه أيضاً إذا لم يعطنا مطلوبنا فهو لا يستغني عن أناس من العسكر يقيمون بالبلاد التي يبخل علينا بها، فنحن أولى له وأحسن منهم ونقوم بما على البلاد من المال والغلال وعند ذلك يحصل الأمن وتسير المسافرون في المراكب وترد المتاجر والغلال ويحصل لنا وله راحة وأما إذا استمر الحال على هذا المنوال فإنه لم يزل متعباً من كثرة العسكر ونفقاتهم وكذلك سائر البلاد على أنه إن لم يرض بذلك، فها هي البلاد بأيدينا والأمر مستمر معنا ومعهم على التعب والنصب.

وفي رابعه، ورد الخبر بأن جماعة من كبار العسكر وفيهم سليمان آغا الأرنؤدي الذي تولى كسوفية منفلوط ومعهم عدة وافرة من العسكر عدوا من المنية إلى البر الشرقي بالمطاهرة بسبب ما عندهم من القحط وعدم الأقوات لإحاطة المصريين بهم، فلما دخلوا إلى بلدة المطاهرة وملكوها وصل إليهم بعض الأمراء والأجناد المصرية وأحاطوا بهم وحاربوهم أياماً حتى ظهروا عليهم وقتلوا منهم وهرب من هرب وهو القليل وأسروا الباقي وفيهم سليمان آغا المذكور فالتجأ إلى بعض الأجناد فحماه من القتل وقابل به كبار الأمراء فأنعموا عليه بكسوة ودراهم وسلاح، وأقام معهم أياماً ثم استأذنهم للعود وحضر إلى مصر وجلس بداره.

وفيه، ورد الخبر أيضاً بموت الأمير بشتك بك المعروف بالألفي الصغير مبطوناً.

وفيه أيضاً حضر حجاج الخضري الرميلاتي إلى مصر وقد كان خرج من مصر بعد حادثة خورشيد باشا خوفاً من العسكر وذهب إلى بلده بالمنوات، ثم ذهب عند الألأفي وأقام في معسكره إلى هذا الوقت، ثم أن الألأفي طرده لنكتة حصلت منه فرجع إلى بلده وأرسل إلى السيد عمر فكتب له أماناً من الباشا، فحضر بذلك الأمان وقابل الباشا وخلع عليه ونادوا له في خطته بأنه على ما هو عليه في حرفته وصناعته ووجاهته بين أقرانه فصار يمشي في المدينة وصحبته عسكري ملازم له.

وفي يوم الجمعة تاسعه، كان يوم الوقوف بعرفة وفي ذلك اليوم ركب محمد علي بالأبهة الكاملة وصلى الجمعة بالمشهد الحسيني ولم يركب من وقت ولايته بالهيئة إلا في هذا اليوم وفي عصر تلك ضربوا عدة مدافع من القلعة إعلاماً بالعيد، وكذلك في صبحها وفي كل وقت من الأوقات الخمسة مدة أيام التشريق.

وفي رابع عشره، حضر جاهين بك الألأفي ومعه طوائف من العربان إلى إقليم الجيزة وأخذوا الكلف وأغناماً من البلاد ودراهم، وأشيع بذلك وأمروا بخروج العساكر إليهم وركب محمد علي باشا في يوم الخميس وخرج إلى ناحية بولاق، وأنزلوا من القلعة جبخانه ومدافع وطفقوا يخطفون الحمير من الأسواق إن وجدوها وعدى طائفة من العساكر الخيالة إلى بر الجيزة وعدى طاهر باشا إلى بر أنبابة وصحبته عساكر كثيرة وأزعجوا أهل القرية وخرجوهم من دورهم وسكنوا بها وأطلقوا دوابهم وخيولهم على المزارع فأكلوها بأجمعها، ولم يبقوا منها ولا عوداً أخضر في أيام قليلة.

وفيه اختفى حجاج الخضري أيضاً بسبب ما داخله من الوهم والخوف من العسكر.

وفي عشرينه شرع عساكر حسن باشا في التعدية من ناحية معادي الخبيري إلى البر الآخر.

وفي يوم الأحد خامس عشرينه، عدى حسن باشا أيضاً.

وفي يوم الاثنين، نودي في الأسواق على العساكر الذين لم يكونونا في قوائم العسكر الذين يقال لهم السير بالسفر والخروج إلى بلادهم ومن وجد منهم بعد ثلاثة أيام قتل، وكذلك كتبوا فرمانات وأرسلوها إلى البلاد بمعنى ذلك ومن كان من أهل البلد أو المغاربة أو الأتراك بصورة العسكر ومتزيياً بزيهم فليترع ذلك وليرجع إلى زيه الأول.

وفيه أيضاً نودي على المعاملة الناقصة لا تقبض إلا بنقص ميزانها لأن المعاملة فحش نقصها جداً وخصوصاً الذهب البندقي الذي كان أحسن أصناف العملة في الوزن والعيار والجودة فأن العسكر تسلطوا عليه بالقص فيقصون من المشخص الواحد مقدار الربع أو أكثر أو أقل ويدفعونه في المشتروات ولا يقذر المتسبب على رده أو طلب إرش نقصه، وكذلك الصيرفي لا يقدر على رده أو وزنه وقتل بذلك قتلى كثيرة وأغلق الصيارف حوانيتهم وامتنعوا من الوزن خوفاً من شرهم، وكذلك نودي على التعامل في بيع البن بالريال المعاملة وهو تسعون نصفاً، وقد كان الاصطلاح في بيع البن بالفرانسة فقط وبلغ صرف الفرانسة مائة وثمانين نصفاً ضعف الأول وعز وجوده لرغبة الناس فيه لسلامته من الغش والنقص لأن جميع معاملة الكفار قوله السير هكذا في نسخ وفي بعض النسخ القبسير، و لم نقف بعد المراجعة عليها بهامش النسخة المطبوعة سالمة من الغش والنقص بخلاف معاملات المسلمين فأن الغالب على جميعها الزيف والخلط والغش والنقص، فلما انطبعوا على ذلك ونظروا إلى معاملات الكفار وسلامتها تسلطوا عليها بالقطع والتنقيص والتقصيص تتميماً للغش والخسران والانحراف عن جميع الأديان وقال صلى الله عليه وسلم الدين المعاملة ومن غشنا فليس منا فيأخذون الريالات الفرانسة إلى دار الضرب ويسبكونها ويزيدون عليها ثلاثة أرباعها نحاساً ويضربونها قروشاً يتعاملون بها، ثم ينكشف حالها في مدة يسيرة وتصير نحاساً أحمر من أقبح المعاملات شكلاً ووضعاً لا فرق بينها وبين الفلوس النحاس التي كانت تصرف بالأرطال في الدول المصرية السابقة في الكم والكيف بل تلك أجمل من هذه في الشكل، وقد شاهدنا كثيراً منها وعليها أسماء الملوك المتقدمين ووزن الواحد منها نصف أوقية، وكان الدرهم المتعامل به إذ ذاك من الفضة الخالصة على وزن الدرهم الشرعي ستة عشر قيراطاً ويصرف بثلاثة أرطال من الفلوس النحاس فيكون رف الدرهم الواحد اثنين وسبعين فلساً تستعمل في جميع المشتروات والمرتبات والمعاليم واللوازم للبيوت والجزئيات والمحقرات، فلما زالت الدولة القلوونية وظهرت دولة الجراكسة واستقر الملك المؤيد شيخ في سلطنة مصر وبدا الاختلال اختصر الدرهم المتعامل به وجعله نصف درهم وهو ثمانية قراريط وسمي نصف مؤيدي و لم تزل تتناقص حتى صارت في آخر الدولة الجركسية أقل من ربع الدرهم واختل أمر الفلوس النحاس والمرتبات والوظائف بالأوقاف المشروط فيها صرف المعاليم بالفلوس، و لم يزل الحال يختل ويضعف بسبب الجور والطمع والغش وغباوة الأمر وعمي بصائرهم عن المصالح العامة التي بها قوام النظام حتى تلاشى أمر الدراهم جداً في الوزن والعيار وصار الدرهم المعبر عنه بالنصف أقل من العشر للدرهم وفيه من الفضة الخالصة نحو الربع فيكون في النصف الذي هو الآن بدل الدرهم الأصلي من الفضة الخالصة أقل من ربع العشر فيكون في النصف الواحد من معاملتنا الآن الذي وزنه خمس قمحات فقيراط وربع ثلث قيراط من الفضة، وذلك بدل عن ستة عشر قيراطاً وهو الدرهم الأصلي الخالص فانظروا إلى هذا الخسران الخفي الذي انمحقت به البركة في كل شيء فإن الدرهم الفضة

الآن صار بمنزلة الفلس النحاس القديم فتأمل واحسب تجد الأمر كذلك فإذا فرضنا أن إنساناً اكتسب ألف درهم من دراهمنا هذه فكأنه اكتسب خمسة وعشرين لا غير وهو ربع عشرها على أنه إذا حسبنا قيمة الخمسة وعشرين في وقتنا هذا عن كل درهم ثلاثون نصفاً فإنها تبلغ سبعمائة وخمسين ويذهب الباقي وهو مائتان وخمسون هدراً، وأما الذهب فإن الدينار كان وزنه في الزمن الأول مثقالاً من الذهب الخالص، ثم صار في الدولة الفاطمية وما بعدها عشرين قيراطاً وكان يصرف بثلاثين درهماً من الفضة، فلما نقص الدرهم زاد صرف الدينار إلى أن استقر وزن الدينار في أوائل القرن الماضي ثلاثة عشر قيراطاً ونصفاً ويصرف بتسعين نصفاً وهو المعبر عنه بالأشرفي والطرلي المعروف بالفندقلي يصرف بمائة وكانا جيدين في العيار، وكذلك الأنصاف العددية كانت إذ ذاك جيدة العيار والوزن، وكان الريال يصرف بخمسين نصفاً والريال الكلب باثنين وأربعين نصفاً، ثم صار الدينار وهو المحبوب الجنزرلي بمائة وخمسين والفندقلي بمائة وعشرين والفرانسة بستين، ثم حدث المحبوب الزر في أيام السلطان أحمد بدلاً عن الجنزرلي وغلا صرف

الجنزرلي، وكان في وزن المشخص وعياره ووزن الزر ثلاثة عشر قيراطاً ونصف إلى أن زاد الاختلال في أيام علي بك والمعلم رزق واستيلائه على دار الضرب والقروش واستعمل ضرب القروش واستكثر منها وزاد في غشها لكثرة المصاريف على العساكر والتجاريد والنفقات، واستقر الأشرفي المعروف بالزر بمائة وعشرة والطرلي بمائة وستة وأربعين والمشخص بمائتين والريال الفرانسة بخمسة وثمانين مدة من أيام علي بك وفحش وجود القروش المفردة وضعفها وأجزاؤها، حتى لم يبق بأيدي الناس من التعامل إلا هي وعز باقي الأصناف المذكورة وطلبت للسبك والادخار وصياغة الحلي فترقت في الصارفة والإبدال فلما زالت دولة علي بك وتملك محمد بك أبو الذهب نادى بإبطال تلك القروش بأنواعها رأساً، فخسر الناس خسارة عظيمة من أموالهم وباعوها بالأرطال للسبك واقتصروا على شرب الأنصاف العددية والمحبوب الزر والنصفيات لا غير ونقصوا من وزنها وعيارها ونقصت قيمتها وغلت في الصارفة وزاد الحال بتوالي الحوادث والمحن والغلاء والغرامات وضيق المعاش وكساد البضائع وتساهلوا في زيادة المصارفة وخصوصاً في ثمن السلع والمبايعات وخلاص الحقوق من المماطلين، واقترن بذلك تغافل الحكام وعدم التفاتهم لمصالح الرعية وطمعهم وتركهم النظر في العواقب إلى أن تجاوزت في وقتنا هذا الحدود، وبلغت في المصارفة أكثر من الضعف وصار صرف المحبوب مائتين وخمسة بل وعشرة والريال الفرانسة بمائة وخمسة وسبعين بل وثمانين والمشخص البندقي بأربعمائة وأكثر والمجر بثلاثمائة وستين والفندقلي بثلاثمائة وعشرين وهو الجديد، ويزيد القديم لجودة عياره عن الجديد وتتفاوت المثلية في المحبوب بجودة العيار فإذا أبدل السلمي الموجود الآن بالمحمودي زيد في مصارفته أربعون نصفاً وأكثر بحسب الرغبة والاحتياج ويتفاوت أيضاً المحمودي بمثله فيزيد أبو وردة عن الراغب ويزيد الراغب عن الذي فيه حرف العين ويكون المحبوبان في تحويل المعاملة بدلاً عن المشخص الواحد مع أن وزنهما سبعة وعشرون قيراطاً ووزن المشخص ثمانية عشر قيراطاً فالتفاوت بينهما تسعة قراريط وهي ما فيه من الخلط، وغير ذلك مما يطول شرحه ويعسر تحقيقه وضبطه و لم يزل أمر المعاملة وزيادة صرفها وإتلاف نقودها واضطرابها مستمر أو كل قليل ينادون عليها مناداة بحسب أغراضهم لا نسمع، ولا تقبل ولا يلتفت إليها لأن أصل الكدر منبعث عنهم ومنحدر عن مجراة خبائثهم وفسادهم.

وفي آخره، أذن الباشا لولده الكبير بالذهاب لزيارة سيدي أحمد البدوي رضي الله عنه بطندتا وعين صحبته أتباعاً وعسكراً

وهجناً وقرر له دراهم على البلاد ألف ريال، فما دونها خلاف الكلف وكذلك سافر حريمات ورئيسهن حريم مصطفى آغا الوكيل في هيئة لم يسبق مثلها في تختروانات وعربات ومواهي وأحمال وجمال وعسكر وخدم وفراسين وفرضوا لهن أيضاً مقررات على البلاد وكلفاً، ونحو ذلك وأظن أن هذه المحدثات من أهوال القيامة.

وانقضت السنة وما حدث فيها من الحوادث الإنذارات.

ومات فيها الإمام العلامة والبحر الفهامة صدر المدرسين وعمدة المحققين مفتي الحنفية بالديار لمصرية الشيخ محمد عبد المعطي ابن الشيخ أحمد الحريري الحنفي ولد سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف ونشأ في عفة وصلاح وحفظ القرآن وجوده وحفظ المتون، وحضر أشياخ العصر وجود الخطوكان ينسخ بالأجرة وكتب كتباً كثيرة وخطه في غاية الصحة والجودة وغلبها في الأدبيات كالريحانة وخبايا الزوايا وخزانة الأدب والتي بخطه من ذلك في غاية الحسن والقبول وكان شافعي المذهب، ثم تحنف وحضر على أشياخ المذهب مثل الشيخ محمد الدلجي والشيخ محمد العدوي ولازم الشيخ حسن المقدسي ملازمة كلية وانتسب إليه وعرف به، وحضر عليه وتلقى عنه غالب الكتب المشهورة في المذهب وحضر باقي العلوم على الشيخ الملوي والحنفي والشيخ علي العدوي وغيرهم، وكان يكتب الأجوبة على الفتاوى عن لسانه، ولما توفي شيخه المذكور تقرر مكانه في وظيفة الخطابة والإمامة بجامع عثمان كتخدا بالأزبكية وسكن بالدار المشروطة له بها السكنى برحاب الجامع المذكور وكانت خطبه في غاية الخفة والاختصار ولوعظه وقع في النفوس لخلوه عن التصنع، ولما مات الشيخ أحمد الدمنهوري في سنة اثنتين وتسعين ومائة وألف وحصل ما حصل للشيخ عبد الرحمن العريشي، كما تقدم تعين المترجم لمشيخة الحنفية والفتوى عوضاً عن المذكور قبل وفاته بأيام قليلة، وكان أهلاً لذلك وكفاله وسار فيها حسناً بحشمة واشتهر ذكره وقصدته الناس للفتوى والإفادة وأقبلت عليه الدنيا وسكن داراً مشرفة على الأزبكية جارية في وقف عثمان كتخدا واشترى أيضاً داراً نفيسة بالجودرية وأسكنها لغيره بالأجرة، وانحصرت فيه وظائف مشيخة الحنفية كالتدريس في مدرسة المحمودية والصرغتشمية والمحمدية وغيرها، فكان يباشر الإقراء بنفسه في بعضها والبعض ولده العلامة الشيخ إبراهيم و لم يزل يقرئ ويملي ويفيد حتى في حال انقطاعه؛ وذلك أنه لما مات أحمد آغا غانم وحصل بين عتقائه منازعة ثم اتفقوا على تحكيم المترجم بينهم والتمسوا منه أن يذهب صحبتهم إلى فوة ليصلح بينهم، فلما ذهب إلى بولاق وأراد النزول في السفينة اعتمد على بعض الواقفين فعثرت رجله فقبض ذلك الرجل على معصمه فانكسر عظمه لنحافة جسمه فعادوا به إلى داره وأحضروا له من عالجه حتى بريء بعد شهور وفرحوا بعافيته ودعاه بعض أحبابه بناحية قناطر السباع، فركب وذهب إليه وكانت أول ركباته بعد برئه، فلما طلع إلى المجلس وأراد الصعود إلى مرتبة الجلوس زلقت رجله فانكسر عظم ساقه وتكدر الحاضرون وحملوه وذهبوا به إلى داره وأحضروا له المعالج، فلم يحسن المعالجة وتألم تألماً كثيراً واستمر ملازماً للفراش نحو سبع سنوات، ثم توفي يوم الأربعاء سابع عشر رجب من السنة عن سبع وسبعين سنة ودفن بتربة الأزبكية وتعين بعده في المشيخة والإفتاء ولده المحقق العلامة المستعد الشيخ إبراهيم أدام الله النفع بحياته وحفظ عليه أولاده.

ومات الأجل الأمثل المفوه المنشئ النبيه الفصيح المتكلم عثمان أفندي ابن سعد العباسي الأنصاري من ولد آخر الخلفاء العباسية بمصر المتوكل على الله ووالده يعرف بالأنصاري من جهة النساء من بيت السيادة والخلافة ولد بمصر وبها نشأ واشتغل بالعلم

على فضلاء الوقت ومهر في الفنون بذكائه وعاني الحساب والنجوم فأخذ منها حظاً، ونزل كاتب سر في ديوان بعض الأمراء ولامه بعض محبيه في ذلك فاعتذر أنه إنما قدم عليه صيانه لبعض بلاده وضياعه التي استولت عليها أيدي الظلمة فلا محيد له عن عشرتهم، واجتمع بشيخنا الشيخ محمود الكردي وأراد السلوك في طريق الخلوتية وترك شرب الدخان ولازمه كثيراً وتلقن الاسم الأول والأوراد وأقلع عما كان عليه حتى لاحت عليه أنوار ملازمته واعتقده جداً، وبعد وفاة الأستاذ رجع إلى حالته وشرب الدخان، ثم ولي خليفة على غلال الحرمين فباشرها بشهامة، ثم ولي روزنامة مصر بصرامة وقوة مراس وشدة ومخادعة وراج أمره واتسع حاله وزادت حشمته وذلك بعد عزل أحمد أفندي الكماخي الروزنامجي وثقل أمره على باقي الكتبة والناس فأوغروا عليه وعزلوه فضاق صدره وزاد قلقه وحدث فيه رعونة وتردد لمشاهد الأولياء في الليل والنهار يبتهل ويدعو ويفرق خبزاً ودراهم ويأوي إليه المجاذيب والذين يدعون الصلاح والولاية فيكرمهم برهة ويرون له مرائي ومنامات وإخباريات فيزداد هوسه، ثم لما يطول الحال ينقطع عنهم ويبدلهم بآخرين وهكذا وكان نام مع بعضهم في لحريم ويترجم بعضهم بمكاشفات وشطحيات ويقول فلان يطلع على خطرات القلوب وفلان يصعد إلى السماء ومن كرامات فلان كذا، ثم يرجع عن ذلك ولما مات السيد محمد عيد في كتابة الروزنامه أيضاً واستمر بها ثمانية عشر شهر وكانت إعادته في سنة ثمان بعد المائتين، ثم انحرف عليه إبراهيم بك الكبير وعزله وكان يظن أن الأمر يؤول إليه، فلم يتم له ذلك وأحضر إبراهيم بك السيد إبراهيم ابن أخي المتوفي وقلده ذلك فعندها أيس المترجم منها واختلفت الأمور بحدوث الفتن وتقلب الدول والأحوال ولازم شأنه وبيته بعد رجوعه من هجرته إلى الشام في حادثة الفرنسيس واعترته الأمراض واجتمعت لديه كتب كثيرة في سائر العلوم وبيعت بأسرها في تركته توفي يوم الأربعاء خامس عشرين شوال من السنة.

ومات العمدة الإمام الصالح الناسك العلامة والبحر الفهامة الشيخ محمد ابن سيرين بن محمد بن محمود ابن جيش الشافعي المقدسي ولد في حدود الستين وقدم به والده إلى مصر فقرأ القرآن واشتغل بالعلم وحضر دروس الشيخ عيسى البراوي فتفقه عليه، وحلت عليه أنظاره وحصل طرفاً جيداً من العلوم على الشيخ عطية الأجهوري ولازمه ملازمة كلية وبعد وفاة شيخه اشتغل بالحديث فسمع صحيح مسلم علي الشيخ أحمد الراشدي، واتصل بشيخنا الشيخ محمود الكردي فلقنه الذكر ولازمه وحصلت له منه الأنوار وانجمع عن الناس ولاحت عليه لوائح النجابة وألبسه التاج وجعله من جملة خلفاء الخلوتية وأمره بالتوجه إلى بيت المقدس فقدمه وسكن بالحرم وصار يذاكر الطلبة بالعلوم ويعقد حلقة الذكر وله فهم جيد مع حدة الذهن وأقبلت عليه الناس بالمحبة ونشر له القبول عند الأمراء والوزراء وقبلت شفاعته مع الانجماع عنهم وعدم قبول هداياهم وأخبرني بعض من صحبه أنه يفهم من كلام الشيخ ابن العربي ويقرره تقريراً جيداً ويميل إلى سماعه وحج من بيت المقدس وأصيب في العقبة بجراحة في عضده وسلب ما عليه وتحمل تلك المشقات ورجع إلى مصر فزار شيخه الشيخ محمود أو جلس مدة ثم أذن له بالرجوع إلى بلده وسمع أشياء كثيرة في مبادي عمره واقتبس من الأشياخ فوائد جمة حتى قبل اشتغاله بالعلم وفي سنة 1182 كتب إلى شيخنا السيد مرتضى يستجيزه فكتب له أسانيده العالية في كراسة وسماها قلنسوة التاج، وقد تقدم ذكرها في ترجمة السيد مرتضي، ولم يزل يملي ويفيد ويدرس ويعيد واشتهر ذكره في الآفاق وانعقد على اعتقاده وانفراده الاتفاق وسطعت أنواره وعمت أسراره وانتشرت في الكون أخباره وازدحمت على سدته زواره إلى أن أجاب الداعي ونعته النواعي، وذلك

سابع عشرين شهر شعبان من السنة و لم يخلف بعده مثله وبه ختمت دائرة المسلكين من الخلوتية ورجال السادة الصوفية وحسن به ختم هذا الجزء الثالث من كتاب عجائب الآثار في التراجم والأخبار لغاية سنة عشرين ومائتين وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وسنقيد إن شاء الله تعالى ما يتجدد بعدها من الحوادث من ابتداء سنة إحدى وعشرين التي نحن بها الآن إن امتد الأجل وأسعف الأمل ونرجو من الكريم المتعال صلاح الأحوال وانقشاع الهموم وصلاح العموم إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير والله أعلم.

سنة إحدى وعشرين ومائتين وألف

استهل شهر المحرم بيوم الخميس حساباً ويوم السبت هلال، ووافق ذلك انتقال الشمس لبرج الحمل فاتحدت السنة القمرية والشمسية وهو يوم النوروز السلطاني وأول سنة الفرس وهو التاريخ الجلالي اليزدجردي وتاريخهم في هذه السنة ألف ومائة وستة وسبعون، وكان طالع التحويل الواقع في يوم الجمعة في خامس ساعة ونصف من النهار سبع درجات ونصفاً من برج السرطان وصاحبه في حين العاشر منصرف عن تربيع المشتري ومقارنة عطارد والمشتري في السابع والمريخ مع الزهرة في العاشر وهي رجعة وكيوان في الرابع وهو دليل على ثبات دولة القائم وتعب الرعية والحكم لله العلي الكبير.

وفي ثالثه في ليلة الثلاثاء وصل إلى بولاق قابجي وعلى يده تقرير لمحمد علي باشا بولايته بمصر وصحبة التقرير خلعة وهي فروة سمور، فلما أصبح النهار عمل محمد علي باشا ديواناً بمنزله بالأزبكية وحضر السيد عمر النقيب والمشايخ والأعيان وحضر ذلك الآغا من بولاق في موكب ودخل من باب النصر وشق من وسط المدينة وأمامه الآغا والوالي والمحتسب والأغوات والجاويشية وخلفه النوبة التركية، فلما وصلوا إلى بات الخرق عطفوا على جهة الأزبكية، فلما قرئ التقليد ضربوا مدافع كثيرة من الأزبكية والقلعة وعملوا تلك الليلة شنكاً وحراقات ونفوطاً وسواريخ كثيرة وطبولاً وزموراً بالأزبكية.

وفي سابعه، وصلت الأخبار بوقوع حروب بين العساكر والعربان والأمراء المصرية بناحية جزيرة الهواء وقتل شخص من كبار العسكر يسمى كور يوسف وغيره، ووصل إلى مصر عدة جرحى وهرب من العسكر طائفة وانضموا إلى الأمراء المصريين وأرسل حسن باشا يستنجد الباشا بإرسال عساكر إليه وفي ذلك اليوم نادوا في الأسواق بعدم المشي في الأسواق من أذان العشاء، وخرج كتخدا بك إلى بولاق في آخر النهار ونصب وطاقه ببر أنبابة وخرج سليمان آغا بجملة من العسكر وذهب إلى ناحية طرا.

وفي ثامنه، عدى كتخدا بك إلى البر الغربي وانتقل طاهر باشا إلى الجيزة وأقام بها محافظاً.

وفيه أمر الباشا بجمع الأجناد المصرية والوجاقلية وأمرهم بالتعدية إلى البر الغربي، وكان تخوف من إقامتهم بالمدينة وقال لهم من أراد منكم الذهاب إلى الأخصام فليذهب وإلا يستمر معنا.

وفي هذه الأيام، كان مولد سيدي أحمد البدوي والجمع بطندتا المعروف بمولد الشرنبابابة وهرع غالب البلد بالذهاب إليه وأكثروا الجمال والحمير بأغلى الأجرة لأن ذلك صار عند أهل الإقليم موسماً وعيداً لا يتخلفون عنه إما للزيادة أو للتجارة أو للتزاهة أو للفسوق ويجتمع به العالم الأكبر وأهالي الإقليم البحري والقبلي وخرج أكثر أهالي البلد بحمولهم فكان الواقفون على الأبواب يفتشون الأحمال فوجدوا مع بعضهم أشياء من أسباب الأجناد المصرية وملابسهم، ونحو ذلك فوقع بسبب ذلك إيذاء لمن وجدوا معه شيئاً من ذلك ولباقي الناس ضرر بنبش متاعهم فكان من الناس من يأخذ معه أشخاصاً من العسكر من طرف الآغا يسلكونهم للخروج من غير تفتيش ويمنعون المتقيدين بالأبواب عن التعرض لهم ونبش متاعهم وأحمالهم.

وفي تاسعه، وصل الخبر بأن عابدين بك لما بلغه خروج الألفي من الفيوم ذهب إليها صحبة الدلاة، فلم يجد بها أحد فدخلها وأرسل المبشرين إلى مصر بأنه ملك الفيوم فضربوا مدافع لذلك وانبث المبشرون يطوفون على بيوت الأعيان يبشرونهم بذلك

ويأخذون على ذلك الدراهم والبقاشيش ثم لما بلغ عابدين بك ما حصل لأخيه حسن باشا من الهزيمة رجع إليه وأقام معه ناحية الرقق.

وفي عاشره، وصل الألفي إلى ناحية كرداسة وانتشرت عساكره وعربانه بإقليم الجيزة، فلم يخرج لهم أحد من الجيزة مع كونهم بمرأى منهم ويسمعون نقاقيرهم وطبولهم ووطء حوافر خيولهم.

وفيه، أرسل الألفي مكتوباً خطاباً إلى السيد عمر أفندي مكرم النقيب والمشايخ مضمونه نخبركم أن سبب حضورنا إلى هذه الجهة إنما هو لطلب القوت والمعاش فإن الجهة التي كنا بها لم يبق فيها شيء يكفينا ويكفي من معنا من الجيش والأجناد ونرجو من مراحم أفندينا بشفاعتكم أن ينعم علينا بما نتعيش به، كم رجونا منه في السابق، فلما كان في صبحها يوم الاثنين حادي عشره ركب السيد عمر إلى الباشا وأخبره بذلك وأطلعه على المراسلة فقال ومن أتى به قال له تابع مصطفى كاشف المورلي وقد ترك متبوعه بالبر الآخر فقال له اكتب له بالحضور حتى نتروى معه مشافهة وفي ذلك الوقت حضر إلى الباشا من أخبره بأن طائفة من المصريين وجيوشهم وصلوا إلى بر أنبابة فخرج إليهم طائفة من العسكر المرابطين هناك وتحاربوا معهم بسوق الغنم ووقع بينهم بعض قتلى وجرحى فركب من فوره وذهب إلى بولاق فترل بالساحل وجلس هناك ساعة، ثم ركب عائداً إلى داره بعد أن منع من تعدية المراكب إلى بر أنبابة ثم أمرهم بالتعدية لربما احتاجوها وكان كذلك فإنهم رجعوا مهزومين، فلو لم يجدوا المعادي لحصل لهم هول كبير.

وفي يوم الثلاثاء، حضر مصطفى كاشف المورلي المرسل من طرف الألفي وصحبته علي جربجي بن موسى الجيزاوي إلى بيت السيد عمر فركب صحبته إلى الباشا وكتبوا له جواباً ورجع من ليلته، ثم حضر في يوم الخميس رابع عشره بجواب آخر ومضمونه أننا أرسلنا لكم نرجو منكم أن تسعوا بيننا بما فيه الراحة لنا ولكم وللفقراء والمساكين وأهالي القرى فأجبتمونا بأننا نتعدى على القرى ونطلب منهم المغارم ونرعى زرعهم وننهب مواشيهم والحال أنه والله العظيم ونبيه الكريم أن هذا الأمر لم يكن على قصدنا ومرادنا مطلقاً وإنما الموجب لحضورنا إلى هذا الطرف ضيق الحال والمقتضي للجمعية التي نصحبها من العربان وغيرهم إرسال التجاريد والعساكر علينا فلازم لنا أن نجمع إلينا من يساعدنا في المدافعة عن أنفسنا فهم يجمعون أصناف العساكر من الأقطار الرومية والمصرية لمحاربتنا وقتالنا وهم كذلك ينهبون البلاد والعباد للإنفاق عليهم، ونحن كذلك نجمع إلينا من يساعدنا في المنع ونفعل كفعلهم لننفق على من حولنا من المساعدين لنا وكل ذلك يؤدي إلى الخراب والدمار وظلم الفقراء والقصد منكم بل والواجب عليكم السعي في راحة الفريقين وهو أن يكفوا الحرب ويفرزوا لنا جهة نرتاح فيها فإن أرض الله واسعة تسعنا وتسعهم ويعطونا عهداً بكفالة بعض من نعتمد عليه من عندنا وعندهم، ويكتب بذلك محضر لصاحب الدولة وننتظر رجوع الجواب وعند وصوله يكون العمل بمقتضاه فعند ذلك اقتضى الرأي أن يقطعوه إقليم الجيزة وكتبوا له جواباً بذلك م غير عقد ولا عهد ولا كفالة، كما أشار وسلموا الجواب لمصطفى كاشف ورجع به وفي أثناء ذلك طلب أجناد الألأفي كلفاً من بلد برطيس وأم دينار ومنية عقبة فامتنعوا عليهم فضربوهم وحاربوهم ونهبوهم وسبب ذلك أن العساكر الأتراك أغروهم وأرسلوا يقولون لهم إذا طلبوا منكم كلفة أو دراهم لا تدفعوا لهم واطردوهم وحاربوهم ونهبوهم وإذا سمعنا حربكم معهم أتيناكم وساعدناكم فاغتروا بذلك وصدقوهم، فلما حصل لهم ما حصل لم يسعفوهم و لم يخرجوا من أوكارهم

حتى جرى عليهم المقدور.

وفي يوم السبت ثالث عشرينه، كتب الباشا مراسيم أرسلها إلى كشاف الأقاليم والكائنين بالبلاد من الأجناد المصرية بأن يجتمعوا بأسرهم ويذهبوا إلى ساحل السبكية للمحافظة عليها من وصول الأخصام إليها ولمنعهم من تعدية البحر إليها لأنهم إذا حصلوا بها تعدى شرهم إلى بلاد المنوفية بأسرها وأشيع عزم الباشا على الركوب بنفسه وذهابه إلى تلك الجهة ويكون سيره على طريق القليوبية ويلحق بهم وكتخدا بك وطاهر باشا يسيران على الساحل الغربي تجاههم، ثم بطل ذلك وأرسل إلى حسن باشا سرششمه بأن يحضر بمن معه من العسكر من عند حسن باشا طاهر من ناحية بني سويف، وكذلك عساكر كور يوسف الذي قتل في المعركة كما ذكر.

وفي ذلك اليوم، وصل رسول أيضاً من عند الألأفي بمكاتبات واجتمع بالسيد عمر النقيب والمكاتبات خطاب له ولبقية المشايخ وللباشا ولسعيد آغا دار السعادة وصالح بك القابجي بمعنى ما تقدم صحبة أحمد أبي ذهب العطار فكتبوا له جواباً بالمعنى الأول وأعادوا الرسول وأصحبوه ببعض المتعممين وهو السيد أحمد الشتيوي ناظر جامع الباسطية وكل لك أمور صورية وملاعبات من الطرفين لا حقيقة لها.

وفي يوم الثلاثاء، وصل الجماعة المذكورون الذين استدعاهم الباشا بعساكرهم وخلع الباشا على أحد كبارهم عوضاً عن كور يوسف المقتول. وفيه وصل الخبر بأن طائفة من الأجناد المصرية ومن يصحبهم من العربان عدوا إلى بر السبكية، و لم يمنعهم المحافظون بل هربوا من وجوههم فأمر الباشا بسفر العساكر وطلب دراهم سلفة من الأعيان لأجل نفقة العساكر وفرضوا على البلاد ثلاثة آلاف كيس ويكون على العال منها مائة ألف فضة وفيها الأوسط والدون.

وفي يوم الخميس، نودي في الأسواق بخروج العساكر.

وفي يوم السبت، سافر طاهر باشا إلى منوف على جرائد الخيل وسافر بعده كتخدا بالحملة واحتاجوا إلى جمال فأخذوا جمال السقائين والشواغرية.

وفيه حضر عمر بك الأرنؤدي من ناحية بني سويف وأخبر الواردون من الناحية أن رجب آغا وطائفة من العسكر خامروا عليه وانضموا الأمراء القبليين وهم نحو الستمائة، فعند ذلك حضر عمر بك المذكور في تطريدة ليبرئ نفسه من ذلك، وحضر أيضاً محو كبير العسكر المحاصرين بالمنية يطلب علوفة للعسكر.

وفيه أراد كتخدا بك وهو المعروف بدبوس أوغلي أن يركب من أنبابة وحمل أحماله ليسير إلى جهة بحري فثارت عليه العسكر وطالبوه بعلائفهم وسفهوا عليه ومنعوه من الركوب فأراد التعدية إلى بر بولاق فمنعوه أيضاً وجذبوا لحيته فأقام يومه وليلته، ثم قال لهم وما الفائدة في مكثي معكم دعوني أذهب إلى الباشا وأشعى في مطلوبكم و لم يزل حتى تخلص منهم وعدى إلى مصر و لم يرجع إليهم.

وفي يوم السبت الذي هو غايته، وصلت عساكر الدلاة الذين كانوا بناحية بني سويف والفيوم إلى بر أنبابة وضربوا لهم مدافع لوصولهم.

وفيه أرسل كبار العسكر الذين بناحية منوف مكاتبة إلى الباشا يذكرون أن العساكر يطلبون مرتبات وأرز وسمن فأنهم لا

يحاربون ولا يقاتلون بالجوع.

وفي هذه الأيام، وصل الكثير من العساكر القبلية ودخلوا البلد وكثروا بها.

وفي هذه الأيام أيضاً وصلت الأخبار من الديار الحجازية بمسالمة الشريف غالب للوهابيين وذلك لشدة ما حصل لهم من المضايقة الشديدة وقطع الجالب عنهم من كل ناحية حتى وصل ثمن الأردب المصري من الأرز خمسمائة ريال والأردب البر ثلاثمائة وعشرة وقس على ذلك السمن والعسل وغير ذلك، فلم يسع الشريف إلا مسالمتهم والدخول في طاعتهم وسلوك طريقتهم وأخذ العهد على دعاتهم وكبيرهم بداخل الكعبة وأمر بمنع المنكرات والتجاهر بها وشرب الأراجيل بالتنباك في المسعى وبين الصفا والمروة بالملازمة على الصلوات في الجماعة ودفع الزكاة وترك لبس الحرير وإبطال المكوس والمظالم، وكانوا خرجوا عن الحدود في ذلك حتى أن الميت يأخذون عليه خمسة فرانسة وعشره بحسب حاله وإن لم يدفع أهله القدر الذي يتقرر عليه فلا يقدرون على رفعه ودفنه ولا يتقرب إليه الغاسل ليغسله حتى يأتيه الإذن وغير ذلك من البدع والمكوس والمظالم التي أحدثوها على المبيعات والمشتروات على البائع والمشتري ومصادرات الناس في أموالهم ودورهم فيكون الشخص من سائر الناس جالساً بداره فما يشعر على حين غفلة منه إلا والأعوان يأمرونه بإخلاء الدار وخروجه منها ويقولون أن سيد الجميع محتاج إليها فإما أن يخرج منها جملة وتصير من أملاك الشريف، وإما أن يصالح عليها بمقدار ثمنها أو أقل أو أكثر فعاهده على ترك ذلك كله واتباع ما أمر الله تعالى به في كتابه العزيز من إخلاص التوحيد لله وحده واتباع سنة الرسول عليه الصلاة والسلام، وما كان عليه الخلفاء الراشدون والصحابة والتابعون والأئمة المجتهدون إلى آخر القرن الثالث وترك ما حدث في الناس من الالتجاء لغير الله من المخلوقين الأحياء والأموات في الشدائد والمهمات، وما أحدثوه من بناء القباب على القبور والتصاوير والزخارف وتقبيل الأعتاب والخضوع والتذلل والمناداة والطواف والنذور والذبح والقربان وعمل الأعياد والمواسم لها واجتماع أصناف الخلائق واختلاط النساء بالرجال وباقي الأشياء التي فيها شركة المخلوقين مع الخالق في توحيد الألوهية التي بعثت الرسل إلى مقاتلة من خالفها ليكون الدين لله فعاهده على منع ذلك كله وعلى هدم القباب المبنية على القبور والأضرحة لأنها من الأمور المحدثة التي لم تكن في عهده بعد المناظرة مع علماء تلك الناحية وإقامة الحجة عليهم بالأدلة القطعية التي لا تقبل التلويل من الكتاب والسنة وإذعانهم لذلك، فعند ذلك أمنت السبل وسلكت الطرق بين مكة والمدينة وبين مكة وجدة والطائف وانحلت الأسعار وكثر وجوده المطعومات وما يجلبه عربان الشرق إلى الحرمين من الغلال والأغنام والأسمان والأعسال حتى بيع الأردب من الحنطة بأربع ريالات، واستمر الشريف غالب يأخذ العشور من التجار وإذا نوقش في ذلك يقول هؤلاء مشركون وأنا آخذ من المشركين لا من الموحدين.

شهر صفر الخير 1221

استهل بيوم الأحد فيه سافر محو بك إلى جهة المنية وفيه ورد من إسلامبول شخص قابجي وعلى يديه مرسومات بالجمارك وغيرها ومنها ضبط ترك الموتى المقتولين والمقبورين، وكذلك تركة السيد أحمد المحروقي وآخر يسمى الشريف محمد البرلي والقصد تحصيل الدراهم بأي حجة كانت ووصل آخر متعين لجمرك الإسكندرية وآخر لدمياط ولرشيد أيضاً.

وفيه عزم الباشا على السفر لمحاربة الألفي، وأشيع عنه ذلك وأنزلوا مدافع من القلعة وجبخانة وآلات حربية.

وفي رابعه قوي عزمه على ذلك، وأشيع أنه مسافر يوم السبت وأشار على السيد عمر أفندي النقيب بأن ينوب عنه ويكون قائماً مقامه في الأحكام مدة غيابه، فلم يقبل السيد عمر بذلك وامتنع ثم فترت همته عن ذلك وتبين أنها إيهامات لا أصل لها.

وفي يوم الخميس، أرسل الباشا إلى الخانات والوكائل أعواناً فختموا على حواصل التجار بما في داخلها من البن والبهار، وذلك بعد أن أمنهم وقبض منهم عشورها ومكوسها بالسويس، فلما وصلت القافلة واستقرت البضائع بالحواصل فعل بهم ذلك، ثم صالحوا وأفرج عنهم.

وفيه ورد الخبر بأن الألفي ارتحل من ناحية الجسر الأسود والطرانة وقصد جهة البحيرة.

وفي يوم السبت، ركب صالح آغا قابجي باشا ونزل إلى بولاق ليسافر إلى الديار الرومية فركب لوداعه الباشا وسعيد آغا والسيد همر النقيب فشيعوه إلى بولاق. حتى نزل إلى المراكب وخلع عليه الباشا فروة سمور مثمنة بعد أن وفاه خدمته وهاداه بهدايا وأصحب معه هدايا للدولة وأربابها وعرفه بقضايا وأغراض يتممها له هناك وودعوه ورجعوا إلى بيوتهم بعد الغروب.

وفي يوم الثلاثاء عاشره، سافر صالح آغا السلحدار إلى جهة بحري على طريق المنوفية وصحبته عساكر وقرروا له مقادير من الأكياس على كل بلد من البلاد الرائجة عشرون كيساً فما فوقها، وما دونها ومن كل صنف مقادير أيضاً.

وفيه فرضوا على البلاد غلال قمح وفول وشعير كل بلد عشرون أردباً، فما فوقها وما دونها وهذه ثالث فرضة ابتدعت من الغلال على البلاد في هذه الدولة.

وفيه ورد الخبر بأن الألفي توجه إلى ناحية دمنهور البحيرة يوم الأربعاء رابعه وأنهم امتنعوا عليه فحاصرهم لأنهم استعدوا لذلك والبلد منضافة إلى السيد عمر النقيب فكان يرسل إليهم ويحذرهم منه ويرسل إليهم ويمدهم بآلات الحرب والبارود ويحرضهم على الاستعداد للحرب فحصنوا البلدة وبنوا أسوارها وجعلوا فيها أبراجاً وبدنات وركبوا عليها المدافع الكثيرة وأحضروا لهم ما يحتاجون إليه من الذخيرة والجبخانة وما يكفيهم سنة وحفروا حولها خنادق وهي في موقعها مرتفعة.

وفيه عزل الباشا محمد آغا كتخدا بك من كتخدائية بسبب أمور نقمها عليه وحبسه وطلب منه ألف كيس وقلد في الكتخدائية خازنداره وهو المعروف بدبوس أوغلي.

وفي ليلة الأحد ثامنه، عدى ساري عسكر إلى بر أنبابة بوطاقه وهو دبوس أوغلي الكتخدا المذكور، وذلك في أواخر النهار وضربوا مدافع كثيرة لتعديته وأخذ العسكر في تشهيل أمورهم ولوازمهم وأنفق عليهم الباشا نفقة هذا والطلب والتوزيع بالأكياس مستمر لا ينقطع عن أعيان الناس والتجار والأفندية الكتبة وجماعة الضربخانة والملتزمين بالجمارك وكل من كان له أدنى علاقة أو خدمة أو تجارة أو صنعة ظاهرة أو فائظ أو له شهرة قديمة أو من مساتير الناس وغالب الأحيان المحصل لذلك والقاضي فيه السيد عمر أفندي النقيب وقد حكمت عليه الصورة التي ظهر فيها وانعكس الحال والوضع وساءت الظنون والأمر لله وحده.

وفي يوم الخميس تاسع عشره، ارتحل عرضي التجريدة من أنبابة وذهبوا إلى جهة الوراريق.

وفي هذه الأيام، كان بين مشايخ العلم منافسات ومنافرات ومحاسدات وذلك من أوائل شهر رمضان وتعصبات بسبب مشيخة الجامع ونظر أوقافه وأوقاف عبد الرحمن كتخدا فاتفق أن الشيخ عبد الرحمن السجيني ابن الشيخ عبد الرؤوف عمل وليمة

ودعاهم إليها فاجتمعوا في ذلك اليوم وتصالحوا في الظاهر.
وفي يوم الاثنين، هبت رياح وأثارت غباراً وزوابع ولواقح ثم غيمت السماء غيماً منقطعاً وأرعدت وأمطرت، فكان الغبار والزوابع والشمس طالعة والمطر نزل، وذلك بعد العصر وحصل مثل ذلك أيضاً في يوم الثلاثاء ولكن بعد الظهر.
وفي تلك الليلة بعد الغروب، خرج الباشا محمد أفندي المنفصل عن الكتخدائية منفياً إلى جهة دمياط وأصحب معه عدة من العسكر ذهبوا به من طريق البر.

وفي أواخره، رجعت عساكر من الأرنؤد وكانوا كثيرين ونزلوا ببولاق ومصر القديمة وغالبهم الذين كانوا بصحبته حسن باشا طاهر وأخيه عابدين بك وسبب رجوعهم أنهم طلبوا علائفهم من حسن باشا، وكان قد ظهر له فيهم المخاطرة عليه وميلهم إلى الأخصام فامتنع من دفع علائفهم وقال لهم اذهبوا إلى مصر واطلبوا علائفكم من الباشا وأرسل إليه يعرفه بحالهم ونفاقهم، فما تراسلوا في الحضور منعهم الباشا من الدخول إلى البلد ووعدهم بإيصال علائفهم إليهم وهم خارج المدينة وبعد أن يقبضوا مالهم يعودون إلى مرابطهم، كما كانوا فأقاموا بناحية بولاق وأرسل الباشا فجمع عربان الحويطات والعائد وغيرهم فأقاموا بناحية شبرا ومنية السيرج وهم جملة كبيرة استمروا في تجمعهم أربعة أيام وأرسل إلى الأجناد والجربجية وأمثالهم المقيمين بمصر وأمرؤ بأن يتهيؤا ويقضوا أشغالهم ويخرجوا صحبة حسن آغا الشماشيرجي، فمن كان منهم ذا مقدرة وعنده حصان يركبه أو جمل يحمل عليه متاعه خرج بنفسه وإلا خرج بدلاً عنه وأعطاه مصروفه واحتياجاته ولوازمه وبرزوا إلى خارج، ثم أرسل إلى العساكر المذكورين يأمر كبارهم بالسفر إلى بلادهم فامتنعوا وقالوا لا نسافر حتى نقبض المنكسر لنا من علائفهم، فعند ذلك دس إلى أصاغرهم من خدعهم واستمالهم حتى تفرقوا في خدمة المستوطنين، ولم يبق مع كبارهم المعاندين إلا القليل فلم يسعهم بعد ذلك إلا الامتثال وارتحلوا في غايته من بولاق وسافر معهم الشماشيرجي المذكور ومن بصحبته من المصريين وحولهم العربان وساروا على طريق دمياط وهم اثنان وخمسون شخصاً من كبار طائفة الأرنؤود حصل من العرب في مدة تجمعهم ما لا خير فيه وكذلك في مدة إقامتهم من الخطف والتعرية وقطع الطريق على المسافرين.

شهر ربيع الأول سنة 1221

استهل بيوم الثلاثاء وفي ليلة الأحد سادسه حصل رعد كثير وبرق بين المغرب والعشاء بدون مطر والغيم قليل متقطع وذلك سابع عشر بشنس وثاني عشر أيار والشمس في ثالث درجة من برج الجوزاء وذلك من النوادر في مثل هذا الوقت.
وفي يوم الأحد المذكور، ضربوا مدافع من القلعة لبشارة وردت من الجهة القبلية وذلك أن رجب آغا وياسين بك اللذين انضما إلى الأمراء المصرية القبليين عملا متاريس بحري المنية ليمنعا من يصل إليها من مراكب الذخيرة فلما سافر محو بك بمراكب الذخيرة، ووصل إلى حسن باشا طاهر ببني سويف أصحب معه عابدين بك وعدة من العسكر في عدة مراكب، فلما وصلوا إلى محل المتاريس ترامو بالمدافع والرصاص واقتحموا المرور وساعدهم الريح فخلصوا إلى المنية وطلعوا إليها ودخلها عابدين بك وقتل فيما بينهم أشخاص وأرسلوا بذلك المبشرين فأخبروا بذلك وبالغوا في الأخبار وأن ياسين بك قتل هو وخلافه ورأسه واصلة مع رؤس كثيرة فعملوا لذلك شنكاً وضربت مدافع كثيرة ولم يكن لقتل يلسين بك صحة، ثم وصل محو

بك وابن وافي، وقد نزلا في شكترية لها عدة مقاذيف ودفعوا في قوة التيار حتى وصلوا إلى مصر و لم يصل معهم رؤس كما أخبر المبشرون.

وفيه قرر فرضة على البلاد وهي دراهم وغلال وعينوا لذلك كاشفاً فسافروا معه عدة من العسكر وصحبتهم نقاقير وسافر أيضاً خازندار الباشا بلبيس وأخذ صحبته أكثر رفقائه وأصحابه من أولاد البلد فسافروا على حين غفلة إلى ناحية الدقهلية.

وفي عاشره، وصلت الأخبار بأن الألفي ارتحل من البحيرة ورجع إلى ناحية وردان وعدى إلى جزيرة السبكية وهرب من كان مرابطاً من الأجناد المصرية وغيرهم وطلبوا من أهالي السبكية دراهم وغلالاً وفر غالب أهلها منها وجلوا عنها وتفرقوا في بلاد المنوفية.

وفي ثاني عشره، يوم الجمعة عمل المولد النبوي ونصبوا بالأزبكية صواري تجاه بيت الباشا والشيخ محمد سعيد البكري، وقد سكن بدار مطلة على البركة داخل درب عبد الحق وأقام هناك ليالي المولد إظهاراً لبعض الرسوم.

وفيه علقوا تسعة رؤس على السبيل المواجه لباب زويلة ذكروا أنها من قتلى دمنهور وهي رؤس مجهولة ووضعوا بجانبهم بيرقين ملطخين بالدماء وفيه طلب الباشا دراهم سلفة من الملتزمين والتجار وغيرهم بموجب دفتر أحمد باشا خورشيد الذي كان قبضها في عام أول قبل القومة فعينوا مقاديرها وعينوا بطلبها المعينين بالطلب الحثيث من غير مهلة، ومن لم يجده بأن كان غائباً أو متغيباً دخلوا داره وطالبوا أهله أو جاره أو شريكه فضاق ذرع الناس وذهبوا أفواجاً إلى السيد عمر أفندي النقيب فيتضجر ويتأسف ويتقلق ويهون عليهم الأمر وربما سعى في التخفيف عن البعض بقدر الإمكان وقد تورط في الدعوة.

وفيه سافر السيد محمد المحروقي إلى سد ترعة الفرعونية، وذلك أن الترعة المذكورة لما اجتهد في سدها المصريون في سنة اثنتي عشرة ومائتين وألف، كما تقدم فانفتحت من محل آخر ينفذ إلى ناحية الترعة المسماة بالفيض، وكان ذلك بإشارة أيوب بك الصغير لعدم انقطاع الماء عن ري بلاده فتهورت أيضاً هذه الناحية واتسعت وقوي اندفاع الماء إليها في مدة هذه السنين حتى جف البحر الغربي والشرقي وتغير ماء النيل في الناحية الشرقية وظهرت فيه الملوحة من حدود المنصورة وتعطلت مزارع الأرز وشرقت بلاد البحر الشرقي وشربوا الأجاج ومياه الآبار والسواقي وكثر تشكى أهالي البلاد فحصل العزم على سدها في هذا العام وتقيد بذلك السيد محمد المحروقي وذو الفقار إلى جهة السد وجمع العمال والفلاحين وسيقت إليه المراكب المملوءة بالأحجار من أول شهر صفر إلى وقت تاريخه وجبوا الأموال من البلاد لأجل النفقة على ذلك، ثم سافر السيد المحروقي أيضاً وبذل جهده ورموا بها من الأحجار ما يضيق به الفضاء من الكثرة وتعطل بسبب ذلك المسافرون لقلة المراكب وجفاف البحر الغربي والخوف من السلوك فيه من قطاع الطرق والعربان فكانت المراكب المعاشات التي تأتي بالسفار وبضائع التجار يأتون بشحناتهم إلى حد السد ومحل العمل والشغل فيرسون هناك، ثم ينقلون ما بها من الشحنة والبضائع إلى البر وينقلونها إلى السفن والقوارب التي تنقل الأحجار ويأتون بها إلى ساحل بولاق فيخرجون ما فيها إلى البر وتذهب تلك السفن والقوارب إلى أشغالها في نقل الحجر ولا يخفى ما يحصل في البضائع من الإتلاف والضياع والسرقة وزيادة الكلف والأجر وغير ذلك وطال أمد هذا الأمر.

وفي أواخره، نزل الباشا للكشف على الترعة فغاب يومين وليلتين، ثم عاد إلى مصر.

شهر ربيع الثاني سنة 1221

فيه ورد سعاة من الإسكندرية وأخبروا بورود أربع مراكب وفيها عساكر من النظام الجديد وصحبتهم ططريات وبعض أشخاص من الإنكليز ومعهم مكاتبة خطاباً إلى الألفي وبشارة بالرضا والعفو للأمراء المصرية من الدولة بشفاعة الإنكليز، فلما وصولا إليه بناحية حوش ابن عيسى بالبحيرة سر بقدومهم وعمل لهم شنكاً وضرب لهم مدافع كثيرة، ثم شهلهم وأرسلهم إلى الأمراء القبليين وصحبتهم أحد صناجقه وهو أمين بك ومحمد كاشف تابع إبراهيم بك الكبير، ثم أنه أرسل عدة مكاتبات بذلك الخبر إلى المشايخ وغيرهم بمصر، وكذلك إلى مشايخ العربان مثل الحويطات والعائد وشيخ الجزيرة وباقي المشاهير فأحضر ابن شديد وابن شعير الأوراق التي أتتهم من الألفي إلى الباشا وفيها نعلمكم أن محمد علي باشا ربما ارتحل إلى ناحية السويس فلا تحملوا أثقاله، وإن فعلتم ذلك فلا نقبل لكم عذراً ولما سمع الباشا ذلك قال أنه مجنون وكذاب.

وفيه فتح الباشا الطلب بفائظ البلاد والحصص من الملتزمين والفلاحين وأمر الروزنامجي وطائفته بتحرير ذلك عن السنة القلبلة فضج الملتزمون وترددوا إلى السيد عمر النقيب والمشايخ فخاطبوا الباشا فاعتذر إليهم باحتياج الحال والمصاريف ثم استقر الحال على قبض ثلاثة أرباعه النصف على الملتزمين ولربع على الفلاحين وأن يحسب الريال في القبض منهم بثلاثة وثمانين نصفاً ويقبضه باثنين وتسعين وعلى كل مائة ريال خمسة أنصاف حق طريق سواء كان القبض من الملتزم بحصته في المصر أو بيد المعينين من طرف الكاشف في الناحية وإذا كان التوجيه بالطلب من كاشف الناحية كانت أشنع في التغريم والكلف لترادف الإرسال وتكرار حق الطريق.

وفي سادسه، حضر أحمد كاشف سليم من الجهة القبلية وسبب حضوره أن الباشا لما بلغته هذه الأخبار أرسل الأمراء القبليين يستدعي منهم بعض عقلائهم مثل أحمد آغا شويكار وسليم آغا مستحفظان ليتشاور معهم في الأمر، فلم يجب واحد منهم إلى الحضور، ثم اتفقوا على إرسال أحمد كاشف لكونه ليس معدوداً من أفرادهم وبينه وبين الباشا نسب لأن ربيبته تحت حسن الشماشيرجي فحضر واختلى به الباشا مراراً ثم أمره بالعود، فسافر في يوم الثلاثاء رابع عشره وأصحب معه هدية إلى إبراهيم بك والبرديسي وعثمان بك حسن وغيرهم من الأمراء وهي عدد خيول وقلاعيات وثياب وأمتعة وغير ذلك.

وفي سادسه أيضاً قبض الباشا على إبراهيم آغا الوالي وحبسه مع أرباب الجرائم وسبب ذلك أن البصاصين شاهدوا حمولاً فيها ثياب من ملابس الأجناد أعدها بعض تجار النصارى ليرسلها إلى جهة قبلي لتباع على أجند الأمراء المصريين ومماليكهم ويربح فيها وسئل الحاملون لها فأخبروا أن أربابها فعلوا ذلك بإطلاع الوالي المذكور على مصلحة أخذها منهم، ووصل خبر ذلك إلى الباشا فأحضره وقبض عليه وحبسه، ثم أطلقه بعد أيام على مصلحة تقررت عليه بشفاعة امرأة من القهارمة المتقربين وعاد إلى منصبه وأخذت البضاعة وضاعت على أصحابها وغرموهم زيادة على ذلك غرامة، وكذلك اتهم الذي حجزها بأنه اختلس منها أشياء وحبس وأخذت منه مصلحه فتحصل من هذه القضية جملة من المال مع أنها في خلال المراسلة والمهاداة ونودي بعد ذلك بأن من أراد أن يرسل شيئاً أو متجراً ولو إلى السويس فليستأذن على ذلك ويأخذ به ورقة من باب الباشا فإن لم يفعل وضاع عليه فاللوم عليه.

وفي يوم الثلاثاء رابع عشره ورد ساعي وصحبته مكتوب من حاكم الإسكندرية خطاباً إلى الدفتردار يخبره بوصول قبطان باشا

إلى الثغر وفي أثره وصل باشا متولي على مصر واسمه موسى باشا وصحبتهم مراكب بها عساكر من الصنف الذي يسمى النظام الجديد وكان ورود القبطان إلى الثغر ليلة الجمعة عاشره وطلعوا إلى البر بالإسكندرية يوم السبت حادي عشره فلما قرأ الدفتردار الورقة أرسل إلى السيد عمر النقيب فحضر إليه وركب صحبته للباشا واختليا معه ساعة، ثم فارقاه ولما بلغ الألفي ورود هذه الدونانمه وحضرت إليه المبشرون وهو بالبحيرة امتلأ فرحاً وأرسل عدة مكاتبات إلى مصر صحبة السعاة فقبضوا على السعاة وحضروا بهم إلى الباشا فأخفاها ووصل غيرها إلى أربابها على غير يد السعاة وصورتها الأخبار بحضور لدونانمه صحبة قبطان باشا والنظام الجديد وولاية موسى باشا على مصر وانفصال محمد علي باشا عن الولاية وأن مولانا السلطان عفا عن الأمراء المصريين وأن يكونوا كعادتهم في إمارة مصر وأحكامها والباشا المتولي يستقر بالقلعة كعادته وأن محمد علي باشا يخرج من مصر ويتوجه إلى ولايته التي تقلدها وهي ولاية سلانيك وأن حضرة قبطان باشا أرسل يستدعي إخواننا الأمراء من ناحية قبلي فالله يسهل بحضورهم فتكونون مطمئنين الخاطر وأعلموا إخوانكم من الأولداشات والرعية بأن يضبطوا أنفسهم ويكونوا مع العلماء في الطاعة، وما بعد ذلك إلا الراحة والخير والسلام.

وفي يوم الجمعة سابع عشره ورد قاصد من طرف قبودان باشا إلى بولاق فأرسل إليه الباشا من قابله وأركبه وحضر به إلى بيت الباشا وأراد أن يترله بمترل الدفتردار فاستعفى الدفتردار من نزوله عنده فأنزلوه ببيت الروزنامجي وأقام يوم السبت والأحد، ولم يظهر ما دار بينهما، ثم سافر في يوم الاثنين وذهب صحبته سليم المعروف بقبي لركخسي وشرع الباشا في عمل آلات حرب وجلل ومدافع وجمعوا الحدادين بالقلعة وأصعدوا بنبات كثيرة واحتياجات ومهمات إلى القلعة وظهر منه علامات العصيان وعدم الامتثال وجمع إليه كبار العسكر وشاورهم وتناجى معهم فوافقوه على ذلك لأن ما من أحد منهم إلا وصار له عدة بيوت وزوجات والتزام بلاد وسيادة لم يتخيلها، ولم تخطر بذهنه ولا بفكره ولا يسهل به الانسلاخ عنها والخروج منها ولو خرجت روحه وأخبر المخبر أن الألأفي أرسل هدية إلى قبودان باشا وفيها ثلاثون حصاناً منها عشرة برخوتها ومن الغنم أربعة آلاف رأس وجملة أبقار وجواميس ومائة جمل محملة بالذخيرة وغير ذلك من النقوج والثياب والأقمشة برسمه ورسم كبار أتباعه، ثم أن الباشا أحضر السيد عمر والخاصة وعرفهم بصورة الأمر الوارد بعزله وولاية موسى باشا وأن الأمراء المصريين عرضوا للسلطنة في طلب العفو وعودهم إلى أمريائهم وخروج العساكر التي أفسدت الإقليم عن أرض مصر وشرطوا على أنفسهم القيام بخدمة الدولة والحرمين الشريفين وإرسال غلالها ودفع الخزينة وتأمين البلاد فحصل عنهم الرضا وأجيبوا إلى سؤالهم على هذه الشروط وأن المشايخ والعلماء يتكلفون بهم ويضمنون عهدهم بذلك فأعملوا فكركم ورأيكم في ذلك، ثم انفصلوا من مجلسه.

وفيه أرسل الباشا فجمع الأخشاب التي وجدها ببولاق في الشوادر والحواصل والوكائل وطلعوا جميع ذلك إلى القلعة لعمل العربات والعجل برسم المدافع والقنابر.

وفي يوم الثلاثاء حادي عشرينه، كان مولد المشهد الحسيني المعتاد وحضر الباشا لزيارة المشهد ودعاه الشيخ السادات وهو الناظر على المشهد والمتقيد لعمل ذلك، فدخل إليه وتغدى عنده، ثم ركب وعاد إلى داره وأكثر من الركوب والطواف بشوارع المدينة إلى القلعة والترول منها والذهاب إلى بولاق وهو لابس برنساً.

وفي يوم الخميس ثالث عشرينه، حضر ديوان أفندي وعبد الله آغا بكتاش الترجمان عند السيد عمر ومعهما صورة عرض يكتب عن لسان المشايخ إلى الدولة في شأن هذه الحادثة فتناجوا مع بعضهم حصة من النهار، ثم ركبا وحضرا في ثاني يوم عند الشيخ عبد الله الشرقاوي وأمروا المشايخ بتنظيم العرضحال وترصيعه ووضع أسمائهم وختومهم عليه ليرسله الباشا إلى الدولة فلم تسعهم المخالفة ونظموا صورته ثم بيضوه في كاغد كبير.

وفي ليلة الاثنين ثالث عشرينه، وصل شاكر آغا سلحدار الوزير إلى بولاق فتلقوه وأركبوه إلى بيت الباشا، فلما أصبح النهار أرسلوا أوراقاً وصلت صحبة السلحدار المذكور إحداها خطاباً للمشايخ وأخرى إلى شيخ السادات وثالثة إلى السيد عمر النقيب وكلها على نسق واحد وهي من قبودن باشا وعليها الختم الكبير وهي بالعربي وفرمان رابع باللغة التركية خطاباً للجميع ومضمون الكل الأخبار بعزل محمد علي باشا عن ولاية مصر وولايته سلانيك وولاية السيد موسى باشا المنفصل عنها مصر وأن يكون الجميع تحت الطاعة والامتثال للأوامر والاجتهاد في المعاونة وتشهيل محمد علي باشا فيما يحتاج إليه من السفن ولوازم السفر ليتوجه هو وحسن باشا والي جرجا من طريق دمياط بالإعزاز والإكرام وصحبتهما جميع العساكر من غير تأخير حسب الأوامر السلطانية، ثم أنهم اجتمعوا في عصر ذلك اليوم بمنزل السيد عمر وركبوا إلى الباشا، فلما استقروا بالمجلس قال لهم وصلت إليكم المراسلات الواردة صحبة السلحدار قالوا نعم قال وما رأيكم في ذلك قال الشيخ الشرقاوي ليس رأي والرأي ما تراه، ونحن الجميع على رأيك فقال لهم في غد أبعث إليكم صورة تكتبونها في رد الجواب وأرسل إليهم من الغد صورة مضمونها أن الأوامر الشريفة وصلت إلينا وتلقيناها بالطاعة والامتثال إلا أن أهل مصر ورعيتها قوم ضعاف وربما عصت العساكر عن الخروج فيحصل لأهل البلدة الضرر وخراب الدور وهتك الحرمات، وأنتم أهل للشفقة والرحمة والتلطف ونحو ذلك من التزويقات والتمويهات وأصدروها إليه وفي أثناء ذلك محمد علي باشا آخذ في إليه تمام والتشهيل وإظهار الحركة والخروج لمحاربة الألفي وبرزت العساكر إلى ناحية بولاق وخارج البلدة وعدوا بالخيام إلى البر الغربي وتقدم إلى مشايخ الحارات بالتعريف على كل من كان متصفاً بالجندية ويكتبوا أسماءهم ومحل سكنهم ففعلوا ذلك، ثم كتبت لهم أوراق بالأمر بالخروج وعليها ختم الباشا ومسطور في ورقة الأمر بأن المأمور يصحب معه شخصين أو ثلاثة على أن أكثرهم لا يملك حماراً يركبه ولا ما يحمل عليه متاعه ولا ما يصرفه على نفسه فضلاً عن غيره وكذلك أمر الوجاقلية جليلهم وحقيرهم بالخروج للمحاربة.

وفيه شرع الباشا في تقرير فرضة على البلاد البحرية وهي القليوبية والمنوفية والغربية والدقهلية والمزاحمتين إلى آخر مجرى النيل ورتبوها أعلى وأدنى وأوسط وهي غلال الأعلى ثلاثون أردباً وثلاثون رأساً من الغنم وأردب أرز وثلاثون رطلاً من الجبن ومن السمن، كذلك وغير هذه الأصناف كالتبن والجلة وغير ذلك والأوسط عشرون أردباً وما يتبعها مما ذكر والأدنى اثنا عشر ومع ذلك القبض والطلب مستمر في فائظ الملتزمين بعضه من ذواتهم وبعضه من فلاحيهم مع ما يتبع ذلك من حق الطرق والخدم وتوالي الاستعجالات.

وفي ليلة الثلاثاء ثامن عشرينه، سافر آغا السلحدار بالأجوبة.

شهر جمادى الأولى 1221

استهل بيوم الخميس في ثانيه احترق معمل البارود بناحية المدابغ فحصل منه رجة عظيمة وصوت هائل مثل المدفع العظيم سمعه القريب والبعيد ومات به عدة أشخاص ويقال أنهم رموا بنبة من القلعة بقصد التجربة على جهة بولاق فسقطت في المعمل المذكور وحصل ما ذكر.

وفي ثالثه يوم السبت وقت الزوال ركب الباشا من داره يريد السفر لمحاربة الألفي ونزل إلى بولاق وعدى إلى بر أنبابة لتجهيز العرضي وأرسل أوراقاً لتجمع العربان وعين لذلك حسن آغا محرم وعلي كاشف الشرقية.

وفي ليلة الاثنين خامسه، حضر سليم آغا قابجي كتخدا الذي تقدم سفره صحبة سعيد آغا كتخدا البوابين مرسلاً إلى قبودان باشا من طرف محمد علي باشا فرجع بجواب الرسالة ومحصلها أن القبودان لم يقبل هذه الأعذار ولا ما نقموه من التمويهات التي لا أصل لها ولا بد من تنفيذ الأوامر وسفر الباشا ونزوله هو وحسن باشا وعساكرهما وخروجهم من مصر وذهابهم إلى ناحية دمياط وسفرهم إلى الجهة المأمورين بالذهاب إليها ولا شيء غير ذلك أبداً.

وفي ليلة الخميس ثامنه، حضر علي كاشف الشرقية وذلك أنه تقنطر من فوق جواده وكسرت رجله، وأحضروه محمولاً.

وفي يوم الخميس المذكور، وصل الكثير من طوائف عرب الحويطات ونصف حرام من ناحية شبرا إلى بولاق وضربوا لحضورهم مدافع.

وفيه ركب طوائف الدلاتية وتقدموا إلى جهة بحري وأشيع ركوب محمد علي باشا وذلك اليوم، فلم يركب.

وفي ثاني عشره، ورد الخبر بوصول موسى باشا إلى ثغر سكندرية يوم الأحد حادي عشره والمذكور أرسل من طرفه قاصداً وعلى يده مرسوم خطاباً لأحمد أفندي الدفتردار بأن يكون قائماً مقامه ويأمره بضبط الإيراد والمصرف، فلم يقبل الدفتردار ذلك وقال لم يكن بيدي قبض ولا صرف ولا علاقة لي بذلك.

وفي يوم الأحد، طاقت جماعة قواسة على بيوت الأعيان يبشروهم بأن العساكر الكائنين بناحية الرحمانية ركبوا على عرضي الألفي ووقعت بينهم مقتلة كبيرة وقتلوا منه جملة فيهم أربع صناجق، ونهبوا منه زيادة عن ثمانمائة جمل بأحمالها وعدة هجن محملة بالأموال ورجعت عساكره ومعهم نحو الثمانين رأساً ومائة أسير، وغير ذلك وأن الألفي هرب بمفرده إلى ناحية الجبل وقيل إلى الإسكندرية فكانوا يطوفون على الأعيان بهذا الكلام ويأخذون منهم البقاشيش، ثم ظهر أن هذا الكلام لا أصل له وتبين أن طائفة من العرب يقال لهم الجوابيض وهم طائفة مرابطون ليس يقع منهم أذية ولا ضرر لأحد مطلقاً نزلوا بالجبل بتلك الناحية فدهمهم العسكر وخطفوا منهم إبلاً وغنماً وقتل فيما بينهم أنفار من الفريقين لمدافعتهم عن أنفسهم.

وفي ذلك اليوم أيضاً ركب حسن آغا الشماشيرجي إلى المنصورية قرية بالجيزة ومعه طائفة من العسكر وهي بالقرب من إليهرام، فضربوا القرية ونهبوا منها أغناماً ومواشي وأحضروها إلى العرضي بأنبابة، وحضر خلفهم أصحاب الأغنام وفيهم نساء يصرخن ويصحن وصادف ذلك أن السيد عمر النقيب عدى إلى العرضي فشاهدهم على هذه الحالة فكلم الباشا في شأنهم فأمر برد الأغنام التي للنساء والفقراء الصارخين وذهبوا بالباقي للمطابخ.

وفي ثاني عشره، وردت الأخبار بأن العساكر الكائنين بالرحمانية ومرقص رجعوا إلى النجيلة ونصبوا عرضيهم هناك وحضر الألفي تجاههم فركبوا لمحاربته وكانوا جمعاً عظيماً فركب الألفي بجيوشه وحاربهم ووقع بينه وبينهم وقعة عظيمة انجلت عن

نصرته عليهم وانهزام العسكر وقتل من الدلاة وغيرهم مقتلة عظيمة، و لم يزالوا في هزيمتهم إلى البحر وألقوا بأنفسهم فيه وامتلأ البحر من طراطير الدلاتية وهرب كتخدا بك وطاهر باشا إلى بر المنوفية وعدوا في المراكب واستولى الألفي وجيوشه على خيولهم وخيامهم وحملاتهم وجبخانتهم، وأرسل برؤوس القتلى والأسرى إلى القبودان وأشيع خبر هذه الواقعة في الناس وتحدثوا بها وانزعج الباشا والعسكر انزعاجاً عظيماً وعدى إلى بر بولاق وطاف الوالي وأصحاب الدرك ينادون على العساكر بالخروج إلى العرضي ويكتبون أسماءهم وحضر الباشا إلى داره وأكثر من الركوب والذهاب والمجيء والطواف حول المدينة والشوارع ويذهب إلى بولاق ومصر القديمة ويرجع ليلاً ونهاراً وهو راكب رهواناً تارة أو فرساً أو بغلة ومرتد ببرنس أبيض مثل المغاربة والعسكر أمامه وخلفه ووصل مجاريح كثيرة وأخبروا بالواقعة المذكورة، ومات من جماعة الألفي أحمد بك الهنداوي فقط وانجرح أمين بك وغيره جرح سلامة.

وفي يوم الأربعاء حادي عشرينه، وصلت العساكر المهزومة وكبراؤهم إلى بولاق وفيهم مجاريح كثيرة وهم في أسوأ حال فمنعهم الباشا من طلوع البر وردهم بمراكبهم إلى بر أنبابة واستمروا هناك إلى آخر النهار وهم عدد كثير، وقد انضاف إليهم من كان ببر المنوفية، و لم يحضر المعركة لما داخلهم من الخوف، ثم أنهم طلعوا إلى بولاق وانتشروا في النواحي وذهب منهم الكثير إلى مصر القديمة، وحضر كثير ودخلوا المدينة ودخلوا البيوت وأزعجوا كثيراً من الناس الساكنين بناحية قناطر السباع وسويقة اللالا والناصرية وغير ذلك من النواحي وأخرجوهم من دورهم، وقد كانت الناس استراحت منهم مدة غيابهم.

وفي يوم الأربعاء ثامن عشرينه الموافق لثامن مسى القبطي أو فى النيل أذرعه وركب الباشا في صبيحة يوم الخميس إلى قنطرة السد وحضر القاضي والسيد عمر النقيب وكسر الجسر بحضرتهم وجرى الماء في الخليج جرياناً ضعيفاً بسبب علو أرضه وعدم تنظيفه من الأتربة المتراكمة فيه ويقال أنهم فتحوه قبل الوفاء لاشتغال بال الباشا وتطيره وخوفه من حادثة تحدث في مثل يوم هذا الجمع وخصوصاً وقد وصل إلى بر الجيزة الكثير من أجناد الألفي.

شهر جمادى الآخرة سنة 1221

استهل بيوم السبت في سادسه حضر طاهر باشا إلى بر أنبابة ونصب خيامه هناك وعدى هو في قلة إلى بولاق وذهب إلى داره بالأزبكية، وكان من أمره أنه لما حصلت له الهزيمة فذهب إلى المنوفية، وقد اغتاظ عليه الباشا وأرسل يقول له لا تريني وجهك بعد الذي حصل وترددت بينهما الرسل، ثم أرسل إليه يأمره بالذهاب إلى رشيد فذهب إلى قوة، ثم حضر شاهين بك الألفي إلى الرحمانية فأرسل الباشا إلى طاهر باشا يأمره بالذهاب إلى شاهين بك ويطرده من الرحمانية فذهب إليه في المراكب فضرب عليه شاهين بك بالمدافع، فكسر بعض مراكبه فرجع على أثره وركب من البر حتى عدى بحر الرحمانية، ثم حضر إلى مصر ووصل بعده الكثير من العسكر فأمرهم الباشا بالعود فعاد الكثير منهم في المراكب وحضر إسماعيل آغا الطوبجي كاشف المنوفية وقد داخل الجميع الخوف من الألفي، وأما الألفي فإنه بعد انفصال الحرب من النجيلة رجع إلى حصار دمنهور وذلك بعد أن ذهب أعيانها إلى قبودان باشا وقابلوه وأمنهم ورجعوا على أمانه فافترقوا فرقتين فرقة منهم اطمأنت ورضيت بالأمان، والأخرى لم تطمئن بذلك وأرسلوا إلى السيد عمر والباشا فرجع إليهم الجواب يأمرونهم باستمرارهم على الممانعة ومحاربة من

يأتي لحربهم فامتثلوا ذلك وتبعهم الفرقة الأخرى وأرسل إليهم القبودان يدعوهم إلى الطاعة ويضمن لهم عدم تعدي الألفي عليهم، فلم يرضوا بذلك فعند ذلك استفتى العلماء في جواز حربهم حتى يذعنوا للطاعة فأفتوه بذلك، فعند ذلك أرسل إلى الألفي يأمره بحربهم فحاصرهم وحاربهم، واستمر ذلك.

وفي يوم الجمعة سابعه، ورد الخبر بموت الكاشف الذي بدمنهور.

وفي يوم الخميس ثالث عشره، وصلت قافلة من السويس وصحبتها المحمل فأدخلوه وشقوا به من المدينة وخلفه طبل وزمر وأمامه أكابر العسكر وأولاد الباشا ومصطفى جاويش المتسفر عليه، ولقد أخبرني مصطفى جاويش المذكور أنه لما ذهب إلى مكة وكان الوهابي حضر إلى الحج واجتمع به فقال له الوهابي ما هذه العويدات التي تأتون بها وتعظمونها بينكم يشير بذلك القول إلى المحمل فقال له جرت العادة من قديم الزمان بها يجعلونها علامة وإشارة لاجتماع الحجاج فقال لا تفعلوا ذلك ولا تأتوا به بعد هذه المرة وإن أتيتم به مرة أخرى فإني أكسره.

وفي ليلة الأربعاء، حضر الأفندي المكتوبجي من طرف القبودان إلى بولاق فأرسل إليه الباشا حصاناً فركبه وحضر إلى بيت الباشا بالأزبكية في صبح يوم الأربعاء المذكور فأحضر الباشا الدفتردار وسعيد آغا واختلوا مع بعضهم، ولم يعلم ما دار بينهم.

وفي يوم الخميس عشرينه، ارتحل من بالجيزة من الأمراء المصريين وعدتهم ستة من المتآمرين الجدد الذين أمرهم الألفي فذهبوا عند أستاذهم بناحية دمنهور ونزلوا بالقرب منه.

وفي خامس عشرينه، مر سليمان آغا صالح من ناحية الجيزة راجعاً من عند الأمراء القبالي وصحبته هدايا من طرفهم للقبودان وفيها خيول وعبيد وطواشية وسكر، ولم يجيبوا إلى الحضور لممانعة عثمان بك البرديسي وحقده الكامن للألفي ولكون هذه الحركة وهي مجيء القبودان وموسى باشا باجتهاده وسفارته وتدبيره، كما سيتلى عليك فيما بعد وفيه ظهرت فحوى النتيجة القياسية وانعكاس القضية وهو أن القبودان لما لم يجد في المصرلية الإسعاف وتحقق ما هم عليه من التنافر والخلاف وتكررت ما بينه وبين الفريقين المراسلات والمكاتبات، فعند ذلك استأنف مع محمد علي باشا المصادقة وعلم أن الأروج له معه الموافقة فأرسل إليه المكتوبجي واستوثق منه والتزم له بأضعاف ما وعد به من الكذابين معجلاً ومؤجلاً على ممر السنين والالتزام بجميع المأمورات والعدول عن المخالفات فوقع الاتفاق على قدر معلوم وأرسل محمد علي باشا يأمره بكتابة عرضحال خلاف الأولين ويرسله صحبة ولده على يد القبودان، فعند ذلك لخصوا عرضحال وختم عليه الأشياخ والاختيارية والوجاقلية وأرسله صحبة ابنه إبراهيم بك وأصحب معه هدية حافلة وخيولاً وأقمشة هندية، وغير ذلك وتلفت طبخه الألفي والتدابير، ولم تسعفه المقادير.

وفي هذه الأيام، تخاصم عرب الحويطات والعيايدة وتجمع الفريقان حول المدينة وتحاربوا مع بعضهم مراراً وانقطعت السبل بسبب ذلك وانتصر الباشا للحويطات وخرج بسببهم إلى العادلية، ثم رجع، ثم أنهم اجتمعوا عند السيد عمر النقيب وأصلح بينهم.

شهر رجب سنة 1221

استهل بيوم الأحد وصل القاضي الجديد ويسمى عارف أفندي وهو ابن الوزير خليل باشا المقتول وانفصل محمد أفندي سعيد خفيد علي باشا المعروف بحكيم أوغلي، وكان إنساناً لا بأس به مهذباً في نفسه، وسافر إلى قضاء المدينة المنورة من القلزم بصحبة القافلة.

وفي يوم الجمعة سادسه، سافر إبراهيم بك بن الباشا بالهدية وسافر صحبته محمد آغا لاظ الذي كان سلحدار محمد باشا خسرو.

وفي يوم السبت، أرسل الباشا إلى الشيخ عبد الله الشرقاوي ترجمانه يأمره بلزوم داره وأنه لا يخرج منها ولا إلى صلاة الجمعة وسبب ذلك أمور وضغائن ومنافسات بينه وبين إخوانه كالسيد محمد الدواخلي والسيد سعيد الشامي، وكذلك السيد عمر النقيب فأغروا به الباشا ففعل به ما ذكر فامتثل الأمر ولم يجد ناصراً وأهمل أمره.

وفيه تواترت الأخبار بوقوع معركة عظيمة بين العسكر والألفي، وذلك أن الألفي لم يزل محاصراً دمنهور وهم ممتنعون عليه إلى الآن وسد خليج الأشرفية ومنع الماء عن البحيرة والإسكندرية لضرورة الماء من ناحية دمنهور ليعطل عليهم المراد من الحصار فأرسل الباشا برب باشا الخازندار ومعه عثمان آغا ومعهما عدة كثيرة من العساكر في المراكب فوصلوا إلى خليج الأشرفية من ناحية الرحمانية وعليه جماعة من الألفية فحاربوهم حتى أجلوهم عنها وفتحوا فم الخليج فجرى فيه الماء ودخلوا فيه بمراكبهم فسد الألفية الخليج من أعلى عليهم وحضر شاهين بك فسد مع الألفية فم الخليج بأعدال القطن والمشاق، ثم فتحوه من أسفل فسال الماء في السيخ ونضب الماء من الخليج ووقفت السفن على الأرض ووصلتهم الألفية فأوقعوا معهم وقعة عظيمة وذلك عند قرية يقال لها منية القران فانهزموا إلى سنهور وتحصنوا بها فأحاطوا بهم واستمروا على محاربتهم حتى افترق الفريقان فيما بعد.

وفيه أيضاً وصلت الأخبار بأن ياسين بك لم يزل يحارب من بمدينة الفيوم حتى ملكها وقتل من بها ولم ينج منهم إلا القليل وكانوا أرسلوا يستنجدون بإرسال العسكر فلم يلحقوهم.

وفيه وردت الأخبار من الجهة القبلية بأن الأمراء المصريين أخلوا منفلوط وملوى وترفعوا إلى أسيوط وجزيرة منقباط وتحصنوا بهما، وذلك لما أخذ النيل في الزيادة وخشوا من ورود العساكر عليهم بتلك النواحي فلا يمكنهم التحصن فيها فترفعوا إلى أسيوط، فلما فعلوا ذلك أشاعوا هروبهم وذكروا أن عابدين بك وحسن بك حارباهم وطرداهم إلى أن هربوا إلى أسيوط ولما خلت تلك النواحي منهم رجع كاشف منفلوط وملوى وخلافهما الذين كانوا طردوهم في العام الماضي وفروا من مقاتلتهم.

وفيه شرع الباشا في تجهيز عساكر وتسفيرهم إلى جهة بحري وقبلي وحجزوا المراكب للعسكر فانقطعت سبل المسافرين وذلك عندما اطمأن خاطره من قضية القبودان والعزل.

وفيه شرع أيضاً في تقرير فرضة عظيمة على البلاد والقرى والتجار ونصارى الأروام والأقباط والشوام ومساتير الناس ونساء الأعيان والملتزمين وغيرهم وقدرها ستة آلاف كيس، وذلك برسم مصلحة القبودان وذكروا أنها سلفة ستة أيام، ثم ترد إلى أربابها ولا صحة لذلك.

وفي ليلة الاثنين، وصل كتخدا القبودان إلى ساحل بولاق فضربوا لقدومه مدافع وعملوا شنكاً وأرسل له في صبحها خيولاً صحبة ابنه طولون ومعهم أكابر الدولة والآغا والوالي والأغوات، فركب في موكب عظيم ودخلوا به من باب النصر وشق من وسط المدينة وعمل الباشا الديوان واجتمع عنده السيد عمر والمشايخ المتصدرون ما عدا الشيخ عبد الله الشرقاوي ومن يلوذ به فسأل عليه القاضي وعلى من تأخر فقيل له الآن يحضر ولعل الذي أخره ضعفه ومرضه، ثم أنهم انتظروا باقي الوجهاء وأرسلوا لهم جملة مراسيل، فلما حضروا قرؤوا المرسوم الوارد صحبة الكتخدا المذكور ومضمونه إبقاء محمد علي باشا واستمراره على ولاية مصر حيث أن الخاصة والعامة راضية بأحكامه وعدله بشهادة العلماء وأشراف الناس وقبلنا رجاءهم وشهادتهم وأنه يقوم بالشروط التي منها طلوع الحج ولوازم الحرمين وإيصال العلائف والغلال لأربابها على النسق القديم وليس له تعلق بثغر رشيد ولا دمياط والإسكندرية فإنه يكون إيرادها من الجمارك يضبط إلى الترسخانة السلطانية بإسلامبول ومن الشروط أيضاً أن يرضي خواطر الأمراء المصريين ويمتنع من محاربتهم البلاد ويعطيهم جهات يتعيشون بها وهذا من قبيل تحلية البضاعة وانفض المجلس وضربوا مدافع كثيرة من القلعة والأزبكية وبولاق، وأشيع عمل زينة بالبلدة وشرع الناس في أسبابها وبعضهم علق على داره تعاليق، ثم بطل ذلك وطاف المبشرون من أتباعهم على بيوت الأعيان لأخذ البقاشيش وأذن الباشا بدخول المراكب إلى الخليج والأزبكية، ثم عملوا شنكاً وحراقات وسواريخ ثلاثة أيام بلياليها بالأزبكية.

شهر شعبان سنة 1221

فيه تكلم القاضي مع الباشا في شأن الشيخ عبد الله الشرقاوي والإفراج عنه ويأذن له في الركوب والخروج من داره حيث يريد فقال أنا لا ذنب لي في التحجير عليه وإنما ذلك من تفاقمهم مع بعضهم فاستأذنه في مصالحتهم فأذن له في ذلك فعمل القاضي لهم وليمة ودعاهم وتغدوا عنده وصالحهم وقرؤوا بينهم الفاتحة وذهبوا إلى دورهم والذي في القلب مستقر فيه.

وفيه وردت الأخبار من الديار الرومية بقيام الرومنلي وتعصبهم على منع النظام الجديد والحوادث فوجهوا عليهم عسكر النظام فتلاقوا معهم وتحاربوا فكانت الهزيمة على النظام وهلك بينهم خلائق كثيرة، ولم يزالوا في أثرهم حتى قربوا من دار السلطنة فترددت بينهم الرسل وصانعوهم وصالحوهم على شروط منها عزل أشخاص من مناصبهم ونفى آخرين ومنهم الوزير وشيخ الإسلام والكتخدا والدفتردار ومنع النظام والحوادث ورجوع الوجاقات على عادتهم وتقلد آغات الينكجرية الصدارة وأشياء لم تثبت حقيقتها.

وفيه حضر عابدين بك أخو حسن باشا من الجهة القبلية.

وفي عاشره تواترت الأخبار بوقوع وقائع بالناحية القبلية واختلاف العساكر ورجوع من كان ناحية منفلوط وعصيان المقيمين بالمنية بسبب تأخر علائفهم ورجع حسن بك باشا إلى ناحية المنية فضرب عليه من بها فانحدر إلى بني سويف.

وفيه حضر إسماعيل الطوبجي كاشف المنوفية باستدعاء فأرسله الباشا بمال إلى الجهة القبلية ليصالح العساكر.

وفي وردت الأخبار من ثغر الإسكندرية بسفر قبودان باشا وموسى باشا إلى إسلامبول وأخذ القبودان صحبته ابن محمد علي باشا، وكان نزولهم وسفرهم في يوم السبت خامسه، واستمر كتخدا القبودان بمصر متخلفاً حتى يستغلق مال المصالحة.

وفيه شرعوا في تقرير فرضة على البلاد أيضاً.

وفيه حضر محمود بك من ناحية قبلي.
وفي سادس عشره، سافر كتخدا القبودان بعد ما استغلق المطلوب.
وفيه وصل إلى ثغر بولاق قابجي وعلى يده تقرير لمحمد علي باشا بالاستمرار على ولاية مصر وخلعة وسيف فأركبوه من بولاق إلى الأزبكية في موكب حفل وشقوا به من وسط المدينة، وحضر المشايخ والأعيان والاختيارية ونصب الباشا سحابه بحوش البيت للجمع والحضور وقرئت المرسومات وهما فرمانان أحدهما يتضمن تقرير الباشا على ولاية مصر بقبول شفاعة أهل البلدة والمشايخ والأشراف والثاني يتضمن الأوامر السابقة وبإجراء لوازم الحرمين وطلوع الحج وإرسال غلال الحرمين والوصية بالرعية وتشهيل غلال وقدرها ستة آلاف أردب وتسفيرها على طريق الشام معونة للعساكر المتوجهين إلى الحجاز.

وفيه الأمر أيضاً بعدم التعرض للأمراء المصريين وراحتهم وعدم محاربتهم لأنه تقدم العفو عنهم ونحو ذلك وانقضى المجلس وضربوا مدافع كثيرة من القلعة والأزبكية.

واستهل شهر رمضان بيوم الأربعاء سنة 1221

وانقضى بخير و لم يقع فيه من الحوادث سوى توالي الطلب والفرض والسلف التي لا ترد وتجريد العسكر إلى محاربة الألفي واستمرار الألفي بالجيزة ومحاصرة دمنهور واستمرار أهل دمنهور على الممانعة وصبرهم على المحاصرة وعدم الطاعة مع متاركة المحاربة.
وفيه ورد الخبر بموت عثمان بك البرديسي في أوائل رمضان بمنفلوط وكذلك سليم بك أبو دياب ببني عدي.
وفي أواخره، تقدم محمد علي باشا إلى السيد عمر النقيب بتوزيع جملة أكياس على الناس من مياسير الناس على سبيل السلفة.

واستهل شهر شوال بيوم الجمعة سنة 1221

و لم يقع في شهر رمضان هذا ارتباك في هلالة أولاً وآخراً، كما حصل فيما تقدم وكذلك حصل به سكون وطمأنينة من عربدة العساكر لولا توالي الطلب والسلف والدعاوى الباطلة في المدينة والأرياف وعسف أرباب المناصب في القرى وعملوا شنكاً للعيد بمدافع كثيرة في الأوقاف الخمسة ثلاثة أيام العيد.
وفيه فتحوا طلب الميري على السنة القابلة وجدوا في التحصيل ووجهوا بالطلب العساكر والقوامة والأتراك بالعصي المفضضة وضيقوا على الملتزمين.
وفي عاشره، أخرج الباشا خياماً ونصب عرضي بناحية شبرا ومنية السيرج والتمس من السيد عمر توزيع أربعمائة كيس برأيه ومعرفته فضاق صدره وشرع في توزيعها على التجار ومساتير الناس حيث لم يمكنه التخلف ولا التباعد عن ذلك.
وفي يوم الجمعة ثاني عشرينه، وصل حسن باشا طاهر من الجهة القبلية ودخل داره وخرج محمد علي باشا إلى جهة الحلي يريد السفر إلى الألفي، ووصلت عربان الألفي وعساكره إلى بر الجيزة وطلبوا الكلف من البلاد.
وفي يوم الأحد رابع عشرينه عدى محمد علي باشا إلى بر أنبابة.

وفي يوم الاثنين خامس عشرينه عدى محمد علي باشا وغالب العسكر إلى بولاق وأشاعوا أن الأخصام هربوا من وجوههم، فلم يذهبوا خلفهم بل رجعوا على أثرهم ونهبوا كفر حكيم، وما جاوروه من القرى حتى أخذوا النساء والبنات والصبيان والمواشي ودخلوا بهم إلى بولاق والقاهرة ويبيعونهم فيما بينهم من غير تحاش كأنهم سبايا الكفار.

واستهل شهر القعدة سنة 1221 بيوم السبت

ووصل الحجاج الطرابلسية وعدوا إلى بر مصر.
وفي يوم الأحد ثانيه، وصلت قوافل الصعيد من ناحية الجبل وبها أحمال كثيرة وبضائع مع عرب المعازة وغيرهم فركب الباشا ليلاً وكبسهم على حين غفلة ونهبهم وأخذ جمالهم وأحمالهم متاعهم حتى أولاد العربان والنساء والبنات ودخلوا بهم إلى المدينة يقودونهم أسرى في أيديهم ويبيعونهم فيما بينهم، كما فعلوا بأهل كفر حكيم وما حوله.
وفي ذلك اليوم، ضربوا مدافع كثيرة من القلعة بورود أشخاص من الططر ببشارة إلى الباشا وتقريره على السنة الجديدة.
وفي يوم السبت، أداروا كسوة الكعبة والمحمل وركب معها المتسفر عليها من القلزم وهو شخص يقال له محمود آغا الجزيري وركب أمامه الآغا والوالي والمحتسب وطائفة الدلاة وكثير من العسكر.
وفي يوم الاثنين عاشره، وصلت الأخبار بوصول الألفي إلى ناحية الأخصاص وانتشار جيوشه بإقليم الجيزة، وكان الباشا معزوماً ذلك اليوم عند سعودي الحناوي بسوق الزلط وحارة المقس وركب قبيل العصر وذهب إلى بولاق وأمر العساكر بالخروج ولا يتخلف أحد لخامس ساعة من الليل وعدى بمن معه إلى بر أنبابة.
وفي ليلة الأربعاء، وقع بين الألأفي والعسكر معركة وانحاز العسكر وتترسوا بداخل الكفور والبلاد ووصل منهم جرحى إلى البلد واستمر الأمر على ذلك وهم يهابون البروز إلى الميدان وأخصامهم لا يحاربون المتاريس والحيكان.

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشره، ركب الألفي بجيوشه وتوجه إلى ناحية قناطر شبرامنت، فلما عاينهم الباشا ومن معه مارين ركب بعسكره من ناحية كفر حكيم وما حوله وساروا إلى جهة الجيزة ونصب وطاقه بحريها وباتوا تلك الليلة وعملوا شنكاً في صبحها وهم يشيعون هروب الألفي والحال أنه مر في جيش كثيف وصورة هائلة وقد رتب جنوده وعساكره طوابير وبين يديه النظام الذي رتبه على هيئة عسكر الفرنسيس ومعهم طبول بكيفية خرعت عقولهم والباشا واقف بجيوشه ينظر إليه تارة بعينه وتارة بالنظارة ويقول هذا طهماز الزمان ويتعجب وقال لطائفة الدلاة تقدموا لمحاربته وأنا أعطيكم كذا وكذا من المال، فلم يجسروا على التقدم لما سبق لهم معه.
وفي يوم الخميس، حضر أشخاص من العرب إلى الباشا وأخبروه بأن الألأفي قد مات يوم وصوله إلى تلك المحطة، وذلك ليلة الأربعاء تاسع عشره، ونزل به خلط دموي فتقايا، ثم مات وذلك بناحية المحرقة بالقرب من دهشور وأن مماليكه اجتمعوا وأمروا عليهم شاهين بك وذلك بإشارة أستاذهم وأن طائفة أولاد علي انفصلوا عنهم ورجعوا إلى بلادهم وآخرين يطلبون الأمان فاشتبه الحال وشاع الخبر وصارت الناس ما بين مصدق ومكذب واستمر الاشتباه والاضطراب أياماً حتى أن الباشا خلع على ذلك المخبر بعد أن تحقق خبره فروة سمور وركب بها وشق من وسط المدينة والناس ما بين مصدق ومكذب ويظنون أن

ذلك من مكايده وتحيلاته لأمور يدبرها إلى أن حضر بعض الخدم إلى دوره وأخبروا بحقيقة الحال، كما ذكر فعند ذلك زال الاشتباه وعد ذلك من تمام سعد محمد علي باشا الدنيوي حتى أنه قال في مجلس خاصته الآن ملكت مصر، ولما مات الألفي ارتحلت أجناده ومماليكه وأمراؤه وارتفعوا إلى ناحية قبلي.

ثم أن الباشا أرسل إلى أمرائه مكاتبة يستميلهم ويطلبهم للصلح ويدعوهم للانضمام إليه ويعدهم أن يعطيهم فوق مأمولهم، ونحو ذلك وأرسل تلك المكاتبة صحبة قادري آغا الذي كان طرده الألفي ونفاه وأخذ محمد علي باشا في إليهتمام والركوب واللحوق بهم وفي كل يوم ينادي على العسكر بالمدينة بالخروج وقوي نشاطهم ورفعوا رؤوسهم وسعوا في قضاء أشغالهم وخطفوا الجمال والحمير وحضر الباشا إلى بيته بالأزبكية وبات به ليلة الأحد، وصرح بسفره يوم الخميس وخرج إلى العرضي ثانياً وطلب السلف والمال ومضى الخميس والجمعة، ولم يسافر.

وفي ليلة السبت تاسع عشرينه، نزل به حادر وتحرك عنده خلط وحصل له إسهال وقيء وأشاع الناس موته يوم السبت وتناقلوه وكاد العسكر ينهبون العرضي، ثم حصلت له إفاقة وخرج السيد عمر والمشايخ للسلام عليه يوم الأحد وليهنؤه بجوابات الرسالة من أمراء الألفي أحدها للباشا وعليه ختم شاهين وباقي خشداشينه الكبار وآخر خطاباً لمصطفى كاشف آغا الوكيل وعلي كاشف الصابونجي ومن كان كاتبهم بالمعنى السابق يذكرون في جوابهم إن كان سيدهم قد مات وهو شخص واحد فقد خلف رجالاً وأمراء وهم على طريقة أستاذهم في الشجاعة والرأي والتدبير، ونحو ذلك وليس كل مدع تسلم له دعواه ومن أمثال المغاربة ما كل حمراء لحمة ولا كل بيضاء شحمة وذكروا في الجواب أيضاً أنه إن اصطلح من كبرائهم الكائنين بقبلي وهم إبراهيم بك الكبير وعثمان بك حسن وباقي أمرائهما كنا مثلهم وإن كان يريد صلحنا دونهم فيعطينا ما كان يطلبه أستاذنا من الأقاليم، ونحو ذلك.

واستهل شهر ذي الحجة بيوم الاثنين سنة 1221

فيه ارتحل الباشا بعرضي إلى ساقية مكي بالجيزة متوجهاً لقبلي.

وفيه طلبوا المراكب من كل ناحية وعز وجودها وامتنعت الواردون ومراكب المعاشات والتجارات مع استمرار الطلب للمغارم والسلف، ونحو ذلك وفي منتصفه وردت مكاتبات من وزير الدولة العثمانية وفيها الخبر بوقوع الغزو بين العثماني والموسكوب والأمر بالتيقظ والتحفز وتحصين الثغور، فربما آغاروا على بعضها على حين غفلة، وكذلك وردت أخبار بمعنى ذلك من حاكم أزمير وحاكم رودس وأن الإنكليز معاونون لطائفة الموسكوب لاستمرار عداوتهم مع الفرنساوية لكون الفرانساوية متصادقين مع العثماني والخبر عن مجمل القضية أن بونابارته أمير جيش الفرانساوية وعساكرهم خرجوا في العام الماضي وآغاروا على القرانات والممالك الإفرنجية واستولوا على النيمسة التي هي أعظم القرانات وبينهم وبين الموسكوب مصادقة ونسب فأرسل الموسكوب جنداً كثيفاً مساعدة للنيمساوية مع كبير من قرابة قرالهم فتلاقوا مع بونابارته بعد استيلائه على تخت النيمسة فهزمهم أيضاً وأسر عظماءهم وسار بجيوشه إلى الروسية واستولى على عدة أساكل، وكلما استولى على جهة قرر بها حكامها وشرط عليهم شروطه التي منها معاداة الإنكليز ومنابذتهم، وراسله العثماني وراسله هو أيضاً ورأى العثماني قوة بأسه فصادقه

وأرسل إليه من طرفه الجي إلى إسلامبول فدخلها في أبهة عظيمة، وأنزلوه متزلاً حسناً وأرسل صحبته هدايا وقوبل بأعظم منها وكذلك أرسل إلى خصوص بونابارته تحفاً وهدايا وتاجاً من الجوهر، فعند ذلك انتبذ الموسكوب ونقض الهدنة بينه وبين العثماني وطلب المحاربة فخافه العثماني لما يعلمه منه من القوة والكثرة وسعى الإنكليز بينهما بالصلح واجتهد في ذلك حتى أمضاه بشروط قبيحة وشرع أهل الإسكندرية في تحصين قلاعها وأبراجها، وكذلك أبو قير أرسل كتخدا بك من يتقيد ببناء قلعة بالبرلس وحصل لمصر قلق ولغط وغلت الأسعار في البضائع المجلوبة وعملوا جمعيات ببيت كتخدا بك وببيت السيد عمر النقيب واتفقوا على إرسال تلك المراسلات إلى محمد علي باشا بالجهة القبلية صحبة ديوان أفندي.

وفي عشرينه، اجتمعوا بالأزهر لقراءة صحيح البخاري في أجزاء صغار.

وفيه حضر ديوان أفندي بمكاتبات وفيها طلب جماعة من الفقهاء ليسعوا في إجراء الصلح بين الأمراء المصريين وبين الباشا فوقع الاتفاق على تعيين ثلاثة أشخاص وهم بن الشيخ الأمير وابن الشيخ العروسي والسيد محمد الدواخلي فسافروا في يوم الأحد سادس عشرينه ووصلت الأخبار بأن الإنكليز حضروا في اثني عشر مركباً وعبروا بغاز إسلامبول وكانوا محترسين فضربوا عليهم بالمدافع من الجهتين، فلم يكترثوا و لم يفزعوا و لم يتأخروا و لم يصب الضرب إلا مركباً واحدة من الاثني عشر وعمروا ثلمتها في الحال، و لم يزالوا سائرين حتى رسوا ببر إسلامبول فهاج كل أهلها وصرخوا وانزعجوا انزعاجاً عظيماً وأيقنوا بأخذ الإنكليز البلدة ولو أرادوا حرقها لأحرقوها عن آخرها فعند ذلك نزل إليها السيد علي باشا القبطان وهو أخو علي باشا الذي كان أخذ يسيراً مع البرديسي من برج مغيزل برشيد، فتكلم معهم وصالحهم وخرجوا من البغاز سالمين مغبوطين بعفوهم المقدرة وانقضت السنة بحوادثها.

وأما من مات بها من العلماء والأمراء ممن له ذكر.

مات العمدة الفاضل صدر المدرسين وعمدة المحققين الفقيه الورع الشيخ محمد الخشني الشافعي تخرج على الشيخ عطية الأجهوري وغيره من أشياخ العصر المتقدمين كالحفني والعدوي ومسكنه بخطة السيدة نفيسة ويأتي إلى الأزهر في كل يوم فيقرأ دروسه، ثم يعود إلى داره متقللاً في معيشته منعزلاً عن مخالطة غالب الناس وهو آخر الطبقة وتمرض شهوراً بمترله الذي بالمشهد النفيسي، وكان دائماً يسأل عن الشيخ سليمان البجيرمي وكان يقول لا أموت حتى يموت البجيرمي لأنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وقال له أنت آخر أقرانك موتاً، و لم يكن من أقرانه سوى البجيرمي، فلذلك كان يسأل عنه، ثم مات البجيرمي بقرية تسمى مصطيه، ومات هو بعده بنحو ثلاثة أشهر وكانت وفاته في يوم الاثنين خامس عشرين ذي الحجة، و لم يحضروا بجنازته إلى الأزهر بل صلي عليه بالمشهد النفيسي ودفن هناك رحمة الله تعالى عليه.

ومات الشيخ الفقيه المحدث خاتمة المحققين وعمدة المدققين بقية السلف وعمدة الخلف الشيخ سليمان بن محمد بن عمر البجيرمي الشافعي الأزهري المنتهي نسبه إلى الشيخ جمعة الزبدي المدفون ببجيرم نسبة إلى زيدة بالقرب من منية بن خصيم وينتهي نسب الشيخ جمعة المذكور إلى سيدي محمدي بن الحنفية ولد ببجيرم قرية من الغربية إحدى وثلاثين ومائة وألف وحضر إلى مصر صغيراً دون البلوغ ورباه قريبه الشيخ موسى البجيرمي وحفظ القرآن ولازم الشيخ المذكور حتى تأهل لطلب

العلوم، وحضر على الشيخ الشماوي في الصحيحين وأبي داود الترمذي والشفاء والمواهب وشرح المنهج لشيخ الإسلام وشحي المنهاج لكل من الرملي وابن حجر وحضر دروس الشيخ الحفني وأجازه الملوي والجوهري والمدابغي وأخذ عن الديربي وغيره وحضر أيضاً دروس الشيخ علي الصعيدي والسيد البليدي وشارك كثيراً من الأشياخ كالشيخ عطية الأجهوري وغيره، وكان إنساناً حسناً حميد الأخلاق منجمعاً عن مخالطة الناس مقبلاً على شأنه وقد انتفع به أناس كثيرون وكف بصره سنيناً وعمر وتجاوز المائة سنة ومن تأليفه بأيدي الطلبة حاشية على المنهج وأخرى على الخطيب وغير ذلك وقبل وفاته سافر إلى مصطيه بالقرب من بجيرم فتوفي بها ليلة الاثنين وقت السحر ثالث عشر رمضان من السن المذكورة، ودفن هناك رحمة الله تعالى عليه.

ومات الأجل العلامة والفاضل الفهامة فريد عصره، علماً وعملاً ووحيد دهره تفصيلاً وجملاً الشيخ مصطفى العقباوي المالكي نسبة لمنية عقبة بالجيزة حضر إلى الأزهر صغيراً ولازم السيد حسناً البقلي، ثم الشيخ محمد العقاد المالكي، ثم الشيخ محمد عبادة العدوي ملازمة كلية حتى تمهر في مذهبه في المنقولات وفي المعقولات، وحضر دروس أشياخ العصر كالشيخ الدردير والشيخ محمد البيلي والشيخ الأمير وغيرهم وتصدر لإلقاء الدروس وانتفع به الطلبة واشتهر فضله وكان إنساناً حسن الأخلاق مقبلاً على الإفادة والاستفادة لا يتداخل فيما لا يعنيه ويأتيه من بلدته ما يكفيه قانعاً متورعاً متواضعاً ومن مناقبه أنه كان يحب إفادة العوام حتى أنه كان إذا ركب مع المكاري يعلمه عقائد التوحيد وفرائض الصلاة إلى أن توفي يوم الخميس تاسع عشر جمادى الآخرة، ولم يخلف بعده مثله رحمه الله تعالى وعفا عنا وعنه.

ومات الأجل المعظم المبجل المحقق المدقق المفضل العالم العامل الفاضل الكامل الشيخ علي النجاري المعروف بالقباني الشافعي مذهباً المكي مولداً المدني أصلاً بن العالم الفاضل الشيخ أحمد تقي الدين بن السيد تقي الدين المنتهي نسبه إلى أبي سعيد الخدري وهو سعد بن مالك بن دينار بن تيم الله بن ثعلبة النجاري أحد بطون الخزرج وينتهي نسب أخواله إلى السيد أحمد الناسك بن عبد الله إدريس بن عبد الله بن الحسن الأنور ابن سيدنا الحسن السبط رضي الله تعالى عنه ولد المترجم بمكة سنة أربع وثلاثين ومائة وقدم إلى مصر مع أبيه وأخيه السيد حسن سنة إحدى وسبعين مائة قليلة وصولهم مرض أخوه المذكور وتوفي صبح ثالث يوم فجزع والده لذلك جزعاً شديداً وتشاءم به وعزم على السفر إلى مكة ثانياً ولم يتيسر له ذلك إلا أواخر شوال من السنة المذكورة وبقي المترجم واشتغل بتحصيل العلوم وشراء الكتب النافعة واستكتابها ومشاركة أشياخ العصر في الإفادة والاستفادة مع مباشرة شغل تجارتهم من بيع الإرساليات التي ترد إليه من أولاد أخيه من جدة ومكة وشراء ما يشترى وإرساله لهم إلى أن تمرض وانقطع ببيته الذي بخطة عابدين قريباً من الأستاذ الحنفي سنة تسع ومائتين وكان عالماً ماهراً وأديباً شاعراً تخرج على والده وعلى غيره بمكة وعلى كثير من أشياخ العصر المتقدمين كالشيخ العشماوي والشيخ الحفني والشيخ العدوي وغيرهم وتخرج في الأدب على والده وعلى الشيخ علي بن تاج الدين المكي وعلى الشيخ عبد الله الأنكاوي وغيرهم وله مؤلفات منها نفح الأكمام على منظومته في علم الكلام، ومنها تقريره على الرملي وهو مجلد ضخم، ومنها شرح بديعيته التي سماها مراقي الفرج في مدح عالي الدرج وله ديوان شع صغير غالبه جيد وكان في مدة انقطاعه لا يشتغل بغير المطالعة وتحصيل الكتب الغريبة وقيد ولده السيد سلامة بأشغال تجارتهم وولده السيد أحمد بملازمته وإسماعه فيما يريد مطالعته وكانت داره في غالب الأوقات لا تخلو من المترددين إلى أن توفي ليلة السابع والعشرين من رجب من السنة المذكورة وعمره سبع وثمانون سنة وصلي

عليه بالأزهر ودفن بمقبرة أخيه بباب الوزير وخلف ولديه المذكورين وكان وجيهاً لطيفاً محبوباً للنفوس ورعاً رحمة الله تعالى عليه.

ومات صاحبنا الأجل المعظم والوجيه المكرم الأمير ذو الفقار البكري نسبة ونسابة وهو مملوك السيد محمد بن علي أفندي البكري الصديقي اشتراه سيده المذكور عام إحدى وسبعين ومائة وألف ورباه وأدبه وأعتقه وزوجه ابنته ونشأ في عز ورفاهية وسيادة وعفة وطيب خيم وعلو همة، ولما توفي سيده اتحد بولده السيد محمد أفندي وهو أخو زوجته اتحاداً كلياً بحيث صارا كالأخوين لا يصبر أحدهما عن الآخر ساعة واحدة وسكنهما واحد في بيتهم الكبير بالأزبكية، ولما توفي السيد محمد أفندي اشتغل المترجم بالسكنى في الدار إلى أن حضر الفرنساوية، فخرج مع من خرج من مصر إلى ناحية الشام ونهبت كتبه وداره، ثم رجع بأمان في أيام الفرنساوية فوجد الدار قد سكنها القرنساوية فاشترى داراً غيرها بخطة عابدين وجدد بها نظامه، ولما حصلت حادثة عسكر الأروام العثمانية مع الأمراء المصريين التي خرج فيها إبراهيم بك والبرديسي وأمراؤهم نهبت داره المذكورة أيضاً فيما نهب فانتقل إلى ناحية الأزهر، ثم سكن بحارة السبع قاعات بالأجرة واقتنى كتباً شراء واستكتاباً وجمع عدة أجزاء متفرقة من تاريخ مرآة الزمان لابن الجوزي وخطط المقريزي وغيرها إلى أن احترمته المنية ومات فجأة يوم الثلاثاء في ثاني عشرين رجب من السنة قبيل الغروب وصلي عليه في صبحها بالأزهر في مشهد حافل ودفن بتربة البكرية ظاهر قبة الإمام الشافعي، وكان إنساناً حسناً محبوباً لجميع الناس وجيه الذات مليح الصفات حسن الفاكهة والمعاشرة متوقد الفطنة صادق الفراسة ساكن الجأش وقوراً أدوباً محتشماً وخلف من بعده السيد محمد المعروف بالغزاوي المرزوق له من ابنة سيده المذكور ولكونه ولد بغزة حين كانوا بالشام أنشأه الله إنشاء صالحاً وبارك فيه.

ومات الأمير الكبير والضرغام الشهير محمد بك الألفي المرادي جلبه بعض التجار إلى مصر في سنة تسع وثمانين ومائة وألف فاشتراه أحمد جاويش المعروف بالمجنون فأقام ببيته أياماً، فلم تعجبه أوضاعه لكونه كان مماجناً سفيهاً ممازجاً فطلب منه بيع نفسه فباعه لسليم آغا الغزاوي المعروف بتمرلنك فأقام عنده شهوراً، ثم أهداه إلى مراد بك فأعطاه نظيره ألف أردب من الغلال فلذلك سمي بالألفي، وكان جميل الصورة فأحبه مراد بك وجعله جوخداره، ثم أعتقه وجعله كاشفاً بالشرقية وعمر داراً بناحية الخطة المعروفة بالشيخ ضلام وأنشأ هناك حماماً بتلك الخطة عرفت به وكان صعب المراس قوي الشكيمة، وكان بجواره علي آغا المعروف بالتوكلي فدخل عليه وتشفع عنده في أمر فقبل رجاءه، ثم نكث فحنق منه واحتد ودخل عليه في داره يغادره ويعاتبه فرد عليه بغلظة فأمر الخدم بضربه فبطحوه وضربوه بالعصي المعروفة بالنبابيت فتألم لذلك ومات بعد يومين فشكوه إلى أستاذه مراد بك فنفاه إلى بحري فعسف بالبلاد مثل فوة ومطوبس وبارنبال ورشيد وأخذ منهم أرزاً وأموالاً فتشكوا منه إلى أستاذه، وكان يعجبه ذلك وفي أثناء ذلك وقع خلاف بمصر بين الأمراء ونفوا سليمان بك الآغا وأخاه إبراهيم بك ومصطفى بك، كما ذكر ذلك في محله وأرسل إليه مراد بك وأمره أن يتعين على مصطفى بك ويذهب به إلى سكندرية منفياً، ثم يعود هو إلى مصر ففعل ورجع المترجم إلى مصر فعند ذلك قلدوه الصنجقية وذلك في سنة اثنتين وتسعين ومائة وألف واشتهر بالفجور فخافته الناس وتحاموا شدته وسكن أيضاً بدار بناحية قيصون، وذلك عندما اتسعت دائرته وهدم داره القديمة أيضاً ووسعها وأنشأها إنشاء جديداً واشترى المماليك الكثيرة وأمر منهم أمراء وكشافاً فنشؤا على طبيعة أستاذهم في التعدي

والعسف والفجور ويخافون من تجبره عليهم والتزم بإقطاع فرشوط وغيرها من البلاد القبلية ومن البلاد البحرية محلة دمنة ومليج وزوبر وغيرها وتقلد كشوفية شرقية بلبيس، ونزل إليها وكان يغير على ما بتلك الناحية من إقطاعات وغيرها وأخاف جميع عربان تلك الجهة وجميع قبائل الناحية ومنعهم من التعدي والجور على الفلاحين بتلك النواحي حتى خافه الكثير من العربان والقبائل وكانوا يخشونه وصادهم بإشراك منهم وقبض على الكثير من كبرائهم وسحبهم في الجنازير وصادروهم في أموالهم ومواشيهم وفرض عليهم المغارم والجمال، ولم يزل على حالته وسطوته إلى أن حضر حسن باشا الجزايرلي إلى مصر فخرج المترجم مع عشيرته إلى ناحية قبلي، ثم رجع معهم في أواخر سنة خمس ومائتين بعد الألف بعد الطاعون الذي مات فيه إسماعيل بك، وذلك بعد إقامتهم بالصعيد زيادة عن أربع سنوات ففي تلك المدة ترزع عقله وانهضمت نفسه وتعلق قلبه بمطالعة الكتب والنظر في جزئيات العلوم والفلكيات والهندسيات وأشكال الرمل والزايرجات والأحكام النجومية والتقاويم ومنازل القمر وأنوائها ويسأل عمن له إلمام بذلك فيطلبه ليستفيد منه واقتنى كتباً في أنواع العلوم والتواريخ واعتكف بداره القديمة ورغب في الانفراد وترك الحالة التي كان عليها قبل ذلك واقتصر على مماليكه والإقطاعات التي بيده واستمر على ذلك مدة من الزمان، فثقل هذا الأمر على أهل دائرته وبدأ يصغر في أعين خشداشينه ويضعف جانبه وطفقوا يباكتونه وتجاسروا عليه وطمعوا فيما لديه وتطلع أدونهم للترفع عليه، فلم يسهل به ذلك واستعمل الأمر الأوسط وسكن بدار أحمد جاويش المجنون يدرب سعادة وعمر القصر الكبير بمصر القديمة بشاطئ النيل تجاه المقياس وأنشأ أيضاً قصراً فيما بين باب النصر والدمرداش وجعل غالب إقامته فيهما، وأكثر من شراء المماليك وصار يدفع فيهم الأموال الكثيرة للجلابين ويدفع لهم أموالاً مقدماً يشترونها بها وكذلك الجواري حتى اجتمع عنده نحو الألف مملوك خلاف الذي عند كشافه وهم نحو الأربعين كاشفاً الواحد منهم دائرته قدر دائرة صنجق من الأمراء السابقين وكل مدة قليلة يزوج من يختاره من مماليكه لمن تصلح له من الجواري ويجهزهم بالجهاز الفاخر ويسكنهم الدور الواسعة ويعطيهم الفائظ والمناصب وقلد كشوفية الشرقية لبعض مماليكه ترفعاً لنفسه عن ذلك ويترل هو إليهم أيضاً على سبيل التروح وبنى له قصراً خارجر بلبيس وآخر بالدمامين وأخمد شوكة عربان الشرق وجبي منهم الأموال والجمال وأخمد ناموسهم الذي

كان يغشى أبدان الفلاحين وأرواحهم وأشعف شوكتهم وأخفى صولتهم، وكان يقيم بناحية الشرق شهوراً صلاصة أو أربعة، ثم يعود إلى مصر واصطنع قصراً من خشب مفصلاً قطعاً ويركب بشناكل وأغربة متينة قوية يحمل على عدة جمال فإذا أراد الترول في محطة تقدم الفراشون وركبوه خارج الصيوان فيصير مجلساً لطيفاً يصعد إليه بثلاث درج مفروش بالطنافس والوسائد يسع ثمانية أشخاص وهو مسقوف وله شبابيك من الأربع جهات تفتح وتغلق بحسب الاختيار وحوله الأسرة من كل جانب وكل ذلك من داخل دهليز الصيوان، وكان له داران بالأزبكية أحداهما كانت لرضوان بك بلغيا والأخرى للسيد أحمد بن عبد السلام فبدا له في سنة اثنتي عشرة ومائتين وألف أن ينشئ داراً عظيمة خلاف ذلك بالأزبكية فاشترى قصر ابن السيد سعودي الذي بخطة الساكن فيما بينه وبين قنطرة الدكة من أحمد آغا شويكار وهدمه وأوقف في شيادته على العمارة كتخدا ذا الفقار أرسله قبل مجيئه من ناحية الشرقية ورسم له صورة وضعه في كاغد كبير فأقام جدرانه وحيطانه وحضر هو في أثناء ذلك فوجده قد أخطأ الرسم فاغتاظ وهدم غالب ذلك وهندسه على مقتضى عقله واجتهد في بنائه وأوقف أربعة من كبار أمرائه على تلك العمارة كل أمير في جهة من جهاته الأربع يحثون الصناع ومعهم أكثر أتباعهم ومماليكهم وعملوا عدة قمن لحرق

الأحجار وعمل النورة وكذلك ركب طواحين الجبس لطحنه، وكل ذلك بجانب العمارة وقطعوا الأحجار الكبار ونقلوها في المراكب من طرا إلى جانب العمارة بالأزبكية، ثم نشروها بالمناشير ألواحاً كباراً لتبليط الأرض وعمل الدرج والفسحات وأحضروا لها الأخشاب المتنوعة من بولاق وإسكندرية ورشيد ودمياط واشترى بيت حسن كتخدا الشعراوي المطل على بركة الرطلي من عتقائه وهدمه ونقل أخشابه وأنقاضه إلى العمارة وكذن نقلوا إليه أنواع الرخام والأعمدة، ولم يزل الاجتهاد في العمل، تم على المنوال الذي أراده، ولم يجعل له خرجات ولا حرمدانات بارزة عن أصل البناء ولا رواشن بل جعله ساذجاً حرضاً على المتانة وطول البقاء، ثم ركبوا على فرجاته المطلة على البركة والبستان والرجبة الشبابيك الخرط المصنعة وركبوا عليها شرائح الزجاج ووضع به النجف والأشياء والتحف العظيمة التي أهداها إليه الإفرنج وعملوا بقاعة الجلوس السفلى فسقية عظيمة بسلسبيل من الرخام قطعة واحدة ونوفرة كبيرة حولها نوفرات من الصفر يخرج الماء من أفواهها وجعل بها حمامين علوياً وسفلياً وبنوا بدائر حوشه عدة كبيرة من الطباق السكني المماليك وجعله دوراً واحداً ولما تم البناء والبياض والدهان فرشه بأنواع الفرش والوسائد والمساند والستائر المقصبات وجعل خلفه بستاناً عظيماً وأنشأ به جملوناً مستطيلاً متسعاً به دكك وأعمدة وهو من الجهة البحرية ينتهي آخره إلى الدور المتصلة بقنطرة الدكة وأهدى إليه أيضاً الإفرنج فسقية رخام في غاية العظم فيها صورة أسماك مصورة يخرج من أفواهها الماء وجعلها بالبستان ونجز البناء والعمل وسكن بها هو وعياله وحريمه في آخر شهر شعبان من سنة اثنتي عشرة واستهل شهر رمضان فأوقدوا فيها الوقدات والأحمال الممتلئة بالقناديل بدائر الحوش والرحبة الخارجة، وكذلك بقاعة الجلوس أحمال النجف والشموع والصحب والفنيارات الزجاج وازدحمت خيول الأمراء ببابه فأقام على ذلك إلى منتصف شهر رمضان وبداله السفر إلى الشرقية فأبطلوا الوقدة وأطفؤا السرج والشموع، فكان ذلك فالاً فكانت مدة سكناه ستة عشر يوماً بلياليها، وإنما أطنبنا في ذكر ذلك ليعتبر أولو الألباب ولا يجتهد العاقل في تعمير الخراب وفي أثناء غيبته بالشرقية وصلت الفرنساوية إلى الإسكندرية، ثم إلى مصر وجرى ما جرى مما سبق ذكره وذهب مع عشيرته إلى قبلي وعند وصول الفرنساوية إلى بر أنبابة بالبر الغربي وتحاربوا مع المصريين أبلى المترجم وجنده في تلك الواقعة ويعمل معهم مكايد ويصطاد منهم بالمصايد، ولما وصل عرضي الوزير إلى وعدة أسرى وأسد عظيم اصطاده في سروحه فشكره الوزير وخلع عليه الخلع السنية وأقام بعرضيه أياماً، ثم رجع إلى ناحية مصر وذهب إلى الصعيد ثم رجع إلى الشام والفرنساوية يأخذون خبره ويرصدونه في الطرق ناحية الشام ذهب إليه وقابله وأنعم عليه وكان معه رؤساء من الفرنساوية فيزوغ منهم ويكبسهم في غفلاتهم وينال منهم، ولما وصل الوزير وحصل انتقاض الصلح

وانحصر المصريون والعثمانيون بداخل المدينة وقع له مع الفرنساوية الوقائع الهائلة، فكان يكر ويفر هو وحسن بك الجداوي ويعمل الحيل والمكايد وقتل من كشافه في تلك الحروب رجال معدودة منهم إسماعيل كاشف المعروف بأبي قطية احترق هو وجنده ببيت أحمد آغا شويكار الذي كان أنشأه برصيف الخشاب وكانت الفرنساوية قد عملوا تحته لغم بارود في أسفل جدرانه، ولم يعلم به أحد، فلما تترس فيه إسماعيل كاشف ومن معه أرسلوا من ألهمه النار فالتهب على من فيه واحترقوا بأجمعهم وتطايروا في الهواء، ولما اصطلح مراد بك مع الفرنساوية لم يوافقه على ذلك واعتزله، ولما اشتد الأمر بين الفريقين وشاطت طبخة العثمانيين ومن تبعهم طفق يسعى بين الفريقين في الصلح ويمشي مع رسل الفرنساوية في دخولهم بين العسكر وخروجهم ليمنع من يتعدى عليهم من أوباش العسكر خوفاً من ازدياد الشر إلى أن تم الصلح وخرج المترجم بلاء حسناً وقتل

من كشافه ومماليكه عدة وافرة، و لم يزل مدة إقامة الفرنساوية بمصر ينتقل في الجهات القبلية والبحرية والشرقية والغربية مع العثمانية إلى نواحي الشام، ثم رجع إلى جهة الشرقية فيحارب من يصادقه من الفرنسيس ويقتل منهم فإذا جمعوا جيشهم وأتوا لحربه، لم يجدوه ويمر من خلف الجبل ويمر بالحاجز إلى الصعيد فلا يعلم أين ذهب ثم يظهر بالبر الغربي، أو يسير مشرقاً ويعود إلى الشام وهكذا كان دأبه بطول السنة التي تخللت بين الصلحين إلى نظم العثمانية أمرهم وتأونوا بالإنكليز ورجع الوزير على طريق البر وقبطان باشا بصحبة الإنكليز من البحر فحضر المترجم وباقي الأمراء واستقر الجميع بداخل مصر والإنكليز ببر الجيزة وارتحلت الفرنساوية وخلت منهم مصر فعند ذلك قلق المترجم وداخله وسواس وفكر لأنه كان صحيح النظر في عواقب الأمور، فكان لا يستقر له قرار، و لم يدخل إلى الحريم، و لم يبت بداره إلا ليلتين على سجادة ومخدة في القاعة السفلى، و لم يكن بها حريم.

يقول الفقير، ذهبت إليه مرة في ظرف اليومين فوجدته جالساً على السجادة فجلست معه ساعة فدخل عليه بعض أمرائه يستأذنه في زواج إحدى زوجات من مات من خشداشينه فنتر فيه وشتمه وطرده وقال لي انظر إلى عقول هؤلاء المغفلين يظنون أنهم استقروا بمصر ويتزوجوا ويتأهلوا مع أن جميع ما تقدم من حوادث الفرنسيس وغيرها أهون من الورطة التي نحن فيها الآن، ولما أطلق الوزير لإبراهيم بك الكبير التصرف وألبسه خلعة وجعله شيخ البلد كعادته وأن أوراق التصرفات في الإقطاعات والأطيان وغيرها تكون بختمه وعلامته اغتر هو وباقي الأمراء بذلك، وازدحم الديوان ببيت إبراهيم بك المرادي وعثمان بك حسن والبرديسي وتناقلوا في الحديث فذكروا ملاطفة الوزير ومحبته لهم وإقامته لناموسهم فقال المترجم لا تغتروا بذلك فإنما هي حيل ومكايد وكأنها تروج عليكم فانظروا في أمركم وتفطنوا لما عساه يحصل فإن سوء الظن الحزم فقالوا له وما الذي يكون قال إن هؤلاء العثمانيين لهم السنين العديدة والأزمان المديدة يتمنون نفوذ أحكامهم وتملكهم لهذا الإقليم ومضت الأحقاب وأمراء مصر قاهرون لهم وغالبون عليهم ليس لهم معهم إلا مجرد الطاعة الظاهرة وخصوصاً دولتنا الأخيرة وما كنا نفعله معهم من إليهانة ومنع الخزينة وعدم الامتثال لأوامرهم، وكل ذلك مكمون في نفوسهم زيادة على ما جبلوا عليه من الطمع والخيانة والشره، وقد ولجوا البلاد الآن وملكوها على هذه الصورة وتأمروا علينا فلا يهون بهم أن يتركوها لنا، كما كانت بأيدينا ويرجعوا إلى بلادهم بعدما ذاقوا حلاوتها فدبروا رأيكم وتيقظوا من غفلتكم فلما سمعوا منه ذلك صادق عليه بعضهم وقال بعضهم هذا من وساوسك وقال آخر هذا لا يكون بعد ما كنا نقاتل معهم ثلاث سنوات وأشهراً بأموالنا وأنفسنا وهم لا يعرفون طرائق البلاد ولا سياستها فلا غنى لهم عنا وقال آخر غير ذلك، ثم قالوا له ما رأيك الذي تراه فقال الرأي عندي إن قبلتموه أن نعدي بأجمعنا إلى بر الجيزة وننصب خيامنا هناك ونجعل الإنكليز واسطة بيننا وبين الوزير والقبطان ونتمم الشروط التي نرتاح، نحن وهم عليها بكفالة الإنكليز ولا نرجع إلى البر الشرقي ولا ندخل مصر حتى يخرجوا منها ويرجعوا إلى بلادهم ويبقى منهم من يبقى مثل من يقلدونه الولاية والدفتردارية ونحو ذلك، وكان ذلك هو الرأي ووافق عليه البعض و لم يوافق البعض الآخر، وقال كيف ننابذهم و لم يظهر لنا منهم خيانة ونذهب إلى الإنكليز وهم أعداء الدين فيحكم العلماء بردتنا وخيانتنا لدولة الإسلام على أنهم إن قصدوا بنا شيئاً قمنا بأجمعنا عليهم وفينا ولله الحمد الكفاية وعند ذلك تتوسط بيننا وبينهم الإنكليز فنكون لنا المندوحة والعذر فقال المترجم أما الاستنكاف من الالتجاء للإنكليز فإن القوم لم

يستنكفوا من ذلك واستعانوا بهم ولولا مساعدتهم لما أدركوا هذا المحصول ولا قدروا على إخراج الفرنساوية من البلاد وقد شاهدنا ما حصل في العام الماضي لما حضروا بدون الإنكليز على أن هذا قياس مع الفارق فإن تلك مساعدة حرب، وأما هذه فهي وساطة مصلحة لا غير، وأما انتظار حصول المنابذة فقد لا يمكن التدارك بعد الوقوع لأمور والرأي لكم فسكتوا وتفرقوا على كتمان ما دار بينهم، ولما لم يوافقوا المترجم على ما أشار به عليهم أخذ يدبر في خلاص نفسه فانضم إلى محمود أفندي رئيس الكتاب لقربه من الوزير وقبوله عنده وأوهمه النصيحة للوزير بتحصيل مقادير عظيمة من الأموال من جهة الصعيد إن قلده الوزير إمارة الصعيد فإنه يجمع له أموالاً جمة من تركات الأغنياء الذين ماتوا بالطاعون في العام الماضي وخلافه، و لم يكن لهم ورثة وغير ذلك من الجهات التي لا يحيط بها خلافه والمال والغلال الميرية، فلما عرف الرئيس الوزير بذلك، لم يكن بأسرع من إجابته لوجهين الأول طمعاً في تحصيل المال والثاني لتفريق جمعهم فإنهم كانوا يحسبون حسابه دون باقي الجماعة لكثرة جيشه وشدة احترازه فإنه كان إذا ذهب عند الوزير لا يذهب في الغالب إلا وحوله جميع جنوده ومماليكه وعندما أجاب الوزير إلى سفره كتب له فرماناً بإمارة الجهة القبلية وأطلق له الإذن ورخص له في جميع ما يؤدي إليه اجتهاده من غير معارض وتمم الرئيس القصد وفي الوقت حضر المترجم فأخذ المرسوم ولبس الخلعة بنفسه وودع الوزير والرئيس وركب في الوقت والساعة وخرج مسافراً

وجعل رئيس أفندي وكيلاً عنه وسفيراً بينه وبين الوزير بعدما أسكنه في داره، و لم يشعر بذلك أحد، و لم ير للوزير وجهاً بعد ذلك وعندما أشيع ذلك حضر إلى الوزير اعتراض عليه في هذه الغفلة وأشار عليه بنقض ذلك فأرسل يستدعيه لأمر تذكره على ظن تأخره، فلم يدركوه إلا وقد قطع مسافة بعيدة ورجعوا على غير طائل وذهب هو إلى أسيوط وشرع في جبي الأموال وأرسل للوزير دفعة من المال وأغناماً وعبيداً طواشية وغلالاً ثم لم يمض على ذلك إلا نحو ثلاثة شهور وسافر طائفة من الإنكليز إلى سكندرية، وكذلك حسين باشا القبطان ونصبوا للمصريين الفخاخ وأرسل القبطان يطلب طائفة منهم فأوقع بهم ما أوقع وقبض الوزير على من بمصر من الأمراء وحبسهم وجرى ما هو مسطور في محله وعينوا على المترجم طاهر باشا بعساكر وحصلت المفاقمة وقتل من قتل والتجأ من بقي إلى الإنكليز، و لم يندمل الجرح بعد تقريحه وذهب الجميع إلى الناحية القبلية وأرسلوا لهم التجاريد وتصدى المترجم لحروبهم، ثم حضر إلى ناحية بحري، ونزل بظاهر الجيزة وسار إلى ناحية البحيرة بعد حروب ووقائع فاجتهد محمد باشا خسروا في إخراج تجريدة عظيمة وساري عسكرها كتخدا وهو يوسف كتخدا بك وهي التجريدة التس سماها العوام تجريدة الحمير لأنهم جمعوا من جملة ذلك حمير الحمارة والتراسين وحمير اللكاف والسقائين وعملوا على أهل بولاق بألف حمار وكذلك مصر ومصر القديمة وطفقوا يخطفون حمير الناس ويكبسون البيوت ويأخذون ما يجدونه، وكان يأتي بعض معاكيس العسكر عند الدور ويضع أحدهم فمه عند الباب ويقول زر فينهق الحمار فيأخذونه، فلما تم مرادهم من جمع الحمير اللازمة لهم سافروا إلى ناحية البحيرة فكانت بينهم واقعة عظيمة بمرأى من الإنكليز وكانت الغلبة له على العسكر وأخذ منهم جملة أسرى وانهزم الباقون شر هزيمة وحضروا إلى مصر في أسوأ حال وهذه الكسرة كانت سبباً لحصول الوحشة بين الباشا والعسكر فإنه غضب عليهم وأمرهم بالخروج من مصر فطلبوا علائفهم فقال بأي شيء تستحقون العلائف و لم يخرج من أيديكم شيء فامتنعوا من الخروج وكان المشار إليه فيهم محمد علي سرششمه فأراد الباشا اصطياده فلم يتمكن منه لشدة احترامه فحاربه فوقع له ما ذكر في محله، وخرج الباشا هارباً إلى دمياط ومن ذلك الوقت ظهر اسم محمد

علي، ولم يزل ينمو ذكره بعد ذلك وأما المترجم فإنه بعد كسرته للعسكر ذهب ناحية دمنهور وذهبت كشافه وأمراؤه إلى المنوفية والغربية والدقهلية وطلبوا منهم المال والكلف، ثم رجعوا إلى البحيرة ثم بعد هذه الوقائع سافر المترجم مع الإنكليز إلى بلادهم واختار من مماليكه خمسة عشر شخصاً أخذهم صحبته وأقام عوضه أحد مماليكه المسمى بشتك بك وسمي الألفي الصغير وأمره على مماليكه وأمرائه وأمرهم بطاعته وأوصاه وصايا وسافر وغاب سنة وشهراً وبعض أيام لأنه سافر في منتصف شهر شوال سنة سبع عشرة وحضر في أول شهر القعدة سنة ثمان عشرة وجرى في مدة غيابه من الحوادث التي تقدم من ذكرها ما يغني عن إعادتها من خروج محمد باشا خسروا وتولية طاهر باشا ثم قتله ودخول الأمراء المصريين وتحكمهم بمصر سنة ثمان عشرة وتأمير صناجق من أتباع المترجم، وما جرى بها من الوقائع بتقدير الله تعالى البارز بتدبير محمد علي ونفاقه وحيله فإنه سعى أولاً في نقض دوله من مخدومه محمد باشا خسروا بتواطئه مع طاهر باشا وخازنداره محمد باشا المحافظ للقلعة ثم الإغراء على طاهر باشا حتى قتل، ثم معاونته للأمراء المصريين ودخولهم وتملكهم وإظهار المساعدة الكلية لهم ومصادقتهم وخدمتهم ومعاونتهم والرمح في غفلتهم وخصوصاً عثمان بك البرديسي فإنه كان ممخرقاً غشوماً يحب الترؤس فأظهر له الصداقة والمؤاخاة والمصافاة حتى قضى منهم أغراضه من قتل الدفتردار والكتخدا وعلي باشا الطرابلسي ومحاربة محمد باشا وأخذه أسيراً من دمياط وأخيه السيد علي القبطان برشيد ونسبة جميع هذه الأفعال والقبائح إليهم، فلما انقضى ذلك كله لم يبق إلا الألفي وجماعته والبرديسي الذي هو خشداشه يحقد عليه ويغار منه ويعلم أنه إذا حضر لا يبقى له معه ذكر وتخمد أنفاسه فيتناجيا ويتسارا في أمر المترجم ويتذاكرا تعاظم وكيله وخشداشينه ونقضهم عليه ما يبرمونه مع غياب أستاذهم فكيف بهم إذا حضر ويوهمه المساعدة والمعاضدة ويكون خادماً له وعساكره جنده إلى أن حضر

المترجم فأوقعا به ما تقدم ذكره ونجا بنفسه واختفى عند عشيبة البدوي بالوادي، فلما خلا الجو من الألفي وجماعته فأوقع محمد علي عند ذلك بالبرديسي وعشيرته ما أوقع وظهر بعد ذلك المترجم من اختفائه وذهب إلى ناحية قبلي هو ومملوكه صالح بك واجتمعت عليه أمراؤه وأجناده واستفحل أمره واصطلح مع عشيرته والبرديسي على ما في نفوسهما وما زال منجمعاً عن مخالطتهم وجرى ما جرى من مجيئهم حوالي مصر وحروبهم مع العساكر في أيام خورشيد أحمد باشا وانفصالهم عنها بدون طائل لتفاشلهم واختلاف آرائهم وفساد تدبيرهم ورجعوا إلى ناحية قبلي ثم عادوا إلى ناحية بحري بعد حروب ووقائع مع حسن باشا ومحمد علي وعساكرهم، ثم لما حصلت المفاقمة بينهما وبين خورشيد أحمد باشا وانتصر محمد علي بالسيد عمر مكرم النقيب والمشايخ والقاضي وأهل البلدة والرعايا وهاجت الحروب بين الباشا وأهل البلدة كما هو مذكور كانت الأمراء المصريون بناحية التبين والمترجم منعزل عنهم بناحية الطرانة والسيد عمر يراسله ويعده ويذكر له بأن هذا القيام من أجلك وإخراج هذه الأوباش ويعود الأمر إليكم، كما كان وأنت المعني بذلك لظننا فيك الخير والصلاح والعدل فيصدق هذا القول ويساعده بإرسال المال ليصرفه في مصالح المقاتلين والمحاربين ومحمد علي يداهن السيد عمر سراً ويتملق إليه ويأتيه ويراسله ويأتي إليه في أواخر الليل وفي أوساطه متردداً عليه في غالب أوقاته حتى تم له الأمر بعد المعاهدة والمعاقدة والأيمان الكاذبة على سيره بالعدل وإقامة الأحكام والشرائع والإقلاع عن المظالم ولا يفعل أمراً إلا بمشورته شورة العلماء وأنه متى خالف الشروط عزلوه وأخرجوه وهم قادرون على ذلك، كما يفعلون الآن فيتورط المخاطب بذلك القول ويظن صحته وأن كل الوقائع زلابية وكل ذلك سراً لم يشعر به خلافهم إلى أن عقد السيد عمر مجلساً عند محمد علي وأحضر المشايخ والأعيان وذكر لهم

أن هذا الأمر وهذه الحروب ما دامت على هذه الحالة لا تزداد إلا فشلاً ولا بد من تعيين شخص من جنس القوم للولاية فانظروا من تجدونه وتختارونه لهذا الأمر ليكون قائم مقام حتى يتعين من طرف الدولة من يتعين فقال الجميع الرأي ما تراه فأشار إلى محمد علي فأظهر التمنع وقال أنا لا أصلح لذلك ولست من الوزراء ولا من الأمراء ولا من أكابر الدولة فقالوا جميعاً قد اخترناك لذلك برأي الجميع والكافة والعبرة ورضا أهل البلاد وفي الحال أحضروا فروة ألبسوها له وباركوا له وهنؤه وجهروا بخلع خورشيد أحمد باشا من الولاية وإقامة المذكور في النيابة حتى يأتي المتولي أو يأتي له تقرير بالولاية ونودي في المدينة بعزل الباشا وإقامة محمد علي في النيابة إلى أن كان ما هو مسطور قبل ذلك في محله، فلما بلغ المترجم ذلك وكان ببر الجيزة ويراسل السيد عمر مكرم والمشايخ فانقبض خاطره ورجع إلى البحيرة وأراد دمنهور فامتنع عليه أهلها وحاربوه وحاربهم و لم ينل منهم غرضاً والسيد عمر يقويهم ويمدهم ويرسل إليهم البارود وغيره من الاحتياجات وظهر للمترجم تلاعب السيد عمر مكرم معه وكأنه كان يقويه على نفسه فقبض على السفير الذي كان بينهما وحبسه وضربه وأراد قتله ثم أطلقه ثم عاد إلى بر الجيزة وسكنت الفتنة واستقر الأمر لمحمد علي باشا وحضر قبطان باشا إلى ساحل أبي قير ووصل سلحداره إلى مصر وأنزل أحمد باشا المخلوع عن الولاية من القلعة إلى بولاق ليسافر ومنع محمد علي من الذهاب والمجيء إلى المصريين وأوقف أشخاصاً براً وبحراً يرصدون من يأتي من قبلهم أو يذهب إليهم بشيء من متاع وملبوس وسلاح وغير ذلك ومن عثروا عليه بشيء قبضوا عليه وأخذوا ما معه وعاقبوه فامتنع الباعة والمتسببون وغيرهم من الذهاب إليهم بشيء مطلقاً فضاق خناق المترجم بأن أرسل محمد كتخداه يطلب الصلح مع الباشا فانسر لذلك وفرح واعتقد صحة ذلك وأنعم على الكتخدا وعبي هدية جليلة لمخدومه من ملابس وفراوى وأسلحة وخيام ونقود وغير ذلك وعندها قضى الكتخدا أشغاله من مطلوبات مخدومه واحتياجاته له ولأتباعه وأمرائه ووسق مراكب وذهب بها جهاراً من غير أن يتعرض له أحد وذهب صحبته السلحدار وموسى البارودي، ثم عاد الكتخدا ثانياً وصحبته السلحدار وموسى البارودي وذكروا أنه يطلب كشوفية الفيوم وبني سويف والجيزة والبحيرة ومائتي بلد من الغربية والمنوفية والدقهلية يستغل

فائظها ويجعل إقامته بالجيزة ويكوت تحت الطاعة، فلم يرض الباشا بذلك وقال أننا صالحنا باقي الأمراء وأعطيناهم من حدود جرجا بالشروط التي شرطناها عليهم وهو داخل في ضمنهم فرجع محمد كتخدا له بالجواب بعد أن قضى أشغاله واحتياجاته ولوازمه من أمتعة وخيام وسروج وغير ذلك وتمت حيلته وقضى أغراضه وذهب إلى الفيوم وتحارب جنده مع جند ياسين بك وانخدل فيها ياسين بك، ثم عاد شاهين بك الألفي بجند كثير بعد شهور إلى بر الجيزة وخرج محمد علي باشا لمحاربته بنفسه فكانت له الغلبة وقتل في هذه الوقعة على كاشف الذي كان تزوج بزوجة حسن بك الجداوي وهي بنت حسن بك شنن رآه الأخصام منجملاً فظنوه الباشا فأحاطوا به وأخذوه أسيراً ثم قتلوه ورجع الباشا إلى بر مصر واجتهد في تشهيل تجريدة أخرى وكل ذلك مع طول المدى.

وفي أثناء ذلك، مات بشنك بك المعروف بالألفي الصغير مبطوناً بناحية قبلي، ثم أن المترجم خرج من الفيوم في أوائل المحرم من السنة المذكورة، وكان حسن باشا طاهر بناحية جزيرة الهواء بمن معه من العساكر فكانت بينهما واقعة عظيمة الهزم فيها حسن باشا إلى الرقق وأدركه أخوه عابدين بك فأقام معه الرفق، كما تقدم وحضر الألفي إلى بر الجيزة وأنبابة وخرجت إليهم العساكر فكانت بينهم واقعة بسوق الغنم ظهر عليهم فيها أيضاً، ثم سار مبحراً وعدى من عسكره وجنده جملة إلى السبكية

فأخذوا منهاما أخذوه وعادوا إلى أستاذهم بالطرانة، ثم أنه انتقل راحلاً إلى البحيرة وحرب دمنهور ومحاصرتها وكانوا قد حصنوها غاية التحصين، فلم يقدر عليها فعاد إلى ناحية وردان، ثم رجع إلى حوش ابن عيسى لأنه بلغه وصول مراكب وبها أمين بك تابعه وعدة عساكر من النظام الجديد وأشخاص من الإنكليز لأنه كان مع ما هو فيه من التنقلات والحروب يراسل الدولة والإنكليز وأرسل بالخصوص أمين بك إلى الإنكليز فسعوا مع الدولة بمساعدته، وحضروا إليه بمطلوبه فعمل لهم بحوش بن عيسى شنكاً وأرسلهم مع أمين بك إلى الأمراء القبليين، فلما بلغ محمد علي باشا ذلك راسل الأمراء القبليين وداهنهم وأرسل لهم الهدايا فراجت أموره عليهم مع ما في صدورهم من الغل المترجم.

وفي أثر ذلك حضر قبطان باشا إلى الإسكندرية ووردت السعاة بخبر وروده وأن بعده واصل باشا والياً على مصر بالعفو عن المصريين، وكان من خبر هذه القضية والسبب في حركة القبطان إرساليات الألفي للإنكليز ومخاطبة الإنكليز الدولة ووزيرها المسمى محمد باشا السلحدار وأصله مملوك السلطان مصطفى ولا يخفى الميل إلى الجنسية فاتفق أنه اختلى بسليمان آغا تابع صالح بك الوكيل الذي كان يوسف باشا الوزير قلده سلحداراً وأرسله إلى إسلامبول وسأله عن المصريين هل بقي منهم غير الألفي فقال له جميع الرؤساء موجودن وعددهم له وهم ومماليكهم يبلغون ألفين وزيادة فقال إني أرى تمليكهم ورجوعهم على شروط نشترطها عليهم أولى من تمادي العداوة بينهم وبين هذا الذي ظهر من العسكر وهو رجل جاهل متحيل وهم لا يسهل بهم إجلاؤهم عن أوطانهم وأولادهم وسيادتهم التي ورثوها عن أسلافهم فيتمادى الحال والحروب بينهم وبينه واحتياج الفريقين إلى جمع العساكر وكثرة النفقات والعلائف والمصاريف فيجمعونها من أي وجه كان ويؤدي ذلك إلى خراب الإقليم فالأولى والمناسب صرف هذا المتغلب وإخراجه وتولية خلافه، فما رأيك في ذلك فقال له سليمان لا رأي عندي في ذلك وخاف أن يكون كلامه له باطناً خلاف الظاهر وأدرك منه ذلك فحلف له عند ذلك الوزير أن كلامه وخطابه له على ظاهره وحقيقته لكن لا بد من مصلحة للخزينة العامرة فقال له سليمان آغا إذا كان كذلك ابعثوا إلى الألفي بإحضار كتخداه محمد آغا لأنه رجل يصلح للمخاطبة لمثل ذلك ففعل وحضر المذكور في أقرب وقت وتمموا الأمر على مصلحة ألف وخمسمائة كيس كفلها محمد كتخدا المذكور يدفعها لقبطان باشا عند وصوله بيد سليمان آغا المذكور وكفالته أيضاً لمحمد كتخدا بعد إتمام الشروط التي قررها له مخدومه، ومن جملتها إطلاق بيع المماليك وشرائهم وجلب الجلابين لهم إلى مصر كعادتهم فإنهم كانوا منعوا ذلك من نحو ثلاث سنوات وغير ذلك، وسافر كل من سليمان آغا الوكيل ومحمد كتخدا بصحبته قبودان باشا حتى طلعوا على ثغر سكندرية فركب صحبة سلحدار القبودان فتلاقوا مع المترجم بالبحيرة وأعلموه بما حصل فامتلأ فرحاً وسروراً وقال لسليمان آغا اذهب إلى إخواننا بقبلي واعرض عليهم الأمر ولا يخفى أننا الآن ثلاثة فرق كبيرنا إبراهيم بك وجماعته والمرادية وكبيرهم هناك عثمان بك البرديسي وأنا وأتباعي فيكون ما يخص كل طائفة خمسمائة كيس فإذا استلمت منهم الألف كيس ورجعت إلى سلتك الخمسمائة كيس فركب المذكور وذهب إليهم واجتمع بهم وأخبرهم بصورة الواقع وطلب منهم ذلك القدر فقال البرديسي حيث أن الألفي بلغ من قدره أنه يخاطب الدول والقرانات ويراسلهم ويتمم أغراضه منهم ويولي الوزراء ويعزلهم بمراده ويتعين قبودان باشا في حاجته فهو يقوم بدفع المبلغ بتمامه لأنه صار الآن هو الكبير ونحن الجميع أتباع له وطوائف خفه بما فيه والدنا وكبيرنا إبراهيم بك وعثمان بك حسن وخلافه فقال سليمان آغا هو على كل حال واحد منكم وأخوكم، ثم أنه

اختلى مع إبراهيم بك الكبير وتكلم معه فقال إبراهيم بك أنا أرضى بدخولي أي بيت كان وأعيش ما بقي من عمري مع عيالي وأولادي تحت إمارة أي من كان من عشيرتنا أولى من هذا الشتات الذي نحن فيه ولكن كيف أفعل في الرفيق المخالف وهذا الذي حصل لنا كله بسوء تدبيره ونحسه وعشت أنا ومراد بك المدة الطويلة بعد موت أستاذنا وأنا أتغاضى عن أفعاله وأفعال أتباعه وأسامحهم في زلاتهم كل ذلك حذراً وخوفاً من وقوع الشر والقتل والعداوة إلى أن مات وخلف هؤلاء الجماعة المجانين وترأس البرديسي عليهم مع غياب أخيه الألفي وداخله الغرور وركن إلى أبناء جنسه وصادفهم واغترهم وقطع رحمه وفعل بالألفي الذي هو خشداشه وأخوه ما فعل ولا يستمع لنصح ناصح أولاً وآخراً، وما زال سليمان آغا يتفاوض معهم في ذلك أياماً إلى أن اتفق مع إبراهيم بك على دفع نصف المصلحة ويقوم المترجم بالنصف الثاني فقال سلموني القدر أذهب به وأخبره بما حصل فقالوا حتى ترجع إليه وتعلمه وتطيب خاطره على ذلك لئلا يقبضه، ثم يطالبنا بغيره، فلما رجع إليه وأخبره بما داره بينهم قال أما قولهم أني أكون أميراً عليهم فهذا لا يتصور ولا يصح أني أتعاظم على مثل والدي إبراهيم وعثمان بك حسن ولا على من هو في طبقتي من خشداشيني على أن هذا لا يعيبهم ولا ينقص

مقدارهم بأن يكون المتآمر عليهم واحداً منهم ومن جنسهم، ولك أمر لم يخطر لي ببال وأرضى بأدنى من ذلك ويأخذوا علي عهداً بما أشترطه على نفسي أننا إذا عدنا إلى أوطاننا أن لا أداخلهم في شيء ولا أقارشهم في أمر وأن يكون كبيرنا والدنا إبراهيم بك على عادته ويسمحوا لي بإقامتي بالجيزة ولا أعارضهم في شيء وأقنع بإيرادي الذي كان بيدي سابقاً فإنه يكفيني وإن اعتقدوا غدري لهم في المستقبل بسبب ما فعلوه معي من قتلهم حسين بك تابعي وتعصبهم وحرصهم على قتلي وإعدامي أنا وأتباعي فبعض ما نحن فيه الآن أنساني ذلك كله فإن حسين بك المذكور مملوكي وليس هو أبي ولا ابني من صلبي وإنما هو مملوكي اشتريته بالدراهم وأشتري غيره ومملوكي مملوكهم، وقد قتل لي عدة أمراء ومماليك في الحروب فأفرضه من جملتهم ولا يصيبني ويصيبهم إلا ما قدره الله علينا وعلى أن الذي فعلوه بي لم يكن لسابق ذنب ولا جرم حصل مني في حقهم بل كنا جميعاً إخواناً وتذكروا إشارتي عليهم السابقة في الالتجاء إلى الإنكليز وندموا على مخالفتي بعد الذي وقع لهم ورجعوا إلي، ثم أجمع رأيهم على سفري إلى بلاد الإنكليز فامتثلت ذلك وتجشمت المشاق وخاطرت بنفسي وسافرت إلى بلاد الإنكلترة وقاسيت أهوال البحار سنة وأشهراً كل ذلك لأجل راحتي وراحتهم وحصل ما حصل في غيابي ودخلوا مصر من غير قياس وبنوا قصورهم على غير أساس واطمأنوا إلى عدوهم وتعاونوا بع على هلاك صديقهم وبعد أن قضى غرضه منهم غدرهم وأحاط بهم وأخرجهم من البلدة وأهانهم وشردهم واحتال عليهم ثانياً يوم قطع الخليج فراجت حيلته عليهم أيضاً وأرسلت إليهم فنصحتهم فاستغشوني وخالفوني ودهل الكثير منهم البلد وانحصروا في أزقتها وجرى عليهم ما جرى من القتل الشنيع والأمر الفظيع، ولم ينج إلا من تخلف منهم أو ذهب من غير الطريق، ثم أنه الآن أيضاً يرسلهم ويدهنهم ويهاديهم ويصالحهم ويثبطهم عما فيه النجاح لهم وما أظن أن الغفلة استحكمت فيهم إلى هذا الحد فارجع إليهم وذكرهم بما سبق لهم من الوقائع فلعلهم ينتبهون من سكراتهم ويرسلون معك الثلثين أو النصف الذي سمح به والدنا إبراهيم بك وهذا القدر ليس فيه كبير مشقة فإنهم إذا وزعوا على كل أمير عشرة أكياس وعلى كل كاشف خمسة أكياس وكل جندي أو مملوك كيساً واحداً اجتمع المبلغ وزيادة وأنا أفعل مثل ذلك مع قومي والحمد لله ليسوا هم ولا نحن مفاليس وثمرة المال قضاء مصالح الدنيا وما نحن فيه الآن من أهم المصالح وقل لهم البذار قبل فوات الفرصة والخصم ليس بغافل ولا مهمل والعثمانيون عبيد الدرهم والدينار، فلما

فرغ من كلامه ودعه سليمان آغا ورجع إلى قبلي فوجد الجماعة أصروا على عدم دفع شيء ورجع إبراهيم بك أيضاً إلى قولهم ورأيهم ولما ألقى لهم سليمان آغا العبارات التي قالها صاحبهم وأنه يكون تحت أمرهم ونهيهم ويرضى بأدنى المعاش معهم ويسكن الجيزة إلى آخر ما قال قالوا هذا والله كله كلام لا أصل له ولا ينسى ثأره وما فعلناه في حقه وحق أتباعه ولو انعزل عنا وسكن قلعة الجبل فهو الألفي الذي شاع ذكره في الآفاق ولا تخاطب الدولة فيره وقد كنا في غيبته لا نطيق عفريتاً من عفاريته فكيف يكون هو وعفاريته الجميع ومن ينشئه خلافهم وداخلهم الحقد وزاد في وساوسهم الشيطان فقال لهم سليمان آغا اقضوا شغلكم في هذا الحين حتى تنجلي عنكم الأعداء الأغراب، ثم اقتلوه بعد ذلك وتستريحوا منه فقالوا هيهات بعد أن يظهر علينا فإنه يقتلنا واحداً بعد واحد ويخرجنا إلى البلاد، ثم يرسل يقتلنا وهو بعيد الفكر فلاناً من إليه مطلقاً وغرهم الخصم بتمويهاته وأرسل إليهم هدايا وخيولاً وسروجاً وأقمشة هذا ورسل القبودان تذهب وتأتي بالمخاطبات والعرضحالات حتى تمموا الأمر، كما تقدم.

وفي أثناء ذلك، ينتظر القبودان جواباً كافياً وسلحداره مقيم أيضاً عند المترجم والمترجم يشاغل القبودان بالهدايا والأغنام والذخيرة من الأرز والغلال والسمن والعسل، وغير ذلك إلى أن رجع إليه سليمان آغا بخفي حنين محزوناً مهموماً متحيراً فيما وقع فيه من الورطة مكسوف البال مع القبودان ووزير الدولة وكيف يكون جوابه للمذكور والقبودان جعل في الإبرة خيطين ليتبع الأروج، فلما وصل إليه سليمان آغا وأخبره أن الجماعة القبليين لا راحة عندهم وامتنعوا من الدفع ومن الحضور وأن المترجم يقوم بدفع القدر الذي يقدر عليه والذي يبقى ويتجمع عليه يقوم بدفعه فاغتاظ القبودان وقال أنت تضحك على ذقني وذقن وزير الدولة وقد تحركت الحركة على ظن أن الجماعة على قلب رجل واحد وإذا حصل من المالك للبلدة عصيان ومخالفة، و لم يكن فيهم مكافأة لمقاومته ساعدناهم بجيش من النظام الجديد وغيره وحيث أنهم متنافرون ومتحاسدون ومبخضون فلا خير فيهم وصاحبك هذا لا يكفي في المقاومة وحده ويحتاج إلى كثير. ولما ظهر لسليمان آغا الغيظ والتغير من القبودان خاف على نفسه أن يبطش به وعرف منه أن المانع له من ذلك غياب السلحدار عند المترجم لأنه قال له وأين سلحداري قال هو عند الألفي بالبحيرة فقال اذهب فأتني به وأحضر صحبته وكان موسى باشا المتولي قد حضر أيضاً فما صدق سليمان آغا بقوله ذلك وخلاصه من بين يديه فركب في الوقت وخرج من الإسكندرية فما هو إلا بعد عنها مقدار غلوة إلا والسلحدار قادم إلى سكندرية فسأله إلى أين يذهب فقال إن مخدومك أرسلني في شغل وها أنا راجع إليكم وذهب عند المترجم و لم يرجع.

وفي أثناء هذه الأيام، كان المترجم يحارب دمنهور وبعث إليه محمد علي باشا التجريدة العظيمة التي بذل فيها جهده وفيها جميع عساكر الدلاة وطاهر باشا ومن معه من عساكر الأرنؤد والأتراك وعسكر المغاربة فحاربهم وكسرهم وهزمهم شر هزيمة حتى ألقوا بأنفسهم في البحر ورجعوا في أسوأ حال فلو تجاسر المترجم وتبعهم لهرب الباقون من البلدة وخرجوا جميعاً على وجوههم من شدة ما داخلهم من الرعب ولكن لم يرد الله ذلك، و لم يجسروا للخروج عليه بعد ذلك.

وما تنحت عنه عشيرته و لم يلبوا دعوته وأتلفوا الطبخة وسافر القبودان وموسى باشا من ثغر سكندرية على الصورة المذكورة

استأنف المترجم أمراً آخر وراسل الإنكليز يلتمس منهم المساعدة وأن يرسلوا له طائفة من جنودهم ليقوى بهم على محاربة الخصم، كما التمس منهم في العام الماضي فاعتذروا له بأنهم صلح مع العثماني وليس في قانون الممالك إذا كانوا صلحاً أن يتعدوا على المتصادقين معهم ولا يوجهون نحوها عساكر إلا بإذن منهم أو بالتماس المساعدة في أمر مهم فغاية ما يكون المكالمة والترجي، ففعلوا وحصل ما تقدم ذكره و لم يتم الأمر، فلما خاطبهم بعد الذي جرى صادف ذلك وقوع الغرة بينهم وبين العثماني فأرسلوا إلى المارجم يعدون بإنفاذ ستة آلاف لمساعدته فأقام بالبحيرة ينتظر حضورهم نحو ثلاثة شهور، وكان ذلك أوان القيظ وليس، ثم زرع ولا نبات فضاقت على جيوشهم الناحية وقد طال انتظاره للإنكليز فتشكى العربان المجتمعون عليه وغيرهم لشدة ما هم فيه من الجهد وفي كل حين يعدهم بالفرج ويقول لهم اصبروا و لم يبق إلا القليل فلما اشتد بهم الجهد اجتمعوا إليه وقالوا له، إما أن تنتقل معنا إلى ناحية قبلي فإن أرض الله واسعة وإما أن تأذنلنا في الرحيل في طلب القوت فما وسعه إلا الرحيل مكظوماً مقهوراً من معاندة الدهر في بلوغ المآرب الأول مجيء القبودان وموسى باشا عل هذه الهيئة والصورة ورجوعهما على غير طائل الثاني عدم ملكه دمنهور وكان قصده أن يجعلها معقلاً ويقيم بها حتى تأتيه النجدة الثالث تأخر مجيء النجدة حتى قحطوا واضطروا إلى الرحيل الرابع وهو أعظمها مجانبة إخوانه وعشيرته وخذلانهم له وامتناعهم عن الانضمام إليه فارتحل من البحيرة بجيوشه ومن يصحبه من العربان حتى وصل إلى الأخصاص فنادى محمد علي باشا على العساكر بالخروج ولا يتأخر منهم واحد فخرجوا ليلاً ونهاراً حتى وصلوا إلى ساحل بولاق وعدوا إلى بر أنبابة وجيشوا بظاهرها وقد وصل المترجم إلى كفر حكيم يوم الثلاثاء ثامن عشر القعدة وانتشرت جيوشه بالبر الغربي ناحية أنبابة والجيزة وركب الباشا وأصناف العساكر ووقفوا على ظهر خيولهم واصطفت الرجالة ببنادقهم وأسلحتهم ومر المترجم في هيئة عظيمة هائلة وجيوش تسد الفضاء وهم مرتبون طوابير ومعهم طبول وصحبته قبائل العرب من أولاد علي والهنادي وعربان الشرق في كبكة وزائدة والباشا والعسكر وقوف ينظرون إليهم من بعيد وهو يتعجب ويقول هذا طهماز الزمان وإلا إيش يكون، ثم يقول للدلاة والخيالة تقدموا وحاربوا وأنا أعطيكم كذا وكذا من المال ويذكر لهم مقادير عظيمة ويرغبهم، فلم يتجاسروا على الإقدام وصاروا باهتين ومتعجبين ويتناجون فيما بينهم ويتشاورون في تقدمهم وتأخرهم وقد أصابوه بأعينهم، و لم يزل سائراً حتى وصل إلى قريب قناطر شبرامنت فترل علي علوة هناك وجلس عليها وزاد به الهاجس والقهر ونظر إلى جهة مصر وقال يا مصر انظري إلى أولادك وهم حولك مشتتين متباعدين مشردين واستوطنك أجلاف الأتراك واليهود وأراذل الأرنؤد وصاروا يقبضون خراجك ويحاربون أولادك ويقاتلون أبطالك ويقاومون فرسانك ويهدمون دورك ويسكنون قصورك ويفسقون بولدانك وحورك ويطمسون بهجتك ونورك، و لم يزل يردد هذا الكلام وأمثاله وقد تحرك به خلط دموي وفي الحال تقايا دماً وقال قضي الأمر وخلصت مصر لمحمد علي وما ثم من ينازعه ويغالبه وجرى حكمه على المماليك المصرية، فما أظن أن تقوم لهم راية بعد اليوم، ثم إنه أحضر أمراءه وأمر عليهم شاهين بك وأوصاه بخشداشينه وأوصاهم به وأن يحرصوا على دوام الألفة بينهم وترك التنازع الموجب للتفرق والتفاشل وأن يحذروا من مخادعة عدوهم وأوصاهم أنه إذا مات يحملونه إلى وادي البهنا ويدفنونه بجوار قبور الشهداء، فمات في تلك الليلة وهي ليلة الأربعاء تاسع عشر ذي القعدة، فلما مات غطوه وكفنوه وصلوا عليه وحملوه على بعير وأرسلوه إلى البهنا ودفنوه هناك بجوار الشهداء وانقضى نحبه فسبحان من له سرمدية البقاء وفي الحال حضر المبشر إلى محمد علي باشا وبشره بموت المترجم، فلم يصدقه واستغرب ذلك وحبس البدوي الذي أتاه بالبشارة أربعة

أيام وذلك لأن أتباعه كانوا كتموا أمر موته و لم يذيعوه في عرضيه والذي أشاع الخبر وأتى بالبشارة رفيق البدوي الذي حمله على بعيره ولما ثبت موته عند الباشا امتلأ فرحاً وسروراً وكذلك خاصته

ورفعوا رؤسهم وأحضر ذلك المبشر فألبسه فروة سمور وأعطاه مالاً وأمره أن يركب بتلك الخلعة ويشق بها من وسط المدينة ليراه أهل البلدة وشاع ذلك الخبر في الناس من وقت حضور المبشر وهم يكذبون ذلك الخبر ويقولن هذا من جملة تحيلاته فإنه لما سافر إلى بلاد الإنكليز لم يعلم بسفره أحد و لم يظهر سفره إلا بعد مضي أشهر فلذلك أمر الباشا ذلك المبشر أن يركب بالخلعة ويمر بها من وسط المدينة ومع ذلك استمروا في شكهم نحو شهرين حتى قويت عندهم القرائن بما حصل بعد ذلك فإنه لما مات تفرقت قبائل العربان التي كانت مجتمعة حوله وبعضهم أرسل يطلب أماناً من الباشا وغير ذلك مما تقدم ذكره وخبره في ضمن ما تقدم وكان محمد علي باشا يقول ما دام هذا الألفي موجوداً لا يهنأ لي عيش ومثال أنا وهو مثال بهلوانين يلعبان على الحبل لكن هو في رجليه قبقاب، فلما أتاه المبشر بموته قال بعد أن تحقق ذلك الآن طابت لي مصر وما عدت أحسب لغيره حساباً.

وكان المترجم أميراً جليلاً مهيباً محتشماً مدبراً بعيد الفكر في عواقب الأمور صحيح الفراسة إذا نظر في سحنة إنسان عرف حاله وأخلاقه بمجرد النظر إليه قوي الشكيمة صعب المراس عظيم البأس ذا غيرة حتى على من ينتمي إليه أو ينسب إلى طرفه يحب علو الهمة في كل شيء حتى أن التجار الذين يعاملهم في المشتروات لا يساومهم ولا يفاصلهم في أثمانها بل يكتبون الأثمان بأنفسهم كما يحبون ويريدون في قوائمهم ويأخذها الكاتب ليعرضها عليه فيمضي عليها ولا ينظر فيها ويرى أن النظر في مثل ذلك أو المحاققة فيه عيب ونقض يخل بالأمرية ولا تمضي السنة إلا والجميع قد استوفوا حقوقهم ويستأنفوا احتياجات العام الجديد ولذلك راج حال المعاملين له رواجاً عظيماً لكثرة ربحهم عليه ومحاسبهم ومع ذلك يواسيهم في جملة أحبابه والمنتسبين إليه بإرسال الغلال لمؤونة بيوتهم وعيالهم وكساوى العيد وينتصر لأتباعه ولمن انتمى إليه ويحب لهم رفعة القدر عن غيرهم مع أنه إذا حصل من أحد منهم هفوة تخل بالمروءة عنفه وزجره فترى كشافه ومماليكه مع شدة مراسهم وقوة نفوسهم وصعوبتهم يخافونه خوفاً شديداً ويهابون خطابه.

ومن عجيب أمره ومناقبه التي انفرد بها عن غيره امتثال جميع قبائل العربان الكائنين بالقطر المصري لأمره وتسخيرهم وطاعتهم له لا يخالفونه في شيء وكان له معهم سياسة غريبة ومعرفة بأحوالهم وطبائعهم فكأنما هو مربي فيهم أو ابن خليفتهم أو صاحب رسالتهم يقومون ويقعدون لأمره مع أنه يصادرهم في أموالهم وجمالهم ومواشيهم ويحبسهم ويطلقهم ويقتل منهم ومع ذلك لا ينفرون منه وقد تزوج كثيراً من بناتهم فالتي تعجبه يبقيها حتى يقضي وطره منها والتي لا توافق مزاجه يسرحها إلى أهلها، و لم يبق في عصمته غير واحدة وهي التي أعجبته فمات عنها، فلما بلغ العرب موته اجتمعت بنات العرب وصرن يندبنه بكلام عجيب تناقلته أرباب المغاني يغنون به على آلات اللهو المطربة وركبوا عليه أدواراً وقوافي وغير ذلك والعجب منه رحمه الله أنه لما كان في دولتهم السابقة ويترل في كل سنة إلى شرقية بلبيس ويتحكم في عربانها ويسومهم العذاب بالقبض عليهم ووضعهم في الزناجير ويتعاون على البعض منهم بالبعض الآخر ويأخذ منهم الأموال والخيول والأباعر والأغنام ويفرض عليهم الفرض الزائدة ويمنعهم من التسلط على فلاحي البلاد، ثم إنه لما رجع من بلاد الإنكليز وتعصب عليه البرديسي والعسكر

وأحاطوا به من كل جانب فاختفى منهم وهرب إلى الوادي عند عشيبة البدوي فآواه وأخفاه وكتم أمره والبرديسي ومن معه يبالغون في الفحص والتفتيش وبذل الأموال والرغائب لمن يدل عليه أو يأتي به، فلم يطمعوا في شيء من ذلك، و لم يفشوا سره وقيدوا بالطرق الموصلة له أنفاراً منهم تحرس الطريق من طارق يأتي على حين غفلة وهذا من العجائب حتى كان كثير من الناس يقولون أنه يسخرهم أو معه سر يسخرهم به، فلما مات تفرق الجميع و لم يجتمعوا على أحد بعده وذهبوا إلى أماكنهم وبعضهم طلب من الباشا الأمان وأما مماليكه وأتباعه فلم يفلحوا بعده وذهبوا إلى الأمراء القبليين فوجدوا طباعهم متنافرة عنهم، و لم يحصل بينهم التئام ولا صفا كدر الفريقين من الآخر فانعزلوا عنهم إلى أن جرى ما جرى من صلحهم مع الباشا وأوقع بهم ما سيتلى عليك بعد أن شاء الله تعالى وبعد موت المترجم بنحو الأربعين يوماً وصلت نجدة الإنكليز إلى ثغر الإسكندرية وطلعوا إليه فبلغهم عند ذلك موت المذكور، فلم يسهل بهم الرجوع فأرسلوا رسلهم إلى الجماعة المصريين ظانين أن فيهم أثر الهمة والنخوة يطلبونهم للحضور ويساعدهم الإنكليز على ردهم لمملكتهم وأوطانهم وكان محمد علي باشا حين ذاك بناحية قبلي يحاربهم فطلبهم للصلح معه وأرسل إليهم بعض فقهاء الأزهر وخادعهم وثبطهم فقعدوا عن الحركة وجرى ما جرى على طائفة الإنكليز، كما سيتلى عليك خبره، ثم عليهم بعد ذلك وكان أمر الله مفعولا.

وكان للمترجم ولوع ورغبة في مطالعة الكتب خصوصاً العلوم الغريبة مثل الجفريات والجغرافيا والأسطرنوميا والأحكام النجومية والمناظرات الفلكية وما تدل عليه من الحوادث الكونية ويعرف أيضاً مواضع المنازل وأسماءها وطبائعها والخمسة المتحيرة وحركات الثوابت ومواقعها كل ذلك بالنظر والمشاهدة والتلقي على طريقة العرب من غير مطالعة في كتاب ولا حضور درس وإذا طالع أحد بحضرته في كتاب أو أسمعه ناضله مناضلة منضلع وناقشه مناقشة متطلع وله أيضاً معرفة بالأشكال الرملية واستخراجات الضمائر بالقواعد الحرفية، وكان له في ذلك إصابات ومنها ما أخبرني به بعض أتباعه أنه لما وصل إلى ثغر سكندرية راجعاً من بلاد الإنكليز رسم شكلاً وتأمل فيه وقطب وجهه، ثم قال إني أرى حادثاً في طريقنا وربما أني أفترق منكم وأغيب عنكم نحو أربعين يوماً، فلذلك أحب أن يخفي أمره ويأتي على حين غفلة وكان البرديسي قد أقام بالثغر رقيباً يوصل خبر وروده، فلما وصل أرسل ذلك الرقيب ساعياً في الحال، وكان ما ذكرناه في سياق التاريخ بشتك بك من القصر وإرسال العسكر لملاقاة المترجم على حين غفلة ليقتلوه وهروبه واختفاؤه، ثم ظهوره واجتماعهم عليه بعد انقضاء تلك المدة أو قريب منها، وكان رحمه الله إذا سمع بإنسان فيه معرفة بمثل هذه الأشياء أحضره ومارسه فيها فإن رأى فيه فائدة أو مزية أكرمه وواساه وصاحبه وقربه إليه وأدناه، وكان له مع جلسائه مباسطة مع الحشمة والترفع عن الهذيان والمجون وكان غالب إقامته بقصوره التي عمرها خارج مصر وهو القصر الكبير بمصر القديمة تجاه المقياس بشاطئ النيل والقصر الآخر الكائن بالقرب من زاوية الدمرداش والقصر الذي بجانب قنطرة المغربي على الخليج الناصري، وكان إذا خرج من داره لبعض تلك القصور لا يمر من وسط المدينة وإذا رجع كذلك فسئل عن سبب ذلك فقال أستحي أن أمر من وسط الأسواق وأهل الحوانيت والمارة ينظرون إلي وأفرجهم على نفسي.

وللمترجم أخبار وسير ووقائع لو سطرت لكانت سيرة مستقلة خصوصاً وقائعه وسياحته ثلاث سنوات وثلاثة أشهر أيام أقام الفرنساوية بالقطر المصري ورحلته بعد ذلك إلى بلاد الإنكليز وغيابه بها سنة وشهوراً، وقد تهذبت أخلاقه بما اطلع عليه من

عمارة بلادهم وحسن سياسة أحكامهم وكثرة أموالهم ورفاهيتهم وصنائعهم وعدلهم في رعيتهم مع كفرهم بحيث لا يوجد فيهم فقير ولا مسجد ولا ذو فاقة ولا محتاج وقد أهدوا له هدايا وجواهر وآلات فلكية وأشكال هندسية واسطرلابات وكرات ونظارات وفيها ما إذا نظر الإنسان فيها في الظلمة يرى أعيان لأشكال، كما يراها في النور ومنها لخصوص النظر في الكواكب فيرى بها الإنسان الكوكب الصغير عظيم الجرم وحوله عدة كواكب لا تدرك بالبصر الحديد ومن أنواع الأسلحة الحربية أشكال تدور بحركات فيظهر منها أصوات مطربة على إيقاع الأنغام وضروب الألحان وبها نشانات وعلامات لتبديل الأنغام بحسب ما يشتهي السامع إلى غير ذلك نهب ذلك جميعه العسكر الذين أرسلهم إليه البرديسي ليقتلوه وطفقوا يبيعونه في أسواق البلدة وأغلبه تكسر وتلف وتبدد.

وأخبرني بعض من خرج لملاقاته عند منوف العليا أنه لما طلع إليها وقابله سليمان بك البواب أخلى له الحمام في تلك الليلة وكان قد بلغه كافة أفعاله بالمنوفية من العسف والتكاليف وكذا باقي إخوانه وأفعالهم بالأقاليم فكان مسامرتهم معه تلك الليلة في ذكر العدالة الموجبة لعمار البلاد ويقول لسليمان بك في التمثيل الإنسان الذي يكون له ماشية يقتات هو وعياله من لبنها وسمنها وجبنها يلزمه أن يرفق بها في العلف حتى تدر وتسمن وتنتج له النتاج بخلاف ما إذا أجاعها وأجحفها وأتعبها وأشقاها وأضعفها حتى إذا ذبحها لا يجد بها لحماً ولا دهناً فقال هذا ما اعتدناه وربينا عليه فقال إن أعطاني الله سيادة مصر والإمارة في هذا القطر لأمنعن هذه الوقائع وأجري فيه العدل ليكثر خيره وتعمر بلاده وترتاح أهله ويكون أحسن بلاد الله ولكن الإقليم المصري ليس له بخت ولا سعد وأهله تراهم مختلفين في الأجناس متنافوي القلوب منحرفي الطباع، فلم يمض على هذا الكلام إلا بقية الليل وساعات النهار حتى أحاطوا به وفر هارباً ونجا بنفسه وجرى ما تقدم ذكره من اختفائه وظهوره وانتقاله إلى الجهة القبلية واجتماع الجيوش عليه وحكمت عليه الصورة التسي ظهر فيها وحصل له ما حصل.

وأخبرني من اجتمع عليه في البحيرة وسامره فقال يا فلان والله يخيل لي أن أقتل نفسي ولكن لا تهون علي وقد صرت الآن واحداً بين ألوف من من الأعداء وهؤلاء قومي وعشيرتي فعلوا بي ما فعلوا وتجنبوني وعاودني من غير جرم ولا ذنب سبق مني في حقهم وأشقوني وأشقوا أنفسهم وملكوا البلاد لأعدائي وأعدائهم وسعيت واجتهدت في مراضاتهم ومصالحتهم والنصح لهم، فلم يزدهم ذلك إلا نفوراً وتباعداً عني، ثم هذه الجنود ورئيسهم الذين ولجوا البلاد وذاقوا حلاوتها وشبعوا بعد جوعهم وترفهوا بعد ذلهم يجيشون علي ويحاربوني ويكيدوني ويقاتلوني، ثم أن هؤلاء العربان المجتمعين علي أصانعهم وأسوسهم وآغاضبهم وأراضيهم وكذلك جندي ومماليكي وكل منهم يطلب مني رياسة وإماؤة ويظنون بغفلتهم أن البلاد تحت حكمي ويظنون أني مقصر في حقهم فتارة أعاملهم باللطف وتارة أزجرهم بالعنف فأنا بين الكل مثل الفريسة والجميع حولي مثل الكلاب الجياع يريدون نهشي وأكلي وليس بيدي كنوز قورن فأنفق على هؤلاء الجموع منها فيضطرني الحال إلى التعدي على عبد الله وأخذ أموالهم وأكل مزارعهم ومواشيهم فإن قدر الله لي بالظفر عوضت عليهم ذلك ورفقت بحالهم وإن كانت الأخرى فالله يلطف بنا وبهم ولا بد أن يترحموا علينا ويسترضوا عن ظلمنا وجورنا بالنسبة لما يحل بهم بعدنا.

وبالجملة فكان آخر من أدركنا من الأمراء المصريين شهامة وصرامة ونظراً في عواقب الأمور، وكان وحيداً في نفسه فريداً في أبناء جنسه وبموته اضمحلت دولتهم وتفرقت جمعيتهم وانكسرت شوكتهم وزادت نفرتهم، وما زالوا في نقص وإدبار وذلة

وهوان وصغار، ولم تقم لهم بعده راية وانقرضوا وطردوا إلى أقصى البلاد في النهاية.

وأما مماليكه وصناجقه فإنهم تركوا نصيحته ونسوا وصيته وانضموا إلى عدوهم وصادقوه، ولم يزل بهم حتى قتلهم وأبادهم عن آخرهم، كما سيتلى عليك خبر ذلك فيما بعد.

وكانت صفة المترجم معتدل القامة أبيض اللون مشرباً بحمره جميل الصورة مدور اللحية أشقر الشعر وقد خطه الشيب مليح العينين مقرون الحاجبين معجباً بنفسه مترفهاً في زيه وملبسه كثيراً الفكر كتوماً لا يبيح بسر ولا لأعز أحبابه إلا أنه لم يسعفه الدهر وجنى عليه بالقهر وخاب أمله وانقضى أجله وخانه الزمان وذهب في خبر كان، ومات وله من العمر نحو الخمسة والخمسين سنة غفر الله له.

ومات الأمير عثمان بك البرديسي المرادي وسمي البرديسي لأنه تولى كشوفية برديس بقبلي فعرف بذلك واشتهر به تقلد الأمرية والصنجقية في سنة عشر ومائتين وألف وتزوج ببنت أحمد كتخدا علي وهي أخت علي كاشف الشرقية وعمل لها مهما وذلك قبل أن يتقلد الصنجقية وسكن بدار علي كتخدا الطويل بالأزبكية واشتهر ذكره وصار معدوداً من جملة الأمراء ولما قتل عثمان بك البرديسي المرادي بساحل أبو قير ورجع من رجع إلى قبلي كان الألفي إلى بلاد الإنكليز تعين المترجم بالرياسة على خشدشينه مع مشاركة بشنك بك الذي عرف بالألفي الصغير، فلما حضروا إلى مصر في سنة ثمان عشرة بعد خروج محمد باشا خسرو وقتل طاهر باشا انضم إليه محمد علي باشا وكان إذ ذاك سرششمة العساكر وتواخى معه وصادقه ورمح في ميدان غفلته وتحالفا وتعاهدا على المحبة والمصافاة وعدم خيانة أحدهما للآخر وأن يكون محمد علي باشا وعساكره الأروام أتباعاً له وهو الأمير المتبوع فانتفخ جأشه لأنه كان طائش العقل مقتبل الشبيبة فاغتر بظاهر محمد علي باشا لأنه حين عمل شغله في مخدومه محمد باشا وبعده طاهر باشا دعا الأمراء المصريين وأدخلهم إلى مصر وانتسب إلى إبراهيم بك الكبير لكونه رئيس القوم وكبيرهم وعين لإبراهيم بك خرجاً وعلوفة مثل أتباعه وسبره واختبره، فلم ترج سلعته عليه ووجده حريصاً على دوام التراحم والألفة والمحبة وعدم التفاشل في عشيرته وأبناء جنسه متحرزاً من وقوع ما يوجب التقاطع والتنافر في قبيلته، فلما أيس منه مال عنه وانضم إلى المترجم واستخفه واحتوى على عقله وصاحبه وصادقه وصار يختلي معه ويتعاقر معه الشراب ويسامره ويسايره حتى باح له بما في ضميره من الحقد لإخوانه وتطلب الانفراد بالرياسة فصار يقوي عزمه ويزيد في إغرائه ويعده بالمعاونة والمساعدة على إتمام قصده، ولم يزل به حتى رسخ في ذهن المترجم نصحه وصدقه كل ذلك توصلاً لما هو كامن في نفسه من إهلاك الجميع، ثم أشار عليه ببناء أبراج حول داره التي سكن بها بالناصرية، فلما أتمها أسكن بها طائفة من عساكره كأنهم محافظون لما عساه أن يكون ثم، سار معه إلى حرب محمد باشا خسرو بدمياط فحاربوه وأتوا به أسيراً وحبسوه، ثم فعلوا بالسيد علي القبطان مثل ذلك، ثم كائنة علي باشا الطرابلسي وقتله، وقد تقدم خبر ذلك كله وجميعه ينسب فعله للمصريين ولم يبق الإيقاع بينهم فكان وصول الألفي عقب ذلك فأوقعوا به وبجنده ما تقدم ذكره وتفاشلوا وتفرقوا بعد جمعهم وقلوا بعد الكثرة، ثم أشار على المترجم المصادق الناصح بتفريق أكثر الجمع الباقي في النواحي والجهات البعض منهم لرصد الألفي والقبض عليه وعلى جنده والبعض الآخر لظلم الفلاحين في البلاد، ولم يبق بالمدينة غير المترجم وإبراهيم بك الكبير وبعض أمراء، فعند ذلك سلط محمد علي العساكر بطلب علائفهم المنكسرة فعجزوا عنها فأراد المترجم أن يفرض على

فقراء البلدة فرضة بعد أن استشار الأخ النصوح وطافت الكتاب في الحارات والأزقة يكتبون أسماء الناس ودورهم ففزعوا وصرخوا في وجوه العسكر فقالوا نحن ليس لنا عندكم شيء ولا نرضى بذلك وعلائفنا عند أمرائكم، ونحن مساعدون لكم فعند ذلك قاموا على ساق وخرجت نساء الحارات وبأيديهم الدفوف يغنون ويقولون إيش تأخذ من تفليسي يا برديسي وصاروا يسخطون على المصريين ويترضون عن العسكر وفي الحال أحاطت العسكر ببيوت الأمراء، ولم يشعر البرديسي إلا والعسكر الذين أقامهم بالأبراج لتي بناها حوله ليكونوا له عزاً ومنعة يضربون عليه ويحاربونه ويريدون قتله وتسلقوا عليه، فلم يسع الجميع إلا الهروب والفرار وخرجوا خروج الضب من الوجار، وذهب المترجم إلى الصعيد مذؤماً مدحوراً مذموماً مطروداً وجوزي مجازاة من ينتصر بعدوه ويعول عليه ويقص أجنحته برجليه وكالباحث على حتفه بظلفه والجادع بظفره مأرن أنفه، ولم يزل في هجاج وحروب، كما سطر في السياق، ولم ينتصر في معركة، ولم يزل مصراً على معاداة أخيه الألفي وحاقداً عليه وعلى أتباعه حريصاً على زلاته وأعظمها قضية القبودان وموسى باشا إلى غير ذلك وكان ظالماً غشوماً طائشاً سيئ التدبير، وقد أوجده الله جل جلاله وجعله سبباً لزوال عزهم ودولتهم واختلال أمرهم وخراب دورهم وهتك أعراضهم ومذاقم وتشتيت جمعهم، ولم يزل خبثه مرض ومات بمنفلوط ودفن هناك.

ومات الأمير بشتك بك وهو الملقب بالألفي الصغير وهو مملوك محمد بك الألفي الكبير أمره وجعله وكيلاً عنه مدة غيابه في بلاد الإنكليز، وكان قبل ذلك سلحداره وأمر كشافه ومماليكه وجنده بطاعته وامتثال أمره، فلما حضر الأمراء المصريون في سنة ثمان عشرة أقام هو بقصر مراد بك بالجيزة فلم يحسن السياسة وداخله الغرور وأعجب بنفسه وشمخ على نظراته وعلى أعمامه الذين هم خشداشون لأستاذه وعلى إبراهيم بك الكبير الذي هو بمنزلة جده وكان مراد بك الذي هو أستاذ أستاذه يراعي حقه ويتأدب معه ويقبل يده في مثل الأعياد ويقول هو أميرنا وكبيرنا وكذلك أستاذ المترجم كان إذا دخل على إبراهيم بك قبل يده ولا يجلس بحضرته إلا بعد أن يأذن له، فلم يقتف المترجم في ذلك أسلافه بل سلك مسلك التعاظم والتكبر على الجميع واستعمل العسف في أموره مع الترفع على الجميع وإذا عقدوا أمراً بدونه حله أو حلوا شيئاً بدونه عقده فضاق لذلك خناق الجميع منه وكرهوه وكرهوا أستاذه، وكان هو من جملة أسباب نفورهم من أستاذه وانحراف قلوبهم عنه، فلما رجع أستاذه وظهر من اختفائه وبلغه أفعاله مقته وأبعده، ولم يزل ممقوتاً عنده حتى مات مبطوناً في حياة أستاذه بناحية قبلي في تلك السنة.

ومات غير هؤلاء ممن له ذكر مثل سليمان بك المعروف بأبو دياب بناحية قبلي أيضاً ومات أيضاً أحمد بك المعروف بالهنداوي الألفي في واقعة النجيلة ومات أيضاً صالح بك الألفي وهو أيضاً من تامر في غياب أستاذه من بلاد الإنكليز كان هو متولياً كشوفية الشرقية وغائباً هناك فأرسلوا له تجريدة ليقتلوه وكان بناحية شلشلمون فوصله الخبر فترك خيامه وأحماله وأثقاله وهرب واختفى، فلما وقعت حادثة الأمراء مع العسكر وخرجوا من مصر هاربين وظهر الألأفي من الوادي ذهب إليه وأمده بما معه من الأموال وذهب مع أستاذه إلى قبلي، ولم يزل حتى مات أيضاً في هذه السنة وغير أولئك كثير لم تحضرني أسماؤهم ولا وفاقم.

ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين ومائتين وألف

وكان ابتداء المحرم يوم الأربعاء

فيه وصل القابجي الذي على يده التقرير لمحمد علي باشا على ولاية مصر وطلع إلى بولاق.

وفيه وردت مكاتبات من الجهة القبلية فيها أنهم كبسوا على عرضي الألفية وصحبتهم سليمان بك البواب وحاربوهم وهزموهم ونهبوا حملاتهم وقطعوا منهم عدة رؤوس وهي واصلة في طريق البحر وصادفت هذه البشارة مع بشارة ورود القابجي ووصوله فعمل لذلك شنك ضربت لذلك مدافع كثيرة من القلعة في كل وقت من الأوقات الخمسة ثلاثة أيام آخرها الجمعة، ثم أنه مضى عدة أيام، و لم تحضر الرؤوس التي أخبروا عنها واختلفت الروايات في ذلك.

وفي يوم الثلاثاء سابعه، عملوا جمعية ببيت القاضي حضرها المشايخ والأعيان وذكروا أنه لما وردت الأوامر بتحصين الثغور فأرسل الباشا سليمان آغا ومعه طائفة من العسكر وأرسل إلى أهالي الثغور والمحافظين عليها مكاتبات بأنهم إن كانوا يحتاجون إلى عساكر فيرسل لهم الباشا عساكر زيادة على الذين أرسلهم فأجابوا بأن فيهم الكفاية ولا يحتاجون إلى عساكر زيادة تأتيهم من مصر فإنهم إذا كثروا في البلد تأتي منهم الفساد والإفساد فعملوا هذه الجمعية لإثبات هذا القول ولخلاص عهدة الباشا لئلا يتوجه عليه اللوم من السلطنة وينسب إليه التفريط.

وفي تاسعه، وردت مكاتبات مع السعاة من ثغر الإسكندرية وذلك يوم الخميس وقت العصر وفيها الأخبار بورود مراكب الإنكليز وعدتها اثنان وأربعون مركباً فيها عشرون قطعة كباراً والباقي صغار فطلبوا الحاكم والقنصل وتكلموا معهم وطلبوا الطلوع إلى الثغر فقالوا لهم لا تمكنكم من الطلوع إلا بمرسوم سلطاني فقالوا لم يكن معنا مراسيم وإنما مجيئنا لمحافظة الثغر من الفرنسيس فإنهم ربما طرقوا البلاد على حين غفلة، وقد أحضرنا صحبتنا خمسة آلاف من العسكر نقيمهم بالأبراج لحفظ البلدة والقلعة والثغر، فقالوا لهم لم يكن معنا إذن وقد أتتنا مراسيم بمنع كل من وصل عن الطلوع من أي جنس كان فقالوا لا بد من ذلك فإما أن تسمحوا لنا في الطلوع بالرضا والتسليم وأما بالقهر والحرب والمهلة في رد الجواب بأحد الأمرين أربعة وعشرين ساعة ثم تندمون على الممانعة فكتبوا بذلك إلى مصر، فلما وصلت تلك المكاتبات اجتمع كتخدا بك وحسن باشا وبونابارته الخازندار وطاهر باشا والدفتردار والروزنامجي وباقي أعيانهم وذلك بعد الغروب وتشاوروا في ذلك، ثم أجمع رأيهم على إرسال الخبر بذلك إلى محمد علي باشا ويطلبونه للحضور هو ومن بصحبته من العساكر ليستعدوا لما هو أولى وأحق بإليهتمام ففعلوا ذلك وانصرفوا إلى منازلهم بعد حصة من الليل وأرسلوا تلك المكاتبة إليه في صبح يوم الجمعة صحبة هجانين وشاع الخبر وكثر لغط الناس في ذلك، ولما انقضت الأربعة وعشرون ساعة التي جعلها الإنكليز أجلاً بينهم وبين أهل الإسكندرية وهم في الممانعة ضربوا عليهم بالقنابر والمدافع الهائلة ممن البحر فهدموا جانباً من البرج الكبير، وكذلك الأبراج الصغار والسور فعند ذلك طلبوا الأمان فرفعوا عنهم الضرب ودخلوا البلدة وذلك يوم الجمعة التالي.

وفي ليلة الاثنين ثالث عشره، وردت مكاتبة من رشيد بذلك الخبر على سبيل الإجمال من غير معرفة حقيقة الحال بل بالعلم بأنهم طلعوا إلى الثغر ودخلوا البلدة وعدم علمهم بالكيفية وتغيب الحال واشتبه الأمر.

وفيه حضر قنصل الفرنساوية إلى مصر وكان بالإسكندرية، فلما وردت مراكب الإنكليز انتقل إلى رشيد، فلما بلغه طلوعهم إلى البر حضر إلى مصر وذكر أنه يريد السفر إلى الشام هو وباقي الفرنساوية القاطنين بمصر.

وفي ليلة الخميس سادس عشره، وردت مكاتبة من الباشا يذكر فيها أنه تحارب مع المصريين وظهر عليهم وأخذ منهم أسيوط وقبض على أنفار منهم وقتل في المعركة كثير من كشافهم ومماليكهم فعملوا في ذلك اليوم شنكاً وضربوا مدافع كثيرة من القلعة والأزبكية ثلاثة أيام في الأوقات الخمسة آخرها السبت وأشاعوا أيضاً أن الإسكندرية ممتنعة على الإنكليز وأنهم طلعوا إلى رأس التين والعجمي فخرج عليهم أهل البلاد والعساكر وحاربوهم وأجلوهم عن البر ونزلوا إلى المراكب مهزومين وأحرقوا منهم مركبين وأنه وصل إليهم عمارة العثمانيين والفرنساوية وحاربوهم في البحر وأحرقوا مراكبهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، ولم يبق منهم إلا القليل واستمر الأمر في هذا الخلط القبلي والبحري عدة أيام، ولم يأت من الإسكندرية سعاة ولا خبر صحيح.

وفيه وصل الكثير من أهالي الفيوم ودخلوا إلى مصر وهم في أسوأ حال من الشتات والعري مما فعل بهم ياسين بك فخرجوا على وجوههم وجلوا عن أوطانهم، ولم يمكنهم الخروج من بلادهم حتى ارتحل عنهم المذكور يريد الحضور إلى ناحية مصر عندما بلغه خبر حضور الإنكليز إلى ثغر إسكندرية.

وفي سابع عشره، وصل ياسين بك المذكور إلى ناحية دهشور وأرسل مكاتبة خطاباً للسيد عمر والقاضي وسعيد آغا يذكر فيها أنه لما بلغه وصول الإنكليز أخذته الحمية الإسلامية وحضر وصحبته ستة آلاف من العسكر ليرابط بهم بالجيزة أو بقليوب ويجاهد في سبيل الله فكتبوا له أجوبة مضمونها إن كان حضوره بقصد الجهاد فينبغي أن يتقدم بمن معه إلى الإسكندرية وإذا حصل له النصر تكون له اليد البيضاء والمنقبه والذكر والشهرة الباقية فإنه لا فائدة بإقامته بالجيزة أو قليوب وخصوصاً قليوب بالبر الشرقي، وكان حسن باشا خرج بعرضيه في موكب إلى ناحية الحلي قبل ذلك بأيام ويرجع إلى داره آخر النهار فيبيت بها، ثم يخرج في الصباح وعساكره وأوباشه ينتشرون بتلك النواحي يعبثون ويخطفون متاع الناس ومبيعات الفلاحين وأهل بولاق وفي كل يوم يشيعون بأنه مسافر إلى جهة البحيرة لمحاربة الإنكليز، فلما ورد خبر مجيء ياسين بك تأخر عن السفر وعملوا مشورة فاقتضى رأيهم أن حسن باشا يعدى إلى البر الغربي ويقيم بالجيزة لئلا يأتي ياسين ويملكها فعدى حسن باشا في يوم الاثنين عشرينه وأقام بها وأعرض عن السفر إلى جهة البحيرة.

وفيه وردت الأخبار الصحيحة بأخذ الإسكندرية واستيلاء الإنكليز عليها يوم الخميس المتقدم تاسع الشهر ودخلوها وملكوا الأبراج يوم الأحد صبيحة النهار وسكن ساري عسكرهم بوكالة القنصل وشرطوا مع أهالي البلد شروط منها أنهم لا يسكنون البيوت قهراً عن أصحابها بل بالمؤاجرة والتراضي ولا يمتهنون المساجد ولا يبطلون منها الشعائر الإسلامية وأعطوا أمين آغا الحاكم أماناً على نفسه وعلى من معه من العسكر وأنوا لهم بالذهاب إلى أي محل أرادوه ومن كان له دين على الديوان يأخذ نصيبه حالاً والنصف الثاني مؤجلاً ومن أراد السفر في البحر من التجار وغيرهم فليسافر في خفارتهم إلى أي جهة أراد ما عدا إسلامبول وأما العرب والشام وتونس وطرابلس ونحوها فمطلق السراح لا حرج ذهاباً وإياباً ومن شروطهم التي شركوها مع

أهل البلد أنهم إن احتاجوا إلى قومانيه أو مال لا يكلفون أهل الإسكندرية بشيء من ذلك وأن محكمة الإسلام تكون مفتوحة تحكم بشرائعها ولا يكلفون أهل الإسلام بقيام دعوى عند الإنكليز بين رضاهم والحمايات من أي بنديرة تكون مقبولة عند الإنكليز الموجودين في الإسكندرية ويقيمون مأمونين رعاية لخاطر أهل الإسكندرية و لم يحصل لهم شيء من المكروه من كامل الوجوه حتى الفرنساوية والجمارك من كل الجهات على كل مائة اثنان ونصف وعلى ذلك انتهت الشروط وليعلم أن هذه الطائفة من الإنكليز ومن انضم إليهم وعدتهم على ما قيل ستة آلاف لم تأت إلى الثغر طمعاً في أخذ مصر بل كان ورودهم ومجيئهم مساعدة ومعاونه للألفي على أخصامه باستدعائه لهم استنجاده بهم قبل تاريخه وسبب تأخرهم في المجيء لما بينهم وبين العثماني الصلح فلا يتعدون على ممالكه من غير إذنه لمحافظتهم على القوانين، فلما وقعت الغرة بينهم وبينه بما تقدم، فعند ذلك انتهزوا الفرصة وأرسلوا هذه الطائفة وكان الألفي ينتظر حضورهم بالبحيرة، فلما طال عليه الانتظار وضاقت عليه البحيرة ارتحل بجيوشه مقبلاً وقضى الله موتاً بإقليم الجيزة، وحضر الإنكليز بعد ذلك إلى الإسكندرية فوجدوه قد مات، فلم يسعهم الرجوع فأرسلوا إلى الأمراء القبليين يستدعونهم ليكونوا مساعدين لهم على عدوهم ويقولون لهم إنما جئنا إلى بلادكم باستدعاء الألفي لمساعدته ومساعدتكم فوجدنا الألفي قد مات وهو شخص واحد منكم وأنتم جمع فلا يكون عندكم تأخير في الحضور لقضاء شغلكم فإنكم لا تجدون فرصة بعد هذه وتندمون بعد ذلك إن تلكأتم، فلما وصلتهم مراسلة الإنكليز تفرق رأيهم،

وكان عثمان بك حسن منعزلاً عنهم وهو يدعى الورع وعنده جيش كبير فأرسلوا إليه يستدعونه فقال: أنا مسلم هاجرت وجاهدت وقاتلت في الفرنساوية والآن أختم عملي والتجئ إلى الإفرنج وأنتصر بهم على المسلمين أنا لا أفعل ذلك وعثمان بك يوسف كان بناحية الهو وكان الباشا يحارب الذين بناحية أسيوط وهم المرادية والإبراهيمية والألفي والتقى معهم وانكسروا منه وقتل منهم أشخاصاً، فلما ورد عليه خبر الإنكليز انفعل لذلك وداخله وهم كبير وأرسل إليهم المشايخ وخلافهم يطلبهم للصلح وكان ما سيتلى عليك قريباً وما كان إلا ما أراده المولى جل جلاله من تعسة الإنكليز والقطر وأهله إلا أن يشاء الله.

وفيه وصل مكتوب من محمد علي باشا يطلب مصطفى آغا الوكيل وعلي كاشف الصابونجي ليرسلهم إلى الأمراء القبالي فتراخوا في الذهاب لكونهم وجدوا تاريخ المكتوب حادي عشر الشهر فعلموا أن ذلك قبل تحقق خبر الإنكليز.

ثم ورد منه مكتوب آخر يذكر فيه عزمه على الرجوع إلى مصر قريباً فإن العساكر يطالبونه بالعلائف ويأمرهم فيه بتحصيل ذلك وتنظيمه ليستلموها عند حصولهم بمصر يتجهزوا لمحاربة الإنكليز.

وفي ثالث عشرينه، ورد مكتوب من أهالي دمنهور خطاباً إلى السيد عمر النقيب مضمونه أنه لما دخلت المراكب الإنكليزية إلى سكندرية هرب من كان بها من العساكر وحضروا إلى دمنهور، فعندما شاهدهم الكاشف الكائن بدمنهور ومن معه من العسكر انزعجوا انزعاجاً شديداً وعزموا على الخروج من دمنهور فخاطبهم أكابر الناحية قائلين لهم كيف تتركونا وتذهبوا و لم تروا منا خلافاً، وقد كنا فيما تقدم من حروب الألفي من أعظم المساعدين لكم فكيف لا نساعد الآن بعضنا بعضاً في حروب الإنكليز، فلم يستمعوا لقولهم لشدة ما داخلهم من الخوف وعبوا متاعهم وأخرج الكاشف أثقاله وجبخانته ومدافعه وتركها وعدى وذهب إلى قوة من ليلته، ثم أرسل في ثاني يوم من أخذ الأثقال فهذا ما حصل أخبرناكم به وأما بونابارته

الخازندار الذي سافر لحرب الإنكليز فإنه نزل على القليوبية وفعل ما أمكنه وقدر عليه بالبلاد من السلب والنهب والجور والكلف والتساويف حتى وصل إلى المنوفية، وكذلك طاهر باشا الذي سافر في أثره وإسماعيل كاشف المعروف بالطوبجي فرض على البلاد جمالاً وخيولاً وأبقاراً وغير ذلك ومن جملة أفاعيلهم أنهم يوزعون الأغنام المنهوبة على البلاد ويلزمونهم بعلفها وكلفها، ثم يطلبون أثمانها مضاعفة بما يضاف إلى ذلك من حق طرق المعينين وأمثال ذلك.

وفي يوم الجمعة رابع عشرينه، وردت أخبار من ثغر رشيد يذكرون بأن طائفة من الإنكليز وصلت إلى رشيد في صبح يوم الثلاثاء حادي عشرينه ودخلوا إلى البلد، وكان أهل البلدة ومن معهم من العساكر منتبهين ومستعدين بالأزقة والعطف وطيقان البيوت، فلما حصلوا بداخل البلدة ضربوا عليهم من كل ناحية فألقوا ما بأيديهم من الأسلحة وطلبوا الأمان فلم يلتفتوا لذلك وقبضوا عليهم وذبحوا منهم جملة كثيرة وأسروا الباقين وفر طائفة إلى ناحية دمنهور، وكان كاشفها عندما بلغه ما حصل برشيد اطمأن خاطره ورجع إلى ناحية ديبي ومحلة الأمير وطلع بمن معه إلى البر فصادف تلك الشرذمة فقتل بعضهم وأخذ ما بقي منهم أسرى وأرسلوا السعاة إلى مصر بالبشارة فضربوا مدافع وعملوا شنكاً وخلع كتخدا بك على السعاة الواصلين وأسرعت المبشرون من أتباع العثمانيين وهم القواسة الأتراك بالسعي إلى بيوت الأعيان يبشرونهم ويأخذون منهم البقاشيش والخلع وصار الناس ما بين مصدق ومكذب، فلما كان يوم الأحد سادس عشرينه أشيع وصول رؤوس القتلى ومن معهم من الأسرى إلى بولاق فهرع الناس بالذهاب للفرجة ووصل الكثير منهم إلى ساحل بولاق وركب أيضاً كبار العسكر ومعهم طوائفهم لملاقاتهم، فطلعوا بهم إلى البر وصحبتهم جماعة العسكر المتسفرين معهم فأتوا بهم من خارج مصر ودخلوا بهم من بابا النصر وشقوا بهم من وسط المدينة وفيهم فسيال كبير وآخر كبير في السن وهما راكبان على حمارين والبقية مشاة في وسط العسكر ورؤوس القتلى معهم على نبابيت وقد تغيرت وأنتنت رائحتها وعدتها أربعة عشر رأساً والأحياء الخمسة وعشرون، ولم يزالوا سائرين بهم إلى بركة الأزبكية وضربوا عند صولهم شنكاً ومدافع وطلعوا بالأحياء مع فسيالهم إلى القلعة.

وفيه نبه السيد عمر النقيب على الناس وأمرهم بحمل السلاح والتأهب للجهاد في الإنكليز حتى مجاوري الأزهر وأمرهم بترك حضور الدروس وكذلك أمر المشايخ المدرسين بترك إلقاء الدروس.

وفيه وصل عابدين بك وعمر بك وأحمد آغا لاظ أوغلي من ناحية قبلي وأشيع وصول الباشا بعد يومين.

وفي يوم الاثنين، وصل أيضاً جملة من الرؤوس والأسرى إلى بولاق فطلعوا بها على الرسم المذكور وعدتها مائة رأس واحد وعشرون رأساً وثلاثة عشر أسيراً وفيهم جرحى ومات أحدهم على بولاق فقطعوا رأسه ورشقوها مع الرؤوس وشقوا بها من وسط المدينة آخر النهار.

وفي يوم الثلاثاء، حصلت جمعية ببيت القاضي وحضر حسن باشا وعمر بك والدفتردار وكتخدا بك السيد عمر النقيب والشيخ الشرقاوي والشيخ الأمير وباقي المشايخ فتكلموا في شأن حادثة الإنكليز والاستعداد لحربهم وقتالهم وطردهم فإنهم أعداء الدين والملة وقد صاروا أيضاً أخصاماً للسلطان فيجب على المسلمين دفعهم ويجب أيضاً أن يكون الناس والعسكر على حال الألفة والشفقة والاتحاد ولن تمتنع العساكر عن التعرض للناس بالإيذاء، كما هو شأنهم وأن يساعدوا بعضهم بعضاً على دفع العدو، ثم تشاوروا في تحصين المدينة وحفر خنادق فقال بعضهم أن الإنكليز لا يأتون إلا من البر الغربي والنيل حاجز بين

الفريقين وأن الفرنساوية كانوا أعلم بأمر الحروب وأنهم لم يحفروا إلا لخندق المتصل من الباب الحديد إلى البر فينبغي الاعتناء بإصلاحه ولو لم يكن كوضعهم وإتقانهم إذ لا يمكن فعل ذلك واتفقوا على ذلك.

وفيه حضر مكتوب من ثغر رشيد عليه إمضاء علي بك حاكم رشيد وأحمد بك المعروف ببونابارته مؤرخ بيوم الجمعة رابع عشرينه يذكرون فيه أن الإنكليز لما حضروا إلى رشيد وحصل لهم ما حصل من القتل والأسر ورجعوا خائبين حصل لباقيهم غيظ عظيم وهم شارعون في الاستعداد للعود والمحاربة والقصد أن تسعفونا وتمدونا بإرسال الرجال والمحاربين والأسلحة والجبخانة بسرعة وعجلة وإلا فلا لوم علينا بعد ذلك، وقد أخبرناكم وعرفناكم بذلك، فأرسلوا في ذلك عدة من المقاتلين وكتبوا مكاتبات إلى البلاد والعربان الكائنين ببلاد البحيرة يدعونهم للمحاربة والمجاهدة وكذلك أرسلوا في ثاني يوم عدة من العسكر.

وفي يوم الأربعاء تاسع عشرينه، ركب السيد عمر النقيب والقاشي والأعيان المتقدم ذكرهم، ونزلوا إلى ماحية بولاق لترتيب أمر الخندق المذكور وصحبتهم قنصل الفرنساوية وهو الذي أشار عليهم بذلك وصحبتهم الجمع الكثير من الناس والأتباع والكل بالأسلحة.

وفيه وصل المشايخ الثلاثة الذين كانوا ذهبوا لإجراء الصلح بين الباشا والأمراء القبالي وذهبوا إلى دورهم وكان من خبرهم أنهم لما وصلوا إلى الباشا بناحية ملوى استأذنوه في الذهاب فيما أتوا بسببه من السعي في الصلح فاستمهلهم وتركهم بناحية ملوى واستعد وذهب إلى أسيوط وأودع الجماعة بمنفلوط وتلاقى مع الأمراء وحاربهم وظهر عليهم وقتل من الأمراء في تلك المعركة سليمان بك المرادي المعروف بريحة بتشديد الياء وسليمان بك الآغا ورجع الأمراء القبالي إلى ناحية بحري فعند ذلك حضر المشايخ وكتب مكاتبات إلى الأمراء وأرسلها صحبة المشايخ المذكورين إلى الأمراء وكانوا بالجانب الغربي بناحية ملوى فتفاوضوا معهم فيما أتوا بسببه من أمر الصلح مع الباشا وكف الحروب فقالوا كم من مرة يراسلنا في الصلح، ثم يغدر بنا ويحاربنا فاحتجوا عليهم بما لقنه لهم من مخالفتهم لأكثر الشروط التي كان اشترطها عليهم من إرسال الأموال الميرية والغلال وتعديهم على الحدود التي يحددها معهم في الشروط، ثم إنهم اختلوا مع بعضهم وتشاوروا فيما بينهم وكان عثمان بك حسن منعزلاً عنهم بالبر الشرقي، و لم يكن معهم في الحرب ولا في غيره، وبعد انقضاء الحرب استعلى إلى جهة قبلي وعثمان بك يوسف كان أيضاً بناحية الهو والكوم الأحمر.

وفي أثناء ذلك، ورد على الباشا خبر الإنكليز وأخذهم الإسكندرية وأرسلوا رسلهم إلى الأمراء القبالي فارتبك في أمره وأرسل إلى المشايخ يستعجلهم في إجراء الصلح وقبولهم كل ما اشترطوه على الباشا ولا يخالفهم في شيء يطلبونه أبداً، ولما وصلتهم رسل الإنكليز اختلفت آراؤهم وأرسلوا إلى عثمان بك حسن يخبرونه ويستدعونه للحضور فامتنع وتورع وقال أنا لا أنتصر بالكفار ووافقه على رأيه ذلك عثمان بك يوسف واختلفت آراء باقي الجماعة وهم إبراهيم بك الكبير وشاهين بك المرادي وشاهين بك الألفي وباقي أمرائهم فاجتمعوا ثانياً بالمشايخ وقالوا لهم ما المراد بهذا الصلح فقالوا المراد منه راحة الطرفين ورفع الحروب واجتماع الكلمة ولا يخفاكم أن الإنكليز تخاصمت مع سلطان الإسلام وآغارت على ممالكه وطرقت ثغر سكندرية ودخلتها وقصدهم أخذ الإقليم المصري، كما فعل الفرنساوية فقالوا أنهم أتوا باستدعاء الألفي لنصرتنا ومساعدتنا فقالوا لا

تصدقوا أقوالهم في ذلك وإذا تملكوا البلاد لا يبقون على أحد من المسلمين وحالهم ليس كحال الفرنساوية فإن الفرنساوية لا يتدينون بدين ويقولون بالحرية والتسوية، وأما هؤلاء الإنكليز فإنهم نصارى على دينهم ولا تخفى عداوة الأديان ولا يصح ولا ينبغي منكم الانتصار بالكفار على المسلمين ولا الالتجاء إليهم ووعظوهم وذكروا لهم الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأن الله هداهم في طفوليتهم وأخرجهم من الظلمات إلى النور وقد نشؤا في كفالة أسيادهم وتربوا في حجور الفقهاء وبين أظهر العلماء وقرؤوا القرآن وتعلموا الشرائع وقطعوا ما مضى من أعمارهم في دين الإسلام وإقامة الصلوات والحج والجهاد، ثم يفسدون أعمالهم آخر الأمر ويوادون من حاد الله ورسوله ويستعينون بهم على إخوانهم المسلمين ويملكونهم بلاد الإسلام يتحكمون في أهلها فالعياذ بالله من ذلك وكان بصحبة المشايخ مصطفى أفندي كتخدا قاضي العسكر يكلمهم باللغة التركية ويترجم لهم ذلك وهو فصيح الكلام فقالوا كل ما قلتموه وأبديتموه فعلمه ولو تحققنا الأمن والصدق من مرسلكم ما حصل منا خلاف ولحاربنا وقاتلنا بين يديه ولكنه غدار لا يفي بعهد ولا يوعد ولا يبر في يمين ولا يصدق في قول وقد تقدم أنه يصطلح معنا وفي أثر ذلك يأتي لحربنا ويقتلنا ويمنع عنا من يأتي إلينا باحتياجاتنا من مصر ويعاقب على ذلك حتى من يأتي من الباعة والمتسببين إلى الناحية التي نحن فيها ولا يخفاكم أنه لما أتى القبودان ومعه الأوامر بالرضا والعفو الكامل عنا والأمر له بالخروج فلم يمتثل وأرسل إلينا وخدعنا وتحيل علينا بإرسال الهدايا وصدقناه واصطلحنا معه، فلما تم له الأمر غدر بنا وما مراده بصلحنا إلا تأخرنا عن ذهابنا إلى الإنكليز فلا نذهب إليهم ولا نستعين بهم، وإن كان مراده يعطينا بلاداً يصالحنا عليها فها هي البلاد بأيدينا، وقد عمها الخراب باستمرار الحروب من الفريقين، وقد تفرق شملنا وانهدمت دورنا، و لم يبق لنا ما نأسف عليه أو نتحمل المذلة من أجله وقد ماتت إخواننا ومماليكنا فنحن نستمر على ما نحن عليه حتى نموت عن آخرنا ويرتاح قلبه من جهتنا فقال لهم الجماعة هذه المرة هي الأخرى وليس بعدها شر ولا حرب بل بعدها الصداقة والمصافاة ويعطيكم كل ما طلبتموه من بلاد وغيرها فلو طلبتم من الإسكندرية إلى أسوار لا يمنع ذلك بشرط أن تكونوا معنا بالمساعدة في حرب الإنكليز ودفعهم عن البلاد وأيضاً تسيرون بأجمعكم من البر الغربي والباشا وعساكره من البر الشرقي وعند انقضاء أمر الإنكليز ورجوعكم إلى بر الجيزة ينعقد مجلس الصلح بحضرة المشايخ الكبار والنقيب والوجاقلية وأكابر العسكر وإن شئتم عقدنا مجلس الصلح بالجيزة قبل التوجه لمحاربة الإنكليز ولا شر بعد ذلك أبداً فانخدعوا لذلك كتبوا أجوبة ورجع بها مصطفى أفندي كتخدا القاضي وصحبته يحيى كاشف ثم رجع إليهم ثانياً وسار الفريقان إلى جهة مصر وحضر المشايخ وأخبروا بما حصل.

وفيه، شرعوا في حفر الخندق المذكور ووزعوا حفره على مياسير الناس وأهل الوكاكل والخانات والتجار وأرباب الحرف والروزنامجي وجعلوا على البعض أجرة مائة رجل من الفعلة وعلى البعض أجرة خمسين وعشرين وكذلك أهل بولاق ونصارى ديوان المكس والنصارى الأروام والشوام والأقباط واشتروا المقاطف والغلفان والفؤس والقزم وآلات الحفر وشرعوا في بناء حائط مستدير أسفل تل قلعة السبتية.

وفي يوم الخميس غايته، ورد مكتوب من السيد حسن كريت نقيب الأشراف برشيد والمشار إليه بها يذكر فيه أن الإنكليز لما وقع لهم ما وقع برشيد رجعوا في هزيمتهم إلى الإسكندرية استعدوا وأحضروا إلى ناحية الحماد قبلي رشيد ومعهم المدافع الهائلة والعدد ونصبوا متاريسهم من ساحل البحر إلى الجبل عرضاً وذلك ليلة الثلاثاء ثامن عشرينه فهذا ما حصل أخبرناكم به

ونرجو الإسعاف والإمداد بالرجال والجبخانه والعدة والعدد وعدم التأني وإليهما فلما وصل ذلك الجواب قرأه السيد عمر النقيب على الناس وحثهم على التأهب والخروج للجهاد فامتثلوا ولبسوا الأسلحة وجمع إليه طائفة المغاربة وأتراك خان الخليلي وكثير من العدوية والأسيوطية وأولاد البلد وركب في صبحها إلى كتخدا بك واستأذنه في الذهاب فلم يرض وقال حتى يأتي أفندينا الباشا ويرى رأيه في ذلك فسافر من سافر وبقي من بقي وانقضى الشهر وحوادثه.

وفيه، ورد الخبر بأن ركب الحاج الشامي رجع من مترلة هدية و لم يحج في هذا العام وذلك أنه لما وصل إلى المترلة المذكورة أرسل الوهابي إلى عبد الله باشا أمير الحاج يقول له لا تأت إلا على الشرط الذي شرطناه عليك في العام الماضي وهو أن يأتي بدون المحمل وما يصحبهم من الطبل والزمر والأسلحة وكل ما كان مخالفاً للشرع فلما سمعوا ذلك رجعوا من غير حج و لم يتركوا مناكيرهم.

واستهل شهر صفر بيوم الجمعة سنة 1222

فيه كتبوا مراسلة إلى الأمراء القبالي وختم عليها كثير من مشايخ الأزهر وغيرهم وأرسلوها إليهم.

وفي يوم السبت ثانيه، وردت مكاتبة أيضاً من ثغر رشيد وعليها إمضاء علي بك السنانكلي حاكم الثغر وطاهر باشا وأحمد آغا المعروف ببونابارته بمعنى مكتوب السيد حسن السابق ويذكرون فيه أن الإنكليز ملكوا أيضاً كوم الأفراح وأبو منضور ويستعجلون النجدة.

وفي تلك الليلة، أعني ليلة الأحد وصل محمد علي باشا ودخل إلى داره بالأزبكية في سادس ساعة من الليل وكان أشيع وصوله قبل ذلك اليوم وخرج السيد عمر النقيب والمشيخ والحروقي لملاقاته يوم الجمعة فبعضهم ذهب إلى الآثار وبات هناك بالقرافة بضريح الإمام الشافعي ورجعوا في ثاني يوم يحصل لهم ملاقاة فلما طلع نهار ذلك اليوم وأشيع حضوره إلى داره ركب الجميع وذهبوا للسلام عليه ودار بينهم الكلام في أمر الإنكليز فأظهر إليهتمام وأمر كتخدا بك وحسن باشا بالخروج في ذلك اليوم فأخرجوا مطلوباتهم وعازقهم إلى بولاق وسخط على أهل الإسكندرية والشيخ المسيري وأمين آغا حيث مكنوا الإنكليز من الثغر وملوكهم البلدة و لم يقبل لهم عذراً في ذلك ثم قالوا له إنا نخرج جميعاً للجهاد مع الرعية والعسكر فقال ليس على رعية البلد خروج وإنما عليهم المساعدة بالمال لعلائف العسكر وانقضى المجلس وركبوا إلى دورهم.

وفيه، وصل حجاج المغاربة إلى مصر من طريق البر وأخبروا أهم حجوا وقضوا مناسكهم وأن مسعود الوهابي وصل إلى مكة بجيش كثيف وحج مع الناس بالأمن وعدم الضرر ورخاء الأسعار وأحضر مصطفى جاويش أمير الركب المصري وقال له ما هذه العويدات والطبول التي معكم يعني بالعويدات المحمل فقال هو إشارة وعلامة على اجتماع الناس بحسب عادتهم فقال لا تأت بذلك بعد هذا العام وإن أتيت به أحرقته وأنه هدم القباب وقبة آدم وقباب ينبع والمدينة وأبطل شرب التنباك والنارجيلة من الأسواق وبين الصفا والمروة وكذلك البدع.

وفي تلك الليلة، أرسل الباشا وطلب السيد عمر في وقت العشاء الأخيرة وأزمه بتحصيل ألف كيس لنفقة العسكر وأن يوزعها بمعرفته.

وفي يوم الاثنين رابعه، دخلت طوائف العسكر الواصلين من الجهة القبلية إلى المدينة وطلبوا سكنى البيوت كعادقم و لم يرجعوا

إلى الدور التي كانوا ساكنين بها وأخربوها.

وفي يوم الثلاثاء، وردت مكاتبة من رشيد وعليها إمضاء السيد حسن كريت يخبر فيها بان الإنكليز محتاطون بالثغر ومتحلقون حوله ويضربون على البلد بالمدافع والقنابر وقد تهدم الكثير من الدور والأبنية ومات كثير من الناس وقد أرسلنا لكم قبل تاريخه نطلب الآغاثة والنجدة فلم تسعفونا بإرسال شيء وما عرفنا لأي شيء هذا الحال وما هذا إليهمال فالله الله في الإسعاف فقد ضاق الخناق وبلغت القلوب الحناجر من توقع المكروه وملازمة المرابطة والسهر على المتاريس ونحو ذلك من الكلام وهي خطاب للسيد عمر النقيب والمشايخ ومؤرخة في ثاني شهر صفر.

وفي ذلك اليوم، اهتم الباشا وعزم على السفر بنفسه إلى بولاق وركب وصحبته حسن باشا وعابدين بك وعمر بك فسافروا في تلك الليلة. وفي يوم الأربعاء سافر أيضاً حجو بك وخرج معه بعض المتطوعة من الأتراك وغيرهم تهيئوا واتفقوا مع المسافرين معهم وأمدهم الكثير من إخوانهم بالاحتياجات والذخيرة والمؤن ونصبوا لهم وخرجوا ومعهم طبل وزمر.

وفي يوم الجمعة، ركب أيضاً أحمد آغا لاظ وشق بعساكره الذين كان بهم بالمنية وتداخل فيهم الكثير من أجناسهم وغيرهم من مغاربة وأتراك بلدية ومر الجميع من وسط المدينة في عدة وافرة ويذهب الجميع إلى بولاق يوهمون أنهم مسافرون على قدم الاستعجال بهمة ونشاط واجتهاد فإذا وصلوا إلى بولاق تفرقوا ويرجع الكثير منهم ويراهم الناس في اليوم الثاني والثالث بالمجينة ومن تقدم منهم وسافر بالفعل ذهب فريق منهم إلى المنوفية وفريق إلى الربية ليجمعوا في طريقهم من أهل البلاد والقرى ما تصل إليه قدرة عسفهم من المال والمغارم والكلف وخطف البهائم ورعي المزارع وخطف النساء والبنات والصبيان وغير ذلك.

وفيه سافر أيضاً حسن باشا طاهر وفيه نزل الدالاتية إلى بولاق وكذلك الكثير من العسكر وحصل منهم الإزعاج في أخذ الحمير والجمال قهراً من أصحابها ونزلوا بخيولهم على ريب البرسيم والغلال الطائبة التي بناحية بولاق وجزيرة بدران وخلافها فرعتها وأكلتها بهائمهم في يوم واحد ثم انتقلوا إلى ناحية منية السيرج وشبرا والزاوية الحمراء والمطرية والأميرية فأكلوا زروعات الجميع وخطفوا مواشيهم وفجروا بالنساء وافتضوا الأبكار ولاطوا بالغلمان وأخذوهم وباعوهم فيما بينهم حتى باعوا البعض بسوق مسكة وغيره وهكذا تفعل المجاهدون ولشدة قهر الخلائق منهم وقبح أفعالهم تمنوا مجيء الإفرنج من أي جنس كان وزال هؤلاء الطوائف الخاسره الذين ليس لهم ملة ولا شريعة ولا طريقة يمشون عليها فكانوا يصرخون بذلك بمسمع منهم فيزداد حقدهم وعداوتهم ويقولون أهل هذه البلاد ليسوا مسلمين لأنهم يكرهوننا ويحبون النصارى ويتوعدونهم إذا خلصت لهم البلاد ولا ينظرون لقبح أفعالهم.

وفي يوم الاثنين حادي عشره، حضر جماعة من الططر الذين من عادتهم يأتون بالأخبار والبشارات بالمناصيب وقد وصلوا من طريق الشام يبشرون بولاية السيد علي باشا وعزل صالح قبودان عن رياسة الدونانمة ويذكرون أنه خرج بالدونانمة التي تسمى بالعمارة وصحبته عدة مراكب فرنساوية قاصدين جهة مالطة ليقطعوا على الإنكليز الطرق وأن هؤلاء الططر الواصلين لم يعلموا بورود الإنكليز إلى الإسكندرية إلا عند وصولهم صيدا وذكروا أن سبب عزل صالح القبودان أن الإنكليز وردوا بوغاز إسلامبول بإثني عشر مركباً وقيل أربعة عشر وظلوا داخلين والمدافع تضرب عليهم من القلاع المتقابلة فلم يبالوا بذلك حتى حصلوا بداخل المينة تجاه البلد فانزعج أهالي البلد انزعاجاً شديداً وصرخت النساء وهاجت المجينة وماجت بأناسها ولو ضرب

عليها الإنكليز لاحترقت عن آخرها لكنهم لم يفعلوا بل استمروا يومهم ورموا مراسيهم ثم أخذوها وولوا راجعين ولسان حالهم يقول ها نحن ولجنا بغازكم الذي تزعمون أنه لا أحد يقدر على عبوره وقدرنا عليكم وعفونا عنكم ولو شئنا أخذ دار سلطنتكم لأخذناها أو أحرقناها وعندما فعلوا ذلك طلب السلطان قبودان باشا فوجدوه يتعاطى الشراب في بعض الأماكن فعند ذلك أحضروا السيد علي وقلدوه رياسة الدونانمة ونزل إلى الإنكليز وتكلم معهم إلى أن خرجوا من البوغاز وأخرجوا صالح قبودان منفياً إلى بعض الجهات.

وفي ذلك اليوم، طلع الباشا إلى القلعة وصحبته قنصل الفرنساوية يهندس معه الأماكن ومواطن الحصار والقنصل المذكور مظهر إليهتمام والاجتهاد ويسهل الأمر ويبذل النصح ويكثر من الركوب والذهاب والإياب وأمامه الخدم وبأيديهم الحراب المفضضة وخلفه ترجمانه وأتباعه.

وفيه، أرسل الأمراء القبليون جواباً عن جواب أرسل إليهم قبل ذلك وعليه ختوم كثيرة باستدعائهم واستعجالهم للحضور فأرسلوا هذا الجواب يعتذرون فيه بأن السبب في تأخرهم أنهم لم يتكاملوا وأن أكثرهم متفرقون بالنواحي مثل عثمان بك حسن وغيره وأنهم إلى الآن لم يثبت عندهم حقيقة الأمر لأن من الثابت عندهم صداقة الإنكليز مع العثماني من قديم الزمان وان المراسيم التي وردت بالتحذير والتحفظ من الموسكوب و لم يذكر الإنكليز فاتفق الحال بأن يرسلوا لهم جواباً بالحقيقة صحبة مصطفى أفندي كتخدا القاضي يصحب معه المراسيم التي وردت في شأن ذلك وفيها ذكر الإنكليز ومنابذتهم للدولة فسافر الكتخدا المذكور في صبحها إليهم وكانوا حضروا إلى ناحية المنية وأما ياسين بك فإنه أذعن للصلح على أن يعطيه الباشا أربعمائة كيس بعد تردد المراسلات بينه وبين الباشا ثم انه عدى إلى ناحية شرق اطفيح وفرض عليهم الأموال الجسيمة وكان أهل تلك البلاد اجتمعوا بصول والبرنبل بمتاعهم وأموالهم ومواشيهم فنزل عليهم وطلب منهم الأموال فعصوا عليه فأوقد فيهم النيران وحرق جرونهم ونهبهم.

وفي عصر يوم الثلاثاء، حضر جماعة من العرب وصحبتهم ثلاثة أنفار من البرية وأحضروهم إلى مصر فمثلوا بين يدي الباشا وكلمهم ثم أمر بطلوعهم إلى القلعة وفيهم شخص كبير يقال أنه من قباطينهم.

وفي يوم الخميس رابع عشره، عملوا ديواناً ببيت القاضي اجتمع فيه الدفتردار والمشايخ والوجاقلية وقرؤوا مرسوماً تقدم حضوره قبل وصول الإنكليز إلى الإسكندرية مضمونه ضبط تعلقات الإنكليز وما لهم من المال والودائع والشركات مع التجار بمصر والثغور.

وفي ذلك اليوم، حضر شخصان من السعاة وأخبرا بالنصر على الإنكليز وهزيكتهم وذلك أنه اجتمع الجم الكثير من أهالي بلاد البحيرة وغيرها وأهالي رشيد ومن معهم من المتطوعة والعساكر وأهل دمنهور وصادف وصول كتخدا بك وإسماعيل كاشف الطوبجي إلى تلك الناحية فكان بين الفريقين مقتلة كبيرة وأسروا من الإنكليز طائفة وقطعوا منهم عدة رؤوس فخلع الباشا على الساعيين جوختين وفي أثر ذلك وصل أيضاً شخصان من الأتراك بمكاتبات بتحقيق ذلك الخبر وبالغا في الأخبار وان الإنكليز انجلوا عن متاريس رشيد وأبي منصور والحماد و لم تزل المقاتلون من أهل القرى خلفهم إلى أن توسطوا البرية وغنموا جبخاناتهم وأسلحتهم ومدافعهم ومهراسين عظيمين وذكرا أنه واصل خلفهم أسرى ورؤس قتلى كثيرة في عدة مراكب وأنه

وصل معهما من جملة المتطوعين رجلان من آهل مكة التجار المقيمين بمصر كانا في الواقعة بنحو مائة من البدو والمغاربة وغيرهم ينفقان عليهم ويحرضانهم على القتال ويعينان المقاتلين من إليه ألي بما في أيديهما ويقاتلان بأنفسهما وبذلا جهدهما في ذلك وأنهما بعد هزم الإنكليز وسلبهم فرقاً ما غنماه وما بقي معهما من الأشياء على من خرج خلف الإنكليز وحضرا معهما وهما السيد أحمد النجاري وأخوه السيد سلامة فطلبهما الباشا وسألهما عن الخبر فأخبراه بخبر التركيين فانسر الباشا لذلك سروراً عظيماً وشكر فعلهما وأنعم عليهما وخلع عليهما ورتب لهما مرتباً ووعدهما بالاستخدام في مصالحه وخلع على ذينك التركيين فروتي سمور وحضرا بصحبة الساعيين إلى مترل السيد عمر النقيب بعد الغروب وتعشوا عنده وطلبوا البقشيش وبعد أن أخذوه توسل التركيان به بأن يسعى لهما عند الباشا في أن ينعم عليهما بمناصب فوعدهما بذلك وترجى الباشا لهما يضاعف مرتبهما وربوا في صبح ذلك اليوم مجافع كثيرة من القلعة بالأزبكية وبولاق والجيزة وذك بين الظهر والعصر.

وفي يوم الجمعة خامس عشره، حضروا بأسرى وعدقم تسعة عشر شخصاً وعدة رؤس فمروا بهم من وسط الشارع الأعظم وأما الرؤس فمروا بها من طريق باب الشعرية وعدتها نيف وثلاثون رأساً موضوعة على نبابيت رشقوها بوسط بركة الأزبكية مع الرؤس الأولى صفين على يمين السالك من باب الهواء إلى وسط البركة وشماله.

وفيه وصل ثلاث دوات من جدة إلى ساحل السويس فيها أتراك وشوام وأجناس آخرون وذكروا أن الوهابي نادى بعد انقضاء الحج أن لا يأتي إلى الحرمين بعد هذا العام من يكون حليق الذقن وتلافي المناداة قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا تقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وأخرجوا هؤلاء الواصلين إلى مصر.

وفي يوم السبت، وصل أيضاً تسعة أشخاص أسرى من الإنكليز وفيهم فسيال.

وفي يوم الأحد، وصل أيضاً نيف وستون وفيهم رأس واحد مقطوعة فمروا بهم على طريق باب النصر من وسط المجينة وهرع الناس للتفرج عليهم وبعد الظهر أيضاً مروا بثلاثة وعشرين أسيراً وثمانية رؤوس وبعد العصر بثلاثة وعشرين رأساً وأربعة وأربعين أسيراً من ناحية باب الشعرية وطلعوا بالجميع إلى القلعة.

وفي يوم الأربعاء، وصل إلى ساحل بولاق مراكب وفيها أسرى وقتلى وجرحى فطلعوا بهم إلى البر وساروا بهم على طريق باب النصر وشقوا بهم من وسط المدينة إلى الأزبكية فرشقوا الرؤس بالأزبكية مع الرؤس الأول وهي نحو المائة واثنين وأربعين والأحياء والمجاريح نحو المائتين وعشرين فطلعوا بهم إلى القلعة عند إخوانهم فكان مجموع الأسرى أربعمائة أسير وستة وستين أسيراً والرؤس ثلثمائة ونيف وأربعون وفي الأسرى نحو العشرين من فسيالاتهم وهذه الوقعة حصلت على غير قياس وصادف بناؤها على غير أساس وقد أفسد الله رأي كل طائفة من الإنكليز والأمراء المصرية وأهل الإقليم المصري لبروز ما كتبه وقدره في مكنون غيبه على أهل الإقليم من الدمار الحاصل وما سيكون بعد كما ستسمع به ويتلى عليك بعضه أما فساد رأي الإنكليز فلتعديهم الإسكندرية مع قلتهم وسماعهم بموت الألفي وتغريرهم بأنفسهم وأما الأمراء المصريون فلا يخفى فساد رأيهم بحال وأما أهالي الإقليم فلانتصارهم لمن يضرهم ويسلب نعمهم وما أصاب من مصيبة فبما كسبت أيدي الناس وما أصابك من سيئة فمن نفسك ولم يخطر في الظن حصول هذا الواقع ولا أن الرعايا والعسكر لهم قدرة على حروب الإنكليز وخصوصاً شهرتهم بإتقان الحروب وقد تقدم لك أنهم هم الذين حاربوا الفرنساوية وأخرجوهم من مصر.

ولما شاع أخذهم الإسكندرية داخل العسكر والناس وهم عظيم وعزم أكثر العسكر على الفرار إلى جهة الشام وشرعوا في قضاء أشغالهم واستخلاص أموالهم التي أعطوها للمتضايقين والمستقرضين بالربا وإبدال ما بأيديهم من الدراهم والقروش والفرانسة التي يثقل حملها بالذهب البندقي والمحبوب الزر لخفة حملها حتى أنها زادت في المصارفة بسبب كثرة الطلب لها، وبلغ صرف البندقي المشخص الناقص في الوزن أربعمائة وعشرين نصفاً والزر مائتين وعشرين والفرانسة مائتين، واستمرت تلك الزيادة بعد ذلك وسيزيد الأمر محشاً وسعوا في مشترى أدوات الارتحال والأمور اللازمة لسفر البر وفارق الكثير منهم النساء وباعوا ما عندهم من الفرش الأمتعة حتى أن محمد علي باشا لما بلغه حصولهم بالإسكندرية وكان يحارب المصريين ويشدد عليهم فعند ذلك انحلت عزائمه وأرسل يصالحهم على ما يريدونه ويطلبونه وثبت في يقينه استيلاء الإنكليز على الديار المصرية وعزم على العود متلكئاً في السير يظن سرعة ورودهم إلى المجينة فيسير شرقاً على طريق الشام ويكون له عذر بغيبته في الجملة، فلما وصلت الشرذمة الأولى من الإنكليز إلى رشيد ودخلوها من غير مانع وحبسوا أنفسهم فيها فقتلوا وأسروا وهرب من هرب ووصلت الرؤوس والأسرى وأسرعت في الحضور وترجعت نفوس العساكر وطمعوا عند ذلك في الإنكليز وتجاسروا عليهم وكذلك أهل البلاد قويت هممهم وتأهبوا للبروز والمحاربة واشتروا الأسلحة ونادوا على بعضهم بالجهاد وكثر المتطوعون ونصبوا لهم بيارق وأعلاماً وجمعوا من بعضهم دراهم وصرفوا على من انضم إليهم من الفقراء وخرجوا في مواكب وطبول وزمور، فلما وصلوا إلى متاريس الإنكليز دهموهم من كل ناحية على غير قوانين حروبهم وترتيبهم وصدقوا في الحملة عليهم وألقوا أنفسهم في النيران، ولم يبالوا برميهم وهجموا عليهم واختلطوا بهم وأدهشوهم بالتكبير والصياح حتى أبطلوا رميهم ونيرانهم فألقوا سلاحهم وطلبوا الأمان، فلم يلتفتوا لذلك وقبضوا عليهم وذبحوا الكثير منهم وحضروا بالأسرى والرؤوس على الصور المذكورة وفر الباقون إلى من بقي بالإسكندرية وليت العامة شكروا على ذلك أو نسب إليهم فعل بل نسب كل ذلك للباشا وعساكره وجوزيت العامة بضد الجزاء بعد ذلك ولما أصعدوا الأسرى إلى القلعة طلع إليهم قنصل الفرنساوية ومعه الأطباء لمعالجة الجرحى ومهد لهم أماكن وميز الكبار منهم والفسيالات في مكان يليق بهم وفرش لهم فرشات ورتب لهم تراتيب وصرف عليهم فقات ولوازم، واستمر يتعاهدهم في غالب الأيام والجرئحية يترددون إليهم في كل يوم لمداواتهم، كما هي عادة الإفرنج مع بعضهم إذا وقع في أيديهم جرحى من المحاربين لهم فعلوا بهم ذلك وأكرموا الأسرى وأما من وقع منهم في أيدي العسكر من المردان فإنهم اختصوا بهم وألبسوهم من ملابسهم وباعوهم فيما بينهم ومنهم من احتال على الخلاص من يد الفاسق بحيلة لطيفة، فمن ذلك أن غلاماً منهم قال للذي هو عنده أن لي بولصة عند قنصل الفرنساوية، وهي مبلغ عشرون كيساً ففرح وقال له أرنيها فأخرج له ورقة بخطم وهؤلاء يعرف ما فيها فأخذها منه طمعاً في إحرازها لنفسه وذهب مسرعاً إلى القنصل وأعطاها له فلما قرأها قال له لا أعطيك هذا المبلغ إلا بيد الباشا ويعطيني بذلك رجعة بختمه لتخلص ذمتي فلما صاروا بين يدي الباشا فأخبره القنصل فأمر بإحضار الغلام فلما حضر سأله الباشا فقال أريد الخلاص منه واحتلت عليه بهذه الحيلة لأتوصل إليه فطيب الباشا خاطر العسكري بدراهم وأرسل الغلام إلى أصحابه بالقلعة ولما انقضى أمر الحرب من ناحية رشيد وانجلت الإنكليز عنها ورجعوا إلى الإسكندرية نزل الأتراك على الحماد وما جاورها واستباحوا أهلها ونساءها وأموالها ومواشيها زاعمين أنها صارت دار حرب بنزول الإنكليز عليها وتملكها حتى أن بعض الظاهرين كلمهم في ذلك فرد عليه بذلك

الجواب فأرسلوا إلى مصر بذلك وكتبوا في خصوص ذلك سؤلاً وكتب عليه المفتون بالمنع وعدم الجواز وحتى يأتي الترياق من العراق يموت الملسوع ومن يقرأ ومن يسمع وعلى أنه لم يرجع طالب الفتوى بل أهملت عند المفتي وتركها المستفتي ثم أحاطت العساكر ورؤساؤهم برشيد وضربوا على أهلها الضرائب وطلبوا منها الأموال والكلف الشاقة وأخذوا ما وجدوه بها من الأرز للعليق فخرج كبيرها اليد حسن كريت إلى حسن باشا وكتخدا بك

وتكلم معهما وشنع عليهما وقال أما كفانا ما وقع لنا من الحروب وهدم الدور وكلف العسكر ومساعدتهم ومحربتنا معهم معكم وما قاسيناه من التعب والسهر وإنفاق المال ونجازي منكم بعدها بهذا الأفاعيل فدعونا نخرج بأولادنا وعيالنا ولا نأخذ معنا شيئاً ونترك لكم البلدة افعلوا بها ما شئتم فلاطفوه في الجواب وأظهروا له إليهتمام بالمناداة والمنع وكت المذكور أيضاً مكاتبات بمعنى ذلك وأرسلها إلى البلدة والسيد عمر بمصر فكتبوا فرماناً وأرسلوه بالكف والمنع وهيهات ولما وصل من وصل بالقبلي والأسرى أنعم الباشا على الواصلين منهم بالخلع والبقاشيش وألبسهم شلنجات فضة على رؤوسهم فازداد جبروقم وتعديهم ولما رجع الإنكليز إلى ناحية الإسكندرية قطعوا السد فسالت المياه وغرقت الأراضي حول الإسكندرية.

وفي يوم الأحد سابع عشره، وصل ياسين بك إلى ناحية طرا وحضر أبوه إلى مصر ودخل كثير من أتباعه إلى المدينة وهم لابسون زي المماليك المصرية.

وفيه، دفنوا رؤس القتلى من الإنكليز وكانوا قطعوا آذانهم ودبغوها وملحوها ليرسلوها إلى إسلامبول.

وفيه، أرسل الباشا فسيالاً كبراً من الإنكليز إلى الإسكندرية بدلاً عن ابن أخي عمر بك وقد كان المذكور سافر إلى الإسكندرية قبل الحادثة ليذهب إلى بلاده بما معه من الأموال فعوقه الإنكليز فأرسلوا هذا الفسيال ليرسلوا بدله ابن أخي عمر بك.

وفي يوم الاثنين ثامن عشره، وصلت خيام ياسين بك وحملاته ونصبوا وطاقه جهة شبرا ومنية السيرج.

وفي سادس عشرينه، وصل ياسين بك المذكور وصحبته سليمان آغا صالح وكيل دار السعادة سابقاً وهو الذي كان بإسلامبول وحضر بصحبته القبودان في الحادثة السابقة وتأخر عنه واستمر مع الألفي ثم مع أمرائه بعد موته وكان الباشا قد أرسل له يستدعيه بأمان فأجاب إلى الحضور بشرط أن يجري عليه الباشا مرتبه بالضربخانة وقدر ذلك ألف درهم في كل يوم فأجابه إلى ذلك وحضر صحبته ياسين بك وقبلا الباشا وخلع عليهما خلعتي سمور ونزلا وركبا ولعبا مع أجنادهما بوسط البركة بالرماح وظهر من حسن رماحة سليمان آغا ما أعجب الباشا ومن حوله من الأتراك بل أصابوه بأعينهم لأنه بعد انقضاء ذلك سار مع ياسين بك إلى ناحية بولاق يترامحون ويتلاعبون فأخرج طبنجته بيده اليمنى والرمح في يده اليسرى وكان زنادها مرفوعاً فانطلقت رصاصتها وخرقت كفه اليسار القابض به على سرع الجواد ونفدت من الجهة الأخرى فرجع إلى داره بجراحته وأذن له برد حملته وذهب ياسين بك إلى بولاق فبات بها في دار حسن الطويل بساحل النيل.

وفيه، سافر المتسفر بآذان القتلى الإنكليز وقد وضعوها في صندوق وسافر بها على طريق الشام وصحبته أيضاً شخصان من أسرى فسيالات الإنكليز وكتبوا عرضاً بصورة الحال من إنشاء السيد إسمعيل الخشاب وبالغوا فيه.

وفيه، حضر إسماعيل كاشف الطوبجي من ناحية بحري ليقضي بعض الأغراض ثم يعود.

وفي يوم الخميس ثامن عشرينه، سافر عمر بك تابع عثمان بك الأشقر وعلي كاشف بن أحمد كتخدا إلى ناحية القليوبية لأجل القبض على أيوب فوده بسبب رجل يسمى زغلول ينسب إليه بأنه يقطع الطريق على المسافرين في البحر وكلما مرت بناحية مركب حاربها ونهب ما فيها من بضائع التجار وأموالهم أو أنهم يفتدون أنفسهم منه بما يرضيه من المال فكثر تشكي الناس منه فيرسلون إلى أيوب فوده كبير الناحية فيتبرأ منه فلما زاد الحال عينوا من ذكر للقبض عليه وقتله فبلغه الخبر فهرب من بلده أبناس فلما وصلوا إلى محله فلم يجدوه فأحاطوا بموجوداته وغلاله وبهائمه وماله من المواشي والودائع بالبلاد فلما جرى ذلك حضر إلى السيد عمر وصالح على نفسه بثلاثمائة كيس ورجع الحال إلى حاله وذلك خلاف ما أخذه المعينون من الكلف والمغارم من البلاد التي مروا عليها وأقاموا فيها واحتجوا عليها.

وفيه، حضر الكثير من أهل رشيد بحريمهم وأولادهم ورحلوا عنها إلى مصر.

وفيه، حضر كتخدا القاضي من عند الأمراء القبالي وأخبر أنهم محتاجون إلى مراكب لحمل الغلال الميرية والذخيرة فهيأ الباشا عدة مراكب وأرسلها إليهم مع هذه الصورة وإظهار المصالحة والمسالمة يمنعون ويحجزون من يذهب إليهم من دورهم بثياب ومتاع وكذلك يمنعون المتسببين والباعة الذين يذهبون بالمتاجر والأمتعة التي يبيعونها عليهم وإذا وقعوا بشخص أو غمزوا عليه عند الحاكم أو صادفه بعض العيون المترقبة عليه قبضوا عليه ونهبوا ما معه وعاقبوه وحبسوه، بل ونهبوا داره وغرموه، ولا يغفر ذنبه ولا تقال عثرته ويتبرأ منه كل من يعرفه وكذلك نبهوا على القلقات الذين يسمونهم الضوابط المقيدين بأبواب المدينة مثل باب النصر وباب الفتوح والبرقية والباب الحديد بمنع النساء عن الخروج خوفاً من خروج النساء القبالي وذهابهن إلى أزواجهن واتفق أنهم قبضوا على شخص في هذه الأيام يريد السفر إلى ناحية قبلي ومعه تليس ففتحوه فوجدوا بداخله مراكيب ونعالات مصرية ومغربية التي تسمى بالبلغ فقبضوا عليه واتهموه أنه يريد الذهاب بذلك إلى الأمراء وأتباعهم فنهبوا منه ذلك وغيره وقبضوا عليه وحبسوه واستمر محبوساً وكذلك اتفق أن الوالي ذهب إلى جهة القرافة وقبض على أشخاص من التربية الذين يدفنون الموتى واتهمهم بأن بعض أتباع الأمراء القبالي يخرجون إليهم بالأمتعة لأسيادهم ويخفونها عندهم بداخل القبور حتى يرسلوها إلى أسيادهم في الغفلات وضربهم وهجم على دورهم فلم يجد بها شيئاً واجتمع عليه خدام الأضرحة وأهل القرافة وشنعوا عليه وكادوا يقتلونه فهرب منهم وحضروا في صبحها عند السيد عمر والمشايخ يشكون من الوالي وما فعله مع الحفارين ونحو ذلك فأعجب لهذا التناقض.

وفيه، وصل مكتوب من كبير الإنكليز الذي بالإسكندرية مضمونه طلب أسماء الأسرى من الإنكليز والوصية بهم وإكرامهم كما هم يفعلون بالأسرى من العسكر فإنهم لما دخلوا إلى الإسكندرية أكرموا من كان بها منهم وأذنوا لهم بالسفر بمتاعهم وأحوالهم إلى حيث شاؤا وكذلك من أخذوه أسيراً في حرابة رشيد.

واستهل شهر ربيع الأول بيوم السبت سنة 1222

فيه كتبوا لكبير الإنكليز جواباً عن رسالته.

وفي يوم السبت خامس عشره، حضر علي كاشف الكبير الألفي بكلام من طرف شاهين بك الألفي يعتذر عن التأخير إلى هذا الوقت وأنهم على صلحهم واتفاقهم الأول وحضورهم إلى ناحية الجيزة وبات تلك الليلة في بيته بمصر ثم أقام ثلاثة أيام ورجع

إلى مرسله وصحبته سليمان آغا الوكيل.
وفيه، حضر عابدين بك أخو حسن باشا من ناحية بحري وحضر أيضاً في أثره أحمد آغا لاظ وغيره من ناحية بحري وذلك أنهم ذهبوا خلف الإنكليز إلى قرب معدية البحيرة فخرج عليهم طائفة الإنكليز من البر والبحر وضربوا عليهم مدافع ونيراناً كثيرة فولوا راجعين وحضروا إلى مصر.

وفيه، حضر أيضاً الفسيال الكبير الإنكليزي الذي كان أرسل بدلاً عن ابن أخي عمر بك وقيل أنه ابن أخي صالح قوش فلما وصل إليهم أجابوا بأن المذكور سافر مع من سافر إلى الروم بمتاعهم وأموالهم قبل الواقعة حيث لم يكن المطلوب موجوداً فلا وجه لإبقاء الإنكليزي المذكور فردوه بعد أن رفعوا منزلته ورتبته عندهم فلما رجع إلى مصر خلى سبيله الباشا و لم يحبسه مع الأسرى بل أطلق له الإذن أيضاً في الرجوع إلى الإسكندرية أو إلى بلاده متى أحب واختار.
وفي منتصفه، استوحش الباشا من ياسين بك وضاق خناقه منه وذلك أنه لما حضر إلى مصر وخلع عليه الباشا دفع إليه ما كان وعده به من الأكياس وقدم له ما تقادم وإنعامات على أنه يسافر إلى الإسكندرية لمحاربة الإنكليز وطلب مطالب كثيرة له ولأتباعه وأخذ لهم الكساوى والسراويلات وأخذ جميع ما كان عند جبجي باشا من الأقمشة والخيام والجبخانة والاحتياجات من القرب وروايا الماء ولوازم العسكر في سفر البر والإفازة والمحاصرة إلى غير ذلك وقلد أباه كشوفية الشرقية وخرج هو بعرضيه وخيامه إلى ناحية الحلي ببولاق فانضم إليه الكثير من العسكر والدلاتية وغيرهم وصار كل من ذهب إليه يكتبه من جملة عسكره فاجتمع عليه كل عاص وأزعر ومخالف وعاق وصرح بالخلاف وتطلعت نفسه للرياسة وكلما أرسل إليه الباشا يرده وينهاه عن فعله يعرض عن ذلك وداخله الغرور وانتشرت أوباشه يعبثون في النواحي وبث أكابر جنده في القرى والبلدان وعينهم لجمع الأموال والمغارم الخارجه عن المعقول ومن خالفهم نهبوا قريته وأحرقوها وأخذوا أهلها أسرى فعند ذلك أخذ الباشا في التدبير عليه واستمال العسكر المنضمين إليه وحل عرى رباطاته فلما كان في ليلة الأربعاء تاسع عشره أمر عساكر الأرنؤد بالاجتماع والخروج إلى ناحية بولاق فخرجوا بأجمعهم إلى نواحي السبتية والخندق وأحالوا بينه وبين بولاق ومصر.
وفي ليلة السبت، ركب الباشا بجنوده وخرج تلك الناحية وحصن أبواب المدينة بالعساكر وأيقن الناس بوقوع الحرب بين الفريقين وأرسل الباشا إلى ياسين بك يقول له أن تستمر على الطاعة وتطرد عنك هذه اللموم وتكون من جملة كبار العسكر وإلا تذهب إلى بلادك وإلا فأنا واصل إليك ومحاربك فعند ذلك داخله الخوف وانحلت عزائم جيوشه وتفرق الكثير منهم فلما كان بعد الغروب طلب الركوب و لم يعلم عسكره أين يريد فركب الجميع وهم ثلاثة طوابير واشتبهت عليهم الطرق في ظلام الليل فسار هو بفريق منهم إلى ناحية الجبل على طريق حلق الجرة وفرقة سارت إلى ناحية بركة الحاج والثالثة ذهبت على طريق القليوبية وفيهم أبوه فلما علم الباشا بركوبهم ركب خلفهم وذهب خلف الطائفة التي توجهت إلى ناحية البركة حصة فلما علموا انفرادهم عن أميرهم رجعوا متفرقين في النواحي ورجع الباشا إلى داره و لم يزل ياسين بك في سيره حتى نزل بمن معه في التبين واستقر بها وأما أبوه فإنه التجأ إلى شيخ قليوب الشواربي فأخذ له أماناً وأحضر في ثاني يوم الإلى الباشا فألبسه فروة وأمره أن يلحق بابنه فترل إلى بولاق ونزل في مركب مسافراً.
وفي يوم الاثنين رابع عشرينه، عين الباشا عسكراً ورؤساء عساكر وخيالة واصب معهم شديداً وجملة من عرب الحويطات

للحوق بياسين بك ومحاربته ولما نزل ياسين بك بناحية التبين نهب قرى الناحية بأسرها مثل التبين وحلوان وطرا والمعصرة والبساتين وفعلوا بها أفاعيلهم الشنيعة من السلب والنهب وأخذ النساء ونهب الأجران والغلال والأتبان والمواشي وأخذ الكلف الشاقة ومن عجز عن شيء من مطلوباتها أحرقوه بالنار.

وفي يوم الخميس، رجع العسكر والعربان الذين كانوا ذهبوا لمحاربة ياسين بك وذلك أنهم لما قربوا من وطاقهم ارتحل إلى صول والبرنبل فولوا راجعين وتمموا في ذهابهم وإيابهم تدمير القرى.

وفيه ورد قاصد قابجي من إسلامبول وعلى يده مرسوم بالبشارة بولاية السيد علي باشا قبودان الدونتمه وتاريخه نحو ثلاثة أشهر فضربوا لقدومه المدافع من القلعة.

وفي يوم السبت تاسع عشرينه، رجع سليمان آغا من قبلي إلى مصر وأخبر بقرب قدوم الأمراء المصريين وأن شاهين بك وصل إلى زارية المصلوب وإبراهيم بك جهة قمن العروس وأنهم يستدعون إليهم مصطفى آغا الوكيل وعلي كاشف الصابونجي.

واستهل شهر ربيع الثاني بيوم الاثنين 1222

فيه سافر مصطفى آغا والصابونجي إلى جهة قبلي وصحبتها كتخدا القاضي.

وفي سادسه، وصل شخص ططري وعلى يده مرسوم فعمل الباشا ديواناً وقرأ المرسوم بحضرة الجمع مضمونه أن العرضي الهمايوني الموجه لحرب الموسكوب خرج من إسلامبول وذهب إلى ناحية أدرنه وأن العساكر سارت لمحاربة الأعداء ويذكرون فيه أن بشائر النصر حاصلة وقد وصل رؤس قتلى وأسرى كثيرة وأنه بلغ الدولة ورود نحو الأربع عشرة قطعة من المراكب إلى ثغر الإسكندرية وأن الكائنين بالثغر ترخوا في حربهم حتى طلعوا إلى الثغر فمن اللازم إليهتمام وخروج العساكر لحروبهم ودفعهم وطردهم عن الثغر وقد أرسلنا البيورلديات إلى سليمان باشا والي صيدا وإلى يوسف باشا والي الشام بتوجيهه العساكر إلى مصر للمساعدة وإن لزم الحال لحضور المذكورين لتمام المساعدة على دفع العدو إلى آخر ما نقموه وسطروه محل القصد من ورود هذه البيولديات والفرمانات والأغوات والقبيجات إنما هو جر المنفعة لهم بما يأخذونه من خدمهم وحق طريقهم من الدراهم والتقادم والهدايا فإن القادم منهم إذا ورد استعدوا لقدومه فإن كان ذا قدر ومترلة أعدوا له مترلاً يليق به ونظموه بالفرش والأداوت اللازمة وخصوصاً إذا كان حضر في أمر مهم أو لتقرير المتولي على السنة الجديدة أو بصحبته خلع رضا وهدايا فإنه يقابل بالإعزاز الكبير ويشاع خبره قبل وروده إلى الإسكندرية وتأتي المبشرون بورود من الططر قبل خروجه من دار السلطنة بنحو شهر أو شهرين ويأخذون خدمتهم وبشارتهم بالأكياس، وإذا وصل هو أدخلوه في موكب جليل وعملوا له ديواناً ومدافع وشنكاً وأنزل في المترل المعد له وأقبلت عليه التقادم والهدايا من المتولي وأعيان دولته ورتب له الرواتب والمصاريف لمآكله وأتباعه لمطبخه وشراب حالته أيام مكثه شهر أو شهوراً، ثم يعطى من الأكياس قدراً عظيماً، وذلك خلاف هدايا الترحيلة من قدور الشربات المتنوعة والسكر المكرر وأنواع الطيب كالعود والعنبر والأقمشة الهنجية والمقصبات لنفسه ورجال دولته وإن كان دون ذلك أنزلوه بمترل بعض الأعيان بأتباعه وخدمه ومتاعه في أعز مجلس ويقوم رب المترل بمصروفهم ولوازمهم وكلفهم وما تستدعيه شهوات أنفسهم ويرون أن لهم المنة عليه بترولهم عنده ولا يرون له فضلاً بل ذلك واجب عليه

وفرض يلزمه القيام به مع التآمر عليه وعلى أتباعه ويمكث على ذلك شهوراً حتى يأخذ خدمته ويقبض أكياسه وبعد ذلك كله يلزم صاحب المترل أن يقدم له هدية ليخرج من عنده شاكراً ومثنياً عليه عند مخدومه وأهل دولته أقضية يحار العقل والنقل في تصويرها.

وفي يوم الأحد سابعه، وصلت القافلة والحجاج من ناحية القلزم على مرسى السويس، وحضر فيها أغوات الحرم والقاضي الذي توجه لقضاء المدينة وهو المعروف بسعد بك وكذلك خدام الحرم المكي، وقد طردهم الوهابي جميعاً وأما القاضي المنفصل فترل في مركب، ولم يظهر خبره وقاضي مكة توجه بصحبة الشاميين وأخبر الواصلون أنهم منعوا من زيارة المدينة وأن الوهابي أخذ كل ما كان في الحجرة النبوية من الذخائر والجواهر وحضر أيضاً الذي كان أميراً على ركب الحجاج وصحبته مكاتبة من مسعود الوهابي ومكتوب من شريف مكة وأخبروا أنه أمر بحرق المحمل واضطربت أخبار الأخباريين عن الوهابي بحسب الأغراض ومكاتبة الوهابي بمعنى الكلام السابق في نحو الكراسة وذكر فيها ما ينسبونه الناس إليه من الأقوال المخالفة لقواعد الشرع ويتبرأ عنها.

وفيه ورد الخبر بأن إبراهيم بك وصل إلى بني سويف وأن شاهين بك ذهب إلى الفيوم لاختلاف وقع بينهم وأن أمين بك وأحمد بك الألفيين ذهبا إلى ناحية الإسكندرية للإنكليز.

وفيه كمل تحرير دفاتر الفرضة والمظالم التي ابتدعوها في العام الماضي على القراريط وإقطاعات الأراضي، وكذلك أخذ نصف فائظ الملتزمين وعينوا المعينين لتحصيله من المزارعين ذلك خلاف ما فرضوه علىالبنادر من الأكياس الكثيرة المقادير.

وفي ذلك اليوم، أرسل الآغا والي الشرطة أتباعهما لأرباب الصنائع والحرف والبوابين بالوكائل والخانات يأمروهم بالحضور من الغد إلى بيت القاضي فانزعجوا من ذلك، ولم يعلموا لأي شيء هذا الطلب وهذه الجمعية وباتوا متفكرين ومتوهمين، فلما أصبح يوم الاثنين واجتمع الناس أبرزوا لهم مرسوماً قرئ عليهم بسبب زيادة صرف المعاملة، وذلك أن الريال الفرانسة وصلت مصارفته إلى مائتين وعشرة من الأنصاف العددية والمحبوب إلى مائتين وعشرين وأكثر والمشخص البندقي وصل إلى أربعمائة وأربعين فضة، ونحو ذلك فلما قرؤوا عليهم المرسوم وأمروهم بعدم الزيادة، وأن يكون صرف الفراسة بمائتين فقط والمحبوب بمائتين وعشرين فضة والبندقي بأربعمائة وعشرين، فلما سمعوا ذلك قالوا نحن ليس لنا علاقة بذلك هذا أمر منوط بالصيارف وانفض المجلس.

وفيه وصلت مكاتبة من إبراهيم بك، ومن الرسل مضمونها الأخبار بقدومهم وأرسل إبراهيم بك يستدعي إليه ابنه الصغير وولد ابنته المسمى نور الدين ويطلب بعض لوازم وأمتعة.

وفي يوم السبت ثالث عشره، سافر أولاد إبراهيم بك والمطلوبات التي أرسل بطلبها وصحبتهم فراشون وباعة ومتسببون وغير ذلك.

وفي يوم الاثنين، ورد سلحدار موسى باشا وعلى يده مرسوم بالعربي وآخر بالتركي مضموهما جواب رسالة أرسلت إلى سليمان باشا بعكا بخبر حادثة الإنكليز إلى ثغر سكندرية ودخولهم إليها بمخامرة أهلها، ثم زحفهم إلى رشيد وقد حاربتهم أهل البلاد والعساكر وقتلوا الكثير منهم وأسروا منهم كذلك ونؤكد على محمد باشا والعلماء وأكابر مصر بالاستعداد والمحافظة

وتحصين الثغور مثل السويس والقصير ومحاربة الكفار وإخراجهم وإبعادهم عن الثغر وقد وجهنا لكل من سليمان باشا وجنج يوسف باشا بتوجيه ما تريدون من العساكر للمساعدة ونحو ذلك.

وفيه أحضروا أربعة رؤوس من الإنكليز وخمسة أشخاص أحياء فمروا بهم من وسط المدينة ذكروا أن كاشف دمنهور حارب بناحية الإسكندرية فقتل منهم وأسر هؤلاء وقيل أنهم كانوا يسيرون لبعض أشغالهم نواحي الريف فبلغ الكاشف خبرهم فأحاط بهم وفعل بهم ما فعل وأرسلهم إلى مصر وهم ليسوا من المعتبرين وكأنهم مالطية وقيل أنهم سألوهم فقالوا، نحن متسببون طلعنا ناحية أبي قير وتهنا عن الطريق فصادفونا ونحن تسعة لا غير فأخذونا وقتلوا منا من قتلوه وأبقونا.

وفيه، وصلت مكاتبة من إبراهيم وأرسل الباشا إليهم جواباً صحبة إنسان يسمى شريف آغا.

وفي يوم الثلاثاء ثالث عشرينه، وردت أخبار من ناحية الشام بأنه وقع بإسلامبول فتنة بين الينكجرية والنظام الجديد وكانت الغلبة للينكجرية وعزلوا، السلطان سليم وولوا السلطان مصطفى ابن عمه وهو ابن السلطان عبد الحميد بن أحمد وخطب له ببلاد الشام.

وفي يوم الخميس، وصل ططري من طريق البر يتحقق ذلك الخبر وخطب الخطباء للسلطان مصطفى على منابر مصر وبلاد مصر وبولاق وذلك يوم الجمعة سادس عشرينه.

وفي أواخره، أحدثوا طلب مال الأطيان المسموح الذي لمشايخ البلاد وحرروا به دفتراً وشرعوا في تحصيله وهي حادثة لم يسبق مثلها أضرت بمشايخ البلاد وضيقت عليهم معايشهم ومضايفهم.

وفيه، كتبوا أورقاً للبلاد والأقاليم بالبشارة بتولية السلطان الجديد وعينوا بها المعينين وعليها حق الطرق مبالغ لها صورة وكل ذلك من التحيل على سلب أموال الناس.

وفيه، كتبوا مراسلة إلى الأمراء القبليين بالصلح وأرسلوا بها ثلاثة من الفقهاء وهم الشيخ سليمان الفيومي والشيخ إبراهيم السجيني والسيد محمد الدواخلي وذلك أنه لما رجع شريف آغا الذي كان توجه إليهم بمراسلتهم أرسلوا يطلبون الشيخ الشرقاوي والشيخ الأمير والسيد عمر النقيب لإجراء الصلح على أيديهم فأرسلوا الثلاثة المذكورين بدلاً عنهم.

وفي هذه الأيام، كث خروج العساكر والدلاة وهم يعدون إلى البر الغربي وعدى الباشا بحر النيل إلى بر أنبابة وأقام هناك أياماً.

واستهل شهر جمادى الأول سنة 1222

فيه شرع الباشا في تعمير القلاع التي كانت أنشأتها الفرنساوية خارج بولاق وعمل متاريس بناحية منية عقبة وغيرها ووزع على الجيارة جيراً كثيراً ووسق عدة مراكب وأرسلها إلى ناحية رشيد ليعمروا هناك سوراً على البلد وأبراجاً وجمعوا البنائين والفعلة والنجارين وأنزلوهم في المراكب قهراً.

وفي منتصفه، وصل إلى مصر نحو الخمسمائة من الدلاتية أتوا من ناحية الشام ودخلوا إلى المدينة.

وفيه، طلب الباشا من التجار نحو الألفي كيس على سبيل السلفة فوزعت على الأعيان وتجار البن وأهل وكالة الصابون ووكالة التفاح ووكالة القرب وخلافها وحجزوا البضائع وأجلسوا العساكر على الحواصل والوكائل يمنعون من يخرج من

حاصله أو تخزنه شيئاً إلا بقصد الدفع من أصل المطلوب منهم ثم أردفوا ذلك بمطلوبات من أفراد الناس المساتير فيكون الإنسان جالساً في بيته فما يشعر إلا والمعينون واصلون إليه وبيدهم بصلة الطلب إما خمسة أكياس أو عشرة أو أقل أو أكثر فإما أن يدفعها وإلا قبضوا عليه وسحبوه إلى السجن فيحبس ويعاقب حتى يتمم المطلوب فنه فتزل بالناس أمر عظيم وكرب جسيم.
وفي الناس من كان تاجراً ووقف حاله بتوالي الفتن والمغارم وانقطاع الأسباب والأسفار وأفلس وصار يتعيش بالكد والقرض وبيع متاعه وأساس داره وعقاره واسمه باق في دفاتر التجار فما يشعر إلا والطلب لاحقه بنحو ما تقدم لكونه كان معروفاً في التجار فيؤخذ ويحبس ويستغيث فلا يغاث ولا يجد شافعاً ولا راحماً وهذا الشيء خلاف الفرض المتوالية على البلاد والقرى في خصوص هذه الحادثة وكذكل على البنادر مقادير لها صورة وما يتبعها من حق طرق المعينين والمباشرين وتوالي مرور العساكر آناء الليل وأطراف النهار بطلب الكلف واللوازم وأشياء يكل القلم عن تسطيرها ويستحي الإنسان من ذكرها ولا يمكن الوقوف على بعض جزئياتها حتى خربت القرى وافتقر أهلها وجلوا عنها فكان يجتمع أهل عدة من القرى في قرية واحدة بعيدة عنهم ثم يلحقها وبالهم فتخرب كذلك وأما غالب بلاد السواحل فإنها خربت وهرب أهلها وهدموا دورها ومساجدها وأخذوا أخشابها ومن جملة أفاعيلهم الشنيعة التي لم يطرق الأسماع نظيرها أنهم قرروا فرضة من فرض المغارم على البلاد فكتبوا أوراقاً وسموها بشارة الفرضة يتولاها بعض من يكون متطلعاً لمنصب أو منفعة ثم يرتب له خدماً وأعواناً ثم يسافر إلى الإقليم المعين له وذلك قبل منصب الأصل وفي مقدمته يبعث أعوانه إلى البلاد يبشروهم بذلك ثم يقبضون ما رسم لهم في الورقة من حق الطريق بحسب ما أدى إليه اجتهاده قليلاً أو كثيراً وهذه لم يسمع بما يقاربها في ملة ولا ظلم ولا جور وسمعت من بعض من له خبرة بذلك أن المغارم التي قررت على القرى بلغت سبعين ألف كيس وذلك خلاف المصادرات الخارجة.
وفي، أواخره قوي عزم الباشا على السفر لناحية الإسكندرية وأمر بإحضار اللوازم والخيام وما يحتاج إليه الحال من روايا الماء والقرب وباقي الأدوات.

واستهل شهر جمادى الثانية بيوم الخميس سنة 1222

في ثانية وهو يوم الجمعة ركب الباشا إلى بولاق وعدى إلى ناحية بر أنبابة ونصبوا وطاقه هناك وخرجت طوائف العسكر إلى ناحية بولاق وساحل البحر وطفقوا يأخذون ما يجدونه من البغال والحمير والجمال واستمروا على الدخول والخروج والذهاب والمجيء والرجوع والتعدية أياماً وهم على ذلك النسق من خطف البهائم وامتنعت المقاؤن عن نقل الماء من البحر حتى شح الماء وغلا سعره وعطشت الناس وامتنع حمل البضائع.
وفي ثالثه، طلبوا أيضاً خيول الطواحين لجر المدافع والعربات حتى تعطلت الطواحين عن طحن الدقيق ولما ذهبوا بها إلى العرضي اختاروا منها جيادها وأعطوا أربابها عن كل فرس خمسين قرشاً وردوا البواقي لأصحابها.
وفيه، طلبوا أيضاً دراهم من طائفة القبانية والحطابة وباعة السمك القديد المعروف بالفسيخ فكان القدر المطلوب من طائفة القبانية مائة وخمسين كيساً فأغلقوا حوانيتهم وهربوا والتجؤا إلى الجامع الأزهر وكذلك الحطابة وغيرهم منهم من هرب ومنهم من التجأ إلى السيد عمر واستمر كذلك ثلاثة أيام وركب السيد عمر وعدى إلى الباشا وتشفع في الطوائف المذكورة فرفعوا عنهم غرامتهم وكتبوا لهم أماناً بذلك.

وفي خامسه، حضر قابجي من طرف الإنكليز وصحبته أشخاص فأنزلهم الباشا في خيمة بمخيمه بأنبابة فرقدوا بها ليأخذوا لهم راحة وناموا فلما استيقظا فلم يدوا ثيابهم وسطا عليها السراق فشلحوهم فأرسلوا إلى حارة الفرنساوية فأتوا لهم بثياب وقفوات لبسوها.

وفي يوم السبت، مع ليلة الأحد حادي عشره عمل الفرنساوية عيداً ومولداً بحارتهم وأولموا بينهم ولائم وأوقدوا قناديل كثيرة تلك الليلة وحراقات نفوط وسواريخ وشنكاً حصة من الليل وهو عبارة عن مولد بونابارته السنوي.
وفي الثلاثاء ثالث عشره، طلب الباشا حسين أفندي الروزنامجي فعدى إليه ببر أنبابة فخلع الدفتردارية وحضر إلى داره الجديد وهو بيت الهياتم بالقرب من قنطرة درب الجماميز وذهب إليه الناس يهنؤونه وانفصل أحمد أفندي عاصم عن الدفتردارية.
وفي يوم الخميس خامس عشره، عمل الباشا شنكاً بالبر الغربي بين المغرب والعشاء ولما أصبح أمر بالارتحال وتمهل حتى تكامل ارتحال العساكر فركب قريب الزوال إلى المنصورة.
وفي يوم الجمعة سادس عشره، الموافق لسادس مسرى القبطي أفي النيل أذرعه وذلك بعد أن حصل في الناس ضجر وقلق بسبب تأخر الوفاء عدة أيام حتى رفعوا الغلال من العرصات وزادت أثمانها فلما حصل الوفاء اطمأن الناس وتراجعت إليهم أنفسهم وأظهروا الغلال في العرصات والرفع وركب كتخدا بك في صبح يوم السبت وكذلك القاضي وطوسون ابن الباشا والسيد عمر النقيب وكسر السد بحضرتهم وجرى الماء في الخليج.
وفيه وصل قابجي إلى ثغر سكندرية وحضر بعد ذلك إلى ثغر بولاق من طريق البر إلى قبرص وتحرى الوصول إلى دمياط ثم حضر إلى بولاق وقابل الباشا في طريقه ووصل على يد مسكة ضرب المعاملة الجديدة بالضربخانه باسم السلطان الجديد وكذلك الأمر بالخطبة والدعاء والأخبار برفع النظام الجديد وإبطاله من إسلامبول ورجوع الوجاقات على قانونها الأول القديم ووصل في نيف وخمسين يوماً فاجتمعوا في صبحها يوم الأحد بباب الباشا وأحضروا الآغا بموكب ودخل من باب النصر وقرئ الفرمان بحضرة الجمع وضربوا شنكاً ومدافع من أبراج القلعة ثلاثة أيام في الأوقات الخمسة.

ومن الحوادث، أنه ظهر في هذه الأيام رجل بناحية بنها العسل يدعى بالشيخ سليمان فأقام مدة في عشة بالغيظ واعتقد فيه الناس الولاية والسلوك والجذب فاجتمع إليه الكثير من أهل القرى وأكثرهم الأحداث ونصبيوا له خيمة وكثر جمعه وأقبلت عليه أهالي القرى بالنذور الهدلي وصار يكتب إلى النواحي أوراقاً يستدعي منهم القمح والدقيق ويرسلها مع المريدين يقول فيها الذي نعلم به أهل القرية الفلانية حال وصول الورقة إليكم تدفعون لحاملها خمسة أرداب قمح أو أقل أو أكثر برسم طعام الفقراء وكراء طريق المعين ثلاثون رغيفاً أو نحو ذلك فلا يتأخرون عن إرسال المطلوب في الحال وصال الذين حوله ينادون في تلك النواحي بقولهم لا ظلم اليوم ولا تعطوا الظلمة شيئاً من المظالم التي يطلبونها منكم ومن أتاكم فاقتلوه فكان كل من ورد من العسكر المعينين إلى تلك النواحي يطلب الكلف أو الفرض التي يفرضونها فزعوا عليه وطردوه وإن عاند قتلوه فثقل أمره على الكشاف والعسكر وصار له عدة خيام وأخصاص واجتمع لديه من المردان نحو المائة وستين أمرد وغالبهم أولاد مشايخ البلاد وكان إذا بلغه أن بالبلد الفلانية غلاماً وسيم الصورة أرسل يطلبه فيحضرونه إليه في الحال ولو كان ابن عظيم البلدة حتى

صاروا يأتون من غير طلب ولا يخفى حال الإقليم المصري في التقليد في كل شيء وهذا من جنس المردنا وكذلك ذوو اللحى هم كثيرون أيضاً وعمل للمردان عقوداً من الخرز الملون في أعناقهم ولبعضهم أقراطاً في آذانهم ثم أن شيخاً من فقهاء الأزهر من أهالي بنها يقال له الشيخ عبد الله البنهاوي ادعى دعوى بطين مستأجره من أراضي بنها كان لأسلافه وأن الملتزمين بالقرية استولوا على ذلك الطين من غير حق لهم فيه بل بإغراء بعض مشايخ القرية والمذكور به رعونه و لم يحسن سبك دعواه وخصوصاً كونه مفلساً وخلياً من الدراهم التي لا بد منها الآن في الجعالات والبراطيل للوسايط وأرباب الأحكام وأتباعهم ويظن في نفسه أنه يقضي قضيته يقال المصنف إكراماً لعلمه ودرسه فتخاصم مع الملتزمين ومشايخ بلده وانعقدت بسببه مجالس و لم يحصل منها شيء سوى التشنيع عليه من المشايخ الأزهرية والسيد عمر النقيب ثم كتب له عرضحال ورفع أمره إلى كتخدا بك والباشا فأمر الباشا بعقد مجلس بسببه بحضرة السيد عمر والمشايخ وقالوا للباشا أنه غير محق وطردوه فسافر إلى بلده وسافر الباشا أيضاً إلى جهة البحيرة والإسكندرية فذهب الشيخ عبد الله المذكور إلى الشيخ سليمان المذكور وأغراه على الحضور إلى مصر وأنه متى وصل اجتمع عليه المشايخ وأهل البلدة وقابلوه ويكون على يده الفتح والفتوح وحركته خساف العقول المحيطون به والمجتمعون حوله على المجيء إلى مصر ويكون له شأن لأن ولايته اشتهرت بالمدينة ولهم في اعتقاد عظيم وحب جسيم ومن أوصاف ذلك الشيخ أنه لا يتكلم إلا بالذكر أو الكلام النزر الذي لا بد منه ويتكلم في أكثر أوقاته بالإشارة ثم إنه أطاع شياطينه وحضر برجاله وغلمانه ومعه طبول وكاسات على طريق مشايخ أهل العصر والأوان الذين يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ودخلوا إلى المدينة على حين غفلة وبأيديهم فراقل يفرقعون بها فرقعة متتابعة وصياح وجلبة ومن خلفهم الغلمان والبدايات وشيخهم في وسطهم فما زالوا في سيرم حتى دخلوا المشهد الحسيني وجلسوا بالمسجد يذكرون ودخل منهم طائفة إلى بيت السيد عمر مكرم النقيب وهم يفرقعون بما في أيديهم من الفرقلات فأقاموا بالمسجد إلى العصر ثم دعاهم إنسان من الأجناد يقال له إسماعيل كاشف أبو مناخير له في الشيخ المذكور اعتقاد فذهبوا معه إلى داره بعطفة عبد الله بك فعشاهم وباتوا عنده إلى الصباح فلما طلع النهار ركب الشيخ بغلة ذلك الجندي وذهب بطائفته إلى ضريح الإمام الشافعي فجلس بالمسجد أيضاً مع أتباعه يذكرون وبلغ خبره كتخدا بك وأمثاله فكتب تذكرة وأرسلها إلى السيد عمر النقيب بطلب الشيخ المذكور ليتبركوا به وأكد في الطلب وقصده أن يفتك بهم لقهرهم منه وعلم السيد عمر ما يراد به فأرسل يقول له إن كنت من أهل الكرامة فأظهر سرك وكرامتك وإلا فاذهب وتغيب وكان صالح آغا قوج لما بلغه خبره ركب في عسكره وذهب إلى مقام الشافعي وأراد القبض عليه فخوفه الحاضرون وقالوا له لا ينبغي لك التعرض له في ذلك المكان فإذا خرج فدونك إياه فانتظره بقصر شويكار فتباطأ الشيخ إلى

قريب العصر وأشاروا عليه بالخروج من الباب القبلي وتفرقعنه الكثير من المجتمعين عليه فذهب إلى مقام الليث ابن سعد ثم سار من ناحية الجبل وذهبت بداياته وغلمانه إلى دار إسماعيل كاشف التي باتوا بها ولما سار إلى ناحية الصحراء لحقه الحاج سعودي الحناوي واقتفى أثره وبلغه رسالة السيد عمر ورجع إلى السيد عمر فوجد كتخدا بك ورجب آغا حضرا إلى السيد عمر يسألانه عنه و لم يكتفوا بالطلب الأول فأخبرهما أنه ذهب و لم تلحقه المراسيل فاغتاظوا وقالوا أنرسل إلى كاشف القليوبية بالقبض عليه أينما كان وانصرفوا ذاهبين وقصدت العساكر بيت إسماعيل كاشف أبو مناخير فقبضوا على الغلمان وأخذوهم إلى دورهم و لم ينج منهم إلا من كان بعيداً وهرب وتغيب وتفرق أتباعه ذوو اللحى وأما الشيخ فسار من طريق الصحراء

حتى وصل إلى بمتيم وذهب إلى نوب فعرف بمانه الشيخ عبد الله زقزوق البنهاوي الذي كان أغراه على الحضور إلى مصر ولما سقط في يده تبرأ عنه وذهب إلى كتخدا بك وطلب له أماناً وأخبره أنه مختف بضريح الإمام الشافعي فأعطاه أماناً وذهب إليه وأحضره من نوب فلما حضر عند الكتخدا قال له أرخ لحيتك واترك ما أنت عليه وأقم في بلدك وأعطيك طيناً تزرعه ولا تتعرض لأحد ولا أحد يتعرض لك والشيخ ساكت لا يتكلم وصحبته أربعة أنفار من تلاميذه هم الذين يخاطبون الكتخدا ويكلمونه ثم أمر أشخاصاً من العسكر فأخذوه وذهبوا به إلى بولاق وأنزلوه في مركب وانحدروا به ثم غابوا حصة وانقلبوا راجعين ثم بعد ذلك تبين أنهم قتلوه وألقوه في البحر إلا واحداً من الأربعة ألقى بنفسه في البحر وسبح في الماء وطلع إلى البر وهرب وانفض أمره.

وفيه، أرسل الباشا وهو بالرحمانية يطلب شيخ دسوق فحضر إليه طائفة من العسكر فلما أتوا إليه امتنع وقال ما يريد الباشا مني أخبروني بطلبه وأنا أدفعه إن كان غرامة أو كلفة فقالوا لا ندري وإنما أمرنا بإحضارك فشاغلهم بالطعام والقهوة ووزع بمائمه وحريمه والذي يخاف عليه وفي الوقت وصلت مراكب وبها عساكر وطلعوا إلى البر فركب شيخ البلد خيوله وخيالته واستعد لحربهم وحاربهم وأبلى معهم وقتل منهم عدة كبيرة ثم ولى هارباً فدخل العسكر إلى البلد ونهبوها وأخذوا ما وجدوه في دور أهلها وعبروا مقام السيد الدسوقي وذبحوا من وجدوه من المجاورين وفيهم من طلبة العلم العواجز.

وفيه، ركب كتخدا بك ومر على بيت الداودية وبه طائفة من الدلاة فرأى شخصاً منهم يرجم دجاجة بحجر ليرميها من سطح دار أخرى فانتهزه وأراد ضربه فقامت عليه رفقاؤه الدالاتية وفزعوا عليه فولى هارباً منهم فعدوا خلفه و لم يزل رامحاً هو وأتباعه حتى وصل إلى ناحية الأزبكية.

واستهل شهر رجب بيوم الجمعة سنة 1222

في رابعه وردت مكاتبات من الباشا بوقوع الصلح بينه وبين الإنكليز وأتفقوا على خروجهم من الإسكندرية وخلوها ونزولهم منها وأرسل يطلب الأسرى من الإنكليز.

وفي عاشره، ورد قابجي ويسمى نجيب أفندي فوصل إلى بولاق يوم الاثنين حادي عشره وكان وروده من ناحية دمياط فلما علم أن الباشا بناحية البحيرة ذهب إليه وقابله بدمنهور وبصحبته لخصوص الباشا قفطان وسيف وشلنج وخلع لكبار العسكر مثل حسن باشا طاهر وعابدين بك وعمر بك وصالح قوج فنزل ببيت محمد الطويل التتنجي ببولاق.

وفيه، نزلوا بالأسرى من الإنكليز إلى المراكب ليسافروا إلى الإسكندرية .

وفي يوم الأربعاء ثالث عشره، وصل المبشر بنزول الإنكليز من ثغر الإسكندرية إلى المراكب ودخل إليها كتخدا بك ونزل بدار الشيخ المسيري واستمر الباشا مقيماً عند السد.

وفي يوم السبت سادس عشره، ركب القابجي من بولاق بالموكب وشق من وسط المدينة وذهب إلى بيت الباشا وضربوا لقدومه مجافع من القلعة.

وفي يوم الأربعاء سابع عشرينه، ولد لمحمد علي باشا مولود من حظيته وحضر المبشرون بنزول الإنكليز من الإسكندرية

ودخول الباشا بها فعملوا شنكاً وضربوا مدافع من القلعة ثلاثة أيام في الأوقات الخمسة آخرها السبت.

وفي يوم الخميس والجمعة والسبت، وصلت عساكر كثيرة ودخلوا المدينة وطلبوا سكنى البيوت وأزعجوا الناس وأخرجوهم من أوطانهم وضجت الخلائق وحضر الكثير إلى السيد عمر والمشايخ فكتبوا عرضاً في شأن ذلك وأرسلوه إلى كتخدا بك فأظهر إليهتمام وأحضر طائفة من كبار العسكر وكلمهم في ذلك وقال لهم كل من كان ساكناً قبل الخروج إلى العرضي في دار ليرجع إليها ويسكنها ولا تعارضوا الناس في مساكنهم فلم يفد كلامه في ذلك شيئاً لأن البيوت التي كانوا بها أخربوها وحرقوا أخشابها وتركوها كيماناً وذلك دأبهم.

واستهل شهر شعبان بيوم السبت سنة 1222

في ثالثه يوم الاثنين وصل الباشا إلى ساحل بولاق فضربوا لقدومه مدافع من القلعة وعملوا له شنكاً ثلاثة أيام واتفق أن الباشا في حال رجوعه من الإسكندرية نزل في سفينة صغيرة وصحبته حسن باشا طاهر وسليمان آغا الوكيل سابقاً فانقلبت بهم وأشرف ثلاثتهم على الغرق وتعلق بعضهم بحرف السفينة فلحقتهم مركب أخرى أنقذتهم من الغرق وطلعوا سالمين وكان ذلك عند زفيتة.

وفيه، كتبوا أواق البشارة بذهاب الإنكليز وسفرهم من الإسكندرية وأرسلوها إلى البلاد والقرى وعليها حق الطريق أربعة آلاف وألفين فضة وصورة ما حصل أنه لما وصل الباشا إلى ناحية الإسكندرية راسل الإنكليز وحضر إليه أنفار منهم واختلى معهم ولم يعلم أحد ما دار بينهم من الكلام وذهبوا من عنده وأشيع الصلح وفرحت العساكر لأنهم لما رأوا صورة المتاريس والطوابي والخنادق وجري المياه بين ذلك بالأوضاع المتقنة هالهم ذلك ثم حضر من عظمائهم أشخاص ولما علم الباشا بوصولهم رتب العساكر ونظم ديواناً وهيأه وأوقف العساكر صفوفاً يمنة ويسرة وعندما وصلوا ضربوا لهم مدافع كثيرة وشنكاً وقدم لهم خيولاً وهدايا وأقمشة هندية وخلع عليهم خلعاً وشيلاناً كشميرية وغير ذلك ثم ركب معهم في قلة إلى حيث منزلة ساري عسكرهم وكبيرهم فتلاقى معهم وقدم لهم الآخر هدايا وظرائف ثم ركب معه إلى الإسكندرية وتسلم القلعة وذلك بعد دخول كتخدا بك بخمسة أيام وكان في أسرى الإنكليز أنفار من عظمائهم فأحضرهم الباشا مع باقي الأسرى وتم الصلح على رد المذكورين على أنهم لم يأتوا طمعاً في البلاد كما تقدم ولما نزلوا بالمراكب لم يبعدوا عن الثغر إلا مسافة قليلة واستمروا يقطعون على المراكب الواردين على الثغور وذلك لما بينهم وبين العثماني من المفاقمة.

هذا، ما كان من أمر الإنكليز، وأما العساكر، فإنهم أفحشوا في التعدي على الناس وغصب البيوت من أصحابها فتأتي الطائفة منهم إلى الدار المسكونة ويدخلونها من غير احتشام ولا إذن ويهجمون على سكن الحرم بحجة أنهم يتفرجون على أعالي الدار فتصرخ النساء ويجتمع أهل الخطة ويكلمونهم فلا يلتفتون إليهم فيعالجونهم مرة بالملاطفة وأخرى بكثر الجمع إن كان بهم قوة أو بمعونة ذي مقدرة وإذا انفصلوا فلا يخرجون من الدار إلا بمصلحة أو هدية لها قدر ويشترطون في ذلك الشيلان الكشميري فإذا أحضروا لهم مطلوبهم فلا يعجب كبيرهم ويطلب خلافه أحمر أو أصفر واتفق أن بعضهم دخل عليه بينباشا بجماعته، فلم يزل به حتى صالحه على شال يأخذه ويترك له داره فأتاه بشال أصفر فأظهر أنه لا يريد إلا الأحمر الدودة، فلم يسعه إلا الرضا

وأراد أن يرد الأصفر ويأتيه بالأحمر فحجزه وقال دعه حتى تأتي بالأحمر ضمه إلى الأصفر وأخذ الاثنين، ثم انصرف عنه وذلك خلاف ما يأخذونه من الدراهم فإذا انصرفوا وظن صاحب الدار أنهم انجلوا عنه فيأتيه بعد يومين أو ثلاثة خلافهم ويقع في ورطة أخرى مثل الأولى أو أخف أو أعظم منها وبعضهم يدخل الدار ويسكنها بالتحيل والملاطفة مع صاحب الدار فيقول له يا أخي يا حبيبي أنا معي ثلاثة أنفار وأربعة لا غير، ونحن مسافرون بعد عشرة أيام والقصد أن تفسح لنا نقيم في محل الرجال وأنت بحريمك في مكانهم أعلى الدار فيظن صدقهم ويرضى بذلك على تخوف وكره فيعبرون ويجلسون، كما قالوا في محل الرجال ويربطون خيولهم في الحوش ويعلقون أسلحتهم ويقولون نحن صرنا ضيوفك فإذا أراد أن يرفع فرش المكان يقولون نحن نجلس على المحصير والبلتط وأي شيء يصيب الفرش فيتركه حياء وقهراً ثم يطلبون الطعام والشراب فما يسعه إلا أن يتكلف لهم ذلك في أوقاته ويستعملون الأواني ويطلبون ما يحتاجون إليه مثل الطشت والإبريق وغير ذلك، ثم تأتيهم رفقاؤهم شيئاً فشيئاً ويدخلون ويخرجون وبأيديهم الأسلحة ويضيق عليهم المكان فيقولون لصاحب المكان أخل لنا محلاً آخر في الدار فوق لرفقاتنا فإن قال ليس عندنا محل آخر أو قصر في مطلوب ابتداؤه بالقسوة، فعند ذلك يعلم صاحب الدار أنهم لا انفكاك لهم عن المكان وربما مضت العشرة أيام أو أقل أو أكثر وظهرت قبائحهم وقذروا المكان وأحرقوا البسط والحصر بما يتساقط عليها من الجمر من شربهم النارجيلات والتنباك والدخان وشربوا الشراب وعربدوا وصرخوا وصفقوا وغنوا بلغاتهم المختلفة وفقعت رائحة العرقي في المترل فيضيق صدر الرجل وصدر أهل بيته ويطيب خاطرهم على الخروج والنقلة فيطلبون لأنفسهم مسكناً ولو مشتركاً عند أقاربهم ومعارفهم وتخرج النساء في غفلة بثيابهن وما يمكنهن حمله، ثم يشرعون في إخراج المتاع والأواني والنحاس والفرش فيحجزونه منهم ويقولون إذا أخذتم ذلك فعلى أي شيء نجلس وفي أي شيء نطبخ وليس معنا فرش ولا نحاس والذي كانمعنا استهلك منا في السفر والجهاد ودفع الكفار عنكم وأنتم مستريحون في بيوتكم وعند حريمكم فيقع التراع وينفصل الأمر بينهم وبين صاحب الدار، إما بترك الدار بما فيها أو بالمقاسمة والمصالحة بالترجي والوسايط، ونحو ذلك وهذا الأمر يقع لأعيان الناس والمقيمين بالبلدة من الأمراء والأجناد المصريين وأتباعهم ونحوهم، ثم أنهم تعدوا إلى الحارات والنواحي التي لم يتقدم لهم السكنى بها من قبل ذلك مثل نواحي المشهد الحسيني وخلف الجامع المؤيدي والخرنفش والجمالية حتى ضاقت المساكن بالناس لقلتها وصار بعض المحتشمين إذا سكن بجواره عسكر يرتحل من داره ولو كانت ملكه بعد أمن جوارهم وخوفاً من شرهم وتسلقهم على الدار لأنهم يصعدون على الأسطح والحيطان ويتطلعون على من بجوارهم ويرمون بالبندقيا

والطبنجات، ومما اتفق أن كبيراً منهم دخل بطائفته إلى مترل بعض الفقهاء المعتبرين وأمره بالخروج منها ليسكن هو بها فأخبره أنه من مشايخ العلم، فلم يلتفت لقوله فتركه ولبس عمامته وركب بغلته، وحضر إلى إخوانه المشايخ واستغاث بهم فركب معه جماعنه منهم وذهبوا إلى الدار ودخلوا إليها راكبين بغالهم فعندما شاهدهم العسكر وهم واصلون في كبكبة أخذوا أسلحتهم وسحبوا عليهم السيوف فرجع البعض هارباً وثبت الباقون ونزلوا عن بغالهم وخاطبوا كبيرهم وعرفوه أنها دار العالم الكبير وهذا لا يناسب وأن النصارى واليهود

يكرمون قسسهم ورهبانهم وأنتم أولى لأنكم مسلمون فقالوا لهم في الجواب أنتم لستم بمسلمين لأنكم كنتم تتمنون تملك النصارى لبلادكم وتقولون أنهم خير منا، ونحن مسلمون ومجاهدون طردنا النصارى وأخرجناهم من البلتد، فنحن أحق بالدور منكم ونحو ذلك من القول الشنيع، ثم لم يزالوا في معالجتهم إلى ثاني يوم، ولم ينصرفوا عن الدار حتى دفعوا لهم مأتي قرش

وشال كشمير لكبيرهم وفعل مثل ذلك بعدة بيوت دخلها على هذه الصورة وأخذ منها أكثر من ذلك ومنها دار إسماعيل أفندي صاحب العيار بالضربخانة وهو رجل معتبر أخذ منه خمسمائة قرش وشال كشمير وفعل مثل ذلك بغيرهم هو و أمثاله، ولما أكثر الناس من التشكي للباشا وللكتخدا قال الكتخدا أناس قاتلوا وجاهدوا أشهراً وأياماً وقاسوا ما قاسوه في الحر والبرد والطل حتى طردوا عنكم وأجلوهم عن بلاد أفلا تسعوهم في السكنى ونحو ذلك من القول.

ولما انقضى هذا الأمر واستقر الباشا واطمأن خاطره وخلص له الإقليم المصري وثغر الإسكندرية الذي كان خارجاً عن حكمه حتى قبل مجيء الإنكليز فإن الإسكندرية كانت خارجة عن حكمه، فلما حصل مجيء الإنكليز وخروجهم صار الثغر في حكمه أيضاً فأول ما بدأ به أن أبطل مسموح المشايخ والفقهاء معاً في البلاد التي التزموا بها لأنه لما ابتدع المغارم والشهريات والفرض التي فرضها على القرى ومظالم الكشوفية جعل ذلك عاماً على جميع الالتزامات والحصص التي بأيدي جميع لناس حتى أكابر العسكر وأصاغرهم ما عدا البلاد والحصص التي للمشايخ خارجة عن ذلك ولا يؤخذ منها نصف الفائظ ولا ثلثه ولا ربعه وكذلك من ينتسب لهم أو يحتمي فيهم ويأخذون الجعالات والهدايا من أصحابها ومن فلاحيهم تحت حمايتها ونظير صيانتها واغتروا بذلك واعتقدوا دوامه وأكثروا من شراء الحصص من أصحابها المنجلحين بدون القيمة وافتتنوا بالدنيا وهجروا مذاكرة المسائل ومدارسة العلم إلا بمقدار حفظ الناموس مع ترك العمل بالكلية وصار بيت أحدهم مثل بيت أحد الأمراء الألوف الأقدمين واتخذوا الخدم والمقدمين وأعوان وأجروا الحبس والتعزيز والضرب بالفلقة والكرابيج المعروفة بزب الفيل واستخدموا كتبة الأقباط وقطاع الجرائم في الإرساليات للبلاد وقدروا حق طرق لأتباعهم وصارت لهم استعجالات وتحذيرات وإنذارات عن تأخر المطلوب مع عدم سماع شكاوى الفلاحين ومخاصمتهم القديمة مع بعضهم بموجبات التحاسد والكراهية المجبولة والمركوزة في طباعهم الخبيثة وانقلب الوضع فيهم بضده وصار ديدنهم واجتماعهم ذكر الأمور الدنيوية والحصص والالتزام وحساب الميري والفائظ والمضاف والرماية والمرافعات والمراسلات والتشكي والتنجي مع الأقباط واستدعاء عظمائهم في جمعياتهم وولائنهم والاعتناء بشأنهم والتفاخر بترددهم والتردد عليهم والمهاداة فيما بينهم إلى غير ذلك مما يطول شرحه وأوقع مع ذلك زيادة عما هو بينهم من التنافر والتحاسد والتحاقد على الرياسة والتفاقم والتكالب على سفاسف الأمور وحظوظ الأنفس على الأشياء الواهية مع ما جلبوا عليه من الشح والشكوى والاستجداء وفراغ الأعين والتطلع للأكل في ولائم الأغنياء والقراء والمعاتبة عليها إن لم يدعوا إليها والتعريض بالطلب وإظهار الاحتياج لكثرة العيال والأتباع واتساع الدائرة وارتكابهم الأمور المخلة بالمروءة المسقطة للعدالة كالاجتماع في سماع الملاهي والأغاني والقيان والآلات المطربة وإعطاء الجوائز والنقوط بمناداة الخلبوص وقوله واعلاماه في السامر وهو يقول في سامر الجمع بمسمع من النساء والرجال من عوام الناس وخواصهم برفع الصوت الذي يسمعه القاضي والداني وهو يخاطب رئيسة المغاني يا ستي حضرة شيخ الإسلام والمسلمين مفيد الطالبين الشيخ العلامة فلان منه كذا وكذا من التصفيات الذهب قدر مسماه كثير وجرمه قليل نتيجته التفاخر الكذب والازدراء بمقام العلم بين العوام وأوباش الناس الذين اقتدوا بهم في فعل المحرمات الواجب عليهم النهي عنها كل ذلك من غير احتشام ولا مبالاة مع التضاحك والقهقهة المسموعة من البعد في كل مجمع ومواظبتهم على الهزليات والمضحكات وألفاظ الكتابة المعبر عنها عند أولاد البلد بالأنقاط والتنافس في الأحداث إلى غير ذلك.

وفيه فتحوا الطلب من الملتزمين ببواقي الميري على أربع سنوات ماضية.
وفي عاشره، فتحوا أيضاً دفاتر الطلب بميري السنة القابلة ووجهوا الطلب بها إلى العسكر فدهى الناس بدواه متوالية منها خراب القرى بتوالي المظالم والمغارم والكلف وحق الطرق والاستعجالات والتساويف والبشارات فكان أهل القرية النازل بها ذلك ينتقلون إلى القرية المحمية لشيخ من الأشياخ، وقد بطلت الحماية أيضاً حينئذ، ثم أنزلوا بالبنادر مغارم عظيمة لها قدر من الأكياس الكثيرة وذلك عقب فرصة البشارة مثل دمياط ورشيد والمحلة والمنصورة مائة كيس وخمسون كيساً ومائة وخمسون وأكثر وأقل.

وفي أثناء ذلك، قرروا أيضاً فرضة غلال وسمن وشعير وفول على البلاد والقرى وإن لم يجد المعينون للطلب شيئاً من الدراهم عند الفلاحين أخذوا مواشيهم وأبقارهم لتأتي أربابها ويدفعوا ما تقرر عليهم ويأخذوها ويتركونها بالجوع والعطش فعند ذلك يبيعونها على الجزارين ويرمونها عليهم قهراً بأقصى القيمة ويلزمونهم بإحضار الثمن فإن تراخوا وعجزوا شددوا عليهم بالحبس والضرب.
وفي يوم الخميس ثالث عشره، مر الباشا في ناحية سويقة العزي سائراً إلى ناحية بيت بلغيا وهناك المكتب فوق السبيل الذي بين الطريقين تجاه من يأتي من تلك الناحية فطلع إلى ذلك المكتب شخصان من العسكر يرصدان الباشا فر مروره فحيثما أتى مقابلاً لذلك المكتب أطلقا في وجهه برودتين فأخطأتاه وأصابت إحدى الرصاصتين فرس فارس من الملازمين حوله فسقط ونزل الباشا عن جواده على مصطبة حانوت مغلقة وأمر الخدم بإحضار الكامنين بذلك المكتب فطلعوا إليهما وقبضوا عليهما، ثم حضر كبيرهم من دار قريبة من ذلك المكان واعتذر إلى الباشا بأنهما مجنونان وسكرانان فأمره بإخراجهما وسفرهما من مصر وركب وذهب إلى داره.
وفي يوم الاثنين ثالث عشرينه اجتمع عسكر الأرنؤد والترك على بيت محمد علي باشا وطلبوا علائفهم فوعدهم بالدفع فقالوا لا نصبر وضربوا بنادق كثيرة ولم يزالوا واقفين، ثم انصرفوا وتفرقوا وارتجت البلد وأرسل السيد عمر إلى أهل الغورية والعقادين والأسواق يأمرهم برفع بضائعهم من الحوانيت ففعلوا وأغلقوها، فلما كان قبيل الغروب وصل إلى بيت الباشا طائفة من الدلاتية وضربوا أيضاً بنادق فضرب عليهم عسكر الباشا كذلك فقتل من الدلاة أربعة أنفار وانجرح بعضهم فانكفوا ورجعوا وبات الناس متخوفين وخصوصاً نواحي الأزهر وأغلقوا البوابات من بعد الغروب وسهروا خلفها بالأسلحة، ولم تفتح إلا بعد طلوع الشمس وأصبح يوم الثلاثاء والحال على ما هو عليه من الاضطراب ونقل الباشا أمتعته الثمينة تلك الليلة إلى القلعة وكذلك في ثاني يوم، ثم أنه طلع إلى القلعة في ليلة الأربعاء وشيعه حسن باشا إلى القلعة ورجع إلى داره ويقال أن طائفة من العسكر الذين معه بالدار أرادوا غدره تلك الليلة، وعلم ذلك منهم بإشارة بعضهم لبعض رمزاً فغالطهم وخرج مستخفياً من البيت، ولم يعلم بخروجه إلا بعض خواصه الملازمين له وأكثرهم أقاربه وبلدياته ولما تحققوا من خروجه من الدار وطلوعه إلى القلعة صرف بونابارته الخازندار الحاضرين في الحال ونقل الأمتعة والخزينة في الحال وكذلك الخيول والسروج وخرجت عساكره يحملون ما بقي من المتاع والفرش والأواني إلى القلعة وأشيع في البلدة أن العساكر نهبوا بيت الباشا وزاد اللغط والاضطراب ولم يعلم أحد من الناس حقيقة الحال حتى ولا كبار العسكر وزاد تخوف الناس من العسكر وحصل منهم

عربدات وخطف عمائم وثياب وقتل أشخاص وأصبح يوم الخميس وباب القلعة مفتوح والعساكر مرابطون وواقفون بأسلحتهم وطلع أفراد من كبار العسكر بدون طوائفهم ونزلوا واستمر الحال على ذلك يوم الجمعة والعسكر والناس في اضطراب وكل طائفة متخوفة من الأخرى والأرنؤد فرقتان فرقة تميل إلى الأتراك وفرقة تميل إلى جنسها والدلاة تميل إلى الأتراك وتكره الأرنؤد وهم كذلك والناس متخوفة من الجميع ومنهم ومن يخشى من قيام الرعية ويظهر التودد لهم وقد صاروا مختلطين بهم في المساكن والحارات وتأهلوا وتزوجوا منهم.

وفي يوم السبت طلع طائفة من المشايخ إلى القلعة وتكلموا وتشاوروا في تسكين هذا الحال بأي وجه كان، ثم نزلوا.

وفي ليلة الأحد كانت رؤية هلال رمضان فلم يعمل الموسم المعتاد وهو الاجتماع ببيت القاضي وما يعمل به من الحراقة والنفوط والشنك وركوب المحتسب ومشايخ الحرف والزمور والطبول واجتماع الناس للفرجة بالأسواق والشوارع وبيت القاضي فبطل ذلك كله و لم تثبت الرؤية تلك الليلة وأصبح يوم الأحد والناس مفطرون، فلما كان وقت الضحوة نودي بالإمساك و لم تعلم.

واستهل شهر رمضان بيوم الاثنين سنة 1222

وفي ليلته بين العصر والمغرب ضربوا مدافع كثيرة من القلعة وأردفوا ذلك بالبنادق الكثيرة المتتابعة وكذلك العسكر الكائنون بالبلدة فعلوا كفعلهم من كل ناحية ومن أسطحة الدور والمساكن وكان شيئاً هائلاً واستمر ذلك إلى بعد الغروب وذلك شنك لقدوم رمضان في دخوله وانقضائه.

وفي رابعه، انكشفت القضية عن طلب مبلغ ألفي كيس بعد جمعيات ومشاورات تارة ببيت السيد عمر النقيب وتارة في أمكنة أخرى كبيت السيد المحروقي وخلافه حتى رتبوا ذلك ونظموه فوزع منه جانب على رجال دائرة الباشا وجانب على المشايخ الملتزمين نظير مسموحهم في فرض حصصهم التي أكلوها وهي مبلغ مائتي كيس وزعت على القراريط على كل قيراط ثلاثة آلاف نصف فضة على سبيل القرض لأجل أن ترد أو تحسب لهم في الكشوفات من رفع المظالم ومال الجهات يأخذونها من فلاحيهم وفرض من ذلك مبالغ على أرباب الحرف وأهل الغورية ووكالة الصابون ووكالة القرب والتجار الآفاقية واستقر ديوان الطلب ببيت ابن الصاوي بما يتعلق بالفقهاء وإسماعيل الطوبجي بالمطلوب من طائفة الأتراك وأهل خان الخليلي والمرجع في الطلب والدفع والرفع إلى السيد عمر النقيب واجتمع كثير من أهل الحرف كالصرماتية وأمثالهم والتجؤا إلى الجامع الأزهر وأقاموا به ليالي وأياماً فلم ينفعهم ذلك وانبث المعينون بالطلب وبأيديهم الأوراق بمقدار المبلغ المطلوب من الشخص وعليها حق الطريق وهم قواسة أتراك وعسكر ودلاة وقواسة بلدي ودهى الناس بهذه الداهية في الشهر المبارك فيكون الإنسان نائماً في بيته ومتفكراً في قوت عياله فيدهمه الطلب ويأتيه المعين قبل الشروق فيزعجه ويصرخ عليه بل ويطلع إلى جهة حريمه فينتبه كالمفلوج من غير اصطباح ويلاطف المعين ويعده ويأخذ بخاطره ويدفع له كراء طريقة المرسوم له في الورقة المعين بها المبلغ المطلوب قبل كل شيء فما يفارقه إلا ومعين آخر واصل إليه على النسق المتقدم وهكذا.

وفيه حضر محمد كتخدا شاهين بك الألفي بجواب عن مراسلة أرسلها الباشا إلى مخدومه فأقام أياماً يتشاور مع الباشا في

مصالحته مع شاهين بك وحصل الاتفاق على حضور شاهين بك إلى الجزيرة ويتراضى مع الباشا على أمر وسافر في ثاني عشره وصحبته صالح آغا السلحدار.

وفي يوم الخميس ثامن عشره، قصد الباشا نفي رجب آغا الأرنؤدي وأرسل إليه يأمره بالخروج والسفر بعد أن قطع خرجه وأعطاه علوفته فامتنع من الخروج وقال أنا لي عنده خمسون كيساً ولا أسافر حتى أقبضها وذلك أنه في حياة الألفي الكبير اتفق مع الباشا بأن يذهب عند الألأفي وينضم إليه ويتحيل في اغتياله وقتله فإن فعل ذلك وقتله وتمت حيلته عليه أعطاه خمسين كيساً فذهب عند الألفي والتجأ إليه وأظهر أنه راغب في خدمته وكره الباشا وظلمه فرحب به وقبله وأكرمه مع التحذر منه ظلماً طال به الأمد، ولم يتمكن من قصده رجع إلى الباشا فلما أمره بالذهاب أخذ يطالبه بالخمسين كيساً فامتنع الباشا وقال جعلت له ذلك في نظير شيء يفعله ولم يخرج من يده فعله فلا وجه لمطالبته به واستمر رجب آغا في عناده وذلك أنه لا يهون بهم مفارقة مصر التي صاروا فيها أمراء وأكابر بعد أن كانوا يحتطبون في بلادهم ويتكسبون بالصنائع الدنيئة، ثم أنه جمع جيشه إليه من الأرنؤد بناحية سكنه وهو بيت حسن كتخدا الجربان بباب اللوق فأرسل إليه الباشا من يحاربه فحضر حسن آغا سرششمه من ناحية قنطرة باب الخرق وحضر أيضاً الجم الكثير من الأتراك وكبرائهم من جهة المدابغ وعمل كل منهم متاريس من الجهتين وتقدموا قليلاً حتى قربوا من مساكن الأرنؤد تجاه بيت البارودي، فلم يتجاسروا على الإقدام عليهم من الطريق بل دخلوا من البيوت التي في صفهم ونقبوا من بيت إلى آخر حتى انتهوا إلى أول منزل من مساكنهم فنقبوا البيت الذي يسكن به الشيخ محمد سعد البكري ونفذوا منه إلى المنزل الذي بجواره، ثم منه إلى منزل علي آغا الشعراوي إلى بيت سيدي محمد وأخيه سيدي محمود المعروف بأبي دفية الملاصق لمسكن طائفة من الأرنؤد وعبثوا في الدور وأزعجوا أهلها بقبح أفعالهم فإنهم عندما يدخلون في أول بيت يصعدون إلى الحريم بصورة منكرة من غير دستور ولا استئذان وينقبون في مساكن الحريم العليا فيهدمون الحائط ويدخلون منها إلى محل حريم الدار الأخرى وتصعد طائفة منهم إلى السطح وهم يرمون بالبنادق في الهواء في حال مشيهم وسيرهم وهكذا ولا يخفى ما يحصل للنساء من الانزعاج ويصرن يصرخن ويصحن بأطفالهن ويهربن إلى الحارات الأخرى مثل حارة قواديس وناحية حارة عابدين بظاهر الدور المذكورة بغاية الخوف والرعب والمشقة وطفقت العساكر تنهب الأمتعة والثياب والفرش ويكسرون الصناديق ويأخذون ما فيها ويأكلون ما في القدور من الأطعمة في نهار رمضان من غير احتشام ولقد شاهدت أثر قبح فعلهم ببيت أبي دفية المذكور من الصناديق المكسرة وانتشار حشو الوسائد والمراتب التي فتقوها وأخذوا ظروفها ولم يسلم لأصحاب المساكن سوى ما كان لهم خارج دورهم وبعيداً عنها أو وزعوه قبل الحادثة وأصيب محمد أفندي أبو دفية برصاصة أطلقها بعضهم من النقيب الذي نقب عليهم نفذت من كتفه وكذلك فعل العساكر التي أتت من ناحية المدابغ بالبيوت الأخرى واستمروا على هذه الأفعال ثلاثة أيام بلياليها، فلما كان ليلة الاثنين ثاني عشرينه حضر عمر بك كبير الأرنؤد الساكن ببولاق وصالح قوج إلى رجب آغا المذكور وأركباه وأخذاه إلى بولاق وبطل الحرب بينهم ورفعوا المتاريس في صبحها وانكشفت الواقعة عن نهب البيوت ونقبها وإزعاج أهلها وما فيما بينهم أنفار قليلة وكذلك مات أناس وانجرح أناس من أهل البلد.

وفي يوم السبت وصل شاهين بك الألفي إلى دهشور ووصل صحبته مراكب بها سفار وهدية من إبراهيم بك ومحمد بك

المرادي المعروف بالمنفوخ برسم الباشا وهي نحو الثلاثين حصاناً ومائة قنطار بن قهوة ومائة قنطار سكر وأربع خصيهن وعشرون جارية سوداء، فلما وصل شاهين بك إلى دهشور فحضر محمد كتخداه وعلي كاشف الكبير فأرسل الباشا إليه صحبتهما هدية ومعهما ولده وديوان أفندي.

وفي خامس عشرينه، سافر رجب آغا وتخلف عنه كثير من عساكره وأتباعه وذهب من ناحية دمياط.

وفيه حضر ديوان أفندي من دهشور وابن الباشا أيضاً وخلع شاهين بك على ابن الباشا فردة وقدم له تقدمة وسلاحاً نفيساً إنكليزياً.

وفي ثاني عشرينه، وصل شاهين بك إلى شبرامنت وقد أمر الباشا بأن يخلوا له الجيزة وينتقل منها الكاشف والعسكر فعدى الجميع إلى البر الشرقي وتسلم علي كاشف الكبير الألفي القصر وما حوله وما به من الجبخانة والمدافع وآلات الحرب وغيرها.

واستهل شهر شوال بيوم الثلاثاء سنة 1222

و لم يعمل العسكر شنكهم تلك الليلة من رميهم الرصاص والبارود الكثير المزعج من سائر النواحي والبيوت والأسطحة لانقباض نفوسهم وإنما ضربوا مدافع من القلعة مدة ثلاثة أيام العيد في الأوقات الخمسة.

وفي خامسه اعتنى الباشا بتعمير القصر لسكن شاهين بك بالجيزة وكان العسكر أخربوه وكذلك بيوت الجيزة و لم يتركوا بها داراً عامرة إلا القليل فرسم الباشا للمعمارجية بعمارة القصر فجمعوا البنائين والنجارين والخراطين وحملوا الأخشاب من بولاق وغيرها وهدموا بيت أبي الشوارب وأحضروا الجمال والحمير لنقل أخشابه وأنقاضه وأخرجوا منه أخشاباً عظيمة في غاية العظم والثخن ليس لها نظير في هذا الوقت والأوان.

وفي سابعه حضر شاهين بك إلى بر الجيزة وبات بالقصر وضربوا لقدومه مدافع كثيرة من الجيزة وعمل له جربجي موسى الجيزاوي وليمة وفرض مصروفها وكلفتها على أهل البلدة وأعطاه الباشا إقليم الفيوم بتمامه التزاماً وكشوفية وأطلق له فيها التصرف وأنعم عليه أيضاً بثلاثين بلدة من إقليم البهنا مع كشوفيتها وعشرة بلاد من بلاد الجيزة من البلاد التي ينتقيها ويختارها وتعجبه مع كشوفية الجيزة وكتب له بذلك تقاسيط ديوانية وضم له كشوفية البحيرة بتمامها إلى حد الإسكندرية وأطلق له التصرف في جميع ذلك ومرسوماته نافذة في سائر البر الغربي.

وفي صبح يوم الأربعاء تاسعه، ركب السيد عمر أفندي النقيب والمشايخ وطلعوا إلى القلعة باستدعاء إرسالية أرسلت إليهم في تلك الليلة، فلما طلعوا إلى القلعة ركب معهم ابن الباشا طوسون بك ونزل الجميع وساروا إلى ناحية مصر القديمة وكان شاهين بك عدى إلى البر الشرقي بطائفة من الكشاف والمماليك والهوارة فسلموا عليه وكان بصحبتهم طائفة من الدلاة ساروا أما القوم بطبلاتهم وسفافيرهم ومن خلفهم طائفة من الهوارة ومن خلفهم الكشاف والمماليك والسيد عمر النقيب والمشايخ، ثم شاهين بك وبجانبه ابن الباشا وخلفهم الطوائف والأتباع والخدم وخلفهم النقاقير فساروا إلى ناحية جهة القرافة وزاروا ضريح الإمام الشافعي، ثم ركبوا وساروا إلى القلعة وطلعوا من باب العزب إلى سراية الديوان وانفصل عنهم المشايخ ونزلوا إلى دورهم وقابلوا الباشا وسلم شاهين بك عليه فخلع عليه الباشا فروة سمور مثمنة وسيفاً وخنجراً مجوهراً وتعابى وقدم له خيولاً

بسروجها وعزم عليه ابن الباشا فأذن له أن يتوجه صحبته إلى سرايته فركب معه وتغدى عنده، ثم ركب بصحبته ونزلا من القلعة وذهب عند حسن باشا فقابله أيضاً وسلم عليه وخلع عليه أيضاً وقدم له خيولاً وركب صحبتهما وذهبوا عند طاهر باشا ابن أخت الباشا فسلم عليه أيضاً وقدم له تقادم، ثم ركب عائداً إلى الجيزة وذهب إلى مخيمه بشبرامنت واستمر مقيماً بالمخيم حتى تمم عمارة القصر وتردد كشافهم وأجنادهم إلى بيوتهم بالمدينة فيبيتون الليلة والليلتين ويرجعون إلى مخيمهم.

وفيه قطع الباشا رواتب طوائف من الدلاة وأمروا بالسفر إلى بلادهم.

وفي يوم الجمعة انتقل الألفية بعرضيهم وخيامهم إلى بحري الجيزة.

وفي يوم السبت ثاني عشره، وصل أربعة من صناجق الألفية وهم أحمد بك ونعمان بك وحسين بك ومراد بك فطلعوا إلى القلعة وخلع عليهم الباشا فراوى وقلدهم سيوفاً وقدم لهم تقادم، ثم نزلوا إلى حسن باشا فسلموا عليه وخلع عليه أيضاً خلعاً، ثم ذهبوا إلى بيت صالح آغا السلحدار فأقاموا عنده إلى أواخر النهار، ثم ذهبوا إلى البيوت التي بها حريمهم فباتوا وذهبوا في الصباح إلى الجيزة.

وفي يوم الثلاثاء خامس عشره، عملت وليمة وعقدوا لأحمد بك الألفي على عديلة هانم بنت إبراهيم بك الكبير والوكيل في العقد شيخ السادات وقبل عنه محمد كتخدا بوكالته عن أحمد بك ودفع الصداق الباشا من عنده وقدره ثمانية آلاف ريال.

وفيه أنفقوا على إرسال نعمان بك ومحمد كتخدا وعلي كاشف الصابونجي إلى إبراهيم بك الكبير لإجراء الصلح.

وفيه أيضاً أرادوا إجراء عقد زينب هانم ابنة إبراهيم بك على نعمان بك فامتنعت وقالت لا يكون ذلك إلا عن إذن أبي وهاهو مسافر إليه فليستأذنه ولا أخالف أمره فأجيبت إلى ذلك وأراد شاهين بك أن يعقد لنفسه على زوجة حسين بك المقتول المعروف بالوشاش وهو خشداشه وهي ابنة السفطي فاستأذن الباشا فقال أني أريد أن أزوجك ابنتي وتكون صهري وهي واصلة عن قريب أرسلت بحضورها من بلدي قوله فإن تأخر حضورها جهزت لك سرية وزوجتك إياها.

وفي يوم الأربعاء، نزل الباشا من القلعة وذهب إلى مضرب النشاب واستدعى شاهين بك من الجيزة وعمل معه ميداناً وترامحوا وتسابقوا ولعبوا بالرماح والسيوف، ثم طلع الجميع إلى القلعة واستمر شاهين بك عند الباشا إلى بعد الظهر، ثم نزل مع نعمان بك إلى بيت عديلة هانم فمكثا إلى قبيل المغرب، ثم أرسل إليهما الباشا فطلعا إلى القلعة فباتا عنده ونزلا في الصباح وعديا إلى الجيزة.

قال الشاعر:

أمور تضحك السفهاء منها ... ويبكي من عواقبها اللبيب

وفيه تقلد حسن آغا سرششمه إمارة دمياط عرضا عن احمد بك وتقلد عبد الله كاشف الدرندلي إمارة المنصورة عوضاً عن عزيز آغا.

وفي يوم الأربعاء ثالث عشرينه، وصل قابجي ومعه مرسومات يتضمن أحدها التقرير لمحمد علي باشا على ولاية مصر وآخر بالدفتردارية باسم ولده إبراهيم وآخر بالعفو عن جميع العسكر جزاء عن إخراجهم الإنكليز من ثغر الإسكندرية وآخر بالتأكيد في التشهيل والسفر لمحاربة الخوارج بالحجاز واستخلاص الحرمين والوصية بالرعية والتجار وصحبته أيضاً خلع وشلنجات

فأركبوه في موكب في صبح يوم الخميس وطلع إلى القلعة وقرئت المراسيم المذكورة بحضرة الباشا والمشايخ وكبار العسكر وشاهين بك وخشداشينه الألفية وضربوا مدافع وشنكاً.

وفيه سافر إبراهيم بك ابن الباشا على طريق القليوبية وصحبته طائفة من مباشري الأقباط وفيهم جرجس الطويل وهو كبيرهم وأفندية من أفندية الروزنامة وكتبة مسلمين للكشف على الأطيان التي رويت من ماء النيل والشرقي فأنزلوا بالقرى النوازل من الكلف وحق الطرقات وقرروا على كل فدان رواه النيل أربعمائة وخمسين نصف فضة تقبض للديوان وذلك خلاف ما للملتزم والمضاف والبراني وما يضاف إلى ذلك من حق الطرق والكل المتكررة.

واستهل شهر ذي القعدة بيوم الأربعاء سنة 1222

وفيه، فرضوا على مساتير الناس سلف أكياس ويحسب لهم ما يؤخذ منهم من أصل ما يتقرر على حصصهم من المغارم في المستقبل وعينوا العساكر بطلبها فتغيب غالبهم وتوارى لعدم ما بأيديهم وخلو أكياسهم من المال والتجأ الكثير منهم إلى ذوي الجاه ولازموا أعتابهم حتى شفعوا فيهم كشفوا غمتهم.

وفي عاشره، ورد الخبر من الجهة القبلية بأن الأمراء المصريين تحاربوا مع ياسين بك بناحية المنية وذلك عن أمر الباشا وهزموه إلى المنية ونهبوا حملته متاعه.

وفي أثر ذلك، حضر أبو ياسين بك إلى مصر وعينت عساكر إلى جهة قبلي وأميرها بونابارته الخازندار وتقدمهم سليمان بك الألفي في آخرين.

وفي عشرينه، تعين أيضاً عدة عساكر إلى ناحية بحري وفيهم عمر بك تابع لأشقر المصرلي لمحافظة رشيد وآخرين إلى الإسكندرية ثم تعوق عمر بك عن السفر وسبب ذلك أنه ورد قائد الإنكليز إلى ثغر سكندرية وأخبر بخروج عمارة الفرنسيس إلى البحر بسيسيليه وربما استولوا عليها وكذلك مالطه فلما ورد هذا الخبر حضر البطروش قنصل الإنكليز المقيم برشيد إلى مصر بأهله وعياله.

وفي أواخره، جمعوا عدة كبيرة من البنائين والنجارين وأرباب الأشغال لعمارة أسوار وقلاع الإسكندرية وأبي قير والسواحل.

واستهل شهر ذي الحجة بيوم الجمعة سنة 1222

في ثاني عشره ورد الخبر بأن سليمان بك الألفي لما وصل إلى المنية ونزل بفنائها خرج إليه ياسين بك بجموعه وعساكره وعربانه فوقع بينهما وقعة عظيمة وانهزم ياسين بك وولى هارباً إلى المنية فتبعه سليمان بك في قلة وعدى الخندق خلفه فأصيب من كمين بداخل الخندق ووقع ميتاً بعد أن نهب جميع متاع ياسين بك وجماله وأثقاله وشتت جموعه وانحصر هو وعساكره وعربانه وما بقي منهم بداخل المنية وكانت الواقعة يوم الأربعاء سادس الشهر فلما ورد الخبر بذلك على الباشا أظهر أنه اغتم على سليمان بك وتأسف على موته وأقام العزاء عليه خشداشينه بالجيزة وفي بيوتهم طفق الباشا يلوم على جراءة المصريين وإقدامهم وكيف أن سليمان بك يخاطر بنفسه ويلقي بنفسه من داخل الخندق ويقول أنا أرسلت إليه أحذره وأقول له أنه

ينتظر بونابارته الخازندار ويرسل ياسين بك ويطلعه على ما بيده من المراسيم فغن أبي وخالف ما في ضمنها فعند ذلك يجتمعون على حربه وتتقدم عسكر الأتراك لمعرفتهم وصبرهم على محاصرة الأبنية فلم يستمع لما قلت له وغرر بنفسه وأيضاً ينبغي لكبير الجيش التأخر عن عسكره فإن الكبير عبارة عن المدير الرئيس وبمصابه تنكسر قلوب قومه وهؤلاء القوم بخلاف ذلك يلقون بأنفسهم في المهالك ولما أرسل جماعة سليمان بك يخبرون بموت كبيرهم وأنهم مجتمعون على حالتهم ومقيمون بعرضهم ومحطتهم على المنية وأنهم منتظرون من يقيمه الباشا رئيساً مكانه فعند ذلك أرسل الباشا إلى شاهين بك يعزيه ويلتمس منه أن يختار من خشداشينه من يقلده الباشا إمارة سليمان بك فتشاور شاهين بك مع خشداشينه فلم يرض أحد من الكبار أن يتقلد ذلك ثم وقع اختيارهم على شخص من المماليك يسمى يحيى أرسلوه إلى الباشا فخلع عليه وأمره بالسفر إلى المنية فأخذ في قضاء أشغاله وعدى إلى بر الجيزة.

وفي منتصفه، ورد الخبر بأن بونابارته الخازندار وصل إلى المنية بعد الواقعة وياسين بك محصور بها فأرسل إليه يستدعيه إلى الطاعة وأطلعه على المكاتبات والمراسيم التي بيده من الباشا خطاباً له ولأمراء الحاضرين والغائبين المصرية وفي ضمنها أن أبي ياسين بك عن الدخول في الطاعة واستمر على عناده وعصيانه فإن بونابارته والأمراء المصرية يحاربونه فعند ذلك نزل ياسين بك على حكم بونابارته وحضر عنده بعد أن استوثق منه بالأمان ووصلت الأخبار بذلك إلى مصر وخرجت العربان المحصورون بالمنية بعد أن صالحوا على أنفسهم وفتحوا لهم طريقاً وذهبوا إلى أماكنهم واستلم بونابارته المنية فأقام بها يومين وارتحل عنها وحضر إلى مصر.

وفي ليلة الثلاثاء تاسعى عشره، حضر ياسين بك إلى ثغر بولاق وركب في صبحها وطلع إلى القلعة فعوقه الباشا وأراد قتله فتعصب له عمر بك الأرنؤدي وصالح قوج وغيرهما وطلعوا في يوم الجمعة وقد رتب الباشا عساكره وجنده وأوقفهم بالأبواب الداخلة والخارجة وبين يديه وتكلم عمر بك وصالح آغا مع الباشا في أمره وأن يقيم بمصر فقال الباشا لا يمكن أن يقيم بمصر والساعة اقتله وانظر أي شيء يكون فلم يسع المتعصبين له إلا الامتثال ثم أحضره وخلع عليه فروة وأنعم عليه بأربعين كيساً ونزلوا بصحبته بعد الظهر إلى بولاق وسافر إلى دمياط ليذهب إلى قبرص ومعه محافظون.

وفي يوم الأحد، حضر بونابارته الخازندار من المنية إلى مصر وانقضت السنة، وأما من مات فيها ممن له ذكر، فمات الشيخ العلامة بقية العلماء والفضلاء والصالحين الورع القانع الشيخ أحمد بن علي بن محمد بن عبد الرحمن بن علاء الدين البرماوي الذهبي الشافعي الضرير ولد ببلده برما بالمنوفية سنة 1138 ونشأ بها وحفظ القرآن والمتون على الشيخ المعاصري ثم انتقل إلى مصر فجاور بالمدرسة الشيخونية بالصليبة وتخرج في الحديث على الشيخ أحمد البرماوي وحضر دروس مشايخ الأزهر كالشيخ محمد فهرس والشيخ علي قايتباوي والشيخ الدفري والشيخ سليمان الزيات والشيخ الملوي والشيخ المدابغي والشيخ الغنيمي والشيخ محمد الحفني وأخيه الشيخ يوسف عبد الكريم الزيات والشيخ عمر الطحلاوي والشيخ سالم النفراوي والشيخ عمر الشنواني والشيخ أحمد رزة والشيخ سليمان البسوسي والشيخ علي الصعيدي واقرأ الدروس وأفاد الطلبة ولازم الأقراء وكان منجمعاً عن الناس قانعاً راضياً بما قسم له لا يزاحم على الدنيا ولا يتداخل في أمورها وأخبرني ولده العلامة الفاضل الشيخ مصطفى أنه ولداً بصيراً فأصابه الجدري فطمس بصره في صغره فأخذه عم أبيه الشيخ صالح الذهبي ودعا له فقال في دعائه

اللهم كما أعميت بصره نور بصيرته فاستجاب الله دعاءه وكان قوي الإدراك ويمشي وحده من غير قائد ويركب من غير خادم ويذهب في حوائجه المسافة البعيدة ويأتي إلى الأزهر ولا يخطئ الطريق ويتنحى عما عساه يصيبه من راكب أو جمل أو حمار مقبل عليه أو شيء معترض في طريقه أقوى من ذي بصر فكان يضرب به المثل في ذلك مع شدة التعجب كما قال القائل ما عماء العيون مثل عمى القلب فهذا هو العمى والبلاء فعماء العيون تغميض عين وعماء القلوب فهو الشفاء و لم يزل ملازماً على حالته من الانجماع والاشتغال بالعلم والعمل به وتلاوة القرآن وقيام الليل فكان يقرأ كل ليلة نصف القرآن إلى أن توفي يوم الثلاثاء حادي عشر ربيع الأول من هذه السنة وله من العمر أربع وثمانون سنة وصلي عليه بجامع ابن طولون ودفن بجوار المشهد المعروف بالسيدة سكينة رضي الله عنها بجانب الشيخ البرماوي رحمه الله وبارك في ولده الشيخ مصطفى وأعانه على وقته ومات العمدة الفاضل حاوي الكمالات والفضائل الشيخ محمد بن يوسف ابن بنت الشيخ محمد بن سالم الحفناوي الشافعي ولد سنة 1163 وتربى في حجر جده وتخلق بأخلاقه وحفظ القرآن والألفية والمتون وحضر دروس جده وأخي جده الشيخ يوسف الحفناوي وحضر أشياخ الوقت كالشيخ علي العدوي والشيخ احمد الدردير والشيخ عطية الأجهوري والشيخ عيسى البراوي وغيرهم وتمهر وأنجب وأخذ طريق الخلوتية عن جده ولقنه الأسماء ولما توفي جده ألقى الدروس في محله بالأزهر ونشأ من صغره على أحسن طريقة وعفة نفس وتباعد عن سفاسف الأمور الدنيئة ولازم الاشتغال بالعلم وفتح بيت جده وعمل به ميعاد الذكر كعادته وكان عظيم النفس مع تهذيب الأخلاق والتبسيط مع الإخوان والممازحة مع تجنبه ما يخل بالمروءة وله بعض تعليقات وحواش وشعر مناسب و لم يزل على حالته إلى أن توفي يوم السبت رابع شهر ربيع الأول من السنة وصلي عليه بالأزهر في مشهد حافل ودفن مع جده في تربة واحدة بمقبرة المجاورين و لم يخلف ذكوراً رحمه الله ومات الشيخ العلامة المفيد والتحرير المجيد محمد الحصافي الشافعي الفقية النحوي الفرضي تلقى العلوم وحضر أشياخ الطبقة الأولى ودرس العلوم بالأزهر وأفاد الطلبة وقرأ الكتب المفيدة وعاش طول عمره منعكفاً في زوايا الخمول منعزلاً عن الدنيا وهي منعزلة عنه راضياً بما قسم الله له قانعاً بما يسره له مولاه لا يدعي في وليمه ولا ينهمك على شيء من أمور الدنيا و لم يزل على حالته حتى توفي يوم الاثنين ثالث عشر شوال من السنة، ومات العمدة المفضل الشيخ محمد عبد الفتاح المالكي من أهالي كفر حشاد بالمنوفية قدم من بلده صغيراً فجاور بالأزهر وحضر على أشياخ الوقت ولازم دروس الشيخ الأمير وبه تخرج وتفقه عليه وعلى غيره من علماء المالكية وتمهر في المعقولات وأنجب وصارت له ملكه واستحضار ثم سافر إلى بلده وأقام بها يفيد ويفتي ويرجعون إليه في قضاياهم ودعاويهم فيقضي بينهم ولا يقبل من أحد جعالة ولا هدية فاشتهر ذكره بالإقليم واعتقدوا فيه الصلاح والعفة وأنه لا يقضي إلا بالحق ولا يأخذ رشوة ولا جعالة ولا

يجابي في الحق فامتثلوا لقضاياه وأوامره فكان إذا قضى قاض من قضاة البلدان بين خصمين رجعا إلى المترجم وأعادا عليه دعواهما فإن رأى القضاء صحيحاً موافقاً للشرع أمضاه وامتثل الخصم الآخر ولا يمانع بعد ذلك أبداً ويذعن لما قضاه الشيخ لعلمه أنه لا لغرض دنيوي وإلا أخبرهم أن الحق خلافه فيمتثل الخصم الآخر و لم يزل على حالته حتى كان المولد المعتاد بطندتا فذهب ابن الشيخ الأمير إلى هناك فأتى لزيارة ابن شيخه ونزل في الدار التي هو نازل فيها فانهدمت الجهة التي هو بها وسقطت عليه فمات شهيداً مردوماً ومعه ثلاثة أنفار من أهالي قرية العكروت وذلك في أوائل شهر الحجة و لم يخلف بعده مثله رحمه الله، ومات الأمير سعيد آغا دار السعادة العثماني الحبشي قدم إلى مصر بعد مجيء يوسف باشا الوزير في أبهة ونزل بدرب

الجماميز في البيت الذي كان نزل به شريف أفندي الدفتردار بعد انتقاله منه وفتح باب التفتيش على جهات أوقاف الحرمين وغيرها وأخاف الناس وحضر إليه كتبة الأوقاف وجلسوا لمقارفة الناس والتعنت عليهم بطلب السندات ويهولون عليهم بالآغا المذكور ويأخذون منهم المصالحات ثم ينهون إليه الأمر على حسب أغراضهم ويعطونه جزأ ويأخذون لأنفسهم الباقي ثم تنبه لذلك فطرد غالبهم وسدد على الباقين وتساهل مع الناس وكان رئيساً عاقلاً معدوداً في الرؤساء تعمل عنده الدواوين والاجتماعات في مهمات الأمور والوقائع كما تقدم ذكر ذلك في مواضعه ثم أنه تمرض بذات الرئة شهوراً ومات في يوم الاثنين رابع شهر صفر، ومات الأمير سليمان بك المرادي وهو من الأمراء الذين تأمروا بعد موت مراد بك وكان ظالماً غشوماً ويعرف بريحه بتشديد الياء كان إذا أراد قتل إنسان ظلماً يقول لأحد أعوانه خذه وريحه فيأخذه ويقتله ومات في واقعة أسيوط الأخيرة أخذت جلة المدفع دماغه وقطع ذراعه وعرفوا قتلخ بخاتمه الذي في إصبعه المقطوع، ومات سليمان بك الألفي الذي قتل في واقعة ياسين بك بالمنية عند الخندق وغير هؤلاء والله أعلم.

واستهلت سنة ثلاث وعشرين ومائتين وألف

فكان أول المحرم يوم الأحد فيه برز القابجي المسمى بيانجي بك إلى السفر على طريق البر وخرج الباشا لوداعه وهذا القابجي كان حضر بالأوامر بخروج العساكر للبلاد الحجازية وخلاص البلاد من أديد الوهابية وفي مراسيمه التي حضر بها التأكيد والحث على ذلك فلم يزل الباشا يخادعه ويعده بإنفاذ الأمر ويعرفه أن هذا الأمر لا يتم بالعجلة ويحتاج إلى استعداد كبير وإنشاء مراكب في القلزم وغير ذلك من الاستعدادات وعمل الباشا ديواناً جمع فيه الدفتردار والمعلم غالي والسيد عمر والمشايخ وقال لهم لا يخفاكم أن الحرمين استولى عليها الوهابيون ومشوا أحكامهم بها وقد رودت علينا الأوامر السلطانية المرة بعد المرة للخروج إليهم ومحاربتهم وجلائهم وطردهم عن الحرمين الشريفين ولا تخفي عنكم الحواث والوقائع التي كانت سبباً في التأخير عن المبادرة في امتثال الأوامر والآن حصل الهد وحضر قابجي باشا بالتأكيد والحث على خروج العساكر وسفرهم وقد حسبنا المصاريف اللازمة في هذه الوقت فبلغت أربعة وعشرين ألف كيس فاعملوا رأيكم في تحصيلها فحصل ارتباك واضطراب وشاع ذلك في الناس وزاد بهم الوسواس ثم اتفقوا على كتابة عرضحال ليصحبه ذلك القابجي معه بصورة نمقوها.

وفي سادسه، حضر مرزوق بك وسليم بك المحرمجي وعلي كشاف الصابونجي المرسل فطلعوا إلى القلعة وقابلوا الباشا وخلع على مرزوق بك والمحرمجي فروتين ونزلا إلى دورهما ثم ترددوا وطلعوا ونزلوا وبلغوا رسائل الأمراء القبليين وذكروا مطالبهم وشروط الباشا عليهم والاتفاق في تقرير الصلح والمصالحة عدة أيام.

وفيه، حضر عرب الهنادي والجهنة وصالحوا على أنفسهم وأن يرجعوا إلى منازلهم بالبحيرة ويطردوا أولاد علي وكانوا تغلبوا على الإقليم وحصل منهم الفساد والإفساد وكانت مصالحتهم بيد شاهين بك الألفي وسافر معهم شاهين بك وخشداشينه و لم يبق بالجيزة سوى نعمان بك وذهبوا إلى ناحية دمنهور وارتحل أولاد علي إلى الحوش ابن عيسى وذلك أواخر المحرم ثم أن شاهين بك ركب بمن معه وحاربهم ووقع بينهم مقتلة عظيمة وقتل فيها شخصان من كبار الأجناد الألفية وهما عثمان كاشف وآخر ونحو ستة مماليك وقتل جملة كثيرة من العرب وانكشف الحرب عن هزيمة العرب وأسروا منهم نحو الأربعين وغنموا منهم غنائم كثيرة من أغنام وجمال وتفرقوا وتشتتوا وذهبوا إلى ناحية قبلي والفيوم وذلك في شهر صفر في عاشره حضر شاهين بك وباقي الألفية.

واستهل شهر ربيع الثاني سنة 1223

وفي عشرينه، ورد الخبر بموت شاهين بك المرادي فخلع الباشا عن سليم بك المحرمجي وجعله كبيراً ورئيساً على المرادية عوضاً عن شاهين بك وسافر إلى قبلي.

وفيه، أيضاً حضر أمين بك الألفي من غيبته وكان مسافراً مع الإنكليز الذين كانوا حضروا إلى الإسكندرية ورشيد وحصل لهم ما حصل فلم يزل غائباً حتى بلغه صلح خشداشينه مع الباشا فرجع وطلع على ردته فأرسلوا له الملاقاة والخيول واللوازم وحضر في التاريخ المذكور.

وفيه، زوج الباشا شاهين بك سرية انتقتها زوجة الباشا ونظمتها وفرش له سبعة مجالس بقصر الجيزة وجمعوا لذلك المنجدين وتقيد بتجهيز الشوار والأقمشة واللوازم الخواجا محمود حسن وكذلك زوج نعمان بك سرية أخرى وسكن بيت المشهدي بدرب الدليل بعد أن عمرت له الدار وفرشت على طرف الباشا وكذلك تزوج عمر بك بجارية من جواري الست نفيسة المرادية وجهزها جهازاً نفيساً من مالها وتزوج أيضاً علي كاشف الكبير الألفي بزوجة أستاذه.

شهر جمادى الأول سنة 1223

فيه، سافر مرزوق بك بعد تقرير أمر الصلح بينه وبين الأمراء المصريين القبالي وقلد الباشا مرزوق بك ولاية جرجا وإمارة الصعيد وألبسه الخلعة وشرط عليه إرسال المال والغلال الميرية فعند ذلك اطمأنت الناس وسافرت السفار والمتسببون ووصل إلى السواحل مراكب الغلال والأشياء التي تجلب من الجهة القبلية.

واستهل شهر جمادى الثانية سنة 1223

فيه قطع الباشا مرتب الدلاة الأغراب وأخرجهم وعزل كبيرهم الذي يسمى كردي بوالي الساكن ببولاق وقلد ذلك مصطفى بك من أقاربه وجعله كبيراً على طائفة الدلاتية الباقين وضم إليه طائفة من الأتراك ألبسهم طراطير وجعلهم دلاتية وسافر كردي بوالي لبلاده في منتصف الشهر وخرج صحبته عدة كبيرة من الدلاة.

وفي أواخره، وردت الأخبار من إسلامبول وذلك أن طائفة من الينكجرية تعصبت وقامت على السلطان سليم وعزلوه وأجلسوا مكانه السلطان مصطفى وأبطلوا النظام الجيد وقتلوا دفتردار النظام الجديد وكتخدا الدولة ودفتردار الدولة وغيرهم وقطعوهم في أت ميدان بعد أن تغيبوا واختفوا في أماكن حتى في بيوت النصارى واستدلوا عليهم واحداً بعد واحد فكانوا يستحبون الأمير منهم المترفه على صورة منكرة إلى أت ميدان فيقتلونه وبعضهم قطعوه في الطريق وسكن الحال على سلطنة السلطان مصطفى بن عبد الحميد وكان السلطان سليم عندما أحس بحركة الينكجرية أرسل يستنجد ويستدعي مصطفى باشا البيرقدار، وكان يرشق بالروملي بمخيم العرضي المتعين على حرب الموسكوب ووصل خبر الواقعة إلى من بالعرضي فأقام أيضاً الينكجرية الفتنة العرضي وقتلوا آغات العرضي وخلافه عند مصطفى باشا المذكور، وقد وصله مراسلة السلطان سليم فحركوا همته على القيام بنصرة السلطان سليم على الينكجرية فركب من العرضي في عدة وافرة وحضر إلى إسلامبول وشق بجمعه وعسكره من وسطها في كبكبة حتى وصل إلى باب السراية فوجده مغلقاً فأراد كسره أو حرقه إلى أن فتحوه بالعنف وعبر إلى داخل السراية وطلب السلطان سليم فعند ذلك أرسل السلطان مصطفى المتولي جماعة من خاصته فدخلوا على السلطان سليم في المكان الذي هو مختف به وقتلوه بالخناجر والسكاكين حتى مات وأحضره ميتاً إلى مصطفى باشا البيرقدار وقالوا له هاهو السلطان سليم الذي تطلبه، فلما رآه ميتاً بكى وتأسف، ثم أنه عزل السلطان مصطفى وأحضر محموداً أخاه بن عبد الحميد وأجلسه على تخت الملك، ونودي باسمه وكان ذلك يوم الخميس خامس جمادى الثانية من السنة وعمره ثلاث وعشرون سنة.
ومات السلطان سليم وعمره إحدى وخمسون سنة لأنه ولد سنة 1172 ومجة ولايته نحو العشرين سنة تنقص شهراً، فلما

وردت هذه الأخبار وتواترت في مكاتبات التجار والسفار خطب بعض الخطباء يوم الجمعة سادس عشرينه باسم السلطان محمود وبعضهم أطلق في الدعاء و لم يذكر الاسم.

وفيه قوي عزم الباشا على السفر إلى جهة دمياط ورشيد والإسكندرية فطلب لوازم السفر ووعد بسفره بعد قطع الخليج وطفق يستعجل بالوفاء ويطلب ابن الرداد المقياسي ويسأله عن الوفاء ويقول اقطعوا جسر الخليج في غد أو بعد غد فيقول تأمرونا بقطعه قبل الوفاء فيقول لا ويقول ليس الوفاء بأيدينا.

فلما كان يوم السبت سابع عشرينه وخامس عشر مسى القبطي نقص النيل نحو خمسة أصابع وانكشف الحجر الراقد الذي عند فم الخليج تحت الحجر القائم فضج الناس ورفعوا الغلال من الرقع والعرصات والسواحل وانزعجت الخلائق بسبب شحة النيل في العام الماضي وهيفان الزرع وتنوع المظالم وخراب الريف وجلاء أهله واجتمع في ذلك اليوم المشايخ عند الباشا فقال لهم اعملوا استسقاء وأمروا الفقراء والضعفاء والأطفال بالخروج إلى الصحراء وادعوا الله فقال له الشيخ الشرقاوي ينبغي أن ترافقوا بالناس وترفعوا الظلم فقال أنا لست بظالم وحدي وأنتم أظلم مني فإني رفعت عن حصتكم الفرض والمغارم إكراماً لكم وأنتم تأخذونها من الفلاحين وعندي دفتر محرر فيه ما تحت أيديكم من الحصص تبلغ ألفي كيس ولا بد أني أفحص عن ذلك وكل من وجدته يأخذ الفرضة المرفوعة من فلاحيته أرفع الحصة عنه فقالوا له لك ذلك ثم اتفقوا على الخروج والتقيا في صبحها بجامع عمرو بن العاص لكونه محل الصحابة والسلف الصالح يصلون به صلاة الاستسقاء ويدعون الله ويستغفرونه ويتضرعون إليه في زيادة النيل وبالجملة ركب السيد عمر والمشايخ وأهل الأزهر وغيرهم والأطفال واجتمع عالم كثير وذهبوا إلى الجامع المذكور بمصر القديمة فلما كان صبحها وتكامل الجمع صعد الشيخ جاد المولى على المنبر وخطب بعد أن صلى الاستسقاء ودعا الله وأمن الناس على دعائه وحول ردائه ورجع الناس بعد صلاة الظهر وبات السيد عمر هناك.

وفي تلك الليلة، رجع الماء إلى محل الزيادة الأولى واستتر الحجر الراقد بالماء.

وفي يوم الاثنين، خرجوا أيضاً وأشار بعض الناس بإحضار النصارى أيضاً فحضروا وحضر المعلم غالي ومن يصحبه من الكتبة الأقباط وجلسوا في ناحية من المسجد يشربون الدخان وانفض الجمع أيضاً.

وفي تلك الليلة، التي هي ليلة الثلاثاء زاد الماء ونودي بالوفاء وفرح الناس وطفق النصارى يقولون أن الزيادة لم تحصل إلا بخروجنا.

فلما، كانت ليلة الأربعاء طاف المنادون بالرايات الحمر ونادوا بالوفاء وعمل الشنك والوقدة تلك الليلة على العادة.

وفي صبحها، حضر الباشا والقاضي واجتمع الناس وكسروا السد وجرى الماء في الخليج جرياناً ضعيفاً لعلو أرض الخليج وعدم تنظيفه من الأتربة المتراكمة فيه من مدة سنين وكان ذلك يوم الأربعاء غرة شهر رجب وتاس عشر مسى القبطي.

واستهل شهر رجب بيوم الأربعاء سنة 1223

في ثانيه يوم الخميس وصل إلى بولاق راغب أفندي وهو أخو خليل أفندي الرجائي الدفتردار المقتول وعلى يده مرسوم بإجراء الخطبة باسم السلطان محمود بن عبد الحميد وأنزلوه ببيت ابن السباعي بالغورية وضربوا مدافع بالقلعة وشنكاً ثلاثة أيام في

الأوقات الخمسة وخطب الخطباء في صبحها باسم السلطان محمود الدعاء له في جميع المساجد. وفي ليلة الأحد خامسه، سافر محمد علي باشا إلى بحري ونزل في المراكب وأرسل قبل نزوله بأيام بتشهيل الإقامات والكلف على البلاد من كل صنف خمسة عشر وأخلوا لمن معه بيوت البنادر مثل المنصورة ودمياط ورشيد والمحلة والإسكندرية وفرض الفرض والمغارم على البلاد على حكم القراريط التي كانوا ابتدعوها في العام الماضي على كل قيراط سبعة آلاف نصف فضة وسماها كلفة الذخيرة وأمر بكتابة دفتر لذلك فكتب إليه الروزنامجي أن الخراب استولى على كثير من البلاد فلا يمكن تحصيل هذا الترتيب فأرسل من المنصورة يأمر بتحرير العمار بدفتر مستقل والخراب بدفتر آخر فلما فعل الروزنامجي ذلك أدخل فيها بلاد بها بعض الرمق لتخلصمن الفرضة وفيها ما هو لنفسه فلما وصلت إليه أمر بتوزيع ذلك الخراب على أولاده وأتباعه وأغراضه وعدها مائة وستون بلدة وأمر الروزنامجي بكتابة تقاسيطها بالأسماء التي عينها له فلم يمكن الروزنامجي أن يتلاقى ذلك فتظهر خيانته ووزعت وارتفعت عن أصحابها وكذلك حصل بإقليم البحيرة لما عمها الخراب وتطل خرابها وطلبوا الميري من الملتزمين فتظلموا واعتذروا بعموم الخراب فرفعوها عنهم وفرقها الباشا على أتباعه واستولوا عليها وطلبوا الفلاحين الشاردة والمتسحبه من البلاد الآخر وأمروهم بسكناها وزادوا في الطنبور نقمات وهوائهم صاروا ينتبعون أولاد البلد أرباب الصنائع الذين لهم نسبة قديمة بالقرى وذلك بإغراء أتباعهم وأعوانهم فيكون الشخص منهم جالساً في حانوته وصناعته فما يشعر إلا والأعوان محيطون به يطلبونه إلى مخدومهم فإن امتنع أو تلكأ سحبوه بالقهر وأدخلوه إلى الحبس وهو لا يعرف له ذنباً فيقول وما ذنبي فيقال له عليك مال الطين فيقول وأي شيء يكون الطين فيقولون له طين فلاحتك من مدة سنين لم تجفعه وقدره كذا وكذا فيقول لا أعرف ذلك ولا أعرف البلد ولا رأيتها في همري لا أنا ولا أبي ولا جدي فيقال له ألست فلاناً الشيراوي أو الميناوي مثلاً فيقول لهم هذه النسبة قديمة سرت إلي من عمي أو خالي أو جدي فلا يقبل منه ويحبس ويضرب حتى يدفع ما ألزموه به أو يجد شافعاً يصالح عليه وقد وقع ذلك لكثير من المتسببين والتجار وصناع الحريري وغيرهم، ولم يزل الباشا في سيره حتى وصل إلى دمياط وفرض على أهلها أكياساً وأخذ من حكامها هدايا وتقادم ثم رجع إلى سمنود وركب في البر إلى المحلة وقبض ما فرضه عليها وهو خمسون كيساً نقصت سبعة أكياس عجزوا عنها بعد الحبس والعقاب وقدم له حاكمها ستين جملاً وأربعين حصاناً خلاف الأقمشة المحلاوية مثل الزردخانات والمقاطع الحرير وما يصنع بالمحلة من أنواع الثياب والأمتعة صناعة من بقي بها من الصناع ثم ارتحل عنها ورجع إلى بحر منوف وذهب إلى رشيد والإسكندرية ولما استقر بها أعبى هدية إلى الدولة وأرسل إلى مصر فطلب عدة قناطر من البن والأقمشة الهندية وسبعمائة أردب أرز أبيض أخذت من بلاد الأرز وأرسل الهدية صحبة إبراهيم أفندي المهردار وحضر إليه وهو بالإسكندرية قابجي من طرف مصطفى باشا البيرقدار الوزير برسالة ورجع بالجواب على أثره ولم يعلم ما دار بينهما.

وفي منتصفه، أعثى شعبان حضر محمد علي باشا من غيبته وطلع على ساحل بولاق ليلة الخميس خامس عشره وذهب إلى داره بالأزبكية ثم طلع في ثاني يوم إلى القلعة وضربوا لحضوره مدافع.

واستهل شهر رمضان بيوم الجمعة 1223

فيه وردت الأخبار بحرق القمامة القدسية وظهر حريقها من كنيسة الأروام.

وفيه، سافر عدة من العسكر والدلاة وعمر بك الألفي ومعه طائفة من المماليك إلى البحيرة بسبب عربان أولاد علي فإنهم كانوا بعد الحوادث المتقدمة نزلوا بالإقليم وشاركوا وزرعوا مثل ما كان عليه الهنادي والجهنة فلما اصطح الألفية مع الباشا توسط شاهين بك في صلح الهنادي والجهنة على قدر وذلك لما كان بينهم وبين أستاذه من النسابة ونزل صحبتهم إلى البحيرة وغمرهم بأرضها كما كانوا أولاد وطرد أولاد علي وحاربهم ومكن الهنادي والجهنة ورجع إلى الجيزة فراسل أولاد علي الباشا بوساطة بعض أهل الدولة وعملوا للباشا مائة ألف ريال على رجوعهم للبحيرة وإخراج الهنادي فأجابهم طمعاً في المال فحنق أولئك وعصوا وحاربوا أولاد علي ونهبوا ونالوا منهم بعد أن كانوا ضيقوا عليهم وحصلت اختلافات وامتنع أولاد علي من دفع المال الذي قرروه على أنفسهم واجتمعوا بحوش ابن عيسى فأرسل إليهم الباشا عمر بك المذكور ومن معه فحاربوهم مع الهنادي فظهر عليهم أولاد علي وهزموهم وقتل من الدلاة أكثر من مائة وكذلك من العسكر ونحو الخمسة عشر من المماليك فأمر الباشا بسفر عساكر أيضاً وصحبتهم نعمان بك وخلافه وسافرت طائفة من العرب إلى ناحية الفيوم فأرسلوا لهم عدة من العسكر.

وفي أواخره، سافر أيضاً شاهين بك وباقي الألفية خلاف أحمد بك فإنه أقام بالجيزة.

وفيه، نودي على المعاملة بأن يكون صرف الريال الفرنسا بمائتين وعشرين وكان بلغ في مصارفته إلى مائتين وأربعين والمحبوب بمائتين وخمسين فنودي على صرفه بمائتين وأربعين وذلك كله من عدم الفضة العددية بأيدي الناس والصيارف لتحكيرهم عليها ليأخذها تجار الشام بفرط في مصارفتها تضم للميري فيدور الشخص على صرف القرش الواحد فلا يجد صرفه إلا بعد جهد شديد ويصرفه الصراف أو خلافه للمضطر بنقص نصفين أو ثلاثة.

وفيه، سافر أيضاً حسن الشماشرجي ولحق بالمجردين.

وفي أواخره، ورد الخبر بأن محو بك كاشف البحيرة قبض على السيد حسين نقيب الأشراف بدمنهور وأهانه وضربه وصادره وأخذ منه ألفي ريال بعد أن حلف أنه لم يأت بها في مدة أربع وعشرين ساعة وإلا قتله فوقع في عرض النصارى المباشرين فدفعوها عنه حتى تخلص بالحياة وكذلك قبض على رجل من التجار وقرر عليه جملة كثيرة من المال فدفع الذي حصلته يده وبقي عليه ما قرره عليه فلم يزل في حبسه حتى مات تحت العقوبة فطلب أهله رمته فحلف ألا يعطيها لهم حتى يكون ابنه في الحبس مكانه.

ومن الحوادث السماوية، أن في سابع عشرين رمضان غيمت السماء بناحية الغربية والمحلة الكبرى وأمطرت برداً في مقدار بيض الدجاج وأكبر وأصغر فهدمت دوراً وأصابت أنعاماً غير أنها قتلت الدودة من الزرع البدري.

واستهل شهر شوال بيوم الأحد سنة 1223

في أواخره حضر شاهين بك الألفي من ناحية البحيرة وذلك بعد ارتحال أولاد علي من الإقليم.

وفيه، أيضاً حضر سليمان كاشف البواب من ناحية قبلي وصحبته عدة من المماليك وأربعة من الكشاف فقابل الباشا وخلع عليه وأنزله ببيت طنان بسويقة العزى وسكن بها وحضر مطروداً من إخوانه المرادية.

واستهل شهر القعدة بيوم الاثنين سنة 1223

فيه عزل الباشا السيد المحروقي عن نظارة الضربخانه ونصب بها شخصاً من أقاربه.

وفي ثالث عشره، نزل والي الشرطة وأمامه المناداة على ما يستقرضه الناس من العسكر بالربا والزيادة على أن يكون على كل كيس ستة عشر قرشاً في كل شهر لا غير والكيس عشرون ألف نصف فضة وهو الكيس الرومي وذلك بسبب ما انكسر على المحتجين والمضطرين من الناس من كثرة الربا الضيق المعاش وانقطاع المكاسب وغلو الأسعار وزيادة المكوس قيضطر الشخص إلى الاستدانة فلا يجد من يداينه من أهل البلد فيستدين من أحد العسكر ويحسب عليه على كل كيس خمسين قرشاً في كل شهر وإذا قصرت يد المجيون عن الوفاء أضافوا الزيادة على الأصل وبطول الزمن تفحش الزيادة ويؤول الأمر لكشف حال المديون وجرى ذلك على كثير من مساتير الناس وباعوا أملاكهم ومتاعهم والبعض لما ضاق به الحال و لم يجد شيئاً خرج هارباً وترك أهله وعياله خوفاً من العسكري وما يلاقي منه وربما قتله فعرض بعض المديونين إلى الباشا فأمر بكتابة هذا البيورلدي ونزل به والي الشرطة ونادى به في الأسواق فعد ذلك من غرائب الحكام حيث ينادي على الربا جهاراً في الأسواق من غير احتشام ولا مبالاة لأنهم لا يرون ذلك عيباً في عقيدتهم.

وفي رباع عشرينه، غضب الباشا على محو بك الكبير الذي كان كاشفاً بالبحيرة ونفاه إلى أبي قير وأخذ أمواله وأنعم ببيته وهو بيت حسن آغا شنين بحارة عابدين وما بها من الخيل والجمال والجوار والخيام والمتاع على محو بك الصغير الأورفلي.

واستهل شهر ذي الحجة بيوم الثلاثاء سنة 1223

فيه وصلت الأخبار من إسلامبول بوقوع فتنة عظيمة وأنه لما حصل ما حصل في منتصف السنة من دخول مصطفى باشا البيرقدار على الصورة المذكورة وقتل السلطان سليم وتولية السلطان محمود وخذلان الينكجرية وقتلهم ونفيهم وتحكم مصطفى باشا في أمور الدولة واستمر من بقي منهم تحت الحكم فأجمعوا أمرهم ومكر مكرهم وحذر بعضهم مصطفى باشا من المذكورين فلم يكترث بذلك واستهون أمرهم واحتقر جانبهم وقال أي شيء هؤلاء منا وأرى بمعنى أنهم بياعون الفاكهة فكان حاله كما قيل فلا تحتقر كيد العدو فربما تموت الأفاعي من سموم العقارب ثم أنهم تحزبوا وحضروا إلى سرايته على حين غفلة بعد السحور ليلة السابع والعشرين من رمضان وجماعته وطائفته متفرقون في أماكنهم فحرقوا باب السراية وكبسوا عليه فقتل من قتل من أتباعه وهرب من هرب على حمية واختفى مصطفى باشا في سرداب فلم يجدوه وأوقعوا بالسراية الحرق والهدم والنهب وخاف السلطان لان سراية الوزير بجانب السراية السلطانية ففتح باب السراية التي بناحية البحر وأرسل يستعجل قاضي باشا بالحضور وكذلك قبطان باشا فحضرا إلى السراية واشتد الحرب بين الفريقين وأكثر الينكجرية من الحريق في البلدة حتى أحرقوا منها جانباً كبيراً فلما عاين السلطان ذلك هاله وخاف من عموم حريق البلدة وهو ومن معه محصورون بالسراية يوماً وليلة فلم يسعه إلا تلافي الأمر فراسل كبار الينكجرية وصالحهم وأبطلوا الحرب وشرعوا في إطفاء الحريق وخرج قاضي باشا هارباً وكذلك قبودان باشا وهو عبد الله رامز أفندي الذي كان في أيام الوزير بمصر ثم أنهم أخرجوا مصطفى باشا من المكان الذي اختفى فيه ميتاً من تحت الردم وسحبوه من رجليه إلى خارج وعلقوه في شجرة ومثلوا به وأكثروا على رمته من

السخرية وعند وقوع هذه الحادثة ومجيء قاضي باشا وكان من أغراض السلطان مصطفى المنفصل فخاف السلطان أن قاضي باشا إن غلب على الينكجرية فيعزله ويولي أخاه ويرده إلى السلطنة فقتل السلطان محمود أخاه مصطفى خنقاً ثم لما سكن الحال عينوا على قاضي باشا وقتلوه وكذلك عبد الله أفندي رامز قبودان باشا وكان مصطفى باشا البيرقدار هذا مشكور السيرة يحب إقامة العدل والوقت بخلاف ذلك.

وفيه، قوي إليهتمام بسد ترعة الفرعونية وتعين لذلك شخص يسمى عثمان السلانكلي الذي كان مباشراً على جسر الإسكندرية.

وفي منتصفه، سافر الباشا وصحبته حسن باشا لمباشرة الترعة التي يريدون سدها وأمر بوصق الأحجار وأفردوا لذلك عدة من المراكب تشحن بالأشجار والأخشاي الكبيرة وترجع فارغة وتعود موسوقة في كل يوم مرة وأمر بجمع الرجال من القرى للعمل.

وفيه، أيضاً شرع الباشا في إنشاء أبنية بساحل شبرا الشهيرة الآن بشبرا المكاسة وأشيع أن قصده إنشاء سواقي وعمائر وبساتين ومزارع وأخذ في الاستيلاء على ما يحاذي ذلك من القرى والأطيان والرزق والإقطاعات من ساحل شبرا إلى جهة بركة الحاج عرضاً.

وفي سابع عشره، خرجت عساكر كثيرة إلى البر الغربي بقصد الذهاب إلى الفيوم صحبة شاهين بك والألفية بسبب أولاد علي الذين كانوا بالبحيرة.

وفي ثاني عشرينه، وصل واحد قابجي وأشيع أنه طلع من بولاق وذهب إلى بيت الباشا وعلى يده مرسومان أحدهما تقرير للباشا على ولاية مصر والثاني يذكر فيه أن يوسف باشا المعدني الصدر السابق تعين بالسفر على جهة الشام لتنظيم بلاد العرب والحجاز أو يقوم محمد علي باشا بلوازمه وما يحتاج إليه من أدوات وذخير وغير ذلك ولم يظهر لذلك الكلام أثر ولما أصبح النهار وحضر ذلك القابجي في موكب إلى بيت الباشا وحضر الأشياخ والأعيان وكان الباشا غائباً في الترعة كما تقدم وعوضه كتخدا بك وأكابر دولتهم وقرئت المراسيم تحقق الخبر وانقضت السنة بحوادثها العامة، توالي الفرض والمظالم المتوالية وإحداث أنواع المظالم على كل شيء والتزايد فيها واستمرار الغلاء في جميع أسعار المبيعات والمآكل والمشارب بسبب ذلك وفقر أهل القرى وبيعهم لمواشيهم في الغارم فقل اللحم والسمن والجبن وأخذ مواشيهم وأغنامهم من غير ثمن في الكلف ثم رميها على الجزارين بأغلى ثمن ولا يذبحونها إلا في المذبح ويؤخذ منهم إسقاطها وجلودها ورؤوسها ورواتب الباشا وأهل دولته ثم يذهبون بما يبقى لهم لحوانيتهم فتباع على أهل البلد بأغلى ثمن حتى يخلص للجزار رأس ماله وإذا عثر المحتسب على جزار ذبح شاة اشتراها في غير المذبح قبض عليه وأشهره وأخذ ما في حانوته من اللحم من غير ثمن ثم يحبس ويضرب ويغرم مالاً ولا يغفر ذنبه ويسمى خائناً وفلاتياً ومنها انقطاع الحج الشامي والمصري معتلين بمنع الوهابي الناس عن الحج والحال ليس كذلك فإنه لم يمنع أحداً يأتي الحج على الطريقة المشروعة وإنما يمنع من يأتي بخلاف ذلك من البدع التي لا يجيزها الشرع مثل المحمل والطبل والزمر وحمل الأسلحة وقد وصل طائفة من حجاج المغاربة وحجوا ورجعوا في هذا العام وما قبله ولم يعترض لهم أحد بشيء ولما امتنعت قوافل الحج المصري والشامي وانقطع عن أهل المدينة ومكة ما كان يصل إليهم من الصدقات والعلائف والصرر التي

كانوا يتعيشون منها خرجوا من أوطانهم بأولادهم ونسائهم و لم يمكث إلا الذي ليس له إيراد من ذلك وأتوا إلى مصر والشام ومنهم من ذهب إلى إسلامبول يتشكون من الوهابي ويستغيثون بالدولة في خلاص الحرمين لتعود لهم الحالة التي كانوا عليها من إجراء الأرزاق واتصال الصلات والنيابات والخدم في الوظائف التي بأسماء رجال الدولة كالفراشة والكناسة ونحو ذلك ويذكرون أن الوهابي استولى على ما كان بالحجرة الشريفة من الذخائر والجواهر ونقلها وأخذها فيرون أن أخذه لذلك من الكبائر العظام وهذه الأشياء أرسلها ووضعها خساف العقول من الأغنياء والملوك والسلاطين الأعاجم وغيرهم إما حرصاً على الدنيا وكراهة أن يأخذها من يأتي بعدهم أو لنوائب الزمان فتكون مدخرة ومحفوظة لوقت الاحتياج إليها فيستعان بها على الجهاد ودفع الأعداء فلما تقادمت عليها الأزمنة وتوالت عليها السنين والأعوام الكثيرة وهي في الزيادة فارتدت معنى لا حقيقة وارتسم في الأذهان حرمة تناولها وأنها صارت مالاً للنبي صلى الله عليه وسلم فلا يجوز لأحد أخذها ولا إنفاقها والنبي عليه الصلاة والسلام متره عن ذلك و لم يدخر شيئاً من عرض الدنيا في حياته وقد أعطاه الله الشرف الأعلى وهو الدعوة إلى الله تعالى والنبوة والكتاب واختار أن يكون عبداً و لم يختر أن يكون نبياً ملكاً.

وثبت، في الصحيحين وغيرهما أنه قال اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً.

وروى، الترمذي بسنده عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عرض علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهباً قلت لا يا رب ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً أو قال ثلاثاً أو نحو ذلك فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك وإذا شبعت شكرتك وحمدتك ثم إن كانوا وضعوا هذه الذخائر والجواهر صدقة على الرسول ومحبة فيه فهو فاسد فهو لقول النبي صلى الله عليه وسلم أن الصدقة لا تنبغي لآل محمد إنما هي أوساخ الناس ومنع بني هاشم من تناول الصدقة وحرمها عليهم والمراد الانتفاع في حال الحياة لا بعدها فإن المال أوجده المولى سبحانه وتعالى من أمور الدنيا لا من أمور الآخرة قال تعالى إنما الحياة الدنيا لعب ولهو زينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد وهو من جملة السبعة التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز في قوله تعالى زين للناس حب الشهوات مكن النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب فهذه السبعة بها تكون الخبائث والقبائح وليست هي في نفسها أموراً مذمومة بل قد تكون معينة على الآخرة إذا صرفت في محلها. وعن مطرف عن أبيه قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ ألهاكم التكاثر قال يقول ابن آدم مالي مالي فهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت إلى غير ذلك ومحبة الرسول بتصديقه واتباع شريعته وسنته لا بمخالفة أوامره وكتر المال بحجرته وحرمان مستحقيه من الفقراء والمساكين وباقي الأصناف الثمانية وإن قال المدخر أكترها لترائب الزمان ليستعان بها على مجاهدة الكفار والمشركين عند الحاجة إليها قلنا قد رأينا شدة احتياج ملوك زماننا واضطرارهم في مصالحات المتغلبين عليهم من قرانات الإفرنج وخلو خزائنهم من الأموال التي أفنوها بسوء تدبيرهم وتفاخرهم ورفاهيتهم فيصالحون المتغلبين بالمقادير العظيمة بكفالة إحدى الفرق من الإفرنج المسالمين لهم واحتالوا على تحصيل المال من رعاياهم بزيادة المكوس والمصادرات والطلبات والاستيلاء على الأموال بغير حق حتى أفقروا تجارهم ورعاياهم و لم يأخذوا من هذه المدخرات شيئاً بل ربما كان عندهم أو عند خوندانهم جوهر نفيس من بقايا المدخرات فيرسلونه هدية إلى الحجرة ولا ينتفعون به في مهماتهم فضلاً عن إعطائه لمستحقه من المحتاجين

وإذا صار في ذلك المكان لا ينتفع به أحد إلا ما يختلسه العبيد خصيون الذين يقال لهم أغوات الحرم والفقراء من أولاد الرسول وأهل العلم والمحتاجون وأبناء السبيل يموتون جوعاً وهذه الذخائر محجور عليها وممنوعون منها إلى أن حضر الوهابي واستولى على المدينة وأخذ تلك الذخائر فيقال أنه عبى أربعة سحاحير من الجواهر المحلاة بالألماس والياقوت العظيمة القدر ومن ذلك أربع شمعدانات من الزمرد وبدل الشمعة قطعة ألماس مستطيلة يضيء نورها في الظلام نحو مائة سيف قراباها ملبسة بالذهب الخالص ومنزل عليها ألماس وياقوت ونصابها من الزمرد واليشم ونحو ذلك وسلاحها من الحديد الموصوف كل سيف منها لا قيمة له وعليها دمغات باسم الملوك والخلفاء السالفين وغير ذلك.

ومنها أن الباشا عزم على عمارة المجراة التي تنقل الماء إلى القلعة وقد خربت وتلاشى أمرها وتهدمت قناطرها وبطل نقل الماء عليها من نحو عشرين سنة فقيد بعمارتها محمد أفندي طبل ناظر المهمات فعمرها وأجرى الماء بها في أواخر الشهر الماضي.

ومنها أحداث عدة مكوس على أصناف كثيرة منها على بضاعة اللبان عن كل قطعة ثلاثمائة نصف فضة وكذلك على صنف الحناء عن كل مخلة عشرة أنصاف وكذلك الموزونات كل مائة درهم أربعة دراهم على البائع درهمان وعلى المشتري درهمان وغير ذلك حوادث كثيرة لا نعلمها.

وأما من مات بها ممن له ذكر

فمات الأجل المبجل والمحترم المفضل السيد خليل البكري الصديقي ووالدته من ذرية شمس الدين الحنفي وهو أخو الشيخ أحمد البكري الصديقي الذي كان متولياً على سجادتهم، ولما مات أخوه لم يلها المترجم لما فيه من الرعونة واتكابه أموراً غير لائقة بل تولاها ابن عمه السيد محمد أفندي مضافة لنقابة الأشراف فتنازع مع ابن عمه المذكور وقسموا البيت الذي هو مسكنهم بالأزبكية نصفين وعمر منابه عمارة متقنة وزخرفه وأنشأ فيه بستاناً زرع فيه أصناف الأشجار والفواكه، فلما توفي السيد محمد أفندي تولى المترجم مشيخة السجادة وتولى نقابة الأشراف السيد عمر مكرم الأسيوطي، فلما طرق البلاد الفرنساوية تداخل المترجم فيهم وخرج السيد عمر مع من خرج هارباً من الفرنساوية إلى بلاد الشام وعرف المترجم الفرنساوية أن النقابة كانت لبيتهم وأنهم غصبوها منه فقلدوه إياها واستولى على وقفها وإيرادها وانفرد بسكن البيت وصار له قبول عند الفرنساوية وجعلوه من أعاظم رؤساء الديوان الذي كانوا نظموه لإجراء الأحكام بين المسلمين فكان وافر الحرمة مسموع الكلمة مقبول الشفاعة عندهم فازدحم بيته بالدعاوي والشكاوي واجتمع عنده مماليك من مماليك الأمراء المصرية الذين كانوا خائفين ومتغيبين وعدة خدم وقواسة ومقدم كبير وسراجين وأجناد واستمر على ذلك إلى أن حضر يوسف باشا الوزير في المرة الأولى التي انتقض فيها الصلح ووقعت الحروب في البلدة بين العثمانية والفرنساوية والأمراء المصرية وأهل البلدة فهجم على داره المتهورون من العامة ونهبوه وهتكوا حريمه وعروه عن ثيابه وسحبوه بينهم مكشوف الرأس من الأزبكية إلى وكالة ذي الفقار بالجمالية وبها عثمان كتخدا الدولة فشفع فيه الحاضرون وأطلقوه بعد أن أشرف على الهلاك وأخذه الخواجا أحمد بن محرم إلى داره وأسكن روعه وألبسه ثياباً وأكرمه وبقي بداره إلى أن انقضت أيام الفتنة وظهرت الفرنساوية على المحاربين لهم وخرجوا من البلدة واستقر بها الفرنساوية فعند ذلك ذهب إليهم وشكا لهم ما حل به بسبب موالاته لهم فعرضوا عليه ما نهب ورجع إلى

الحالة التي كان عليها معهم وكانت داره أخرها النهابون فسكن ببيت البارودي بباب الخرق، ثم انتقل منه إلى بيت عبد الرحمن كتخدا القازدغلي بحارة عابدين وجدد بها عمارة وكان له ابنة خرجت عن طورها في أيام الفرنسيس، فلما أشيع حضور الوزير والقبودان والإنكليز وظهر على الفرنساوية الخروج من مصر فقتل ابنته المذكورة بيد حاكم الشرطة، فلما استقرت العثمانية بالديار المصرية عزل المترجم عن نقابة الأشراف وتولاها السيد عمر مكرم، كما كان قبل الفرنساوية ولما حضر محمد باشا خسرو أنهى إليه لكارهون له بأنه مرتكب للموبقات ويعاقر الشراب وغير ذلك وأن ابنته كانت تذهب إلى الفرنسيس بعلمه وأنه قتلها خوفاً وتبرئة لنفسه من الشهرة التي لا يمكنه سترها ولا يقبل عذره فيها ولا التنصل منها وإنه لا يصلح لمشيخة سجادة السادة البكرية وعرفوه أن هناك شخصاً من سلسلتهم يقال له الشيخ محمد سعد وهو من جملة أتباع المترجم ولكنه فقير لا يملك شيئاً ولا دابة يركبها فقال الباشا أنا أواسيه وأعطيه فأحضروه له بعد أن ألبسوه تاجاً كبيراً وثياباً وهو رجل مبارك طاعن في السن فألبسه فروة سمور وقدم له حصاناً معدداً وقيد له ألف قرش وسكن داراً بناحية باب الخرق وتريش حاله وخمل أمر المترجم واشترى داراً بدرب الجماميز بعطفة الفرن وكان بظاهرها قطعة جنينة فاشتراها وغرس بها أشداراً وحسنها وأتقنها وبنى له مجلساً مطلاً عليها وبالأسفل مياطب ولواوين جلوس لطيفة واشترى دارين من دور الأمراء المتقدمينن بظاهر ذلك وهدمهما وبنى بأنقاضهما وأخشابهما وباع ما كان تحت يده من حصص الالتزام وسد بأثمانها ديونه واقتصر على إيراده فيما يخصه من وقف جده لأنه الأستاذ الحنفي وتصدى لمقاقمته وأذيته أنفار من المتظاهرين مثل السيد عمر مكرم النقيب والشيخ محمد وفا السادات وخلافهما حتى أنه كان عقد لابنه سيدي أحمد على بنت المرحوم محمد أفندي البكري فتعصبوا عليه بعد عزله من المشيخة والنقابة وأبطلوا العقد وفسخوا النكاح ببيت القاضي ةتسلط عليه من له دين أو دعوى أو مطالبة حتى بيعوه حصصه وكان قد أشترى مملوكاً في أيام الفرنساوية جميل الصورة، فلما حصل له ما حصل ادعى عليه البائع أنه أخذه بدون

القيمة ولم يدفع له الثمن، فلم يثبت عليه ذلك وكان المملوك ذهب من عنده وتم الأمر والمصالحة على أن عثمان بك المرادي أخذ ذلك المملوك لنفسه وقد تقدم ذكر قصته في الحوادث السابقة، ولم يزل المترجم على حالة خموله حتى تحرك عليه داء الفتق ومات على حين غفلة في منتصف شهر ذي الحجة وصلي عليه بمسجد جده لأمه الشيخ شمس الدين أبو محمد الحنفي ودفن عند أسلافه بمشهد السادة البكرية بالقرافة رحمه الله وعفا عنا وعنه.

ومات الأمير شاهين بك المرادي، ويعرب بباب اللوق لأنه كان ساكناً هناك وهو من مماليك مراد بك وأصله جركسي الجنس ولما أعتقه مراد بك أنعم عليه بكشوفية إقليم الغربية، ثم رجع إلى مصر وأقام بطالاً متطلعاً للإمارة ويرى أنه أحق بها من غيره، ولما رجع المصريون إلى مصر بعد قتل طاهر باشا وكان الألفي غائباً ببلاد الإنكليز انضم إليه عثمان بك البرديسي ووافقه على كراهة الألفي الباطنية وكان هو أحد المباشرين والضاربين لحسين بك الوشاش بالبر الغربي ليلة خروجهم وتعديتهم لملاقاة الألفي، ثم خرج من مصر مع عشيرته ولم يزل حتى مات في منتصف شهر ربيع الأول من السنة المذكورة والله أعلم.

سنة أربع وعشرين ومائتين وألف استهل شهر المحرم بيوم الخميس وفي تلك الليلة أعني ليلة الجمعة ثانيه مرت سحابة سوداء مظلمة في وقت العشاء وحصل فيها رعد مزعج وبرق مستنير شديد اللمعان وأمطرت في محلات قليلاً وفي أخرى كثيراً، ثم انجلت السماء سريعاً فظهرت النجوم وبعد أيام أخبر الواردون من ناحية السماحات بالغربية أنها أمطرت بتلك الناحية في تلك

الليلة برداً كبيراً وصغيراً والكبير في مقدار حجر الطاحون والصغير في مقدار بيض الدجاج وهدمت منها دور وقتلت مواشي وآدمية وأهلكت زروعاً كثيرة.

وفي يوم الأحد رابعه، قتل الباشا حسين بن الخبيري وهو بترعة الفرعونية وأرسل رأسه إلى مصر فعلقت بباب زويلة.

وفي أواخره حضر الباشا من ترعة الفرعونية وقد عجز عن سدها بعد أن بذل جهده وفرض الفرض العظيمة على البلاد وأشغلوا المراكب في نقل الأحجار ليلاً ونهاراً والسيد محمد المحروقي متقيد لذلك ومقيم بمسجد الآثار لتشهيل الحجارين ووسقها بالمراكب وقطعها من الجبل قطعاً وصخوراً فكانوا يشقون الجبل بألغام البارود مثل عمل الإفرنج وظهر في قطعهم كهوف ومغارات وتجاويف وتحدث الناس بذلك بأنواع الأكاذيب والخرافات كقولهم ظهر في الجبل باب من حديد وعليه أقفال ففتحوه ونظروا من داخله أشخاصاً على خيول إلى غير ذلك.

وفيه حضر قاصد من قبودان باشا بطلب عوائده بالإسكندرية فقال له حاكم الإسكندرية ينبغي أن تذهب إلى الباشا بالترعة وتقابله فذهب إليه وقابله عند السد فبات تلك الليلة وأصبح ميتاً فأخرجوه إلى المقبرة ثم حضر قاصد آخر يخبر بوصول قابجي وعلى يده مرسومان أحدهما الأخبار عن صلح الدولة مع الإنكليز والموسكوب وانفتاح البحر وأمن المسافرين والثاني الأمر بالسفر والخروج إلى فتح الحرمين وطرد الوهابية عنهما وأن يوسف باشا الصدر السابق المعروف بالمعدن تعين بالسفر للحرمين على طريق الشام وكذلك سليمان باشا والي بغداد متعين أيضاً بالسفر من ناحيته على الدرعية وأحضر للباشا تقريراً بالولاية مجدداً وخلعة وسيفاً.

ودخلت سنة 1224

واستهل شهر صفر بيوم السبت سنة 1224

فيه حضر الآغا الواصل إلى بولاق فركب لملاقاته آغات الينكجرية والوالي وأرباب العكاكيز فأركبوه في موكب ودخلوا به من باب النصر وطلع إلى القلعة وقرؤوا المراسيم بحضرة الجمع وبعد الفراغ من قراءتها ضربوا مدافع وشنكاً.
وفي ذلك اليوم غيمت السماء بالسحاب وأمطرت كثيراً ونزل مطر ببركة الحاج وجدوا فيه سمكاً صغيراً من جنس السمك الذي يعرف بالقاروص وصار ينتطط على الأرضص وأحضروا منه إلى مصر وشاهدناه وهو في غاية البرودة.

وفيه اهتم الباشا بإخراج تجريده إلى الأمراء القبليين وذلك أنه تقدم بالإرسال إليهم يطالبهم بالغلال والأموال الميرية المرار العديدة ويعدون ولا يوفون ووصل إليه من عندهم رضوان كتخدا البرديسي وهو بالترعة ومعه أجوبة وهدية وفيها خيول وجوار وعبيد وسكر وخصيان فاغتاظ الباشا من قال أنا لست أطلب إحسانهم وصدقاتهم حتى أنهم يضحكون على ذقني بهذه الأمور وحيث أنهم لا يرجعون عن الكامن في رؤوسهم فلا بد من خروجي إليهم ومحاربتهم وأرسل إلى من بمصر من الأكبر يأمرهم بالبراز والخروج فخرج حسن باشا وصالح آغا قوج وطاهر باشا وأحمد بك والكثير من أعيانهم بعساكرهم وعدوا إلى بر الجيزة ونصبوا وطاقهم وخيامهم، ثم أن رضوان كتخدا لم يزل يلاطفه حتى توافق معه على وعد مقدار مسافة ذهاب الجواب ورجوعه أياماً معدودة، فلما حضر من الترعة أخذ في التشهيل والخروج فانتقلت العساكر إلى البر الغربي وأخذ يستحث في المطلوبات وخروج الخيام وجمع المراكب وسافر قبودان بولاق إلى جهة بحري لجمع المراكب وفرضوا على القرى غلالاً وجمالاً وذلك في عقب ما فرضه عليهم في مهمات الترعة المتقدمة وخلافها من بشارة القبطان والتقرير وما في ضمن ذلك من حق طرق المباشرين والمعينين مع ما الناس فيه من القحط والغلاء في الغلال وغيرها وعدم وجود الغلة والذين لا يقدرون على تحصيل الغلة يلزمونهم بدفع ثمنها بأقصى القيمة بعد مصانعة المباشرين لذلك وإعطائهم الرشوات وحضر أيضاً نعمان سراج باشا من عند إبراهيم بك وقابل الباشا على الترعة، فلم ينفع حضوره أيضاً و لم يسمع له قول ورجع مزيفاً.
وفي خامسه حضر علي بك أيوب وصحبته آخر يقال له رضوان بك البرديسي فطلعا إلى القلعة وتقابلا مع الباشا وانخضع له علي بك أيوب وقبل رجله وترجى عنده في عدم خروج التجريدة وكلمه في أمر الغلال المنكسرة والجديدة وعلى أنهم يقومون بدفع الغلال القديمة بالثمن والجديدة بالكيل وليس عندهم مخالفة والقصد الإمهال إلى حصاد الغلال فقال أنهم إذا حصدوا الغلال أخذوها وفروا إلى الجبال واستمر هذا القيل والقال نحو أربعة أيام، ثم أشيع في ثامنه الصلح وفرح الناس واستبشروا بذلك لما يترتب وما يحصل من الفساد وأكل المزروعات وخراب البلدان فإنهم أكلوا في الأربعة أيام التي ترددوا فيها بالجيزة نيفاً وخمسمائة فدان، ولما أشيع بالجهة القبلية خروج العساكر للتجريدة انزعجوا وأيسوا من زروعاتهم وخرجوا من أوطانهم على وجوههم لا يدرون أين يذهبون بأولادهم ونسائهم وقصاعهم وتفرقوا في مصر والبلاد البحرية.
وفي صبحها أعيد أمر التجريدة وأشيع خروج العساكر ثانياً فانقبضت النفوس ثانياً وباتوا في نكد وطلبت السلف من المساتير والملتزمين وكتبت الدفاتر وحولت الأكياس وانبثت المعينون للطلب.

وفي عاشره بطل أمر التجريدة وانقضى أمر الصلح على شروط وهي أنهم التزموا بثلث ما عليهم من غلال الميري وقدره مائة ألف أردب وسبعة آلاف أردب بعد مناقشات ومحققات والذي تولى المناقشات معهم مساعداً للباشا شاهين بك الألفي والموعد أحد وثلاثون يوماً وسافر علي بك أيوب ورضوان بك البرديسي وأكرمهما الباشا وخلع عليهما.

وفي حادي عاشره قتل الباشا مصطفى آغا تابع حسن بك في قصبة رضوان ظلماً وسبب ذلك أنه لما نزل قبودان لجمع المراكب المطلوبة لسفر التجريدة فصادف شخصاً من الأرنؤد الذين يتسببون في بيع الغلال في مركب ومعه غلة وذلك عند قرية تسمى سهرجت فحجزه ليأخذ منه السفينة فقال كيف تأخذها وفيها غلتي قال أخرج غلتك منها على البر واتركها فإنه مطلوبة لمهمات الباشا فلم يرض وخاف على تبددها، ولم يجد سفينة أخرى لأن جميع السفن مطلوبة مثلها وقال له عندما أصل بها إلى مصر وأنقل منها الغلة أرسل معي من يأخذها فقال القبودان لا سبيل إلى ذلك وتشاجرا فحنق القبودان على الأرنؤدي وسل عليه سيفه ليضربه فعاجله الأرنؤدي وضربه بالطبنجة فقتله فأراد أتباع القبودان القبض عليه ففر منهم إلى البلدة وبها جماعة من الدلاة معينون لقبض الفرضة فالتجأ إليهم فمانعوا عنه وتنازع الفريقان وكان مصطفى آغا المذكور ملتزم البلدة هناك وغائباً في بعض شؤونه فبلغه الخبر فحضر إليهم وخاف من وقوع قتل أو شر يقع بالبلدة فيكون سبباً لخراب الناحية فقال يا جماعة اذهبوا بنا إلى الباشا ليرى رأيه فرضوا بذلك وحضر بصحبتهم والقاتل معهم وطلعوا إلى ساحل بولاق فعندما وصلوا إلى البر هرب القاتل وذهب عند عمر بك الأرنؤدي الساكن ببولاق فتبعه الأمير مصطفى المذكور فقال له عمر بك اذهب إلى الباشا وأخبره أنه عندي وأنت لا بأس عليك ففعل فقال له الباشا ولأي شيء لم تحتفظ عليه وتتركه حتى يهرب فاعتذر بعدم قدرته على ذلك من الدلاتية الملتجئ إليهم وكأنهم هم الذين أفلتوه فأمر بحبسه فأرسل إلى عمر بك فحضر إلى الباشا وترجى في إطلاقه فوعده أنه في غد يطلقه إذا حضر القاتل فقال أنه عند أزمير آغا وهو لا يسلم فيه وركب إلى داره، فلما كان في الصباح أمر بقتل الأمير مصطفى المذكور فأنزلوه إلى الرميلة ورموا رقبته عند باب القلعة ظلماً.

وفي صبحها أيضاً قتلوا شخصاً من الدلاة بسبب هذه الحادثة.

وفي ثاني يوم قتل الأرنؤد شخصين من الدلاة أيضاً.

وفي يوم الخميس ثالث عشره أرسل الباشا وطلب الأرنؤدي القاتل للقبودان من عمر بك وشدد في طلبه وقال إن لم يرسله وإلا أحرقت عليه داره فامتنع من إرساله وجمع إليه طائفة من الأرنؤد وصالح آغا قوج جاره وركب الباشا وذهب إلى ناحية الشيخ فرج وحصل ببولاق قلقة وانزعاج ثم ركب الباشا راجعاً إلى داره بالأزبكية وقت الغروب وكثرت الأرجاف والقلقة بين الأرنؤد والدلاتية.

وفي خامس عشره قتل الأرنؤد شخصين من الدلاتية أيضاً جهة قناطر السباع، ثم أن القاتل الذي قتل القبودان التجأ إلى كبير من كبار الأرنؤد فأرسل الباشا إلى حسن باشا يطلب منه ذلك الكبير وأكد في طلبه أو أنه بقطع رأس القاتل ويرسلها فكأنه فعل وأرسل إليه برأس ملفوفة في ملاية تسكيناً لحدته وبردت القضية وسكنت الحدة وراحت على من راحت عليه.

وفي أواخره أمر الباشا بتحرير دفاتر فرضة الأطيان وزادوا فيها عن عام الشرقي الماضي الثلث وربطوها ورتبوها أربع مراتب تزيد كل ضريبة عن الأخرى مائة نصف فضة أعلاها يبلغ ثمانمائة نصف فضة على أن الفرضة الماضية بقي الكثير منها بالذمم

لخراب القرى وعجزهم واختلى لتنظيم ذلك من الأفندية والأقباط بجهات متباعدة الأفندية بربع أيوب ببولاق والأقباط بدير مصر العتيقة حتى حرروا ذلك وتمموه ورتبوه في عد أيام ووقع الطلب في جانب معجلاً سموه الترويجة.
وفيه أمر الباشا عمر بك الأرنؤدي بالسفر من مصر وقطع خرجه وراتبه هو وعسكره فلم تسعه المخالفة وحاسب على المنكسر له ولعسكره من العلائف وكذلك حلوان البلاد التي في تصرفه فبلغ نحو ستمائة كيس وزعت على دائرة الباشا وخلافهم وكان الباشا ضبط جملة من حصص الناس واستولى عليها من بلاد القليوبية بحري شبرا واختصها لنفسه، فلما استولى على حصص عمر بك ودفع حلوانها وهي بالمنوفية والغربية والبحيرة عوض بعض من يراعي جانبه من ذلك وأخذ عمر بك ومن يلوذ به في تشهيل أنفسهم وقضاء حوائجهم.

واستهل شهر ربيع الأول سنة 1224

فيه شرع السيد عمر مكرم نقيب الأشراف في عمل مهم لختان ابن ابنته ودعا الباشا والأعيان وأرسلوا إليه الهدايا والتعابي وعمل له زفة يوم الاثنين سادس عشره مشى فيها أرباب الحرف والعربات والملاعيب وجمعيات وعصب صعايدة وخلافهم من أهالي بولاق والكفور والحسينية وغيرها من جميع الأصناف وطبول وزمور وجموع كثيرة فكان يوماً مشهوداً اكتريت فيه الأماكن للفرجة، وكان هذا الفرح هو آخر طنطنة السيد عمر بمصر فإنه حصل له عقيب ذلك ما سيتلى عليك قريباً من النفي والخروج من مصر.
وفيه كمل سد ترعة الفرعونية واستمر العمل فيها وفي تأييد السد بالأحجار والمشمعات والأتربة نحو ستة أشهر وصرف عليها من الأموال ما لا يحصى وجرى مجرى البحر الشرقي وغزر ماؤه وجرت فيه السفن من دمياط بعد أن كان مخاضة وملحت عذوبة النيل بما انعكس فيه وخالطه من ماء البحر الملح إلى قبلي فارس كور وأقام بالسد عمر بك تابع الأشقر لخفارته وتعهد الخلل وكتم الجسر من النشع والتنفيس وسكن هناك ولم يفارقه واستمر في هذه الوظيفة والخدمة ولم يقم بمصر.
وفي هذا الشهر وما قبله تشحطت الغلال وغلا سعرها حتى بلغ الأردب القمح ألفاً وستمائة نصف فرضة وعز وجوده بالرقع والعرصات وأما السواحل فلا يكاد يوجد بها شيء من الغلة بطول السنة ولولا لطف الله بوجود الذرة لهلكت الخلائق ومع ذلك استمرار المغارم والفرض حتى فرض الغلة عين وكذلك تبن وجمال وما ينضاف إلى ذلك مما سمعته غير مرة مما يطول شرحه.
وليه نودي على صرف الفراسة والمحبوب والمجر، كما نودي في العام الماضي لأنه لما نودي بنقص صرفها ومضى نحو الشهر أو الشهرين رجع الصرف إلى ما كان عليه وزيادة فأعيد النداء كذلك وسيعود الخلاف ما دام الكرب والضيق بالناس على أن هذه المناداة والأوامر بالنقص والزيادة ليست من باب الشفقة على الناس ولا الرحمة وإنما هي بحسب أغراضهم وزيادة طمعهم فإنه إذا توجهت المطالبات بالفرض والمغارم نودي بالنقص ليزيد الفرط وتتوفر لهم الزيادة ويحصل التشديد والمعاقبة على من يقبض بالزيادة من أهل الأسواق وإذا كان الدفع من خزانتهم في علائف العسكر أو لوازمهم الكبيرة قبضوها بأزيد من الزيادة

التي نادوا عليها من غير مبالاة ولا احتشام تناقض ما لنا إلا السكوت عنه.
وفي أواخره تواجدت الغلال وانحل سعرها وحضر الفلاحون ببداري الغلة وانحط السعر والحمد لله.

واستهل شهر ربيع الثاني سنة 1224

في سادسه وردت مراسيم من الروم وبشارة بمولودة ولدت للسلطان وسموها فاطمة وفي المراسيم الأمر بالزينة فاقتضى الرأي أن يعملوا شنكاً ومدافع من القلعة تضرب في الأوقات الخمسة سبعة أيام وهذا شيء لم يسمع بمثله فيما سبق أن يعملوا للأنثى شنكاً أو زينة أو يذكر ذلك مطلقاً وإنما يعمل ذلك للمولود الذكر من بدع الأعاجم.
وفي يوم الثلاثاء ثامنه، حضر من الأمراء المصريين القبالي مرزوق بك ابن إبراهيم بك وسليم آغا مستحفظان وقاسم بك سلحدار مراد بك وعلي بك أيوب حسب الاتفاق المتقدم في تقرير الصلح ولكن لم يكن سليم آغا مذكوراً في الحضور بل كان منجمعاً وممتنعاً عن التداخل في هذه الأحوال والسبب في حضوره أن زوجته توفيت من نحو نصف شهر فحضر لأجل تركتها ومتاعه إلى عندها وحصصها ولما حضر وجد الباشا استولى على ذلك وأخذ المتاع والمصاغ والجواهر والعقار وأخذ الحصص وأخذ حلوانها وذلك بيد محمود بك الدويدار، فلما حضر سليم آغا لم يجد شيئاً لا دار ولا عقار ولا نافخ نار فترل عند علي بك أيوب بمترله بشمس الدولة فحضر إليه محمود بك الدويدار والترجمان وأخذ بخاطره وطمناه وأخبراه أن الباشا سيعوض عليه ما ذهب منه وزيادة وزرعا له فوق السطوح فلم يسعه إلا التسليم.
وفيه سقط سقف القصر الذي أنشأه الباشا بشبرا وشرعوا في تعميره ثانياً.
وفيه وصل الخبر بحضور زوجة الباشا أم أولاده وابنه الصغير واسمه إسماعيل وابن بونابارته الخازندار وكثير من أقاربهم وأهاليهم حضر الجميع من بلدهم قوله إلى الإسكندرية فإنهم لما طابت لهم مصر واستوطنوها وسكنوها وتنعموا فيها أرسلوا إلى أهاليهم وأولادهم وأقاربهم بالحضور فكانوا في كل وقت يأتون أفواجاً أفواجاً نساء ورجالاً وأطفالاً، فلما وصل خبر وصولهم إلى اسكندرية سافر لملاقاتها ابنها إبراهيم بك الدفتردار وذلك حادي عشره.

وفي ثالث عشره، حضر المذكور قبل حضور الواصلين، ولما وصلوا نزل الباشا لملاقاتهم إلى بولاق.
وفي يوم الاثنين رابع عشره، نبهوا على جميع النساء والخوندات وكل من كانت لها اسم في الالتزام أن يركبن بأسرهن ويذهبن إلى ملاقاة امرأة الباشا ببولاق وذلك صبح يوم الأربعاء واعتذرت الست نفيسة المرادية بأنها مريضة ولا تقدر على الحركة والخروج فلم يقبلوا لها عذراً، فلما كان صبح يوم الأربعاء اجتمع السواد الأعظم من النساء بساحل بولاق على الحمارة المكارية وهم أزيد من خمسمائة مكاري حتى ركبت زوجة الباشا وساروا معها إلى الأزبكية وضربوا لوصولها وحلولها بمصر عدة مدافع كثيرة من القلعة والأزبكية، ثم وصلت الهدايا والتقادم وأقبلت من كل ناحية الهدايا المختصة بالأولاد والمختصة بالنساء.

واستهل شهر جمادى الأولى سنة 1224

في ثالثه يوم السبت نزل عمر بك الأرنؤد إلى المراكب من بيته من بولاق وسافر على طريق دمياط ليذهب إلى بلاده وسافر معه نحو المائة وهم الذين جمعوا الأموال واجتمع لعمر بك المذكور من المال والنوال أشياء كثيرة عبأها في صناديق كثيرة وأخذها معه وذلك خلاف ما أرسله إلى بلاده في دفعات قبل تاريخه.

وفي يوم الخميس خامس عشره، سافر علي بك أيوب وسليم آغا مستحفظان إلى ناحية قبلي واستمر بمصر مرزوق بك وقاسم بك المرادي.

وفيه، طلب الباشا ألف كيس من لمعلم غالي وألزمه بها فوزعها على المباشرين والكتبة وجمعها في أقرب زمن.

وفيه حضر سلحدار الوزير يوسف باشا وعلى يده مرسوم مضمونه طلب ما كان أحدثه حين كان بمصر على أوراق الإقطاعات والفراغات وتقاسيط الالتزام الذي سموه قصر اليد وخرج القلم وجعل إيراد ذلك لنفسه فأرسل يطلب ذلك من تاريخ سنة 1217 سبعة عشر ومائتين وألف إلى وقت تاريخه حسب قدر ذلك فبلغ نيفاً وأربعة آلاف كيس.

وفيه، شرعوا في تحرير دفتر بنصف فائظ الملتزمين ودفتر آخر بفرض مال على الرزق الإحباسية المرصدة على المساجد والأسبلة والخيرات وجهات البر والصدقات وكذلك أطيان الأوسية المختصة أيضاً بالملتزمين وكتبوا مراسيم إلى القرى والبلاد وعينوا بها معينين وحق طرق من طرف كشاف الأقاليم بالكشف على الرزق المرصدة على المساجد والخيرات وتقدموا إلى كل متصرف في شيء من هذه الأطيان وواضع عليها يده بأن يأتي بسنده إلى الديوان ويجدد سنده ويقوى بمرسوم جديد وإن تأخر عن الحضور في ظرف أربعين يوماً يرفع عنه ذلك ويمكن منه غيره وذكروا في مرسوم الأمر علة وحجة لم يطرق الأسماع نظيرها بأنه إذا مات السلطان أو عزل بطلت تواقيعه ومراسيمه وكذلك نوابه ويحتاج إلى تجديد تواقيع من نواب المتولي الجديد ونحو ذلك ثم ليعلم أن هذه الإرصادات والأطيان موضوعة من أيام الملك الناصر يوسف صلاح الدين الأيوبي في القرن الخامس من مصاريف بيت المال ليصل إلى المستحقين بعض استحقاقهم من بيت المال بسهولة ثم اقتدى به في ذلك الملوك والسلاطين والأمراء إلى وقتنا هذا فيبنون المساجد والتكايا والربط والخوانق والأسبلة ويرصدون عليها أطياناً يخرجونها من زمام أو سيتهم فيستغل أخراجها أو غلالها لتلك الجهة وكذلك يربطون على بعض الأشخاص من طلبة العلم والفقراء على وجه البر والصدقة ليتعيشوا بذلك ويستعينوا به على طلب العلم وإذا مات المرصد عليه ذلك قرر القاضي أو الناظر خلافه ممن يستحق ذلك وقيد اسمه في سجل القاضي ودفتر الديوان السلطاني عند الأفندي المقيد بذلك الذي عرف بكاتب الرزق فيكتب له ذلك الأفندي سنداً بموجب التقرير يقال له الإفراج ثم يضع عليه علامته ثم علامة الباشا والدفتردار ولكل إقليم من الأقاليم القبلية والبحرية دفتر مخصوص عليه طرة من خارج مكتوب فيها اسم ذلك الإقليم ليسهل الكشف والتحرير والمراجعة عند الاشتباه وتحرير مقادير حصص أرباب الاستحقاقات و لم يزل ديوان الرزق الأحباسية محفوظاً مضبوطاً في جميع الدول المصرية جيلاً بعد جيل لا يتطرفه خلل إلا ما يترل عنه أرباب لشدة احتياجهم بالفراغ لبعض الملتزمين بقدر من الدراهم معجل ويقرر للمفرغ على نفسه قدراً مؤجلاً دون القيمة الأصلية في نظير المعجل الذي دفعه للمفرغ ويسمونها حينئذ داخل الزمام لم تزل على ذلك بطول القرون الماضية وتملك الفرنساوية الديار المصرية فلم يتعرضوا الشيء من ذلك ولما حضر شريف أفندي الدفتردار بعد دخول يوسف باشا الوزير ووجه الطلب على الملتزمين بأن يدفعوا للدولة حلواناً جديداً على النظام والنسق الذي ابتدعوه

للتحيل على تحصيل المال بأي وجه زاعمين أن أرض مصر صارت دار حرب بتملك الفرنساوية وأنهم استنقذوها منهم واستولوا عليها باستيلاء جديد وصارت جميع أراضيها ملكاً لهم فمن يريد الاستيلاء على شيء من أرض وغيرها فليشتره من نائب السلطان بمبلغ الحلوان الذي قدروه واطلعوا عليه على التقاسيط وفي بعضها ما رفع عنه الميري الذي يقبض للخزينة بإذن الولاة بعد المصالحات والتعويض من المصاريف والمصارف الميرية كالعلائف والغلال والبعض تمم ذلك بمراسيم سلطانية كما يقولون شريفة بحيث يصير الالتزام مثل الرزق الأحباسية ويسمونه خزينة بند ومنهم من أبقى على التزامه شيئاً قليلاً سموه مال الحماية فلم يسهل بهم إبطال ذلك بل جعل عليها الدفتردار الميري الذي كان مقيداً عليها أو أقل أو زيد بحسب واضع اليد وإكرامه إن كان ممن يكرم وضمه إلى مال الحماية الأصلي أو المستجد فقط وضيع على الناس سعيهم وما بذلوه من مرتباتهم وعلائفهم التي وضعوها وقيدوها في نظير جعلها بند، كما ذكر تقي لكتابة الإعلامات عبد الله أفندي رامز القبودان وقاضي باشا وسمي في ذلك الوقت بكاتب الميري وتوجه نحوه الناس لأجل كتابة الإعلامات لثبوت رزقهم الأحباسية وتجديد سنداتها فتعنت عليهم بضروب من التعنت كأن يطلب من صاحب العرضحال إثبات استحقاقه فإذا ثبت له لا يخلو إما أن يكون ذلك بالفراغ أو المحلول فيكلفه إحضار السنجات وأوراق الفرآغات القديمة فربما عدمت أو بليت لتقادم السنين أو تركها واضع اليد لاستغنائه عنها بالسند الجديد أو كان القديم مشتملاً على غير المفروغ عنه فيخصم بهامشه بالمترول عنه ويبقى القديم عند صاحب الأصل فإن أحضره إليه تعلل بشيء آخر واحتج بشبهة

أخرى فإذا لم يبق له شبهة طالبه بحلوانها عن مقدار إيرادها ثلاث سنوات وإلا فخمس سنوات وذلك خلاف المصاريف فضج الناس واستغاثوا بشريف أفندي دفتردار فعزل عبد الله أفندي رامز المذكور عن ذلك وقيد أحد كتابه الإعلامات وقرر على كل فدان عشرة أنصاف فضة، فما دونها يرسمها في السند الجديد وجعلها مال حماية وأوهم الناس أن مال الحماية يكون زيادة في تأكيد الأحباس وحماية له من تطرق الخلل فاستسهل الناس ذلك وشاع في الإقليم المصري فأقبل الناس من البلاد القبلية والبحرية لتجديد سنداتهم فطفقوا يكتبون السندات على نسق تقاسيط الالتزام لا على الوضع القديم ويعلم عليها الدفتردار فقط وأما الصورة القديمة فكانت تكتب في كاغد كبير بخط عربي مجرد وعليها طرة بداخلها اسم والي مصر وممهورة بختمه الكبير وعليها علامة الدفتردار وبداخلها صورة أخرى تسمى التذكرة مستطيلة على صورة التقسيط الفرمة ممهورة أيضاً وعليها العلامة والختم وهي متضمنة ما في الكبيرة وعلى ذلك كان استمرار الحال في هذا الأوان من قرون خلت ومدد مضت.

وفيه أيضاً حرروا دفتر الإقليم البحيرة بمساحة الطين الري والشارقي وأضافوا إليه طين الأوسية والرزق وكتبوا بذلك مناشير وأخرج المباشرون كشوفاتها بأسماء الملتزمين فضج الناس واجتمعوا إلى مشايخ الأزهر وتشكوا فوعدوهم بالتكلم في شأن ذلك بعد التثبت.

وفيه قبض آغات التبديل على شخص من أهل العلم من أقارب السيد حسن البقلي وحبسه فأرسل المشايخ يترجون في إطلاقه فلم يفعل وأرسله إلى القلعة.

وفيه سعى محمد أفندي طبل ناظر المهمات لصديقه السيد سلامة النجاري عند الباشا في العام ووظيفة وسبب ذلك أن المذكور أرسل جملة طاقات من الأقمشة الهندية الغريبة المقصبة وغيرها وحصاناً من أعظم خيول المصريين كان اشتراه منهم هدية إلى محمد أفندي المذكور فاقتضت مروءته أنه أخذها وقدمها للباشا وقال له أن السيد سلامة أحضر هذه الهدية لأفندينا شكراً

لأنعامه السابق عليه فقبلها الباشا وأنعم عليه بعشرة أكياس وأمر محمد أفندي بأن يجعله في وظيفة معه.

وفيه أيضاً شرعوا في تحرير دفتر بنصف فائظ الملتزمين بأنواع الأقمشة وباعة النعالات التي هي الصرم والبلغ وجعلوا عليها ختمية فلا يباع منها شيء حتى يعلم بيد الملتزم ويختم وعلى وضع الختم والعلامة قدر مقدر بحسب تلك البضاعة وثمنها فزاد الضجيج واللغط في الناس.

وفي يوم السبت سابع عشره، حضر المشايخ بالأزهر على عادهم لقراءة الدروس فحضر الكثير من النساء والعامة وأهل المسجون وهم يرخون ويستغيثون وأبطلوا الدروس واجتمع المشايخ بالقبلة وأرسلوا إلى السيد عمر النقيب فحضر إليهم وجلس معهم، ثم قاموا وذهبوا إلى بيوقم، ثم اجتمعوا في ثاني يوم وكتبوا عرضحال إلى الباشا يذكرون فيه المحدثات من المظالم والبدع وختم الأمتعة وطلب مال الأوسية والرزق والمقاسمة في الفائظ وكذلك أخذ قريب البقلي وحبسه بلا ذنب وذلك بعد أن جلسوا مجلساً خاصاً وتعاهدوا وتعاقدوا على الاتحاد وترك المنافرة وعند ذلك حضر ديوان أفندي وقال الباشا يسلم عليكم ويسأل عن مطلوباتكم فعرفوه بما سطروه إجمالاً وبينوه له تفصيلاً فقال ينبغي ذهابكم إليه تخاطبونه مشافهة بما تريدون وهو لا يخالف أوامركم ولا يرد شفاعتكم وإنما القصد أن تلاطفوه في الخطاب لأنه شاب مغرور جاهل وظالم غشوم ولا تقبل نفسه التحكم وربما حمله غروره على حصول ضرر بكم وعدم إنفاذ الغرض فقالوا بلسان واحد لا نذهب إليه أبداً ما دام يفعل هذه الفعال فإن رجع عنها وامتنع عن إحداث البدع والمظالم عن خلق الله رجعنا إليه وترددنا عليه، كما كنا في السابق فإننا بايعناه على العدل لا على الظلم والجور فقال لهم ديوان أفندي وأنا قصدي أن تخاطبوه مشافهة ويحصل إنفاذ الغرض فقالوا لا نجتمع عليه أبداً ولا نثير فتنة بل نلزم بيوتنا ونقتصر على حالنا ونصبر على تقدير الله بنا وبغيرنا وأخذ ديوان أفندي العرضحال ووعدهم برد الجواب، ثم بعد رجوعه أطلقوا قريب لسيد حسن البقلي الذي كان محبوساً ولم يعلم ذلك، ثم انتظروا عودة ديوان أفندي فأبطأ عليهم وتأخر عوده إلى خامس يوم بعد الجمعية فاجتمع الشيخ المهدي والشيخ الدواخلي عند محمد أفندي طبل ناظر المهمات وثلاثتهم في نفسهم للسيد عمر ما فيها وتناجوا مع بعضهم، ثم انتقلوا في عصريتها وتفرقوا وحضر المهدي والدواخلي إلى السيد عمر وأخبراه أن محمد أفندي ذكر لهم أن الباشا لم يطلب مال الأوسية ولا الروق وقد كذب من نقل ذلك وقال أنه يقول إني لا أخالف أوامر المشايخ وعند اجتماعهم ومواجهته يحصل كل المراد فقال السيد عمر أما إنكاره طلب مال الرزق والأوسية فها هي أوراق من أوراق المباشرية عندي لبعض الملتزمين مشتملة على الفرضة ونصف الفائظ ومال الأوسية والرزق، وأما الذهاب إليه فلا أذهب إليه أبداً وإن كنتم تنقضون الأيمان والعهد الذي وقع بيننا فالرأي لكم، ثم انفض المجلس وأخذ الباشا يدبر في تفريق جمعهم وخذلان السيد عمر لما في نفسه من عدم إنفاذ أغراضه ومعارضته له في غالب الأمور ويخشى صولته ويعلم أن الرعية والعامة تحت أمره إن شاء جمعهم وإن شاء فرقهم وهو الذي قام بنصره وساعده وأعانه وجمع الخاصة والعامة حتى ملكه الإقليم ويرى إن شاء فعل بنقيض ذلك فطفق يجمع إليه بعض أفراد من أصحابه المظهر ويختلي معه ويضحك إليه فيغتر بذلك ويرى أنه صار من المقربين وسيكون له شأن إن وافق ونصح فيفرغ له جراب حقده ويرشده بقدر اجتهاده لما فيه من المعاونة ثم في ليلتها حضر ديوان أفندي وعبد الله بكتاش الترجمان وحضر المهدي والدواخلي الجميع عند السيد عمر وطال بينهم الكلام والمعالجة في طلوعهم ومقابلتهم الباشا ورقرق لذلك كل من المهدي والدواخلي والسيد عمر

مصمم على الامتناع، ثم قالوا لابد من كون الشيخ الأمير معنا ولا نذهب بدونه فاعتذر الشيخ الأمير بأنه متوعك، ثم قام المهدي والدواخلي وخرجا صحبة ديوان أفندي والترجمان وطلعوا إلى القلعة وتقابلوا مع الباشا ودار بينهم كلام وقال في كلامه أنا لا أرد شفاعتكم ولا أقطع رجاءكم والواجب عليكم إذا رأيتم مني انحرافاً أن تنصحوني وترشدوني، ثم أخذ يلوم على السيد عمر في تخلفه وتعنته ويثني على البواقي وفي كل وقت يعاندني ويبطل في أحكامي ويخوفني بقيام الجمهور فقال الشيخ المهدي هو ليس إلا بنا وإذا خلا عنا فلا يسوى بشيء إن هو إلا صاحب حرفة أو جابي وقف يجمع الإيراد ويصرفه على المستحقين فعند ذلك تبين قصد الباشا لهم ووافق ذلك ما في نفوسهم من الحقد للسيد عمر والشيخ الدواخلي حضوره نيابة عن الشيخ الشرقاوي وعن نفسه، ثم تناجوا معه حصة وقاموا منصرفين مذبذبين ومظهرين خلاف ما هو كامن في نفوسهم من الحقد وحظوظ النفس غير مفكرين في العواقب

وحضروا عند السيد عمر وهو ممتلئ بالغيظ مما حصل من الشذوذ ونقض العهد فأخبروه بأن الباشا لم يحصل منه خلاف وقال أنا لا أرد شفاعتكم ولكن نفسي لا تقبل التحكم والواجب عليكم إذا رأيتموني فعلت شيئاً مخالفاً أن تصحوني وتشفعوا فأنا لا أردكم ولا أمتنع من قبول نصحكم، وأما ما تفعلونه من التشنيع والاجتماع بالأزهر فهذا لا يناسب منكم وكأنكم تخوفوني بهذا الاجتماع وتهييج الشرور وقيام الرعية، كما كنتم تفعلون في زمان المماليك فأنا لا أفزع من ذلك وإن حصل من الرعية أمر ما فليس عندي إلا السيف والانتقام فقلنا له هذا لا يكون ونحن لا نحب ثوران الفتن وإنما اجتماعنا لأجل قراءة البخاري وندعو الله برفع الكرب، ثم قال أريد أن تخبروني عمن أنتبذ لهذا الأمر ومن ابتدأ بالخلف فغالطناه وأنه وعدنا بإبطال الدمغة وتضعيف الفائظ إلى الربع بعد النصف وأنكر الطلب بالأوسية والرزق من إقليم البحيرة، ثم قاموا منصرفين وانفتح بينهم باب النفاق واستمر القال والقيل وكل حريص على حظ نفسه وزيادة شهرته وسمعته ومظهر خلاف ما في ضميره.

واستهل شهر جمادى الثانية بيوم الجمعة سنة 1224

فيه حضر ديوان أفندي وعبد الله بكتاش الترجمان واجتمع المشايخ ببيت السيد عمر وتكلموا في شأن الطلوع إلى الباشا ومقابلته فحلف السيد عمر أنه لا يطلع إليه ولا يجتمع به ولا يرى له وجهاً إلا إذا أبطل هذه الأحدوثات وقال أن جميع الناس يتهموني معه ويزعمون أنه لا يتجارأ على شيء يفعله إلا باتفاقي معه ويكفي ما مضى ومهما تقادم يتزايد الظلم والجور وتكلم كلاماً كثيراً ، فلما لم يجبهم إلى الذهاب وقالوا إذا يطلع المشايخ وأرسلوا الشيخ الأمير فاعتذر بأنه متوعك الجسم ولا يقدر على الحركة ولا الركوب، ثم اتفقوا على طلوع الشيخ عبد الله الشرقاوي والمهدي والدواخلي والفيومي وذلك على خلاف غرض السيد عمر وقد ظن أنهم يمتنعون لامتناعه للعهد السابق والأيمان، فلما طلعوا إلى الباشا وتكلموا معه وقد فهم كل منهم لغة الآخر الباطنية، ثم ذاكروه في أمر المحدثات فأخبرهم أنه يرفع بدعة الدمغة وكذلك يرفع الطلب عن الأطيان الأوسية وتقرير ربع الفائظ وقاموا على ذلك ونزلوا إلى بيت السيد عمر وأخبروه بما حصل فقال وأعجبكم ذلك قالوا ثلاث قال: إنه أرسل يخبرني بتقرير ربع المال الفائظ، فلم أرض وأبيت إلا رفع ذلك بالكلية فإنه في العام السابق لما حصل إحداث الربع قلت له هذه تصير سنة متبعة فحلف أنها اثنين قوله قالوا: قال إلخ. وهكذا في جميع النسخ التي معنا ولعله قالوا لا أو نعم أو نحو ذلك كذا

بهامش الأصل لا تكون بعد هذا العام ولعله قالوا أو نعم أو نحو ذلك كذا بهامش الأصل لا تكون بعد هذا العام وذلك لضرورة النفقة وإن طلبها في المستقبل يكون ملعوناً ومطروداً من رحمة الله وعاهدني على ذلك وهذا في علمكم، كما لا يخفاكم قالوا نعم وأما قوله أنه رفع الطلب عن الأوسية والرزق فلا أصل لذلك وها هي أوراق البحيرة وجهوا بها الطلب فقالوا إننا ذكرنا له ذلك فأنكر وكابرناه بأوراق الطلب فقال أن السبب في طلب ذلك من إقليم البحيرة خاصة وأن الكشافين لما نزلوا للكشف على أراضي الري والشراقي ليقرروا عليها فرضة الأطيان حصل منهم الخيانة والتدليس فإذا كان في أرض البلدة خمسمائة فدان ري قالوا عليها مائة وسموا الباقي رزقاً وأوسية فقررت ذلك عقوبة لهم في نظيرته لبسهم وخيانتهم فقال السيد عمر وهل ذلك أمر واجب فعله أليس هو مجرد جور وظلم أحدثه في العام الماضي وهي فرضة الأطيان التي ادعى لزومها لإتمام العلوفة وحلف أنه لا يعود لمثلها فقد عاد وزاد وأنتم توافقونه وتسايرونه ولا تصدونه ولا تصدعونه بكلمة وأنا الذي صرت وحدي مخالف وشاذاً ووجه عليهم اللوم في نقضهم العهد والأيمان وانفض المجلس وتفرقت الآراء وراج سوق النفاق وتحركت حفائظ الحقد والحسد وكثر سعيهم وتناجيهم بالليل والنهار والباشا يراسل السيد عمر ويطلبه للحضور إليه والاجتماع به ويعده بإنجاز ما يشير عليه به وأرسل إليه كتخدا ليترفق به وذكر له أن الباشا يرتب له كيساً في كل يوم ويعطيه في هذا الحين ثلاثمائة كيس خلاف ذلك فلم يقبل و لم يزل الباشا متعلق الخاطر بسببه ويتجسس ويتفحص عن أحواله وعلى من يتردد عليه من كبار العسكر وربما أغرى بهب عض الكبار فراسلوه سراً وأظهروا له كراهيتهم للباشا وأنه إن انتبذ لمفاقمته ساعدوه وقاموا بنصرته عليه فلم يخف على السيد عمر مكرم و لم يزل مصمماً وممتنعاً عن الاجتماع به والامتثال إليه ويسخط عليه والمترددون أيضاً ينقلون ويحرفون بحسب الأغراض والأهواء واتفق في أثناء ذلك أن الباشا أمر بكتابة عرضحال بسبب المطلوب وزير الدولة وهي الأربعة آلاف كيس ويذكر فيه أنها صرفت في المهمات منها ما صرف في سد ترعة الفرعونية ومبلغه ثمانمائة كيس وعلى تجاريد العساكر لمحاربة الأمراء المصرية حتى دخلوا في الطاعة كذلك مبلغاً عظيماً وما صرف في عمارة القلعة والمجرأة التي تنقل المياه إليها مبلغاً أيضاً وكذلك في حفر الخلجان والترع ونقص المال الميري بسبب شراقي البلاد ونحو ذلك وأرسله إلى السيد عمر ليضع خطه وختمه عليه فامتنع وقال أما ما صرفه على سد الترعة فإن الذي جمعه وجباه من البلاد يزيد على ما صرفه أضعافاً كثيرة أما غير ذلك فكله كذب لا أصل له وإن وجد من يحاسبه على ما أخذ من القطر المصري من الفرض والمظالم لما وسعته الدفاتر، فلما ردوا عليه وأخبروه بذلك الكلام حنق واغتاظ في نفسه وطلبه للاجتماع به فامتنع،

فلما أكثر من التراسل قال إن كان ولا بد فأجتمع معه في بيت السادات وأما طلوعي إليه فلا يكون، فلما قيل له في ذلك ازداد حنقه وقال أنه بلغ به أن يزدريني ويرذلني ويأمرني بالترول من محل حكمي إلى بيوت الناس.

ولما أصبح يوم الأربعاء سابع عشرينه، ركب الباشا وحضر إلى بيت ولده إبراهيم بك الدفتردار وطلب القاضي والمشايخ المذكورين وأرسل السيد عمر رسولاً من طرفه ورسولاً من طرف القاضي للحضور ليتحاقق ويتشارع معه فرجعا وأخبرا بأنه شرب دواء ولا يمكنه الحضور في هذا اليوم وكان قد أحضر شيخ السادات الوفائية والشيخ الشرقاوي فعند ذلك أحضر الباشا خلعة وألبسها لشيخ السادات على نقابة الأشراف وأمر بكتابة فرمان بخروج السيد عمر ونفيه من مصر يوم تاريخه فتشفع المشايخ في إمهاله ثلاثة أيام حتى يقضي أشغاله فأجاب إلى ذلك، ثم سألوه في أن يذهب إلى بلده أسيوط فقال لا يذهب إلى

أسيوط ويذهب إما إلى سكندرية أو دمياط، فلما ورد الخبر على السيد عمر بذلك قال أما منصب النقابة فإني راغب عنه وزاهد فيه وليس فيه إلا التعب وأما النفي فهو غاية مطلوبي وأرتاح من هذه الورطة ولكن أريد أن يكون في بلدة لم تكن تحت حكمه إذا لم يأذن لي في الذهاب إلى أسيوط فليأذن لي في الذهاب إلى الطور أو إلى ورثه فعرفوا الباشا، فلم يرض إلا بذهابه إلى دمياط، ثم أن السيد عمر أمر باشجاويش أن يأخذ الجاويشية ويذهب بهم إلى بيت السادات وأخذ في أسباب السفر.

وفي يوم الخميس ثامن عشرينه الموافق لخامس مسرى القبطي أوفى النيل المبارك ونوجي بالوفاء تلك الليلة وخرج الناس لأجل الفرجة والضيافات في الدور المطلة على الخليج، فلما كان آخر النهار برزت الأوامر بتأخير الموسم لليلة السبت بالروضة فبرد طعام أهل الولائم والضيافات وتضاعفت كلفهم ومصاريفهم وحصلت الجمعية ليلة السبت بالروضة وعند قنطرة السد وعملوا الحراقات والشنك وحضر الباشا وأكابر دولته والقاضي وكسر السد بحضرتهم وجرى الماء في الخليج وانفض الجمع.

وفي ذلك اليوم اعتنى السيد محمد المحروقي بأمر السيد عمر وذهب إلى الباشا وكلمه وأخبره بأنه أقامه وكيلاً على أولاده وبيته وتعلقاته فأجازه بذلك وقال هو آمن من كل شيء وأنا لم أزل أراعي خاطره ولا أفوته، ثم أرسل السيد المحروقي فحضر بن ابنه السيد عمر فقابل به الباشا وطمن خاطره ولكن قال لابد من سفره إلى دمياط وعندما طلب السيد المحروقي الغلام إلى الباشا أشيع في الناس وقوع الرضا وتناقل الناس ذلك وفرح أهل منزله وزغرطوا وسروا واستمروا على ذلك حتى رجع الغلام وبين أنه لا شيء فانقلب الفرح بالترح وتعين بالسفر صحبة السيد عمر كتخدا الألفي إلى دمياط.

واستهل شهر رجب بيوم الأحد سنة 1224

فيه اجتمع المودعون للسيد عمر، ثم حضر محم كتخدا المذكور فعند وصوله قام السيد عمر وركب في الحال وخرج صحبته وشيعه الكثير من المتعممين وغيرهم وهم يتباكون حوله حزناً على فراقه وكذلك اغتم الناس على سفره وخروجه من مصر لأنه كان ركناً وملجأً مقصداً للناس ولتعصبه على نصرة الحق فسار إلى بولاق ونزل في المركب وسافر في ليلته بأتباعه وخدمه الذين يحتاج إليهم إلى دمياط.

وفي ذبح ذلك اليوم، حضر الشيخ المهدي عند الباشا وطلب وظائف السيد عمر فأنعم عليه الباشا بنظر أوقاف الإمام الشافعي ونظر وقف سنان باشا ببولاق وحاسب على المنكسر له من الغلال مدة أربع سنوات فأمر يدفعها له من خزينته نقداً وقدرها خمسة وعشرون كيساً وذلك في نظير اجتهاده في خيانة السيد عمر حتى أوقعوا به ما ذكر.

وفيه تقيد الخواجا محمود حسن بزوجان باشا بعمارة القصر والمسجد الذي يعرف بالآثار النبوية فعمرها على وضعها القديم وقد كان آل إلى الخراب.

وفي يوم الثلاثاء خلع الباشا على ثلاثة من الأجناد المصرية المنسوبين لسليمان بك البواب وقلدهم صناجق وأمراء الوقت وضم إليهم عساكر أتراك وأرنؤد ليسافر الجميع إلى الجهة القبلية بسبب عصيان الأمراء المرادية وتوقفهم عن دفع المال والغلال وكذلك عين للسفر أيضاً أحمد آغا لاظ وصالح قوج وبونابارته وحسن باشا وعابدين بك فارتجت البلد وطلبوا المراكب فتعطل المسافرون إلى الجهة القبلية والبحرية وكذلك امتنع مجيء الواصلين بالغلال والبضائع خوفاً من التسخير، وقد كان

حصل بعض الاطمئنان وسلوك الطريق القبلية ووصول المراكب بالغلال والمجلوبات.

وفي عاشره، سافر أحمد آغا لاظ وصالح قوج وخرجوا بعساكرهم ونزلوا في المراكب وذهبوا إلى قبلي.

وفيه حضر محمد كتخدا الألفي من دمياط راجعاً من تشييع السيد عمر ووصوله إلى دمياط واستقراره بها.

وفي يوم الخميس تاسع عشره، سافر من كان متأخراً إلى الجهة القبلية و لم يبق منهم أحد.

وفي ثالث عشرينه، نادى منادي المعمار على أرباب الأشغال في العمائر من البنائين والحجارين والفعلة بأن لا يشتغلوا في عمارة أحد من الناس كائناً من كان وأن يجتمع الجميع في عمارة الباشا بناحية الجبل.

وفي تاسع عشرينه، وردت أخبار عن التجريدة أزعجت الباشا فاهتم اهتماماً عظيماً وقصد الذهاب بنفسه ونبه على جميع كبراء العساكر بالخروج وأن لا يتخلف منهم أحد حتى أولاده إبراهيم بك الدفتردار وطوسون بك وأنه هو المتقدم عنهم في الخروج في يوم الخميس واستعجل التشهيل والطلب وأمر بتحرير دفتر فرضة ترويجة على إقليم المنوفية والغربية والشرقية والقليوبية وذكروا أنها من أصل حساب الشهرية المبتدعة.

وفيه تقلد حسن آغا الشماشرجي كشوفية المنوفية وأرخى لحيته على ذلك.

استهل شهر شعبان بيوم الثلاثاء سنة 1224

فيه نمق مشايخ الوقت عرضحال في حق السيد عمر بأمر الباشا ليرسله صحبة السلحدار وذكروا فيه سبب عزله ونفيه عن مصر وعدوا له مثالب ومعايب وجنحاً وذنوباً منها أنه أدخل في دفتر الأشراف أسماء أشخاص ممن أسلم من القبط واليهود ومنها أنه أخذ من الألفي في السابق مبلغاً من المال ليملكه مصر في أيام فتنة أحمد باشا خورشيد ومنها أنه كاتب الأمراء المصريين أيضاً في وقت الفتنة حين كانوا بالقرب من مصر ليحضروا على حين غفلة في يوم قطع الخليج وحصل لهم ما حصل ونصر الله عليهم حضرة الباشا ومنها أنه أراد إيقاع الفتن في العساكر لينقض دولة الباشا ويولي خلافه ويجمع عليه طوائف المخاربة والصعائدة وأخلاط العوام وغير ذلك وذلك على حد من أعان ظالماً سلط عليه وكتبوا عليه أسماء المشايخ وذهبوا به إليهم ليضعوا ختومهم عليه فامتنع البعض من ذلك وقال هذا كلام لا أصل له ووقع بينهم محاججات ولا الأعاظم الممتنعين على الامتناع وقالوا لهم أنتم لستم بأروع منا وأثبت لنفسه ورعاً وحصل بينهم منافسات ومخالفات ومقابحات، ثم غيروا صورة العرضحال بأقل من التحامل الأول وكتب عليه بعض الممتنعين وكان من الممتنعين أولاً وآخراً السيد عمر الطحطاوي الحنفي فزادوا في التحامل عليه وخصوصاً شيخ السادات والشيخ الأمير وخلافهما واتفق أنه دعي في وليمة عند الشيخ الشنواني بحارة خوشقدم وتأخر في حضوره عنهم فصادفهم حال دخوله إلى المجلس وهم خارجون، فسلم عليهم و لم يصافحهم لما سبق منهم في حقه من الإيذاء فتطاول عليه ابن الشيخ الأمير ورفع صوته بتوبيخه وشتمه لكونه، لم يقبل يد والده ويقول له في جملة كلامه أبيس هو إلا قليل الأدب والحياء ثالث طبقة للشيخ الوالد ونحو ذلك.

وفي ثالثه، سافر الباشا إلى الجهة القبلية وتبعه العساكر.

وفي منتصفه خرجت الدلاة والأرنؤد وباقي الأجناد والعسكر وأقام الباشا كتخدا بك قائم مقامه وأقام بالقلعة.

وفيه اتفق الأشياخ والمتصدرون على عزل السيد أحمد الطحطاوي من إفتاء الحنفية وأحضروا الشيخ حسين المنصوري وركبوا صحبته وطلعوا به إلى القلعة بعد أن مهدوا القضية فألبس قائمقام الشيخ حسيناً فروة ثم نزلوا، ثم طاف للسلام عليهم وخلعوا هم عليه أيضاً خلعهم، فلما بلغ الخبر السيد احمد الطحطاوي طوى الخلع التي كانوا ألبسوها له عندما تقلد الإفتاء بعد موت الشيخ إبراهيم الحريري في جمادى الأولى بقرب عهد وأرسلها إليهم، وكان الشيخ السادات ألبسه حين ذاك فروة، فلما ردها عليه احتد واغتاظ وأخذ يسبه ويذكر لجلسائه جرمه ويقول انظروا إلى هذا الخبيث كأنه يجعلني مثل الكلب الذي يعود في قيئه ونحو ذلك.

وأما السيد أحمد فإنه اعتكف في داره لا يخرج منها إلا إلى الشيخونية بجواره واعتزلهم وترك الخلطة بهم وتباعد عنهم وهم يبالغون في ذمه والحط عليه لكونه لم يوافقهم في شهادة الزور والحامل لهم على ذلك كله الحظوظ النفسانية والحسد مع أن السيد عمر كان ظلاً ظليلاً عليهم وعلى أهل البلدة يدافع ويرافع عنهم وعن غيرهم، و لم تقم بعد خروجه من مصر راية، و لم يزالوا بعده في انحطاط وانخفاض.

وأما السيد عمر فإن الذي وقع له بعض ما يستحقه ومن أعان ظالماً سلط عليه ولا يظلم ربك أحداً.

وفي ثالث عشره، سافر حسن باشا وعساكر الأرنؤد وتتابعوا في الخروج وتحدث الناس بروايات عن الباشا والأمراء المصريين وصلحه معهم وأن عثمان بك حسن ومحمد بك المنفوخ ومحمد بك الإبراهيمي وصلوا عند الباشا وقابلوه وأنه أرسل إلى إبراهيم بك الكبير ولده طوسون باشا فتلقاه وأكرمه وأرسل هو أيضاً ولده الصغير إلى الباشا فأكرمه ووصل إلى مصر بعض نساء حريمه وحريم الأمراء.

واستهل شهر رمضان بيوم الأربعاء سنة 1224

وفي أواخره وصل طائفة من الدلاتية من ناحية الشام ودخلوا إلى مصر وهم في حالة رثة كما حضر غيرهم وصحبتهم من المخنثين المعروفين بالخولات الذين يتكلمون بالكلام المؤنث ومعهم دفوف وطنابير.

وفي أواخره، حرروا دفتر الأطيان على ضريبة واحدة عن كل فدان خمسة ريالات غير البراني والخدم، و لم يحصل في ذلك مراجعة ولا كلام ولا مرافعة في شيء، كما وقع في العام الماضي والذي قبله في المراجعة بحسب الري والشراقي وأما في هذه السنة فليس فيها شراقي فحسابها بالمساحة الكاملة لعموم الري فإن النيل في هذه السنة زاد زيادة مفرطة وعلا على الأعالي وتلف بزيادته المفرطة الدراوي والأقصاب بقبلي وكذلك غرق مزارع الأرز والسمسم والقطن وجنائن كثيرة بالبحر الشرقي بسبب انسداد الترعة الفرعونية بتلك الناحية ولما تمموا تحرير الدفاتر على النسق المطلوب والباشا بقبلي وأرسل بطلبها ليطلع عليها فسافر إليه بها المعلم غالي وأخذ صحبته أحمد أفندي اليتيم من طرف الروزنامه وعبد الله بكتاش الترجمان فذهبوا إليه بأسيوط وأطلعوه عليها فحتم عليها وانقضى شهر رمضان.

واستهل شهر شوال بيوم الخميس سنة 1224

في ثالث عشره حضر المعلم غالي وأحمد أفندي وبكتاش وغيرهم من غيبتهم وحضر أيضاً في أثرهم المعلم جرجس الجوهري، وقد تقدم أنه خرج من مصر هارباً إلى الجهة القبلية واختفى مدة، ثم حضر بأمان إلى الباشا وقابله وأكرمه، ولما حضر نزل في بيته الذي بحارة الونديك وفرشه له المعلم غالي وقام له بجميع لوازمه وذهب الناس مسلمهم ونصرانيهم وعالمهم وجاهلهم للسلام عليه.

وفي يوم الثلاثاء عشرينه، وصل الباشا على حين غفلة إلى مصر في تطريده وقد وصل من أسيوط إلى ناحية مصر القديمة في ثلاثين ساعة وصحبته ابنه طوسون وبونابارته الخازندار وسليمان آغا الوكيل سابقاً لا غير فركبوا حميراً متنكرين حتى وصلوا إلى القلعة من ناحية الجبل وطلع من باب الجبل وعند طلوعه من السفينة أمر ملاحيها أن لا يذكروا لأحد وصوله حتى يسمعوا ضرب المدافع من القلعة، ثم طلع إلى سرايته ودخل إلى الحريم، فلم يشعروا به إلا وهو بالحريم، وعند ذلك أمر بضرب المدافع وأشيع حضوره فركب كتخدا بك وغيره مسرعين لملاقاته ثم بلغهم طلوعه إلى القلعة فرجعوا على أثره وكان الخواجا محمود حسن البزرجان خرج لملاقاته قبل وصوله بثلاثة أيام إلى ناحية الآثار وأخرج معه مطابخ وأغناماً واستعد لقدومه استعداداً زائداً وذهب تعبه في الفارغ البطال، ثم بعد وصول الباشا بثلاثة أيام وصلت طوائف العسكر وعظمائهم ومعهم المنهوبات من الغلال والأغنام والفحم والحطب والقلل وأنواع التمر وغير ذلك حتى أخشاب الدور وأبوابها.

وفي يوم الاثنين، وصل حسن باشا وطوائف الأرنؤد وصالح قوج والدلاة والترك ووصل أيضاً شاهين بك الألفي وصحبته محمد بك المنفوخ المرادي ومحمد بك الإبراهيمي وهم الذين حضروا في هذه المرة من المخالفين وقيل أن البواقي أخذوا مهلة لبعد التحضير وأما إبراهيم بك تابع الأشقر ومحمد آغا تابع مراد بك الصغير وصحبتهما عساكر فذهبا إلى ناحية السويس بسبب وصول طائفة من العربان قالوا أنها من التابعة للوهابيين حضروا وأقاموا عند بئر الماء ومنعوا السقيا منها.

واستهل شهر ذي القعدة بيوم السبت سنة 1224

فيه حضر إبراهيم بك ابن الباشا وباقي العسكر وسكنوا الدور وأزعجوا الناس أخرجوهم من مساكنهم ومنازلهم ببولاق ومصر وغيرهما واتفق أن بعض ذوي المكر من العسكر عندما أراد السفر إلى جهة قبلي أرسل لصاحب الدار التي هو غاصبها وساكن فيها فأحضره وسلمه المفتاح وهو يقول له تسلم يا أخي دارك واسكنها بارك الله فيها وسامحني وأبرئ ذمتي فربما أموت ولا أرجع ولأن الكثير منهم تولى المناصب والأمريات بالجهة القبلية وعندما يتسلم صاحب الدار داره يفرح بخلاصها ويشرع في عمارتها وإعادة ما تهدم منها فيكلف نفسه ولو بالدين ويعمرها فما هو إلا أن تم العمارة والمرمة في مدة غيبتهم فما يشعر إلا وصاحبه داخل عليه بحصانه وجمله وخدمه فما يسع الشخص إلا الرحلة ويتركها لغريمه وقد وقع ذلك لكثير من الناس المغفلين.

وفيه وصلت أخبار بأن عمارة الفرنساوية نزلت إلى البحر وعدة مراكبهم مائتان وسبعة عشر مركباً محاربين لا يعلم قصدهم أي جهة من الجهات وحضر ثلاثة أشخاص من الططر المعدين لتوصيل الأخبار وبيدهم مرسوم مضمونه الأمر بالتحفظ على الثغور، فعند ذلك أمر الباشا بالاستعداد وخروج العساكر إلى الثغور.

وفي يوم السبت ثامنه، سافر جملة من العسكر إلى ناحية بحري فسافر كبير منهم ومعه جملة من العسكر إلى سكندرية وكذلك سافر خلافه إلى رشيد وإلى دمياط وأبي قير والبرلس.
وفي ليلة الاثنين ثامن عشره، ركب الباشا ليلاً وخرج مسافراً إلى السويس ليكشف قلاع القلزم وقام له بالاحتياجات من أحمال الماء والعليق والزوادة واللوازم السيد محمد المحروقي وكان خروجه ومن معه على الهجن.
وفي ليلة الأحد رابع عشرينه، حضر الباشا من السويس وكان وصوله ليلاً وطلع إلى القلعة.

واستهل شهر ذي الحجة بيوم الأحد سنة 1224

فيه شرع الباشا في إنشاء مراكب ببحر القلزم فطلب الأخشاب لصالحة لذلك وأرسل المعينين لقطع أشجار التوت والنبق من القطر المصري القبلي والبحري وغيرها من الأخشاب المجلوبة من الروم وجعل بساحل بولاق ترسخانة وورشات وجمعوا الصناع والنجارين والنشارين فيهيؤنها وتحمل أخشاباً على الجمال ويركبها الصناع بالسويس سفينة، ثم يقلفونها ويبيضونها ويلقونها في البحر فعملوا أربع سفائن كبار إحداها تسمى الإبريق وخلاف ذلك أدوات لحمل السفار والبضائع.

ومن الحوادث في آخره أن امرأة ذهبت إلى عرصة الغلة بباب الشعرية واشترت حنطة ودفعت ثمنها قروشاً، فما ذهبت نظروها ونقدوها فإذا هي من عمل الزغلية، ثم عادت بعد أيام فاشترت الغلة ودفعت الثمن قروشاً أيضاً فذهب البائع معها إلى الصيرفي فوجدها مزغولة مثل الأولي فعلموا أنه الغريمة فقال لها الصيرفي من أين لك هذا فقالت من زوجي فقبضوا عليها وأتوا بها إلى الآغا فسألها الآغا عن زوجها فقالت هو عطار بسوق الأزهر فأخذها الآغا وحضر بها إلى بيت الشيخ الشرقاوي بعد العشاء وأحضروا زوجها وسألوه فقال أنا أخذتها من فلان تابع الشيخ الشرقاوي فانفعل الشيخ وقال إن يكن هو ابني فأنا بريء منه وطلبوه فتغيب واختفى وأخذ الآغا المرأة وزوجها وقررهما فأقر الرجل وعرف من عدة أشخاص يفعلون ذلك وفيهم من مجاوري الأزهر، فلم يزل يتجسس ويتفحص ويستدل على البعض بالبعض وقبض على أشخاص ومعهم العدد والآلات وحبسهم أيضاً بالقلعة عند كتخدا بك وفر ناس من مجاوري الأزهر من مصر لما قام بهم من الوهم وف كل يوم يشاع بالتنكيل والتجريس للمقبوض عليهم وقتلهم و لم يزل الآغا يتجسس حتى جمعوا ست عشرة عدة وأرسلوها إلى بيت محمد أفندي ناظر المهمات وسألوا الحدادين عمن اصطنع هذه العدد منكم فأنكروا وجحدوا وقالوا هذا من صناعة الشام ثم كسروها وأبطلوها وطال أمر المحبوسين والتفحص عن غيرهم فكان بعض المقبوض عليهم يعرف عن غيره أو شريكه فكانت هذه الحادثة من أشنع لحوادث خصوصاً بنسبتها لخطة الأزهر، فكان كل من اشترى شيئاً ودفع ثمنه للبائع قروشاً ذهب بها إلى الصيرفي لأن في ذاك الوقت لم يكن موجوداً بأيدي الناس خلافها وكانوا يقولون في ذهابهم إلى الصيرفي لربما تكون أزهرية ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وانقضت السنة بحوادثها التي منها ما ذكر.
ومنها إحداث بدعة المكس على النشوق وذلك أن بعض المتصدرين من نصارى الأروام أنهى إلى كتخدا بك أمر النشوق وكثرة المستعملية له والدقاقين والباعة وأنه إذا جمعت دقاقوه وصناعه في مكان واحد ويجعل عليهم مقادير ويلتزم به ويضبط رجاله وجمع ماله وإيصاله إلى الخزينة من يكون ناظراً وقيماً عليه كغيره من أقلام المكوس التي يعبرون عنها بالجمارك فإنه

يتحصل من ذلك مال له صورة، فلما سمع كتخدا بك ذلك أنهاه إلى مخدومه فأمر في الحال بكتابة فرمان بذلك واختار الذي جعلوه ناظراً على ذلك خاناً بخطة بين الصورين ونادوا على جميع صناع النشوق وجمعوهم بذلك الخان ومنعوهم من جلوسهم بالأسواق والخطط المتفرقة والقيم على ذلك يشتري الدخان المعد لذلك من تجاره بثمن معلوم حدده لا يزيد على ذلك ولا يشتريه سواه وهو يبيعه على صناع النشوق بثمن حدده ولا ينقص عنه ومن وجده باع شيئاً من الدخان أو اشتراه أو سحق نشوقاً خارجاً عن ذلك الخان ولو لخاصة نفسه قبضوا عليه وعاقبوه وغرموه مالاً وعينوا معينين لجميع القرى والبلدان القبلية والبحرية ومعهم من ذلك الدخان فيأتون إلى القرية ويطلبون مشايخها ويعطونهم قدراً موزوناً ويلزمونهم بالثمن المعين بالمرسوم الذي بيدهم فيقول أهل القرية نحن لا نستعمل النشوق ولا نعرفه ولا يوجد عندنا من يصنعه وليس لنا به حاجة ولا نشتريه ولا نأخذه فقال لهم إن لم تأخذوه فهاتوا ثمنه فإن أخذوه أو لم يأخذوه فهم ملزومون بدفع القدر المعين المرسوم، ثم كراء طريق المعينين وكلفتهم وعليق دوابهم.

ومنها أيضاً النطرون فرقوه وفرضوه على القرى محتجين أيضاً باحتياج الحياكة والقزازين إليه لغسل غزل الكتان وبياض قماشه ونحو ذلك، وأشنع من ذلك كله أنهم أرادوا فعل مثل هذا في الشراب المسكر المعروف بالعرقي وإلزام أهل القرى بأخذه ودفع ثمنه إن أخذوه أو لم يأخذوه فقيل لهم في ذلك قالوا أن شربه يقوي أبدانهم على أعمال الزرع والزراعة والحرث والكد في القطوة والنطالة والشادوف، ثم بطل ذلك.

ومنها أن الباشا شرع في عمل زلاقة تجاه باب القلعة المعروف بباب الجبل موصلة إلى أعلى الجبل المقطم فجمعوا البنائين والحجارين والفعلة للعمل فأحرقوا عدة قمينات للجير بجانب العمارة وطواحين للجبس ونودي بالمدينة على البنائين والفعلة بأن لا يشتغلوا في عمارة أحد من الناس كائناً من كان، ويجتمع الجميع في عمارة الباشا بالقلعة والجبل إلى أن كمل عملها في السنة التالية طريقاً واسعاً منحدراً من الأعلى إلى الأسفل ممتداً في المسافة سهلاً في الطلوع إلى الجبل أو الانحدار منه بحيث يجوز عليه الماشي والراكب من غير مشقة ولا تعب كثير.

وأما من مات في هذه السنة ممن له ذكر، مات العلامة المفيد والنحرير الفريد النبيه الشيخ إبراهيم ابن الشيخ محمد الحريري الحنفي مفتي مذهب السادات الحنفية كوالده تفقه على والده وحضر في المعقولات على أشياخ الوقت كالبيلي والدردير والصبان وغيرهم وأنجب وتمهر وصارت فيه ملكة جيدة واستحضار للفروع الفقهية، ولما مات والده في شهر رجب سنة عشرين ومائتين وألف تقلد منصب والده في الإفتاء، وكان لها أهلاً في التحري والمراجعة في المسائل المشكلة والعفة والصيانة والديانة والتباعد من الأمور المخلة بالمروءة مواظباً لوظائفه ودروسه ملازماً لداره إلا ما دعته الضرورة إليه من المواساة وحضور المجالس مع أرباب المظاهر، وكان مبتلى بضعف البصر وبآخرته اعتراه داء الباسور وقاسى منه شدة وانقطع بسببه عن الخروج من داره ووصف له حكيم بدمياط فسافر إليه لأجل ذلك وقصد تغيير الهواء وذلك بإشارة نسيبه الشيخ المهدي وقاسى أهوالاً في معالجته وقطعه بالآلة، فلم ينجح ورجع إلى مصر متزايد الألم ولم يزل ملازماً للفراش حتى توفي إلى رحمة الله سبحانه وتعالى في يوم الاثنين تاسع عشر جمادى الأولى من هذه السنة وصلي عليه بالأزهر ودفن بمدرسة الشعبانية بحارة الدويداري ظاهر حارة كتامة المعروفة الآن بالعينية بالقرب من الجامع الأزهر وخلف ولده النجيب الأديب سيدي محمداً الملقب

عبد المعطي بارك الله فيه وأعانه على وقته.

ومات الغمام العلامة والعمدة الفهامة شيخ الإسلام والمسلمين الشيخ عبد المنعم ابن شيخ الإسلام الشيخ أحمد العماوي المالكي الأزهري وهو من أهل القرن الثاني عشر تفقه على الشيخ الزهار وغيره من علماء مذهبه وحضر الأشياخ المتقدمين كالدفري والحفني والصعيدي والشيخ سالم النفراوي والشيخ الصباغ السكندري والشيخ فارس وقرأ الدرس وانتفع به الطلبة، ولم يزل ملازماً على إلقاء الدروس بالأزهر على طريقة المتقدمين مع العفة والديانة والانجماع عن الناس راضياً بحاله قانعاً بمعيشته ليس بيده من التعلقات الدنيوية سوى النظر على ضريح سيدي أبي السعود أبي الشعائر، ولم يتجرأ على الفتيا مع أهليته لذلك وزيادة، ولم تطمح نفسه لزخارف الدنيا وسفاسف الأمور مع التجمل في الملبس والمركب وإظهار الغنى وعدم التطلع لما في أيدي الناس ويصدع بالحق في المجالس ولا يتردد إلى بيوت الحكام والأكابر إلا في النادر بقدر الضرورة مع الأنفة والحشمة ولا يشكو ضرورة ولا حاجة ولا زماناً، ولم يزل على حالته حتى مرض أياماً وتوفي ليلة الخميس حادي عشر ذي القعدة عن أربع وثمانين سنة وخرجوا بجنازته من منزله الكائن بدرب الحلفاء بالقرب من باب البرقية فمروا بالجنازة على خطة الجمالية على النحاسين على الأشرفية ودخلوا من جارة الخراطين إلى الجامع الأزهر وصلي عليه في مشهد حافل ودفن على والده بتربة المجاورين وخلف من الأولاد الذكور أربعة رجال ذوي لحى صلحاء وخطهم الشيب خلاف البنات رحمه الله وعفا عنا وعنه.

ومات الفقيه النبيه الصالح الورع العالم المحقق الشيخ أحمد الشهير ببرغوت المالكي ومولده بالبلدة المعروفة باليهودية بالبحيرة تفقه على أشياخ العصر ومهر في الفقه والمعقول وأقرأ الدروس وانتفع به الطلبة واشتهر ذكره بينهم وشهدوا بفضله، وكان على حالة حسنة منجمعاً عن الناس وراضياً بما قسمه له مولاه منكسر النفس متواضعاً، ولم يتزى بعمامة الفقهاء يمشي في حوائجه وتمرض بالزمانة مدة سنين يتعكز بعصاه، ولم يقطع درسه ولا أماليه حتى توفي إلى رحمة الله سبحانه وتعالى يوم الأربعاء خامس شهر صفر من السنة ودفن بتربة المجاورين رحمه الله.

ومات العمدة النحرير والنبيل الشهير الشيخ سليمان الفيومي المالكي ولد بالفيوم وحضر إلى مصر وحفظ القرآن وجاور برواق القيمة بالأزهر وكان في أول عمره يمشي خلف حمار الشيخ الصعيدي وعليه دراعة صوف وشملة صفراء، ثم حضر دروسه ودروس الشيخ الدردير وغيرهما واختلط مع المنشدين، وكان له صوت شجي فيذهب مع المتذكرين إلى بيوت الأعيان في الليالي فينشد الإنشادات ويقرأ الأعشار فيعجبون به ويكرمونه زيادة على غيره واختلط ببعض الأعيان الذين يقال لهم البرقوقية من ذرية السلطان برقوق وهم نظار على أوقافه فراج أمره وكثرت معارفه بالأغوات الطواشية وبهم توصل إلى نساء الأمراء والسعي في حوائجهن وقضاياهن وصار له قبول زائد عندهن وعند أزواجهن وتجمل بالملابس وركب البغال وأحدق به المحدقون وتزوج بامرأة بناحية قنطرة الأمير حسين سوكن بدارها فماتت فورثها، ولما مات الشيخ محمد العقاد تعين المترجم لمشيخة رواق القيمة وبنى له محمد بك المعروف بالمبدول داراً عظيمة بحارة عابدين واشتهر ذكره وعلا شأنه وطار صيته وسافر في بعض مقتضيات الأمراء إلى دار السلطنة وعاد إلى مصر وأقبلت عليه الهدايا من الأمراء والحريمات والأغوات والأقباط وغيرهم واعتنوا بشأنه وزوجته الست زليخا زوجة إبراهيم بك الكبير بنت عبد الله الرومي وتصرف في أوقاف أبيها ومنها عزب البر تجاه رشيد وغيرها فاشتهر بالبلاد القبلية والبحرية، وكان مع قلة بضاعته في العلم مشاركاً بسبب التداخل في القضايا

وكان كريم النفس جداً يجود وما لديه قليل مع حسن المعاشرة والبشاشة والتواضع والمواساة للكبير والصغير والجليل والحقير وطعامه مبذول للواردين ومن أتى في مترله إلى حاجة أو زائراً لا يمكنه الذهاب حتى يغديه أو يعشيه وإذا أتاه مسترقد، ولم يجد معه أشياء اقترض وأعطاه فوق ما موله ولا يبخل بجاهه وسعيه على أحد كائناً من كان بعوض وبدونه ومما اتفق له مراراً أنه يركب من الصباح في حوائج الناس فلا يعود إلا بعد العشاء الأخيرة فيلاقيه آخر ذو حاجة في نصف الطريق أو آخره فينهي إليه قصته إما بشفاعة عند أمير أو خلاص مسجون أو غير ذلك فيقف له ويستمع لقصته وهو راكب فيقول له في غد نذهب إليه فإن الوقت صار ليلاً فيقول صاحب الحاجة هو في داره في هذا الوقت فيعود من طريقه مع صاحب الحاجة إلى ذلك الأمير ولو بعدت داره ويقضي حاجته ويعود بعد حصة من الليل وهذا شأنه ولا ينتظر ولا يؤمل جعالة ولا أجرة نظير سعيه فإن أتوه بشيء أخذه أو هدية قبلها قلت أو كثرت وشكرهم على ذلك فمالت إليه القلوب ووفدت إليه ذوو الحاجات من كل ناحية فلا يرد أحداً ويستقبلهم بالبشاشة ويترلهم في داره ويطعمهم ويكرمهم ويستمرون في ضيافته حتى يقضي حوائجهم ويزودهم ويرجعون إلى أوطانهم مسرورين ومجبورين وشاكرين، ثم يكافئونه بما أمكنهم من المكافآت وإذا وصلت إليه هدية وادف وصولها حضوره بالمترل فرق منها على من بمجلسه من الحاضرين فبذلك انجذبت إليه القلوب وساد على أقرانه ومعاصريه، ولما حضر حسن باشا الجزايرلي إلى مصر وارتحل الأمراء المصريون إلى الصعيد وأحاط بدورهم وطلب الأموال من نسائهم وقبض على أولادهم وجواريهم وأمهات أولادهم وأنزلهم سوق المزاد التجأ إلى المترجم الكثير من نساء الأمراء الكبار فآواهن وأجهد نفسه في السعي في حمايتهن والرفق بهن ومواساتهن مدة إقامة حسن باشا بمصر وبعدها في إمارة إسماعيل بك، فلما رجع أزواجهن بعد الطاعون إلى إمارتهم ازداد قدر المترجم عندهم وقبوله ومحبته ووجاهته واشتهر عندهم بعدم قبوله الرشوة ومكارم الأخلاق والديانة والتورع، فكان يدخل إلى بيت الأمير ويعبر إلى محل الحريم ويجلس معهن وينسرون بدخوله عندهن ويقولون زارنا أبونا الشيخ وشاورنا أبانا الشيخ، فأشار علينا بكذا ونحو ذلك، ولم يزل مع لجميع على هذه الحالة إلى أن طرقت الفرنساوية البلاد المصرية وأخرجوا منها الأمراء وخرج النساء من بيوتهن وذهبن إليه أفواجاً أفواجاً حتى امتلأت داره وما حولها من الدور بالنساء فتصدى لهن المترجم وتداخل في الفرنساوية ودافع عنهن وأقمن بداره شهوراً وأخذ أماناً لكثير من الأجناد المصرية وأحضرهم إلى مصر وأقاموا بداره ليلاً ونهاراً وأحبه الفرنساوية أيضاً وقبلوا شفاعاته ويحضرون إلى داره ويعمل لهم الولائم وساس أموره معهم وقرروه في رؤساء

الديوان الذي رتبوه لإجراء الأحكام بين المسلمين، ولما نظموا أمور القرى والبلدان المصرية على النسق الذي جعلوه رتبوا على مشايخ كل بلد شيخاً ترجع أمور البلدة ومشايخها إليه وشيخ المشايخ المترجم مضافاً ذلك لمشيخة الديوان وحاكمهم الكبير فرنساوي يسمى ابريزون فازدحمت داره بمشايخ البلدان فيأتون إليه أفواجاً وله مرتب خاص خلاف مرتب الديوان واستمر معهم في وجاهته إلى أن انقضت أيامهم وسافروا إلى بلادهم وحضرت العثمانية والوزير والمترجم في عداد العلماء والمتصدرين وافر الحرمة شهير الذكر بعيد الصيت مرعي الجانب مقبول القول عند الأكابر والأصاغر ولما قتل خليل أفندي الرجائي الدفتردار وكتخدا بك في حادثة مقتل طاهر باشا التجأ إليه أخو الدفتردار وخازنداره وغيرهما وذهبوا إلى داره وأقاموا عنده فحماهم وواساهم حتى سافروا إلى بلادهم، ولم يزل على حالته حتى نزل به بارد فأبطل شقه وعقد لسانه واستمر أياماً وتوفي ليلة الأحد خامس عشر ذي الحجة وخرجوا بجنازته من بيته بحارة عابدين وصلي عليه بالأزهر في مشهد عظيم جداً مثل

مشاهد العلماء الكبار المتقدمين وربما كان جمع النساء خلفه كجمع الرجال في الكثرة ووجدوا عليه ديوناً نحو العشرة آلاف ريال سامحه أصحابها، و لم يخلف من الأولاد إلا ابنتين رحمه الله وسامحه وعفا عنا وعنه آمين.

سنة خمس وعشرين ومائتين وألف استهل المحرم بيوم الاثنين فيه وردت الأخبار من الديار الرومية بغلبة الموسكوب واستيلائهم على ممالك كثيرة وأنه واقع بإسلامبول شدة حصر وغلاء في الأسعار وتخوف وأنهم يذيعون في الممالك بخلاف الواقع لأجل التطمين.

وفي خامسه حضر إبراهيم أفندي القابجي الذي كان توجه إلى الدولة من مدة سابقة وعلى يده مراسيم بطلب ذخيرة وغلال وعملوا لقدومه شنكاً ومدافع وطلع في موكب إلى القلعة.

وفيه رجع ديوان أفندي من ناحية قبلي وصحبته أحمد آغا شويكار فأقاما بمصر أياماً، ثم رجعا بجواب إلى الأمراء القبليين.

وفي ليلة السبت ثالث عشره، حصلت زلزلة عجيبة وارتجت منها الجهات ثلاث درجات متواليات واستمرت نحو أربع دقائق فانزعج الناس منها من منامهم وصار لهم جلبة وقلقة وخرج الكثير من دورهم هاربين إلى الأزقة يريدون الخلاص إلى الفضاء مع بعده عنهم وكان ذلك في أول الساعة السابعة من الليل وأصبح الناس يتحدثون بها فيما بينهم وسقط بسببها بعض حيطان ودور قديمة وتشققت جدران وسقطت منارة بسوس ونصف منارة بأم أخنان بالمنوفية وغير ذلك لا نعلمه.

وفي عصر يوم السبت أياً حصلت زلزلة ولكن دون الأولى فانزعج الناس منها أيضاً وهاجوا، ثم سكنوا، ثم كثر لغط العالم بمعاودتها فمنهم من يقول ليلة الأربعاء ومنهم من يقول خلافه وأنها تستمر طويلاً وأسندوا ذلك لبعض المنجمين ومنهم من أسنده لبعض النصارى واليهود وأن رجلاً نصرانياً ذهب إلى الباشا وأخبره بحصول ذلك وأكد في قوله وقال له احبسني وإن لم يظهر صدقي اقتلني وأن الباشا حبسه حتى يمضي الوقت الذي عينه ليظهر صدقه من كذبه وكل ذلك من تخيلاتهم واختلافاتهم وأكاذيبهم وما يعلم الغيب إلا الله.

وفي يوم الأحد رابع عشره أمر الباشا بالاحتياط على بيوت عظماء الأقباط كالمعلم غالي والمعلم جرجس الطويل وأخيه وفلتيوس وفرانسيسكو وعدتهم سبعة فأحضروهم في صورة منكرة وسمروا دورهم وأخذوا دفاترهم، فلما حضروا بين يديه قال لهم أريد حسابكم بموجب دفاتركم هذه وأمر بحبسهم فطلبوا منه الأمان وأن يأذن لهم في خطابه فأذن لهم فخاطبه المعلم غالي وخرجوا من بين يديه إلى الحبس، ثم قرر عليهم بواسطة حسين أفندي الروزنامجي سبعة آلاف كيس بعد أن كان طلب منهم ثلاثين ألف كيس.

وفي يوم الخميس ثامن عشره شاع في الناس حصول زلزلة تلك الليلة وهي ليلة الجمعة ويكون ذلك في نصف الليل فتأهب غالب الناس للطلوع بخارج البلد فخرجوا بنسائهم وأولادهم إلى شاطئ النيل ببولاق ونواحي الشيخ قمر ووسط بركة الأزبكية وغيرها وكذلك خرج الكثير من العسكر أيضاً ونصبوا خياماً في وسط الرميلة وقراميدان والقرافتين وقاسوا تلك الليلة من البرد ما لا يكيف ولا يوصف لأن الشمس كانت ببرج الدلو وهو وسط الشتاء، و لم يحصل شيء مما أشاعوه وأذاعوه وتوهموه وتسلق العيارون والحرامية تلك الليلة على كثير من الدور والأماكن وفتشوها، فلما أصبح يوم الجمعة كثر التشكي إلى الحكام من ذلك فنادوا في الأسواق بأن لا أحد يذكر أمر الزلزلة وكل من خرج لذلك من داره عوقب فانكفوا وتركوا هذا

اللفظ الفارغ.

وفيه ظهر أنفار يقفون بالليل بصحن الجامع الأزهر فإذا قام إنسان لحاجته منفرداً أخذوا ما معه وأشيع ذلك فاجتهد الشيخ المهدي في الفحص والقبض على فاعل ذلك إلى أن عرفوا أشخاصهم ونسبهم وفيهم من هو من أولاد أصحاب المظاهر المتعممين فستروا أمرهم وأظهروا شخصاً من رفقائهم ليس له شهرة وأخرجوه من البلدة منفياً ونسبوا إليه الفعال وسنكشف ستر الفاعلين فيما بعد ويفتضحون بين العالم، كما يأتي خبر ذلك في سنة سبع وعشرين وكذلك أخرجوا طائفة من القوادين والنساء الفواحش سكونا بحارة الأزهر واجتمعوا في أهله حتى أن أكابر الدولة وعساكرهم بل وأهل البلد والسوقة جعلوا سمرهم وديدنهم ذكر الأزهر وأهله ونسبوا له كل رذيلة وقبيحة ويقولون هي كل موبقة تظهر منه ومن أهله وبعد أن كان منيع الشريعة والعلم صار بعكس ذلك، وقد ظهر منه قبل الزغلية والآن الحرامية وأمور غير ذلك مخفية.

وفيه طلب الباشا تمهيد الطريق الموصلة من القلعة إلى الزلاقة التي أنشأها طريقاً يصعد منها إلى الجبل المقطم السابق ذكرها وأراد أن يفرض على الأخطاط والحارات رجالاً للعمل بعدد مخصوص ومن اعتذر عن الخروج والمساعدة يفرض عليه بدلاً عنه قدراً من الدراهم يدفعها نظير البدل وأشيع هذا الأمر واستحضر الأوباش على الطبول والزمور، كما كانوا يفعلون في قضية عمارة محمد باشا خسرو، ثم أن الشيخ المهدي اجتمع بكتخدا بك وأدخل عليه وهماً أن محمد باشا خسرو لما فعل ذلك لم يتم له أمر وعزل، و لم تطل أيامه ونحن نطلب دوام دولتكم والأولى ترك هذا الأمر فتركوا ذلك و لم يذكروه بعد.

ودخلت سنة 1225

واستهل شهر صفر الخير بيوم الأربعاء سنة 1225

فيه قلد الباشا خليل أفندي النظر على الروزنامجي وكتابه وسموه كاتب الذمة أي ذمة الميري من الإيراد والمصرف وكان ذلك عند فتح الطلب بالميري عن السنة الجيدي فلا يكتب تحويل ولا تنبيه ولا تذكرة حتى يطلعوه عليها ويكتب عليها علامته فتكدر من ذلك الروزنامجي وباقي الكتبة وهذه أول دسيسة أدخلوها في الروزنامة وابتداء فضيحتها وكشف سرها وذلك بإغراء بعض الأفندية الخاملين أنهى إليهم أن الروزنامجي ومن معه من الكتاب يوفرون لأنفسهم الكثير من الأموال الميرية ويتوسعون فيها وفي ذلك إجحاف بمال الخزينة وخليل أفندي هذا كان كاتب الخزينة عند محمد باشا خسرو ولا يفيق من الشرب.

وفيه طلب الباشا ثلاثة أشخاص من كتبة الأقباط الذين كانوا متقيدين بقياس الأراضي بالمنوفية وضربهم وحبسهم لكونه بلغه عنهم أنهم أخذوا البراطيل والرشوات على قياس طين أراضي بعض البلاد ونقصوا من القياس فيما ارتوى من الطين وهي البدعة التي حدثت على الطين الري وسموها القياسة وقد تقدم ذكرها غير مرة وحررت في هذه السنة على الكامل لكثرة النيل وعموم الماء الأراضي على أنه بقي الكثير من بلاد البحيرة وغيرها شراقي بسبب عدم حفر الترع وحبس الحبوس وتجسير الجسور واشتغال الفلاحين والملتزمين بالفرض المظالم وعجزهم عن ذلك.

وفي خامسه طلب الباشا كشاف الأقاليم وشرع في تقريري فرضة على البلاد بما يقتضيه نظره ونظر كشاف الأقاليم والمعلمين: البط فقرروا على أعلاها ثمانين كيساً والأدنى خمسة عشر كيساً و لم يتقيد بتحرير ذلك أحد من الكتبة الذين يحررون ذلك بدفاتر ويوزعونها على مقتضى الحال، و لم يعطوا بالمقادير أوراقاً لملتزمي الحصص، كما كانوا يفعلون قبل ذلك فإن الملتزم كان إذا بلغه تقرير فرضة تدارك أمره وذهب إلى ديوان الكتبة وأخذ علم القدر المقرر على حصته وتكفل بها وأخذ منهم مهلة بأجل معلوم وكتب على نفسه وثيقة وأبقاها عندهم، ثم يجتهد في تحصيل المبلغ من فلاحيه وإن لم يسعفوه في الدفع وحولوا عليه الكلب دفعه من عنده إن كان ذا مقدرة أو استدانه وبو بالربا، ثم يستوفيه بعد ذلك من الفلاحين شيئاً فشيئاً كل ذلك حرصاً على راحة فلاحي حصته وتأمينهم واستقرارهم في وطنهم ليحصل منهم المطلوب من المال الميري وبعض ما يقتاتون به هم وعيالهم وإن لم يفعل ذلك تحول باستخلاص ذلك من كاشف الناحية وعين على الناحية الأعوان بالطلب الحثيث وما ينضاف إلى ذلك من حق طرق المعينين وكلفهم وإن تأخر الدفع تكرر الإرسال والطلب على النسق المشروح فيتضاعف الهم وربما ضاع في ذلك قدر الأصل المطلوب وزيادة عنه مرة أو مرتين والذي يقبضونه يحبسونه بالفرط وهو في كل ريال عشرة أنصاف فضة يسمونها ديواني فيقبض المباشر عن الريال تسعين نصفاً فضة ويجعل التسعين ثمانين وذلك خلاف ما يقرره في أوراق الرسم من خدم المباشرين من كتبة القبط فينكشف حال الفلاح ويبيع ما عنده من الغلة والبهيمة، ثم يفر من بلدته إلى غيرها فيطلبه الملتزم ويبعث إليه المعيني من كاشف الناحية بحق طريق أيضاً فربما أداه الحال إن كان خفيف العيال والحركة إلى الفرار

والخروج من الإقليم بالكلية، وقد وقع ذلك حتى امتلأت البلاد الشامية والرومية من فلاحي قرى مصر الذين جلوا عنها وخرجوا منها وتغربوا عن أوطانهم من عظيم هول الجور وإذا ضاق الحال بالملتزم وكتب له عرضحال يشكو حاله وحال بلده أو حصته وضعف حالها ويرجو التخفيف وتجاسر وقدم عرضحال إلى الباشا يقال له هات التقسيط وخذ ثمن حصتك أو بدلها أو يعين له ترتيباً بقدر فائظها على بعض الجهات الميرية من المكوس و الجمارك التي أحدثوها فإن سلم سنده، وكان ممن يراعي جانبه حول إلى بعض الجهات المذكورة صورة وإلا أهمل أمره وبعضهم باعها لهم بما انكسر عليه من مال القرض وقد وقع ذلك الكثير من أصحاب الذمم المتعددة انكسر عليه مقادير عظيمة فترل عن بعضها وخصموا له ثمنها من المنكسر عليه من الفرضة وبقي عليه الباقي يطالب به فإن حدثت فرضة أخرى قبل غلاق الباقي وقعد بها وضمت إلى الباقي وقصرت يده لعجز فلاحيه واستدان بالربا من العسكر تضاعف الحال وتوجه عليه الطلب من الجهتين فيضطر إلى خلاص نفسه ويترل عما بقي تحت يده كالأول وقد يبقى عليه الكسر ويصبح فارغ اليد من الالتزام ومديوناً وقد وقع ذلك لكثير كانوا أغنياء ذوي ثروة وأصبحوا فقراء محتاجين من حيث لا يشعرون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وفيه تحركت همم الأمراء المصريين القبليين إلى الحضور إلى ناحية مصر بعد ترداد الرسل والمكاتبات وحضور ديوان أفندي ورجوعه وحضور محمد بك المنفوخ أيضاً وكل من حضر منهم أنعم عليه الباشا وألبسه الخلع ويقدم له التقادم ويعطيه المقادير العظيمة من الأكياس وقصده الباطني صيدهم حتى أنه كان أنعم على محمد بك المنفوخ بالتزام جمرك ديوان بولاق ثم عوضه عنه ستمائة كيس وغير ذلك.

وفيه قلد الباشا نظر المهمات لصالح بن مصطفى كتخدا الرزاز ونقلوا ورشة الحدادين ومنافخهم وعددهم من بيت محمد أفندي طبل الودنلي المعروف بناظر المهمات إلى بيت صالح المذكور بناحية التبانة وكذلك العربجية وصناع الجلل والمدافع ونزعوا منه أيضاً معمل البارود وكان تحت نظره وكذلك قاعة الفضة وجمرك اللبان وغيره.

وفيه وصلت الأخبار من البلاد الرومية والشامية وغيرها بوقوع الزلزلة في الوقت الذي حصلت فيه بمصر إلا أنها كانت أعظم وأشد وأطول مدة وحصل في بلاد كريت إتلافات كثيرة وهدمت أماكن ودوراً كثيرة وهلك كثير من الناس تحت الردم وخسفت أماكن وتكسر على ساحل مالطة عدة مراكب وحصل أيضاً باللاذقية خسف وحكى الناقلون أن الأرض انشقت في جهة من اللاذقية فظهر في أسفلها أبنية انخسفت بها الأرض قبل ذلك ثم انطبقت ثانياً.

وفيه من الحوادث ما وقع ببيت المقدس وهو أنه لما احترقت القمامة الكبرى، كما تقدم ذكر حرقها في العام الماضي عرضوا إلى الدولة فبرز الأمر السلطاني بإعادة بنائها وعينوا لذلك آغا قابجي وعلى يده مرسوم شريف فحضر إلى القدس وحصل الاجتهاد في تشهيل مهمات العمارة وشرعوا في البناء على وضع أحسن من الأول وتوسعوا في مسحة جرمها وأدخلوا فيها أماكن مجاورة لها وأتقنوا البناء إتقاناً عجيباً وجعلوا أسوارها وحيطانها بالحجر النحيت ونقلوا من رخام المسجد الأقصى فقام بمنع ذلك من جماعة من الأشراف الينكجرية وشنعوا على الآغا المعين وعلى كبار البلدة وتعصبوا حماية للدين قائلين أن الكنائس إذا خربت لا يجوز إعادتها إلا بأنقاضها ولا يجوز الاستعلاء بها ولا تشييدها ولا أخذ رخام الحرم القدسي ليوضع في الكنيسة ومانعوا في ذلك فأرسل ذلك الآغا المعين إلى يوسف باشا يعرفه عن المعارضين لأوامر الدولة فأرسل يوسف باشا طائفة من

عسكره في عدة وافرة فوصلوا من طريق الغور وهو مسلك موصل إلى القدس قريب المسافة خلاف الطريق المعتاد فدهموا الجماعة المعارضين على حين غفلة وحاصروهم في دير وقتلوهم عن آخرهم وهم نيف وثلاثون نفراً وشيدوا القمامة، كما أرادوا أعظم وأضخم مما كانت عليه قبل حرقها فنسأل المولى السلامة في الدين.

واستهل شهر ربيع الأول بيوم الخميس سنة 1225

فيه وصلت الأمراء المصريون القبالي إلى ناحية بني سويف وكثير من الأجناد إلى مصر وترددت الرسل وحضر ديوان أفندي، ثم رجع ثانياً إليهم.

وفيه أمر الباشا كتاب بعمل حساب حسنين أفندي الروزنامجي عن السنتين الماضيتين وهما سنة ثلاث وعشرين وأربع وعشرين وذلك بإغراء البعض منهم فاستمروا في عمل الحساب أياماً فزاد لحسين أفندي مائة وثمانون كيساً، فلم يعجب الباشا ذلك واستخونهم في عمل الحساب، ثم ألزمه بدفع أربعمائة كيس وقال أنا كنت أريد منه ستمائة كيس وقد سامحته في مائتين في نظير الذي تأخر له وطلع في صبحها إلى الباشا وخلع عليه فروة باستقراره في منصبه ونزل إلى داره، فلما كان بعد الغروب حضر إليه جماعة من العسكر في هيئة مزعجة ومعهم مشاعل وطلبوا الدفاتر وهم يقولون معزول معزول وأخذوا الدفاتر وذهبوا وحولوا عليه الحوالات بطلب الأربعمائة كيس فاجتهد في تحصيلها ودفعها، ثم ردوا له الدفاتر ثانياً.

وفيه حصلت كائنة أحمد أفندي المعروف باليتيم من كتاب الروزنامة وذلك أن الباشا كان ببيت الأزبكية فوصل إليه مكتوب من كاشف إقليم الدقهلية يعرفه فيه أنه قاس قطعة أرض جارية في إقطاع أحمد أفندي المذكور فوجد مساحتها خلاف القيد بدفتر المقياس الأول ومسقوط منها نحو خمسمائة فدان وذلك من فعل المذكور ومخامرته مع النصارى الكتبة والمساحين لأنهم يراعونه ويدلسون معه لأن دفاتر الروزنامة بيده، فلما قرأ المكتوب أمر في الحال بالقبض على أحمد أفندي وسجنه وكان السيد محمد المحروقي حاضراً وكذلك علي كاشف الكبير الألفي فترجيا عند الباشا وأخبراه بأن المذكور مريض بالسرطان في رجله ولا يقدر على حركتها واستأذنه السيد المحروقي بأن يأخذه إلى داره فإن داره باب من أبوابه فأجابه إلى ذلك وركب في الحال ولحق بالمعيني وكانوا قد وصلوا إليه وأزعجوه فمنعهم عنه وأخذه إلى داره وراجع الباشا في أمره فقرر عليه ثمانين كيساً بعد أن قال أني كنت أريد أن أقول ثلاثمائة كيس فسبق لساني فقلت مائة كيس، وقد تجاوزت لأجلك عن عشرين كيساً وهو يقدر على أكثر من ذلك لأنه يفعل كذا وكذا وعدد أشياء تدل على أنه ذو غنية كبيرة منها أنه لما سافر إلى الباشا بدفتر الفرضة إلى ناحية أسيوط طلع إلى البلدة في هيئة وصحبته فرش وسحاحير وبشخانات وكرارات وفراشون وخدم وكيلارجية ومصاحبجية والحكيم والمزين، فلما شاهد الباشا هيئته سأل عنه وعن منصبه فقيل له أنه جاجرت من كتبة الروزنامة فقال إذا كان جاجرت بمعنى تلميذ فكيف يكون باش جاجرت أو قلقاوات لإقليم فضلاً عن كبيرهم الروزنامجي وأي شيء ذلك وأسر ذلك في نفسه وطفق يسأل ويتجسس عن أحوالهم لأنه من طبعه الحقد والحسد والتطلع لما في أيدي الناس ولما قلد خليل أفندي كتابة الذمة في الروزنامة، كما تقدم انضم إليه الكارهون للمذكور الذين كانوا خاملي الذكر بوجوده وتوصلوا إلى باب الباشا وكتخدا بك وأنهوا فيه أنه يتصرف في الأموال الميرية كما يختار وأن حسين أفندي الروزنامجي لا يخرج عن مراده وإشارته وبيته مفتوح

للضيفان ويجتمع عنده في كل ليلة عدة من الفقراء يثرد لهم الثريد في القصاع ويواسي الكثير من أهل العلم وغيرهم ويتعهد بكثير من الملتزمين بالفرض التي تقرر على حصصهم ويضمها في حسابه ويصبر عليهم حتى يوفرها له في طول الزمن ونحو ذلك وكل ما ذكر دليل على سعة الحال والمقدرة وأما الذنب الذي أخذه به فإن القدر المذكور من الطين كان من الموات فاتفق المذكور مع شركائه ملتزمي الناحية وجرفوه وأحيوه وأصلحوه بعد أن كان خرساً ومواتاً لا ينتفع به وجعلوه صالحاً للزراعة وظن أن ذلك لا يدخل في المساحة فأسقطه منها فوقع له ما وقع وأسقطوا اسمه من كتاب الروزنامة ومنعوه منها وانقطع في داره وزاد به ألم رجله.

وفيه انحرف أيضاً الباشا على الخواجا محمود حسن وعزله من الجمارك والبرزجانية وأكل عليه المطلوب له وهو مبلغ ألفان وخمسون كيساً.

واستهل شهر ربيع الثاني بيوم السبت سنة 1225

فيه وصلت الأخبار من البلاد الحجازية بنزول سيل عظيم حصل منه ضرر كثير وهدم دوراً كثيرة بمكة وجدة وأتلف كثيراً م البضائع للتجار حكوا أنه هدم بمكة خاصة ستمائة دار وكان ذلك في شهر صفر.

وفيه وصل الأمراء المصريون إلى ناحية الرقق وأوائلهم وصلوا إلى دهشور وخرج إليهم الأتباع بالملاقاة من بيوتهم وأحبابهم وذهب إليهم مصطفى آغا الوكيل وعلي كاشف الصابونجي وديوان أفندي، ثم الباشا، ثم في أثرهم طوسون ابن الباشا وقدم له إبراهيم بك تقادم وأقام بوطاقه أياماً، ثم رجعوا وكثر ترداد المراسلات والاختلافات في أمر الشروط.

وفي خامسه حضر عثمان بك يوسف وصحبته صنجق آخر فطلعا إلى القلعة وقابلا الباشا، ثم رجعا وحضرا في ثاني يوم كذلك فخلع عليهما خلعاً وأعطاهما أكياساً وأرسل إلى إبراهيم بك هدايا وإلى سليم بك المحرمجي المرادي أيضاً.

وفي يوم الثلاثاء حادي عشره وصل الجميع إلى الجيزة ونصبوا وكطاقهم خارج الجيزة وصحبتهم عربان وهوارة كثيرة وانتزروا أن الباشا يضرب لحضورهم مدافع، فلم يفعل وقال إبراهيم بك سبحان الله ما هذا الاحتقار ألم أكن أمير مصر نيفاً وأربعين سنة وتقلدت قائمقامية ولايتها ووزارتها مراراً وبالآخرة صار من أتباعي وأعطيه خرجه من كيلاري، ثم أحضر أنا وباقي الأمراء على صورة الصلح فلا يضرب لنا مدافع، كما يفعل لحضور بعض الإفرنج وتأثر من ذلك وأشيع في الناس تعدية الباشا من الغد للسلام على إبراهيم بك، فلم يثبت وظهر أنه لم يفعل وأصبح مبكراً إلى شبرا وجلس في قصره وحضر إليه شاهين بك الألفي في سفينة ووقع بينهما مكالمات ورجع من عنده عائداً إلى الجيزة منفعل الخاطر ثم أن الباشا عرض عساكره فاجتمع إليه الجميع وبدا اللغط وكثرت القلقة وعندما وصل شاهين بك إلى الجيزة أزر حريمه وأركبهن وأرسلهن إلى الفيوم ونقل متاعه وفرشه من قصر الجيزة في بقية اليوم وكسر المرايات وزجاج الشبابيك التي في مجالسه الخاصة، ثم ركب في طوائفه وأتباعه وخشداشينه ومماليكه وذهب إلى عرضي إخوانه وقبيلته ونصب خيامه ووطاقه بحذائهم واجتمع بهم وتصافى معهم وقد كان حضر إليه عبد الرحمن بك تابع عثمان بك المرادي المعروف بالطنبرجي وحول دماغه واتفق معه على الانضمام إليهم والخروج عن الباشا ففعل ما فعل وجعلوه رئيس الأمراء المرادية.

وفي ذلك اليوم عدى حسن باشا وصالح آغا قوج إلى بر الجيزة وذهبا إلى عرضي الأمراء وسلما عليهم وتغديا عند شاهين بك وجرى بينهما وبين إبراهيم بك كلام كثير وقال له حسن باشا أنكم وصلتم إلى هنا لتمام لصلح على الشروط التي حصلت بينكم وبين الباشا والاتفاق الذي جرى بأسيوط ويكون تمامه عند وصولكم إلى الجيزة واجتماعكم، وقد حصل فقال له إبراهيم بك وما هي الشروط قال هي أن تدخلوا تحت حكمه وطاعته وهو يوليكم المناصب التي تريدونها بشرط أن تقوموا بدفع الفرض التي يقررها على النواحي والغلال الميرية والخراج وتعيين من يريده منكم صحبة العساكر الموجهة إلى البلاد الحجازية لفتح الحرمين وتكونوا معه أمراء مطيعين وهو يعطيكم الأمريات والإنعامات الجزيلة ويعمر لكم ما تريدونه من الدور والقصور التي لكم ولأتباعكم على طرفه لا يكلفكم بشيء من الأشياء وقد رأيتم وسمعتم ما فعله من الإكرام والإنعام على شاهين بك وما أعطاه من المماليك والجواري الحسان وشفاعاته عنده لا ترد وأطلق له التصرف في البر الغربي من رشيد إلى الفيوم إلى بني سويف والبهنسا مما هو تحت حكمه ويراعي بجانبه إلى الغاية فقال له إبراهيم بك نعم إنه فعل مع شاهين بك ما لا تفعله الملوك فضلاً عن الوزراء وليس ذلك لسابق معروف فهل شاهين بك معه ليستحق به ذلك بل هو لغرض سوء يكمنه في نفسه وشبكة يصطاد بها غيره فإننا سبرنا أحواله وخيانته وشاهدنا ذلك في كثير ممن خدموه ونصحوا معه حتى ملكوه هذه المملكة قال ومن هم قال أو لهم مخدومه محمد باشا خسرو، ثم كتخداه وخازنداره عثمان آغا جنج الذي خامر معه وملك مع أخيه المرحوم طاهر باشا القلعة وأحرق سرايته، ثم سلط الأتراك على طاهر باشا حتى قتلوه في داره وأظهر موالاتنا وصداقتنا ومساعدتنا وصبر نفسه من عسكرنا واتحد بعثمان بك البرديسي وأظهر له خلوص الصداقة والأخوة وعاهد بالإيمان حتى أغراه على علي باشا الطرابلسي وجرى ما جرى عليه من القتل ونسب ذلك إلينا، ثم اشتغل معه على خيانته لأخيه الألفي وأتباعه ثم سلط علينا العساكر يطلب العلوفة وأشار على عثمان بك بطلب المال من الرعية حتى وقع لنا ما وقع وخرجنا من مصر على الصورة التي خرجنا عليها لم أحضر أحمد باشا خورشيد وولاه وزيراً، وخرج هو لمحاربتنا، ثم اتضح أمره لأحمد باشا وأراد الإيقاع به فعجل العود إلى مصر وأوقع بينه وبين جنده حتى نفروا منه ونابذوه وألقى إلى السيد عمر والقاضي والمشايخ أن أحمد باشا يريد الفتك بهم فهيجوا العامة والخاصة وجرى ما جرى من الحروب وحرق الدور وبذل السيد عمر جهده في النصح معه بما يظهره له من الحب والصداقة وراجت عليه أحواله حتى تمكن أمره وبلغ مراده وأوقع به وأخرجه من مصر وغربه عن وطه ونقض العهود والمواثيق التي كانت بينه وبينه، كما فعل بعمر بك وغيره وكل ذلك معلوم ومشاهد لكم ولغيركم، فمن يأمن لهذا ويعقد معه صلحاً واعلم يا ولدي أننا كنا بمصر نحو العشر آلاف أو أقل أو أكثر ما بين مقدمي ألوف وأمراء وكشاف وأكابر وجاقات ومماليك وأجناد وطوائف وخدم واتباع مرفهي المعاش بأنواع الملا كل أمير مختص ومعتكف بإقطاعه مع كثرة مصارفنا في الأوقات المعهودة ولا نعرف عسكراً ولا علوفة عسكر والقرى والبلاد مطمئنة والفلاحون ومشايخ البلاد مرتاحون في أوطانهم ومضايفهم مفتوحة للواردين والضيفان مع ما كان يلزم علينا من المصارف الميرية ومرتبات الفقراء وخزينة السلطان وصرة الحرمين والحجاج وعوائد العربان وكلف الوزراء المتولين والأغوات والقابجية المعينين وخدمهم والهدايا السلطانية، وغير ذلك وأفندينا ما كفاه إيراد الإقليم وما أحدثه من الجمارك والمكوس وما قرره على القرى والبلدان من فرض المال والغلال والجمال والخيول والتعدي على الملتزمين ومقاسمتهم في فائظهم ومعاشهم وذلك خلاف مصادرات الناس

والتجار في مصر وقراها والدعاوي والشكاوي والتزايد في الجمارك، وما أحدثه في الضربخانة من ضرب القروش النحاس واستغراقها أموال الناس بحيث صار إيراد كل قلم من أقلام المكوس بلإيراد إقليم من الأقاليم ويبخل علينا بما نتعيش به ونحن وعيالنا ومن بقي معنا من أتباعنا ومماليكنا بل وقصده صيدنا وهلاكنا عن آخرنا فقال حسن باشا حاشا الله لم يكن ذلك ودائماً يقول والدنا إبراهيم بك ولكن لا يخفاكم أن الله أعطاه ولاية هذا القطر

وهو يؤتي الملك من يشاء ولا ترضى نفسه من يخالف عليه أو يشاركه بالقهر والاستيلاء فإذا صار الصلح ووقع الصفاء أعطاكم فوق ما مولكم فهز إبراهيم بك رأسه وقال صحيح يكون خيراً وانفض المجلس ورجع حسن باشا وصالح قوج وعديا إلى بر مصر.

وفي تلك الليلة، خرج جميع من كان بمصر من الأمراء والأجناد المصرية بخيلهم وهجنهم ومتاعهم وعدوا إلى بر الجيزة و لم يبق منهم إلا القليل واجتمعوا مع بعضهم وقسموا الأمر بينهم ثلاثة أقسام قسم للمرادية وكبيرهم شاهين بك وقسم للمحمدية وكبيرهم علي بك أيوب وقسم للإبراهيمية وكبيرهم عثمان بك حسن وكتبوا مكاتبات وأرسلوها إلى مشايخ العربان لم أقف على مضمونها.

وفي يوم الجمعة رابع عشره أوقفوا عساكر على أبواب المدينة يمنعون الخارجين من البلد حتى الخدم ومنعوا التعدية إلى البر الغربي وجمعوا المراكب والمعادي إلى البر الشرقي ونقلوا البضائع التي في مراكب التجار المعدة لسفر رشيد ودمياط المعروفة بالرواحل وأخذوها إليهم وشرعوا في التعدية بطول يوم الجمعة والسبت وعدى الباشا آخر النهار دخل إلى قصر الجيزة الذي كان به شاهين بك وكذا عدوا بالخيام والمدافع والعربات والأثقال واجتمعت طوائف العسكر من الأتراك والأرنؤد والدلاة والسجمان بالجيزة وتحققت المفاقمة والأمراء المصرية خلف السور في مقابلتهم واستمروا على ذلك إلى ثاني يوم والناس متوقعون حصول الحرب بين الفريقين، و لم يحصل وانتقل المصرية وترفعوا إلى قبلي الجيزة بناحية دهشور وزنين.

وفي يوم الاثنين والثلاثاء، أنفق الباشا على العسكر، وكان له مدة شهور لم ينفق عليهم.

وفي ليلة الثلاثاء، ركب الباشا ليلاً وسافر إلى ناحية كرداسة على جرائد الخيل ورجع في ثاني ليلة وكان سبب ركوبه أنه بلغه أن طائفة من العربان مارين يريدون المصرية فأراد أن يقطع عليهم الطريق، فلم يجد أحداً وصادف نجعاً مقيمين في محطة فنهب مواشيهم ورجع تعباً وانقطع عنه أفراد من العسكر، ومات بعضهم من العطش.

وفي يوم الجمعة، ارتحل المصرية وترفعوا إلى ناحية جرزا الهوى بالقرب من الرقق.

وفيه حضر مشايخ عربان أولاد علي للباشا فكساهم وخلع عليهم وألبسهم شالات كشميري عدتها ثمان شالات وأنعم عليهم بمائة وخمسين كيساً وحضر عند المصرية عربان الهنادي ومشايخهم وانضموا إليهم.

وفي يوم الأحد ثالث عشرينه، عدى الباشا إلى بر مصر وذهب إلى بيته بالأزبكية فبات به ليلتين، ثم طلع يوم الثلاثاء إلى القلعة وقد تكدر طبعه من هذه الحادثة بعد أن حصلوا بالجيزة وكاد يتم قصده فيهم وخصوصاً ما فعله شاهين بك الذي أنفق عليه ألوفاً من الأموال ذهبت جميعها في الفارغ البطال.

وفي هذه الأيام أعني منتصف شهر بشنس القبطي زاد النيل زيادة ظاهرة أكثر من ذراع ونصف واستمر أياماً، ثم رجع إلى حاله الأول وهذا من جملة عجائب الوقت.

واستهل شهر جمادى الأولى بيوم الأحد سنة 1225

فيه عمل الباشا ميدان رماحه بالجيزة فتقنطر به الحصان ووقع به الأرض فأقاموه وأصيب غلام من مماليكه برصاصة فمات ويقال أن الضارب لها كان قاصداً الباشا فأخطأته وأصابت ذلك المملوك والأجل حصن.

وفيه نبهوا على العسكر بالخروج فسعوا بالجد والعجلة في قضاء أشغالهم ولوازمهم وطفقوا يخطفون حمير الناس وجمالهم ومن يصادفونه ويقدرون عليه من أهل البلد وخلافهم ويقولون في غد مسافرون وراحلون لمحاربة المصريين والمصريون أيضاً مستمرون في منزلتهم لم ينتقلوا عنها.

وفي خامسه، خرج حسن باشا وبرز خيامه بناحية الآثار وخرج أيضاً محو بك بعسكره وطوائفه ومعهم بيارق وسافر جملة عساكر في المراكب ليرابطوا في البنادر فإنها خالية ليس بها أحد من المصريين وفي كل يوم يخرج عساكر، ثم يرجعون إلى المدينة وهم مستديمون على خطف الدواب وحمير البطيخ وجمال السقائين والباشا يعدي إلى بر مصر في كل يومين أو ثلاثة ويطلع إلى القلعة، ثم يعود إلى مخيمه في الجيزة وامتنع سفر المسافرين قبلي وبحري.

وفي يوم الثلاثاء سابع عشره، بلغ الباشا أن الأمراء المرادية والإبراهيمية وغالب المصرية لهم مراسلات ومعاملات مع السيد سلامة النجاري وأخيه وابن أخيه وأنه يرسل لهم جميع ما يلزم من أسلحة وأمتعة وخلافها بواسطة بعض عملائهم من العربان خفية وأنه اشترى جملة أسلحة وخيول وثياب وغيرها وأخذ أشياء من بيوت بعضهم لأجل أن يرسل الجميع إليهم وأن جميع ذلك موجود عند المذكور الآن ومن جملة أيام حضر رسول من عندهم بدارهم ومعه حصان نعمان بك وهو عنده أيضاً فأمر بجلبه وحبسه وهجم منزله وضبط أوراقه وضبط ما يوجد بها ففعلوا ذلك وحبسوا معه ابن أخيه وأزعجوهما وهجموا منزله فوجدوا فيه خمسة خيول وجملة أسلحة فطغوا وبغوا ونهبوا متاعه وبددوا شمل كتب أبيه، ولم يجدوا مكاتبات من الأمراء القبالي ولا أثر لذلك بل أنهم وجدوا جواباً من أخيه السيد أحمد مضمونه أننا عند وصولنا إلى مكة المشرفة اشترينا أربعة خيول نجدية بها العلامات التي أفدتمونا عنها وهي مرسلة لكم عسى أن تفوزوا بتقديمها لأفندينا ولما سئل عن الأسلحة والخيول التي عنده قال: أن السلاح عندنا من قديم وله مدد ورؤيته تدل على ذلك وأما الخيول فمنها أربعة أحضرها هدية لأفندينا وجاءت ضعيفة فأبقيتها عندي حتى تتقوى وأقدمها إليه والحصان الخامس اشتريته لنفسي من رجل عميلنا اسمه عطوان أحمد من أهالي كفر حكيم أخبرني أنه اشتراه من ناحية صول، ولما رأيت فيه علامات الجودة وجاءت الأربعة خيول تركت ركوبه وأبقيته معها حتى أقدم الجميع لأفندينا فعند ذلك توجه محمد أفندي طبل للباشا وفهمه براءة ذمة المذكور وأخبره بما صار وما وجدوه وما قاله المذكور وسعى في إزالة هذه التهمة عنه وعرفه أن هذا الرجل مستقيم الأحوال وأنه من وقت توظيفه معه لم ينظر عليه ما يخالف وصدق عليه الحاضرون فلما ظهر للباشا كذب التهمة وتحقق براءته وأنه أحضر هذه الخيول هدية له أمر بإطلاقه من السجن واسترجاع ما نهبته الأعوان من منزله وتخلق عليهم بسبب ذلك، ثم أمر بإحضاره وإحضار الخيول المهداة له فقبلها منه، ثم سأله عن علامات الجودة وما يحمد في الخيل وما يذم فيها فأجابه بأجوبة مفيدة استحسنها فأنعم عليه وضاعف مرتبه وأحال عليه نظر مشتري الخيول.

وفيه وصلت الأخبار بأن حسن باشا وصالح قوج وعابدين بك وعساكر الأرنؤد وصلوا إلى ناحية صول والبرنبل فوجدوا

المصريين جعلوا متاريس ومدافع على البر ليمنعوا مرور المراكب فحاربوهم حتى أجلوهم عنها وملكوا المتاريس وقتل رجل من الأجناد وهو الذي كان محافظاً على المتاريس يقال له إبراهيم آغا سقط به الجرف إلى البحر فأخذوه إليهم ومعه آخر وقتلوهما وقطعوا رؤوسهما وأرسلوهما صحبة المبشرين إلى الباشا فعلقوا الرأسين بباب زويلة ولما بلغ الأمراء المصريين أخذ المتاريس وتأهبوا وساروا من أول الليل وهي ليلة السبت رابع عشره مكمنين وكاتمين أمرهم فدهموا الأرنؤد من كل ناحية فوقع بينهم مقتلة عظيمة وأخذوا منهم عدة بالحياة وأخذوا منهم أشياء وكان حسن باشا وأخوه عابدين صعدا بمراكبهما إلى قبلي المتريس فاحترق من مراكب أخيه مركب وألقى من فيها بأنفسهم إلى البحر فمنهم من نجا ومنهم من غرق، وأما مراكب حسن باشا فإنه ساعدها الريح أيضاً فسارت إلى ناحية بني سويف، ثم أن المصريين عدى منهم طائفة إلى شرق اطفيح وانتقل بواقيهم راجعين إلى ناحية الجيزة قريباً من عرضي الباشا.

وفي ليلة الخميس تاسع عشره عدى الباشا إلى بر مصر وطلع إلى القلعة، فلما كان الليل وصل طائفة من المصريين إلى المرابطين لخفارة عرضي الباشا واحتاطوا بهم وساقوهم إليهم فانزعج العرضي وحصل فيهم غاغة فأرسل طوسون باشا إلى أبيه فركب ونزل من القلعة في سادس ساعة من الليل وعدى إلى البر الغربي ومما سمعته أن الباشا عندما نزل المعدية وسار بها في البحر سمع واحداً يقول لآخر قدم حتى نقتل المصريين ونبدد شملهم ويكرر ذلك فأرسل الباشا مركباً وأرسل بعض أتباعه بها لينظروا هذين الشخصين ولأي شيء نزلا البحر في هذا الوقت، فلما ذهبوا إلى الجهة التي سمعه منها الصوت، لم يجدوا أحداً وتفحصوا عنهما، فلم يجدوهما فاعتقد من له اعتقاد منهم أنهما من الأولياء وأن الباشا مساعد بأهل الباطن.

وفي عشرينه، ظهر التفاشل بين الأمراء المصريين وتبين أن الذين كانوا عدوا إلى البر الشرقي هم ثلاثة أمراء من الألفية وهم نعمان بك وأمين بك ويحيى بك وذلك أنهم لما تصالحوا مع الباشا وأميرهم شاهين بك وهو الرئيس المنظور إليه ومطلق التصرف في معظم البر الغربي والفيوم يتحكم فيهم وفي طوائف العربان وأهالي البلاد والفلاحين بما يريد وكذلك أموال المعادي بناحية الأخصاص وأنبابة والخبيري وغير ذلك وهو شيء له قدر كبير وزاد فيهم أيضاً أضعاف المعتاد فيأخذ جميع ذلك ويختص به، وذلك خلاف أنعامات الباشا عليه بالمئتين من الأكياس ويشتري المماليك والجواري الحسان ولا يدفع لهم ثمناً فيشكون إلى الباشا فيدفعه إلى اليسرجية من خزينته وهو منشرح الخاطر وإخوانه يتأثرون لذلك وتأخذهم الغيرة ويطمعون في جانبه وهو يقصر في حقهم ولا يعطيهم إلا النزر مع المن والتضجر وفيهم من هو أقدم منه هجرة ويرى في نفسه أنه أحق بالتقدم منه لما دنت وفاة أستاذهم أحضر شاهين بك وسلمه خزينته وأوصاه بأن يعطي لكل أمير من خشداشينه سبعة
آلاف مشخص و لم يعطهم وطفق كلما أعطاهم شيئاً حسبه عليهم من الوصية حتى إذا أعطى اليلك والبنش لنعمان بك مثلاً يعطيه له أنقص من بنش أمين بك نصف ذراع ويقول هو قصير القامة ونحو ذلك فيحقدون ذلك عليه ويتشكون من خسته وتقصيره في حقهم ويعلم الباشا ذلك، فلما نقض شاهين بك عهده وانضم إلى المخالفين وخشداشينه المذكورون معه بالتنافر القلبي راسلهم الباشا سراً ووعدهم ومناهم بأنهم إذا حضروا إليه وفارقوا شاهين بك الخائن المقصر في حقهم أنزلهم منزلة شاهين بك وزيادة واختص بهم اختصاصاً كبيراً فمالت نفوسهم لذلك القول واعتقدوا بخسافة عقولهم صحته وأنهم إذا رجعوا إليه هذه المرة ونبذوا المخالفين اعتقد صداقتهم وخلوصهم وزاد قدرهم ومنزلتهم عنده وتذكروا عند ذلك ما كانوا فيه أقامتهم

بمصر من التنعم والراحة في القصور التي عمروها بالجيزة والبيوت التي اتخذوها بداخل المدينة والرفاهية والفرش الوطيئة وتحركت غلمتهم للنساء والسرارى التي أنعم عليهم الباشا وقالوا مالنا والغربة وتعب الجسم والخاطر والانزعاج والجروب والإلقاء بنفوسنا في المهالك وعدم الراحة في النوم واليقظة فردوا الجواب وتمنوا عليه أيضاً ما حاك في نفوسهم بشرط طرح المؤاخذة والعفو الكامل بواسطة من يعتمد صدقه فأْجابهم لكل ماسألوه وتمنوه بواسطة مصطفى كاشف المواري وهو معدود سابقاً منهم وانفصل عنهم وانتمى إلى كتخدا بك وصار من أتباعه فعند ذلك شرعوا في مناكدة أخيهم شاهين بك ومفارقته وعقدوا معه مجلساً وقالوا له قاسمنا في ربع المملكة التي خصونا به القسمة التي شرطوها فإننا شركاؤك فإن إبراهيم بك قسم مع جماعته وكذلك عثمان بك وعلي بك أيوب فقال لهم وما هو الذي ملكناه حتى أقاسمكم فيه فقالوا أنت تجحف علينا وتختص بالشيء دوننا فإنك لما اصطلحنا معك مع الباشا وصرفك في البر الغربي اختصيت بإيراده وهو كذا وكذا دوننا، و لم تشركنا معك في شيء ولولا أن الباشا كان يراعينا ويواسينا من عنده لمتنا جوعاً فنحن لا نرافقك ولا نصحبك ولا نحارب معك حتى تظهر لنا ما نقاتل معك عليه وتزايدوا معه في المكالمة والمعاتبة والمفاقمة، ثم انفصلوا عنه ونقلوا خيامهم إلى ناحية البحر

واعتزلوه وفارقوا عرضي الجميع، فلما علم بذلك إبراهيم بك الكبير تنكد خاطره وقال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم أي شيء هذا الفشل وخسافة العقل والتفرق بعد الالتئام والاجتماع وذهب إليهم ليصالحهم ويضمن لهم كل ما طلبوه وطمعوا فيه عند تملكهم وقال لهم إن كنتم محتاجين في هذا الوقت لمصرف أنا أعطيكم من عندي عشرين ألف ريال أقسموها بينهم وعودوا لمضربكم معنا فامتنعوا من صلحهم مع شاهين بك فرجع إبراهيم بك يريد أخذ شاهين بك إليهم فامتنع من ذهابه إليهم وقال أنا لست محتاجاً إليهم وإن ذهبوا قلدت أمراء خلافهم وعندي من يصلح لذلك ويكون مطيعاً لي دونهم فإن هؤلاء يرون أنهم أحق مني بالرياسة والجماعة شرعوا في التعدية وانتقلوا إلى البر الشرقي وحال البحر بين الفريقين ووصل إليهم

مصطفى كاشف المورلي بمرسوه الباشا واجتمعوا معه عند عبد الله آغا المقيم بناحية بني سويف وضرب لهم شنكاً ومدافع، ثم أنهم انهزموا على الحضور إلى مصر فوصلوا في يوم الخميس خامس عشرينه وقابلوا الباشا وخلع عليهم وأعطاهم تقادم ورجعوا إلى مضربهم ناحية الآثار وصحبتهم ستة عشر من كشافهم والجميع يزيدون عن المائين وأْنعم عليهم الباشا بمائتي كيس لكل كبير من الأربعة عشرون كيساً ومائة وعشرون كيساً لبقيتهم واشتروا دوراً واسعة وشرعوا في تغييرها وزخرفتها على طرف فاشترى أْمين بك دار عثمان كتخذا المنفوخ بدرب سعادة من عتقائه ودفع له الباشا ثمنها وأمر لكل أمير منهم بسبعة آلاف ريال ليصرفها فيما يحتاج إليه في العمارة واللوازم وحولهم بذلك على المعلم غالي، ولما تحقق شاهين بك انفصالهم قلد أربعة من أتباعه أمرياتهم وأعطاهم بيرقاً وخيولاً وضم لهم مماليك وطوائف وتمت حيلة الباشا التي أحكمها بمكره وعند ذلك أشيع في الإقليم القبلي والبحري تفرقهم وتفاشلهم ورجع من كان عازماً من القبائل والعربان عن الانضمام إليهم وطلبوا الأمان من الباشا وحضروا إليه ودخلوا في طاعته وأنعم عليهم وكساهم وكانت أهالي البلاد عندما حصلت هذه الحادثة عصت عن دفع الفرض والمغارم وطردوا المعينين وتعطل الحال

وخصوصاً عندما شاع غلبة المصريين على الأرنؤد وتفرقت عنهم العربان الذين كانوا انضموا إليهم وأطاع المخالف والعاصي والممانع وكلها أسباب لبروز المقدور والمستور في غيبه سبحانه وتعالى.

وفي أواخره حضر كثير من عسكر الدلاة من الجهة الشامية وكذلك حضر أتراك من على ظهر البحر كثيرون.

واستهل شهر جمادى الثانية بيوم الثلاثاء سنة 1225

في ثالثه يوم الخميس قلد الباشا ديوان أفندي نظر مهمات الحرمين والتأهب لسفر الحجاز لمحاربة الوهابية وسكن ببيت قصبة رضوان كل ذلك مع توجه الهمة والاستعداد لمحاربة الأمراء المصريين والمذكورون بناحية قنطرة اللاهون.

وأما حسن باشا وصالح قوج وعابدين بك ومن معهم، فإنهم صعدوا إلى قبلي وملكوا البنادر إلى حد جرجا واستقر دبوس أوغلي بمنية ابن خصيب.

وفي يوم السبت خامسه ارتحل الباشا بعساكره من الجيزة وانتقل إلى جزيرة الذهب ونودي في المدينة بخروج العساكر المقيمين بمصر ولا يتخلف منهم أحد فزاد تعديهم وخطفهم الحمير والجمال والرجال والفلاحين وغيرهم لتسخيرهم في خدمتهم وفي المراكب عوضاً عن النوتية والملاحين الذين هربوا وتركوا سفائنهم فكانوا يقبضون على كل من يصادفونه ويحبسونهم في الحواصل ببولاق واتفق أنهم حبسوا نحو ستين نفراً في حاصل مظلم وأغلقوه عليهم وتركوهم من غير أكل ولا شرب أياماً حتى ماتوا عن آخرهم وانحدر قبطان بولاق وأعوانه في طلب المراكب من بحر النيل فكانوا يقبضون على المراكب الواصلة إلى مصر بالغلال والبضائع والسفار فيلقون شحنها التي لا حاجة لهم بها على شطوط الملق ويأتون بالمراكب إلى بولاق والجيزة إلا أن يعطوهم براطيل على تركهم الغلة بالمراكب حتى يصلوا بها إلى ساحل بولاق فيخرجونها منها، ثم يأخذون المركب وهكذا كان دأبهم بطول هذه المدة .

وفي عاشره، ارتحل الباشا من جزيرة الذهب يريد محاربة المصريين.

وفي منتصفه ورد الخبر بأن حسين بك تابع حسين بك المعروف بالوشاش الألفي أراد الهروب والمجيء إلى الباشا فقبض عليه شاهين بك وأهانه وسلب نعمته وكتفه وأركبه على جمل مغطى الرأس وأرسله إلى الواحات فاحتال وهرب وحضر إلى عرضي الباشا فأكرمه وأنعم عليه وأعطاه خمسين كيساً واستمر عنده.

وفي خامس عشرينه، وصلت الأخبار بأن الباشا ملك قناطر اللاهون وأن المصريين ارتحلوا إلى ناحية البهنسا، ولم يقع بينهم كبير محاربة وأن الباشا استولى على الفيوم وأرسل الباشا هدايا لمن في سرايته ولكتخدا بك من ظرائف الفيوم مثل ماء الورد والعنب والفاكهة وغير ذلك واستولى على ما كان مودعاً للمصريين من الغلال بالفيوم.

وفي أواخره، وصلت أخبار من ناحية الشام بأن طائفة من الوهابية جردوا جيشاً إلى تلك الجهة فتوجه يوسف باشا إلى المزيريب وحصن قلعتها واستعد إليهم بجيش وحاربوهم وطردوهم، ثم اضطربت الأخبار واختلفت الأقوال.

واستهل شهر رجب بيوم الخميس سنة 1225

فيه وردت الأخبار بورود قزلا آغا من طرف الدولة وعلى يده أوامر وخلعة وسيف وخنجر لمحمد علي باشا وصحبته أيضاً مهمات وآلات مراكب ولوازم حروب لسفر البلاد الحجازية ومحاربة الوهابية وهو يسمى عيسى آغا وأنه طلع إلى ثغر سكندرية.

وفي يوم السبت عاشره الموافق لسادس مسى القبطي أوفى النيل وحصلت الجمعية وحضر كتخدا بك والقاضي وباقي الأعيان وكسر السد بحضرتهم في صبحها يوم الأحد وجرى الماء في الخليج.

وفيه وصل الآغا شبرا وعملوا له هناك شنكاً وحراقات وتعليقات قبالة القصر الذي أنشأه الباشا بساحل شبرا وخرجوا لملاقاته في صبحها بعد ثلاث ليال في يوم الثلاثاء ثالث عشره وعملوا له موكباً عظيماً وطلع إلى القلعة وضربوا عند طلوعه إلى القلعة مدافع وهذا الآغا أسمر اللون حبشي مخصي لطيف الذات متعاظم في نفسه قليل الكلام وفي حال مروره كان بجانبه شخصان ينثران الذهب والفضة والإسلامبولي على الناس المتفرجين وحضر صحبته وصحبة أتباعه السكة الجديدة التس ضربت بإسلامبول من الذهب والفضة وهي دراهم فضة خالصة سالمة من أغش زنة الدرهم منها درهم وزني كامل ستة عشر قيراطاً يصرف بخمسة وعشرين نصفاً من الأنصاف المعاملة العددية المستعملة في معاملة الناس الآن، وكذلك قطعة مضروبة وزن درهمين بالدرهم الوزني تصرف بخمسين، وكذلك قطعة مضروبة وزنها أربعة دراهم وتصرف بمائة نصف وقطعة وزنها ثمانية داهم وتصرف بمائتين وكذلك ذهب فندقلي إسلامي يصرف بأربعمائة نصف وأربعين نصفاً ونصفه وربعه.

وفي يوم الجمعة سادس عشره، حضر الآغا المذكور إلى المسجد الحسيني وصلي به الجمعة وخرج وهو يفرق على الفقراء والمستجدين أرباع الفنادقة وأعطى خدمة الضريح وخدمة المسجد قروشاً إسلامبولي في صرر أقل ما في الصرة الواحدة عشرة قروش.

وفي يوم السبت سابع عشره، عملوا ديواناً بالقلعة وأحضروا خلعة وصلت صحبة الآغا المذكور أرسلها صحبة خازنداره وألبسوها لابن الباشا وجعلوه باشا مير ميران وابن الباشا المذكور ولد مراهق صغير يسمى إسماعيل وضربوا شنكاً ومدافع وأشيع أنه وصلت مبشرون من الجهة القبلية بنصرة الباشا على المصريين وأرسلوا بذلك أوراقاً للأعيان أخبروا فيها بوقوع الحرب بين الفريقين ليلة السبت أو يوم السبت عاشر رجب.

وفي ليلة الثلاثاء عشرينه، أرسلوا تنابيه إلى المشايخ بالحضور من الغد لأنفار عدوها ويكون حضورهم بالمشهد الحسيني فبات الناس في ارتياب وظنون وتخامين، فلما أصبح اليوم حضر شيخ السادات وهو الناظر على أوقاف المشهد إلى قبة المدفن وحضر الشيخ البكري وأغلقوا باب القبة ومنعوا الناس من العبور بالمسجد متشوفين لثمرة هذا الاجتماع وكل من حضر من الأشياخ المشاهير استأذنوا له وأدخلوه إلى القبة وحضر الشيخ الأمير والشيخ المهدي وتأخر حضور الشيخ الشرقاوي لكونه كان ببيت في بولاق، ثم حضر الآغا المذكور ودخل إلى القبة وصحبته ظرف من خشب ففتحه وأخرج منه لوحاً طوله أزيد من ذراعين في عرض ذراع ونصف مكتوب فيه البسملة بخط الثلث مموه بالذهب وهي بخط يد السلطان محمود وتحتها طرة العلامة السلطانية فعلقوه على مقصورة المقام وقرؤوا الفاتحة ودعا السيد محمد المترلاوي خطيب المسجد بدعوات للسلطان ولما فرغ دعا أيضاً السيد بدر الدين المقدسي، ثم خلع على المشايخ خلعاً وفرق ذهباً، ثم خرج الجميع وركبوا إلى دورهم فكان هذا الجمع جمع سخف لا غير.

وفي يوم الجمعة، ركب الآغا المذكور وذهب إلى ضريح السادات الوفائية بالقرافة صحبة الشيخ المتولي خلافتهم فزار مقابرهم وعلق هناك نوحا أيضاً وفرق دراهم وخلع على الشيخ المذكور خلعة.

ومن الحوادث البدعية من هذا القبيل أن عثمان آغا المتولي آغات مستحفظان سولت له نفسه عمارة مشهد الرأس وهو رأس

زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ويعرف هذا المشهد عند العامة بزين العابدين وبذلك اشتهر ويقصدونه بالزيارة صبح يوم الأحد، فلما كانت الحوادث ومجيء الفرنسيس أهملوا ذلك وتخرب المشهد وأهيلت عليه الأتربة فاجتهد عثمان آغا المذكور في تعمير ذلك فعمره وزخرفه وبيضه وعمل به ستراً وتاجاً ليوضع على المقام وأرسل فنادى على أهل الطرق الشيطانية المعروفين بالأشاير وهم السوقة وأرباب الحرف المرذولة الذين ينسبون أنفسهم لأرباب الضرائح المشهورين كالأحمدية والرفاعية والقادرية والبرهامية، ونحو ذلك وأكد في حضورهم قبل الجمع بأيام، ثم أنهم اجتمعوا في يوم الأحد خامس عشرينه بأنواع من الطبول والزمامير والبيارق والأعلام والشراميط والخرق الملونة والمصبغة ولهم أنواع من الصياح والنياح والجلبة والصراخ الهائل حتى ملؤوا النواحي والأسواق وانتظموا وساروا وهم يصيحون ويترددون ويتجاوبون بالصلوات والآيات التي يحرفونها وأنواع التوسلات ومناداة أشياخهم أيضاً المنتسبين إليهم بأسمائهم كقولهم برفع الصوت وضرب الطبلات وقولهم يا هو يا هو يا جباوي ويا بدوي ويا دسوقي ويا بيومي ويصحبهم الكثير من الفقهاء والمتعممين والآغا المذكور راكب معهم والستر المصنوع مركب على أعواد وعليه العمامة مرفوعة بوسط الستر على خشب ومتحلقين حوله بالصياح والمقارع يمنعون أيدي الناس الذين يمدون أيديهم للتمسح والتبرك من الرجال والنساء والصبيان المتفرجين ويرمون الخرق والطرح حتى أنهم يرخونها من الطيقان بالحبال لتصل إلى ذلك التمثال لينالوا جزأ من بركته، و لم يزالوا سائرين به على هذا النمط والخلائق تزداد كثرة حتى وصلوا إلى ذلك المشهد خارج البلدة بالقرب من كوم الجارح حيث المجراة وصنع في ذلك اليوم والليلة أطعمة وأسمطة للمجتمعين وباتوا على ذلك إلى ثاني يوم.

وفيه بعث عيسى آغا الواصل نجيب أفندي إلى الباشا يخبره بحضوره وبالغرض الذي حضر من أجله ويستدعيه للمجيء.

وفي يوم الجمعة غايته وردت أخبار بوقوع حرابة بين الباشا والمصريين وقتل بين الفريقين مقتلة عظيمة عند دلجة والبدرمان وكانت الغلبة للباشا على المصريين وأخذوا منهم أسرى وحضر إلى الباشا جماعة من الأمراء الألفية وهرب الباقون وصعدوا إلى قبلي فعملوا لذلك اليوم شنكاً ومدافع ثلاثة أيام كل يوم ثلاث مرات.

واستهل شهر شعبان بيوم السبت سنة 1225

فيه حضر الباشا وقت الغروب في تطريدة وصحبته جماعة قليلون وطلع من البحر من بر طرا والمعيصرة وركب من هناك خيولاً من خيول العرب وطلع إلى القلعة على حين غفلة فضربوا في ذلك الوقت مدافع إعلاماً بحضوره.

وفي ثاني ليلة صعد إليه عيسى آغا المذكور عند الغروب وقابله وسلم عليه.

وفي يوم الاثنين ثالثه، عمل الباشا ديواناً وركب ذلك الآغا من بيت عثمان آغا الوكيل الكائن بدرب الجماميز في موكب وطلع إلى القلعة وقرأ المرسوم الذي وصل صحبته بالمعنى السابق وهو الأمر بالخروج إلى الحجاز ولبس الباشا الخلعة والسيف بحضرة الجمع وضربوا مدافع كثيرة عقيب ذلك.

وفيه وردت الأخبار بمجيء يوسف باشا والي الشام إلى ثغر دمياط وكان من خبر وروده على هذه الصورة أنه لما ظهر أمره وأتته ولاية الشام فأقام العدل وأبطل المظالم واستقامت أحواله وشاع أمر عدله النسبي في البلدان فنقل أمره على غيره من الولاة

وأهل الدولة لمخالفته طرائقهم فقصدوا عزله وقتله فأرسلوا له ولوالي مصر أوامر بالخروج إلى الحجاز فحصل التواني وفي أثناء ذلك حضر فرقة من العربان الوهابيين وخرج إليهم يوسف باشا المذكور وحصن المزيريب، كما تقدم ورجع إلى الشام وتفرقت الجموع، ثم وصل عيسى آغا هذا وعلى يده مراسيم بولاية سليمان باشا على الشام وعزل يوسف باشا وأشاعوا ذلك وخرج سليمان باشا تابع الجزار من عكا في جمع وخرج يوسف باشا بجموعه أيضاً فتحاربا فانهزم يوسف باشا ونزل بالمزة واستعجل الرجوع إلى الشام فقامت عليه عساكره ونهبوا متاعه وخرج سليمان باشا تابع الجزار من عكا وتفرقوا عنه فما وسعه إلا الفرار وترك ثقله وأمواله ونزل في مركب ومعه نحو الثلاثين نفراً وحضر إلى مصر ملتجئاً لواليها محمد علي باشا لأن بينهما صداقة ومراسلات، فلما وصلت الأخبار بوصوله أرسل إلى ملاقاته طاهر باشا وحضر صحبته إلى مصر وأنزله بمنزل مطل على بركة الأزبكية وعين له ما يكفيه وأرسل إليه هدايا وخيولاً وما يحتاج إليه.

وفي هذه الأيام اختل سد ترعة الفرعونية وانفتح منه شرم واندفع فيه الماء فضج الناس وتيعين لسدها ديوان أفندي وأخذ معه مراكب وأحجاراً وأخشاباً وغاب يومين، ثم رجع واتسع الخرق واستمر عمر بك تابع الأشقر مقيماً عليها لخفارتها وليمنع مرور المراكب ويقوي ردمها لئلا تنحرها المياه فيزداد اتساع الخرق.

وفي هذه الأيام توقفت زيادة النيل فكان يزيد من بعد الوفاة قليلاً، ثم ينقص قليلاً، ثم يرجع النقص وهكذا فأشار بالاجتماع بالاستسقاء بالأزهر فتجمع القليل، ثم تفرقوا وذلك يوم الثلاثاء رابعه وخرج النصارى الأقباط يستسقون أيضاً واجتمعوا بالروضة وصحبتهم القساقسة والرهبان وهم راكبون الخيول والرهوانات والبغال والحمير في تجمل زائد وصحبتهم طائفة من أتباع الباشا بالعصي المفضضة وعملوا في ذلك اليوم سيانة وحانات وقهوات وأسمطة وسكردانات عند جميز العبد ويقولون أن النيل لما توقفت زيادته في العام الذي قبل العام الماضي وخرج الناس يستسقون بجامع عمرو وخرج النصارى في ثاني يوم فزاد النيل تلك الليلة وذلك لا أصل له على أنه لا استغراب للزيادة في أوانها وهذه الأيام أيضاً أواخر مسرى وأيام النسيء وفيها قوه الزيادة وأيام النوروز.

وفي يوم السبت، خرج المشايخ والناس إلى جامع عمرو بمصر القديمة وأرسلوا تلك الليلة فجمعوا الأطفال من مصر وبولاق فحضر الكثير وخطبوا وصلوا وأضر بالمجتمعين الجوع في ذلك اليوم، ولم يجدوا ما يأكلونه.

وفي ثاني يوم نقص النيل واستمر ينقص في كل يوم.

وفي يوم الخميس ثالث عشره، حضرت العساكر والتجريدة إلى واحي الآثار والبساتين ودخلوا في صبيحة يوم الجمعة رابع عشره بطموشهم وحملاتهم حتى ضاقت بهم الأرض وحضر صحبتهم الكثير من الأجناد المصرية وأسرى ومستأمنين.

وفيه حضر يوسف باشا المنفصل عن الشام ونزل بقصر شبرا وضربوا لحضوره مدافع، ثم انتقل إلى الأزبكية وسكن هناك، كما تقدم ذكره.

وفي خامس عشرينه، زاد النيل ورجع ما كان انتقصه وزاد على ذلك نحو قيراطين وثبت إلى أواخر توت واطمأن الناس.

وفي غايته، سافر عيسى آغا بعد ما قبض ما أهداه إليه الباشا له ولمخدومه من الهدايا والأكياس والتحف والسكاكر والشرابات والأقمشة الهندية وغير ذلك ونزل لتشييعه عثمان آغا الوكيل وسافر صحبته نجيب أفندي.

وفي أواخره، سافر سليمان بك البواب لمصالحة الأمراء المنهزمين على يد حسن باشا.

واستهل شهر رمضان بيوم الأحد سنة 1225

في سابع عشره قبض الباشا على المعلم غالي كبير المباشرين الأقباط والمعلم فلتيوس والمعلم جرجس الطويل والمعلم فرنسيس أخي المعلم غالي وباقي أعيان المباشرين فأما غالي وفلتيوس فترلوا هما تلك الليلة إلى بولاق وأنزلوهما في مركب ليسافرا إلى دمياط وحبسوا الباقين بالقلعة وختموا على دورهم ووجدوا عند المعلم غالي نيفاً وستين جارية بيضاء وسوداء وحبشية، ثم قلدوا المباشرة إلى المعلم منصور ضريمون الذي كان معلم ديوان الجمرك ببولاق سابقاً والمعلم بشارة ورزق الله الصباغ مشاركان معه، ثم أنزلوا النصارى المعتقلين من القلعة إلى بيت إبراهيم بك الدفتردار بالأزبكية وفيه جرجس الطويل وأخوه حنا وجرجس وفرنسيس أخو غالي ويعقوب كاتبه وغيرهم وأشاعوا عمل حسابهم، ثم دار الشغل وسعت الساعون في المصالحة على غالي ورفقائه إلى أن تم الأمر على أربعة وعشرين كيساً ونزل له فرمان الرضا والخلع والبشائر وذلك في آخر رمضان.

واستهل شهر شوال بيوم الثلاثاء سنة 1225

فيه نزلت طبلخانة الباشا إلى بيت المعلم غالي واستمروا يضربون النوبة التركية ثلاثة أيام العيد ببيته وكذلك الطبل الشامي وباقي الملاعيب وترمى لهم الخلع والبقاشيش.

وفي سابعه، حضر المعلم غالي وطلع إلى القلعة وخلع عليه الباشا خلع الرضا وألبسه فروة سمور وأنعم عليه ونزل له عن أربعة آلاف كيس من أصل الأربعة وعشرين ألف كيس المطلوبة في المصالحة ونزل إلى داره وأمامه الجاويشية والأتباع بالعصي المفضضة وجلس بدكة داره وأقبل عليه الأعيان من المسلمين والنصارى للسلام عليه والتهنئة له بالقدوم المبارك وأما المعلم منصور ضريمون فجبروا خاطره بأن قيده بخدمة بيت إبراهيم بك ابن الباشا الدفتردار وقيدوا رفيقيه في خدم أخرى.

وفي يوم الخميس عاشر شوال حضر شاهين بك الألفي ومن معه إلى مصر ونصب وطاقه بناحية البساتين وذلك بعد أن تمموا الصلح على يد حسن باشا بواسطة سليمان بك البواب، فلما استقر بخيامه وعرضيه ببر مصر حضر مع رفقائه وقابل الباشا وهو ببيت الأزبكية فبش في وجهه فقال شاهين بك نرجو سماح أفندينا وعفوه عما ذنبناه فقال نعم من قبل مجيئكم بزمان وهو مصر لهم على كل كريهة وأخلى له بيت محمد كتخدا الأشقر بجوار طاهر باشا بالأزبكية وفرشوه ونظموه ووعده برجوعه إلى الجيزة في مناصبه، كما كان حتى يتحول منها محرم بك صهر الباشا لأنه عند انتقال شاهين بك من الجيزة عدى إليها محرم بك بحريمه وهي ابنة الباشا وسكن القصر بعسكره، وكذلك أسكن كبار أتباعه وخواصه القصور التي كان يسكنها الألفية، وكذلك البيوت والدور فوعده بالرجوع إلى محله وظن بخسافة عقله صحة ذلك وحضر صحبة شاهين بك جملة من العسكر والدلاة وغيرهم واستمرت حملاتهم وأمتعتهم تدخل إلى المدينة إرسالاً في عدة أيام.

وفي يوم الجمعة، عمل الباشا ديواناً بالأزبكية في بيت ابنه إبراهيم بك الدفتردار واجتمع عنده المشايخ والوجاقلية وغيرهم فتكلم الباشا وقال يا أحبابنا احتياجي إلى الأموال الكثيرة لنفقات العساكر والمصاريف والمهمات والإيراد لا يكفي ذلك فلزم الحال لتقرير الفرض على البلاد والأطيان وقد أجحف ذلك بأهاليها حتى جلت وخربت القرى وتعطلت المزارع وبارت

الأطيان ولا يمكنني رفع ذلك بالكلية والقصد أن تدبروا لنا تدبيراً وطريقاً لتحصيل المال من غير ضرر ولا إجحاف على أهل القرى وتعود مصلحة التدبير عليهم وعلينا فقال الجميع الرأي لك فقال إني فوضت الرأي في تدبير الأمور السابقة لجماعة الكتبة وهم الأفندية والأقباط فوجدت الجميع خائنين وإني دبرت رأياً لا تدخله التهمة وهو أن من المعلوم أن جميع الحصص لها سندات ومعين بها مقدار الميري والفائظ فنقرر على كل حصة قدر ميريها وفائظها إما سنة أو سنتين فلا يضر ذلك بالملتزمين ولا بالفلاحين فانتبذ أيوب كتخدا الفلاح وهو كبير الاختيارية وقال لكن يا أفندينا إلى مساواة الناس فإن حصص كثير من المشايخ مرفوع ما علبها من المغارم ويرجع تتميم الغرامة على حصص الشركاء فحنق من كلامه الشيخ الشرقاوي وقال له أنت رجل سوء وثار عليه باقي المشايخ الحاضرين وزاد فيهم الصياح فقان الباشا من المجلس وتركهم وذهب بعيداً عنهم وهم يترادون ويتشاجرون فأرسل إليهم الباشا الترجمان وقال إنكم شوشتم على الباشا وتكدر خاطره من صياحكم فسكتوا وقاموا من المجلس وذهبوا إلى دورهم وهم منفعلون المزاج ولعل كلام أيوب كتخدا وافق غرض الباشا أو هو بإغرائه، ثم شرعوا في تحرير الدفاتر وتبديل الكيفيات وكان في العزم أولاً أن يجعلها على ذمم الأطيان شارقاً وغارقاً بما فيها من الأوسية التي للملتزمين والأرزاق ومسموح مشايخ البلاد وذكر ذلك في المجلس فقيل له أن الأوسية معايش الملتزمين والرزق قسمان قسم داخل في زمام أطيان البلد ومحسوب في مساحة فلاحتها وقسم خارج عن زممها والقسمان من الإرصادات على الخيرات وعلى جهات البر والصدقة والمساجد والأسبلة والمكاتب والأحواض لسقي الدواب وغير ذلك فيلزم منه إبطال هذه الخيرات وتعطيلها فقال الباشا أن المساجد غالبها متخرب ومتهدم فقالوا له عليك بالفحص والتفتيش وإلزام المتولي على المسجد بعمارته إذا كان إيراده رائجاً إلى آخر ما قيل.

وفي يوم الاثنين حادي عشرينه، قتلوا شخصاً من الأجناد الألفية وقطعوا رأسه بباب الخرق بسبب أنه قتل زوجته من غير جرم يوجب قتلها.

واستهل شهر ذي القعدة بيوم الأربعاء سنة 1225

في ثانيه، سافر الباشا إلى ثغر سكندرية ليكشف على عمارة الأبراج والأسوار ويبيع الغلال التي جمعها من البلاد في الفرض التي فرضت عليهم وكذلك ما أحضره من البلاد القبلية فجمعوا المراكب وشحنوها بالغلال وأرسلها إلى الإسكندرية ليبيعها على الإفرنج فباع عليهم أزيد من مائتي ألف أردب كل أردب بمائة قرش وسعرها بمصر ثمانية عشر قرشاً وهو لم يشترها و لم تكن عليه بمال بل أخذها من زراعات الفلاحين من أصل ما فرضه عليهم وألزمهم بكلفة شيله وأجرة نقله إلى المحل الذي يلزمونهم بوضعه فيه وأخذ من الإفرنج في ثمنه أصناف النقود من الذهب المشخص البندقي والمجر والفرانسه وعروض البضائع من الجوخ المتنوعة والدودة التي يقال لها القرمز والقزدير وأصناف البضائع الإفرنكية وأحدث وهو بالإسكندرية أحداثاً ومكوساً.

واستهل شهر ذي الحجة الحرام بيوم الأحد سنة 1225

في ثاني عشرينه حضر الباشا من الإسكندرية إلى مصر وذلك يوم الجمعة أواخر النهار وحضر في العشية إلى بيت الأزبكية

وبات عند حريمه وطلع في صبح يوم السبت إلى القلعة وضربوا مدافع كثيرة لحضوره وبذلك علم الناس حضوره وانقضت السنة بحوادثها التي قصصنا بعضها إذ لا يمكن استيفاؤها للتباعد عن مباشرة الأمور وعدم تحققها على الصحة وتحريف النقلة وزيادتهم ونقصهم في الرواة فلا أكتب حادثة حتى أتحقق صحتها بالتواتر والاشتهار وغالبها من الأمور الكلية التي لا تقبل الكثير من التحريف وربما أخذت قيد حادثة حتى أثبتها ويحدث غيرها وأنساها فأكتبها في طيارة حتى أفيدها في محلها إن شاء الله تعالى عند تهذيب هذه الكتابة وكل ذلك من تشويش البال وتكدر الحال وهم العيال وكثرة الاشتغال وضعف البدن وضيق العطن.

ومن حوادثها، أحداث عدة مكوس زيادة على ما أحدث على الأرز والكتان والحرير والحطب والملح وغير ذلك مما لم يصل إلينا خبره حتى غلت أسعارها إلى الغاية وكان سعر الدرهم الحرير نصفين فصار بخمسة عشر نصفاً وكنا نشتري القنطار من الحطب الرومي في أوانه بثلاثين نصفاً وفي غير أوانه بأربعين نصفاً فصار بثلاثمائة نصف وكان الملح يأتي من أرضه بثمن القفاف التي يوضع فيها لا غير ويبيعه الذين ينقلونه إلى ساحل بولاق الأردب بعشرين نصفاً وأردبه ثلاثة أرداب ويشتريه المسبب بمصر بذلك السعر لآن أردبه أردبان ويبيعه أيضاً بذلك السعر ولكن أردبه واحد فالتفاوت في الكيل لا في السعر فلما احتكر صار الكيل لا يتفاوت وسعره الآن أربعمائة وخمسون نصفاً والتزم وأوقف رجاله في موارده البحرية لمنع من يأخذ منه شيئاً من المراكب المارة بالسعر الرخيص من أربابه ويذهب به إلى قبلي أو نحو ذلك.

ومنها، وهي من الحوادث الغريبة أنه ظهر بالتل الكائن خارج رأس الصورة المعروفة الآن بالحطابة قبالة الباب المعروف بباب الوزير في وهدة بين التلول نار كامنة بداخل الأتربة واشتهر أمرها وشاع ذكرها وزاد ظهورها في أواخر هذه السنة فيظهر من خلال التراب ثقب ويخرج منها الدخان بروائح مختلفة كرائحة الخرق البالية وغير ذلك وكثر ترداد الناس لاضطلاع عليها أفواجاً أفواجاً نساء ورجالاً وأطفالاً فيمشون عليها ويجدون حرارتها تحت أرجلهم فيحفرون قليلاً فتظهر النار مثل نار الدمس فيقربون منها وإن غوصوا فيها خشبة أو قصبة احترقت ولما شاع ذلك وأخبروا بها كتخدا بك نزل إليها بجمع من أكابره وأتباعه وغيرهم وشاهد ذلك فأمر والي الشرطة بصب الماء عليها وإهالة الأتربة من أعالي التل فوقها ففعلوا ذلك وأحضروا السقائين وصبوا عليها بالقرب ماء كثيراً وأهالوا عليها الأتربة وبعد يومين صارت الناس المتجمعة والأطفال يحفرون تحت ذلك الماء المصبوب قليلاً فتظهر النار ويظهر دخانها فيقربون منها الخرق والحلفاء واليدكات فتورى وتدخن واستمر الناس يغدون ويرجون للفرجة عليها نحو شهرين وشاهدت ذلك في جملتهم ثم بطل ذلك.

ومنها، أنه نودي أواخر السنة على صرف المحبوب بزيادة صرفه ثلاثين نصفاً وكان يصرف بمائتين وخمسين من زيادات الناس في معاملاتهم فكانوا ينادون بالنقص ورجوعها إلى ما كان قبل الزيادة ويعاقبون على التزايد.

وفي هذه الأيام، نودي بالزيادة وذلك بحسب الأغراض والمقاصد والمقتضيات ومراعاة مصالح أنفسهم لا المصلحة العامة هذا مع نقص عياره ووزنه عما كان عليه قبل المناداة وكذلك نقصوا وزن القروش وجعلوا القرش على النصف من القرش الأول ووزنه درهمين وكان أربعة دراهم وفي الدرهمين ربع درهم فضة هذا مع عدم الفضة العددية ووجودها بأيدي الناس والصيارف وإذا أراد إنسان صرف قرش واحد من غيره صرفه بنقص ربع العشر وأخذ بدله قطعاً صغاراً إفرنجية يصرف منها الواحدة باثني عشر وأخرى بعشرة وأخرى بخمسة ولكنها جيدة العيار وهم الآن يجمعونها ويضربونها بما يزاد عليها من النحاس وهو ثلاثة

أرباع قروشاً لأن القطعة الصغيرة التي تصرف بخمسة أنصاف وزنها درهم واحد وزني فيصيرونها أربعة قروش فتضاعف الخمسة إلى ثمانين وكل ذلك نقص واختلاس أموال الناس من حيث لا يشعرون.

وأما من مات في هذه السنة ممن له ذكر، فمات الفقيه الفريد والعلامة المفيد الشيخ علي الحصاوي الشافعي ولا أعلم له ترجمة وإنما رأيته يقرر الدروس ويفيد الطلبة في الفقه والمعقول ويشهد الفضلاء بفضله ورسوخه وكان على طريقة المتقدمين في الانقطاع للإفادة وعدم الرفاهية الرضا بما قسم له منعكفاً في حاله وتمرض بالبرودة و لم ينقطع عن ملازمة الدروس حتى توفي في منتصف جمادى الثانية من السنة وصلي عليه بالأزهر ودفن في تربة المجاورين بالصحراء ومات المعلم جرجس الجوهري القبطي كبير المباشرين بالديار المصرية وهو أخو المعلم إبراهيم الجوهري ولما مات أخوه في زمن رياسة الأمراء المصرية تعين مكانه في الرياسة على المباشرين والكتبة وبيده حل الأمور وربطها في جميع الأقاليم المصرية نافذ الكلمة وافر الحرمة وتقدم في أيام الفرنسيس فكان رئيس الرؤساء وكذلك عند مجيء الوزير والعثمانيين وقدموه وأجلسوه ولما يسديه إليهم من الهدايا والرغائب حتى كانوا يسمونه جرجس أفندي ورايته يجلس بجانب محمد باشا خسرو وبجانب شريف أفندي الدفتردار ويشرب بحضرتهم الدخان وغيره ويراعون جانبه ويشاورونه في الأمور وكان عظيم النفس ويعطي العطايا ويفرق على جميع الأعيان عند قدوم شهر رمضان الشموع العسلية والسكر والأرز والكساوي والبن ويعطي ويهب وبنى عدة بيوت بحارة الونديك والأزبكية وأنشأ دار كبيرة وهي التي يسكنها الدفتردار الآن ويعمل فيها الباشا وابنه الدواوين عند قنطرة الدكة وكان يقف على أبوابه الحجاب والخدم و لم يزل على حالته حتى ظهر المعلم غالي وتداخل في هذا الباشا وفتح له الأبواب لأخذ الأموال والمترجم يدافع في ذلك وإذا طلب الباشا طلباً واسعاً من المعلم جرجس يقول له هذا لا يتيسر فيأتي المعلم غالي فيسهل له الأمور ويفتح له أبواب التحصيل فضاق خناق المترجم وخاف على نفسه فهرب إلى قبلي ثم حضر بأمان كما تقدم وانحط قدره ولازمته الأمراض حتى مات في أواخر شعبان وانقضى وخلا الجو للمعلم غالي وتعين بالتقدم ووافق الباشا في أغراضه الكلية والجزئية وكل شيء له بداية وله نهاية والله أعلم.

واستهلت سنة ست وعشرين ومائتين وألف

فكان أول المحرم يوم السبت فيه أظهر الباشا إليه تمام بأمر الحجاز والتجهيز للسفر وركب في ليلة الجمعة سابعه إلى السويس وسافر صحبته السيد محمد المحروقي وقام باحتياجاته ولوازمه فلما وصل إلى السويس حجز الداوات التي وصلت بالمحمل وسفر عدة من المراكب التي أنشأها ليقبضوا على الداوات والسفن التي بالأساكل وحوزها واستولى على البن الذي وجده ببندر السويس للتجار فلما وصل خبر ذلك إلى مصر فغلا سعر البن وزاد حتى وصل إلى خمسين ريالاً فرانسة بعد أن كان بستة وثلاثين عنها اثنا عشر ألف فضة وخمسمائة نصف فضة.

واستهل شهر صفر الخير بيوم الأحد سنة 1226

في ثانية يوم الاثنين حضر الباشا من السويس إلى مصر في سادس ساعة من الليل فضربوا في صبحها عدة مدافع لحض لحضوره وقد حضر على هجين بمفرده ولم يصحبه إلا رجل بدوي على هجين أيضاً ليدله على الطريق وقطع المسافة في إحدى عشرة ساعة وحضر من كان بصحبته في ثاني يوم وهم مجدون السفر وحضر السيد محمد المحروقي بحموله في اليوم الثالث وأخبروا أن الباشا أنزل من ساحة السويس خمسة مراكب من المراكب التي أنشأها باحتياجاتها ولوازمها وعساكرها ووجههم إلى ناحية اليمن ليقبضوا على ما يجدونه من المراكب وإن الصناع مجتهدون في العمل في مراكب كبار لحمل الخيول والعساكر واللوازم. فيه، حضر صالح آغا قوج حاكم أسيوط وتناقلت الأخبار عن الأمراء المصريين القبليين بأنهم حضروا إلى الطينة ورجعوا إلى ناحية قنا وقوص وخرج إليهم أحمد آغالاظ وتحارب معهم وقتل من عساكره عدة وافرة.

وفيه، قلد الباشا ابنه طوسون باشا ساري عسكر الركب الموجه إلى الحجاز وأخرجوا جيشهم إلى ناحية قبة العزب ونصبوا عرضياً وخياماً وأظهر الباشا الاجتهاد الزائد والعجلة وعدم التواني ونوه بتسفير عساكر لناحية الشام لتمليك يوسف باشا لمحله وسارى عسكرهم شاهين بك الألفي ونحو ذلك من الإيهامات وطلب من المنجمين أن يختاروا وقتاً صالحاً لإلباس ابنه خلعة السفر فاختاروا له الساعة الرابعة من يوم الجمعة فلما كان يوم الخميس رابعه طاف الاي جاويش بالأسواق على صورة الهيئة القديمة في المناداة على المواكب العظيمة وهو لابس الضلمة والطبق على رأسه وراكب حمار عال وأمامه مقدم بعكاز وحوله قابجية ينادون بقولهم يا رن ألاي ويكررون ذلك في أخطاط المدينة وطافوا بأوراق التنابيه على كبار العسكر والبينبات والأمراء المصرية الألفية وغيرهم يطلبوهم للحضور في باكر النهار إلى القلعة ليركب الجميع بتجملاتهم وزينتهم أمام الموكب فلما أصبح يوم الجمعة سادسه ركب الجميع وطلعوا إلى القلعة وطلع المصرية بمماليكهم وأتباعهم وأجنادهم فدخل الأمراء عند الباشا وصبحوا عليه وجلسوا معه حصة وشربوا القهوة وتضاحك معهم ثم أنجر الموكب على الوضع الذي رتبوه فانجر طائفة الدلاة وأميرهم المسمى أزون علي ومن خلفهم الوالي والمحتسب والوجاقلية والألداشات المصرية ومن تزيا بزيهم ومن خلفهم طوائف العسكر الرجالة والخيالة والبيكباشيات وأرباب المناصب منهم وإبراهيم آغا آغات الباب وسليمان بك البواب يذهب ويجيء ويرتب الموكب وكان الباشا قد بيت مع حسن باشا وصالح قوج والكتخدا فقط غدر المصرية وقتلهم وأسر بذلك في صبحها

إبراهيم آغا آغات الباب فلما انجر الموكب وفرغ طائفة الدلاة ومن خلفهم من الوجاقلية والألداشات المصرية وانفصلوا من باب العزب فعند ذلك أمر صالح قوج بغلق الباب وعرف طائفته بالمراد فالتفتوا ضاربين بالمصرية وقد احصروا بأجمعهم في المضيق المنحدر الحجر المقطوع في أعلي باب العزب مسافة ما بين الباب الأعلى الذي يتوصل منه إلى رحبة سوق القلعة إلى الباب الأسفل وقد أعدوا عدة من العساكر أوقفوهم على علاوى النقر الحجر والحيطان التي به فلما حصل الضرب التحتانيين أراد الأمراء الرجوع القهقري فلم يمكنهم ذلك لانتظام الخيول في مضيق النقر وأخذهم ضرب البنادق والقرابين من خلفهم أيضاً وعلم العسكر الواقفون بالأعلى المراد فضربوا أيضاً فلما نظروا ما حل بهم سقط في أيديهم وارتبكوا في أنفسهم وتحيروا في أمرهم ووقع منهم أشخاص كثيرة فنزلوا عن الخيول واقتحم شاهين بك وسليمان بك البواب وآخرون في عدة من مماليكهم راجعين إلى فوق والرصاص نازل عليهم من كل ناحية ونزعوا ما كان عليهم من الفراوي والثياب الثقيلة و لم يزالوا سائرين وشاهرين سيوفهم حتى وصلوا إلى الرحبة الوسطى المواجهة لقاعة الأعمدة وقد سقط أكثرهم وأصيب شاهين بك وسقط إلى الأرض فقطعوا رأسه وأسرعوا بها إلى الباشا ليأخذوا عليها البقشيش وكان الباشا عندما ساروا بالموكب ركب من ديوان السراية وذهب إلى البيت الذي به الحريم وهو بيت إسمعيل أفندي الضربخانه وأما سليمان بك البواب فهرب من حلاوة الروح وصعد إلى حائط البرج الكبير فتابعوه بالضرب حتى سقط وقطعوا رأسه أيضاً وهرب كثير إلى بيت طوسون باشا يظن الالتجاء به والاحتماء فيه فقتلوهم وأسرف العسكر في قتل المصريين وسلب ما عليهم من الثياب و لم يرحموا أحداً وأظهروا كامن حقدهم وضبعوا فيهم وفيمن رافقهم متجملاً معهم من أولاد الناس وأهالي البلد الذين تزيوا بزيهم لزينة الموكب وهم يصرخون ويستغيثون ومنهم من يقول أنا لست جندياً ولا مملوكاً وآخر يقول أنا لست من قبيلتهم فلم يرقوا لصارخ ولا شاك ولا مستغيث وتتبعوا المتشتتين والهربانين في نواحي القلعة وزواياها والذين فروا ودخلوا في البيوت والأماكن وقبضوا على من أمسك حياً و لم يمت من الرصاص أو متخلفاً عن الموكب وجاساً مع الكتخدا كأحمد بك الكيلارجي ويحيى بك الألفي وعلي كاشف الكبير فسلبوا ثيابهم وجمعوهم إلى السجن تحت مجلس كتخدا بك ثم أحضروا أيضاً المشاعلي لرمي أعناقهم في حوش الديوان واحداً بعد واحد من ضحوة النهار إلى أن مضى حصة من الليل في المشاعل حتى امتلأ الحوش من القتلى ونم مات من المشاهير المعروفين وانصرع في طريق القلعة قطعوا رأسه وسحبوا

جثته إلى باقي الجثث حتى أنهم ربطوا في رجلي شاهين بك ويديه حبالاً وسحبوه على الأرض مثل الحمار الميت إلى حوش الديوان هذا ما حصل بالقلعة وأما أسفل المدينة فإنه عندما أغلق باب القلعة وسمع من بالرميلة صوت الرصاص وقعت الكرشة في الناس وهرب من كان واقفاً بالرميلة من الأجناد في انتظار الموكب وكذلك المتفرجون واتصلت الكرشة بأسواق المدينة فانزعجوا وهرب من كان بالحوانيت لانتظار الفرجة وأغلق الناس حوانيتهم وليس لأحد علم بما حصل وظنوا ظنوناً وعندما تحقق العسكر حصول الواقعة وقتل الأمراء انبثوا كالجراد المنتشر إلى بيوت الأمراء المصريين ومن جاورهم طالبين النهب والغنيمة فولجوها بغتة ونهبوها نهبة ذريعاً وهتكوا الحرائر والحريم وسحبوا النساء والجواري والخوندات والستات وسلبوا ما عليهن من الحلي والجواهر والثياب وأظهروا الكامن في نفوسهم و لم يجدوا مانعاً ولا رادعاً وبعضهم قبض على يد امرأة ليأخذ منها السوار فلم يتمكن من نزعها بسرعة فقطع يد المرأة وحل بالناس في بقية ذلك اليوم من الفزع والخوف وتوقع المكروه ما لا يوصف لأن المماليك والأجناد تداخلوا وسكنوا في جميع الحارات والنواحي وكل أمير له دار كبيرة فيها عياله وأتباعه

ومماليكه وخيوله وجماله وله دار وداران صغار في داخل العطف ونواحي الأزهر والمشهد الحسيني يوزعون فيها ما يخافون عليه لظنهم بعدها وحمايتها بحرمة الخطة وصونها عند وقوع الحوادث وكثير من كبار العسكر مجاورون لهم في جميع النواحي ويرمقون أحوالهم ويطلعون على أكثر حركاتهم وسكناتهم ويتدخلون فيهم ويعاشرونهم ويسامرونهم بالليل ويظهرون لهم الصداقة والمحبة وقلوبهم محشوة من الحقد عليهم والكراهة لهم بل ولجميع أبناء العرب فلما حصلت هذه الحادثة بادروا لتحصيل ما هو لهم وأظهروا ما كان مخفياً في صدورهم وخصوصاً من التشفي في النساء فإن العظيم منهم كان إذا خطب أدنى امرأة ليتزوج بها فلا ترضى به وتعافه وتأنف قربه وإن ألح عليها استجارت بمن يحميها منه وإلا هربت من بيتها واختفت شهورها وذلك بخلاف ما إذا خطبها أسفل شخص من جنس المماليك أجابته في الحال واتفق أنه لما اصطلح الباشا مع الألفية وطلبوا البيوت ظهر كثير من النساء المستترات المخفيات وتنافسن في زواجهم وعملن لهم الكساوي وقدمن لهم التقادم وصرفن عليهم لوازم البيوت التي تلزم الأزواج لزوجاتهم كل ذلك بمرأى من الأتراك يحقدونه في قلوبهم وفيهم من حمى جاره وصان دياره ومانع أعلاهم أدناهم وقليل ما هم وذلك لغرض يبتغيه وأمر يرتجيه فإنه بعد ارتفاع النهب كانوا يقبضون عليهم من البيوت فيستولي الذي حماه ودافع عنه على داره وما فيها وأنهبت دور كثيرة من المجاورين لهم أو لدور أتباعهم بأدنى شبهة أو يدخلون بحجة التفتيش ويقولون عنكم مملوك أو سمعنا أن عندكم وديعة لمملوك وبات الناس وأصبحوا على ذلك ونهب في هذه الحادثة من الأموال والأمتعة ما لا يقدر قدره ويحصيه إلا الله سبحانه وتعالى ونهبت دور كثيرة من دور الأعيان الذين ليسوا من الأمراء المقصودين ومن المتقيدين بخدمة الباشا مثل ذي الفقار كتخدا المتولي خولياً على بساتين الباشا التي أنشأها بشبرا وبيت الأمير عثمان آغا الورداني ومصطفى كاشف المورلي والأفندية الكتبة وغيرهم وأصبح يوم السبت والنهب والقتل والقبض على المتوارين والمتخفين مستمر ويدل البعض على البعض أو يغمز عليه وركب الباشا في الضحوة ونزل من القلعة وحوله أمراؤه الكبار مشاة وأمامه الصفاشية والجاويشية بزينتهم وملابسهم الفاخرة والجميع مشاة ليس فيهم راكب سواه وهم محدقون به وأمامه وخلفه عدة وافرة والفرح والسرور بقتل المصريين ونهبهم والظفر بهم طافح من وجوههم فكان كلما مر على أرباب الدرك والقلقات والضابطين وقف عليهم ووبخهم على النهب وعدم منعهم لذلك والحال أنهم هم الذين كانوا ينهبون أولاً ويتبعهم غيرهم فمروا على العقادين الرومي والشوائين فخرج إليه شخص من تجار المغاربة يسمى العربي الحلو وصرخ في وجهه وهو يقول إيش هذا الحال وإيش لنا علاقة حتى ينهبنا العسكر ونحن ناس فقراء مغاربة متسببون ولسنا مماليك ولا أجناد فوقف إليه وأرسل معه نفراً إلى داره فوجدوا بها شخصين أحدهما تركي والآخر بلدي وهما يلتقطان آخر النهب وما سقط من النهابين فأمر بقتلهما فأخذوهما إلى باب الخرق وقطعوا

رؤوسهما ثم أنه عطف على جهة الكعكيين فلاقاه من أخبره بأن المشايخ مجتمعون ونيتهم الركوب لملاقاته والسلام عليه والتهنئة بالظفر فقال أنا أذهب إليهم ولم يزل في سيره حتى دخل إلى بيت الشيخ الشرقاوي وجلس عنده ساعة لطيفة وكان قد التجأ إلى الشيخ شخصان من الكشاف المصرية فكلمه في شأنهما وترجى عنده في إعتاقهما من القتل وأن يؤمنهما على أنفسهما وقال له لا تفضح شيبتي يا ولدي واقبل شفاعتي واعطهما محرمة الأمان فأجابه إلى ذلك وقال له شفاعتك مقبولة ولكن نحن لا نعطي محارم وأنا أماني بالقول أو نكتب ورقة ونرسلها إليك بالأمان فاطمأن الشيخ لذلك ثم قام الباشا وركب وطلع إلى القلعة وأرسل ورقة إلى الشيخ بطلبهما فقال لهما الشيخ أن الباشا أرسل هذه الورقة يؤمنكما ويطلبكما إليه فقالا وما

يفعل بذهابنا إليه فلا شك في أنه يقتلنا فقال الشيخ لا يصلح ذلك ولا يكون كيف أنه يأخذكم من بيتي ويقتلكم بعد أن قبل شفاعتي فذهبا مع الرسول فعندما وصلا إلى الحوش وهو مملوء بالقتلى وضرب الرقاب واقع في المحبوسين والمحضرين قبضوا عليهما وأدرجا في ضمنهم وفي ذلك اليوم نزل طوسون بن الباشا وقت نزول أبيه وشق المدينة وقتل شخصاً من النهابين أيضاً فارتفع النهب وانكف العسكر عن ذلك ولولا نزول الباشا وابنه في صبح ذلك اليوم لنهب العسكر بقية المدينة وحصل منهم غاية الضرر وأما القبض على الأجناد والمماليك فمستمر وكذلك كل من كان يشبههم في الملبس والزي وأكثر من كان يقبض عليهم عساكر حسن باشا الأرنؤدي فيكبسون عليهم في الدور أو في الأماكن التي تواروا فيها واستدلوا عليهم فيقبضون على من يقبضون عليه وينهبون من الأماكن ما يمكنهم حمله وثياب النساء وحليهن ويسحبون الواحد والاثنين أو أكثر بينهم ويأخذون عمائمهم وثيابهم وما في جيوبهم في أثناء الطريق وإذا كان كبيراً أو أميراً يستحي منه طلبوه بالرفق فإذا ظهر لهم قالوا له سيدنا حسن باشا يستدعيك إليه فلا تخش من شيء ويطمئن قليلاً ويظن أنهم يجبرونه وعلى أنه حال لا يسعه إلا الإجابة لأنه إن امتنع أخذوه قهراً فإذا خرج من الدار استصحبه جماعة منهم وطلع البواقي إلى الدار فأخذوا ما قدروه عليه ولحقوا بهم وجرى على المأخوذ ما يجري على أمثاله من المأخوذين والبعض توارى والتجأ إلى طائفته الدلاة الفلاحات اللاتي يبعن الجلة والجبنة وذهبوا في ضمنهم وفر من نجا منهم وتزيا بشكلهم ولبس له طرطوراً وأجاروه وهرب كثير في ذلك اليوم وخرجوا إلى قبلي وبعضهم تزيا بزي النساء الفلاحين وخرج في ضمن إلى الشام وغيرها وأما كتخدا بك فإنه لشدة بغضه فيهم صار لا يرحم منهم أحداً فكان كل من أحضروه ولو فقيراً هرماً من مماليك الأمراء الأقدمين يأمر بضرب عنقه، وأرسل أوراقاً إلى كشاف النواحي والأقاليم بقتل كل مكن وجدوه بالقرى والبلدان فوردت الرؤوس في ثاني يوم من النواحي فيضعونها بالرميلة وعلى مصطبة السبيل المواجه لباب زويلة وكان كثير من الأجناد بالأرياف لتحصيل الفرض التي تعهدوا بدفعها على فلاحيهم وانقضت أجلتهم وطولبوا بالدفع والفلاحون قصرت أيديهم و لم يقبلوا للملتزمين عذراً في التأخير، فلم يسعهم إلا الذهاب بأنفسهم لأجل خلاص المطلوب منهم للديوان فعندما وصلت الأوامر إلى كشاف الأقاليم بقتل الكائنين بالبلاد بادروا بقتل من يمكنهم قتله ومن بعد عنهم أرسلوا لهم العساكر في محلاتهم فيدهمونهم على حين غفلة ويقتلونهم وينهبون متاعهم وما جمعوه من المال ويرسلون برؤوسهم أو يتحيلون على القبض عليهم وقتلهم فصار يصل في كل يوم العدد من الرؤوس من قبلي وبحري ويضعونها على باب زويلة وباب القلعة، و لم يقبلوا شفاعة في أحد أبداً ويعطون الأمان للبعض فإذا حضروا قبضوا عليهم وشلحوهم ثيابهم وقتلوهم والباشا يعلم من كتخداه شدة الكراهة لجنس المماليك ففوض له الأمر فيهم حتى أنه كان بينه وبين محمد آغا كتخدا الجاويشية سابقاً بعض منافرة من مدة سابقة أو لكونه صاهر بعض الألفية وزوجه ابنته، وكان غائباً ببلدة يقال لها الفرعونية جارية في إقطاعه وتعهد بما عليها من الفرضة فذهب إليها بنفسه ليستخلص منها الفرضة والمال الميري فأرسل الكتخدا بك إلى كاشف المنوفية قبل الحادث بيوم يأمره فيه بأمره فأرسل إليه طائفة من العسكر دخلوا عليه في الفجرية وهو يتوضأ الصلاة الصبح فقتلوه وقطعوا

رأسه وأحضروها إلى مصر وكانوا يأتون بأشخاص من بقايا البيوت القديمة فيمثلونهم بين يدي الكتخدا فيسألهم فيخبرون عن أنفسهم ونسبتهم فيكذبهم ويأمر بهم إلى الحبس الأعلى حتى يتبين أمرهم فإما تدركهم الألطاف فينجون بعد معاينة الموت وهذا في النادر فقتل في هذه الحادثة أكثر من ألف إنسان أمراء وأجناد وكشاف ومماليك، ثم صاروا يحملون رممهم على الأخشاب

ويرموهم عند المغسل بالرميلة ثم يرفعوهم ويلقوهم في حفر من الأرض فوق بعضهم البعض لا يتميز الأمير عن غيره وسلخوا عدة رؤوس من رؤوس العظماء وألقوا جماجمهم المسلوخة على الرمم في تلك الحفر فكانت هذه الكائنة من أشنع الحوادث التي لم يتفق مثلها و لم ينج الألفية إلا أحمد بك زوج عديلة هانم بنت إبراهيم بك الكبير فإنه كان غائباً بناحية بوش وأمين بك تسلق من القلعة وهرب من ناحية الشام وعمر بك أيضاً الألفي كان مسافراً في ذلك اليوم إلى الفيوم فقتلوه هناك وبعثوا برأسه بعد خمسة أيام ومعها نحو الخمسة عشر رأساً وأرسل دبوس أوغلي حاكم المنية خمسة وثلاثين رأساً وحضر من ناحية بحري غير ذلك كثير.

وأما من قتل في ذلك اليوم ممن له ذكر وبلغني خبره فهم شاهين بك كبير الإلفية ويحيى بك ونعمان بك وحسين بك الصغير ومصطفى بك الصغير ومراد بك وعلي بك هؤلاء من الإلفية ومن غيرهم أحمد بك الكيلارجي ويوسف بك أبو دياب وحسن بك صالح ومرزوق بك بن إبراهيم بك تابعاه وقاسم بك تابع مراد بك الكبير وسليم بك الدمرجي ورستم بك الشرقاوي ومصطفى بك أيوب ومصطفى بك تابع عثمان بك حسن وعثمان بك إبراهيم وذو الفقار تابع جوجر وهو رجل كبير من الأقدمين البطالين هرب هو ومصطفى بك الجداوي وآخر عند صالح بك السلحدار والتجؤا إليه وطمنهم وأرسل بخبرهم فحضر الأمر بقطع رؤوسهم فأحضر المشاعلي وقطع رؤوسهم في مقعده وأرسلها.

ومن الأمراء الكشاف الإلفية فهم علي كاشف الخزندار وعثمان كاشف الحبشي ويحيى كاشف ومرزوق كاشف وعبد العزيز كاشف ورشوان كاشف وسليم كاشف ططر وقايد كاشف وجعفر كاشف وعثمان كاشف ومحمد كاشف أبو قطية وأحمد كاشف الفلاح وأحمد كاشف صهر محمد آغا وخليل كاشف قيطاس وأحمد كاشف وموسى كاشف وغير ذلك ممن لم يحضرني أسماؤهم وهم كثيرون وختم الله للجميع بالخير فإنه بلغني ممن عاينهم بالحبوس وفي حال القتل أنهم كانوا يقرأون القرآن وينطقون بالشهادتين والاستغفار وبعضهم طلب ماء وتوضأ وصلى ركعتين قبل أن يرمي عنقه ومن لم يجد ما تيمم ولاشتغال أهل المقتولين بأنفسهم وما حصل لهم من النهب والسلب والتشتيت عن أوطانهم لم يعوا و لم يسألوا عن موتاهم غير أم مرزوق بك بن إبراهيم بك الكبير فإنها وجدت عليه وجداً عظيماً وطلبته في القتلى فعرفوا جثته بعلامة فيه وجمجمته بكونه كان كريم العين فأخرجوه وكفنوه ودفنوه في تربتهم وذلك بعد مضي يومين من الحادثة واجتمع عندها الكثير من أهل المقتولين ونسائهم وأقاموا على ذلك شهوراً.

وفي الحادثة أرسل محرم بك صهر الباشا حاكم الجيزة فجمع مال المصرية بإقليم الجيزة في الربيع من الخيول والجمال والهجن وغيرها فكان شيئاً كثيراً.

وفي ثامنه نودي على نساء المقتولين بالأمان وأن يحضرن إلى بيوتهن ويسكن فيها مع كونها صارت بلاقع فرجع البعض وهن اللاتي لم يحصل لهن كثير الضرر وبقي البعض في اختفائه وأنعم الباشا على خواصه بالبيوت بما فيها فنزلوها وسكنوها وألبسوا النساء الخواتم وجددوا الفرش والأواني وغالبها من المنهوبات وأنعم ببيت شاهين بك على حسين آغا من أقاربه، و لم يحصل به ما حصل بغيره لكونه ملاصقاً لبيت طاهر باشا وأرسل الباشا طائفة من العسكر جلسوا على بابه وأما أحمد بك الألفي فإنه وصله النذير فانتقل من بوش وذهب عند الأمراء القبالي، ولما وصلتهم أخبار هذه الحادثة وبلغ إبراهيم بك موت ولده على

هذه الصورة وأقاموا العزاء على إخوانهم ولبسوا السواد.

وفي ثاني يوم الوقعة، حضر أحد الكشاف رسولاً من عند الأمراء القبليين يطلبون العفو من الباشا وأن يعطيهم جهة يتعيشون منها فوعده برد الجواب في غير الوقت فأهمله وما أدري ما تم له.

وفيه قلد الباشا مصطفى بك ابن أخته وجعله كبيراً على طائفة الدلاة، وكان أحضره من ناحية الشرقية ليذهب إلى قبلي وأقام بدله في كشوفية الشرقية علي كاشف بن أحمد كتخدا من المصرلية.

وفي ثامن عشره، عدى مصطفى بك المذكور إلى بر الجيزة ليسافر إلى قبلي ونصب وطاقه بجري القصر وعدي أيضاً الباشا وأقام بالقصر وشرع الدلاة في التعذية ليلاً ونهاراً.

وفيه أيضاً، خرج عدة من عسكر الدلاة نحو الخمسمائة نفر إلى ناحية قبة العزب ليسافروا إلى بلادهم فاستمروا في قضاء أشغالهم أياماً، ثم سافروا.

وفي يوم الاثنين ثالث عشرينه، ارتحل مصطفى بك وانتقل إلى ناحية الشيخ عثمان مسافراً إلى قبلي وعدي باشا راجعاً إلى مصر.

وفيه حضر ططريان من الروم يبشران بالعفو عن يوسف باشا المنفصل عن الشام وقبل فيه ترجي باشة مصر وشفاعته.

وفي يوم الأربعاء خامس عشرينه، أحضروا من ناحية قبلي أربعة وستين شخصاً وأكثرهم من الذين كانوا مستوطنين بالبلاد من بقايا البيوت القديمة السنين العديدة ومحترفين، فلما أحضروهم إلى مصر القديمة أبقوهم إلى الليل في محبس، ثم أوقدوا المشاعل بساحل البحر وقطعوا رؤوسهم ورموا بجثثهم إلى البحر وأتوا بالرؤوس فوضعوها تجاه باب زويلة ليراها الناس كما رأوا غيرها.

واستهل شهر ربيع الأول بيوم الثلاثاء سنة 1226.

وفي يوم الأحد سادسه عمل الباشا لابنه طوسون باشا موكباً عظيماً ونبهوا في ليلتها على اجتماع العسكر في صبحها ونزل هو إلى جامع الغورية ليتفرج على الموكب وصحبته حسن باشا واستعد لذلك السيد المحروقي وفرش له بالجامع المذكور فروشاً ومراتب ووسائد فمر الموكب وفي أوله طائفة الدلاة، فلما فرغوا مروا بعشرة مدافع كبار على عربيات وعربيتين تحملان هونين قنابر وخلفهم طوائف العسكر الرجالة أرنؤد وأتراك وسجمان وهم كثيرون مختلطون من غير ترتيب مدة طويلة، ثم كبارهم ركباناً بطوائفهم، ثم الوالي والمحتسب وآغات مستحفظان ، ثم طوائف صاحب الموكب وجنائبه وكذا هجنه، ثم الجاويشية والسعاة والملازمون، ثم طوسون باشا وخلفه أتباعه وأعوانه، ثم الكتخدا وهو محمد كتخدا المعروف بالبرديسي وهو الذي كان كتخدا الألفي وصحبته الخازندار وخلفهم النوبة التركية، ولما انقضى أمر الموكب دعاه المحروقي إلى منزله فنزل معه من باب السر الذي بالجامع المعروف بالغوري وصحبته حسن باشا وتوجهوا إلى بيت المحروقي وتغدى عنده هو وأتباعه وخواصيه وأحضر له آلات الطرب واستمر هناك إلى آخر النهار في حظ وكيف وقدم له المحروقي تعابي هدية، ثم ركب عائداً إلى محله.

وفي يوم الاثنين رابع عشره، نزل الباشا إلى ترعة الفرعونية للاهتمام بسدها ونقل الأحجار في المراكب مستمر فأقام عند السد أربع ليال وذهب إلى الإسكندرية عندما أتته الأخبار بوجود مراكب الإنكليز لأجل مشترى الغلال فذهب ليبيع عليهم الغلال

التي جمعها فباع عليهم كل أردب بمائة قرش رومي عنها أربعة آلاف فضة وأكثر واجتهد ببناء أسوار الإسكندرية وجدد بها أبراجاً وحصوناً وأرسل بطلب البنائين والصناع فجمعوهم من كل ناحية وطالت غيبته هناك وأقامته لتتميم أغراضه وأمن مشايخ عربان أولاد على المستولين على البحيرة وتحيل عليهم، فلما حضروا إليه قبض عليهم وقرر عليهم أموالاً عظيمة، ثم خلع عليهم وعوقهم وأرسل العساكر فنهبت نجوعهم وسبوا نساءهم وأولادهم ومواشيهم وأما كتخدا بك فإنه بمصر يقرر الفرض على البلاد هو والكتبة حسب أوامر مخدومه ونظموا كيفية أخرى وهي أنهم جمعوا الميرى والمضاف والفائظ والرزق إيراد أربع سنوات وكتبوا بها مراسيم بنصف المقرر ليقبض في دفعتين وبعد أن تقرر النصف الأول وتحصل منه ما تحصل وبقي الباقي مع النصف الآخر ويطلب من أربابه ولا بد لا مسامحة في شيء منه ومن نكفل بما تقرر على حصته وألزم نفسه بدفعه وكتب على نفسه وثيقة لأجل طولب به حتى قبل حلول الأجل لاحتياج المهمات فتتوجه عليه الحوالات بيد العساكر فيتزلون بداره ويلازمونها ويضيقون أنفاسه ويكفلونه ما لا يطيق فلا يجد ملجأ ولا خلاصاً إلا بأحد الشيئين، إما الدفع بأي وجه كان، وإما يترل عن حصته بالفراغ للديوان ولا يبقى بيده ما يتقوت به هو وعياله ويصبح فقيراً لا يملك شيئاً إن لم يكن له إيراد من جهة أخرى.

واستهل شهر ربيع الثاني سنة 1226

والكتخدا يتنوع في استجلاب الأموال ويتحيل في استخراجها بأنواع من الحيل فمنها أنه يرسل إلى أهل حرفة من الحرف يأمرهم ببيع بضاعتهم بنصف ثمنها ويظهر أنه يريد الشفقة والرأفة بالناس ويرخص لهم في أسعار المبيعات وأن أرباب الحرف تعدوا الحدود في غلاء الأسعار فيجتمع أهل الحرفة ويضجون ويأتون بدفاترهم وبيان رأس مالهم وما ينضاف إليه من غلو جزئيات تلك البضاعة وما استحدث عليها من الجمارك والمكوس وغلو الأجر في البحر والبر فلا يستمع لقولهم ولا يقبل لهم عذراً ويأمر بهم إلى الحبس، فعند ذلك يطلبون الخلاص ويصالحون على أنفسهم بقدر من المال يدفعونه ويوزعون ذلك على أفرادهم فيما بينهم ثم يزيدون في سعر تلك البضاعة ليعوضوا غرامتهم من الناس معتذرين بتلك الغرامة وما حل بهم من الخسارة، ثم تستمر الزيادة على الدوام وأظن استمرار الغرامة أيضاً، فجمع بهذه الكيفية أموالاً عظيمة وهي في الحقيقة سلب أموال الناس من الأغنياء والفقراء.

وفي أواخره، حضر الباشا من الإسكندرية على حين غفلة فبات بقصر شبرا، ثم حضر إلى بيت الأزبكية فأقام به يومين، ثم طلع إلى القلعة.

وفيه وصلت عساكر كثيرة من الأرنؤد والأتراك حتى غصت بهم المدينة فلا يكاد المار يقع بصره إلا عليهم أمام وخلف وبداخل الأزقة والعطف وذلك خلاف الذين أقرهم وأبقاهم في الإسكندرية ومن هو بالجهات والأقاليم القبلية والبحرية وما يعلم جنود ربك إلا هو.

وفيه اهتم الباشا بتشهيل العرضي اهتماماً زائداً وفرض على البلاد جمالاً وأتباناً وغلالاً.

واستهل شهر جمادى الأولى سنة 1226

وفيه ورد قاصد من الديار الرومية وعلى يده بشارة بأنه ولد للسلطان مولودة أنثى، فعملوا لها شنكاً وهي مدافع تضرب من أبراج القلعة في الأوقات الخمسة ثلاثة أيام.
وفيه فرضوا فرضة بغال على مياسير الناس وأهل الحرف بغلة وبغلتين وثلاثة والذي لم يكن عنده بغلة تلزم بالشراء أو أنه يدفع ثمنها كيساً عشرون ألف فضة.
وفيه انقطع الوارد من الديار الحجازية وغلا سعر البن حتى وصل إلى مائتين وسبعين نصف فضة كل رطل وقل وجوده من الأسواق والدكاكين فلا يوجد إلا مع المشقة وصنع الناس القهوة من أنواع الحبوب المحمصة كالشعير والقمح والفول وبزر العاقول وغيره مخلوطاً مع البن وبغير خلط.

واستهل شهر جمادى الثانية سنة 1226

في عشرينه خرج الباشا إلى البركة وطلب الجمال وقوافل العرب وشهل طائفة من العسكر للسفر إلى السويس فاهتموا بالدخول والخروج من المدينة وطفقوا يخطفون الحمير والبغال والجمال وكل ما صادفوه من الدواب ومن وجدوه راكباً ولو من وجهاء الناس أنزلوه عن دابته وركبوها فانقبض الناس وانكمش غالبهم عن الركوب لمصالحهم وأخفوا حميرهم وبغالهم، وأقام الباشا ثلاثة أيام جهة البركة، ثم ركب إلى السويس.
وفيه وردت مراكب وداوات وفيها البن وذلك باستدعاء الباشا لها من ناحية جدة واليمن لأجل حمل العساكر واللوازم وانحل سعر البن قليلاً.

واستهل شهر رجب سنة 1226

في ثاني عشرينه يوم الاثنين الموافق لسابع مسرى القبطي أوفى النيل أذرعه وكسر السد في صبحها يوم الثلاثاء بحضرة كتخدا بك والباشا غائب بالسويس.

واستهل شهر شعبان سنة 1226

في ثانيه سافر ديوان أفندي بمن بقي من العساكر البحرية وفي يوم الثلاثاء ثامنه حضر الباشا من السويس وشرع في تشهيل العساكر البرية.
وفي خامس عشره، خرج الباشا إلى العادلية واجتهد في تشهيل سفر العساكر البرية اجتهاداً كبيراً وجمع من أهل كل حرفة طائفة وكذلك من أهل كل صنعة والذي يعجز عن السفر يخرج عنه بدلاً وتعين من الفقهاء للسفر الشيخ محمد المهدي من الشافعية ومن الحنفية السيد أحمد الطحطاوي وشيخ حنبلي وصل من ناحية الشام وكانوا رسموا بإحضار السيد حسن كريت المالكي من رشيد والشيخ علي خفاجي من دمياط فحضروا واعتذروا فأعفيا من السفر ورجعا إلى بلديهما.
وفي هذا الشهر ظهر نجم له ذنب في جهة الشمال بين بنات نعش الصغرى وبين منار بنات نعش الكبرى رأسه جهة المغرب

وذنبه صاعداً إلى جهة المشرق وله مستطيل في مقدار الرمح واستمر يظهر في كل ليلة والناس ينظرون إليه ويتحدثون به ويسألون الفلكيين عنه ويبحثون عن دلائله وعن الملاحم المصنفة في ذوات الأذناب واستمر ظهوره قريباً من ثلاثة أشهر واضمحل بعض جرمه ومشى إلى ناحية الجنوب وقرب من النسر الطائر.

واستهل شهر رمضان بيوم الأربعاء سنة 1226

وفي يوم الخميس تاسعه ارتحل العسكر من الحصوة ونزلوا ببركة الحج.

وفي يوم الأحد ثاني عشره، ارتحلوا من البركة فكان مدة مكث العرضي من يوم الموكب إلى يوم ارتحالهم من البركة قريباً من ستة أشهر ونصف والناس في أمر مريج في كل شيء.

وفيه خرج السيد محمد المحروقي ليسافر صحبة الركب وخرج في موكب جليل لأنه هو المشار إليه في رياسة الركب ولوازمه واحتياجاته وأمور العربان ومشايخها وأوصى الباشا ولده طوسون باشا أمير العسكر بأن لا يفعل شيئاً من الأشياء إلا بمشورته واطلاعه ولا ينفذ أمراً من الأمور إلا بعد مراجعته.

وفيه وردت الأخبار بأن العساكر البحرية ملكوا ينبع البحر ونهبوا ما كان فيه من ودائع التجار وذلك أنه كان بمرساة الينبع عدة مراكب وأدوات والشريف غالب أمير مكة يكاتب الباشا ويراسله ويظهر له النصح والصداقة وخلوص المودة والباشا أيضاً يراسله ويكاتبه وأرسل له السيد سلامة النجاري والسيد أحمد المنلا الترجمان المحروقي بمراسلات وجوابات مراراً عديدة فكأنا هما السفيرين بينهما وأيضاً الشريف في كل كتابة مع كل مرسل يعاهد الباشا ويعاقده ويواعده بنصر عساكره متى وصلت وينافق للطرفين الذي هو العثماني والوهابي ويداهنهما أما الوهابي فلخوفه منه وعدم قدرته عليه فيظهر له الموافقة والامتثال وأنه معه على العهود التي عاهده عليها من ترك الظلم واجتناب البدع ونحو ذلك ويميل باطناً للعثمانيين لكونه على طريقتهم ومذاهبهم وتعاقد مع الباشا أنه متى وصلت عساكره قام بنصرتهم وساعدهم بكليته وجميع همته وأرسل إلى المراكب الكائنة بمرساة الينبع بأن ينقلوا ما فيها من مال التجار وغيرهم ويودعوه قلعة الينبع تحت وزيره وترك معه نحو الخمسمائة مع عسكره وأخذ المراكب فأوسقها من بضائعه وبهاره ورنه وأرسلها إلى السويس لتباع بمصر، ثم توسق بمهمات العسكر البحرية، فلما وصلت مراكب العساكر البحرية وألقت مراسيها قبالة الينبع احتاجوا إلى الماء، فلم يسعفوهم بالماء فطلع طائفة من العسكر إلى البر في طلب عين الماء فمانعهم من عندها مرابط فقاتلوهم وطردوهم ومنعوهم عن الماء وفي حال رجوعهم رموا عليهم من القلعة المدافع والرصاص والحال أن الأمر مبهم على الفريقين، فعند ذلك استعدت العساكر لمحاربة من بالقلعة واحتاطوا بها وضربوا عليها القنابل والمدافع وركبوا على سورها سلالم وصعدوا عليها وتسلقوا على سور القلعة من غير مبالاة بالرصاص النازل عليهم من الكائنين بالقلعة فملكوا القلعة وقتلوا من كان بها، و لم ينج منهم إلا الوزير ومعه ستة أنفار خرجوا هاربين على الخيول ونهبوا كل ما كان بالينبع من الودائع والأموال والأقمشة والبن وسبوا النساء والبنات الكائنات بالبندر وأخذوهن أسرى ويبيعوهن على بعضهم البعض ووصل المبشرون بذلك في عشرينه فضربوا لذلك مدافع من القلعة كثيرة

وعملوا شنكاً وطافت المبشرون على بيوت الأعيان ليأخذوا منهم البقاشيش وأرسلوا بتلك البشارة شخصاً معيناً كبيراً إلى إسلامبول يبشرون أهل الدولة وسلطان الإسلام وكان ذلك أول فتح حصل.

واستهل شهر شوال بيوم الجمعة سنة 1226

وكان حقه أن يكون بيوم السبت لأن الهلال لم يكن موجوداً ليلة الجمعة، و لم يره ليلة السبت إلا النادر من الناس وكان قوسه ليلة السبت عشر درجات.

وفي سادس عشره، وصلت هجانة ومكاتبات من عساكر البر يخبرون بوصولهم إلى بندر المويلح في اليوم السابع من الشهر، وكان العيد عندهم بمغاير شعيب يوم السبت.

وفيه خرجت تجريدة لتسافر إلى قبلي لمحاربة من بقي من الأمراء المصريين بناحية إبريم.

واستهل شهر ذي القعدة بيوم الأحد 1226

فيه وصلت حجاج المغاربة في عدة مراكب على ظهر البحر وتلف منهم نحو ثلاثة مراكب وحضر بعدهم بأيام الركب الطرابلسي ونزل بساحل بولاق.

وفي سادسه، حضر أيضاً الركب الفاسي وفيهم ابن سلطان الغرب مولاي إبراهيم ابن مولاي سليمان فاعتنى الباشا بشأنه وأرسل كتخدا بك لملاقاته وقد له تقادم وأعدوا له مترل على كاشف بالقرب من بيت المحروقي ليترل فيه وتقيد بخدمته الرئيس حسن المحروقي وحواشيهم لمطبخه وكلف طعامه، فلما عدى طلع إلى القلعة وقابل الباشا، ونزل إلى المترل الذي أعده له وأمامه قواسة أتراك وطرادون وأشخاص أتراك يضربون على طبلات وأمامه جميع المغاربة مشاة ويأمرون الناس الجالسين بالحوانيت بالقيام له على أقدامهم فأقام خمسة أيام حتى قضى أشغاله وفي تلك المدة تغدو إليه وتروح رسل الباشا وأرسل له هدية وذخيرة من كل صنف سكر وعسل وسمن ودقيق وبقسماط وأشياء أخر وبارود وأعطى له ألف بندقية لضرب الرصاص وبرز في عاشره وسافروا في ثاني عشره.

وفي يوم الخميس تاسع عشره، وصلت هجانة على أيديهم مكاتبات خطاباً إلى الباشا وغيره وفيهم الخبر بأن العسكر البري اجتمع مع العسكر البحري وأخذوا ينبع البر من غير حرب وأن العربان أتت إليهم أفواجاً وقابلوا طوسون باشا وكساهم وخلع عليهم، ثم انقطعت الأخبار.

واستهل شهر ذي الحجة سنة 1226

في منتصفه وصلت هجانة ومعهم رؤوس قتلى ومكاتبات مؤرخة في منتصف شهر القعدة مضمونها أنهم وصلوا إلى ينبع البر في حادي عشرين شوال واجتمع هناك العسكران البري والبحري وأنهم ملكوا قرية ابن جبارة من الوهابية وتسمى قرية السويق وفر ابن جبارة هارباً وحضرت عربان كثيرة وقابلوا ابن الباشا وأنهم مقيمون وقت تاريخه في مترلة الينبع منتظرين وصول

الذخيرة وعاق المراكب ريح الشتاء المخالف وأنه ورد عليهم خبر ليلة أربعة عشر شهره بأن جماعة من كبار الوهابية حضروا بنحو سبعة آلاف خيال وفيهم عبد الله بن مسعود وعثمان المضايفي ومعهم مشاة وقصدوا أن يدهموا العرضي على حين غفلة، فخرج إليهم شديد شيخ الحويطات ومعه طوائفه ودلاة وعساكر فوافاهم قبل شروق الشمس ووقع بينهم القتال والوهابية يقولون هاه يا مشركون وانجلت الحرب عن هزيمة الوهابية وغنموا منهم نحو سبعين هجيناً من الهجن الجياد محملة أدوات وكانت الحرب بينهم مقدار ساعتين، هذا ملخص ما ذكره وفي الأجوبة التي حضرت.

وفي يوم الجمعة خامس عشرينه، وصلت قافلة من السويس وحضر فيها جاويش باشا وصحبته مكاتبات وحضر أيضاً السيد أحمد الطحطاوي والشيخ الحنبلي وأخبروا أن العرضي ارتحل من ينبع البر في سابع عشر ذي القعدة، ووصلوا إلى مترل الصفراء والجديدة ونصبوا عرضيهم وخيامهم ووطاقاهم بالقرب من الجبال فوجدوا هناك متاريس وأحجاراً فحاربوا على أول متراس حتى أخذوه، ثم أخذوا متراساً آخر وصعدت العساكر إلى قلل الجبال فهالهم كثرة الجيش وسارت الخيالة في مضيق الجبال هذا والحرب قائمة في أعلى الجبال يوماً وليلة إلى بعد الظهيرة من يوم الأربعاء ثالث عشرى القعدة، فما يشعر السفلانيون إلا والعساكر الذين في الأعالي هابطون منهزمون فاهزموا جميعاً وولوا الأدبار وطلبوا جميعاً الفرار وتركوا خيامهم وأحمالهم وأثقالهم وطفقوا ينهبون ويخطفون ما خف عليهم من أمتعة رؤسائهم، فكان القوي منهم يأخذ متاع رفيقه الضعيف ويأخذ دابته ويركبها وربما قتله وأخذ دابته وساروا طالبين الوصول إلى السفائن بساحل البريك لأهم كانوا أعدوا عدة مراكب بساحل البريك من باب الاحتياط ووقع في قلوهم الرعب واعتقدوا أن القوم في أثرهم والحال أنه لم يتبعهم أحد لأهم لا يذهبون خلف المدبر ولو تبعوهم ما بقي منهم شخص واحد فكانوا يصرخون على القطائر فتأتي إليهم القطيرة وهي لا تسع إلا القليل فيتكاثرون ويتزاحمون على الترول فيها فيصعد منهم الجماعة ويمنعون البواقي من إخواهم فإن لم يمتنعوا مانعوهم بالبنادق والرصاص حتى كانوا من شدة حرصهم وخوفهم واستعجالهم على الترول في القطائر يخوضون في البحر إلى رقاهم وكأنما العفاريت في أثرهم تريد خطفهم وكثير من العسكر والخدم، لما شاهدوا الازدحام على اسكة البريك ذهبوا مشاة إلى ينبع البحر ووقع التشتيت في الدواب والأحمال والخلائق من الخدم وغيرهم ورجع طوسون باشا إلى ينبع البحر بعد أن تغيب يوماً عن معسكره حتى أهم ظنوا فقده ورجع أيضاً المحروقي وديوان أفندي واستقروا بالينبع وترك المحروقي خيامه بما فيها فترل بها طائفة من العسكر المنهزمين وهم على جهد من التعب والجوع فوجدوا بها المآكل والحلاوات وأنواع الملبسات والكعك المصنوع بالعجمية والسكر المكرر والغريبات والخشكنانكات والمربيات وأنواع الشرابات فوقعوا عليها أكلاً وهباً، ولما تحققوا أن العرب لم تتبعهم، ولم تأت في إثرهم أقاموا على ذلك يومين حتى استوفوا أغراضهم وشبعت بطوهم وارتاحت أبداهم، ثم لحقوا بإخواهم فكانوا هم أثبت القوم وأعقلهم ولو كان على غير قصد منهم فكان مدة لإقامة المعسكر والعرضي بينبع البر أربعة وعشرين يوماً وأما الخيالة فإهم اجتمعوا وساروا راجعين إلى المويلح، وقد أجهدهم التعب وعدم الذخيرة والعليق حتى حكوا أهم كانوا قبل الواقعة يعلقون على الجمل بنصف قدح قمح مسوس وكانت علائفهم في كل يوم أربعمائة وخمسين أردباً، وأما المحروقي فإن كبار العسكر قامت عليه وأسمعوه الكلام القبيح وكادوا يقتلونه فترل في سفينة وخلص منهم، وحضر من ناحية القصير وحضر الكثير من أتباعه وخدمه متفرقين إلى مصر فأما الذين ذهبوا إلى المويلح فهم تأمر كاشف وحسن بك

دالي باشا وآخرون فأقاموا هناك في انتظار إذن الباشا في رجوعهم إلى مصر أو عدم رجوعهم، وأما صالح آغا قوج فإنه عندما نزل السفينة كر راجعاً إلى القصير واستقل برأيه لأنه يرى في نفسه العظمة وأنه الأحق بالرياسة ويسفه رأي المحروقي وطوسون باشا ويقول هؤلاء الصغار كيف يصلحون لتدبير الحروب ويصرح بمثل هذا الكلام وأزيد منه، وكان هو أول منهزم وعلم كل ذلك الباشا بمكاتبات ولده طوسون فحقده في نفسه وتمم ذلك بسرعة رجوعه إلى القصير، ولم ينتظر إذناً في الرجوع أو المكث ولما حصل ذلك، لم يتزلزل الباشا واستمر على همته في تجهيزه عساكر أخرى وبرزوا إلى خارج البلدة وفرض على البلاد جمالاً ذكر أنها من أصل الغرائم والفرض في المستقبل وكذلك فرض غلالاً فكان المفروض على إقليم الشرقية خاصة اثني عشر ألف أردب بعناية علي كاشف قابله الله بما يستحق وانقضت السنة بحوادثها التي منها هذه الحادثة وأظنها طويلة الذيل.

ومنها أن النيل هبط قبل الصليب بأيام قليلة بعد أن بلغ في الزيادة مبلغاً عظيماً حتى غرق الزرع الصيفي والدراوي، ولما انحسر عن الأرض زرعوا البرسيم والوقت صائف والحرارة مستجنة في الأرض فتولدت فيه الدودة وأكلت الذي زرع فبدروه ثانية فأكلته أيضاً وفحش أمر الدودة جداً في الزرع البدري وخصوصاً بإقليم الجيزة والقليوبية والمنوفية بل وباقي الأقاليم.

ومنها أن الباشا أحدث ديواناً ورتبوه ببيت البكري القديم بالأزبكية وأظهر أن هذا الديوان لمحاسبة ما يتعلق به من البلاد ومحاسباتها والقصد الباطني غير ذلك وقيد به إبراهيم كتخدا الرزاز والشيخ أحمد يوسف كاتب حسن أفندي الروزنامجي وما انضم إليهم من الكتبة المسلمين دون الأقباط ليحرروا به قوائم المصروف والمضاف والبراني فكانوا يجلسون لذلك كل يوم ما عدا يوم الجمعة، ثم تطرق الحال لسور بلاد الباشا وهو أن الكثير من الفلاحين لما سمعوا ذلك أتوا من كل ناحية إلى مصر وكتبوا عرضحالات إلى كتخدا بك وللباشا يتظلمون من أستاذيهم وينهون أنهم يزيدون عليهم زيادات في قوائم المصروف ويشددون عليهم في طلب الفرض أو بواقيها فيدفعهم الباشا أو الكتخدا إلى ذلك الديوان المحدث لينظر في أمورهم ويصحبهم معين تركي مباشر يأتي بالملتزم أيضاً والفلاحين والشاهد والصراف وقوائم المصروف لأجل المحاققة، فعند ذلك يتعنت إبراهيم كتخدا في القوائم ويطلب قوائم السنين الماضية المختومة، ونحو ذلك ولما فشا هذا الأمر وأشيع في البلدان أتت طوائف الفلاحين أفواجاً إلى هذا الديوان يطلبون الملتزمين ويخاصمونهم ويكافحونهم فيكون أمراً مهولاً وغاية في الزحام والعياط والشباط، وكذلك رفعوا المعلم منصور ومن معه من الكتبة من مباشرة ديوان ابنه إبراهيم بك الدفتردار وقيدوا بدلهم السيد محمد غانم الرشيدي ومحمد أفندي سليم ومن انضم إليهم وأظهر الباشا أنه يفعل ذلك لما علمه من خيانة الأقباط والقصد الخفي خلاف ذلك وهو الاستيلاء والاستحواذ الكلي والجزئي وقطع منفعة الغير ولو قليلاً فيضرب هذا بهذا والناس أعداء بعضهم لبعض وقلوبهم متنافرة فيغري هذا بذاك وذاك بهذا ومن الناس من سمى هذا الديوان ديوان الفتنة.

ومنها الزيادة الفاحشة في صرف المعاملة والنقص في وزنها وعيارها وذلك أن حضرة الباشا أبقى دار الضرب على ذمته وجعل خاله ناظراً عليها وقرر لنفسه عليها في كل شهر خمسمائة كيس بعد أن كان شهريتها أيام نظارة المحروقي خمسين كيساً في كل شهر ونقصوا وزن القروش نحو النصف عن القرش المعتاد وزادوا في خلطه حتى لا يكون فيه مقدار ربعه من الفضة الخالصة ويصرف بأربعين نصفاً وكذلك المحبوب نقصوا من عياره ووزنه، ولما كان الناس يتساهلون في صرف المحبوب والريال

الفرانسة ويقبضونها في خلاص الحقوق من المماطلين والمفلسين وفي المبيعات الكاسدة بالزيادة لضيق المعايش حتى وصل صرف الريال إلى مائتين وخمسين نصفاً والمحبوب إلى مائتين وثمانين، ثم زاد الحال في التساهل في الناس بالزيادة أيضاً عن ذلك فينادي الحاكم بمنع الزيادة ويمشي الحال أياما قليلة ويعود لما كان أو أزيد فتحصل المناداة أيضاً ويعقبونها بالتشديد والتنكيل بمن يفعل ذلك ويقبض عليه أعوان الحاكم ويحبس ويضرب ويغرمونه غرامة وربما مثلوا به وخرموا أنفه وصلبوه على حانوته وعلقوا الريال في أنفه ردعاً لغيره وفي أثناء ذلك إذا بالمناداة بأن يكون صرف الريال بمائتين وسبعين والمحبوب بثلثمائة وعشرة فاستمع وتعجب من هذه الأحكام الغريبة التي لم يطرق سمع سامع مثلها هذا مع عدم الفضة العديدة في أيدي الناس فيدور الشخص بالقرش وهو ينادي على صرفه بنقص أربعة أنصاف نصف يوم حتى يصرفه بقطع إفرنجية منها ما هو باثني عشر أو خمسة وعشرين أو خمسة فقط أو يشتري من يريد الصرف شيئاً من الزيادات أو الخضري أو الجزار ويبقى عنده الكسور الباقية يعده بغلاقها فيعود إليه مراراً حتى يتحصل عنده غلاقها وليس هو فقط بل أمثاله كثير وسبب شحة الفضة العددية أنه يضرب منها كل يوم بالضربخانة ألوف مؤلفة يأخذها التجار بزيادة مائة نصف في كل ألف يرسلونها إلى بلاد الشام والروم ويعوضون بدلها في الضربخانة الفرانسة والذهب لأنها تصرف في تلك البلاد بأقل مما تصرف به في مصر وزاد الحال بعد هذا التاريخ حتى استقر على صرف الألف مائتين وتقرر ذلك في حساب الميري فيدفع الصارف ثلاثين قرشاً عنها ألف ومائتان ويأخذ ألفاً فقط والفرانسة والمحبوب بحسابه المتعارف بذلك الحساب والأمر لله وحده.

وأما من مات في هذه السنة ممن له ذكر فلم يمت من مشاهير الفقهاء من له شهرة ولا ذكر وأما الأمراء فقد تقدم ذكرهم. وما وقع لهم ومقتلهم إجمالاً فأغنى عن التكرار فالله يرحمنا أجمعين.

ثم دخلت سنة سبع وعشرين ومائتين وألف وما تجدد بها من الحوادث

فكان ابتداء المحرم بالرؤية يوم الخميس في عاشره

وصل كثير من كبار العسكر الذين تخلفوا بالمويلح فحضر منهم حسين بك دالي باشا وغيره فوصلوا إلى قبة النصر جهة العادلية ودخلت عساكرهم المدينة شيئاً فشيئاً وهم في أسوأ حال من الجوع وتغير الألوان وكآبة المنظر والسحن ودوابهم وجمالهم في غاية العي ويدخلون إلى المدينة في كل يوم، ثم دخل أكابرهم إلى بيوتهم وقد سخط عليهم الباشا ومنع أن لا يأتيه منهم أحد ولا يراه وكأنهم كانوا قادرين على النصرة والغلبة وفرطوا في ذلك ويلومهم على الانهزام والرجوع وطفقوا يتهم بعضهم البعض في الانهزام فتقول الخيالة سبب هزيمتنا القرابة وتقول القرابة بالعكس ولقد قال لي بعض أكابرهم من الذين يدعون الصلاح والتورع أين لنا بالنصر وأكثر عساكرنا على غير الملة وفيهم من لا يتدين بدين ولا ينتحل مذهباً وصحبتنا صناديق المكسرات ولا يسمع في عرضينا أذان ولا تقام به فريضة ولا يخطر في بالهم ولا خاطرهم شعائر الدين والقوم إذا دخل الوقت أذن المؤذنون وينتظمون صفوفاً خلف إمام واحد بخشوع وخضوع وإذا حان وقت الصلاة والرحب قائمة أذن المؤذن وصلوا صلاة الخوف فتتقدم طائفة للحرب وتتأخر الأخرى للصلاة وعسكرنا يتعجبون هلموا إلى حرب المشركين المحلقين الذقون المستبيحين الزنا واللواط الشاربين الخمور التاركين للصلاة الآكلين الربا القاتلين الأنفس المستحلين المحرمات وكشفوا عن كثير من قتلى العسكر فوجدوهم غلفاً غير مختونين ولما وصلوا بدراً واستولوا عليها وعلى القرى والخيوف وبها خيار الناس وبها أهل العلم والصلحاء نهبوهم وأخذوا نسائهم وبناتهم وأولادهم وكتبهم فكانوا يفعلون فيهم ويبيعونهم من بعضهم لبعض ويقولون هؤلاء الكفار الخوارج حتى اتفق أن بعض أهل بدر الصلحاء طلب من بعض العسكر زوجته فقال له حتى تبيت معي هذه الليلة وأعطيها لك في الغد.

وفيه خرج العسكر المجرد إلى السويس وكبيرهم بونابارته الخازندار ليذهب لمحافظة الينبع صحبة طوسون باشا.

وفيه وصل جماعة من الإنكليز وصحبتهم هدية إلى الباشا وفيها طيور ببغا هندية خضر الألوان وملونة وريالات فرانسة ونقود معبأة في براميل وحديد وآلات ومجيئهم وحضورهم في طلب أخذ الغلال وفي كل يوم تساق المراكب المشحونة بالغلال إلى بحري، وكلما وردت مراكب سيرت إلى بحري حتى شحت الغلال وغلا سعرها وارتفعت من السواحل والرقع ولا يكاد يباع إلا ما دون الويبة وكان سعر الأردب من أربعمائة نصف إلى ألف ومائتين والفول كذلك وربما كان سعره أزيد من القمح لقلته فإنه هاف زرعه في هذه السنة، و لم يتحصل من رميه إلا نحو التقاوى وحصل للناس في هذه الأيام شدة بسبب ذلك، ثم بعد قليل وردت غلال وانحلت الأسعار وتواجدت الغلال بالسواحل والرقع.

وفي منتصفه، حضر رجل نصراني من جبل الدروز وتوصل إلى الباشا وعرفه أنه يحسن الصناعة بدار الضرب ويوفر عليه كثيراً من المصاريف وأنها بها نحو الخمسمائة صانع وأن يقوم بالعمل بأربعين شخصاً لا غير وأنه يصنع آلات وعدد الضرب القروش وغيرها ولا تحتاج إلى وقود نيران ولا كثير من العمل فصدق الباشا قوله وأمر بأن يفرد له مكان ويضم إليه ما يحتاجه من الرجال والحدادين والصناع ليعمل لصناعته العدد والآلات التي يحتاجه وشرع في أشغاله واستمر على ذلك شهوراً.

وفيه التفت الباشا إلى خدمة الضربخانة وأفنديتها وطمعت نفسه في مصادرتهم وأخذ الأموال لما يرى عليهم من التجمل في الملابس والمراكب لأن من طبعه داء الحسد والشره والطمع والتطلع لما في أيدي الناس وأرزاقهم فكان ينظر إليهم ويرمقهم وهم يغدون ويروحون إلى الضربخانة هم وأولادهم راكبون البغال والرهوانات المجملة وحولهم الخدم والأتباع فيسأل عنهم ويستخبر عن أحوالهم ودورهم ومصارفهم، وقد اتفق أنه رأى شخصاً خرج آخر الصناع وهو راكب رهواناً وحوله ثلاثة من الخدم فسأل عنه فقيل له أن هذا البواب الذي يغلق باب الضربخانة بعد خروج الناس منها ويفتحه لهم في الصباح فسأل عن مرتبه في كل يوم فعرفوه أن له في كل يومين قرشين لا غير فقال أن هذا المرتب له لا يكفي خدمه الذين هم حوله فكيف بمصرف داره وعليق دوابه وجميع لوازمه مما ينفقه ويحتاجه في تجملاته وملابسه وملابس أهله وعياله أن هؤلاء الناس كلهم سراق وكل ما هم فيه من السرقة والاختلاس ولا بد من إخراج الأموال التي اختلسوها وجمعوها وتناجى في ذلك مع العلم غالي وقرنائه، ثم طلب أولاً إسمعيل أفندي ليلاً وهو الأفندي الكبير وقال له عرفني خيانة فلان النصراني وفلان اليهودي المورد فقال لا أعلم على أحد منهم خيانة وهذا شيء يدخل بالميزان ويخرج بالميزان، ثم صرفه وأحضر النصراني وقال له عرفني بخيانة إسمعيل أفندي وأولاده والمداد إبراهيم أفندي الخضراوي الختام وغيره، فلم يزد على ما قاله إسمعيل أفندي، ثم أحضر الحاج سالم الجواهرجي وهدده، فلم يزد على قول الجماعة شيئاً فقال الجميع شركاء لبعضهم البعض ومتفقون على خيانتي، ثم أمر بحبس الحاج سالم وأحضر شخصاً آخر من الجواهرجية يسمى صالح الدنف وألبسه فروة وجعله في خدمة الحاج سالم، ثم ركب الباشا إلى بيت الأزبكية وطلب إسمعيل أفندي ليلاً هو وأولاده فأحضروهم بجماعة من العسكر في صورة هائلة وهددهم بالقتل وأمر بإحضار المشاعلي فأحضروه وأوقدوا المشاعل وسعت المتكلمون في العفو عنهم من القتل وقرروا عليهم مبلغاً عظيماً من الأكياس التزموا بدفعها خوفاً من القتل ففرضوا على الحاج سالم بمفرده سبعمائة وخمسين كيساً وعلى إبراهيم المداد مائتي كيس وعلى أحمد أفندي الوزان مائتي كيس وعلى أولاد الشيخ السحيمي مائتي كيس لأن لهم بها آلات ختم ووظائف يستغلون أجرتها وأخذ الجماعة في تحصيل ما فرض عليهم فشرعوا في بيع أمتعتهم وجهات إيرادهم ورهنوا وتداينوا بالربا وحولت عليهم الحوالات لطف الله بنا وبهم.

واستهل شهر صفر الخير بيوم الجمعة سنة 1227

في سابعه يوم الخميس حضر السيد محمد المحروقي إلى مصر ووصل من طريق القصير، ثم ركب بحر النيل، ولم يحضر الشيخ المهدي بل تخلف عنه بقنا وقوص لبعض أغراضه.

وفيه ألبس الباشا صالح آغا السلحدار خلعة سر عسكر التجريدة المتوجهة على طريق البر إلى الحجاز، وكذلك ألبس باقي الكشاف.

وفي يوم الأحد عاشره، ورد قابجي وعلى يده مرسوم ببشارة مولود ولد للسلطان محمود وتسمى بمراد وصحبته أيضاً مقرر للباشا على ولاية مصر فضربوا مدافع وطلع إلى القلعة في موكب وقرئت المراسيم وعملوا شنكاً ومدافع تضرب في الأوقات الخمسة سبعة أيام من القلعة والأزبكية وبولاق والجيزة.

واستهل شهر ربيع الأول سنة 1227

في حضر إبراهيم بك ابن الباشا من الجهة القبلية.

وفي منتصفه، حضر أحمد آغا لاظ الذي كان أميراً بقنا وقوص وباقي الكشاف بعد أن راكوا جميع البلاد القبلية والأراضي وفوضوا عليها الأموال على كل فدان سبعة ريالات وهو شيء كثير جداً وأحصوا جميع الرزق الأحباسية المرصدة على المساجد والبر الصدقة بالصعيد ومصر فبلغت ستمائة ألف فدان وأشاعوا بأنهم يطلقون للمرصد على المساجد خاصة نصف المفروض وهو ثلاثة ريال ونصف فضجت أصحاب الرزق وحضر الكثير منهم يستغيثون بالمشايخ فركبوا إلى الباشا وتكلموا معه في شأن ذلك وقالوا له هذا يترتب عليه خراب المساجد فقال وأين المساجد العامرة الذي لم يرض بذلك يرفع يده وأنا أعمر المساجد المتخربة وأرتب لها ما يكفيها، و لم يفد كلامهم فائدة فنزلوا إلى بيوتهم.

وفي أواخره، انتقل السيد عمر مكرم النقيب من دمياط إلى طندتا وسكن بها.

وسبب ذلك أنه لما طالت إقامته بدمياط وهو ينتظر الفرج وقد أبطأ عليه وهو ينتقل من المكان الذي هو فيه إلى مكان آخر على شاطئ البحر وتشاغل بعمارة خان أنشأه هناك والحرس ملازمون له، فلم يزل حتى ورد عليه صديق أفندي قاضي العسكر فكلمه بأن يتشفع له عند الباشا في انتقاله إلى طندتا ففعل وأجاب الباشا إلى ذلك.

واستهل شهر ربيع الآخر سنة 1227

في رابعه الحجاج المغاربة ووصل أيضاً مولاي إبراهيم ابن السلطان سليمان سلطان الغرب وسبب تأخرهم إلى هذا الوقت أنهم أتوا من طريق الشام وهلك الكثير من فقرائهم المشاة وأخبروا أنهم قضوا مناسكهم وحجوا وزاروا المدينة وأكرمهم الوهابية إكراماً زائداً وذهبوا ورجعوا من غير طريق العسكر.

وفي عاشره، حضر تامر كاشف ومحو بك وعبد الله وهم الذين كانوا عند طوسون باشا، ثم حضروا في هذه الأيام باستدعاء الباشا وكان محو بك في مركب من مراكب الباشا الكبار التي أنشأها فانكسر على شعب وهلك من عسكره أشخاص ونجا هو بمن بقي معه وأخبروا عنه أنه كان أول من تقدم في البحر هو وحسين بك فقتل من عسكرهما الكثير من دون البقية الذين استعجلوا الفرار.

وفيه خرجت أوراق الفرضة على نسق العام الأول عن أربع سنوات مال وفائظ ومضاف وبراني ورزق وأوسية واستقر طلبها في دفعة واحدة ويؤخذ من أصل حسابها الغلال من الأجران بحساب ثمانية ريال كل أردب ويجمع غلال كل إقليم في نواحي عينوها لتساق إلى الإسكندرية وتباع على الإفرنج فشحت الغلال وغلا سعرها مع كون الفلاح لا يقدر على رفع غلته المتحصلة له من زراعة أرضه التي غرم عليها المغارم بطول السنة بل تؤخذ منه قهراً مع الإجحاف في الثمن والكيل بحيث يكال الأردب أردباً ونصفاً، ثم يلزمونه بأجرة حملها للمحل المعد لذلك ويلزم أيضاً بأجرة الكيال وعوائد المباشرين لذلك من الأعوان وخدمة الكشوفية وأجرة المعادي وبعض البلاد يطلق له الإذن بدفع المطلوب بالثمن والبعض النصف غلال والنصف الآخر دراهم حسب رسم المعلم غالي وأوامره وإذنه فإنه هو المرخص في الأمر والنهي فيبيع المأذون له غلته بأقصى قيمة بمرأى

من المسكين الآخر الذي لم تسعده الأقدار وحضر الكثير من الفلاحين وازدحموا بباب المعلم غالي وتركوا بيادرهم وتعطلوا عن الدرس.

وفي ليلة الاثنين خامس عشره، ذهب الباشا إلى قصر شبرا وسافر تلك الليلة إلى ثغر الإسكندرية ورجع ابنه إبراهيم بك إلى الجهة القبلية وكذلك أحمد آغا لاظ لتحرير وقبض الأموال.

وفيه ورد الخبر بأن العسكر بقبلي ذهبوا خلف الأمراء القبليين الفارين إلى خلف ابريم وضيقوا عليهم الطرق وماتت خيولهم وجمالهم وتفرق عنهم خدمهم واضمحل حالهم وحضر عدة من مماليكهم وأجنادهم إلى ناحية أسوان بأمان من الأتراك فقبضوا عليهم وقتلوهم عن آخرهم وفعلوا قبل ذلك بغيرهم كذلك.

وفي أواخره سافر عدة من عسكر المغاربة إلى الينبع ووصل جملة كبيرة من عسكر الأروام إلى الإسكندرية فصرف عليهم الباشا علائف وحضروا إلى مصر، وانتظموا في سلك من بها ويعين منهم للسفر من يعين.

وفيه وقعت حادثة بخط الجامع الأزهر وهو أنه من مدة سابقة من قبل العام الماضي كان يقع بالخطة ونواحيها من الدور والحوانيت سرقات وضياع أمتعة وتكرر ذلك حتى ضج الناس وكثر لغطهم وضاع تخمينهم فمن قائل أنه مسترعيات يدخلون في نواحي السور ويتفرقون في الخطة ويفعلون ما يفعلون ومنهم من يقول أن ذلك فعل طائفة من العسكر الذين يقال لهم الحيطة في بلادهم إلى غير ذلك، ثم في تاريخه سرق من بيت امرأة رومية صندوق ومتاع فاتهمت أشخاصاً من العميان المجاورين بزاويتهم تجاه مدرسة الجوهرية الملاصقة للأزهر فقبض عليهم الآغا وقررهم فأنكروا وقالوا لسنا سارقين وإنما سمعنا فلاناً سموه وهو محمد ابن أبي القاسم الدرقاوي المغربي المنفصل عن مشيخة رواق المغاربة ومعه أخوته وآخرون ونعرفه بصوته وهم يتذاكرون في ذلك ونحن نسمعهم، فلما تحققوا ذلك وشاع بين الناس والأشياخ ذهب بعضهم إلى أبي القاسم وخاطبوه وكلموه سراً وخوفوه من العاقبة، وكان المذكور جعل نفسه مريضاً ومنقطعاً في داره فغالطهم فقالوا له، نحن قصدنا بخطابك التستر على أهل الخرقة المنتسبين إلى الأزهر في العمل بالشريعة وأخذ العلم، أو ما علمت ما قد جرى في العام السابق من حادثة الزغل وغير ذلك، فلم يزالوا به حتى وعدهم أنه يتكلم مع أولاده ويفحصون على ذلك بنباهتهم ونجابتهم.

وفي اليوم الثالث، وقيل الثاني أرسل أبو القاسم المذكور فأحضر السيد أحمد الذي يقال له جندي المطبخ وابن أخيه وهما اللذان يتعاطيان الحسبة والأحكام بخط الأزهر ويتكلمان على الباعة والخضرية والجزارين الكائنين بالخطة، فلما حضرا عنده عاهدهما وحلفهما بأن يسترا عليه وعلى أولاده ولا يفضحاهم ويبعدا عنهم هذه القضية وأخبرهما بأن ولده لم يزل يتفحص بفطانته حتى عرف السارق ووجد بعض الأمتعة، ثم فتح خزانة بمجلسه وأخرج منها أمتعة فسألوه عن الصندوق فقال هو باق عند من هو عنده ولا يمكن إحضاره في النهار فإذا كان آخر الليل انتظروا ولدى محمداً هذا عند جامع الفاكهاني بالعقادين الرومي وهو يأتيكم بالصندوق مع سارقه فاقبضوا عليه واتركوا أولادي ولا تذكروهم ولا تتعرضوا لهم فقالوا له كذلك وحضر الجندي وابن أخيه في الوقت الذي وعدهم به وصحبتهما أشخاص من أتباع الشرطة ووقفوا في انتظاره عند جامع الفاكهاني فحضر إليهم وصحبته شخص صرماتي فقالا لهم مكانكم حتى نأتيكم، ثم طلعا إلى ربع بعطفة الأنماطيين ورجعا في الحال بالصندوق

حامله الصرماتي على رأسه فقبضوا على ذلك الصرماتي وأخذوه بالصندوق إلى بيت الآغا فعاقبوه بالضرب وهو يقول أنا لست وحدي وشركائي ابن أبي القاسم وأخواه وآخر يسمى شلاطة وابن عبد الرحيم الجميع خمسة أشخاص فذهب الآغا وأخبر كتخدا بك فأمره بطلب أولاد أبي القاسم فأرسل إليه ورقة بطلبهم فأجابه بأن أولاده حاضرون عنده بالأزهر من طلبة العلم وليسوا بسارقين فبالاختصار أخذهم الآغا أحضر ذلك الصرماتي معهم لأجل المحاققة، فلم يزل يذكر لابن أبي القاسم ما كانوا عليه سرحاتهم القديمة والجديدة ويقول له أما كنا كذا وكذا وفعلنا ما هو كذا في ليلة كذا واقتسمنا ما هو كذا وكذا ويقيم عليه أدلة وقرائن وأمارات ويقول له أنت رئيسنا وكبيرنا في ذلك كله ولا نمشي إلى ناحية ولا سرحة إلا بإشارتك فعند ذلك لم يسع ابن أبي القاسم الإنكار وأقر واعترف هو واخوته وحبسوا سوية وأما شلاطة ورفيقه فإنهما تغيبا وهربا واختفيا وشاعت القضية في المدينة وكثر القال والقيل في الأزهر ونواحيه وتذكروا قضية الدراهم الزغل التي ظهرت قبل تاريخه وتذكروا أقوالاً أخرى واجتمع كثير من الذين سرق لهم فمنهم رجل يبيع السمن أخذ من مخزنة عدة مواعين سمن وصينية الفطاطري التي يعمل عليها الكنافة وأمتعة وفروش وجدت في ثلاثة أماكن وخاتم ياقوت ذكروا أنه بيع بجملة دنانير وعقد لؤلؤ وغير ذلك واستمروا أياماً والناس يذهبون إلى الآغا ويذكرون ما سرق لهم ويسألهم فيقرون بأشياء دون أشياء ويذكرون ضياع أشياء فصرفوا فيها وباعوها وأكلوا بثمنها ثم اتفق الحال على المرافعة في المحكمة الكبيرة فذهبوا بالجميع واجتمع العالم الكثير من الناس وأصحاب السرقات وغيرهم نساء ورجالاً وادعوا على هؤلاء الأشخاص المقبوض عليهم فأحضروا بعض ما ادعوا به عليهم وقالوا أخذنا و لم يقولوا سرقنا وبرأ محمد بن أبي القاسم أخويه وقال أنهما لم يكونا معنا في شيء من هذا وحصل الاختلاف في ثبوت القطع بلفظ أخذنا وقد حضرت دعوى أخرى مثل هذه على رجل صباغ ثم أن القاضي كتب أعلاماً للكتخدا بك بصورة الواقع وفوض الأمر إليه فأمر بهم إلى بولاق وأنزلوهم عند القبطان وصحبتهم أبوهم أبو القاسم فأقاموا أياماً ثم إن كتخدا بك أمر بقطع أيدي الثلاثة وهم محمد بن أبي القاسم الدرقاوي ورفيقة الصرماني والصباغ الذي ثبتت عليه السرقة في الحادثة الأخرى فقطعوا أيدي الثلاثة في بيت القبطان ثم أنزلوهم في مركب وصحبتهم أبوهم أبو القاسم وولداه الآخران اللذان لم تقطع أيديهما وسفروهم إلى الإسكندرية وذلك في منتصف شهر جمادى الأولى من السنة.

واستهل شهر جمادى الثانية بيوم الخميس سنة 1227

فيه حضر الثلاثة أشخاص المقطوعين الأيدي وذلك أنهم لما وصلوا إلى الإسكندرية وكان الباشا هناك تشفع فيهم المتشفعون عنده قائلين أنه جرى عليهم الحد بالقطع فلا حاجة إلى نفيهم وتغريبهم فأمر بنفي أبي القاسم وولديه الصغيرين إلى أبي قير ورجع ولده الآخر مع رفيقه الصرماتي والصباغ إلى مصر فحضروا إليها وذهبوا إلى دورهم وأما ابن أبي القاسم فذهب إلى داره وسلم على والدته ونزل إلى السوق يطوف على أصحابه ويسلم عليهم وهو يتألم مما حصل في نفسه ولا يظهر ذلك لشدة وقاحته وجمودة صدغه وغلاظة وجهه بل يظهر التجلد وعدم المبالاة بما وقع له من النكل وكسوف البال ومر في السوق والأطفال حوله وخلفه وأمامه يتفرجون عليه ويقولون انظروا الحرامي وهو لا يبالي بهم ولا يلتفت إليهم حتى قيل أنه ذهب إلى مسجد خرب بالباطنية ودعا إليه غلاماً يهواه بناحية الدرب الأحمر فجلس معه حصة من النهار ثم فارقه وذهب إلى داره

واشتد به الألم لأن الذي باشر قطع يده لم يحسن القطع فمات في اليوم الثالث.

وفي هذا الشهر، وما قبله وردت عساكر كثيرة من الأتراك وعينوا للسفر وخرجوا إلى مخيم العرضي خارج بأبي النصر والفتوح فكانوا يخرجون مساء ويدخلون في الصباح ويقع منهم ما يقع من أخذ الدواب وخطف بعض النساء والأولاد كعادتهم.

وفي ليلة الخميس، ثاني عشرينه حضر الباشا من الإسكندرية ليلاً وصحبته حسن باشا إلى القصر بشبرا وطلع في صبحها إلى القلعة وضربوا لقدومه مدافع من الأبراج فكان مدة غيبته في هذه المدة شهرين وسبعة أيام واجتهد فيها في عمارة سور المدينة وأبراجها وحصنها تحصيناً عظيماً وجعل بها جبانات وباروداً ومدافع وآلات حرب و لم تزل العمارة مستمرة بعد خروجه منها على الرسم الذي رسمه لهم وأخذ جميع ما ورد عليه من مراكب التجار من البضائع على ذمته ثم باعه للمتسببين بما أحب من الثمن وورد من ناحية بلاد الإفرنج كثير من البن الإفرنجي وحبه أخضر وجرمه أكبر من حب البن اليمني الذي يأتي إلى مصر في مراكب الحجاز أخذه في جملة ما أخذ في معاوضة الغلال ورماه على باعة البن بمصر بثلاثة وعشرين فرانسة القنطار والتجار يبيعونه بالزيادة ويخلطونه مع البن اليمني وفي ابتداء وروده كان يباع رخيصاً لأنه دون البن اليمني في الطعم واللذة في شربه وتعاطيه وبينهما فرق ظاهر يدركه صاحب الكيف البتة.

وفيه وصل، مرسوم صحبة قابجي من الديار الرومية مضمونه وكالة دار السعادة باسم كتخدا بك وعزل عثمان آغا الوكيل تابع سعيد آغا فعمل الباشا ديواناً يوم الأحد وقرئ المرسوم وخلع على كتخدا بك خلعة الوكالة وخلعة أخرى باستمراره في الكتخدائية على عادته وركب في مركب إلى داره فلما استقر في ذلك أرسل في ثاني يوم فأحضر الكتبة من بيت عثمان آغا وأمرهم بعمل حسابه من ابتداء سنة 1221 لغاية تاريخه فشرعوا في ذلك وأصبح عثمان آغا المذكور مسلوب النعمة بالنسبة لما كان فيه ويطالب بما دخل في طرفه وانتزعت منه بلاد الوكالة وتعلقات الحرمين وأوقافهما وغير ذلك.

وفي يوم الخميس غايته، وصل صالح قوج ومحو بك وسليمان آغا وخليل آغا من ناحية الينبع على طريق القصير من الجهة القبلية وذهبوا إلى دورهم.

واستهل شهر رجب بيوم الجمعة سنة 1227

في ثالثه طلع الجماعة الواصلون إلى القلعة وسلموا على الباشا وخاطره منحرف منهم ومتكدر عليهم لأنه طلبهم للحضور مجردين بدون عساكرهم ليتشاور معهم فحضروا بجملة عساكرهم وقد كان ثبت عنده أنهم هم الذين كانوا سبباً للهزيمة لمخالفتهم على ابنه واضطرب رأيهم وتقصيرهم في نفقات العساكر ومبادرتهم للهرب والهزيمة عند اللقاء ونزولهم بخاصتهم إلى المراكب وما حصل بينهم وبين ابنه طوسون باشا من المكالمات فلم يزالوا مقيمين في بيوتهم ببولاق ومصر والأمر بينهم وبين الباشا على السكوت نحو العشرين يوماً وأمرهم في ارتجاج واضطراب وعساكرهم مجتمعة حولهم ثم إن الباشا أمر بقطع خرجهم وعلائفهم فعند ذلك تحققوا منه المقاطعة.

وفي رابع عشرينه، أرسل إليهم علائفهم المنكسرة وقدرها ألف وثمانمائة كيس جميعها ريالات فرانسة وأمر بحملها على الجمال ووجه إليهم بالسفر فشرعوا في بيع بلادهم وتعلقاتهم وضاق ذرعهم وندر طبعهم إلى الغاية وعسر عليهم مفارقة أرض مصر

وما صاروا فيه من التنعم والرفاهية والسيادة والأمارة والتصرف في الأحكام والمساكن العظيمة والزوجات السراري والخدم والعبيد والجواري فإن لأقل منهم له البيتان والثلاثة من بيوت الأمراء ونسائهم اللاتي قتلت أزواجهن على أيديهم وظنوا أن البلاد صفت لهم حتى أن النساء المترفهات ذوات البيوت والإيرادات والالتزامات صرن يعرضن أنفسهن عليهم ليحتمين فيهم بعد أن كن يعفنهم ويأنفن من ذكرهم فضلاً عن قربهم.

وفيه، ورد آغا قابجي من دار السلطنة وعلى يده مرسوم بالبشارة بمولود ولد للسلطان فعملوا ديواناً يوم الأحد رابع عشرينه وطلع الآغا المذكور في موكب إلى القلعة وقرئ ذلك المرسوم وصحبته الأمراء وضربوا شنكاً ومدافع واستمروا على ذلك ثلاثة أيام في وقت كل أذان كأيام الأعياد.

وفي يوم الثلاثاء، مات أحمد بك وهو من عظماء الأرنؤد وأركانهم وكان عندما بلغه قطع خرج المذكورين أرسل إلى الباشا يقول له اقطع خرجي وأعطني علوفة عساكري وأسافر مع إخواني فمنعه الباشا وأظهر الرأفة به فتغير طبعه وزاد قهره وتمرض جسمه فأرسل إليه الباشا حكيمه فسقاه شربه وفصده فمات من ليلته فخرجوا من جنازته من بولاق ودفنوه بالقرافة الصغرى وخرج أمامه صالح آغا وسليمان آغا وطاهر آغا وهم راكبون أمامه وطوائف الأرنؤد عدد كبير مشاة حوله.

واستهل شهر شعبان بيوم الأحد سنة 1227

في رابعه يوم الأربعاء الموافق لسابع مسرى القبطي أوفي النيل المبارك أدرعه ونزل الباشا في صبح يوم الخميس في جم غفير وعدة وافرة من العساكر وكسر السد بحضرته وحضرة القاضي وجرى الماء في الخليج ومنع المراكب من دخولها الخليج.

وفي منتصفه، سافر سليمان آغا ومحو بك بعد أن قضوا أشغالهم وباعوا تعلقاتهم وقبضوا علائفهم.

وفي يوم الخميس تاسع عشره، سافر صالح آغا قوج وصحبته نحو المائتين ممن اختارهم من عساكره الأرنؤدية وتفرق عنه الباقون وانضموا إلى حسن باشا وأخيه عابدين بك وغيرهما.

وفي يوم الجمعة، برزت خيام الباشا خارج باب النصر وعزم على الخروج والسفر بنفسه إلى الحجاز وقد اطمأن خاطره عندما سافر الجماعة المذكورون لأنه لما قطع خرجهم ورواتبهم وأمرهم بالسفر جمعوا عساكرهم إليهم وخيولهم وأخذوا الدور والبيوت ببولاق وسكنوها وصارت لهم وسفاشيته وغيرهم بالملازمة والمبيت بالقلعة وغير ذلك.

وفي يوم السبت حادي عشرينه، اجتمعت العساكر وانجر الموكب من باكر النهار فكان أولهم طوائف الدلاة ثم العساكر وأكابرهم وحسن باشا وأخوه عابدين بك وهو ماش على أقدامه في طوائفه أمام الباشا ثم الباشا وكتخدا بك وأغواتهم الصقلية وطوائفهم وخلفهم الطبلخانات وعند ركوبه من القلعة ضربوا عدة مدافع فكان مدة مرورهم نحو خمس ساعات وجروا أما الموكب ثمانية عشر مدفعاً وثلاث قنابر.

واستهل شهر رمضان بيوم الاثنين سنة 1227

في رابع عشرينه وردت هجانة مبشرون باستيلاء الأتراك على عقبة الصفراء والجديدة من غير حرب بل بالمخادعة والمصالحة مع العرب وتدبير شريف مكة و لم يجدوا بها أحداً من الوهابيين فعندما وصلت هذه البشارة ضربوا مدافع كثيرة تلك الليلة من

القلعة وظهر فيهم الفرح والسرور.

وفي تلك الليلة، حضر أحمد آغا لاظ حاكم قنا ونواحيها وكان من خبره أنه لما وصلت إليه الجماعة الذين سافروا في الشهر الماضي وهم صالح آغا وسليمان آغا ومحو بك ومن معهم واجتمعوا على المذكور وبثوا شكواهم وأسروا نجواهم وأضمروا في نفوسهم أنهم إذا وصلوا إلى مصر ووجدوا الباشا منحرفاً منهم أو أمرهم بالخروج والعود إلى الحجاز امتنعوا عليه وخالفوه وإن قطع خرجهم وأعطاهم علائفهم بارزوه ونابذوه وحاربوه واتفق أحمد آغا المذكور معهم على ذلك وأنه متى حصل هذا المذكور أرسلوا إليه فيأتيهم على الفور بعسكره وجنده وينضم إليه الكثير من المقيمين بمصر من طوائف الأرنؤد كعابدين بك وحسن باشا وغيرهم بعساكرهم لاتحاد الجنسية فلما حصل وصول المذكورين وقطع الباشا راتبهم وخرجهم وأعطاهم علائفهم المنكسرة وأمرهم بالسفر أرسلوا لأحمد آغا لاظ المذكور بالحضور بحكم اتفاقهم معه فتقاعس وأحب أن يبدي لنفسه عذراً في شقاقه مع الباشا فأرسل إليه مكتوباً يقول فيه إن كنت قطعت خرج إخواني وعزمت على سفرهم من مصر وإخراجهم منها فاقطع أيضاً خرجي ودعني أسافر معهم فأخفى الباشا تلك المكاتبة وأخر عود الرسول ويقال له الخجا لعلمه بما ضمروه فيما بينهم حتى أعطى للمذكورين علائفهم على الكامل ودفع لصالح آغا كل عاماً طلبه واده حتى أنه كان أنشأ مسجداً بساحل بولاق بجوار داره وبنى له منارة ظريفة واشترى له عقاراً وأمكنة وقفها على مصالح ذلك المسجد وشعائره فدفع له الباشا جميع ما صرفه عليه وثمن العقار وغيره و لم يترك لهم مطالبة يحتجون بها في التأخير وأعطى الكثير من رواتبهم لحسن باشا وعابدين بك أخيه فمالوا عنهم وفارقهم الكثير من عساكرهم وانضموا إلى أجناسهم المقيمين عند حسن باشا وأخيه فرتبوا لهم العلائف معهم وأكثرهم مستوطنون ومتزوجون بل ومتناسلون ويصعب عليهم مفارقة الوطن وما صاروا فيه من التنعم ولا يهون بمطلق الحال استبدال النعيم بالجحيم ويعملون عاقبة ما هم صائرون إليه لأنه فيما بلغنا أنه من سافر منهم إلى بلاده قبض عليه حاكمها وأخذ منه ما معه من المال الذي جمعه من مصر وما معه من المتاع وأودعه السجن ويفرض عليه قدراً فلا يطلقه حتى يقوم بدفعه على ظن أن يكون أودع شيئاً عند غيره فيشتري نفسه به أو يشتريه أقاربه أو يرسل إلى مصر مراسلة لعشيرته وأقاربه فتأخذهم عليه الغيرة فيرسلون له ما فرض عليه ويفتدونه وإلا فيموت بالسجن أو يطلق مجرد أو يرجع إلى حالته التي كان عليها في السابق من الخدم الممتهنة والاحتطاب من الجبل والتكسب بالصنائع الدنيئة ببيع الأسقاط والكروش والمؤاجرة في حمل الأمتعة ونحو ذلك فيختارون الإقامة ويتركون مخاديمهم خصوصاً والخسة من طباعهم هذا والباشا يستحث صالح آغا ورفقاءه في الرحيل حيث لم يبق له عذر في التأخير فعندما نزلوا في المراكب وانحدروا في النيل أحضر الباشا الخجا المذكور وهو عبارة عن الأفندي المخصوص بكتابة سره وإيراده ومصرفه وأعطاه جواب الرسالة مضمونها تطمينه وتأمينه ويذكر له أنه صعب عليه وتأثر من طلبه المقاطعة وطلبه المفارقة وعدد له أسباب انحرافه عن صالح آغا ورفقاءه وما استوجبوا به ما حصل لهم من الإخراج والإبعاد وأما هو فلم يحصل منه ما يوجب ذلك وأنه باق على ما يعهده من المودة والمحبة فإن كان ولا بد من قصده وسفره فهو لا يمنعه من ذلك فيأتي بجميع أتباعه ويتوجه بالسلامة أينما شاء وإلا بأن صرف عن نفسه هذا الهاجس فليحضر في القنجة في قلة ويترك وطاقه وأتباعه ليواجهه ويتحدث معه في مشورته وانتظام أموره التي لا يتحملها هذا الكتاب ويعود إلى محل ولايته وحكمه مكرماً فراج عليه ذلك التمويه وركن إلى زخرف القول وظن أن الباشا لا يصله بمكروه

ولا يواجهه بقبيح من القول فضلاً عن الفعل لأنه كان عظيماً فيهم ومن الرؤساء المعدودين صاحب همة وشهامة وإقدام جسوراً في الحروب والخطوب وهو الذي مهد البلاد القبلية وأخلاها من الأجناد المصريين فلما خلت الديار منهم واستقر هو بقنا وقوص وهو مطلق آغا قوج بالأسيوطية ثم إن الباشا وجه صالح آغا إلى الحجاز وقلد ابنه إبراهيم باشا ولاية الصعيد فكان يناقض عليه أحمد آغا المذكور في أفعاله ويمانعه التعدي على أطيان الناس وأرزاق الأوقاف والمساجد ويحل عقد إبراماته فيرسل إلى أبيه بالأخبار فيحقد ذلك في نفسه ويظهر خلافه

ويتغافل وأحمد آغا المذكور على جليته وخوص نيته فلما وصلته الرسالة اعتقد صدقه وبادر بالحضور في قلة من أتباعه حسب إشارته وطلع إلى القلعة ليلة السبت وهي ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان فعبر عند الباشا وسلم عليه فحادثه وعاتبه ونقم عليه أشياء وهو يجاوبه ويرادده حتى ظهر عليه الغيظ فقام كتخدا بك وإبراهيم آغا وخرجا من عند الباشا ودخلا إلى مجلس إبراهيم آغا وجلسوا يتحدثون وصار الكتخدا وإبراهيم آغا يلطفان معه القول وأشاروا عليه بأن يستمر معهما إلى وقت السحور وسكون حدة الباشا فيدخلون إليه ويتسحرون معه فأجابهم إلى رأيهم وأمر من كان بصحبته من العسكر وهم نحو الخمسين بالنزول إلى محلهم فامتنع كبيرهم وقال لا نذهب ونتركك وحيداً فقال الكتخدا وما الذي يصيبه وهو همشري ومن بلدي وإن أصيب بشيء كنت أنا قبله فعند ذلك نزلوا وفارقوه وبقي عنده من لا يستغني عنه في الخدمة فعند ذلك أتاه من يستدعيه إلى الباشا فلما كان خارج المجلس قبضوا عليه وأخذوا سيفه وسلاحه ونزلوا له إلى تحت سلم الركوب وأشعل الضوى المشعل وأداروا كتافه ورموا رقبته ورفعوه في الحال وغسلوه وكنفوه ودفنوه وذلك في سادس ساعة من الليل وأصبح الخبر شائعاً في المدينة وأحضر الباشا الخجا وطولب بالتعريف عن أمواله وودائعه وعين في الحال باشجاويش ليذهب إلى قنا ويختم على داره ما له من الغلال والأموال وطلبت الودائع ممن هي عنده التي استدلوا عليها بالأوراق فظهر له ودائع في عدة أماكن وصناديق مال وغير ذلك و لم يتعرض لمنزله ولا لحريمه.

واستهل شهر شوال بيوم الأربعاء سنة 1227

في رابعه يوم السبت قدم قابجي من إسلامبول وعلى يده مقرر للباشا بولاية مصر على السنة الجديدة ومعه فروة لخصوص الباشا فلما وصل إلى بولاق فترل كتخدا بك لملاقاته فركب في موكب جليل وخلفه النوبة التركية وشق من وسط البلد وصعد إلى القلعة وحضر الأشياخ وأكابر دولتهم وقرئ المرسوم بحضرة الجميع فلما انقضى الديوان ضربوا عدة مدافع من القلعة.

وفيه، ألبس شيخ السادات ابن أخيه سيدي أحمد خلعة وتاجاً وجعله وكيلاً عنه في نقابة الأشراف وأركبه فرساً بعباءة ومشى أمامه أيضاً الجاويشية المختصين بنقيب الأشراف وأمره بأن يذهب إلى الباشا ويقابله ليخلع عليه وأرسل في صحبته محمد أفندي فقال مبارك وأشار إليه محمد أفندي بأن يخلع عليه فروة فقال الباشا أن عمه جعله نائباً عنه ووكيلاً فليس له عندي تلبيس لأنه لم يتقلدها بالأصالة من عندي فقام ونزل من غير شيء إلى داره بجوار المشهد الحسيني.

وفي يوم الخميس ثالث عشرينه، سافر مصطفى بك دالي باشا بجميع الدلاة وغيرهم من العسكر إلى الحجاز وحصل للناس في

هذا الشهر عدة كربات منها وهو أعظمها عدم وجود الماء العذب وذلك في وفت النيل وجريان الخليج من وسط المدينة حتى كاد الناس يموتون عطشاً وذلك بسبب أخذهم الحمير للسخرة والرجال لخدمة العسكر المسافرين وغلو ثمن القرب التي تشترى لنقل الماء فإن الباشا أخذ جميع القرب الموجودة بالوكالة عند الخليلية وما كان بغيرها أيضاً حتى أرسل إلى القدس والخليل فأحضر جميع ما كان بهما وبلغت الغاية في غلو الأثمان حتى بيعت القربة والواحدة التي كان ثمنها مائة وخمسين نصفاً بألف وخمسمائة نصف ويأخذون أيضاً الجمال التي تنقل الماء بالروايا إلى الأسبلة والصهاريج وغيرهما من الخليج فامتنع الجميع عن السراح والخروج واحتاج العسكر أيضاً إلى الماء فوقفوا بالطرق يرصدون مرور السقائين أو غيرهم من الفقراء والذين ينقلون الماء بالبلاليص والجرار على رؤوسهم فيوجد على كل موردة من الموارد عدة من العسكر وهم واقفون بالأسلحة ينتظرون من يستقي من السقائين أو غيرهم فكان الخدم والنساء والفقراء والبنات والصبيان ينقلون بطول النهار والليل بالأوعية الكبيرة والصغيرة على رؤوسهم بمقدار ما يكفيهم للشرب وبيعت القربة الواحدة بخمسة عشر نصف فضة وأكثر وشح وجود اللحم وغلا في الثمن زيادة على سعره المستمر حتى بيع بثمانية عشر نصف فضة كل رطل هذا إن وجد والجاموسي الجفيط بأربعة عشر وطلبوا للسفر طائفة من القبانية والخبازين ومن أرباب الصنائع والحرف وشددوا عليهم الطلب في أواخر الشهر فتغيبوا وهربوا فسمرت بيوقم وحوانيتهم وكذلك الخبازون والفرانون بالطوابين والأفران حتى عدم الخبز من الأسواق و لم يجد أصحاب البيوت فرناً يخبزون فيه عجينهم فمن الناس القادرين على الوقود من يخبز عجينه في داره أو عند جاره الذي يكون عنده فرن أو عند بعض الفرانين الذي تكون فرنه بداخل عطفة مستورة خفية أو ليلاً من الخوف من العسس والمرصدين لهم وكذلك عدم وجود التبن بسبب رصد العسكر في الطرق لأخذ ما يأتي به الفلاحون من الأرياف فيخطفونه قبل وصوله إلى المدينة وحصل بسبب هذه الأحوال المذكورة شبكات ومشاجرات وضرب وقتل وتجريح أبدان ولولا خوف العسكر من الباشا وشدته عليهم حتى القتل إذا وصلت الشكوى إليه لحصل أكثر من ذلك.

واستهل شهر ذي القعدة بيوم الجمعة سنة 1227

في سابعه يوم الخميس سافر الباشا هجانا إلى السويس وصحبته حسن باشا.

وفي يوم الجمعة خامس عشره، وصل مبشرون من ناحية الحجاز وهم أتراك على الهجن والخبر عنهم أن عساكرهم وصلوا إلى المدينة المنورة ونزلوا بفنائها.

وفي يوم الأحد سابع عشره، ورجع الباشا مكن ناحية السويس إلى مصر وفيه، وردت أخبار لطائفة الفرنساوية وقنصلهم المقيمين بمصر بأن بونابارته وعساكر الفرنساوية زحفوا في جمع عظيم على بلاد المسكوب ووقع بينهم حروب عظيمة فكانت الهزيمة على المسكوب وانكسروا كسرة قوية وكتبوا بذلك أوراقاً ألصقوها بحيطان دوائرهم وحاراقم ولما حضر الباشا طلع إليه القنصل وأخبره بتلك الأخبار وأطلعه على الكتب الواردة من بلادهم.

وفي ليلة الثلاثاء، عدى الباشا إلى بر الجزيرة وأمر بخروج العساكر إلى البر الغربي وعدى أيضاً كتخدا بك بسبب أن عربان أولاد علي نزلوا بناحية الفيوم بجمع عظيم وأكلوا الزروعات فخرج إليهم حسن آغا الشماشرجي فوزن نفسه معهم فرأى أنه لا يقاومهم لكثرقم فحضر إلى مصر وأخبر الباشا وتحرك الباشا للخروج إليهم ثم بعقيبه أرسل لهم وخادعهم فحضر إليه

عظماؤهم فأخذ منهم رهائن وخلع عليهم وكساهم وأعطاهم راحتهم وعين لهم جهات وشرط عليهم أن لا يتعدوها ثم رجع وعدى إلى بر مصر في ليلة الخميس حادي عشرينه.

وفي سادس عشرينه، نهب العرب القافلة القادمة من السويس بحمل بضائع التجار وغيرهم وقتلوا العسكر الذين بصحبتهم وخفارتهم وأخذوا الجمال بأحمالها وذهبوا بها لناحية الوادي والجمال المذكورة على ملك الباشا وأتباعه لأنهم صيروا لهم جمالاً وأعدوها لحمل البضائع ويأخذون أجرتها لأنفسهم بدلاً عن جمال العرب وذلك من جملة الأمور التي احتكروها طمعاً وحسداً في كل شيء ولم ينج من الجمال إلا البعض الذين سبقوهم وهم لكتخدا بك فحنق لذلك الباشا وأرسل في الحال مراسلات إلى سليمان باشا محافظ عكا يعلمه بذلك ويلزمه بإحضارها ويتوعده إن ضاع منها عقال بعير والذي ذهب بالمراسلة إبراهيم أفندي المهردار.

واستهل شهر ذي الحجة بيوم السبت سنة 1227

في عاشره يوم الأضحى وردت هجانة من ناحية الحجاز وعلى يدهم البشائر بالاستيلاء على قلعة المدينة المنورة ونزول المتولي بها على حكمهم وأن القاصد الذي أتت بشائره وصل إلى السويس وصحبته مفاتيح المدينة فحصل للباشا بذلك سرور عظيم وضربوا مدافع وشنكاً بعد مدافع العيد وانتشرت المبشرون على بيوت الأعيان لأجل أخذ البقاشيش.
وفي يوم الثلاثاء حادي عشره، وصل القادمون إلى العادلية فعملوا لقدومهم شنكاً عظيماً وضربوا مدافع كثيرة من القلعة وبولاق والجيزة وخارج قبة العزب حيث العرضي العد للسفر وأيضاً ضربوا بنادق كثيرة متتابعة من جميع الجهات حتى من أسطحة البيوت الساكنين بها واستمر ذلك أكثر من ساعتين فلكيتين، فكان شيئاً مهولاً مزعجاً وأشيع في الناس دخول الواصلين في موكب واختلفت رواياتهم وخرج الباشا إلى ناحية العادلية فاصطف الناس على مصاطب الدكاكين والسقائف للفرجة، فلما كان قريب الغروب دخل طائفة من العسكر وصحبتهم بعض أشخاص راكبين على الهجن وفي يد أحدهم كيس أخضر وبيد الآخر كيس أحمر بداخلهما المكاتبات والمفاتيح وعاد الباشا من ليلته وصعد إلى القلعة هذا والمدافع والشنك يعمل في كل وقت من الأوقات الخمسة وفي الليل وفي صبح يوم الأربعاء شق الآغا والوالي وآغات التبديل وأمامهم المناداة على الناس بتزيين الأسواق وما فيها من الحوانيت والدور ووقود القناديل والتعاليق ويسهرون ثلاث ليال بأيامها أو لها يوم الخميس وآخرها يوم السبت الذي هو خامس عشره وأخرجوا طاقات وخياماً إلى خارج بابي النصر والفتوح وخرج الباشا في ثاني يوم إلى ناحية العادلية وهو ليلة يوم الزينة وعملوا حراقات ونفوطاً وسواريخ ومدافع من كل ناحية مدة أيام الزينة وكتبت البشائر إلى جميع النواحي وأنعم الباشا بأمريات ومناصب على عشرين شخصاً من خواصه وعين لطيف بك آغات المفتاح للتوجه إلى دار السلطنة بالبشائر والمفاتيح صحبته وسافر في صبح يوم الزينة على طريق البر وتعين خلافه أيضاً للسفر بالبشائر إلى البلاد الرومية والشامية والأساكل الإسلامية مثل بلاد الأنضول والرومنلي وورودس وسلانيك وأزمير وكريت وغيرهما.
وفي أواخره، وردت الأخبار المترافدة بوقوع الطاعون الكثير بإسلامبول فأشار الحكماء على الباشا بعمل كورنتينة بالإسكندرية على قاعدة اصطلاح الإفرنج ببلادهم فلا يدعون أحداً من المسافرين الواردين في المراكب من الديار الرومية يصعد إلى البر إلا

بعد مضي أربعين يوماً من وروده، وإذا مات بالمركب أحد في أثناء المدة استأنفوا الأربعين.

وفيه، وشى بعض اليهود على الحاج سالم الجواهرجي المباشر لإيراد الذهب والفضة إلى الضربخانة وانعزل عنها، كما ذكر في وسط السنة عند ورود الرجل النصراني الدرزي الشامي بأنه كان في أيام مباشرته للإيراد يضرب لنفسه دنانير خارجة عن حساب الميري خاصة به فأمر الباشا بإثبات ذلك وتحقيقه فحصل كلام كثير والحاج سالم يجحد ذلك وينكره فقال له أيوب تابعك الذي كان ينزل آخر النهار بالخرج على حماره في كل يوم بحجة الأنصاف العددية التي يفرقها على الصيارف بالمدينة وأكثر ما في الخرج خاص بك فأحضروا أيوب المذكور وطلبوه للشهادة فقال لا أشهد بما لا أعلم، و لم يحصل هذا مطلقاً ولا يجوز لي ولا يخلصني من الله أن أتهم الرجل بالباطل فقال اليهودي هذا رفيقه وصاحبه وخادمه ولا يمكنه أن يخبر ويقر إلا إذا خوف وعوقب وإذا ثبت قولي فإنه يطلع عليه ستة آلاف كيس، فلما سمع الباشا قول اليهودي ستة آلاف كيس أمر بحبس الحاج سالم، ثم أحضروا اخوته والحاج أيوب وسجنوهم وضربوهم والباشا يطلب ستة آلاف كيس، كما قال اليهودي واستمروا في ذلك أياماً وذلك الحبس عند قرأ علي بجوار بيت الحريم بالأزبكية وسبب خصومة شمعون اليهودي مع الحاج سالم أنهم احتجوا على اليهودي بأشياء وقرروا عليه غرامة أيضاً فطلب من الحاد سالم المساعدة وقال له ساعدني كما ساعدتك في غرامتك فقال الحاج سالم إنك لم تساعدني بمال من عندك بل هو من حسابي معك فقال اليهودي ألست كنت أداري عليك فيما تفعله واتسع الكلام بينهما وحضرة الباشا وأعوانه مترقبون لحادث يستخرجون به الأموال بأي وجه كان ويتقولون ويوقعون بين هذا وهذا والناس أعداء لبعضهم البعض تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى. ثم إن السيد محمداً المحروقي خاطب الباشا في شأن الحاج سالم وحلف عليه أن الغرامة الأولى تأخر عليه منها ثلثمائة كيس استدانها من الأوربيين ودفعها وهي باقية عليه إلى الآن ومطلوبة منه وذلك بعد أن باع أملاكه وحصة التزامه فإذا كان ولا بد من تغريمه ثانياً فإننا نمهل أصحاب الديون ونقوم بدفع الثلثمائة كيس المطلوبين للمداينين وندفعها للخزينة فأجابه لذلك وأمر بالإفراج عن الحاج سالم واخوته ومن معه فدفعوا القرا على المتولي سجنهم وعقوبتهم وإتباعه سبعة أكياس.

وفيه اشتد الأمر على إسمعيل أفندي أمين عيار الضربخانة وأولاده بالطلب من أرباب الحوالات مثل دالي باشا وخلافه وضيق العسكر المعينون عليهم منافسهم ولازموا دورهم و لم يجدوا شافعاً ولا دافعاً ولا رافعاً فباعوا أملاكهم وعقاراتهم وفراشهم ومصاغ حريمهم وأوانيهم وملابسهم وكان الباشا أخذ من إسمعيل أفندي المذكور داره التي بالقلعة عندما انتقل إلى القلعة فأمره بإخلائها ففعل ونزل إلى دار بحارة الروم بالقرب من دار ابنه محمد أفندي فاتخذ الباشا دار إسمعيل أفندي دار لحريمه وأسكنهم بها لأنها دار عظيمة جليلة عمرها المذكور وصرف عليها في الأيام الخالية أموالاً جمة، فلما استولى عليها الباشا أسكن بها حريمه وجواريه وسراريه ولما قرر عليه غرامته أسقط عنه منها عشرين كيساً لا غير وجعلها في ثمن داره المذكورة، وذلك لا يقوم بثمن رخامها فقط، فلما اشتد الحال بإسمعيل أفندي أشار عليه بعض المتشفعين بأن يكتب له عرضحال ويطلع به إلى الباشا صحبة المعلم غالي كبير الأقباط المباشرين ففعل ودخل معه المعلم غالي إلى الباشا فعندما رآه مقبلاً صحبة المذكور أشار إليه بالرجوع و لم يدعه يتكلم فرجع بقهره ونزل إلى داره فمرض وتوفي بعد أيام إلى رحمة الله تعالى ومات قبله ولده حسن أفندي وبقي جميع الطلب على ولده محمد أفندي فحصل له مشقة زائدة باع أثاث بيته وأوانيه وكتبه التي اقتناها وحصلها بالشراء

والاستكتاب فباعها بأبخس الأثمان على الصحافين وغيرهم وطال عليه الحال وانقضت مواعيد المداينين له فطالبوه وكربوه فتداين من غيرهم بالربا والزيادة وهكذا والله يحسن لنا وله العاقبة.

وفيه، قدم إلى الإسكندرية قليون من بلاد الإنكليز فيه بضائع وأشياء للباشا ومنها خمسون ألف كيس نقوداً ثمن غلال وخيول يأخذونها من مصر إلى بلادهم فطفقوا يطلبون لهم الخيول من أربابها فيقيسون طولها وعرضها وقوائمها بالأشبار فإن وجدوا ما يوافق غرضهم ومطلوبهم في القياس والقيافة أخذوه ولو بأغلى ثمن وإلا تركوه.

وفيه، أيضاً أرسل الباشا لجميع كشاف الوجه القبلي بحجز جميع الغلال والحجر عليها لطرفه فلا يدعون أحداً يبيع ولا يشتري شيئاً منها ولا يسافر بشيء منها في مركب مطلقاً ثم طلبوا ما عند أهل البلاد من الغلال حتى ما هو مدخر في دورهم للقوت فأخذوه أيضاً ثم زادوا في الأمر حتى صاروا يكسلون الدور ويأخذون من الغلال أقل أو أكثر ولا يدفعون له ثمناً بل يقولون نحسب لكم ثمنه من مال السنة القابلة ويشحنون بذلك جميع مراكب الباشا التي استجدها وأعدها لنقل الغلال ثم يسيرون بها إلى بحري فتنقل إلى مراكب الإفرنج بحساب مائة قرش عن كل أردب وانقضت السنة و لم تنقض حوادثها بل استمر ما حدث بها كالتي قبلها وزيادة.

فمنها، ما أحاط به علمنا وذكرنا بعضه ومنا ما لم يحط به علمنا أو أحاط ونسيناه بحدوث غيره قبل التثبت ومنها أن الباشا عمل ترسخانة عظيمة بساحل بولاق واتخذ عدة مراكب بالإسكندرية لخصوص جلب الأخشاب المتنوعة وكذلك الحطب الرومي من أماكنها على ذمته ويبيعه على الحطابين بما حدده عليهم من الثمن ويحمل في المراكب المختصة به بأجرة محددة أيضاً ويأتي إلى ديوان الكمرك ببولاق فيؤخذ كركه إلى مكسه وهو راجع إليه أيضاً إلى أن استقر سعر القنطار الواحد من الحطب بثلثمائة وخمسة عشر نصف فضة وأجرة حمله من بولاق إلى مصر ثلاثة عشر نصف وأجرة تكسيره مثل ذلك فيكون مجموع ذلك ثلثمائة وأربعين نصف فضة القنطار وقد اشتريناه قبل استيلاء هذه الدولة بثلاثين نصفاً وأجرة حمله في المركب عشرة أنصاف وأجرته من بولاق إلى مصر ثلاثة أصناف وتكسيره كذلك فيكون مجموع ذلك ستة وأربعين نصفاً وكذلك فعل في أنواع الأخشاب الكرسنة والحديد والرصاص والقصدير وجميع المجلوبات واستمر ينشئ في المراكب الكبار والصغار التي تسرح في النيل من قبلي إلى بحري ومن بحري إلى قبلي ولا يبطل الإنشاء والأعمال والعمل على الدوام وكل ذلك على ذمته ومرمتها وعمارتها ولوازمها وملاحوها بأجرتها على طرفه لا بالضمان كما كان في السابق ولهم قومة ومباشرون متقيدون بذلك الليل والنهار.

ومنها، وهي من الحوادث الغريبة التي لم يتفق في هذه الأعصار مثلها إن في أواخر ربيع الآخر احترق بحر النيل وجف بحر بولاق وكثرت فيه الرمال وعلت فوق بعضها حتى صارت مثل التلول وانحسر الماء حتى كان الناس يمشون إلى قريب أنبابة بمداساتها وكذلك بحر مصر القديمة بقي مخاضاً وفقدت أهل القاهرة الماء الحلو واشتد بالناس العطش بسبب ذلك وبسبب تسخير السقائين ونادى الآغا والوالي على أن يكون حمل القربة للمكان البعيد باثني عشر نصف فضة استهل شهر بشنس القبطي فزد النيل في أوله في ليلة واحدة نحو ذراع ثم كان يزيد في كل يوم وليلة مثل دفعات أواخر أبيب ومسرى وجرى بحر بولاق ومصر القديمة وغطى الرمال وسارت فيه المراكب الكبار منحدرة ومقلعة وغرقت المقاثئ مثل البطيخ والخيار والعبد

اللاوي وما كان مزروعاً بالسواحل وهو شيء كثير جداً استمرت الزيادة نحو عشرين يوماً حتى تغير وابيض وكاد يحمر وداخل الناس من ذلك وهم عظيم من هذه الزيادة التي في غير وقتها حتى اعتقدوا أنه يوفي أذرع الوفاء قبل نزول النقطة و لم يعهد مثل ذلك وكان ذلك رحمة من الله بعبيده الفقراء العطاش ثم إني طالعت في تاريخ الحافظ المقريزي المسمى بالسلوك في دول الملوك فذكر مثل هذه النادرة في سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة ولما ترافدت هذه الزيادات خرج الوالي إلى قنطرة السد وجمع الفعلة للعمل في سد فم الخليج ونادى على نزح الخليج وتنظيفه وكسح أوساخه وقطع أرضه ثم وقفت الزيادة بل نقص قليلاً وزاد في أوان الزيادة على العادة وأوفى أذرعه في أيامه المعتادة فسبحان الفعال.

ومنها، شحة الغلال وخلو السواحل منها فلا يجد الناس إلا ما بقي بأيدي فلاحي الجهات البحرية القريبة فيحملونه على الحمير إلى العرصات والرقع ويبيعونه على الناس كل أردب بأربعة وعشرين قرشاً خلاف المكس والكلف واستقر مكس الأردب الواحد أربعة وثلاثين نصف فضة وأجرته إذا كان من طريق البحر من المنوفية أو نحوها مائة نصف وأقل وأكثر وأجرته من بولاق إلى مصر خمسة وعشرون نصفاً.

ومنها، أنه لما تنظم له ملك بلاد الصعيد و لم يبق له فيه منازع وقلد إمارته لابنه إبراهيم باشا ورسم بأن يضبط جميع أطيان بلاد الصعيد حتى الرزق الأحباسية المرصدة على المساجد والخيرات الكائنة بمصر وغيرها وأوقاف سلاطين مصر المتقدمين وخيراتهم ومساجدهم ومكاتبهم وصهاريجهم ووظائف المدرسين والمقرئين وغير ذلك ففعل ذلك وراك الأراضي بأسرها وشاع أنه جعل على كل فدان من أراضي الرزق والأوقاف ثلاثة ريالات لا غير وعلى باقي فدادين الأطيان ثمانية ريالات خلاف النباري وهو مزارع الذرة فجعل على كل عود من عيدان القطوة سبعة ريالات فرضي أصحاب الرزق والأطيان بهذا التنظيم وظنوا استمراره فإن الكثير من المرتزقة ما كان يحصل له من مزارعي رزقته مقدار ما يحصل له على هذا الحساب.

ومنها، أنه رسم له بالحجر على جميع حصص الالتزام فلم يبق لأربابها شيئاً إلا ما ندر وهو شيء قليل جداً واحتج في ذلك باستيلاء الأمراء المصريين عليها عندما خرجوا من مصر وأقاموا بالبلاد القبلية فوضعوا أيديهم على ذلك وأنه حاربهم وطردهم وقتلهم وورث ما كان بأيديهم بحق أو باطل وسموه المضبوط وأما ما كان بأيدي أربابه أيام استيلاء المصريين وهم الملتزمون القاطنون بالبلاد القبلية أو بمصر ممن يراعي جانبه فإنه إذا عرض حاله وطلب إذناً في التصرف وأخبر بأنه كان مفروجاً عنه أيام استيلاء المصريين وأثبت ذلك بالكشف من الروزنامة وغيرها فأما أن يؤذن له في التصرف أو يقال له نعوضك بدلها من البلاد البحرية ويسوف وتتمادى الأيام أو يحيل ذلك على ابنه إبراهيم باشا ويقول أنا لأعلقه في البلاد القبلية والأمر فيها لإبراهيم باشا وإذا ذهب لإبراهيم باشا يقول له أنا أعطيك الغائط فإن رضي أعطاه شيئاً نزراً ووعده بالإعطاء وإن لم يرض قال له هات لي إذناً من أفندينا وكل منهما إما مرتحل أو مسافر أو أحدهما حاضر والآخر غائب فيصير صاحب الحاجة كالجملة المعترضة بين الشارط والمشروط وأمثال ذلك كثير.

ومنها، الاستيلاء على جميع مزارع الأرز بالبحر الغربي والشرقي ورقب لهم مباشرين وكتاباً يصرفون عليهم من الكلف والتقاوي والبهائم ويؤخذ ذلك جميعه من حساب الفرض التي قررها على النواحي وعند استغلال الأرز يرفعونها بأيديهم ويسعرونها بما يريدونه ويستوفون المصاريف ومعاليم القومة والمباشرين المعين لهم وإن فضل بعد ذلك شيء أعطوه للمزارع أو

أخوه منه وأعطوه ورقة يحاسب بها في المستقبل وفرض على كل دائرة من دوائر الأرز خمسة أكياس في كل سنة خلاف المقرر القديم وعلى كل عود ثلاثة أكياس فإذا كان وقت الحصاد وزنوه شعيراً على أصحاب الدوائر والمناشر حتى إذا صلح وابيض حسبوا كلفه من أصل المقرر عليهم فإن زاد لهم شيء أعطوهم به ورقة وحاسبوا بها من قابل وأبطل تعامل المزارعين مع التجار الذين كانوا معتادين بالصرف عليهم واستقر الحال إلى أن صار جميعه أصلاً وفرعاً لديوان الباشا ويباع الموجود على ذمته لأهل الأقاليم المتسببين وغيرهم وهو عن كل أردب مائة قرش بل وزيادة وللإفرنج وبلاد الروم والشام بما لا أدري.

ومنها، أنه حصل بين عبد الله آغا بكتاش الترجمان وبين النصراني الدرزي منافسة وهو الذي حضر من جبل الدروز ويسمى الياس واجتمع بمصر على من أوصله إلى الباشا وهو بكتاش وخلافه وعرفوه عن صناعته وأنه يعمل آلات بأسهل مما يصنعه صناع الضربخانة ويوفر على الباشا كذا وكذا من الأموال التي تذهب في الدواليب والكلف وما يأخذه المباشرون من المكاسب لأنفسهم وأفرد له بقعة خاصة به بجانب الضربخانة وأمر بحضور ما يطلبه إليه من الحديد والصناع واستمر على ذلك شهوراً ولما تم الآلة صنع قروشاً وضربها ناقصة في الوزن والعيار وجعل كتابتها على نسق القروش الرومية ووزن القرش درهمان وربع وفيه من الفضة الخالصة الربع بل أقل والثلاثة أرباع نحاس وكان المرتب في الأموال من النحاس في كل يوم قنطارين فضوعف إلى ستة قناطير حتى غلا سعر النحاس والأواني المتخذة منه فبلغ سعر الرطل النحاس المستعمل مائة وأربعين نصف فضة بعد أن كان سعره في الأزمان السابقة أربعة عشر نصفاً والفراضة سبعة أنصاف أو أقل ثم زاد الطلب للضربخانة إلى عشرة قناطير في كل يوم والمباشر لذلك كله بكتاش أفندي ثم إن بكتاش أفندي المذكور انحرف على ذلك الدرزي وذلك بإغراء المعاير وحصل بينهما مناقشة بين يدي الباشا والمعلم غالي بينهم وانحط الأمر في ذلك المجلس على منع الدرزي من مباشرة العمل ورتب له الباشا أربعة أكياس لمصرفه في كل شهر ومنعوا أيضاً من كان معه من نصارى الشوام من الطلوع الضربخانة واستمر بكتاش أفندي ناظراً عليها ودقق على أرباب الوظائف والخدم ليأخذ بذلك وجاهة عند مخدومه ثم إن الباشا بعد أيام أمر بنفي الدرزي من مصر وجميع أهله وأولاده وانقضى أمره بعد أن تعلموا تلك الصناعة منه وفي تلك المدة بلغ إيراد الضربخانة لخزينة الباشا في كل شهر ألفاً وخمسمائة كيس وكان الذي يرد منها في زمن المصريين ثلاثين كيساً في كل شهر أو أقل من ذلك فلما التزم بها السيد محمد المحروقي أوصلها إلى خمسين واستمرت على ابنه السيد محمد كذلك مدة فانتبذ لها محمد أفندي طبل المعروف بناظر المهمات وزاد عليها ثلاثين كيساً وبقيت تحت نظارة المحروقي بذلك القدر ثم إن الباشا عزل السيد محمد المحروقي عناه وأبقاها على ذمته وقيد خاله في نظارتها ولم يزل الباشا يلعب هذه الملاعيب حتى بلغت هذا المبلغ المستمر وربما تزيد وذلك خلاف الغرامات والمصادرات لأربابها ثم وشى له على عبد الله آغا بكتاش بأنه يزيد في وزن القروش وينقص منه عن القدر المحدود فإذا حسب القدر المنقوص وعمل معدله في مدة نظارته تحصل منه مقدار عظيم من الأكياس فلما نوقش في ذلك قال هذا الأمر يسأل فيه صاحب العيار فأحضروه وأحضروا محمد أفندي ابن إسمعيل أفندي بدفتره وتحاققوا في الحساب فسقط منهم خمسة أكياس لم تدخل الحساب فقالوا أين ذهبت هذه الخمسة أكياس فطفقوا ينظرون إلى بعضهم فقال المورد الحق أن هذه الخمسة أكياس من حساب محمد أفندي ومطلوبة له وتجاوز عنها لفلان اليهودي المورد من مدة سابقة فالتفت الباشا إلى محمد أفندي وقال له لأي شيء تجاوزت لليهودي عن هذا القدر فقال لعلمي أنه خلي ليس عنده شيء فأخذتني الرأفة عليه

وتركت مطالبته حتى يحصل له اليسار فقال كيف تنعم بمالي على اليهودي فقال إنه من حسابي فقال ومن أين كان لك ذلك وأمر به فبطحوه وضربوه بالعصي ثم أقاموه وأضافوا الخمسة أكياس على باقي الغرامة المطلوبة منه التي هو متحير في تحصيلها ولو بالاستدانة من الربويين كما قال القائل شكوت جلوس إنسان ثقيل فجاءوني بمن هو منه أثقل فكنت كمن شكا الطاعون يوماً، فزاده على الطاعون دمل. ومحمد أفندي هذا من وجهاء الناس وخيارهم يفعل به هذه الفعال ثم انحط الحال مع بكتاش أفندي على أن فرض عليه ستمائة كيس يقوم بدفعها فقال ويعفوني أفندينا من نظارة الضربخانة فلم يجبه إلى ذلك واستمر في تلك الخدمة مكرهاً خائفاً من عواقبها.

ومنها، أن الريال الفرانسة بلغ في مصارفته من الفضة العددية إلى مائتين وثمانين نصفاً بل وزيادة خمسة أنصاف فنودي عليه بنقص عشرة وشددوا في ذلك وبعد أيام نودي بنقص عشرة أخرى فخسر الناس حصة من أموالهم ثم إن ذلك القرش الذي يضاف إليه من الفضة ربع درهم ووزن الريال تسعة دراهم فضة فيكون الريال الواحد بما يضاف إليه من النحاس على هذا الحساب ستة وثلاثين قرشاً يخرج منها ثمن الريال ستة قروش ونصف وكلفة الشغل في الجملة قرش أو قرشان يبقى بعد ذلك سبعة وعشرون قرشاً ونصف وهو المكسب في الريال الواحد وهو من جملة سلب الأموال لأن صاحب الريال إذا أراد صرفه أخذ بدله ستة قروش ونصفاً وفيها من الفضة الدرهم ونصف وثمن وهي بدل التسعة دراهم التي هي وزن الريال ثم زيد في الطنبور نغمة وهي الحجر على الفضة العددية فلا يصرفون شيئاً منها للصيارف ولا لغيرهم إلا بالفرط وهو أربعة قروش على كل ألف فيعطي للضربخانة تسعة وعشرون قرشاً زلائط ويأخذ ألف فضة عنها خمسة وعشرون قرشاً ثم زادوا بعد ذلك في الفرط فجعلوه خمسة قروش فيعطي ألفاً ومائتين ويأخذ بدلها ألفاً فانظر إلى هذه الزيادة والرذالة وكذا السفالة.

ومنها، استمرار غلاء الأسعار في كل شيء وخصوصاً في الأقوات التي لا يستغني عنها الغني والفقير في كل وقت بسبب الأحداثات والمكوس التي ترتبت على كل شيء ومنها المأكولات كاللحم والسمن والعسل والسكر وغير ذلك مثل الخضارات وإبطال جميع المذبح خلاف مذبح الحسينية والتزم به المحتسب بمبلغ عظيم مع كفاية لحم الباشا وأكابر دولته بالثمن القليل ويوزع الباقي على الجزارين بالسعر الأعلى الذي يخرج منه ثمن لحوم الدولة من غير ثمن فيترل الجزار بما يكون معه من الغنمة أو الاثنين الجفيط إلى بيت أو عطفة مستورة فتزدحم عليه المتتبعون له والمنتظرون إليه ويقع بينهم من المضاربة والمشاجرة ما لا يوصف وثمن الرطل اثنا عشر نصفاً وقد يزيد على ذلك ولا ينقص عن باثني عشر وكذلك الخضراوات التي كانت تباع جزافاً تباع بأقصى القيمة حتى أن الخس مثلاً الذي كان يباع كل عشرة أعداد بنصف واحد صارت الواحدة تباع بنصف وقس على ذلك باقي الخضراوات وأن الباشا لما وضع يده على الأراضي القريبة وأنشأ السواقي تجاه القصر والبساتين بناحية شبرا وحرث الأراضي الخرس وزرع فيه أنواع الخضراوات وأجرى عليها المياه وقيد لخدمتها المرابعين أيضاً والمزارعين بالمؤاجرة والمباشر على ذلك كله ذو الفقار كتخدا وعندما يبدو صلاح البقول والخضراوات يبيعها المتسببين فيها بأغلى ثمن وهم يبيعونها على الناس بما أحبوا وشاع بين الناس إضافة ذلك إلى الباشا فيقولون كرنب الباشا ولفت الباشا وملوخية الباشا وفجل الباشا وقرنبيط الباشا وزرع أيضاً بستانه من أنواع الزهور العجيبة المنظر المتنوعة الأشكال من الأحمر والأصفر والأزرق والملون أتوا بنقائها من بلاد الروم فنتجت وأفلحت وليس لها إلا حسن المنظر فقط ولا رائحة لها أصلاً.

ومنها، إن ديوانا المكس ببولاق الذي يعبرون عنه الكمرك لم يزل يتزايد فيه المتزايدون حتى أوصلوه إلى ألف وخمسمائة كيس في السنة وكان في زمن المصريين يؤدي من يلتزمه ثلاثين كيساً مع محاباة الكثير من الناس والعفو عن كثير من البضائع لمن ينسب إلى الأمراء وأصحاب الوجاهة من أهل العلم وغيرهم فلا يتعرضون له ولو تحامى في بعض أتباعهم ولو بالكذب ويعاملون غيرهم بالرفق مع التجاوز الكثير ولا ينبشون المتاع ولا رباط الشيء المحزوم بل على الصندوق و المحزوم قدر يسير معلوم فلما ارتفع أمره إلى هذه المقادير صاروا لا يعفون عن شيء مطلقاً ولا يسامحون أحداً ولو كان عظيماً من العلماء أو غيرهم وكان من عادة التجار إذا بعثوا إلى شركائهم محزوماً من الأقمشة الرخيصة مثل العاتكي والنابلسي جعلوا بداخل طيها أشياء من الأقمشة الغالية في الثمن المقصبات الحلبي والكشميري والهندي ونحو ذلك فتتدرج معها في قلة الكمرك وفي هذا الأوان يحلون رباط المحزوم ويفتحون الصناديق وينبشون المتاع ويهتكون ستره ويحصون عدده ويأخذون عشرة أي من كل عشرة واحداً أو ثمنه كما يبيعه التاجر غالياً أو رخيصاً حتى البوابيج والأخفاف والمسوت التي تجلب من الروم يفتحون صناديقها ويعدونها بالواحد ويأخذون عشورها عيناً أو ثمناً ويفعل ذلك أيضاً متولي كمرك الإسكندرية ودمياط وإسلامبول والشام فبذلك غلت أسعار البضائع من كل شيء لفحش هذه الأمور وخصوصاً في الأقمشة الشامية والحلبية والرومية المنسوجة من القطن والحرير والصوف فإن عليها بمفردها مكوساً فاحشة قبل نسجها وكان الدرهم الحرير في السابق بنصف فضة فصار الآن بخمسة عشر نصفاً وما يضاف إليه من الأصباغ وكلف الصناع والمكوس المذكورة فبذلك بلغ الغاية من غلو الثمن فيباع الثوب الواحد من القماش الشامي المسمى بالألاجة الذي كانت قيمته في السابق مائتي نصف فضة بألفين فضة مع ما يضاف إليه من ربح البائع وطمع التاجر والنعل الرومي الذي كان يباع بستين نصفاً يباع بأربعمائة نصف والذراع الواحد من الجوخ الذي كان يباع بمائة نصف فضة بلغ في الثمن إلى ألف نصف فضة وهكذا مما يستقصى تتبعه ولا تستقصى مفرداته ويتولى هذه الكمارك كل من تزايد فيها من أي ملة كان من نصارى القبط أو الشوام والأروام ومن يدعي الإسلام وهم الأقل في الأشياء المدون والمتولي الآن في ديوان كورك بولاق شخص نصراني رومي يسمى كرابيت من طرف طاهر باشا لأنه مختص بإيراده وأعوان كرابيت من جنسه وعنده قواسة أتراك يحجزون متاع الناس ويقبضون على المسلمين ويسجنونهم ويضربونهم حتى يدفعوا ما عليهم وإذا عثروا بشخص أخفى عنهم شيئاً حبسوه وضربوه وسبوه ونكلوا به وألزموه بغرامة مجازاة لفعله والعجب أن بضائع المسلمين يؤخذ عشرها يعني من العشرة واحد وبضائع الإفرنج والنصارى ومن ينتسب إليهم يؤخذ عليها من المائة اثنان ونصف وكذلك أحدث عدة أشياء واحتكارات في كثير من البضائع مثل السكر الذي يأتي من ناحية الصعيد وزيادات في المكوس القديمة خلاف المحدثات وذلك أن من كان بطالاً أو كاسد الصنعة أو قليل الكسب أو خامل الذكر فيعمل فكرته في شيء مهمل عنه ويسعى إلى الحضرة بواسطة المتقربين أو بعرضحال يقول فيه أن الداعي للحضرة يطلب الالتزام بالصنف الفلاني ويقول للخزينة العامرة بكذا من الأكياس في كل سنة فإذا فعل تنبه المشار إليه فيعد بالإنجاز ويؤخر أياماً فتتسامع المتكالبون على أمثال ذلك فيزيدون على الطالب حتى تستقر الزيادة على شخص أما هو وخلافه ويقيد اسمه بدفتر الروزنامة ويفعل بعد ذلك الملتزم ما يريده وما يقرره على ذلك الصنف ويتخذ له أعواناً وخدمة وأتباعاً يتولون استخلاص المقررات ويجعلون لأنفسهم أقدار خارجة عن الذي يأخذه كبيرهم والذي تولى كبر ذلك وفتح بابه نصارى الأروام

والأرمن فترأسوا بذلك وعلت أسافلهم ولبسوا الملابس الفاخرة وركبوا البغال والرهوانات وأخذوا بيوت الأعيان التي بمصر القديمة وعمروها وزخرفوها وعملوا فيها بساتين وجنائن وذلك خلاف البيوت التي لهم بداخل المدينة ويركب الواحد منهم وحوله وأمامه عدة من الخدم والقواسة يطردون الناس من أماه وخلفه و لم يدعو شيئاً خارجاً عن المكس حتى الفحم الذي يجلب من الصعيد والحطب السنط والرتم وحطب الذرة الذي كان يباع منه كل مائة حزمة بمائة نصف فلما احتكروه صار يباع كل مائة حزمة بألف ومائتي نصف وبسبب ذلك تشحطت أشياء كثيرة وغلت أثمانها مثل الجبس والجبر وكل ما كان يحتاج للوقود حتى الخبازين في الأفران فإننا أدركنا الأردب من الجبس بثمانية عشر نصف فضة والآن بمائتين وأربعين نصفاً وكذلك أدركنا القنطار من الجير بعشرة أنصاف والآن بمائة وعشرين والحال في الزيادة.

ومنها، أن الباشا شرع في عمارة قصر العيني وكان قد تلاشى وخربته العسكر وأخذت أخشابه و لم يبق فيه إلا الجدران فشرع في إنشائه وتعميره وتجديده على هذه الصورة التي هو عليها الآن في وضع الأبنية الرومية.

ومنها، أنه هدم سراية القلعة وما اشتملت عليه من الأماكن فهدم المجالس التي كانت بها والدواوين وديوان قايتباي وهو المقعد المواجه للداخل إلى الحوش علو الكلار الذي به الأعمدة وديوان الغوري الكبير وما اشتمل عليه من المجالس التي كانت تجلس بها الأفندية والقلفاوات أيام الدواوين وشرع في بنائها على وضع آخر واصطلاح رومي وأقاموا أكثر الأبنية من الأخشاب ويبنون الأعالي قبل بناء السفل وأشيع أنهم وجدوا مخبأت بها ذخائر الملوك مصر الأقدمين.

ومنها، أن الباشا أرسل لقطع الأشجار المحتاج إليها في عمل المراكب مثل التوت والنبق من جميع البلاد القبلية والبحرية فانبث المعينون لذلك في البلاد فلم يبقوا من ذلك إلا القليل لمصانعة أصحابه بالرشا والبراطيل حتى يتركوا لهم ما يتركون فيجتمع بترسخانة الأخشاب لصناعة المراكب مع ما ينضم إليها من الأخشاب الرومية شيء عظيم جداً يتعجب منه الناظر من كثرته وكلما نقص منه شيء في العمل اجتمع خلافه أكثر منه.

ومنها، أن أحمد آغا أخا كتخدا بك لما تقلد وكالة دار السعادة ونظارة الحرمين انضم إليه أباليس الكتبة لتحرير الإيراد والمصرف وحصروا الأحكار المقررة على الأماكن والأطيان التي أجرها النظار السابقون المداد الطويلة وجعلوا عليها قدراً من المال يقبض في كل سنة لجهة وقف أصله على عادة مصر السابقة واللاحقة في استئجار الأوقاف من نظارها والأطيان والأماكن المستأجرة من أوقاف الحرمين وتوابعها كالدشيشة والخاصكية والمحمدية والمرادية وغير ذلك جداً ففتحوا هذا الباب وتسلطوا على الناس في طلب ما بأيديهم من السندات وحجج التأجرات فإذا اطلعوا عليها فلا يخلو غما أن تكون المدة قد انقضت ومضت أو بقي منها بقية من السنين فإذا كان بقي منها زادوا في الأجرة المؤجلة التي هي الحكر مثلها أو مثليها بحسب حال المحل ورواجه وإن كانت المدة قد انقضت ومضت واستولوا على حين المحل وضبطوه وجددوا له تأجراً وزادوا في حكره ويكون ذلك لمصلحة جسيمة وعلى كلتا الحالين لا بد من التغريم والمصالحات الجوانية والبرانية للكتاب والمباشرين والخدم والمعينين ثم المرافعة إلى القاضي ودفع المحاصيل والرسوم والتسجيل وكتابة السندات التي يأخذها واضع اليد.

ومنها، التحجير على الأجراء والمعمرين المستعملين في الأبنية والعمائر مثل البنائين والنجارين والنشارين والخراطين وإلزامهم في عمائر الدولة بمصر وغيرها بالإجارة والتسخير واختفى الكثير منهم وأبطل صناعته وأغلق من له حانوت حانوته فيطلبه كبير

حرفته الملزم بإحضاره عند معمار باشا فإما أنه يلازم الشغل أو يفتدي نفسه أو يقين بدلاً عنه ويدفع له الأجرة من عنده فترك الكثير صناعته وأغلق حانوته وتكسب بحرفة أخرى فتعطل بذلك احتياجات الناس في التعمير والبناء بحيث أن من أراد أن يبني له كانونا أو مزوداً لدابته تحير في أمره وأقام أياماً في تحصيل البناء وما يحتاجه من الطين والجبر والقصرمل وكان الباشا اشترى ألف حمار وعملوا لها مزابل وأعدوا لنقل أتربة عمائره وشيل القصرمل من مستوقدات الحمامات بالمدينة وبولاق ونودي في المدينة بمنع الناس كافة عن أخذ شيء من القصرمل فكان الذي تلزمه الضرورة لشيء منه إن كان قليلاً أخذه كالسرقة في الليل من المستوقد بأغلى ثمن وإن كان كثيراً لا يأخذه إلا بفرمان بالإذن من كتخدا بك بعد أن كان شيئاً مبتذلاً وليس له قيمة ينقلونه إذا كثر في المستوقدات إلى الكيمان بالأجرة وإن احتاجه الناس في أبنيتهم إما نقلوه على حميرهم أو نقله خدمة المشتوفد بأجرتهم كل فردين بنصف وأقل وأزيد ونحو ذلك كما إذا أضاع إنسان مفتاح خشب لا يجد نجاراً يصنع له مفتاحاً آخر إلا خفية ويطلب ثمنه خمسة عشر نصف فضة وكان من عادة المفتاح نصف فضة إن كان كبيراً أو نصف إن كان صغيراً.

ومنها، أن الذي التزم بعمل البارود قرر على نفسه مائتي كيس واحتكر جميع لوازمه مثل الفحم وحطب الترمس والذرة والكبريت فقرر على كل صنف من ذلك قدراً من الأكياس وأبطل الذين كانوا يعملون في السباخ بالكيمان ويستخرجون منه ملح البارود ثم يؤخذ منهم عبيطاً إلى المعمل فيكررونه حتى يخرج ملحاً أبيض يصلح للعمل وهي صناعة قذرة ممتهنة فأبطلهم منها وبنى أحواضاً بدلاً عن الصناديق وجعلها متسعة وطلاها بالخافقي وعمل ساقية وأجرى الماء منها إلى تلك الأحواض وأوقف العمال لذلك بالأجرة يعملون في السباخ المذكور.

ومنها، شحة الحطب الرومي في هذه السنة وإذا ورد منه شيء حجزه الباشا لاحتياجاته فلا يرى الناس منه شيئاً فكان الحطابة يبيعون بدله خشب الأشجار المقطوعة من القطر المصري وأفضلها السنط فيباع منه الحملة بثلثمائة نصف فضة وأجرة حملها عشرة وتكسيرها عشرة وعز وجود الفحم أيضاً حتى بيعت الأقة بعشرين نصفاً وذلك لانقطاع الجالب إلا ما يأتي قليلاً من ناحية الصعيد مع العسكر يتسببون فيه ويبيعونه بأغلى ثمن كل حصيرة باثني عشر قرشاً وهي دون القنطار وكانت تباع في السابق بستين نصفاً وهي قرش ونصف غير ذلك أمور وأحداثات وابتداعات لا يمكن استقصاؤها ولم يصل إلينا خبرها إذ لا يصل إلينا إلا ما تعلقت به اللوازم والاحتياجات الكلية وقد يستدل بالبعض على الكل، وأما من مات في هذه السنة ممن له ذكر، فمات الشيخ الإمام العلامة والتحرير الفهامة الفقيه الأصولي النحوي شيخ الإسلام والمسلمين الشيخ عبد الله بن حجازي بن إبراهيم الشافعي الأزهري الشهير بالشرقاوي شيخ الجامع الأزهر ولد ببلدة تسمى الطويلة بشرقية بلبيس بالقرب من القرين في حدود الخمسين بعد المائة وتربى القرين فلما ترعرع وحفظ القرآن قدم إلى الجامع الأزهر وسمع الكثير من الشهابين الملوي والجوهري والحنفي وأخيه يوسف والدومنهوري والبليدي وعطية الأجهوري ومحمد الفارسي وعلي المنسفيسي الشهير بالصعيدي وعمر الطحلاوي وسمع الموطا فقط على علي بن العربي الشهير بالسقاط وبآخره تلقن بالسلوك والطريقة على شيخنا الشيخ محمود الكردي ولازمه وحضر معنا في أذكاره وجمعياته ودرس الدروس بالجامع الأزهر وبمدرسة السنانية بالصنادقية وبرواق الجبرت والطيبرسية وأفتى في مذهبه متميز في الإلقاء والتحرير وله مؤلفات دالة على سعة فضله من ذلك حاشيته على التحرير وشرح نظم يحي العمريطي وشرح العقائد المشرقية والمتن له أيضاً وشرح مختصر في العقائد والفقه

والتصوف مشهور في بلاد داغستان وشرح رسالة عبد الفتاح العادلي في العقائد ومختصر الشمائل وشرحه له ورسالة في لا إله إلا الله ورسالة في مسألة أصولية في جمع الجوامع وشرح الحكم والوصايا الكردية في التصوف وشرح ورد سحر للبكري ومختصر المغني في النحو وغير ذلك ولما أراد السلوك في طريق الخلوتية ولقنه الشيخ الحنفي الاسم الأول حصل له وله واختلال في عقله ومكث بالمارستان أياماً ثم شفي ولازم الأقراء والإفادة ثم تلقن من شيخنا الشيخ محمود الكردي وقطع الأسماء عليه وألبسه التاج وواظب على مجالسته وكان في قلة من خشونة العيش وضيق المعيشة فلا يطبخ في داره إلا نادراً وبعض معارفه يواسونه ويرسلون إليه الصفحة من الطعام أو يدعونه ليأكل معهم ولما عرفه الناس واشتهر ذكره فواصله بعض تجار الشوام وغيرهم بالزكوات والهدايا والصلات فراج حاله وتجمل بالملابس وكبر تاجه ولما توفي الشيخ الكردي كان المترجم من جملة خلفائه وضم إليه أشخاصاً من الطلبة والمجاورين الذين يحضرون في درسه يأتون إليه كل ليلة عشاء يذكرون معه ويعمل لهم في بعض الأحيان ثريداً ويذهب بهم إلى بعض البيوت في مياتم الموتى وليالي السبح والجمع المعتادة ومعهم منشدون ومولهون ومن يقرأ الأعشار عند ختم المجلس فيأكلون العشاء ويسهرون حصة من الليل في الذكر والإنشاد والتوله وينادون في إنشادهم بقولهم يا بكري مدد يا حنفي مدد يا شرقاوي مدد ثم يأتون إليهم بالطاري وهو الطعام بعد انقضاء المجلس ثم يعطونهم أيضاً دراهم ثم اشترى له دار بحارة كتامة المسماة بالعينية وساعده في ثمنها بعض من يعاشره من المياسير وترك الذهاب إلى البيوت إلا في النادر واستمر على حالته حتى مات الشيخ أحمد العروسي فتولى بعده مشيخة الجامع الأزهر فزاد في تكبير عمامته وتعظيمها حتى كان يضرب بعظمتها المثل وكانت تعارضت فيه وفي الشيخ مصطفى الصاوي ثم حصل الاتفاق على المترجم وأن الشيخ الصاوي يستمر في وظيفة التدريس بالمدرسة الصلاحية المجاورة لضريح الإمام الشافعي بعد صلاة العصر وهي من وظائف مشيخة الجامع ولما تولاها الشيخ العروسي تعدى على الوظيفة المذكورة الشيخ محمد المصيلحي الضرير وكان يرى في نفسه أنه أحق بالمشيخة من العروسي فلم ينازعه فيها حسماً للشر فلما مات المصيلحي تنزه عنها العروسي وأجلس فيها الصاوي وحضر درسه في أول ابتدائه لكونه من خواص تلامذته فلما مات

العروسي وتولى المترجم المشيخة اتفقوا على بقاء الصاوي في الوظيفة ومضى على ذلك أشهر ثم أن المجتمعين على الشرقاوي وسوسوا له وحضروه على أخذ الوظيفة وأن مشيخته لا تتم إلا بها وكان مطواعاً فكلم بذلك الشيخ محمد ابن الجوهري وأيوب بك الدفتردار ووافقاه على ذلك واغتر بهما وذهب بجماعته ومن انضم إليهم وهم كثيرون وقرأ بها درساً فلم يحتمل الصاوي ذلك وتشاور مع ذوي الرأي من رفقائه كالشيخ بدوي الهيتمي وأضرا به فبيتوا أمرهم وذهب الشيخ مصطفى إلى رضوان كتخدا إبراهيم بك الكبير وله به صداقة ومعاملة ومقارضة فسامحه في مبلغ كان عليه له فعند ذلك اهتم رضوان كتخدا المذكور وحضر عند الشرقاوي وتكلم معه وأفحمه ثم اجتمعوا في ثاني يوم ببيت الشرقاوي وحضر الصاوي وعزوته وباقي الجماعة فقال الشرقاوي اشهدوا يا جماعة أن هذه الوظيفة استحقاقي وأنا نزلت عنها إلى الشيخ مصطفى الصاوي فقال له الصاوي ارجع أما الآن فلا ولا جميلة لك الآن في ذلك وباكته بكلام كثير وبإنفاذه لرأي من حوله وغير ذلك وانفض المجلس على منعه من الوظيفة واستمرار الصاوي فيها إلى أن مات فعادت إلى المترجم عند ذلك من غير منازع فواظب الإقراء فيها مدة وطالب سدنة الضريح بمعلومها فماطلوه فتشاجر معهم وسبهم فشكوه للمعاضدين لهم وهم أهل المكايد من الفقهاء وغيرهم وتعصبوا عليه وأنهوا إلى الباشا وضموا إلى ذلك أشياء حتى أغروا عليه صدره واتفقوا على عزله من المشيخة ثم انحط الأمر على

أن يلزم داره ولا يخرج منها ولا يتداخل في شيء من الأشياء فكان ذلك أياماً ثم عفا عنه الباشا بشفاعة القاضي فركب وقابله ولكن لم يعد إلى القراءة في الوظيفة بل استناب فيها بعض الفقهاء وهو الشيخ محمد الشبراويني ولما حضرت الفرنساوية إلى مصر في سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف ورتبوا ديواناً لإجراء الأحكام بين المسلمين جعلوا المترجم رئيس الديوان وانتفع في أيامهم بما يتحصل إليه من المعلوم المرتب له عن ذلك وقضايا وشفاعات لبعض الأجناد المصرية وجعالات على ذلك واستيلاء على تركات وودائع خرجت أربابها في حادثة الفرنساوية وهلكوا واتسعت عليه الدنيا وزاد طمعه فيها واشترى دار ابن بيرة بظاهر الأزهر وهي دار واسعة من مساكن الأمراء الأقدمين وزوجته بنت الشيخ علي الزغفراني هي التي تدبر أمره وتحرز كل ما يأتيه ويجمعه ولا يروح ولا يغدو إلا عن أمرها ومشورتها وهي أم سيدي علي الموجود الآن وكانت قبل زواجه بها في قلة من العيش فلما كثرت عليه الدنيا اشترت الأملاك والعقار والحمامات والحوانيت بما يغل إيراده مبلغاً في كل شهر له صورة وعمل مهماً لزواج ابنه المذكور في أيام محمد باشا خسرو سنة سبع عشرة ومائتين وألف ودعا إليه الباشا وأعيان الوقت فاجتمع إليه شيء كثير من الهدايا ولما حضر إليه الباشا أنعم على ابنه بأربعة أكياس عنها ثمانون ألف درهم وذلك خلاف البقاشيش واتفق للمترجم في أيام الأمراء المصرية أن طائفة المجاورين بالأزهر من الشرقاويين يقطنون بمدرسة الطيبرسية بباب الأزهر وعمل لهم المترجم خزائن برواق معمر فوقع بينهم وبين المجاورين بها مشاجرة فضربوا نقيب الرواق فتعصب لهم الشيخ إبراهيم السجيني شيخ الرواق على الشرقاويين ومنعوهم من الطيبرسية وخزائنها وقهروا المترجم وطائفته فتوسط بامرأة عمياء فقيهة تحضر عنده في درسه إلى عديلة هانم ابنة إبراهيم بك فكلمت زوجها إبراهيم بك المعروف بالوالي بأن يبني له مكاناً خاصاً بطائفته فأجابه إلى ذلك وأخذ سكناً أمام الجامع المجاور لمدرسة الجوهرية من غير ثمن وأضاف إليه قطعة أخرى وأنشأ ذلك رواقاً خاصاً بهم ونقل إليه الأحجار والعامود والرخام الذي بوسطه من جامع الملك الظاهر بيبرس خارج الحسينية وهو تحت نظر الشيخ إبراهيم السجيني ليكون ذلك نكاية له نظير تعصبه عليه وعمل به قوائم وخزائن واشترى له غلال من جريات السون وأضافها إلى أخباز الجامع وأدخلها ففي دفتره يستلمها خباز الجامع ويصرفها خبز قرصة لأهل ذلك الرواق في كل يوم ووزعها على الأنفار الذين اختارهم من أهل بلاده ومما اتفق للمترجم أن بخارج باب البرقية خانكاه أنشأتها خوند طغاي الناصرية بالصحراء على يمنة السالك إلى وهدة الجبانة المعروفة الآن بالبستان وكان الناظر عليها شخص من شهود المحكمة يقال له ابن الشاهيني فلما مات تقرر في نظيرها

المترجم واستولى على جهات إيرادها فلما ولج الفرنساوية أراضي مصر وأحدثوا القلاع فوق التلول والأماكن المستعلية حوالي المدينة هدموا منارة هذه الخانكاه وبعض الحوائط الشمالية وتركوها على ذلك فلما ارتحلوا عن أرض مصر بقيت على وضعها في التخرب وكانت ساقيتها تجاه بابها في علوة يصعد إليها بمزلقان ويجري الماء منها إلى الخانكاه على حائط مبني وبه قنطرة يمر من تحتها المارون وتحت الساقية حوض لسقي الدواب وقد أدركنا ذلك وشاهدنا دوران الثور في الساقية ثم أن المترجم أبطل تلك الساقية وبنى مكانها زاوية وعمل لنفسه بها مدفناً وعقد عليه قبة وجعل تحتها مقصورة بداخلها تابوت عال مربع وعلى أركانه عساكر فضة وبنى بجانبها قصراً ملاصقاً لها يحتوي على أروقة ومساكن ومطبخ وكلار وذهبت الساقية في ضمن ذلك وجعلها بئر وعليه خرزة يملؤن منها بالدلو ونسيت تلك الساقية وانطمست معالمها وكأنها لم تكن وقد ذكر هذه الخانكاه العلامة المقريزي في خططه عند ذكر الخوانك لا بأس بإيراد ما نصه للمناسبة فقال خانكاه أم أنوك هذه الخانكا خارج باب

البرقية بالصحراء أنشأها الخاتون طغاي تجاه تربة الأمير طاشتمر الساقي فجاءت من أجل المباني وجعلت بها صوفية وقراء ووقفت عليها الأوقاف الكثيرة وقررت لكل جارية من جواريها مرتباً يقوم بها ثم ترجمها بقوله طغاي الخوندة الكبرى زوج السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وأم ابنه الأمير أنوك كانت من جملة أمائه فأعتقها وتزوجها ويقال أنها أخت الأمير آقبغا عبد الواحد وكانت بديعة الحسن باهرة الجمال من السعادة ما لم يره غيرها من نساء ملوك الترك بمصر وتنعمت في ملاذ ما وصل سواها لمثلها ولم يدم السلطان على محبة امرأة سواها وصارت خوندة بعد ابنه توكاي أكبر نسائه حتى من ابنة الأمير تنكز وحج بها القاضي كريم الدين الكبير واحتفل بأمرها وحمل لها البقول في محاير طين على ظهور الجمال وأخذ لها الأبقار الحلابة فسارت معها طول الطريق لأجل اللبن الطري والجبن وكان يقلي لها الجبن في الغداء والعشاء وناهيك بمن وصل إلى مداومة البقل والجبن واللبن في كل يوم بطريق الحج فما عساه يكون بعد ذلك وكان القاضي كريم الدين وأمير مجلس وعدة من الأمراء يترجلون عند النزول ويسيرون بين يدي محفتها ويقبلون الأرض لها كما يفعلون بالسلطان ثم حج بها الأمير بشتاك في سنة تسع وثلاثين وسبعمائة وكان الأمير تنكز إذا جهز من دمشق تقدمة للسلطان لا بلد أن يكون لخوند طغاي منها جزء وافر فلما مات السلطان الملك الناصر استمرت عظمتها من بعده إلى أن ماتت في شهر شوال سنة تسع وأربعين وسبعمائة أيام الوباء عن ألف جارية وثمانين خصياً وأموال كثيرة جداً وكانت عفيفة طاهرة كثيرة الخير والصدقات والمعروف جهزت سائر جواريها وجعلت على قبر ابنها بقبة المدرسة الناصرية بين القصرين قراء ووقفت على ذلك وقفا وجعلت من جملته خبزاً يفرق على الفقراء ودفنت بهذه الخانكاه وهي من أعمر الأماكن إلى يومنا هذا انتهى كلامه.

يقول، الحقير أني دخلت هذه الخانكاه في أواخر القرن الماضي فوجدت بها روحانية لطيفة وبها مساكن وسكان قاطنون بها وفيهم أصحاب الوظائف مثل المؤذن والوقاد والكناس والملاء ودخلت إلى مدفن الوقفة وعلى قبرها تركيبة مكن الرخام الأبيض وعند رأسها ختمة شريفة كبيرة على كرسي بخط جليل وهي مذهبة وعليها اسم الواقفة رحمها الله تعالى فلو أن الشيخ المترجم عمر هذه الخانكاه بدل هذا الذي ارتكبه من تخريبها لكان له بذلك منقبه وذكر حسن في حياته وبعد مماته وبالله التوفيق وللمترجم طبقات جمعها في تراجم الفقهاء الشافعية المتقدمين والمتأخرين من أهل عصره ومن قبلهم من أهل القرن الثاني عشر نقل تراجم المتقدمين من طبقات السبكي والأسنوي وأما التاخرون فنقلهم من تاريخنا هذا بالحرف الواحد وأظن أن ذلك آخر تأليفاته وعمل تاريخنا قبله مختصراً في نحو أربعة كراريس عند قدوم الوزير يوسف باشا إلى مصر وخروج الفرنساوية منها وأهداه عدد فيه ملوك مصر وذكر في آخره خروج الفرنسيس ودخول العثمانية في نحو ورقتين وهو في غاية البرود وغلط فيه غلطات منها أنه ذكر الأشرف شعبان ابن الأمير حسين بن الناصر محمد بن قلاوون فجعله ابن السلطان حسن ونحو ذلك ولم يزل المترجم حتى تعلل ومات في يوم الخميس ثاني شهر شوال من السنة وصلى عليه بالأزهر في جمع كثير ودفن بمدفنه الذي بناه لنفسه كما ذكر ووضعوا على تابوته المذكور عمامة كبيرة أكبر من طبيزيته التي كان يلبسها في حياته بكثير وعموماً بشاش أخضر وعصبوها بشال كشميري أحمر ووقف شخص عند باب مقصورته وبيده مقرعة يدعو الناس لزيارته ويأخذ منهم دراهم، ثم أن زوجته وابنها ومن يلوذ بهم ابتدعوا له مولداً وعيداً في أيام مولد العفيفي وكتبوا بذلك فرماناً من الباشا ونادى به تابع الشرطة بأسواق المدينة على الناس بالاجتماع والحضور لذلك المولد وكتبوا أوراقاً ورسائل للأعيان وأصحاب

المظاهر وغيرهم بالحضور وذبحوا ذبائح وأحضروا طباخين وفراشين مدوا أسمطة بها أنواع الأطعمة والحلاوات والمحمرات والخشافات لمن حضر من الفقهاء والمشايخ والأعيان وأرباب الأشاير والبدع ونصبو قبالة تلك القبة صواري علقوا بها قناديل وبيارق وشراريب حمراً وصفراً يلوحها الريح واجتمع حول ذلك من غوغاء الناس وعملوا قهاوي وبياعين الحلو والمخللات والترمس المملح والفول المقلي ودهسوا ما بتلك البقعة من قبور الأموات وأوقدوا بها النيران وصبوا عليها القاذورات مع ما يلحقهم من البول والغائط، وأما ضجة الأوباش والأولاد وصراخهم وفرقعتهم بالبارود وصياحهم وضجيجهم فقد شاهدنا به ما كنا نسمعه من عفاريت الترب وضرب المثل بهم فهم أقبح منهم فإن العفاريت الحقيقية لم نر لهم أفعالاً مثل هذه.

ولما مات الشيخ المترجم ومضى على موته ثلاثة أيام، اجتمع المشايخ في يوم الأحد خامسه وطلعوا إلى القلعة ودخلوا إلى الباشا وذكروا له موت المترجم ويستأذنونه فيمن يجعلونه شيخاً على الأزهر فقال لهم الباشا اعملوا رأيكم واختاروا شخصاً يكون خالياً من الأغراض وأنا أقلده ذلك فقاموا من مجلسه ونزلوا إلى بيوتهم واختلفت آراؤهم فالبعض اختار الشيخ المهدي والبعض ذكر الشيخ محمد الشنواني، وأما الشيخ محمد الأمير فإنه امتنع من ذلك، وكذلك ابن الشيخ العروسي والشيخ الشنواني المذكور منعزل عنهم وليس له درس بالأزهر ويقرأ دروسه بجامع الفاكهاني الذي في العقادين وبيده وظائف خدم الجامع وعند فراغه من الدروس يغير ثيابه ويكنس المسجد ويغسل القناديل ويعمرها بالزيت والفتائل حتى يكنس المراحيض، فلما بلغه أنهم ذكروه تغيب، ثم أن الباشا أمر القاضي وهو بهجة أفندي بأن يجمع المشايخ عنده ويتفقوا على شخص يجتمع رأيهم عليه بالشرط المذكور فأرسل إليهم القاضي وجمعهم، وذلك في يوم الثلاثاء سابعه وحضر فقهاء الشافعية مثل القويسني والفضالي وكثير من المجاورين والشوام والمغاربة فسأل القاضي هل بقي أحد فقالوا، لم يكن أحد غائباً عن الحضور إلا ابن العروسي والهيثمي والشنواني فأرسلوا إليهم فحضر العروسي والهيثمي فقال وأين الشنواني فلا بد من حضوره فأرسلوا رسولاً فغاب ورجع وبيده ورقة ويقول الرسول أنه له ثلاثة أيام غائباً عن داره وترك هذه الورقة عند أهله وقال إن طلبوني أعطوهم هذه الورقة فأخذها القاضي وقرأها جهاراً يقول فيها بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم لحضرة شيخ الإسلام أننا نزلنا عن المشيخة للشيخ بدوي الهيثمي إلى آخر ما قال فعندما سمع الحاضرون ذلك القول قاموا قومة وأكثرهم طائفة الشوام وقال بعضهم هو لم يثبت له مشيخة حتى أنه نزل عنها لغيره وقال كبارهم من المدرسين لا يكون شيخاً إلا من يدرس العلوم ويفيد الطلبة وزادوا في اللغط فقال القاضي ومن الذي ترضونه فقالوا نرضى الشيخ المهدي وكذلك قال البقية وقاموا وصافحوه وقرأوا الفاتحة وكتب القاضي إعلاماً إلى الباشا بما حصل وانفض الجمع وركب الشيخ المهدي إلى بيته في كبكبة وحوله وخلفه المشايخ وطوائف المجاورين وشربوا الشربات وأقبلت عليه الناس للتهنئة وانتظر جواب الإعلام بقية ذلك اليوم، فلم يأت الجواب ومضى اليوم الثاني والمدبرون يدبرون شغلهم وأحضروا الشيخ الشنواني من المكان الذي كان متغيباً فيه بمصر القديمة وتمموا شغلهم وأحضروا السيد منصور اليافاوي المنفصل عن مشيخة الشوام ليلاً ليعيدوه إلى مشيخة الشوام ويمنعوا الشيخ قاسماً المتولي فعاله ولطائفته الذين تطاولوا في مجلس القاضي بالكلام وجمعوا بقية المشايخ آخر الليل وركبوا في الصباح إلى القلعة فقابلوا الباشا فخلع على الشيخ محمد الشنواني فروة سمور وجعله شيخاً على الأزهر، وكذلك على السيد منصور اليافاوي ليكون شيخاً على رواق الشوام، كما كان في السابق، ثم نزلوا وركبوا وصحبتهم آغات الينكجرية بهيئة

الموكب وعلى رأسه المجوزة الكبيرة وأمامه الملازمون بالبراقع والريش على رؤوسهم وما زالوا سائرين حتى دخلوا حارة خوشقدم فتزلوا بدار ابن الزليجي لأن دار ذات الشيخ الشنواني صغيرة وضيقة لا تسع ذلك الجمع والذي أنزله في ذلك المترل السيد محمد المحروقي وقام له بجميع الاحتياجات وأرسل من الليل الطباخين والفراشين والأغنام والأرز والحطب والسمن والعسل والسكر والقهوة وأوقف عبيده وخدمه لخدمة القادمين للسلام والتهنئة ومناولة القهوة والشربات والبخور وماء الورد وازدحمت الناس عليه وأتوا أفواجاً إليه وكان ذلك يوم الثلاثاء رابع عشره ووصل الخبر إلى الشيخ المهدي ومن معه وحصل لهم كسوف وبطلت مشيخته، ولما كان يوم الجمعة حضر الشيخ الجديد إلى الأزهر وصلى الجمعة وحضر باقي المشايخ وعملوا الختم للشيخ الشرقاوي وحصل ازدحام عظيم خصوصاً للتفرج على الشيخ الجديد، وكأنه لم يكن طول دهره بينهم ولا يلتفتون إليه وبعد فراغ الختم أنشد المنشد قصيدة يرثي بها المتوفي من نظم الشيخ عبد الله العدوي المعروف بالقاضي وانفض الجميع.

ومات الأستاذ المكرم بقية السلف الصالحين ونتيجة الخلف المعتقد الشيخ محمد المكني أبا السعود بن الشيخ محمد جلال بن الشيخ محمد أفندي المكني بأبي المكارم بن السيد عبد المنعم بن السيد محمد المكني بأبي السرور صاحب الترجمة بن السيد القطب الملقب بأبي السرور البكري الصديقي العمري من جهة الأم تولى خلافة سجادهم في سنة سبع عشرة ومائتين وألف عندما عزل ابن عمه السيد خليل البكري، ولم تكن الخلافة في فرعهم بل كانت في أولاد الشيخ أحمد بن عبد المنعم وآخرهم السيد خليل المذكور، فلما حضرت العثمانية إلى مصر واستقر في ولايتها محمد باشا خسروا سعى في السيد خليل الكارهون له وأنهوا إليه فيه ورموه بالقبائح ومنها تداخله في الفرنسيس وامتزاجه بهم وعزلوه من نقابة الأشراف وردت للسيد عمر مكرم، ولم يكتفوا بذلك وذكروا أنه لا يصلح لخلافة البكرية فقال الباشا وهل موجود في أولادهم خلافة قالوا نعم وذكروا المترجم فيمن ذكروه وأنه قد طعن في السن وفقير من المال فقال الباشا الفقر لا ينفي النسب وأمر له بفرس وسرج وعباءة كعادة مركوبهم فأحضروه وألبسوه التاج والفرجية وخلع عليه الباشا فروة سمور وأنعم عليه بخمسة أكياس وأن يأخذ له فائظاً في بعض الإقطاعات ويعفى من الحلوان وسكن بدار جهة باب الخرق وراج أمره واشتهر ذكره من حينئذ وسار سيراً حسناً مقروناً بالكمال جارياً على نسق نظامهم بحسب الحال ويتحاكم لديه خلفاء الطرائق الصورية وأصحاب الأشاير البدعية كالأحمدية والرفاعية والبرهامية والقادرية فيفصل قوانينهم العادية وينتقل في أوائل شهر ربيع الأول إلى داره بالأزبكية بدرب عبد الحق فيعمل هناك وليمة المولد النبوي على العادة وكذلك مولد المعراج في شهر رجب بزاوية الدشطوطي خارج باب العدوي، ولم يزل على حالته وطريقته مع انكسار النفس إلى أن ضعفت قواه وتعلل ولازم الفراش، فعند ذلك طلب الشيخ الشنواني وباقي المشايخ وعرفهم أن مرضه الذي هو به مرض الموت لأنه بلغ التسعين وزيادة وأنه عهد بالخلافة على سجادهم لولده السيد محمد لأنه بالغ رشيد والتمس منهم بأن يركبوا معه من الغد ويطلعوا إلى القلعة ويقابلوا به الباشا فأجابوه إلى ذلك وركبوا من الغد صحبته إلى القلعة فخلع عليه الباشا فروة سمور، ونزل إلى داره بالأزبكية بدرب عبد الحق وتوفي المترجم في أواخر شهر شوال من السنة، وحضروا بجنازته إلى الأزهر فصلوا عليه وذهبوا به إلى القرافة ودفن بمشهد أسلافهم رحمه الله تعالى.

ومات الأجل المكرم المهذب في نفسه النادرة في أبناء جنسه محمد أفندي الودنلي الذي عرف بناظر المهمات ويعرف أيضاً بطبل أي الأعرج لأنه كان به عرج قدم إلى مصر في أيام قدوم الوزير يوسف باشا وولاه محمد باشا خسرو كشوفية أسيوط، ثم رجع إلى مصر في ولاية محمد علي باشا فجعله ناظراً على مهمات الدولة وسكن ببيت سليمان أفندي ميسواً بعطفة أبي كلبة بناحية الدرب الأحمر فتقيد بعمل الخيام والسروج واليرقات ولوازم الحروب فضاقت عليه الدار فاشترى بيت ابن الدالي باللبودية بالقرب من قنطرة عمر شاه وهي دار واسعة عظيمة متخربة هي وما حولها من الدور والرباع والحوانيت فعمرها وسكن بها ورتب بها ورشات أرباب الأشغال والصنائع والمهمات المتعلقة بالدولة كسبك المدافع والجلل والقنابر والمكاحل والعربات وغير ذلك من الخيام والسروج ومصاريف طرائف العساكر الطبجية والعربجية والرماة وعمر ما حول تلك الدار من الرباع والحونيت والمسجد الذي بجواره ومكتباً لإقراء الأطفال ورتب تدريساً في المسجد المذكور بعد العصر وقرر فيه السيد أحمد الطحطاوي الحنفي ومعه عشرة من الطلبة ورتب لهم ألف عثماني تصرف لهم من الروزنامة وللأطفال وكسوتهم خلاف ذلك ويشتري في عيد الأضحى جواميس وكباشاً يذبح منها ويفرق على الفقراء والموظفين ويرسل إلى أصحابه عدة أكباش في عيد الأضحية إلى بيوتهم الكبش والكبشين على قدر مقاديرهم ويرسل في كل ليلة من ليالي رمضان عدة قصاع مملوءة بالثريد واللحم إلى الفقراء بالجامع الأزهر واتفق أن الباشا قصد تعمير المجراة والسواقي التي تنقل الماء من النيل إلى القلعة، وكانت قد تهدمت وتخربت وتلاشت وبطل عملها مدة سنين فأحضروا المعمارجية فهولوا عليه أمرها وأخبروه أنها تحتاج خمسمائة كيس تنفق في عمارتها فعرض ذلك على المترجم فقال له: أنا أعمرها بمائة كيس قال كيف تقول قال بل بثمانين كيساً والتزم بذلك، ثم شرع بعمارتها حتى أتمها على ما هي عليه الآن وأهدى إليه رجال دولتهم عدة أنوار معونة له فعمر أيضاً سواقيها وأدارها وجرى فيها الماء إلى القلعة ونواحيها وانتفع بها أهل تلك الجهات ورخص الماء وكثر في تلك الأخطاط وكانوا قاسوا شدة من عدم الماء عدة سنين ومما عد من مناقبه أن القلقات المقيدين بالمراكز وأبواب المدينة كانوا يأخذون من الواردين والداخلين والخارجين والمسافرين من الفلاحين وغيرهم ومهم أشياء أو أحمال ولو حطباً أو برسيماً أو تبناً أو سرجينا دراهم على كل شيء ولو امرأة فقيرة معها أو على رأسها مقطف من رجيع البهائم تبيعه في الشارع وتقتات بثمنه فيحجزونها ولا يدعونها تمر حتى تدفع لهم نصف فضة، ثم يأخذون أيضاً من ذلك الشيء ويأخذون على كل حمل حمار أو بغل أو جمل نصف فضة وإذا اشترى شخص من ساحل بولاق أو مصر القديمة أردب غلة أو حملة حطب لعياله أخذ منه المتقيدون عند قنطرة الليمون فإذا خلص منهم استقبله الكائنون بالباب الحديد وهكذا سائر الطرق التي يدخل منها المارة إلى المدينة ويخرجون مثل باب النصر وباب الفتوح وباب الشعرية وباب العدوي وطرق الأزبكية وباب القرافة والبرقية وطرق مصر القديمة، فسعى المترجم بأبطال ذلك وتكلم مع الباشا وعرفه تضرر الناس وخصوصاً الفقراء وهؤلاء المتقيدون لهم علائف يقبضونها من الباشا كغيرهم وهذا قدر زائد مرخص له في إبطال هذا الأمر وكتب له بيور لدي بمنع هؤلاء المذكورين عن أخذ شيء من الناس جملة كافية وقيد بكل مركز شخصاً من أتباعه لمراقبتهم وأشاع ذلك في الناس فانكفوا وامتنعوا عن أخذ شيء من عامة الناس وكانوا يجمعون من ذلك مقادير من الفضة العددية يتقاسمونها آخر النهار، وذلك خلاف ما يأخذونه من الأشياء المحمولة كالجبن والزبد والخيار والقثاء وأنواع البطيخ والفاكهة والبرسيم والأحطاب والخضارات وغير ذلك ومن مناقبه أيضاً أن الجاويشية والقواسة الأتراك

المختصين بخدمة الباشا كتخدا، كان من عوائدهم القبيحة أنهم في كل يوم جمعة يلبسون أحسن ملابسهم وينتشرون بالمدينة ويطوفون على بيوت الأعيان وأرباب المظاهر وأصحاب المناصب ويأخذون منهم البقاشيش ويسمونها الجمعية فما هو إلا أن يصطبح أحد من ذكر ويجلس مجلسه إلا واثنان أو ثلاثة عابرون عليه من غير استئذان فيقفون قبالته وبأيديهم العصي المفضضة فيعطيهم القرشين أو الثلاثة بحسب منصبه ومقامه،

فإذا ذهبوا وانصرفوا حضر إليه خلافهم وهكذا ولا يرون في ذلك ثقلاً ولا رذالة بل يرون أن ذلك من اللازمات الواجبة فلا يكفي أحد المقصودين الخمسون قرشاً أو أقل أو أكثر في ذلك اليوم تذهب سبهللاً، فكان منهم من ينقطع في حريمه ذلك اليوم أو يتوارى ويغيب في منزله فإذا صادفوه مرة أخرى ذاكروه فيما فاتهم في السابق، فإما سامحوه وامتنوا عليه بتركها أو طالبوه بها إن لم يكن ممن يخشوه فسعى أيضاً المترجم مع الباشا على منعهم من ذلك.

ومن مساويه أنه أول من فتح باب الزيادة في متحصل الضربخانة حتى تنبه الباشا من ذلك الوقت لأهل الضربخانة وأوقع بهم ما تقدم ذكره ومنها أحداث المكس على اللبان والحناء والصمغ على ما قيل ومن ذا الذي نرضى سجاياه كلها كفى المرء نبلاً أن تعد معايبه وبالجملة فمن رأس العين يأتي الكدر، كما قال الليث بن سعد لما سأله الرشيد وقال له يا أبا الحرث ما صلاح أمر زراعتها وجدها وخصبها فبالنيل، وأما صلاح أحكامها فمن رأس العين يأتي الكدر، فقال له صدقت ذكر ذلك الحافظ بن حجر في المرحمة الغيثية في الترجمة الليثية وعلى كل فكان المترجم أحسن من رأينا في هذه الدولة، وكان قريباً من الخير وفعله مواظباً على الصلوات الخمس في أوقاتها ملازماً على الاشتغال ومطالعة الكتب والممارسة في دقائق الفنون، واقتنى كتباً كثيرة في سائر الفنون واستنباط الصنائع حتى أنه صنع الجوخ الملون الذي كان يعمل ببلاد الإفرنج ويجلب إلى الآفاق ويلبسه الناس للتجمل، وكان قل وجوده بمصر وغلا ثمنه فعمل عدة أنوال ومناسج غريبة الواضع وأحضر أشخاصاً من النساجين فنسجوا الصوف بعد غزله مدات حددها لهم في الطول والعرض، ثم بتسلمه رجال أعدهم لتخميره وتلبيده بالقلي والصابون منشوراً ومطوياً بكيفيات في أوقات وأيام بمباشرته لهم في العمل وإشارته، ثم يضعونه مطوياً في أحواض من خشب ثخين مزفت تمتلئ بالماء من ساقية صنعها لخصوص ذلك يصب منها الماء إلى تلك الأحواض تديرها الأثوار، وعلى تلك الأحواض مدقات شبيهة بمدقات الأرز تتحرك في صعودها وهبوطها من ترس خاص يدور بدوران الساقية، وما يفيض من ماء الأحواض يجري إلى بستان زرعه حول ذلك فيسقي ما به من الأشجار والمزارع، فلا يذهب الماء هدراً، ثم يخرجونه بعد ذلك ويبردخونه ويصبغونه بأنواع الأصباغ ويضعونه في مكبس كبير يقال له التخت صنعه لذلك، وعند ذلك يتم عمله فكان الناس يذهبون للتفرج على ذلك لغرابته عندهم، ثم حضر إليه شخص فرنساوي وأشار عليه بإشارات في تغيير المدقات وأفسد العمل واشتغل هو بكثرة المهمات الصعبة فتكاسل عن إعادتها ثانياً وبطل ذلك، وكان مع كثرة أشغاله ومصاريفه ليس له كاتباً بل يكتب ويحسب لنفسه وبين يديه عدة دفاتر لكل شيء دفتر مخصوص ولا يشغله شيء عن شيء، ولما اتسعت دائرته وكثرت حاشيته

واجتمعت فيه عدة مناصب مضافة لنظر المهمات مثل معمل البارود وقاعة الفضة ومدابغ الجلود، وغير ذلك فكان كتخدا بك يحقد عليه في الباطن لأمور بينهما حتى قيل أن نفسه طمحت في الكتخدائية، فكان يتصدر في الأمور والقضايا ويرافع ويدافع ويهزل مع الباشا ويضاحكه ويرادده ويدخل عليه من غير استئذان، فلم يزل الكتخدا يلقي فيه الدسائس ويعمل معدل الأشغال التي تحت نظره ويعرف الباشا بما يتوفر من ذلك حتى نزعه من نظارة جميع المهمات وقلدها صالح كتخدا الرزاز.

ومما نقمه عليه أن الكتخدا حضر لزيارة المشهد الحسيني في عصرية يوم رمضان، ثم ركب متوجهاً إلى داره قبيل الغروب فصادف في طريقه عدة قصاع كبار مغطاة تحملها الرجال فسأل عنها فعرفوه أن المترجم يرسلها في كل ليلة من ليالي رمضان إلى فقراء الجامع الأزهر وبها الثريد واللحم فامتعض من ذلك وعرف الباشا أن يؤلف الناس ويتوادد إليهم بأموالك، ونحو ذلك واستمر المترجم بطالاً نحو السنتين ولم يتضعضع، ولم يظهر عليه تغير ونظامه ومطبخه على حاله وطعامه مبذول وراتبه جار وفي تلك المدة اشتغل بمطالعة الكتب والممارسة والمدارسة وعانى الحسابيات وصناعة التقويم حتى مهر في ذلك وعمل الدستور السنوي وما يشتمل عليه من تقويم الكواكب السيارة وتداخل التواريخ والأهلة والاجتماعات والاستقبالات وطوالع التحاويل والنصبات ويصنع بيده أيضاً الصنائع الفائقة مثل الظروف التي تأتي من بلاد الهند والإفرنج والروم ويضع فيها الكتبة محابرهم وأقلامهم فيصنعها أولاً من الخشب الرقيق والقرطاس المقوم المتلاصق ويصبغها وينقشها بأنواع الليق ويعيد على النقوشات بالسندروس المحلول ويضعها في صندوق من الزجاج صنعه لخصوص تلك الأشياء والقبورات وجفاف دهانها بحرارة الشمس المحجوب بالزجاج عن الهواء والغبار وعند تمامها تكون في غاية الحسن والظرافة والبهجة بحيث لا يشك من يراها بأنها من صناعة الهند أو الإفرنج المتقنين الصناعة وكان كلما سمع بشخص ذي معرفة لصناعة البضائع أو المعارف اجتهد في تحصيلها وتلقيها عنه بأي وجه كان ولو ببذل الرغائب وأعد بمنزله أماكن لأشخاص من أرباب المعارف يترلهم فيها ويجري عليهم النفقات والكساوي حتى يجتني ثمار معارفهم وصنائعهم ويجتمع عنده في كل ليلة جمعة جماعة من القراء التي مساكنهم قريبة من داره فيذكر الله معهم حصة من الليل، ثم يفرق فيهم دراهم ولما طال به الإهمال وفتور الأحوال والباشا قليل الإقامة بمصر وأكثر أيامه غائب عنها فحسن بباله الرحلة من مصر إلى الديار الرومية ويذهب إلى بلاده فاستأذن الباشا عند وداعه وهو متوجه إلى ناحية قبلي فأذن له وأخذ في أسباب السفر فأرسل الكتخدا إلى الباشا ودس إليه كلاماً فأرسل بمنعه ويرتب له خروجاً لمطبخه فتعوق عن السفر على غير خاطره وفي أوائل السنة حضرت إليه والدته وابنته وزوجها فأنزلهم في دار تجاه داره وأجرى عليهم ما يحتاجون إليه من النفقة فاتفق أن صهره المذكور حلف يميناً بالطلاق الثلاث وحنث فيه ففرق بينه وبين ابنته وطرده فشكاه إلى كتخدا بك فكلمه في شأنه، فلم يقبل وقال لا يجوز أن أحلل المحرم لأجلك واستمر صهره يتردد على الكتخدا ويلقي ما يلقيه في حقه من النميمة ويذكر له عنه في حقه ما يزيده غيظاً وكراهة ويقول له أنه يجمع أناساً في كل ليلة جمعة يقرؤون ويدعون عليه وعلى مخدومك وذكر له أنه يقول لكم أن قصدت السفر إلى بلده وإنما قصده السفر إلى إسلامبول ليجتمع على مخدومه الأول لكونه تولى قبودان باشا ورياسة الدونانمة ويقول عندما أكون بدار السلطنة أفعل وأفعل وأخبرهم بحقيقة هؤلاء وأفاعيلهم وانقض عليهم أمرهم وذكر له أيضاً أنه استخرج من أحكام النجوم التي يعانيها أن الباشا يحصل له نكبة بعد مدة قريبة ويحصل ما يحصل من الفتن فيريد الخروج من مصر قبل وقوع ذلك، ونحو ذلك، فلما رجع الباشا من سفرته توسل المترجم بالكتخدا في أن يأخذ له إذناً من الباشا بالسفر وهو لا يعلم سريرته ففاوض الباشا في ذلك وألقى إليه ما ألقاه حتى أوغر صدره منه، ثم رد عليه بقوله إني استأذنت الباشا فلم يسهل به مفارقتك وقال أن كان عن ضيق في المعيشة فأطلق له في كل شهر كيسين عنها أربعون ألف نصف فضة، فلما قال له ذلك قال: أنا لا يكفيني هذا المقدار فإن كان فيطلق لي خمسة أكياس فقال لم يرض بأزيد مما ذكرته لك وكل ذلك مخادعة من الكتخدا ليحقق ما حشده في صدر مخدومه وما زال

يتردد في طلب الإذن حتى أذن له وأضمر له القتل بعد خروجه من مصر فعند ذلك باع داره وما استجده حولها والبستان خارج قناطر السباع وما زاد عن حاجته من الأشياء والأمتعة واشترى عبيداً وجواري وقضى لوازمه وسافر إلى رشيد، فعندما مضى من نزوله يومان أو ثلاثة كتبوا إلى خليل بك حاكم الإسكندرية مرسوماً بقتله فبلغه خبر ذلك وهو بثغر رشيد، فلم يصدقه وقال أي ذنب استوجب به القتل ولو أراد

قتلي ما الذي يمنعه منه وأنا عنده بمصر وأن سافرت بإذنه وودعته وقبلت يديه وأخذت خاطره وهو مبشوش معي كعادته، فلما حصل بالإسكندرية واستقر بالسفينة ومضى أيام وهم ينتظرون اعتدال الريح والإذن من الحاكم بالإقلاع، ووصل المرسوم إلى خليل بك فأرسل إليه في وقت يدعوه ليتغدى معه في رأس التين ونظر إلى خليل بك وهو واقف في انتظاره على بعد منه فوق علوة فأجاب وخرج من السفينة فوصل إليه جماعة من العسكر وأحاطوا به فتحقق عند ذلك ما كان بلغه وهو برشيد ونظر إلى خليل بك فلم يره فقال أمهلوني حتى أتوضأ وأصلي ركعتين وقام من حلاوة الروح وألقى بنفسه في البحر فضربوا عليه بالرصاص وأخرجوه وتمموا قتله وأخرجوا صناديقه وأخذوا ما فيها من الكتب لأن الباشا أرسل بطلبها وأخذ ما معه من المال والدراهم خليل بك فأعطى لولده جانباً وأذن له بالسفر مع عياله وانقضى أمره، ووصلت الكتب إلى سراية الباشا وأودعت عند ولي خوجا وتبدد الكثير منها وفرق منها عدة على غير أهلها وكانت قتلته في أواخر شهر صفر من السنة والله أعلم.

ثم دخلت سنة ثماني وعشرين ومائتين وألف

استهل المحرم بيوم الاثنين سنة 1228

فيه وصل الخبر من الجهة القبلية بأن إبراهيم بك ابن الباشا قبض على أحمد أفندي ابن حافظ أفندي الذي بيده دفاتر الرزق الأحباسية وشنقه وضرب قاسم أفندي بن أمين الدين كاتب الشهر علقة قوية، وكان والده أصحبهما معه ليباشرا معه الأمور ويعرفاه الأحوال وكان قاسم أفندي خصيصاً به مثل الوزير والصاحب والنديم ورتب له الباشا في كل سنة ثمانين كيساً خلاف الخروج والكساوي وشرط عليه المناصحة في كشف المستورات وما يكون فيه تحصيل الأموال فكأنه قصر في كشف بعض الأشياء وأرسل إلى والده يعلمه بخيانته هو وكاتب الأرزاق وأنهما منهمكان في ملاذهما فأذن له في فعله بهما ما ذكر وأخذ ما كانا يجمعاه لأنفسهما وأظهر أنه إنما فعل ذلك بهما عقوبة على ارتكابهما المعصية.

وفي عشرينه، حضر إبراهيم بك المذكور إلى مصر وفيه حصلت منافسة بين حسين أفندي الروزنامجي وبين شخصين من كتابه وهما مصطفى أفندي باش جاجرت وقيطاس ولعل ذلك بإغراء باطني على حسين أفندي فرفعا أمرهما إلى الباشا وعرفاه عن مصارف وأمور يفعلها حسين أفندي ويخفيها عن الباشا وأنه إذا حوسب على السنين الماضية يطلع عليه ألوف من الأكياس، فعندما سمع ذلك أمرهما بمباشرة حسابه عن أربع سنوات متقدمة فخرجا من عدنه وأخذا صحبتهما مباشراً تركيا ونزلوا على حسين غفلة بعد العصر وتوجهوا إلى مترل أخيه عثمان أفندي السروجي ففتحوا خزانة الدفاتر وأخذوها بتمامها إلى بيت ابن الباشا إبراهيم بك الدفتردار واجتمعوا في صبحها للمحاققة والحساب مع أخيه عثمان أفندي المذكور واستمروا في المناقشة والمحاققة عدة أيام مع المرافعة والمدافعة والميل الكلي على حسين أفندي ويذهبون في كل ليلة يخبرون الباشا بما يفعلون وبالقدر الذي ظهر عليه فيعجبه ذلك ويثني عليهما ويحرضهما على التدقيق فتنتفخ أوداجهما ويزيدان في الممانعة والمدافعة والمرافعة في الحساب وحسن أفندي على جليته ويظن أنه على عادته في كونه مطلق التصرف في الأموال الميرية ويبلغها إذا سئل فيها للقائم بالدولة إيراداً ومصرفاً ليكون إجمالاً لا تفصيلاً لكونه أميناً وعدلاً وكان الإيراد والمصرف محرراً أو مضبوطاً في الدفاتر التي بأيدي الأفندية الكتاب ومن انضم إليهم من كتاب اليهود في دفاترهم أيضاً بالعبراني لتكون كل فرقة شاهدة وضابطة على الأخرى فلما استقل هذا الباشا بمملكة الديار المصرية واستغول في تحصيل الأموال بأي وجه واستحدث أقلام المكوس وجعلها في دفاتر تحت أيدي الأفندية وكتبة الروزنامة فصارت من جملة الأموال الميرية في قبضها وصرفها وتحاويلها والباشا مرخى العنان للروزنامجي ومرخص له في الإذن والتصرف والروزنامجي كذلك مرخي العنان لأحد خواص كتابه المعروف بأحمد اليتيم لفطانته ودرايته فكان هو المشار إليه من دون الجميع ويتطاول عليهم ويمقت من فعل فعلاً دون اطلاعه وربما سبه ولو كان كبيراً أو أعلى مترلة منه في فنه فيمتلئ غيظاً وينقطع عن حضور الديوان فيهمله ولا يسأل عنه والأفندي الكبير الذي لا يخرج عن رأيه لكونه ساد أمسد الجميع فدبروا على أحمد أفندي المذكور وحفروا له وأغروا به حتى نكبه الباشا وصادره في ثمانين كيساً ومخدومه حسين أفندي في أربعمائة كيس وانقطع أحمد أفندي عن حضور الديوان وتقدم المتأخر وضم الباشا إلى ديوانهم من طرفه خليل أفندي وسموه كاتب الذمة بمعنى أنه لا يكتب تحويل ولا ورقة ميرى ولا خلاف ذلك مما يسطر في ديوانهم حتى

يطلع عليه خليل أفندي المذكور ويرسم عليه علامته فأحاط علمه بجميع أسرارهم وكل قليل يستخبر منه الباشا فيحيطه بمعلوماته، ولم يزل حتى تحول ديوانهم وانتقل إلى بيت خليل أفندي تجاه منزل إبراهيم بك ابن الباشا بالأزبكية وترأس بالديوان قاسم أفندي كاتب الشهر وقريبه قيطاس أفندي ومصطفى أفندي باش جاجرت وبعد مدة أشهر سافر إبراهيم بك وأخذ صحبته قاسم أفندي على الصورة المتقدمة والروزنامجي وولده محمد أفندي يراعيان جانب رفيقيه ولا يتعرضان لهما فيما يتصدران له ويضمانه في عهدهما. فلما وصل الخبر بنكبة إبراهيم بك لقاسم أفندي، فعند ذلك قصر معهما وأظهر ابن الروزنامجي مكمون غيظه في حقهما ومانعهما أيضاً وخشن القول لهما فاتفقا على إنهاء الحال إلى باب الباشا ففعلا ما ذكر، وكان حسين أفندي عندما استأذن الباشا في صرف ما يتعلق بمشايخ العلم والأفندية الكتبة والسيد محمد المحروقي بالكامل وما عداهم ربع استحقاقهم وكتب له فرماناً بذلك فقال له الروزنامجي في بعضهم من يستحق المراعاة كبعض أهل العلم الخاملين وأهل الحرمين المهاجرين ومستوطنين بمصر بعيالهم وليس لهم إيراد يتعيشون منه إلا ما هو مرتب لهم من العلائف في كل سنة وكذلك بعض الملتزمين الذين اعتادوا سداد ما عليهم من الميري وبعضه بما لهم من الإتلافات والعلائف والغلال فقال له النظر في ذلك لرأيك فإن هذا شيء يعسر ضبط جزئياته فاعتمد ذلك وطفق يفعل في البعض بالنصف والبعض بالثلث أو الثلثين، وأما العامة والأرامل فيصرف لهم الربع لا غير حسب الأمر ويقاسون في تحصيل ربع استحقاقهم الشدائد من السعي وتكرار الذهاب والتسويف والرجوع في الأكثر من

غير شيء مع بعد المسافة وفيهم الكثير من العواجز، فلما ترافعوا في الحساب مانع المتصدر فيما زاد على الربع وطلع إلى الباشا فعرفه بذلك فقال الباشا لا تخصموا له إلا ما كان بإذني وفرماني وما كان بدون ذلك فلا وأنكر الحال السابق منه له وقال هو متبرع فيما فعله فتأخر عليه مبلغ كبير في مدة أربع سنوات، وكذلك كان يحول عليه حوالات لكبار العسكر برسول من أتباعه فلا يسعه الممانعة ويدفع القدر المحول عليه بدون فرمان اتكالاً على الحلة التي هو معه عليها فرجعوا عليه في كثير من ذلك وتأخر عليه مبلغ كبير أيضاً فتتمموا حساب سنة واحدة على هذا النسق فبلغت نحو الألف كيس ومائتي كيس وكسور تبلغ في الأربع سنوات خمسة آلاف كيس فتقلق حسن أفندي وتحير في أمره وزاد وسواسه، ولم يجد مغيثاً ولا شافعاً ولا دافعاً.

وفي أواخره، عمل الباشا مهماً لختان ابن بونابارته الخازندار الغائب ببلاد الحجاز وعملوا له زفة في يوم الجمعة بعد الصلاة اجتمع الناس للفرجة عليها.

وفيه أيضاً زاد الإرجاف بحصول الطاعون وواقع الموت منه بالإسكندرية فأمر الباشا كورنتينه بثغر رشيد ودمياط والبراس وشبرا وأرسل إلى الكاشف الذي بالبحيرة بمنع المسافرين المارين من البر وأمر أيضاً بقراءة صحيح البخاري بالأزهر، وكذلك يقرأون بالمساجد والزوايا سورة الملك والأحقاف في كل ليلة بنية رفع الوباء فاجتمعوا إلا قليلاً بالأزهر نحو ثلاثة أيام، ثم تركوا ذلك وتكاسلوا عن الحضور.

وفي يوم الاثنين تاسع عشرينه، كسفت الشمس وقت الضحوة، وكان المنكسف نحو ثلاثة أرباع الجرم وكانت الشمس في برج الدلو أيام الشتاء فأظلم الجو إلا قليلاً، ولم ينتبه له كثير من الناس لظنهم أنها غيوم متراكمة لأنهم في فصل الشتاء.

واستهل شهر صفر بيوم الأربعاء سنة 1228

فيه في أخريات النهار هبت ريح جنوبية غربية عاصفة باردة واستمرت لعصر يوم السبت وكانت قوتها يوم الجمعة أثارت غباراً أصفر ورمالاً مع غيم مطبق وقتام ورش مطر قليل في بعض الأوقات.

وفي يوم الثلاثاء سابعه، وردت بشائر من البلاد الحجازية باستيلاء العساكر على جدة ومكة من غير حرب، وذلك أنه لما انهزمت الأتراك في العلم الماضي ورجعوا على الصورة التي رجعوا عليها مشتتين ومتفرقين وفيهم من حضر من طريق السويس ومنهم من أتى من البر ومنهم من حضر من ناحية القصير ونفى الباشا من استعجل بالهزيمة والرجوع من غير أمره ويخشى صولته ويرى في نفسه أنه أحق بالرياسة منه مثل صالح قوج وسليمان وحجو وأخرجهم من مصر واستراح منهم، ثم قتل أحمد آغا لاظ جدد ترتيباً آخر وعرفه كبراء العرب الذين استمالهم واندرجوا معه وشيخ الحويطات أن الذي حصل لهم إنما هو من العرب الموهبين وهم عرب حرب والصفراء وأنهم مجهودون والوهابية لا يعطونهم شيئاً ويقولون لهم قاتلوا عن دينكم وبلادكم فإن بذلتم لهم الأموال وأغدقتم عليهم بالأنعام والعطاء ارتدوا ورجعوا وصاروا معكم وملكوكم البلاد فاجتهد الباشا في جمع الأموال بأي وجه كان واستأنف الطلب ورتب الأمور وأشاع الخروج بنفسه ونصب العرضي خارج بالموكب، كما تقدم وجلس بالصيوان وقرر للسفر في المقدمة بونابارته الخازندار وأعطاه صناديق الأموال والكساوي وأرفق معه عابدين بك ومن يصحبهما وواظب على الخروج إلى العرضي والرجوع تارة إلى القلعة وتارة إلى الأزبكية والجيزة وقصر شبرا ويعمل الرماحة والميدان في يومي الخميس والاثنين والمصاف على طرائق حرب الإفرنج وسافر بونابارته في أواخر شعبان واستمر العرضي منصوباً والطلب كذلك مطلوباً والعساكر واردة من بلادها على طريق الإسكندرية ودمياط ويخرج الكثير إلى العرضي ويستمرون على الدخول إلى المدينة في الصباح لقضاء أشغالهم والرجوع أخريات النهار مع تعدي أذاهم للباعة والحمارة وغيرهم ولما غدر الباشا بأحمد آغا لاظ وقتله في أواخر رمضان، ولم يبق أحد ممن يخشى سطوته وسافر عابدين بك في شوال وارتحل بعده بنحو شهر مصطفى بك داني باشا وصحبته عدة وافرة من العسكر، ثم سافر أيضاً يحيى آغا ومعه نحو الخمسمائة وهكذا كل قليل ترحل طائفة بعد أخرى والعرضي كما هو ميدان الرماحة وكذلك، ولما وصل بونابارته إلى ينبع البر أخذوا في تأليف العربان واستمالتهم وذهب إليهم ابن شديد الحويطي ومن معه وتقابلوا مع شيخ حرب، ولم يزالوا به حتى وافقهم وحضروا به إلى بونابارته فأكرمه وخلع عليه الخلع، وكذلك على من حضر من أكابر العربان فألبسهم الكساوي والفراوي السمور والشالات الكشميري، ففرق عليهم من الكشمير ملء أربع سحاحير وصب عليهم الأموال وأعطى لشيخ حرب مائة ألف فرانسة عين وحضر باقي المشايخ فخلع عليهم وفرق فيهم فخص شيخ حرب بمفرده ثمانية عشر ألف فرانسة، ثم رتب لهم علائف تصرف لهم في كل شهر لكل شخص خمسة فرانسة وغرارة بقسماط وغرارة عدس، فعند ذلك ملكوهم الأرض والذي كان متأمراً بالمدينة من جنسهم فاستمالوه أيضاً وسلم لهم المدينة وكل ذلك بمخامرة الشريف غالب أمير مكة وتدبيره وإشارته، فلما تم ذلك أظهر الشريف غالب أمره وملكهم مكة والمدينة، وكان ابن مسعود الوهابي حضر في الموسم وحج، ثم ارتحل إلى الطائف وبعد رحيله فعل الشريف غالب فعله وسيلقي جزاءه، ولما وصلت البشائر بذلك في يوم الثلاثاء سابعه ضربوا مدافع كثيرة ونودي في صبح ذلك بزينة المدينة ومصر وبولاق فزينوا خمسة أيام أولها الأربعاء وآخرها الأحد وقاسى الناس في ليالي هذه الأيام العذاب الأليم من شدة البرد والصقيع وسهر الليل الطويل، وكان ذلك في قوة فصل الشتاء وكل

صاحب حانوت جالس فيها وبين يديه مجمرة نار يتدفأ ويصطلي بحرارتها وهو ملتف بالعباءة والأكسية الصوف أو اللحاف وخرج الباشا من ليلة الأربعاء المذكور ونصبت الخيام وخرجت الجمال المحملة باللوازم من الفرش والأواني وأزيار الماء والبارود لعمل الشنائك والحرائق وفي كل يوم يعمل مرماح وشنك عظيم مهول بالمدافع وبنادق الرصاص المتواصلة من غير فاصل مثل الرعود والطبول من طلوع الشمس إلى قريب الظهر وفي أول يوم من أيام الرمي أصيب إبراهيم بك ابن الباشا برصاصة في كتفه أصابت شخصاً من السواس ونفذت منه إليه وهي باردة فتعلل بسببها وخرج بعد يومين في عربة إلى العرضي، ثم رجع، ولما كان يوم الأحد وقت الزوال ركب الباشا وطلع إلى القلعة وقلعوا خيام الشنك وحملوا الجمال ودخلت طوائف العسكر وأذن للناس بقلع الزينة

ونزول التعاليق وكان الناس قد عمروا القناديل وأشاعوا أنها سبعة أيام، فلما حصل الإذن بالرفع فكأنما نشطوا من عقال وخلصوا من السجون لما قاسوه من البرد والسهر وتعطيل الأشغال وكساد الصنائع والتكليف بما لا طاقة لهم به وفيهم من لا يملك قوت عياله أو تعمير سراجه فيكلف مع ذلك هذه التكاليف، وكتب الباشا بالبشائر إلى دار السلطنة وأرسلها صحبة أمين جاويش، وكذلك إلى جميع النواحي وأنعم بالمناصب على خواصه.

وفي هذا الشهر، وردت أخبار بوقوع أمطار وثلوج كثيرة بناحية بحري وبالإسكندرية ورشيد بحدود الغربية والمنوفية والبحيرة وشدة برد ومات من ذلك أناس وبهائم والزروع البدرية وطف على وجه الماء أسماك موتى كثيرة، فكان موج البحر يلقيه على الشطوط وغرق كثير من السفن من الرياح العواصف التي هبت في أول الشهر.

وفي سابعه يوم وصول البشارة أحضر الباشا حسين أفندي الروزنامجي وخلع عليه خلعة الإبقاء على منصبه في الروزنامة وقرر عليه ألفين وخمسمائة كيس، وذلك أنهم لما رافعوه في الحساب على الطريقة المذكورة وأرسل إليه الباشا بطلب خمسمائة كيس من أصل الحساب فضاق خناقه، ولم يجد له شافعاً ولا ذا مرحمة فأرسل ولده إلى محمود بك الدويدار يستجير فيه وليكون واسطة بينه وبين الباشا وهو رجل ظاهره خلاف باطنه فذهب معه إلى الباشا فبش في وجهه ورحب به وأجلسه محمود بك في ناحية من المجلس وتناجى هو مع الباشا ورجع إليه يقول له أنه يقول أن الحساب لم يتم إلى هذا الحين وأنه ظهر على أبيك تاريخ أمس خمسة آلاف كيس وزيادة وأنا تكلمت معه وتشفعت عنده في ترك باقي الحساب والمسامحة في نصف المبلغ والكسور فيكون الباقي ألفين وخمسمائة كيس تقومون بدفعها فقال ومن أين لنا هذا القدر العظيم وقد عزلنا من المنصب أيضاً حتى كنا نتداين ولا يأمننا الناس إذا كان القدر دون هذا فرجع إلى الباشا وعاد إليه يقول له لم يمكني تضعيف القدر سوى ما سامح فيه، وأما المنصب فهو عليكم وفي غد يطلع والدك ويتجدد عليه الإبقاء وينكمد الخصم وعلى الله السداد ونهض وقبل يده وتوجه فنزل إلى دارهم وأخبر والده بما حصل فزاد كربه، ولم يسعه إلا التسليم وركب في صبحها وطلع إلى الباشا فخلع عليه ونزل إلى داره بقهره وشرع في بيع تعلقاته وما يتحصل لديه.

وفي يوم الاثنين ثالث عشره، خلع الباشا على مصطفى أفندي ونزل إلى داره وأتاه الناس يهنؤنه بالمنصب.

وفي يوم الأربعاء ثالث عشرينه، وردت بشائر بتملكهم الطائف وهروب المضايفي منها فعملوا شنكاً وضربوا مدافع كثيرة من القلعة وغيرها ثلاثة أيام في كل وقت أذان وشرع الباشا في تشهيل ولده إسمعيل باشا بالبشارة ليسافر إلى إسلامبول وتاريخ تملكها في سادس عشرين المحرم.

وفي هذه الأيام ابتدعوا تحرير الموازين وعملوا لذلك ديواناً بالقلعة وأمروا بإبطال موازين الباعة وإحضار ما عندهم من الصنج فيزنون الصنجة فإن كانت زائدة أو ناقصة أخذوها وأبقوها عندهم وإن كانت محررة الوزن ختموها بختم وأخذوا على كل ختم صنجة ثلاثة أنصاف فضة وهي النصف أوقية والأوقية إلى الرطل الذي يكون وزنه غير محور يعطونه رطلاً من حديد ويدفع ثمنه مائة نصف فضة والنصف رطل خمسون وهكذا وهو باب ينجمع منه أكياس كثيرة.

وفيه أيضاً طلب الباشا من عرب الفوائد غرامة سبعين ألف فرانسة فعصوا ورمحوا بإقليم الجيزة وأخذوا المواشي وشلحوا من صادفوه ورمح كاشف الجيزة عليهم فصادف منهم أباعر محملة أمتعة لهم وصحبتهم نساء وأولاد فأخذهم ورجع بهم.

وفيه سافر إبراهيم بك ابن الباشا إلى ناحية قبلي ووصلت الأخبار بوقوع الطاعون بالإسكندرية فاشتد خوف الباشا والعسكر مع قساوتهم وعسفهم وعدم مرحمتهم.

واستهل شهر ربيع الأول بيوم الخميس سنة 1228

فيه قلدوا شخصاً يسمى حسين البرلي وهو الكتخدا عند كتخدا بك وجعلوه في منصب بيت المال وعزلوا رجب آغا وكان إنساناً سهلاً لا بأس به، فلما تولى هذا أرسل لجميع مشايخ الخطط والحارات وقيد عليهم بأنهم يخبرونه بكل من مات من ذكر أو أنثى ولو كان ذا أولاد وورثة أو غير ذلك، وكذلك على حوانيت الأموات وأرسل فرمانات إلى بلاد الأرياف والبنادر بمعنى ذلك.

وفي يوم الأحد رابعه، طلب الباشا حسن أفندي الروزنامجي وطلب منه ما قرره عليه وكان قد باع حصصه وأملاكه وأدر مسكنه، فلم يوف إلا خمسمائة كيس فقال له مالك لك توف القدر المطلوب وما هذا التأخير وأنا محتاج إلى المال، فقال لم يبق عندي شيء، وقد بعت التزامي وأملاكي وبيتي وتداينت من الربويين حتى وفيت خمسمائة كيس وها أنا بين يديك فقال له هذا كلام لا يروج علي ولا ينفعك بل أخرج المال المدفون فقال لم يكن عندي مال مدفون وأما الذي أخبرك عنه فيذهب فيخرجه من محله فحنق منه وسبه وقبض على لحيته ولطمه على وجهه وجرد السيف ليضربه فترجى فيه الكتخدا والحاضرون فأمر به فبطحوه وأمر القواسة الأتراك بضربه فضربوه بالعصي المفضضة التي بأيديهم بعد أن ضربه هو بيده عدة عصي وشج جبهته حتى أتوا عليه، ثم أقاموه وألبسوه فروته وحملوه وهو مغشى عليه وأركبوه حماراً وأحاط به خدمه وأتباعه حتى أوصلوه إلى منزله وأرسل معه جماعة من العسكر يلازمونه ولا يدعونه يدخل إلى حريمه ولا يصل إليهم منه أحد وركب في أثره محمود بك الدويدار بأمر الباشا وعبر داره ودار أخيه عثمان أفندي المذكور وأخذه صحبته إلى القلعة وسجنوه وأما ولده وأخواه فإنهم تغيبوا من وقت الطلب واختفوا ونزل في اليوم الثاني إبراهيم آغا أغات الباب يطالبه بغلاق ثمانمائة كيس وقتئذ فقال له وكيف أحصل شيئاً وأنا رجل ضعيف وأخي عثمان عندكم في الترسيم وهو الذي يعينني ويقضي أشغالي وأخذتم دفاتري المختصة بأحوالي مع ما أخذتموه من الدفاتر فأقام عنده إبراهيم آغا برهة، ثم ركب إلى الباشا وكلمه في ذلك فأطلقه له أخاه ليسعى في التحصيل.

وفي حادي عشره، عدى الباشا إلى بر الجيزة بقصد السفر إلى بلاد الفيوم وأخذ صحبته كتبة مباشرين مسلمين ونصارى

وأشاع أن سفره إلى الصعيد ليكشف على الأراضي وروكها وارتحل في ليلة الثلاثاء ثالث عشره بعد أن وجه ابنه إسمعيل إلى الديار الرومية في تلك الليلة بالبشارة. وفي خامس عشرينه، حضر لطيف آغا راجعاً من إسلامبول وكان قد توجه ببشارة فتح الحرمين وأخبروا أنه لما وصل إلى قرب دار السلطنة خرج لملاقاته الأعيان وعند دخوله إلى البلدة عملوا له موكباً عظيماً مشى فيه أعيان الدولة وأكابرهم وصحبته عدة مفاتيح زعموا أنها مفاتيح مكة وجدة والمدينة وضعوها على صفائح الذهب والفضة والعطر والطيب وخلفهم الطبول والزمور وعملوا لذلك شنكاً ومدافع وأنعم عليه السلطان وأعطاه خلعاً وهدايا، وكذلك أكابر الدولة وأنعم عليه الخنكار بطوخين وصار يقال له لطيف باشا.

وفيه وردت الأخبار بقدوم قهوجي باشا ومعه خلع وأطواخ للباشا وعدة أطواخ بولايات لمن يختار تقليده فاحتفل الباشا به عندما وصلته أخباره وأرسل إلى أمراء الثغور بالإسكندرية ودمياط بالاعتناء بملاقاته عند وروده على ثغر منها.

وفيه حضر خليل بك حاكم الإسكندرية إلى مصر فراراً من الطاعون لأنه قد فشا بها ومات أكثر عسكره وأتباعه.

واستهل شهر ربيع الثاني بيوم الأحد سنة 1228

في ثامنه، حضر الباشا على حين غفلة من الفيوم إلى الجيزة وأخبروا أنه لما وصل إلى ناحية بني سويف ركب بغلة سريعة العدو ومعه بعض خواصه على الهجن والبغال فوصل إلى الفيوم في أربع ساعات وانقطع أكثر المرافقين له ومات منهم سبعة عشر هجيناً.

وفي يوم الثلاثاء عاشره، عملوا مولد المشهد الحسيني المعتاد وتقيد لتنظيمه السيد المحروقي الذي تولى النظارة عليه وجلس ببيت السادات المجاور للمشهد بعد أن أخلوه له وفي ذلك اليوم أمر الباشا بعمل كورنتينه بالجيزة ونوه بإقامته بها وزاد به الخوف والوهم من الطاعون لحصول القليل منه بمصر وهلك الحكيم الفرنساوي وبعض نصارى أروام وهم يعتقدون صحة الكورنتينة وأنها تمنع الطاعون وقاضي الشريعة الذي هو قاضي العسكر يحقق قولهم ويمشي على مذهبهم ولرغبة الباشا في الحياة الدنيا، وكذلك أهل دائرته وخوفهم من الموت يصدقون قولهم حتى أنه اتفق أنه مات بالمحكمة عند القاضي شخص من أتباعه فأمر بحرق ثيابه وغسل المحل الذي مات فيه وتبخيره بالبخورات وكذلك غسل الأواني التي كان يمسها وبخروها وأمروا أصحاب الشرطة أنهم يأمرون الناس وأصحاب الأسواق بالكنس والرش والتنظيف في كل وقت ونشر الثياب وإذا ورد عليهم مكاتبات خرقوها بالسكاكين ودخنوها بالبخور قبل ورودها، ولما عزم الباشا على كورنتينة الجيزة أرسل في ذلك اليوم بأن ينادوا بها على سكانها بأن من كان يملك قوته وقوت عياله ستين يوماً وأحب الإقامة فليمكث بالبلدة وإلا فليخرج منها ويذهب ويسكن حيث أراد في غيرها ولهم مهلة أربع ساعات فانزعج سكان الجيزة، وخرج من خرج وأقام من أقام، وكان ذلك وقت الحصاد ولهم مزارع وأسباب مع مجاوريهم من أهل القرى ولا يخفى احتياجات الشخص لنفسه وعياله وبهائمه فمنعوا جميع ذلك حتى سدوا خروق السور والأبواب ومنعوا المعادي مطلقاً وأقام الباشا ببيت الأزبكية لا يجتمع بأحد من الناس إلى يوم الجمعة فعدى في ذلك اليوم وقت الفجر وطلع إلى قصر الجيزة وأوقف مركبين الأولى ببر الجيزة والأخرى في مقابلتها ببر مصر القديمة فإذا أرسل الكتخدا أو المعلم غالي إليه مراسلة ناولها المرسل للمقيد بذلك في طرف مزراق بعد تبخير الورقة بالشيح

واللبان والكبريت ويتناولها منه الآخر بمزراق آخر على بعد منهما وعاد راجعاً فإذا قرب من البر تناولها المنتظر له أيضاً بمزراق وغمسها في الخل وبخرها بالبخور المذكور، ثم يوصلها لحضرة المشار إليه بكيفية أخرى فأقام أياماً وسافر إلى الفيوم ورجع كما ذكر وأرسل مماليكه ومن يعز عليه ويخاف عليه من الموت إلى أسيوط.

وفي يوم السبت سابعه، نودي بالأسواق بأن السيد محمد المحروقي في شاه بندر التجار بمصر وله الحكم على جميع التجار وأهل الحرف والمتسببين في قضاياهم وقوانينهم وله الأمر والنهي فيهم.

وفيه وصل إلى مصر عدة كبيرة من العساكر الرومية على طريق دمياط ونصبوا لهم وطافا خارج باب النصر وحضر فيهم نحو الخمسمائة نفر أرباب صنائع بنائين ونجارين وخراطين فأنزلوهم بوكالة بخط الخليفة.

وفي يوم الأحد ثامنه، تقلد الحسبة الخواجا محمود حسن ولبس الخلعة وركب وشق المدينة وأماه الميزان فرسم برد الموازين إلى الأرطال الزياتي التي عبره الرطل منها أربع عشرة وقية في جميع الأدهان والخضراوات على العادة القديمة ونقص من أسعار اللحم وغيره ففرح الناس بذلك ولكن لم يستمر ذلك.

وفي يوم الأربعاء حادي عشره بين الظهر والعصر كانت السماء مصحبة والشمس مضيئة صافية فما هو إلا والسماء والجو طلع به غيم وقتام ورياح نكباء غربية جنوبية وأظلم ضوء الشمس وأرعدت رعدتين الثانية أعظم من الأولى وبرق ظهر ضوءه وأمطرت مطراً متوسطاً، ثم سكن الريح وانجلت السماء وقت العصر، وكان ذلك سابع بشنس القبطي وآخر يوم من نيسان الرومي فسبحان الملك الفعال مغير الشؤون والأحوال وحصل في تاليه يوم الجمعة مثل ذلك الوقت أيضاً غيوم ورعود كثيرة ومطر أزيد من اليوم الأول.

واستهل شهر جمادى الثانية سنة 1228

في ثاني عشره، وصل في النيل على طريق دمياط آغا من طرف الدولة يقال له قهوجي باشا السلطان فاعتنى الباشا بشأنه وحضر إلى قصره بشبرا وأمر بإحضار عدة من المدافع وآلات الشنك وعملوا أمام القصر بساحل النيل تعاليق وقناديل وقدات ونبه على الطوائف بالاجتماع بملابسهم وزينتهم، ووصل الآغا المذكور يوم الأحد فخرج الأغوات والسفاشية والصقلية وهم لابسون القواويق وجميع العساكر الخيالة ليلاً، فما طلعت الشمس حتى اجتمعوا بأسرهم جهة شبرا وانتظموا في موكب ودخلوا من باب النصر ويقدمهم طوائف الدلاة وأكابرهم ويتلوهم أرباب المناصب مثل الآغا والوالي والمحتسب وبواقي وجاقات المصرية، ثم موكب كتخدا بك وبعده موكب الآغا الواصل وفي أثره ما وصل معه من الخلع وهي أربع بقج وخنجران مجوهران وسيف وثلاث شلنجات عليها ريش مجوهر، وخلف ذلك العساكر الخيالة والتفكجية وخلفهم النوبة التركية فكان مدة مرورهم نحو ساعتين وربع وليس فيهم رجالة مشاة سوى الخدم وقليل عسكر مشاة، وأما بقية العسكر فهم متفرقون بالأسواق والأزقة كالجراد المنتشر خلاف من يرد منهم في كل وقت من الأجناس المختلفة براً وبحراً فمن الخلع الواردة ما هو مختص بالباشا وهو فروة وخنجر وريشة بشلنج وأطواخ ولابنه إبراهيم بك مثل ذلك وأسكنوا ذلك الآغا ورفيقه وأتباعهما بمنزل إبراهيم بك ابن الباشا بالأزبكية بقنطرة الدكة وأرسل بإحضار ولده من ناحية قبلي فحضر على الهجن ولبس

الخلعة بولايته على الصعيد فنزل بالجيزة وعدى إلى بر مصر عند أبيه بقصر شبرا ولبس الخلعة وأقام عند أبيه ثلاث ليال، ثم عدى إلى بر الجيزة وعندما وصل إلى البر أمر بتغريق السفينة بما فيها من الفرش، ثم أخرجوها وكذلك أمر من معه من الرجال بالغطوس في الماء وغسل ثيابهم كل ذلك خوفاً من رائحة الطاعون وتطيراً وهروباً من الموت.

وفي خامس عشرينه، سافر إبراهيم بك راجعاً إلى الصعيد.

وفيه حضر عرضي الباشا الذي كان سافر في ربيع الأول إلى الجهة القبلية ومعه الكتبة أيضاً المسلمون لتحرير حساب الأقباط ومساحة الأراضي.

وفي أواخره، نودي على أهل الجيزة باستمرار الكورنتينة شهري رجب وشعبان وأن يعطوا لهم فسحة للمتسببين والباعة ثلاثة أيام، وكذلك لمن يخرج أو إذا دخل لا يخرج إذا كلن عنده ما يكفيه ويكفي عياله في مدة الشهرين والثلاثة أيام المفسح لهم فيها ليقضوا أشغالهم واحتياجاتهم فخرج أهل البلدة بأسرهم، ولم يبق منهم إلا القليل النادر القادر وأيضاً تفرقوا في البلاد وبقي الكثير منهم حول البلدة وفي الغيطان حول بيادرهم وأجرانهم وعملوا لهم أعشاشاً تظلهم من حر الشمس ووهج الهجير وينادي المقيم بالبلدة بحاجته من أعلى السور لرفيقه أو صاحبه الذي هو خارج البلدة فيجيبه ويرد جوابه من مكان بعيد ولا يمكنونهم من تناول الأشياء وأما العسكر فإنهم يدخلون ويخرجون ويقضون حوائجهم ويشترون الخضراوات والبطيخ وغيره ويبيعونه على المقيمين بالبلدة بأغلى الأثمان وإذا أراد أحد من أهل البلدة الخروج منعوه من أخذ شيء من متاعه أو بهيمته أو شاته أو حماره ولا يخرج إلا مجرد بطوله.

وفي أواخره، وصل من الديار الرومية واصل وعلى يده مرسوم فقرأ بالمحكمة في يوم الأحد ثامن عشرينه بحضرة كتخدا بك والقاضي والمشايخ وأكبر الدولة والجم الغفير من الناس ومضمونه الأمر للخطباء في المساجد يوم الجمعة على المنابر بأن يقولوا عند الدعاء للسلطان فيقولوا السلطان بن السلطان بتكرير لفظ السلطان ثلاث مرات محمود خان بن السلطان عبد الحميد خان بن السلطان أحمد خان مغازي خادم الحرمين الشريفين لأنه استحق أن ينعت بهذه النعوت لكون عساكره افتتحت بلاد الحرمين وغزت الخوارج وأخرجتهم منها لأن المفتي أفتاهم بأنهم كفار لتفكيرهم المسلمين ويجعلونهم مشركين ولخروجهم على السلطان وقتلهم الأنفس وأن من قاتلهم يكون مغازياً ومجاهداً وشهيداً إذا قتل، ولما انقضى المجلس ضربوا مدافع كثيرة من القلعة وبولاق والجيزة وعملوا شنكاً واستمر ضربهم المدافع عند كل أذان عشرة أيام وذلك ونحوه من الخور.

واستهل شهر رجب سنة 1228

في منتصفه حضر بونابارته الخازندار من الديار الحجازية على طريق القصير.

وفي أواخره، سافر قهوجي باشا الذي تقدم ذكر حضوره بالخلع والشلنجات والخناجر بعدما أعطى خدمته مبلغاً من الأكياس وأصحب معه الباشا هدية عظيمة لصاحب الدولة وأكابرهم وقدره من الذهب العين أربعين ألف دينار ومن النصفيات يعني نصف الدينار ستون ألفاً ومن فروق البن خمسمائة فرق ومن السكر المكرر مرتين مائة قنطار ومن المكرر مرة واحدة مائتي قنطار ومائتا قدر صيني الذي يقال له أسكي معدن مملوءة بالمربيات وأنواع الشربات الممسك المطيب المختلف الأنواع ومن

الخيول خمسون جواداً مرختة بالجوهر والنمدكش. واللؤلؤ والمرجان وخمسون حصاناً من غير رخوت وأقمشة هندية كشميري ومقصبات وشاهي ومهترخان في عدة تعابي بقج وبخور عود وعنبر وأشياء أخرى.

وفيه أيضاً حضر آغا يقال له جانم أفندي وصحبته مرسوم قرئ بالديوان في يوم الاثنين مضمونه البشارة بمولود ولد للسلطان وسموه عثمان واجتمع لسماع ذلك المشايخ والأعيان وضربوا بعد قراءته شنكاً ومدافع واستمر ذلك سبعة أيام في كل وقت من الأوقات الخمسة.

وفي يوم الثلاثاء عشرينه الموافق الثالث عشر مسرى القبطي وافى النيل المبارك أذرعه ونودي بذلك في الأسواق على العادة وكثر اجتماع غوغاء الناس للخروج إلى الروضة وناحية السد والولائم في البيوت المطلة على الخليج، وما يحصل من اجتماع الأخلاط أما جري الماء، كما هو المعتاد في كل سنة وأنه إذا نودي بالوفاء حصل ذلك الاجتماع في تلك الليلة وكسورا السد في صبحها عادة لا تتخلف فيما نعلم، فلما كان آخر النهار ورد الخبر بأن الباشا أمر بتأخير فتح الخليج إلى يوم الخميس ثانية فكان كذلك وخرج الباشا في صبح يوم الخميس وكسر السد وجرى الماء في الخليج وتكلف أرباب الدولة المطلة على الخليج كلفة ثانية لضيافتهم.

واستهل شهر رمضان بيوم الجمعة سنة 1228

وفي خامسه، يوم الثلاثاء حضر ابن الباشا المسمى بإسمعيل من الديار الرومية ووصل إلى ساحل النيل بشبرا وضربوا لوصوله مدافع من القلعة وبولاق وشبرا والجيزة وتقدم أنه توجه ببشارة الحرمين وأكرمته الدولة وأعطوه أطواخاً.

وفي عاشره، حضر قاصد من الديار الرومية، ووصل إلى ساحل النيل وصحبته بشارة بمولودة ولدت لحضرة السلطان فعملوا الديوان في القلعة واجتمع له المشايخ والأعيان وأكابر الدولة وقرئ الفرمان الواصل ف شأن ذلك وفي مضمونه الأمر للكافة بالفرح والسرور وعمل الشنك وبعد الفراغ من ذلك ضربت المدافع من أبراج القلعة واستمر ضربها في كل وقت أذان خمسة أيام وهذا لم يعهد في الدولة الماضية إلا للأولاد الذكور، وأما الإناث فليس لهن ذكر.

وفي ليلة الأربعاء سابع عشرينه، عمل الباشا جمعية ببيت الأزبكية وحضر الأعيان والمشايخ والقضاة الثلاثة وهم بهجت أفندي المنفصل عن قضاء مصر وصديق أفندي المتوجه إلى قضاء مكة المنفصل عن قضاء مصر العام الذي قبله والقاضي المتوجه إلى المدينة فعقدوا عقد ابنه إسمعيل باشا على ابنة عارف بك التي حضرت بصحبته من الديار الرومية وعقدوا عقد أخته ابنة الباشا على محمد أفندي الذي تقلد الدفتردارية ولما تم ذلك قدموا لهم تعابي بقج في كل واحدة أربع قطع من الأقمشة الهندية وهي شال كشميري وطاقة قطني هندي وطاقة شاهي وفرقوا على الدون من الناس الحاضرين محارم، ثم أن الباشا شرع في الاهتمام إلى سفر الحجاز وتشهيل المطاليب واللوازم فمن جملة ذلك أربعون صندوقاً من الصفيح المشمع داخلها بالشمع والمصطكي وبالخشب من خارج وفوق الخشب جلود البقر المدبوغ ليودع بها ماء النيل المغلي لشربه وشرب خاصته ومثلها في كل شهر يتقيد بعمل ذلك وغيره السيد المحروقي ويرسله في كل شهر.

واستهل شهر شوال بيوم الأحد سنة 1228

في سابعه يوم السبت، أداروا كسوة الكعبة وكانت مصنوعة من نحو خمس سنوات ومودعة في مكان بالمشهد الحسيني فأخرجوها في مستهل الشهر وقد توسخت لطول المدة فحلوها ومسحوها وكان عليها اسم السلطان مصطفى فغيروه وكتبوا اسم السلطان محمود فاجتمع الناس للفرجة عليها وكان المباشر لها الريس حسن المحروقي فركب في موكبها.

وفي ليلة السبت رابع عشره، خرج محمد علي باشا مسافراً إلى الحجاز وكان خروجه وقت طلوع الفجر من يوم السبت المذكور إلى بركة الحاج وخرج الأعيان والمشايخ لوداعه بعد طلوع النهار فأخذوا خاطره ورجعوا آخر النهار وركب هو متوجهاً إلى السويس بعد مضي ثمان ساعات وربع من النهار وبرزتن الخيالة والسفاشية إلى خارج باب النصر ليذهبوا على طريق البر وقبل خروج الباشا بيومين قدمت هجانة مبشرون بالقبض على عثمان المضايفي بناحية الطائف، وكان قد جرد على الطائف فبرز إليه الشريف غالب وصحبته عساكر الأتراك والعربان فحاربوه وحاربهم فأصيب جواده فنزل إلى الأرض واختلط بالعسكر فلم يعرفوه فخرج من بينهم ومشى وتباعد عنهم نحو أربع ساعات فصادفه جماعة من جند الشريف فقبضوا عليه وأصابته جراحة وعندما سقط من بين قومه ارتفع الحرب فيما بين الفريقين أخريات النهار ولما أحضروه إلى الشريف غالب جعل في رقبته الجتزير والمضايفي هذا زوج أخت الشريف وخرج عنه وانضم إلى الوهابيين فكان أعظم أعوانهم وهو الذي كان يحارب لهم ويقاتل ويجمع قبائل العربان ويدعوهم عدة سنين ويوجه السرايا على المخالفين ونما أمره واشتهر لذلك ذكره في الأقطار وهو الذي كان افتتح الطائف وحاربها وحاصرها وسبى النساء وهدم قبة ابن عباس الغريبة الشكل والوصف وكان هو المحارب للعسكر مع عربان حرب في العام الماضي بناحية الصفراء والجديدة وهزمهم وشتت شملهم، ولما قبضوا عليه أحضروه إلى جدة واستمر في الترسيم عند الشريف ليأخذ بذلك وجاهة عند الأتراك الذي هو على ملتهم ويتحقق لديهم نصحه لهم ومسالمته إياهم وسيلقى قريباً منهم جزاء فعله ووبال أمره، كما سيتلى عليك بعضه بعد قليل.

واستهل شهر ذي القعدة بيوم الثلاثاء سنة 1228

وفي أوائله، وردت أخبار من الجهة الرومية بأن عساكر العثمانيين استولوا على بلاد بلغارد من أيدي طائفة الصرب وكانوا استولوا عليها نيفاً وأربعين سنة والله أعلم بصحة ذلك.

وفيه عزل محمود حسن من الحسبة وتقلدها عثمان آغا المعروف بالورداني.

وفي خامس عشره، وصل عثمان المضايفي صحبة المتسفرين معه إلى الريدانية آخر الليل وأشيع ذلك، فلما طلعت الشمس ضربوا مدافع من القلعة إعلاماً وسروراً بوصوله أسيراً وركب صالح بك السلحدار في عدة كبيرة وخرجوا لملاقاته وإحضاره، فلما واجه صالح بك نزع من عنقه الحديد وأركبه هجيناً ودخل به إلى المدينة وأماه الجاويشية والقواسة الأتراك وبأيديهم العصي المفضضة وخلفه صالح بك وطوائفه وطلعوا به إلى القلعة وأدخله إلى مجلس كتخدا بك وصحبته حسن باشا وطاهر باشا وباقي أعيانهم ونجيب أفندي قبي كتخدا الباشا ووكيله بباب الدولة وكان متأخراً عن السفر ينتظر قدوم المضايفي ليأخذه بصحبته إلى دار السلطنة فلما دخل عليهم أجلسوه معهم فحدثوه ساعة وهو يجيبهم من جنس كلامهم بأحسن خطاب وأفصح جواب وفيه سكون وتؤدة في الخطاب وظاهر عليه آثار الإمارة والحشمة والنجابة ومعرفة مواقع الكلام حتى قال

الجماعة لبعضهم البعض يا أسفا على مثل هذا إذا ذهب إلى إسلامبول يقتلونه، و لم يزل يتحدث معهم حصة، ثم أحضروا الطعام فواكلهم، ثم أخذه كتخدا بك إلى منزله فأقام عنده مكرماً ثلاثاً حتى تمم نجيب أفندي أشغاله فأركبوه وتوجهوا به إلى بولاق وأنزلوه في السفينة مع نجيب أفندي ووضعوا في عنقه الجتزير وانحدروا طالبين الديار الرومية وذلك يوم الاثنين حادي عشرينه.

وفي أواخره، وصلت أخبار بأن مسعود الوهابي أرسل قصاداً من طرفه إلى ناحية جدة فقابلوا طوسون باشا والشريف غالب خلع عليهم وأخذهم إلى أبيه فخاطبهم وسألهم عما جاؤوا فيه فقالوا الأمير مسعود الوهابي يطلب الإفراج عن المضايفي ويفتديه بمائة ألف فرانسة، وكذلك يريد إجراء الصلح بينه وبينكم وكف القتال فقال لهم فإنه سافر إلى الدولة وأما الصلح فلا نأباه بشروط وهو أن يدفع لنا كل ما صرفناه على العساكر من أول ابتداء الحرب إلى وقت تاريخه وان يأتي بكل ما أخذه واستلمه من الجواهر والذخائر التي كانت بالحجرة الشريفة وكذلك ثمن ما استهلك منها وأن يأتي بعد ذلك ويتلاقى معي وأتعاهد معه ويتم صلحنا بعد ذلك وإن أبى ذلك فنحن ذاهبون إليه فقالوا له اكتب له جواباً فقال لا أكتب جواباً لأنه لم يرسل معكم جواباً ولا كتاباً، وكما أرسلكم بمجرد الكلام فعودوا إليه كذلك، فلما أصبح الصباح وقت انصرافهم أمر باجتماع العساكر فاجتمعوا ونصبوا ميدان الحروب والرمي المتتابع من البنادق والمدافع ليشاهد الرسل ذلك ويروه ويخبروا عنه مرسلهم.

واستهل شهر ذي الحجة بيوم الأربعاء سنة 1228

وفي ليلة الأحد تاسع عشره، وقعت كائنة لطيف باشا وذلك أن المذكور مملوك الباشا أهداه له عارف بك وهو عارف أفندي بن خليل باشا المنفصل عن قضاء مصر نحو خمس سنوات واختص به الباشا وأحبه ورقاه في الخدم والمناصب إلى أن جعله أختار أغاسي أي صاحب المفتاح وصار له حرمة زائدة وكلمة في باب الباشا وشهرة، فلما حصلت النصرة للعسكر واستولوا على المدينة وأتوا بمفاتيح زعموا أنها مفاتيح المدينة كان هو المتعين بها للسفر للديار الرومية بالبشارة للدولة وأرسلوا صحبته مضيان الذي كان متأمراً بالمدينة، ولما وصل إلى دار السلطنة ووصلت أخباره احتفل أهل الدولة بشأنه احتفالاً زائداً ونزلوا لملاقاته في المراكب في مسافة بعيدة ودخلوا إلى إسلامبول في موكب جليل وأبهة عظيمة إلى الغاية وسعت أعيان الدولة وعظماؤها بين يديه مشاة وركباناً وكان يوم دخوله يوماً مشهوداً وقتلوا مضيان المذكور في ذلك اليوم وعلقوه أعلى باب السراية وعملوا شنانك ومدافع وأفراحاً وولائم وأنعم السلطان على لطيف المذكور وأعطاه أطواخاً وأرسل إليه أعيان الدولة الهدايا والتحف ورجع إلى مصر في أبهة زائدة وداخله الغرور وتعاظم في نفسه، و لم يحتفل الباشا بأمره، وكذلك أهل دولته لكونه من جنس المماليك وأيضاً قد تأسست عداوتهم في نفوسهم وكراهتهم له أشد من كراهتهم لأبنائنا وخصوصاً كتخدا بك فإنه أشد الناس عداوة وبغضاً في جنس المماليك وطفق يلقي لمخدومه ما يغير خاطره عليه ومنها أنه يضم إليه أجناسه من المماليك البطالين ليكونوا عزوته ويغترون به بحيث أن الباشا فوض إليه الأمر إن ظهر منه شيء في غيابه وسافر الباشا في أثر ذلك واستمر لطيف

باشا مع الجماعة في صلف وهم يحدقون عليه ويرصدون حركاته ويتوقعون ما يوجب الإيقاع به وهو في غفلة وتيه لا يظن بهم سوا فطلب من الكتخدا الزيادة في رواتبه وعلائفه لسعة دائرته وكثرة حواشيه ومصاريفه فقال له الكتخدا أنا لست صاحب الأمر،وقد كان هنا و لم يزدك شيئاً فراسله وكاتبه فإن أمر بشيء فأنا لا أخالف مأمورياته وتزايد هو والحاضرون في الكلام والمفاقمة ففارقهم على غير حالة ونزل إلى داره وأرسل في العشية إلى مماليك الباشا ليحضروا إليه في الصباح ليعمل معهم ميدان رماحة على العادة وأسر إليهم أن يصبحوا ما خف من متاعهم وأسلحتهم، فلما أصبحوا استعدوا، كما أشار إليهم وشدوا خيولهم ووصل خبرهم إلى الكتخدا فطلب كبيرهم وسأله فأخبره أن لطيف باشا طلبهم ليعمل معهم رماحة فقال أن هذا اليوم ليس هو موعد الرماحة ومنعهم من الركوب وفي الحال أحضر حسن باشا وأحمد آغا المسمى بونابارته الخازندار وصالح بك السلحدار وإبراهيم آغا أغات الباب ومحو بك وخلافهم ودبوس أوغلي وإسمعيل باشا بن الباشا ومحمود بك الدويدار وتوافق الجميع على الإيقاع به وأصبحوا يوم السبت مجتمعين، وقد بلغه الخبر وأخذوا عليه الطرق وأرسلوا يطلبونه للحضور في مجلسهم فامتنع وقال ما المراد من حضوري فنزل إليه دبوس أوغلي وخدعه، فلم يقبل فركب وعاد إليه ثانياً يأمره بالخروج من مصر إن لم يحضر مجلسهم فقال أما الحضور فلا يكون، وأما الخروج فلا أخالف فيه بشرط أن يكون بكفالة حسن باشا أو طاهر باشا فإني لا آمن أن يتبعوني ويقتلوني وخصوصاً وقد أوقفوا بجميع الطرق ففارقه دبوس أوغلي فتحير في أمره وأمر بشد الخيول وأراد الركوب، فلم يتسع له ذلك، و لم يزل في نقض وإبرام إلى الليل فشركوا الجهات وأبواب المدينة أيضاً بالعساكر وكثر جمعهم بالقلعة وأبوابها وفي تاسع ساعة من الليل نزل حسن باشا ونحو بك في نحو الألفين من العسكر واحتاطوا بداره في سويقة العزى، وقد أغلق داره فصاروا يضربون عليه بالبنادق والقرابين إلى آخر الليل، فلما أعياهم ذلك هجموا على دور الناس التي حوله وتسلقوا عليه من الأسطحة ونزلوا إلى سطح داره وقتلوا من صادفوه من عسكره وأتباعه واختفى هو في مخبأة أسفل الدار مع ستة أشخاص من الجواري ومملوك واحد، وعلم بمكانهم أغات الحريم فداروا في الدار يفتشون عليه، فلم يجدوه فنهبوا جميع ما في الدار، و لم يتركوا بها شيئاً وسبوا الحريم والجواري والمماليك والعبيد، وكذلك ما حوله وما جاوره من دور الناس ودور حواشيه وهم نيف وعشرون داراً حتى حوانيت الباعة وغيرهم التي بالخطة ودار علي كتخدا صالح الفلاح هذا ما جرى بتلك الناحية

وباقي نواحي المدينة لا يدورون بشيء من ذلك إلا أنهم لما طلع نهار يوم الأحد وخرج الناس إلى الأسواق والشوارع وجدوا العساكر مائجة وأبواب البلد مغلقة وحولها العساكر مجتمعة ومنهم من يعدو ومعه شيء من المنهوبات فامتنع الناس من فتح الحوانيت والقهاوي التي من عادتهم التبكير بفتحها وظنوا ظناً واستمر لطيف باشا بالمخبأة إلى الليل واشتد به الخوف وتيقن أن العبد الطواشي سينم عليه ويعرفهم بمكانه، فلما أظلم الليل وفرغوا من النهب والتفتيش وخلا المكان خرج من المخبأة بمفرده ونط من الأسطحة حتى خلص إلى دار خازنداره وصحبته كبير عسكره وآخر يسمى يوسف كاشف دياب من بقايا الأجناد المصرية وباتوا بقية تلك الليلة ويوم الاثنين والكتخدا وأهل دولته يدأبون في الفحص والتفتيش عليه ويتهمون كثيراً من الناس بمعرفة مكانه ومحمود بك داره بالقرب من داره أوقف أشخاصاً من عسكره على الأسطحة ليلاً ونهاراً لرصده، وكان المذكور له اعتقاداً في شخص يسمى حسن أفندي اللبلبي ولبلب لفظ تركي علم على الحمص المجوهر أي المقلي ومن شأن حسن أفندي هذا أنه رجل درويش يدخل بيوت الأعيان والأكابر من الناس الأتراك وغيرهم وفي جيوبه من ذلك الحمص فيفرق على أهل

المجلس منه ويلاطفهم ويضاحكهم ويمزح معهم ويعرف باللغة التركية ويجانس الفريقين فمن أعطاه شيئاً أخذه ومن لم يعطه لم يطلب منه شيئاً وبعضهم يقول له انظر ضميري أو فالي فيعد على سبحته أزواجاً وأفراداً، ثم يقول ضميرك كذا وكذا فيضحكون منه فوشى بحسن أفندي هذا إلى كتخدا بك وباقي الجماعة بأنه كان يقول لطيف باشا أنه سيلي سيادة مصر وأحكامها ويقول له هذا وقت انتهاز الفرصة في غيبة الباشا ونحو ذلك وجسموا الدعوى وأنه كان يعتقد صحة كلامه ويزوره في داره ورتب له ترتيباً وأشاعوا أنه أراد أن يضم إليه أجناس المماليك والخاملين من العساكر وغيرهم ويعطيهم نفقات ويريد إثارة فتنة ويعتال الكتخدا بك وحسن باشا وأمثالهما على حين غفلة ويتملك القلعة والبلد وأن اللبلبي يغريه على ذلك وكل وقت يقول له جار وقتك ونحو ذلك من الكلام الذي المولى جل جلاله أعلم بصحبته فأرسل كتخدا بك إلى اللبلبي فحضر بين يديه في يوم الاثنين فسأله عنه فقال لا أدري فقال انظر في حسابك هل نجده أم لا فأمسك سبحته وعدها كعادته وقال إنكم تجدونه وتقتلونه، ثم إن الكتخدا أشار إلى أعوانه فأخذوه ونزلوا به وأركبوه على حماره وذهبوا به إلى بولاق فأنزلوه في مركب وانحدروا به إلى شلقان وشلحوه من ثيابه وأغرقوه في البحر.

وفي ذلك اليوم عرفهم أغات حريم لطيف باشا بعد أن هددوه وقرروه عن محل أستاذه وأخبرهم أنه في المخبأة وأراهم المكان ففتحوه فوجدوا به الجواري الستة والمملوك، ولم يجدوه معهم فسألوهم عنه فقالوا أنه كان معنا وخرج ليلة أمس، ولم نعلم أين ذهب فأخرجوهم وأخذوا ما وجدوه في المخبأة من متاع وسروج ومصاغ ونفوذ وغير ذلك، فلما كان بعد الغروب من ليلة الثلاثاء اشتد بلطيف باشا الخوف والقلق فأراد أن ينتقل من بيت الخازندار إلى مكان آخر فطلع إلى السطح وصعد على حائط يريد النزول منها هو ورفيقه البيوكباشي ليخلص إلى حوش مجاور لتلك الدار فنظرهما شخص من العسكر المرصد بأعلى سطح دار محمود بك الدويدار فصاح على القريبين منه لينتبهوا له، فعندما صاح ضربه لطيف باشا رصاصة فأصابته وتنبهت المرصدون بالنواحي عند سماع الصيحة وبندقة الرصاصة وتسارعوا إليه من كل ناحية وقبضوا عليه وعلى ورفيقه وأتوا بهما إلى محمود بك فبات عنده ورمحت المبشرون إلى بيوت الأعيان يبشروهم بالقبض عليه ويأخذون على ذلك البقاشيش، فلما طلع نهار يوم الثلاثاء طلع به محمود بك إلى القلعة وقد اجتمع أكابرهم بديوان الكتخدا واتفقوا على قتله ووافقهم على ذلك إسمعيل ابن الباشا بما نمقوه عليه لأنه في الأصل مملوك صهره عارف بك، فعندما وصل إلى الدرج قبض عليه الأعوان وهو بجانب محمود بك فقبض بيده على علاقة سيفه وهو يقول بالتركي عرظندايم يعني أنا في عرضك وماتت يده على قيطان السيف فأخرج بعضهم سكيناً وقطع القيطان وجذبوه إلى أسفل سلم الركوبة وأخذوا عمامته وضربه المشاعلي بالسيف ضربات ووقع إلى الأرض، ولم ينقطع عنقه فكملوا ذبحه مثل الشاة وقطعوا رأسه وفعلوا برفيقه كذلك وعلقوا رؤوسهما تجاه باب زويلة طول النهار.

وفي ثاني يوم وهو يوم الأربعاء ثاني عشرينه، أحضروا أيضاً يوسف كاشف دياب وقتلوه أيضاً عند باب زويلة وانقضى أمرهم والله أعلم بحقيقة الحال وفتح أهل الأسواق حوانيتهم بعد ما تخيل الناس بأنها ستكون فتنة عظيمة وان العسكر ينهبون المدينة وخصوصاً الكائنون بالعرضي خارج باب النصر فإنهم جياع وبردانون وغالبهم مفلس لأن معظمهم من الجدد الواردين الذين لم يحصل لهم كسب من نهب أو حادث واقع أدركوه ولولا أنهم أوقفوا عساكر عند الأبواب منعتهم من العبور لحصل منهم

غاية الضرر.

وانقضت السنة وحوادثها التي ربما استمرت إلى ما شاء الله بدوامها وانقضائها، فمنها أن الباشا لما فرغ من أمر الجهة القبلية بعدما ولى ابنه إبراهيم باشا عليها وحرر أراضي الصعيد وقاس جملة أراضيه وفدنه وضبطه بأجمعه و لم يترك منه إلا ما قل وضبط لديوانه جميع الأراضي الميرية والإقطاعات التي كانت للملتزمين من الأمراء والهوارة وذوي البيوت القديمة والرزق الأحباسية والسراوي والمتأخرات والمرصد على الأهالي والخيرات وعلى البر والصدقة وغير ذلك مثل مصارف الولاية التي رتبها أهلي الخير المتقدمون لأربابها رغبة منهم في الخير وتوسعة على الفقراء المحتاجين وذوي البيوت والدواوير المفتوحة المعدة إطعام الطعام للضيفان والواردين والقاصدين وأبناء السبيل والمسافرين، فمن ذلك أن بناحية سهاج دار الشيخ عارف وهو رجل مشهور كأسلافه ومعتقد بتلك الناحية وغيرها ومنزله محط الرجال الوافدين والقاصدين من الأكابر والأصاغر والفقراء والمحتاجين فيقرى الكل بما يليق بهم ويرتب لهم التراتيب والاحتياجات وعند انصرافهم بعد قضاء أشغالهم يزودوهم ويهاديهم بالغلال والسمن والعسل والتمر والأغنام وهذا دأبه ودأب أسلافه من قبله على الدوام والاستمرار ورزقته المرصدة التي يزرعها وينفق منها ستمائة فدان فضبطوها، و لم يسمحوا له منها إلا بمائة فدان بعد التوسط والترجي والتشفع وأمثال ذلك بجرجا وأسيوط ومنفلوط وفرشوط وغيرها وإذا قال المتشفع والمترجي للمتآمر ينبغي مراعاة مثل هذا ومسامحته لأنه يطعم الطعام وتنزل بداره الضيفان فيقول ومن كلفه بذلك فيقال له وكيف تفعل إذا نزلت به الضيوف على حسب ما اعتادوه فيقول يشترون ما يأكلون بدارهم من أكياسهم أو يغلقون أبوابهم ويستقلون بأنفسهم وعيالهم ويقتصدون في معايشهم فيعتادون ذلك وهذا الذي يفعلونه تبذير وإسراف ونحو ذلك على حسب حالهم وشأنهم في بلادهم ويقول الديوان أحق بهذا فإن عليه مصاريف ونفقات ومهمات ومحاربات الأعداء وخصوصاً افتتاح بلاد الحجاز ولما حضر إبراهيم باشا إلى مصر، وكان أبوه على أهبة السفر إلى الحجاز حضر الكثير من أهالي الصعيد يشكون ما نزل بهم ويستغيثون ويتشفعون بوجهاء المشايخ وغيرهم فإذا خوطب الباشا في شيء من ذلك يعتذر بأنه مشغول البال واهتمامه بالسفر وأنه أناط أمر الجهة القبلية وأحكامها وتعلقاتها بابنه إبراهيم باشا وأن الدولة قلدته ولاية الصعيد فأنا لا علاقة لي بذلك وإذا خوطب ابنه أجابهم بعد المحاججة بما تقدم ذكره، ونحو ذلك وإذا قيل له هذا على مسجد فيقول كشفت على المساجد فوجدتها خراباً والنظار عليها يأكلون الإيراد والخزينة أولى منهم ويكفيهم أني أسامحهم فيما أكلوه في السنين الماضية والذي وجدته عامراً أطلقت له ما يكفيه وزيادة وأني وجدت لبعض المساجد أطياناً واسعة وهي خراب ومعطلة والمسجد يكفيه مؤذن واحد وأجرته نصفان وأمام مثل ذلك وأما فرشه وأسراجه فإني أرتب له راتباً من الديوان في كل سنة فإذا تكرر عليه الرجاء أحال الأمر على أبيه ولا يمكن العود إليه لحركاته وتنقلاته وكثرة أشغاله وزوغانه،ولما زاد الحال بكثرة المتشكين والواردين وبرز الباشا للسفر بل وسافر بالفعل، فلم يمكث بعده ابنه إلا أياماً قليلة يبيت بالجيزة نيلة وعند أخيه ببولاق ليلة أخرى، ثم سافر راجعاً إلى الصعيد يتمم ما بقي عليه لأهله من العذاب الشديد فإنه فعل بهم فعل التتار عندما جالوا بالأقطار وأذل أعزة أهله وأساء أسوأ لسوء معهم في فعله فيسلب نعمهم وأموالهم ويأخذ أبقارهم وأغنامهم ويحاسبهم على ما كان في تصرفهم واستهلكوه أو يحتج عليهم بذنب لم يقترفوه، ثم يفرض عليهم المغارم الهائلة والمقادير من الأموال التي ليست أيديهم إليها طائلة ويلزمهم بتحصيلها وغلاقها وتعجيلها فتعجز أيديهم

عن الإتمام فعند ذلك يجري عليهم أنواع الآلام من الضرب والتعليق والكي بالنار والتحريق فإنه بلغني والعهدة على الناقل أنه ربط الرجل ممدوداً على خشبة طويلة وأمسك بطرفيها الرجال وجعلوا يقلبونه على النار المضرمة مثل الكباب وليس ذلك ببعيد على شاب جاهل سنه دون العشرين وحضر من بلده و لم ير غير ما هو فيه لم يؤدبه مؤدب ولا يعرف شريعة ولا مأمورات ولا منهيات وسمعت أن قائلاً قال له وحق من أعطاك قال ومن هو الذي أعطاني قال له ربك قال له إنه لم يعطني شيئاً والذي

أعطاني أبي فلو كان الذي قلت فإنه كان يعطيني وأن ببلدي وقد جئت وعلى رأسي قبع مزفت مثل المقلاة فلهذا لم تبلغه دعوى و لم يتخلق إلا بأخلاق التي دربه عليها والده وهي تحصيل المال بأي وجه كان فأنزل بأهل الصعيد الذل والهوان فلقد كان به من المقادم والهوارة كل شهم يستحي الرئيس من مكالمته والنظر إليه بالملابس الفاخرة والأكراك السمور والخيول المسومة والأنعام والأتباع والجند والعبيد والأكمام الواسعة والمضايف والأنعامات والإغداقات والتصدقات وخصوصاً أكابرهم المشهورون وهمام وما أدراك ما همام، وقد تقدم في ترجمته ما يغني عن الإعادة فخربت دور الجميع وتشتتوا وماتوا غرباء ومن عسر عليه مفارقة وطنه جرى عليه ما جرى على غيره وصار في عداد المزارعين، وقد رأيت بعض بني همام، وقد حضروا إلى مصر ليعرضوا حالهم على الباشا لعله يرفق بهم ويسامحهم في بعض ما ضبطه ابنه من تعلقاتهم يتعيشون به وهم أولاد عبد الكريم وشاهين ولدى همام الكبير ومعهم حريمهم وجواريهم وزوجة عبد الكريم ويقولون لها الست الكبيرة وهي أم أولاده، فلما وصلوا إلى ساحل مصر القديمة ورأى أرباب ديوان المكس الجواري وعدهن ثلاثة حجزوهن وطالبوهم بكمركهن فقالوا هؤلاء جوارنا للخدمة وليسوا مجلوبين للبيع، فلم يعبئوا بذلك وقبضوا منهم ما قبضوه، ثم أنهم لم يتمكنوا من الباشا وكان إذ ذاك قد توجه إلى الفيوم وعاد إلى العرضي مسافراً إلى الحجاز فاستمروا بمصر حتى نفذت نفقاتهم ورأيتهم مرة مارين بالشارع وهم مخلقنون وفيهم صغير مراهق واتفق أنهم تفاقموا مع ابن عمهم وهو عمر وشكوه إلى مصطفى بك دالي باشا بأنه حاف عليهم في أشياء من استحقاقهم دعوى مفلس على مفلس فأحضره وحبسه مدة وما أدرى ما حصل لهم بعد ذلك وهكذا.

تخفض العالي وتعلى من سفل.

اللهم إنا نعوذ بك من زوال النعم ونزول النقم.

وأما من مات في هذه السنة

فمات الأستاذ الشهير والجهبذ النحرير الرئيس المفضل والفريد المبجل نادرة عصره ووحيد دهره الشيخ شمس الدين محمد أبو الأنوار ابن عبد الرحمن المعروف بابن عارفين سبط بني الوفاء وخليفة السادات الحنفاء وشيخ سجادتهما ومحط رحال سيادتهما وشهرته غنية عن مزيد الإفصاح ومناقبه أطهر من البيان والإيضاح وأمه السيدة صفية بنت الأستاذ جمال الدين يوسف أبي الإرشاد ابن وفا وتزوج بها الخواجا عبد الرحمن المعروف بعارفين فأولدها المترجم وأخاه الشيخ يوسف، وكان أسن منه فتربى مع أخيه في حجر السيادة والصيانة والحشمة وقرأ القرآن وتولع بطلب العلم وحضر دروس أشياخ الوقت وتلقى طريقه أسلافه وأورادهم وأحزابهم عن خاله الأستاذ شمس الدين محمد أبو الإشراق ابن وفا عن عمه الشيخ عبد الخالق عن أبيه الشيخ يوسف أبي الإرشاد عن والده أبي التخصيص عبد الوهاب إلى آخر السند المنتهى إلى الأستاذ أبي الحسن الشاذلي ولازم العلامة القدوة الشيخ موسى البجيرمي فحضر عليه، كما ذكره في برنامج شيوخه أم البراهين وشرح المصنف عليها والآجرومية وشرحها

للشيخ خالد وشرح الستين مسألة للجلال المحلي وهو أول أشياخه، ثم لازم الشيخ خليلاً المغربي فحضر عليه شرح إيساغوجي لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري وشرح العصام على السمرقندية والفاكهي على القطر ومتن التوضيح والأشموني على الخلاصة ورسالة الوضع والمغنى، وحضر دروس شيخ الشيوخ الشيخ أحمد الميجري الملوي في صحيح البخاري والشيخ عبد السلام علي الجوهرة وأجازه بمروياته ومؤلفاته الإجازة العامة، وكذلك إجازة الشيخ أحمد الجوهري الشافعي إجازة عامة وإجازة خاصة بطريقة مولاي عبد الله الشريف ولازم وقرأ وشارك ولده الشيخ محمد الجوهري الصغير وحضر أيضاً دروس الأستاذ الحفني في شرح التلخيص للسعد التفتازاني وشرح التحرير لشيخ الإسلام وشرح الإلفية لابن عقيل والأشموني وحضر دروس الشيخ عمر الطحلاوي المالكي في شرح الآجرومية للشيخ خالد وشيئاً من شرح الهمزية للعلامة بن حجر وشيئاً من تفسير الجلالين والبيضاوي، وحضر الشيخ مصطفى السندوبي الشافعي في شرح ابن القاسم الغزي علي أبي شجاع وعلي السيد البليدي في شرح التهذيب للخبيصي وعلى الشيخ عطية الأجهوري الشافعي في شرح الخطيب علي أبي شجاع وشرح التحرير لشيخ الإسلام وتفسير الجلالين وعلى الشيخ محمد الناري شرح السلم لمصنفه وشرح التحرير وعلى الشيخ أحمد القوصي شرح الورقات الكبير لابن قاسم العبادي وسمع المسلسل بالأولية من عالم أهال المغرب في وقته الشيخ محمد بن سودة التاودي الفاسي المالكي عند وروده مصر في سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف بقصد الحج وكتب له إجازة بخطه مع سنده وإجازة أيضاً بدلائل الخيرات وأحزاب الشاذلي وكذلك تلقي الإجازة من الأستاذ المسلك عبد الوهاب بن عبد السلام العفيفي المرزوقي وتلقى أيضاً أمام الحرم المكي الشيخ إبراهيم ابن الرئيس محمد الزمزمي الإجازة بالمسبعات واستجازه هو أيضاً بما لأسلافه من الأحزاب وكناه بأبي الفوز وذلك في سنة تسع وسبعين ومائة وألف بمكة سنة حجة المترجم.

ولما مات السيد محمد أبو هادي وانقرضت بموته سلسلة أولاد الظهور وذلك في سنة ست وسبعين ومائة وألف وتاقت نفس المترجم لخلافة بيتهم وتهيأ لذلك ولبس التاج أيضاً والعصابة التي يجعلونها عليه فلم يتم له ذلك وعورض بسيدي أحمد بن إسمعيل بك المعروف بالدالي المكني بأبي الإمداد لأنه في طبقته في النسب وأمه السيدة أم المفاخر ابنة الشيخ عبد الخالق باتفاق أرباب الحل والعقد لكونه من بيت الأمارة وقد صار منزلهم كمنازل الأمراء في الاتساع والتأنق والمجالس المزخرفة والقيعان والقصور وفي ضمنه البستان بالنخيل والأشجار وما يجتنى منها من الفواكه والثمار لأن معظم الوجاهة والسيادة في هذه الأزمان بالمساكن الأنيقة والملابس الفاخرة وكثرة الإيراد والخدم والحشم خصوصاً إن اقترن بذلك شيء من المزايا المتعدية من بذل الإحسان وإكرام الضيفان فعند ذلك يصير ربه قطب الزمان وفريد العصر والأوان فلو فرضنا أن شخصاً اجتمعت فيه أوصاف الكمالات المحنوية والمعارف الدينية وخلا عما ذكر وكان صعلوكاً قليل المال كثير العيال فلا يعد في الرجال ولا يلتفت إليه بحال حكم إلهية وأحكام ربانية، فلما تقلدها سيدي أحمد المذكور دون المترجم بقي متطلعاً يسلي نفسه بالأماني، ثم قصد الحج في سنة تسع وسبعين، كما ذكر فلما عاد من الحج تزوج بوالدة الشيخ محمد أبي هادي وأسكنها بمنزل ملاصق لدار الخليفة توصلاً وتقرباً لمأموله و لم تطل مدة الشيخ أبي الإمداد وتوفي سنة اثنتين وثمانين، كما ذكرناه في ترجمته وعند ذلك لم يبق للمترجم معارض وقد مهد أحواله وتثبت أمره مع من يخشى صولته ومعارضته من الأشياخ وغيرهم ودفن السيد أحمد وركب المترجم في صبحها مع أشياخ الوقت والشيخ أحمد البكري وجماعة الحزب ونقبائهم إلى الرباط بالخرنفش ودخل إلى

خلوة جدهم فجلس بها ساعة وقرأ أرباب الحزب وظيفتهم، ثم ركب مع المشايخ إلى أمير البلدة، وكان إذ ذاك علي بك فخلع عليه وركبوا إلى دارهم ومحل سيادتهم المعهودة وأصبح متقلداً خلافة أسلافهم ومشيخة سجادتهم، فكان لها أهلاً ومحلاً وتقدم على أخيه الشيخ يوسف مع كونه أسن منه لما فيه من زيادة الفضيلة ولما ثبطه به من مخادعته وسلامة صدر أخيه وحسن ظنه فيه وانتظم أمره وأحسن سلوكه بشهامة وحشمة ورآسة وتؤدة وأدب مع الأشياخ والأقران وتحبب إلى أرباب المظاهر والأكابر واستجلاب الخواطر وسلوك الطرائق الحميدة والتباعد عن الأمور المخلة بالمروءة والأخذ بالحزم والرفق مع الاشتغال في بعض الأحيان بالمطالعة والمذاكرة في المسائل الدينية والأدبية ومعاشرة الفضلاء ومجالستهم والمناقشة معهم في النكات واقتناء الكتب من كل فن كل ذلك مع الجد والتحصيل للأسباب الدنيوية، وما يتوصل به إلى كثرة الإيراد بحسن تداخل وجميل طريقة مبعدة عما يخل بالمقدار بحيث يقضي مرامه من العظيم وجميل الفضل له ويراسل ويكاتب ويشاحح على أدنى شيء ويحاسب ولا يدفع لأرباب الأقلام عوائدهم المقررة في الدفاتر بل يرون أخذها منه من الكبائر، وكذلك دواوين المكوس المبني على الإجحاف فكل ما نسب له فيها فهو معاف، وكلما طال الأمد زاد المدد وخصوصاً إذا تقلبت الدول وارتفعت السفل كان الأسبق القديم في أعينهم هو الجليل العظيم وهم لديه صغار لا ينظر إليهم إلا بعين الاحتقار، ولما انقرضت بقايا الشيوخ الذين كان يهابهم ويخضع لهم ويتأدب معهم وكانوا على طرائق الأقدمين في العفة والانجماع عما يخل بتعظيم العلم وأهله والتباعد عن بني الدنيا إلا بقدر الضرورة وخلف من بعدهم من هم على خلاف ذلك وهم أعاظم مدرسي الوقت فأحدقوا به وأكثروا من الترداد عليه وعلى موائده وبالغوا في تعظيمه وتقبيل يده ومدحوه بالقصائد البليغة طمعاً في صلاته وجائزه القليلة وحصول الشهرة لهم وزوال الخمول والتعارف بمن يتردد إلى داره من الأمراء والأكابر وزاد هو أيضاً وجهاً ووجاهة بمجالستهم ولا يريهم فضلاً بسعيهم إليه ويزداد كبراً وتيهاً وبلغ به أنه لا يقوم لأكثرهم إذا دخل عليه ومنهم من يدخل بغاية الأدب فيضم ثيابه ويقول عند مشاهدته يا مولاي يا واحد فيجيبه هو بقوله يا مولاي يا دائم يا علي يا حكيم فإذا حصل بالقرب منه بنحو ذراعين حبا على ركبتيه ومد يمينه لتقبيل يده أو طرف ثوبه وأما الأدون فلا يقبل إلا طرف ثوبه وكذلك أتباعه وخدمه الخواص وإذا كان من أهل

الذمة أو كبار المباشرين وقبلوا يده وخاطبهم في أشغاله وهم قيام وانصرفوا طلب الطست والإبريق وغسل يده بالصابون لإزالة أثر أفواههم ولا يجيب في رد التحية إلا بقول خير خير ولا يقطع غالب أوقاته مع مجالسيه وخاصته ومسامريه إلا بانتقاد أهل مصره وغيبة أهل عصره وتنبسط نفسه لذلك وإليه يصغى كلا إن الإنسان ليطغى وفي سنة تسعين ومائة وألف ورد إلى مصر عبد الرزاق أفندي رئيس الكتاب ومن أكابر أهل الدولة فتداخل معه واصطحب به وأهدى إليه هدايا واستدعاء وإضافة وحضر في ذلك العام محمد باشا المعروف بالعزتي والياً على مصر فأنهى إليه بمعونة الرئيس المذكور احتياج زاوية أسلافه للعمارة ودعا الباشا لزيارة قبورهم في يوم المولد المعتاد السنوي وذكر له المقصود وأظهر به بعض الخلل وزين له ذلك الفعل وأنه من تمام الشعائر الإسلامية والمشاهد التي يجب الاعتناء بشأنها والسعي والطواف بحرمها وكان المعين والسفير والمساعد في ذلك أيضاً شيخنا محدث العصر السيد محمد مرتضى وهو عند العثمانيين مقبول القول وكان عبد الرزاق الرئيس يتلقى عنه المسلسلات والإجازات وقرأ عليه مقامات الحريري فأجاب الباش ووعد بإتمام ذلك وكاتب الدولة وورد الأمر بإطلاق خمسين كيساً لمصرف العمارة من خزينة مصر فشرع في هدم حوائطها ووسعها عن وضعها الأصلي واندرس في جدرانها قبور ومدافن

وحوطها وزخرفها بالنقوش وأنواع الرخام الملون والمموه بالذهب والأعمدة والرخام ثم كاتب الدولة وأنهى أن ذلك القدر لم يكف وأن العمارة لم تكمل والإحسان بالإتمام فأطلقوا له خمسين كيساً أخرى وأتمها على هذا الوضع الذي هو عليه الآن وأنشأ حولها مساكن ومخادع ووسع القصر الملاصق لها المختص به لجلوسه ومواضع الحريم أيام المولد، ثم أرسل في أثر ذلك كتخداه ووزيره الشيخ إبراهيم السندوبي إلى دار السلطنة بمكاتبات وعرض لرجال الدولة والتمس رفع ما على قرية زفتا وغيرها مما في حوزه من الالتزام من المال الميري الذي يدفع إلى الديوان في كل سنة، وكان إبراهيم المذكور غاية في الدهاء والحيل الساسانية والتصنعات الشيطانية والتخليطات الوهمية وتقلبات الملامية فتمم مرامه بما ابتعه من المخرقة والإيهامات الملفقة، و لم يدفع ما جرت به العادة من العوائد بل اجتلب خلاف ذلك فوائد، ولما حضر حسن باشا الجزايرلي إلى مصر على رأس القرن وخرج الأمراء المصريون إلى الجهة القبلية واستباح أموالهم وقبض على نسائهم وأولادهم وأمر بإنزالهم سوق المزاد وبيعهم زاعماً أنهم أرقاء المال وفعل ذلك فاجتمع الأشياخ وذهبوا إليه فكان المخاطب له المترجم قائلاً له أنت أتيت إلى هذه البلدة وأرسلك السلطان إلى إقامة العدل ورفع الظلم، كما تقول أو لبيع الأحرار وأمهات الأولاد وهتك الحريم فقال هؤلاء أرقاء لبيت المال فقال له هذا لا يجوز و لم يقل به أحد فاغتاظ غيظاً شديداً وطلب كاتب ديوانه وقال له اكتب أسماء هؤلاء وأخبر السلطان بمعارضتهم لأوامره فقال له السيد محمود البنوفري أكتب ما تريد بل نحن نكتب اسمانا بخطنا فأفحم وانكف عن إتمام قصده وأيضاً تتبع أموالهم وودائعهم، وكان إبراهيم بك الكبير قد أودع عند المترجم وديعة وكذلك مراد بك أودع عند محمد أفندي البكري وديعة وعلم ذلك حسن باشا فأرسل عسكراً إلى السيد البكري، فلم تسعه المخالفة وسلم ما عنده وأرسل كذلك يطلب من المترجم وديعة إبراهيم بك فامتنع من دفعها قائلاً أن صاحبها لم يمت، وقد كتبت على نفسي وثيقة فلا أسلم ذلك ما دام صاحبها في قيد الحياة فاشتد غيظ الباشا منه وقصد البطش به فحماه الله منه ببركة الأنصار للحق فكان يقول لم أر في جميع الممالك التي ولجتها من اجترأ على مخالفتي مثل هذا الرجل فإنه أحرق قلبي ولما ارتحل إلى مصر ورجع المصريون إلى دولتهم حصل من مراد بك في حق السيد البكري ما حصل وغرمه مبلغاً عظيماً باع فيه إقطاعه في نظير تفريطه في وديعته واحتج عليه بامتناع نظيره وحصل له قهر تمرض بسببه وتسلسل به المرض حتى مات ويقال أن مراد بك أرسل إليه الحكيم ودس له السم في العلاج، ثم مات رحمه الله وكانت منه هفوة ولا بد للجواد من كبوة ومن لم ينظر في العواقب فليس له الدهر بصاحب حتى قيل أنه هو الذي عرف حسن باشا عن ذلك لينال به زيادة في الحظوة عنده ويترك منها حصة لنفسه بقرينة ما ظهر عليه في عقب ذلك من

التوسع ولقد غلب على ظنه بل وظن غالب الناس انقراض المصريين وغفلوا عن تقلبات الدهر في كل حين، وأما المترجم فإنه لما أخذ بالحزم سلم ورد الأمانة إلى صاحبها حين قدم وحسنت فيهم سيرته وزادت عندهم محبته وفي عقب ذلك نزل السيد محمد أفندي البكري المذكور عن وظيفة نظر المشهد الحسيني للمترجم وأرسل إليه بصندوق دفاتر الوقف وكان نظر المشهد ببيتهم مدة طويلة ووعده المترجم بأن يبدله عنه وظيفة النظر على وقف الشافعي، فلما حصل الفراغ واحتوى على الدفاتر نكث وطمع على الوظيفتين بل ومد يده إلى غيرهما لعدم من يعارضه ولا يدافعه من الأمراء وغيرهم مثل نظر المشهد النفيسي والزيني وباقي الأضرحة الكثيرة الإيراد التي يصاد بها الدنيا من كل ناد وتأتيها الخلائق بالقربانات وأنواع النذورات وأخذ يحاسب المباشرين وخدمة الأضرحة المذكورة على الإيرادات والنذورات ويحاققهم على الذرات ويسبهم ويهينهم ويضربهم

بالجريد المحمص على أرجلهم وفعل ذلك بالسيد بدوي مباشر المشهد الحسيني وهو من وجهاء الناس الذين يخشى جانبهم ومشهور ومذكور في المصر وغيره وكان معظم انقباض السيد البكري ونزوله عن نظر المشهد ضيق صدره من المذكور ومناكدته له واستيلاءه على المحل ومحصول الوقف والتقصير في مصارفه اللازمة وينسب التقصير للناظر وكان رحمه الله عظيم الهمة يغلب عليه الحياء والمسامحة ويرى خلاف ذلك من سفاسف الأمور فتنصل من ذلك وترك فعله لغيره، فلما أوقع المترجم بالسيد بدوي وباقي عظماء السدنة ما أوقع انقمع الباقون وذلوا وخافوه أشد الخوف ووشوا على بعضهم البعض وطفق يطالبهم بالنذور والشموع والأغنام والعجول وما يتحصل من صندوق الضريح من المال وكانوا يختصون بذلك كله وأقلهم في رفاهية من العيش وجمع المال مع السفالة والشحاذة حتى من الفقير المعدم المفلس والكسرة الناشفة، وكان إذا أراد الإيقاع بشخص أو إهانته وخشي عاقبة ذلك أو لو ما يلحقه ممن ينتصر له مهد له الطريق سراً قبل الإيقاع به فإنه لما أراد ضرب السيد بدوي طاف على الشيخ العروسي وأمثاله وأسرهم ما في نفسه وامتدت يده أيضاً إلى شهود بيت القاضي فكان إذا بلغه أن أحدهم كتب حجة استبدال وإجارة مكان مدة طويلة لناظر أم مستحق، وكان ذلك المكان يؤول بعد انقراض مستحقيه لضريح من الأضرحة التي تحت نظره أحضر ذلك الكاتب ووبخه ولعنه ولربما ضربه وأبطل تلك المكاتبة ومحاها من سجل القاضي أو يصالحونه على تنفيذ ذلك مع أنها لا تؤول إلى تلك الجهة إلا بعد سنين وأعوام متطاولة وقد نص علماء الشرع على أن الوقف والنذر للقبور والأضرحة باطل فإن قيل بصحته على الفقراء قلنا أن سدنة هذه الأضرحة ليسوا بفقراء بل هم الآن أغنى الناس والفقراء حقيقة خلافهم من أولاد الناس الذين لا كسب لهم والكثير من أهل العلم الخاملين والذين يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف، ولما استولى المترجم على وظيفة نظر المشهد الحسيني قهر السيد بدوي المباشر المذكور وأخذ دار سكنه شرقي المسجد وأخرجه منها وهدمها وأنشأها داراً لنفسه يترل بها أيام المولد المعتاد ويأتي إليها في كل جمعة أو جمعتين، ولما تم بناؤها ونظامها وقرب وقت أيام المولد انتقل إليها بخدمه وحريمه وتقدم إليها حكام الشرطة بأمر الناس والمناداة على أهل الأسواق والحوانيت بالسهر بالليل ووقود السرج والقناديل خمس عشرة ليلة المولد، وكان في السابق ليلة واحدة وأحدثوا في تلك الليالي سيارات وجمعيات وطبولاً وزموراً ومناور ومشاعل وجمع خلائق من أوباش العالم الذين ينتسبون إلى الطرائق كالأحمدية والسعدية والشعيبية ويتجاوبون في وسط الطبول بألفاظ مستهجنة ينادون بها مشايخ طرقهم بكلمات وعبارات تشمئز منها الطباع وأمرهم بان يمروا من تحت داره ودعا أمراء البلدة في ظرف تلك الأيام متفرقين ودعا عابدين باشا يوم المولد، ولما سكن بتلك الدار وهي قبالة الميضاة والمراحيض فكان يتضرر من الرائحة فقصد إبطالها من تلك الجهة فاشترى داراً قبلي المسجد وهي بجانب حائط المسجد الجنوبية الفاصلة بينها وبين المسجد وأدخل منها جانباً في المسجد وزاد فيه مقدار باكية وجعلها مرتفعة عن أرض المسجد درجة لتمتاز عن البناء القديم وجعل به محراباً وخلفه خلوة يسلك إليها من باب بصدر الليوان المذكور إلى فسحة لطيفة أمام الخلوة وبالخلوة شباك مطل على الليوان

الصغير الذي بقبة الضريح وأنشأ فيما بقي من الدار ميضاة ومراحيض وفتح لها باباً من داخل المسجد من آخره بجانب باب السبيل وأبطل الميضاة القديمة لانحراف مزاجه وتأذيه من رائحتها وعبور الناس من داخل وخارج إلى هذه الجديدة وأتت عليها عدة أيام ففاحت الروائح على المصلين ومن بالمسجد وما انضاف إلى ذلك أيضاً من البلل والتقذير من أرجل الأوباش لقربها من المسجد فلغط الناس ومن يحضر في أوقات الصلاة من أتراك خان الخليلي والتجار وشنعوا القالة وقاموا قومة واحدة وأغلقوا

الباب وأبطلوا تلك الميضاة ومنعوا من دخولها وساعدهم المتصوفون من أجناسهم فانكسف بال المترجم لذلك و لم يمكنه تنفيذ فعله وأعاد الميضاة القديمة، كما كانت وجعل المستجدة مربطاً للحمير يستغل أجرته بعد أن أزال تلك الميضاة ومحا أثر ذلك وكان بناء هذه الزيادة سنة ست بعد المائتين، ثم زاد في منزل سكنهم زيادة من ناحية البركة المعروفة ببركة الفيل خلف البستان أخذ في تلك الزيادة مقداراً كبيراً من أرض البركة وأنشأ مجلساً مربعاً متسعاً مطلاً على البركة من جهتيه وبوسطه عامود من الرخام وبلط دور قاعته بالرخام وجعل به مخدعاً وخارجه فسحة كبيرة وشبابيكها مطلة على البركة وصارت القاعة القديمة المعروفة بالغزال الملتفت بابها في ضمن الفسحة وبها باب القيطون وسمى هذه المنشية الأسعدية وبتلك الفسحة باب يدخل منه إلى منافع ومرافق، ثم عن له التغيير والتبديل لأوضاع البيت من ناحية أخرى فهدم الساتر على القاعة الكبيرة وفسحتها وهي التي يسمونها بأم الأفراح وهي من إنشاء الشيخ أبي التخصيص وهي أعظم المجالس التي بدارهم مزخرفة بالنقوش الذهب والقيشاني الصيني بجميع حيطانها والرخام الملون وبها الفسقية والسلسبيل والقمريات الملونة فكشف حائطها وأدخل فسحتها في رحبة الحوش وهدم القاعة الأخرى التي كان يصعد إليها بسلم من الفسحة الأخرى وأبطل الحواصل التي أسفلها وساواها بالأرض وعمل بها فسقية بالرخام ومرافقها من داخلها وبها باب يتوصل منه إلى الحريم وسماها الأنوارية نسبة لكنيته وأمامها فسحة عظيمة ديوان بدكك وكراسي بجانب البستان وبها الطرقة والدهليز الممتد بوسط البستان الموصل إلى القاعة المسماة بالغزال والأسعدية وهدم المقعد القديم الذي به العامود وقناطره وما كان بظاهر الحاصل المسمى بحاصل السجادة من الحواصل السفلية وجعله مسجداً يصلي فيه الجمعة وجعل فيه منبراً للخطبة وذلك لبعد المساجد الجامعة عن داره وتعاظمه عن السعي الكثير والاختلاط بالعامة وأخذ قطعة وافرة من بيت كتخدا الجاويشية وسع بها البستان وغرس بها الأشجار والرياحين والثمار وأفنى غالب عمره في تحصيل الدنيا وتنظيم المعاش والرفاهية واقتناء كل مرغوب للنفس وشراء الجواري والمماليك والعبيد والحبوش والخصيان والتأنق في المآكل والمشارب والملابس واستخراج الأدهان والعطريات المفرحة والمنعشة للقوة وتعاظم في نفسه وتعالى على أبناء جنسه حتى أنه ترفع على لبس التاج وحضور المحيا بالأزهر ليلة المعراج وكذا الحضور في مجلس وردهم الذي هو محل عزهم وفخرهم وصار يلبس قاووقاً بعمامة خضراء تسبها بأكابر الأمراء وبعدا عن التشبه بالمتعممين والفقهاء والمقرئين، ولما طالت أيامه وماتت أقرانه والذين كان يستحي منهم ويهابهم وتقلبت عليه الدول واندرجت أكابر الأمراء وتأمر أتباعهم ومماليكهم الذين كانوا يقومون على أقدامهم بين يدي مخاديمهم وأسيادهم جلوس بالأدب مع المترجم لا جرم كانت هيبته في قلوبهم أعظم من أسلافهم واستصغاره هو لهم، كذلك فكان يصدعهم بالكلام وينفذ أمره فيهم ويذكر الأمير الكبير بقوله ولدنا الأمير فلان وحوائجه عندهم مقضية وكلامه لديهم مسموع وشفاعته مقبولة وأوامره نافذة فيهم وفي حواشيهم وحريماتهم واتفق أن بعض أعاظم المباشرين من الأقباط توقف معه في أمر فأحضره ولعنه وسبه وكشف رأسه وضربه على دماغه بزخمة من الجلد، و لم يراع حرمة أميره وهو إذ ذاك أمير البلدة، ولما شكا إلى مخدومه ما فعل به قال له ما تريد أن أصنع بشيخ عظيم ضرب نصرانياً فرحم الله عظامهم.

واتفق أيضاً أن جماعة من أولاد البلد ووجهائها اجتمعوا ليلة بمنزل بعض أصحابهم وتباسطوا فأخذ بعضهم يسخر ويقلد بعض أصحاب المظاهر فوشى للمترجم بمجلسهم وأنهم أدرجوه في سخريتهم فتسماهم وأحضرهم واحد بعد واحد وعزرهم بالضرب

والإهانة فكان كل قليل يقع في بيته الضرب والإهانة لأفراد من الناس، وكذلك فلاحو الحصص التي حازها والتزم بها فإنه زادني خراجهم عن شركائه ويفرض عليهم زيادات ويحبسهم عليها شهوراً ويضربهم بالكرابيج وبالجملة فقد قلب الوضع وغير الرسم المطبوع بعد أن كان منزلهم محل سلوك ورشاد وولاية واعتقاد فصار كبيت حاكم الشرطة يخافه من غلط أدنى غلطة ويتحاماه الناس من جميع الأجناس وجلساؤه ومرافقوه لا يعارضونه في شيء بل يوافقونه ولا يتكلمون معه إلا بميزان وملاحظة الأركان ويتأدبون معه في رد الجواب وحذف كاف الخطاب ونقل الضمائر عن وضعها في غالب الألفاظ بل كلها حتى في الآثار المروية والأحاديث النبوية وغير ذلك من المبالغات وتحسين العبارات والوصف بالمناقب الجليلة والأوصاف الجميلة حتى أن السيد حسيناً المنزلاوي الخطيب كان ينشئ خطباً يخطب بها يوم الجمعة التي يكون المترجم حاضراً فيها بالمشهد الحسيني وبزاويتهم أيام المولد ويدرج فيها الإطراء العظيم في المترجم والتوسل به في كشف المهمات وتفريج الكروب وغفران الذنوب حتى أني سمعت قائلاً يقول بعد الصلاة لم يبق على الخطيب إلا أن يقول اركعوا واسجدوا واعبدوا شيخ السادات، ولما قدمت الفرنساوية إلى الديار المصرية في أوائل سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف لم يتعرضوا له في شيء وراعوا جانبه وأفرجوا عن تعلقاته وقبلوا شفاعاته وتردد إليه كبيرهم وأعاظمهم وعمل لهم ولائم وكنت أصاحبه في الذهاب إلى مساكنهم والتفرج على صنائعهم ونقوشهم وتصاويرهم وغرائبهم إلى أن حضر ركب العثمانيين في سنة خمسة عشرة وحصلت بينهم المصالحة على انتقال الفرنساوية من أرض مصر ورجوعهم إلى بلادهم على شروط اشترطوها بينهم وبين وزير الدولة العثمانية.

ومنها حسابات تدفع إليهم وأخرى تخصم عليهم وظن المترجم وخلافه إتمام الأمر والارتحال لا محالة، فعند ذلك لحقه الطمع فذكر مصلحة دفعها لكاتب جيشهم في نظير الإفراج عن تعلقاته وأرسل يطلبها من بوسليك مدبر الجمهور وكذلك ما قبضه ترجمانه فقال هذه عوائد لا بد منها ودخلت في حساب الجمهور وتغير خاطرهم منه وكانت منه هفوة ترتب عليها بينهم وبينه الجفوة، ولما انتقض الصلح وحصلت المفاقمة ووقعت المحاربة في داخل المدينة وتترست العساكر الإسلامية وأهل البلد في النواحي والجهات وانقطع الجالب عن أهل البلد مدة ستة وثلاثين يوماً التزم أغنياء الناس وأصحاب المظاهر الإطعام والإنفاق على المحاربين والمقاتلين في جهتهم ونواحيهم والتزم المترجم كغيره الإنفاق على من حوله، فلما انقضت أيام المحاربة وانتصر الفرنساوية ورجع الوزير ومن معه إلى جهة الشام منهزمين، فعند ذلك انتقم الفرنساوية من المبارزين لهم بأخذ المال بدلاً عن الأرواح وقبضوا على المترجم وحبسوه وأهانوه أياماً وفرضوا عليه قدراً عظيماً من المال قام بدفعه، كما ذكرنا ذلك مفصلاً في محله وقيل أن الذي زاد الفرنساوية إغراء به مراد بك حين اصطلح معهم وعمل لهم ضيافة ببر الجيزة وسببه أنه لما دهمت الفرنساوية وطلعوا الإسكندرية ووصل الخبر إلى مصر اجتمع الأمراء بالمساطب وطلبوا المشايخ ليشاوروا في هذا الحادث فتكلم المترجم وخاطبهم بالتوبيخ وقال كل هذا سوء فعالكم وظلمكم وآخر أمرنا معكم ملكتمونا للإفرنج وشافه مراد بك وخصوصاً بأفعالك وتعديك أنت وأمرائك على متاجرهم وأخذ بضائعهم وإهانتهم فحقدها عليه وكتمها في نفسه حتى اصطلح مع الفرنساوية وألقى إليهم ما ألقاه ففعلوا ما ذكر وذلك في ثاني يوم الضيافة، فلما رجع العثمانية في السنة الثانية إلى مصر بمعونة الإنكليز وصاروا بالقرب من المدينة حبسوا المترجم مع من حبس بالقلعة من أرباب المظاهر خوفاً من إحداثهم فتنة بالبلدة، ومات ولده الذي كان سماه محمداً نور الله وهو معوق ومميوع فأذنوا له في حضور جنازة ولده فنزل وصحبته شخص

حرسي منهم فلازمه حتى واراه وعاد به ذلك الحرسي إلى القلعة، وكان هذا الولد مراهقاً له من العمر اثنتا عشرة سنة كان في أمله أن يكون هو الخليفة في بيتهم بعده ويأبى الله إلا ما يريد، ولما انفصل الأمر وارتحل الفرنساوية من أرض مصر ودخل إليها يوسف باشا الوزير ومن معه تقدم المترجم يشكو إليه حاله وما أصابه وادعى الفقر والإملاق مع أن الفرنساوية لم يحجزوا عنه شيئاً من تعلقاته وإيراده وجعل شكواه وما حصل له سلماً للإفرنج عن جميع تعلقاته وإيراده من غير حلوان كغيره من الناس وزاد على ذلك أشياء ومطالب ومسامحات ودعا الوزير إلى داره وأفراد رجال الدولة الذين بيدهم مقاليد الأمور وعاد إلى حالته في التعاظم والكبرياء وارتحل الوزير بعد استقرار محمد باشا خسرو على ولاية مصر وكان سموحاً وكذلك شريف أفندي الدفتردار فرمح في غفلتهما واستكثر في التحصيل والإيراد إلى أن تقلبت الأحوال وعادت للمصريين في سنة ثمان عشرة، ثم خروجهم وما وقع من الحوادث التي تقدم ذكرها واستقر محمد علي باشا وثبتت قدمه بمعونة العامة والسيد عمر مكرم بمملكة مصر وشرع في تمهيد مقاصده فكان السيد عمر يمانعه فدبر على إخراجه من مصر وجمع المشايخ وأحضر المترجم وخلع عليه وقلده النقابة واخرج السيد عمر من مصر منفياً إلى دمياط، وذلك في سنة أربع وعشرين، كما تقدم ووافق فعله ذلك عرض المترجم بل ربما كان بمعونته لحقده الباطني على السيد عمر وتشوفه إلى النقابة وادعائه أنها كانت ببيتهم لكون الشيخ أبي هادي تولاها أياماً، ثم تولاها بعده أبو الإمداد، ثم نزل عنها لمحمد أفندي البكري الكبير، فلم يزل في نفس المترجم التطلع لنقابة الإشراف ويصرح بقوله أنها من وظائفنا القديمة وأحضر بها مرسوماً من دار السلطنة وأخفاه و لم يظهره مدة حياة محمد أفندي البكري الكبير، فلما مات وتقلدها ولده محمد أفندي ادعاها وأظهر المرسوم وشاع خبر ذلك فاجتمع الجم الغفير من الأشراف بالمشهد الحسيني ممانعين وقائلين لا نرضاه نقيباً ولا حكماً علينا، فلم يتم مراده، فلما توفي محمد أفندي الصغير ظن أنه لم يبق له فيها منازع فلا يشعر إلا وقد تقلدها السيد عمر بمعونة مراد بك وإبراهيم بك لصحبته معهما ومرافقته لهما في
الغربة حين كان المصريون بالصعيد فسكت على ضغن وغيظ يخفيه تارة ويظهره أخرى وخصوصاً وهو يرى أن السيد عمر في ذلك دون ذلك بكثير، فلما خرج الفرنساوية ودخل الوزير إلى مصر وصحبته السيد عمر متقلداً للنقابة، كما كان وانفصل عنها السيد خليل البكري وارتفع شأن السيد عمر وزاد أمره بمباشرة الوقائع وولاية محمد علي باشا وصار بيده الحل والعقد والأمر والنهي والمرجع في الأمور الكلية والجزئية والمترجم يحقد عليه في الباطن ويظهر له خلافه وهو الآخر كذلك.

ولكنني أخشاه وهو يخافني فيخفي ويبدو بيننا البغض والود، فلما أخرج الباشا السيد عمر وتقلد المترجم النقابة وبلغ مأموله عند ذلك أظهر الكامن في نفسه وصرح بالمكروه في حق السيد عمر ومن ينتمي إليه أو يواليه وسطر فيه عرضاً محضراً إلى الدولة نسب إليه أنواعاً من الموبقات التي منها أنه أدخل جماعة من الأقباط في الأشراف وقطع أناساً من الشرفاء المستحقين وصرف راتبهم للأقباط المدخلين ومنها أنه تسبب في خراب الإقليم وإثارة الفتن وموالاة البغاة المصريين وتطميعهم في المملكة حتى أنه وعدهم بالهجوم على البلدة يوم قطع الخليج في غفلة الباشا والناس والعساكر وأنه هو الذي أغرى المصريين على قتل علي باشا برغل الطرابلسي حين قدم والياً على مصر وهو الذي كاتب الإنكليز وطمعهم في البلاد مع الألفي حين حضروا إلى إسكندرية وملكوها ونصر الله عليهم العساكر الإسلامية وغير ذلك من عبارات عكس القضية وتمنيق الأغراض النفسانية وكتب الأشياخ عليه خطوطهم وطبعوا تحتها ختومهم ما عدا الطحطاوي الحنفي فإنه تنحى عن الشرور وامتنع من شهادة الزور فأوسعوه سخطاً ومقتاً وعزلوه من الأفتا وقد تقدم خبر ذلك في حوادث سنة أربع وعشرين وإنما المعنى بإعادة ذلك لك

هنا تتمة لترجمة المشار إليه وحذار من نقصها النسيان لأكثر جملها فلو سلمت الفكرة من النسيان لفاقت سيرته، كان وكان وفي سنة ست وعشرين أنشأ داراً عظيمة بجانب المترل وصرف جملاً من المال وأنشأ بها مجالس وقاعات ورواشن ومنافع ومرافق وفساقي وأنشأ فيها بستاناً غرس فيه أنواع الأشجار المثمرة وأدخل به ما حازه من دور الأمراء المتخربة وكان السيد خليل البكري اشترى داراً بدرب الفرن وذلك بعد خروج الفرنساوية وخمول أمره وعزله من مشيخة البكرية والنقابة وأنشأ بها بستاناً أنيقاً وأنشأ قصراً برسم ولده مطلاً على البستان فلما توفي السيد خليل تعدى على ولده سيدي أحمد وقهره وأخذ منه ذلك البستان بأبخس الأثمان وخلطه ببستان الدار الجديد وبنى سوره وأحاطه وأقام حائطاً بينه وبين دار المذكور وطمسها وأعماها وسدت الحائط شبابيك ذلك القصر وأظلمته، و لم يزل كلما طال عمره زاد كبره وقل بره وتعدى شره، ولما ضعفت قواه تقاعد عن القيام لأعاظم الناس إذا دخل عليه محتجاً بالإعياء والضعف ولازم استعمال المنعشات والمركبات المفرحة ولا يصلح العطار ما أفسد الدهر.

وفي شهر شوال من السنة التي توفي فيها أحضر ابن أخيه سيدي أحمد الذي تولى المشيخة بعده وألبسه خلعة وتاجاً وجعله وكيلاً عنه في نقابة الأشراف وأركبه فرساً بعباءة وأرسله إلى الباشا صحبة سيدي محمد المعروف بأبي دفية وأمامه جاويشية النقابة على العادة، فلما دخلا إلى الباشا وعرفه المرسول بأن عمه أقامه وكيلاً عنه فقال مبارك فأشارك إليه أن يلبسه خلعة فقال ان موكله ألبسه، و لم يتقلدها بالأصالة ولو كنت قلدته أنا كنت أخلع عليه وألبسه فقال ونزل إلى داره التي أسكنه بها عمه وهي الدار التي عند المشهد الحسيني وحضر إليه الناس للسلام والتهنئة وفي هذه السنة أيضاً عن للمترجم أن يزيد في المسجد الحسيني زيادة مضافة لزيادته الأولى التي كان زادها في سنة ست ومائتين وألف فهدم الحائط التي كان بناها الجنوبية وأدخل القطعة التي كان عمل بها الميضاة وزاد باكية أخرى وصف عواميد وصارت مع القديمة ليواناً جديداً وشرع في بناء دار عظيمة ليترل فيها وقت مجيئه هناك في أيام المولد وغيره عوضاً عن الدار التي نزل عنها لابن أخيه فتكون هذه بعيدة عن روائح الميضاة القديمة وتكون بالشارع وتمر من تحتها مواكب الأشاير ولا يحتاجون إلى تعديهم المسجد ودخولهم من طريق باب القبة وجعل بالحائط الفاصل بين الزيادة والدار المستجدة شبابيك مطلة على المسجد لينظر منها المجالس والوقودات من يكون بالدار من الحريم وغيرهم، فما هو إلا وقد قرب إتمام ذلك إلا وقد زاد به الإعياء والمرض وانقطع عن الترول من الحريم وتمت الزيادة، و لم يبلق إلا إتمام الدار فيستعجل ويشتم المشد والمهندس وينسب إليهم إهمال استحثاث العمال ويقول قد قرب المولد، و لم تكمل الدار فأين نجلس أيام المولد هذا كل يوم يزيد مرضه وتورمت قدماه وضعف عن الحركة وهو يقول ذلك ويؤمل الحياة، فلما زاد به الحال وتحقق الرحيل إلى مغفرة المولى الجليل أوصى لأتباعه بدارهم ولذي الفقار الذي كان كتخدا الألفي والآن في خوالة بستان الباشا الذي بشبرا بخمسمائة ريال لكون زوجته خشداشة حريمه هما من جواري إسمعيل بك الكبير وليكون معيناً لها ومساعداً في مهماتها ولسيدي محمد أبي دفية مثلها في نظير خدمته وتقيده وملازمته له وأوصى أن لا يغسل إلا على سريره الهندي الذي كان ينام عليه في ليكون مخالفاً للناس حتى في حال الموت، فلما كان يوم الأحد ثامن عشر ربيع الأول من السنة انقضى نحبه وتوفي إلى رحمة الله تعالى وقت العصر وبات بالمترل ميتاً، فلما أصبح يوم الاثنين غسل وكفن، كما أوصى على السرير وخرجوا بجنازته من المترل ووصلوا بها إلى الأزهر فصلى عليه بعد ما أنشد المنشد مرثية من إنشاء العلامة الشيخ حسن

العطار وجعل براعة استهلالها الإشارة إلى ما كان عليه المترجم من التعاظم والتفاخر فقال:
سلام على الدنيا فقد ذهب الفخر، ثم حمل إلى مشهد أسلافه بالقرافة ودفن في التربة التي أعدها لنفسه بجانب مقام جدهم وتقلد مشيخة سجادتهم في ذلك اليوم الشيخ أحمد بن الشيخ يوسف وهو ابن عمه وعصبته وكنيته أبو الإقبال بإجماع من الخاص والعام وجلس هو وأخوه سيدي يحيى لتلقي العزاء وفي الصباح حضر إلى الرباط بالخرنفش، وكان بزاوية الرباط المذكور خلوة جدهم أقام بها حين حضر من الغرب إلى مصر وعادتهم إذا تولى شخص منهم المشيخة لا بد أن يأتي في الصباح ويدخل الخلوة فيجلس بها حصة لطيفة فيتروحن وتلبش الولاية، فلما كان المترجم هدم حائط تلك الخلوة زاعماً أنه خاتمة أوليائه ،وأنه لم يأتي من يصلح للمشيخة سواه وكأنه أخذه بذلك عهداً وميثاقاُ، ولم يعلم أن ربه لم يزل خلاقاً وأن الولاية ليست بفعل العبد ولا بالسعي والقصد قال تعالى في محكم آياته الله أعلم حيث يجعل رسالاته وقال سبحانه إلا أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون وإن أولياءه إلا المتقون نسأله التوفيق والهدايا والحفظ على أسباب الغواية ولما كان القديمة حضر المتولي وصحبته أشياخ الوقت والسيد محمد المحروقي وجماعة الحزب وغيرهم من المتفرجين وقد جعلوا على محل الخلوة سائراً بدل الحائط المهدوم ودخل المتولي خلفها وقرأ جماعة الحزب شيئاً من القرآن ثم قام النقيب مع الشيخ البكري فتلقوا الشيخ فخرج على الحاضرين متطيلساً وصافحهم وركب بصحبتهم إلى القلعة فخلع عليه كتخدا بك خلعة سمور ونزلوا إلى زاويتهم بالقرافة وأمامهم جماعة الحزب وجاويشية النقابة فجلسوا حصة وقرؤوا أحزابهم ثم ركب ورجع إلى المترل وجلس مع أخيه لعمل المأتم والقراءة الجمعية على العادة وأرسل كتخدا بك ساعياً يخبر موته إلى الباشا بالفيوم لأنه لما سافر إلى جهة قبلي ووصل إلى ناحية بني سويف ركب بغلة سريعة العدو وركب خلفه خواصه بالهجن والبغال فوصلها في أربع ساعات وانقطع أكثر المتوجهين معه ومات منهم سبعة عشر هجيناً رجع الساعي بعد ثلاثة أيام بجواب الرسالة ومضمونها عدم التعرض لورثة المتوفي حتى يقدم الباشا من غيبته فبقي الأمر على السكوت أربعة عشر يوماً وحضر الباشا ليلة الأحد ثامن ربيع الآخر فبمجرد وصوله إلى الجيزة أرسل بالختم على مترلهم فما يشعرون إلا وحسين كتخدا الكتخدا بك وبيت المال واصل إليهم ومعهم آخرون فختموا على المجالس التي بالحريم ومجلس الجلوس الرجالي ختموا على خزائنه وقبضوا على الكاتب القبطي المسمى عبد القدوس والفراش وحبسوهما وعدى الباشا من ليلته إلى بر مصر وطلع إلى القلعة فركب إليه في صبحها المشايخ وصحبتهم ابن أخي المتوفي وهو الذي تولى المشيخة فخاطبوه وقالوا له كلاماً معناه أن بيوت الأشياخ مكرمة ولم تجر العادة بالختم على أماكنهم وخصوصاً أن هذا المتوفي كان عظيماً في بابه وأنتم أخبر به وكان لكم به مزيد عناية ومراعاة فقال نعم أني لا أريد إهانة بيتهم ولا أطمع في شيء مما يتعلق بمشيختهم ولا وظائفهم القديمة ولا يخفاكم أن المتوفي كان طماعاً وجماعاً للمال وطالت مدته وحاز التزامات وإقطاعات وكان لا يحب قرابته ولا يخصهم بشيء بل كتب ما حازه لزوجته وهي جارية نهاية ثمنها ألفا قرش أو أقل أو أكثر ولم يكتب لأولاد أخيه شيئاً فلا يصح أن أمه تختص بذلك كله والخزينة أولى به لاحتياجات مصاريف العساكر ومحاربة الخوارج واستخلاص الحرمين وخزينة السلطان وأنا أرفع الختم رعاية لخواطركم فدعوا له وقاموا إلى مجلس الكتخدا وخلع على الشيخ المتولي فروة سمور أخرى قلد السيد محمد الدواخلي نقابة الأشراف وخلع عليه فروة سمور عوضاً عن سيدي أحمد أبي الإقبال المتولي على خلافة السادات فانفصل من النقابة ونزلت الجاويشية ولوازم النقابة مثل باش جاويش والكاتب أما الدواخلي وخلفه وقلد السيد المحروقي نظارة المشهد الحسيني عوضاً عن المتوفي وكان فراغ بها

لابن أخيه فلم ينفذ الباشا ذلك وفي ثاني يوم حضر الأعوان إلى بيت السادات وفكوا الختوم وطلبوا سقاء الحريم فأخذوه معهم وأوجعوه بالضرب وأحضروا البناء وسألوهما عن محل الخبايا ثم رجعوا إلى المترل ففتحوا مخبأة مسدودة بالبناء فوجدوا بها قوالب مساند قطيفة غير محشوة ووجدوا نحاساً وقطناً وأواني صيني فتركوا ذلك وذهبوا وأبقوا بالدار عدة من العسكر فباتوا بها ثم

رجعوا في ثالث يوم وفتحوا مخبأة أخرى فوجدوا بها أكياساً مربوطة فظنوا بداخلها المال ففتحوها فوجدوا بها بن قهوة وبغيرها صابون وشموع عسل و لم يجدوا شيئاً من المال فتركوا تلك الأشياء ونزلوا إلى قاعة جلوسه وفتحوا خزانة فوجدوا بها نقوداً فعدوها وحصروها فبلغت مائة وسبعة وعشرين كيساً فأخذوها ثم سعى السيد محمد المحروقي في مصالحة الباشا حتى قرر عليهم ألف كيس وخمسين كيساً وخمسة أكياس براني لبيت المال وخصموا منها الذي وجدوه بالخزانة وطولبوا بالباقي وذلك بعد التشديد والتهديد على الزوجة وتوعدها بالتغريق في البحر إن لم تظهر المال وأمر الكاتب بحساب إيراده ومصرفه في كل سنة وما صرفه في الأبنية وينظر ما يتبقى بعد ذلك في مدة سنين ماضية فلم يزل السيد محمد المحروقي يدافع ويسعى حتى تقرر القدر المذكور والتزم هو بدفعه وحولت عليه الحوالات وضبط الباشا حصص الالتزام التي كتبت باسم الزوجة ومنها قلقشندة بالقليوبية وسوادة ودفرانية بالجهة القبلية وغير ذلك وبعد انقضاء عدة الزوجة استأذن السيد المحروقي الباشا في عقد نكاحها على ابن أخي المتوفي الذي هو السيد أحمد أبو الإقبال الذي تولى خلافة بيتهم فأذن بذلك فحضر في الحال وأجرى العقد بعد أن حكمت عليه بطلاق التي في عصمته وهي جاريتها زوجته في حياة عمه ورزق منها أولاد واستقر المشار إليه في المترل خليفة وشيخاً على سجادتهم وسكن معه أخوه سيدي يحيى زادهما الله توفيقاً وخيراً واتفاقاً وأشرق نجم المتصدر على أفق السعادة إشراقاً فهو أبو الإقبال المتحلي بالجمال والكمال في المهد ينطق عن سعادة جده أثر النجابة واضح البرهان أن الهلال إذا رأيت نموه أيقنت إن سيزيد في اللمعان.

ومات، الشيخ الناسك محمد بن عبد الرحمن اليوسي المغربي ورد إلى مصر وحج ورجع ونزل بدار الحاج مصطفى الهجين العطار منجمعاً عن خلطة الناس والسعي على طريقة حميدة ومذاكرة حسنة ويأتي إليه الناس يزورونه ويتبركون به ويسألونه الدعاء ويستفهمون منه مسائل فجيب كل إنسان بما ينسر منه بتواضع وانكسار وتزهيد في الدنيا وتمرض سنيناً وتوفي يوم الثلاثاء عشرين المحرم وصلي عليه بالأزهر في مشهد حافل ودفن بجانب الخطيب الشربيني بتربة المجاورين وهي القرافة الكبرى.

ثم دخلت سنة تسع وعشرين ومائتين وألف

استهل المحرم بيوم الجمعة

فيه في ليلة الجمعة ثامنه وردت مكاتبات من الديار الحجازية وفيها الأخبار بأن الباشا قبض على الشريف غالب أمير مكة وقبض على أولاده الثلاثة وأربعة عبيد طواشية من عبيده وأرسلهم إلى جدة وأنزلهم في مركب من مراكبه وهي واصله بهم والذي وصل في مركب صغير تسمى السبحان سبقتهم في الحضور إلى السويس وأخبروا أيضاً في المكاتبة أنه لما قبض عليهم أحضر يحيى ابن الشريف سرور وقلده الأمارة عوضاً عن عمه غالب وقبضوا أيضاً على وزيره الذي بجدة وأصحبوه معهم وقلد مكانه في الكمارك شخصاً من الأتراك يسمى علي الوجاقلي فلما وصل الهجان بهذه المكاتبة إلى السيد محمد المحروقي ليلاً ركب من وقته إلى كتخدا بك في بيته وأطلعه على المكاتبات فلما طلع النهار نهار يوم الجمعة ضربوا عدة مدافع من القلعة إعلاماً وسروراً بذلك.

وفيه، احتفل كتخدا بك بعمل مهم أيضاً لزواج إسمعيل باشا ابن محمد علي باشا ومحمد بك الدفتردار على ابنة الباشا وإسماعيل باشا على ابنة عارف بم ابن خليل باشا التي أحضرها صحبته من إسلامبول وقد ذكر العقد عليهما في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان من السنة الماضية قبل توجه الباشا إلى الحجاز فألزم كتخدا بك السيد محمد المحروقي بتنظيم الفرح والاحتياجات واللوازم واتفقوا على ان يكون نصبة الفرح ببركة الأزبكية تجاه بيت حريم الباشا وطاهر باشا تعمل الولائم واجتماع المدعوين ببيت طاهر باشا والمطبخ بخرائب بيت الصابونجي وأرسلوا أوراق التنابيه للمدعوين على طبقات الناس بالترتيب ونصبوا بوسط البركة عدة صواري لأجل الوقدات والقناديل التي تعمل عليها التصاوير من القناديل فترى من البعد صورة مركب أو سبعين متقابلين أو شجرة أو محمل على جمل أو كتابة مثل ما شاء الله ونحو ذلك وصفوا بوسط البركة عدة مدافع صفين متقابلين ونصب بهلوان الحبل حبله أوله من تجاه بيت الباشا وآخره برأس المنارة التي جهة حارة الفوالة خلف رصيف الخشاب حيث الأبنية المتخربة في الحوادث الماضية بالقرب من القشلة وعمارات محمد باشا خسرو التي لم تكمل وبهلوان آخر شامي بالناحية الأخرى وانتقل السيد محمد المحروقي من داره إلى بيت الشرايبي تجاه جامع أزبك لأجل مباشرة المهمات فلما أصبح يوم السبت وهو يوم الابتداء ودعوة الأشياخ رتبوهم فرقتين فرقة تأتي ضحوة النهار وأخرى بعد العصر واجتمع بالأزبكية أصناف أرباب الملاعيب والمغزلكين والجنباذية والحبيظية والحواة والقرداتية والرقاصين والبرامكة وغير ذلك أصناف وأشكال فاحتفلت وأقبل من كل ناحية أصناف الناس رجال ونساء وأقارب وأباعد وأكابر وأصاغر وعساكر وفلاحون ويهود ونصارى وأروام لأجل التفرج حتى ازدحمت الطرق الموصلة إلى الأزبكية من جميع النواحي بأصناف الناس الذاهبين والراجعين والمترددين واستمر ضرب المدفع من ليلة السبت المذكور إلى ليلة الجمعة التالية الأخرى ليلاً ونهاراً والحرائق والنفوط والسواريخ في الليل ولعبت أرباب الملاعيب والبهلوانات على الحبال وكذلك احتفل النصارى وعملوا وقدات وحراقات تجاه حاراتهم ومساكنهم وصادف ذلك عيد الميلاد وعملوا لهم مراجيح وملاعيب.

وفي أثناء ذلك، وقع التنبيه على أصحاب الحرف والصنائع بعمل عربات مشكلة وممثلة بحرفتهم وصنائعهم ليمشوا بها في زفة العروس فاعتنى أهل كل حرفة وصناعة بتنميق وتزيين شكله وتباهوا وتناظروا وتفاخروا على بعضهم البعض فكان كل من سولت له نفسه وحدثه الشيطان بأحدث شيء فعله وذهب إلى المتعين لذلك فيعطيه ورقة لأن ذلك لم يكن لأناس مخصوصة أو عدد مقدر بل بتحكماتهم وإلزام بعضهم البعض فيفرض رئيس الحرفة على أشخاص أهلها فرائض ودراهم يجمعها منهم وينفقها على العربة وما يلزمها من أخشاب وحبال وحمير أو خيل أو رجال يسحبونها وما يكتريه أو يستعيره لزينتها من المزركشات والمقصبات والطليعات وأدوات الصنعة التي تتميز بها عن غيرها فتصير في الشكل كأنها حانوت والبائع جالس فيها كالحلواني وأمامه الأواني فيها أنواع الحلو والسكري وحوله أواني الملبس وأقماع السكر معلقة حوله والشربات والشربتلي والعطار والحريري والعقاد البلدي والرومي والزيات والحداد والنجار والخياط والقزاز والحباك والنشار وهو ينشر الخشب بمنشاره المعلق والطحان والفران وعه الفرن وهو يخبز فيه والفطاطري والجزار وحوله لحم الغنم ومثله جزار الجاموس والكبابجي والنيفاوي وقلاء الجبن والسمك والجيارين والجباسين بالبحر والثور يدور به وهو ماش بالعربة والبناء والمبلط والمبيض النحاس وللبناء والسمكري تتمته إحدى وتسعون عربة وفيهم حتى المراكبي في قنجة كبيرة كامل العدة والقلوع تمشي على الأرض على العجل خلاف أربع عربات المختصة بالعروس فلما كان يوم الأربعاء سحبوا تلك العربات وانجروا بمواكبهم وطبولهم وزمورهم وأمام كل عربة أهل حرفتها وصناعتها مشاة خلف الطبول والزمور وهم مزينون بالملابس وملابسهم الفاخرة وأكثرها مستعارة فكانوا يترلون إلى البركة من ناحية باب الهواء ويمون من تحت بيت الباشا إلى ناحية رصيف الخشاب ويأتي كبير الحرفة بورقته إلى المتعين لملاقاتهم فينعم عليه بخلعة ودراهم فيعطي البعض شال كشميري وألفين فضة والبعض طاقة تفصيلة قطني أو أربعة أذرع جوخ على قدر مقام الصنعة وأهلها واستمر مرورهم من أول النهار إلى بعد الغروب واصطفوا بأسرهم عند رصيف الخشاب ولما أصبح يوم الخميس رتبوا مرور الزفة وعيت لترتيبها أشخاصاً ومنهم السيد محمد درب الشمسي وهو كبير المنظمين وكان خروجها من بيت الحريم وهو الذي كان سكن الشيخ خليل البكري وذهبوا وانجروا على طريق الموسكي على تحت الربع إلى باب زويلة إلى الغورية إلى بين القصرين إلى سوق مرجوش إلى باب الحديد إلى بولاق إلى سراية إسمعيل باشا التي جددوها قبلي بولاق قريباً من الشون فلم تصل إلى مترلها إلا عند الغروب وكان في أول الزفة طائفة من العسكر الدلاة ثم والي الشرطة ثم المحتسب ثم موكب أغات الينكجرية وبعدهم المساخر والنقاقير وعدتها عشرة نقاقير وعلى كل نقارة تفصيلة ثم العربات المذكورة وفيها أيضاً تجار الغورية وطائفة تجار خان الخليلي في موكب حفل وتجار الحمزاوي من نصارى الشوام وغيرهم وكان يوماً مشهوداً اجتمعت فيه الخلائق للفرجة في طرقها حتى طريق بولاق واكترى الناس الأماكن المطلة على الشارع والحوانيت بأغلى الأثمان ولما وصلت العروس إلى قصرها ضربوا عدة مدافع من بولاق والأزبكية والجيزة وكان العزم على المهم الثاني والابتداء فيه من يوم السبت الذي بعد الجمعة فرسموا بتأخيره إلى الجمعة الأخرى لتأخر أم العريس ومن يصحبها من النساء وأقمن ببولاق تلك الجمعة واستمرت قصبة الصواري والحبال والآلات على حالها بالأزبكية.

وفي يوم الأحد سابع عشره، وصل السيد غالب شريف مكة إلى مصر القديمة وقد أتت به السفينة من القلزم إلى مرساة ثغر القصير فتلقاه إبراهيم باشا وحضر صحبته إلى قنا وقوص ثم ركب النيل بمن معه من أولاده وعبيده والعسكر الواصلين صحبته

وحضر إلى مصر القديمة فلما وصل الخبر إلى الكتخدا بك ضربوا عدة مدافع من القلعة إعلاماً بوصوله وإكراماً على حد قوله تعالى ذق إنك أنت العزيز الكريم ركب صالح بك السلحدار وأحمد آغا أخو كتخدا بك في طائفة لملاقاته وإحضاره وهيئوا له مكاناً بمتزل أحمد آغا أخي كتخدا بك بعطفة ابن عبد الله بك بخط السروجية ليترل فيه وانتظره الكتخدا هناك وصحبته بونابارته الخازندار ومحمود بك ومحو بك وإبراهيم أغا أغات الباب والسيد محمد المحروقي فلما وصل إلى الدار نزل الكتخدا والجماعة ولاقوه عند سلم الركوبة وقبلوا يده ولزم الكتخدا بيده تحت إبطه حتى صعد إلى محل الجلوس الذي أعدوه له واستمر الكتخدا قائماً على قدميه حتى أذن له في الجلوس هو وباقي الجماعة وعرفه الكتخدا عن السيد محمد المحروقي فتقدم وقبل يده فقام له وسلم عليه وجلس بحذاء الكتخدا ليترجم عنه في الكلام ويؤانسوه ويطمنوا خاطره ثم أن الكتخدا اعتذر له باشتغاله بأحوال الدولة واستأذنه في الذهاب إلى ديوانه وعرفه أن أخاه ينوب عنه في الخدمة ولوازمه فقبل عذره وقام منصرفاً هو وباقي الجماعة ما عدا السيد محمد المحروقي ومحمود بك فإن الكتخدا أمرهما بالتخلف عنده ساعة فجلسا معه وتغديا صحبته ومعه أولاده الثلاثة وعبيده ثم انصرفا إلى متزلهما و لم يأذن الكتخدا لأحد من الأشياخ أو غيرهم من التجار بالسلام عليه والاجتماع به والذي بلغنا في كيفية القبض عليه أنه لما ذهب الباشا إلى مكة واستمر هو وابنه طوسون باشا مع الشريف غالب على المصادقة والمسالمة والمصافاة وجدد معه العهود والإيمان في جوف الكعبة بأن لا يخون أحد صاحبه وكان الباشا يذهب إليه في قلة وهو الآخر يأتي إليه وإلى ابنه واستمروا على ذلك خمسة عشر يوماً من ذي القعدة دعاه طوسون باشا إليه فأتى إليه كعادته في قلة فوجد بالدار عساكر كثيرة فعندما استقر به المجلس وصل عابدين بك في عدة وافرة وطلع إلى المجلس فدنا منه وأخذ الجنبية من حزامه وقال له أنت مطلوب للدولة فقال سمعاً وطاعة ولكن حتى أقضي أشغالي في ظرف ثلاثة أيام وأتوجه فقال لا سبيل إلى ذلك والسفينة حاضرة في انتظارك فحصل في جماعة الشريف وعبيده رجة وصعدوا على أبراج سرايته وأرادوا الحرب فأرسل إليهم الباشا يقول لهم عن وقع منكم حرب أحرقت البلدة وقتلت أستاذكم وأرسل لهم أيضاً الشريف يكفهم عن ذلك وكان بها أولاده الثلاثة فحضر إليهم الشيخ أحمد تركي وهو من خواص الشريف وخدمهم وقال لهم لم يكن هناك بأس وإنما والدكم مطلوب في مشاورة مع الدولة ويعود بالسلامة وحضرة الباشا يريد أن يقلد كبيركم نيابة عن أبيه إلى حين رجوعه و لم يزل حتى انخدع كبيرهم إلى كلامه وقاموا معه فذهب بهم إلى محل خلاف الذي به والدهم محتفظاً بهم وفي الوقت أحضر الباشا الشريف يحيى بن سرور وهو ابن أخي الشريف غالب وخلع عليه وقلده أمارة مكة ونودي في البلدة باسمه وعزل الشريف غالباً حسب الأوامر السلطانية واستمر الشريف غالب أربعة أيام عند طوسون باشا ثم أركبوه وأصحبوا معه عدة من العسكر وذهبوا به وبأولاده إلى بندر جدة وأنزلوهم السفينة وساروا بها إلى ناحية القصير من صعيد مصر وحضر كما ذكر.

وفي يوم الأربعاء، وصل قاصد من الديار الرومية وعلى يده مثالان فعمل كتخدا بك ديواناً في صبحية يوم الخميس حادي عشرينه وقرئ ذلك وهما مثالان يتضمن أحدهما التقرير لمحمد علي باشا على ولاية مصر على السنة الجديدة والثاني الأخبار والبشارة باستيلاء العثمانيين على بلاد الصرب ولما فرغوا من قراءتهما ضربوا عدة مدافع من القلعة وفي عصرية ذلك اليوم حضر حريم الباشا من بولاق إلى الأزبكية في عربات فضربوا لحضورهن مدافع من الأزبكية وشرعوا في عمل المهم الثاني لابنة الباشا علي الدفتردار وافتتحوا ذلك من ليلة السبت على النسق المتقدم وعملوا العزائم والولائم واحتفلوا زيد من المهم الأول

وأحضروا الشريف غالباً وأعدوا له مكاناً بيت الشرايبي على حدته هو وأولاده ليتفرجوا على الملاعيب والبهلوانات نهاراً والشنك والحراقات ليلاً وعلى الشريف وأولاده الحرس ولا يجتمع بهم أحد على الوجه والصورة التي كانوا عليها بالمترل الذي أنزلوا فيه فلما كان يوم الأربعاء اجتمع أرباب العربات وأصحابها وقد زادوا عن الأولى خمسة عشر عربة وفيهم معمل الزجاج وباتوا بنواحي البركة على النسق المتقدم ونصبوا لهم خياماً تقيهم من البرد والمطر لأن الوقت شات، ولما أصبح يوم الخميس انجرت العربات وموكب الزفة من ناحية باب الهواء على قنطرة الموسكي على باب الخرق على درب الجماميز وعطفوا من الصليبة على المظفر على السروجية على قصبة رضوان بك على باب زويلة على شارع الغورية على الجمالية على سوق مرجوش على بين السورين على الأزبكية على باب الهواء إلى المترل الذي أعدوه لها وهو بيت ابن إسمعيل بك وهي بنت إبراهيم بك، وكانت متزوجة بإسمعيل بك ولما مات تزوج بها مملوكه محمد أغا ويعرف بالألفي وقد تولى أغاوية مستحفظان في هذه الدولة واعتنى بهذا الدار وعمر بها مكانين بداخل الحريم وزخرفها ونقشها نقشاً بديعاً صناعة صناع العجم واستمروا في نقشها سنتين، ولما ماتت المذكورة في أوائل هذه السنة واستمر هو ساكناً فيها وأنزل الباشا عنده القاضي المنفصل عن قضاء مصر المعروف ببهجة أفندي وقاضي مكة صادق أفندي حين حضر من إسلامبول، ثم أمره الباشا بالخروج منها وإخلائها لأجل أن يسكن ابنته هذه المزفوفة فخرج منها في أوائل شوال وكذلك سافر القاضيان إلى الحجاز بصحبة الباشا وعند ذلك بيضوها وزادوا في زخرفتها وفرشوها بأنواع الفرش الفاخرة ونقلوا إليها جهاز العروس والصناديق وما قدم إليها من الهدايا والأمتعة والجواهر والتحف من الأعيان وحريماتهم حتى من نساء الأمراء المصريين المنكوبين، وقد تكلفوا فوق طاقتهم وباعوا واستدانوا وغرموا في النقوط والتقادم والهدايا في هذين المهمين ما أصبحوا به مجردين ومديونين، وكان إذا قدمت إحدى المشهورات منهن هديتها عرضوها على أم العروسين التي هي زوجة الباشا فقلبت ما فيها من المصاغ المجوهر والمقصبات وغيرها فإن أعجبتها تركتها وإلا أمرت بردها قائلة هذا مقام فلانة التي كانت بنت أمير مصر أو زوجته فتتكلف المسكينة للزيادة، ونحو ذلك مع ما يلحقها من كسر الخاطر وانكساف البال، ثم أدخلوا العروس إلى تلك الدار عندما وصلت بالزفة.

ومما حصل أنه قبل مرور موكب الزفة بيومين طاف أصحاب الشرطة ومعهم رجال وبأيديهم مقياس فكلما مروا بناحية أو طريق يضيق عن القياس هدموا ما عارضهم من مساطب الدكاكين أو غيرها من الجهتين لاتساع الطريق لمرور العربات والملاعيب وغيرها فأتلفوا كثيراً من الأبنية ونودي في يوم الأربعاء بزينة الحوانيت والطرق التي تمر عليها الزفة بالعروس ومما حصل من الحوادث السماوية أن في يوم الخميس المذكور عندما توسطت الزفة في مرورها بوسط المدينة أطبق الجو بالغيام وأمطرت السماء مطراً غزيراً حتى تبخرت الطرق وتوحلت الأرض وابتلت الخلائق من النساء والرجال المجتمعين للفرجة وخصوصاً الكائنين بالسقائف وفوق الحوانيت والمساطب، وأما المتعينون للمشي في الموكب ولا بد الذين لا مفر لهم من ذلك ولا مهرب فاختل نظامهم وابتلت ثيابهم وتكدرت طباعهم وانتقضت أوضاعهم وزادت وساوسهم وتلفت ملابسهم وهطل الغيث على الإبريسم والحرير والشالات الكرخانة والسليمي والكشمير وما زينت به العربات من أنواع المزركش والمقصبات ونفذت على من بداخلها من القيان والأغاني الحسان وكثير من الناس وقع بعدها تزحلق وصار نوبه بالوحل أبلق ومنهم من ترك الزفة وولى هارباً في عطفه يمسح يديه في الحيط بما تلطخ بها من الرطيط وتعارجت الحمير وتعثرت البياجير وانهدم تنور

الزجاج، و لم ينفع به العلاج وتلف للناس شيء كثير ولا يدفع قضاء الله حيلة ولا تدبير، و لم تصل العروس إلى دارها إلا قبيل دنو الشمس من غروبها، وعند ذلك انجلى الجو وانكشفت بيوت النو ووافق ذلك اليوم ثالث عشر طوبه من شهور القبط المحسوبة وحصل بذلك الغيث العميم النفع لمزارع الغلة والبرسيم.

وفيه وردت مكاتبات من العقبة فيها الأخبار بوصول قافلة الحج صحبة المحمل وأميرها مصطفى بك دالي باشا.

وفي يوم الجمعة تاسع عشرينه، وصل كثير من الحجاج الأتراك وغيرهم وردوا في البحر إلى بندر السويس ووصل تابع قهوجي باشا وأخبر عنه أنه فارق مخدومه من العقبة، ونزل في مركب مع أم عابدين بك وحضر إلى السويس.

واستهل شهر صفر بيوم الأحد سنة 1229

مما وقع في ذلك اليوم من الحوادث أن صناع البارد الكائنين بباب اللوق حملوا نحو عشرة أحمال من الجمال أوعية ملآنة باروداً وهي الظروف المصنوعة من الجلود التي تسمى البطط يريدون بها القلعة فمروا من باب الخرق إلى ناحية تحت الربع فلما وصلوا تجاه معمل الشمع وبصحبة الجمال شخص عسكري فتشاجر مع الجمال ورد عليه القول فحنق منه فضربه بفرد الطبنجة فأصابت إحدى البطط فالتهبت بالنار وسرت إلى باقي الأحمال فالتهب الجميع وصعد إلى عنان السماء فاحترقت السقيفة المطلة على الشارع وما بناحيتها من البيوت والذم أسفلها من الحوانيت وكذلك من صادف مروره في ذلك الوقت واحترق ذلك العسكري والجمال فيمن احترق واتفق مرور امرأة من النساء المحتشمات مع رفيقتها فاحترقت ثيابها مع رفيقتها وذهبت تجري والنار ترعى فيها وكانت دارها بالقرب من تلك الناحية فيما وصلت إلى الدار حتى احترق ما عليها من الثياب واحترق أكثر جسدها ووصلت الأخرى بعدها وهي محترقة وعريانة فماتت من ليلتها ولحقتها الأخرى في ضحوة اليوم الثاني ومات في هذه الحادثة أكثر من المائة نفس من رجال ونساء وأطفال وصبيان وأما الجمال فأخذوها إلى بيت أبي الشوارب وهي سود محترقة الجلود وفيها من خرجت عينه فإما يعالجوها أو ينحروها وكل هذا الذي حصل من الحرق والموت والهدم في طرفة عين.

وفي الاثنين وصل مصطفى بك أمير ركب الحجاج إلى مصر وترك الحجاج بالدار الحمراء فبات في داره وأصبح عائداً إلى البركة فدخل مع المحمل يوم الأربعاء ودخل الحجاج وأتبعهم بحيث أنه أخذ المسافة في أحد وعشرين يوماً وسبب حضور المذكور أنه ذهب بعساكره وعساكر الشريف من الطائف إلى ناحية تربة والمتآمر عليها امرأة فحاربتهم وانهزم منها شر هزيمة فحنق عليه الباشا وأمره بالذهاب إلى مصر مع المحمل.

وفيه، أرسل الباشا يستدعي اثنتين أو ثلاثة عينهن من محاظيه وصحبتهن خمسة من الجواري السود الأسطاوات في الطبخ وعمل أنواع الفطور فأرسلوهن في ذلك اليوم إلى السويس وصحبتهن نفيسة القهرمانة وهي من جواريه أيضاً وكانت زوجاً لقاضي أوغلي المحتسب الذي مات بالحجاز في العام الماضي.

وفيه أيضاً وصل حريم الشريف غالب فعينوا له داراً يسكنها مع حريمه جهة سويفة العزى فسكنها ومعه أولاده وعليهم المحافظون واستولى الباشا على موجودات الشريف غالب من نقود وأمتعة وودائع ومخبآت وشرك وتجارات وبن وبهار ونقود بمكة وجدة والهند واليمن شيء لا يعلم قدره إلا الله وأخرجوا حريمه وجواريه من سرايته بما عليهن من الثياب بعد ما فتشوهن

تفتيشاً فاحشاً وهتك حرمته قل اللهم مالك الملك هذا الشريف غالب انتزع من مملكته وخرج من دولته وسيادته وأمواله وذخائر وانسل من ذلك كله كالشعرة من العجين حتى أنه لما ركب وخرج مع العسكر وهم متوجهون به إلى جدة أخذوا ما في جيوبه فليعتبر من يعتبر وكل الذي وقع له بعد من التغريب وغيره فيما جناه من الظلم ومخالفة الشريعة والطمع في الدنيا وتحصيلها بأي طريق نسأل الله السلامة وحسن العاقبة.

وفي يوم الخميس، خامسه طاف الآغا أيضاً بأسواق المدينة وأمامه المناداة على أبواب الخانات والوكائل من التجار بأنهم لا يتعاملون في بيع البن والبهار إلا بحساب الريال المتعارف في معاملة الناس وهو الذي يصرف تسعين نصفاً لأن باعة البن لا يسمون في بيعه إلا الفرانسة ولا يقبضون في ثمنه إلا إياها بأعيانها ولا يقبلون خلافها من جنس المعاملات فيحصل بذلك تعب للمتسببين الفقراء والقطاعين ومن يشتري بالقنطار أو دونه فبهذه المناداة يدفع المشتري ما يشاء من جنس المعاملات قروشاً أو ذهباً أو فرانسة أو أي صنف من المعاملات ويحسبه المعاملة والريال المعروف بين الناس الذي صرفه تسعون نصفاً فضة وإذا سمى سعر القنطار فلا يسمي إلا بهذا الريال وهذه المناداة بإشارة السيد محمد المحروقي بسبب ما كان يقع من تعطيل الأسباب.

وفيه، سافر محمود بك وصحبته المعلم غالي للكشف عن قياس الأراضي البحرية التي نزل إليها القياسون بصحبة مباشريهم من النصارى والمسلمين من وقت انحسار الماء عن الأراضي وانتشروا بالأقاليم البحرية وهم يقيسون بقصبة تنقص عن القصبة القديمة.

وفي يوم الاثنين، تاسعه وصل حريم الشريف غالب من السويس فأنزلوهن ببيت السيد محمد المحروقي وعدتهن خمسة إحداهن جارية بيضاء والأربعة حبشيات ومعهن جواري سود وطواشية وحضر إليهم سيدهم وصحبته أحمد أغا أخو كتخدا بك وصحبتهم نحو العشرين نفراً من العسكر واستمر الجميع مقيمين بمترل المذكور وهو يجري عليهم النفقات اللائقة بهم والمصاريف وفضل لهم كساوي من مقصبات وكشميري وتفاصيل هندية.

وفي يوم السبت، رابع عشره خرج محو بك إلى ناحية الآثار بعساكره ليسافر من ساحل القصير إلى الحجاز باستدعاء الباشا فاستمر مقيماً هناك عدة أيام لمخالفة الريح وارتحل في أواخره وفي أوائل هذا الشهر بل والذي قبله عملوا كورنتينه في إسكندرية ودمياط فيه رجع محمود بك والمعلم غالي من سرحتهما.

واستهل شهر ربيع الأول 1229

وفيه، انتقل الشريف غالب بعياله من بيت السيد محمد المحروقي إلى المترل الذي أعدوه له وهو بيت لطيف باشا بسويقة العزى بعد ما أصلحوه وبيضوه وأسكنوه به وعليه اليسق والعسكر الملازمون لبابه وفيه، أبرز كتخدا بك فرماناً وصل إليه من الباشا يتضمن ضبط جميع الالتزام لطرف الباشا ورفع أيدي الملتزمين عن التصرف بل الملتزم يأخذ فائظه من الخزينة فلما أشيع ذلك ضج الناس وكثر فيهم اللغط واجتمعوا على المشايخ فطلعوا إلى كتخدا بك وسألوه فقال نعم ورد من أفندينا أمر بذلك ولا يمكنني مخالفته فقالوا له كيف تقطعون معايش الناس وأرزاقهم وفيهم أرامل وعواجز وللواحدة قيراط أو نصف قيراط يتعيشن من إيراده فينقطع عنهن فقال يأخذن الفائظ من الخزينة العامرة عرضحال وننتظر الجواب فأجابهم إلى ذلك من باب المسايرة وفك المجلس وشرع الشيخ المهدي في ترصيف العرضحال فكتبوه وختموا عليه بعد امتناع البعض الذي ليس له التزام وكثر

اللغط فيهم بسبب ذلك.

وفي خامسه، حضر جمع كثير من النساء الملتزمات إلى الجامع الأزهر وصرخوا في وجوه الفقهاء وأبطلوا الدروس وبددوا محافظهم وأوراقهم فتفرقوا وذهبوا إلى دورهم وكان قد اجتمع معهم الكثير من العامة واستمروا في هرج إلى بعد العصر ثم جاءهم من يقول لهم كلاماً كذباً سكن به حدقم فانفض الجمع وذهب النساء وهن يقلن نأتي في كل يوم على هذا المنوال حتى يفرجوا لنا عن حصصنا ومعايشنا وأرزاقنا وفي ظن الناس وغفلتهم أن في الإناء بقية أوانهم يدفعون الرزية وما علموا أن البساط قد انطوى وكل قد ضل وأضل وغوى ومال عن الصراط واتبع الهوى وكلب الجور قد كشر أنيابه وعوى و لم يجد له طارداً ولا معارضاً ولا معانداً ولما وصل الخبر إلى كتخدا بك طلب بعض المشايخ وقال له ما خبر هذه الجمعية بالأزهر فقال لهم بسبب ما بلغهم عن قطع معاشهم وإنما أنتم الذين تسلطونهم على هذه الفعال لأغراضكم ولا بد أني أستخبر على من غراهم وأخرج من حقه وطلبه علي آغا الوالي وقال له أخبرني عن هؤلاء النساء من أي البيوت فقال وما علمي ومن يميزهن وغالبهن وأكثرهن نساء العساكر ولا قدرة لي على منعهن وانقض المجلس وبردت همتهم وانكمشوا وشرعوا في تنفيذ ما أمروا به وترتيبه وتنظيمه.

وفيه، حضر محمود بك والمعلم غالي فأقاما أياماً وسافرا في ثالث عشره، وفيه، أحضروا حسن أغا محرم المعروف بنجائي من إقليم المنوفية وهو مريض وتوفي في ثاني يوم ودفن.

وفي خامس عشره ،مر الآغا والوالي وأغات التبديل وهم يأمرون الناس بكنس الأسواق ورشها حالاً في ذلك الوقت من غير تأخير فابتدر الناس ونزلوا من حوانيتهم وبأيديهم المكانس يكنسون بها تحت حوانيتهم ثم يرشونها.

وفي تاسع عشره، حضر الشريف عبد الله ابن الشريف سرور أرسله الباشا إلى مصر من ناحية القصير منفياً من أرض الحجاز فأنزلوه بمنزل أحمد آغا كتخدا بك محجوزاً عليه و لم يجتمع مع عمه و لم يره.

وفيه، كثر الطلب للريال الفرانسة بسبب احتياج دار الضرب وما يرسل إلى الباشا من ذلك وألزموا التجار بإحضار جملة من ذلك ويأخذون بدلها قروشاً مقادير على أفرادهم بما يحتمله وجمعوا ما قدروا عليه منها.

وفيه، شنق شخص يسمى صالح عند باب زويلة واستمر معلقاً يومين وسبب ذلك أنه يدعى الجذب والولاية وتزوج بامرأة وأخذ متاعها ومالها وحصل لها خلل في عقلها فأنهوا أمره إلى كتخدا بك فأمر بحبسه واستخلصوا منه جانباً مما أخذه من متاع المرأة وكثر كلام الناس في حقه فأمر الكتخدا بشنقه.

وفي أواخره، حضر إبراهيم بك ابن الباشا من الجهة القبلية ونزل بالبيت الذي اشتراه بناحية الجمالية بدرب المسمط وهو بيت أحمد بن محرم.

واستهل شهر ربيع الثاني بيوم الأربعاء سنة 1229

وفي ليلة الاثنين سادسه، حضر ميمش آغا من ناحية الحجاز مرسلاً من عند الباشا باستعجال حسن باشا للحضور إلى الحجاز وكان قبل ذلك بأيام أرسل يطلب سبعة آلاف عسكري وسبعة آلاف كيس فشرع كتخدا بك في استكتاب أشخاص من

أخلاط العالم ما بين مغاربة وصعايدة وفلاحي القرى فكان كل من ضاق به الحال في معاشه يذهب ويعرض نفسه فيكتبونه وإن كان وجيهاً جعله أميراً على مائة أو مائتين ويعطيه أكياساً يفرقها في أنفاره ويشتري فرساً وسلاحاً ويتقلد بسيف وطبنجات وكذلك أنفاره ويلبسون قناطيش ولباساً مثل لبس العسكر ويعاق له وزنة بارود تحت إبطه ويأخذ على كتفه بندقية ويمشون أمام كبيرهم مثل الموكب وفيهم أشخاص من الفعلة الذين يستعملون في شيل التراب والطين في العمائر وبرابرة وأرسل الكتخدا إلى الفيوم وغيرها بطلب رجال من أمثال ذلك وجمعوا الكثير من أرباب الصنائع مثل الخبازين والفرانين والنجارين والحدادين والبياطرة وغيرهم من أرباب الصنائع ويسحبونهم قهراً فأغلق الفرانون مخابزهم وتعطل خبيز خبز الناس أياماً وفيه، ورد الطلب لحسن الباشا فشرع في تشهيل أحواله ولوازم سفره ثم حضر ميمش أغا باستعجاله واستعجال المطلوبات من الأموال وغيرها.

وفيه، قبضوا على اليهود الموردين الذين يوردون الذهب والفضة لدار الضرب بسبب إحضار الفرانسة وقد قلت بأيدي الناس جد الكثرة أخذها والطلب لها وانقطاع مجيئها من بلادها فحبسوهم وضربوهم ونزلوا في أسوأ حال متحيرين وذلك أن راتب الضربخانة سبعة آلاف في كل يوم عنها ثلاثة وستون ألف درهم وقدرها ثلاث مرات من النحاس يضربون ذلك قروشاً حتى بلغ سعر النحاس القراضة مائة وعشرين نصفاً فضة.

وفي تاسعه، حضر محمود بك الدويدار والمعلم غالي من سرحتهما إلى مصر وهما المتآمران على مباشرة قياس الأراضي وتشهيل المال المفروض وسبب حضورهما أن إبراهيم باشا أرسل بطلبهما للحضور ليتشاور معهما في أمر فأقاما وعادا راجعين إلى شغلهما.

وفي منتصفه، سافر إبراهيم باشا عائداً إلى أسيوط وذهب صحبته أخوه إسمعيل باشا والبيكات الصغار خوفاً وهروباً من الطاعون.

وفيه، كمل تعمير الجامع الذي عمره دبوس أوغلي الذي بقرب داره التي بفيط العدة وهو جامع جوهر العيني وكان قد تخرب فهدمه جميعه وأنشأه وزخرفه ونقل لعمارته أنقاضاً كثيرة وأخشاباً ورخاماً من بيت أبي الشوارب وعمل به منبراً بديع الصنعة واستخلص جهة أوقافه أطياناً وأماكن من واضعي اليد.

وفيه، أرسلوا جملة أخشاب إلى الحجاز مطلوبة إلى الباشا.

وفيه، أيضاً نادوا على سكان الجيزة بالخروج منها بعد عصر يوم السبت ومن لا يريد الخروج فلا يخرج بعد ذلك ومن خرج فلا يدخل وأمهلوهم إلى الغروب فخرجوا بأمتعتهم وأطفالهم وأولادهم وأوانيهم إلى خارج البلدة وبات الأكثر منهم تحت السماء لضيق الوقت على الرحيل إلى بلدة أخرى وخرج أيضاً الكثير من عساكرهم وأتباعهم ممن لا يريد المقام والحبس فكانوا كلما وجدوا من حمل متاعه من أهل البلدة على حمار ليذهب إلى جهة يستقر بها ورموا به إلى الأرض وأخذوا الحمار وحصل لأهل الجيزة في تلك الليلة ما لا مزيد عليه من الكرب والجلاء عن أوطانهم وكل ذلك مجرد وهم مع قلة وجود الطعن إلا التزر اليسير.

وفي ثالث عشرينه، سافرت خزينة المال المطلوبة إلى الباشا إلى جهة السويس وأصحبوا معها عدة كبيرة من عسكر الدلاة لخفارتها وقدرها ألفان وخمسمائة كيس جميعها قروش.

شهر جمادى الأولى سنة 1229

استهل بيوم الجمعة، في ثالثه خرج حسن باشا بعساكره ونزل بوطاقه وخيامه التي نصبت له بالعادلية قبل خروجه بيومين.

وفي رابعه، وصلت هجانة من ناحية الحجاز بطلب حسن بك دالي باشا وأخشاب واحتياجات وجمال والذي أخبر به المخبرون عن الباشا وعساكره أن طوسون باشا وعابدين ركبوا بعساكرهم على ناحية تربة التي بها المرأة التي يقال لها غالية فوقعت بينهم حروب ثمانية أيام ثم رجعوا منهزمين و لم يظفروا بطائل ولأن العربان نفرت طباعهم من الباشا لما حصل منه في حق الشريف من القبض عليه وهاجر الكثير من الأشراف وانضموا إلى الأخصام وتفرقوا في النواحي ومنهم شخص يقال له الشريف راجح فأتى من خلف العسكر وقت قيام الحرب وحاربهم ونهب الذخيرة والأحمال من العربان المسالمين له بأغلى ثمن وأخبروا أيضاً أنه واقع بالحرمين غلاء شديد لقلة الجالب واحتكار الباشا للغلال الواصلة إليه من مصر فيبيعه حتى على عسكره بأغلى ثمن من التجبر على المسافرين والحجاج في استصحابهم شيئاً من الحب والدقيق فيفتشون متاعهم في السويس ويأخذون ما يجدونه معهم مما يتزودن يه في سفرهم من القمح أو الدقيق وما يكون معهم من الفرانسة لنفقتهم وأعطوهم بدلها من القروش.

وفيه، بلغ صرف الريال الفرانسة من الفضة العددية ثمانمائة وعشرين نصفاً عناه ثمانية قروش والمشخص عشرون قرشاً وقل وجود الفرانسة والمشخص والمحبوب المصري بأيدي الناس جداً ثم نودي على أن يصرف الريال بسبعة قروش والمشخص بستة عشر قرشاً وشددوا ففي ذلك وعاقبوا من زاد على ذلك في قبض أثمان المبيعات وأطلقوا في الناس جواسيس وعيوناً فمن عثروا عليه في مبيع أو غيره أنه قبض بالزيادة أحاطوا به وأخذوه وعاقبوه بالحبس والضرب والتغريم وربما أرسلوا من طرفهم أشخاصاً متنكرين يأتي أحدهم للبائع فيساومه السلعة كأنه مشتر ويدفع له في ضمن الثمن ريالاً أو مشخصاً ويحسبه بحسابه الأول ويناكره في ذلك فربما تجاوز البائع خوفاً من بوار سلعته وخصوصاً إذا كانت البيعة رابحة أو بيعة استفتاح على زعم الباعة وقلة الزبون بسبب وقف حال الناس أو إفلاسهم فما هو إلا أن يتباعد عنه يسيراً فما يشعر إلا وهو بين يدي الأعوان ويلاقي وعده.

وفي منتصفه، وصلت قافلة من السويس وفيها جملة من العسكر المتمرضين ونحو العشرة من كبارهم نفاهم الباشا إلى مصر وفيهم حجو أوغلي ودالي حسن وعلي أغادرمنلي وترجوا وحسن أغا أزرجنلي ومصطفى ميسوا وأحمد أغا قنبور.

وعليه أيضاً، خرج عسكر المغاربة ومن معهم من الأجناس المختلفة إلى مصر العتيقة ليذهبوا من الناحية القصير إلى الحجاز وأما محو بك فإنه لم يزل بقنا القلة المراكب بالقصير التي تحملهم إلى الحجاز.

وفي سادس عشره، وصلت قافلة وفيها أنفار من أهل مكة والمدينة وسفار وبضائع تجارة بن وأقمشة وبياض شيء كثير وقد أتت إلى جدة من تجارات الشريف غالب و لم يبلغهم خبر الشريف غالب وما حصل له فلما حضر وضع الباشا يده عليه جميعه وأرسل إلى مصر فتولى ذلك السيد محمد المحروقي وفرقها على التجار بالثمن الذي قدره عليهم وألزمهم أن لا يدفعوه إلا

فرانسة.

وفي هذا الشهر، وصل الخبر بموت الشيخ مسعود كبير الوهابية وتولى مكانه ابنه عبد الله.

وفيه، خرج طائفة الكتبة والأقباط والروزنامجي والجاجرتية وذهب الجميع إلى جزيرة شلقان ليحرروا دفاتر على الروك الذي راكوه من قياس الأراضي زيادة الأطيان وجفل الكثير من الفلاحين وأهالي الأرياف وتركوا أوطانهم وزرعهم وهالهم هذا الواقع لكونهم لم يعتادوه ويألفوه وباعوا مواشيهم ودفعوا أثمانها في الذي طلع عليهم في الزيادات الهائلة وسيعودون مثل الكلاب ويعتادون سلخ الإرهاب وأما الملتزمون فبقوا حيارى باهتين وارتفع أيدي تصرفهم في حصصهم ولا يدرون عاقبة أمرهم منتظرين رحمة ربهم وان وقت الحصاد وهم ممنوعون عن ضم زرع وسياهم إلى أن أذن لهم الكتخدا بذلك وكتب لهم أوراقاً وتوجهوا بأنفسهم أو بمن ينوب عن مخدومه وأراد ضم زرعه و لم يجد من يطيعه بهم وتطاولوا عليهم بالألسنة فيقول الحرفوش منهم إذا دعي للشغل بأجرته روح انظر غيري أنا مشغول في شغلي أنتم إيش بقالكم في البلاد قد انقضت أيامكم إحنا صرنا فلاحين الباشا وقد كانوا من الملتزمين أذل من العبيد المشترى فربما أن العبد يهرب من سيده إذا كلفه فوق طاقته أو أهنه بالضرب وأما الفلاح فلا يمكنه ولا يسهل به أن يترك وطنه وأولاده وعياله ويهرب وإذا هرب إلى بلدة أخرى واستعلم أستاذه مكانه أحضره قهراً وازداد ذلاً ومقتاً وإهانة وكان من طرائفهم أنه إذا آن وقت الحصاد والتحضير طلب الملتزم أو قائم مقامه الفلاحين فينادي عليهم الغفير أمس اليوم المطلوبين في صبحه بالتبكير إلى شغل الملتزم فمن تخلف لعذر أحضره الغفير أو المشد وسحبه من شنبه وأشبعه سباً وشتماً وضرباً وهو المسمى عندهم بالعونة والسخرة واعتادوا ذلك بل يرونه من اللازم الواجب وهذا خلاف ما يلقونه من الإذلال والتحكم من مشايخهم والشاهد والنصراني الصراف وهو العمدة والعهدة خصوصاً عند قبض المال فيخالطهم ويناكرهم وهم له أطوع من أستاذهم وأمره نافذ فيهم فيأمر قائمقام بحبس من شاء أو ضربه محتجاً عليهم ببواقي لا يدفعها وإذا غلق أحدهم ما عليه من المال الذي وجب عليه في قائمة المصروف وطلب من المعلم ورده وهي ورقة الغلاق وعده لوقت آخر حتى يحرر حسابه فلا يقدر الفلاح على مرادته خوفاً منه فإذا سأله من بعد ذلك قال له بقي عليك حبتان من فدان أو أخروبتان أو نحو ذلك ولا يعطيه ورقة الغلاق حتى يستوفي منه قدر المال أو يصانعه بالهدية والرشوة وغير ذلك أمور وأحكام خارجة عن إدراك البهيمة فضلاً عن البشرية كالشكاوي ونحوها وذلك كما إذا تشاجر أحدهم مع آخر على أمر جزئي بادر أحدهم بالحضور إلى الملتزم وتمثل بين يديه قائلاً أشكو إليه فلاناً بمائة ريال مثلاً فبمجرد قول ذلك يأمر بكتابة ورقة خطاباً إلى قائمقام أو المشايخ بإحضار ذلك الرجل المشتكي واستخلاص القدر الذي ذكره الشاكي قليلاً أو كثيراً أو حبسه وضربه حتى يدفع ذلك القدر ويرسل والورقة مع بعض أتباعه ويكتب بهامشها كراء طريقة قليلاً أو كثير أو يسمونه حق الطريق فعند وصوله أول شيء يطالب به الرجل حق الطريق المعين ثم الشكوى فإن بادر ودفعها وإلا حبس أو حضر به المعين إلى بيت أستاذه فيوعده الحبس ويعاقبه بالضرب حتى يوفي القدر الذي تلفظ به الشاكي وإن تأخر عن حضوره المعين أردفه بآخر وحق طريق الآخر كذلك ويسمونها الاستعجالة وغير ذلك أحكام وأمور غير معقولة المعنى قد ربوا عليها واعتادوا لا يرون فيها بأساً ولا عيباً وقد سلط الله على هؤلاء الفلاحين بسوء أفعالهم وعدم ديانتهم وخيانتهم وإضرارهم لبعضهم البعض من لا يرحمهم ولا يعفو عنهم كما قال فيهم البدر الحجازي وسبعة بالفلح قد أنزلت لما حووه من قبيح الفعال

شيوخهم أستاذهم والمشد والقتل فيما بينهم والقتال مع النصارى كاشف الناحية وزد عليها كدهم في اشتغال وفقرهم ما بين عينيهم مع اسوداد الوجه هذا النكال وإذا التزم بهم ذو رحمة أزدروه في أعينهم واستهانوا به وبخدمه وماطلوه في الخراج وسموه بأسماء النساء وتمنوا زوال التزامه بهم وولاية غيره من الجبارين الذين لا يخافون ربهم ولا يرحمهم لينالوا بذلك أغراضهم بوصول الأذى لبعضهم وكذلك أشياخهم إذا لم يكن الملتزم ظالماً يتمكنون هم أيضاً من ظلم فلاحيهم لأنهم لم يحصلوا لهم رواج إلا بطلب الملتزم الزيادة والمغارم فيأخذون لأنفسهم في ضمنهاما أحبوا وربما وزعوا خراج أطيانهم وزراعاتهم على الفلاحين وقد انخرم هذا الترتيب

بما حدث في هذه الدولة من قياس الأراضي والفدن وما سيحدث بعد ذلك من الإحداثات التي تبدو قرائنها شيئاً بعد شيء.

وفي ثاني عشرينه، برز حسن بك باشا دالي خيامه إلى خارج باب النصر وخرج هو في ثاني يوم في موكب ونزل بوطاقه ليتوجه إلى الحجاز على طريق البر.

وفي ليلة الأربعاء، سابع عشرينه قبل الغروب بنحو نصف ساعة وصل جراد كثير مثل الغمام وصار يتساقط على الدور والأسطحة والأزقة مثل الغمام وأفسد كثيراً من الأشجار وانقطع أثره في ثاني يوم.

وفي يوم الاثنين، عاشره ارتحل حسن باشا من ناحية الشيخ قمر إلى بركة الحج.

وفي منتصفه، حضر الروزنامجي والأفندية بعد أن استملى منهم القبط الدفاتر وأسماء الملتزمين ومقادير حصصهم ثم حضر محمود بك والمعلم غالي ومن معهم من الكتبة الأقباط وظهر للناس عند حضورهم نتيجة صنعوه ونظموه ورتبوه من قياس الأراضي ورك البلاد وهو أن الأراضي زادت في القياس بالقصبة التي قاسوا بها وحددوها مقدار الثلث أو الربع حتى قاسوا الرزق الأحباسية بأسماء أصحابها ومزارعيها وأطيان الوسايا على حدتها حتى الأجران وما لا يصلح للزراعة وما يصلح من البور الصالح وغير الصالح فلما تم ذلك حسبوها بزياداتها بالأفدنة ثم جعلوها ضرائب منها ضريبة خمسة عشر ريالاً وأربعة عشر واثني عشر وأحد عشر وعشرة مال الفدان بحسب جودة الإقليم والأرض فبلغ ذلك مبلغاً عظيماً بحيث أن البلدة التي كانت يفرض عليها في مغارم الفرض التي كانوا فرضوها قبل ذلك في سنيهم الماضية ويتشكى منها الفلاحون والملتزمون ويستغيثون ويبقى منها بواقي ويعجزون عنها ألف ريال طلع عليها في هذه اللفة عشرة آلاف ريال إلى مائة ألف وأقل وأكثر وأحضر الكتخدا إبراهيم آغا الرزاز والشيخ أحمد يوسف وخلع عليهما خلعتين وجعلوا لهما ديواناً خاصاً لمن يلتزم بالقدر الذي تحرر على حصته التي في تصرفه فيعطونه ورقة تصرف ويكتب على نفسه وثيقة بأجل معلوم يقوم بدفع ذلك ويتصرف في حصته بشرط ان لا يكون له إلا أطيان الأوسية إن شاء زرعها وأخذ غلتها وإن شاء أجرها لمن شاء وليس له من مال الخراج إلا المال الحر المعين بسند الديوان المعروف بالتقسيط وما زاد في قياس الأرض من طين الفلاحة والأوسية فهو للميري قل أو كثر، وأما الرزق الأحباسية المرصدة على البر والصدقة ولأهل المساجد والأسبلة والمكاتب والخيرات فإنهم مسحوها بقياسهم، فما وجدوه زائداً عن الحد الأصلي جعلوه للديوان وما بقي قيدوه وحرروه باسم واضع اليد عليها واسم واقفها وزارعها أو ما يمليه المزارع الحاضر وقت القياس وسؤال المباشرين وقرروا عليها المال مثل ضريبة البلد فإن أثبتها صاحبها، وكان بيده سند جديد من أيام الوزير وشريف أفندي، وما بعده على سبقه لوقت تاريخه قيدوا له نصف مال تآجرها والنصف الثاني الباقي للديوان ورسموا لكاتب

الرزق أن يعمل ديواناً لذلك ومعه عدة من الكتبة ويأتي إله الناس بأوراق سنداهم فمن وجد بيده سنداً جديداً كتب له صورة قيد الكشف بموجب ما هو بدفتره في ورقة فيذهب بها إلى الديوان فيقيدون ذلك بعد البحث والتعنت من الطرفين ويقع الاشتباه الكثير في أسماء أربابها وأسماء حيضانها وغيطانها فيكلفون صاحب الحاجة بإثبات ما ادعاه ويكتب له أوراقاً لمشايخ الناحية وقاضيها بإثبات ما يدعيه ويعود مسافراً ويقاسي ما يقاسيه من مشقة السفر والمصرف ومعاكسة المشايخ وقاضي الناحية، ثم يعود إلى الديوان بالجواب، ثم يمكن الاحتجاج عليه بحجة أخرى وربما كان سعيه وتعبه على فدان واحد أو أقل أو أكثر وازدحم الناس على بيت كاتب الرزق وانفتح له بذلك باب لأنه لا يكتب كشفاً حتى يأخذ عليه دراهم تعينت على قدر الأفدنة وأضاع الكثير من الناس ما تلقوه من أسلافهم، وما كانوا يرتزقون منه وأهملوا تجديد السندات واتكلوا على ما بأيديهم من السندات القديمة لجهلهم وظنهم انقضاء الأمر وعدم دوام الحال وتغير الدولة وعود النسق الأول أو لفقرهم وعدم قدرتهم على ما ابتدعوه من كثرة المصاريف التي تصرف على تجديد السند واشتغال مال الحماية التي قدرها شريف أفندي على أراضي الرزق على كل فدان عشرة أنصاف أو خمسة فكثير من الناس استعظم ذلك واعتمد على أوراقه القديمة فضاعت عليه رزقته وانحلت وأخذها الغير والذي لم يرض بالتوت بل ولا حصل حطبه رضي بالولاش وكان الشأن في أمر الرزق أن أراضيها تزيد عن موقع أراضي البلاد زيادة كثيرة وخراجها أقل من خراج أراضي البلاد الذي يقال له المال الحر الأصلي وليس عليها مصاريف ولا مغارم ولا تكاليف فالمزارع من الفلاحين إذا كان تحت رزقه أو رزقتين فإنه يكون مغبوطاً ومحسوداً في أهل بلده ويدفع لصاحب الأصل القدر النزر والمزارع يتلقى ذلك سلفاً عن خلف ولا يقدر صاحب الأصل ان يزيد عليه زيادة وخصوصاً إذا كانت تحت يد بعض مشايخ البلاد فلا يقدر أحد أن يتعدى عليه من الفلاحين ويستأجرها من صاحبها وإن فعل لا يقدر على حمايتها والكثير من الرزق واسعة القياس
جداً وما لها قليل جداً وخصوصاً في الأراضي القبلية فإن غالبها رزق وشراوي ومتأخرات لم تمسح و لم يعلم لها فدادين ولا مقادير وقد تزيد أيضاً بانحسار البحر عن سواحلها وكذلك في البلاد البحرية ولكن دون ذلك ومعظم أراضي الرزق القبلية مرصدة على جهات الأوقاف بمصر وغيرها والواضعون أيديهم عليها لا يدفعون لجهاها ولا لمستحقيها إلا ما هو مرتب ومقرر من الزمن الأول السابق وهو شيء قليل وليتهم لو دفعوه فإن في أوقاف السلاطين المتقدمة القطمة من الأراضي التي عبرها أكثر من ألف فدان وخراجها خمسون زكيبة والزكيبة خمس ويبات أو من الدراهم ألفان فضة وأقل وأكثر وهي تحت يد بعض كبراء البلاد يزرعها ويأخذ منها الألوف من الأردب من أجناس الغلال ويضن ويبخل بدفع ذلك القدر اليسير لجهة وقفه ويكسر السنة على السنة فإن كانت يد صاحب الأصل قوية أو كان واضع اليد فيه خيرية وقليل ما هم دفع لأربابها ثمنها بعد أن يرد الخمسين إلى الأربعين بالتكسير والخلط، ثم يبخس الثمن جداً فإن كان ثمن الأردب أربعمائة حسبه بأربعين نصفاً أو أقل فيعود ثمن الخمسين زكيبة إلى ثمن زكيبتين وقس على ذلك والذي يكون تحت يده شيء من أطيان هذه الأوقاف وورثها من بعده ذريته فزرعوها وتقاسموها معتقدين ملكيتها تلقوها بالإرث من مورثهم ولا يرون أن لأحد سواهم فيها حقاً ولا يهون بهم دفع شيء لأربابه ولو قل إلا قهراً وبالجملة ما أصاب الناس إلا ما كسبت أيديهم ولا جنوا إلا ثمرات أعمالهم وكان معظم إدارات دوائر عظماء النواحي وتوسعاتهم ومضايفهم من هذه الأرزاق التي تحت أيديهم بغير استحقاق إلى أن سلط الله عليهم من استحوذ على جميع ذلك وسلب عنهم ما كانوا فيه من النعمة وتشتتوا في النواحي وتغربوا عن أوطانهم وخربت

دورهم ومضايفهم وذهبت سيادتهم وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من أحد وتسمع لهم ركزاً وفي بعض الأرزاق من مات أربابه وخربت جهاته ونسي أمره وبقي تحت يد من هو تحت يده من غير شيء أصلاً وقد أخبرني بنحو ذلك شمس الدين ابن حمودة من مشايخ برما بالمنوفية عندما أحضر إلى مصر في وقت هذا النظام أنه كان في حوزهم ألف فدان لا علم للملتزم ولا غيره بها وذلك خلاف ما بأيديهم من الرزق التي يزرعونها بالمال اليسير وخلاف المرصد على مساجد بلادهم التي لم يبق لها أثر وكذلك الأسبلة وغيرها وأطيانهم تحت أيديهم من غير شيء وخلاف فلاحتهم الظاهرة بالمال القليل لمصارف الحج لأنها كانت من جملة البلاد الموقوفة على مهمات أمير الحاج وقد انتسخ ذلك كله.

وفيه، أخبر المخبرون أم مراكب الموسم وصلت في هذا العام إلى جدة وكان لها مدة سنين ممتنعة عن الوصول خوفاً من جور الشريف وزواله وتملك الدولة البلاد وظنهم فيهم العدل فاطمأنوا وعبروا متاجرهم وحضروا إلى جدة فجمع الباشا مكوسهم فبلغت أربعة عشرين لكاً واللك الواحد مائة ألف فرانسة فيكون أربعة وعشرين مائة ألف فرانسة فقبضها منهم بضائع ونقوداً وحسب البضائع بأبخس الأثمان ثم التفت إلى التجار الذين اشتروا البضائع وقال لهم إني طلبت منكم مراراً أن تقرضوني المال فادعيتم الإفلاس ولما حضر الموسم بادرتم بأخذه وظهرت أموالكم التي كنتم تبخلون بها فلا بد أن تقرضوني ثلثمائة ألف فرانسة فصالحوه على مائتي ألف دفعوها له نقوداً وبضائع مشترواتهم حسبها لهم العشرة ستة ثم فرض على أهل المدينة ثلاثين ألف فرانسة.

واستهل شهر رجب سنة 1229

في خامسه ضربوا عدة مدافع وأخبروا بوصول بشارة وأن عساكرهم حاربوا قنفدة واستولوا عليها و لم يجدوا بها غير أهلها.

وفي سادسه، سار حسن بك دالي باشا بعساكره الخيالة براً.

وفيه، عزم على السفر والد محرم بك زوج ابنة الباشا إلى بلاده وذلك بعد عوده من الحجاز فأرسلوا إلى الأعيان تنابية بالأمر لهم بمهاداته ففعلوا وعبوا له بقجاً وبناوازاً وأقمشة هندية ومحلاوية كل أمير على قدر مقامه وفي ليلة الاثنين، تاسعه حصلت في وقت أذان العشاء زلزلة نحو دقيقتين وكان المؤذنون طلعوا على المنارات وشرعوا في الأذان فلما اهتزت بهم ظن كل من كان على منارة سقوطها فأسرعوا في النزول فلما علموا أنها زلزلة طلعوا وأعادوا الأذان وسقط من شرائف الجامع الأزهر شرافة وتحركت الأرض أيضاً في خامس ساعة من الليل ولكن دون الأولى وكذلك وقت الشروق هزة لطيفة.

وفي حادي عشره، هرب الشريف عبد الله ابن الشريف سرور في وقت الفجرية و لم يشعروا بهروبه إلا بعد الظهر فلما بلغ كتخدا بك الخبر فتكدر لذلك وأرسل إلى مشايخ الحارات وغيرهم وبث العربان في الجهات فلما كان ليلة السبت حضروا به في وقت الغروب وقد حجزوه بحلوان وأتوا به إلى بيت السيد محمد المحروقي فأخذه إلى كتخدا بك فأرسله إلى بيت أخيه أحمد آغا ومن ذلك الوقت ضيقوا عليه ومنعوه من الخروج والدخول بعد أن كان مطلق السراح يخرج من بيت أحمد أغا ويذهب إلى بيت عمه الشريف غالب ويعود وحده فعند ذلك ضيقوا عليه وعلى عمه أيضاً.

وفي يوم الخميس تاسع عشره، حضر المشايخ عند كتخدا بك وعاودوه في الخطاب فيما أحدثوه على الرزق وعرفوه أنه يلزم

من هذه الأحداث إبطال المساجد والشعائر فتنصل من ذلك وقال هذا شيء لا علاقة لي فيه وهذا شيء أمر به أفندينا ومحمود بك والمعلم غالي ثم كلموه أيضاً في صرف الجامكية المعروفة بالساثرة والدعا جوى للفقراء والعامة فوعدهم بصرفها وقت ما يتحصل المال فإن الخزينة فارغة من المال.

وفي يوم السبت، حضر محمود بك والمعلم غالي من سرحتهما فذهب إليهما المشايخ في ثاني يوم ثم خاطبوهما بالكلام في شأن الرزق فأجابهم المعلم غالي بقوله يا أسيادنا هذا أمر مفروغ منه بأمر أفندينا من عام أول من قبل سفره فلا تتعبوا خاطركم واجب عليكم مساعدته خصوصاً في خلاص كعبتكم ونبيكم من أيدي الخوارج فلم يردوا عليه جواباً وانصرفوا في ويم الأحد تاسع عشرينه، حصل كسوف شمس وكان ابتداؤه بعد الشروق ومتداره قريباً من الجرم وتم انجلاؤه في ثاني ساعة من النهار وكانت الشمس ببرج السرطان أربعاً وعشرين درجة في حادي عشر أبيب القبطي.

وفيه، وصلت القافلة من ناحية السويس وأخبر الواصلون عن واقعة قنفدة وما حصل بها بعد دخول العسكر إليها وذلك أنهم لما ركبوا عليها براً وبحراً وكبيرهم محمود بك وزعيم أوغلي وشريف أغا فوجدوها خالية فطلعوا إليها وملكوها من غير ممانع ولا مدافع وليس بها غير أهلها وهم أناس ضعاف فقتلوهم وقطعوا آذانهم وأرسلوها إلى مصر ليرسلوها إلى إسلامبول وعندما علم العربان بمجيء الأتراك خلوا منها ويقال لهم عرب العسير وترافعوا عنها وكبيرهم يسمى طامي فلما استقر بها الأتراك ومضى عليهم نحو ثمانية أيام رجعوا عليهم وأحاطوا بهم ومنعوهم الماء فعند ذلك ركبوا عليهم وحاربوهم فانهزموا وقتل الكثير منهم ونجا محو بك بنفسه في نحو سبعة أنفار وكذلك زعيم أوغلي وشريف آغا فنزلوا في سفينة وهربوا فغضب الباشا وقد كان أرسل لهم نجدة من الشفاسية الخيالة فحاربهم العرب ورجعوا منهزمين من ناحية البر وتواتر هذا الخبر.

واستهل شهر شعبان بيم الثلاثاء سنة 1229

في ثانيه حضر ميمش أغا من الديار الحجازية وعلى يده فرمانات خطاباً لدبوس أوغلي وآخرين يستدعيهم إلى الحضور بعساكرهم وكان دبوس أوغلي في بلده البرلس فتوجه إليه الطلب وكذلك شرع كتخدا بك في اكتتاب عساكر أتراك ومغاربة وعربان وغير ذلك.

وفي رابعه، سافر طائفة من العسكر وأرسل كتخدا بك يمنع الحجاج الواردين من بلاد الروم وغيرهم من النزول إلى السفائن الكائنة بساحل السويس والقصير وبأن يخلوها لأجل نزول العساكر المسافرين وبتأخير الحجاج وذلك أنه لما وصلت البشائر إلى الديار الرومية بفتح الحرمين وخلاص مكة وجدة والطائف والمدينة ووصول ابن مضيان والمضايفي وغيرهم إلى دار السلطنة وهروب الوهابيين إلى بلادهم فعملوا ولائم وأفراحاً وتهاني وكتبت مراسيم سلطانية إلى بلاد الرومنلي والأنضول بالبشائر بالفتح والإذن والترخيص والإطلاق لمن يريد الحج إلى الحرمين بالأمن والأمان والرفاهية والراحة فتحركت همم مريدي الحج لأن لهم سنين وهم ممتنعون ومتخوفون عن ورود الحج فعند ذلك أقبلوا أفواجاً بحريمهم وأولادهم ومتاعهم حتى أن كثيراً من المتصوفين منهم باع داره وتعلقاته وعزم على الحج والمجاورة بالحرمين بأهله وعياله و لم يبلغهم استمرار الحروب وما بالحرمين من الغلاء والقحط إلا عند وصولهم إلى ثغر إسكندرية و لم يتحققوها إلا بمصر فوقعوا في حيرة ما بين مصدق ومكذب فمنهم

من عزم على السفر ولم يرجع عن عزمه وسلم الأمر لله ومنهم من تأخر بمصر إلى أن ينكشف له الحال وقرروا على كل شخص من المسافرين في مراكب السويس عشرين فرانسة وذلك خلاف أجرة متاعه وما يتزود به في سفره فإنهم يزنونه بالميزان وعلى كل أقة قدر معلوم من الدراهم وأما من يسافر في بحر النيل على جهة القصير في مراكب الباشا فيؤخذ على رأس كل شخص من مصر القديمة إلى ساحل قنا ثلاثون قرشاً ثم عليه أجرة حمله من قنا إلى القصير ثم أجرة بحر القلزم إن وجد سفينة حاضرة وإلا تأخر إما بالقصير أو السويس حتى يتيسر له النزول ويقاسي ما يقاسيه في مدة انتظاره وخصوصاً في المال وغلو ثمنه ورداءته ولا يسافر شخص ويتحرك من مصر إلا بإذن كتخدا بك ويعطيه مرسوماً بالإذن وبلغني أن الذين خرجوا من إسلامبول خاصة بقصد الحج نحو العشرة آلاف خلاف من وصل من بلاد الرومنلي والأنضول وغيرهما وحضر الكثير من أعيانهم مثل أمام السلطان وغيره فنزل البعض بمنزل عثمان آغا وكيل دار السعادة سابقاً والبعض بمنزل السيد محمد المحروقي وبيت شيخ السادات ومنهم من استأجر دوراً في الخانات والوكائل.

وفيه، حضر قاصد من باب الدولة وعلى يده مرسوم مضمونه الأمر باسترجاع ما أخذ من الشريف غالب من المال والذخائر إليه وكان الباشا أرسل إلى الدولة بسجتي لؤلؤ عظام من موجودات الشريف فحضر بهما ذلك القبجي وردهما إلى الشريف غالب ثم سافر ذلك القبجي بالأوامر إلى الباشا بالحجاز.

وفي سابعه، وصلت هجانة باستعجال العساكر وتولى حضور الهجانة لمخصوص الاستعجال.

وفي يوم السبت تاسع عشره، أنزلوا الشريف غالباً إلى بولاق بحريمه وأولاده وعبيده وكان قد وصل إلى مصر آغا معين بقصد سفر المذكور إلى سلانيك فنزل صحبته إلى بولاق وصالحوه عما أخذ منه من المال وغيره بخمسمائة كيس فأرادوا دفعها له قروشاً فامتنع قائلاً أنهم أخذوا مالي ذهباً مشخصاً فرانسة فكيف آخذ بدل ذلك نحاساً لأنفع بها في غير مصر فأعطوه مائتي كيس ذهباً وفرانسة وتحول الباقي وكيله مكي الخولاني ثم زودوه وأعطوه سكراً وبناً وأرزاً وشرابات وغير ذلك ونزل مسافراً إلى المراكب صحبة المعين إلى الحجاز من ناحية القصير وبرز ابن باشت طرابلس وصحبته عساكر أيضاً من ناحية العادلية وآخر يقال له قنجة بك ومعهم نحو الألف خيال من العرب والمغاربة على طريق البر إلى الحجاز.

وفي يوم الخميس، رابع عشرينه الموافق لسادس شهر مسرى القبطي أوفى النيل المبارك أذرعه فداروا بالرايات ونودي بالوفاء وكسروا السد في صبح يوم الجمعة بحضرة كتخدا بك والقاضي والجم الغفير من العساكر.

وفي أواخره، وصلت الأخبار بأن الباشا توجه إلى الطائف وأبقى حسن باشا بمكة.

واستهل شهر رمضان بيوم الأربعاء سنة 1229

في رابعه حضر موسى آغا تفكجي باشا من الديار الحجازية وكان فيمن باشر حرابة قنفدة ومن جملة من انهزم بها وهلكت جميع عساكره وخدمه ورجع إلى مصر وصحبته أربعة أنفار من الخدم.

وفي عاشره، خرجت العساكر المجردة لسفر الحجاز إلى بركة الحج وهم مغاربة وعربان وارتحلوا يوم الأحد ثاني عشره.

وفي الأربعاء خامس عشره، برز دبوس أوغلي خارج باب الفتوح ليسافر بعساكره إلى الحجاز وكذلك حسن آغا سرششمه

ونصبوا خيامهم واستمروا يخرجون من المدينة ويدخلون غدواً وعشياً وهم يأكلون ويشربون جهاراً في نهار رمضان ويقولون نحن مسافرون ومجاهدون ويمرون بأسواق ويجلسون على المساطب وبأيديهم الأقصاب والشبكات التي يشربون فيها الدخان من غير احتشام ولا حياء ويجوزون بحارات الحسينية على القهاوي في الضحوة فيجدونها مغلوقة فيسألون عن القهوجي ويطلبونه ليفتح لهم القهوة ويوقد لهم النار ويغلي لهم القهوة ويسقيهم فربما هرب القهوجي واختفى منهم فيكسرون الباب ويعبثون بآلاته وأوانيه فما يسعه إلا المجيء وإيقاد النار وأشيع من ذلك أنه اجتمع بناحية عرضيهم وخيامهم الجم الكثير من النساء الخواطي والبغايا ونصبوا لهن خياماً وأخصاصاً وانضم إليهن بياع البوظة والعرقي والحشاشون والغوازي والرقاصون وأمثال ذلك وانحشر معهم الكثير من الفساق وأهل الأهواء والعياق من أولاد البلد فكانوا جمعاً عظيماً يأكلون الحشيش ويشربون المسكرات ويزنون ويلوطون ويشربون الجوزة ويلعبون القمار جهاراً في نهار رمضان ولياليه مختلطين مع العساكر كأنما سقط عن الجميع التكاليف وخلصوا من الحساب وسمعت ممن شاهد بعينه محمود بك المهردار الذي هو أعظم أعيانهم وهو المتولي على قياس الأراضي مع المعلم غالي وهو جالس في ديوانهم المخصوص بالقرب من سويقة اللالا وهو يشرب في النارجيلة التنباك ويأتونه بالغداء جهاراً ويقول أنا مسافر الشرقية لعمل نظام الأراضي.

وفي، غايته وصلت هجانة باستعجال العساكر.

واستهل شهر شوال بيوم الخميس سنة 1229

في ليلته قلدوا عبد الله كاشف الدرندالي أميراً على ركب الحجاج.

وفي يوم السبت ثالثه، خرج دبوس أوغلي في موكب إلى مخيمه وكذلك.

حسن آغا سرشه ليسافر إلى الحجاز.

وفي يوم السبت حادي عسره، نزلوا بكسوة الكعبة بالطبول والزمور إلى المشهد الحسيني واجتمع الناس على عاداتهم للفرجة.

وفيه، انتقل محمود بك والمعلم غالي إلى بيت حسن آغا نجاتي وعملوا ديوانهم فيه وتلقوا الجنينة التي به جلسوا تحت أشجارها وربط الأقباط حميرهم فيها وشرع محمود بك في عمارة الجهة القبلية منه وانزوت صاحبة المنزل في ناحية منه.

وفي سابع عشره، ارتحل دبوس أوغلي وحسن آغا سرششمه ومن معهم من العساكر من منزلتهم متوجهين إلى الديار الحجازية.

وفي يوم الخميس ثاني عشرينه، رسم كتخدا بك بنفي طائفة من الفقهاء من ناحية طندتا إلى أبي قير بسبب فتيا أفتوها في حادثة ببلدهم وقضى بها قاضيهم وأنهيت الدعوى إلى ديوان مصر فطلبوا إلى إعادة الدعوى فحضروا وترافعوا إلى قاضي العسكر وأثبتوا عليهم الخطا فرسم بنفي الشاكي والمفتيين ولقاضي ربعهم.

وفي يوم السبت رابع عشرينه، عملوا موكباً لخروج المحمل واستعد الناس للفرجة على عادتهم فكان عبارة عن نحو مائة جمل تحمل روايا الماء والقرب وعدة من طائفة الدلاة على رؤوسهم طراطير سود قلاها وأمير الحاج على شكلهم وخلفه أرباب الأشاير ببيارقهم وشراميطهم وطبولهم وزمورهم وجاقاتهم وخلفهم المحمل فكان مدة مرورهم مع تقطيعهم وعدم نظامهم نحو

ساعتين فأين ما كان يعمل من المواكب بمصر التي يضرب بحسنها وترتيبها ونظامها المثل في الدنيا فسبحان مغير الشؤون والأحوال.

وفيه، خرجت زوجة الباشا الكبيرة وهي أم أولاده تريد الحج إلى خارج باب النصر في ثلاثة تختوت والمتسفر بها بونابارته الخازندار وقد حضر لوداعها ولدها إبراهيم باشا من الصعيد وخرج لتشييعها هو وأخوه إسمعيل باشا وصحبتهما محرم بك زوج ابنتها حاكم الجيزة ومصطفى بك دالي باشا ويقال أنه أخوها وكذلك محمد بك الدفتردار زوج ابنتها أيضاً وطاهر باشا وصالح بك السلحدار وارتحلت ومن معها في سدس عشرينه إلى بندر السويس وفي ذلك اليوم برزت عساكر المغاربة وغيرهم ممن تعسكر وارتحل أمير الحج من الحصوة إلى البركة.

وفي يوم الثلاثاء، خرجت عساكر كثيرة مجردين للسفر.

وفي يوم الخميس تاسع عشرينه، ارتحل أمير الحج ومن معه من البركة في تاسع ساعة من النهار وفي ذلك اليوم هبت رياح غربية شمالية باردة واشتد هبوبها أواخر النهار وأطبقت السماء بالغيوم والقتام وأبرق البرق برقاً متتابعاً وأرعدت رعداً له دوي متصل ولما قرب من سمت رؤوسنا كان له صوت عظيم مزعج ثم نزل مطر غزير استمر نحو نصف ساعة ثم سكن بعد أن تبحرت منه الأزقة والطرق وكان ذلك اليوم رابع شهر بابه القبطي.

وفيه، ورد الخبر من السويس أن امرأة الباشا لما وصلت إلى هناك وجدت عالماً كبيراً من الحجاج المختلفة الأجناس ممنوعين من نزول المراكب فصرخوا في وجهها وشكوا إليها تخلفهم وأن أمير البندر مانعهم من النزول في المراكب وبذلك المنع يفوقهم الحج الذي تجشموا الأسفر وصرفوا أيضاً الأموال من أجله وهم في مشقة عظيمة من عدم الماء ولا يمكنهم الرجوع لعدم من يحملهم وأن أمير البندر يشتط عليهم في الأجرة ويأخذ على كل رأس خمسة عشر فرانسة فحلفت أنها لا تنزل من المركب حتى ينزل جميع من بالسويس من الحجاج المراكب ولا يؤخذ منهم إلا القدر الذي جعلته على كل فرد منهم فكان ما حكمت به هذه الحرمة صار لها به منقبة حميدة وذكراً حسناً وفرجاً لهؤلاء الخلائق بعد الشدة.

واستهل شهر ذي القعدة بيوم السبت سنة 1229

وفي يوم الاثنين نادى المنادي بوقود قناديل سهارى على البيوت والوكائل وكل أربع دكاكين قنديل.

وفي ثامنه، جرسوا شخصاً وأركبوه على حمار بالمقلوب وهو قابض بيده على ذنب الحمار وعمموه بمصارين ذبيحة وعلى كتفه كرش بعد أن حلقوا نصف لحيته وشواربه قيل أن سبب ذلك أنه زور حجة تقرير على أماكن تتعلق بامرأة أجنبية وباع تلك الأماكن وكانت تلك المرأة غائبة من مصر فلما حضرت وجدت مكانها مسكوناً بالذي اشتراه فرفعت قصتها إلى كتخدا بك ففعل به ذلك بعد وضوح القضية.

وفي ثاني عشره، سافر عبد الله ابن الشريف سرور إلى الحجاز باستدعاء من الباشا فأعطوه أكياساً وقضى أشغاله وخرج مسافراً.

وفيه، وقعت حادثة بحارة الكعكيين بين شخصين من الدلاتية رمحا خلف غلام بدوي عمل نفسه عسكرياً مع طائفة المغاربة يدعي أحدهما أن له عنده دراهم فهرب منهما إلى الخطة المذكورة فرمحا خلفه وبيد كل منهما سيفه مسلولاً فدخل الغلام إلى

عطفة الحمام وفزعت عليهما المغاربة المتعسكرون القاطنون بتلك الناحية وضربوا عليهما بنادق فسقط حصان أحد الدلاة وأطيب راكبه وهرب رفيقه إلى كتخدا بك فأخبره فأمر بإحضار كبراء المغاربة وطالبهم بالضارب فلم يتبين أمره وقبضوا على الغلام الهارب فحبسوه وفي ذلك الوقت حصل بين الناس فزعة وأغلقت أهل سوق الغورية والشوائين والفحامين حوانيتهم وبقي ذلك الغلام محبوساً ومات الدلاتي المضروب في ليلة السبت خامس عشره فأحضروا ذلك الغلام إلى باب زويلة وقطعوا رأسه ظلماً و لم يكن هو الضارب.

وفي عشرينه، سافر ابن باشت طرابلس وسافر معه عسكر المغاربة الخيالة.

واستهل شهر ذي الحجة سنة 1229

في أوله ورد نجاب من الحجاز وأخبر بموت طاهر أفندي وهو أفندي ديوان الباشا وكان موته في شهر شوال بالمدينة حتف أنفه وورد الخبر أيضاً بصلح الشريف راجح مع الباشا وأنه قابله وأكرمه وأنعم عليه بمائتي كيس وأخبر أيضاً بأنه تركه الباشا بناحية الكلخة وهي ما بين الطائف وتربة وانقضت السنة بحوادثها.

وأما من مات في هذه السنة، فمات العمدة الفاضل الفقيه النبيه الشيخ حسين المعروف بابن الكاشف الدمياطي ويعرف بالرشيدي تعلق بالعلم وانخلع من الآمرية والجندية وحضر أشياخ العصر ولازم الشيخ عبد الله الشرقاوي وانتقل من مذهب الحنفية إلى الشافعية لملازمته لهم في المعقول والمنقول وتلقى عن السيد مرتضى أسانيد الحديث والمسلسلات وحفظ القرآن في مبدأ أمره برشيد وجوده على السيد صديق وحفظ شيئاً من المتون قبل مجيئه إلى مصر واكب على الاشتغال بالأزهر وتزيا بزي الفقهاء بلبس العمامة والفرجية وتصدر ودرس في الفقه والمعقول وغيرهما ولما وصل محمد باشا إلى ولاية مصر اجتمع عليه عند قلعة أبي قير فجعله إماماً يصلى خلفه الأوقات وحضر معه إلى مصر و لم يزل مواظباً على وظيفته وانتفع بنسبته إليه واقتنى حصصاً وإقطاعات وتقلد قضايا مناصب البلاد البنادر ويأخذ ممن يتولاها الجعالات والهدايا وأخذ أيضاً نظر وقف أزبك وغيره و لم يزل تحت نظره بعد انفصال محمد باشا خسرو واستمر المذكور على القراءة والإقراء حتى توفي أواخر السنة.

ومات، الفاضل الشيخ عبد الرحمن الجمل وهو أخو الشيخ سليمان الجمل تفقه على أخيه ولازم دروسه وحضر غيره من أشياخ العصر ومشى على طريقة أخيه في التقشف والانجماع عن خلطة الناس ولما مات أخوه وكان يملي الدروس بجامع المشهد الحسيني بين المغرب والعشاء على جمع مجاوري الأزهر والعامة تصدر للإقراء في محله في ذلك الوقت فقر الشمايل والمواهب والجلالين و لم يزل على حالته حتى توفي ثاني عشر ذي الحجة.

ومات الشيخ المفيد محمد الأسناري الشهير بجاد المولى ممن جاور بالأزهر دروس أشياخ الوقت من أهل عصره ولازم الشيخ عبد الله الشرقاوي في دروسه وبه تخرج وواظب عليه مجالس الذكر وتلقى عنه طريقة الخلوتية وألبسه التاج وتقدم في خطابة الجمعة والأعياد بالجامع الأزهر بدلاً عن الشيخ عبد الرحمن البكري عندما رفعوها عنه وخطب بجامع عمر وبمصر العتيقة يوم الاستسقاء عندما قصرت زيادة النيل في سنة ثلاث وعشرين وتأخر في الزيادة عن أوانه، ولما حضر محمد باشا خسرو إلى مصر وصلى صلاة الجمعة بالأزهر في سنة سبع عشرة خلع عليه بعد الصلاة فروة سمور فكان يخرجها من الخزنة ويلبسها وقت خطبة

الجمعة والأعياد وواظب على قراءة الكتب للمبتدئين كالشيخ خالد والأزهرية، ثم قرأ شرح الأشموني على الخلاصة واشتهر ذكره ونما أمره في أقل زمن وكان فصيحاً مفوهاً في التقرير والإلقاء لتفهيم الطلبة، ولم يزل على حالة حميدة في حسن السلوك والطريقة حتى توفي في شهر ذي الحجة وقد ناهز الأربعين.

سنة ثلاثين ومائتين وألف استهل شهر المحرم بيوم الثلاثاء في خامسه وصل نجاب من الحجاز وعلى يده مكاتبات بالأخبار عن الباشا والحجاج بأنهم حجوا ووقفوا بعرفة وقضوا المناسك.

وفي تاسعه، حضر إبراهيم باشا من الجهة القبلية إلى داره بالجمالية.

وفي عاشره يوم الخميس وصل في ليلته قابجي وعلى يده تقرير للباشا من الحجاز إلى ساحل القصير فضربوا لذلك مدافع من القلعة.

وفي صبحها، خرج ابن الباشا وأخوه وكذلك أكابر دولتهم إلى ناحية البساتين ومنهم من عدى النيل إلى البر الغربي لملاقاته على مقتضى عادته في عجلته في الحضور وعلى حساب مضي الأيام من يوم وصوله إلى القصير فغابوا في انتظاره حتى انقضى النهار، ثم رجعوا.

وفي صبح اليوم الثاني خرجوا، ثم عادوا إلى دورهم آخر النهار واستمروا على الخروج والرجوع ثلاثة أيام، ولم يحضر وكثر لغط الناس عند ذلك واختلفت رواياتهم وأقاويلهم مدة أيام ليلاً ونهاراً، ثم ظهر كذب هذا الخبر وأن الباشا لم يزل بأرض الحجاز وقيل أن سبب إشاعة خبر مجيئه أنه وصل إلى ساحل القصير سفينة بها سبعة عشر شخصاً من العسكر فسألهم الوكيل الكائن بالقصير عن مجيئهم فأجابوه أنهم مقدمة الباشا وأنه واصل في أثرهم فعندما سمع جوابهم أرسل خطاباً إلى كاتب من الأقباط بقنا يعرفه بقدوم الباشا فكتب ذلك القبطي خطاباً إلى وكيل شخص من أعيان كتبة الأقباط بأسيوط يسمى المعلم بشارة فعندما وصله الجواب أرسل جواباً إلى موكله بشارة المكور بمصر بذلك الخبر وفي الحال طلع به إلى القلعة وأعطاه لإبراهيم باشا فانتقل به إبراهيم باشا إلى مجلس كتخدا بك فخلع كتخدا بك على بشارة خلعة وأمر بضرب المدافع ونزلت المبشرون وانتشروا بالبشائر إلى بيوت الأعيان وأخذ البقاشيش، في اختلاف الروايات والأقاويل كعادتهم فمنهم من يقول أنه حضر مهزوماً ومنهم من يقول مجروحاً ومنهم من يثبت موته والشيء الذي أوجب في الناس هذه التخليطات ما شاهدوه من حركات أهل الدولة وانتقال نسائهم من المدينة وطلوعهم إلى القلعة بمتاعهم وإخلاء الكثير منهم البيوت وانتقال طائفة الأرنؤد من الدور المتباعدة واجتماعهم وسكناهم بناحية خطة عابدين وكذلك انتقل إبراهيم باشا إلى القلعة ونقل إليها الكثير من متاعه وأغرب من هذا كله إشاعة اتفاق عظماء الدولة على ولاية إبراهيم باشا على الأحكام عوضاً عن أبيه في يوم الخميس ويرتبوا له موكباً يركب فيه ذلك اليوم ويشق من وسط المدينة واجتمع الناس للفرجة عليه واصطفوا على المساطب والدكاكين، فلم يحصل وظهر كذب ذلك كله وبطلانه واتفق في أثناء ذلك من زيادة الأوهام والتخيلات أن رضوان كاشف المعروف بالشعراوي سد باب داره التي بالشارع بخط باب الشعرية وفتح له باباً صغيراً من داخل العطفة التي بظاهره فأوشى بعض مبغضيه إلى كتخدا بك فعلته في هذا الوقت والناس يزداد بهم الوهم ويعتقدون صحة ما دار بينهم من الأكاذيب وخصوصاً كونه من الأعيان المعروفين فطلبه كتخدا بك وقال له لأي شيء سددت باب دارك وما الذي قاله المنجم لك فقال

أن طائفة من العساكر تشاجروا بالخطة ودخلوا إلى الدار وأزعجونا فسددها من ناحية الشارع بعداً من الشر وخوفاً مما جرى على داري سابقاً من النهب، فلم يلتفت لكلامه وأمر بقتله فشفع فيه صالح بك السلحدار وحسن آغا مستحفظان فعفا عنه من القتل وأمر بضربه فبطحوه وضربوه بالعصي، ثم نزل بصحبته الآغا إلى داره وفتح الباب كما كان.

وفي رابع عشرينه، وصلت مكاتبات من الديار الحجازية من عند الباشا وخلافه مؤرخة في ثالث عشر ذي الحجة يذكرون فيها ان الباشا بمكة وطوسون باشا ابنه بالمدينة وحسن باشا وأخاه عابدين بك وخلافهم بالكلخة ما بين الطائف وتربة.

ودخلت سنة 1230

واستهل شهر صفر الخير بيوم الخميس سنة 1230

في خامس عشرينه نودي بنقص مصارفة أصناف المعاملة وقد وصل صرف الريال الفرانسة من الفضة العددية إلى ثلثمائة وأربعين نصفاً عنها ثمانية قروش ونصف فنودي عليه بنقص نصف قرش والمحبوب وصل إلى عشرة قروش فنودي عليه بتسعة قروش وشددوا في هذه المناداة تشديداً زائداً وقتل كل من زاد من غير معارضة وكتبوا مراسيم إلى جميع البنادر وفيها التشديد والتهديد والانتقام ممن يزيد.

وفي أواخره، التزم المعلم غالي بمال الجزية التي تطلب من النصارى على خمسة وثمانين كيساً وسبب ذلك أن بعض أتباع المقيد لقبض الجوالي قبض على شخص من النصارى وكان من قسوسهم وشدد عليه في الطلب وأهانه فأنهوا الأمر إلى المعلم غالي ففعل ذلك قصداً لمنع الإيذاء عن أبناء جنسه ويكون الطلب منه عليهم ومنع المتظاهرين بالإسلام عنهم.

واستهل شهر ربيع الأول بيوم السبت سنة 1230

في تاسعه وصلت قافلة طيارى من الحجاز قدم صحبتها السيد عبد الله القماعي ومعها هجانة من الحجاز وعلى يدهم مكاتبات وفيها الأخبار والبشرى بنصرة الباشا على العرب وأنه استولى على تربة وغنم منها جمالاً وغنائم وأخذ منهم أسرى، فلما وصلت الأخبار بذلك انطلق المشردون إلى بيوت الأعيان لأخذ البقاشيش وضربوا في صبحها مدافع كثيرة من القلعة.

وفي يوم الثلاثاء حادي عشره، كان المولد النبوي فنودي في صبحه بزينة المدينة وبولاق ومصر القديمة ووقود القناديل والسهر ثلاثة أيام بلياليها، فلما أصبح يوم الأربعاء والزينة بحالها إلى بعد أذان العصر نودي برفعها ففرح أهل الأسواق بإزالتها ورفعها لما يحصل لهم من التكاليف والسهر في البرد والهواء خصوصاً، وقد حصل في آخر ليلة رياح شديدة.

وفي هذه الأيام سافر محمود بك والمعلم غالي ومن يصحبهما من النصارى الأقباط وأخذوا معهم طائفة من الكتبة الأفندية المختصين بالروزنامة ومنهم محمد أفندي المنفصل عن الروزنامة ونزلوا لإعادة قياس الأراضي وتحرير الري والشراقي وسبقهم القياسون بالأقصاب نزلوا وسرحوا قبلهم بنحو عشرة أيام وشرع كشاف النواحي في قبض الترويجة من المزارعين وفرضوا على كل فدان الأدنى تسعة ريالات إلى خمسة عشر بحسب جودة الأراضي ورداءتها وهذا الطلب في غير وقته لأنه لم يحصل حصاد للزرع وليس عند الفلاحين ما يقتاتون منه ومن العجب أنه لم يقع مطر في هذه السنة أبداً ومضت أيام الشتاء ودخل فصل الربيع، و لم يقع غيث أبداً سوى ما كان يحصل في بعض الأيام من غيوم وأهوية غربية يترل مع هبوبها بعض رشاش قليل لا تبتل الأرض منه ويجف بالهواء بمجرد نزوله.

وفي أواخره، ورد لحضرة الباشا هدية من بلاد الإنكليز وفيها طيور مختلفة الأجناس والأشكال كبار وصغار وفيها ما يتكلم ويحاكى وآلة مصنوعة لنقل الماء يقال لها الطلمبه وهي تنقل الماء إلى المسافة البعيدة ومن الأسفل إلى العلو ومرآة زجاج نجف كبيرة قطعة واحدة وساعة تضرب مقامات موسيقى في كل ربع يمضي من الساعة بأنغام مطربة وشمعدان به حركة غريبة كلما

طالت فتيلة الشمعة غمز بحركة لطيفة فيخرج منه شخص لطيف من جانبه فيقط رأس الفتيلة بمقص لطيف بيده ويعود راجعاً إلى داخل الشمعدان هذا ما بلغني ممن ادعى أنه شاهد ذلك.

وفيه عملوا تسعيرة على المبيعات والمأكولات مثل اللحم والسمن والجبن والشمع ونادوا بنقص أسعارها نقصاً فاحشاً وشددوا في ذلك بالتنكيل والشنق والتعليق وخرم الآناف فارتفع السمن والزبد والزيت من الحوانيت وأخفوه وطفقوا يبيعونه في العشيات بالسعر الذي يختارونه على الزبون وأما السمن فلكثرة طلبه لأهل الدولة شح وجوده وإذا ورد منه شيء خطفوه وأخذوه من الطريق بالسعر الذي سعره الحاكم وانعدم وجوده عند القبانية وإذا بيع منه شيء بيع سراباً قصى الثمن وأما السكر والصابون فبلغا الغاية في غلو الثمن وقلة الوجود لأن إبراهيم باشا احتكر السكر بأجمعه الذي يأتي من الصعيد وليس بغير الجهة القبلية شيء منه فيبيعه على ذمته وهو في الحقيقة لأبيه، ثم صار نفس الباشا يعطي لأهل المطابخ بالثمن الذي يعنيه عليهم ويشاركهم في ربحه فزاد غلو ثمنه على الناس وبيع الرطل من السكر الصعيدي الذي كان يباع بخمسة أنصاف فضة بثمانين نصفاً وأما الصابون ففرضوا على تجاره غرامة فامتنع وجوده وبيع الرطل الواحد منه خفية بستين نصفاً وأكثر وفي هذه الأيام غلا سعر الحنطة والفول وبيع الأردب بألف ومائتي نصف فضة خلاف الكلف والأجرة مع أن الأهراء والشون ببولاق ملآنة بالغلال ويأكلها السوس ولا يخرجون منها للبيع شيئاً حتى قيل لكتخدا بك في إخراج شيء منها يباع في الناس، فلم يأذن وكأنه لم يكن مأذوناً من مخدومه.

واستهل شهر ربيع الثاني بيوم الاثنين سنة 1230

في ثامنه عمل محرم بك الكورنتينة بالجيزة على نسق السنة الماضية من إخراج الناس وإزعاجهم تطيراً خوفاً من الطاعون.

وفيه خوزقوا شيخ عرب بلى فيما بين العرب والهلايل بعد حبسه أربعة أشهر.

وفي يوم الجمعة ثامن عشرينه، ضربت مدافع وأشيع الخبر بوصول شخص عسكري بمكاتبات من الباشا وخلافه والخبر بقدوم الباشا وانتشرت المبشرون إلى بيوت الأعيان وأصحاب المظاهر على عاداتهم لأخذ البقاشيش فمن قائل أنه وصل إلى القصير ومن قائل أنه نزل إلى السفينة بالبحر ومنهم من يقول أنه حضر إلى السويس، ثم اختلفت الروايات وقالوا أن الذي وصل إلى السويس حريم الباشا فقط، ثم تبين كذب هذه الأقاويل وأنها مكاتبات فقط مؤرخة أواخر شهر صفر يذكرون فيها أن الباشا حصل له نصر واستولى على ناحية يقال لها بيشة ورينة وقتل الكثير من الوهابيين وأنه عازم على الذهاب إلى ناحية قنفدة، ثم يترل بعد ذلك إلى البحر ويأتي إلى مصر ووصل الخبر بوفاة الشيخ إبراهيم كاتب الصرة.

واستهل شهر جمادى الأول بيوم الثلاثاء سنة 1230

في سادسه يوم الأحد ضربت مدافع بعد الظهيرة لورود مكاتبة بأن الباشا استولى على ناحية من النواحي جهة قنفدة.

وفي يوم الجمعة ثامن عشره، وصل المحمل إلى بركة الحج وصحبته من بقي من رجال الركب مثل خطيب الجبل والصيرفي والمحملجية ووردت مكاتبات بالقبض على طامي الذي جرى منه ما جرى في وقائع قنفدة السابقة وقتله العساكر، فلم يزل

راجح الذي اصطلح مع الباشا ينصب له الحبائل حتى صاده وذلك أنه عمل لابن أخيه مبلغاً من المال إن هو أوقعه في شركه فعمل له وليمة ودعاه إلى محله فأتاه آمناً فقبض عليه واغتاله طمعاً في المال وأتوا به إلى عرضي الباشا فوجهه إلى بندر جدة في الحال وأنزلوه السفينة وحضروا به إلى السويس وعجلوا بحضوره، فلما وصل إلى البركة والمحمل إذ ذاك بها خرجت جميع العساكر في ليلة الاثنين حادي عشرينه وانجروا في صبحها طوائف وخلفهم المحمل مبعد مرورهم دخلوا بطامي المذكور وهو راكب على هجين وفي رقبته الحديد والجنزير مربوط في عنق الهجين وصورته رجل شهم عظيم اللحية وهو لابس عباءة عبدانية ويقرأ وهو راكب وعملوا في ذلك اليوم شنكاً ومدافع وحضر أيضاً عابدين بك وتوجه إلى داره في ليلة الاثنين.

واستهل شهر جمادى الثانية بيوم الخميس سنة 1230

في خامسه وصلت عساكر في داوات إلى السويس وحضروا إلى مصر وعلى رؤوسهم شلنجات فضة إعلاماً وإشارة بأنهم مجاهدون وعائدون من غزو الكفار وأنهم افتتحوا بلاد الحرمين وطردوا المخالفين لديانتهم حتى أن طوسون باشا وحسن باشا كتبا في إمضائهما على المراسلات بعد اسمهما لفظة المغازي والله أعلم بخلقه.

وفي تاسعه، أخرجوا عساكر كثيرة وجوههم إلى الثغور ومحافظة الأساكل خوفاً من طارق يطرق الثغور لأنه أشيع أن بونابارته كبير الفرنساوية خرج من الجزيرة التي كان بها ورجع إلى فرنسا وملكها وأغار على بلاد الجورنة وخرج بعمارة كبيرة لا يعلم قصده إلى أي جهة يريد فربما طرق ثغر الإسكندرية أو دمياط على حين غفلة وقيل غير ذلك وسئل كتخدا بك عن سبب خروجهم فقال خوفاً عليهم من الطاعون ولئلا يوخموا المدينة لأنه وقع في هذه السنة موتان بالطاعون وهلك الكثير من العسكر وأهل البلدة والأطفال والجواري والعبيد خصوصاً السودان فإنه لم يبق منهم إلا القليل النادر وخلت منهم الدور.

وفي منتصفه أخرج كتخدا بك صدقة تفرق على الأولاد الأيتام الذين يقرؤون بالكتاتيب ويدعون برفع الطاعون فكانوا يجمعونهم ويأتي بهم فقهاؤهم إلى بيت حسن كتخدا الكتخدا عند مصلى ويدفعون لكل صغير ورقة بها ستون نصفاً فضة يأخذ منها جزأ الذي يجمع الطائفة منهم ويدعى أنه معلمهم زيادة عن حصته لأن معلم المكاتب مغلوقة وليس بها أحد بسبب تعطيل الأوقاف وقطع إيرادهم وصار لهذه الأطفال جلبة وغوغاء في ذهابهم ورجوعهم في الأسواق وعلى بيت الذي يقسم عليهم.

واستهل شهر رجب بيوم الجمعة سنة 1230

في سادسه يوم الأربعاء وصلت هجانة من ناحية قبلي وأخبروا بوصول الباشا إلى القصير فخلع عليهم كتخدا بك كساوى و لم يأمر بعمل شنك ولا مدافع حتى يتحقق صحة الخبر.

وفي ليلة الجمعة ثامنه، احترق بيت طاهر باشا بالأزبكية والبيت الذي بجواره أيضاً.

وفي يوم الجمعة المذكور قبل العصر ضربت مدافع كثيرة من القلعة والجيزة وذلك عندما ثبت وتحقق ورود الباشا إلى قنا وقوص ووصل أيضاً حريم الباشا وطلعوا إلى قصر شبرا وركب للسلام عليها جميع نساء الأكابر والأعيان بهداياهم وتقادمهم ومنعوا المارين من المسافرين والفلاحين الواصلين من الأرياف المرور من تحت القصر الذي هو الطريق المعتادة للمسافرين فكانوا

يذهبون ويمرون من طريق استحدثوها منعطفة خلف تلك الطريق ومستبعدة بمسافة طويلة.

وفي ليلة الخميس رابع عشره، انخسف جرم القمر جميعه بعد الساعة الثالثة وكان في آخر برج القوس.

وفي ليلة الجمعة خامس عشره، وصل الباشا إلى الجيزة ليلاً فأقام بها إلى آخر الليل، ثم حضر إلى داره بالأزبكية فأقام بها يومين وحضر كتخدا بك وأكابر دولته للسلام عليه، فلم يأذن لأحد وكذلك مشايخ الوقت ذهبوا ورجعوا و لم يجتمع به أحد سوى ثاني يوم وترادفت عليه التقادم والهدايا من كل نوع من أكابر الدولة والنصارى بأجناسهم خصوصاً الأرمن وخلافهم بكل صنف من التحف حتى السراري البيض بالحلي والجواهر وغير ذلك وأشيع في الناس في مصر وفي القرى بأنه تاب عن الظلم وعزم على إقامة العدل وأنه نذر على نفسه أنه إذا رجع منصوراً واستولى على أرض الحجاز أفرج للناس عن حصصهم ورد الأرزاق الأحباشية إلى أهلها وزادوا على هذه الإشاعة أنه فعل ذلك في جميع النواحي وباتوا يتخيلونه في أحلامهم، ولما مضى من وقت حضوره ثلاثة أيام كتبوا أوراقاً لمشاهير الملتزمين مضمونها أنه بلغ حضرة أفندينا ما فعله الأقباط من ظلم الملتزمين والجور عليهم في فائظهم، فلم يرض بذلك والحال أنكم تحضرون بعد أربعة أيام وتحاسبون على فائظكم وتقبضونه فغن أفندينا لا يرضى بالظلم وعلى الأوراق إمضاء الدفتردار ففرح أكثر المغفلين بهذا الكلام واعتقدوا صحته وأشاعوا أيضاً أنه نصب تجاه قصر شبرا خوازيق للمعلم غالي وأكابر القبط.

وفي رابع عشرينه، حضر الكثير من أصحاب الأرزاق الكائنين بالقرى والبلاد مشايخ وأشرافاً وفلاحين ومعهم بيارق وأعلام مستبشرين وفرحين بما سمعوه وأشاعوه وذهبوا إلى الباشا وهو يعمل رماحة بناحية القبة برمي بنادق كثيرة وميدان تعليم، فلما رآهم وأخبروه عن سبب مجيئهم فأمر بضربهم وطردهم ففعلوا بهم ذلك ورجعوا خائبين.

وفيه حضر محمود بك والمعلم غالي من سرحتهما وقابلا الباشا وخلع عليهما وكساهما وألبسهما فراوي سمور فركب المعلم غالي وعليه الخلعة وشق من وسط المدينة وخلفه عدة كثيرة من الأقباط ليراه الناس ويكمد الأعداء ويبطل ما قيل من التقولات، ثم أقام هو ومحمود بك أياماً قليلة ورجعا لأشغالهما وتتميم أفعالهما من تحرير القياس وجبي الأموال وكانا أرسلا قبل حضورهما عدة كثيرة من الجمال الحاملة للأموال في كل يوم قطارات بعضها أثر بعض من الشرقية والغربية والمنوفية وباقي الأقاليم.

وفيه حضر شيخ طرهونة بجهة قبلي ويسمى كريم بضم الكاف وفتح الراء وتشديد الياء وسكون الميم وكان عاصياً على الباشا و لم يقابله أبداً، فلم يزل يحتال عليه إبراهيم باشا ويصالحه ويمنيه حتى أتى إليه وقابله وأمنه، فلما حضر الباشا أبوه من الحجاز أتاه على أمان ابنه وقدم معه هدية وأربعين من الإبل فقبل هديته، ثم أمر برمي عنقه بالرميلة.

واستهل شهر شعبان سنة 1230

والناس في أمر مريج من قطع أرزاقهم وأرباب الالتزامات والحصص التي ضبطها الباشا ورفع أيديهم عن التصرف في شيء منها خلاطين الأوسية فإنه سامحهم فيه سوى ما زاد عن الروك الذي قاسوه فإنه لديوانه ووعدهم بصرف المال الحر المعين بالسند الديواني فقط بعد التحرير والمحاققة ومناقضة الكتبة الأقباط في القوائم وأقاموا منتظرين إنجاز وعده أياماً يغدون ويروحون ويسألون الكتبة ومن له صلة بهم وقد ضاق خناقهم من التفليس وقطع الإيراد ورضوا بالأقل وتشوقوا لحصوله وكل قليل

يعدون بعد أربعة أيام أو ثلاثة أيام حتى تحرر الدفاتر فإذا تحررت قيل أن الباشا أمر بتغييرها وتحريرها على نسق آخر ويكرر ذلك ثانياً وثالثاً على حسب تفاوت المتحصل في السنين، وما يتوفر في الخزينة قليلاً أو كثيراً.

وفيه وصل رجل تركي على طريق دمياط يزعم أنه عاش من العمر زمناً طويلاً وأنه أدرك أوائل القرن العاشر ويذكر أنه حضر إلى مصر مع السلطان سليم وأدرك وقته وواقعته مع السلطان الغوري وكان في ذلك الوقت تابعاً لبعض البيرقدارية وشاع ذكره وحكي من رآه أن ذاته تخالف دعواه وامتحنه البعض في مذاكرة الأخبار والوقائع فحصل منه تخليط، ثم أمر الباشا بنفيه وإبعاده فأنزلوه في مركب وغاب خبره فيقال أهم أغرقوه والله أعلم.

وفي خامس عشرينه، عملوا الديوان ببيت الدفتردار وفتحوا باب صرف الفائظ على أرباب حصص الالتزام فجعلوا يعطون منه جانباً وأكثر ما يعطونه نصف القدر الذي قرروه وأقل وأزيد قليلاً.

وفيه أمر الباشا لجميع العساكر بالخروج إلى الميدان لعمل التعليم والرماحة خارج باب النصر حيث قبة العزب فخرجوا من ثلث الليل الأخير وأخذوا في الرماحة والبندقة المتواصلة المتتابعة مثل الرعود على طريقة الإفرنج وذلك قبيل الفجر إلى الضحوة، ولما انقضى ذلك رجعوا داخلين إلى المدينة في كبكبة عظيمة حتى زحموا الطرق بخيولهم من كل ناحية وداسوا أشخاصاً من الناس بخيولهم بل وحميراً أيضاً وأشيع أن الباشا قصده إحصاء العسكر وترتيبهم على النظام الجديد وأوضاع الإفرنج ويلبسهم الملابس المقمطة ويغير شكلهم وركب في ثاني يوم إلى بولاق وجمع عساكر ابنه إسمعيل باشا وصنفهم على الطريقة المعروفة بالنظام الجديد وعرفهم قصده فعل ذلك بجميع العساكر ومن أبى ذلك قابله بالضرب والطرد والنفي بعد سلبه حتى من ثيابه، ثم ركب من بولاق وذهب إلى شبرا وحصل في العسكر قلقلة ولغط وتناجوا فيما بينهم وتفرق الكثير منهم عن مخاديمهم وأكابرهم ووافقهم على النفور بعض أعياهم واتفقوا على غدر الباشا، ثم أن الباشا ركب من قصر شبرا وحضر إلى بيت الأزبكية ليلة الجمعة ثامن عشرينه، وقد اجتمع عند عابدين بك بداره جماعة من أكابرهم في وليمة وفيهم حجو بك وعبد الله آغا صاري جلة وحسن آغا الأزرنجلي فتفاوضوا بينهم أمر الباشا وما هو شارع فيه واتفقوا على الهجوم عليه في داره بالأزبكية في الفجرية، ثم إن عابدين بك غافلهم وتركهم في إنسهم وخرج متنكراً مسرعاً إلى الباشا وأخبره ورجع إلى أصحابه فأسرع الباشا في الحال الركوب في سادس ساعة من الليل وطلب عساكر طاهر باشا فركبوا معه وحوط المترل بالعساكر، ثم أخلف الطريق وذهب على ناحية الناصرية ومرمى النشاب وصعد إلى القلعة وتبعه من يثق به من العساكر وانخرم أمر المتوافقين، ولم يسعهم الرجوع عن عزيمتهم فساروا إلى بيت الباشا يريدون نهبه فمانعهم المرابطون وتضاربوا بالرصاص والبنادق وقتل بينهم أشخاص، ولم ينالوا غرضاً فساروا على ناحية القلعة واجتمعوا بالرميلة وقراميدان وتحيروا في امرهم واشتد غيظهم وعلموا أو وقوفهم بالرميلة لا يجدي شيئاً وقد أظهروا المخاصمة ولا ثمرة تعود عليهم في رجوعهم وسكوهم بل ينكسف بالهم وتنذل أنفسهم ويلحقهم اللوم من أقراهم الذين لم ينضموا إليهم فأجمع رأيهم لسور طباعهم وخبث عقيدهم وطرائقهم أهم يتفرقون في شوارع المدينة وينهبون متاع الرعية وأموالهم فإذا فعلوا ذلك فيكثر جمعهم وتقوى شوكتهم ويشاركهم المخلفون عنهم لرغبة الجميع في القبائح الذميمة ويعودون بالغنيمة ويحوصلون من الحواصل ولا يضيع سعيهم في

الباطل،كما يقال في المثل ما قدر على ضرب الحمار فضرب البرذعة ونزلوا على وسط قصبة المدينة على الصليبة على السروجية وهم يكسرون ويهشمون أبواب الحوانيت المغلوقة وينهبون ما فيها لأن الناس لما تسامعوا بالحركة أغلقوا حوانيتهم وأبوابهم وتركوا أسبابهم طلباً للسلامة وعندما شاهد باقيهم ذلك أسرعوا للحوق وبادروا معهم للنهب والخطف بل وشاركهم الكثير من الشطار والزعر والعامة المقلين والجياع ومن لا دين له وعند ذلك كثر جمعهم ومضوا على طريقهم إلى قصبة رضوان إلى داخل باب زويلة وكسروا حوانيت السكرية وأخذوا ما وجدوه من الدراهم وما أحبوه من أصناف السكر فجعلوا يأكلون ويحملون ويبددون الذي لم يأخذوه ويلقونه تحت الأرجل في الطريق وكسروا أواني الحلو وقدور المربيات وفيها ما هو من الصيني والبياغوري والإفرنجي ومجامع الأشربة وأقراص الحلو الملونة والرشال والملبس والفانيد والحماض والبنفسج وبعد أن يأكلوا ويحملوا هم وأتباعهم ومن انضاف لهم من الأوباش البلدية والحرافيش والجعيدية يلقون ما فضل عنهم على قارعة الطريق بحيث صار السوق من حد باب زويلة إلى المناخلية مع اتساعه وطوله مرسوماً ومنقوشاً بألوان السكاكر وأقراص الأشربة الملونة وأعسال المربيات سائلة على الأرفن وكان أهل ذلك السوق المتسببون جددوا وطبخوا أنواع المربيات والأشربة عند وفور الفواكه وكثرتها في أوانها وهو هذا الشهر المبارك مثل الخوخ والتفاح والبرقوق والتوت والقرع المسير والحصرم والسفرجل وملئوا الأوعية وصففوها على حوانيتهم للمبيع وخصوصاً على موسم شهر رمضان ومضوا في سيرهم إلى العقادين الرومي والغورية والأشرفية وسوق الصاغة ووصلت طائفة إلى سوق مرجوس فكسروا أبواب

الحوانيت والوكائل والخانات ونهبوا ما في حواصل التجار من الأقمشة المحلاوي والبز والحرير والزردخان ولما وصلت طائفة إلى رأس خان الخليلي وأرادوا العبور والنهب فزعت فيهم الأتراك والأرنؤد الذين يتعاطون التجارة الساكنون بخان اللبن والنحس وغيرهما وضربوا عليهم الرصاص وكذلك من سوق الصرماتية والأتراك الخرجية الساكنون بالرباع بباب الزهومة جعلوا يرمون عليهم من الطيقان بالرصاص حتى ردوهم ومنعوهم وكذلك تعصبت طائفة المغاربة الكائنون بالفحامين وحارة الكعكيين رموا عليهم بالرصاص وطردوهم عن تلك الناحية وأغلقوا البوابات التي على رؤوس العطف وجلس عند كل درب أناس ومن فوقهم أناس من أهل الخطة بالرصاص تمنع الواصل إليهم ووصلت طائفة إلى خان الحمزاوي فعالجوا في بابه حتى كسروا الخوخة التي في الباب وعبروا الخان وكسروا حواصل التجار من نصارى الشوام وغيرهم ونهبوا ما وجدوه من النقود وأنواع الأقمشة الهندية والشامية والمقصبات وبالات الجوخ والقطيفة والأسطوفة وأنواع الشيت والحرير الخام والإبريسم وغير ذلك وتبعهم الخدم والعامة في نهب وأخرجوا في الدكاكين والحواصل من أنواع الأقمشة وأخذوا ما أعجبهم واختاروه وانتقوه وتركوا ما تركوه ولم يقدروا على حمله مطروحاً على الأرض ودهليز الخان وخارج السوق يطئون عليه بالأرجل والنعالات ويعدو القوي على الضعيف فيأخذ ما معه من الأشياء الثمينة وقتل بعضهم البعض وكسروا أبواب الدكاكين التي خارج الخان بالخطة وأخرجوا ما فيها من الأواني والتحف الصيني والزجاج المذهب والكاسات البلور والصحون والأطباق والفناجين البيشة وأنواع الخردة وأخذوا ما أعجبهم، وما وجدوه من نقود ودراهم وهمشوا البواقي وكسروه وألقوه على الأرض يحي الأرجل شقاقاً وما به من حوانيت العطارين وطرحوا أنواع الأشياء العطرية بوسط الشارع تداس بالأرجل أيضاً وفعلوا ما لا خير فيه من نهب أموال الناس والإتلاف ولولا الذين تصدوا لدفعهم ومنعهم بالبنادق والكرانك وغلق البوابات لكان الوقع أفظع من ذلك ولنهبوا أيضاً البيوت وفجروا بالنساء والعياذ بالله ولكن الله سلم وشاركهم في فعلهم الكثير من الأوباش والمغاربة

المدافعين أيضاً فإنهم أخذوا أشياء كثيرة وكانوا يقبضون على من يمر بهم ممن يقدرون عليه من النهابين ويأخذون ما معهم لأنفسهم وإذا هشمت العساكر حانوتاً وخطفوا منها شيئاً ولحقهم من يطردهم عنها استأصل اللاحقون ما فيها واستباح الناس أموال بعضهم البعض وكان هذا الحادث الذي لم نسمع بنظيره في دولة من الدول في ظرف خمس ساعات، وذلك من قبيل صلاة الجمعة إلى قبيل العصر حصل للناس في هذه المدة اليسيرة من الانزعاج والخوف الشديد ونهب الأموال وإتلاف الأسباب والبضائع ما لا يوصف، و لم تصل الجمعة في ذلك اليوم وأغلقت المساجد الكائنة بداخل المدينة وأخذ الناس حذرهم ولبسوا أسلحتهم وأغلقوا البوابات وقعدوا على الكرانك والمرابط والمتاريس وسهروا الليالي وأقاموا على التحذر والتحفظ والتخوف أياماً وليالي.

وفي يوم السبت تاسع عشرينه الموافق لآخر يوم من شهر أبيب القبطي أوفى النيل المبارك أذرعه وكان ذلك اليوم أيضاً ليلة رؤية هلال رمضان فصادف حصول الموسمين في آن واحد، فلم يعمل فيها موسم ولا شنك على العادة، و لم يركب المحتسب ولا أرباب الحرف بموكبهم وطبولهم وزمورهم وكذلك شنك قطع الخليج وما كان يعمل في ليلته من المهرجان في النيل وسواحله وعند السد وكذلك في صبحه وفي البيوت المطلة على الخليج فبطل ذلك جليعه و لم يشعر بهما أحد وصام الناس باجتهادهم وكان وفاء النيل في هذه السنة من النوادر فإن النيل لم تحصل فيه الزيادة بطول الأيام التي مضت من شهر أبيب إلا شيئاً يسيراً حتى حصل في الناس وهم زائد وغلا سعر الغلة ورفعوها من السواحل والعرصات فأفاض المولى في النيل واندفعت فيه الزيادة العظيمة وفي ليلتين أوفى أذرعه قبل مظنته فإن الوفاء لا يقع في الغالب إلا في شهر مسرى و لم يحصل في أواخر أبيب إلا في النادر وإني لم أدركه في سنين عمري أو في أبيب إلا مرة واحدة وذلك في سنة ثلاث وثمانين ومائة وألف فتكون المدة بين تلك وهذه المدة سبعاً وأربعين سنة.

وفيه أرسل الباشا بطلب السيد محمد المحروقي فطلع إليه وصحبته عدة كبيرة من عسكر المغاربة لخفارته فلما واجهه قال له هذا الذي حصل للناس من نهب أموالهم في صحائفي والقصد أنكم تتقدمون لأرباب المنهوبات وتجمعونهم بديوان خاص طائفة بعد أخرى وتكتبون قوائم لكل طائفة بما ضاع لها على وجه التحرير والصحة وأنا أقوم لهم بدفعه بالغاً ما بلغ فشكر له ودعا له ونزل إلى داره وعرف الناس بذلك وشاع بينهم فحصل لأربابه بعض الاطمئنان وطلع إلى الباشا كبار العسكر مثل عابدين بك ودبوس أوغلي وحجو بك ومحو بك واعتذروا وتنصلوا وذكروا وأقروا أن هذا الواقع اشتركت فيه طوائف العسكر وفيهم من طوائفهم وعساكرهم ولا يخفاه خبث طباعهم فتقدم إليهم بأن يتفقدوا بالفحص وإحصاء ما حازه وأخذه كل من طوائفهم وعساكرهم وشدد عليهم في الأمر بذلك فأجابوه بالسمع والطاعة وامتثلوا لأمره وأخذوا في جمع ما يمكنهم وإرساله إلى القلعة وركبوا وشقوا بشوارع المدينة وأمامهم المناداة بالأمان وأحضر الباشا المعمار وأمره بجمع النجارين والمعمرين وإشغالهم في تعمير ما تكسر من أخشاب الدكاكين والأسواق ويدفع لهم أجرتهم، وكذلك الأخشاب على طرف الميري.

واستهل شهر رمضان بيوم الاثنين سنة 1230

والناس في أمر مريج وتخوف شديد وملازمون للسهر على الكرنك ويتحاشون المشي والذهاب والمجيء وكل أهل خطة ملازم لخطته وحارته كل وقت يذكرون وينقلون بينهم روايات وحكايات ووقائع مزعجات وتطاولت أيدي العساكر بالتعدي والأذية والفتك والقتل لمن ينفردون به من الرعية.

وفي ثاني ليلة، طلع السيد محمد المحروقي وطلع صحبته الشيخ محمد الدواخلي نقيب الأشراف وابن الشيخ العروسي وابن الصاوي المتعينون في مشيخة الوقت وصحبتهم شيخ الغورية وطائفته وقد ابتدؤا بهم في إملاء ما نهب لهم من حوانيتهم بعدما حرروها عند السيد محمد المحروقي وتحليفهم بعد الإملاء على صدق دعواهم وبعد التحليف والمحاققة يتجاوزعن بعضه لحضرة الباشا ثم يثبتون له الباقي فاستقر لأهل الغورية خاصة مائة وثمانون كيساً فدفع لهم ثلثيها وأخر لهم الثلث وهو ستون كيساً يستوفونها فيما بعد أما عن عروضهم إن ظهر لهم شيء منها أو من الخزينة ولازم الجماعة الطلوع والترول في كل ليلة لتحرير بواقي المنهوبات وأيضاً استقر لأهل خان الحمزاوي نحو ثلاثة آلاف كيس كذلك ولطائفة السكرية نحو من سبعين كيساً خصمت لهم من ثمن السكر الذي يبتاعونه من الباشا واستمر الباشا بالقلعة يدير أموره ويجب قلوب الناس من الرعية وأكابر دولته بما يفعله من بذل المال ورد المنهوبات حتى ترك الناس يسخطون على العسكر ويترضون عنه ولو لم يفعل ذلك وسارت العساكر هذه الثورة و لم يقع منهم نهب ولا تعد لساعدتهم الرعية واجتمعت عليهم أهالي القرى وأرباب الإقطاعات لشدة نكاياتهم من الباشا بضبط الرزق والالتزامات وقياس الأراضي وقطع المعايش وذلك من سوء تدبير العسكر وسعادة الباشا وحسن سياسته باستجلابه الخواطر وتملقه بالكلام اللين والتصنع ويلوم على فعل العسكر ويقول بمسمع الحاضرين ما ذنب الناس معهم خصوصاً خصامهم معي أو مع الرعية ها أنا لي مترل بالأزبكية فيه أموال وجواهر وأمتعة وأشياء كثيرة وسراية ابني إسمعيل باشا ببولاق ومترل الدفتردار ونحو ذلك ويتحسبل ويتحوقل ويعمل فكرته ويدبر أمره في أمر العسكر وعظمائهم وينقم عليهم ويعطيهم الأموال الكثيرة والأكياس العديدة لأنفسهم وعساكرهم وتنتبذ طائفة منهم ويقولون نحن لن ننهب و لم يحصل لنا كسب فيعطيهم ويفرق فيهم المقادير العظيمة فأنعم على عابدين بك بألف كيس ولغيره دون ذلك.

وفي أثناء ذلك، أخرج جردة من عسكر الدلاة ليسافروا إلى الديار الحجازية فبرزوا إلى خارج باب الفتوح حيث المكان المسمى بالشيخ قمر ونصبوا هناك وطاقهم وخرجت أحمالهم وأثقالهم.

وفي ليلة الخميس، ثارت طائفة الطبجية وخاضوا وضجوا وهم نحو الأربعمائة وطلبوا نفقة فأمر لهم بخمسة وعشرين كيساً ففرقت فيهم الأربعمائة وطلبوا نفقة فأمر لهم بخمسة وعشرين كيساً ففرقت فيهم فسكتوا وفي يوم الخميس المذكور نزل كتخدا بك وشق من وسط المدينة ونزل عند جامع الغورية وجلس فيه ورسم لأهل السوق بفتح حوانيتهم وأن يجلسوا فيها فامتثلوا وفتحوا الحوانيت وجلسوا على تخوف كل ذلك مع عدم الراحة والهدوء وتوقع المكروه والتطير من العسكر وتعدى السفهاء منهم في بعض الأحايين والتحزر والاحتراس وأما النصارى فإنهم حصنوا مساكنهم ونواحيهم وحاراتهم وسدوا المنافذ وبنو كرانك واستعدوا بالأسلحة والبنادق وأمدهم الباشا بالبارود ولآلات الحرب دون المسلمين حتى أنهم استأذنوا كتخدا بك في سد بعض الحارات النافذة التي يخشون وقوع الضرر منها فمنع من ذلك وأما النصارى فلم يمنعهم وقد تقدم ذكر فعله مع رضوان كاشف عندما سد باب داره وفتحه من جهة أخرى وعزه وضربه وبهدله بوسط الديوان.

وفيه، وصل نجيب أفندي وهو قبي كتخدا الباشا عند الدولة إلى بولاق فركب إليه كتخدا بك وأكابر الدولة والآغا والوالي وقابلوه ونظموا له موكباً من بولاق إلى القلعة ودخل من باب النصر وحضر صحبته خلع برسم الباشا وولده طوسون باشا وسفيان وشلنجان وهدايا وأحقاق تشوق مجوهرة وعملوا لوصوله شنكاً ومدافع من القلعة وبولاق.

وفيه، ارتحل الدلاة المسافرون إلى الحجاز ودخل حجو بك إلى المدينة بطائفته.

وفي ضحوة، ذلك اليوم بعد انفضاض أمر الموكب حصل في الناس زعجة وكرشات وأغلقوا البوابات والدروب واتصل هذا الإزعاج بجميع النواحي حتى بولاق ومصر القديمة و لم يظهر لذلك أصل ولا سبب من الأسباب مطلقاً.

وفي تلك الليلة، ألبس الباشا حجو خلعة وتوجه بطرطور طويل وجعله أميراً على طائفة من الدلاة وانخلع هو وأتباعه من طريقتهم التركية التي كانوا عليها وهؤلاء الطائفة التي يقال لهم دلاة ينسبون أنفسهم إلى طريقة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأكثرهم من نواحي الشام وجبال الدروز والمتاولة وتلك النواحي يركبون الأكاديش وعلى رؤوسهم الطراطير السود مصنوعة من جلود الغنم الصغار طول الطرطور نحو ذراع وإذا دخل لكنيف نزعه من على رأسه ووضعه على عتبة الكنيف وما أدرى ذلك تعظيم له عن مصاحبته معه في الكنيف أو الخوف والحذر من سقوطه إن انصدم باسفكة الباب في صحن المرحاض أو الملاقي وهؤلاء الطائفة مشهورة في دولة العثمانيين بالشجاعة والإقدام في الحروب ويوجد فيهم من هو على طريقة حميدة ومنهم دون ذلك وقليل ما هم ولكونهم من تمام النظام رتبهم الباشا من أجناسه وأتراكه خلاف الأجناس الغريبة ومن بقي من أولئك يكون تبعاً لا متبوعاً.

وفي يوم الثلاثاء سادس عشره، حصل مثل ذلك المتقدم من الانزعاج والكرشات بل أكثر من المرة الأولى ورمحت الرامحان وأغلقت الحوانيت وطلبت الناس السقائين الذين ينقلون الماء من الخليج وبيعت القربة بعشرة أنصاف فضة والراوية بأربعين فتزل الآغا وأغات التبديل وأمامهم المناداة بالأمان وينادون على العساكر أيضاً ومنهم من حمل البنادق ويأمرون الناس بالتحفظ واستمر هذا الأمر والارتجاج إلى قبيل العصر وسكن الحال وكثر مرور السقائين وبيعت القربة بخمسة أنصاف والراوية بخمسة عشر و لم يظهر لهذه الحركة سبب أيضاً وتقول الناس بطول نهار ذلك اليوم أصنافاً وأنواعاً من الروايات والأقاويل التي لا أصل لها.

وفي يوم الأربعاء، سابع عشره حضر الشريف راجح من الحجاز ودخل المدينة وهو راكب على هجين وصحبته خمسة أنفار على هجن أيضاً معهم أشخاص من الأرنؤد من أتباع حسن باشا الذي بالحجاز فطلعوا به إلى القلعة ثم أنزلوه إلى مترل أحمد أغا أخي كتخدا بك.

وفي ليلة الخميس، قلد الباشا عبد الله أغا المعروف بصاري جله وجعله كبيراً على طائفة من الينكجرية أيضاً وجعل على رأسه الطربوش الطويل المرخي على ظهره كما هي عادتهم هو وأتباعه وكان من جملة المتهومين بالمخامرة على الباشا.

وفيه ،برز أمر الباشا لكبار العسكر بركوب جميع عساكرهم الخيول ومنعهم من حمل البنادق ولا يكون منهم راجل أو حامل للبندقية إلا من كان من أتباع الشرطة والأحكام مثل الوالي والآغا وأغات التبديل ولازم كتخدا بك وأيوب آغا تابع إبراهيم آغا أغات التبديل والوالي المرور بالشوارع والجلوس في مراكز الأسواق مثل الغورية والجمالية وباب الحمزاوي وباب زويلة

وباب الخرق وأكثر أتباعهم مغطرون في نهار رمضان ومتجاهرون بذلك من غير احتشام ولا مبالاة بانتهاك حرمة شهر الصوم ويجلسون على الحوانيت والمساطب يأكلون ويشربون الدخان ويأتي أحدهم وبيده شبك الدخان فيدني مجمرته لأنف ابن البلد على غفلة منه وينفخ فيه على سبيل السخرية والهذيان بالصائم وزادوا في الغي والتعدي وخطف النساء نهاراً وجهاراً حتى اتفق أوفي أن شخصاً منهم أدخل امرأة إلى جامع الأشرفية وزنى بها في المسجد بعد صلاة الظهر في نهار رمضان.

وفي أواخره، عملوا حساب أهل سوق مرجوش فبلغ ذلك أربعمائة وخمسين كيساً قبضوا ثلثيها وتأخر لهم الثلث كل ذلك خلاف النقود لهم ولغيرهم مثل تجار الحمزاوي وهو شيء كثير ومبالغ عظيمة فإن الباشا منع من ذكرها وقال لأي شيء يؤخرون في حوانيتهم وحواصلهم النقود ولا يتجرون فيها واتفق لتاجر من أهل سوق الجيوش أنه ذهب من حاصله من حواصل الخان ثمانية آلاف فرانسة فلم يذكرها ومات قهر وكذلك ضاع لأهالي خان الحمزاوي من صرر الأموال والنقود والودائع والرهونات والمصاغ والجوهر مما يرهنه النساء على ثمن ما يشترونه من التجار والتفاصيل والمقصبات أو على ما يتأخر عليهم من الأثمان ما لا يدخل تحت المحصر ويستحيا من ذكره وضاع لرجل يبيع الفسيخ والبطارخ تجاه الحمزاوي من حانوته أربعة آلاف فلم يذكرها وأمثال ذلك كثير وانقضى شهر رمضان والناس في أمر مريج وخوف وانزعاج وتوقع المكروه و لم يترل الباشا من القلعة بطول الشهر وذلك على خلاف عادته فإنه لا يقدر على الاستقرار بمكان أياماً وطبيعته الحركة حتى في الكلام وكبار العساكر والسيد محمد المحروقي ومن يصحبه من المشايخ ونقيب الأشراف مستمرون على الطلوع والترول في كل يوم وليلة وللمتقيدين بالمنهوبين ديوان خاص وفرق الباشا كساوي العيد على أربابها و لم يظهر في هذه القضية شخص معين والكثير من العساكر الذين يمشون مع الناس في الأسواق يظهرون الخلاف والسخط ويظهر منهم التعدي ويخطفون عمائم الناس والنساء جهاراً ويتوعدون الناس بعودهم في النهب وكأنما بينهم وبين أهل البلدة عداوة قديمة أو ثارات يخلصونها منهم وفيهم من يظهر التأسف والتندم واللوم على المعتدين ويسفه رأيهم وهو المحروم الذي غاب على ذلك وبالجملة فكل ذلك تقادير إلهية وقضايا سماوية ونقمة حلت بأهل الإقليم وأهله من كل ناحية نسأل الله العفو والسلامة وحسن العاقبة، ومما اتفق أن بعض الناس زاد بهم الوهم فنقل ماله من حانوته إلى مترله أو حرز آخر فسرقها السراق وحانوته أو حاصله لم يصبه ما أصاب غيره وتعدد نظير ذلك لأشخاص كثيرة وذلك من فعل أهل البلدة يراقبون بعضهم بعضاً ويداورونهم في أوقات الغفلات في مثل هذه الحركات ومنهم من اتهم خدمه وأتباعه وتهددهم وشكاهم إلى حكام الشرطة ويغرم مالاً على ذلك أيضاً وهم بريؤن ولا يفيده إلا ارتكاب الإثم والفضيحة وعداوة الأهل والخدم وزيادة الغرم وغالب ما بأيدي التجار أموال الشركاء والودائع والرهونات ويطلبه أربابها ومنهم قليل الديانة وذهب من حانوته أشياء وبقي أشياء فادعى ضياع الكل لقوة الشبهة.

واستهل شهر شوال بيوم الثلاثاء سنة 1230

وهو يوم عيد الفطر وكان في غاية البرودة والخمول عديم البهجة من كل شيء لم يظهر فيه من علامات الأعياد إلا فطر الصائمين و لم يغير أحد ملبوسه بل ولا فصل ثياباً مطلقاً ولا شيئاً جديداً ومن تقدم له ثوب وقطعه وفصله في شعبان تأخر عند الخياط مرهوناً على مصاريفه ولوازمه لتعطيل جمع الأسباب من بطانة وعقادة وغيرها حتى أنه إذا مات ميت لم يدرك أهله

كفنه إلا بمشقة عظيمة وكسد في هذا العيد سوق الخياطين وما أشبههم من لوازم الأعياد و لم يعمل فيه كعك ولا شريك ولا سمك مملح ولا نقل و لم يخرجوا إلى الجبانات والمدافن أيضاً كعادقم ولا نصبوا خياماً على المقابر. و لم يحسن في هذه الحادثة إلا امتناع هذه الأمور وخصوصاً خروج النساء إلى المقابر فإنه لا يخرج منهن إلا بعض حرافيشهن على تخوف ووقع لبعضهن من العسكر ما وقع عند باب النصر والجامع الأحمر.

وفي ثالثه، نزل الباشا من القلعة من باب الجبل وهو في عدة من عسكر الدلاة والأتراك الخيالة والمشاة وصحبته عابدين بك وذهب إلى ناحية الآثار فعيد على يوسف باشا المنفصل عن الشام لأنه مقيم هناك لتغيير الهواء بسبب مرضه ثم عدى إلى الجيزة وبات بها عند صهره محرم بك ولما أصبح ركب السفائن وانحدر إلى شبرا وبات بقصره ورجع إلى مترله بالأزبكية ثم طلع إلى القلعة.

وفي يوم الثلاثاء، ثامنه، عمل ديواناً وجمع المشايخ المتصدرين وخاطبهم بقوله أنه يريد أن يفرج عن حصص الملتزمين ويترك لهم وساياهم يؤجروها ويزرعوها لأنفسهم ويرتب نظاماً لأجل راحة الناس وقد أمر الأفندية كتاب الروزنامه بتحرير دفاتر وأمهلهم اثني عشر يوماً يحررون في ظرفها الدفاتر على الوجه المرضي فأثنوا عليه خيراً ودعوا له فقال الشيخ الشنواني ونرجو من أفندينا أيضاً الإفراج عن الرزق الأحباسية كذلك فقال كذلك ننتظر في محاسبات الملتزمين ونحررها على الوجه المرضي أيضاً ومن أراد منهم أن يتصرف في حصته ويلتزم بخلاص ما تحرر عليها من المال الميري لجهة الديوان من الفلاحين بموجب المساحة والقياس صرفناه فيها وإلا أبقاها على طرفنا ويقبض فائظه الذي يقع عليه التحرير من الخزينة نقداً وعداً فدعوا له أيضاً وسكتوا فقال لهم تكلموا فإني ما طلبتكم إلا للمشاورة معكم فلم يفتح الله عليهم بكلمة يقولها أحدهم غير الدعاء له على أن الكلام ضائع لأنها حيل ومخادعة تروج على أهل الغفلات ويتوصل بها إلى إبراز ما يرومه من المرادات وعند ذلك انفض المجلس وانطلقت المبشرون على الملتزمين بالبشائر وهو الالتزام لتصرفهم ويأخذون منهم البقاشيش مع أن الصورة معلولة والكيفية مجهولة ومعظم السبب في ذكره ذلك أن معظم حصص الالتزام كان بأيدي العساكر وعظمائهم وزوجاقم وقد انحرفت طباعهم وتكدرت أمزجتهم بمنعهم عنه وحجزهم عن التصرف و لم يسهل بهم ذلك فمنهم من كظم غيظه وفي نفسه ما فيها ومنهم من لم يطق الكتمان وبارز بالمخالفة والتسلط على من لا جناية عليه فلذلك الباشا أعلن في ديوانه بهذا الكلام بمسمع منهم لتسكن حدقم وتبرد حرارقم إلى أن يتم أمر تدبيره معهم.

وفيه، وصلت هجانة وأخبار ومكاتبات من الديار الحجازية بوقوع الصلح بين طوسون باشا وعبد الله بن مسعود الذي تولى بعد موت أبيه كبيراً على الوهابية وأن عبد الله المذكور ترك الحروب والقتال وأذعن للطاعة وحقن الدماء وحضر من جماعة الوهابية نحو العشرين نفراً من الأنفار إلى طوسون باشا ووصل منهم اثنان إلى مصر فكأن الباشا لم يعجبه هذا الصلح و لم يظهر عليه علامات الرضا بذلك و لم يحسن نزل الواصلين ولما اجتمعا به وخاطبهما عاتبهما على المخالفة فاعتذرا وذكرا أن الأمير مسعوداً المتوفي كان فيه عناد وحدة مزاج وكان يريد الملك وإقامة الدين وأما ابنه الأمير عبد الله فإنه لين الجانب والعريكة ويكره سفك الدماء على طريقة سلفه الأمير عبد العزيز المرحوم فإنه كان مسالماً للدولة حتى أن المرحوم الوزير يوسف باشا حين كان بالمدينة كان بينه وبينه غاية الصداقة و لم يقع بينهما منازعة ولا مخالفة في شيء و لم يحصل التفاقم والخلاف إلا في أيام

الأمير مسعود ومعظم الأمر للشريف غالب بخلاف الأمير عبد الله فإنه أحسن السير وترك الخلاف وأمن الطرق والسبل للحجاج والمسافرين ونحو ذلك من الكلمات والعبارات المستحسنات وانقضى المجلس وانصرفا إلى المحل الذي أمرا بالنزول فيه ومعهما بعض أتراك ملازمون لصحبتهما مع أتباعهما في الركوب والذهاب والإياب فإنه أطلق لهما الإذن إلى أي محل أراده فكانا يركبان ويمران بالشوارع بأتباعهما ومن يصحبهما ويتفرجان على البلدة وأهلها ودخلا إلى الجامع الأزهر في وقت لم يكن به أحد من المتصدرين للإقراء والتدريس وسألوا عن أهل مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه وعن الكتب الفقهية المصنفة في مذهبه فقيل انقرضوا من أرض مصر بالكلية واشتريا نسخاً من كتب التفسير والحديث مثل الخازن والكشاف والبغوي والكتب الستة المجمع على صحتها وغير ذلك وقد اجتمعت بهما مرتين فوجدت منهما أنساً وطلاقة لسان واطلاعاً وتضلعاً ومعرفة بالأخبار والنوادر ولهما من التواضع وتهذيب الأخلاق وحسن الأدب في الخطاب والتفقه في الدين واستحضار الفروع الفقهية واختلاف المذاهب فيها ما يفوق الوصف واسم أحدهما عبد الله والآخر عبد العزيز وهو الأكبر حسناً ومعنى.

وفي يوم السبت تاسع عشره، خرجوا بالمحمل إلى الحصوة خارج باب النصر وشقوا به من وسط المدينة وأمير الركب شخص من الدلاة يسمى أوزون أوغلي وفوق رأسه طرطور الدالاتية ومعظم الموكب من عساكر الدلاة وعلى رؤسهم الطراطير السود بذاتهم المستبشعة وقد عم الإقليم المسخ في كل شيء فقد تغص الطبيعة وتتكدر النفس إذا شاهدت ذلك أو سمعت به وقد كانت نضارة الموكب السالفة في أيام المصريين ونظامها وحسنها وترتيبها وفخامتها وجمالها وزينتها التي لم يكن لها نظير في الربع المعمور ويضرب بها المثل في الدنيا كما قال قائلهم فيها، مصر السعيدة ما لها من مثيل فيها ثلاثة من الهنا والسرور مواكب السلطان وبحر الوفا ومحمل الهادي نهار يدور فقد فقدت هذه الثلاثة في جملة المفقودات.

وفي ثالث عشرينه، وصل قابجي وعلى يده تقرير ولاية مصر لمحمد علي باشا على السنة الجديدة فعملوا لذلك الواصل موكباً من بولاق إلى القلعة وضربوا مدافع وشنكاً وبنادق.

واستهل شهر ذي القعدة الحرام بيوم الأربعاء سنة 1230

في سادس عشره، سافر الباشا إلى الإسكندرية وأخذ صحبته عابدين بك وإسمعيل باشا ولده وغيرهما من كبرائهم وعظمائهم وسافر أيضاً نجيب أفندي وسليمان أغا وكيل دار السعادة سابقاً تابع صالح بك المصري المحمدي إلى دار السلطنة وأصحب الباشا إلى الدولة وأكابرها الهدايا من الخيول والمهاري والسروج المكللة بالذهب واللؤلؤ والمخيش وتعابي الأقمشة الهندية المتنوعة من الكشمير والمقصبات والتحف ومن الذهب المضروب السكة أربعة قناطير ومن الفضة الثقيلة في الوزن والعيار عدة قناطير ومن السكر المكرر مراراً وأنواع الشراب خافاه في القدور الصيني وغير ذلك.

وفيه وردت الأخبار بوصول طوسون باشا إلى الطور فهرعت أكابرهم وأعيانهم إلى ملاقاته وأخذوا في الاهتمام وإحضار الهدايا والتقادم وركبت الخوندات والنساء والستات أفواجاً أفواجاً يطلعن إلى القلعة ليهنين والدته بقدومه.

وفي غايته، وصل طوسون باشا إلى السويس فضربوا مدافع إعلاماً بقدومه وحضر نجيب أفندي راجعاً من الإسكندرية لأجل ملاقاته لأنه قبي كتخدا اليوم أيضاً عند الدولة كما هو لوالده.

واستهل شهر ذي الحجة الحرام بيوم الجمعة سنة 1230

في رابعه يوم الاثنين، نودي بزينة الشارع الأعظم لدخول طوسون باشا سروراً بقدومه فلما أصبح يوم الثلاثاء خامسه احتفل الناس بزينة الحوانيت بالشارع وعملوا له موكباً حافلاً ودخل من باب النصر وعلى رأسه الطلخان وشعار الوزارة وطلع إلى القلعة وضربوا في ذلك اليوم مدافع كثيرة وشنكاً وحراقات.

وفي ليلة الجمعة خامس عشره، سافر طوسون باشا المذكور إلى الإسكندرية ليراه أبوه ويسلم هو عليه وليرى هو ولداً له ولد في غيبته يسمى عباس بك أصحبه معه جده مع حاضنته وسنه دون السنتين يقال أن جده قصد إرساله إلى دار السلطنة فلم يمهل بأبيه ذلك وشق عليه ففارقه وخصوصاً كونه لم يره وسافر صحبة طوسون بك نجيب أفندي عائداً إلى الإسكندرية.

وفي يوم السبت عشرينه، حضر طوسون باشا إلى مصر راجعاً من الإسكندرية في تطريدة ومعه ولده فكانت مدة غيبته ذهاباً وإياباً ثمانية أيام فطلع إلى القلعة وصار يترل إلى بستان بطريق بولاق ظاهر التبانة عمره كتخدا بك وبنى به قصراً فيقيم به غالب الأيام التي أقامها بمصر وانقضت السنة وما تجدد فيها من استمرار المبتدعات والمكوس والتحكير وإهمال السوقة والمتسببين حتى عم غلو الأسعار في كل شيء حتى بلغ سعر كل صنف عشرة أمثال سعره في الأيام الخالية مع الحجر على الإيراد وأسباب المعايش فلا يهنا يعيش في الجملة إلا من كان مكاساً أو في خدمة من خدم الدولة مع كونه على خطر فإنه وقع لكثير ممن تقدم في منصب أو خدمة أنه حوسب وأهين وألزم بما رافعوه فيه وقد استهلكه في نفقات نفسه وحواشيه فباع ما يملكه واستدان وأصبح ميؤوساً مديوناً وصارت المعايش ضنكاً وخصوصاً الواقع في اختلاف المعاملات والنقود والزيادة في صرفها وأسعارها واحتجاج الباعة والتجار والمتسببين بذلك وبما حدث عليها من مال المكس مع طمعهم أيضاً وخصوصاً سفلة الأسواق وبياعي الخضارات والجزارين والزياتين فإنهم يدفعون ما هو مرتب عليهم للمحتسب مياومة ومشاهرة ويخلصون أضعافه من الناس ولا رادع لهم بل يسعرون لأنفسهم حتى أن البطيخ في أوان كثرته تباع الواحدة التي كانت تساوي نصفين بعشرين وثلاثين والرطل من العنب الشرقاوي الذي كان يباع في السابق بنصف واحد يبيعونه يوماً بعشرة ويوماً بإثني عشر ويوماً بثمانية وقس على ذلك الخوخ والبرقوق والمشمش وأما الزبيب والتين واللوز والبندق والجوز والأشياء التي يقال لها اليميش التي تجلب من بلاد الروم فبلغت الغاية في الثمن بل قد لا يوجد في أكثر الأوقات وكذلك ما يجلب من الشام مثل الملبن والقمر الدين والمشمش الحموي والعناب وكذلك الفستق والصنوبر وغير ذلك ما يطول شرحه ويزداد بطول الزمان قله.

ومات في هذه السنة العلامة الأوحد والفهامة الأمجد محقق عصره ووحيد دهره الجامع لأشتات العلوم والمنفرد بتحقيق المنطوق والمفهوم بقية الفصحاء والفضلاء المتقدمين والمتميز عن المتأخرين الشيخ محمد بن أحمد عرفة الدسوقي المالكي ولد ببلدة دسوق من قرى مصر وحضر إلى مصر وحفظ القرآن وجوده على الشيخ محمد المنير ولازم حضور دروس الشيخ علي الصعيدي والشيخ الدردير وتلقى الكثير من العقولات عن الشيخ محمد الجناجي الشهير الشافعي وهو مالكي ولازم الوالد حسناً الجبرتي مدة طويلة وتلقى عنه بواسطة الشيخ محمد بن إسمعيل النفراوي علم الحكمة والهيئة والهندسة وفن التوقيت وحضر عليه أيضاً في فقه الحنفية وفي المطول وغيره برواق الجبرت بالأزهر وتصدر للإقراء والتدريس وإفادة الطلبة، وكان فريداً في تسهيل المعاني وتبيين المباني يفك كل مشكل بواضح تقريره ويفتح كل مغلق برائق تحريره ودرسه مجمع أذكياء الطلاب والمهرة من ذوي

الأفهام والألباب مع لين جانب وديانة وحسن خلق وتواضع وعدم تصنع وإطراح تكلف جارياً على سجيته لا يرتكب ما يتكلفه غيره من التعاظم وفخامة الألفاظ ولهذا كثر الآخذون عليه والمترددون إليه.

ومات الأستاذ الفريد واللوذعي المجيد الإمام العلامة والنحرير الفهامة الفقيه النحوي الأصولي الجدلي المنطقي الشيخ محمد المهدي الحفني ووالده من الأقباط وأسلم هو صغيراً دون البلوغ على يد الشيخ الحفني وحلت عليه أنظاره وأشرقت عليه أنواره وفارق أهله وتبرأ منهم وحضنه الشيخ ورباه وأحبه واستمر بمترله مع أولاده واعتنى بشأنه وقرأ القرآن ولما ترعرع اشتغل بطلب العلم وحفظ أبا شجاع وألفية النحو والمتون ولازم دروس الشيخ وأخيه يوسف وغيرهما من أشياخ الوقت مثل الشيخ العدوي والشيخ عطية الأجهوري والشيخ الدرير والبيلي والجمل والخرشي وعبد الرحمن المقري والشرقاوي وغيرهم واجتهد في التحصيل ليلاً ونهاراً ومهر وأنجب ولازم في غالب مجالس الذكر عن الشيخ الدردير بعد وفاة الشيخ الحفني وتصدر للتدريس في سنة تسعين ومائة وألف ولما مات الشيخ محمد الهلباوي سنة اثنتين وتسعين جلس مكانه بالأزهر وقرأ شرح الألفية لابن عقيل ولازم الإلقاء وتقرير الدروس مع الفصاحة وحسن البيان والتفهم وسلاسة التعبير وإيضاح العبارات وتحقيق المشكلات وما أمره وذكره وبعد صيته و لم يزل أمره ينمو واسمه يسمو مع حسن السمت ووجاهة الطلعة وجمال الهيئة وبشاشة الوجه وطلاقة اللسان وسرعة الجواب واستحضار الصواب في ترداد الخطاب ومسايرة الأصحاب.

وفارق الدنيا وأرسلوا إلى أولاده فحضر وأحملوه في تابوت إلى الدار الكبيرة بالمرسكي ليلاً وشاع موته وجهز وصلي عليه بالأزهر في مشهد حافل جداً ودفن عند الشيخ الحنفي بجانب القبر، فسبحان الحي الذي لا يموت.

ومات، الأستاذ العلامة والنحرير الفهامة الفقيه النبيه المهذب المتواضع الشيخ مصطفى بن محمد بن يوسف بن عبد الرحمن الشهير بالصفوي القلعاوي الشافعي ولد في شهر ربيع الأول من سنة ثمان وخمسين ومائة وألف وتفقه على الشيخ الملوي والسحيمي والبراوي والحفني ولازم شيخنا الشيخ أحمد العروسي وانتفع عليه وأذن له في الفتيا عن لسانه وجمع من تقريراته واقتطف من تحقيقاته وألف وصنف وكتب حاشية على ابن قاسم الغزي على أبي شجاع في الفقه وحاشية على شرح المطول للسعد التفتازائي على التلخيص وشرح شرح السمرقندي على الرسالة العضدية في علم الوضع وله منظومة في آداب البحث وشرحها ومنظومة المتن التهذيب في المنطق وشرحها وديوان شعر سماه إتحاف الناظرين في مدح سيد المرسلين وعدة من الرسائل في معضلات المسائل وغير ذلك وكان سكنه بقلعة الجبل ويأتي في كل يوم إلى الأزهر للإقراء والإفادة فلما أمر الباشا سكان القلعة بإخلائها والترول منها إلى المدينة فترلوا إلى المدينة وتركوا دورهم وأوطانهم نزل المترجم مع من نزل وسكن بحارة أمير الجيوش جهة باب الشعرية و لم يزل هناك حتى تمرض أياماً وتوفي ليلة السبت سابع عشري شهر رمضان وصلي عليه بالأزهر ودفن بزاوية الشيخ سراج الدين البلقيني بحارة بين السيارج رحمه الله تعالى فإنه كان من أحسن من رأينا سمتاً وعلماً وصلاحاً وتواضعاً وانكساراً وانجماعاً عن خلطة الكثير من الناس مقبلاً على شأنه راضياً مرضياً طاهراً نقياً لطيف المزاج جداً محبوباً للناس عفا الله عنه وغفر لنا وله.

ومات، الشيخ الفاضل الأجل الأمثل والوجيه المفضل الشيخ حسين بن حسن كناني بن علي المنصوري الحنفي تفقه على خاله الشيخ مصطفى بن سليمان المنصوري والشيخ محمد الدلجي والشيخ أحمد الفارسي والشيخ عمر الديركي والشيخ محمد

المصيلي وأقرأ في فقه المذهب دروساً في محل جده لأمه بالأزهر وسكن داره بحارة الحبانية على بركة الفيل مع أخيه الشيخ عبد الرحمن ثم انتقلا في حوادث الفرنساوية إلى حارة الأزهر ولما كانت حادثة السيد عمر مكرم النقيب من مصر إلى دمياط وكتبوا فيه عرضاً للدولة وامتنع السيد أحمد الطحطاوي من الشهادة عليه كما تقدم وتعصبوا عليه وعزلوه من مشيخة الحنفية قلدوها المترجم فلم يزل فيها حتى تمرض وتوفي يوم الثلاثاء تاسع عشري لمحرم وصلي عليه بالأزهر ودفن بتربة المجاورين رحمه الله وإيانا.

ومات البليغ النجيب والنبيه الأريب نادرة الزمان وفريد الأوان أخونا ومحبنا في الله تعالى ومن أجله السيد إسمعيل بن سعد الشهير بالخشاب كان أبوه نجاراً ثم فتح له مخزناً لبيع الخشب تجاه تكية الكلشني بالقرب من باب زويلة وولد له المترجم وأخوه إبراهيم ومحمد وهو أصغرهما فتولع السيد إسمعيل المترجم بحفظ القرآن ثم بطلب العلم ولازم حضور السيد علي المقدسي وغيره من أفاضل الوقت وأنجب في فقه الشافعية والمعقول بقدر الحاجة وتثقيف اللسان والفروع الفقهية الواجبة والفرائض وتنزل في حرفة الشهادة بالمحكمة الكبيرة لضرورة التكسب في المعاش ومصارف العيال وتمسك بمطالعة الكتب الأدبية والتصوف والتاريخ وأولع بذلك وحفظ أشياء كثيرة من الأشعار والمراسلات وحكايات الصوفية وما تكلموا فيه من الحقائق حتى صار نادرة عصره في المحاضرات والمحاورات واستحضار المناسبات والماجريات وقال الشعر الرائق ونثر النثر الفائق وصحب بسبب ما احتوى عليه من دماثة الأخلاق ولطف السرايا وكرم الشمائل وخفة الروح كثيراً من رابا المظاهر والرؤساء من الكتاب والأمراء والتجار.

ولم يزل المترجم على حالته ورقته ولطافته مع ما كان عليه من كرم النفس والعفة والنزاهة والتولع بمعالي الأمور والتكسب وكثرة الإنفاق وسكنى الدور الواسعة والحزم وكان له صاحب يسمى أحمد العطار بباب الفتوح توفي وتزوج هو بزوجته وهي نصف وأقام معها نحو ثلاثين سنة ولها ولد صغير من المتوفي فتبناه ورباه ورفهه بالملابس وأشفق به إضعاف والد بولده بلغ عمل له مهما وزوجته ودعا الناس إلى ولائمه وأنفق عليه في ذلك أنفاقاً كثيرة وبعد نحو سنة تمرض ذلك الغلام أشهراً فصرف عليه وعلى معالجته جملة من المال ومات فجزع عليه جزعاً شديداً ويبكي وينتحب وعمل له مأتماً وعزاء واختارت أمه دفنه بجامع الكردي بالحسينية ورتبت وقراء واتخذت مسكناً ملاصقاً لقبره وأقامت به نحو الثلاثين سنة مع دوام عمل الشريك والكعك بالعجمية والسكر وطبخ الأطعمة للمقرئين والزائرين ثم ملازمة الميت واتخاذ ما ذكر في كل جمعة على الدوام والمترجم طوع يدها في كل ما طلبته وما كلفته به تسخيراً من الله تعالى وكل ما وصل إلى يده من حرام أو حلال فهو مستهلك عليها وعلى أقاربها وخدمها لا لذة له في ذلك حسية ولا معنوية لأنها في ذاتها عجوز شوهاء وهو في نفسه نحيف البنية ضعيف الحركة جداً بل معدومها وابتلي بحصر البول وسلسه القليل مع الحرقة والتألم استدام بها مدة طويلة حتى لزم الفراش أياماً وتوفي يوم السبت ثاني شهر الحجة الحرام بمنزله الذي استأجره بدرب قرمز بين القصرين وصلينا عليه بالأزهر في مشهد حافل ودفن عند ابنه المذكور بالحسينية وكثيراً ما كنت أتذكر قول القائل، ومن تراه بأولاد السوي فرحاً في عقله عزه إن شئت وانتدب أولاد صلب الفتي قلت منافعهم فكيف يلمح نفع الأبعد الجنب مع أنه كان كثير الانتقاد على غيره فيما لا يداني فعله وانقياده إلى

هذه المرأة وحواشيها نسأل الله السلامة والعافية وحسن العافية كما قيل من تكملة ما تقدم فلا سرور سوى نفع بعافية وحسن ختم وما يأتي من الشغب وأمن نكر نكير القبر ثمة ما يكون بعد من الأهوال والتعب.

واستهلت سنة 1231

استهل شهر المحرم بيوم السبت، وحاكم مصر وصاحبها وأقطاعها وثغورها وكذلك بندر مكة وجدة والمدينة المنورة وبلاد الحجاز محمد علي باشا وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ولاظ محمد الذي هو كتخدابك قائم مقامه هو المتصدر لإجراء الأحكام بين الناس عن أمر مخدومه وإبراهيم آغا آغات الباب والدفتردار محمد أفندي صهر الباشا والروزنامجي مصطفى أفندي تابع محمد أفندي باش جاكرت سابقاً وغيطاس أفندي سرجي وسليمان أفندي الكماخي باشمحاسب ورفيقه أحمد أفندي باش زعيم مصر وهو الوالي وآغات التبديل أحمد آغا وهو أخو حسن آغا قلفة وصالح بك السلحدار وحسن آغا آغات الينكجرية وعلي آغا الشعراوي المذكور وكاتب الخزينة ولي خوجه ورئيس كتبة الأقباط المعلم غالي وأولاد الباشا إبراهيم باشا حاكم الصعيد وطوسون باشا فاتح بلاد الحجاز وإسماعيل باشا ببولاق ومحرم بك صهر الباشا أيضاً على ابنته بالجيزة أحمد آغا المعروف ببونابارته الخازندار وباقي كشاف الأقاليم وأكابر أعيانهم مثل دبوس أوغلي وحسن باشا وحسن آغا شرششمه وحجو بك وخلافهم.

وفي ذلك اليوم، قبض كتخدا بك على المعلم غالي وأمر بحبسه وكذلك أخوه المسمى فرنسيس وخازنداره المعلم سمعان وذلك عن أمر مخدومه من الاسكندرية لأنه حول عليه الطلب بستة آلاف كيس تأخر أداؤها إياه من حسابه القديم فاعتذر بعدم القدرة على أدائها في الحين لأنها بواقي على أربابها وهو ساع في تحصيلها ويطلب المهلة إلى رجوع الباشا من غيبته فأرسل الكتخدا بمقالته واعتذاره إلى الباشا وانتبذ طائفة من الأقباط في الحط على غالي مع الكتخدا وعرفوه أنه إذا حوسب يطهر عليه ثلاثون ألف كيس فقال لهم وإن لم يتأخر عليه هذا القدر تكونوا ملزومين به إلى الخزينة فأجابوه إلى ذلك فأرسل يعرف الباشا بذلك فأرسل الأمر بالقبض عليه وعلى أخيه وخازنداره وحبسهم وعزله ومطالبته بستة آلاف كيس القديمة أولاً ثم حسبه بعد ذلك فأحضر المرافعين عليه وهم المعلم جرجس الطويل ومنقريوس البنتوني وحنا الطويل وألبسهم خلعاً على رياسة الكتاب عوضاً عن غالي ومن يليه واستمر غالي في الحبس ثم أحضره مع أخيه وخازنداره فضربوا أخاه أمامه ثم أمر بضربه فقال وأنا ضرب أيضاً قال نعم ثم ضربوه على رجليه بالكرابيج ورفع وكرر عليه الضرب وضرب سمعان ألف كرباج حتى أشرف على الهلاك ووجدوا في جيبه ألف شخص بندقي ومائتي محبوب عنها اثنان وعشرون ألف قرش ثم بعد أيام أفرجوا عن أخيه وسمعان ليسعيا في التحصيل وهلك سمعان واستمر غالي في السجن وقد رفعوا عنه وعن أخيه العقاب لئلا يموتا.

وفي عاشره، رجع الباشا من غيبته من الاسكندرية وأول ما بدأ به إخراج العساكر مع كبرائهم إلى ناحية بحري وجهة البحيرة والثغور فنصبوا خيامهم بالبر الغربي والشرقي تجاه الرحمانية وأخذوا صحبتهم مدافع وباروداً وأبعادهم عن مصر جزاء فعلتهم التقدمه فخرجوا أرسالاً.

واستهل شهر صفر الخير سنة 1231

فيه، تشفع جوني الحكيم في المعلم غالي وأخذه من الحبس إلى داره والعساكر مستهلون في التشهيل والخروج وهم لا يعلمون المراد بهم وكثرت الروايات والأخبار والإيهامات والظنون ومعنى الشعر في بطن الشاعر.

واستهل شهر ربيع الأول سنة 1231

فيه، سافر طوسون باشا وأخوه إسماعيل باشا إلى ناحية رشيد ونصبوا عرضيهما عند الحماد وناحية أبي منضور وحسين بك دالي باشا وخلافه مثل حسن آغا زجنلي ومحو بك وصارى جله وحجو بك جهة البحيرة وكل ذلك تواطين وتلبيس للعساكر بكونه إخراج حتى أولاده العزاز للمحافظة وكذلك الكثير من كبرائهم إلى جهة البحر الشرقي ودمياط.

وفي ثاني عشره صبيحة المولد النبوي، طلب الباشا المشايخ فلما جلسوا مجلسهم وفيهم الشيخ البكري أحضروا خلعة وألبسوها له على منصب نقابة الأشراف عوضاً عن السيد محمد المحروقي وفاوضه في ذلك ورأى أن يقلده إياه فاعتذر السيد محمد المحروقي واستعفى وقال أنا متقيد بخدمة أفندينا ومهمات المتاجر والعرب والحجاز فقال قد قلدتك إياها فأعطها لمن شئت فذكرانها كانت مضافة للشيخ البكري وهو أولى من غيره فلما حضروا وتكاملوا لبسوه الخلعة واستوصب الجماعة ذلك وانصرفوا وفي الحال كتب فرما بإخراج الدواخلي منفياً إلى قرية دسوق فترل إليه السيد أحمد الملا الترجمان وصحبته قواس تركي وبيده الفرمان فدخلوا إليه على حين غفلة وكان بداخل حريمه لم يشعر بشيء مما جرى فخرج إليهم فأعطوه الفرمان فلما قرأه غاب عن حواسه وأجاب بالطاعة وأمروه بالركوب فركب بغلته وسارا به إلى بولاق إلى المترل الذي كان شراه بعد موت ولده والشيخ سالم الشرقاوي وانسل مما كان فيه كانسلال الشعرة من العجين وتفرق الجمع الذي كان حوله وشرع الأشياخ في تنميق عرضحال عن لسانهم بأمر الباشا بتعداد جنايات الدواخلي وذنوبه وموجبات عزله وإن ذلك بترجيهم والتماسهم عزله ونفيه ويرسل ذلك العرضحال لنقيب الأشراف بدار السلطنة لأن الذي يكون نقيباً بمصر نيابة عنه ويرسل إليه الهدية في كل سنة فالذي نقموه عليه من الذنوب أنه تطاول على حسين أفندي شيخ رواق الترك وسبه وحبسه من غير جرم وذلك أنه اشترى منه جارية حبشية بقدر من الفراسة فلما أقبضه الثمن أعطاه بدلها قروشاً بدون الفرط الذي بين المعاملتين فتوقف السيد حسين وقال أما تعطيني العين التي وقع عليهم الانفصال أو تكمل فرط النقص وتشلحنا وأدى ذلك إلى سبه وحبسه وهو رجل كبير متضلع ومدرس وشيخ رواق الأتراك بالأزهر وهذه القضية سابقه على حادثة نفيه بنحو سنتين.
ومنها، أيضاً أنه تطاول على السيد منصور اليافي بسبب فتيا رفعت إليه وهي أن امرأة وقفت وقفاً في مرض موتها وأفتي بصحة الوقت على قول ضعيف فسبه في ملأ من الجمع وأراد ضربه ونزع عمامته من أعلى رأسه.

ومنها، أيضاً أنه يعارض القاضي في أحكامه وينقص محاصيله ويكتب في بيته وثائق قضايا صلحاً ويسب أتباع القاضي ورسل المحكمة ويعارض شيخ الجامع الأزهر في أموره ونحو ذلك وعندما سطروه وتمموه وضعوا عليه ختومهم وأرسلوا إلى إسلامبول على أن جناياته عند الباشا ليست هذه النكات الفارغة بل ولا علم له بها ولا التفات وإنما هي أشياء وراء ذلك كله ظهر بعضها وخفي عنا باقيها وذلك أن الباشا يحب الشوكة ونفوذ أوامره في كل مرام ولا يصطفي ويحب الأمن لا يعارضه ولو في

جزئية أو يفتح له باباً يهب منه ريح الدراهم والدنانير أو يدله على ما فيه من كسب وربح من أي طريق أو سبب من أي ملة كان ولما حصلت واقعة قيام العسكر في أواخر السنة الماضية وأقام الباشا بالقلعة يدبر أمره فيهم وألزم أعيان المتظاهرين الطلوع إليه في كل ليلة وأجل المتعممين الدواخلي لكونه معدوداً في العلماء ونقيباً على الأشراف وهي رتبة الوالي عند العثمانيين فداخله الغرور وظن أن الباشا قد حصل في ورطة يطلب النجاة منها بفعل القربات والندور ولكونه رآه يسترضي خواطر الرعية المنهوبين ويدفع لهم أثمانها ويستميل كبار العساكر وينعم عليهم بالمقادير الكثيرة من أكياس المال ويسترسل معه في المسامرة والمسايرة ولين الخطاب والمذاكرة والمضاحكة فلما رأى إقبال الباشا عليه زاد طمعه في الاسترسال معه فقال له الله يحفظ أفندينا وينصره على أعدائه والمخالفين له ونرجو من إحسانه بعد هدوء سره وسكون هذه الفتنة أن ينعم علينا ويجرينا على عوائدنا في الحمايات والمسامحات بخصوص ما يتعلق بنا من حصص الالتزام والرزق فأجابه بقوله نعم يكون ذلك ولابد من الراحة لكم ولكافة الناس فدعا له وآنس فؤاده وقال الله تعالى يحفظ أفندينا وينصره على أعدائه كذلك يكون تمام ما أشرتم به من الراحة لكافة الناس الإفراج عن الرزق الأحباسية على المساجد والفقراء فقال نعم ووعده مواعيده العرقوبية فكان الدواخلي إذا نزل من القلعة إلى داره يحكي في مجلسه ما يكون بينه وبين الباشا من أمثال هذا الكلام ويذيعه في الناس ولما أمر الباشا الكتاب بتحرير حساب الملتومين على الوجه المرضي بديوان خاص لرجال دائرة الباشا وأكابر العسكر وذلك بالقلعة تطييباً لخواطرهم وديوان آخر في المدينة لعامة الملتزمين فيحررون للخاصة بالقلعة ما في قوائم مصروفهم وما كانوا يأخذونه من المضاف والبراني والهدايا وغير ذلك والديوان العام التحتاني بخلاف ذلك فلما رأى الدواخلي ذلك الترتيب قال للباشا وأنا الفقير محسوبكم من رجال الدائرة فقال نعم وحرروا قوائمه مع الأكابر وأكابر الدولة وأنعم عليه الباشا بأكياس أيضاً كثيرة زيادة على ذلك فلما راق الحال ورتب الباشا أموره مع العسكر أخذ يذكر الباشا بإنجاز الوعد ويكرر القول عليه وعلى كتخدا بك بقوله أنتم تكذبون علينا ونحن نكذب على الناس وأخذ يتطاول على كتبة الأقباط بسبب أمور يلزمهم ويكلفهم بإتمامها وعذرهم يخفى عنه في تأخيرها فيكلمهم بحضرة الكتخدا ويشتمهم ويقول لبعضهم أما اعتبر ثم بما حصل للعين غالي فيحقدون عليه ويشكون منه للباشا والكتخدا وغير ذلك أمور مثل تعرضه للقاضي في قضاياه وتشكيه منه واتفق أنه لما حضر إبراهيم باشا من الجهة القبلية وكان بصحبته أحمد جلبي بن ذي الفقار كتخدا الفلاح وكأنه كان كتخداه بالصعيد وتشكت الناس من أفاعله وإغوائه إبراهيم باشا فاجتمع به الدواخلي عند السيد محمد المحروقي وحضر قبل ذلك إليه للسلام عليه وفي كل مرة يوبخه بالكلام ويلومه على أفاعيله بالقول الخشن في ملأ من الناس فذهب إلى الباشا وبالغ في الشكوى ويقول فيها أنا نصحت في خدمة أفندينا جهدي وأظهرت من المخبآت ما عجز عنه غيري فأجازي عليه من هذا الشيخ ما أسمعنيه من قبيح القول وتجبيهي بين الملأ وإذا كان محباً لأفندينا فلا يكره نفعه ولا النصح في خدمته وأمثال ذلك مما يخفي عنا خبره فمثل هذه الأمور هي التي أوغرت صدر الباشا على الدواخلي مع أنها في الحقيقة ليست خلافاً عند من فيه قابلية للخير وأنا أقول أن الذي وقع لهذا الدواخلي إنما هو قاصا وجزاء فعله في السيد عمر مكرم فإنه كان من أكبر الساعين عليه إلى أن عزلوه وأخرجوه من مصر والجزاء من جنس العمل كما قيل:

فقل للشامتين بنا أفيقوا ... سيلقى الشامتون كما لقينا

ولما جرى على الدواخلي ما جرى من العزل والنفي أظهر الكثير من نظرائه المتفقهين الشماتة والفرح وعملوا ولائم وعزائم ومضاحكات كما يقال.

أمور تضحك السفهاء منها ويبكي من عواقبها اللبيب

وقد زالت هيبتهم ووقارهم من النفوس وانهمكوا في الأمور الدنيوية والحظوظ النفسانية والوساوس الشيطانية ومشاركة الجهال في المآتم والمسارعة إلى الولائم في الأفراح والمآتم يتكالبون على الأسمطة كالبهائم فتراهم في كل دعوة ذاهبين وعلى الخوانات راكعين وللكباب والمحمرات خاطفين وعلى ما وجب عليهم من النصح تاركين.

وفي أواخره شرعوا في عمل مهم عظيم بمنزل ولي أفندي ويقال له ولي جحا وهو كاتب الخزينة العامرة وهو من طائفة الأرنؤد واختص به الباشا واستأمنه على الأمور وضم إليه دفاتر الإيراد من جميع وجوه جبايات الأموال من خراج البلاد والمحدثات وحسابات المباشرين وأنشأ داراً عظيمة بخطة باب اللوق على البركة المعروفة بأبي الشوارب وأدخل فيها عدة بيوت بجانبها وتجاهها على نسق واصطلاح الأبنية الإفرنجية والرومية وتأنق في زخرفتها واتساعها واستمرت العمارة بها على نحو السنتين ولما كملت وتمت أحضروا القاضي والمشايخ وعقدوا لولديه على ابنتين من أقارب الباشا بحضرة الأعيان ومن ذكر واحتفلوا بعمل المهم احتفالاً زائداً وتقيد السيد محمد المحروقي بالمصاريف والتنظيم واللوازم، كما كان في أفراح أولاد الباشا واجتمعت الملاعيب والبهلوانات بالبركة وما حولها وبالشارع وعلقوا تعاليق قناديل ونجفات وأحمال بلور وزينات واجتمع الناس للفرجة وبالليل حراقات ونفوط ومدافع وسواريخ سبع ليلا متوالية وعملت الزفة يوم الخميس واجتمعت العربات لأرباب الحرف كما تقدم في العام الماضي بل أزيد وذلك لأن الباشا لم يشاهد أفراح أولاده لكونه كان غائباً بالديار الحجازية وحضر الباشا للفرجة وجلس بمدرسة الغورية بقصد الفرجة وعمل له السيد محمد المحروقي الغداء وخرجوا بالزفة أوائل النهار وداروا بها دورة طويلة، فلم يمروا بسوق الغورية إلا قريب الغروب أواخر النهار.

واستهل شهر ربيع الثاني سنة 1231

وخروج العساكر إلى ناحية بحري مستمر وأفصح الباشا وذكر في كلامه في مجالسه وبين السر في إخراجهم من المدينة بأن العساكر قد كثروا وفي إقامتهم بالبلدة مع كثرتهم وإفساد وضيق على الرعية مع عدم الحاجة إليهم داخل البلدة الأولى والأحوط أن يكونوا خارجها وحولها مرابطين لحفظ الثغور من طارق على حين غفلة أو حادث خارجي وليس لهم إلا رواتبهم وعلائفهم تأتيهم في أماكنهم ومراكزهم والسر الخفي إخراج الذين قصدوا غدره وخيانته ووقع بسبب حركتهم ما وقع من لنهب والإزعاج على أواخر شعبان من السنة الماضية وكان قد بدأ بإخراج أولاده وخواصه من تحيله واحداً بعد واحد وأسر إلى أولاده بما في ضميره وأصحب مع ولده طوسون باشا شخصاً من خواصه يسمى أحمد آغا البخورجي المدللي وأخذ طوسون باشا في تدبير الإيقاع مع من يريد به فبدأ بمحو بك وهو أعظمهم وأكثرهم جنداً فأخذ في تأليف عساكره حتى لم يبق معه إلا القليل، ثم أرسل في وقت بطلب محو بك عنده في مشورة فذهب إليه أحمد آغا المدللي المذكور وأسر إليه ما يراد به وأشار إليه بعدم الذهاب فركب محو بك في الحال وذهب عند الدلاة فأرسلوا إلى مصطفى بك وهو كبير على طائفة من الدلاة

وأخو زوجة الباشا وقريبه وإلى إسماعيل باشا ابن الباشا ليتوسطا في صلح محو بك مع الباشا وليعفوه ويذهب إلى بلاده فأرسلا إلى الباشا بالخبر وبما نقله أحمد آغا المدللي إلى محو بك فسفه رأيه في تصديق المقالة وفي هروبه عند الدلاة، ثم يقول لولا أن في نفسه خيانة لما فعل ما فعل من التصديق والهروب وكان طوسون باشا لما جرى من أحمد آغا ما جرى من نقل الخبر لمحو بك عوقه وأرسل إلى أبيه يعلمه بذلك فطلبه للحضور إليه بمصر، فلما مثل بين يديه وبخه وعزره بالكلام وقال له ترمي الفتن بين أولادي وكبار العسكر، ثم أمر بقتله فترلوا به إلى باب وزيلة وقطعوا رأسه هناك وتركوه مرمياً طول النهار، ثم رفعوه إلى داره وعملوا له في صبحها مشهداً ودفنوه.

وفيه حضر إسماعيل باشا ومصطفى بك إلى مصر.

وفي أواخره حضر شخص يسمى سليم كاشف من الأجناد المصرية مرسلاً من عند بقاياهم من الأمراء وأتباعهم الذين رماهم الزمان بكلكله وأقصاهم وأبعدهم عن أوطانهم واستوطنهم دنقلة من بلاد السودان يتقوتون مما يزرعونه بأيديهم من الدخن وبينهم وبين أقصى الصعيد مسافة طويلة نحو من أربعين يوماً وقد طال عليهم الأمد ومات أكثرهم ومعظم رؤساهم مثل عثمان بك حسن وسليم آغا وأحمد آغا شويكار وغيرهم ممن لا علم لنا بخبرة أخبارهم لبعد المسافة حتى على أهل منازلهم وبقي ممن لم يمت منهم إبراهيم بك الكبير وعبد الرحمن بك تابع عثمان بك المرادي وعثمان بك يوسف وأحمد بك الألافي زوج عديلة ابنة إبراهيم بك الكبير وعلي بك أيوب وبواقي الصغار الأمراء والمماليك على ظن خيانتهم وقد كبر سن إبراهيم بك الكبير وعجزت قواه ووهن جسمه، فلما طالت عليهم الغربة أرسلوا هذا المرسل بمكاتبة إلى الباشا يستعطفونه ويسألون فضله ويرجون مراحمه بأن ينعم عليهم بالأمان على نفوسهم ويأذن لهم بالانتقال من دنقلة إلى جهة من أراضي مصر يقيمون بها أيضاً ويتعيشون فيها بأقل العيش تحت أمانه ويدفعون ما يجب عليهم من الخراج الذي يقرر عليهم ولا يتعدون مراسمه وأوامره، فلما حضر وقابل الباشا وتكلم معه وسأله عن حالهم وشأنهم ومن مات ومن لم يمت منهم وهو يخبره خبرهم، ثم أمره بالانصراف إلى محله الذي نزل فيه إلى أن يرد عليه الجواب وأنعم عليه بخمسة أكياس فأقام أياماً حتى كتب له جواب رسالته مضمونه أنه أعطاهم الأمان على أنفسهم بشروط شرطها عليهم إن خالفوا منها شرطاً واحداً كان أمانهم منقوضاً وعهدهم منكرثاً ويحل بهم ما حل بمن تقدم منهم فأول الشروط أنهم إذا عزموا على الانتقال من المحل الذي هم فيه يرسلون أمامهم نجاباً يخبره بخبرهم وحركتهم وانتقالهم ليأتيهم من أعينه لملاقاتهم الثاني إذا حلوا بأرض الصعيد لا يأخذون من أهل النواحي كلفة ولا دجاجة ولا رغيفاً واحداً وإنما الذي يتعين لملاقاتهم يقوم لهم بما يحتاجون إليه من مؤونة وعليق ومصرف الثالث أني لا أقطعهم شيئاً من الأراضي والنواحي ولا إقامة في جهة من جهات أراضي مصر بل يأتون عندي ويترلون على حكمي ولهم ما يليق بكل واحد منهم من المسكن والتعيين والمصرف ومن كان ذا قوة قلدته منصباً أو خدمة تليق به أو ضمته إلى بعض الأكابر من رؤساء العسكر، وإن كان ضعيفاً أو هرماً أجريت عليه نفقة لنفسه وعياله الربع أنهم إذا حصلوا بمصر على هذه الشروط وطلبوا شيئاً من إقطاع أو رزقة أو قنطرة أو أقل مما كان في تصرفهم في الزمن الماضي أو نحو ذلك انتقض معي عهدهم وبطل أماني لهم بمخالفة شرط واحد من هذه الشروط وهي سبعة غاب عن ذهني باقيها فسبحان المعز المذل مقلب الأحوال ومغير الشؤون.

فمن المعبر أنه لما حضر المصريون ودخلوا إلى مصر بعد مقتل طاهر باشا وتأمروا وتحكموا فكانت عساكر الأتراك في خدمتهم ومن أرذل طوائفهم وعلائفهم تصرف عليهم من أيدي كتابهم وأتباعهم وإبراهيم بك هو الأمير الكبير وراتب محمد علي باشا هذا من الخبز اللحم والأرز والسمن الذي عينه له من كباره نعوذ بالله من سوء المنقلب ورجع سليم كاشف المرسل إليهم بالجواب المشتمل على ما فيه من الشروط.

وفيه أمر الباشا بحبس أحمد أفندي المعايرجي بدار الضرب وحبس أيضا عبد الله بكتاش ناظر الضربخانة واحتج عليهما باختلاسات يختلسانها واستمر أياماً حتى قرر عليهما نحو السبعمائة كيس وعلى الحاج سالم الجواهرجي وهو الذي يتعاطى إيراد الذهب والفضة إلى شغل الضربخانة مثلها، ثم أطلق المذكوران ليحصلا ما تقرر عليهما وكذلك أطلق الحاج سالم وشرعوا في التحصيل بالبيع والاستدانة واشتد القهر بالحاج سالم ومات على حين غفلة وقيل أنه ابتلع فص الماس وكان عليه ديون باقية من التي استدانها في المرة الأولى والغرامة السابقة.

ومن النوادر الغريبة والاتفاقات العجيبة

أنه لما مات إبراهيم بك المداد بالضربخانة قبل تاريخه تزوج بزوجته أحمد أفندي المعايرجي المذكور، فلما عوق أحمد أفندي خافت زوجته المذكورة أن يدهمها أمر مثل الختم على الدار أو نحو ذلك فجمعت مصاغها وما تخاف عليه مما خف حمله وثقل ثمنه وربطته في صرة وأودعتها عند امرأة من معارفها فسطا على بيت تلك المرأة شخص حرامي وأخذ تلك الصرة وذهب بها إلى دار امرأة من أقاربه بالقرب من جامع مسكة وقال لها احفظي عندك هذه الصرة حتى أرجع ونزل إلى أسفل الدار فنادته المرأة اصبر حتى آتيك بشيء تأكله فقال نعم فإني جيعان وجلس أسفل الدار ينتظر إتيانها له بما يأكله وصادف مجيء زوج المرأة تلك الساعة فوجده فرحب به وهو يعلم بحاله ويكره مجيئه إلى داره وطلع إلى زوجته فوجد بين يديها تلك الصرة فسألها عنها فأخبرته أن قريبها المذكور أتى بها إليها حتى يعود لأخذها فجسها فوجدها ثقيلة فنزل في الحال ودخل على محمد أفندي سليم من أعيان جيران الخطة فأخبره فأحضر محمد أفندي أنفاراً من الجيران أيضاً وفيهم الخجا المنسوب إلى أحمد آغا لاظ المقتول ودخل الجميع إلى الدار، وذلك الحرامي جالس ومشتغل بالأكل فوكلوا به الخدم وأحضروا تلك الصرة وفتحوها فوجدوا بها مضآغا وكيساً بداخله أنصاف فضة عددية ذكروا أن عدها أربعون ألفاً ولكنها من غير ختم وبدون نقش السكة فأخذوا ذلك وتوجهوا لكتخدا بك وصحبتهم الحرامي فسألوه وهددوه فأقر وأخبر عن المكان الذي اختلسها منه فأحضروا صاحبة المكان فقالت هو وديعة عندي لزوجة أحمد أفندي المعايرجي فثبت لديهم خيانته واختلاسه وسئل أحمد أفندي فحلف لأنه لا يعلم بشيء من ذلك وأن زوجته كانت زوجاً لإبراهيم المداد فلعل ذلك عندها من أيامه وسئلت هي أيضاً عن تحقيق ذلك فقالت الصحيح أن إبراهيم المداد كان اشترى هذه الدراهم من شخص مغربي عندما نهب عسكر المغاربة الضربخانة في وقت حادثة الأمراء المصرين وخروجهم من مصر عندما قامت عليهم عسكر الأتراك، فلم يزيلوا الشبهة عن أحمد أفندي بل زادت وكانت هذه النادرة من عجائب الاتفاق فقدروا أثمانها وخصموها من المطلوب منه.

وفي يوم الخميس عشرينه، حصلت جمعية ببيت البكري وحضر المشايخ وخلافهم وذلك بأمر باطني من صاحب الدولة وتذاكروا ما يفعله قاضي العسكر من الجور والطمع في أخذ أموال الناس والمحاصيل وذلك أن القضاة الذين يأتون من باب السلطنة كانت لهم عوائد وقوانين قديمة لا يتعدونها في أيام الأمراء المصريين، فلما استولت هؤلاء الأروام على الممالك والقاضي

منهم فحش أمرهم وزاد طمعهم وابتدعوا بدعاً وابتكروا حيلاً لسلب أموال الناس والأيتام والأرامل، وكلما ورد قاض ورأى ما ابتكره الذي كان قبله أحدث هو الآخر أشياء يمتاز بها عن سلفه حتى فحش الأمر وتعدى ذلك لقضايا أكابر الدولة وكتخدا بك بل والباشا وصارت ذريعة وأمراً محتماً لا يحتشمون منه ولا يراعون خليلاً ولا كبيراً ولا جليلاً، وكان المعتاد القديم أنه إذا ورد القاضي في أول السنة التوتية التزم بالقسمة بعض المميزين من رجال المحكمة بقدر معلوم يقوم بدفعه للقاضي وكذلك تقرير الوظائف كانت بالفراغ أو المحلول وله شهريات على باقي المحاكم الخارجة كالصالحية وباب سعادة والخرق وباب الشعرية وباب زويلة وباب الفتوح وطيلون وقناطر السباع وبولاق ومصر القديمة ونحو ذلك ولع عوائد وإطلاقات وغلال من الميري وليس له غير ذلك إلا معلوم الإمضاء وهو خمسة أنصاف فضة فإذا احتاج الناس في قضاياهم ومواريثهم أحضروا شاهداً من المحكمة القريبة منهم فيقضي فيها ما يقضيه ويعطونه أجرته وهو يكتب التوثيق أو حجة المبايعة أو التوريث ويجمع العدة من الأوراق في كل جمعة أو شهر، ثم يضيها من القاضي ويدفع له معلوم الإمضاء لا غير، وأما القضايا لمثل العلماء والأمراء فبالمسامحة والإكرام، وكان القضاة يخشون صولة الفقهاء وقت كونهم يصدعون بالحق ولا يداهنون فيه، فلما تغيرت الأحوال وتحكمت الأتراك وقضاتها ابتدعوا بدعاً شتى.

منها إبطال نواب المحاكم وإبطال القضاة الثلاثة خلاف مذهب الحنفي وأن تكون جميع الدعاوي بين يديه وبعد الانفصال يأمرهم بالذهاب إلى كتخداه ليدفع المحصول فيطلب منهم المقادير الخارجة عن المعقول، وذلك خلاف الرشوات الخفية والمصالحات السرية وأضاف التقرير والقسمة لنفسه ولا يلتزم بها أحد من الشهود، كما كان في السابق وإذا دعى بعض الشهود لكتابة توثيق أو مبايعة أو تركة فلا يذهب لا بعد أن يأذن له القاضي أو يصحبه بجوخدار ليباشر القضية وله نصيب أيضاً وزاد طمع هؤلاء الجوخدارية حتى لا يرضون بالقليل، كما كانوا في أول الأمر وتخلف منهم أشخاص بمصر عن مخاديمهم وصاروا عند المتولي لما انفتح لهم هذا الباب وإذا ضبط تركة من التركات وبلغت مقداراً أخرجوا للقاضي العشر من ذلك ومعلوم الكاتب والجوخدار والرسول ثم التجهيز والتكفير والمصرف والديون وما بقي بعد ذلك يقسم بين الورثة فيتفق أن الوارث واليتيم لا يبقى له شيء ويأخذ من أرباب الديون عشر ديونهم أيضاً ويأخذ من محاليل وظائف التقارير معلوم سنتين أو ثلاثة وقد كان يصالح عليها بأدنى شيء وإلا إكراماً وابتدع بعضها الفحص عن وظائف القبانية والموازين وطلب تقاريرهم القديمة ومن أين تلقوها وتعلل عليهم بعدم صلاحية المقرر وفيها من هو باسم النساء وليسوا أهلاً لذلك وجمع من هذا النوع مقداراً عظيماً من المال، ثم محاسبات نظار الأوقاف والعزل والتولية فيهم والمصالحات على ذلك وقرر على نصارى الأقباط والأروام قدراً عظيماً في كل سنة بحجة المحاسبة على الديور والكنائس، ومما هو زائد الشناعة أيضاً أنه إذا ادعى مبطل على إنسان دعوى لا أصل لها بأن قال أدعي عليه بكذا وكذا من المال وغيره كتب المقيد ذلك القول حقاً كان أو باطلاً معقولاً أو غير معقول، ثم يظهر بطلان الدعوى أو صحة بعضها فيطالب الخصم بمحصول القدر الذي ادعاه المدعي وسطره الكاتب يدفعه عليه للقاضي على دور النصف الواحد أو خلاف ما يؤخذ من الخصم الآخر وحصل نظيرها لبعض من هو ملتجئ لكتخدا بك فحبس على المحصول فأرسل الكتخدا يترجى في إطلاقه والمصالحة عن بعضه فأبى فعند ذلك حنق الكتخدا وأرسل من أعوانه من استخرجه من الحبس ومن الزيادات في نغمة الطنبور كتابة الإعلامات وهو أنه إذا حضر عند القاضي دعوى

بقاصد من عند الكتخدا أو الباشا ليقضي فيها وقضى فيها لأحد الخصمين طلب المقضي له إعلاماً بذلك إلى الكتخدا أو الباشا يرجع به مع القاصد تقييداً وإثباتاً، فعند ذلك لا يكتب له الإعلام إلا بما عسى لا يرضيه إلا أن يسلخ من جلده طاقاً أو طاقين وقد حكمت عليه الصورة وتابع الباشا أو الكتخدا ملازم له ويستعجله ويساعد كتخدا القاضي عليه ويسليه على ذلك الظفر والنصرة على الخصم مع أن الفرنساوية الذين كانوا لا يتدينون بدين لما قلدوا الشيخ أحمد العريشي القضاء بين المسلمين بالمحكمة حددوا له حداً في أخذ المحاصيل لا يتعداه بأن يأخذ على المائة اثنين فقط له منها جزء والكتاب جزء، فلما زاد الحال وتعدى إلى أهل الدولة رتبوا هذه الجمعية، فلما تكاملوا بمجلس بيت البكري كتبوا عرضاً محضراً ذكروا فيه بعض هذه لإحداثات والتمسوا من ولي الأمر رفعها ويرجون من المراحم أن يجري القاضي ويسلك في الناس طريقاً من إحدى الطرق الثلاث أما الطريقة التي كان عليها القضاة في زمن الأمراء المصريين وأما الطريقة التي كانت في زمن الفرنساوية أو الطريقة التي كانت أيام مجيء الوزير وهي الأقرب والأوفق وقد اخترناها ورضيناها بالنسبة لما هم عليه الآن من الجور وتمموا العرض محضراً وأطلعوا عليه الباشا فأرسله إلى القاضي فامتثل الأمر وسجل بالسجل على مضض منه و لم تسعه المخالفة.

واستهل شهر جمادى الثانية سنة 1231

في منتصفه ورد الخبر بموت مصطفى بك دالي باشا بناحية الاسكندرية وهو قريب الباشا وأخو زوجته.

واستهل شهر رجب الأصم بيوم الثلاثاء سنة 1231

في ثالثه يوم الخميس قبل الغروب حصل في الناس انزعاج ولغط ونقل أصحاب الحوانيت بضائعهم منها مثل سوق الغورية ومرجوش وخان الحمزاوي وخان الخليلي وغيرهم و لم يظهر لذلك سبب من الأسباب وأصبح الناس مبهوتين ولغطوا بموت الباشا وحضر آغات الينكجرية وآغات التبديل إلى الغورية وأقاما بطول النهار وهما يأمران الناس بالسكون وفتح الدكاكين وكذلك علي آغا الوالي بباب زويلة وأصبح يوم السبت فركب الباشا وخرج إلى قبة العزب وعمل رماحة وملعباً ورجع إلى شبرا وحضر كتخدا بك إلى سوق الغورية وجلس بالمدفن وأمر بضرب شيخ الغورية فبطحوه على الأرض في وسط السوق وهو مرشوش بالماء وضربه الأتراك بعصيهم، ثم رفعوه إلى داره، ثم أمر الكتخدا بكتابة أصحاب الدكاكين الذين نقلوا متاعهم فشرعوا في ذلك وهرب الكثير منهم وحبسهم في داره، ثم ركب الكتخدا ومر في كريقه على خان الحزاوي وطلب البواب، فلما مثل بين يديه أمر بضربه كذلك وضرب أيضاً شيخ مرجوش وأما طائفة خان الخليلي ونصارى الحزاوي فلم يتعرض لهم.

واستهل شهر شعبان بيوم الخميس سنة 1231

فيه من الحوادث أن بعض العيارين من السراق تعدوا على قهوة الباشا بشبرا وسرقوا جميع ما بالنصبة من الأواني والبكارج والفناجين والظروف فأحضر الباشا بعض أرباب الدرك بتلك الناحية وألزمه بإحضار السراق والمسروق ولا يقبل له عذراً في التأخير ولو يصالح على نفسه بخزينة أو أكثر من المال ولا يكون غير ذلك أبداً وإلا نكل به نكالاً عظيماً وهو المأخوذ بذلك

فترجى في طلب المهلة فأمهله أياماً وحضر بخمسة أشخاص أحضروا المسروق بتمامه لم ينقص منه شيء وأمر بالسراق فخوزقوهم في نواحي متفرقين بعد أن قرروهم على أمثالهم وعرفوا عن أماكنهم وجمع منهم زيادة على الخمسين وشنق الجميع في نواح متفرقة بالأقاليم مثل القليوبية والغربية والمنوفية.

وفي منتصفه يوم الجمعة الموافق لرابع مسرى القبطي أوفى النيل أذرعه وفتح سد الخليج يوم السبت.

وفيه وقع من النوادر أن امرأة ولدت مولوداً برأسين وأربعة أيد وله وجهان متقابلان والوجهان بكتفيهما مفروقان من حد الرأس وقيل لحد الصدر والبطن واحدة وثلاثة أرجل وإحدى الأرجل لها عشرة أصابع فيقال أنه قام يوماً وليلة حياً ومات وشاهده خلق كثير وطلعوا به إلى القلعة ورآه كتخدا بك وكل من كان حاضراً بديوانه فسبحان الخلاق العظيم.

واستهل شهر رمضان بيوم الجمعة سنة 1231

حصل فيه من النوادر أن في تاسع عشره علق شخص عسكري غلاماً من أولاد البلد وصار يتبعه في الطرقات إلى أن صادفه ليلة بالقرب من جامع ألماس بالشارع فقبض عليه وأراد الفعل به في الطريق فخدعه الغلام وقال له إن كان ولا بد فادخل بنا في مكان لا يرانا فيه أحد من الناس فدخل معه درب حلب المعروف الآن بدرب الحمام خير بك حديد وهناك دور الأمراء التي صارت خرائب فحل العسكري سراويله فقال له الغلام أرني بتاعك فلعله يكون عظيماً لا أتحمله جميعه وقبض عليه وكان بيده موسى مخفية في يده الأخرى فقطع ذكره بتلك الموسى سريعاً وسقط العسكري مغشياً عليه وتركه الغلام وذهب في طريقه وحضر رفقاء ذلك العسكري وحملوه وأحضروا له سليماً الجرائحي فقطع ما بقي من مذاكيره وأخذ في معالجته ومداواته و لم يمت العسكري.

واستهل شهر شوال بيوم السبت سنة 1231

وكان حقه يوم الأحد وذلك أن أواخر رمضان حضر جماعة من دمنهور البحيرة وأخبروا عن أهل دمنهور أنهم صاموا يوم الخميس فطلب الباشا حضور من رأى الهلال تلك الليلة فحضر اثنان من العسكر وشهدا برؤيته ليلة الخميس فأثبتوا بذلك هلال رمضان ويكوت تمامه يوم الجمعة وأخبر جماعة أيضاً أنهم رأوا هلال شوال ليلة السبت وكان قوسه في حساب قواعد الأهلة تلك الليلة قليلاً جداً و لم ير في ثاني ليلة منه إلا بعسر وإنما اشتبه على الرائين لأن المريخ كان مقارناً للزهرة في برج الشمس من خلفها وبينهما وبين الشمس رؤيا بعدها في شعاع الشمس شبه الهلال فظن الراؤن أنه الهلال فلينتبه لذلك فإن ذلك من الدقائق التي تخفى على أهل الفطانة فضلاً عن غيرهم من العوام الذين يسارعون إلى إفساد العبادات حسبة بالظنون الكاذبة لأجل أن يقال شهد فلان ونحو ذلك.

وفي أواخره قلد الباشا شخصاً من أقاربه يسمى شريف آغا على دواوين المبتدعات وضم إليه جماعة من الكتبة أيضاً المسلمين والأقباط وجعلوا ديوانهم ببيت أبي الشوارب وعمروه عمارة عظيمة وواظبوا الجلوس فيه كل يوم التحرير المبتدعات ودفاتر المكوس.

واستهل شهر ذي القعدة سنة 1231

فيه انهدم جانب من السواقي التي أنشأها الباشا بشبرا على حين غفلة وقد قوي عليها النيل فتهدمت وتكسرت أخشابها وسقط معها أشخاص كانوا حولها فنجا منهم من نجا وغرق منهم من غرق وكان الباشا بقصر شبرا مقيماً به وهو يرى ذلك

وانقضت السنة وأخبار بعض حوادثها واستمرار ما تجدد فيها من المبتدعات التي لا حصر لها.

ومنها الحجر على االمزارع التي يزرعها الفلاحون في الأراضي التي يدفعون خراجها من الكتاب والسمسم والعصفر والنيلة والقطن والقرطم وإذا بدا صلاحه لا يبيعون منه شيئاً كعادتهم وإنما يشتريه الباشا بالثمن الذي يفرضه ويقدره على يد أمناء النواحي والكشاف ويحملونه إلى المحل الذي يؤمرون بحمله إليه ويعطى لهم الثمن أو يحسب لهم من أصل المال فإن احتاجوا الشيء من ذلك اشتروه بالثمن الزائد المفروض وكذلك القمح والفول والشعير لا يبيعون منه شيئاً لغير طرف الباشا بالثمن المفروض والكيل الوافي.

ومنها الأمر لكشاف الأقاليم بالمناداة العامة بالمنع لمن يأخذ أو يأكل من الفول الأخضر والحمص والحلبة وأن المعينين في الخدم والمباشرين وكشاف النواحي لا يأخذون شيئاً من الفلاحين كعادتهم من غير ثمن فمن عثر عليه يأخذ شيء واو رغيفاً أو تبناً أو من جميع البهائم حصل له مزيد الضرر ولو كان من الأعاظم وكذلك الأمر بتكميم أفواه المواشي التي تسرح للمرعي حوالي الجسور والغيطان.

ومنها أن نصرانياً من الأرمن التزم بقلم الأبزار التي تأتي من بلاد الصعيد مثل الحبة السوداء والشمر والأنيسون والكمون والكراويا، ونحو ذلك بقدر كبير من الأكياس ويتولى هو شراءها دون غيره ويبيعها بالثمن الذي يفرضه ومقدار ما التزم بدفعه من الأكياس للخزينة على ما بلغنا خمسمائة كيس وكانت في أيام الأمراء المصريين عشرة أكياس لا غير، فلما تولى على وكالة دار السعادة صالح بك المحمدي زادها عشرة أكياس وكانت وكالة الأبزار والقطن وقفاً لمصطفى آغا السعادة سابقاً على خيرات الحرمين وخلافهما، فلما كانت هذه الدولة تولاها شخص على مائتي كيس وعند ذلك سعر الأبزار أضعاف الثمن الأصلي ومن داخل الأبزار الثمر الإبريمي والسلطاني والخوص والمقاطف والسلب والليف وبلغ سعر المقطف الذي يسع الكيلة من البر خمسة وعشرين نصفاً، وكان يباع بنصف أو نصفين إن كان جيداً وفي الجملة أقل من ذلك.

ومنها أن كرابيت معلم ديوان الكمرك ببولا فالتزم بمشيخة الحمامية وأحدث عليها وعلى توابعها حوادث وعلى النساء البلانات في كل جمعة قدراً من الدراهم وجعل لنفسه يوماً في كل جمعة يأخذ إيراده من كل حمام.

ومنها ما حصل في هذه السنة من شحة السابون وعدم وجوده بالأسواق ومع السراحين وهو شيء لا يستغني عنه الغني ولا الفقير وذلك أن تجارة بوكالة الصابون زادوا في ثمنه محتجين بما عليهم من المغارم والرواتب لأهل الدولة فأمر الكتخدا فيه بأمر ويسعر بثمن فيدعون الخسران وعدم الربح وتكرر الحال فيه المرة بعد المرة ويتشكون من قلة المجلوب إلى أن سعر رطله بستة وثلاثين نصفاً، فلم يرتضوا ذلك وبالغوا في التشكي فطلب قوائمهم وعمل حسابهم وزادهم خمسة أنصاف في كل رطل وحلف أن لا يزيد على ذلك وهم مصممون على دعوى الخسران فأرسل من أتباعه شخصاً تركياً لمباشرة البيع وعدم الزيادة فيأتي إلى الخان في كل يوم يباشر البيع على من يشتري بذلك الثمن لأربابه ويمكث مقدار ساعتين من النهار ويغلق الحواصل

ويرفع البيع لثاني يوم وفي ظرف هاتين الساعتين تزدحم العسكر على الشراء ولا يتمكن خلافهم من أهل البلد من أخذ شيء وتخرج العسكر فيبيعون من الذي اشتروه على الناس بزيادة فاحشة فيأخذ الرطل بقرش ويبيعه على غيره بقرشين ورفع التشكي إلى كتخدا فأمر ببيعه عند باب زويلة في السبلين المواجه أحدهما للباب والبيل الذي أنشأته الست نفيسة المرادية عند الخان تجاه الجامع المؤيدي ليسهل على العامة تحصيله وشراؤه، فلم يزداد الحال إلا عسراً وذلك أن البائع يجلس داخل السبيل ويغلق عليه بابه ويتناول من خروق الشبابيك من المشتري الثمن ويناوله الصابون فازدحمت طوائف العسكر على الشراء ويتعلقون بأيديهم وأرجلهم على شبابيك السبيلين والعامة أسفلهم لا يتمكنون من أخذ شيء ويمنعون من يزاحمهم فيكون على السبيلين ضجة وصياح من الفريقين فلا يسع ابن البلد الفقير المضطر إلا أن يشتري من العسكري بما أحب وإلا رجع إلى مترله من غير شيء واستمر الحال على هذا المنوال أياماً وفي بعض الأحايين يكثر وجود الصابون بين أيدي الباعة بوسط السوق ولا تجد عليه مزاحمة وأمام البائع كوم عظيم وهو ينتظر من يشتري وذلك في غالب الأسواق مثل الغورية والأشرفية وباب زويلة والبندقانيين والجهات الخارجة، ثم يصبحون فلا يوجد منه شيء ويرجع الازدحام على السبيلين كالأول.

ومنها أن الباشا أطلق المناداة في البلدة وندب جماعة من المهندسين والمباشرين للكشف على الدور والمساكن فإن وجدوا به أو ببعضه خللاً أمروا صاحبه بهدمه وتعميره فإن كان يعجز عن ذلك فيؤمر بالخروج منها وإخلائها ويعاد بناؤها على طرف الميري وتصير من حقوق الدولة وسبب هذه النكتة أنه بلغ الباشا سقوط دار ببعض الجهات ومات تحت ردمها ثلاثة أشخاص من سكانها فأمر بالمناداة وأرسل المهندسين والأمر بما ذكر فترل بأهالي البلد من الكرب أمر عزيم مع ما هم فيه من الإفلاس وقطع الإيراد وغلو الأسعار على أن من كان له نوع مقدرة على الهدم والبناء لا يجد من أدواته شيئاً بحسب التحجير الواقع على أرباب الأشغال واستعمال الجميع في عمائر الباشا وأكابر الدولة حتى أن الإنسان إذا احتاج لبناء كانون لا يجد من يبنيه ولا يقدر على تحصيل صانع أو فاعل أو أخذ شيء من رماد الحمام إلا بفرمان ومن حصل شيئاً من ذلك على طريق السرقة في غفلة وعثر عليه نكلوا به وبرئيس الحمام وحمير الباشا وهي أزيد من ألفي حمار تنقل بالمزابل والسرقانيات طول النهار ما يوجد بالحمامات من الرماد وتنقل أيضاً الطوب والدبش والأتربة وأنقاض البيوت المنهدمة لمحل العمائر بالقلعة وغيرها فترى الأسواق والعطف مزدحمة بقطارات الحمير الذاهبة والراجعة وإذا هدم إنسان داره التي أمروه بهدمها وصل إليه في الحال قطار من الحمير لأخذ الطوب الذي يتساقط إلا أن يكون من أهل القدرة على منعهم وربما كانت هذه الأوامر حيلة على أخذ الأنقاض وأما الأتربة فتبقى بحالها حتى في طرق المارة للعجز عن نقلها فترى غالب الطرق والنواحي مردومة بالأتربة وأما الهدم ونقل الأنقاض من البيوت الكبار والدور الواسعة التي كانت مساكن الأمراء المصريين بكل ناحية وخصوصاً بركة الفيل وجهة الحبانية فهو مستمر حتى بقيت خراباً ودعائم قائمة وكيمان هائلة واختلطت بها الطرق وأصبحت موحشة ولا ماري بها حتى لليوم بعد أن كانت مراتع غزلان فكنت كلما رأيتها أتذكر قول القائل:

هذي منازل أقوام عهدتهم ... في خفض عيش نعيم ما له خطر

صاحت بهم نوب الأيام فارتحلوا ... إلى القبور فلا عين ولا أثر

وكذلك بولاق كانت نتزه الرفاق فإنه تسلط عليها سليمان آغا السلحدار وإسماعيل باشا في الهدم وأخذ أنقاض الأبنية ببر أنبابة والجزيرة الوسطى بين أنبابة وبولاق فإن سليمان آغا أنشأ بستاناً كبيراً بين أنبابة وسوره وبنى به قصراً وسواقي وأخذ يهدم أبنية بولاق من الوكائل والدور وينقل أحجارها وأنقاضها في المراكب ليلاً ونهاراً إلى البر الآخر وإسماعيل باشا كذلك أنشأ بستاناً وقصراً بالجزيرة وشرع أيضاً في اتساع سرايته ومحل سكنه ببولاق وأخذ الدور والمساكن والوكائل من حد الشؤن القديم إلى آخر وكالة الأبزار العظيمة طولاً فيهدمون الدور وغيرها من غير مانع ولا شافع وينقلون الأنقاض إلى محل البناء، وكذلك ولي خوجه شرع في بناء قصر بالروضة ببستان فهو الآخر يهدم ما يهدمه من مصر القديمة وينقل أنقاضه لبنائه وهلك قبل إتمامه وأما نصارى الأرمن وما أدراك ما الأرمن الذين هم أخصاء الدولة الآن فإنهم أنشؤا دوراً وقصوراً وبساتين بمصر القديمة لكنهم فهم يهدمون أيضاً وينقلون لأبنيتهم ما شاؤا ولا حرج عليهم وإنما الحرج والمنع والحجر والهدم على المسلمين من أهل البلدة فقط.

ومنها أن الباشا أمر ببناء مساكن للعسكر الذين أخرجهم من مصر بالأقاليم يسمونها القشلات بكل جهة من أقاليم الأرياف لسكن العساكر المقيمين بالنواحي لتضررهم من الإقامة الطويلة بالخيام في الحر والبرد واحتياج الخيام في ما حين إلى تجديد وترقيع وكثير خدمة وهي جمع قشلة بكسر القاف وسكون الشين وهي في اللغة التركية المكان الشتوي لأن الشتاء في لغتهم يسمى قش بكسر القاف وسكون الشين فكتب مراسيم إلى النواحي بسائر القرى بالأمر لهم بعمل الطوب اللبن، ثم حرقه وحمله إلى محل البناء وفرضوا على كل بلد وقرية فرضاً وعدداً معيناً فيفرض على القرية مثلاً خمسمائة ألف لبنة وأكثر بحسب كبر القرية وصغرها فيجمع كاشف الناحية مشايخ القرى، ثم يفرض على كل شيخ قدراً وعدداً من اللبن عشرين ألفاً أو ثلاثين ألفاً أو أكثر أو أقل ويلزم بضربها وحرقها ورفعها وأجلهم مدة ثلاثين يوماً وفرضوا على كل قرية أيضاً مقادير من أفلاق النخل ومقادير من الجريد، ثم فرضوا عليهم أيضاً أشخاصاً من الرجال لمحل الأشغال والعمائر يستعملونهم في فعالة نقل أدوات لعمارة في النواحي حتى الاسكندرية وخلافها ولهم أجرة أعمالهم في كل يوم لكل شخص سبعة أنصاف فضة لا غير ولمن يعمل اللبن أجرة أيضاً ولثمن الأفلاق والجريد قدر معلوم لكنه قليل.

ومنها أنه توجه الأمر لكشاف النواحي عند انكشاف الماء عن الأراضي بأن يتقدموا إلى الفلاحين بأن من كان زراعاً في العام الماضي فداني كتان أو حمص أو سمسم أو قطن فليزرع في هذه السنة أربعة أفدنة ضعف ما تقدم لأن المزارعين عزموا على عدم زراعة هذه الأشياء لما حصل لهم من أخذ ثمرات متاعهم وزراعاتهم التي دفعوا خراجها الزائد بدون القيمة التي كانوا يبيعون بها مع قلة الخراج الذي كانوا يماطلون فيه الملتزمين السابقين مع التظلم والتشكي فيزرع الزارع ما يزرعه من هذه الأشياء من التقاوى المتروكة في مخزنه، ثم يبيع الفدان من الكتان الأخضر في غيطه إن كان مستعجلاً بالثمن الكثير وإلا أبقاه إلى تمام صلاحه فيجمعه ويدقه ويبيع ما يبيعه من البزر خاصة بأغلى ثمن، ثم يتمم خدمته من التعطين والنشر والتمحير إلى أن يصفى وينظف من أدرانه وخشوناته وينصلح للغزل والنسج فيباع حينئذ بالأوقية والرطل وكذا القطن والنيلة والعصفر، فلما وقع عليهم التحجير وحرموا من المكاسب التي كانوا يتوسعون بها في معايشهم باقتناء المواشي والحلي للنساء قالوا ما عدنا نزرع هذه الأشياء وظنوا أن يتركوا على هواهم ونسوا مكر أوليائهم فنزل عليهم الأمر والإلزام بزرع الضعف فضجوا وترجوا

واستشفعوا ورضوا بمقدار العام الماضي فمنهم من سومح ومنهم من لم يسامح وهو ذو المقدرة وبعد إتمامه وكمال صلحه يؤخذ بالثمن المفروض على طرف الميري ويباع لمن يشتري من أربابه أو خلافهم بالثمن المقدر وربح زيادته لطرف حضرة الباشا مع التضييق والحجر البليغ والفحص عن الاختلاس فمن عثروا عليه باختلاس شيء ولو قليلاً عوقب عقاباً شديداً ليرتدع خلافه والكتبة والموظفون لتحرير كل صنف ووزنه وضبطه في تنقلات أطواره وعند تسليم الصناع ونتج من ذلك وأثمر عزة الأشياء وغلو الأسعار على الناس منها أن المقطع القماش الذي كان ثمنه ثلاثين نصفاً بلغ سعره عشرة قروش مع عزة وجدانه بالأسواق المعدة لبيعه مثل سوق مجوش وخلافه خلا الطوافين به والثوب البطانة الذي كان ثمنه قرشين بلغ ثمنه شبعة قروش وأدركناه في الأزمان السابقة يباع بعشرين نصفاً وبلغ ثمن الثوب من البفتة المحلاوي أربعة عشر قرشاً وكان يباع فيما أدركنا بدكان التاجر بستين نصفاً وقس على ذلك وبسبب التحجير على النيلة غلا صبغ ثياب الفقراء حتى بلغ صبغ الذراع الواحد نصف قرش والله يلطف بحال خلقه وما دام توزون له امرأة مطاعة فالميل في الجمر.

ومنها استمر التحجير على الأرز ومزارعه على مثل هذا النسق حيث أن الزراعين له التعبانين فيه لا يمكنون من أخذ حبة منه فيؤخذ بأجمعه لطرف الباشا بما قدره من الثمن، ثم يخدم ويبيض في المداوير والمدقات والمناشر بأجرة العمال على طرفه، ثم يباع بالثمن المفروض واتفق أن شخصاً من أبناء البلد يسمى حسين جلبي عجوة ابتكر بفكره صورة دائرة وهي التي يدقون بها الأرز وعمل لها مثالاً من الصفيح تدور بأسهل طريقة وقدم ذلك المثال إلى الباشا فأعجبه وأنعم عليه بدراهم وأمره بالمسير إلى دمياط ويبني بها دائرة ويهندسها برأيه ومعرفته وأعطاه مرسوماً بما يحتاجه من الأخشاب والحديد والمصرف ففعل وصح قوله، ثم فعل أخرى برشيد وراج أمره بسبب ذلك.

ومنها أن الباشا لما رأى هذه النكتة من حسين شلبي هذا قال أن في أولاد مصر نجابة وقابلية للمعارف فأمر ببناء مكتب بحوش السراية ويرتب فيه جملة من أولاد البلد ومماليك الباشا وجعل معلمهم حسن أفندي المعروف بالدرويش الموصلي يقرر لهم قواعد الحساب والهندسة وعلم المقادير والقياسات والارتفاعات واستخراج المجهولات مع مشاركة شخص رومي يقال له روح الدين أفندي بل وأشخاص من الإفرنج وأحضر لهم آلات هندسية متنوعة من أشغال الإنكليز يأخذون بها الأبعاد والإرتفاعات والمساحة ورتب لهم شهريات وكساوي في السنة واستمروا على الاجتماع بهذا المكتب وسموه مهندس خانه في كل يوم من الصباح إلى بعد الظهيرة ثم ينزلون إلى بيوتهم ويخرجون في بعض الأيام إلى الخلاء لتعليم مساحات الأراضي وقياساتها وهو الغرض المقصود للباشا.

ومنها استمرارا الإنشاء في السفن الكبار والصغار لنقل الغلال من قبلي وبحري لناحية الإسكندرية لتباع على الإفرنج من سائر أصناف الحبوب فيشحنون السفن من سواحل البلاد القبلية وتأتي إلى ساحل بولاق ومصر القديمة فيصبونها كيماناً هائلة عظيمة صاعدة في الهواء فتصل المراكب البحرية لنقلها فتصبح ولا يبقى شيء منها ويأتي غيرها وتعود كما كانت بالأمس، ومثل ذلك بساحل رشيد وأما الحبوب البحرية فإنها لا تأتي إلى هذه السواحل بل تذهب من سواحلها إلى حيث هي برشيد ثم إلى الإسكندرية، ولما بطل البغاز جمعوا الحمير الكثيرة والجمال ينقلون عليها على طريق البر بالأجرة القليلة فكانت تموت من قلة العلف ومشقة الطريق وتوثق بها السفن الواصلة بالطلب إلى بلاد الإفرنج بالثمن عن كل أردب من البر ستة آلاف فضة، وأما

الفول والشعير والحلبة والذرة وغيرها من الحبوب والأدهان فأسعارها مختلفة ويعوض بالبضائع والنقود من الفرانسة معبأة في صناديق صغيرة تحمل الثلاثة منها على بعير إلى الخزينة وهي مصفحة بالحديد يمرون بها قطارات إلى القلعة وعند قلة الغلال ومضي وقت الحصاد يتقدم إلى كشاف النواحي القبلية والبحرية بفرض مقادير من الغلال على البلدان والقرى فيلزمون مشايخ البلدان بما تقرر على كل بلد م القمح والفول والذرة ليجمعوه ويحصلوه من الفلاحين وهم أيضاً يعملون بفلاحي بلادهم ما يعملون بجورهم وأغراضهم ويأخذون الأقوات المدخرة للعيال وذلك بالثمن عن كل أردب من البر ثمانية ريالات يعطى له نصفها ويبقى له النصف الثاني ليحسب له من أصل المال الذي سيطالب به في العام القابل.

ومنها أن الباشا سنح له أن ينشئ بالمحل المعروف برأس الوادي بشرقية بلبيس سواقي وعمارات ومزارع وأشجار توت وزيتون فذهب هناك وكشف عن أراضيه فوجدها متسعة وخالية من المزارع وهي أراضي رمال وأودية فوكل أناساً لإصلاحها وتمهيدها وأن يحفروا بها جملة من السواقي تزيد عن الألف ساقية ويبنوا أبنية ومساكن ويزرعوا أشجار التوت لتربية دود القز وأشجاراً كثيرة من الزيتون لعمل الصابون وشرعوا في العمل والحفر والبناء وفي إنشاء توابيت خشب للسواقي تصنع ببيت الجبجي بالتبانة وتحمل على الجمال إلى رأس الوادي شيئاً بعد شيء وأمر أيضاً ببناء جامع الظاهر بيبرس خارج الحسينية وأن يعمل مصبنة لصناعة الصابون وطبخه مثل الذي يصنع ببلاد الشام وتوكل بذلك السيد أحمد بن يوسف فخر الدين وعمل به أحواضاً كبيرة للزيت والقلي.

ومن المتجددات أيضاً محل بخطة تحت الربع يعمل به وتسبك أوان ودسوت من النحاس في غاية الكبر والعظم.

ومنها شغل البارود وصناعته بالمكان والصناع المعدة لذلك بجزيرة الروضة بالقرب من المقياس بعد أن يستخرجوه من كيمان السباخ في أحواض مبنية ومخففة، ثم يكررونه بالطبخ حتى يكون ملحه غاية في البياض والحدة كالذي يجلب من بلاد الإنكليز والمتقيد كبيراً على صناعة شخص أفرنكي ولهم معاليم تصرف في كل شهر ومكان أيضاً بالقلعة عند باب الينكجرية لسبك المدافع وعملها وقياساتها وهندستها والبنبات وارتفاعها ومقاديرها وسمى ذلك المكان بالطبخانة وعليه رئيس وكتبة وصناع ولهم شهريات.

ومنها شدة رغبة الباشا في تحصيل الأموال والزيادة من ذلك من أي طريق بعد استيلائه على البلاد والإقطاعات والرزق الأحباسية وإبطال الفراغ والبيع والشراء والمحلول عن الموتى من ذلك والعلوفات وغلال الأنبار ونحو ذلك فكل من مات عن حصته أو رزقته أو مرتب انحل بموته ما كان على اسمه وضبطه وأضيف إلى ديوانه ولو له أولاداً وكان هو كتبه باسم أولاده وماتت أولاده قبله انحل عنه وأصبح هو وأولاده من غير شيء فإن عرض حاله على الباشا أمر بالكشف عن إيراده فإن وجدوا بالدفاتر جهة أو وظيفة أخرى قيل له هذه تكفيك وإن لم يوجد في حوزه خلافها أمر له بشيء يستغله من أقلام المكوس إما قرش أو نصف قرش في كل يوم أو نحو هذا مع التفاته ورغبته في أنواع التجارات والشركات وإنشاء السفن ببحر الروم والقلزم وأقام له وكلاء بسائر الأساكل حتى ببلاد فرانسة والإنكليز ومالطة وإزمير وتونس والنابلطان والونديك والبنادقة واليمن والهند وأعطى أناساً جملاً عظيمة من أموال يسافرون بها ويجلبون البضائع وجعل لهم الثلث في الربح في نظير شفرهم وخدمتهم، فمن ذلك أنه أعطى للرئيس حسن المحروقي خمسمائة ألف فرانسة يسافر بها إلى الهند ويشتري البضائع الهندية ويأتي

بها إلى مصر ولشخص نصراني أيضاً ستمائة ألف فرانسة وكذلك لمن يذهب إلى بيروت وبلاد الشام لمشترى القز والحرير وغير ذلك وعمل بمصر أماكن ومصانع لنسج القطاني التي يتخذها الناس في ملابسهم من القطن والحرير، وكذلك الجنفس والصندل واحتكر ذلك بأجمعه وأبطل دواليب الصناع لذلك ومعلميهم وأقامهم يشتغلون وينسجون في المناسج التي أحدثها بالأجرة وأبطل مكاسبهم أيضاً وطرائقهم التي كانوا عليها فيأخذ من ذلك ما يحتاجه في اليلكات والكساوى وما زاد يرميه على التجار وهم يبيعونه على الناس بأغلى ثمن وبلغ ثمن الدرهم من الحرير خمسة وعشرين نصفاً بعد أن كان يباع بنصفين.

ومنها أنه أبطل ديوان المنجرة وهي عبارة عما يؤخذ من المعاشات وهي المراكب التي تغدو وتروح لموارد الأرياف مثل شيبين الكوم وسمنود والبلاد البحرية وعليها ضرائب وفرائض للملتزم بذلك وهو شخص يسمى عليا الجزار وسبب ذلك أن معظم المراكب التي تصعد ببحر النيل وتنحدر من إنشاء الباشا ولم يبق لغيره إلا القليل جداً والعمل والإنشاء بالترسخانة مستمر على الداوم والرؤساء والملاحون يخدمون فيها بالأجرة وعمارة خللها وأحبالها وجميع احتياجاتها على طرف الترسخانة ولذلك مباشرون وكتاب وأمناء يكتبون ويقيدون الصادر والوارد وهذه الترسخانة بساحل بولاق بها الأخشاب الكثيرة والمتنوعة وما يصلح للعمائر والمراكب ويأتي إليها المجلوب من البلاد الرومية والشامية فإذا ورد شيء من أنواع الأخشاب سمحوا للخشابة بشيء يسير منها بالثمن الزائد ورفع الباقي إلى الترسخانة وجميع الأخشاب الواردة والأحطاب جميعها في متاجر الباشا وليس لتجارها إلا ما كان من داخل متاجره وهو القليل.

ومن النوادر أنه وصل إلى بلاد الإنكليز سواقي بآلات الحديد تدور بالماء، فلم يستقم لها دوران على بحر النيل.

ومنها أنه أنشأ جسراً ممتداً من ناحية قنطرة الليمون على يمنة السالك إلى طريق بولاق متصلاً إلى شبرا على خط مستقيم وزرعوا بحافتية أشجار التوت وعلى هذا النسق جسور بطرق الأرياف والأقاليم.

ومنها أن اللحم قل وجوده من أول شهر رجب إلى غاية السنة وغلا سعره مع رداءته وهزاله حتى بيع الرطل بعشرين نصفاً وأزيد وأقل مع ما فيه من العظام وأجزاء السقط والشغت وسبب ذلك رواتب الدولة وأخذها بالثمن القليل فيستعوض الجزارون خسارتهم من الناس، وكان البعض من العسكر يشتري الأغنام ويذبحها ويبيعها بالثمن الغالي وينقص الوزن ولا يقدر ابن البلد على مراجعته.

ومنها أن إبراهيم آغا الذي كان كتخدا إبراهيم باشا قلده الباشا كشوفية المنوفية فمن أفاعيله أنه يطلب مشايخ البلدة أو القرية فيسأل الشخص منهم على من شيخه فيقول أستاذ البلدة فيقول له في أي وقت فيقول سنة كذا فيقول وما الذي قدمته له في سياختك ويهدده أو يحبسه على الإنكار أو يخبر من بادئ الأمر ويقول أعطيته كذا وكذا إما دراهم أو أغناماً فيأمر الكاتب بتقييده وتحريره وضبطه على الملتزم وسطر بذلك دفتراً وأرسله إلى الديوان ليخصم على الملتزمين من فائظهم المحرر لهم بالديوان فيتفق أن المحرر عليه يزيد على القدر المطلوب له فيطالب الباقي أو يخصم عليه من السنة القابلة.

ومنها التحجير على القصب الفارسي فلا يتمكن أحد من شراء شيء منه ولو قصبة واحدة إلا بمرسوم من كتخدا بك فمن احتاج منه في عمارة أو شباك أو لدوارات الحرير أو أقصاب الدخان أخذ فرماناً بقدر احتياجه واحتاج إلى وسائط ومعالجات واحتجاجات حتى يظفر بمطلوبه.

ومنها وهي من محاسن الأفعال أن الباشا أعمل همته في إعادة السد الأعظم الممتد الموصل إلى الإسكندرية، وقد كان اتسع أمره وتخرب من مدة سنين وزحف منه ماء البحر المالح وأتلف أراضي كثيرة وخربت منه قرى ومزارع وتكلت بسببه الطرق والمسالك وعجزت الدول في أمره، و لم يزل يتزايد في التهور وزحف المياه المالحة على الأراضي حتى وصلت إلى خليج الأشرفية التي يمتلئ منها صهاريج الثغر فكانوا يجسرون عليه بالأتربة والطين، فلما اعتنى الباشا بتعمير الإسكندرية وتشييد أركانها وأبراجها وتحصينها، و لم تزل بها العمارات اعتنى أيضاً بأمر الجسر وأرسل إليه المباشرين والقومة والرجال والفعلة والنجارين والبنائين والمسامير وآلات الحديد والأحجار والمؤن والأخشاب العظيمة والسهوم والبراطيم حتى تممه، وكان له مندوحة لم تكن لغيره من ملوك هذه الأزمان فلو وفقه الله لشيء من العدالة على ما فيه من العزم والرياسة والشهامة والتدبير والمطاولة لكان أعجوبة زمانه وفريد أوانه، وأما أمر المعاملة فلم يزل حالها في التزايد حتى وصل صرف الريال الفرانسة إلى تسعة قروش وهو أربعة أمثال الريال المتعارف، ولما بطل ضرب القروش من العام الماضي ضربوا بدلها أنصاف قروش وأرباعها وأثمانها وتصرف بالفرط والأنصاف العددية لا وجود لها بأديد الناس إلا ما قل جداً فإذا أراد إنسان منها دفع في إبدالها عشرة قروش عنها أربعمائة نصف فضة زيادة على المبدل إن كان ذهباً أو فرانسة أو قروشاً ووصل صرف البندقي إلى ثمانمائة نصف والمجر ثمانية عشر قرشاً والمحبوب المصري إلى أربعمائة والإسلامبولي إلى أربعمائة وثمانين كل ذلك أسماء لا مسميات لانعدام الأنصاف مع أنه يضرب منها المقادير والقناطير يأخذها التجار الشاميون والروميون بالفرط، ثم يرسلونها متاجر بدلاً عن البضائع لأن الريال في تلك البلاد صرفه ثلاثمائة نصف فقط فيكون فيه الربح ستون نصفاً في كل ريال، ولما علم الباشا ذلك جعل يرسل لوكلائه بالشام في كل شهر ألف كيس من الفضة العددية ويأتيه بدلها فرانسة فيضيف عليها ثلاثة أمثالها نحاساً ويضربها فضة عددية فيربح فيها ربحاً بدون حاء عظيماً وهكذا من هذا الباب فقط.

ومن حوادث السنة الآفاقية واقعة الإنكليز مع أهل الجزائر وهو أن لأهل الجزائر صولة واستعداداً وغزوات في البحر ويغزون مراكب الإفرنج ويغتنمون منها غنائم ويأخذون منهم أسرى وتحت أيديهم من أسارى الإنكليز وغيرهم شيء كثير ومينتهم حصينة يدور بها سور خارج في البحر كنصف الدائرة في غاية الضخامة والمتانة ذو أبراج مشحونة بالمدافع والقنابر والمرابطين والمحاربين ومراكبهم من داخله فوصل إليهم بعض مراكب الإنكليز ومعهم مرسوم من السلطان العثماني ليفتدوا أساراهم بمال فأعطوهم ما يزيد عن الألف أسير ودفعوا عن ك رأس أسير مائة وخمسين فرانساً ورجعوا من حيث أتوا وبعد مدة وصل منهم بعض سافئن إلى خارج المينا رافعين أعلام السلم والصلح فعبروا داخل المينا من غير ممانع ونزل منهم أنفار في فلوكة وبيدهم مرسوم بطلب باقي الأسرى فامتنع حاكمهم من ذلك وترددوا في المخاطبات وفي أثناء ذلك وصلت عدة مراكب من مراكبهم وشلنبات وهي المراكب الصغار لمعدة للحرب وعبروا مع مساعدة الريح إلى المينا وأثاروا الحرب والضراب بطرائقهم المستحدثة فأحرقوا مراكب أهل الجزائر مع المضاربة أيضاً من أهل المدينة مع تأخر استعدادهم وسرعة استعداد الخصم ومدافع الأبراج الداخلة لا تصيب الشلنبات الصغيرة المتسفلة وهم لا يخطؤون، ثم هم في شدة الغارة والحرب إذ قيل للحاكم بأن عساكره الأتراك تركوا المحاربة واشتغلوا بنهب البلدة وإحراق الدور فقط في يده واحتار في أمره ما بين قتال العدو الواصل أو قتال عسكره ومنعهم وكفهم عن النهب والإحراق والفساد وهذا شأنهم، فلم يسعه إلا خفض الأعلام وطلب الأمان من الإنكليز،

فعند ذلك أبطلوا الحرب وكفوا عن الضراب وترددوا في الصلح على شرائطهم التي منها تسليم بواقي الأسرى واسترداد المال الذي سلموه في الفداء السابق حالاً من غير مهلة، فكان ذلك وتسلموا الأسرى وفيهم من كان صغيراً وأسلم وقرأ القرآن واتفقوا على المتاركة والمهلة زمناً مقداره ستة أشهر ورجعوا إلى بلادهم بالظفر والأسرى والأمر لله وحده، ثم أن الجزائرلية اجتهدوا في تعمير ما هدم وتخرب من السور والأبراج والجامع في الحرب وكذلك ما أخربه عساكرهم الذين هم أعدى من الأعداء وأضر ما يكون على الإسلام وأهله وصارت الأخبار بذلك في الآفاق وأمدهم سلطان المغرب مولاي سليمان وبعث إليهم مراكب عوضاً عن الذي تلف من مراكبهم فأرسل إليهم معمرين وأدوات ولوازم عمارات، وكذلك حاكم تونس وغيرها ومن السلطان العثماني أيضاً، و لم يتفق فيما نعلم لأهل الجزائر مثل هذه الحادثة الهائلة ولا أشنع منها، وكانت هذه الواقعة غرة شهر شوال من السنة وهو يوم عيد الفطر وكان عيداً في غاية الشناعة ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وأما من مات في هذه السنة ممن له ذكر مات الشيخ الفهامة والنحرير العلامة الفقيه النحوي الأصولي إبراهيم البسيوني البجيرمي الشيخ الصالح المقتصد الورع الزاهد حضر جل الأشياخ المتقدمين وهو في عداد الطبقة الأولى ودرس وأفاد وانتفع به الطلبة بل غالب الناس كان طارحاً للتكلف متقشفاً مع التواضع والانكسار ملازماً على العبادة مستحضراً للفروع الفقهية والمعقولية والمناسبات الشعرية والشواهد النحوية والأدبية جيداً لحافظة لا تمل مجالسته ومؤانسته، و لم يزل على حالته وإفادته وانجماعه وعفته حتى تمرض وتوفي يوم السبت منتصف المحرم من السنة عن نحو الخمسة وسبعين وصلي عليه بالأزهر في مشهد حافل رحمه الله تعالى وإيانا.

ومات الشيخ العلامة الأصولي الفقيه النحوي على الحصاوي الشافعي نسبة إلى بلدة بالقليوبية تسمى الحصة حضر إلى الجامع الأزهر صغير وحفظ القرآن والمتون، وحضر دروس الأشياخ كالشيخ علي العدوي المنسفيسي الشهير بالصعيدي والشيخ عبد الرحمن النحريري الشهير بالمقري ولازم الشيخ سليمان الجمل وبه تخرج وحضر على الشيخ عبد الله الشرقاوي مصطلح الحديث وكان يحفظ جمع الجوامع مع شرحه للجلال المحلي في الأصول ومختصر السعد ويقرأ الدروس ويفيد الطلبة وكان إنساناً حسناً مهذباً متواضعاً ولا يرى لنفسه مقاماً عاش معانقاً للخمول في جهد وقلة من العيش مع العفة وعدم التطلع لغيره صابراً على مناكدة زوجته وبآخره أصيب بداء الفالج انقطع بسببه أشهراً، ثم انجلى عنه يسيراً مع سلامة حواسه وعاد إلى الإقراء والإفادة، و لم يزل على حسن حاله ورضاه وانشراح صدره وعدم تضجره وشكواه للخلوقين إلى أن توفي في شهر جمادى الثانية سنة إحدى وثلاثين ومائتين وألف رحمه الله وإيانا.

ومات الشيخ العلامة والنحرير الفهامة السيد أحمد بن محمد بن إسماعيل من ذرية السيد محمد الدوقاطي الطهطاوي الحنفي والده رومي حضر إلى أرض مصر متقلداً القضاء بطهطا بلدة بالقرب من أسيوط بالصعيد الأدنى فتزوج بامرأة شريفة فولد له منها المترجم وأخوه السيد إسماعيل، و لم يزل مستوطناً بها إلى أن مات وترك ولديه المذكورين وأختاً لهما حضر المترجم إلى مصر سنة إحدى وثمانين ومائة وألف وكان قد بدأ نبات لحيته بعدما حفظ القرآن ببلده وقرأ شيئاً من النحو فدخل الأزهر ولازم الحضور في الفقه على الشيخ أحمد الحماقي والمقدسي والحريري والشيخ مصطفى الطائي والشيخ عبد الرحمن العريشي

حضر عليه من أول كتاب الدر المختار إلى كتاب البيوع وتمم حضوره على المرحوم الوالد مع الجماعة لتوجسه الشيخ عبد الرحمن لدار السلطنة لبعض المقتضيات عن أمر علي بك في سنة ثلاث وثمانين ومائة وألف فالتمس الجماعة تكملة الكتاب على الوالد فأجابهم لذلك فكانوا يأتون للتلقي عنه في المترل والمترجم معهم وفي أثناء ذلك قرأت مع المترجم عن الوالد متن نور الإيضاح بعد انصراف الجماعة عن الدرس ويتحلف المترجم وذلك لعلو السند فإن الوالد تلقاه عن ابن المؤلف وهو جد الوالد عن المؤلف وجد الوالد والمؤلف يسميان بحسن فهو من عجيب الاتفاق، وكان المترجم يلائم طبع الفقير في الصحبة فكنت معه في غالب الأوقات إما في الجامع أو في المترل للطاقة طبعه وقرب سني من سنه وكان الوالد يرى ذلك ويسألني عنه إذا تخلف في بعض الأحيان ويقول أين رفيقك الصعيدي فكان يعيد معي ويفهمني ما يصعب علي فهمه، و لم يزل يدأب في الاشتغال والطلب مع جودة ذهنه وخلو باله وتفرغه والفقير بخلاف ذلك وتلقى المترجم الحديث سماعاً وإجازة عن كل من الشيخ حسن الجداوي والشيخ محمد الأمير والشيخ عبد العليم للفيومي ثلاثتهم عن الشيخ علي العدوي المنسفيسي عن الشيخ محمد عقيلة بسنده الشمهور والمترشح للإفادة والتدريس، وكان مسكنه بناحية الصليبة وجلس للإقراء بالمدرسة الشيخونية والصرغشمشية احتف به سكان تلك الناحية وأكابرهم واعتنوا بشأنه وأسكونه في دار تليق به وهادوه وواسوه وأكرموه وكانت تلك الناحية عامرة بأكابرها وانفرد المترجم عندهم لكونه على مذهبهم وأصله من جنس الأتراك وخلو تلك النواحي من أهل العلم

وخصوصاً الأحناف وملازمة المترجم للحالة المحمودة من الإفادة مع شرف النفس والتباعد عما يخل بالمروءة إلا ما يأتيه عفواً فازدادت محبتهم له ووثقوا فيما يقضيه، ثم تصدى لوقف الشيخونيتين وإبرادهما واستخلاص أماكنهما وشرع في تعميرهما

وساعده على ذلك كل من كان يحب الإصلاح فجدد عمارة المسجد والتكية وأنشأ بها صهريجاً وفي أثناء ذلك انتقل بأهله إلى دار مايحة بجوار المسجد بالدرب المعروف بدرب الميضاة وقفها بانيها على المسجد كل ذلك والمترجم لم ينقطع عن الحضور إلى الأزهر في كل يوم ويقرأ دروسه أيضاً بالجامع ولما كثرت جماعته انتقل إلى المدرسة العينية بالقرب من الأزهر وملا عمر محمد أفندي الودنلي الجامع المجاور لمترله تجاه القنطرة المعروفة بعمار شاه والمكتب قرر المترجم في درس الحديث بها في كل يوم بعد العصر وقرر له عشرة من الطلبة ورتب للشيخ والطلبة معلوماً وافراً يقبض من الديوان، ولما مات الشيخ إبراهيم الحريري تعين المترجم لمشيخة الحنفية فتقلدها على امتناع منه فاستمر إلى أن أخرج السيد عمر مكرم من مصر منفياً وكتبوا في شأنه

عرضحال إلى الدولة نسبوا إليه فيه أشياء لم تحصل منه وطلبوا الشهادة فيها فامتنع فشنعوا عليه وبالغوا في الحطط عليه وعزلوه من المشيخة وقلدوها الشيخ حسيناً المنصوري، فلما مات المذكور أعيد المترجم إلى مشيخة الحنفية وذلك في غرة شهر صفر سنة ألف ومائتين وثلاثين ولبس الخلع من الشيخ الشنواني شيخ الجامع، ثم من الباشا وباقي المشايخ أرباب المظاهر، و لم يختلف عليه اثنان وفي هذه السنة استأذن الفقير في بناء مقبرة يدفن فيها إذا مات بجوار الشيخ أبي جعفر الطحاوي بالقرافة لكوني ناظراً عليها فأذنت له في ذلك فبنى له قبراً بجانب مقام الأستاذ، ولما توفي دفن فيه وكانت وفاته ليلة الجمعة بعد الغروب خامس عشر شهر رجب سنة إحدى وثلاثين ومائتين وألف وله من المآثر حاشية على الدر المختار شرح تنوير الأبصار في أربع مجلدات جمع فيها المواد

التي في الكتاب وضم إليها غيرها.

ومات النجيب الأريب والنادرة العجب أعجوبة الزمان وبهجة الخلان حسن أفندي المعروف بالدرويش الموصلي، كما أخبر

عن نفسه الذكي الألمعي والسميذع اللوذعي كان إنساناً عجيباً في نفسه مميزاً شهيراً في مصره طاف البلاد والنواحي وجال في الممالك والضواحي واطلع على عجائب المخلوقات وعرف الكثير من الألسن واللغات ويعتزى لكل قبيل ويخالط كل جيل فمرة ينتسب إلى فارس وأخرى إلى بني مكانس فكأنه المعني بما قيل طور إيمان إذا لاقيت ذا يمن وإن رأيت معدياً فعدناني هذا مع فصاحة لسان وقوة جنان والمشاركة في كل فن من الرياضيات والأدبيات حتى يظن سامعه أنه مجيد في ذلك الفن منفرد به وليس الأمر كذلك، وإنما ذلك بقوة الفهم والحفظ وما فيه من القابلية فيستغني بذلك عن التلقي من الأشياخ وأيضاً فقد انقرض أهل الفنون فيحفظ اصطلاحات الفن وأوضاع أهله ويبرزه في ألفاظ ينمقها ويحسنها ويذكر أسماء كتب مؤلفة وأشياخاً وحكماً يقل الاطلاع عليها والوصول إليها ولمعرفته باللغات خالط كل ملة حتى يظن كل أهل ملة أنه واحد منهم ويحفظ كثيراً من الشبه والمدركات العقلية والبراهين الفلسفية وأهمل الواجبات الشرعية والفرائض القطعية وربما قلد كلام الملحدين وشكوك المارقين ويزلق لسانه في بعض المجالس بغلطات من ذلك ووساوس فلذلك طعن الناس عليه في الدين وأخرجوه عن اعتقاد المسلمين وساءت فيه الظنون وكثر عليه الطاعنون وصرحوا بعد موته بما كانوا يخفونه في حياته لاتقاء شره وسطوته، وكان له تداخل عجيب في الأعيان ومع كل أهل دولة وزمان ورؤساء الكتبة والماشرين من الأقباط والمسلمين بالمعزة الزائدة واستجلاب الفائدة لا تمل مجالسته ولا معاشرته وبأخره لما رغب الباشا في إنشاء محل لمعرفة علم الحساب والهندسة والمساحة تعين المترجم رئيساً ومعلماً لمن يكون متعلماً بذلك المكتب وذلك أنه تداخل بتحيلاته لتعليم مماليك الباشا الكتابة والحساب ونحو ذلك ورتب له خروجاً وشهرية ونجب تحت يده بعض المماليك في معرفة الحسابيات ونحوها وأعجب الباشا ذلك فذاكره وحسن له بأن بفرد مكاناً للتعليم ويضم إلى مماليكه من يريد التعليم من أولاد الناس فأمر بإنشاء ذلك المكتب وحضر إليه أشياء من آلات الهندسة والمساحة والهيئة الفلكية من بلاد الإنكلز وغيرهم واستجلب من أولاد البلد ما ينيف على الثمانين شخصاً من الشبان الذين فيهم قابلية التعليم ورتبوا لكل شخص شهرية وكسوة في آخر السنة فكان يسعى في تعجيل كسوة الفقير منهم ليتجمل بها بين أقرانه ويواسي من يستحق المواساة ويشتري لهم الحمير مساعدة لطلوعهم ونزولهم إلى القلعة فيجتمعون للتعليم في كل يوم من الصباح إلى بعد الظهر وأضيف إليه آخر حضر من إسلامبول له معرفة بالحسابيات والهندسيات لتعليم من يكون أعجمياً لا يعرف العربية مساعداً للمترجم في التعليم يسمى روح الدين أفندي فاستمرا نحواً من تسعة أشهر ومات المترجم وذلك أنه اقتصد وطلع إلى القلعة فحنق على بعض المتعلمين وضربه فانحلت الرفادة فسال منه دم كثير فحم حمى مختلطة واستمر أياماً وتوفي ودفن بجامع السراج البلقيني بين السيارج وعند ذلك زاد قول الشامتين وصروحوا بما كانوا يخفونه في حياته فيقول البعض مات رئيس الملحدين وآخر يقول انهدم ركن الزندقة ونسبوا إليه أن عنده الكتاب الذي ألفه ابن الراوندي لبعض اليهود وسماه دافع القرآن وأنه كان يقرؤه ويعتقد به وأخبروا بذلك كتخدا بك فطلب كتبه وتصفحوها، فلم يجدوا بها ذلك الكتاب وما كفى مبغضه وحاسده من الشناعات حتى رأوا له منامات شنيعة تدل على أنه من أهل النار والله أعلم بخلقه وبالجملة فكان غريباً في بابه وكانت وفاته يوم الخميس سابع عشر جمادى الثانية من السنة وانفرد برياسة المكتب روح الدين أفندي المذكور.

ومات الأجل المكرم الشريف غالب بسلانيك وهو المنفصل عن إمارة مكة وجدة والمدينة وما انضاف إلى ذلك من بلاد

الحجاز فكانت إمارته نحواً من سبع وعشرين سنة فإنه تولى بعد موت الشريف سرور في سنة ثلاث ومائتين وألف وكان من دهاة العالم وأخباره ومناقبه تحتاج إلى مجلدين و لم يزل حتى سلك الله عليه بأفاعيله هذا الباشا، فلم يزل يخادعه حتى تمكن منه وقبض عليه وأرسله إلى بلدة سلانيك وخرج من سلطنته وسيادته إلى بلاد الغربة ونهبت أمواله وماتت أولاده وجواريه، ثم مات هو في هذه السنة.

ومات الأمير مصطفى بك دالي باشا ونسيبه أيضاً وكان من أعاظم أركان دولته شهير الذكر موصوفاً بالإقدام والشجاعة ومات بالإسكندرية، ولما وصل خبره إلى الباشا اغتم غماً شديداً وتأسف عليه، وكان الباشا ولاه كشوفية الشرقية وقرن به علي كاشف فأقام بها نحو السنتين ومهد البلاد وأخاف العربان وأذلهم وقتل منهم الكثير وجمع لمخدومه أموالاً جمة، وكان جسيماً بطيناً يأكل التيس المخصي وحده ويشرب عليه الزق من الشراب، ثم يتبعه بشالية أو اثنتين من اللبن ويستلقي نائماً مثل العجل العظيم ذي الخوار إلا أنه كان يقضي حاجة من التجأ إليه ويحب أولاد الناس ويواسيهم يتجاوز عن الكثير ويعطي ما يلزمه من الحقوق لأربابها، ولما تحققت أخته التي هي زوج الباشا وكذلك والدته أمرتا بإحضار رمته إلى مصر ويدفن بمدفنهم وتعين لذلك سليمان آغا السلحدار فسافر إلى الإسكندرية ووضعه في صندوق مزفت على عربية ووصل به بعد اثني عشر يوماً من موته، وكان وصوله في ثاني ساعة من ليلة الجمعة سادس عشرة جمادى الثانية وذهبوا به إلى المدفن في المشاعل من خلف المجراة، فلما وصلوا إلى المدفن أرادوا إنزاله إلى القبر بالصنجوق فلم يمكنهم فكسروا الصندوق فبقت رائحته وقد تهرى فهرب كل من كان حاضراً فكبوه على حصير ولفوه فيه وأنزلوه إلى الحفرة وغشي على الفحارين وخزعت النفوس من رائحة أخشاب الصندوق فحثوا عليه الأتربة وليس من يفتكر ويعتبر.

ومات أيضاً حسن آغا حاكم بندر السويس مطعوناً فولى الباشا عوضه السيد أحمد الملا الترجمان.

ومات أيضاً سليمان آغا حاكم رشيد. ومات الأمير الكبير المشهير بإبراهيم بك المحمدي عين أعيان أمراء الألوف المصريين ومات بدنقلة متغرباً عن مصر وضواحيها وهو من مماليك محمد بك أبي الذهب تقلد الأمرة والإمارة في سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف في أيام علي بك الكبير وتقلد مشيخة البلد ورياسة مصر بعد موت أستاذه في سنة تسع وثمانين ومائة وألف مع مشاركة خشداشه مراد بك وباقي أمرائهم والجميع راضون برياسته وإمارته لا يخالفهم ولا يخالفونه ويراعي جانب الصغير منهم قبل الكبير ويحرص على جمعية أمرهم وألفة قلوبهم فطالت أيامه وتولى قائم مقامية مصر على الوزراء نحو العشرة مرار وطلع أميراً على الحج سنة ست وثمانين، وتولى الدفتردارية في سنة سبع وثمانين وكلاهما في حياة أستاذه واشترى المماليك الكثيرة ورباهم وأعتقهم وأمر وقلد منهم صناجق وكشافاً وأسكنهم الدور الواسعة وأعطاهم الإقطاعات ومات الكثير منهم في حياته وأقام خلافهم من مماليكه ورأى أولاد أولاده بل وأولادهم وما زال يولد له وأقام في الإمارة نحو ثمان وأربعين سنة وتنعم فيها وقاسى في أواخر أمره شدائد واغتراباً عن الأهل والأوطان وكان موصوفاً بالشجاعة والفروسية وباشر عدة حوب وكان ساكن الجأش صبوراً ذا تؤدة وحلم قريباً للانقياد للحق متجنباً للهزل إلا نادراً مع الكمال والحشمة لا يحب سفك الدماء مرخصاً لخشداشينه في أفاعيلهم كثير الغافل عن مساويهم مع معارضتهم له في كثير من الأمور وخصوصاً مراد بك وأتباعه فيغضي ويتجاوز ولا يظهر غماً ولا خلافاً ولا تأثراً حرصاً على دوام الألفة وعدم المشاغبة وإن حدث فيما بينهم ما يوجب

وحشة تلافاه وأصلحه وكان هذا الإهمال والترخص والتغافل سبباً لمبادئ الشرور فإنهم تمادوا في التعدي وداخلهم الغرور وغمرتهم الغفلة عن عواقب الأمور واستصغروا من عداهم وامتدت أيديهم لأخذ أموال التجار وبضائع الإفرنج الفرنساوية وغيرهم بدون الثمن مع الحقارة لهم ولغيرهم وعدم المبالاة والاكتراث بسلطانهم الذي يدعون أنهم في طاعته مع مخالفة أوامره ومنع خزينته واحتقار الولاة ومنعهم من التصرف والحجر عليهم فلا يصل للمولى عليهم إلا بعض صدقاتهم إلى أن تحرك عليهم حسن باشا الجزائرلي في سنة مائتين وألف وحضر على الصورة التي حضر فيها وساعدته الرعية وخرجوا من المدينة إلى الصعيد وانتهكت حرمتهم، ثم رجعوا بعد الفصل في سنة ست ومائتين إلى إمارتهم ودولتهم وعادوا إلى حالتهم الأولى بل وأزيد منها في التعدي فأوجب ذلك ركوب الفرنساوية عليهم، و لم يزل الحال يتزايد والأهوال يتلو بعضها بعضاً حتى انقلبت أوضاع الديار المصرية وزالت حرمتها بالكلية وأدى الحال بالمترجم إلى الخروج والتشتيت والتشريد هو ومن بقي من عشيرته إلى بلاد العبيد يزرعون الدخن ويتقوتون منه وملابسهم القمصان التي يلبسها الجلابة في بلادهم إلى أن وردت الأخبار بموته في شهر ربيع الأول من السنة وأما جملة أخباره فقد تقدمت في ضمن السوابق والماجريات واللواحق.

ومات الأمير الأجل أحمد آغا الخازندار المعروف ببونابارته وهو أيضاً شهير الذكر من أعاظم الدولة، وقد تقدم كثير من أخباره وسفره إلى الحجاز وكان عمر داراً عظيمة على بركة الأزبكية جهة الرويعي، ثم عمل مهماً كبيراً لزواج ابنه وهو إذ ذاك مريض في حياض الموت حتى أشيع في الناس يوم زفة العروس، ثم مات بعد أيام قليلة مضت على الفرح وذلك يوم الأربعاء ثالث شهر جمادى الثانية.

وماتت الست الجليلة خاتون وهي سرية علي بك بلوط قبان الكبير وكانت محظيته وبنى لها الدار العظيمة على بركة الأزبكية بدرب عبد الحق والساقية والطاحون بجانبها ولما مات علي بك وتأمر مراد بك فتزوج بها وعمرت طويلاً مع العز والسيادة والكلمة النافذة وأكثر نساء الأمراء من جواريها و لم يأت بعد الست شويكار من اشتهر ذكره وخبره سواها، وكان أيام الفرنساوية واصطلح معهم مراد بك حصل لها منهم غاية الكرم ورتبوا لها من ديوانهم في كل شهر مائة ألف نصف فضة وشفاعتها عندهم مقبولة لا ترد بالجملة فإنها كانت من الخيرات ولها على الفقراء بر وإحسان ولها من المآثر الخان الجديد والصهريج داخل باب زويلة توفيت يوم الخميس لعشرين من شهر جمادى الأولى بمنزلها المذكور بدرب عبد الحقودفنت بحوشهم في القرافة الصغرى بجوار الإمام الشافعي وأضيفت الدار إلى الدولة وسكنها بعض أكابرها وسبحان الحي الذي لا يموت.

ومات المقر الكريم المخدوم أحمد باشا الشهير بطوسون ابن حضرة الوزير محمد علي باشا مالك الأقاليم المصرية والحجازية والثغور وما أضيف إليها، وقد تقدم ذكر رجوعه من البلاد الحجازية وتوجهه إلى الإسكندرية ورجوعه إلى مصر، ثم عوده إلى ناحية رشيد وعرضى خيامه جهة الحماد بالعسكر على الصورة المذكورة وهو ينتقل من العرضي إلى رشيد، ثم إلى برنبال وأبي منضور والعزب، ولما رجع في هذه المرة أخذ صحبته من مصر الغنين وأرباب الآلات المطربة بالعود والقانون والناي والكمنجات وهم إبراهيم الوراق والحباني وقشوة ومن يصحبهم من باقي رفقائهم فذهب ببعض خواصه إلى رشيد ومعه

الجماعة المذكورون فأقام أياماً وحضر إليه من جهة الروم جوار وغلمان أيضاً رقاصون فانتقل بهم إلى قصر برنبال ففي ليلة حلوله بها نزل به ما نزل من المقدور فتمرض بالطاعون وتململ نحو عشر ساعات وانقضى نحبه وذلك ليلة الأحد سابع شهر القعدة وحضر خليل أفندي قوللي حاكم رشيد وعندما خرجت روحه انتفخ جسمه وتغير لونه إلى الزرقة فغسلوه وكفنوه ووضعوه في صندوق من الخشب ووصلوا به في السفينة منتصف ليلة الأربعاء عاشره، وكان والده بالجيزة، فلم يتجاسروا على إخباره فذهب إليه أحمد آغا أخو كتخدا بك، فلما علم بوصوله ليلاً استنكر حضوره في ذلك الوقت فأخبره عنه أنه ورد إلى شبرا متوعكاً فركب في الحين القنجة وانحدر إلى شبرا وطلع إلى القصر وصار يمر بالمخادع ويقول أين هو، فلم يتجاسر أحد أن يصرح بموته وكانوا ذهبوا به وهو في السفينة إلى بولاق ورسوا به عند الترسخانة وأقبل كتخدا بك على الباشا فرآه يبكي فانزعج انزعاجاً شديداً وكاد أن يقع على الأرض ونزل السفينة فأتى بولاق آخر الليل وانطلقت الرسل لإخبار الأعيان فركبوا بأجمعهم إلى بولاق، وحضر القاضي والأشياخ والسيد المحروقي، ثم نصبوا تظلك ساتراً على السفينة وأخرجوا الناووس والدم والصديد يقطر منه وطلبوا القلافطة لسد خروقه ومنافسه ونصبوا عوداً عند رأسه ووضعوا عليه تاج الوزارة المسمى بالطلخان وانجروا بالجنازة من غير ترتيب والجميع مشاة أمامه وخلفه وليس فيها من جوقات الجنائز المعتادة كالفقهاء وأولاد الكتاتيب والأحزاب شيء من ساحل بولاق على طريق المدابغ وباب الخرق على الدرب الأحمر على التبانة إلى الرميلة فصلوا عليه بمصلى المؤمنين وذهبوا به إلى المدفن الذي أعده الباشا لنفسه ولموتاه كل هذه المسافة ووالده خلفه ينظر إليه ويبكي ومع الجنازة أربعة من الحمير تحمل القروش وربعيات الذهب ودراهم أنصاف عددية ينثرون صبها على الأرض وعلى الكيمان وعن يمين الكتخدا ويساره شخصان يتناول منهما قراطيس الفضة يفرق على من يعترض له من الفقراء والصبيان فإذا تكاثروا عليه نثر ما بقي في يده عليهم فيشتغلون عنه بالتقاطها من الأرض، فكان جملة ما فرق وبدر من الأنصاف العددية فقط خمسة وعشرين كيساً عنها خمسمائة ألف فضة وذلك خلاف القروش وساقوا أما الجنازة ستة رؤوس من الجواميس الكبار أخذ منها خدمة التربة ومن حولهم وخدمة ضريح الإمام الشافعي، ولم ينل الفقراء إلا ما فضل عنهم وأخرجوا لإسقاط صلاة المتوفي خمسة وأربعين كيساً تناولها فقراء الأزهر وفرقت بجامع الفاكهاني بحسب الأغراض للغني منهم أضعاف قسم الفقير وأكثر الفقراء من الفقهاء، لم ينالوا ولا القليل، ولما وصلوا إلى المدفن هدموا التربة وأنزلوه فيها بتابوته الخشب لتعسر إخراجه منه بسبب انتفاخه وتهربه حتى أنهم كانوا يطلقون حول تابوته البخورات في المجامر الذهب والرائحة غالبة على ذلك وليس، ثم من يتعظ أو يعتبر، ولما مات لم يخبروا والدته بموته إلا بعد دفنه فجزعت عليه جزعاً شديداً ولبست السواد، وكذلك جميع نسائهم وأتباعهم وصبغوا براقعهم بالسواد والزرقة، وكذلك من ينافقهم من الناس حتى لطخوا أبواب البيوت ببولاق وغيرها بالوحل وامتنع الناس بالأمر عليهم من عمل الأفراح ودق الطبول مطلقاً ونوبة الباشا وإسمعيل باشا وطاهر باشا حتى ما يفعله دراويش المولوية في تكاياهم عند المقابلة من الناي والطبل أربعين يوماً وأقاموا عليه العزاء عند القبر وعدة من الفقهاء والمقرئين يتناوبون قراءة القرآن مدة الأربعين يوماً ورتبوا لهم ذبائح ومآكل وكل ما يحتاجونه، ثم ترادفت عليهم العطايا من والدته وأخواته والواردين من أقاربه وغيرهم على حد

قول القائل مصائب قوم عنج قوم فوائد ومات وهو مقتبل الشبيبة لم يبلغ العشرين، وكان أبيض جسيماً كما قد دارت لحيته بطلاً شجاعاً جواجاً له ميل لأولاد العرب منقاداً لملة الإسلام ويعترض على أبيه في أفعاله تخافه العسكر وتهابه ومن اقترف ذنباً

صغيراً قتله مع إحسانه وعطاياه للمنقاد منهم ولأمرائه ولغالب الناس إليه ميل وكانوا يرجون تأمره بعد أبيه ويأبى الله إلا ما يريد.

ومات الوزير المعظم يوسف باشا المنفصل عن إمارة الشام وحضر إلى مصر من نحو ثلاث سنوات هارباً وملتجئاً إلى حاكم مصر وذلك في أواخر سنة سبع وعشرين ومائتين وألف وأصله من الأكراد الدكرلية وينسب إلى الأكراد الملية وابتداء أمره بإخبار من يعرفه أنه هرب من أهله وعمره إذا ذاك خمس عشرة سنة فوصل إلى حماة وتعاطى بيع الحشيش والسرجين والروث، ثم خدم عند رجل يسمى ملا حسين مدة سنين إلى أن ألبسه قلبق ثم خدم بعده ملا إسماعيل بلكتاش وتعلم الفروسية والرماحة فلعب يوماً في القمار وخسر فيه وخاف على نفسه فخرج هارباً إلى عمر آغا باسيلي من إشراقات إبراهيم باشا المعروف بالأزدن فتوجه معه إلى غزة، وكان مع المترجم جواد أشقر من جياد الخيل فقلد علي آغا متسلم غزة عمر آغا المذكور وجعله دالي باشا، ففي بعض الأيام طلب المتسلم من المترجم الجواد فقال له إن قلدتني دالي باشا قدمته لك فأجابه إلى ذلك وعزل عمر آغا وقلد المترجم المنصب عوضاً عنه وامتنع من إعطائه ذلك الجواد وأقام في خدمته فوصل مرسوم من أحمد باشا الجزار خطاباً للمترجم بالقبض على المتسلم وإحضاره إلى طرفه وإن فعل ذلك ينعم عليه بمبلغ خمسين كيساً ومائة بيرق ففعل ذلك وأوقع القبض على علي آغا المتسلم وتوجع إلى عكا بلدة الجزار فقال المتسلم للمترجم في أثناء الطريق تعلم أن الجزار رجل سفاك دماء فلا توصلني إليه وإن كان وعدك بمال أنا أعطيك أضعافه وأطلقني أذهب حيث شاء الله ولا تشاركه في دمي، فلم يجبه إلى ذلك وأوصله إلى الجزار فحبسه، ثم قتله ورماه في البحر وأقام المترجم بباب الجزار أياماً، ثم أرسل إليه يأمره بالذهاب إلى حيث يريد فإنه لا خير فيه لخيانته لمخدومه فذهب إلى حماة وأقام عند آغاته إسماعيل آغا وهو متول من طرف عبد الله باشا المعروف بابن العظم فأقام في خدمته كلارجي زمناً نحو الثلاث سنوات وكان بين عبد الله باشا وأحمد باشا الجزار عداوة فتوجه عبد الله باشا إلى الدورة فأرسل الجزار عساكره ليقطع عليه الطريق فسلك طريقاً أخرى، فلما وصل إلى جنيني وهي مدينة قريبة من بلاد الجزار وجه الجزار عساكره عليه، فلما تقارب العسكران وتسامعت أهل النواحي امتنعوا من دفع الأموال فما وسع عبد الله باشا إلا الرحيل وتوجه إلى ناحية نابلس مسافة يومين وحاصر بلدة تسمى صوفين وأخذ مدافع من يافا وأقام محاصراً لها ستة أيام، ثم طلبوا الأمان فأمنهم ورحل عنهم إلى طرف الجبل مسيرة نصف ساعة وفرق عساكره لقبض أموال الميري من البلاد وأقام هو في قلة من العسكر فوصل إليه خيال وقت العصر في يوم من الأيام يخبره بوصل عساكر الجزار وأنه لك يكن بينه وبينهم إلا نصف ساعة وهم خمسة آلاف مقاتل فارتبك في أمره وأرسل إلى النواحي فحضر إليه من حضروهم نحو الثلاثمائة خيال وهو بدائرته نحو الثمانين فأمر بالركوب، فلما تقربا هاله كثرة عساكر العدو وأيقنوا الهلاك فتقدم المترجم إلى العسكر وأشار عليه و بالثبات وقال لهم لم يكن غير ذلك فإننا إن فررنا هلكنا عن آخرنا وتقدم المترجم مع آغاته ملا إسماعيل وتبعهم العسكر وولجوا أوسط خيل العدو وصدقوا الحملة جملة واحدة فحصلت في العدو الهزيمة وركبوا أقفيتهم وتبعهم المترجم حتى حال الليل بينهم فرجعوا برؤوس القتلى والقلائع، فلما أصبح النهار عرضوها على الوزير وهي نحو الألف رأس وألف قليعة فخلع عليهم وشكرهم وارتحلوا إلى دمشق وذهب المترجم مع آغاته إلى مدينة حماة واستمر هناك إلى أن حضر الوزير الأعظم يوسف باشا المعروف بالمعدن إلى دمشق بسبب الفرنساوية ففارق المترجم مخدومه في نحو السبعين خيالاً

وجعل يدور بأراضي حماة بطالاً ويقال له قيس فيراسل الجزار لينضم إليه، وكان الجزار عند حضور الوزير انفصل حكمه عن دمشق ووجه ولايتها إلى عبد الله باشا العظم، فلما بلغ المترجم ذلك توجه إلى لقاء عبد الله باشا بالمعرة فأكرمه عبد الله باشا وقلده دالي باشا كبيراً على جميع الخيالة حتى على آغاته ملا إسماعيل وأقام بدمشق مدة إلى أن حاصر عبد الله باشا مدينة طرابلس فوصل إليه الخبر بأن عساكر الجزار استولوا على دمشق وبلادها فركب عبد الله باشا ، وذهب إلى دمشق ودخلها بالسيف ونصب عرضيه خارجها فوصل خبر ذلك إلى الجزار فكاتب عساكر عبد الله باشا يستميلهم لأن معظمهم غرباء فاتفقوا على خيانته والقبض عليه وتسليمه

إلى الجزار، وعلم ذلك وثبته فركب في بعض مماليكه وخاصته إلى وطاق المترجم وهو إذ ذاك دالي باشا وأعلمه الخبر وأنه يريد النجاة بنفسه فركب بمن معه وأخرجه من بين العسكر قهراً عنهم وأوصله إلى شول بغداد، ثم ذهب على الهجن إلى بغداد ورجع المترجم إلى حماة فقبل وصوله إليها ورد عليه مرسوم الجزار يستدعيه فذهب إليه فجعله مقدم ألف وقلده باش الجردة فسافر إلى الحجاز بالملاقاة، وكان أمير الحاج الشامي إذ ذاك سليمان باشا عوضاً عن مخدومه أحمد باشا الجزار، فلما حصلوا في نصف الطريق وصلهم خبر موت الجزار فرجع يوسف المترجم إلى الشام واستولى إسماعيل باشا على عكا وتوجه منصب ولاية الشام إلى إبراهيم باشا المعروف بقطر آغاسي أي آغات البغال وفي فرمان ولايته الأمر بقطع رأس إسماعيل باشا وضبط مال الجزار فذهب المترجم بخيله وأتباعه إلى إبراهيم باشا وخدم عنده وركب إلى عكا وحصروها وحطا في أرض الكرداني مسيرة ساعة من عكا وكانت الحرب بينهم سجالاً وعساكر إسماعيل باشا نحو العشرة آلاف والمترجم يباشر الوقائع وكل وقعة يظهر فيها على الخصم ففي يوم من الأيام لم يشعروا إلا وعسكر إسماعيل باشا نافذ إليهم من طريق أخرى فركب المترجم وأخذ صحبته ثلاثة مدافع وتلاقى معهم وقاتلهم وهزمهم إلى أن حصرهم بقرية تسمى دعوق، ثم أخرجهم بالأمان إلى وطاقه وأكرمهم وعمل لهم ضيافة ثلاثة أيام، ثم أرسلهم إلى عكا بغير أمر الوزير، ثم توجه إبراهيم باشا إلى الدورة وصحبته المترجم وتركوا سليمان باشا مكانهم وخرج إسماعيل باشا من عكا وأغلقت أبوابها فاتفقت عساكره وقبضوا عليه وسلموه إلى إبراهيم باشا، فعند ذلك برز أمر إبراهيم باشا بتسليم عكا إلى سليمان باشا وذهب بالمرسوم المترجم فأدخله إليها ورجع إلى مخدومه وذهب معه إلى الدورة، ثم عاد معه إلى الشام وورد الأمر بعزل إبراهيم باشا عن الشام وولاية عبد الله باشا المعروف بالعظم على يد باشت بغداد فخرج المترجم لملاقاته من على حلب فقلده دالي باشا على جميع العسكر، فلما وصل إلى الشام ولاه على حوران وإربد والقنيطرة ليقبض أموالها فأقام نحو السنة، ثم توجه صحبة الباشا مع الحج وتلاقوا مع الوهابية في الجديدة فحاربهم المترجم وهزمهم وحجوا واعتمروا ورجعوا ومكثوا إلى السنة الثانية، فخرج عبد الله باشا بالحج وأبقى المترجم نائباً عنه بالشام، فلما وصل إلى المدينة المنورة منعه الوهابيون ورجع من غير حج ووصل خبر ذلك إلى الدولة فورد الأمر بعزل عبد الله باشا عن ولاية الشام وولاية المترجم على الشام وضواحيها فارتاعت النواحي والعربان وأقام السنة، ولم يخرج بنفسه إلى الحج بل أرسل ملا حسن عوضاً عنه فمنع أيضاً عن الحج، فلما كانت القابلة انفتح عليه أمر الدورة وعصى عليه بعض البلاد فخرج إليها وحاصر بلدة تسمى كردانية، ووقع له فيها مشقة كبيرة إلى أن ملكها بالسيف وقتل أهلها، ثم توجه إلى جبل نابلس وقهرهم وجبى منهم أموالاً عظيمة، ثم رجع إلى الشام واستقام أمره وحسنت سيرته وسلك طريق العدل في الأحكام وأقام الشريعة والسنة وأبطل البدع والمنكرات واستتاب الخواطيء وزوجهن وطفق يفرق الصدقات على الفقراء وأهل العلم والغرباء

وابن السبيل وأمر بترك الإسراف في المآكل والملابس وشاع خبر عدله في النواحي ولكن ثقل ذلك على أهل البلاد بترك مألوفهم ثم إنه ركب إلى بلاد النصيرية وقاتلهم وانتصر عليهم وسبى نساءهم وأولادهم وكان خيرهم بين الدخول في الإسلام أو الخروج من بلادهم فامتنعوا وحاربوا وانخذلوا وبيعت نساؤهم وأولادهم، فلما شاهدوا ذلك أظهروا الإسلام تقية فعفا عنهم وعمل بظاهر الحديث وتركهم ورحل عنهم إلى طرابلس وحاصرها بسبب عصيان أميرها بربر باشا على الوزير وأقام محاصراً لها عشرة أشهر حتى ملكها واستولى على قلعتها ونهبت منها أموال التجار وغيرهم ثم ارتحل إلى دمشق وأقام بها مدة فطرقه خبر الوهابية أنهم حضروا إلى المزيريب فبادر مسرعاً وخرج إلى لقائهم فلما وصل إلى المزيريب وجدهم قد ارتحلوا من غير قتال فأقام هناك أياماً فوصل إليه الخبر بأن سليمان باشا وصل إلى الشام وملكها فعاد مسرعاً إلى الشام وتلاقى مع عسكر سليمان باشا وتحارب العسكران إلى المساء وبات كل منهم في محله ففي نصف الليل في غفلتهم والمترجم نائم وعسكره أيضاً هامدة فلم يشعروا إلا وعساكر سليمان

باشا كبستهم فحضر إليه كتخداه وأيقظه من منامه وقال له إن لم تسرع وإلا قبضوا عليك فقام في الحين وخرج هارباً وصحبته ثلاثة أشخاص من مماليكه فقط ونهبت أمواله وأرزاقه وزالت عنه سيادته في ساعة واحدة و لم يزل حتى وصل إلى حماه فلم يتمكن من الدخول إليها ومنعه أهلها عنها وطردوه فذهب إلى سيجر وارتحل منها إلى بلدة يعمل بها البارود ومنها إلى بلدة تسمى ريمة ونزل عند سعيد آغا فأقام عنده ثلاثة أيام ثم توجه إلى نواحي أنطاكية بصحبته جماعة من عند سعيد آغا المذكور ثم إلى السويدة و لم يبق معه سوى فرس واحد ثم أنه أرسل إلى محمد علي باشا صاحب مصر واستأذنه في الحضور إلى مصر فكاتبه بالحضور إليه والترحيب به فوصل إلى مصر في التاريخ المذكور فلاقاه صاحب مصر وأكرمه وقدم إليه خيولاً وقماشاً ومالاً وأنزله بدار واسعة بالأزبكية ورتب له خروجاً زائدة من لحم وخبز وسمن وأرز وحطب وجميع اللوازم المحتاج إليها وأنعم عليه بجوار وغير ذلك وأقام بمصر هذه المدة وأرسل في شأنه الدولة وقبلت شفاعة محمد علي باشا فيه ووصله العفو والرضا ما عدا ولاية الشام وحصلت فيه علة ذات الصدر فكن يظهر به شبه السلعة مع الفواق بصوت يسمعه من يكون بعيداً عنه ويذهب إليه جماعة الحكماء من الإفرنج وغيرهم ويطالع من كتب الطب مع بعض الطلبة من المجاورين فلم ينجع غيه علاج وانتقل إلى قصر الآثار بقصد تبديل الهواء و لم يزل مقيماً هناك حتى اشتد به المرض ومات في ليلة السبت العشرين من شهر ذي القعدة وحملت جثته من الآثار إلى القرافة من ناحية الخلاء ودفن بالحوش الذي أنشأه الباشا وأعده لموتاه وكانت مدة إقامته بمصر نحو ستة سنوات فسبحان الحي الذي لا يموت الدائم الملك السلطان.

ودخلت سنة اثنتين وثلاثين ومائتين وألف

واستهل المحرم بيوم الخميس

وحاكم مصر والمتولي عليها وعلى ضواحيها وثغورها من حد رشيد ودمياط إلى أسوان وأقصى الصعيد واسكاسة القصير والسويس وساحل القلزم وجدة ومكة والمدينة والأقطار الحجازية بأسرها محمد علي باشا القوللي ووزيره وكتخداه محمد آغا لاظو والدفتدار محمد بك صهر الباشا وزوج ابنته وآغات الباب إبراهيم آغا ومدبر أمور البلاد والأطيان والرزق والمساحات وقبض الأموال الميرية وحساباتها ومصاريفها محمود بك الخازندار والسلحدار سليمان آغا حاكم الوجه القبلي محمد بك الدفتردار صهر الباشا عوض إبراهيم باشا ولد الباشا لانفصاله عن إمارة الوجه القبلي وسفره إلى الحجا أنفار لمحاربة الوهابيين وباقي أمراء الدولة مثل عابدين بك وإسماعيل باشا ابن الباشا وخليل باشا وهو الذي كان حاكم الإسكندرية سابقاً وشريف آغا وحسين بك دالي باشا وحسين بك الشماشرجي وحسن بك الشماشرجي الذي كان حاكماً بالفيوم وغير هؤلاء وحسن آغا آغات الينكجرية وعلي آغا الوالي وكاتب الروزنامه مصطفى أفندي وحسن باشا بالديار الحجازية وشاه بندر التجار السيد محمد المحروقي وهو المتعين لمهمات الأسفار وقوافل العربان ومخاطباتهم وملاقاة الأخبار الواصلة من الديار الحجازية والمتوجه إليها وأجر المحمول وشحنة السفن ولوازم الصدارين والواردين والمنتجعين والمقيمين والراحلين والمتعهد بجميع فرق القبائل والعشير وغوائلهم ومحاكماتهم وأرغابهم وإرهابهم وسياستهم على اختلاف أخلاقهم وطباعهم وهو المتعين أيضاً لفصل قضايا التجار والباعة وأرباب الحرف البلدية وفصل خصوماتهم ومشاجرتهم وتأديب المنحرفين منهم والنصابين وبعوثات الباشا ومراسلاته ومكاتباته وتجاراته وشركاته وابتداعاته واجتهاده في تحصيل الأموال من كل وجه وأي طريق ومتابعة توجيه السرايا والعساكر والذخائر إلى نواحي الحجاز للآغارة على بلاد الوهابية وأخذ الدرعية مستمر لا ينقطع والعرضي منصوب خارج باب النصر وباب الفتوح وإذا ارتحلت طائفة خرجت أخرى مكانها.

وفيه، سومحت أرباب الحرف والباعة والزياتون والجزارون والخضرية والخبازون ونحوهم من المسانهات والمشاهرات واليوميات الموظفة عليهم للمحتسب ونودي برفعها أما المحتسب في الأسواق وعوض المحتسب عنها خمسة أكياس كل شهر يستوفيها من الخزينة وعملوا تسعيراً بترخيص أسعار المبيعات بدلاً عما كانوا يعرفونه للمحتسب من غير مراعاة النسبة والمعادلة في غالب الأصناف فإن العادة عند إقبال وجود الفاكهة أو الخضروات تباع بأغلى ثمن لعزتها وقلتها حينئذ وشهوة الطباع واشتياق النفوس لجديد الأشياء وزهدها في القديم الذي تكرر استعماله وتعاطيه كما يقال لكل جديد لذة فلم يراعوا ذلك و لم ينظروا في أصول الأشياء أيضاً فإن غالب الأصناف داخل في المحتكرات وزيادة المكوس الحادثة في هذه السنين وما يضاف إلى ذلك من طمع الباعة والسوقة وغشهم وقبحهم وعدم ديانتهم وخبث طباعهم فلما نودي بذلك وسمع الناس رخص المبيعات ظنوا بغفلتهم حصول الرخاء ونزلوا على المبيعات مثل الكلاب السعرانة وخطفوا ما كان بالأسواق بموجب التسعيرة من اللحم وأنواع الخضروات والفاكهة والأدهان فلما أصبح اليوم الثاني لم يوجد بالأسواق في شيء من ذلك وأغلقت الفاكهانية

حوانيتهم وأخفوا ما عندهم وطفقوا يبيعونه خفية وفي الليل بالثمن الذي يرتضونه والمحتسب يكثر الطواف بأسواق ويتجسس عليهم ويقبض على من أغلق حانوته أو وجدها خالية أو عثر عليه أنه باع بالزيادة وينكل بهم ويسحبهم مكشوفين الرؤس مشنوقين وموثقين بالحبال ويضربهم ضرباً مؤلماً ويصلبهم بمفارق الطرق مخزومين الأنوف ومعلق فيها النوع المزاد في ثمنه فلم يرتجعوا عن عادتهم ثم أن هذه المناداة والتسعيرة ظاهرها الرفق بالرعية ورخص الأسعار وباطنها المكر والتحيل والتوصل لما سيظهر بعد عن قريب وذلك أن ولي الأمر لم يكن له من الشغل إلا صرف همته وعقله وفكرته في تحصيل المال والمكاسب وقطع أرزاق المسترزقين والحجر والاحتكار لجميع الأسباب ولا يتقرب إليه من يريد قربه إلا بمساعدته على مراداته ومقاصده ومن كان بخلاف ذلك فلا حظ له معه مطلقاً ومن تجاسر عليه من الوجهاء بنصح أو فعل مناسب ولو على سبيل التشفع حقد عليه وربما أقصاه وأبعده وعاداه معاداة من لا يصفو أبداً وعرفت طباعه وأخلاقه في دائرته وبطانته فلم يمكنهم إلا الموافقة والمساعدة في مشروعاته إما رهبة أو خوفاً على سيادتهم ورياستهم ومناصبهم إما رغبة أو طمعاً وتوصلاً للرياسة والسيادة وهم الأكثر وخصوصاً أعداء الملة من نصارى الأرمن وأمثالهم الذين هم الآن أخصاء لحضرته ومجالسته وهم شركاؤه في أنواع المتاجر وهم أصحاب الرأي والمشورة وليس لهم شمل ودرس إلا فيما يريد حظوتهم ووجاهتهم عند مخدومهم وموافقة أغراضه وتحسين مخترعاته وربما ذكروه ونبهوه على أشياء تركها أو غفل عنها من المبتدعات وما يتحصل منها من المال والمكاسب التي يسترزقها أرباب تلك الحرفة لمعاشهم ومصاريف عيالهم ثم يقع الفحص على أصل الشيء وما يتفرع منه وما يؤول إذا أحكم أمره وانتظم ترتيبه وما يتحصل منه بعد التسعير الذي يجعلونه مصاريف الكتبة والمباشرين أبرزت مباديه في قالب العدل والرفق بالرعية ولما وقع الالتفات إلى أمر المذابح والسلخانة وما يتحصل منها وما يكتسبه الموظفون فيها فأول ما بدؤا به إبطال جميع المذابح التي بجهات مصر والقاهرة وبولاق خلاف السلخانة السلطانية التي خارج الحسينية وتولى رياستها شخص من الأتراك ثم سعرت هذه التسعيرة فجعل الرطل الذي يبيعه القصاب بسبعة أنصاف فضة وثمنه على القصاب من المذبح ثمانية أنصاف ونصف وكان يباع قبل هذه التسعيرة بالزيادة الفاحشة فحش وجود اللحم وأغلقت حوانيت الجزارين وخسروا في شراء الأغنام وذبحها وبيعها بهذا السعر وأنهي أمر شحة اللحم إلى ولي الأمر وأن ذلك من قلة المواشي وغلو أثمان مشترواتها على الجزارين وكثرة رواتب الدولة والعساكر وأشيع أنه أمر بمراسيم إلى كشاف الأقاليم قبلي وبحري لشراء الأغنام من الأرياف لخصوص رواتبه ورواتب العسكر والخاصة وأهل الدولة ويترك ما يذبحه جزار والمذبح لأهل البلدة وعند ذلك ترخص الأسعار ثم تبين خلاف ذلك وأن هذه الإشاعة توطئة وتقدمة لما سيتلى عن قريب.

وفي منتصفه، وصلت أغنام وعجول وجواميس من الأرياف هزيلة وازدادت بإقامتها هزالاً من الجوع وعدم مراعاتها فذبحوا منها المذابح أقل من المعتاد وزعت على الجزارين فيخص الشخص منهم الاثنان أو الثلاثة فعندما يصل إلى حانوته وهو مثل الحرامي فيتخاطفها العساكر التي بتلك الخطة وتزدحم الناس فلا ينوبهم شيء وتذهب في لمح البصر ثم امتنع وجودها واستمر الحال والناس لا يجدون ما يطبخونه لعيالهم وكذلك امتنع وجود الخضراوات فكان الناس لا يحصلون القوت إلا بغاية المشقة واقتاتوا بالفول المصلوق والعدس والبيصار ونحو ذلك وانعدم وجود السمن والزيت والشيرج وزيت البزر وزيت القرطم لاحتكارها لجهة الميري وأغلقت المعاصر والسيارج وامتنع وجود الشمع والعسل والشمع المصنوع من الشحم لاحتكار الشحم

والحجز على عمال الشمع فلا يصنعه الشماعون ولا غيرهم ونودي على بيع الموجود منه بأربعة وعشرين نصفاً وكان يباع بثلاثين وأربعين فأخفوه وطفقوا يبيعونه خفية بما أحبوا وانعدم وجود بيض الدجاج لجعلهم العشرة منه بأربعة أنصاف وكان قبل المناداة اثنان بنصف وكل ذلك والمحتسب يطوف بالأسواق ويشدد على الباعة ويؤلمهم بالضرب والتجريس وفقد وجود الدجاج فلا يكاد يوجد بالأسواق دجاجة لأنه نودي على الدجاجة باثني عشر نصفاً وكان الثمن عنها قبل ذلك خمسة وعشرين فأكثر.

واستهل شهر صفر الخير سنة 1232

فيه حضر المعلم غالي من الجهة القبلية ومعه مكاتبات من محمد بك الدفتردار الذي تولى إمارة الصعيد عوضاً عن إبراهيم باشا ابن الباشا الذي توجه إلى البلاد الحجازية لمحاربة الوهابية يذكر فيها نصح المعلم غالي وسعيه في فتح أبواب تحصيل الأموال للخزينة وأنه ابتكر شيء وحسابات يتحصل منها مقادير كثيرة من المال فقوبل بالرضا والإكرام وخلع عليه الباشا واختص به وجعله كاتب سره ولازم خدمته وأخذ فيما ندب إليه وحضر لأجله التي منها حسابات جميع الدفاتر وأقلام المبتدعات ومباشريها وحكام الأقاليم.

وفيه، تجردت عدة عساكر أتراك ومغاربة إلى الحجاز وصحبتهم أرباب صنائع وحرف.

وفيه، أرسل الباشا إلى بندر السويس أخشاباً وأدوات عمارة وبلاط كذان وحديداً وصناعاً بقصد عمارة قصر لخصوصه إذا نزل هناك.

واستهل شهر ربيع الأول سنة 1232

فيه شحت المبيعات والغلال والأدهان وغلا سعر الحبوب وقل وجودها في الرقع والسواحل فكان الناس لا يحصلون شيئاً منها إلا بغاية المشقة.

وفيه، عزل الباشا حكام الأقاليم والكشاف ونوابهم وطلبهم للحضور وأمر بحسابهم وما أخذوه من الفلاحين زيادة على ما فرضه لهم وأرسل من قبله أشخاصاً مفتشين للفحص والتجسس على ما عسى يكون أخذوه منهم من غير ثمن فأخذوا يقررون المشايخ والفلاحين ويحررون أثمان مفرق الأشياء من غنم أو دجاج أو تبن أو عليق أو بيض أو غير ذلك في المدة التي أقامها أحدهم بالناحية فحصل للكثير من قائم مقاماتهم الضرر وكذلك من انتمى إليهم فمنهم من اضطر وباع فرسه واستدان.

وفيه، حضر علي كاشف من شرقية بلبيس معزولاً عن كشوفيتها وقلدها خلافه وكان كاشفاً بالإقليم عدة سنوات وكذلك جرى لكاشف المنوفية والغربية وحضر أيضاً حسن بك الشماشرجي من الفيوم معزولاً ووجهه الباشا إلى ناحية درنة لمحاربة أولاد علي.

واستهل شهر ربيع الثاني سنة 1232

فيه حصل الحجز والمنع على من يذبح شيئاً من المواشي في داره أو غيرها ولا يأخذ الناس لحوم أطعمتهم إلا من المذبح وأقفت عساكر بالطرق رصداً لمن يدخل المدينة بشيء من الأغنام وذلك أنه لما نزلت لمراسيم إلى الكشاف بمشترى المواشي من الفلاحين وإرسالها إلى المكان الذي أعده الباشا لذلك ويؤخذ منها مقدار ما يذبح بالسلخانة في كل يوم لرواتب الدولة والبيع طلب كشاف النواحي شراء الأغنام والعجول والجواميس بالثمن القليل من أربابها فهرب الكثير من الفلاحين بأغنامهم فيخرجون من القرية ليلاً ويدخلون ويمرون بها في الأسواق ويبيعونها بما أحبوا من الثمن على الناس فانكب الناس على شرائها منهم لجودتها ويشترك الجماعة في الشاة فيذبحونها ويقسمونها بينهم وذلك لقلة وجدان اللحم كما سبقت الإشارة إليه وإن تيسر وجوده فيكون هزيلاً رديئاً فإن في كل يوم ترد الجملة الكثيرة من بحري وقبلي إلى المكان المعد لها و لم يكن ثم من يراعيها بالعلف والسقي فتهزل وتضعف فلما كثر ورود الفلاحين بالأغنام وشراء الناس لها ووصل خبر لك إلى الباشا فأمر بوقوف عساكر على مفارق الطرق خارج المدينة من كل ناحية فيأخذون الشاة من الفلاحين إما بالثمن أو يذهب صاحبها معها إلى المذبح فتذبح في يومها ومن الغد ويوزن اللحم خالصاً ويعطى لصاحبها ثمنه عن كل رطل ثمانية فضة ونصف ويوزن على الجزارين بذلك الثمن بما فيه من القلب والكبد والمنحر والمذاكير والمخرج بما فيه من الزبل أيضاً والجزارون يبيعونها على من يشتري لشدة الطلب بزيادة النصف والنصفين بل والثلاثة والأربعة إن كان به نوع جودة وأما الأسقاط من الرؤوس والجلود والكروش فهو للميري وكذلك يفعل فيما يرد لخاصة الناس من الأغنام يفعل بها كذلك ولا يأخذ إلا قدر راتبه في كل يوم من المذبح.

وفيه، شح وجود الغلال في الرقع والسواحل حتى امتنع وجود الخبز في الأسواق فأخرج الباشا جانب غلة ففرقت على الرقع وبيعت على الناس وهي ألف أردب انفضت في يومين ولا يبيعون أزيد من كيلة أو كيلتين وبيع الأردب بألف ومائتين وخمسين نصفاً.

وفيه، أفرد محل لعمل الشمع الذي يعمل من الشحوم بعطفة ابن عبد الله بك جهة السروجية واحتكروا لأجل عمله جميع الشحوم التي من المذبح وغيره وامتنع وجود الشحم من حوانيت الدهانين ومنعوا من يعمل شيئاً من الشمع في داره أو في القوالب الزجاج وتتبعوا من يكون عنده شيء منها فأخذوها منه وحذروا من عمله خارج المعمل كل التحذير وسعروا رطله بأربعة وعشرين نصفاً.

واستهل شهر جمادى الأولى سنة 1232

فيه، حول معمل الشمع إلى جهة الحسينية عند الدرب الذي يعرف بالسبع والضبع.

دوفيه، ارتحلت عساكر مجردة إلى الحجاز.

وفيه، برزت أوامر إلى كشاف النواحي بإحصاء عدد أغنام البلاد والقرى ويفرض عليها كل عشر شياه واحدة من أعظمها إما كبش أو نعجة بأولادها يجمعون ذلك ويرسلون به إلى مجمع أغنام الباشا وفرض أيضاً على كل فدان رطلاً من السمن يجمع

الأرطال مشايخ البلاد من الفلتحين عند كشاف النواحي ويرسلوها إلى مصر وسبب هذه الحادثة أنه لما عملت التسعيرة وتسعر رطل السمن بستة وعشرين نصفاً ويبيعه السمان والزيات بزيادة نصفين امتنع وجوده وظهوره فيأتي الفلاح ليلاً في الخفية ويبيعه للزبون أو للمتسبب بما أحب ويبيعه المتسبب أيضاً بالزيادة لمن يريده سراً فيبيعون الرطل بأربعين وخمسين ويزيد على ذلك غش المتسبب وخلطه بالدقيق والقرع والشحم وعكر اللبن فيصفو على النصف ولا يقدر مشتريه على رد غشه للبائع لأنه ما حصله إلا بغاية المشقة والعزة والإنكار والمنع وإن فعل لا يجد من يعطيه ثانياً وتقف طائفة من العسكر بالطرق ليلاً وفي وقت الغفلات يرصدون الواردين من الفلاحين ويأخذونه منهم بالقهر ويعطوهم ثمنه بالسعر المرسوم ويحتكرونه هم أيضاً ويبيعونه لمن يشتريه منهم بالزيادة الفاحشة فامتنع وروده إلا في النادر خفية مع الغرر أو الخفارة والتحامي في بعض العساكر من أمثالهم واشتد الحال في انعدام السمن حتى على أكابر الدولة فعند ذلك ابتدع الباشا هذه البدعة وفرض على كل فدان من طين الزراعات رطلاً من السمن ويعطي في ثمن الرطل عشرين نصفاً فاشتغلوا في تحصيل ما دهمهم من هذه النازلة وطولب المزارع بمقدار ما يزرعه من الأفدنة أرطالاً من السمن ومن لم يكن متأخراً عنده شيء من سمن بهيمته أو لم يكن له بهيمة أو احتاج إلى تكملة موجود عنده فيشتريه ممن يوجد عنده بأغلى ثمن ليسد ما عليه اضطرار أجزاء وفاقاً.

وفيه، حصل الإذن بدخول ما دون العشرة من الأغنام إلى المدينة وكذلك الإذن لمن يشتري شيئاً منها من الأسواق وسبب إطلاق الإذن بذلك مجيء بعض أغنام إلى أكابر الدولة ولا غنى عن ذلك ولا دني منهم أيضاً وحجزوا عن وصولها إلى دورهم فشكوا إلى الباشا فأطلق الإذن فيما دون العشرة.

وفيه، أيضاً امتنع وجود الغلال بالعرصات والسواحل بسبب احتكارها واستمرار انجرارها ونقلها في المراكب قبلي وبحري إلى جهة الإسكندرية للبيع على الإفرنج بالثمن الكثير كما تقدم ووجهت المراسيم إلى كشاف النواحي بمنع بيع الفلاحين غلالهم لمن يشتري منهم من المتسببين والتراسين وغيرهم وبأن كل ما احتاجوا لبيعه مما خرج لهم من زراعتهم يؤخذ لطرف الميري بالثمن المفروض بالكيل الوافي واشتد الحال في هذا الشهر وما قبله حتى قل وجود الخبز من الأسواق بل امتنع وجوده في بعض الأيام وأقبلت الفقراء نساء ورجالاً إلى الرقع بمقاطفهم ورجعوا بها فوارغ من غير شيء وزاد الهول والتشكي وبلغ الخبر الباشا فأطلق أيضاً ألف أردب توزع على الرقع ويباع على الناس إما ربع واحداً وكيلة فقط وكل ربع ثمنه قرش فيكون الأردب بأربعة وعشرين قرشاً.

وفيه، حضر حسن بك الشماشرجي من ناحية درنة وبلد أخرى يقال لها سيوة وصحبته فرقة من أولاد علي وذلك أن أولاد علي افترقوا فرقتين أحدهما طائعة والأخرى عاصية عن الطاعة ومنحازون إلى هذه الناحية فجرد الباشا عليهم حسن بك المذكور فحاربهم وهزمهم وهزموه ثانياً فرجع إلى مصر فضم إليه الباشا جملة من العساكر وأصحب معه الفرقة الأخرى الطائعة فسار الجمع ودهموهم على حين غفلة وتقدم لحربهم إخوانهم الطائعة وقتلوا منهم وآغاروا على مواشيهم وأباعرهم وأغنامهم فأرسلوا المنهوبات إلى جهة الفيوم وفي ظن العرب أن الغنائم تطيب لهم وحضر حسن بك وصحبته كبار العرب من أولاد علي الطائعين وفي ظنهم الفوز بالغنيمة وأن الباشا لا يطمع فيها لكون النصرة كانت بأيديهم وأنه يشكرهم ويزيدهم أنعاماً وكانوا نزلوا ببر الجيزة وحضر حسن بك إلى الباشا فطلب كبار العرب ليخلع عليهم ويكسوهم، فلما حضروا إليه أمر بحبسهم وإحضار الغنيمة من ناحية الفيوم بتمامها فأحضروها بعد أيام وأطلقهم فيقال أن الأغنام ستة عشر ألف رأس أو أكثر ومن

الجمال ثمانية آلاف جمل وناقة وقيل أكثر من ذلك.

وفيه نجزت عمارة السواقي التي أنشأها الباشا بالأرض المعروفة برأس الوادي بناحية شرقية بلبيس قيل أنها تزيد على ألف ساقية وهي سواقي دواليب خشب تعمل في الأرض التي يكون منبع الماء فيها قريباً واستمر الصناع مدة مستطيلة في عمل آلاتها عند بيت الجبجي وهو بيت الرزاز الذي جهة التبانة بقرب المحجر وتحمل على الجمال إلى الوادي هناك المباشرون للعمل المقيدون بذلك وغرسوا بها أشجار التوت الكثيرة لتربية دود القز واستخراج الحرير، كما يكون بنواحي الشام وجبل الدوروز، ثم برزت الأوامر إلى جميع بلاد الشرقية بأشخاص أنفار من الفلاحين البطالين الذين لم يكن لهم أطيان فلاحة يستوطنون بالوادي المذكور وتبنى لهم كفور يسكنون فيها ويتعاطون خدمة السواقي والمزارع ويتعلمون صناعة تربية القز والحرير واستجلب أناساً من نواحي الشام والجبل من أصحاب المعرفة بذلك ويرتب للجميع نفقات إلى حين ظهور النتيجة، ثم يكونون شركاء في ربع المتحصل، ولما برزت المراسيم بطلب الأشخاص من بلاد الشرق أشيع في جميع قرى الأقاليم المصرية إشاعات وتقولوا أقاويل منها أن الباشا يطلب من كل بلدة عشرة من الصبيان البالغين وعشرة من البنات ويزوجهم بهن ويمهرهن من ماله ويرتب لهم نفقات إلى بد وصلا المزارع، ثم أشاعوا الطلب للصبيان الغير مختونين ليرسلهم إلى بلاد الإفرنج ليتعلموا الصنائع التي لم تكن بأرض مصر وشاع ذلك في أهل القرى وثبت ذلك عندهم فختن الجميع صبيانهم ومنهم من أرسل ابنه أو بنته وفيها عند معارفه بالمدينة إلى غير ذلك من الأقاويل التي لم يثبت منها إلا ما ذكر أولاً من أن المطلوب جلب الفلاحين البطالين من بلد الشرقية لا غير وقد تعمر هذا الوادي بالسواقي والأشجار والسكان من جميع الأجناس وانتشأ دنيا جديدة متسعة لم يكن لها وجود قبل ذلك بل كانت برية خراباً وفضاء واسعاً.

وفيه سافر جملة من عساكر الأتراك والمغاربة وكبيرهم إبراهيم آغا الذي كان كتخدا إبراهيم باشا، ثم تولى كشوفية المنوفية وصحبته خزينة وجبخانة ومطلوبات لمخدومه.

واستهل شهر جمادى الثانية بيوم الثلاثاء سنة 1232

في أوائله حضر إلى مصر بن يوسف باشا حاكم طرابلس وعه أخوه أصغر منه يستأذنان الباشا في حضور والدهما إلى مصر فاراً من والده وكان ولاه على ناحية درنة وبني غازي فحصل منه ما غير خاطر والده عليه وعزم على أن يجرد عليه فأرسل أولاده إلى صاحب مصر بهدية يستأذن في الحضور إلى مصر والالتجاء إليه فأذن له في الحضور وهو ابن أخي الذي بمصر أولاً وسافر مع الباشا إلى الحجاز ورجع إلى مصر واستمر ساكناً بالسبع قاعات.

وفيه وصل الخبر بأن إبراهيم آغا سافر مع الجردة لما وصل إلى العقبة أمر من بصحبته من المغاربة والعسكر بالرحيل، فلما ارتحلوا ركب هو في خاصته وذهب على طريق الشام.

وفي ليلة الأربعاء سادس عشره، وصل جراد كثير ليلاً ونزل ببستان الباشا بشبرا وتعلق بالأشجار والزهور وصاحت الخولة والبستانجية وأرسل الباشا إلى الحسينية وغيرها فجمعوا مشاعل كثيرة وأوقدوها وضربوا بالطبول والصنوج النحاس لطرده وأمر الباشا لكل من جمع منه رطلاً فله قرشان فجمع الصبيان والفلاحون منه كثيراً.

ثم في ليلة السبت تاسع عشره، قبل الغروب وصل جراد كثير من ناحية المشرق ماراً بين السماء والأرض مثل السحاب وكان الريح ساكناً فيقط منه الكثير على الجنائن والمزارع والمقاثيء، فلما كان في نصف الليل هبت رياح جنوبية واستمرت واشتد هبوبها عند انتصاف النهار وأثارت غباراً أصفر وعبوقاً بالجو ودامت إلى بعد العصر يوم السبت فطردت ذلك الجراتد وأذهبته فسبحان الحكيم المدبر اللطيف.

وفي يوم الأحد طاف مناد أعمى يقوده آخر بالأسواق ويقول في ندائه من كان مريضاً أو به رمداً وجراحة وإدارة فليذهب إلى خان بالموسكي به أربعة من حكماء الإفرنج أطباء يداوونه من غير مقابلة شيء فتعجب الناس من هذا وتحاكوه وسعوا إلى جهتهم لطلب التداوي.

وفيه حضر ابن باشت طرابلس ودخل إلى المدينة وصحبته نحو المائتي نفر من أتباعه فأنزله الباشا في منزل أم مرزوق بك بحارة عابدين وأجرى عليه النفقات والرواتب له ولأتباعه.

وفي يوم الخميس حادي عشرينه، وصل خبر الأطباء ومناداهم إلى كتخدا بك فأحضر حكيم باشا وسأله فأنكر معرفتهم وأنه لا علم عنده بذلك فأمر بإحضارهم وسألهم فخلطوا في الكلام فأمر بإخراجهم من البلدة ونفوهم في الحال، وذهبوا إلى حيث شاء الله ولو فعل مثل هذه الفعلة بعض المسلمين لجوزي بالقتل أو الخازوق، وكان صورة جلوسهم أن يجلس أحدهم خارج المكان والآخر من داخل وبينهما ترجمان ويأتي مريد العلاج إلى الأول وهو كأنه الرئيس فيجس نبضه أو بيضه وكأنه عرف علته ويكتب له ورقة فيدخل مع الترجمان بها لآخر بدخل المكان فيعطيه شيئاً من الدهن أو السفوف أو الحب المركب ويطلب منه إما قرشاً أو قرشين أو خمسة بحسب الحال وذلك ثمن الدواء لا غير وشاع ذلك وتسامع به الناس وأكثرهم معلول من طبيعتهم التقليد والرغبة في الوارد الغريب فتكاثروا وتزاحموا عليهم فجمعوا في الأيام القليلة جملة من الدراهم واستلطف الناس طريقتهم هذه بخلاف ما يفعله الذين يدعون التطبيب من الإفرنج واصطلاحهم إذا دعي الواحد منهم لمعالجة المريض فأول ما يبدأ به نقل قدمه بدراهم يأخذها إما ريال فرانسة أو أكثر بحسب الحال والمقام، ثم يذهب إلى المريض فيجسه ويزعم أنه عرف علته ومرضه وربما هول على المريض داءه وعلاجه، ثم يقاول على سعيه في معالجته بمقدار من الفرانسة إما خمسين أو مائة أو أكثر بحسب مقام العليل ويطلب نصف الجعالة ابتداء ويجعل على كل مرة من الترددات عليه جعالة أيضاً، ثم يزاوله بالعلاجات التي تجددت عندهم وهي مياه مستقطرة من الأعشاب أو أدهان كذلك يأتون بها للمرضى في قوارير الزجاج اللطيفة في المنظر يسمونها بأسماء بلغاتهم ويعربونها بدهن البد زهر وإكسير الخاصة ونحو ذلك فإن شفى الله العليل أخذ منه بقية ما قاوله عليه أو أماته طالب الورثة بباقي الجعالة وثمن الأدوية طبق ما يدعيه وإذا قيل له أنه قد مات قال في جوابه أني لم أضمن أجله وليس على الطبيب منع الموت ولا تطويل العمر وفيهم من جعل له في كل يوم عشرة من الفرانسة.

وفيه رأى رأيه حضرة الباشا حفر بحر عميق يجري إلى بركة عميقة تحفر أيضاً بالإسكندرية تسير فيها السفن بالغلال وغيرها ومبدؤها من مبدأ خليج الأشرفية عند الرحمانية فطلب لذلك خمسين ألف فأس ومسة يصنعها صناع الحديد وأمر بجمع الرجال من القرى وهم مائة ألف فلاح توزع على القرى والبلدان للعمل والحفر بالأجرة وبرزت الأوامر وبذلك فارتبك أمر الفلاحين

ومشايخ البلاد لأن الأمر برز بحضور المشايخ وفلاحيهم فشرعوا في التشهيل وما يتزيدون به في البرية ولا يدرون مدة الإقامة فمنهم من يقدرها بالسنة ومنهم بأقل أو أكثر.

واستهل شهر رجب بيوم الأحد سنة 1232

في ثانيه يوم الاثنين الموافق لثاني عشر بشنس القبطي وسابع أيار الرومي قبل الغروب بنحو ساعة تغير الجو بسحاب وقتام وحصل رعد متتابع وأعقبه مطر بعد الغروب، ثم انجلى ذلك والسبب في ذكر مثل هذه الجزئية شيئان الأول وقوعها في غير زمانها لما فيه من الاعتبار بخرق العوائد الثاني الاحتياج إليها في بعض الأحيان في العلامات السماوية وبالأكثر في الوقائع العامية فإن العامة لا يؤرخون غالباً بالأعوام والشهور بل بحادثة أرضية أو سماوية خصوصاً إذا حصلت في غير وقتها أو ملحمة أو معركة أو فصل أو مرض عام أو موت كبير أو أمير فإذا سئل الشخص عن وقت مولده أو مولد ابنه أو ابنته أو موت أبيه أو سنة بلوغه سن الرشد يقول كان بعد الحادثة الفلانية بكذا من الأيام، ثم لا يدري في أي شهر أو عام وخصوصاً إذا طال الزمان بعدها، وتكرر الاحتياج إلى تحرير الوقت في مسائل شرعية في مجلس الشرع في مثل الحضانة والعدة والنفقة وسن اليأس ومدة غيبة المفقود بأن يتفق قولهم على أن الصبي ولد يوم السيل الذي هدم القبور أو يوم موت الأمير فلان أو الواقعة الفلانية ويختلفون في تحقيق وقتها وعند ذلك يحتاجون إلى السؤال ممن عساه يكون أرخ وقتها وفي غير وقت الاحتياج يسخرون بمن يشغل بعض أوقاته بشيء من ذلك لاعتيادهم إهمال العلوم التي كان يعتني بتدوينها الأوائل إلا بقدر إقامة الناموس الذي يحصلون به الدنيا ولولا تدوين العلوم وخصوصاً علم الأخبار ما وصل إلينا شيء منها ولا الشرائع الواجبة ولا يشك شاك في فوائد التدوين وخصائصه بنص التنزيل قال تعالى وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين.

وفي عاشره، وصلت هجانة وأخبار عن إبراهيم باشا من الحجاز بأنه وصل إلى محل يسمى الموتان فوقع بينه وبين الوهابية وقتل منهم مقتلة عظيمة وأخذ منهم أسرى وخياماً ومدفعين فضربوا لتلك الأخبار مدافع سروراً بذلك الخبر.

وفي يوم الأربعاء ثامن عشره، سافر الباشا إلى أسكلة السويس وصحبته السيد محمد المحروقي ليتلقى سفائنه الواصلة بالبضائع الهندية.

واستهل شهر شعبان بيوم الاثنين سنة 1232

فيه رجع الباشا من السويس وأخلوا للبضائع الواصلة ثلاث خانات توضع في حواصلها، ثم توزع على الباعة بالثمن الذي يفرضه.

وفيه وصل الخبر أيضاً بوصول سفائن إلى بندر جدة وفيها ثلاثة من الفيلة.

وفيه قوي اهتمام الباشا لحفر الترعة الموصلة إلى الإسكندرية، كما تقدم وأن يكون عرضها عشرة أقصاب والعمق أربعة أقصاب بحسب علو الأراضي وانخفاضها وتعينت كشاف الأقاليم لجمع الرجال وفرضوا أعدادهم بحسب كثرة أهل القرية

وقلتها وعلى كل عشرة أشخاص شخص كبير وجمعت الغلقان ولكل غلق فأس وثلاثة رجال لخدمته وأعطوا كل شخص خمسة عشر قرشاً ترحيلة ولكل شخص ثلاثون نصفاً في أجرته كل يوم وقت العمل وحصل الاهتمام لذلك في وقت اشتغال الفلاحين بالحصيدة والدراس وزراعة الذرة التي هي معظم قوتهم وشرعوا في تشهيل احتياجاتهم وشراء القرب للماء فإن تلك البرية لا يوجد الماء إلا ببعض الحفائر التي يحفرها طالب الماء، وقد تخرج مالحة لأنها أراض مسبخة وتعين جماعة من مهندس خانة ونزلوا مع كبيرهم لمساحتها وقياسها فقاسوا من فم ترعة الأشرفية حيث الرحمانية إلى حد الحفر المراد بقرب عمود السواري الذي بالإسكندرية فبلغ ذلك ستة وعشرين ألف قصبة، ثم قاسوا من أول الترعة القديمة المعروفة بالناصرية وابتداؤها من المكان المعروف بالعطف عند مدينة فوة فكان أقل من ذلك ينقص عنه خمسة آلاف قصبة وكسر فوقع الاختيار على أن يكون ابتداؤها هناك.

وفي أثناء ذلك زاد النيل قبل المناداة عليه بالزيادة وذلك في منتصف بؤنه القبطي وغرق المقاثيء من البطيخ والخيار والعبدلاوي وأهمل أمر الحفر في الترعة المذكورة إلى ما بعد النيل واستردت الدراهم التي أعطيت للفلاحين لأجل الترحيلة وفرحوا بذلك الإهمال، وقد كان أطلق الباشا لمصارفها أربعة آلاف كيس من تحت الحساب ورجع المهندسون إلى مصر وقد صوروا صورتها في كواغد ليطلع عليها الباشا عياناً، وكان رجوعهم في ثامن عشر شعبان.

وفيه تقلد إبراهيم آغا المعروف بآغات الباب أمر تنظيم الأصناف والمحدثات وعمل معدلاتها لبيان سرقات ومخفيات المتقلدين أمر كل صنف من الأصناف بعد البحث والتفتيش والتفحص على دقائق الأشياء.

وفيه وصل نحو المائتي شخص من بلاد الروم أرباب صنائع معمرين ونجارين وحدادين وبنائين وهم ما بين أرمني وأجريجي ونحو ذلك.

وفيه أيضاً اهتم الباشا ببناء حائطين بحري رشيد عند الطينة على يمين البغاز وشماله لينحصر فيما بينهما الماء ولا تطمى الرمال وقت ضعف النيل ويقع بسبب ذلك العطب للمراكب وتلف أموال المسافرين وقد كمل ذلك في هذا الشهر وهذه الفعلة من أعظم الهمم الملوكية التي لم يسبق بمثلها.

وفي عشرينه شنق شخص بباب زويلة بسبب الزيادة في المعاملة وعلقوا بأنفه ريال فرانسة مع أن الزيادة سارية في المبيعات والمشتروات من غير إنكار.

وفيه أيضاً خزم المحتسب آناف أشخاص من الجزارين في نواحي وجهات متفرقة وعلق في آنافهم قطعاً من اللحم وذلك بسبب الزيادة في ثمن اللحم وبيعهم له بما أحبوه من الثمن في بعض الأماكن خفية لأن الجزارين إذا نزلوا باللحم من المذبح وأكثره هزيل ونعاج ومعز والقليل من المناسب الجيد فيعلقون الرديء بالحوانيت ويبيعونه جهاراً بالثمن المسعر ويخفون الجيد ويبيعونه في بعض الأماكن بما يحبون.

وفي يوم الخميس خامس عشرينه، وصلت الأفيال الثلاثة من السويس أحدها كبير عن الاثنين ولكن متوسط في الكبر فعبروا بها من باب النصر وشقوا من وسط المدينة وخرجوا بها من باب زويلة على الدرب الأحمر وذهبوا بها إلى قراميدان وهرولت الناس

والصبيان للفرجة عليها وذهبوا خلفها وازحموا في الأسواق لرؤيتها وكذلك العسكر والدلاة ركباناً ومشاة وعلى ظهر الفيل الكبير مقعد من خشب.

واستهل شهر رمضان بيوم الثلاثاء سنة 1232

وعملت الرؤية تلك الليلة وركب المحتسب وكذا مشايخ الحرف كعادتهم وأثبتوا رؤية الهلال تلك الليلة وكان عسر الرؤية جداً.

وفي صبح ذلك اليوم، عزل عثمان آغا الورداني من الحسبة وتقلدها مصطفى كاشف كرد وذلك لما تكرر على سمع الباشا أفعال الوقة وانحرافهم وقلة طاعتهم وعدم مبالاتهم بالضرب والإيذاء وخزم الأنوف والتجريس قال في مجلس خاصته لقد سرى حكمي في الأقاليم البعيدة فضلاً عن القريبة وخافني العربان وقطاع الطريق وغيرهم خلاف سوقة مصر فإنهم لا يرتدعون بما يفعله فيهم ولاة الحسبة من الإهانة والإيذاء فلا بد لهم من شخص يقهرهم ولا يرحمهم ولا يهملهم فوقع اختياره على مصطفى كاشف كرد هذا فقلده ذلك وأطلق له الإذن، فعند ذلك ركب في كبكبة وخلفه عدة من الخيالة ترك شعار المنصب من المقدمين والخدم الذين يتقدمونه وكذلك الذي أمامه بالميزان ومن بأيديهم الكرابيج لضرب المستحق والمنقص في الوزن وبات يطوف على الباعة ويضرب بالدبوس هشماً بأدنى سبب ويعاقب بقطع شحمة الأذن فأغلقوا الحوانيت ومنعوا وجود الأشياء حتى ما جرت العادة في رمضان من عمل الكعك والرقاق المعروف بالسحير وغيره، فلم يلتفت لامتناعهم وغلقهم الحوانيت وزاد في التعسف، و لم يرجع عن سعيه واجتهاده ولازم على السعي والطواف ليلاً ونهاراً لا ينام الليل بل ينام لحظة وقت ما يدركه النوم في أي مكان ولو على مصطبة حانوت وأخذ يتفحص على السمن والجبن ونحوه المخزون في الحواصل ويخرجه ويدفع ثمنه لأربابه بالسعر المفروض ويوزعه لأرباب الحوانيت ليبيعوه على الناس بزيادة نصف أو نصفين في كل رطل وذهب إلى بولاق ومصر القديمة فاستخرج منها سمناً كثيراً ومعظم ذلك في مخازن للعسكر فإن العسكر كانوا يرصدون الفلاحين وغيرهم فيأخذونه منهم بالسعر المفروض وهو مائتان وأربعون في العشرة منه، ثم يبيعونه على المحتاجين إليه بما أحبوا من الزيادة الفاحشة، فلم يراع جانبهم واستخرج مخبآتهم قهراً عنهم ومن خالف عليه منهم ضربه وأخذ سلاحه ونكل به وذهب في بعض الأوقات إلى بولاق فأخرج من حاصل ببعض الوكائل ثلاثمائة وخمسين ماعوناً لكبير من العسكر فحضر إليه بطائفته، فلم يلتفت إليه ووبخه وقال له أنتم عساكر ولكم رواتب والعلائف واللحوم والأسمان وخلافها، ثم تحتكرون أيضاً أقوات الناس وتبيعونها عليهم بالثمن الزائد وإعطاء الثمن المفروض وحمل المواعين على الجمال إلى الأمكنة التي أعدها لها عند باب الفتوح وعندما رأى أرباب الحوانيت الجد وعدم الإهمال والتشديد عليهم فتح المغلق منهم حانوته وأظهروا مخبآتهم أمامهم وملؤا السدريات والطسوت من السمن وأنواع الجبن خوفاً من بطش المحتسب وعدم رحمته بهم ويقف بنفسه على باعة البطيخ والقاوون.

وفي منتصف شهر رمضان، وصلوا برمة إبراهيم بك الكبير من دنقلة وذلك أنه لما وصل خبر موته استأذنت زوجته أم ولده الباشا في إرسالها امرأة تدعى نفيسة لإحضار رمته فأذن بذلك وأعطى المتسفرة فيما بلغنا عشرة أكياس وكتب لها مكاتبات

لكشاف الوجه القبلي بالمساعدة وسافرت وحضرت به في تابوت وقد جف جلده على عظمه لنحافته وذلك بعد موته بنحو ستة شهور وعملوا له مشهداً وأماه كفارة ودفنوه بالقرافة الصغرى عند ابنه مرزوق بك.

وفي ليلة الخميس سابع عشره، طلب المحتسب حجاجاً الخضري الشهير بنواحي الرميلة فأخذه إلى الجمالية وشنقه على السبيل المجاور لحارة المبيضة وذلك في سادس ساعة من الليل وقت السحور وتركوه معلقاً لمثلها من الليلة القابلة، ثم أذن برفعه فأخذه أهله ودفنوه وحجاج هو الذي تقدم ذكره غير مرة في واقعة خورشيد باشا وغيرها وكان مشهوراً بالإقدام والشجاعة طويل القامة عظيم الهمة وكانشيخاً على طوائف الخضرية صاحب صولة وكلمة بتلك النواحي ومكارم أخلاق وهو الذي بنى البوابة بآخر الرميلة عند عرصة الغلة أيام الفتنة واختفى مراراً بعد تلك الحوادث وانضم إلى الألفي، ثم حضر إلى مصر بأمان و لم يزل على حالته في هدوء وسكون، و لم يؤخذ في هذه بجرم فعله يوجب شنقه بل قتل مظلوماً لحقد سابق وزجراً لغيره.

وفي يوم الاثنين ثامن عشرين شهر رمضان الموافق السادس مسرى البطي أوفى النيل أذرعه فنودي بالوفاء وكسر السد صبح يوم الثلاثاء بحضرة كتخدا بك والقاضي وغيره وجرى الماء في الخليج، و لم يقع فيه مهرجان مثل العادة هذا والمحتسب مواظب على السروح ليلاً ونهاراً ويعاقب بجرح الآذان والضرب بالدبوس وأقعد بعض صناع الكنافة على صوانيهم التي على النار وأمر بكنس الأسواق ومواظبة رشها بالماء ووقود القناديل على أبواب الدور وعلى كل ثلاثة من الحوانيت قنديل ويركب آخر الليل، ثم يذهب إلى بولاق ليتلقى الواردين بالبطيخ الأخضر والأصفر ويعرف عدة الشروات ويأمرهم بدفع مكوسها المفروضة، ثم يأمرهم بالذهاب إلى مراكز بيعهم ولا يبيعون شيئاً حتى يأتيهم بنفسه أو بحضرة من يرسله من طرفه، ثم يعود طائفاً عليهم فيحصي ما في فرش أحدهم عدداً ويميز الكبير بثمن والصغير بثمن ويترك عند البائع من يباشره أو يقف هو بنفسه ويبيع على الناس بما فرضه ويعطي لصاحبه الثمن والربح فيراه قد ربح العشرة قروش وأكثر بعد مكسه ومصارفه فيقول له، أما يكفي مثلك ربح هذا القدر حتى تطمع أيضاً في الزيادة عليه وهو مع ذلك يكر ويطوف على غيرهم ويحلق على ما يرد من السمن الوارد الذي تقرر على المزارعين فيزنه منهم بالسعر المفروض وهو أربعة وعشرون نصفاً الرطل ويرد عليهم الفوارغ ويعطيه للبائع بالثمن المقرر وهو ستة وعشرون وهو يبيعونه بزيادة نصفين في كل رطل وهو ثمانية وعشرون ويناله الناس بأسهل وجدان سالماً من الخلط والغش ويأمرهم بإعادة ما عسى يوجد فيه من المرتة والعكار إلى مواعينه ليوزن مع فوارغه ورصد أيضاً ما يرد للناس ولو لأكابر الدولة من السمن فيطلق البعض ويأخذ الباقي بالثمن، وكذلك ما يأتيهم من البطيخ والدجاج ولو كان لصاحب الدولة حسب إذنه له بذلك كل ذلك للحرص على كثرة وجدان الأشياء وتعدت أحكامه إلى بضائع التجار والأقمشة الهندية وأهل مرجوش والحلاوية وخلافهم وطلب قوائم مشتروالهم والنظر في مكايلهم فضاق خناق أكثر الناس لكونهم لم يعتادوه من محتسب قبله وكأنه وصله خبر ولاة الحسبة وأحكامهم في الدلو المصرية القديمة فإن وظيفة أمين الاحتساب وظيفة قضاء وله التحكم والعدالة والتكلم على جميع الأشياء، وكان لا يتولاها إلا المتضلع من جميع المعارف والعلوم والقوانين ونظام العدالة حتى على من يتصدر لتقرير العلوم فيحضر مجلسه ويباحثه فإن وجد فيه أهلية للإلقاء أذن له بالتصدر أو منعه حتى يستكمل وكذلك الأطباء والجراحية حتى البيطارية والبزدرية ومعلموا الأطفال في المكاتب ومعلموا السابحة في الماء والنظر في وسق المراكب في الأسفار وأحمال الدواب في نقل الأشياء ومقادير روايا الماء مما يطول شرحه وفي

ذلك مؤلف للشيخ بن الرفعة، وقد يسهل بعض ذلك مع العدالة وعدم الاحتكار وطمع المتولي وتطلعه لما في أديد الناس وأرزاقهم.
ومما يحكي أن الرشيد سأل الليث بن سعد فقال له يا أبا الحرث ما صلاح بلدكم يعني مصر فقال له أما صلاح أمرها ومزارعها فبالنيل، وأما أحكامها فمن رأس العين يأتي الكدر.
وفي أواخر رمضان، زاد المحتسب في نغمات الطنبور وهو أنه أرسل مناديه في مصر القديمة ينادي على نصارى الأرمن والأروام والشوام بإخلاء البيوت التي عمروها وزخرفوها وسكنوا بها بإنشاء والملك والمؤاجرة المطلة على النيل وأن يعودوا إلى زيهم الأول من لبس العمائم الزرق وعدم ركوبهم الخيول والبغال والرهونات الفارهة واستخدامهم المسلمين فتقدم أعاظمهم إلى الباشا بالشكوى وهو يراعي جانبهم لأنهم صاروا أخصاء الدولة وجلساء الحضرة وندماء الصحبة.
وأيضاً نادى مناديه على المردان ومحلقي اللحى بأنهم يتركونها ولا يحلقونها وجميع العسكر وغالب الأتراك سنتهم حلق اللحى ولو طعن في السن فأشيع فيهم أن يأمرهم بترك لحاهم، وذلك خرم لقواعدهم بل يرونه من الكبائر وكذلك السيد محمد المحروقي بسبب تعرضه إلى بضائع التجار وأهل الغورية فإن ذلك منوط به.

وفي أثناء ذلك، ورد إلى عابدين بك مواعين سمن فأرسل الجمال إلى حملها من ساحل بولاق فبلغ خبرها المحتسب فأخذها وأدخلها مخزنه وعادت الجمال فارغة وأخبروا مخدومهم بحجز المحتسب لها فأرسل عدة من العسكر فأخرجوها من المخزن وأخذوها، و لم يكن المحتسب حاضراً واتفق أنه ضرب شخصاً من عسكر المذكور أرنؤدي بالدبوس حتى كاد يموت فاشتد بعابدين بك الحنق وركب إلى كتخدا بك وشنع على المحتسب وتعددت الشكاوي وصادفت في زمن واحد فأنهي الأمر إلى الباشا فتقدم إليه بكف المحتسب عن هذه الأفعال فأحضره الكتخدا وزجره وأمره أن لا يتعدى حكمه الباعة ومن كان يسري عليهم أحكام من كان في منصبه قبله وأن يكون أمامه الميزان ويؤدب المستحق بالكرابيج دون الدبوس.

واستهل شهر شوال بيوم الخميس سنة 1232

فترك السروح في أيام العيد وأشيع بين السوقة عزله فأظهروا الفرح ورفعوا ما كان ظاهراً بين أيديهم من السمن والجبن وأخفوه عن الأعين ورجعوا إلى حالتهم الأولى في الغش والخيانة وغلاء السعر وأغلق بعضهم الحانوت وخرجوا إلى المنتزهات وعملوا ولائم.
وفي رابعه شنقوا عدة أشخاص في أماكن متفرقة قيل أنهم سراق وزغلية وكانوا مسجونين في أيام رمضان، و لم يركب المحتسب حسب الأمر بل أركب خازنداره وشق بالميزان عوضاً عنه، ثم ركب هو أيضاً وبيده الدبوس لكن دون الحالة الأولى في الجبروت، و لم يسر حكمه على النصارى فضلاً عن غيرهم.
وفي عاشره يوم السبت، نزلوا بكسوة الكعبة من القلعة وشقوا بها من وسط الشارع إلى المشهد الحسيني.
وفي يوم السبت سابع عشره، أداروا المحمل وخرج أمير الركب إلى خارج باب النصر ووصلت حجاج كثيرة من ناحية المغرب إلى بر أنبابة وبولاق وطفقوا يشترون الأغنام من الفلاحين ويذبحونها ويبيعونها ببولاق وطرقها على الناس جزافاً من غير وزن

ويذهب الكثير من الناس إلى الشراء منهم فيقعون في الغبن الفاحش والزيادة على السعر بالضعف وأكثر وضرورهم في الشراء منهم رداءة ما يحمله القصابون من المذبح من أغنام الباشا المحضرة من البلاد والقرى، وقد هزلت من السفر والإقامة بالجوع والعطش ويموت الكثير منها فيسلمونه ويزنونه على الجزارين بالبيع للناس وفيه المتغير الرائحة وما تعافه النفوس فبسبب ذلك اضطر الناس إلى الشراء من هؤلاء الأجناس بالغبن وتحمل سوء أخلاقهم وحصل بينهم وبين بعض العسكر شرور وقتل بينهم قتلى ومجاريح والباشا وحكام الوقت يتغافلون عنهم خوفاً من وقوع الفتن، ثم ارتحلوا لأنهم كثروا وملؤا الأزقة والنواحي وحضر أيضاً الركب الفاسي وفيه ولدا السلطان سليمان ومن يصحبهما فأحسن الباشا نزلهم وتقيد السيد محمد المحروقي بملاقاتهم ولوازمهم وأنزلوهم في منزل بجوار المشهد الحسيني وأجريت عليهم نفقات تليق بهم وأهديا للباشا هدية وفيها عدة بغال وبرانس حرير وغير ذلك.

وفي ثامن عشرينه، ارتحل الحج المصري من البركة وكانت الحجوج في هذه السنة كثيرة من سائر الأجناس أتراك وططر وبشناق وجركس وفلاحين من سائر الأجناس ورجع الكثير من المسافرين على بحر القلزم إلى الحجاز من السويس لقلة المراكب التي تحملهم وغصت المدينة من كثرة الزحام زيادة على ما بها من ازدحام العساكر وأخلاط العالم من فلاحي القرى المشيعين والمسافرين ومن يرد من الآفاق والبلاد الشامية ونصارى الروم والأرمن والدلاة والواردين والذين استدعاهم الباشا من الدروز والمتاولة والنصيرية وغيرهم لعمل الصنائع والمزارع وشغل الحرير وما استجده بوادي الشرق حتى أن الإنسان يقاسي الشدة والهول إذا مر بالشارع من كثرة الازدحام ومرور الخيالة وحمير الأوسية والجمال التي تحمل الأتربة والأنقاض والأحجار لعمائر الدولة سوى ما عداها من حمول الأحطاب والبضائع والتراسين حتى الزحمة في داخل العطف الضيقة وزيادة على ذلك كثرة الكلاب بحيث يكون في القطعة من الطريق نحو الخمسين، ثم صياحها ونباحها المستمر وخصوصاً في الليل على المارين وتشاجرها مع بعضها مما يزعج النفوس ويمنع الهجوع وقد أحسن الفرنساوية بقتلهم الكلاب فإنهم لما استقروا وتكرر مرورهم ونظروا إلى كثرة الكلاب من غير حاجة ولا منفعة سوى الهبهبة والعواء وخصوصاً عليهم لغرابة أشكالهم فطاف عليهم طائف منهم باللحم المسموم فما أصبح النهار إلا وجميعها موتى مطروحة بجميع الشوارع فكان الناس والصغار يسحبونها كذا بالحبال إلى الخلاء واستراحت الأرض ومن فيها منها فالله يكشف عنا مطلق الكرب في الدنيا والآخرة بمنه وكرمه.

واستهل شهر ذي القعدة سنة 1232

في خامسه يوم الأربعاء وليلة الخميس ارتحل ركب الحجاج المغاربة من الحصوة.

وفي أواخره، حصل الأمر للفقهاء بأزهر بقراءة صحيح البخارى فاجتمع الكثير من الفقهاء والمجاورين وفرقوا بينهم أجزاء وكراريس من البخارى يقرؤون فيها في مقدار ساعتين من النهار بعد الشروق فاستمروا على ذلك خمسة أيام، وذلك بقصد حصول النصر لإبراهيم باشا على الوهابية، وقد طالت مدة انقطاع الأخبار عنه وحصل لأبيه قلق زائد، ولما انقضت أيام قراءة البخاري نزل للفقهاء عشرون كيساً فرقت عليهم وكذلك على أطفال المكاتب.

واستهل شهر ذي الحجة بيوم الأحد سنة 1232

في رابعه شنقوا أشخاصاً قيل أنهم خمسة ويقال أنهم حرامية.

وفيه أرسلت الأفيال الثلاثة إلى دار السلطنة صحبة الهدايا المرسلة ثلاثة سروج ذهب وفيها سرج مجوهر وخيول وكباش ونقود وأقمشة هندية وسكاكر وأرز.

وفيه، وصل فيل آخر كبير مروا به من وسط المدينة وذهبوا به إلى رحبة بيت السيد محمد المحروقي وقفوا به في أواخر النهار والناس تجتمع للفرجة عليه إلى أواخر النهار ثم طلعوا إلى القلعة وأوقفوا بالطبخانة وهي محل عمل المدافع وحضر بصحبته شخص يدعي العلم والمعرفة بالطب والحكمة ومعه مجلد كبير في حجم الوسادة يحتوي على الكتب الستة الحديثية وخطه دقيق قال أنه نسخه بيده ونزل ببيت السيد محمد المحروقي وركب له معجون الجواهر أنفق فيه جملة من المال وكحلا وركب أيضاً تراكيب لغيره وشرط عليهم في الاستعمال بعد مضي ستة أشهر وشيء منها بعد شهرين وثلاثة وأقام أياماً ثم سافر راجعاً إلى صنعاء.

وفي يوم الثلاثاء عاشره، كان عيد النحر و لم يرد فيه مواش كثيرة كالأعياد السابقة من الأغنام والجواميس التي تأتي من الأرياف فكانت تزدحم منها الأسواق لكثرتها والوكائل والرميلة فلم يرد إلا النزر القليل قبل النحر بيومين ويباع بالثمن الغالي و لم يذبح الجزارون في أيام النحر للبيع كعادتهم إلا القليل منهم مع التحجير على الجلود وعلى من يشتريها وتباع لطرف الدولة بالثمن الرخيص جداً وانقضت السنة مع استمرار ما تجدد فيها من الحوادث التي منها ما حدث في آخر السنة من الحجر وضبط أنوال الحياكة وكل ما يصنع بالمكوك وما ينسج على نول أو نحوه من جميع الأصناف من إبريم أو حرير أو كتان إلى الخيش والفل والحصير في سائر الإقليم المصري طولاً وعرضاً قبلي وبحري من الإسكندرية ودمياط إلى أقصى بلاد الصعيد والفيوم وكل ناحية تحت حكم هذا المتولي وانتظمت لهذا الباب دواوين ببيت محمود بك الخازندار وأياماً ببيت السيد محمد المحروقي وبحضرة من ذكر والمعلم غالي ومتولي كبر ذلك والمفتتح لأبوابه المعلم يوسف كنعان الشامي والمعلم منصور أبو سربمون القبطي ورتبوا لضبط ذلك كتاباً ومباشرين يتقررون بالنواحي والبلدان والقرى وما يلزم لهم من المصاريف والمعليم والمشاهرات ما يكفيهم في نظير تقيدهم وخدمتهم فيمضي المتعينون لذلك فيحصون ما يكون موجوداً على الأنوال بالناحية من القماش والبز والأكسية الصوف المعروفة بالزعابيط والدفافي ويكتبون عدده على ذمة الصانع ويكون ملزوماً به حتى إذا تم نسجه دفعوا لصاحبه ثمنه بالفرض الذي يفرضونه وإن أرادها صاحبها أخذها من الموكلين بالثمن الذي يقدرونه بعد الختم عليها من طرفيها بعلامة الميري فإن ظهر عند شخص شيء م غير علامة الميري أخذت منه بل وعوقب وغرم تأديباً على اختلاسه وتحذيراً لغيره هذا شأن الموجود الحاصل عند النساجين واستئناف العمل المجدد فإن الموكل بالناحية ومباشريها يستدعون من كل قرية شخصاً معروفاً من مشايخها فيقيمونه وكيلاً ويعطونه مبلغاً من الدراهم ويأمرونه بإحصاء الأنوال والشغالين والبطالين منهم في دفتر فيأمرون البطالين بالنسج على الأنوال التي ليس لها صناع بأجرتهم كغيرهم على طرف الميري ويدفع المتوكل لشخصين أو ثلاثة دراهم يطوفون بها على النساء اللاتي يغزلن الكتان بالنواحي ويجعلنه أذرعاً فيشترون ذلك منهن بالثمن المفروض ويأتون إلى النساجين ثم تجمع أصناف الأقمشة في أماكن للبيع بالثمن الزائد وجعلوا لمبيعها أمكنة مثل خان أبو طقية وخان الجلاد وبه يجلس المعلم كنعان ومن معه وغير ذلك وبلغ ثمن الثوب القطن الذي يقال له البطانة إلى ثلاثمائة نصف فضة بعد ما كان

يشترى بمائة نصف وأقل وأكثر بحسب الرداءة والجودة وأدركناه يباع في الزمن السابق بعشرين نصفاً وبلغ ثمن المقطع القماش الغليظ إلى ستمائة نصف فضة وكان يباع بأقل من ثلث ذلك وقس على ذلك باقي الأصناف وهذه البدعة أشنع البدع المحدثة فإن ضررها عم الغني والفقير والجليل والحقير والحكم لله العلي الكبير.

ومنها، أن المشار إليه هدم القصر الذي بالآثار وأنشأه على الهيئة الرومية التي ابتدعوها في عمائرهم بمصر وهدموه وعمروه وبيضوه في أيام قليلة وذلك أنه بات هناك ليلتين فأعجبه هواؤه فاختار بناءه على هواه وعند تمامه وتنظيمه بالفرش والزخارف جعل يتردد إلى المبيت به بعض الأحيان مع السراري والغلمان كما ينتقل ما قصر الجيزة وشبرا والأزبكية والقلعة وغيرها من سرايات أولاده وأصهاره والملك لله الواحد القهار.

ومنها، أن طائفة من الإفرنج الإنكليز قصدوا الإطلاع على الأهرام المنهورة الكائنة ببر الجيزة غربي الفسطاط لأن طبيعتهم ورغبتهم الإطلاع على الأشياء المستغربات والفحص عن الجزئيات وخصوصاً الآثار القديمة وعجائب البلدان والتصاوير والتماثيل التي في المغارات والبرابي بالناحية القبلية وغيرها ويطوف منهم أشخاص في مطلق الأقاليم بقصد هذا الغرض ويصرفون لذلك جملاً من المال في نفقاهم ولوازمهم ومؤاجريهم حتى أنهم ذهبوا إلى أقصى الصعيد وأحضروا قطع أحجار عليها نقوش وأقلام وتصاوير ونواويس من رخام أبيض كان بداخلها موتى بأكفانها أو أجسامها باقية بسبب الأطلية والأدهان الحافظة لها من البلاء ووجه المقبور مصور على تمثال صورته التي كان عليها في حال حياته وتماثيل آدمية من الحجر السماقي الأسود المنقط الذي لا يعمل فيه الحديد جالسين على كراسي واضعين أيديهم على الركب وبيد كل واحد شبه مفتاح بين أصابعه اليسرى والشخص مع كرسيه قطعة واحدة مفرغ معه أطول من قامة الرجل الطويل وعلو رأسه نصف دائرة منه في علو الشبر وهم شبه العبيد المشوهين الصورة وهم ستة على مثال واحد كأنما أفرغوا في قالب واحد يحمل الواحد منهم الجملة من العتالين وفيهم السابع من رخام أبيض جميل الصورة وأحضروا أيضاً رأس صنم كبير دفعوا في أجرة السفينة التي أحضروه فيها ستة عشر كيساً عنها ثلاثمائة وعشرون ألف نصف فضة وأرسلوها إلى بلادهم لتباع هناك بأضعاف ما صرفوه عليها وذلك عندهم من جملة المتاجر في الأشياء الغريبة ولما سمعت بالصور المذكورة فذهبت بصحبة ولدنا الشيخ مصطفى باكير المعروف بالساعاتي وسيدي إبراهيم المهدي الإنكليزي إلى بيت قنصل بدرب البرابرة بالقرب من كوم الشيخ سلامة جهة الأزبكية وشاهدت ذلك كما ذكرته وتعجبنا من صناعتهم وتشبههم وصقالة أبدانهم الباقية على ممر السنين والقرون التي لا يعلم قدرها إلا علام الغيوب وأردوا الإطلاع على أمر الأهرام وأذن لهم صاحب المملكة فذهبوا إليها ونصبوا خيمة وأحضروا الفعلة والمساحي والفلقان وعبروا إلى داخلها وأخرجوا منها أتربة كثيرة من زبل الوطواط وغيره ونزلوا إلى الزلاقة ونقلوا منها تراباً مربع من الحجر المنحوت غير مسلوك هذا ما بلغنا عنهم وحفروا حوالي الرأس العظيمة التي بالقرب من الأهرام التي تسميها الناس رأس أبي الهول فظهر أنه جسم كامل عظيم من حجر واحد ممتد كأنه راقد على بطنه رافع رأسه وهي التي يراها الناس وباقي جسمه مغيب بما انهال عليه من الرمال وساعداه من مرفقيه ممتدان أمامه وبينهما شبه صندوق مربع إلى استطالة من سماق أحمر عليه نقوش شبه قلم الطير في داخله صورة سبع مجسم من حجر مدهون بدهان أحمر رابض باسط ذراعيه في مقدار الكلب رفعوه أيضاً إلى بيت القنصل ورأيته يوم ذاك وقيس المرتفع من جسم أبي الهول من عند صدره إلى أعلى رأسه

فكان اثنين وثلاثين ذراعاً وهي نحو الربع من باقي جسمه وأقاموا في هذا العمل نحواً من أربعة أشهر.

وأما من مات في هذه السنة من المشاهير، فمات العالم العلامة الفاضل الفهامة صاحب التحقيقات الرائقة والتأليفات الفائقة شيخ شيوخ أهل العلم وصدر صدور أهل الفهم المتفنن في العلوم كلها نقليها وعقليها وأديبها إليه انتهت الرياسة في العلوم بالديار المصرية وباهت مصر ما سواها بتحقيقاته البهية استنبط الفروع من الأصول واستخراج نفائس الدور من بحور المعقول والمنقول وأودع الطروس فوائد وقلدها عوائد فرائد الأستاذ الشيخ محمد بن محمد بن أحمد بن عبد القادر بن عبد العزيز بن محمد السنباوي المالكي الأزهري الشهير بالأمير وهو لقب جده الأدنى أحمد وسببه أن أحمد وأباه عبد القادر كان لهما أمرة بالصعيد وأخبرني المترجم من لفظه أن أصلهم من المغرب نزلوا بمصر عند سيدي عبد الوهاب أبي التخصيص كما أخبر عن ذلك وثائق لهم ثم التزموا بحصة بناحية سنبو وارتحلوا إليها وقطنوا بها وبها ولد المترجم وكان مولده في شهر ذي الحجة سنة أربع وخمسين ومائة وألف بإخبار والديه وارتحل معهما إلى مصر وهو ابن تسع سنين وكان قد ختم القرآن فجوده على الشيخ المنير على طريقة الشاطبية والدرة وحبب إليه طلب العلم فأول ما حفظ متن الآجرومية وسمع سائر الصحيح والشفاء على سيدي علي بن العربي السقاط وحضر دروس أعيان عصره واجتهد في التحصيل ولازم دروس الشيخ الصعيدي في الفقه وغيره من كتب المعقول وحضر على السيد البليدي شرح السعد على عقائد النسفي والأربعين النووية وفقع الموطا على هلال المغرب وعالمه الشيخ محمد التاودي بن سودة بالجامع الأزهر سنة وروده بقصد الحج ولازم المرحوم الوالد حسناً الجبرتي سنين وتلقى عنه الفقه الحنفي وغير ذلك من الفنون كالهيئة والهندسة والفلكيات والأوفاق والحكمة عنه وبواسطة تلميذه الشيخ محمد بن إسماعيل النفراوي المالكي وكتب له إجازة مثبتة في برنامج شيوخه وحضر الشيخ يوسف الحفني في آداب البحث وبانت سعاد وعلى الشيخ محمد الحفني أخيه مجالس من الجامع الصغير والشمايل والنجم الغيطي في المولد وعلى الشيخ أحمد الجوهري في شرح الجوهرة للشيخ عبد السلام وسمع منه المسلسل بالأولية وتلقى عنه طريق الشاذلية من سلسلة مولاي عبد الله الشريف وشملته إجازة الشيخ الملوي وتلقى عنه مسائل في أواخر أيام انقطاعه بالمترل ومهر وأنجب وتصدر لإلقاء الدروس في حياة شيوخه ونما أمره واشتهر فضله خصوصاً بعد موت أشياخه وشاع ذكره في الآفاق وخصوصاً بلاد المغرب وتأتيه الصلات من سلطان المغرب وتلك النواحي في كل عام ووفد عليه الطالبون للأخذ عنه والتلقي منه وتوجه في بعض المقتضبات إلى دار السلطنة وألقى هناك دروساً حضره فيها علماؤهم وشهدوا بفضله واستجازوه وأجازهم بما هو مجاز به من أشياخه وصنف عدة مؤلفات اشتهرت بأيدي الطلبة وهي غاية التحرير منها مصنف في فقه مذهبه سماه المجموع حاذى به مختصر خليل جمع فيه الراجح في المذهب وشرحه شرحاً نفيساً وقد صار كل منهما مقبولاً في أيام شيخه العدوي حتى كان إذا توقف شيخه في موضع يقول هاتوا مختصر الأمير وهي منقبة شريفة وشرح مختصر خليل وحاشية على المغني لابن هشام وحاشية على الشيخ عبد الباقي على المختصر وحاشية على الشيخ عبد السلام على الجوهرة وحاشية على شرح الشذور لابن هشام وحاشية على الأزهرية وحاشية على الشنشوري على الرحبية في الفرائض وحواش على المعراج وحاشية على شرح الملوي على السمرقندية ومؤلف سماه مطلع النيرين فيما يتعلق بالقدرتين وإتحاف الأنس في الفرق بين اسم الجنس وعلم الجنس ورفع التلبيس عما يسأل به ابن خميس وثمر الثمام في شرح آداب الفهم والإفهام وحاشية على المجموع وتفسير سورة القدر وكان رحمه الله رقيق القلب

لطيف المزاج يترعج طبعه من غير انزعاج يكاد الوهم يؤلمه وسماع المنافر يوهنه ويسقمه وبآخره ضعفت قواه وتراخت أعضاه وزاد شكواه، ولم يزل يتعلل ويزداد أنينه وتململ والأمراض به تسلسل وداعي المنون عنه لا يتحول إلى أن توفي يوم الإثنين عاشر ذي القعدة الحرام، وكان له مشهد حافل جداً ودفن بالصحراء بجوار مدفن الشيخ عبد الوهاب العفيفي بالقرب من عمارة السلطان قايتباي وكثر عليه الأسف والحزن وخلف ولده العلامة النحرير الشيخ محمداً الأمير وهو الآن أحد الصدور كوالده يقرأ الدروس ويفيد الطلبة ويحضر الدواوين والمجالس العالية بارك الله فيه..

ومات الشيخ الفقيه العلامة الشيخ خليل المدابغي لكونه يسكن بحارة المدابغ حضر دروس الأشياخ من الطبقة الأولى وحصل الفقه والمعقول واشتهر فضله مع فقره وانجماعه عن الناس متقشفاً متواضعاً ويكتسب من الكتابة بالأجرة، ولم يتجمل بالملابس ولا بزي الفقهاء يظن الجاهل به أنه من جملة العوام توفي يوم الإثنين ثامن عشر ذي القعدة من السنة.

ومات الشيخ الفقيه الورع الشيخ علي المعروف بأبي زكري البولاقي لسكنه ببولاق، وكان ملازماً لإقراء الدروس ببولاق ويأتي إلى الجامع الأزهر في كل يوم يقرأ الدروس ويفيد الطلبة ويرجع إلى بولاق بعد الظهر ومات حماره الذي كان يأتي عليه إلى الجامع الأزهر، فلم يتخلف عن عادته ويأتي ماشياً، ثم يعود مدة حتى أشفق عليه بعض المشفقين من أهالي بولاق واشتروا له حماراً، ولم يزل على حالته وانكساره حتى توفي يوم الخميس ثامن شهر ذي القعدة من السنة رحمه الله وإيانا وجمعنا في مستقر رحمته آمين.

ومات من أكابر الدولة المسمى ولي أفندي ويقال له خواجا وهو كاتب خزينة الباشا وأنشأ الدار العظيمة التي بناحية باب اللوق وأدخل فيها عدة بيوت ودوراً جليلة تجاهها وملاصقة لها من الجهتين وبعضها مطل على البركة المعروفة ببركة أبي الشوارب وتقدم في أخبار العام الماضي أن الباشا صاهره وزوج ابنته لبعض أقارب الباشا الخصيصين به مثل الذي يقال له شريف آغا وآخر وعمل له مهما عظيماً احتفل فيه إلى الغاية وزفة وشنكاً كل ذلك وهو متمرض إلى أن مات في ثاني عشرين ربيع الثاني وضبطت تركته فوجد له كثير من النقود والجواهر والأمتعة وغير ذلك فسبحان الحي الذي لا يموت.

واستهلت سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وألف

واستهل المحرم بيوم الإثنين ووالي مصر وحاكمها الوزير محمد علي باشا وهو المتصرف فيها قبليها وبحريها بل والأقطار الحجازية وضواحيها وبيده أزمة الثغور الإسلامية ووزيره محمد بك لاظ المعروف بكتخدا بك وهو قائم مقامه في حال غيابه وحضوره والمتصدر في ديون الأحكام الكلية والجزئية وفصل الخصومات ومباشرة الأحوال نافذ الكلمة وافر الحرمة وآغات الباب إبراهيم آغا ومتولي أيضاً أمر تعديل الأصناف ليوفر على الخزينة ما يأكله المتولي على كل صنف ويخفي أمره فيشدد الفحص في المكيل والموزون والمذروع حتى يستخرج المخبأ ولو قليلاً فيجتمع من القليل الكثير من الأموال فيحاسب المتولي مدة ولايته فيجتمع له ما لا قدرة له على وفاء بعضه لأن ذلك شيء قد استهلك في عدة أيدي أشخاص واتباع ويلزم الكبير بأدائه ويقاسي ما يقاسيه من الحبس والضرب وسلب النعمة ومكابدة الأهوال وسلحدار الباشا سليمان آغا عوضاً عن صالح بك السلحدار لاستعفائه عنها في العام السابق وهو السلط على أخذ الأماكن وهدمها وبنائها خانات ورباعاً وحوانيت فيأتي إلى الجهة التي يختار البناء فيها ويشرع في هدمها ويأتيه أربابها فيعطيهم أثمانها، كما هي في حججهم القديمة وهو شيء نادر بالنسبة لغلو أثمان العقارات في هذا الوقت لعموم التخرب وكثرة العالم وغلاء المؤن وضيق المساكن بأهلها حتى أن المكان الذي كان يؤجر بالقليل صار يؤجر بعشرة أمثال الأجرة القديمة ونحو ذلك ومحمود بك الخازندار وخدمته قبض أموال البلاد والأطيان والرزق وما يتعلق بذلك من الدعاوي والشكاوي وديوانه بخط سويقة اللالا والمعلم غالي كاتب سر الباشا ورئيس الأقباط، وكذلك الدفتردار محمد بك صهر الباشا وحاكم الجهة القبلية والروزنامجي مصطفى أفندي وآغا مستحفظان حسن آغا البهلوان والزعيم علي آغا الشعرواي ومصطفى آغا كرد المحتسب وقد بردت همته عما كان عليه ورجع الحال في قلة الأدهان كالأول وازدحم الناس على معمل الشمع فلا يحصل الطالب منه شيئاً إلا بشق الأنفس، وكذلك انعدم وجود بيض الدجاج لعدم المجلوب ووقوف العسكر ورصدهم من يكون معه شيء منه من الفلاحين الداخلين إلى المدينة من القرى فيأخذونه منهم بدون القيمة حتى بيعت البيضة الواحدة بنصفين وأما المعاملة، فلم يزل أمرها في اضطراب بالزيادة والنقص وتكرار المناداة كل قليل وصرف الريال الفرانسة إلى أربعمائة نصف فضة والمحبوب إلى أربعمائة وثمانين والبندقي إلى تسعمائة نصف والمجر إلى ثمانمائة نصف وأما هذه الأنصاف العددية التي تذكر فهي أسماء لا وجود لمسمياتها في الأيدي.

وفي ثاني عشره، سافر الباشا إلى جهة الإسكندرية لمحاسبة الشركاء والنظر في بيع الغلال والمتاجر والمراسلات.

وفي تاسع عشره، ارتحلت عساكر أتراك ومغاربة مجردة إلى الحجاز.

واستهل شهر صفر بيوم الأربعاء سنة 1233

في ثالث عشره وصل الكثير من حجاج المغاربة.

وفي يوم الجمعة، سابع عشره وصل جاويش الحاج وفي ذلك اليوم وقت العصر ضربوا عدة مدافع من القلعة لبشارة وصلت من

إبراهيم باشا بأنه حصلت له نصرة وملك بلدة من بلاد الوهابية وقبض على أميرها ويسمى عتيبة وهو طاعن في السن.
وفي يوم الثلاثاء حادي عشرينه، وصل ركب الحاج المصري والمحمل وأمير الحاج من الدلاة.

واستهل شهر ربيع الأول بيوم الجمعة سنة 1233

فيه وصل قابجي من دار السلطنة فعملوا له موكباً وطلع إلى القلعة وضربوا له شنكاً سبعة أيام وهي مدافع تضرب في كل وقت من الأوقات الخمسة.
وفي هذا الشهر انعدم وجود القناديل الزجاج وبيع القنديل الواحد الذي كان ثمنه خمسة أنصاف بستين نصفاً إذا وجد.

واستهل شهر ربيع الثاني بيوم السبت سنة 1233

ووفقه أيضاً أول أمشير القبطي.
وفي منتصفه سافر أولاد سلطان المغرب والكثير من حجاج المغاربة وكانوا في غاية الكثرة بحيث ازدحمت منهم أسواق المدينة وبولاق وما بينهما من جميع الطرق فكانوا يشترون الأغنام من الفلاحين ويذبحونها ويبيعوها على الناس جزافاً من غير وزن بعد أن يتركوا لأنفسهم مقدار حاجتهم فذهب الكثير لشراء منهم بسبب رداءة اللحم الموجود بحوانيت الجزارين ولو وقف عليهم بالثمن الزائد.
وفي أواخره، حضر مبشر من ناحية الديار الحجازية يخبر بنصرة حصلت لإبراهيم باشا وأنه استولى على بلدة تسمى الشقراء وأن عبد الله بن مسعود كان بها فخرج منها هارباً إلى الدرعية ليلاً وأن بين عسكر الأتراك والدرعيين مسافة يومين، فلما وصل هذا المبشر ضربوا لقدومه مدافع من أبراج القلعة وذلك وقت الغروب من يوم الأربعاء سادس عشرينه.

واستهل شهر جمادى الأولى بيوم الأحد سنة 1233

فيه نودي على طائفة المخالفين للملة من الأقباط والأروام بأن يلزموا زيهم من الأزرق والأسود ولا يلبسوا العمائم البيض لأنهم خرجوا عن الحد في كل شيء ويتعممون بالشيلان الكشميري الملونة والغالية في الثمن ويركبون الرهوانات والبغال والخيول وأمامهم وخلفهم الخدم بأيديهم العصي يطردون الناس عن طريقهم ولا يظن الرائي لهم إلا أنهم من أعيان الدولة ويلبسون الأسلحة وتخرج الطائفة منهم إلى الخلاء ويعملون لهم نشنباً يضربون عليه بالبنادق الرصاص وغير ذلك فما أحسن هذا النهي لو دام.
وفي يوم السبت حادي عشرينه، حضر الباشا من غيبته بالإسكندرية أواخر النهار فضربوا لقدومه مدافع فبات بقصر شبرا وطلع في صبحها إلى القلعة فضربوا بها مدافع أيضاً فكانت مدة غيبته بالإسكندرية أربعة أشهر وتسعة أيام.
وفي أواخره، وصل هجان من شرق الحجاز ببشارة بأن إبراهيم باشا استولى على بلد كبير من بلاد الوهابية، و لم يبق بينه وبين الدرعية إلا ثمان عشرة ساعة فضربوا شنكاً ومدافع.
وفيه وصل هجان من حسن باشا الذي بجدة بمراسلة يخبر فيها بعصيان الشريف حمود بناحية يمن الحجاز وأنه حاصر من بتلك

النواحي من العساكر وقتلهم و لم ينج منهم إلا القليل وهو من فر على جوائد الخيل.
ووقع فيه أيضاً الاهتمام في تجريد عساكر للسفر وأرسل الباشا بطلب خليل باشا للحضور من ناحية بحري هو وخلافه وحصل الأمر بقراءة صحيح البخاري بالأزهر فقرئ يومين وفرق على مجاوري الأزهر عشرة أكياس وكذلك فرقت دراهم على أولاد المكاتب.

واستهل شهر جمادى الثانية سنة 1233

في منتصفه ليلة الثلاثاء حصل خسوف للقمر في سادس ساعة من الليل وكان المنخسف منه مقدار النصف وحصل الأمر أيضاً بقراءة صحيح البخاري بالأزهر.
وفيه ورد الخبر بموت الشريف حمود وأنه أصيب بجراحة مات بها.
وفي يوم الثلاثاء تاسع عشرينه، حصل كسوف للشمس في ثالث ساعة من النهار وكان المنكسف منها مقدار الثلث.
وفي ذلك اليوم، ضربت مدافع لوصول بشارة من إبراهيم باشا بأنه ملك جانباً من الدرعية وأن الوهابية محصورون وهو ومن معه من العربان محيطون بهم.

واستهل شهر شعبان سنة 1233

فيه حضر خليل باشا وحسين بك دالي باشا من الجهة البحرية ونزلوا بدورهم.

واستهل شهر رمضان بيوم الأحد سنة 1233

في منتصفه وصل نجاب وأخبر بأن إبراهيم باشا ركب إلى جهة من نواحي الدرعية لأمر يبتغيه وترك عرضيه فاغتنم الوهابية غيابه وكبسوا على العرضي على حين غفلة وقتلوا من العساكر عدة وافرة وأحرقوا الجبخانه فعند ذلك قوي الاهتمام وارتحل جملة من العساكر في دفعات ثلاث براً وبحراً يتلو بعضهم بعضاً في شعبان ورمضان وبرز عرضي خليل باشا إلى خارج باب النصر وترددوا في الخروج والدخول واستباحوا القطر في رمضان بحجة السفر فيجلس الكثير منهم بالأسواق يأكلون ويشربون ويمرون بالشوارع وبأيديهم أقصاب للدخان والتتن من غير احتشام ولا احترام لشهر الصوم وفي اعتقادهم الخروج بقصد الجهاد وغزو الكفار المخالفين لدين الإسلام وانقضى شهر الصوم والباشا متكدر الخاطر ومتقلق.

واستهل شهر شوال بيوم الاثنين سنة 1233

وكان هلاله عسر الرؤية جداً فحضر جماعة من الأتراك إلى المحكمة وشهدوا برؤيته.
وفي ذلك اليوم الموافق لثامن عشرة شهر أبيب القبطي أوفى النيل أذرعه فأخروا فتح سد الخليج ثلاثة أيام العيد ونودي بالوفاء يوم الأربعاء وحصل الجمع يوم الخميس رابعه وحضر فتح الخليج كتخدا بك والقاضي ومن له عادة بالحضور فكان جمعاً

وازدحاماً عظيماً من أخلاط العالم في جهة السد والروضة تلك الليلة واشتغلت النار في الحريقة واحترق فيها أشخاص ومات بعضهم.

وفي سادسه يوم السبت، خرج خليل باشا المعين إلى السفر في موكب وشق من وسط المدينة وخرج من باب النصر وعطف على باب الفتوح ورجع إلى داره في قلة من أتباعه في طريقه التي خرج منها.

وفيه، انتدب مصطفى آغا المحتسب ونادى في المدينة ويأمر الناس بقطع أراضي الطرقات والأزقة حتى العطف والحارات الغير النافذة فأخذ أرباب الحوانيت والبيوت يعملون بأنفسهم في قطع الأرض والحفر ونقل الأتربة وحملها من خوفهم من أذيته ولعدم الفعلة والأجراء واشتغال حمير الترابين باستعمالهم في عمائر أهل الدولة فلو كان الاهتمام في قطع أرض الخليج الذي يجري به الماء فإنه لم تقطع أرضه وينقطع جريانه في أيام قليلة لعلو أرضه من الطمي وبما يتهدم عليه من الدور القديمة وما يلقيه على ذلك بهذه الفعلة إلقاء ما يحفرونه وينقلونه من أتربة الأزقة والبيوت القديمة منه فيه ليلاً ونهاراً.

وفي ثامنه، ارتحل خليل باشا مسافراً إلى الحجاز من القلزم وعساكره الخيالة على طريق البر.

وفي يوم السبت ثالث عشره، نزلوا بكسوة الكعبة إلى المشهد الحسيني على العادة.

وفي يوم الاثنين ثاني عشرينه، عمل الموكب لأمير الحاج وهو حسين بك دالي باشا وخرج بالمحمل خارج باب النصر تجاه الهمائل ثم انتقل في يوم الأربعاء إلى البركة وارتحل منها يوم الاثنين تاسع عشرينه وسافر الكثير من الحجاج وأكثر فلاحي القرى والصعايدة ومن باقي الأجناس مثل المغاربة والقرمان والأتراك أنفار قليلة.

وفي ذلك اليوم، وصل قبجي وعلى يده تقرير لحضرة الباشا على السنة الجديدة وطلع إلى القلعة في موكب وقرئ التقرير بحضرة الجمع وضربت مدافع كثيرة وكذلك وصل قابجي صحبته فرمان بشارة بمولود ولد لحضرة السلطان فعمل له شنك ومدافع ثلاثة أيام في الأوقات الخمسة وذلك في منتصفه.

واستهل شهر ذي القعدة بيوم الأربعاء سنة 1233

وانقضى والباشا منفعل الخاطر لتأخر الأخبار وطول الانتظار وكل قليل يأمر بقراءة صحيح البخاري بالأزهر ويفرق على صغار المكاتب والفقراء دراهم ولضيق صدره واشتغال فكره لا يستقر بمكان فيقيم بالقلعة قليلاً ثم ينتقل إلى قصر شبرا ثم إلى قصر الآثار ثم الأزبكية ثم الجيزة وهكذا.

واستهل شهر ذي الحجة الحرام بيوم الجمعة 1233

في سابعه، وردت بشائر من شرق الحجاز بمراسلة من عثمان آغا الورداني أمير الينبع بأن إبراهيم باشا استولى على الدرعية والوهابية فانسر الباشا لهذا الخبر سروراً عظيماً وانجلى عنه الضجر والقلق وأنعم على المبشر وعند ذلك ضربوا مدافع كثيرة من القلعة والجيزة وبولاق والأزبكية وانتشر المبشرون على بيوت الأعيان لأخذ البقاشيش.

وفي ثاني عشره، وصل المرسوم بمكاتبات من السويس والينبع وذلك قبل العصر فأكثروا من ضرب المدافع من كل جهة واستمر

الضرب من العصر إلى المغرب بحيث ضرب بالقلعة خاصة ألف مدفع وصادف ذلك شنك أيام العيد وعند ذلك أمر بعمل مهرجان وزينة داخل المدينة وخارجها وبولاق ومصر القديمة والجيزة وشنك على بحر النيل تجاه الترسخانه ببولاق من النجارين والخراطين والحدادين وتقيد لذلك أمين أفندي المعمار وشرعوا في العمل وحضر كشاف النواحي والأقاليم بعساكرهم وأخرجوا الخيام والصواوين والوطاقات خارج باب النصر وباب الفتوح وذلك يوم الثلاثاء سادس عشرينه ونودي بالزينة وأولها الأربعاء فشرع الناس في زينة الحوانيت والخانات وأبواب الدور ووقود القناديل والسهر وأظهروا الفرح والملاعيب كل ذلك مع ما الناس فيه من ضيق الحال والكد في تحصيل أسباب المعاش وعدم ما يسرجون به من الزيت والشيرج والزيت الحار وكذا السمن فإنه شح وجوده ولا يوجد منه إلا القليل عند بعض الزياتين ولا يبيع الزيات زيادة عن الأوقية وكذلك اللحم لا يوجد منه إلا ما كان في غاية الرداءة من لحم النعاج الهزيل وامتنع أيضاً وجود القمح بالساحل وعرصات الغلة حتى الخبز امتنع وجوده بالأسواق ولما أنهي الأمر إلى من لهم ولاية الأمر فأخرجوا من شون الباشا مقداراً ليباع في الرقع وقد أكلها السوس ولا يباع منها أزيد من الكيلة أكثرها مسوس وكذلك لما شكا الناس من عدم ما يسرج به في القناديل أطلقوا للزياتين مقدار من الشيرج في كل يوم يباع في الناس لوقود الزينة وفي كل يوم يطوف المنادي ويكرر المناداة بالشوارع على الناس بالسهر والوقود والزينة وعدم غاق الحوانيت ليلاً ونهاراً وانقضى العام بحوادثه ومعظمها مستمر.

فمنها، وهو أعظمها شدة الأذية والضيق خصوصاً بذوي البيوت والمساتير من الناس بسبب قطع إيرادهم وأرزاقهم من الفائظ والجامكية السائرة والرزق الأحباسية وضبط الأنوال التي تقدم ذكرها وكان يتعيش منها ألوف من العالم ولما اشتد الضنك بالملتزمين وتكرر عرضحالهم فأمر لهم بصرف الثلث وتحول المصرفجي على بعض الجهات فكان كلما اجتمع لديه قدر يلحقه الطلب بحوالة من لوازم عساكر السفر المجردين وانقضى العام وأكثر الناس لم يحصل على شيء وذلك لكثرة المصاريف والإرساليات من الذخائر والغلال والمؤن وخزائن المال من أصناف خصوص الريال الفرانسه والذهب البندقي والمحبوب الإسلامي بالأحمال وهي الأصناف الرائجة بتلك النواحي وأما القروش فلا رواج لها إلا بمصر وضواحيها فقط أخبرني أحد أعيان كتاب الخزينة عن أجرة حمل الذخيرة على جمال العرب خاصة في مرة من المرات خمسة وأربعين ألف فرانسه وذلك من الينبع إلى المدينة حساباً عن أجرة كل بعير ستة فرانسه يدفع نصفها أمير الينبع والنصف الأخير يدفعه أمير المدينة عند وصول ذلك ثم من المدينة إلى الدرعية ما يبلغ المائة والأربعين ألف فرانسه وهو شيء مستمر التكرر والبعوث ويحتاج إلى كنوز قارون وهامان وإكسير جابر بن حيان.

ومنها، العمارة التي أمر بإنشائها الباشا المشار إليه بين السورين وحارة النصارى المعروفة بخميس العدس المتوصل منها إلى جهة الخرنفش وذلك بإشارة أكابر نصارى الإفرنج ليجتمع بها أرباب الصنائع الواصلون من بلاد الإفرنج وغيرهم وهي عمارة عظيمة ابتدؤا فيها ممن العام الماضي واستمروا مدة في صناعة الآلات الأصولية التي يصطنع بها اللوازم مثل السندالات والمخارط للحديد والقواديم والمناشير والتزجات ونحو ذلك وأفردوا لكل حرفة وصناعة مكاناً وصناعاً يحتوي المكان على الأنوال والدواليب والآلات الغريبة الوضع والتركيب لصناعة القطن وأنواع الحرير والأقمشة والمقصبات.

وفي أواخر هذا العام، جمعوا مشايخ الحارات وألزموهم بجمع أربعة آلاف غلام من ألاد البلد ليشتغلوا تحت أيدي الصناع ويتعلموا ويأخذوا أجرة يومية ويرجعوا لأهاليهم أواخر النهار فمنهم من يكون له القرش والقرشان والثلاثة بحسب الصناعة

وما يناسبها وربما احتيج إلى نحو العشرة آلاف غلام بعد إتمامها والمحتاج إليه في هذا الوقت القدر المذكور وهي كرخانه عظيمة صرف عليها مقادير عظيمة من الأموال.

ومنها أنه ظهر بأراضي الأرز بالبحر الشرقي ناحية دمياط حيوان يخرج من البحر الشرقي في قدر الجاموس العظيم ولونه فيرعى الفدان من الزرع ثم يتقايا أكثره وكان ظهوره من العام الماضي فيجتمع عليه الكثير من أهل الناحية ويرجمونه بالحجارة ويضربون عليه بنادق الرصاص فلا تؤثر في جلده ويهرب إلى البحر واتفق أنه ابتلع رجلاً إلى أن أصيب في عينه وسقط وتكاثر عليه وقتلوه وسلخوا جلده وحشوه تبناً وأتوا به إلى بولاق وتفرج عليه الباشا والناس وأخبرني غير واحد ممن رآه أنه أعظم من الجاموس الكبير طوله ثلاثة عشر قدماً ولونه وجلده أملس ورأسه عظيم يشبه رأس ابن عرس وعيناه في أعلى دماغه واسع الفم وذنبه مثل ذنب السمك وأرجله غلاظ مثل أرجل الفيل في أواخرها أربع ظلوف طوال وأسفلها كخف الجمل وأدخلوه إلى بيت الإفرنج وأنعم به الباشا على بغوص الترجمان الأرمني وهو يبيعه على الإفرنج بثمن كبير.
ومنها، أن امرأة يقال لها الشيخة رقية تتزر بمئزر أبيض وبيدها خيزرانة وسبحة تطوف على بيوت الأعيان وتقرأ وتصلي وتذكر على السبحة ونساء الأكابر يعتقدون فيها الصلاح ويسألن منها الدعاء وكذلك الرجال حتى بعض الفقهاء وتجتمع على الشيخ العالم المعتقد الشيخ تعيلب الضرير ويكثر من مدحها للناس فيزدادون فيها اعتقاداً ولها بمنزل خليل بك طوقان النابلسي مكان مفرد تأوي إليه على حدتها وإذا دخلت بيتاً من البيوت قام إليها الخدم واستقبلوها بقولهم نهارنا سعيد ومبارك ونحو ذلك وإذا دخلت على الستات قمن إليها وفرحن بقدومها وقبلن يدها وتبيت معهن ومع الجواري فذهبت يوماً إلى دار الشيخ عبد العليم الفيومي وذلك في شهر شوال فتمرضت أياماً وماتت فضجوا وتأسفوا عليها وأحبوا تغيير ما عليها من الثياب فرأوا شيئاً معجر ما بين أفخاذها فظنوه صرة دراهم وإذا هو آلة الرجال الخصيتان والذي فوقهما فبهت النساء وتعجبن وأخبروا الشيخ تعيلب بذلك فقال استروا هذا الأمر وغسلوه وكفنوه وواروه في التراب ووجدوا في جيبه مرآة وموسى وملقاطاً وشاع أمره واشتهر وتناقله الناس بالتحدث والتعجب.
ومنها، زيادة النيل في هذا العام الزيادة المفرطة التي لم تسمع ولم نر مثلها حتى غرق الزروع الصيفية مثل الذرة والنيلة والسمسم والقصب والأرز وأكثر الجنائن بحيث صار البحر وسواحله والملق لجة ماء وانهدم بسببه قرى كثيرة وغرق الكثير من الناس والحيوان حتى كان الماء ينبع بين الناس من وسط الدور واختلط بحر الجيزة ببحر مصر العتيقة حتى كانت المراكب تمشي فوق جزيرة الروضة وكثر عويل الفلاحين وصراخهم على ما غرق لهم من المزارع وخصوصاً الذرة الذي هو معظم قوتهم وكثير من أهل البلاد ندبوا بالدفوف.
ومنها، أن الباشا زاد في هذه السنة الخراج وجعل على كل فدان ستة قروش وسبعة وثمانية وذكر أنها مساعدة على حروب الحجاز والخوارج فدهي الفلاحون بهاتين الداهيتين وهي زيادة النيل وزيادة الخراج في غير وقت وأوان فإن من عادة الفلاحين وأهل القرى إذا انقضت أيام الحصاد والدراوي وشطبوا ما عليهم من مال الخراج لملتزميهم ويكون ذلك مبادي زيادة النيل وارتفع عنهم الطلب وارتحلت كشاف النواحي وقائمقام الملتزمين والصيارف والعينون وخلت النواحي منهم فعند ذلك ترتاح نفوسهم وتجتمع حواسهم ويعملون أعراسهم ويجددون ملبوسهم ويزوجون بناتهم ويختنون صبيانهم ويشيدون بنيانهم ويصلحون

جسورهم وحبوسهم فإذا أخذ النيل في الزيادة شرعوا في زراعة الصيفي الذي هو معظم قوقم وكسبهم حتى إذا انحسر الماء وانكشفت الأراضي وآن أوان التحضير وزراعة الشتوي من البرسيم والغلة وجدوا ما يسدون به مال التجهية وما يرقعون به أحوالهم من بهائم الحرث ومحاريث وتقاوي وأجر عمال ونحو ذلك فدهموا هذه السنة بهاتين الآفتين الأرضية والسماوية ورحل الكثير عن أهله ووطنه وكان ابتداء طلب هذه الزياجة قبل زيادة النيل ومجيء خبر النصرة فلما ورد خبر النصرة لم يرتفع ذلك.

ومنها، الاضطراب في المعاملة بالزيادة والنقص والمناداة عليها كل قليل والتنكيل والترك وبلغ الصرف البندقي ثمانمائة وثمانين نصفاً فضة والفرانسة أربعمائة نصف وعشرة والمحبوب أربعمائة وأربعين وهو المصري وأما الإسلامبولي فيزيد أربعين والمجر ثمانمائة نصف وأما هذه الأنصاف وهي الفضة العددية فهي أسماء من غير مسميات لمنعها واحتكارها فلا يوجد منها في المعاملة بأديد الناس إلا النادر جداً ولا يوجد بالأيدي في محقرات الأشياء وغيرها إلا المجزأ بالخمسة والعشرة والعشرين وتصرف من اليهود والصيارف بالفرط والنقص ومن حصل بيده شيء من الأنصاف عض عليه بالنواجذ ولا يسمح بإخراج شيء منها إلا عند شدة الاضطرار اللازم.

ومنها، أن السيد محمد المحروقي أنشأ ببركة الرطلي دار وبستاناً في محل الأماكن التي تخربت في الحوادث وذلك أنه لما طرقت الفرنساوية الديار المصرية واختل النظام وجلا أكثر الناس عن أوطانهم وخصوصاً سكان الأطراف فبقيت دور البركة خالية من السكان وكان بها عدة من الديار الجليلة منها حسن كتخدا الشعراوي وتابعه عمر جاويش وداره على سمته أيضاً ودار علي كتخدا الخربطلي ودار قاضي البهار ودار سليمان آغا ودار الحموي وخلاف ذلك دور كانت جارية في وقف عثمان كتخدا القازدغلي وغيره وهذه الدور هي التي أدركناها بل سكنا بها عدة سنين وكانت في الزمن الأول عدة دور مختصرة يسكنها أهل الرفاهية من أهالي البلد وكان بها بيت البكرية القديم بالناحية الجنوبية تجاه زاوية جدهم الشيخ جلال الدين البكري وكان الناس يرغبون في سكناها لطيب هوائها وانكشاف الريح البحري بها وليس في تجاهها من البر الآخر سوى الأشجار والمزارع ويعبرها المراكب والسفائن والقنج في أيام النيل بالمتفرجين والمتنزهين وأهل الخلاعة بمزامرهم ومغانيهم ولصدى أصواقم المطربة طرب آخر فلما انقشع عنها السكان تداعت الدور إلى الخراب وبقيت مسكناً للبوم والغراب مدة إقامة الفرنساوية فلما حضر يوسف باشا الوزير في المرة الأولى وذلك سنة أربع عشرة ومائتين وألف وانتقض الصلح بينه وبين الفرنساوية وحصلت المفاقمة ووقعت الحروب داخل البلدة واحتاطت الفرنساوية بجهات البلد وجرى ما تقدم ذكره في الحوادث السابقة وكان طائفة من الفرنساوية أتوا إلى هذه البركة وملكوا التل المعروف بتل أبو الريش وأخذوا يرمون بالمدافع والقنابر على أهل باب الشعرية وتلك النواحي فما انجلت الحروب حتى خربت بيوت البركة وما كان بتلك النواحي من الدور التي بظاهرها وبقيت كيماناً فحسن ببال السيد المذكور أن يجعل له سكناً هناك فاحتكر أراضي تلك المساكن من أربابها من مدة سابقة ثم تكاسل عن ذلك واشتغل بتوسعة دار سكنه التي بخطة الفحامين محل دكة الحسبة القديمة حتى أتمها على الوضع الذي قصده ثم شرع في السنة الماضية في إنشاء سكن لخصوص نزاهته فشرع في تنظيف الأتربة وإصلاح الأرض وأنشأ دار متسعة وقيعاناً وفسحات وهي مفروشة بالرخام وحولها بستان وغرس به أنواع الأشجار ودوالي الكروم وهي بمكان حسن كتخدا ومن كان على سمته من الدور نحو الثلاثين وأنشأ كاتبه السيد عمر الحسيني داراً عظيمة لخصوصه أخذ فيها باقي أراضي الأماكن وزخرفها وانتقل إليها

بأهله وعياله وجعلها داراً لسكناه صيفاً وشتاء وبنيا خارج ظاهرها حائطاً يكون لدورهما سوراً وعملا بها بوابة تفتح وتقفل وكان بجوار ذلك جامع متخرب يسمى جامع الحريشي فعمره أيضاً السيد محمد المحروقي وأقام حوائطه وأعمدته وسقفه وبيضه وأقام الخطبة آخر جمعة شهر المحرم، وأما من مات في هذه السنة، ممن له ذكر.

فمات، شيخ الإسلام وعمدة الأنام الفقيه العلامة والنحرير الفهامة الشيخ محمد الشنواني نسبة إلى شنوان الغرف الشافعي الأزهري شيخ الجامع الأزهر من أهل الطبقة الثانية الفقيه النحوي المعقولي حضر الأشياخ أجلهم الشيخ فارس وكالصعيد والدردير والفرماوي وتفقه على الشيخ عيسى البراوي ولازم دروسه وبه تخرج وأقرأ الدروس وأفاد الطلبة بالجامع المعروف بالفاكهاني بالقرب من دار سكناه بخشقدم مهذب النفس مع التواضع والانكسار والبشاشة لكل واحد من الناس ويشمر ثيابه ويخدم بنفسه ويكنس الجامع ويسرج القناديل ولما توفي الشيخ عبد الله الشرقاوي اختاروه للمشيخة فامتنع وهرب إلى مصر العتيقة بعدما جرى ما تقدم ذكره من تصدر الشيخ محمد المهدي فأحضروه قهراً عنه وتلبس بالمشيخة مع ملازمته لجامع الفاكهاني كعادته وأقبلت عليه الدنيا فلم يتهنأ بها واعترته الأمراض وتعلل بالزخير أشهراً ثم عوفي ثم بآخره بالبرودة وانقطع بالدار كذلك أشهراً و لم يزل منقطعاً حتى توفي يوم الأربعاء رابع عشري المحرم وصلي عليه بالأزهر في مشهد عظيم ودفن بتربة المجاورين وله تآليف منها حاشية جليلة على شرح الشيخ عبد السلام علي الجوهرة مشهورة بأيدي الطلبة وكان يجيد حفظ القرآن ويقرأ مع فقهاء الجوقة في الليالي، وتقلد المشيخة بعده الشيخ العلامة السيد محمد ابن شيخنا الشيخ أحمد العروسي من غير منازع وبإجماع أهل الوقت ولبس الخلع من بيوت الأعيان مثل البكري والسادات وباقي أصحاب المظاهر ومن يحب التظاهر.

ومات، العمدة الشيخ محمد بن أحمد بن محمد المعروف هو بالدواخلي الشافعي ويقال له السيد محمد لأن أباه تزوج بفاطمة بنت السيد عبد الوهاب البرديني فولد له المترجم منها ومنها جاءه الشرف وهم من محلة الداخل بالغربية وولد المترجم بمصر وتربى في حجر أبيه وحفظ القرآن واجتهد في طلب العلم وحضر الأشياخ من أهل وقته كالشيخ محمد عرفة الدسوقي والشيخ مصطفى الصاوي وخلافه من أشياخ هذا العصر ولازم الشيخ عبد الله الشرقاوي في فقه مذهبه وغيره من العقولات ملازمة كلية وانتسب له وصار من أخص تلامذته ولما مات السيد مصطفى الدمنهوري الذي كان بمترلة كتخداه قام مقامه واشتهر به وأقرأ الدروس الفقهية والمعقولية وحف به الطلبة وتداخل في قضايا الدعاوي والمصالح بين الناس واشتهر ذكره وخصوصاً أيام الفرنساوية حين تقلد شيخه رآسة ديوالهم وانتفع في أيامهم انتفاعاً عظيماً من تصديه لقضايا نساء الأمراء المصرية وغيرهم ومات والده فأحرز ميراثه وكذلك لما قتل عديله الحاج مصطفى البشتيلي في الحرابة ببولاق لا عن وارث فاستولى على تعلقاته وأطيانه وبستانه التي ببشتيل واتسع حاله واشترى العبيد والجواري والخدم ولما ارتحل الفرنساوية ودخلها العثمانيون انطوى إلى السيد أحمد المحروقي لأنه كان يراسله سراً بالأخبار حين خرج مع العثمانيين في الكسرة إلى الشام فلما رجع فراعاه وراشاه ونوه بذكره عند أهل الدولة وفي أيام الأمراء المصريين حين رجعوا إلى مصر بعد قتل طاهر باشا في سنة ثمان عشرة واحتوى على رزق وأطيان وحصص التزام ولبس الفراوي بالأقية وركب البغال وأحدق به الأشياخ والأتباع وعنده ميل عظيم للتقدم

والرياسة ولا يقنع بالكثير ولما وقع ما وقع في ولاية محمد علي باشا وانفرد السيد عمر أفنجي في الرياسة وصار بيده مقاليد الأمور ازداد به الحسد فكان هو من أكبر الساعين عليه سراً مع المهدي وباقي الأشياخ حتى أوقعوا به وأخرجه الباشا من مصر كما تقدم فعند ذلك صفا لهم الوقت وتقلد المترجم النقابة بعد موت الشيخ محمد بن وفأ وركب الخيول ولبس التاج الكبير ومشت أمامه الجاويشية والمقدمون وأرباب الخدم وازدحم بيته بأرباب الدعاوي والشكاوي وعمر دار سكنهم القديمة بكفر الطماعين وأدخل فيها دوراً وأنشأ تجاهها مسجداً لطيفاً وجعل فيه منبراً وخطبة وعمر داراً ببركة جناق وأسكنها إحدى زوجاته وداخله الغرور وظن أن الوقت قد صفا له فأول ما ابتدأه به الدهر من نكباته أن مات ولده أحمد وكان قد ناهز البلوغ و لم يكن له من الأولاد الذكور غيره فوجد عليه وجداً شديداً حتى كان يتكلم بكلام نقمه الناس عليه وعمل ميتماً ودفنه بمسجده تجاه بيته وعمل عليه مقاماً ومقصورة مثل المقامات التي تقصد للزيارة وكان موته في منتصف سنة تسع وعشرين ووقعت حادثة قومة العسكر على الباشا في أواخر شهر شعبان من السنة المذكورة والمترجم إذ ذاك من أعيان الرؤوس يطلع ويترل في كل ليلة إلى القلعة ويشار إليه ويحل ويعقد في قضايا الناس ويسترسل معه الباشا، كما تقدم ذكر ذلك وداخله الغرور الزائد ولقد تطاول على كبار الكتبة الأقباط وغيرهم ويراجع الباشا في مطالبه بعد انقضاء الفتنة إلى أن ضاق صدر الباشا منه وأمر بإخراجه ونفيه إلى دسوق وذلك في سنة إحدى وثلاثين فأقام بها أشهراً، ثم توجه بشفاعة السيد المحروقي إلى المحلة الكبرى، فلم يزل بها متقلق الحواس منحرف المزاج متكدر الطبع وكل قليل يراسل اليد المحروقي في أن يشفع فيه عند الباشا ليأذن له في الحج مرة يحتج بالمرض ليموت في داره، فلم يؤذن له في شيء من ذلك، و لم يزل بالمحلة حتى توفي في منتصف شهر ربيع الأول من السنة ودفن هناك، وكان رحمه الله يميل إلى الرياسة طبعاً وفيد حدة مزاج وهي التي كانت سبباً لموته بأجله رحمه الله تعالى وإيانا.

ومات الصدر المعظم والدستور المكرم الوزير طاهر باشا ويقال أنه ابن أخت محمد علي باشا وكان ناظراً على ديوان الكمرك ببولاق وعلى الخمامير ومصارفه من ذلك وشرع في عمارة داره التي بالأزبكية بجوار بيت الشرايبي تجاه جامع أزبك على طرف الميري وهي في الأصل بيت المدني ومحمود حسن واحترق منه جانب، ثم هدم أكثرهما وخرج بالجدار إلى الرحبة وأخذ منها جانباً وأخل فيه بيت رضوان كتخدا الذي يقال له ثلاثة ولية تسمية له باسم العامودين الرخام الملتفين على مكسلتي الباب الخارج وشيد البناء بخرجات في العلو متعددة وجعل بابه مثل باب القلعة ووضع في جهتيه العامودين المذكورين وصارت الدار كأنها قلعة مشيدة في غاية من الفخامة فما هو إلا أن قارب الإتمام وقد اعتراه المرض فسافر إلى الإسكندرية بقصد تبديل الهواء فأقام هناك أياماً وتوفي في شهر جمادى الثانية وأحضروا رمته في أواخر الشهر ودفنوه بمدفنه الذي بناه محل بيت الزعفراني بجوار السيدة بقناطر السباع وترك ابناً مراهقاً فأبقاه الباشا على منصب أبيه ونظامه وداره.
ومات الأمير أيوب كتخدا الفلاح وهو مملوك الأمير مصطفى جاويش تابع صلاح الفلاح وكان آخر الأعيان المبجلين من جماعة الفلاح المشهورين وله عزوة وأتباع وبيته مفتوح للواردين ويحب العلماء والصلحاء ويتأدب معهم وكان الباشا يجله ويقبل شفاعته وكذلك أكابر الدولة في كل عصر وعلى كل حال كان لا بأس به توفي يوم الأربعاء لعشرين من شهر شعبان وقد جاوز سبعين رحمه الله تعالى.

واستهلت سنة أربع وثلاثين ومائتين وألف

واستهل المحرم بيوم السبت وسلطان الإسلام السلطان محمود شاه ابن عبد الحميد بدار سلطنته إسلامبول وولي مصر وحاكمها محمد علي باشا القوللي وكتخداه وباقي أرباب المناصب على حالهم وما هم عليه في العام الماضي.

ووردت الأخبار من شرق الحجاز والبشائر بنصرة حضرة إبراهيم باشا على الوهابية قبل استهلال السنة بأربعة أيام، فعند ذلك نودي بزينة المدينة سبعة أيام أولها الأربعاء سابع عشري الحجة ونصبت الصواوين خارج باب النصر عند الهمايل، وكذلك صيوان الباشا وباقي الأمراء والأعيان خرجوا بأسرهم لعمل الشنك والحرائق وأخرجوا من المدافع مائة مدفع وعشرة وتماثيل وقلاعاً وسواقي وسواريخ وصوراً من بارود وبدءوا في عمل الشنك من يوم الأربعاء فيضربون بالمدافع مع رماحة الخيالة من أول النهار مقدار ساعة زامنية وربع قريباً من عشرين درجة ضرباً متتابعاً لا يتخلله سكون على طريقة الإفرنج في الحروب بحيث أنهم يضربون المدفع الواحد اثنتي عشرة مرة وقيل أربع عشرة مرة في دقيقة واحدة فعلى هذا الحساب يزيد ضرب المدافع في تلك المدة على ثمانين ألف مدفع بحيث يتخيل الإنسان أصواتها مع أصوات بنادق الخيالة المترمحين رعوداً هائلة ورتبوا المدافع أربعة صفوف ورسم الباشا أن الخيالة ينقسمون كذلك طوابير ويكمنون في الأعالي، ثم يترلون مترامحين وهم يضربون بالبنادق ويهجمون على المدافع في حال اندفاعها بالرمي فمن خطف شيئاً من أدوات الطبجية الرماة يأتي به إلى الباشا ويعطيه البقشيش والأناعم، فمات بسبب ذلك أشخاص وسواس ويكون مبادئ نهاية وقوف الخيالة نهاية محط جلة المدفع فإنهم عند طلوع الفجر يضربون مدافع معمورة بالجلل بعدد الطوابير فتستعد الخيالة ويقف كل طابور عند مرمى جلته ويأخذون أهبتهم من ذلك الوقت إلى بعد شروق الشمس ويبتدؤن في الرمي والرماحة الحصة المذكورة وبعد العشاء خيرة لا يعمل كذلك الشنك برمي المدافع المتتالية المختلطة أصواتها بدون الرماحة ومع المدافع الحراقة والنفوط والسواريخ التي تصعد في الهواء وفيها من خشب الزان بدل القصب وكربحة بارودها أعظم من تلك بحيث أنها تصعد من الأسفل إلى العلو مثل عامود النار وأشياء أخر لم يسبق نظائرها تفنن في عملها الإفرنج وغيرهم وحول محل الحراقة حلقة دائرة متسعة حولها ألوف من المشاعل الموقدة وطلبوا لعمل أكياس بارود المدافع مائتي ألف ذراع من القماش البز وكان راتب الأرز الذي يطبخ في القزانات في عراضي العساكر في كل يوم أربعمائة أردب وما يتبعها من السمن وهذا خلاف مطابخ الأعيان وما يأتيهم من بيوتهم من تعابي الأطعمة وغيرها واستمر هذا الضرب والشنك إلى يوم الثلاثاء رابع المحرم وأهل البلد ملازمون للسهر والزينة على الحوانيت والدور ليلاً ونهاراً وتكرار المناداة عليهم في كل يوم وركب حضرة الباشا وتوجه إلى داره بالأزبكية وهدمت الصواوين والخيام وبطل الرمي ودخلت العساكر والبينبات بمتاعهم وعازقم أفواجاً إلى المدينة وذهبوا إلى دروهم ورفع الناس الزينة، وكان معظمها حيث مساكن الإفرنج والأرمن فإنهم تفننوا في عمل التصاوير والتماثيل وأشكال السرج والفنيارات الزجاج والبلور وأشكال النجف ومعظمها في جهات المسلمين بخان الخليلي والغورية والجمالية وبعض الأماكن والخانات ملاهي وآغاني وسماعات وقيان وجنك رقاصات هذا والتهيؤ والأشغال والاستعداد لعمل الدونانمه على بحر النيل ببولاق فصنعوا صورة قلعة بأبراج وقباب وزوايا وأنصاف دوائر وخورنقات وطيقان للمدافع وطلوها وبيضوها ونقشوها بالألوان والأصباغ وصورة باب مالطة

وكذلك صورة بستان على سفائن وفيه الطين ومغروس به الأشجار ومحيط به درابزين مصبغ وبه دوالي العنب وأشجار الموز والفاكهة والنخيل والرياحين في قصارى لطيفة على حافاته وصورة عربة يجرها أفراس وبها تماثيل وصور جالسين وقائمين وتمثال مجلس وبه جنك رقاصات من تماثيل مصورة تتحرك بآلات ابتكار بعض المبتكرين لأن كل من تخيل بفكره شيئاً ملعوباً أو تصويراً ذهب إلى الترسخانه حيث الأخشاب والصناع فيعمله على طرف الميري حتى يبرزه في الخارج ويأخذ على ابتكاره البقشيش وأكثرها لخصوص الحراقات والنفوط والبارود والسواريخ وغير ذلك وبعد انقضاء السبعة أيام المذكورة حصل السكون من يوم الثلاثاء المذكور إلى يوم الأحد التالي له من الجمعة الأخرى مدة خمسة أيام في أثنائها اجتهد الناس من الأعيان وكل من له اسم من أكابر الناس وأهل الدائرة والأفندية الكتبة حتى الفقهاء أرباب المناصب والمظاهر ومشايخ الإفتاء والنواب والمتفرجين في نصب الخيام بحافتي النيل

واستأجروا الأماكن المطلة على البحر ولو من البعد وتنافسوا واشتط أربابها في الأجرة حتى بلغ أجرة حفر طبقة بمثل وكالة الفسيخ إلى خمسمائة قرش وزيادة وكان الباشا أمر بإنشاء قصر لخصوص جلوسه بالجزيرة تجاه بولاق قبلي قصر ابنه إسماعيل باشا وتمموا بياضه ونظامه في هذه المدة القليلة، فلما كان ليلة الاثنين وهو يوم عاشوراء خرج الباشا من ليلته وعدى إلى القصر المذكور وخرج أهل الدائرة والأعيان إلى الأماكن التي استأجروها وكذلك العامة أفواجاً وأصبح يوم الاثنين المذكور فضربت المدافع الكثيرة لتي صففوها بالبرين وزين أهالي بولاق أسواقهم وحوانيتهم وأبواب دورهم ودقت الطبول والمزامير والنقرزانات في السفائن وغيرها وطبلخانة الباشا تضرب في كل وقت والمدافع الكثيرة في ضحوة كل يوم وعصره وبعد العشاء كذلك وتوقد المشاعل وتعمل أصناف الحراقات والسواريخ والشعل وتتقابل القلاع المصنوعة على وجه الماء ويكون منها المدافع على هيئة المتحاربين وفيها فوانيس وقناديل وهيئة باب مالطه بوابة مجسمة مقوصرة لها بدنات ويرى بداخلها سرج وشعل ويخرج منها حراقات وسواريخ وغالب هذه الأعمال من صناعة الإفرنج وأحروا سفائن رومية صغيرة تسمى الشلنبات يرمي منها مدافع وشنابر وشيطيات وغلايين مما يسير في البحر المالح وفي جميعها وقدات وسرج وقناديل وكلها مزينة بالبيارق الحرير والأشكال المختلفة الألوان ودبوس أوغلي ببولاق التكرور وعنده أيضاً الحراقات الكثيرة والشعل والمدافع والسواريخ وبالجيزة عباس بك بن طوسون باشا والنصارى الأرمن بمصر القديمة وبولاق والإفرنج وأبرز الجميع زينتهم وتماثيلهم وحرائقهم وعند الأعيان حتى المشايخ في القنج والسفائن المعدة للسروج والتفرج والتراهة والخروج عن الأوضاع الشرعية والأدبية واستمروا على ما ذكر إلى يوم الاثنين سابع عشره.

وفي ذلك اليوم وصل عبد الله بن مسعود الوهابي ودخل من باب النصر وصحبته عبد الله بكتاش قبطان السويس وهو راكب على هجين وبجانبه المذكور وأمامه طائفة من الدلاة فضربوا عند دخوله مدافع كثيرة من القلعة وبولاق وخلافهما وانقضى أمر الشنك وخلافه من ساحل النيل وبولاق ورفعوا الزينة وركب الباشا إلى قصر شبرا في تلك السفينة وانفض الجمع وذهبوا إلى دورهم وكان ذلك من أغرب الأعمال التي لم يقع نظيرها بأرض مصر ولا ما يقرب من ذلك ومطبخ الميري يطبخ به الأرز على النسق المتقدم والأطعمة ويؤتى لأرباب المظاهر منها في وجبتي الغداء والعشاء خلاف المطابخ الخاصة بهم وما يأتيهم من بيوتهم وأما العامة والمتفرجون من الرجال والنساء فخرجوا أفواجاً وكثر زحامهم في جميع الطرق الموصلة إلى بولاق ليلاً ونهاراً

بأولادهم وأطفالهم ركباناً ومشاة، وقد ذهب في هاتين الملعبتين من الأموال ما لا يدخل تحت الحصر وأهل الاستحقاق يتلظون من الفشل والتفليس مع ما هم فيه من غلاء الأسعار في كل شيء وانعدام الأدهان وخصوصاً السمن والشيرج والشحم فلا يوجد من ذلك الشيء اليسير إلا بغاية المشقة ويكون على حانوت الدهان الذي يحصل عنده بعض السمن شدة الحام والصياح ولا يبيع بأزيد من خمسة أنصاف وهي أوقية اثنا عشر درهماً بما فيها من الخلط وأعوان المحتسب مرصدون لمن يرد من الفلاحين والمسافرين بالسمن فيحجزونه لمطالب الدولة ومطابخهم ودورهم في هذه الولائم والجمعيات ويدفع لهم ثمنه على موجب التسعيرة، ثم يوزع ما يوزعه وهو الشيء القليل على المتسببين وهم يبيعونه على هذه الحالة ومثل ذلك الشيرج وخلافه حتى الجبن القريش.

وفيه وصل عبد الله الوهابي فذهبوا إلى بيت إسماعيل باشا بن الباشا فأقام يومه وذهبوا به في صبحها عند الباشا بشبرا، فلما دخل عليه قام له وقابله بالبشاشة وأجلسه بجانبه وحادثه وقال له ما هذه المطاولة فقال الحرب سجال قال وكيف رأيت إبراهيم باشا قال ما قصر وبذل همته، ونحن كذلك حتى كان ما كان قدره المولى فقال أنا إن شاء الله تعالى أترجى فيك عند مولانا السلطان فقال المقدر يكون، ثم ألبسه خلعة وانصرف عنه إلى بيت إسماعيل باشا ببولاق ونزل الباشا في ذلك اليوم السفينة وسافر إلى جهة دمياط وكان بصحبة الوهابي صندوق صغير من صفيح فقال له الباشا ما هذا فقال هذا ما أخذه أبي من الحجرة أصحبه معي إلى السلطان وفتحه فوجد به ثلاثة مصاحف قرآناً مكلفة ونحو ثلاثمائة حبة لؤلؤ كبار وحبة زمرد كبيرة وبها شريط ذهب فقال له الباشا الذي أخذه من الحجرة أشياء كثيرة غير هذا فقال هذا الذي وجدته عند أبي فإنه لم يستأصل كل ما كان في الحجرة لنفسه بل أخذ كذلك كبار العرب وأهل المدينة وأغوات الحرم وشريف مكة فقال الباشا صحيح وجدنا عند الشريف أشياء من ذلك.

وفي يوم الأربعاء تاسع عشره، سافر عبد الله بن مسعود إلى جهة الإسكندرية وصحبته جماعة من الططر إلى دار السلطنة ومعه خدم لزومه.

واستهل شهر صفر بيوم الاثنين سنة 1234

في ثالثه وصل طائفة من الحجاج المغاربة يوم الأربعاء وصحبتهم حجاج كثيرة من الصعائدة وأهل القرى فدخلوا على حين غفلة وكان الرئيس فيهم شخص من كبار عرب أولاد علي يسمى الحبالي وهذا لم يتفق نظيره فيما وعيناه وسببه أمن الطريق وانكماش العربان وقطاع الطريق.

وفيه أخبر المخبرون بأن الباشا أقام بدمياط أياماً قليلة، ثم توجه إلى البرلس ويزل في نقيرة وذهب إلى الإسكندرية على ظهر البحر المالح وقد استعد أهلها بقدومه وزينوا البلد والذي تولى الاعتناء بذلك طائفة الفرنج فإنهم نصبوا طريقاً من باب البلد إلى القصر الذي هو سكن الباشا وجعلوا بناحيتيه يمنى ويسرى أنواع الزينة والتماثيل والتصاوير والبلور والزجاج والمرايات وغير ذلك من البدع البديعة الغريبة.

وفي غايته وصل الحاج المصري ودخلوا إرسالاً شيئاً فشيئاً ومنهم من دخل ليلاً وخصوصاً ليلة الاثنين وفي صبحه دخل حسن باشا أرنؤد الذي كان مقيماً بجدة وفي ذلك اليوم دخل بواقي الحجاج إلى منازلهم.

واستهل شهر ربيع الأول بيوم الثلاثاء سنة 1234

في صبحه دخلوا بالمحمل المدينة وأكثر الناس لم يشعر بدخوله وهذا لم يتفق فيما نعلم تأخر الحاج إلى شهر ربيع الأول.

وفي ليلة الثلاثاء ثامنه احترق سوق الشرم والجملون الكائن أسفل جامع الغورية بما فيه ن الحوانيت وبضائع التجار والأقمشة الهندية وخلافها فظهرت به النار من بعد العشاء الأخيرة فحضر الوالي وآغات التبديل فوجدوا الباب الذي من جهة الغورية مغلقاً من داخل، وكذلك الباب الذي من الجهة الأخرى وهما في غاية المتانة، فلم يزالوا يعالجون فتح الباب بالعتالات والكسر إلى بعد نصف الليل والنار عمالة من داخل وهرب الخفير واحترق ليوان الجامع البراني والدهليز وأخذوا في الهدم وصب المياه بآلات القصارين مع صعوبة العمل بسبب علو الحيطان الشاهقة والأخشاب العظيمة والأحجار الهائلة والعقود، فلم يخمد لهب النار إلا بعد حصة من النهار وسرحت النار في أخشاب الجامع التي بداخل البناء، ولم يزل الدخان صاعداً منها وسقطت الشبابيك النحاس العظام وبقيت مفتتة ومكلسة واستمر العلاج في إطفاء الدخان ثلاثة أيام ولولا لطف المولى وتأخير فتح الباب لكونه مصفحاً بالحديد، فلم تعمل فيه النار فهو لم يكن كذلك لاحترق وسرحت النار إلى الحوانيت الملاصقة به وهي كلها أخشاب ويعلوها سقائف أخشاب كذلك ومن فوق الجميع السقيفة العظيمة الممتدة على السوق من أوله إلى آخره وهي في غاية العلو والارتفاع وكلها أخشاب وحجة وسهوم وبراطيم من أعلى ومن أسفل لحملها من الجهتين ومن ناحيتها الرباع والوكائل والدور وحيطان الجميع من الحجة والأخشاب العتيقة التي تشتعل بأدنى حرارة فلو وصلت النار والعياذ بالله تعالى إلى هذه السقيفة لما أمكن إطفاؤها بوجه، وكان حريقاً دومياً ولكن الله سلم.

وفي يوم السبت ثاني عشره، حضر السيد عمر أفندي نقيب الأشراف سابقاً وذلك أنه لما حصلت النصرة والمسرة للباشا فكتب إليه مكتوباً بالتهنئة وأرسله مع حفيده السيد صالح إلى الإسكندرية فتلقاه بالبشاشة وطفق يسأله عن جده فيقول له بخير ويدعو لكم فقال له هل في نفسه شيء أو حاجة نقضيها له فقال لا يطلب غير طول البقاء لحضرتكم، ثم انصرف إلى المكان الذي نزل به فأرسل إليه في ثاني يوم عثمان السلانكلي ليسأله ويستفسره عما عسى أن يستحي من مشافهة الباشا بذكره، فلم يزل يلاطفه حتى قال لم يكن في نفسه إلا الحج إلى بيت الله إن أذن له أفندينا بذلك فلما عاد بالجواب أنعم عليه بذلك وأذن له بالذهب إلى مصر وأن يقيم بداره إلى أوان الحج إن شاء براً وإن شاء بحراً وقال أنا لا أتركه في الغربة هذه المدة إلا خوفاً من الفتنة والآن لم يبق شيء من ذلك فإنه أبي وبيني وبينه ما لا أنساه من المحبة والمعروف وكتب له جواباً بالإجابة وصورته بحروفه مظهر الشمائل سنيها حميد الشؤون وسميها سلالة بيت المجد الأكرم والدنا السيد عمر مكرم دام شأنه أما بعد فقد ورد الكتاب اللطيف من الجناب الشريف تهنئة بما أنعم الله علينا وفرحاً بمواهب تأييده لدينا فكان ذلك مزيداً في السرور ومستديماً لحمد الشكور ومجلبة لثناكم وإعلاناً بنيل مناكم جزيتم حسن الثنا مع كمال الوقار ونيل المنى هذا وقد بلغنا نجلكم عن طلبكم الإذن في الحج إلى البيت الحرام وزيارة روضته عليه الصلاة والسلام للرغبة في ذلك والترجي لما هنالك وقد أذناكم في هذا المرام تقرباً لذي الجلال والإكرام ورجاء لدعواتكم بتلك المشاعر العظام فلا تدعوا الابتهال ولا الدعاء لنا بالقال والحال، كما هو الظن في الطاهرين والمأمول من الأصفياء المقبولين والواصل لكم جواب منا خطاباً إلى كتخدائنا ولكم الإجلال والاحترام مع جزيل الثناء والسلام وأرسل إليه المكتوبين صحبة حفيده السيد صالح وأرسل إلى كتخدا بك كتاباً وصل إليه قبل قدومه فأرسل

الكتخدا ترجمانه إلى مترله ليبشرهم بذلك وأشيع خبر مقدمه فكان الناس بين مصدق ومكذب حتى وصل في اليوم المذكور إلى بولاق فركب من هناك وتوجه إلى زيارة الإمام الشافعي وطلع إلى القلعة وقابل الكتخدا وسلم عليه وهنئه الشعراء بقصائدهم وأعطاهم الجوائز واستمر ازدحام الناس أياماً، ثم امتنع عن الجلوس في المجلس العام نهاراً واعتكف بحجرته الخاصة فلا يجتمع به إلا بعض من يريده من الأفراد فانكف الكثير عن الترداد وذلك من حسن الرأي.

واستهل شهر ربيع الثاني بيوم السبت سنة 1234

فيه حصل الاهتمام بحفر الترعة المعروفة بالأشرفية الموصلة إلى الإسكندرية وقد تقدم في العام الماضي بل والذي قبله اهتمام الباشا ونزل إليها المهندسون ووزنوا أرضها وقاسوا طولها وعرضها وعمقها المطلوب. ثم أهمل أمرها لقرب مجيء النيل وتركوا الشغل في مبدئها و لم يترك الشغل في منتهاها عند الإسكندرية بالقرب من عامود السواري فحفروا هناك منبتها وهي بركة متسعة وحوطوها بالبناء المحكم المتين وهي مرسى المراكب التي تعبر منها إلى الإسكندرية بدلاً من البغاز وهو ملتقى البحرين وما يقع فيه من تلف المراكب فتكون هذه أسلم وأقرب وأقل كلفة إن صحت بل وأقرب مسافة ونزل الأمر لكشاف الأقاليم بجمع الفلاحين والرجال على حساب مزارع القدادين فيحصون رجال القرية المزارعين ويدفعون للشخص الواحد عشرة ريالات ويخصم له مثلها من المال وإذا كان له شريك وأحب المقام لأجل الزرع الصيفي أعطاه حصته وزاده عليها حتى يرضي خاطره وزوده بما يحتاج إليه أيضاً وعند العمل يدفع لكل شخص قرش في كل يوم ويخرج أهل القرية أفواجاً ومعهم أنفار من مشايخ البلاد ويجتمعون في المكان المأمورين باجتماعهم فيه، ثم يسيرون مع الكاشف الذي بالناحية ومعهم طبول وزمور وبيارق ونجارون وبناؤن وحدادون وفرضوا على البلاد التي فيها النخيل غلقاناً ومقاطف وعراجين وسلباً وعلى البنادر فؤوساً ومساحي شيء كثير بالثمن وطلبوا أيضاً طائفة الغواصين لأنهم كانوا إذا تسفلوا في قطع الأرض في بعض المواضع منها ينبع الماء قبل الوصول إلى الحد المطلوب.

وفي يوم الخميس عشرينه ورد مرسوم من الباشا بعزل كتخدا بك عن منصب الكتخدائية وتولية محمود بك فيها عوضاً عنه وحضر محمود بك في ذلك اليوم قادماً من الإسكندرية وطلع إلى القلعة وحضر أيضاً حسن باشا وكان قد ذهب إلى الإسكندرية ليسلم على الباشا لكونه كان بالديار الحجازية المدة المديدة وحضر إلى مصر والباشا بالإسكندرية فتوجه إليه وأقام معه أياماً وعاد إلى مصر صحبة محمود بك وحضر أيضاً إبراهيم أفندي من إسلامبول وهو ديوان أفندي الباشا فتقلد في نظر الأطيان والرزق والالتزام عوضاً عن محمود بك.

واستهل شهر جمادى الأولى سنة 1234

في سابعه يوم الخميس، ضربت مدافع كثيرة وقت الشروق بسبب ورود نجابة من الديار الحجازية باستيلاء خليل باشا على يمن الحجاز صلحاً.

وفيه وصلت الأخبار أيضاً عن عبد الله بن مسعود أنه لما وصل إلى إسلامبول طافوا به البلدة وقتلوه عند باب همايون وقتلوا

أتباعه أيضاً في نواح متفرقة فذهبوا مع الشهداء.

وفيه أشيع وصول قابجي كبير من طرف الدولة يقال له قهوجي باشا إلى الإسكندرية وورد الأمر بالاستعداد لحضوره مع الباشا فطلعوا بالمطابخ إلى ناحية شبرا وطلبت الخيول من الربيع واستمر خروج العساكر ودخولهم وكذلك طبخ الأطعمة وفي كل يوم يشيعون الورود، فلم يأت أحد، ثم ذكروا أن ذلك القابجي حين قرب من الإسكندرية رده الريح إلى رودس واستمر هذا الريح إلى آخر الشهر.

وفيه قوي الاهتمام بأمر حفر الترعة المتقدم ذكرها وسبقت الرجال والفلاحون من الأقاليم البحرية وجدوا في العمل بعدما حددوا لكل أهل إقليم أقصاباً توزع على أهل كل بلد من ذلك الإقليم فمن أتم عمله المحدود انتقل إلى مساعدة الآخرين وظهر في حفر بعض الأماكن منها صورة أماكن ومساكن وقيعان وحمام بعقوده وأحواضه ومغاطسه ووجد ظروف بداخلها فلوس نحاس كفرية قديمة وأخرى لم تفتح لا يعلم ما فيها رفعوها للباشا مع تلك.

وفي يوم الأربعاء سابع عشرينه، حضر الباشا إلى شبرا ووصل في أثره قهوجي باشا وعملوا له موكباً في صبيحة يوم الخميس وطلعوا إلى القلعة ومع الآغا المذكور ما أحضره برسم الباشا وولده إبراهيم باشا الذي بالحجاز وهو خلعتا سمور لكل واحد خلعة وخنجر مجوهر لكل واحد وشلنجان مجوهران وساعة جوهر وغير ذلك وقرئ الفرمان بحضرة الجمع وفيه الثناء الكثير على الباشا والعفو عمن بقي من الوهابية وبعد القراءة ضربت مدافع كثيرة وكذلك عند ورودهم واستمر ضرب المدافع ثلاثة أيام في جميع الأوقات الخمس ونزل القابجي المذكور ببيت طاهر باشا بالأزبكية وحضر أيضاً عقبه أطواخ لكل من عباس بك بن طوسون باشا بن الباشا ولأحمد بك ابن طاهر باشا وفي ضمن الفرمان الإذن للباشا بتولية أمريات وقبجيات لمن يختار.

وفي صبحها يوم الجمعة، خلع الباشا على أربعة أو خمسة من أمرائه بقبجيات باشا، وهم علي بك السلانكلي قابجي باشا وحسن آغا أزرجانلي كذلك وخليل أفندي حاكم رشيد وشريف بك.

واستهل شهر جمادى الثانية سنة 1234

فيه حضر محمد بك الدفتردار من الجهة القبلية فأقام أياما وعاد إلى قبلي وفي أواخره رجع الكثير من فلاحي الأقاليم إلى بلادهم من الأشرفية وهم الذين أتموا ما لزمهم من العمل والحفر ومات الكثير من الفلاحين من البرد ومقاساة التعب.

وفي هذا الشهر حصل بعض موت بالطاعون فداخل الناس وهم بسبب ما حدث في أكابر الدولة والنصارى من التحجب وعمل الكورنتينات وهي التباعد من الملامسة وتبخير الأوراق والمجالس ونحو ذلك.

واستهل شهر رجب بيوم الاثنين سنة 1234

في خامسه مات عبود النصراني كاتب الخزينة وكان مشكور السيرة في صناعته وعند مشاركة ودعوى عريضة ودعوى علم ويتكلم بالمناسبات والآيات القرآنية ويضمن إنشاءاته ومراسلاته آيات وأمثالاً وسجعات وأخذ دار القيسرلي بدرب الجنينة وما حولها وأنشأها داراً عظيمة وزخرفها وجعل بها بستاناً ومجالس مفروشة بالرخام الملون وفساقي وشاذروانات وزجاج بلور

وكل ذلك على طرف الميري وله مرتب واسع وكان الباشا يحبه ويثق به ويقول لولا الملامة لقلدته الدفتردارية.
وفي سابعه، حضر إلى مصر حاكم يافا المعروف بمحمد بك أبو نبوت معزولاً عن ولايته فأرسل إلى الباشا يستأذنه في الحضور إلى مصر فأطلق له الإذن فحضر فأنزله بقصر العيني وصحبته نحو الخمسمائة مملوك وأجناد وأتباع واجتمع بالباشا وأجله وسلم عليه وأقام معه حصة من الليل ورتب له مرتباً عظيماً وعين له ما يقوم بكفايته وكفاية أتباعه فمن جملة ما رتب له ثلاثة آلاف تذكرة كل تذكرة بألفين وستمائة نصف فضة في كل شهر وذلك خلاف المعين واللوازم من السمن والخبز والسكر والعسل والحطب والأرز والفحم والشمع والصابون فمن الأرز خاصة في كل يوم أردبان وللعليق خمسة وعشرون أردباً في كل يوم.
وفي يوم السبت ثالث عشره، سافر قهوجي باشا عائداً إلى إسلامبول واحتفل به الباشا احتفالاً زائداً وقدم له ولمخدومه وأرباب الدولة من الأموال والهدايا والخيول والبن والأرز والسكر والشربات وتعابي الأقمشة الهندية وغيرها شيئاً كثيراً، وكذلك قدم له أكابر الدولة هدايا كثيرة ولأنه لما حضر إلى مصر قدم لهم هدايا فقابلوه بأضعافها وعندما سافر احتجب الباشا وأمر كل من كان يلازم ديوانه بالإنصراف والتحجب فتكرتن منهم من تكرتن في داره ومنهم في القصور وسافر مع قهوجي باشا سليمان آغا السلحدار وشربتشي باشا وآخرون لتشييعه إلى الإسكندرية.
وفي يوم الخميس ثامن عشره حضر بواقي الوهابية بحريمهم وأولادهم وهم نحو الأربعمائة نسمة وأسكنوا بالقشلة التي بالأزبكية وابن عبد الله ابن مسعود بدر جامع مسكة وخواصه من غير حرج عليهم وطفقوا يذهبون ويجيئون ويترددون على المشايخ وغيرهم ويمشون في الأسواق ويشترون البضائع والاحتياجات.

واستهل شهر شعبان سنة 1234

وفيه وصل جماعة هجانة من جهة الحجاز وصحبتهم ابن حمود أمير يمن الحجاز وذلك أنه لما مات أبوه تأمر عوضه وأظهر الطاعة وعدم المخالفة للدولة فلما توجه خليل باشا إلى اليمن أخلى له البلاد واعتزل في حصن له و لم يخرج لدفعه ومحربته، كما فعل أبوه وترددت بينهما المراسلات والمخادعات حتى نزل من حصنه وحضر عند خليل باشا فقبض عليه وأرسله مع الهجانة إلى مصر.
وفيه صرفوا الفلاحين عن العمل في الترعة لأجل حصاد الزرع ووجهوا عليهم طلب المال.

واستهل شهر رمضان سنة 1234

والباشا مكرتن بشبرا و لم يطلع إلى القلعة كعادته في شهر رمضان.
وفي ثامن عشرينه طلع إلى القلعة وعيد بها.

واستهل شهر شوال بيوم الجمعة سنة 1234

وفي رباع عشره الموافق لآخر يوم من شهر أبيب نودي بوفاء النيل وكان الباشا سافر إلى جهة الإسكندرية بسبب ترعة

الأشرفية وأمر حكام الجهات بالأرياف بجمع الفلاحين للعمل فأخذوا في جمعهم فكانوا يربطونهم قطارات بالحبال وينزلون بهم المراكب وتعطلوا عن زرع الدراوي الذي هو قوتهم وقاسوا شدة بعد رجوعهم من المرة الأولى بعد ما قاسوا ما قاسوه ومات الكثير منهم من البرد والتعب وكل من سقط أهالوا عليه من تراب الحفر ولو فيه الروح، ولما رجعوا إلى بلادهم للحصيدة طولبوا بالمال وزيد عليهم عن كل فدان حمل بعير من التبن وكيلة قمح وكيلة فول وأخذ ما يبيعونه من الغلة بالثمن الدون والكيل الوافر فما هم إلا والطلب للعود إلى الشغل في الترعة ونزح المياه التي لا ينقطع نبعها من الأرض وهي في غاية الملوحة والمرة الأولى كانت في شدة البرد وهذه المرة في شدة حر وقلة المياه العذبة فينقلونها بالروايا على الجمال مع بعد المسافة وتأخر ري الإسكندرية.

وفي سابع عشرينه، ارتحل ركب الحجاج من البركة وأمير الحاج عابدين بك أخو حسن باشا.

واستهل شهر ذي القعدة سنة 1234

والعمل في الترعة مستمر.

واستهل شهر ذي الحجة سنة 1234

في منتصفه سافر الباشا إلى الصعيد وسافر صحبته حسن باشا طاهر ومحمد آغا لاظ المنفصل عن الكتخدائية وحسن آغا أزرجانلي وغيرهم من أعيان الدولة.

وفيه وصل الخبر بموت سليمان باشا حاكم عكا وهو من مماليك أحمد باشا الجزار.

وفي أواخره وصل ابن إبراهيم باشا وصحبته حريم أبيه فضربوا لوصولهم مدافع وعملوا للصغير موكباً ودخل من باب النصر وشق من وسط المدينة.

وانقضت السنة وما تجدد بها من الحوادث التي منها زيادة النيل الزيادة المفرطة أكثر من العام الماضي وهذا من النوادر وهو الغرق في عامين متتابعين واستمر أيضاً في هذه السنة إلى منتصف هاتور حتى فات أوان الزراعة وربما نقص قليلاً، ثم يرجع في ثاني يوم أكثر ما نقص.

ودخلت سنة خمس وثلاثين ومائتين وألف

فكان أول المحرم بالهلال يوم الخميس وفيه وما قبله بأيام حصل بالأرياف بل وبداخل المدينة انزعاجات بسبب تواتر سرقات وإشاعة سروح مناسر وحرامية وعمر الناس أبواب الدور والدروب وحصل منع الناس من المسير والمشي بالأزقة من بعد الغروب وصار كتخدا بك وآغات التبديل والوالي يطوفون ليلاً بالمدينة وكل من صادفوه قبضوا عليه وحبسوه ولو كان مما لا شبهة فيه واستمر هذا الحال إلى آخر الشهر.

وفي سابع عشرينه، حضر الباشا من الصعيد بعد أن وصل في سرحته إلى الشلال وكان الناس تقولوا على ذهابه إلى قبلي أقاويل منها أنه يريد التجريد على بواقي المصريين المنقطعين بدنقلة فإنهم استفحل أمرهم واستكثروا من شراء العبيد وصنعوا البارود والمدافع وغير ذلك ومنها أنه يريد التجريد أيضاً وأخذ بلاد دارفور والنوبة ويمهد طريق الوصول إليها ومنها أنهم قالوا أنه ظهر بتلك البلاد معدن الذهب والفضة والرصاص والزمرد وأن ذهابه للكشف على ذلك وامتحانه وعمل معدله ومقدار ما يصرف عليه حتى يستخرج صافيه وبطل كل ما توهموه وخمنوه برجوعه وأما قولهم عن هذه المعادن فالذي تلخص من ذلك أنه ظهر بأرض أحجار خضر تشبه الزمرد وليست إياه وبمكان آخر شيء أسود مخرفش مثل خرء الحديد يخرج منه بعد العلاج والتصفية رصاص قليل فقد أخبرني أخونا الشيخ عمر الناوي المعروف بالمخلصي أنه أخذ منه قطعة وذهب بها إلى الصائغ ودقها ووضعها في بوط كبير وساق عليها بنار السبك وانكسر البوط فنقلها إلى بوط آخر، و لم يزل يعالجها بطول النهار وأحرق عليها زيادة عن القنطار من الفحم.

وفيه حضر أيضاً جماعة من الوهابية وأنزلوا بدار بحارة عابدين.

واستهل شهر صفر بيوم الجمعة سنة 1235

في غرته سافر محمد آغا المعروف بأبو نبوت الشامي إلى دار السلطنة باستدعاء من الدولة وذلك انه لما حضر إلى مصر ونزل برحاب الباشا، كما تقدم وكاتب الباشا في شأنه إلى الدولة فحضر الأمر بطلبه وأوكد بالإكرام فعند ذلك هيأ له الباشا ما يحتاج إليه من هدية وغيرها وتعين للسفر صحبته خمسة وثلاثون شخصاً أرسل إليهم الباشا كساوي وفراوي وترك باقي أتباعه بمصر أنزلوهم في دار بسويقة اللالا وهم يزيدون عن المائتين ويصرف لهم الرواتب في كل يوم والشهرية.

وفيه وصل جماعة من عسكر المغاربة والعرب الذين كانوا ببلاد الحجاز وصحبتهم أسرى من الوهابية نساء وبنات وغلماناً نزلوا عند الهمايل وطفقوا يبيعونهم على من يشتريهم مع أنهم مسلمون وأحرار.

وفي منتصفه مات مصطفى آغا وكيل دار السعادة سابقاً ومات أيضاً الشيخ عبد الرحمن القرشي الحنفي.

وفي سابع عشره وصل الحاج المصري ومات الكثير من الناس فيه بالحمى وكثرت الحمى بأرض مصر وكأنها تناقلت من أرض الحجاز.

وفي حادي عشرينه، وصل إبراهيم باشا ابن الباشا من ناحية القصير وكان قبل وروده بأيام وصل خبر وصوله إلى القصير

وضربوا لذلك الخبر مدافع من القلعة وغيرها ورمحت المبشرون لأخذ البقاشيش من الأعيان واجتمعت نساء أكابرهم عند والدته ونسائهم للتهنئة ونظموا له القصر الذي كان أنشأه ولي خوجه وتممه شريف بك الذي تولى في منصبه وهو بالروضة بشاطئ النيل تجاه الجيزة وعند وصول المذكور عملوا جسراً من الروضة إلى ساحل مصر القديمة على مراكب من البر إلى البر وردموه بالأتربة من فوق الأخشاب.

وفي ذلك اليوم، وصل قابجي من دار السلطنة بالبشارة بمولود ولد لحضرة السلطان وطلع إلى القلعة في موكب.

وفي يوم الخميس حادي عشرينه، عند وصول إبراهيم باشا نودي بزينة المدينة سبعة أيام بلياليها فشرع الناس في تزيين الحوانيت والدور والخانات بما أمكنهم وقدروا عليه من الملونات والمقصبات وأما جهات النصارى وحاراتهم وخاناتهم فإنهم أبدعوا في عمل تصاوير مجسمات وتماثيل وأشكال غريبة وشكا الناس من عدم وجود الزيت والشيرج فرسموا بجملة قناطير شيرج تعطى للزياتين لتباع على الناس بقصد ذلك ويأخذونها ويبيعونها بأغلى ثمن بعد الإنكار والكتمان.

ولما أصبح يوم الجمعة وقد عدى إبراهيم باشا إلى بر مصر رتبوا له موكباً ودخل من باب النصر وشق المدينة وعلى رأسه الطلخان السليمي من شعار الوزارة وقد أرخى لحيته بالحجاز وحضر والده إلى جامع الغورية بقصد الفرجة على موكب ابنه وطلع بالموكب إلى القلعة، ثم رجع سائراً بالهيئة الكاملة إلى جهة مصر القديمة ومر على الجسر وذهب إلى قصره المذكور بالروضة واستمرت الزينة والوقود والسهر بالليل وعمل الحراقات وضرب بالمدافع في كل وقت من القلعة ومغاني وملاعب في مجامع الناس سبعة أيام بلياليها في مصر الجديدة والقديمة وبولاق وجميع الأخطاط ورجع إبراهيم باشا من هذه الغيبة متعاظماً في نفسه جداً وداخله من الغرور ما لا مزيد عليه حتى أن المشايخ لما ذهبوا للسلام عليه والتهنئة بالقدوم، فلما أقبلوا عليه وهو جالس في ديوانه لم يقم لهم، ولم يرد عليهم السلام فجلسوا وجعلوا يهنئونه بالسلامة، فلم يجبهم ولا بالإشارة بل جعل يحادث شخصاً سخرية عنده وقاموا على مثل ذلك منصرفين ومنكسفين ومنكسري الخاطر.

واستهل شهر ربيع الأول بيوم الأحد سنة 1235

قي ثامنه مات ابن إبراهيم باشا وهو الذي تقدمه في المجيء إلى مصر وعملوا له الموكب وعمره نحو ست سنوات وكان موته في أول الليل من ليلة الأحد فأرسلوا التنابيه لأعيان الدولة والمشايخ فخرج البعض منهم في ثلث الليل الأخير إلى مصر القديمة حي المعادي لأنه مات بقصر الجيزة فما طلع النهار حتى ازدحموا بمصر القديمة وما حضروا به إلا قرب الزوال وانجروا بالمشهد إلى مدفنهم بالقرب من الإمام الشافعي وعملوا له مأتماً وفرقوا دراهم على الناس والفقهاء وغير ذلك، ثم حكى المخبرون عن كيفية موته أنه كان نائماً في حجر دادته جارية سوداء فشاجرتها جارية بيضاء ورفصتها برجلها فأصابت الغلام فاضطرب ووصل الخبر إلى أبيه فدخل إليهم وقبض على الجواري الحاضرات وحبسهن في مكان بالقصر وقال إن مات ولدي قتلتكن عن آخركن فمات من ليلته فحخنق الجميع وألقاهن في البحر بما فيهن الدادة في أنهم خمسة وقيل ستة والله أعلم.

وفي أواخره انقضى أمر الحفر بترعة الإسكندرية، ولم يبق من الشغل إلا القليل ثم فتحوا لها شرماً خلاف فمها المعمول خوفاً من غلبة البحر فجرى فيها الماء واختلط بالمياه المالحة التي نبعت من أرضها وعلا الماء منها على بعض المواطن المسجنة وبها روبة

عظيمة وساح على الأرض وليس هناك جسور تمنع وصادف أيضاً وقوع نوة وأهوية علا فيها البحر المالح على الجسر الكبير ووصل إلى الترعة فأشيع في الناس أن الترعة فسد أمرها و لم تصح وأن المياه المالحة التي منها ومن البحر غرقت الإسكندرية وخرج أهلها منها إلى أن تحقق الخبر بالواقع وهو دون ذلك ورجع المهندسون والفلاحون إلى بلادهم بعد ما هلك معظمهم.

واستهل شهر ربيع الثاني سنة 1235

في أوله عزل الباشا محمد بك الدفتردار عن إمارة الصعيد وقلد عوضه أحمد باشا ابن طاهر باشا وسافر في خامسه.

وفي سابعه، سافر الباشا إلى الإسكندرية للكشف على الترعة وسافر صحبته ابنه إبراهيم باشا ومحمد بك الدفتردار والكتخدا القديم ودبوس أوغلي.

وفي ثالث عشره، حضر الباشا ومن معه من غيبتهم وقد انشرح خاطره لتمام الترعة وسلوك المراكب وسفرها فيها وكذلك سافرت فيها مراكب رشيد والنقاير بالبضائع واستراحوا من وعر البغاز والسفر في المالح إلى الإسكندرية والنقل والتجريم وانتظار الريح المناسب لاقتحام البغاز والبحر الكبير و لم يبق في شغل الترعة إلا الأمر اليسير وإصلاح بعض جسورها واتفق وقوع حادثة في هذا الشهر وهو أن شخصاً من الإفرنج الإنكليز ورد من الإسكندرية وطلع إلى بلدة تسمى كفر حشاد فمشى بالغيط ليصطاد الطير فضرب طيراً ببندقته فأصابت بعض الفلاحين في رجله وصادف هناك شخصاً من الأرنؤد بيده هراوة أو مسوقة فجاء إلى ذلك الإفرنجي وقال له أما تخشى أن يأتي إليك بعض الفلاحين ويضربك على رأسك هكذا وأشار بما في يده على رأس الإفرنجي لكونه لا يفهم لغته فاغتاظ من ذلك الإفرنجي وضربه ببندقته فسقط ميتاً فاجتمع عليه الفلاحون وقبضوا على الإفرنجي ورفعوا الأرنؤدي المقتول وحضروا إلى مصر وطالبوا بمجلس كتخدا بك واجتمع الكثير من الأرنؤد وقالوا لا بد من قتل الإفرنجي فاستعظم الكتخدا ذلك لأنهم يراعون جانب الإفرنج إلى الغاية فقال حتى نرسل إلى القناصل ونحضرهم ليروا حكمهم في ذلك فأرسل بإحضارهم وقد تكاثر الأرنؤد وأخذتهم الحمية وقالوا لأي شيء تؤخر قتله إلى مشورة القناصل وإن لم يقتل هذا في الوقت نزلنا إلى حارة الإفرنج ونهبناها وقتلنا كل من بها من الإفرنج فلم يسع الكتخدا إلا أن أمر بقتله فنزلوا به إلى الرميلة وقطعوا رأسه وطلع أيضاً القناصل في كبكبتهم وقد نفذ الأمر وكان ذلك في غيبة الباشا.

واستهل شهر جمادى الأولى سنة 1235

فيه جرد الباشا حسن بك الشماشرجي حاكم البحيرة على سيوة من الجهة القبلية فتوجه إليها من البحيرة بجنده ومعه طائفة من العرب.

وفيه قوي عزم الباشا على الآغارة على نواحي السودان فمن قائل أنه متوجه إلى سنار ومن قائل إلى دار فور وساري العسكر ابنه إسماعيل باشا وخلافه ووجه الكثير من اللوازم إلى الجهة القلية وعمل البقسماط والذخيرة ببلاد قبلي والشرقية واهتم اهتماماً عظيماً وأرسل أيضاً بإحضار مشايخ العربان والقبائل.

وفيه خرج الباشا إلى ناحية القليوبية حيث الخيول بالربيع وخرج محو بك لضيافته بقلقشنده وأخرج خياماً وجمالاً كثيرة محملة بالفرش والنحاس وآلات المطبخ والأرز والسمن والعسل والزيت والحطب والسكر وغير ذلك وإضافة ثلاثة أيام وكذلك تأمر

كاشف الناحية وغيره وكذلك أحضر له ضيافة ابن شديد شيخ الحويطات وابن الشواربي كبير قليوب وابن عسر وكان صحبة الباشا ولداه إبراهيم باشا وإسماعيل باشا وحسن باشا.

وفي أثناء ذلك ورد الهبر بموت عابدين بك أخو حسن باشا بالديار الحجازية وكذلك الكثير من أتباعه بالحمى فتكدر حظهم وبطلت الضيافات وحضر الباشا ومن معه في أواخره لعمل العزاء والميتم وأخبر الواردون بكثرة الحمى بالديار الحجازية حتى قالوا أنه لم يبق من طائفة عابدين بك إلا القليل جداً.

واستهل شهر جمادى الثانية سنة 1235

في عشرينه وردت هدية من والي الشام فيها من الخيول الخاص عشرة بعضها ملبس والباقي من غير سروج وأشياء أخر لا نعلمها.

وفي أواخره ورد الخبر بأن حسن بك الشماشرجي استولى على سيوة.

وفيه ورد الخبر بأنه وقع بإسلامبول حريق كثير.

وفيه ورد الخبر أيضاً عن حلب بأن أحمد باشا المعروف بخورشيد الذي كان سابقاً والي مصر استوى على حلب وقتل من أهلها وأعيانها أناساً كثيرة، وذلك أنه كان متولياً عليها فحصل منه ما أوجب قيام أهل البلدة عليه وعزلوه وأخرجوه وذلك من مدة سابقة، فلما أخرجوه أقام خارجها وكاتب الدولة في شأنهم وقال ما قال في حقهم فبعثوا أوامر ومراسيم لولاة تلك النواحي بأن يتوجهوا لمعونته على أهل حلب فاحتاطوا بالبلدة وحاربوها أشهراً حتى ملكوها وفتكوا في أهلها وضربوا عليهم ضرائب عظيمة وهم على ذلك.

وفي أواخره تقلد آغاوية مستحفظان مصطفى آغا كرد مضافة للحسبة عوضاً عن حسن آغا الذي توفي في الحج فأخذ يعسف كعادته في مبادئ توليته للحسبة وجعل يطوف ليلاً ونهاراً ويحتج على المارين بالليل بأدنى سبب فيضرب من يصادفه راجعاً من سهر ونحوه أو يقطع من أذنه أو أنفه.

واستهل شهر رجب بيوم الجمعة سنة 1235

في ثالثه تقلد نظر الحسبة شخص يسمى حسين آغا المورلي وهو بخشونجي بساتين الباشا.

وفيه رجع حسن بك الشماشرجي من ناحية سيوة بعد أن استولى عليها وقبض من أهاليها مبلغاً من المال والتمر وقرر عليها قدراً يقومون به في كل عام إلى الخزينة وفي عشرينه، سافر محمد آغا لاظ وهو المنفصل عن الكتخدائية إلى قبلي بمعنى أنه في مقدمة الجردة يتقدمها إلى الشلال.

وفي أواخره وصل الخبر بموت خليل باشا بالديار الحجازية فخلع الباشا على أخيه أحمد بك وهو ثالث إخوته وهو أوسطهم وقلده في منصب أخيه عوضاً عنه وأعطى البيرق واللوازم.

وفي أواخره توجه الباشا إلى ناحية الوادي لينظر ما تجدد به من العمائر والمزارع والسواقي وقد صار هذا الوادي إقليماً على حدته وعمر به قرى ومساكن ومزارع.

واستهل شهر شعبان بيوم الأحد سنة 1235

فيه سافر إبراهيم باشا إلى القليوبية، ثم إلى المنوفية والغربية لقبض الخراج عن سنة تاريخه والطلب بالبواقي التي انكسرت على الفقراء وكان الباشا سامح في ذلك وتلك بواقي سبع سنين فكان يطلب مجموع ما على القرية من المال والبواقي في ظرف ثلاثة أيام ففزعت الفلاحون ومشايخ البلاد وتركوا غلالهم في الأجران وطفشوا في النواحي بنسائهم وأولادهم وكان يحبس من يجده من النساء ويضربهن فكان مجموع المال المطلوب تحصيله على ما أخبرني به بعض الكتاب مائة ألف كيس.
وفي منتصفه حضر الباشا من ناحية الوادي.
وفي أواخره وقع حريق ببولاق في مغالق الخشب التي خلف جامع مرزه وأقام الحريق نحو يومين حتى طفئ واحترق فيه الكثير من الخشب المعد للعمائر بالكرسنة والزفت وحطب الإشراق وغيره.

واستهل شهر رمضان بيوم الاثنين سنة 1235

والاهتمام الحاصل وكل قليل يخرج عساكر ومغاربة مسافرين إلى بلاد السودان ومن جملة الطلب ثلاثة أنفار من طلبة العلم يذهبون بصحبة التجريدة فوقع الاختيار على محمد أفندي الأسيوطي قاضي أسيوط والسيد أحمد البقلي الشافعيين والشيخ أحمد السلاوي المغربي المالكي وأقبضوا محمد أفندي المذكور عشرين كيساً وكسوة ولكل واحد من الاثنين خمسة عشر كيساً وكسوة ورتبوا لهم ذلك في كل سنة.

وفي سابعه وقع حريق في سراية القلعة فطلع الآغا والوالي وآغات التبديل واهتموا بطفء النار وطلبوا السقائين من كل ناحية حتى شح الماء ولا يكاد يوجد وكان ذلك في شدة الحر وتوافق شهر بؤته ورمضان وأقاموا في طفء النار يومين واحترق ناحية كتخدا بك ومجلس شريف بك وتلفت أشياء وأمتعة ودفاتر حرقاً ونهباً وذلك أن أبنية القلعة كانت من بناء الملوك المصرية بالأحجار والصخور والعقود وليس بها إلا القليل من الأخشاب فهدموا ذلك جميعه وبنوا مكانه الأبنية الرقيقة وأكثرها من الحجنة والأخشاب على طريق بناء إسلامبول والإفرنج وزخرفوها وطلوها بالبياض الرقيق والأدهان والنقوش وكله سريع الاشتغال حتى أن الباشا لما بلغه هذا الحريق وكان مقيماً بشبرا تذكر بناء القلعة القديم وما كان فيه من المتانة ويلوم على تغيير الوضع السابق ويقول أنا كنت غائباً بالحجاز والمهندسون وضعوا هذا البناء وقد تلف في هذا الحريق ما ينيف عن خمسة وعشرين ألف كيس حرقاً ونهباً ولما حصل هذا الحريق انتقلت الدواوين إلى بيت طاهر باشا بالأزبكية وانقضى شهر رمضان.

واستهل شهر شوال بيوم الثلاثاء سنة 1235

وقع في تلك الليلة اضطراب في ثبوت الهلال لكونه كان عسر الرؤية جداً وشهد اثنان برؤيته ورد الواحد، ثم حضر آخر ولم يزالوا كذلك إلى آخر الليل، ثم حكم به عند الفجر بعد أن صليت التراويح وأوقدت المنارات وطاف المسحرون بطبلاتهم وتسحرت الناس وأصبح العيد بارداً.

وفي خامسه سافر الباشا إلى ثغر إسكندرية كعادته وأقام ولده إبراهيم باشا للنظر في الأحكام والشكاوى والدعاوى وكانت إقامته بقصره الذي أنشأه بشاطئ النيل تجاه مضرب النشاب وتعاظم في نفسه جداً ولما رجع إبراهيم باشا من سرحته شرعوا في عمل مهم لختان عباس باشا ابن أخيه طوسون باشا وهو غلام في السادسة فشرعوا في ذلك في تاسع عشره ونصبوا خياماً كثيرة تحت القصر وحضرت أرباب الملاعيب والحواة والمفزلكون والبهلوانيون وطبخت الأطعمة والحلواء والأسمطة وأوقدت الوقدات بالليل من المشاعل والقناديل والشموع بداخل القصر وتعاليق النجفات البلور وغير ذلك ورسموا بإحضار غلمان أولاد الفقراء فحضر الكثير منهم وأحضروا المزينين فختنوا في أثناء أيام الفرح نحو الأربعمائة غلام ويفرشون لكل غلام طراحة ولحافاً يرقد عليها حتى يبرأ جرحه، ثم يعطى لكل غلام كسوة وألف نصف فضة وفي كل ليلة يعمل شنك وحراقات ونفوط ومدافع بطول الليل ودعوا في أثناء ذلك كبار الأشياخ والقاضي والشيخ السادات والبكري وهو نقيب الأشراف أيضاً والمفاتي وصار كل من دخل منهم يجلسونه من سكوت ولم يقم لواحد منهم ولم يرد على من يسلم ولا بالإشارة السلام، ولم يكلمهم بكلمة يؤانسهم بها وحضرت المائدة فتعاطوا الذي تعاطوه حتى انقضى المجلس وقاموا وانصرفوا من سكوت.

وفي يوم الأربعاء ثالث عشرينه خرجوا بالمحمل إلى الحصوة وأمير الحاج شخص من الدلاة لم نعرف اسمه.

وفي يوم الخميس عملوا الزفة لعباس باشا ونزلوا به من القلعة على الدرب الأحمر على باب الخرق إلى القصر وختنوه في ذلك اليوم وامتلأ طشت المزين الذي ختنه بالدنانير من نقوط الأكابر والأعيان وخلعوا عليه فروة وشال كشميري وأنعموا على باقي المزينين ثلاثين كيساً وانقضى ذلك.

وفي يوم الثلاثاء تاسع عشرينه الموافق لثالث مسرى القبطي أوفى النيل أذرعه وكسر السد في صبحها يوم الأربعاء وجرى الماء في الخليج وذلك بحضرة كتخدا بك والقاضي.

وفي هذا الشهر، حضر طائفة من بواقي الأمراء المصرية من دنقلة إلى بر الجيزة وهم نحو الخمسة وعشرين شخصاً وملابسهم قمصان بيض لا غير فأقاموا في خيمة ينتظرون الإذن وقد تقدم منهم الإرسال بطلب الأمان عندما بلغهم خروج التجاريد وحضر ابن علي بك أيوب وطلب أماناً لأبيه فأجيبوا إلى ذلك وأرسل لهم أماناً لأجمعهم ما عدا عبد الرحمن بك والذي يقال له المنفوخ فليس يعطيهما أماناً ولما حضرت مراسلة الأمان لعلي بك أيوب تأهب للرحيل حقدوا عليه وقتلوه ووصل خبر موته فعملوا نعيه في بيت سكن زوجته الكائن بشمس الدولة وأكثروا من الندب والصراخ عدة أيام.

وفي هذا الشهر، حضر أشخاص من بلاد العجم وصحبتهم هدية إلى الباشا وفيها خيول فأنزلوهم ببيت حسين بك الشماشرجي بناحية سويقة العزى.

واستهل شهر ذي القعدة بيوم الخميس سنة 1235

في رابعه يوم الأحد وصل قابجي وعلى يده مرسوم تقرير للباشا بولاية مصر على السنة الجديدة وتقرير آخر لولده إبراهيم باشا بولاية جدة وركب القابجي المذكور في موكب من بولاق إلى القلعة وقرئت المراسيم بحضرة كتخدا بك وإبراهيم باشا وأعيانهم وضربوا مدافع.
وفيه، سافر إسماعيل باشا إلى جهة قبلي وهو أمير العسكر المعينة لبلاد النوبة كل ذلك والباشا الكبير على حاله بالإسكندرية.

واستهل شهر ذي الحجة سنة 1235

فيه توجه إبراهيم باشا إلى أبيه بالإسكندرية فأقام هناك أياماً وعاد في آخر الشهر فأقام بمصر أياماً قليلة وسافر إلى ناحية قبلي ليجمع ما يجده عند الناس من القمح والفول والعدس لثلاثة أصناف وأخذوا كل سفينة غصباً وساقوا الجميع إلى قبلي لحمل الغلال وجمعها في الشون البحرية لتباع على الإفرنج والروم بالأثمان الغالية وانقضت السنة.
ومن حوادثها، زيادة النيل الزيادة المفرطة وخصوصاً بعد الصليب وقد كان حصل الاعتناء الزائد بأمر الجسور بسبب ما حصل في العامين السابقين من التلف فلما حصلت هذه الزيادة بعد الصليب وطف الماء على أعلى الجسور وغرق مزارع الذرة والنيلة والقصب والأرز والقطن وأشجار البساتين وغالب أشجار الليمون والبرتقال بما عليها من الثمار وصار الماء ينبع من الأرض الممنوعة نبعاً ولا عاصم من أمر الله وطال مكث الماء على الأرض حتى فات أوان الزراعة و لم نسمع و لم نر في خوالي السنين تتابع الغرقات بل كان الغرق نادر الحصول وعلا ماء الخليج حتى سد غالب فرجات القناطر ونبع الماء من الأراضي الواطية القريبة من الخليج مثل غيط العدة وجامع الأمير حسين ونحو ذلك.
ومنها، أن ترعة الإسكندرية المحدثة لما تم حفرها وسموها بالمحمودية على اسم السلطان محمود فتحوا لها شرماً دون فمها المعد لذلك وامتلأت بالماء فلما بدات الزيادة فزادت وطف الماء في المواضع الوطية وغرقت الأراضي فسدوا ذلك الشرم وأبقوا من داخله فيها عدة مراكب للمسافرين فكانوا ينقلون منها إلى مراكب البحر ومن البحر إلى مراكبها وبقي ماؤها مالحاً متغيراً واستمر أهل الثغر في جهد من قلة الماء العذب وبلغ ثمن الراوية قرشين.
ومنها، أنه لما وقع القياس في أراضي القرى قرروا مسموحاً لمشايخ البلاد في نظير مضايقهم خمسة أفدنة من كل مائة فدان وفي هذا العام يدفع مال المسموح سنتين وذلك عقب مطالبتهم بالخراج قبل أوانه وما صدقوا أنهم غلقوه ببيع غلالهم بالنسيئة والاستدانة وبيع المواشي والأمتعة ومصاغ النساء وكانوا أيضاً طولبوا في السنين الخوالي التي كانوا عجزوا عنها و لم يزك رمي الغلال في هذه السنة وكذلك الفول وثمر النخيل والفواكه ولما طولب مشايخ البلاد بمال المسموح ازداد كربهم فأنه ربما يجيء على الواحد ألف ريال وأقل وأكثر وقد قاسوا الشدائد في غلاق الخراج الخارج عن الحد وعدم زكاء الزرع وغرق مزارع النيلة والأرز والقطن والقصب والكتان وغير ذلك.
وفي أثر ذلك، فرضوا على الجواميس كل رأس عشرون قرشاً وعلى الجمل ستون قرشاً وعلى الشاة قرش والرأس من المعز سبعة وعشرون نصفاً وثلث البقرة خمسة عشر والفرس كذلك.
ومنها، احتكار الصابون ويحجز جميع الوارد على ذمة الباشا ثم سومح تجاره بشرط أن يكون جميع صابون الباشا ومرتباته ودائرته من غير ثمن وهو شيء كثير ويستقر ثمنه على ستين نصفاً بعد أن كان بخمسين جرداً من غير نقو.

ومنها، ما أحدث على البلح بأنواعه وما يجلب من الصعيد والإبريمي وأنواع العجوة حتى جريد النخل والليف والخوص يؤخذ جميع ذلك بالثمن القليل ويباع ذلك للمتسببين بالثمن الزائد وعلى الناس بأزيد من ذلك وفي هذه السنة لم تثمر النخيل إلا القليل جداً و لم يظهر البلح الأحمر في أيام وفرته و لم يوجد بالأسواق إلا أياماً قليلة وهو شيء رديء وبسر ليس بجيد ورطله بخمسة أنصاف وهي ثمن العشرة أرطال في السابق وكذلك العنب لم يظهر منه إلا القليل وهو الفيومي والشرقاوي وقد التزم به من يعصره شراباً بأكياس كثيرة مثل غيره من الأصناف وغير ذلك جزئيات لم يصل إلينا علمها ومنها ما وصل إلينا علمها وأهملنا ذكرها.

ومنها، أن حسن باشا سافر إلى الجهة القبلية وصحبته بعض الإفرنج الذين كان رخص لهم الباشا السياحة والغوص بأراضي الصعيد والفحص وفحر الأراضي والكهوف والبرابي واستخراج الآثار القديمة والأمم السالفة من التماثيل والتصاوير ونواويس الموتى وقطع الصخور بالبارود وأشاعوا أنه ظهر لهم شيء مخرفش يشبه خرء الرصاص أو الحديد وبه بعض بريق ذكروا أنه معدن إذا تصفى خرج منه فضة وذهب وأخبرني بعض من أثق بخبره أنه أخذ منه قطعة تزيد في الوزن على رطلين وذهب بها عند رجل صائغ فأوقد عليها نحو قنطار من الفحم بطول النهار فخرج منها في آخر الأمر وهو ينقلها من بوط إلى آخر بعد كسره قطعة مثل الرصاص قدر الأوقية وذكروا أيضاً أن بالجبل أحجاراً سوداء مثل الفحم وذلك أنهم أتوا بمثل ذلك من بلاد الإفرنج وأوقدها بالضربخانة كريهة الرائحة مثل الكبريت ولا تصير رماداً بل تبقى على حجريتها مع تغير اللون ويحتاج إلى نقلها إلى الكيمان وقالوا أن بداخل جبال الصعيد كذلك فسافر حسن باشا بقصد استخراج هذه الأشياء وأمثالها فأقام نحو ثلاثة أشهر وذلك بأمر الباشا الكبير وهم يكسرون الجبل بالبارود فظهر بالجبل بجس يسيل منه دهن أسود بزرقة ورائحته زنخة كبريتية يشبه النفط وليس هو وأتوا بشيء منه إلى مصر وأوقدوا منه في السرج فملؤا منه سبعة مصافي وانقطع وأشيع في الناس قبل تحقق صورته بل وصلت مكاتبات بأنه خرج من الجبل عين تسيل بالزيت الطيب ولا ينقطع جريانها يكفي مصر وأقطاعها بل والدنيا أيضاً وأخبرني بعض أتباعهم أن الذي صرف في هذه المرة نحو الألفي كيس.

ومن حوادث هذه السنة، الخارجة عن أرض مصر أن السلطان محمود تغير خاطره على علي باشا المعروف بتيه رنلي حاكم بلاد الأرنؤد وجرد عليه العساكر ووقع لهم معه حروب ووقائع واستولوا على أكثر البلاد التي تحت حكمة وتحصن هو في قلعة منيعة وعلى باشا هذا في مملكة واسعة وجنود كثيرة وله عدة أولاد متأمرين كذلك وبلادهم بين بلاد الرومنلي والنمسا ويقال أن بعض أولاده دخل تحت الطاعة وكذلك الكثير من عساكره وبقي الأمر على ذلك ودخل الشتاء وانقضت السنة و لم يتحقق عنه خبر.

ومنها أمر المعاملة وما يقع فيها من التخطيط والزيادة حتى بلغ صرف الريال الفرانسة اثني عشر قرشاً عنها أربعمائة وثمانون نصفاً والبندقجي ألف فضة وكذلك المجر والفندقلي الإسلامي سبعة عشر قرشاً والقرش الإسلامبولي بمعنى المضروب هناك المنقول إلى مصر يصرف بقرشين وربع يزيد عن المصري ستين نصفاً وكذلك الفندقلي الإسلامبولي يصرف في بلدته بأحد عشر قرشاً وبمصر بسبعة عشر، كما تقدم فتكون زيادته ستة قروش وكذلك الفرانسة في بلادها تصرف بأربعة قروش

وبإسلامبول بسبعة وبمصر بإثنى عشر وأما الأنصاف العددية التي تذكر في المصارفات فلا وجود لها أصلاً إلا في النادر جداً واستغنى الناس عنها لغول الأثمان في جميع المبيعات والمشتروات وصار البشلك الذي يقال له الخمساوية أي صرفة خمسة أنصاف هي بدل النصف لأنه لما بطل ضرب القروش بضربخانة مصر وعوض عنها نصف القرش وربعه وثمنه الذي هو البشلك و لم يبق بالقطر إلا ما كان موجوداً قبل وهو كثير يتناقل بأديد الناس وأهل القرى ويعود إلى الخزينة ويصرف في المصارف والمشاهرات وعلائف العساكر كذلك يشترون لوازمهم فتذهب وتعود وهكذا تدور مع الفلك كلما دار ويصرف القرش عند الاحتياج إلى صرفه بسبعة من البشلك بنقص الثمن فباعتبار كونها في مقام النصف يكون القرش بسبعة أنصاف لا غير وباعتبار ذلك يكون الألف فضة بمائة وخمسة وسبعين فضة لأن الخمسة وعشرين قرشاً التي هي بدل الألف إذا نقصت في المصارفة الثمن تكون إحدى وعشرين وإذا ضربنا السبعة في الخمسة وعشرين كانت مائة وخمسة وسبعين وفيها من الفضة الخالصة ستة دراهم لا غير وأوزان هذه القطع مختلفة لا تجد قطعة وزن نظيرتها وفي ذلك فرط آخر والقليل في الكثير كثير والذي أدركناه في الزمن السابق أن هذه القروش لم يكن لها وجود بالقطر المصري البتة وأول من أحدثها بمصر علي بك القازدغلي بعد الثمانين ومائة وألف عندما استفحل أمره وأكثر من العساكر والنفقات وأظهر العصيان على الدولة ولما استولى محمد بك المعروف بأبي الذهب أبطلها رأساً من الإقليم وخسر الناس بسبب إبطالها حصة من أموالهم مع فرحهم بإبطالها و لم يتأثروا بتلك الخسارة لكثرة الخير والمكاسب و لم يبق من أصناف المعاملة إلا أنواع الذهب الإسلامي والإفرنجي والفرانسة ونصفه وربعه والفضة الصغيرة التي يقال لها نصف فضة مع رخاء الأسعار وكثرة المكاسب ويصرف هذا النصف بعدد من الأفلس النحاس التي يقال لها الجدد إما عشرة أو اثنا عشرة إذا كانت مضروبة ومختومة أو عشرين إذا كانت صغيرة وبخلاف ذلك ويقال لها السحاتة فكان غالب المحقرات يقضي بهذه الجدد بل وخلاف المحقرات وفي البيع والشراء وكان يجلب منها الكثير مع الحجاج المغاربة في المخالي ويبيعونها على أهل الأسواق بوزن الأرطال ويربحون فيها فكان الفقير أو الأجير إذا اكتسب نصفاً وصرفه بهذه الجدد كفاه نفقة يومه مع رخاء الأسعار ويشتري منها خبزاً وأدماً وإذا احتاج الطابخ لوازم الطبخة في التقلية أخذ من البقال البصل والثوم والسلق والكسبرة والبقدونس والفجل والكراث والليمون الصنف أو الصنفين أو الثلاثة بالجديد الواحد وقد انعدمت هذه الجدد بالكلية وإذا وجدت فلا ينتفع بها أصلاً وصار النصف الفضة بمنزلة الجديد النحاس ولا وجود له أيضاً وصارت الخمساوية بمنزلة النصف بل وأحقر لأنه كان يصرف بعدد كثير من الجدد وهذه بخمسة فقط فإذا أخذ الشخص شيئاً من المحقرات بنصف أو نصفين أو ثلاثة ما كان يؤخذ بجديد أو جديدين لم يجد عند البائع بقية الخمساوية فإما يترك الباقي لوقت احتياج آخر إن كان يعرفه وإلا تعطلا وإذا كان الإنسان بالسوق ولحقه العطش فيشرب من السقاء الطواف ويعطيه جديداً أو يملأ صاحب الحانوت إبريقه بجديد وفي هذه الأيام إذا كان الشخص لم يكن معه بشلك يشرب به وإلا بقي عطشان حتى يشرب من داره ولا يهون عليه أن يدفع ثمن قربة في شربة ماء وذلك لعدم وجود النصف وكذلك الصدقة على الفقراء وأمثالهم وقد كان الناس من أرباب البيوت إذا زاد بعد ثمن اللحم والخضار نصف يسألون الخادم في اليوم الثاني عنه لكونه نصف المصروف ويحاسبونه عليه وكان صاحب العيال وذوو البيوت المحتوية على عدة أشخاص من عيال وجوار وخدم إذا ادخر الغلة والسمن والعسل والحطب ونحو ذلك يكفيه في مصرف يومه العشرة أنصاف في ثمن اللحم والخضار

وخلافه وأما اليوم فلا يقوم مقامها العشرة قروش وأزيد لغلو الأسعار في كل شيء بسبب الحوادث والاحتكارات السابقة

والمتجددة كل وقت في جميع الأصناف ولا يخفى أن أسباب الخراب التي نص عليها المتقدمون اجتمعت وتضاعفت في هذه السنين وهي زيادة الخراج واختلال المعاملة أيضاً والمكوس وزاد على ذلك احتكار جميع الأصناف والاستيلاء على أرزاق الناس فلا تجد مرزوقاً إلا من كان في خدمة الدولة متولياً على نوع من أنواع المكوس أو مباشراً أو كاتباً أو صانعاً في الصنائع المحدثة ولا يخلو من هفوة ينم بها عليه فيحاسب مدة استيلائه فيجتمع عليه جملة من الأكياس فيلزم بدفعها وربما باع داره ومتاعه فلا يفي بما تأخر عليه فأما يهرب إن أمكنه الهرب وإما يبقى في الحبس هذا إن كان من أبناء العرب وأهالي البلدة، وأما إن كان بخلاف ذلك فربما سومح أو تصدى له من يخفف عنه أو يدخله في منصب أو شركة فيترفع حاله ويرجع أحسن حالاً ما كان.

ومما حدث أيضاً في هذه السنة الاستيلاء على صناعة المخيش والقصب التلي الذي يصنع من الفضة للطرازات والمقصبات والمناديل والمحارم وخلافها من الملابس وذلك بإغراء بعض صناعهم وتحاسدهم وإن مكسبها يزيد على ألف كيس في السنة لأن غالب الحوادث بإغراء الناس على بعضهم البعض وكذلك الاستيلاء على وكالة الجلابة التي يباع فيها الرقيق من العبيد والجواري السود وغيرهم من البضائع التي تجلب من بلاد السودان كسن الفيل والتمر هندي والشتم وروايا الماء وريش النعام وغير ذلك.

ومنها الحجر على عسلي النحل وشمعه فيضبط جميعه للدولة ويباع رطل الشمع بستة قروش ولا يوجد إلا ما كان مختلساً ويباع خفية وكان رطله قبل الحجر بثلاثة قروش فإذا وردت مراكب إلى السحل نزل إليها المفتشون على الأشياء ومن جملتها الشمع فيأخذون ما يجدونه ويحسب لهم بأبخس ثمن فإن أخفي شيء وعثر عليه أخذوه بلا ثمن ونكلوا بالشخص الذي يجدون معه ذلك وسموه حرامياً ليرتدع غيره والمتولي على ذلك نصارى وأعوانهم لا دين لهم وقد هاف النحل في هذه السنة وامتنع وجود العسل وكذلك ثمر النخيل بل والغلال فلم تزك في هذه السنين مع كثرة الأسيال التي غرقت منها الأراضي بل وتعطل بسببها الزرع وزادت أثمانها وخصوصاً الفول وأما العدس فلا يوجد أيضاً إلا نادراً.

وكذلك التزم بالملاحة وتوابعها من زاد في مالها وبلغ ثمن الكيلة قرشاً وكانت قبل ذلك بثلاثين نصفاً وفيما أدركنا بثلاثة أنصاف وأما أجر الأجراء والفعلة والمعمرين فأبدل النصف بالقرش وكذلك ثمن الجير البلدي والجبس لأن عمائر أهل الدولة مستديمة لا تنقضي أبداً ونقل الأتربة إلى الكيمان على قطارات الجمال والحمير من شروق الشمس إلى غروبها حتى ستر علوها الأفق من كل ناحية وإذا بنى أحدهم داراً فلا يكفيه في ساحتها الكثير ويأخذ ما حولها من دور الناس بدون القيمة ليوسع بها داره ويأخذ ما بقي في تلك الخطة لخاصته وأهل دائرته، ثم يبني أخرى كذلك لديوانه وجمعيته وأخرى لعسكره وهكذا.

وأما سليمان آغا السلحدار فهو الداهية العظمى والمنصيبة الكبرى فإنه تسلط على بقايا المساجد والمدارس والتكايا التي بالصحراء ونقل أحجارها إلى داخل باب البرقية بالغريب وكذلك ما كان جهة باب النصر وجمعوا أحجارها خارج باب النصر وأنشأ جهة خان الخليلي وكالة وجعل بها حواصل وطباقاً وأسكنها نصارى الأروام والأرمن بأجرة زائدة أضعاف الأجر المعتادة وكذلك غيرهم ممن رغب في السكنى وفتح لها باباً يخرج منه إلى وكالة الجلابة الشهيرة التي بالخراطين لأنها بظاهرها وأجر الحوانيت كانت بأجرة زائدة فأجر الحانوت بثلاثين قرشاً في الشهر وكانت الحانوت تؤجر بثلاثين نصفاً في الشهر والعجب في إقدام الناس على ذلك وأسراعهم في تآجرهم قبل فراغ بنائها مع ادعائهم قلة المكاسب ووقف الحال ولكنهم أيضاً

يستخرجونها من لحم الزبون وعظمه، ثم أخذ بناحية داخل باب النصر مكاناً متسعاً يسمى حوش عطى بضم العين وفتح الطاء وسكون الياء كان محطاً لعربان الطور ونحوهم إذا وردوا بقوافلهم بالفحم والقلي وغيره، وكذلك أهالي شرقية بلبيس فأنشأ في ذلك المكان أبنية عظيمة تحتوي على خانات متداخلة وحوانيت وقهاوي ومساكن وطباق وسكن غالبها أيضاً الأرمن وخلافهم بالأجر الزائدة، ثم انتقل إلأى جهة خان الخليلي فأخذ الخان المعروف بخان القهوة وما حوله من البيوت والأماكن والحوانيت والجامع المجاور لذلك تصلى فيه الجمعة بالخطبة فهدم ذلك جميعه وأنشأ خاناً كبيراً يحتوي على حواصل وطباق وحوانيت عدتها أربعون حانوتاً أجرة كل حانوت ثلاثون قرشاً في كل شهر وأنشأ فوق السبيل وبعض الحوانيت زاوية لطيفة يصعد إليها بدرج عوضاً عن الجامع، ثم انتقل إلى جهة الخرنفش بخط الأمشاطية فأخذ أماكن ودوراً وهدمها وهو الآن مجتهد في تعميرها كذلك فكان يطلب رب المكان ليعطيه الثمن فلا يجد بداً من الإجابة فيدفع له ما سمحت به نفسه إن شاء عشر الثمن أو أقل أو أزيد بقليل وذلك لشفاعة أو واسطة خير وإذا قيل له أنه وقف ولا مسوع لاستبداله لعدم تخربه أمر بتخريبه ليلاً ثم يأتي بكشاف القاضي فيراه خراباً فيقضي له وكان يثقل عليه لفظة وقف ويقول إيش يعني وقف وإذا كان على المكان حكر لجهة وقف أصله لا يدفعه ولا يلتفت لتلك اللفظة ويتمم عمائره في أسرع وقت لعسفه وقوة مراسه على أرباب الأشغال والموانة ولا يطلق للفعلة الرواح بل يحبسهم على الدوام إلى باكر النهار ويوقظونهم من آخر الليل بالضرب ويبتدؤن العمل من وقت صلاة الشافعي إلى قبيل الغروب حتى في شدة الحر في رمضان وإذا ضجوا من الحر والعطش أمرهم مشد العمارة بالشرب وأحضر لهم السقاء ليسقهم وظن أكثر الناس أن هذه العمائر إنما هي لمخدومه لأنه لا يسمع لشكوى أحد فيه واشتد في هذا التاريخ أمر المساكن بالمدينة وضاقت بأهلها لشمول الخراب وكثرة الأغراب وخصوصاً المخالفين للملة فهم الآن أعيان الناس يتقلدون المناصب ويلبسون ثياب الأكابر ويركبون البغال والخيول المسومة والرهوانات وأمامهم وخلفهم العبيد والخدم وبأيديهم العصي يطردون الناس ويفرجون لهم الطرق ويتسرون بالجواري بيضاً وحبوشاً ويسكنون المساكن العالية الجليلة يشترونها بأغلى الأثمان ومنهم من له دار بالمدينة ودار مطلة على البحر للتراهة ومنهم من عمر له داراً وصرف عليها ألوفاً من الأكياس وكذلك أكابر الدولة لاستيلاء كل من كان في خطه على جميع دورها وأخذها من أربابها بأي وجه وتوصلوا بتقليدهم مناصب البدع إلى إذلال المسلمين لأنهم يحتاجون إلى كتبة وخدم وأعوان والتحكم في أهل الحرفة بالضرب والشتم والحبس من غير إنكار ويقف الشريف والعامي بين يدي الكافر ذليلاً فضاقت بالناس المساكن وزادت قيمتها أضعاف الأضعاف وأبدل لفظ الريال الذي كان يذكر في قيم الأشياء بالكيس وكذلك الأجر والأمر في كل شيء في الازدياد والله لطيف بالعباد ولو أردنا استيفاء بعض الكليات فضلاً عن الجزئيات لطال المقال وامتد الحال وعشنا ومتنا ما نرى غير ما نرى تشابهت العجما وزاد انعجامها، نسأل الله حسن اليقين وسلامة الدين.

ثم دخلت سنة ست وثلاثين ومائتين وألف

استهل شهر المحرم بيوم الإثنين

وفي أوائله حضر الباشا من الإسكندرية.

وفيه، الحوادث أن الشيخ إبراهيم الشهير بباشا المالكي بالإسكندرية قرر في درس الفقه أن ذبيحة أهل الكتاب في حكم الميتة لا يجوز أكلها وما ورد من إطلاق الآية فإنه قبل أن يغيروا ويبدلوا في كتبهم فلما سمع فقهاء الثغر ذلك أنكروه واستغربوه ثم تكلموا مع الشيخ إبراهيم المذكور وعارضوه فقال أنا لم أذكر بذلك بفهمي وعلمي وإنما تلقيت ذلك عن الشيخ علي الميلي المغربي وهو رجل عالم متورع موثوق بعلمه، ثم أنه أرسل إلى شيخه المذكور بمصر يعلمه بالواقع فألف رسالة في خصوص ذلك وأطنب فيها فذكر أقوال المشايخ و الخلافات في المذاهب واعتمد قول الإمام الطرطوشي في المنع وعدم الحل وحشا الرسالة بالحط على علماء الوقت وحكامه وهي نحو الثلاثة عشر كراسة وأرسلها إلى الشيخ إبراهيم فقرأها على أهل الثغر فكثر اللغط والإنكار خصوصاً وأهل الوقت أكثرهم مخالفون للملة وانتهى الأمر إلى الباشا فكتب مرسوماً إلى كتخدا بك بمصر وتقدم إليه بأن يجمع مشايخ الوقت لتحقيق المسئلة وأرسل إليه بالرسالة أيضاً المصنفة فأحضر كتخدا بك المشايخ وعرض عليهم الأمر فلطف الشيخ محمد العروسي العبارة وقال الشيخ علي الميلي رجل من العلماء تلقى عن مشايخنا ومشايخهم لا ينكر علمه وفضله وهو منعزل عن خلطة الناس إلا أنه حاد المزاج وبعقله بعض خلل والأولى أن نجتمع به ونتذاكر في غير مجلسكم وننهي بعد ذلك الأمر إليكم فاجتمعوا في ثاني يوم وأرسلوا إلى الشيخ علي يدعونه للمناظرة فأبى عن الحضور وأرسل الجواب مع شخصين من مجاوري المغاربة يقولان أنه لا يحضر مع الغوغاء بل يكون في مجلس خاص يتناظر فيه مع الشيخ محمد ابن الأمير بحضرة الشيخ حسن القويسني والشيخ حسن العطار فقط لأن ابن الأمير يناقشه ويشن عليه الغارة فلما قالا ذلك القول تغير ابن الأمير وأرعد وأبرق وتشاتم بعضمن بالمجلس مع الرسل وعند ذلك أمروا بحبسهما في بيت الآغا وأمروا الآغا بالذهاب إلى بيت الشيخ علي وإحضاره بالمجلس ولو قهراً عنه فركب الآغا وذهب إلى بيت المذكور فوجده قد تغيب فأخرج زوجته ومن معها من البيت وسمر البيت فذهبت إلى بيت بعض الجيران، ثم كتبوا عرضاً محضراً وذكروا فيه بأن الشيخ علياً على خلاف الحق وأبى عن حضور مجلس العلماء والمناظرة معهم في تحقيق المسئلة وهرب واختفى لكونه على خلاف الحق ولو كان على الحق ما اختفى ولا هرب والرأي لحضرة الباشا فيه إذا ظهر وكذلك في الشيخ إبراهيم باشا السكندري وتمموا العرض وأمضوه بالختوم الكثيرة وأرسلوه إلى الباشا وبعد أيام أطلقوا الشخصين من حبس الآغا ورفعوا الختم عن بيت الشيخ علي ورجع أهله إليه وحضر الباشا إلى مصر في أوائل الشهر ورسم بنفي الشيخ إبراهيم باشا إلى بني غازي و لم يظهر الشيخ علي من اختفائه.

واستهل شهر صفر بيوم الأربعاء سنة 1236

وفي أوائله حضر إبراهيم باشا من الجهة القبلية بعد ما طاف الفيوم أيضاً واحضر معه جملة أشخاص قبض عليهم من المفسدين من العربان وهم في الجنازير الحديد وشقوا بهم البلد، ثم حبسوهم.

واستهل شهر ربيع الأول بيوم الخميس سنة 1236

وفي أوائله حضر نحو العشرة أشخاص من الأمراء المصرية البواقي في حالة رثة وضعف وضيم واحتياج واجتياح وكانوا أرسلوا وطلبوا الأمان وأجيبوا إلى ذلك.

وفيه أشهروا العربان الذين أحضرهم إبراهيم باشا معه وقتلوهم وهم أربعة اثنان بالرميلة واثنان بباب زويلة.

واستهل شهر ربيع الثاني بيوم السبت سنة 1236

وفيه أخرج الباشا عبد الله بك الدرندلي منفياً وكان عبد الله بك هذا يسكن بخطة الخرنفش وهو رجل فيه سكون قليل الأذى وملك بتلك الناحية دوراً وأماكن وله عزوة وعساكر وأتباع وكان يجلس بحضرة الباشا وينادمه ويتوسع معه في الكلام والمسامرة وسبب تغير خاطر الباشا عليه أنه جرى ذكر علي باشا تبدلان الأرنؤدي وحروبه ومخالفة العساكر عليه فقال عبد الله المذكور أن العساكر يرون محاربة السلطان معصية أو كلاماً هذا معناه فتغير وجه الباشا من ذلك القول ويقال أنه أمر بقتله فشفع فيه حسن باشا طاهر من القتل وأن يخرج منفياً هكذا أشيع واستفيض وانضم إلى ذلك أنه قال لشريف بك أمين الخزنة عند تأخر علوفته خدمة نصراني أحسن من خدمتكم مع المشاجرة فبلغها شريف بك للباشا أيضاً وأوغر صدره عليه ودفع له الباشا علوفته وثمن ما حازه من الأماكن والأملاك ووصله على عدة جمال محملة بالدراهم وسافر في ثامنه على طريق البر وأبقى حريمه وأثقاله ليأتوه على سفن البحر.

وفي ستدس عشره، أمر الباشا بقراءة صحيح البخاري بالجامع الأزهر فاجتمعوا في يوم الاثنين سابع عشره وقرأوا في الأجزاء على العادة ضحوة النهار أربعة أيام آخرها الخميس وفرقوا على أولاد المكاتب دراهم وكذلك على مجاوري الأزهر في نظير قراءة البخاري.

واستهل شهر جمادى الأولى بيوم الأحد سنة 1236

فيه حضر إبراهيم باشا ونزل بقصره الجديد بل قصوره لأنه أنشأ عدة قصور متصلة وبساتين ومصانع متسعة مزخرفة منها قصر لديوانه وقصر لحريمه وقصر لخصوص عباس باشا ابن أخيه وغير ذلك.

واستهل شهر جمادى الثانية بيوم الثلاثاء سنة 1236

فيه عزم إبراهيم باشا على إعادة قياس أراضي قرى مصر وأحضر من بلاد الصعيد عدة كبيرة من القياسين نحو الستين شخصاً.

وفي يوم السبت خامسه، عدى إلى الجيزة تجاه القصور وجمع القياسين والمهندسين وكذلك مهندسي الإفرنج وقاس كل قياسته وكيفية عمله فعاند المعلم غالي وأحب تأييد أهل حرفته من قياسي القبط وقال كل منهم على الصحيح وعلم إبراهيم باشا أن قياس المهندسين وأرباب المساحة أصح ولكن فيها بطء فقال أريد الصحيح ولكن مع السرعة بعد أن عمل امتحاناً ومثالاً في قطعة من الأرض يظهر بها برهان الصحة والتفاوت وأمسى الوقت فأمرهم بالذهاب والرجوع يوم الخميس الآتي فحضروا

كذلك واشتغلوا يومهم بالعمل إلى آخر النهار، ثم اختار من مهندسي الأقباط طائفة وطرد الآخرين وسافر في رابع عشره إلى ناحية شرق اطفيح وأخذ م المهندسخانه كبيرها وصحبته سبعة عشر شخصاً وكذلك أشخاصاً من الإفرنج المهندسين وانتقصوا من القصبة في هذه المرة مقدار قبضة.

واستهل شهر رجب بيوم الخميس سنة 1236

فيه سافر مماليك الباشا إلى جهة أسيوط مثل العام المضي ليكرتنوا هناك حذراً وخوفاً عليهم من حدوث الطاعون بمصر.

وفي سابع عشره ارتحل محمد بك الدفتردار مسافراً إلى دار فور ببلاد السودان بعد أن تقدمه طوائف كثيرة عساكر أتراك ومغاربة.

وفي خامس عشرينه أمر الباشا بنفي محمد المعروف بالدرويش كتخدا محمود بك الذي هو الآن كتخدا بك والسيد أحمد الرشيدي كاتب المرزق وسليمان أفندي ناظر المدابغ والجلود ثلاثتهم إلى قلعة أبي قير لمقتضيات واهية في خدم مناصبهم ومحمد كتخدا كان ناظراً على الجلود في العام الماضي قبل سليمان أفندي المذكور.

وفي أواخره حضر جماعة من المماليك المصرية الذين كانوا بدنقلة فيهم ثلاثة صناجق أحدهم أحمد بك الألفي وهو زوج عديلة هانم بنت إبراهيم بك الكبير.

واستهل شهر شعبان بيوم الجمعة سنة 1236

في ثامنه يوم الجمعة عمل سليمان آغا السلحدار الجمعية بالجامع المعروف بالأحمر وكان قد تخرب ولم يبق به إلا الجدران فتصدى لعمارته سليمان آغا المذكور وسقفه أيضاً بأفلاق النخيل والجريد والبوص وأقام له عمداً من الحجارة وجدد منبره وبلاطه وميضاته ومراحيضه وفرشه بالحصر وعمل به الجمعية في ذلك اليوم واجتمع به عالم كثيرون من الناس وخطب على منبره الشيخ محمد الأمير وبعد انقضاء الصلاة قرأ درساً وأملى فيه حديث من بنى لله مسجداً وبعد انقضاء ذلك خلع عليه فروة وكذلك على الشيخ العروسي وعمل لهم شربات سكر.

وفي يوم السبت ثالث عشرينه، حضر إبراهيم باشا من ناحية شرق اطفيح.

وفي يوم الثلاثاء سادس عشرينه، سافر بمن معه إلى ناحية شرقية بلبيس.

واستهل شهر رمضان بيوم الأحد 1236

وعملت الرؤية في تلك الليلة كالعادة وركب فيها مشايخ الحرف والمحتسب وأثبتوا رؤية الهلال تلك الليلة بعد مضي أربع ساعات من الليل ولم يحصل فيه من الحوادث غير تغالي الأثمان وتعاليها بسوء فعل السوقة وإظهار رديء المأكولات وإخفاء جيدها وقد انقضى بخير.

واستهل شهر شوال بيوم الثلاثاء سنة 1236

في ثالثه حضرت هجانة من أراضي نجد وبصحبتهم أشخاص من كبار الوهابية مقيدون على الجمال وهم عمر بن عبد العزيز وأولاده وأبناء عمه وذلك أنهم لما رجعوا إلى الدرعية بعد رحيل إبراهيم باشا وعساكره وكان معهم مشاري بن مسعود وقد كانوا هربوا في الدرعية بعدم رحل عنها إبراهيم باشا وتركي ابن عبد الله ابن أخي عبد العزيز وولد عم مسعود الأمشاري فإنه هرب من العسكر الذين كانوا مع أولاد مسعود وجماعتهم حين أرسلهم إبراهيم باشا إلى مصر في الحمراء وهي قرية بين الجديدة وينبع البحر وذهب إلى الدرعية واجتمع عليه من فرحين قدمت العساكر وأخذوا في تعميرها ورجع أكثر أهلها وقدموا عليهم مشاري ودعا الناس إلى طاعته فأجابه الكثير منهم فكادت تتسع دولته وتعظم شوكته، فلما بلغ الباشا ذلك جهز له عساكر رئيسها حسين بك فأوثقوا مشاري وأرسلوه إلى مصر، فمات في الطريق وأما عمر وأولاده وبنو عمه فتحصنوا في قلعة الرياض المعروفة عند المتقدمين بحجر اليمامة وبينها وبين الدرعية أربع ساعات للقافلة فنزل عليهم حسين بك وحاربهم ثلاثة أيام أو أربعة وطلبوا الأمان لما علموا أنهم لا طاقة لهم به فأعطاهم الأمان على أنفسهم فخرجوا له إلا تركي فإنه خرج من القلعة ليلاً وهرب، وأما حسين بك فإنه قيد الجماعة وأرسلهم إلى مصر في الشهر المذكور وهم الآن مقيمون بمصر بخطة الحنفي قريباً من بيت جماعتهم الذين أتوا قبل هذا الوقت.

واستهل شهر ذي القعدة بيوم الأربعاء سنة 1236

فيه حضر إبراهيم باشا من سرحته بالشرقية بسبب قياس الأراضي والمساحة.

وفي منتصفه سافر الباشا إلى الإسكندرية لداعي حركة الأروام وعصيانهم وخروجهم عن الذمة ووقوفهم بمراكب كثيرة العدد بالبحر وقطعهم الطريق على المسافرين واستئصالهم بالذبح والقتل حتى أنهم أخذوا المراكب الخارجة من إسلامبول وفيها قاضي العسكر المتولي قضاء مصر ومن بها أيضاً من السفار والحجاج فقتلوهم ذبحاً عن آخرهم ومعهم القاضي وحريمه وبناته وجواريه وغير ذلك وشاع ذلك بالنواحي وانقطعت السبل فنزل الباشا إلى الإسكندرية وشرع في تشهيل مراكب مساعدة للدونانمة السلطانية وسيأتي تتمة هذه الحادثة وبعد سفر الباشا سافر أيضاً إبراهيم باشا إلى ناحية قبلي قاصداً بلاد النوبة.

واستهل شهر ذي الحجة بيوم الجمعة سنة 1236

فيه خرجت عساكر كثيرة ومعهم رؤساهم وفيهم محو بك ومغاربة وآلات الحرب كالمدافع وجبخانات البارود واللغمجية وجميع اللوازم قاصدين بلاد النوبة وما جاورها من بلاد السودان.

محمد كتخدا لاظ المنفصل عن الكتخدائية إلى أسنا ليتلقى القادمين ويشيع الذاهبين.

وفيه وصلت بشائر من جهة قبلي باستيلاء إسمعيل باشا على سنار بغير حرب ودخول أهلها تحت الطاعة فضربت لتلك الأخبار مدافع من القلعة.

وانقضت هذه السنة وما تجدد بها من الحوادث وانقضى بعضها والبعض باق إلى الآن.

فمنها توقف زيادة النيل وذلك أنه لم يستتم أذرع الوفاء إلى ثامن عشر مسرى القبطي حتى ضجر الناس وضج الفلاحون.

ومنها أمر المعاملة التي زادت زيادة فاحشة حتى بلغ البندقي ألفاً ومائتي نصف والمجر والفندقلي عشرين قرشاً عنها ثمانمائة نصف

وبلغ صرف الريال الفرانسة أربعة عشر قرشاً عنها خمسمائة نصف وستون نصفاً وقس على ذلك باقي الأصناف.

ومنها غلو الأثمان في جميع المبيعات من ملبوسات ومأكولات والغلال حتى وصل الأردب إلى ألف وخمسمائة نصف والرطل السمن إلى خمسين نصفاً وإلى ستين نصفاً وقس على ذلك.

وأما حادثة الأروام التي هي باقية إلى الآن وما وقع منهم من الإفساد وقطع لطريق على المسافرين واستيلائهم على كل ما صادفوه من مراكب المسلمين وخروجهم عن الذمة وعصيانهم وما وقع معهم من الوقائع، وما سينتهي حالهم إليه فسيتلى عليك إن شاء الله تعالى بكماله في الجزء الآتي بعد ذلك والله الموفق للصواب وإليه المرجع والمآب.

الفهرس

الجزء الأول 2
المقدمة 6
أصناف العدل من الخلائق خمسة 7
الأول الأنبياء- عليهم الصلاة والسلام 7
الثاني العلماء- الذين هم ورثة الأنبياء 7
الثالث الملوك وولاة الأمور 8
الرابع أوساط الناس 9
الخامس القائمون بسياسة نفوسهم 9
توضيح 9
من نصائح الرشاد لمصالح العباد 10
أول خليفة في الأرض 12
ملوك مصر بعد ضعف الخلافة العباسية 13
الملوك الأيوبية 14
الملوك التركية 14
الملك بيبرس 15
الجراكسة 18
سنة ست ومائة وألف 24
سنة سبع ومائة وألف 26
وفي منتصف المحرم 26
سنة ثمان ومائة وألف 28
وفي ثالث عشر ربيع الأول 28
قتل ياسف اليهودي 28
سنة تسع ومائة وألف 29
في منتصف رجب 29
وفي سنة عشر ومائة وألف 30
سنة عشرين ومائة وألف 34
سنة إحدى وعشرين ومائة وألف 36
سنة اثنتين وعشرين ومائة وألف 39

سنة ثلاثة وعشرين ومائة وألف 40
تولية والي باشا على مصر 48
سنة أربع وعشرين ومائة وألف 51
سنة خمس وعشرين ومائة وألف 53
سنة ثمان وعشرين 55
سنة تسع وعشرين ومائة وألف 56
سنة ثلاثين 57
سنة إحدى وثلاثين 59
سنة ثلاث وثلاثين 60
بعض الحوادث في تلك السنة 61
سنة ثمان وثلاثين 65
سنة أربعين ومائة وألف 69
تولية باكير باشا وعزله 69
ذكر من مات في هذه السنين 69
في ذكر حوادث مصر ابتداء من سنة 1143 122
عزل عبد الله باشا وتولية عثمان باشا الحلبي 122
من الحوادث الغريبة 123
ولاية باكير باشا 123
الطاعون 124
تولية مصطفى باشا وسليمان باشا الشامي 126
تولية الوزير علي باشا 127
تولية يحيى باشا 127
تولية محمد باشا اليدكشي 127
تولية محمد باشا راغب 128
ذكر من مات في هذه السنين من أعيان العلماء والأكابر والعظماء 130
ذكر من مات في هذه السنين من الأمراء المشهورين والأعيان 138
الأمير عثمان بك ذو الفقار 145
السبب في كائنة عثمان بك وخروجه من مصر 146
في ذكر حوادث مصر ابنداء من سنة 1162 152
ولاية أحمد باشا المعروف بكور وزير 152
ولاية عبد الله باشا 153

قصد نصارى القبط الحج إلى بيت المقدس 154
ولاية مصطفى باشا وعزله وولاية علي باشا أوغلي الثانية 154
ذكر من مات في هذه الأعوام من العلماء والأعيان 154
وفاة السلطان محمود خان وتولية السلطان عثمان.......................... 160
وتولى السلطان عثمان بن أحمد أصلح الله شأنه.......................... 160
ولاية مصطفى باشا وأحمد باشا كامل 169
حادثة سماوية 171
ولاية محمد باشا راقم 174
من مات في هذه الأعوام من أكابر العلماء وأعاظم الأمراء.......................... 177
وصل في ذكر أخذ العهد بطريق الخلوتية 186
في ذكر رحلة الأستاذ المترجم إلى بيت المقدس 190
سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف.......................... 194
من مات في هذه السنة.......................... 197
سنة ثلاث وثمانين ومائة وألف 203
من مات في هذه السنة من العلماء والأمراء.......................... 205
سنة أربع وثمانين ومائة وألف.......................... 215
من مات في هذه السنة.......................... 216
سنة خمس وثمانين ومائة وألف.......................... 220
من مات في هذه السنة ممن له ذكر 222
سنة ست وثمانين ومائة وألف 226
سنة سبع وثمانين ومائة وألف.......................... 232
سنة ثمان وثمانين ومائة ألف.......................... 240
عود وانعطاف 242
سنة تسع وثمانين ومائة وألف.......................... 257
من مات في هذه السنة من الأعيان 258
سنة تسعين ومائة وألف 264
سنة إحدى وتسعين ومائة وألف 270
من مات في هذه السنة من الأعيان 276
سنة اثنتين وتسعين ومائة وألف.......................... 281
من مات في هذه السنة من أعيان العلماء والمشاهير 284
سنة ثلاث وتسعين ومائة وألف 291

من مات في هذه السنة من الأعيان 292
سنة أربع وتسعين ومائة وألف.. 297
من مات في هذه السنة.. 298
سنة خمس وتسعين ومائة وألف 299
من مات في هذه السنة من الأئمة والأعيان 299
سنة ست وتسعين ومائة وألف 306
من توفي في هذه السنة من الأعيان.. 306
سنة سبع وتسعين ومائة وألف.. 308
من مات في هذه السنة من الأعيان 309
سنة ثمان وتسعين ومائة وألف 312
رجع لخبر العجلة التي لها رأسان 316
من مات في هذه السنة من أعيان الناس.. 317
سنة تسع وتسعين ومائة وألف 321
من مات في هذه السنة ممن له ذكر 323
سنة مائتين وألف.. 329
من مات في هذه السنة.. 351
الجزء الثاني.. 356
سنة إحدى ومائتين وألف 356
من الحوادث في هذه الأيام 362
من مات في هذه السنة من الأعيان 370
سنة اثنتين ومائتين وألف 375
من مات في هذه السنة ممن له ذكر 386
ثم دخلت سنة ثلاث ومائتين وألف.. 391
ودخلت سنة أربع ومائتين وألف 400
ذكر من مات في هذه السنة.. 401
واستهلت سنة خمس ومائتين وألف.. 404
من مات في هذه السنة من الأعيان 410
سنة ست ومائتين وألف.. 427
وأما من مات في هذه السنة.. 428
سنة سبع ومائتين وألف 433
من مات في هذه السنة ممن له ذكر 435

سنة ثمان ومائتين وألف.. 442
من مات فيها من الأعيان ومن سارت بذكرهم الركبان.................................. 443
سنة تسع ومائتين وألف.. 446
سنة عشرة ومائتين وألف.. 450
سنة إحدى عشرة واثنتي عشرة ومائتين وألف.. 452
من مات في هذين العامين ممن له ذكر وشهرة.. 452
سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف... 454
شهر رجب سنة 1213.. 485
شهر شعبان المعظم سنة 1213.. 487
شهر شوال سنة 1213.. 496
واستهل شهر القعدة بيوم الأحد سنة 1213..................................... 502
واستهل شهر ذي الحجة بيوم الثلاثاء سنة 1213................................ 505
من مات في هذه السنة من الأعيان ومن له ذكر في الناس............................ 507
ثم دخلت سنة أربع عشر ومائتين وألف.. 514
واستهل شهر صفر الخير بيوم الجمعة سنة 1214................................ 519
واستهل ربيع الأول بيوم السبت سنة 1214..................................... 521
واستهل شهر ربيت الثاني بيوم الأحد سنة 1214................................ 523
واستهل شهر جمادى الأولى بيوم الجمعة سنة 1214............................. 524
واستهل شهر رجب بيوم الجمعة سنة 1214..................................... 525
واستهل شهر شعبان المعظم سنة 1214... 526
استهل شهر رمضان المعظم بيوم الأحد سنة 1214............................... 530
واستهل شهر شوال سنة 1214.. 532
واستهل شهر ذي الحجة بيوم الجمعة سنة 1215................................ 544
من مات في هذه السنة.. 551
ثم دخلت سنة خمسة عشر ومائتين وألف... 553
صورة ترجمة الأوراق المذكورة... 554
أول فحص سليمان الحلبي... 555
فحص الثلاثة مشايخ... 557
شرح اجتماع القضاة... 559
في السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوي.................................... 559
ثاني فحص سليمان الحلبي.. 561

بيان فحص مصطفى أفندي 565
الفتوى الخارجة من طرف ديوان القضاة 569
المنتشرين بأمر ساري عسكر العام منو أمير الجيوش الفرنساوية في مصر 569
واستهل شهر صفر بيوم الثلاثاء سنة 1215 572
شهر ربيع الأول سنة 1215 572
شهر ربيع الثاني سنة 1215 573
واستهل شهر جمادى الأولى سنة 1215 573
واستهل شهر جمادى الثانية سنة 1215 574
واستل شهر رجب الفرد سنة 1215 576
واستهل شهر شعبان سنة 1215 578
واستهل شهر رمضان سنة 1215 579
واستهل شهر شوال سنة 1215 581
شهر القعدة سنة 1215 586
شهر ذي الحجة الحرام سنة 1215 589
من مات في هذه السنة من الأعيان 598
واستهلت سنة ست عشرة ومائتين وألف بيوم الخميس 609
شهر صفر الخير سنة 1216 استهل بيوم السبت 612
واستهل شهر ربيع الأول بيوم الأحد سنة 1216 619
واستهل شهر ربيع الثاني بيوم الثلاثاء سنة 1216 623
شهر جمادى الأولى استهل بيوم الخميس سنة 1216 626
واستهلت جمادى الثانية بيوم السبت سنة 1216 630
واستهل شهر رجب الفرد سنة 1216 633
واستهل شهر شعبان بيوم الثلاثاء سنة 1216 634
من الحوادث 634
شهر شوال سنة 1216 636
شهر القعدة سنة 1216 638
شهر ذي الحجة الحرام سنة 1216 639
من مات في هذه السنة 642
محرم الحرام ابتداء سنة ألف ومائتين وسبع عشرة هجرية 644
واستهل شهر صفر الخير بيوم الأربعاء سنة 1217 646
واستهل شهر ربيع الأول بيوم الخميس سنة 1217 647

ومن الحوادث بسكندرية.. 648
واستهل شهر ربيع الثاني سنة 1217 649
واستهل شهر جمادى الأولى بيوم الاثنين سنة 1217 651
شهر جمادى الثانية سنة 1217.. 652
ومن الحوادث السماوية.. 654
شهر رجب الفرد سنة 1217... 654
استهل شهر شعبان بيوم السبت سنة 1217 656
استهل شهر رمضان المعظم سنة 1217 657
شهر شوال سنة 1217 657
شهر ذي القعدة الحرام سنة 1217 658
شهر ذي الحجة الحرام سنة 1217... 660
سنة ثمان عشرة ومائتين وألف... 665
شهر صفر 1218 671
شهر ربيع الأول سنة 1218.. 681
شهر ربيع الثاني سنة 1218 684
شهر جمادى الأولى سنة 1218 686
واستهل شهر جمادى الثانية سنة 1218 بيوم الأحد 688
شهر رجب الفرد سنة 1218.. 689
شهر شعبان سنة 1218 691
شهر رمضان المعظم سنة 1218 693
استهل شهر شوال بيوم السبت 1218.. 695
خبر علي باشا المترجم المذكور.. 698
شهر ذي القعدة سنة 1218 700
شهر ذي الحجة الحرام استهل بيوم الثلاثاء سنة 1218.................................... 708
واستهلت سنة تسعة عشر ومائتين وألف 713
شهر صفر الخير سنة 1219 716
الجزء الثالث.. 718
شهر ربيع الأول سنة 1219 استهل بيوم السبت.. 720
استهل شهر ربيع الثاني بيوم الاثنين سنة 1219 724
شهر جمادى الأولى سنة 1219 729
شهر جمادى الثانية سنة 1219.. 731

شهر رجب الفرد سنة 1219 732
شهر شعبان سنة 1219 733
شهر رمضان سنة 1219 735
شهر شوال سنة 1219 737
شهر القعدة الحرام سنة 1219 738
شهر الحجة الحرام سنة 1219 739
واستهلت سنة عشرين ومائتين وألف 747
شهر صفر الخير سنة 1220 748
شهر ربيع الأول استهل بيوم الخميس سنة 1220 752
شهر ربيع الثاني سنة 1220 754
شهر جمادى الأولى سنة 1220 759
شهر جمادى الثانية سنة 1220 763
شهر رجب الفرد سنة 1220 765
شهر شعبان سنة 1220 766
واستهل شهر رمضان بيوم السبت سنة 1220 766
شهر شوال سنة 1220 768
شهر ذي القعدة سنة 1220 769
شهر ذي الحجة الحرام سنة 1220 770
سنة إحدى وعشرين ومائتين وألف 777
شهر صفر الخير 1221 780
شهر ربيع الأول سنة 1221 782
شهر ربيع الثاني سنة 1221 784
شهر جمادى الأولى 1221 786
شهر جمادى الآخرة سنة 1221 788
شهر رجب سنة 1221 789
شهر شعبان سنة 1221 791
واستهل شهر رمضان بيوم الأربعاء سنة 1221 792
واستهل شهر شوال بيوم الجمعة سنة 1221 792
واستهل شهر القعدة سنة 1221 بيوم السبت 793
واستهل شهر ذي الحجة بيوم الاثنين سنة 1221 794
وأما من مات بها من العلماء والأمراء ممن له ذكر 795

ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين ومائتين وألف 813
وكان ابتداء المحرم يوم الأربعاء 813
واستهل شهر صفر بيوم الجمعة سنة 1222 819
واستهل شهر ربيع الأول بيوم السبت سنة 1222 825
واستهل شهر ربيع الثاني بيوم الاثنين 1222 827
واستهل شهر جمادى الأول سنة 1222 829
واستهل شهر جمادى الثانية بيوم الخميس سنة 1222 830
واستهل شهر رجب بيوم الجمعة سنة 1222 833
واستهل شهر شعبان بيوم السبت سنة 1222 834
واستهل شهر رمضان بيوم الاثنين سنة 1222 838
واستهل شهر شوال بيوم الثلاثاء سنة 1222 840
واستهل شهر ذي القعدة بيوم الأربعاء سنة 1222 842
واستهل شهر ذي الحجة بيوم الجمعة سنة 1222 842
واستهلت سنة ثلاث وعشرين ومائتين وألف 846
واستهل شهر ربيع الثاني سنة 1223 846
شهر جمادى الأول سنة 1223 847
واستهل شهر جمادى الثانية سنة 1223 847
واستهل شهر رجب بيوم الأربعاء سنة 1223 848
واستهل شهر رمضان بيوم الجمعة 1223 849
واستهل شهر شوال بيوم الأحد سنة 1223 850
واستهل شهر القعدة بيوم الاثنين سنة 1223 851
واستهل شهر ذي الحجة بيوم الثلاثاء سنة 1223 851
وأما من مات بها ممن له ذكر 854
ودخلت سنة 1224 857
واستهل شهر صفر بيوم السبت سنة 1224 857
واستهل شهر ربيع الأول سنة 1224 859
واستهل شهر ربيع الثاني سنة 1224 860
واستهل شهر جمادى الأولى سنة 1224 860
واستهل شهر جمادى الثانية بيوم الجمعة سنة 1224 864
واستهل شهر رجب بيوم الأحد سنة 1224 866
استهل شهر شعبان بيوم الثلاثاء سنة 1224 867

واستهل شهر رمضان بيوم الأربعاء سنة 1224 868
واستهل شهر شوال بيوم الخميس سنة 1224 868
واستهل شهر ذي القعدة بيوم السبت سنة 1224 869
واستهل شهر ذي الحجة بيوم الأحد سنة 1224 870
ودخلت سنة 1225 876
واستهل شهر صفر الخير بيوم الأربعاء سنة 1225 876
واستهل شهر ربيع الأول بيوم الخميس سنة 1225 878
واستهل شهر ربيع الثاني بيوم السبت سنة 1225 879
واستهل شهر جمادى الأولى بيوم الأحد سنة 1225 882
واستهل شهر جمادى الثانية بيوم الثلاثاء سنة 1225 885
واستهل شهر رجب بيوم الخميس سنة 1225 885
واستهل شهر شعبان بيوم السبت سنة 1225 887
واستهل شهر رمضان بيوم الأحد سنة 1225 889
واستهل شهر شوال بيوم الثلاثاء سنة 1225 889
واستهل شهر ذي القعدة بيوم الأربعاء سنة 1225 890
واستهل شهر ذي الحجة الحرام بيوم الأحد سنة 1225 890
واستهلت سنة ست وعشرين ومائتين وألف 893
واستهل شهر صفر الخير بيوم الأحد سنة 1226 893
واستهل شهر ربيع الأول بيوم الثلاثاء سنة 1226 898
واستهل شهر ربيع الثاني سنة 1226 899
واستهل شهر جمادى الأولى سنة 1226 899
واستهل شهر جمادى الثانية سنة 1226 900
واستهل شهر رجب سنة 1226 900
واستهل شهر شعبان سنة 1226 900
واستهل شهر رمضان بيوم الأربعاء سنة 1226 901
واستهل شهر شوال بيوم الجمعة سنة 1226 902
واستهل شهر ذي القعدة بيوم الأحد 1226 902
واستهل شهر ذي الحجة سنة 1226 902
ثم دخلت سنة سبع وعشرين ومائتين وألف وما تجدد بها من الحوادث 906
فكان ابتداء المحرم بالرؤية يوم الخميس في عاشره 906
واستهل شهر صفر الخير بيوم الجمعة سنة 1227 907

واستهل شهر ربيع الأول سنة 1227 908
واستهل شهر ربيع الآخر سنة 1227 908
واستهل شهر جمادى الثانية بيوم الخميس سنة 1227 910
واستهل شهر رجب بيوم الجمعة سنة 1227..911
واستهل شهر شعبان بيوم الأحد سنة 1227 912
واستهل شهر رمضان بيوم الاثنين سنة 1227..912
واستهل شهر شوال بيوم الأربعاء سنة 1227 914
واستهل شهر ذي القعدة بيوم الجمعة سنة 1227 915
واستهل شهر ذي الحجة بيوم السبت سنة 1227 916
ثم دخلت سنة ثماني وعشرين ومائتين وألف 934
استهل المحرم بيوم الاثنين سنة 1228..934
واستهل شهر صفر بيوم الأربعاء سنة 1228 935
واستهل شهر ربيع الأول بيوم الخميس سنة 1228..938
واستهل شهر ربيع الثاني بيوم الأحد سنة 1228 939
واستهل شهر جمادى الثانية سنة 1228 940
واستهل شهر رجب سنة 1228..941
واستهل شهر رمضان بيوم الجمعة سنة 1228 942
واستهل شهر شوال بيوم الأحد سنة 1228..942
واستهل شهر ذي القعدة بيوم الثلاثاء سنة 1228 943
واستهل شهر ذي الحجة بيوم الأربعاء سنة 1228 944
ثم دخلت سنة تسع وعشرين ومائتين وألف 959
استهل المحرم بيوم الجمعة 959
واستهل شهر صفر بيوم الأحد سنة 1229..963
واستهل شهر ربيع الأول 1229..964
واستهل شهر ربيع الثاني بيوم الأربعاء سنة 1229..965
شهر جمادى الأولى سنة 1229 967
واستهل شهر رجب سنة 1229 971
واستهل شهر شعبان بيم الثلاثاء سنة 1229 972
واستهل شهر رمضان بيوم الأربعاء سنة 1229 973
واستهل شهر شوال بيوم الخميس سنة 1229..974
واستهل شهر ذي القعدة بيوم السبت سنة 1229..975

واستهل شهر ذي الحجة سنة 1229 976
ودخلت سنة 1230 979
واستهل شهر صفر الخير بيوم الخميس سنة 1230 979
واستهل شهر ربيع الأول بيوم السبت سنة 1230 979
واستهل شهر ربيع الثاني بيوم الاثنين سنة 1230 980
واستهل شهر جمادى الأول بيوم الثلاثاء سنة 1230 980
واستهل شهر جمادى الثانية بيوم الخميس سنة 1230 981
واستهل شهر رجب بيوم الجمعة سنة 1230 981
واستهل شهر شعبان سنة 1230 982
واستهل شهر رمضان بيوم الاثنين سنة 1230 985
واستهل شهر شوال بيوم الثلاثاء سنة 1230 988
واستهل شهر ذي القعدة الحرام بيوم الأربعاء سنة 1230 990
واستهل شهر ذي الحجة الحرام بيوم الجمعة سنة 1230 991
واستهلت سنة 1231 995
واستهل شهر صفر الخير سنة 1231 995
واستهل شهر ربيع الأول سنة 1231 996
واستهل شهر ربيع الثاني سنة 1231 998
واستهل شهر جمادى الثانية سنة 1231 1002
واستهل شهر رجب الأصم بيوم الثلاثاء سنة 1231 1002
واستهل شهر شعبان بيوم الخميس سنة 1231 1002
واستهل شهر رمضان بيوم الجمعة سنة 1231 1003
واستهل شهر شوال بيوم السبت سنة 1231 1003
واستهل شهر ذي القعدة سنة 1231 1004
ودخلت سنة اثنتين وثلاثين ومائتين وألف 1020
واستهل المحرم بيوم الخميس 1020
واستهل شهر صفر الخير سنة 1232 1022
واستهل شهر ربيع الأول سنة 1232 1022
واستهل شهر ربيع الثاني سنة 1232 1022
واستهل شهر جمادى الأولى سنة 1232 1023
واستهل شهر جمادى الثانية بيوم الثلاثاء سنة 1232 1025
واستهل شهر رجب بيوم الأحد سنة 1232 1027

واستهل شهر شعبان بيوم الاثنين سنة 1232..1027
واستهل شهر رمضان بيوم الثلاثاء سنة 1232 1029
واستهل شهر شوال بيوم الخميس سنة 1232..1031
واستهل شهر ذي القعدة سنة 1232 1032
واستهل شهر ذي الحجة بيوم الأحد سنة 1232 1032
واستهلت سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وألف 1037
واستهل شهر صفر بيوم الأربعاء سنة 1233..1037
واستهل شهر ربيع الأول بيوم الجمعة سنة 1233 1038
واستهل شهر ربيع الثاني بيوم السبت سنة 1233 1038
واستهل شهر جمادى الأولى بيوم الأحد سنة 1233.....................................1038
واستهل شهر جمادى الثانية سنة 1233 1039
واستهل شهر شعبان سنة 1233..1039
واستهل شهر رمضان بيوم الأحد سنة 1233..1039
واستهل شهر شوال بيوم الاثنين سنة 1233 1039
واستهل شهر ذي القعدة بيوم الأربعاء سنة 1233 1040
واستهل شهر ذي الحجة الحرام بيوم الجمعة 1233.....................................1040
واستهلت سنة أربع وثلاثين ومائتين وألف...1046
واستهل شهر صفر بيوم الاثنين سنة 1234 1048
واستهل شهر ربيع الأول بيوم الثلاثاء سنة 1234....................................1049
واستهل شهر ربيع الثاني بيوم السبت سنة 1234 1050
واستهل شهر جمادى الأولى سنة 1234 1050
واستهل شهر جمادى الثانية سنة 1234...1051
واستهل شهر رجب بيوم الاثنين سنة 1234..1051
واستهل شهر شعبان سنة 1234..1052
واستهل شهر رمضان سنة 1234...1052
واستهل شهر شوال بيوم الجمعة سنة 1234..1052
واستهل شهر ذي القعدة سنة 1234 1053
واستهل شهر ذي الحجة سنة 1234...1053
ودخلت سنة خمس وثلاثين ومائتين وألف...1054
واستهل شهر صفر بيوم الجمعة سنة 1235 1054
واستهل شهر ربيع الأول بيوم الأحد سنة 1235 1055

واستهل شهر ربيع الثاني سنة 1235 1056
واستهل شهر جمادى الأولى سنة 1235 1056
واستهل شهر جمادى الثانية سنة 1235 1057
واستهل شهر رجب بيوم الجمعة سنة 1235 1057
واستهل شهر شعبان بيوم الأحد سنة 1235 1058
واستهل شهر رمضان بيوم الاثنين سنة 1235 1058
واستهل شهر شوال بيوم الثلاثاء سنة 1235 1058
واستهل شهر ذي القعدة بيوم الخميس سنة 1235 1059
واستهل شهر ذي الحجة سنة 1235 1060
ثم دخلت سنة ست وثلاثين ومائتين وألف 1065
استهل شهر المحرم بيوم الإثنين 1065
واستهل شهر صفر بيوم الأربعاء سنة 1236 1065
واستهل شهر ربيع الأول بيوم الخميس سنة 1236 1066
واستهل شهر ربيع الثاني بيوم السبت سنة 1236 1066
واستهل شهر جمادى الأولى بيوم الأحد سنة 1236 1066
واستهل شهر جمادى الثانية بيوم الثلاثاء سنة 1236 1066
واستهل شهر رجب بيوم الخميس سنة 1236 1067
واستهل شهر شعبان بيوم الجمعة سنة 1236 1067
واستهل شهر رمضان بيوم الأحد 1236 1067
واستهل شهر شوال بيوم الثلاثاء سنة 1236 1067
واستهل شهر ذي القعدة بيوم الأربعاء سنة 1236 1068
واستهل شهر ذي الحجة بيوم الجمعة سنة 1236 1068
الفهرس 1070

To PDF: www.al-mostafa.com